تفسير الجلالين

الإمام
جلال الدين
السيوطي

و

الإمام
جلال الدين
المحلي

حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه وذكر أسباب نزوله
ووضع فوائد مهمة له

الأستاذ الدكتور مصطفى ديب البغا

أستاذ التفسير وعلوم القرآن
كلية الشريعة - جامعة دمشق

دار المصطفى

تفسير
الجلالين

منشورات
أنس مصطفى البغا

نتشرف بخدمة
العلم وأهله ...

الطبعة الحادية عشرة
١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

جميع الحقوق محفوظة
لدار المصطفى

يُمنع طبع أو نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو حفظه ونسخه في أي نظام إلكتروني يمكّن من استرجاع الكتاب أو أي جزء منه، كما لا يسمح باقتباس أي جزء منه أو ترجمته إلى أي لغة أخرى دون الحصول على إذن خطي مسبق من الناشر تحت طائلة الملاحقة القانونية والجزائية.

دار المصطفى
للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق - حلبوني
ص.ب ١١٣٩٢ - هاتف ٢٢٥٨٥٣٢
فاكس ٢٢٥٠٩٨٢
E-mail: anas197504@hotmail.com

تفسير
الجلالين

الإمام
جلال الدين
السيوطي
٨٤٩ / ٩١١ هـ

و

الإمام
جلال الدين
المحلي
٧٩١ / ٨٦٤ هـ

حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه وذكر أسباب نزوله
ووضع فوائد متممة له

الأستاذ الدكتور مصطفى ديب البغا
أستاذ التفسير وعُلوم القُرآن
كلية الشريعة - جامعة دمشق

دار المصطفى
دمشق

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد فإن التفسير المشهور بـ[تفسير الجلالين] للإمامين جلال الدين السيوطي وجلال الدين المحلي، هو من التفاسير المتداولة بين المسلمين، وأكثرها انتشاراً.

فهو لا يكاد يخلو بيت منه، ولا يخلو مسجد من عشرات منه، فهو لذلك يعتبر تفسير العامة والخاصة من المسلمين، فرغبت أن أقوم بخدمة له تجعل الانتفاع به أكثر إن شاء الله تعالى، رجاء أن يكون ذلك مساهمة مني في خدمة كتاب الله عز وجل.

تتلخص خدمتي له بالأمور التالية:

١ـ اعتمدت نسخة مطبوعة منه على هامش مصحف، وقمت بمقابلتها مع النسختين المطبوعتين اللتين عليهما حاشية الصاوي وحاشية الجمل، وعند الاختلاف أثبت ما ترجح عندي أنه الصواب، وقد أشير إلى غيره في حاشية.

٢ـ ثم قابلت هذه النسخة على نسختين مخطوطتين:

الأولى: هي لما كتبه الجلال السيوطي وحده.

والثانية: لكامل التفسير بقسميه: أي ما كتبه الجلال السيوطي، وهو من أول سورة البقرة حتى آخر سورة الإسراء. وما كتبه الجلال المحلي وهو: من أول سورة الكهف حتى آخر سورة الناس، مع تفسير سورة الفاتحة، لكن هذه المخطوطة فيها نقص من آخرها عند تفسير الآية (١٦) من سورة نوح. واعتمدت في مقابلة ما بقي على نسخة مخطوطة ثالثة.

وهذه النسخ مقابلة وعلى هوامشها إشارة إلى نسخ أخرى.

وعند اختلاف النسخ المخطوطة مع المطبوعة المقابلة أثبت ما ترجح عندي أنه الأصح والصواب.

٣ـ كتبت حواشي موضحة ومفيدة حيث وجدت حاجة لذلك، بأرقام تحت التفسير، أوضحت فيها أموراً مهمة لغوية وشرعية، واستدللت فيها بأحاديث لبعض ما ذكر في التفسير،

كما أوضحت أموراً مهمة في العقيدة وغيرها، لا سيما تلك الأمور التي هي في الغالب من الإسرائيليات، كما خرّجت ما ورد في التفسير من أحاديث، أو ذكرت ما أشير إليه منها، وأما الآيات المستشهد بها في التفسير فقد ذكرت رقمها من سورها إلى جنبها بين معقوفين.

كما أني زدت المعنىٰ إيضاحاً حيث يكون التفسير مختصراً، بذكر ما قاله ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره، وربما أجعل ذلك حاشية برقم، أو تبعاً لحاشية، وربما جعلت ذلك تحت عنوان: فائدة.

٤ـ ذكرت فوائد تتعلق بموضوع الآيات التي توجد في صحيفة القرآن، حيث يتسع الموضوع لذلك، تحت عنوان: فائدة. سيجد القارىء فيها ما ينفعه، إن شاء الله تعالى.

٥ـ ذيلت صحف التفسير بأسباب نزول الآيات حيث يوجد سبب نزول، وجعلت سبب نزول الآية في نفس الصحيفة التي توجد فيها الآية، كي لا يلتبس الأمر على القارىء. ولم ألتزم في أسباب النزول هذه كتاباً معيناً، بل اعتمدت في ذلك أولًا على ما جاء في كتب السنة، فإذا لم أجد فيها حاجتي اعتمدت على ما ذكره ابن جرير الطبري في تفسيره، ثم ما ذكره الواحدي في كتابه [أسباب النزول] وما ذكره السيوطي أيضاً في كتابه [لباب النقول في أسباب النزول] ولم آخذ منها ما كان واهياً شديد الضعف.

ولقد سميت عملي هذا [منحة المتجلي في خدمة تفسير الجلالين السيوطي والمحلي]. والله تعالى الموفق، وهو سبحانه أسأل أن يتقبل مني هذا العمل وأن يجعله في سجل أعمالي الصالحة التي أرجو أن تكون دائمة الأجر، كما أرجوه أن يتفضل بمثل أجره على والِديَّ وشيوخي وكل من له حق عليّ، إنه جواد كريم.

ترجمة الجلال السيوطي

هو جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٨٤٩ـ٩١١هـ) الحافظ المحقق البارع في علوم متنوعة، وله من التآليف ما يزيد عن المائتين في مختلف العلوم.

ترجمة الجلال المحلي

هو جلال الدين محمد بن أحمد بن محمد المحلي (٧٩١ـ٨٦٤ هـ) الفقيه المفسر والأصولي المحرر، والنحوي البارع، ذو التصانيف العديدة في مختلف العلوم.

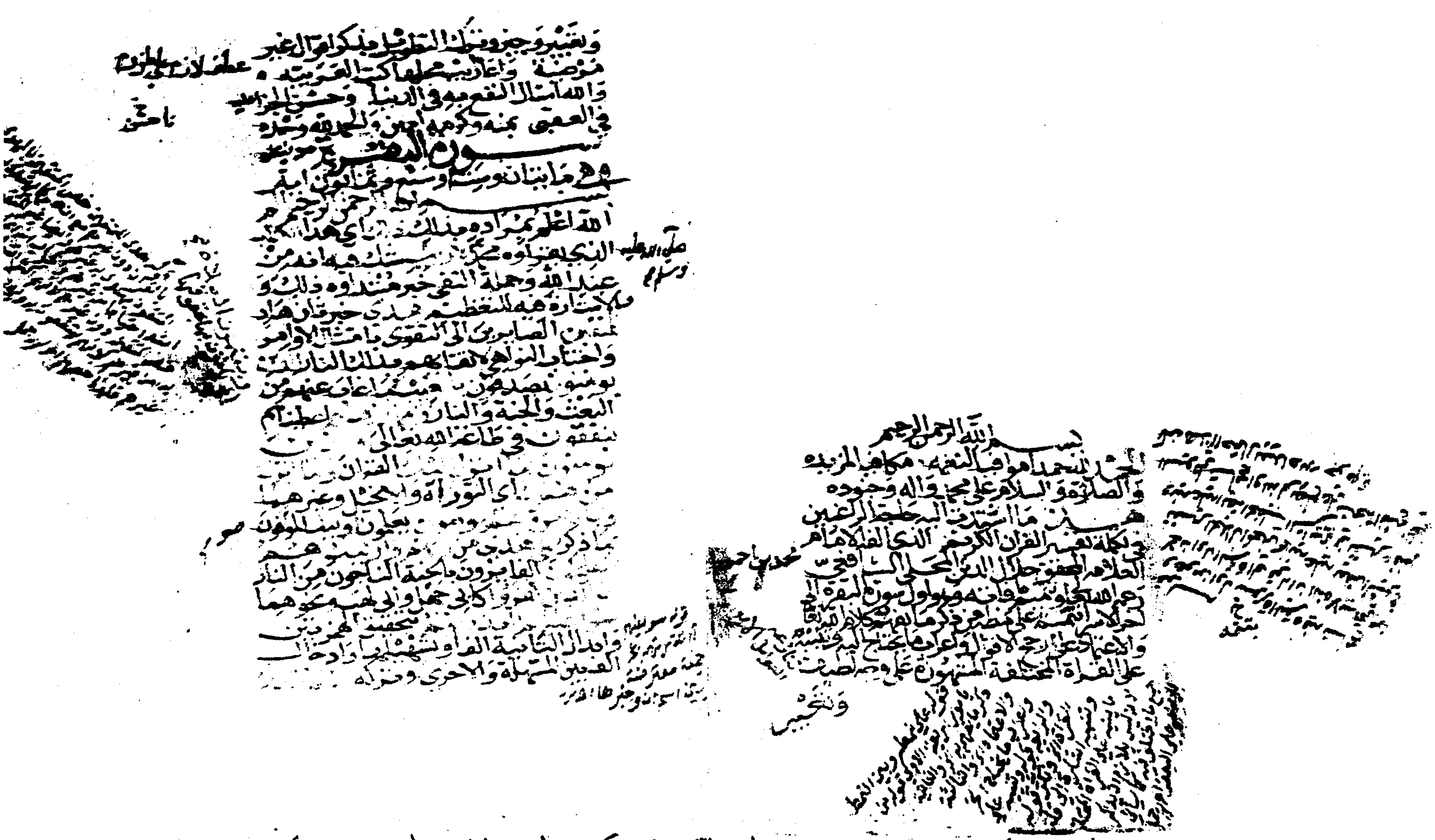

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله حمداً موافياً لنعمه مكافئاً لمزيده
والصلاة والسلام على محمد وآله وجنوده
هذا ما اشتدت إليه حاجة الراغبين
في تكملة تفسير القرآن الكريم الذي ألفه الإمام
العلامة المحقق جلال الدين المحلي الشافعي
رحمه الله وتتميم ما فاته وهو من أول سورة البقرة إلى
آخر الإسراء بتتمة على نمطه من ذكر ما يفهم به كلام الله
والاعتماد على أرجح الأقوال وإعراب ما يحتاج إليه وتنبيه
على القراءات المختلفة المشهورة على وجه لطيف
وتعبير

محمد بن أحمد

وتعبير وجيز وترك التطويل بذكر أقوال غير
مرضية وأعاريب محلها كتب العربية
والله أسأل النفع به في الدنيا وحسن الجزاء عليه
في العقبى بمنه وكرمه آمين والحمد لله وحده
سورة البقرة مدنية
وهي مائتان وست أو سبع وثمانون آية
بسم الله الرحمن الرحيم
الله أعلم بمراده بذلك [illegible] أي هذا [illegible]
الذي يقرؤه محمد [illegible] فيه أنه من
عند الله وجملة النفي خبر مبتدؤه ذلك و
الإشارة به للتعظيم هدى خبر ثان هاد
للمتقين الصائرين إلى التقوى بامتثال الأوامر
واجتناب النواهي لاتقائهم بذلك النار الذين
يؤمنون يصدقون [illegible] بما غاب عنهم من
البعث والجنة والنار [illegible] أعطيناهم
ينفقون في طاعة الله تعالى
[illegible] القرآن [illegible]
[illegible] أي التوراة والإنجيل وغيرهما
[illegible] يعلمون [illegible]
بما ذكر [illegible]
الفائزون بالجنة الناجون من النار
[illegible] كأبي جهل وأبي لهب ونحوهما
[illegible] بتحقيق الهمزتين
وإبدال الثانية ألفا وتسهيلها وإدخال
[illegible] المسهلة والأخرى وتركه

صلى الله عليه وسلم

الصفحتان الأوليان من المخطوطة الأولى الخاصة بما كتبه الجلال السيوطي رحمه الله تعالى

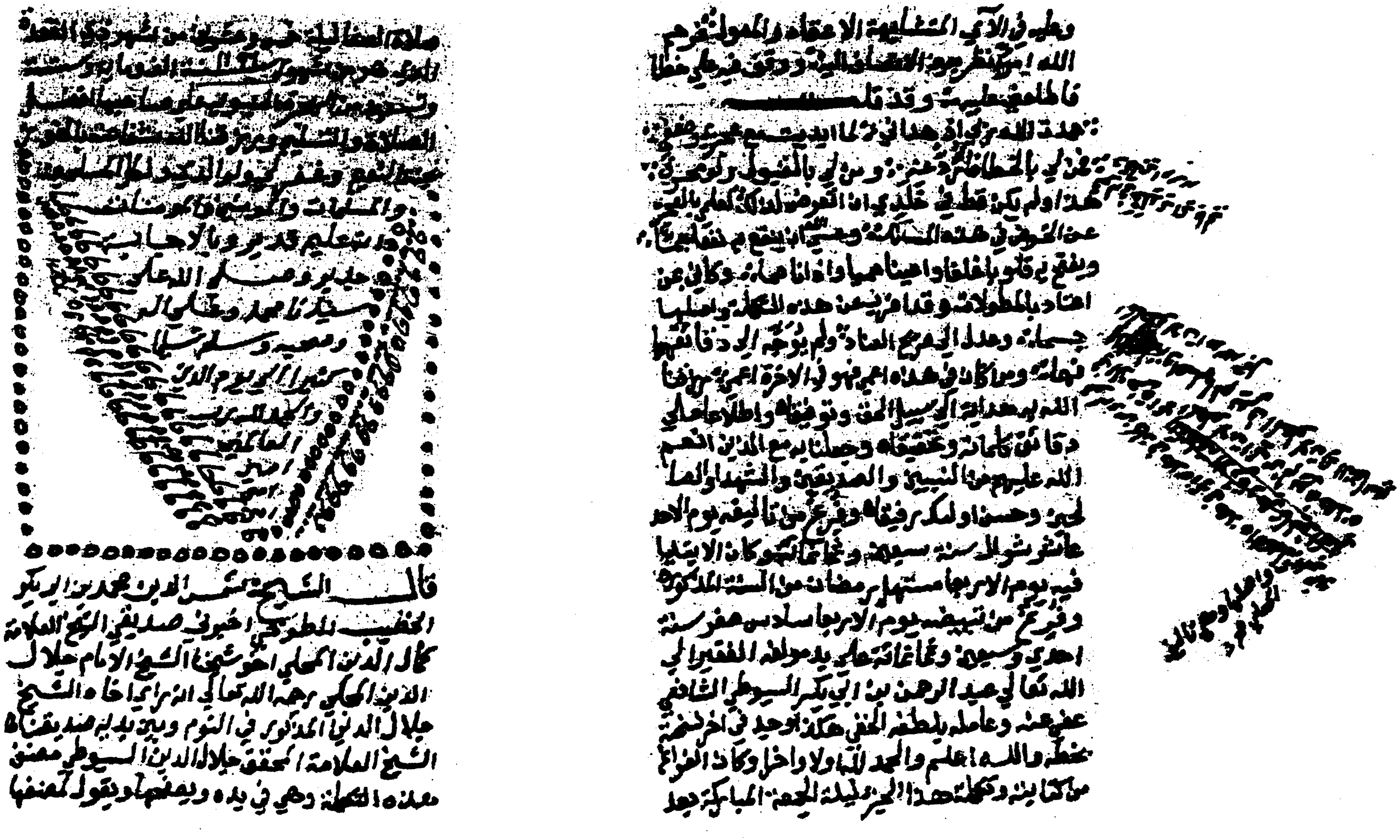

وعلى في الآي المتشابهة الاعتقاد والمعول فرحم
الله امرءا نظر بعين الانصاف اليه ووقف فيه على خطأ
فاطلعني عليه وقد قلت

حمدت الله ربي اذ هداني لما ابديت مع عجزي وضعفي
فمن لي بالخطا فارد عنه ومن لي بالقبول ولو بحرف
هذا ولم يكن قط في خلدي ان اتعرض لذلك لعلمي بالعجز
عن الخوض في هذه المسالك وعسى ان ينفع به نفعا جما
ويفتح به قلوبا غلفا واعينا عميا وآذانا صما وكأني بمن
اعتاد بالمطولات وقد اضرب عن هذه التكملة واصلها
جملة وعدل الى صريح العناد ولم يوجه الى دقائقها
فهمه ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى رزقنا
الله به هداية الى سبيل الحق وتوفيقا واطلاعا على
دقائق كلماته وتحقيقا وجعلنا به مع الذين انعم
الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصا
لحين وحسن اولئك رفيقا وفرغ من تأليفه يوم الاحد
عاشر شوال سنة سبعين وثمانمائة وكان الابتداء
في يوم الاربعاء مستهل رمضان من السنة المذكورة
وفرغ من تبييضه يوم الاربعاء سادس صفر سنة
احدى وسبعين وثمانمائة على يد مؤلفه الفقير الى
الله تعالى عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي الشافعي
عفي عنه وعامله بلطفه الخفي هكذا وجد في آخر نسخة
بخطه والله اعلم والحمد لله اولا وآخرا وكان الفراغ
من كتابته وتكملة هذا الجزء ليلة الجمعة المباركة بعد

صلاة

صلاة العشا ليلة خميس [illegible] من شهر ذي القعدة
الذي هو من شهور سنة الف [illegible]
[illegible] على صاحبها افضل
الصلاة والتسليم [illegible]
[illegible] التعدد لكل المسلمين
والمسلمات [illegible]
[illegible] قد [illegible] بالاجابة
جدير وصلى الله تعالى
سيدنا محمد وعلى اله
وصحبه وسلم تسليما
كثيرا الى يوم الدين
والحمد لله رب
العالمين
آمين
[illegible]

قال الشيخ شمس الدين محمد بن ابي بكر
الخطيب الطوخي اخبرني صديقي الشيخ العلامة
كمال الدين المحلي اخو شيخنا الشيخ الامام جلال
الدين المحلي رحمه الله تعالى انه رأى اخاه الشيخ
جلال الدين المذكور في النوم وبين يديه صديقنا
الشيخ العلامة المحقق جلال الدين السيوطي مصنف
هذه التكملة وهي في يده ويتصفحها ويقول لمصنفها

الصفحتان الأخيرتان من المخطوطة الثالثة وقد كتبت سنة (١١٩٦) هـ

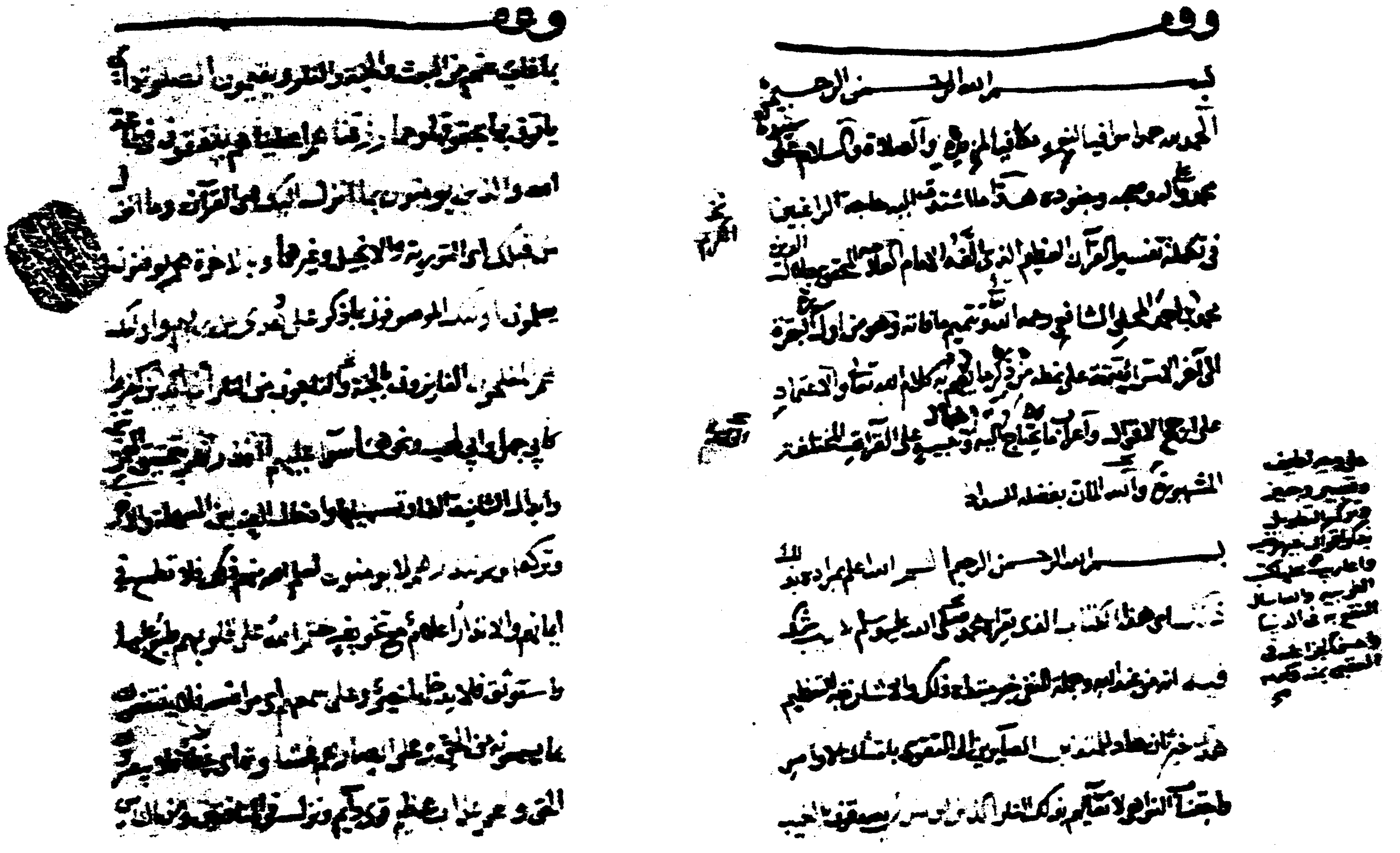

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله حمدا موافيا لنعمه مكافئا لمزيده والصلاة والسلام على سيدنا
محمد وآله وصحبه وجنوده هذا ما اشتدت إليه حاجة الراغبين
في تكملة تفسير القرآن العظيم الذي ألفه الإمام العلامة المحقق جلال الدين
محمد بن أحمد المحلي الشافعي رحمه الله وتتميم ما فاته وهو من أول البقرة
إلى آخر الإسراء بتتمة على نمطه من ذكر ما يفهم به كلام الله تعالى والاعتماد
على أرجح الأقوال وإعراب ما يحتاج إليه وتنبيه على القراءات المختلفة
المشهورة والله [illegible] بفضله للسعادة

الكريم

على وجه لطيف
وتعبير وجيز
وترك التطويل
بذكر أقوال غير مرضية
وأعاريب محلها كتب
العربية والله أسأل
النفع به في الدنيا
وأحسن الجزاء عليه
في العقبى بمنه وكرمه

بسم الله الرحمن الرحيم الم الله أعلم بمراده بذلك
ذلك أي هذا الكتاب الذي يقرؤه محمد صلى الله عليه وسلم لا ريب شك
فيه أنه من عند الله وجملة النفي خبر مبتدؤه ذلك والإشارة به للتعظيم
هدى خبر ثان أي هاد للمتقين الصائرين إلى التقوى بامتثال الأوامر
واجتناب النواهي لاتقائهم بذلك النار الذين يؤمنون يصدقون بالغيب

بالغيب بما غاب عنهم من البعث والجنة والنار ويقيمون الصلاة أي
يأتون بها بحقوقها ومما رزقناهم أعطيناهم ينفقون في طاعة
الله والذين يؤمنون بما أنزل إليك أي القرآن وما أنزل
من قبلك أي التوراة والإنجيل وغيرهما وبالآخرة هم يوقنون
يعلمون أولئك الموصوفون بما ذكر على هدى من ربهم وأولئك
هم المفلحون الفائزون بالجنة الناجون من النار إن الذين كفروا
كأبي جهل وأبي لهب ونحوهما سواء عليهم أأنذرتهم بتحقيق الهمزتين
وإبدال الثانية ألفا وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى
وتركه أم لم تنذرهم لا يؤمنون لعلم الله منهم ذلك فلا تطمع في
إيمانهم والإنذار إعلام مع تخويف ختم الله على قلوبهم طبع عليها
واستوثق فلا يدخلها خير وعلى سمعهم أي مواضعه فلا ينتفعون
بما يسمعونه من الحق وعلى أبصارهم غشاوة غطاء فلا يبصرون
الحق ولهم عذاب عظيم قوي دائم ونزل في المنافقين ومن الناس

الصفحتان الأوليان من المخطوطة الثانية

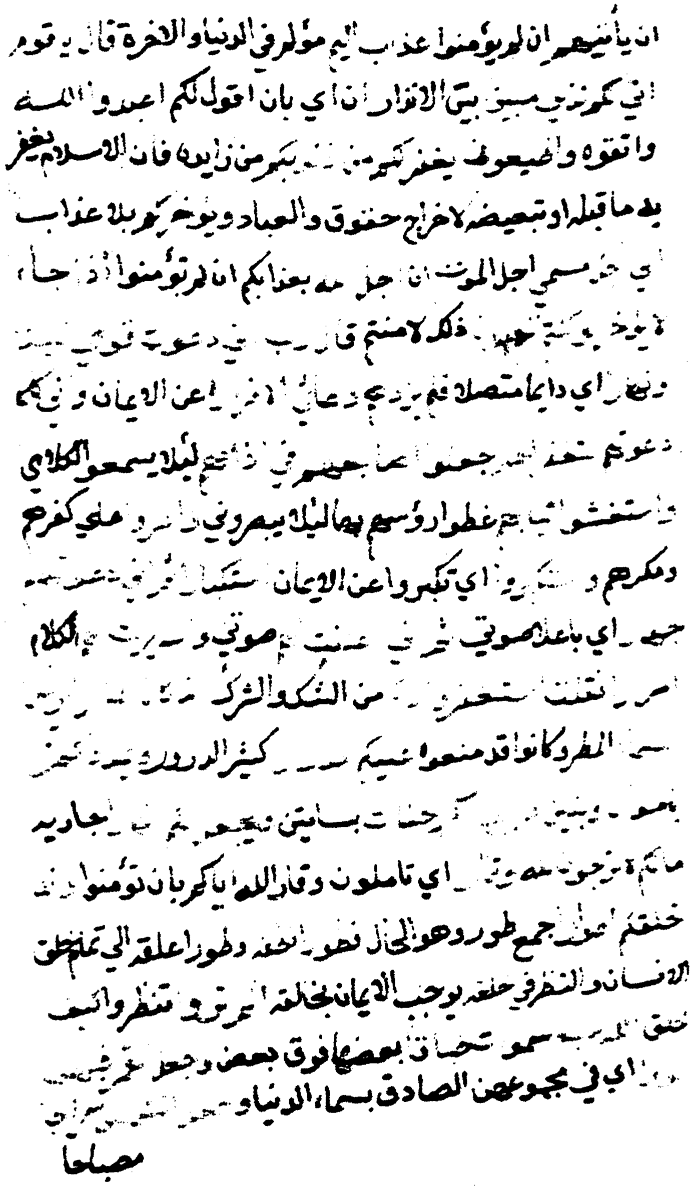

ان يأتيهم ان لم يؤمنوا عذاب اليم مؤلم في الدنيا والاخرة قال يا قوم
اني لكم نذير مبين بين الانذار ان اي بان اقول لكم اعبدوا الله
واتقوه واطيعون يغفر لكم من ذنوبكم من زائدة فان الاسلام يغفر
به ما قبله او تبعيضية لاخراج حقوق العباد ويؤخركم بلا عذاب
الى اجل مسمى اجل الموت ان اجل الله بعذابكم ان لم تؤمنوا اذا جاء
لا يؤخر لو كنتم تعلمون ذلك لامنتم قال رب اني دعوت قومي ليلا
ونهارا اي دائما متصلا فلم يزدهم دعائي الا فرارا عن الايمان واني كلما
دعوتهم لتغفر لهم جعلوا اصابعهم في اذانهم لئلا يسمعوا كلامي
واستغشوا ثيابهم غطوا رؤوسهم بها لئلا يبصروني واصروا على كفرهم
ومكرهم واستكبروا اي تكبروا عن الايمان استكبارا ثم اني دعوتهم
جهارا اي باعلى صوتي ثم اني اعلنت لهم صوتي واسررت لهم الكلام
اسرارا فقلت استغفروا ربكم من الشرك انه كان غفارا يرسل
السماء المطر وكانوا قد منعوه عليكم مدرارا كثير الدرور ويمددكم
باموال وبنين ويجعل لكم جنات بساتين ويجعل لكم انهارا جارية
ما لكم لا ترجون لله وقارا اي تاملون وقار الله اياكم بان تؤمنوا وقد
خلقكم اطوارا جمع طور وهو الحال طورا نطفة وطورا علقة الى تمام خلق
الانسان والنظر في خلقه يوجب الايمان بخالقه الم تروا تنظروا كيف
خلق الله سبع سموات طباقا بعضها فوق بعض وجعل القمر فيهن
اي في مجموعهن الصادق بسماء الدنيا وجعل الشمس سراجا
مصباحا

الصفحة الأخيرة من المخطوطة الثانية

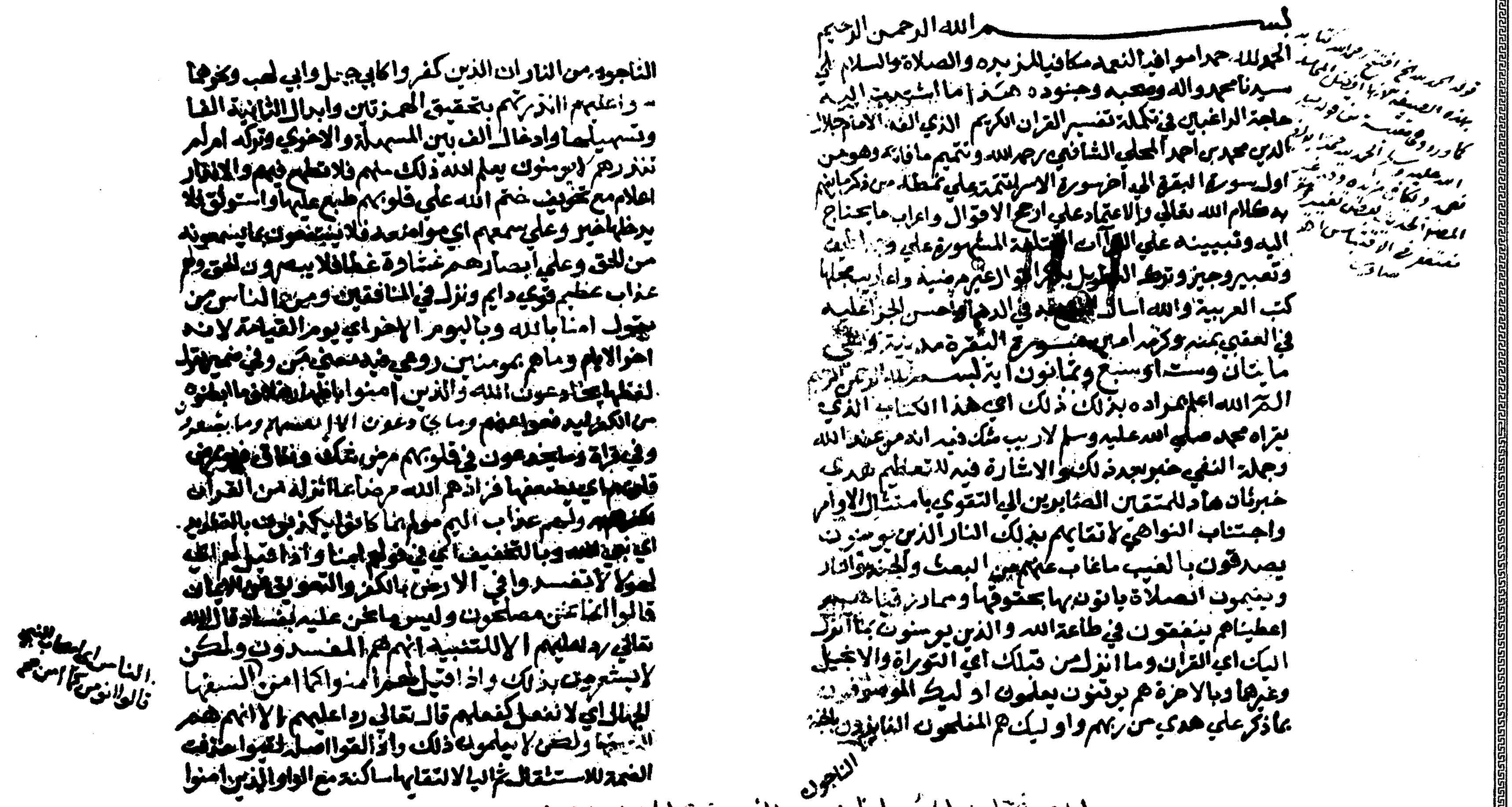

قوله بسم [illegible] افتتح [illegible] تبركا به
بهذه الصيغة [illegible] من قوله
كما ورد في [illegible] الحديث [illegible]
[illegible] عليه [illegible]
[illegible]
المصنف [illegible]
[illegible] الاقتباس [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله حمدا موافيا لنعمه مكافيا لمزيده والصلاة والسلام علي
سيدنا محمد واله وصحبه وجنوده هذا ما اشتدت اليه
حاجة الراغبين في تكملة تفسير القران الكريم الذي الفه الامام جلال
الدين محمد بن احمد المحلي الشافعي رحمه الله وتتميم ما فاته وهو من
اول سورة البقرة الي اخر سورة الاسرا بتتمة علي نمطه من ذكر ما يفهم
به كلام الله تعالي والاعتماد علي ارجح الاقوال واعراب ما يحتاج
اليه وتنبيه علي القراات المختلفة المشهورة علي وجه لطيف
وتعبير وجيز وترك التطويل بذكر اقوال غير مرضية واعاريب محلها
كتب العربية والله اسال النفع به في الدنيا واحسن الجزا عليه
في العقبي بمنه وكرمه امين سورة البقرة مدنية وهي
مايتان وست او سبع وثمانون اية بسم الله الرحمن الرحيم
الم الله اعلم بمراده بذلك ذلك اي هذا الكتاب الذي
يقراه محمد صلي الله عليه وسلم لا ريب شك فيه انه من عند الله
وجملة النفي خبر مبتدؤه ذلك والاشارة فيه للتعظيم هدي
خبر ثان هاد للمتقين الصايرين الي التقوي بامتثال الاوامر
واجتناب النواهي لاتقايهم بذلك النار الذين يومنون
يصدقون بالغيب ما غاب عنهم من البعث والجنة والنار
ويقيمون الصلاة ياتون بها بحقوقها ومما رزقناهم
اعطيناهم ينفقون في طاعة الله والذين يومنون بما انزل
اليك اي القران وما انزل من قبلك اي التوراة والانجيل
وغيرهما وبالاخرة هم يوقنون يعلمون اوليك الموصوفون
بما ذكر علي هدي من ربهم واوليك هم المفلحون الفايزون بالجنة
الناجون

الناجون من النار ان الذين كفروا كابي جهل وابي لهب ونحوهما
سوا عليهم ءانذرتهم بتحقيق الهمزتين وابدال الثانية الفا
وتسهيلها وادخال الف بين المسهلة والاخري وتركه ام لم
تنذرهم لا يومنون لعلم الله ذلك منهم فلا تطمع فيهم والانذار
اعلام مع تخويف ختم الله علي قلوبهم طبع عليها واستوثق فلا
يدخلها خير وعلي سمعهم اي مواضعه فلا ينتفعون بما يسمعونه
من الحق وعلي ابصارهم غشاوة غطا فلا يبصرون الحق ولهم
عذاب عظيم قوي دايم ونزل في المنافقين ومن الناس من
يقول امنا بالله وباليوم الاخر اي يوم القيامة لانه
اخر الايام وما هم بمومنين روعي فيه معني من وفي ضمير يقول
لفظها يخادعون الله والذين امنوا باظهار خلاف ما ابطنوه
من الكفر ليدفعوا عنهم وما يخادعون الا انفسهم وما يشعرون
وفي قراة وما يخدعون في قلوبهم مرض شك ونفاق فهو يمرض
قلوبهم اي يضعفها فزادهم الله مرضا بما انزله من القران
لكفرهم به ولهم عذاب اليم مولم بما كانوا يكذبون بالتشديد
اي نبي الله وبالتخفيف اي في قولهم امنا واذا قيل لهم اي لهولا
لا تفسدوا في الارض بالكفر والتعويق عن الايمان
قالوا انما نحن مصلحون وليس ما نحن عليه بفساد قال الله
تعالي ردا عليهم الا للتنبيه انهم هم المفسدون ولكن
لا يشعرون بذلك واذا قيل لهم امنوا كما امن السفها
الجهال اي لا نفعل كفعلهم قال تعالي ردا عليهم الا انهم هم
السفها ولكن لا يعلمون ذلك واذا لقوا اصله لقيوا حذفت
الضمة للاستثقال ثم اليا لالتقايها ساكنة مع الواو الذين امنوا

الناس اي اصحاب النبي
قالوا انومن كما امن

الصفحتان الاوليان من النسخة المخطوطة الثالثة

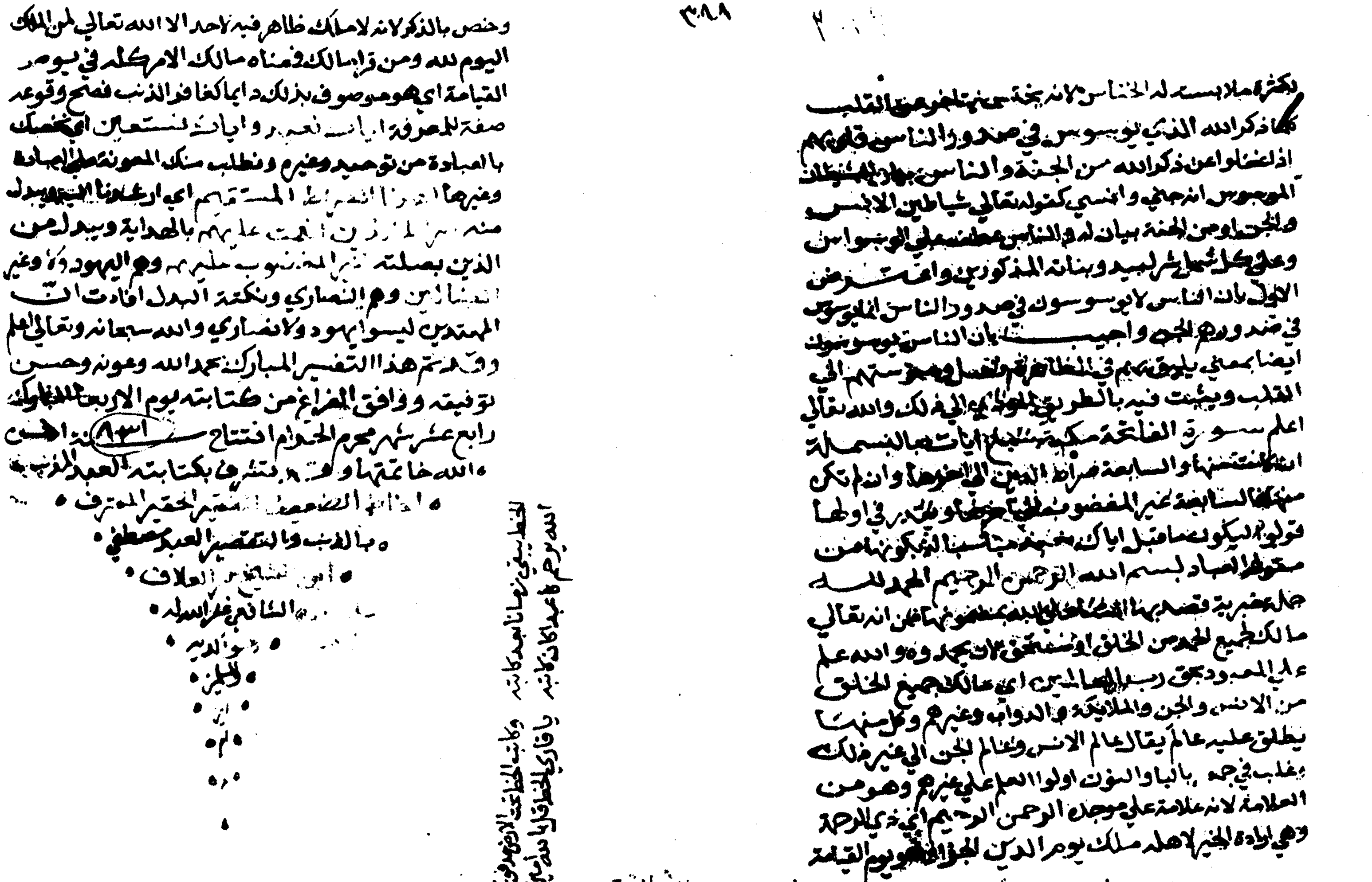

٣٠٨٩

بكثرة ملابسته له الخناس لانه يخنس ويتاخر عن القلب
كلما ذكر الله الذي يوسوس في صدور الناس قلوبهم
اذا غفلوا عن ذكر الله من الجنة والناس بيان للشيطان
الموسوس انه جني وانسي كقوله تعالى شياطين الانس
والجن او من الجنة بيان له والناس عطف على الوسواس
وعلى كل شمل شر لبيد وبناته المذكورين واعترض
الاول بان الناس لا يوسوسون في صدور الناس انما يوسوس
في صدورهم الجن واجيب بان الناس يوسوسون
ايضا بمعنى يليق بهم في الظاهر ثم تصل وسوستهم الى
القلب ويثبت فيه بالطريق المؤدي الى ذلك والله تعالى
اعلم سورة الفاتحة مكية سبع ايات بالبسملة
ان كانت منها والسابعة صراط الذين الى اخرها وان لم تكن
منها فالسابعة غير المغضوب الى اخرها ويقدر في اولها
قولوا ليكون ما قبل اياك نعبد مناسبا له بكونها من
مقول العباد بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله
جملة خبرية قصد بها الثناء على الله بمضمونها من انه تعالى
مالك لجميع الحمد من الخلق او مستحق لان يحمدوه والله علم
على المعبود بحق رب العالمين اي مالك جميع الخلق
من الانس والجن والملائكة والدواب وغيرهم وكل منها
يطلق عليه عالم يقال عالم الانس وعالم الجن الى غير ذلك
وغلب في جمعه بالياء والنون اولو العلم على غيرهم وهو من
العلامة لانه علامة على موجده الرحمن الرحيم اي ذي الرحمة
وهي ارادة الخير لاهله ملك يوم الدين الجزاء وهو يوم القيامة

وخص بالذكر لانه لا ملك ظاهرا فيه لاحد الا الله تعالى لمن الملك
اليوم لله ومن قرا مالك فمعناه مالك الامر كله في يوم
القيامة اي هو موصوف بذلك دائما كغافر الذنب فصح وقوعه
صفة لمعرفة اياك نعبد واياك نستعين اي نخصك
بالعبادة من توحيد وغيره ونطلب منك المعونة على العبادة
وغيرها اهدنا الصراط المستقيم اي ارشدنا اليه ويبدل
منه صراط الذين انعمت عليهم بالهداية ويبدل من
الذين بصلته غير المغضوب عليهم وهم اليهود ولا وغير
الضالين وهم النصارى ونكتة البدل افادت ان
المهتدين ليسوا يهودا ولا نصارى والله سبحانه وتعالى اعلم
وقد تم هذا التفسير المبارك بحمد الله وعونه وحسن
توفيقه ووافق الفراغ من كتابته يوم الاربعاء المبارك
رابع عشر شهر محرم الحرام افتتاح سنة ٨٣١ احسن
الله خاتمتها و[illegible] وتشرف بكتابته العبد المذنب
[illegible] الضعيف [illegible] الحقير المعترف
بالذنب والتقصير العبد مصطفى
[illegible] العلاف
[illegible] الشافعي غفر الله له
ولوالديه
[illegible]
[illegible]
[illegible]

الخط يبقى زمانا بعد كاتبه
وكاتب الخط تحت الارض مدفونا
الله يرحم عبدا كان كاتبه
يا قاري الخط قل بالله [illegible]

الصفحتان الأخيرتان من المخطوطة الثالثة

تفسير
الجلالين

سورة الفاتحة

١ مكية، سبع آيات بالبسملة إن كانت منها، والسابعة ﴿ صراط الذين . . ﴾ إلى آخرها، وإن لم تكن منها: فالسابعة ﴿ غير المغضوب . . ﴾ إلى آخرها، ويقدر في أولها: قولوا، ليكون ما قبل ﴿ إياك نعبد ﴾ مناسباً له بكونها من مقول العباد.

بسم الله الرحمن الرحيم

٢ ﴿ الحمد لله ﴾ جملة خبرية(١)، قصد بها الثناء على الله بمضمونها، من أنه تعالى مالك لجميع الحمد من الخلق، أو مستحق لأن يحمدوه. والله(٢) علم على المعبود بحق. ﴿ رب العالمين ﴾ أي مالك جميع الخلق من الإنس والجن والملائكة والدواب وغيرهم، وكل منها يطلق عليه عالَم، يقال: عالم الإنس وعالم الجن إلى غير ذلك، وغُلِّب في جمعه بالياء والنون أولو العلم على غيرهم(٣). وهو من العلامة، لأنه علامة على موجده.

٣ ﴿ الرحمٰن الرحيم ﴾ أي ذي الرحمة، وهي إرادة الخير لأهله.

٤ ﴿ مَلِك يوم الدين ﴾ أي الجزاء، وهو يوم القيامة، وخص بالذكر لأنه لا مُلْك ظاهراً فيه لأحد إلا لله تعالى، بدليل: «لمن المُلْكُ اليومَ»(٤) ومن قرأ «مالك»(٥) فمعناه: مالك الأمر كله في يوم القيامة، أو هو موصوف بذلك دائماً كـ «غافِر الذَّنْب» [غافر: ٣]. فصح وقوعه صفة للمعرفة(٦).

٥ ﴿ إيَّاك نعبد وإياك نستعين ﴾ أي نخصك بالعبادة من توحيد وغيره، ونطلب(٧) المعونة على العبادة وغيرها.

٦ ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ أي أرشدنا إليه. ويبدل منه:

٧ ﴿ صراط الذين أنعمت عليهم ﴾ بالهداية(٨)، ويبدل من «الذين» بصلته(٩) ﴿ غير المغضوب عليهم ﴾ وهم اليهود(١٠) ﴿ ولا ﴾ وغير ﴿ الضالين ﴾ وهم النصارى(١١). ونكتة البدل إفادة أن المهتدين ليسوا يهوداً ولا نصارىٰ، والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً دائماً أبداً، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم(١٢).

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾
ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ
وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ
﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ
ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾

---

(١) أي مؤلفة من مبتدأ وخبر، ومعناها الإخبار بأن جنس الحمد ثابت لله عز وجل بكل أفراده وأنواعه.

(٢) أي لفظ (الجلالة) اسم علم على الذات المتصفة بالكمال المطلق، وهو الخالق جل وعلا.

(٣) أي الأصل أن يجمع بالياء والنون أولو العلم وهم العقلاء، فروعوا في جمع العالمين هنا، وغلبوا على ما في العوالم من غير العقلاء.

(٤) من الآية [١٦] من سورة غافر، وتتمتها ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾.

(٥) ﴿ ملك ﴾ بدون ألف، من (المُلْك) بضم الميم، وهو السلطان، و ﴿مالك﴾ بالألف، من (المِلْك) بكسر الميم، وهو الحيازة والاختصاص وحق التصرف. وهما قراءتان متواترتان.

(٦) هذا جواب عما قد يقال: إضافة اسم الفاعل لا تفيد التعريف، فكيف صح وقوع هذا الوصف صفة لمعرفة وهو لفظ الجلالة؟ فالجواب: أنه أريد بالوصف الاستمرار، فصارت إضافته حقيقية تفيد التعريف، فصح . .

(٧) بطلب: بالباء عطفاً على (بالعبادة). ولا يجوز أن يكون (نطلب) بالنون عطفاً على (نخصك) لخروجه عندها عن إفادة التخصيص بطلب المعونة أيضاً.

(٨) وهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿ومَنْ يُطِعِ اللهَ والرَّسُولَ فأولئكَ مَعَ الذينَ أنْعَمَ اللهُ عليهِمْ من النَّبِيِّينَ والصِّدِّيقِينَ والشُّهَدَاءِ والصَّالِحِينَ وحَسُنَ أولئكَ رَفِيقاً﴾ [النساء: ٦٩].

(٩) أي صلة الموصول، وهي جملة ﴿الذينَ أنعمتَ عليهِمْ﴾. والمراد بالبدل بدل كل من كل، والمعنى: صراط غير المغضوب عليهم . .

(١٠) لقوله تعالى فيهم في عدة مواضع من القرآن: ﴿وبَاءُوا بِغَضَبٍ من اللهِ ﴾.

(١١) قيل: لقوله تعالى فيهم: ﴿قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وأَضَلُّوا كَثِيراً وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ [المائدة: ٧٧].

والصحيح أن الآية عامة في كل من وقع في معصية الله عزّ وجلّ، فاستحق غضبه وانحرف عن طريق هدايته.

(١٢) تفسير سورة الفاتحة مما كتبه الشيخ جلال الدين المحلي ـ رحمه الله تعالى ـ بعد تفسيره سورة الناس، وجعلناه هنا ـ اقتداءاً بكثير من نسخ هذا التفسير ـ مراعاة لنسق القرآن وترتيبه، إذ إن سورة الفاتحة هي فاتحة كتاب الله عز وجلّ، فكذلك تفسيرها فاتحة تفسيره، والله تعالى الموفق إلى سواء السبيل.

فضل سورة الفاتحة: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كنا في مسير لنا فنزلنا، فجاءت جارية فقالت: إن سيد الحي سليم، وإن نفرنا غُيَّب، فهل منكم راقٍ؟ فقام معها رجل ما كنا نأبنهُ برقيةٍ، فرقاه فبرأ، فأمر له بثلاثين شاة وسقانا لبناً، فلما رجع قلنا له: أكنت تحسن رقية، أو كنت

بسم الله الرحمن الرحيم(1)

الحمد لله حمداً موافياً لنعمه، مكافئاً لمزيده، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وجنوده.

هذا ما اشتدت إليه حاجة الراغبين في تكملة تفسير القرآن العظيم، الذي ألفه الإمام العلامة المحقق جلال الدين محمد ابن أحمد المحلي الشافعي رحمه الله، وتتميم ما فاته، وهو من أول سورة البقرة إلى آخر الإسراء، بتتمة على نمطه(2) من ذكر ما يفهم به كلام الله تعالى، والاعتماد على أرجح الأقوال، وإعراب ما يحتاج إلى إعرابه، وتنبيه على القراءات المختلفة المشهورة، على وجه لطيف وتعبير وجيز، وترك التطويل بذكر أقوال غير مرضية، وأعاريب محلها كتب العربية، والله أسأل النفع به في الدنيا، وحُسْن الجزاء عليه في العقبى، بمنّه وكرمه، والله المانّ بفضله السداد، والحمد لله وحده آمين.

«سورة البقرة»

مدنية، مائتان وست أو سبع وثمانون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى
لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ
وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ
﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ
مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿ الٓمٓ ﴾ الله أعلم بمراده بذلك(3).

٢ ﴿ ذلك ﴾ أي هذا ﴿ الكتاب ﴾ الذي يقرؤه محمد ـ ﷺ ـ ﴿ لا ريب ﴾ شك ﴿ فيه ﴾ أنه من عند الله، وجملة النفي خبر مبتدؤه ذلك، والإشارة فيه للتعظيم ﴿ هدىً ﴾ خبر ثانٍ، أي هادٍ ﴿ للمتقين ﴾ الصائرين إلى التقوىٰ بامتثال الأوامر واجتناب النواهي، لاتقائهم بذلك النار.

٣ ﴿ الذين يؤمنون ﴾ يصدقون ﴿ بالغيب ﴾ بما غاب عنهم من البعث والجنة والنار ﴿ ويقيمون الصلاة ﴾ أي يأتون بها بحقوقها(4) ﴿ومما رزقناهم﴾ أعطيناهم ﴿ينفقون﴾ في طاعة الله تعالى.

٤ ﴿ والذين يؤمنون بما أنزل إليك ﴾ أي القرآن ﴿ وما أنزل من قبلك ﴾ أي التوراة والإنجيل وغيرهما ﴿وبالآخرة هم يوقنون﴾ يعلمون.

---

(1) هذه مقدمة ما كتبه جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى من هذا التفسير، وهي محذوفة من جميع النسخ المطبوعة على هامش مصحف.

(2) أسلوبه وطريقته، والنمط في الأصل: النوع من الشيء، والجماعة من الناس أمرهم واحد.

(3) هذا أرجح الأقوال لدى العلماء في معنى الأحرف التي ابتدأت بها بعض سور القرآن الكريم، وهو مذهب السلف ـ رحمهم الله تعالى ـ القائلين بأنها من المتشابه الذي اختص الله تعالى بعلم المراد منه. وهناك أقوال كثيرة في معناها ـ لدى من يقول إنها ليست من المتشابه ـ منها: أنها حروف أشير بها إلى أن هذا القرآن ـ الذي ثبت عجز العرب عن الإتيان بسورة من مثله رغم التحدي ـ مؤلف من نفس الحروف التي يؤلفون منها كلامهم، وبذلك يثبت إعجاز القرآن، وأنه ليس من كلام البشر.

(4) بحقوقها: الظاهرة: من الشروط والأركان والآداب، والباطنة: كالخشوع والخضوع والإخلاص.

ترقي؟ قال: لا، ما رقيت إلا بأم الكتاب، قلنا: لا تحدثوا شيئاً حتى نأتي ـ أو نسأل ـ النبي ﷺ. فلما قدمنا المدينة ذكرناه للنبي ﷺ فقال: (وما كان يدريه أنها رقية؟ اقسموا واضربوا لي بسهم). [البخاري: فضائل القرآن، باب: فضل فاتحة الكتاب، رقم: ٤٧٢١. مسلم: السلام، باب: جواز أخذ الأجرة على الرقية بالقرآن والأذكار، رقم: ٢٢٠١] جارية: بنت صغيرة أو امرأة مملوكة. سليم: لدغته عقرب أو عضته أفعى. نفرنا: رجالنا. راق: هو الذي يقرأ على موضع الألم ليبرأ. نأبنه: نعلمه.

وعن أبي سعيد بن المعلى رضي الله عنه قال: كنت أصلي في المسجد، فدعاني رسول الله ﷺ فلم أجبه، فقلت: يارسول الله، إني كنت أصلي. فقال: «ألم يقل الله: ﴿استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾ [الأنفال: ٢٤]». ثم قال لي: «لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن، قبل أن تخرج من المسجد». ثم أخذ بيدي، فلما أراد أن يخرج، قلت له: ألم تقل: «لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن». قال: «﴿الحمد لله رب العالمين﴾: هي السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أوتيته». [البخاري: التفسير، باب: ما جاء في سورة الفاتحة، رقم: ٤٢٠٤] [لما يحييكم: لما فيه حياتكم الحقيقية وهو شرائع الإسلام، لأن فيها حياة القلوب في الدنيا والنجاة في الآخرة. أعظم سورة: من حيث كثرة الثواب لقارئها. السبع المثاني: فهي سبع آيات وتثنى ـ أي تكرر ـ قراءتها في كل ركعة، من التثنية وهي التكرير].

فضل سورة البقرة: عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (اقرؤوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه. اقرؤوا الزهراوين: البقرة وآل عمران، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو: كأنهما غيايتان، أو: كأنهما فرقان من طير صوافّ تحاجان عن

٥ ﴿ أولئك ﴾ الموصوفون بما ذكر ﴿ على هدًى من ربِّهم وأولئك هم المفلحون ﴾ الفائزون بالجنة، الناجون من النار.

٦ ﴿ إن الذين كفروا ﴾ كأبي جهل وأبي لهب ونحوهما ﴿ سواء عليهم ءأنذرتهم ﴾ بتحقيق الهمزتين، وإبدال الثانية ألفاً وتسهيلها، وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه ﴿ أم لم تنذرهم لا يؤمنون ﴾ لعلم الله منهم ذلك، فلا تطمع في إيمانهم. والإنذار إعلام مع تخويف.

٧ ﴿ ختم الله على قلوبهم ﴾ طبع عليها واستوثق، فلا يدخلها خير ﴿ وعلى سمعهم ﴾ أي مواضعه، فلا ينتفعون بما يسمعونه من الحق ﴿ وعلى أبصارهم غشاوة ﴾ غطاء، فلا يبصرون الحق ﴿ ولهم عذاب عظيم ﴾ قوي دائم.

٨ ونزل في المنافقين ﴿ ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر ﴾ أي يوم القيامة، لأنه آخر الأيام ﴿ وما هم بمؤمنين ﴾ روعي فيه معنى من، وفي ضمير يقول لفظها⁽¹⁾.

٩ ﴿ يخادعون الله والذين آمنوا ﴾ بإظهار خلاف ما أبطنوه من الكفر، ليدفعوا عنهم أحكامه الدنيوية ﴿ وما يخادعون إلا أنفسهم ﴾ لأن وبال خداعهم راجع إليهم، فيفتضحون في الدنيا بإطلاع الله نبيه ﷺ على ما أبطنوه، ويعاقبون في الآخرة ﴿ وما يشعرون ﴾ يعلمون أنما خداعهم لأنفسهم، والمخادعة هنا من واحد⁽²⁾ كعاقبت اللص، وذكر الله فيها تحسين⁽³⁾، وفي قراءة: «وما يَخْدَعُونَ».

١٠ ﴿ في قلوبهم مرض ﴾ شك ونفاق، فهو يمرض قلوبهم، أي يضعفها ﴿ فزادهم الله مرضاً ﴾ بما أنزله الله من القرآن، لكفرهم به ﴿ ولهم عذاب أليم ﴾ مؤلم ﴿ بما كانوا يكذبون ﴾ بالتشديد أي: نبي الله، وبالتخفيف أي: في قولهم آمنا.

١١ ﴿ وإذا قيل لهم ﴾ أي لهؤلاء ﴿ لا تفسدوا في الأرض ﴾ بالكفر والتعويق عن الإيمان ﴿ قالوا إنما نحن مصلحون ﴾ وليس ما نحن عليه بفساد. قال الله تعالى رداً عليهم:

١٢ ﴿ ألا ﴾ للتنبيه ﴿ إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون ﴾ بذلك.

١٣ ﴿ وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس ﴾ أصحاب النبي ﷺ ﴿ قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ﴾ الجهال، أي لا نفعل كفعلهم، قال تعالى رداً عليهم: ﴿ ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون ﴾ ذلك.

أُولَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ
أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ
مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾
يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ
وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ
وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ
لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾
أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا
قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ
ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾

---

(1) أي روعي في ﴿مَنْ﴾ مِن قوله ﴿مَنْ يقول﴾ معناها الدال على الجمع في قوله ﴿بمؤمنين﴾ وروعي لفظها الدال على الإفراد في الضمير المستتر المفرد في قوله ﴿يقول﴾.

(2) أي صيغة المفاعلة هنا ليست للمشاركة، بل عبارة عن فعل الواحد، لأن المخادعة لا تليق بالله تعالى، إذ المخادعة احتيال، والله تعالى لا يحتال عليه، وإنما شبهت حالهم في معاملتهم مع الله عزّ وجلّ بحال المخادع مع صاحبه من حيث القبح.

(3) أي تحسين للكلام على سبيل المجاز.

أصحابهما. اقرؤوا سورة البقرة: فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة). [مسلم في صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، رقم: ٨٠٤] الزهراوين: سميتا بذلك لما فيهما من عظيم الهداية التي يستضاء بها في الدنيا، وما يترتب عن قراءتهما والعمل بهما من عظيم الأجر الذي يستضاء به يوم القيامة. غمامتان.. غيايتان: مثنى غمامة وغياية، وهما كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه. فرقان..: قطيعان وجماعتان من طيور باسطة أجنحتها في الهواء. والمراد: أن ثوابهما يظلل صاحبهما يوم القيامة ويحميه مما يلاقيه الناس من شدة الموقف. لا تستطيعها البطلة: لا يقدر على إبطال حفظها وصيانتها لحافظها وقارئها السحرة.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر ـ وفي نسخة: يَفِرّ ـ من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة». [أخرجه مسلم في صلاة المسافرين وقصرها، باب: استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها في المسجد، رقم: ٧٨٠] لا تجعلوا..: أي لا تتركوها كالأماكن التي لا أحياء فيها، خالية من الذكر وقراءة القرآن، كالمقابر.

١٤ ﴿ وإذا لقوا ﴾ أصله لقيُوا، حذفت الضمة للاستثقال، ثم الياء لالتقائها ساكنة مع الواو ﴿ الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا ﴾ منهم ورجعوا ﴿ إلى شياطينهم ﴾ رؤسائهم ﴿ قالوا إنا معكم ﴾ في الدين ﴿ إنما نحن مستهزئون ﴾ بهم بإظهار الإيمان.

١٥ ﴿ الله يستهزىء بهم ﴾ يجازيهم باستهزائهم ﴿ ويمدهم ﴾ يمهلهم ﴿ في طغيانهم ﴾ بتجاوزهم الحد بالكفر ﴿ يعمهون ﴾ يترددون تحيراً، حال(١).

١٦ ﴿ أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ﴾ أي استبدلوها به ﴿ فما ربحت تجارتهم ﴾ أي ما ربحوا فيها بل خسروا، لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم ﴿ وما كانوا مهتدين ﴾ فيما فعلوا.

١٧ ﴿ مثلهم ﴾ صفتهم في نفاقهم ﴿ كمثل الذي استوقد ﴾ أوقد ﴿ ناراً ﴾ في ظلمة ﴿ فلما أضاءت ﴾ أنارت ﴿ ما حوله ﴾ فأبصر واستدفأ، وأمن مما يخافه ﴿ ذهب الله بنورهم ﴾ أطفأه، وجمع الضمير مراعاة لمعنى الذي ﴿ وتركهم في ظلمات لا يبصرون ﴾ ما حولهم، متحيرين عن الطريق خائفين، فكذلك هؤلاء: أمنوا بإظهار كلمة الإيمان، فإذا ماتوا جاءهم الخوف والعذاب.

١٨ هم ﴿ صم ﴾ عن الحق، فلا يسمعونه سماع قبول ﴿ بكم ﴾ خرس عن الحق، فلا يقولونه ﴿ عمي ﴾ عن طريق الهدى، فلا يرونه ﴿ فهم لا يرجعون ﴾ عن الضلالة.

١٩ ﴿ أو ﴾ مثلهم ﴿ كصيب ﴾ أي كأصحاب مطر، وأصله صيْوب(٢)، من صاب يصوب أي ينزل ﴿ من السماء ﴾ السحاب(٣) ﴿ فيه ﴾ أي السحاب ﴿ ظلمات ﴾ متكاثفة ﴿ ورعد ﴾ هو الملك الموكل به، وقيل صوته ﴿ وبرق ﴾ لمعان صوته الذي يزجره به(٤) ﴿ يجعلون ﴾ أي أصحاب الصيب ﴿ أصابعهم ﴾ أي أناملها ﴿ في آذانهم من ﴾ أجل ﴿ الصواعق ﴾(٥) شدة صوت الرعد، لئلا يسمعوها ﴿ حذر ﴾ خوف ﴿ الموت ﴾ من سماعها، كذلك هؤلاء: إذا نزل القرآن، وفيه ذكر الكفر المشبه بالظلمات، والوعيد عليه المشبه بالرعد، والحجج البينة المشبهة بالبرق، يسدون آذانهم، لئلا يسمعوه فيميلوا إلى الإيمان وترك دينهم، وهو عندهم موت ﴿ والله محيط بالكافرين ﴾ علماً وقدرة، فلا يفوتونه.

٢٠ ﴿ يكاد ﴾ يقرب ﴿ البرق يخطف أبصارهم ﴾ يأخذها بسرعة ﴿ كلما أضاء لهم مشوا فيه ﴾ أي في ضوئه ﴿ وإذا أظلم عليهم قاموا ﴾ وقفوا، تمثيل لإزعاج ما في القرآن من الحجج قلوبهم، وتصديقهم بما سمعوا فيه مما يحبون، ووقوفهم عما يكرهون ﴿ ولو شاء الله لذهب بسمعهم ﴾ بمعنى أسماعهم ﴿ وأبصارهم ﴾ الظاهرة، كما ذهب بالباطنة ﴿ إن الله على كل

• (سـورة البقرة)

وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ
قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ (١٤) ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ
بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ (١٥) أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ
ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَـٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَـٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟
مُهْتَدِينَ (١٦) مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ
أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَـٰتٍ
لَّا يُبْصِرُونَ (١٧) صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ (١٨)
أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَـٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ
أَصَـٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ
مُحِيطٌۢ بِٱلْكَـٰفِرِينَ (١٩) يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَـٰرَهُمْ ۖ
كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ
وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَـٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ

---

(١) أي جملة ﴿يعمهون﴾ في محل نصب على الحال، من ضمير النصب في ﴿يمدهم﴾ أو ضمير الجر في ﴿طغيانهم﴾.

(٢) فاجتمعت الياء والواو وسبقت إحداهما بالسكون، فقلبت الواو ياءً وأدغمت في الياء.

(٣) أي المراد بالسماء هنا المعنى اللغوي وهو كل ما علاك وارتفع فوقك من سقف ونحوه، ومنه السحاب.

(٤) الأولى أن يفسر الرعد بصوت احتكاك السحاب، والبرق بما يخرج عند احتكاكه من نار أو شحنة كهربائية، وهذا لا يعارض ما ذكر المفسر إن صح وثبت بخبر صحيح، لأن ما ذكرناه وصف علمي لظاهر الحوادث، وما يأتي عن الخبر الصادق بيان للحقيقة والسر الكامن وراء الظواهر. وما ذكره المفسر رواه ابن جرير الطبري بسنده عن ابن عباس وعلي ابن ابي طالب رضي الله عنهما.

(٥) جمع صاعقة، وهي الصيحة الشديدة في الرعد، قد يصاحبها قطعة من نار أو شحنة كهربائية.

عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ كان إذا سمع صوت الرعد والصواعق قال: (اللهم لا تقتلنا ـ

شيء ﴾ شاءه ﴿ قدير ﴾ ومنه إذهاب ما ذكره.

٢١ ﴿ يا أيها الناس ﴾ أي أهل مكة ﴿ اعبدوا ﴾ وحدوا ﴿ ربكم الذي خلقكم ﴾ أنشأكم ولم تكونوا شيئاً ﴿ و ﴾ خلق ﴿ الذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾ بعبادته عقابه، ولعل: في الأصل للترجي، وفي كلامه تعالى للتحقيق.

٢٢ ﴿ الذي جعل ﴾ خلق ﴿ لكم الأرض فراشاً ﴾ حال(١): بساطاً يفترش، لا غاية في الصلابة أو الليونة فلا يمكن الاستقرار عليها ﴿ والسماء بناءً ﴾ سقفاً ﴿ وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من ﴾ أنواع ﴿ الثمرات رزقاً لكم ﴾ تأكلونه وتعلفون به دوابكم ﴿ فلا تجعلوا لله أنداداً ﴾ شركاء في العبادة(٢) ﴿ وأنتم تعلمون ﴾ أنه الخالق ولا يخلقون، ولا يكون إلَهاً إلا من يخلق.

٢٣ ﴿ وإن كنتم في ريب ﴾ شك ﴿ مما نزلنا على عبدنا ﴾ محمد من القرآن أنه من عند الله ﴿ فأتوا بسورة من مثله ﴾ أي المنزل، ومن للبيان، أي هي مثله في البلاغة وحسن النظم والإخبار عن الغيب، والسورة قطعة لها أول وآخر أقلها ثلاث آيات ﴿ وادعوا شهداءكم ﴾ آلهتكم التي تعبدونها ﴿ من دون الله ﴾ أي غيره، لتعينكم ﴿ إن كنتم صادقين ﴾ في أن محمداً ﷺ قاله من عند نفسه فافعلوا ذلك، فإنكم عرب فصحاء مثله. ولما عجزوا عن ذلك قال تعالى:

٢٤ ﴿ فإن لم تفعلوا ﴾ ما ذكر لعجزكم ﴿ ولن تفعلوا ﴾ ذلك أبداً لظهور إعجازه، اعتراض(٣) ﴿ فاتقوا ﴾ بالإيمان بالله وأنه ليس من كلام البشر ﴿ النار التي وقودها الناس ﴾ الكفار ﴿ والحجارة ﴾ كأصنامهم منها، يعني أنها مفرطة الحرارة تتقد بما ذكر، لا كنار الدنيا تتقد بالحطب ونحوه ﴿ أعدت ﴾ هيئت ﴿ للكافرين ﴾ يعذبون بها، جملة مستأنفة، أو حال لازمة منها(٤).

٢٥ ﴿ وبشر ﴾ أخبر ﴿ الذين آمنوا ﴾ صدقوا بالله ﴿ وعملوا الصالحات ﴾ من الفروض والنوافل ﴿ أن ﴾ أي بأن ﴿ لهم جنات ﴾ حدائق ذات شجر ومساكن ﴿ تجري من تحتها ﴾ أي تحت أشجارها وقصورها ﴿ الأنهار ﴾ أي المياه فيها، والنهر الموضع الذي يجري فيه الماء، لأن الماء ينهره أي يحفره، وإسناد الجري إليها مجاز ﴿ كلما رزقوا منها من ثمرة ﴾ أطعموا من تلك الجنات ﴿ رزقاً قالوا هذا الذي ﴾ أي مثل ما ﴿ رزقنا من قبل ﴾ أي قبله في الجنة، لتشابه ثمارها بقرينة ﴿ وأتوا به ﴾ أي جيئوا بالرزق ﴿ متشابهاً ﴾ يشبه بعضه بعضاً لوناً ويختلف طعماً ﴿ ولهم فيها أزواج ﴾ من الحور وغيرها ﴿ مطهرة ﴾ من الحيض وكل قذر ﴿ وهم فيها خالدون ﴾ ماكثون أبداً، لا يفنون ولا يخرجون. ونزل رداً لقول اليهود، لما ضرب الله المثل بالذباب في قوله: «وإن يسلبهم الذباب شيئاً»/ الحج: ٧٣/ والعنكبوت في قوله: «كمثل العنكبوت»/ العنكبوت: ٤١/ ما أراد الله بذكر هذه الأشياء الخسيسة(٥)؟:

٢٦ ﴿ إن الله لا يستحيي

شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ
وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ
ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً
فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا
وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا
فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ
إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟
ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾
وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى
مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا
ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ
مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ * إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ

- بغضبك، ولا تهلكنا بعذابك، وعافنا قبل ذلك). [الترمذي: الدعوات، باب: ما يقول: إذا سمع الرعد، رقم: ٣٤٤٦].

(١) أي إن قوله ﴿فراشاً﴾ منصوب على أنه حال من الأرض.

(٢) الند في الأصل المثيل والنظير.

(٣) أي جملة ﴿ولن تفعلوا﴾ اعتراضية.

(٤) أي اتقوا النار حال كونها مهيأة للكافرين، لازمة عن كفرهم.

(٥) ذكر هذا الواحدي بغير سند عن قتادة والحسن. ورجح السيوطي أن سبب نزولها ما أخرجه ابن جرير عن السدي: لما

فائدة: قال ابن كثير في تفسير الآية [٢٥]: لما ذكر الله تعالى ما أعده لأعدائه من الأشقياء الكافرين به وبرسله من العذاب والنكال عطف بذكر حال أوليائه من السعداء المؤمنين به وبرسله، الذين صدَّقوا إيمانهم بأعمالهم الصالحة. وهذا معنى تسمية القرآن (مثاني) على أصح أقوال العلماء، كما سنبسطه في موضعه، وهو: أن يذكر الإيمان ويتبعه بذكر الكفر، أو عكسه، أو حال السعداء ثم الأشقياء، أو عكسه، وحاصله: ذكر الشيء ومقابله. وأما ذكر الشيء ونظيره فذلك التشابه، كما سنوضحه إن شاء الله، فلهذا قال تعالى: ﴿وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ فوصفها بأنها تجري من تحتها الأنهار، كما وصف النار بأن وقودها الناس والحجارة.

أن يضرب﴾ يجعل ﴿ مثلاً ﴾ مفعول أول ﴿ ما ﴾ نكرة موصوفة بما بعدها، مفعول ثانٍ، أي أيَّ مثل كان، أو زائدة لتأكيد الخسة، فما بعدها المفعول الثاني ﴿ بعوضة ﴾ مفرد البعوض، وهو صغار البق ﴿ فما فوقها ﴾ أي أكبر منها، أي لا يترك بيانه لما فيه من الحكمة ﴿ فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه ﴾ أي المثل ﴿ الحق ﴾ الثابت، الواقع موقعه ﴿ من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهـذا مثلاً ﴾ تمييـز، أي بهذا المثـل، وما استفهام إنكار(١)، مبتدأ، وذا ـ بمعنى الذي ـ بصلته خبره، أي: أي فائدة فيه؟ قال تعالى في جوابهم ﴿يضل به﴾ أي بهذا المثل ﴿ كثيراً ﴾ عن الحق لكفرهم به ﴿ ويهدي به كثيراً ﴾ من المؤمنين لتصديقهم به ﴿ وما يضل به إلا الفاسقين ﴾ الخارجين عن طاعته.

٢٧ ﴿ الذين ﴾ نعت ﴿ ينقضون عهد الله ﴾ ما عهده إليهم في الكتب من الإيمان بمحمد ﷺ ﴿ من بعد ميثاقه ﴾ توكيده عليهم ﴿ ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ﴾ من الإيمان بالنبي ﷺ والرحم وغير ذلك، وأن بدل من ضمير به(٢) ﴿ ويفسدون في الأرض ﴾ بالمعاصي والتعويق عن الإيمان ﴿ أولئك ﴾ الموصوفون بما ذكر ﴿ هم الخاسرون ﴾ لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم.

أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ
مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ
وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ
مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ
وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾ كَيْفَ
تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ
ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ
جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ
بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ
فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا
وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ

٢٨ ﴿ كيف تكفرون ﴾ يا أهل مكة ﴿ بالله و ﴾ قد ﴿ كنتم أمواتاً ﴾ نطفاً في الأصلاب ﴿ فأحياكم ﴾ في الأرحام والدنيا بنفخ الروح فيكم، والاستفهام للتعجب من كفرهم مع قيام البرهان، أو للتوبيخ ﴿ ثم يميتكم ﴾ عند انتهاء آجالكم ﴿ ثم يحييكم ﴾ بالبعث ﴿ ثم إليه ترجعون ﴾ تردون بعد البعث فيجازيكم بأعمالكم.

وقال دليلاً على البعث لما أنكروه:

٢٩ ﴿ هو الذي خلق لكم ما في الأرض ﴾ أي الأرض وما فيها ﴿ جميعاً ﴾ لتنتفعوا به وتعتبروا ﴿ ثم استوى ﴾ بعد خلق الأرض، أي قصد ﴿ إلى السماء فسواهن ﴾ الضمير يرجع إلى السماء، لأنها في معنى الجمع الآيلة إليه(٣)، أي صيرها، كما في آية أخرى: «فقضاهن» [فصلت: ١٢] ﴿ سبع سموات وهو بكل شيء عليم ﴾ مجملاً ومفصلاً، أفلا تعتبرون أن القادر على خلق ذلك ابتداءً، وهو أعظم منكم(٤)، قادر على إعادتكم.

٣٠ ﴿ و ﴾ اذكر يا محمد ﴿ إذ قال ربك للملائكة إني جاعلٌ في الأرض خليفة ﴾ يخلفني في تنفيذ أحكامي فيها، وهو آدم ﷺ ﴿ قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ﴾ بالمعاصي ﴿ ويسفك الدماء ﴾ يريقها بالقتل كما فعل بنو الجان، وكانوا فيها، فلما أفسدوا أرسل الله عليهم الملائكة فطردوهم إلى الجزائر والجبال(٥) ﴿ ونحن نسبح ﴾ متلبسين ﴿ بحمدك ﴾ أي نقول: سبحان الله وبحمده(٦) ﴿ ونقدس لك ﴾ ننزهك عما لا يليق بك، فاللام زائدة،(٧) والجملة حال، أي فنحن أحق بالاستخلاف

ضرب الله هذين المثلين للمنافقين ﴿مثلهم كمثل الذي استوقد﴾ ﴿أو كصيب من السماء﴾ قال المنافقون: الله أعلى وأجل من أن يضرب هذه الأمثال، فأنزل الله: ﴿إن الله.. هم الخاسرون﴾.

(١) أي يقصد به المستفهم إنكار مضمونه.

(٢) أي أنَّ ﴿أن﴾ تؤول ما بعدها بمصدر يكون بدلاً من الضمير في ﴿به﴾ والتقدير: ما أمر الله بوصله.

(٣) الصائرة بعد خلقها بالفعل سبعاً.

(٤) أي الأرض وما ذكر بعدها أكبر منكم وأضخم، فالذي قدر على خلقها ابتداءً قادر على إعادتكم من باب أولى، حسب مقاييسكم.

(٥) الله تعالى أعلم بصحة هذا الكلام، ولا دليل عليه من كتاب أو سنة. وقيل: إنهم قالوا ذلك لأنهم رأوا أن الله تعالى خلق آدم من أخلاط مركبة، فعلموا أنه سيكون في ذريته الحقد والغضب، ومنهما يتولد الفساد وسفك الدماء، فلذا قالوا ما قالوا.

(٦) عن أبي ذر رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ سئل: أي الكلام أفضل؟ قال: (ما اصطفى الله لملائكته ـ أو: لعباده ـ سبحان الله وبحمده). [مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة..، باب: فضل سبحان الله وبحمده، رقم: ٢٧٣١].

(٧) أي الأصل: نقدسك، والعرب تزيد بعض الحروف في كلامها تأكيداً للمعنى.

﴿قال﴾ تعالى ﴿إني أعلم ما لا تعلمون﴾ من المصلحة في استخلاف آدم، وأن ذريته فيهم المطيع والعاصي، فيظهر العدل بينهم. فقالوا: لن يخلق ربنا خلقاً أكرم عليه منا ولا أعلم، لسبقنا له ورؤيتنا ما لم يره. فخلق الله تعالى آدم من أديم الأرض أي وجهها، بأن قبض منها قبضة من جميع ألوانها، وعجنت بالمياه المختلفة، وسواه ونفخ فيه الروح، فصار حيواناً حساساً بعد أن كان جماداً.

٣١ ﴿وعلم آدم الأسماء﴾ أي أسماء المسميات ﴿كلها﴾ بأن ألقىٰ في قلبه علمها ﴿ثم عرضهم﴾ أي المسميات، وفيه تغليب العقلاء(١) ﴿على الملائكة فقال﴾ لهم تبكيتاً(٢) ﴿أنبئوني﴾ أخبروني ﴿بأسماء هؤلاء﴾ المسميات ﴿إن كنتم صادقين﴾ في أني لا أخلق أعلم منكم، أو أنكم أحق بالخلافة. وجواب الشرط دل عليه ما قبله(٣).

٣٢ ﴿قالوا سبحانك﴾ تنزيهاً لك عن الاعتراض عليك ﴿لا علم لنا إلا ما علمتنا﴾ إياه ﴿إنك أنت﴾ تأكيد للكاف ﴿العليم الحكيم﴾ الذي لا يخرج شيء عن علمه وحكمته.

٣٣ ﴿قال﴾ تعالى ﴿يا آدم أنبئهم﴾ أي الملائكة ﴿بأسمائهم﴾ المسميات، فسمى كل شيء باسمه، وذكر حكمته التي خلق لها ﴿فلما أنبأهم بأسمائهم قال﴾ تعالى لهم موبخاً(٤) ﴿ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض﴾ ما غاب فيهما ﴿وأعلم ما تبدون﴾ ما تظهرون من قولكم ﴿أتجعل فيها﴾ الخ ﴿وما كنتم تكتمون﴾ تسرون من قولكم: لن يخلق أكرم عليه منا ولا أعلم.

٣٤ ﴿و﴾ اذكر ﴿إذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾ سجود تحية بالانحناء ﴿فسجدوا إلا إبليس﴾ هو أبو الجن كان بين الملائكة ﴿أبى﴾ امتنع عن السجود ﴿واستكبر﴾ تكبر عنه وقال: أنا خير منه(٥) ﴿وكان من الكافرين﴾ في علم الله.

٣٥ ﴿وقلنا يا آدم اسكن أنت﴾ تأكيد للضمير المستتر(٦) ليعطف عليه ﴿وزوجك﴾ حواء، بالمد، وكان خلقها من ضلعه الأيسر(٧) ﴿الجنة وكلا منها﴾ أكلاً ﴿رغداً﴾ واسعاً لا حَجْرَ فيه ﴿حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة﴾ بالأكل منها، وهي الحنطة، أو الكرم، أو غيرهما ﴿فتكونا﴾ فتصيرا ﴿من الظالمين﴾ العاصين.

٣٦ ﴿فأزلهما الشيطان﴾ إبليس، أذهبهما، وفي قراءة «فأزالهما» (٨) نحاهما ﴿عنها﴾ أي الجنة، بأن قال لهما: هل أدلكما على شجرة الخلد؟ وقاسمهما بالله إنه لهما لمن الناصحين، فأكلا منها(٩) ﴿فأخرجهما مما كانا فيه﴾ من النعيم ﴿وقلنا اهبطوا﴾ إلى الأرض، أي أنتما بما اشتملتما عليه من ذريتكما ﴿بعضكم﴾ بعض الذرية ﴿لبعض عدو﴾ من ظُلْم بعضكم بعضاً ﴿ولكم في الأرض

قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا
ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ
إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ
إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ
أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ
إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ
تَكۡتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ
إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾
وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا
رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا
فِيهِۖ وَقُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ

---

(١) أي في قوله ﴿عرضهم﴾ لأن (هم) ضمير العقلاء، والمسميات منها العقلاء ومنها غير العقلاء، فغلب العقلاء على غيرهم.

(٢) تبكيتاً: مفعول لأجله، أي لأجل التبكيت، وهو الغلبة بالحجة.

(٣) أي التقدير: إن كنتم صادقين فأنبئوني.

(٤) في نسخة (توبيخاً) أي تقريعاً ولوماً لهم على ما مضى منهم من السؤال، وترك ما هو أولى في حقهم من السكوت والتسليم المطلق، والتفويض لحكمة الله تعالى من أول وهلة.

(٥) وقد جاء هذا على لسانه في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢].

(٦) أي في قوله تعالى ﴿اسكن﴾ ليعطف عليه ﴿وزوجك﴾ لأنه لا يصح العطف على الضمير المستتر إلا إذا أتي بضمير الفصل الظاهر.

(٧) قال رسول الله ﷺ في شأن النساء: (فإنهن خلقن من ضلع). [البخاري: النكاح، باب: الوصاة بالنساء، رقم: ٤٨٩٠].

(٨) وهي قراءة سبعية متواترة لحمزة.

(٩) في سورة طه [١٢٠ ـ ١٢١]: ﴿قال يا آدم هل أدلك على

مستقر ﴾ موضع قرار ﴿ ومتاع ﴾ ما تتمتعون به من نباتها ﴿ إلى حين ﴾ وقت انقضاء آجالكم.

٢٧ ﴿ فتلقى آدم من ربه كلمات ﴾ ألهمه إياها، وفي قراءة(١) بنصب ﴿ آدمَ ﴾ ورفع ﴿ كلماتٌ ﴾ أي جاءه، وهي: ﴿ ربَّنا ظلمنا أنفسنا ﴾ الآيـة(٢)، فدعا بها ﴿ فتاب عليه ﴾ قَبِل توبته ﴿ إنه هو التواب ﴾ على عباده ﴿ الرحيم ﴾ بهم.

٣٨ ﴿قلنا اهبطوا منها﴾ من الجنة ﴿جميعاً﴾ كرره(٣) ليعطفَ عليه ﴿فإما﴾ فيه إدغام نون إن الشرطية في ما الزائدة ﴿يأتينَّكم مني هدى﴾ كتاب ورسول ﴿ فمن تبع هداي ﴾ فآمن بي وعمل بطاعتي ﴿ فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ في الآخرة، بأن يدخلوا الجنة.

٣٩ ﴿ والذين كفروا وكذبوا بآياتنا ﴾ كتبنا ﴿ أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ ماكثون أبداً، لا يفنون ولا يخرجون.

٤٠ ﴿يا بني إسرائيل﴾ أولاد يعقوب ﴿اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم﴾ أي على آبائكم، من الإنجاء من فرعون وفلق البحر وتظليل الغمام وغير ذلك، بأن تشكروها بطاعتي ﴿وأوفوا بعهدي﴾ الذي عهدته إليكم من الإيمان بمحمد ﴿أوف بعهدكم ﴾ الذي عهدته إليكم من الثواب عليه بدخول الجنة ﴿ وإياي فارهبون ﴾ خافون في ترك الوفاء به دون غيري.

٤١ ﴿ وآمنوا بما أنزلت ﴾ من القرآن ﴿ مصدقاً لما معكم ﴾ من التوراة، بموافقته له في التوحيد والنبوة ﴿ ولا تكونوا أول كافر به ﴾ من أهل الكتاب، لأن خلفكم تبع لكم، فإثمهم عليكم ﴿ ولا تشتروا ﴾ تستبدلوا ﴿ بآياتي ﴾ التي في كتابكم من نعت محمد ﷺ ﴿ ثمناً قليلاً ﴾ عوضاً يسيراً من الدنيا، أي لا تكتموها خوف فوات ما تأخذونه من سفلتكم ﴿وإياي فاتقون﴾ خافون في ذلك دون غيري.

٤٢ ﴿ ولا تلبسوا ﴾ تخلطوا ﴿ الحق ﴾ الذي أنزلت عليكم ﴿ بالباطل ﴾ الذي تفترونه ﴿ و ﴾ لا ﴿ تكتموا الحق ﴾ نعت محمد ﷺ ﴿ وأنتم تعلمون ﴾ أنه الحق.

٤٣ ﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين ﴾ صلوا مع المصلين محمد ﷺ وأصحابه.

ونزل في علمائهم، وكانوا يقولون لأقربائهم المسلمين: اثبتوا على دين محمد فإنه حق:

٤٤ ﴿ أتأمرون الناس بالبر ﴾ بالإيمان بمحمد(٤) ﷺ ﴿ وتنسون أنفسكم ﴾ تتركونها فلا تأمرونها به ﴿ وأنتم تتلون الكتاب ﴾ التوراة، وفيها الوعيد على مخالفة القول العمل

٩ (سورة البقرة)

مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ
فَتَابَ عَلَيْهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟
مِنْهَا جَمِيعًاۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا
خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟
بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾
يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ
وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾
وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ
بِهِۦۖ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا
تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾
وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾
۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ

ـ شجرة الخلد ومُلْكٍ لا يبلى. فأكلا منها.. ﴾. وفي سورة الأعراف [٢١] ﴿ وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين ﴾.

(١) وهي قراءة سبعية متواترة لابن كثير.

(٢) الآية [٢٣] من سورة الأعراف، وتتمتها: ﴿ وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونَنَّ من الخاسرين ﴾.

(٣) أي كرر قوله ﴿اهبطوا﴾.

(٤) البر اسم جامع لكل خير، ولما كان الإيمان بمحمد ﷺ يستلزم كل خير فسر البر به.

سبب نزول الآية [٤٤]: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: نزلت هذه الآية في يهود أهل المدينة، كان الرجل منهم يقول لصهره ولذوي قرابته، ولمن بينه وبينهم رضاع من المسلمين: اثبت على الدين الذي أنت عليه وما يأمرك به هذا الرجل ـ يعنون محمداً ﷺ ـ فإن أمره حق. فكانوا يأمرون الناس بذلك ولا يفعلونه. [أسباب النزول للواحدي، ولباب النقول للسيوطي].

فائدة: عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «لو آمن بي عشرة من اليهود لآمن بي اليهود». [البخاري: فضائل الصحابة، باب: إتيان اليهود النبي ﷺ حين قدم المدينة، رقم: ٣٥٢٧. ومسلم: صفات المنافقين وأحكامهم، باب: نـزل أهل الجنة، رقم: ٢٧٩٣]. والمعنى: لو آمن علماؤهم الذين يعرفون الحقيقة لآمن الجميع تبعاً لهم.

﴿ أفلا تعقلون ﴾ سوء فعلكم فترجعوا، فجملة النسيان محل الاستفهام الإنكاري(١).

٤٥ ﴿ واستعينوا ﴾ اطلبوا المعونة على أموركم ﴿ بالصبر ﴾ الحبس للنفس على ما تكره ﴿ والصلاة ﴾ أفردها بالذكر تعظيماً لشأنها، وفي الحديث: كان ﷺ إذا حزبه أمر بادر إلى الصلاة(٢). وقيل: الخطاب لليهود، لمَّا عاقهم عن الإيمان الشره وحب الرياسة أُمروا بالصبر، وهو الصوم لأنه يكسر الشهوة، والصلاة لأنها تورث الخشوع وتنفي الكبر ﴿ وإنها ﴾ أي الصلاة ﴿ لكبيرة ﴾ ثقيلة ﴿ إلا على الخاشعين ﴾ الساكنين إلى الطاعة.

٤٦ ﴿ الذين يظنون ﴾ يوقنون ﴿ أنهم ملاقوا ربهم ﴾ بالبعث ﴿ وأنهم إليه راجعون ﴾ في الآخرة، فيجازيهم.

٤٧ ﴿ يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم ﴾ بالشكر عليها بطاعتي ﴿ وأني فضلتكم ﴾ أي آباءكم ﴿ على العالمين ﴾ عالمي زمانهم.

٤٨ ﴿ واتقوا ﴾ خافوا ﴿ يوماً لا تجزي ﴾ فيه ﴿ نفس عن نفس شيئاً ﴾ وهو يوم القيامة ﴿ ولا تقبل ﴾ بالتاء والياء(٣) ﴿ منها شفاعة ﴾ أي ليس لها شفاعة فتقبل «فما لنا من شافعين» /الشعراء: ١٠٠/ ﴿ ولا يؤخذ منها عدل ﴾ فداء ﴿ ولا هم ينصرون ﴾ يمنعون من عذاب الله.

٤٩ ﴿ و ﴾ اذكروا ﴿ إذ نجيناكم ﴾ أي آباءكم، والخطاب به وبما بعده للموجودين في زمن نبينا ﷺ بما أنعم على آبائهم تذكيراً لهم بنعمة الله تعالى ليؤمنوا ﴿ من آل فرعون يسومونكم ﴾ يذيقونكم ﴿ سوء العذاب ﴾ أشده، والجملة حال من ضمير نجيناكم(٤) ﴿ يذبحون ﴾ بيان لما قبله ﴿ أبناءكم ﴾ المولودين ﴿ ويستحيون ﴾ يستبقون ﴿ نساءكم ﴾ لقول بعض الكهنة له: إن مولوداً يولد في بني إسرائيل يكون سبباً لذهاب ملكك ﴿ وفي ذلكم ﴾ العذاب، أو الإنجاء ﴿ بلاء ﴾ ابتلاء أو إنعام ﴿ من ربكم عظيم ﴾.

٥٠ ﴿ و ﴾ اذكروا ﴿ إذ فرقنا ﴾ فلقنا ﴿ بكم ﴾ بسببكم ﴿ البحر ﴾ حتى دخلتموه هاربين من عدوكم ﴿ فأنجيناكم ﴾ من الغرق ﴿ وأغرقنا آل فرعون ﴾ قومه معه ﴿ وأنتم تنظرون ﴾ إلى انطباق البحر عليهم.

٥١ ﴿ وإذ واعدنا ﴾ بألف ودونها(٥) ﴿ موسى أربعين ليلة ﴾ نعطيه عند انقضائها التوراة لتعملوا بها ﴿ ثم اتخذتم العجل ﴾ الذي صاغه لكم السامري إلهاً ﴿ من بعده ﴾ أي بعد ذهابه إلى ميعادنا ﴿ وأنتم ظالمون ﴾ باتخاذه، لوضعكم العبادة في غير محلها.

٥٢ ﴿ ثم عفونا عنكم ﴾ محونا ذنوبكم ﴿ من بعد ذلك ﴾ الاتخاذ ﴿ لعلكم تشكرون ﴾ نعمتنا عليكم.

٥٣ ﴿ وإذ آتينا موسى الكتاب ﴾ التوراة

أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٤٤) وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ
إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ (٤٥) ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ
وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ (٤٦) يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ
ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ (٤٧) وَٱتَّقُوا۟
يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ
وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (٤٨) وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم
مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ
وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ (٤٩)
وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ
تَنظُرُونَ (٥٠) وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ
ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ (٥١) ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ
ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٥٢) وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ

---

(١) أي الإنكار منصب على ترك العمل بالبر ونسيان النفس منه، لا على الأمر به. روى البخاري (٣٠٩٤) ومسلم (٢٩٨٩) عن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار، فتندلق أقتاب بطنه، فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى، فيجتمع إليه أهل النار فيقولون: يا فلان مالك؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى، قد كنت آمر بالمعروف ولا آتيه، وأنهى عن المنكر وآتيه). فتندلق. . : تخرج أمعاؤه وأحشاؤه. [البخاري: بدء الخلق، باب: صفة النار وأنها مخلوقة. مسلم: الزهد والرقائق، باب: عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله، وينهى عن المنكر ويفعله. واللفظ المذكور لمسلم].

(٢) حزبه: نزل به فاهمه وشق عليه. بادر: سارع ولجأ. والحديث أخرجه أحمد في مسنده [٥/٣٨٨] عن حذيفة رضي الله عنه بلفظ: إذا حزبه أمر صلى.

(٣) قراءتان سبعيتان، فبالتاء ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب، والباقون بالياء.

(٤) وقيل: حال من آل فرعون، أي حال كونهم سائمين لكم.

(٥) قراءتان سبعيتان، بدون ألف أبو عمرو ويعقوب وأبو جعفر والباقون بالألف.

﴿ والفرقان ﴾ عطف تفسير، أي الفارق بين الحق والباطل، والحلال والحرام ﴿ لعلكم تهتدون ﴾ به من الضلال.

٥٤ ﴿ وإذ قال موسى لقومه ﴾ الذين عبدوا العجل ﴿ يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل ﴾ إلَهاً ﴿ فتوبوا إلى بارئكم ﴾ خالقكم، من عبادته ﴿ فاقتلوا أنفسكم ﴾ أي ليقتل البريء منكم المجرم ﴿ ذلكم ﴾ القتل ﴿ خير لكم عند بارئكم ﴾ فوفقكم لفعل ذلك، وأرسل عليكم سحابة سوداء، لئلا يبصر بعضكم بعضاً فيرحمه، حتى قتل منكم نحو سبعين ألفاً ﴿ فتاب عليكم ﴾ قبل توبتكم ﴿ إنه هو التواب الرحيم ﴾.

٥٥ ﴿ وإذ قلتم ﴾ وقد خرجتم مع موسى لتعتذروا إلى الله من عبادة العجل، وسمعتم كلامه ﴿ يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ﴾ عياناً ﴿ فأخذتكم الصاعقة ﴾ الصيحة، فمتم ﴿ وأنتم تنظرون ﴾ ما حلَّ بكم.

٥٦ ﴿ ثم بعثناكم ﴾ أحييناكم ﴿ من بعد موتكم لعلكم تشكرون ﴾ نعمتنا بذلك.

٥٧ ﴿ وظللنا عليكم الغمام ﴾ سترناكم بالسحاب الرقيق من حر الشمس في التيه(١) ﴿ وأنزلنا عليكم ﴾ فيه ﴿ المن والسلوى ﴾ هما الترنجبين(٢) والطير السمَانَى، بتخفيف الميم والقصر، وقلنا ﴿ كلوا من طيبات ما رزقناكم ﴾ ولا تدخروا، فكفروا النعمة وادخروا(٣)، فقطع عنهم ﴿ وما ظلمونا ﴾ بذلك ﴿ ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ لأن وباله عليهم.

٥٨ ﴿ وإذ قلنا ﴾ لهم بعد خروجهم من التيه ﴿ ادخلوا هذه القرية ﴾ بيت المقدس أو أريحا ﴿ فكلوا منها حيث شئتم رغداً ﴾ واسعاً لا حجر فيه ﴿ وادخلوا الباب ﴾ أي بابها ﴿ سجداً ﴾ منحنين ﴿ وقولوا ﴾ مسألتنا ﴿ حطة ﴾ أي أن تحط عنا خطايانا ﴿ نغفر ﴾ وفي قراءة بالياء والتاء، مبنياً للمفعول فيهما(٤) ﴿ لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين ﴾ بالطاعة ثواباً.

٥٩ ﴿ فبدل الذين ظلموا ﴾ منهم ﴿ قولاً غير الذي قيل لهم ﴾ فقالوا: حبة في شعرة، ودخلوا يزحفون على استاههم(٥) ﴿ فأنزلنا على

وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ
يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ
بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ
عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ
لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ
وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ
وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن
كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ
فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ
حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾
فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى

---

(١) هو الصحراء التي لا علامة فيها يهتدى بها. والمراد هنا سيناء فقد سميت بها لأنهم تاهوا فيها.

(٢) شيء حلو يشبه العسل الأبيض.

(٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لولا بنو إسرائيل لم يخنز اللحم، ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها). [أخرجه البخاري في الأنبياء، باب: قول الله تعالى: ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل.. ﴾ رقم: ٣١٥٢. ومسلم في الرضاع، باب: لولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر، رقم: ١٤٧٠].

ومعنى الحديث: أن بني إسرائيل نهوا عن ادخار اللحم، فادخروا فأنتن، فصار ينتن بعد ذلك. وأن حواء خدعت آدم عليه السلام حتى أكل من الشجرة، فكان ذلك خيانة منها لزوجها، فاقتدى بها النساء في ذلك، والله تعالى أعلم.

(٤) أي ﴿ يُغْفَر ﴾ و﴿ تُغْفَر ﴾ فقرأ بالياء نافع وأبو جعفر، وبالتاء ابن عامر، والباقون بالنون مبنياً للمعلوم.

(٥) جمع سَته، وهو العجيزة والدبر.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قيل لبني اسرائيل: ﴿ادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة﴾ فبدلوا، فدخلوا يزحفون على أستاهم، وقالوا: حبة في شعرة». [البخاري: الأنبياء، باب: حديث الخضر مع موسى عليهما السلام، رقم: ٣٢٢٢. مسلم: أول كتاب التفسير، رقم: ٣٠١٥] [حبة في شعرة: ليس لهم غرض من هذا الكلام لأنه لا معنى له، وإنما قالوه استهزاءً ومخالفة].

فائدة: عن سعيد بن زيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (الكمأة من المن، وماؤها شفاء للعين). [أخرجه البخاري في التفسير، باب: وقوله تعالى: ﴿ وظللنا عليكم الغمام... ﴾ رقم: ٤٢٠٨. ومسلم في الأشربة، باب: فضل الكمأة ومداواة العين بها، رقم: ٢٠٤٩]. ومعنى الحديث: أن الكمأة شيء ينبته الله تعالى من غير جهد من أحد ولا مؤونة، فهو مما يمن الله تعالى به على عباده، فأشبه من هذه الناحية ما أنزل على بني إسرائيل. وإخباره ﷺ أن ماءها شفاء للعين من طبه ﷺ الذي نوقن بنفعه، لكن شريطة الرجوع إلى ذوي الاختصاص، لأن استعمال الدواء له شروط وقيود، فما ينفع لإنسان قد لا ينفع لآخر، وما ينفع في حال قد يضر في أخرى.

الذين ظلموا ﴾ فيه، وضع الظاهر موضع المضمر(١) مبالغة في تقبيح شأنهم ﴿ رجزاً ﴾ عذاباً: طاعوناً(٢) ﴿ من السماء بما كانوا يفسقون ﴾ بسبب فسقهم، أي خروجهم عن الطاعة، فهلك منهم في ساعة سبعون ألفاً أو أقل.

٦٠ ﴿ و ﴾ اذكر ﴿ إذ استسقى موسى ﴾ أي طلب السقيا ﴿ لقومه ﴾ وقد عطشوا في التيه ﴿ فقلنا اضرب بعصاك الحجر ﴾ وهو الذي فر بثوبه(٣)، خفيف مربع كرأس الرجل، رخام أو كذّان(٤)، فضربه ﴿ فانفجرت ﴾ انشقت وسالت ﴿ منه اثنتا عشرة عيناً ﴾ بعدد الأسباط(٥) ﴿ قد علم كل أناس ﴾ سبط منهم ﴿ مشربهم ﴾ موضع شربهم، فلا يشركهم فيه غيرهم، وقلنا لهم ﴿ كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين ﴾ حال مؤكدة لعاملها(٦)، من عثِي - بكسر المثلثة - أفسد.

٦١ ﴿ وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام ﴾ أي نوع منه ﴿ واحد ﴾ وهو المنّ والسلوى ﴿ فادع لنا ربك يخرج لنا ﴾ شيئاً ﴿ مما تنبت الأرض من ﴾ للبيان ﴿ بقلها وقثائها وفومها ﴾ حنطتها(٧) ﴿ وعدسها وبصلها قال ﴾ لهم موسى ﴿ أتستبدلون الذي هو أدنى ﴾ أخس ﴿ بالذي هو خير ﴾ أشرف، أي أتأخذونه بدله، والهمزة للإنكار، فأبوا أن يرجعوا، فدعا الله تعالى، فقال تعالى ﴿ اهبطوا ﴾ انزلوا ﴿ مصراً ﴾ من الأمصار (٨) ﴿ فإن لكم ﴾ فيه ﴿ ما سألتم ﴾ من النبات ﴿ وضربت ﴾ جعلت ﴿ عليهم الذلة ﴾ الذل والهوان ﴿ والمسكنة ﴾ أي أثر الفقر، من السكون والخزي، فهي لازمة لهم - وإن كانوا أغنياء - لزوم الدرهم المضروب لسكته (٩) ﴿ وباؤوا ﴾ رجعوا ﴿ بغضب من الله ذلك ﴾ أي الضرب والغضب ﴿ بأنهم ﴾ أي بسبب أنهم ﴿ كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين ﴾ كزكريا ويحيى ﴿ بغير الحق ﴾ أي ظلماً ﴿ ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ﴾ يتجاوزون الحد في المعاصي، وكرره (١٠) للتأكيد.

٦٢ ﴿ إن الذين آمنوا ﴾ بالأنبياء من قبل ﴿ والذين هادوا ﴾ هم اليهود ﴿ والنصارى والصابئين ﴾ طائفة من اليهود أو النصارى(١١) ﴿ مَن

ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴿٥٩﴾
۞ وَإِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ فَقُلۡنَا ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ
ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ
مَّشۡرَبَهُمۡۖ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ مِن رِّزۡقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ
مُفۡسِدِينَ ﴿٦٠﴾ وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصۡبِرَ عَلَىٰ طَعَامٖ
وَٰحِدٖ فَٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُخۡرِجۡ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۢ
بَقۡلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَاۖ قَالَ أَتَسۡتَبۡدِلُونَ
ٱلَّذِي هُوَ أَدۡنَىٰ بِٱلَّذِي هُوَ خَيۡرٌۚ ٱهۡبِطُواْ مِصۡرٗا فَإِنَّ لَكُم مَّا
سَأَلۡتُمۡۗ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلۡمَسۡكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٖ
مِّنَ ٱللَّهِۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ
ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٦١﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنۡ

---

(١) أي قيل: على الذين ظلموا، ولم يقل: عليهم، ويكون ذلك لفوائد، منها ما ذكره المفسر.

(٢) داء ورميٌّ وبائيٌّ، سببه مكروب يصيب الفئران، وتنقله البراغيث إلى فئران أخرى وإلى الإنسان.

(٣) أخرج البخاري (٢٧٤) ومسلم (٣٣٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (كانت بنو إسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم إلى بعض، وكان موسى يغتسل وحده، فقالوا: والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلا أنه آدر، فذهب مرة يغتسل فوضع ثوبه على حجر، ففر الحجر بثوبه، فخرج موسى في إثره يقول: ثوبي يا حجر، حتى نظرت بنو إسرائيل إلى موسى، فقالوا: والله ما بموسى من بأس، وأخذ ثوبه وطفق بالحجر ضرباً). فقال أبو هريرة: والله إنه لندب بالحجر ستة أو سبعة ضرباً بالحجر. [آدر: منتفخ الخصيتين. فطفق ضرباً: جعل يضربه. لندب: لأثر].

[البخاري: الغسل، باب: من اغتسل عرياناً وحده في الخلوة ومن تستر فالتستر أفضل. مسلم: في الحيض، باب: جواز الاغتسال عرياناً في الخلوة].

(٤) حجارة رخوة لينة.

(٥) السبط من اليهود كالقبيلة من العرب، والسبط ولد الولد.

(٦) أي قوله ﴿مفسدين﴾ حال مؤكدة لقوله ﴿تعثوا﴾ الذي معناه تفسدوا.

(٧) في المصباح: الفوم الثوم، ويقال: الحنطة، وفسر قوله تعالى ﴿وفومها﴾ بالقولين.

(٨) بلداً من البلدان، أو البلد المشهور بهذا الاسم.

(٩) النقش المطبوع عليه. (١٠) أي اسم الإشارة وهو ﴿ذلك﴾.

(١١) سموا بذلك لأنهم مالوا عن دينهم فعبدوا النجوم أو

سبب نزول الآية [٦٢]: عن مجاهد قال: قال سلمان: سألت النبي ﷺ عن أهل دين كنت معهم، فذكرت من صلاتهم وعبادتهم، فنزلت:

﴿ آمن ﴾ منهم ﴿ بالله واليوم الآخر ﴾ في زمن نبينا ﷺ ﴿ وعمل صالحاً ﴾ بشريعته ﴿ فلهم أجرهم ﴾ أي ثواب أعمالهم ﴿ عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ روعي في ضمير ﴿آمن﴾ و﴿عمل﴾ لفظ مَن(١)، وفيما بعده معناها(٢).

٦٣ ﴿ و ﴾ اذكروا ﴿ إذ أخذنا ميثاقكم ﴾ عهدكم بالعمل بما في التوراة ﴿ و ﴾ قد ﴿ رفعنا فوقكم الطور ﴾ الجبل، اقتلعناه من أصله عليكم لما أبيتم قبولها، وقلنا ﴿ خذوا ما آتيناكم بقوة ﴾ بجد واجتهاد ﴿ واذكروا ما فيه ﴾ بالعمل به ﴿ لعلكم تتقون ﴾ النار أو المعاصي.

٦٤ ﴿ ثم توليتم ﴾ أعرضتم ﴿ من بعد ذلك ﴾ الميثاق عن الطاعة ﴿ فلولا فضل الله عليكم ورحمته ﴾ لكم بالتوبة، أو تأخير العذاب ﴿ لكنتم من الخاسرين ﴾ الهالكين.

٦٥ ﴿ ولقد ﴾ لام قسم ﴿ علمتم ﴾ عرفتم ﴿ الذين اعتدوا ﴾ تجاوزوا الحد ﴿ منكم في السبت ﴾ لصيد السمك، وقد نهيناهم عنه، وهم أهل أيلة(٣) ﴿ فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين ﴾ مبعدين، فكانوها، وهلكوا بعد ثلاثة أيام(٤).

٦٦ ﴿ فجعلناها ﴾ أي تلك العقوبة ﴿ نكالاً ﴾ عبرة مانعة من ارتكاب مثل ما عملوا ﴿ لما بين يديها وما خلفها ﴾ أي الأمم التي في زمانها والتي بعدها ﴿ وموعظة للمتقين ﴾ الله، وخصوا بالذكر لأنهم المنتفعون بها بخلاف غيرهم.

٦٧ ﴿ و ﴾ اذكر ﴿ إذ قال موسى لقومه ﴾ وقد قتل لهم قتيل لا يدرى قاتله، وسألوه أن يدعو الله أن يبينه لهم فدعاه ﴿ إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزواً ﴾(٥) مهزواً بنا، حيث تجيبنا بمثل ذلك ﴿ قال أعوذ ﴾ أمتنع ﴿ بالله ﴾ من ﴿ أن أكون من الجاهلين ﴾ المستهزئين.

٦٨ فلما علموا أنه عزم(٦) ﴿ قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ﴾ أي ما سِنُّها ﴿ قال ﴾ موسى ﴿إنه﴾ أي الله ﴿ يقول إنها بقرة لا فارض ﴾ مسنة ﴿ ولا بكر ﴾ صغيرة ﴿ عوان ﴾ نَصَف ﴿ بين ذلك ﴾ المذكور من السِّنَّيْن ﴿ فافعلوا ما تؤمرون ﴾ به من ذبحها.

ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ
رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا
مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ
وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۖ
فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾
وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ
كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا
وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ
إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ
قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا
رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ
وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾

الملائكة، ويقال: صبأ من دينه إذا خرج عنه.

(١) الدال على الإفراد.

(٢) الدال على الجمع، فإن «من» لفظها مفرد ومعناها جمع.

(٣) اسم لقرية كانت عند العقبة.

(٤) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: ذكرت عنده ـ أي النبي ﷺ ـ القردة والخنازير من مسخ؟ فقال: (إن الله لم يجعل لمسخ نسلاً ولا عقباً، وقد كانت القردة والخنازير قبل ذلك).
[مسلم: القدر، باب: بيان أن الآجال والأرزاق وغيرها لا تزيد ولا تنقص ...، رقم: ٢٦٦٣].

(٥) قراءة حفص ﴿هُزُواً﴾ بالواو وضم الزاي بدون همز، وقرأ غيره: ﴿هُزْؤاً﴾ بالهمز.

(٦) أن الأمر بالذبح حق أوجبه الله عزّ وجلّ، وعزائم الله تعالى فرائضه.

فائدة: عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: (أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا اؤتمن خان، وإذا حدَّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر) [البخاري: الإيمان، باب: علامة المنافق، رقم: ٣٤. مسلم: الإيمان، باب: بيان خصال المنافق، رقم: ٥٨] [منافقاً خالصاً: قد استجمع صفات النفاق. خصلة: صفة. يدعها: يتركها ويخلص نفسه منها. غدر: ترك الوفاء بالعهد. خاصم: نازع وجادل. فجر: مال عن الحق واحتال في رده].

﴿ إن الذين آمنوا والذين هادوا ﴾ الآية. وعن السُّدِّيّ قال: نزلت هذه الآية في أصحاب سلمان الفارسي، رضي الله عنه، لما قدم سلمان كان رسول الله ﷺ جعل يخبر عن عبادة أصحابه واجتهادهم، وقال: يا رسول الله، كانوا يصلون ويصومون ويؤمنون بك، ويشهدون أنك تبعث نبياً. فلما فرغ سلمان من ثنائه عليهم قال رسول الله ﷺ: (يا سلمان، هم من أهل النار). فأنزل الله: ﴿ إن الذين آمنوا والذين هادوا ﴾ وتلا إلى قوله: ﴿ ولا هم يحزنون ﴾ [لباب النقول للسيوطي، أسباب النزول للواحدي].

٦٩ ﴿قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها﴾ شديد الصفرة ﴿تسر الناظرين﴾ إليها بحسنها، أي تعجبهم.

٧٠ - ﴿قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي﴾ أسائمة أم عاملة(١) ﴿إن البقر﴾ أي جنسه المنعوت بما ذكر ﴿تشابه علينا﴾ لكثرته، فلم نهتد إلى المقصودة ﴿وإنا إن شاء الله لمهتدون﴾ إليها، وفي الحديث: (لو لم يستثنوا(٢) لما بينت لهم آخر الأبد).

٧١ ﴿قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول﴾ غير مذللة بالعمل ﴿تثير الأرض﴾ تقلبها للزراعة، والجملة صفة ذلول، داخلة في النفي(٣) ﴿ولا تسقي الحرث﴾ الأرض المهيأة للزراعة ﴿مسلمة﴾ من العيوب وآثار العمل ﴿لاشية﴾ لون ﴿فيها﴾ غير لونها ﴿قالوا الآن جئت بالحق﴾ نطقت بالبيان التام، فطلبوها فوجدوها عند الفتى البار بأمه(٤)، فاشتروها بملء مسكها(٥) ذهباً ﴿فذبحوها وما كادوا يفعلون﴾ لغلاء ثمنها، وفي الحديث: (لو ذبحوا أي بقرة كانت لأجزأتهم، ولكن شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم)(٦).

٧٢ ﴿وإذ قتلتم نفساً فادارأتم﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الدال(٧)، أي تخاصمتم وتدافعتم ﴿فيها والله مخرج﴾ مظهر ﴿ما كنتم تكتمون﴾ من أمرها، وهذا اعتراض وهو أول القصة(٨).

٧٣ ﴿فقلنا اضربوه﴾ أي القتيل ﴿ببعضها﴾ فضرب بلسانها، أو عجب ذنبها(٩)، فحيي وقال: قتلني فلان وفلان، لابني عمه، ومات، فحرما الميراث وقتلا. وقال تعالى: ﴿كذلك﴾ الإحياء ﴿يحيي الله الموتى ويريكم آياته﴾ دلائل قدرته ﴿لعلكم تعقلون﴾ تتدبرون فتعلمون أن القادر على إحياء نفس واحدة قادر على إحياء نفوس كثيرة فتؤمنون.

٧٤ ﴿ثم قست قلوبكم﴾ أيها اليهود، صلبت عن قبول الحق ﴿من بعد ذلك﴾ المذكور من إحياء القتيل وما قبله من الآيات ﴿فهي كالحجارة﴾ في القسوة ﴿أو أشد قسوة﴾ منها ﴿وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الشين(١٠) ﴿فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط﴾ ينزل من علو إلى سفل ﴿من خشية الله﴾ وقلوبكم لا تتأثر ولا تلين ولا تخشع.

(الجـزء الأول) ١٤

قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ
إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّـٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾
قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَـٰبَهَ عَلَيْنَا
وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ
لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ
قَالُوا۟ ٱلْـَٔـٰنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾
وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ
تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ
ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ قَسَتْ
قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ
وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَـٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا
يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ

---

(١) السائمة هي التي ترعى من كلأ الجبال ولا تشغل.
والعاملة: هي التي يعلفها صاحبها ويشغلها.

(٢) لو لم يعلقوا الاهتداء إليها بمشيئة الله عزّ وجلّ.
والحديث ذكره ابن جرير الطبري في تفسيره مرسلاً عن قتادة وابن جريج رحمهما الله تعالى. والحديث المرسل هو الذي يرفعه التابعي إلى النبي ﷺ دون أن يذكر الصحابي الذي رواه عنه.

(٣) أي النفي مسلط عليها، والتقدير: لا ذلول ولا تثير الأرض.

(٤) ذكر قصة البقرة وشراءها من هذا الفتى الخازن عند تفسيره هذه الآيات.

(٥) جلدها.

(٦) هذا الحديث ذكره ابن جرير في تفسيره موقوفاً على عدد من الصحابة والتابعين، ولم أعثر عليه مرفوعاً إلى النبي ﷺ.
ولهذا المعنى نهى رسول الله ﷺ هذه الأمة عن كثرة الأسئلة فيما سكت عنه الشرع فقال: (ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فاتوا منه ما استطعتم، فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم). [البخاري: الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، رقم: ٦٨٥٨. مسلم: الفضائل، باب: توقيره ﷺ وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه..، واللفظ لمسلم].
وكذلك نهى عن التشدد في الأمور فقال: (لا تشددوا على أنفسكم فيشدد عليكم، فإن قوماً شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم) [أبو داود: الأدب، باب: في الحسد، رقم: ٤٩٠٤]. وهذا لا يعني التساهل في الدين، وإنما يعني عدم المغالاة والزيادة عما جاء به شرع الله تعالى.

(٧) أصلها تدارأتم، فقلبت التاء دالاً وأدغمت في الدال، وأتي بهمزة الوصل ليتمكن من النطق بالساكن.

(٨) أي قوله: وإذ قتلتم إلى آخر الآية جملة معترضة بين المعطوف وهو قوله: فقلنا اضربوه، والمعطوف عليه وهو قوله: فذبحوها. وما ذكر في الآية أول القصة، وإنما أخر إلى هنا ليكون ذكر قبائحهم متواصلاً.

(٩) أصله.

(١٠) أصلها: يتشقق.

﴿وما الله بغافل عما تعملون﴾ وإنما يؤخركم لوقتكم، وفي قراءة بالتحتانية(١)، وفيه الالتفات عن الخطاب.

٧٥ ﴿أفتطمعون﴾ أيها المؤمنون ﴿أن يؤمنوا لكم﴾ أي اليهود ﴿وقد كان فريق﴾ طائفة ﴿منهم﴾ أحبارهم ﴿يسمعون كلام الله﴾ في التوراة ﴿ثم يحرفونه﴾ يغيرونه ﴿من بعدما عقلوه﴾ فهموه ﴿وهم يعلمون﴾ أنهم مفترون، والهمزة للإنكار، أي لا تطمعوا، فلهم سابقة في الكفر.

٧٦ ﴿وإذا لقوا﴾ أي منافقو اليهود ﴿الذين آمنوا قالوا آمنا﴾ بأن محمداً ﷺ نبي، وهو المبشر به في كتابنا ﴿وإذا خلا﴾ رجع ﴿بعضهم إلى بعض قالوا﴾ أي رؤساؤهم الذين لم ينافقوا، لمن نافق ﴿أتحدثونهم﴾ أي المؤمنين ﴿بما فتح الله عليكم﴾ أي عرفكم في التوراة من نعت محمد ﷺ ﴿ليحاجوكم﴾ ليخاصموكم، واللام للصيرورة(٢) ﴿به عند ربكم﴾ في الآخرة، ويقيموا عليكم الحجة في ترك اتباعه مع علمكم بصدقه ﴿أفلا تعقلون﴾ أنهم يحاجُّونكم إذا حدثتموهم؟ فتنبهوا. ٧٧ قال تعالى: ﴿أو لا يعلمون﴾ الاستفهام للتقرير(٣)، والواو الداخلة عليها للعطف(٤) ﴿أن الله يعلم ما يسرون ومايعلنون﴾ ما يخفون وما يظهرون من ذلك وغيره، فيرعووا عن ذلك(٥).

١٥ (سورة البقرة)

وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٧٤﴾ * أَفَتَطۡمَعُونَ أَن يُؤۡمِنُواْ
لَكُمۡ وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ
مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ قَالُوٓاْ
أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمۡۚ
أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَا يَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ
وَمَا يُعۡلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِنۡهُمۡ أُمِّيُّونَ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّآ
أَمَانِيَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ
ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشۡتَرُواْ بِهِۦ
ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا
يَكۡسِبُونَ ﴿٧٩﴾ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَةٗۚ
قُلۡ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدٗا فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓۖ أَمۡ تَقُولُونَ

٧٨ ﴿ومنهم﴾ أي اليهود ﴿أميون﴾ عوام ﴿لا يعلمون الكتاب﴾ التوراة ﴿إلا﴾ لكن ﴿أماني﴾ أكاذيب تلقوها من رؤسائهم فاعتمدوها ﴿وإن﴾ ما ﴿هم﴾ في جحود نبوة النبي وغيره مما يختلقونه ﴿إلا يظنون﴾ ظناً، ولا علم لهم.

٧٩ ﴿فويل﴾ شدة عذاب ﴿للذين يكتبون الكتاب بأيديهم﴾ أي مختلقاً من عندهم ﴿ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً﴾ من الدنيا، وهم اليهود، غيروا صفة النبي في التوراة وآية الرجم وغيرهما، وكتبوها على خلاف ما أنزل ﴿فويل لهم مما كتبت أيديهم﴾ من المختلق ﴿وويل لهم مما يكسبون﴾ من الرُّشا، جمع رِشوة.

٨٠ ﴿وقالوا﴾ لما وعدهم النبي ﷺ النار ﴿لن تمسنا﴾ تصيبنا ﴿النار إلا أياماً معدودة﴾ قليلة، أربعين يوماً، مدة عبادة آبائهم العجل، ثم نزول(٦) ﴿قل﴾ لهم يا محمد ﴿أتخذتم﴾ حذفت منه همزة الوصل استغناء بهمزة الاستفهام ﴿عند الله عهداً﴾ ميثاقاً منه بذلك ﴿فلن يخلف الله عهده﴾ به، لا ﴿أم﴾ بل أ﴿تقولون

---

(١) أي ﴿يعملون﴾ بالياء، وفيها التفات عن مخاطبتهم إلى الكلام عنهم وكأنهم غائبون، والقراءتان سبعيتان.

(٢) أي للعاقبة والمآل لا للتعليل، والمعنى: تحدثونهم فتصير عاقبة أمرهم أنهم يحاجونكم.

(٣) أي مع التوبيخ، والتقرير: حمل المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقر عنده.

(٤) أي الواو التي دخل عليها الاستفهام للعطف على محذوف تقديره: أيلومونهم على التحديث بما ذكر ولا يعلمون. .

(٥) ينكفوا وينزجروا عن سلوكهم الباطل.

(٦) أي نحول عن النار.

سبب نزول الآية [٧٦]: عن مجاهد قال: قام النبي ﷺ يوم قريظة تحت حصونهم فقال: (يا إخوان القردة وإخوان الخنازير ويا عبدة الطاغوت). فقالوا: من أخبر بهذا محمداً؟ ما خرج هذا إلا منكم، أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليكون لهم حجة عليكم؟ فنزلت الآية.

سبب نزول الآية [٧٩]: عن ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت في أهل الكتاب وأحبار اليهود - أي علمائهم - الذين غيروا صفة رسول الله ﷺ في كتابهم، وقالوا لأتباعهم: انظروا إلى صفة النبي الذي يبعث في آخر الزمان ليس يشبه نعت هذا. أي وصفه.

سبب نزول الآية [٨٠]: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة ويهود تقول: إنما مدة الدنيا سبعة آلاف سنة، وإنما يعذب الناس بكل ألف سنة من أيام الدنيا يوماً واحداً في النار من أيام الآخرة، فإنما هي سبعة أيام ثم ينقطع العذاب. فأنزل الله في ذلك: ﴿وقالوا لن تمسنا. . .﴾ [أسباب النزول للواحدي، ولباب النقول للسيوطي].

على الله ما لا تعلمون ﴾.

٨١ ﴿ بلى ﴾ تمسكم وتخلدون فيها ﴿ من كسب سيئة ﴾ شركاً ﴿ وأحاطت به خطيئته ﴾ بالإفراد والجمع(١)، أي استولت عليه وأحدقت به من كل جانب، بأن مات مشركاً ﴿ فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ روعي فيه معنى من(٢).

٨٢ ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ﴾.

٨٣ ﴿ و ﴾ اذكر ﴿ إذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل ﴾ في التوراة، وقلنا ﴿ لا تعبدون ﴾ بالتاء والياء(٣) ﴿ إلا الله ﴾ خبر بمعنى النهي(٤)، وقرئ: لا تعبدوا(٥) ﴿ و ﴾ أحسنوا ﴿ بالوالدين إحساناً ﴾ براً ﴿ وذي القربى ﴾ القرابة عطف على الوالدين ﴿ واليتامى والمساكين وقولوا للناس ﴾ قولاً ﴿ حَسَناً ﴾ من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصدق في شأن محمد ﷺ والرفق بهم. وفي قراءة بضم الحاء وسكون السين(٦)، مصدر وصف به مبالغة ﴿ وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة ﴾ فقبلتم ذلك ﴿ ثم توليتم ﴾ أعرضتم عن الوفاء به، فيه التفات عن الغيبة(٧)، والمراد آباؤهم ﴿ إلا قليلاً منكم وأنتم معرضون ﴾ عنه كآبائكم.

٨٤ ﴿ وإذ أخذنا ميثاقكم ﴾ وقلنا ﴿ لا تسفكون دماءكم ﴾ تريقونها بقتل بعضكم بعضاً ﴿ ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ﴾ لا يخرج بعضكم بعضاً من داره ﴿ ثم أقررتم ﴾ قبلتم ذلك الميثاق ﴿ وأنتم تشهدون ﴾ على أنفسكم.

٨٥ ﴿ ثم أنتم ﴾ يا ﴿ هؤلاء تقتلون أنفسكم ﴾ يقتل بعضكم بعضاً ﴿ وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم تظّاهرون ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الظاء(٨)، وفي قراءة التخفيف(٩) على حذفها، تتعاونون ﴿ عليهم بالإثم ﴾ بالمعصية ﴿ والعدوان ﴾ الظلم ﴿ وإن يأتوكم أسارى ﴾ وفي قراءة: أَسْرى(١٠) ﴿ تفدوهم ﴾ وفي قراءة: تُفادوهم(١١)، تنقذوهم من الأسر بالمال أو غيره، وهو مما عهد إليهم ﴿ وهو ﴾ أي الشأن ﴿ محرم عليكم إخراجهم ﴾ متصل بقوله: وتخرجون، والجملة(١٢) بينهما اعتراض، أي كما حرم ترك الفداء، وكانت قريظة حالفوا الأوس والنضير الخزرج(١٣)، فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه ويخرب ديارهم ويخرجهم، وإذا أسروا فدوهم، وكانوا إذا سئلوا: لِمَ تقاتلونهم وتفدونهم؟ قالوا: أمرنا بالفداء، فيقال: فلِمَ تقاتلونهم؟ فيقولون: حياءً أن تستذل حلفاؤنا، وقال تعالى ﴿أفتؤمنون ببعض

عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ
بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾
وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ
هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ
لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ
وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ
وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾
وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ
أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ
هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ
تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ
تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ

---

(١) ﴿خطيئته﴾ بالإفراد باعتبار ذات الشرك، و﴿خطيئاته﴾ بالجمع باعتبار أنواعه. وهما قراءتان متواترتان.

(٢) روعي في لفظ ﴿خالدون﴾ معنى مَنْ الدال على الجمع.

(٣) أي ﴿تعبدون﴾ و﴿يعبدون﴾ وهما قراءتان سبعيتان.

(٤) أي جملة لا تعبدون خبرية لفظاً لعدم جزم الفعل فيها، إنشائية معنى، لأن القصد النهي عن عبادة غير الله تعالى.

(٥) بالجزم، وهي قراءة شاذة. (٦) أي ﴿حُسْناً﴾ وهي قراءة حمزة والكسائي، وقرأ غيرهما ﴿حَسَناً﴾. (٧) أي عن مخاطبة بني إسرائيل القدماء الغائبين إلى مخاطبة الحاضرين في زمنه ﷺ. (٨) أصله: تتظاهرون. (٩) أي ﴿تَظَاهرون﴾ والتخفيف قراءة الكوفيين، والإدغام قراءة غيرهم.

(١٠) وهي قراءة حمزة. (١١) وهي قراءة نافع وعاصم والكسائي.

(١٢) وهي قوله ﴿وإنْ يأتُوكُم أُسَارَى تُفَادُوهم﴾. (١٣) قريظة والنضير قبيلتان من اليهود، والأوس والخزرج قبيلتان من العرب.

فائدة: في بر الوالدين: عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت النبي ﷺ: أي العمل أحب إلى الله؟ قال: «الصلاة على وقتها». قال: ثم أي؟ قال: «ثم بر الوالدين». قال: ثم أي؟ قال: «الجهاد في سبيل الله». قال: حدثني بهن، ولو استزدته لزادني. [البخاري: مواقيت الصلاة، باب: فضل الصلاة لوقتها، رقم: ٥٠٤. مسلم: الإيمان، باب: كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال، رقم: ٨٥] [على وقتها: في أول وقتها. بر الوالدين: الإحسان إليهما والقيام بخدمتهما، وترك الإساءة إليهما].

وعن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «ألا أنبئكم=

ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ
إِلَّا خِزْيٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ
ٱلْعَذَابِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ
ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ
وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا
مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ
بِرُوحِ ٱلْقُدُسِۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ
ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا
غُلْفٌۢۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾
وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ
وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم
مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾

الكتاب﴾ وهو الفداء **﴿وتكفرون ببعض﴾** وهو ترك القتل والإخراج والمظاهرة **﴿فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي﴾** هوان وذلّ **﴿في الحياة الدنيا﴾** وقد خزوا بقتل قريظة، ونفي النضير إلى الشام، وضرب الجزية **﴿ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون﴾** بالتاء والياء(١).

٨٦ **﴿أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة﴾** بأن آثروها عليها **﴿فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون﴾** يمنعون منه.

٨٧ **﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾** التوراة **﴿وقفينا من بعده بالرسل﴾** أي أتبعناهم رسولاً في إثر رسول **﴿وآتينا عيسى ابن مريم البينات﴾** المعجزات، كإحياء الموتى وإبراء الأكمه(٢) والأبرص **﴿وأيدناه﴾** قويناه **﴿بروح القدس﴾** من إضافة الموصوف إلى الصفة، أي الروح المقدسة جبريل، لطهارته، يسير معه حيث سار، فلم تستقيموا **﴿أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى﴾** تحب **﴿أنفسكم﴾** من الحق **﴿استكبرتم﴾** تكبرتم عن اتباعه، جواب كلما، وهو محل الاستفهام(٣)، والمراد به التوبيخ **﴿ففريقاً﴾** منهم **﴿كذبتم﴾** كعيسى **﴿وفريقاً تقتلون﴾** المضارع لحكاية الحال الماضية، أي قتلتم، كزكريا ويحيى عليهما السلام.

٨٨ **﴿وقالوا﴾** للنبي استهزاء **﴿قلوبنا غلف﴾** جمع أغلف، أي مغشاة بأغطية فلا تعي ما تقول، قال تعالى: **﴿بل﴾** للإضراب(٤) **﴿لعنهم الله﴾** أبعدهم من رحمته، وخذلهم عن القبول **﴿بكفرهم﴾** وليس عدم قبولهم لخلل في قلوبهم(٥) **﴿فقليلاً ما يؤمنون﴾** ما زائدة لتأكيد القلة، أي إيمانهم قليل جداً(٦).

٨٩ **﴿ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم﴾** من التوراة، وهو القرآن **﴿وكانوا من قبل﴾** مجيئه **﴿يستفتحون﴾** يستنصرون **﴿على الذين كفروا﴾** يقولون: اللهم انصرنا عليهم بالنبي المبعوث آخر الزمان **﴿فلما جاءهم ما عرفوا﴾** من الحق، وهو بعثة النبي **﴿كفروا به﴾** حسداً وخوفاً على الرياسة، وجواب لما الأولى دل عليه جواب الثانية **﴿فلعنة الله على الكافرين﴾**.

---

(١) وهما قراءتان سبعيتان.

(٢) الأكمه هو الذي يولد أعمى.

(٣) أي والاستكبار هو المستفهم عنه والموبخ عليه والمعبر به.

(٤) أي لإبطال قولهم وادعائهم السابق.

(٥) خِلقَةً، كما ادعوا.

(٦) المراد أن من آمن منهم قليل.

= بأكبر الكبائر» ثلاثاً، قالوا: بلى يارسول الله. قال: «الإشراك بالله، وعقوق الوالدين ـ وجلس وكان متكئاً فقال: ـ ألا وقول الزور». قال: فمازال يكررها حتى قلنا: ليته سكت. [البخاري: الشهادات، باب: ما قيل في شهادة الزور، رقم: ٢٥١٢. مسلم: الإيمان، باب: بيان أكبر الكبائر، رقم: ٨٧] [أنبئكم: أخبركم. أكبر الكبائر: أشنعها وأكثرها إثماً، والكبائر جمع كبيرة، وهي كل فعل قبيح نهىَ عنه الشرع وشدد النهي عنه وأعظم أمره. ثلاثاً: كرر قوله ثلاث مرات. عقوق الوالدين: هو كل فعل يتأذى به الوالدان تأذياً شديداً، وهو ليس من الأفعال الواجبة شرعاً، والعقوق من العق وهو القطع، لأن العاق يقطع ما بينه وبينهما من صلة. الزور: الكذب والباطل].

سبب نزول الآية [٨٩] : عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله ﷺ قبل مبعثه ، فلما بعثه الله من العرب كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون فيه، فقال لهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء وداود بن سلمة: يا معشر يهود اتقوا الله وأسلموا، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ـ ﷺ ـ ونحن أهل شرك، وتخبروننا بأنه مبعوث وتصفونه بصفته. فقال سلام بن مشكم ـ أحد بني النضير ـ : ما جاءنا بشيء نعرفه، وما هو بالذي كنا نذكر لكم. فأنزل الله تعالى: ﴿ولما جاءهم كتاب من عند الله . . .﴾ الآية.

وعنه ـ أيضاً ـ رضي الله عنه قال: كانت يهود خيبر تقاتل غطفان، فكلما التقوا هُزمت يهود، فعاذت بهذا الدعاء: اللهم إنا نسألك بحق محمد ـ النبي الأمي الذي وعدتنا أن تخرجه لنا في آخر الزمان ـ إلا نصرتنا عليهم. فكانوا إذا التقوا دعوا بهذا فيهزمون غطفان، فلما بعث النبي عليه الصلاة والسلام كفروا به، فأنزل الله تعالى: ﴿ وكانوا من قبل يستفتحون ﴾ بك يا محمد ﴿ . . على الكافرين ﴾. [لباب النقول للسيوطي].

٩٠ ﴿ بئسما اشتروا ﴾ باعوا[١] ﴿ به أنفسهم ﴾ أي حظها من الثواب، وما نكرة بمعنى شيئاً، تمييز لفاعل بئس[٢]، والمخصوص بالذم ﴿ أن يكفروا ﴾ أي كفرهم ﴿ بما أنزل الله ﴾ من القرآن ﴿ بغياً ﴾ مفعول له ليكفروا، أي حسداً على ﴿ أن ينزل الله ﴾ بالتخفيف والتشديد[٣] ﴿ من فضله ﴾ الوحي ﴿ على من يشاء ﴾ للرسالة ﴿ من عباده فباؤوا ﴾ رجعوا ﴿ بغضب ﴾ من الله بكفرهم بما أنزل، والتنكير للتعظيم[٤] ﴿ على غضب ﴾ استحقوه من قبل، بتضييع التوراة والكفر بعيسى صلوات الله عليه ﴿ وللكافرين عذاب مهين ﴾ ذو إهانة.

٩١ ﴿ وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله ﴾ القرآن وغيره ﴿ قالوا نؤمن بما أنزل علينا ﴾ أي التوراة، قال تعالى ﴿ ويكفرون ﴾ الواو للحال ﴿ بما وراءه ﴾ سواه أو بعده من القرآن ﴿ وهو الحق ﴾ حال ﴿ مصدقاً ﴾ حال ثانية مؤكدة ﴿ لما معهم قل ﴾ لهم ﴿ فلم تقتلون ﴾ أي قتلتم ﴿ أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين ﴾ بالتوراة، وقد نهيتم فيها عن قتلهم؟ والخطاب للموجودين في زمن نبينا ﷺ بما فعل آباؤهم لرضاهم به.

٩٢ ﴿ ولقد جاءكم موسى بالبينات ﴾ بالمعجزات كالعصا واليد وفلق البحر ﴿ ثم اتخذتم العجل ﴾ إلهاً ﴿ من بعده ﴾ من بعد ذهابه إلى الميقات[٥] ﴿ وأنتم ظالمون ﴾ باتخاذه.

٩٣ ﴿ وإذ أخذنا ميثاقكم ﴾ على العمل بما في التوراة ﴿ و ﴾ قد ﴿ رفعنا فوقكم الطور ﴾ الجبل حين امتنعتم من قبولها ليسقط عليكم، وقلنا ﴿ خذوا ما آتيناكم بقوة ﴾ بجد واجتهاد ﴿ واسمعوا ﴾ ما تؤمرون به سماع قبول ﴿ قالوا سمعنا ﴾ قولك ﴿ وعصينا ﴾ أمرك ﴿ وأشربوا في قلوبهم العجل ﴾ أي خالط حبه قلوبهم كما يخالط الشراب[٦] ﴿ بكفرهم قل ﴾ لهم ﴿ بئسما ﴾ شيئاً ﴿ يأمركم به إيمانكم ﴾ بالتوراة عبادةُ العجل ﴿إن كنتم مؤمنين ﴾ بها كما زعمتم، المعنى: لستم بمؤمنين، لأن الإيمان لا يامر بعبادة العجل، والمراد آباؤهم، أي فكذلك أنتم لستم بمؤمنين بالتوراة، وقد كذبتم محمداً، والإيمان بها لا يامر بتكذيبه.

٩٤ ﴿ قل ﴾ لهم ﴿ إن كانت لكم الدار الآخرة ﴾ أي الجنة ﴿ عند الله خالصة ﴾ خاصة ﴿ من دون الناس ﴾ كما زعمتم[٧] ﴿ فتمنوا الموت إن

بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا
أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو
بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾
وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ
عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ
قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾
* وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ
وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ
ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا
وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ
إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ
ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن

---

(١) استبدلوا وبذلوا من أجله.

(٢) المستتر وجوباً، والمعنى: بئس الشيء شيئاً باعوا به أنفسهم كفرهم. (٣) أي قرىء ﴿يُنْزِل﴾ و ﴿يُنَزِّل﴾ وهما سبعيتان.

(٤) أي نكر غضب ليدل على أنه كبير وشديد.

قال ابن كثير في تفسير الآية: لما كان كفرهم سببه البغي والحسد، ومنشأ ذلك التكبر، قوبلوا بالإهانة والصغار في الدنيا والآخرة.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: (يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذرّ في صور الناس، يعلوهم كل شيء من الصغار، حتى يدخلوا سجناً في جهنم يقال له: بُولَس، فيعلوهم نار الأنيار، يسقون من طينة الخبال عصارة أهل النار). مسند أحمد [٢/ ١٧٩]. (٥) أي الوقت والمكان الذي واعده الله تعالى فيهما لينزل عليه التوراة. (٦) أي أعماق البدن وأجزاءه الباطنة. أخرج أحمد في مسنده [٥/ ١٩٤]: عن أبي الدرداء رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (حبك الشيء يُعْمي ويُصِمّ).

(٧) حيث قلتم: ﴿لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً﴾ [البقرة: ١١١].

فائدة: عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: (لا يَتَمَنَّيَنَّ أحدكم الموت من ضُرٍّ أصابه، فإن كان لا بد فاعلاً فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي) أخرجه البخاري في المرضى، باب: نهي تمني المريض الموت، رقم: ٥٣٤٧. ومسلم في الذكر والدعاء والتوبة، باب: كراهة تمني الموت لضر نزل به، رقم: ٢٦٨٠.

سبب نزول الآية [٩٤]: أخرج ابن جرير الطبري في تفسيره عن أبي العالية قال: قالت اليهود: لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً. وقالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه. فقال الله تعالى: ﴿ قل إن كانت.. ﴾ فلم يفعلوا. روى الإمام أحمد في مسنده [١/ ٢٤٨] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال أبو جهل: لئن رأيت رسول الله ـ ﷺ ـ يصلي عند الكعبة لآتينه حتى أطأ على عنقه. قال: فقال ـ أي رسول الله ﷺ ـ: (لو فعل لأخذته الملائكة عياناً، ولو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا ورأوا مقاعدهم في النار، ولو خرج الذين يباهلون رسول الله ﷺ لرجعوا لا يجدون مالاً ولا أهلاً).

[يباهلون: أي يدعو كل فريق على نفسه بالهلاك إن كان على غير حق. وانظر الآية ٦١ من سورة آل عمران].

كنتم صادقين ﴾ تعلق بتمنوا الشرطان، على أن الأول قيد في الثاني، أي إن صدقتم في زعمكم أنها لكم، ومن كانت له يؤثرها، والموصل إليها الموت، فتمنوه.

٩٥ ﴿ ولن يتمنوه أبداً بما قدمت أيديهم ﴾ من كفرهم بالنبي المستلزم لكذبهم ﴿ والله عليم بالظالمين ﴾ الكافرين، فيجازيهم.

٩٦ ﴿ ولتجدنهم ﴾ لام قسم ﴿ أحرص الناس على حياة و ﴾ أحرص ﴿ من الذين أشركوا ﴾ المنكرين للبعث عليها(١)، لعلمهم بأن مصيرهم النار دون المشركين لإنكارهم له(٢) ﴿ يود ﴾ يتمنى ﴿ أحدهم لو يعمر ألف سنة ﴾ لو مصدرية بمعنى أن(٣)، وهي بصلتها في تأويل مصدر مفعول يود ﴿ وما هو ﴾ أي أحدهم ﴿ بمزحزحه ﴾ مبعده ﴿ من العذاب ﴾ النار ﴿ أن يعمر ﴾ فاعل مزحزحه، أي تعميره ﴿ والله بصير بما يعملون ﴾ بالياء والتاء(٤)، فيجازيهم.

وسأل ابن صوريا(٥) النبي ﷺ أو عمر، رضي الله عنه، عمن يأتي بالوحي من الملائكة؟ فقال: جبريل، فقال: هو عدونا ، يأتي بالعذاب، ولو كان ميكائيل لآمنا به،لأنه يأتي بالخصب والسلم. فنزل:

٩٧ ﴿ قل ﴾ لهم ﴿ من كان عدواً لجبريل ﴾ فليمت غيظاً ﴿ فإنه نزله ﴾ أي القرآن ﴿ على قلبك بإذن ﴾ بأمر ﴿ الله مصدقاً لما بين يديه ﴾ قبله من الكتب ﴿ وهدى ﴾ من الضلالة ﴿وبشرى﴾ بالجنة ﴿ للمؤمنين ﴾.

٩٨ ﴿من كان عدواً لله(٦) وملائكته ورسله وجبريل﴾ بكسر الجيم وفتحها بلا همز، وبه بياء ودونها(٧) ﴿ وميكال ﴾ عطف على الملائكة، من عطف الخاص على العام، وفي قراءة ﴿ ميكائيل ﴾ بهمز وياء، وفي أخرى بلا ياء ﴿ فإن الله عدو للكافرين ﴾ أوقعه موقع لهم بياناً لحالهم(٨).

٩٩ ﴿ ولقد أنزلنا إليك ﴾ يا محمد ﴿ آيات بينات ﴾ أي واضحات، حال(٩)، رد لقول ابن صوريا للنبي ﷺ : ما جئتنا بشيء(١٠) ﴿وما يكفر بها إلا الفاسقون﴾ كفروا بها.

١٠٠ ﴿ أوَ كلما عاهدوا ﴾ الله ﴿ عهداً ﴾ على الإيمان بالنبي إن خرج، أو النبي أن لا يعاونوا عليه المشركين ﴿ نبذه ﴾ طرحه ﴿ فريق منهم ﴾ بنقضه، جواب كلما، وهو محل الاستفهام الإنكاري ﴿ بل ﴾ للانتقال ﴿ أكثرهم لا يؤمنون ﴾.

١٠١ ﴿ ولما جاءهم رسول من عند الله ﴾ محمد ﷺ ﴿ مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله ﴾ أي التوراة

كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ
وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ
عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ
سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ
بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ
عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ
لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ
وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ
إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾
أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ
لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ

---

(١) أي على الحياة.

(٢) أي إن المشركين ينكرون البعث، فلا يعلمون أن مصيرهم إلى النار، فيكون حرصهم على الحياة أقل من حرص اليهود ـ الذين يعلمون سوء عاقبتهم ـ عليها.

(٣) تسبك ما بعدها بمصدر، ولكنها لا تنصب، والمعنى: يود أحدهم تعمير.

(٤) أي قرىء ﴿يعملون﴾ و ﴿تعملون﴾ وقراءة الياء قراءة يعقوب.

(٥) أحد أحبار اليهود، أي علمائهم في الدين.

(٦) بخروجه عن طاعته.

(٧) أي وبالهمز: بياء ﴿جبرئيل﴾ وبدون ياء «جَبْرَئل» فالقراءات اربع، وكلها متواترة. وكذلك ﴿ميكائيل﴾ و ﴿ميكائل﴾.

(٨) أي وضع لفظ «الكافرين» الظاهر موضع «لهم» لبيان أنهم كفروا بسبب عداوتهم لمن ذكر.

(٩) المناسب أن تكون صفة، لأن ما قبلها نكرة.

(١٠) في لباب النقول: يا محمد ـ ﷺ ـ ما جئتنا بشيء نعرفه، وما أنزل الله عليك من آية بينة. فأنزل الله في ذلك ﴿ ولقد أنزلنا. . . ﴾.

سبب نزول الآية [٩٧]: أخرج أحمد في مسنده [١/٢٧٤] من حديث طويل عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن اليهود قالوا للنبي ﷺ: فأخبرنا من صاحبك؟ قال: (جبريل عليه السلام). قالوا: جبريل ذاك الذي ينزل بالحرب والقتال والعذاب، عدونا، لو قلت ميكائيل الذي ينزل بالرحمة والنبات والقطر لكان. فأنزل الله عزّ وجلّ ﴿ من كان عدواً لجبريل... ﴾.

﴿ **وراء ظهورهم** ﴾ أي لم يعملوا بما فيها من الإيمان بالرسول وغيره ﴿ **كأنهم لا يعلمون** ﴾ ما فيها من أنه نبي حق، أو أنها كتاب الله تعالى.

١٠٢ ﴿ **واتبعوا** ﴾ عطف على نبذ ﴿ **ما تتلوا** ﴾ أي تلت ﴿ **الشياطين على** ﴾ عهد ﴿ **ملك سليمان** ﴾ من السحر، وكانت دفنته تحت كرسيه لما نُزِع ملكه. أو كانت تسترق السمع، وتضم إليه أكاذيب، وتلقيه إلى الكهنة فيدونونه(*) وفشا ذلك، وشاع أن الجن تعلم الغيب، فجمع سليمان الكتب ودفنها، فلما مات دلت الشياطين عليها الناس، فاستخرجوها، فوجدوا فيها السحر، فقالوا: إنما ملككم بهذا، فتعلموه ورفضوا كتب أنبيائهم. قال تعالى: تبرئة لسليمان، ورداً على اليهود في قولهم: انظروا إلى محمد، يذكر سليمان في الأنبياء، وما كان إلا ساحراً ﴿ **وما كفر سليمان** ﴾ أي لم يعمل السحر، لأنه كفر ﴿ **ولكن** ﴾ بالتشديد والتخفيف(١) ﴿ **الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر** ﴾ الجملة حال من ضمير كفروا ﴿ **و** ﴾ يعلمونهم ﴿ **ما أنزل على الملكين** ﴾ أي ألهماه من السحر، وقرىء بكسر اللام(٢)، الكائنين ﴿ **ببابل** ﴾ بلد في سواد العراق(٣) ﴿ **هاروت وماروت** ﴾ بدل أو عطف بيان للملكين، قال ابن عباس: هما ساحران كانا يعلمان السحر. وقيل: ملكان أنزلا لتعليمه ابتلاء من الله للناس ﴿ **وما يعلمان من** ﴾ زائدة ﴿ **أحد حتى يقولا** ﴾ له نصحاً ﴿ **إنما نحن فتنة** ﴾ بلية من الله للناس ليمتحنهم بتعليمه، فمن تعلمه كفر، ومن تركه فهو مؤمن ﴿ **فلا تكفر** ﴾ بتعلمه، فإن أبى إلا التعلم علماه ﴿ **فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه** ﴾ بأن يبغِّض كلاً إلى الآخر ﴿ **وما هم** ﴾ أي السحرة ﴿ **بضارين به** ﴾ بالسحر ﴿ **من** ﴾ زائدة ﴿ **أحد إلا بإذن الله** ﴾ بإرادته ﴿ **ويتعلمون ما يضرهم** ﴾ في الآخرة ﴿ **ولا ينفعهم** ﴾ وهو السحر ﴿ **ولقد** ﴾ لام قسم ﴿ **علموا** ﴾ أي اليهود ﴿ **لمن** ﴾ لام ابتداء معلقة لما قبلها(٤)، ومن موصولة ﴿ **اشتراه** ﴾ اختاره أو استبدله بكتاب الله ﴿ **ماله في الآخرة من خلاق** ﴾ نصيب في الجنة ﴿ **ولبئس ما** ﴾ شيئاً ﴿ **شروا** ﴾ باعوا ﴿ **به أنفسهم** ﴾ أي الشارين، أي حظها من الآخرة إن تعلموه، حيث أوجب لهم النار ﴿ **لو كانوا يعلمون** ﴾ حقيقة ما يصيرون إليه من العذاب ما تعلموه(٥).

١٠٣ ﴿ **ولو أنهم** ﴾ أي اليهود ﴿ **آمنوا** ﴾ بالنبي والقرآن ﴿ **واتقوا** ﴾ عذاب الله بترك معاصيه كالسحر، وجواب لو محذوف، أي لأثيبوا، دل عليه ﴿ **لمثوبة** ﴾ أي ثواب، وهو مبتدأ، واللام فيه للقسم ﴿ **من عند الله خير** ﴾ خبره، مما شروا به أنفسهم ﴿ **لو كانوا يعلمون** ﴾ أنه خير لما آثروه عليه.

١٠٤ ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا** ﴾ للنبي ﴿ **راعنا** ﴾ أمر من المراعاة، وكانوا يقولون له ذلك، وهي بلغة اليهود سب من الرعونة(٦)، فسروا بذلك وخاطبوا(٧) بها النبي، ﷺ، فنهي المؤمنون عنها ﴿ **وقولوا** ﴾ بدلها ﴿ **انظرنا** ﴾ أي انظر إلينا ﴿ **واسمعوا** ﴾ ما تؤمرون به سماع قبول ﴿ **وللكافرين عذاب أليم** ﴾ مؤلم، وهو النار.

١٠٥ ﴿ **ما يود الذين كفروا من**

وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ
ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ
ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى
ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ
حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا
مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ
مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ
وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ
مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ
وَٱتَّقَوْاْ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْ ۗ
وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ

---

(١) أي بفتح نون لكن وتشديدها، وبتسكين النون بدون تشديد.

(٢) أي الملِكين، وهي قراءة شاذة.

(٣) هو الأراضي الزراعية الخصبة منه، سمي بذلك لكثرة خضرته، والعرب تطلق على الأخضر أسود.

(٤) أي عن العمل فيما بعدها، ولذلك عربت مَنْ مبتدءاً، ولولا اللام لكانت مفعولاً به.

(٥) قوله «ما تعلموه» جواب لو.

(٦) الحمق والجهل وقلة العقل.

(٧) أي اليهود.

(*) روى البخاري (٣٠٣٨) عن عائشة رضي الله عنها زوج

أهل الكتاب ولا المشركين ﴾ من العرب، عطف على أهل الكتاب، ومن للبيان ﴿ أن ينزل عليكم من ﴾ زائدة ﴿ خير ﴾ وحي ﴿ من ربكم ﴾ حسداً لكم ﴿ والله يختص برحمته ﴾ نبوته ﴿ من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾.

١٠٦ ولما طعن الكفار في النسخ⁽¹⁾ وقالوا: إن محمداً يأمر أصحابه اليوم بأمر وينهى عنه غداً، نزل ﴿ما﴾ شرطية ﴿ننسخ من آية﴾ أي نزيل حكمها، إما مع لفظها أوْ لا، وفي قراءة بضم النون، من أنسخ⁽²⁾، أي نأمرك أو جبريل بنسخها ﴿ أو ننسأها ﴾ أي نؤخرها، فلا نُزيل حكمها ونرفعُ تلاوتها⁽³⁾، أو نؤخرها في اللوح المحفوظ. وفي قراءة بلا همز⁽⁴⁾ من النسيان، أي ننسكها، أي نمحها من قلبك. وجواب الشرط ﴿ نأت بخير منها ﴾ أنفع للعباد في السهولة أو كثرة الأجر ﴿ أو مثلها ﴾ في التكليف والثواب ﴿ ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير ﴾ ومنه النسخ والتبديل، والاستفهام للتقرير⁽⁵⁾.

١٠٧ ﴿ ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض ﴾ يفعل فيهما ما يشاء ﴿ وما لكم من دون الله ﴾ أي غيره ﴿ من ﴾

زائدة ﴿ولي﴾ يحفظكم ﴿ولا نصير﴾ يمنع عذابه عنكم إن أتاكم.

ونزل لما سأله أهل مكة أن يوسعها ويجعل الصفا ذهباً:

١٠٨ ﴿ أم ﴾ بل أ ﴿ تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى ﴾ أي سأله قومه ﴿ من قبل ﴾ من قولهم: «أرنا الله جهرة» /النساء: ١٥٣/ وغير ذلك ﴿ ومن يتبدل الكفر بالإيمان ﴾ أي يأخذه بدله، بترك النظر في الآيات البينات واقتراح غيرها ﴿ فقد ضل سواء السبيل ﴾ أخطأ طريق الحق، والسواء في الأصل الوسط⁽⁶⁾.

١٠٩ ﴿ ود كثير من أهل الكتاب لو ﴾ مصدرية ﴿ يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً ﴾ مفعول له، كائناً ﴿ من عند أنفسهم ﴾ أي حملتهم عليه أنفسهم الخبيثة ﴿ من بعد ما تبين لهم ﴾ في التوراة ﴿ الحق ﴾ في شأن النبي ﴿ فاعفوا ﴾ عنهم، أي اتركوهم ﴿ واصفحوا ﴾ أعرضوا، فلا تجاوزوهم ﴿ حتى يأتي الله بأمره ﴾ فيهم من القتال ﴿ إن الله على كل شيء قدير ﴾.

١١٠ ﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وما تقدموا لأنفسكم من خير ﴾ طاعة، كصلة وصدقة ﴿ تجدوه ﴾ أي ثوابه

أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن
رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ
ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾ ۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ
أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ
أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ
ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ
كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ
فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ
لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم
مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ
بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ
وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ

النبي ﷺ: أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن الملائكة تنزل في العنان - وهو السحاب - فتذكر الأمر قضي في السماء، فتسترق الشياطين السمع فتسمعه، فتوحيه إلى الكهان، فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم). [بدء الخلق، باب: ذكر الملائكة] والسحر - في اللغة - الإزالة وصرف الشيء عن وجهه، والساحر يرى الباطل في صورة الحق، فهو يصرف الشيء عن وجهه، فالسحر تمويه وتخييل. ومذهب الجمهور أن له وجوداً وحقيقة، والأصح أن له تأثيراً في الأبدان بخلق الله تعالى.

(١) هو في اللغة: الإزالة والنقل والتبديل، وفي الشرع: رفع التعبد باللفظ أو الحكم أو بهما معاً.

(٢) أي فالقراءة ﴿نُنْسِخ﴾ بضم النون، مضارع «أَنْسَخَ» الرباعي.

(٣) أي نبقي الحكم الثابت بالآية فلا نزيله، وننسخ التلاوة. ومن أمثلة ما نسخت تلاوته وبقي حكمه: (الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة). أخرج هذا ابن ماجه في العتق، باب: الرجم. [الشيخ والشيخة: الثيب والثيبة. والبتة: أي يرجمان قطعاً دون تردد].

(٤) أي بلفظ ﴿نُنْسِها﴾ والقراءتان سبعيتان.

(٥) أي أقرّ واعترف بذلك.

(٦) أي معنى السواء في اللغة الوسط، وهو المعتدل السليم.

سبب نزول الآية [١٠٨]: عن أبي العالية قال: قال رجل: يا رسول الله، لو كانت كفاراتنا ككفارات بني إسرائيل. فقال النبي ﷺ: (ما أعطاكم الله خير، كانت بنو إسرائيل إذا أصاب أحدهم الخطيئة وجدها مكتوبة على بابه وكفارتها، فإن كفرها كانت له خزياً في الدنيا، وإن لم يكفرها كانت له خزياً في الآخرة. وقد أعطاكم الله خيراً من ذلك، قال تعالى: ﴿ ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً ﴾ [النساء: ١١٠] والصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، كفارات لما بينهن). فأنزل الله تعالى: ﴿ أم تريدون... ﴾. [لباب النقول].

﴿ عند الله إن الله بما تعملون بصير ﴾ فيجازيكم به.

١١١ ﴿ وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً ﴾ جمع هائد(١) ﴿ أو نصارى ﴾ قال ذلك يهود المدينة ونصارى نجران، لما تناظروا بين يدي النبي ﷺ، أي قال اليهود: لن يدخلها إلا اليهود، وقال النصارى: لن يدخلها إلا النصارى ﴿ تلك ﴾ القولة ﴿ أمانيهم ﴾ شهواتهم الباطلة ﴿ قل ﴾ لهم ﴿ هاتوا برهانكم ﴾ حجتكم على ذلك ﴿ إن كنتم صادقين ﴾ فيه.

١١٢ ﴿ بلى ﴾ يدخل الجنة غيرهم ﴿ من أسلم وجهه لله ﴾ أي انقاد لأمره، وخص الوجه لأنه أشرف الأعضاء، فغيره أولى ﴿ وهو محسن ﴾ موحد ﴿ فله أجره عند ربه ﴾ أي ثواب عمله الجنة ﴿ ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ في الآخرة.

١١٣ ﴿ وقالت اليهود ليست النصارى على شيء ﴾ معتد به، وكفرت بعيسى ﴿ وقالت النصارى ليست اليهود على شيء ﴾ معتد به، وكفرت بموسى ﴿ وهم ﴾ أي الفريقان ﴿ يتلون الكتاب ﴾ المنزل عليهم، وفي كتاب اليهود تصديق عيسى، وفي كتاب النصارى تصديق موسى، والجملة حال ﴿ كذلك ﴾ كما قال هؤلاء ﴿ قال الذين لا يعلمون ﴾ أي المشركون من العرب وغيرهم ﴿ مثل قولهم ﴾ بيان لمعنى ذلك، أي قالوا لكل ذي دين: ليسوا على شيء ﴿ فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ﴾ من أمر الدين، فيدخل المحق الجنة والمبطل النار.

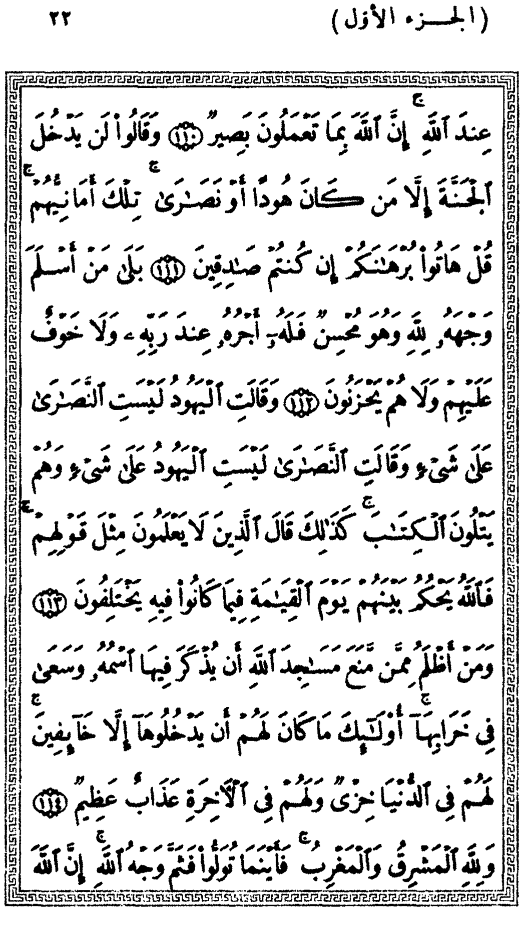

(الجزء الأول) ٢٢

عِندَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ
ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ
قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ
وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ
عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ
يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ
فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾
وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ
فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ
لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾
وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ

١١٤ ﴿ ومن أظلم ﴾ أي لا أحد أظلم ﴿ ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه ﴾ بالصلاة والتسبيح ﴿وسعى في خرابها﴾ بالهدم أو التعطيل، نزلت إخباراً عن الروم الذين خربوا بيت المقدس، أو في المشركين لما صدوا النبي ﷺ عام الحديبية عن البيت ﴿أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين﴾ خبر بمعنى الأمر، أي: أخيفوهم بالجهاد، فلا يدخلها أحد آمناً ﴿لهم في الدنيا خزي﴾ هوان بالقتل والسبي(٢) والجزية ﴿ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾ هو النار.

١١٥ ونزل لما طعن اليهود في نسخ القبلة، أو في صلاة النافلة على الراحلة في السفر حيثما توجهت(٣) ﴿ ولله المشرق والمغرب ﴾ أي الأرض كلها لأنهما ناحيتاها ﴿ فأينما تولوا ﴾ وجوهكم في الصلاة بأمره ﴿ فثم ﴾ هناك ﴿ وجه الله ﴾ قبلته التي رضيها ﴿ إن الله

---

(١) اسم فاعل من هاد إذا رجع وتاب، سموا بذلك لأنهم رجعوا عن عبادة العجل وتابوا منها.

(٢) أخذهم أسرى وجعلهم عبيداً.

(٣) روى البخاري (٩٥٥) ومسلم (٧٠٠) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ يصلي في السفر على راحلته حيث توجهت به، يومىء إيماءً. وفي رواية لمسلم: كان رسول الله ﷺ يصلي وهو مقبل من مكة إلى المدينة على راحلته حيث كان وجهه. قال: وفيه نزلت: (فأينما تولوا فثم وجه الله). [راحلته: دابته التي يركبها في السفر. يومىء إيماءً: يحرك رأسه إشارة إلى الركوع والسجود والرفع منهما]. [البخاري: الوتر، باب: الوتر في السفر. مسلم: صلاة المسافرين وقصرها، باب: جواز صلاة النافلة على الدابة]

سبب نزول الآية [١١٥]: عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ لما هاجر إلى المدينة أمره الله أن يستقبل بيت المقدس، ففرحت اليهود، فاستقبلها بضعة عشر شهراً، وكان يحب قبلة إبراهيم، وكان يدعو الله وينظر إلى السماء، فأنزل الله تعالى: ﴿ فولوا وجوهكم شطره ﴾ [البقرة: ١٤٤] فارتاب في ذلك اليهود وقالوا: ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها؟. فأنزل الله تعالى: ﴿ قل لله المشرق والمغرب﴾ [البقرة: = ١٤٢] وقال: ﴿ فأينما تولوا فثم وجه الله ﴾ قال السيوطي: إسناده قوي، والمعنى أيضاً يساعده، فليعتمد. [أسباب النزول للواحدي، لباب النقول للسيوطي].

واسع ﴾ يسع فضله كل شيء ﴿ عليم ﴾ بتدبير خلقه.

١١٦ ﴿ **وقالوا** ﴾ بواو وبدونها(١)، اليهود والنصارى ومن زعم أن الملائكة بنات الله ﴿ **اتخذ الله ولداً** ﴾ قال تعالى: ﴿ **سبحانه** ﴾ تنزيهاً له عنه ﴿ **بل له ما في السموات والأرض** ﴾ مِلكاً وخلقاً وعبيداً، والملكية تنافي الولادة، وعبر بما تغليباً لما لا يعقل(٢) ﴿ **كل له قانتون** ﴾ مطيعون كل بما يراد منه، وفيه تغليب العاقل(٣).

١١٧ ﴿ **بديع السموات والأرض** ﴾ موجدهما لا على مثال سبق ﴿ **وإذا قضى** ﴾ أراد ﴿ **أمراً** ﴾ أي إيجاده ﴿ **فإنما يقول له كن فيكون** ﴾ أي فهو يكون، وفي قراءة بالنصب جواباً للأمر(٤).

١١٨ ﴿ **وقال الذين لا يعلمون** ﴾ أي كفار مكة، للنبي ﷺ ﴿ **لولا** ﴾ هلا ﴿ **يكلمنا الله** ﴾ أنك رسوله ﴿ **أو تأتينا آية** ﴾ مما اقترحناه على صدقك(٥) ﴿ **كذلك** ﴾ كما قال هؤلاء ﴿ **قال الذين من قبلهم** ﴾ من كفار الأمم الماضية لأنبيائهم ﴿ **مثل قولهم** ﴾ من التعنت(٦) وطلب الآيات ﴿ **تشابهت قلوبهم** ﴾ في الكفر والعناد، فيه تسلية للنبي ﷺ ﴿ **قد بينا الآيات لقوم يوقنون** ﴾ يعلمون أنها آيات فيؤمنون، فاقتراح آية معها تعنت.

وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًاۗ سُبْحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ
مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ
كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ
أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ
تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْۗ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾
إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًاۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ
ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ
تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ
أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن
وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ
تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ

١١٩ ﴿ **إنا أرسلناك** ﴾ يا محمد ﴿ **بالحق** ﴾ بالهدى ﴿ **بشيراً** ﴾ من أجاب إليه بالجنة ﴿ **ونذيراً** ﴾ من لم يجب إليه بالنار ﴿ **ولا تسأل عن أصحاب الجحيم** ﴾ النار، أي الكفار، ما لهم لم يؤمنوا(٧)، إنما عليك البلاغ، وفي قراءة بجزم «تسأل» نهياً.

١٢٠ ﴿ **ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم** ﴾ دينهم ﴿ **قل إن هدى الله** ﴾ أي الإسلام ﴿ **هو الهدى** ﴾ وما عداه ضلال ﴿ **ولئن** ﴾ لام قسم ﴿ **اتبعت أهواءهم** ﴾ التي يدعونك إليها فرضاً(٨) ﴿ **بعد الذي جاءك من العلم** ﴾ الوحي من الله ﴿ **مالك من الله من ولي** ﴾ يحفظك ﴿ **ولا نصير** ﴾ يمنعك منه.

١٢١ ﴿ **الذين آتيناهم الكتاب** ﴾ مبتدأ ﴿ **يتلونه حق تلاوته** ﴾ أي يقرؤونه كما أنزل، والجملة حال، وحق نصب على المصدر(٩)، والخبر ﴿ **أولئك يؤمنون به** ﴾ نزلت في جماعة قدموا من الحبشة وأسلموا ﴿ **ومن يكفر به** ﴾ أي بالكتاب المؤتى، بأن يحرفه ﴿ **فأولئك**

---

(١) أي ﴿قالوا اتخذ﴾ بدون واو العطف، وهي قراءة متواترة.

(٢) أي لكثرته، وإشارة إلى أن نسبة الولد إليه سبحانه غاية في القصور، وقائله مجانس لما لا يعقل.

(٣) لأن الكلام هنا في سياق الطاعة، وهي من شأن العقلاء.

(٤) أي منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية الواقعة جواباً للأمر ﴿كن﴾.

(٥) معجزة مما طلبناه منك، كما جاء في سورة الإسراء: ٩٠ ـ ٩٣. والاقتراح: طلب الشيء من غير رَوِيَّة، واستنباطه من غير سماع.

(٦) العناد والتحكم.

(٧) أي لاتسأل عن عدم إيمانهم.

(٨) على فرض وقوعه وتقديره، وإن كان اتباعه لهم محالاً. وهو تهديد لمن يفعل ذلك من أمته.

(٩) أي صفة لمفعول مطلق محذوف تقديره: تلاوةً حق التلاوة، والمعنى: يقرؤونه مجوداً مرتلاً، بتدبر وخشوع، يأتمرون بأمره وينتهون بنهيه، ويصدقون بما فيه.

فائدة: عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «قال الله: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي: فزعم أني لا أقدر أن أعيده كما كان، وأما شتمه إياي: فقوله لي ولد، فسبحاني أن أتخذ صاحبة أو ولداً». [البخاري: التفسير، باب: ﴿وقالوا اتخذ الله ولداً سبحانه﴾ [البقرة: ١١٦] رقم: ٤٢١٢] [كذبني: نسب إليَّ ما هو خلاف الحقيقة والواقع. شتمني: وصفني بما لا يليق بي. فسبحاني: أنزِّه نفسي. صاحبة: زوجة]. عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «ليس أحد ـ أو: ليس شيء ـ أصبر على أذى سمعه من الله، إنهم ليدعون له ولداً، وإنه ليعافيهم ويرزقهم» [البخاري: الأدب، باب: الصبر على الأذى، رقم: ٥٧٤٨. مسلم: صفات المنافقين وأحكامهم، باب: لا أحد أصبر على أذى من الله عز وجل، رقم: ٢٨٠٤] [أصبر: أحلم وأبعد عن الانتقام، وأكثر تأخيراً عن العقوبة. أذى: شيء يكرهه من قول أو فعل. ليدعون: ينسبون. ليعافيهم: في أبدانهم].

سبب نزول الآية [١١٨]: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رافع بن حُرَيْملة لرسول الله ـ ﷺ ـ: إن كنت رسولاً من الله ـ كما تقول ـ فقل لله فيكلمنا حتى نسمع كلامه. فأنزل الله في ذلك: ﴿ وقال الذين لا يعلمون... ﴾ [السيوطي].

هم الخاسرون ﴾ لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم.

١٢٢ ﴿ يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين ﴾ تقدم مثله [الآية: ٤٧].

١٢٣ ﴿ واتقوا ﴾ خافوا ﴿ يوماً لا تجزي ﴾ تغني ﴿ نفس عن نفس ﴾ فيه ﴿ شيئاً ولا يقبل منها عدل ﴾ فداء ﴿ ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون ﴾ يمنعون من عذاب الله.

١٢٤ ﴿و﴾ اذكر ﴿إذ ابتلى﴾ اختبر ﴿إبراهيم﴾ وفي قراءة «إبراهام» ﴿ربه بكلمات﴾ بأوامر ونواه كلفه بها، قيل: هي مناسك الحج⁽¹⁾، وقيل: المضمضة، والاستنشاق، والسواك، وقص الشارب، وفرق الشعر، وقلم الأظفار، ونتف الإبط، وحلق العانة، والختان، والاستنجاء⁽²⁾ ﴿ فأتمهن ﴾ أداهن تامات ﴿ قال ﴾ تعالى له ﴿ إني جاعلك للناس إماماً ﴾ قدوة في الدين ﴿ قال ومن ذريتي ﴾ أولادي، اجعل أئمة ﴿ قال لا ينال عهدي ﴾ بالإمامة ﴿ الظالمين ﴾ الكافرين منهم، دل على أنه ينال غير الظالم.

١٢٥ ﴿ وإذ جعلنا البيت ﴾ الكعبة ﴿ مثابة للناس ﴾ مرجعاً يثوبون إليه من كل جانب ﴿ وأمناً ﴾ مأمناً لهم من الظلم والإغارات الواقعة في غيره، كان الرجل يلقى قاتل أبيه فيه فلا يهيجه⁽³⁾ ﴿ واتخذوا ﴾ أيها الناس ﴿ من مقام إبراهيم ﴾ هو الحجر الذي قام عليه عند بناء البيت ﴿ مصلى ﴾ مكان صلاة، بأن تصلوا خلفه ركعتي الطواف، وفي قراءة بفتح الخاء، خبر⁽⁴⁾ ﴿ وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل ﴾ أمرناهما ﴿ أن ﴾ أي بأن ﴿ طهرا بيتي ﴾ من الأوثان ﴿ للطائفين والعاكفين ﴾ المقيمين فيه ﴿ والركع السجود ﴾ جمع راكع وساجد، المصلين.

١٢٦ ﴿ وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا ﴾ المكان ﴿ بلداً آمناً ﴾ ذا أمن، وقد أجاب دعاءه، فجعله حرماً لا يسفك فيه دم إنسان، ولا يظلم فيه أحد، ولا يصاد صيده، ولا يختلى خلاه ﴿ وارزق أهله من الثمرات ﴾ وقد فعل بنقل الطائف من الشام إليه⁽⁵⁾، وكان أقفر لا زرع فيه ولا ماء ﴿ من آمن منهم بالله واليوم الآخر ﴾ بدل من أهله، وخصهم بالدعاء لهم موافقة لقوله: لا ينال عهدي الظالمين ﴿ قال ﴾ تعالى ﴿ و ﴾ أرزق ﴿ من كفر فأمتعه ﴾ بالتشديد والتخيف⁽⁶⁾، في الدنيا بالرزق ﴿ قليلاً ﴾ مدة حياته ﴿ ثم أضطره ﴾ ألجئه في الآخرة ﴿ إلى عذاب

هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ
أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَٱتَّقُوا۟
يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ
وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾ * وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ
إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ
إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾
وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ
إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا
بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾
وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ
أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ
قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ

---

(١) أعماله من فرائض وواجبات وسنن.

(٢) العانة: الشعر الذي يخرج حول الفرج. الاستنجاء: إزالة أثر النجاسة عن القبل أو الدبر بالماء، من النَّجْو وهو ما يخرج من الإنسان.

عن أبي هريرة رضي الله عنه رواية: «الفطرة خمس، أو: خمس من الفطرة: الختان، والاستحداد، ونتف الإبط، وتقليم الأظفار، وقص الشارب». [البخاري: اللباس، باب: قص الشارب، رقم: ٥٥٥٠. مسلم: الطهارة، باب: خصال الفطرة، رقم: ٥٧] [رواية: أي عن رسول الله ﷺ، ويقال هذا بدل قول الراوي: قال رسول الله ﷺ. الختان: قطع قلفة الذكر، وهي الجلدة التي تكون على أعلى الذكر عند الولادة. الاستحداد: حلق شعر العانة. الإبط: ما تحت مفصل العضد مع الكتف. تقليم: من القَلْم وهو القطع والقص].

(٣) لا يزعجه ولا يؤاخذه على فعلته.

(٤) أي جملة خبرية لا إنشائية، والتقدير: واتخذ الناسُ مقامَ..

(٥) قريباً منه، والأصح أن إجابة دعوته كانت بجلب الثمرات إليه من كل بلد، كما قال تعالى: ﴿يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقاً من لدنا﴾ [القصص: ٥٧].

(٦) أي للتاء: ﴿فأُمَتِّعُه﴾ و ﴿أُمْتِعُه﴾ وهما متواترتان.

سبب نزول الآية [١٢٥]: عن أنس رضي الله عنه قال: قال عمر رضي الله عنه: وافقت ربي في ثلاث: فقلت: يا رسول الله، لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى؟ فنزلت: ﴿ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ﴾. وآية الحجاب، قلت: يا رسول الله، لو أمرت نساءك أن يحتجبن، فإنه يكلمهن البر والفاجر، فنزلت آية الحجاب [الأحزاب: ٥٩]. واجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة عليه، فقلت لهن: عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن، فنزلت هذه الآية [التحريم: ٥]. [البخاري: القبلة، باب: ما جاء في القبلة..، رقم: ٣٩٣] اجتمع نساء..: أي أزعجنه بسبب غيرتهن.

النار ﴾ فلا يجد عنها محيصاً ﴿ وبئس المصير ﴾ المرجع هي.

١٢٧ ﴿ و ﴾ اذكر ﴿ إذ يرفع إبراهيم القواعد ﴾ الأسس أو الجدر(١) ﴿ من البيت ﴾ يبنيه، متعلق بيرفع ﴿وإسماعيل﴾ عطف على إبراهيم، يقولان ﴿ ربنا تقبل منا﴾ بناءنا ﴿ إنك أنت السميع ﴾ للقول ﴿ العليم ﴾ بالفعل.

١٢٨ ﴿ ربنا واجعلنا مسلمين ﴾ منقادين ﴿ لك و ﴾ اجعل ﴿ من ذريتنا ﴾ أولادنا ﴿ أمة ﴾ جماعة ﴿ مسلمة لك ﴾ ومن للتبعيض(٢)، وأتي به لتقدم قوله: لا ينال عهدي الظالمين ﴿وأرنا﴾ علِّمنا ﴿مناسكنا﴾ شرائع عبادتنا، أو حجنا ﴿ وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم ﴾ سألاه التوبة مع عصمتهما(٣) تواضعاً وتعليماً لذريتهما.

١٢٩ ﴿ربنا وابعث فيهم﴾ أي أهل البيت ﴿رسولاً منهم﴾ من أنفسهم، وقد أجاب الله دعاءه بمحمد ﷺ(٤) ﴿يتلو عليهم آياتك ﴾ القرآن ﴿ ويعلمهم الكتاب ﴾ القرآن ﴿ والحكمة ﴾ أي ما فيه من الأحكام ﴿ ويزكيهم ﴾ يطهرهم من الشرك ﴿ إنك أنت العزيز ﴾ الغالب ﴿ الحكيم ﴾ في صنعه.

١٣٠ ﴿ ومن ﴾ أي لا(٥) ﴿ يرغب عن ملة إبراهيم ﴾ فيتركها ﴿ إلا من سفه نفسه ﴾ جهل أنها مخلوقة لله يجب عليها عبادته، أو استخف بها وامتهنها(٦) ﴿ ولقد اصطفيناه ﴾ اخترناه ﴿ في الدنيا ﴾ بالرسالة والخُلَّة(٧) ﴿ وإنه في الآخرة لمن الصالحين ﴾ الذين لهم الدرجات العلى.

١٣١ واذكر ﴿ إذ قال له ربه أسلم ﴾ انقد لله وأخلص له دينك ﴿ قال أسلمت لرب العالمين ﴾.

١٣٢ ﴿ووصى﴾ وفي قراءة: «وأوصى»(٨) ﴿بها﴾ بالملة﴿ إبراهيم بنيه ويعقوب ﴾ بنيه قال: ﴿ يا بني إن الله اصطفى لكم الدين ﴾ دين الإسلام ﴿ فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ نهى عن ترك الإسلام وأمر بالثبات عليه إلى مصادفة الموت.

١٣٣ ولما قال اليهود للنبي: ألست تعلم أن يعقوب يوم مات أوصى بنيه باليهودية، نزل ﴿ أم كنتم شهداء ﴾ حضوراً ﴿ إذ حضر يعقوب

ٱلنَّارِۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ
مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ
ٱلۡعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ
مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ
ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ
ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۖ إِنَّكَ أَنتَ
ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ
إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ
فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡ
قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ
بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ
إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ

---

(١) جمع جدار.

(٢) والمعنى: بعض ذريتنا، ولم يقولا: ذريتنا، بل قالا: من ذريتنا، لأنهما علما من قوله تعالى قبل: ﴿لا ينال عهدي الظالمين﴾ أن بعض ذريتهما سوف لا يكون مسلماً.

(٣) حفظهما من المعصية التي تحتاج إلى توبة.

(٤) أخرج البغوي بسنده - في تفسيره - عن العرباض بن سارية رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: (إني عند الله مكتوب: خاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل في طينته، وسأخبركم بأول أمري: أنا دعوة إبراهيم، وبشارة عيسى، ورؤيا أمي التي رأت حين وضعتني وقد خرج منها نور أضاءت لها منه قصور الشام).

[لمنجدل..: أي مطروح على وجه الأرض صورة من طين لم تجر فيه الروح].

(٥) أشار بقوله [أي لا يرغب] إلى أن من اسم استفهام بمعنى الإنكار والتوبيخ، فهو نفي في المعنى، ولذلك جاءت بعده إلا التي للإيجاب. وملة إبراهيم شريعته وطريقته، وهي دين التوحيد.

(٦) فلم يتأمل فيها فيستدل بها على أن لها صانعاً أتقن صنعها فيؤمن به.

(٧) المحبة التي تخللت القلب فصارت في باطنه.

(٨) أي بهمزة بين الواوين وبدون تشديد الصاد، وهي قراءة متواترة.

سبب نزول الآية [١٣٠]: قال ابن عيينة: روي أن عبدالله بن سلام - رضي الله عنه -: دعا ابني أخيه سلمة ومهاجراً إلى الإسلام، فقال لهما: قد علمتما أن الله تعالى قال في التوراة: إني باعث من ولد إسماعيل نبياً اسمه أحمد، فمن آمن به فقد اهتدى ورشد، ومن لم يؤمن به فهو ملعون. فأسلم سلمة وأبى مهاجر، فنزلت فيه - أي في مهاجر - الآية. [لباب النقول].

الموت إذ ﴾ بدل من إذ قبله ﴿ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي ﴾ بعد موتي ﴿ قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ﴾ عد إسماعيل من الآباء تغليب، ولأن العم بمنزلة الأب(١) ﴿ إلهاً واحداً ﴾ بدل من «إلهك» ﴿ ونحن له مسلمون ﴾ وأم بمعنى همزة الإنكار، أي لم تحضروه وقت موته، فكيف تنسبون إليه ما لا يليق به؟.

١٣٤ ﴿ تلك ﴾ مبتدأ، والإشارة إلى إبراهيم ويعقوب وبنيهما، وأنث لتأنيث خبره ﴿ أمة قد خلت ﴾ سلفت ﴿ لها ما كسبت ﴾ من العمل، أي جزاؤه، استئناف(٢) ﴿ ولكم ﴾ الخطاب لليهود ﴿ ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون ﴾ كما لا يسألون عن عملكم، والجملة تأكيد لما قبلها(٣).

١٣٥ ﴿ وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا ﴾ أو للتفصيل(٤)، وقائل الأول يهود المدينة، والثاني نصارى نجران ﴿ قل ﴾ لهم ﴿ بل ﴾ نتبع ﴿ ملة إبراهيم حنيفاً ﴾ حال من إبراهيم، مائلاً عن الأديان كلها إلى الدين القيم ﴿ وما كان من المشركين ﴾.

١٣٦ ﴿ قولوا ﴾ خطاب للمؤمنين ﴿ آمنا بالله وما أنزل إلينا ﴾ من القرآن ﴿ وما أنزل إلى إبراهيم ﴾ من الصحف العشر(٥) ﴿ وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط ﴾ أولاده ﴿ وما أوتي موسى ﴾ من التوراة ﴿ وعيسى ﴾ من الإنجيل ﴿ وما أوتي النبيون من ربهم ﴾ من الكتب والآيات ﴿ لا نفرق بين أحد منهم ﴾ فنؤمن ببعض ونكفر ببعض كاليهود والنصارى ﴿ ونحن له مسلمون ﴾.

١٣٧ ﴿ فإن آمنوا ﴾ أي اليهود والنصارى ﴿ بمثل ﴾ مثل زائدة ﴿ ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا ﴾ عن الإيمان به ﴿ فإنما هم في شقاق ﴾ خلاف معكم ﴿ فسيكفيكهم الله ﴾ يا محمد، شقاقهم ﴿ وهو السميع ﴾ لأقوالهم ﴿ العليم ﴾ بأحوالهم، وقد كفاه إياهم بقتل قريظة، ونفي النضير، وضرب الجزية عليهم.

١٣٨ ﴿ صبغة الله ﴾ مصدر مؤكد لآمنا، ونصبه بفعل مقدر أي صبغنا الله، والمراد بها دينه الذي فطر الناس عليه، لظهور أثره على صاحبه كالصبغ في الثوب ﴿ ومن ﴾ أي لا أحد ﴿ أحسن

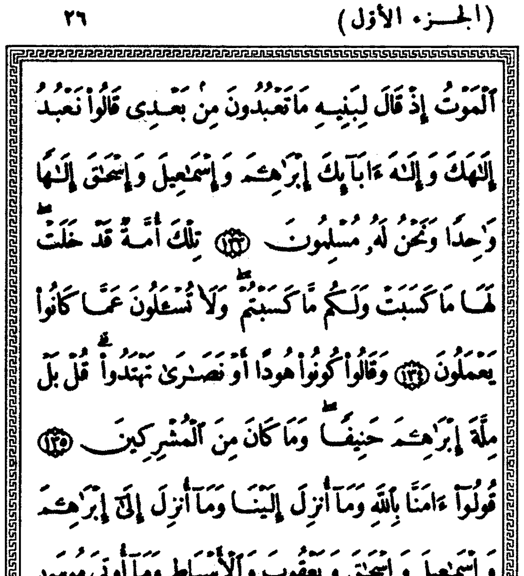
(الجـزء الأول) ٢٦

ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ
إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ إِلَـٰهًا
وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ
لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟
يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ
مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾
قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ
وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ
وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ
مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ
فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ
ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ

سبب نزول الآية [١٣٥]: قال ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت في رؤوس يهود المدينة: كعب بن الأشرف ومالك بن الصيف وأبي ياسر بن اخطب، وفي نصارى أهل نجران، وذلك أنهم خاصموا المسلمين في الدين، كل فرقة تزعم أنها أحق بدين الله تعالى من غيرها. فقالت اليهود: نبينا موسى أفضل الأنبياء، وكتابنا التوراة أفضل الكتب، وديننا أفضل الأديان. وكفرت بعيسى والإنجيل ومحمد والقرآن. وقالت النصارى: نبينا عيسى أفضل الأنبياء، وكتابنا الإنجيل أفضل الكتب، وديننا أفضل الأديان. وكفرت بمحمد والقرآن. وقال كل واحد من الفريقين للمؤمنين: كونوا على ديننا، فلا دين إلا ذلك. ودعوهم إلى دينهم.

وعنه أيضاً: قال ابن صوريا للنبي ﷺ: ما الهدى إلا ما نحن عليه، فاتبعنا يا محمد تهتد. وقالت النصارى مثل ذلك، فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿ وقالوا . . ﴾ [أسباب النزول للواحدي، لباب النقول للسيوطي].

---

(١) أخرج مسلم وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال لعمر رضي الله عنه: (يا عمر، أما شعرت أن عمَّ الرجل صنو أبيه) أي نظيره وبمنزلته، لأنهما من أصل واحد، فأشبها النخلتين اللتين تخرجان من جذر واحد.
[مسلم: الزكاة، باب: فى تقديم الزكاة ومنعها، رقم: ٩٨٣].

(٢) أي قوله ﴿لها ما كسبت﴾ كلام مستأنف، أو صفة ثانية لأمة.

(٣) أي تأكيد لمدلول قوله ﴿لها ما كسبت ولكم ما كسبتم﴾ فإن مدلولها: لا يسألون عن عملكم ولا تسألون عن عملهم.

(٤) أي للتوزيع على قولي الطائفتين، لأن كلاً من اليهود والنصارى زعموا أنه لا يدخل الجنة إلا من كان على طريقتهم.

(٥) المذكورة مجملة بقوله تعالى: ﴿ صحف إبراهيم وموسى ﴾ /الأعلى: ١٩/.

من الله صبغة ﴾ تمييز **﴿ ونحن له عابدون ﴾**.

قال اليهود للمسلمين: نحن أهل الكتاب الأول، وقبلتنا أقدم، ولم تكن الأنبياء من العرب، ولو كان محمد نبياً لكان منا. فنزل:

١٣٩ **﴿ قل ﴾** لهم **﴿ أتحاجوننا ﴾** أتخاصموننا **﴿ في الله ﴾** أن اصطفى نبياً من العرب **﴿ وهو ربنا وربكم ﴾** فله أن يصطفي من عباده من يشاء **﴿ولنا أعمالنا﴾** نجازى بها **﴿ ولكم أعمالكم ﴾** تجازون بها، فلا يبعد أن يكون في أعمالنا ما نستحق به الإكرام **﴿ ونحن له مخلصون ﴾** الدين والعمل دونكم، فنحن أولى بالاصطفاء. والهمزة للإنكار، والجمل الثلاث أحوال.

١٤٠ **﴿ أم ﴾** بل أ **﴿ تقولون ﴾** بالتاء والياء **﴿ إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هوداً أو نصارى قل ﴾** لهم **﴿ ءأنتم أعلم أم الله ﴾** أي الله أعلم، وقد برَّأ منهما إبراهيم بقوله: «ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً» /آل عمران: ٦٧/ والمذكورون معه تبع له **﴿ ومن أظلم ممن كتم ﴾** أخفى الناس **﴿ شهادة عنده ﴾** كائنة **﴿ من الله ﴾** أي لا أحد أظلم منه، وهم اليهود، كتموا شهادة الله في التوراة لإبراهيم بالحنيفية **﴿ وما الله بغافل عما تعملون ﴾** تهديد لهم.

١٤١ **﴿ تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون ﴾** تقدم مثله [الآية: ١٣٤].

١٤٢ **﴿ سيقول السفهاء ﴾** الجهال **﴿ من الناس ﴾** اليهود والمشركين **﴿ ما ولاهم ﴾** أي شيء صرف النبي ﷺ والمؤمنين **﴿ عن قبلتهم التي كانوا عليها ﴾** على استقبالها في الصلاة، وهي بيت المقدس، والإتيان بالسين الدالة على الاستقبال من الإخبار بالغيب **﴿ قل لله المشرق والمغرب ﴾** أي الجهات كلها، فيأمر بالتوجه إلى أي جهة شاء، لا اعتراض عليه **﴿ يهدي من يشاء ﴾** هدايته **﴿ إلى صراط ﴾** طريق **﴿ مستقيم ﴾** دين الإسلام، أي ومنهم أنتم، دل على هذا:

١٤٣ **﴿ وكذلك ﴾** كما هديناكم إليه **﴿ جعلناكم ﴾** يا أمة محمد **﴿ أمة وسطاً ﴾** خياراً عدولاً **﴿ لتكونوا شهداء على الناس ﴾** يوم القيامة أن رسلهم بلغتهم(١) **﴿ ويكون الرسول عليكم شهيداً ﴾** أنه بلغكم **﴿ وما جعلنا ﴾** صيرنا **﴿ القبلة ﴾** لك الآن الجهة **﴿ التي كنت عليها ﴾** أولاً، وهي الكعبة، وكان ﷺ يصلي إليها، فلما هاجر أمر باستقبال بيت المقدس تألفاً لليهود(٢)، فصلى إليه ستة أو سبعة عشر شهراً ثم حول(٣) **﴿ إلا لنعلم ﴾** علم ظهور(٤) **﴿ من يتبع**

٢٧ (ســورة البقرة)

مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ قُلۡ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ
وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡ وَلَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ
مُخۡلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمۡ تَقُولُونَ إِنَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ
وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۚ قُلۡ ءَأَنتُمۡ أَعۡلَمُ
أَمِ ٱللَّهُۗ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۚ وَمَا ٱللَّهُ
بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡۖ لَهَا مَا كَسَبَتۡ
وَلَكُم مَّا كَسَبۡتُمۡۖ وَلَا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٤١﴾
* سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي
كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ
إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا
لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ
وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ

---

(١) روى البخاري (٤٢١٧) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (يدعى نوح يوم القيامة فيقول: لبيك وسعديك يا رب، فيقول: هل بلغت؟ فيقول: نعم، فيقال لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير، فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته، فيشهدون أنه قد بلغ، ويكون الرسول عليكم شهيداً، فذلك قوله جل ذكره﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾) والوسط العدل.
[البخاري: التفسير، باب: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً..﴾].

(٢) لم أجد دليلاً يشهد لهذا التعليل، وما كان شرع الله عزّ وجلّ يوماً ليوافق أحداً تأليفاً له، وإنما هو أمر الله تعالى العليم الحكيم، وقد يوافق هذا ما عليه الناس وقد يخالفه.

(٣) أخرج هذا البخاري (في الإيمان، باب: الصلاة من الإيمان، رقم: ٤٠) ومسلم (في الصلاة، باب: تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة، رقم: ٥٢٥) عن البراء بن عازب رضي الله عنهما.

(٤) أي ليظهر إلى حيز الوجود متعلّق علمنا بتمييز المؤمن من الكافر.

الرسول ﴾ فيصدقه **﴿ ممن ينقلب على عقبيه ﴾** أي يرجع إلى الكفر شكاً في الدين، وظناً أن النبي ﷺ في حيرة من أمره، وقد ارتد لذلك جماعة **﴿ وإن ﴾** مخففة من الثقيلة، واسمها محذوف، أي وإنها **﴿ كانت ﴾** أي التولية إليها **﴿ لكبيرة ﴾** شاقَّة على الناس **﴿ إلا على الذين هدى الله ﴾** منهم **﴿ وما كان الله ليضيع إيمانكم ﴾** أي صلاتكم إلى بيت المقدس، بل يثيبكم عليه، لأن سبب نزولها السؤال عمن مات قبل التحويل⁽¹⁾ **﴿ إن الله بالناس ﴾** المؤمنين **﴿لرؤوف رحيم ﴾** في عدم إضاعة أعمالهم، والرأفة شدة الرحمة، وقدم الأبلغ للفاصلة⁽²⁾.

١٤٤ **﴿ قد ﴾** للتحقيق **﴿ نرى تقلب ﴾** تصرف **﴿ وجهك في ﴾** جهة **﴿ السماء ﴾** متطلعاً إلى الوحي ومتشوقاً للأمر باستقبال الكعبة، وكان يود ذلك لأنها قبلة إبراهيم، ولأنه أدعى إلى إسلام العرب⁽³⁾ **﴿ فلنولينك ﴾** نحولنك **﴿ قبلة ترضاها ﴾** تحبها **﴿ فول وجهك ﴾** استقبل في الصلاة **﴿ شطر ﴾** نحو **﴿ المسجد الحرام ﴾** أي الكعبة **﴿ وحيثما كنتم ﴾** خطاب للأمة **﴿ فولوا وجوهكم ﴾** في الصلاة **﴿شطره وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه﴾** أي التولي إلى الكعبة **﴿ الحق ﴾** الثابت **﴿ من ربهم ﴾** لما في كتبهم من نعت النبي ﷺ من أنه يتحول إليها **﴿ وما الله بغافل عما تعملون ﴾** بالتاء، أيها المؤمنون من امتثال أمره، وبالياء، أي اليهود من إنكار أمر القبلة.

١٤٥ **﴿ ولئن ﴾** لام القسم **﴿ أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ﴾** على صدقك في أمر القبلة **﴿ ما تبعوا ﴾** أي يتبعون⁽⁴⁾ **﴿ قبلتك ﴾** عناداً **﴿ وما أنت بتابع قبلتهم ﴾** قطع لطمعه في إسلامهم وطمعهم في عوده إليها **﴿ وما بعضهم بتابع قبلة بعض ﴾** أي اليهود قبلة النصارى وبالعكس **﴿ ولئن اتبعت أهواءهم ﴾** التي يدعونك إليها **﴿ من بعدما جاءك من العلم ﴾** الوحي **﴿ إنك إذاً ﴾** إن اتبعتهم، فرضاً **﴿ لمن الظالمين ﴾** [انظر الآية: ١٢٠].

١٤٦ **﴿ الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه ﴾** أي محمداً **﴿ كما يعرفون أبناءهم ﴾** بنعته في كتبهم، قال ابن سلام: لقد عرفته حين رأيته كما أعرف ابني، ومعرفتي لمحمد أشد⁽⁵⁾. **﴿ وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق ﴾** نعته **﴿ وهم يعلمون ﴾** هذا الذي أنت عليه.

ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا
عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ
ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ
فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ
ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ
وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ
وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟
ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ
وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم
مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾
ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ
وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾

---

(١) عند البخاري (٤٠) عن البراء رضي الله عنه: أنه مات على القبلة قبل أن تحول رجال وقتلوا، فلم ندر ما نقول فيهم، فأنزل الله تعالى: ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾. [الإيمان، باب: الصلاة من الإيمان].

(٢) أي قدم رؤوف وهو أبلغ من رحيم في المعنى، وهو خلاف المألوف من الترقي من الأدنى إلى الأعلى، لتتوافق فواصل الآيات، أي أواخر الكلمات منها، وهي مستقيم ورحيم.

(٣) وهذا التعليل كسابقه في دعوى تأليف اليهود لا دليل عليه، وكيف يحب أن يوجه تارة لبيت المقدس تأليفاً لليهود، وأخرى إلى الكعبة تأليفاً للعرب؟! وعلى العكس: لعل من أسباب حبه التحول إلى الكعبة أن يخالف اليهود، الذين اتخذوا من توجهه إلى بيت المقدس ذريعة لا دعاء أن دينهم هو الأصل، ولذلك كان يعجبهم توجهه ﷺ إلى بيت المقدس، ولما أمر بالتحول عنه أنكروا ذلك كما جاء في حديث البراء رضي الله عنه السابق.

(٤) قوله [لام القسم] أي التي في ﴿لئن﴾ وقوله [يتبعون] أي ما يتبعون.

(٥) أي لأنه وصف في التوراة، وهو كتاب منزل من عند الله تعالى، فهو حق لا شك فيه، وأما ولده فلعل أمه خانت به، فهو لا يدري ذلك، هكذا روي عنه أنه قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه حين سأله عن ذلك. وابن سلام هذا هو عبد الله بن سلام رضي الله عنه، وهو من أحبار اليهود الذين أسلموا وكانوا من كبار الصحابة المشهود لهم بالجنة، كما ثبت في كتب السنة الصحيحة.

[انظر البخاري: فضائل الصحابة، باب: مناقب عبد الله ابن سلام رضي الله عنه، رقم: ٣٦٠٢. ومسلم: فضائل الصحابة، باب: من فضائل عبد الله بن سلام رضي الله عنه، رقم: ٢٤٨٤].

١٤٧ ﴿ الحق ﴾ كائن ﴿ من ربك فلا تكونن من الممترين ﴾ الشاكين فيه، أي من هذا النوع، فهو أبلغ من: لا تمتر(١).

١٤٨ ﴿ولكل﴾ من الأمم ﴿وجهة﴾ قبلة ﴿ هو موليها﴾ وجهه في صلاته، وفي قراءة «مولاها»(٢) ﴿فاستبقوا الخيرات﴾ بادروا إلى الطاعات وقبولها ﴿أينما تكونوا يأتِ بكم الله جميعاً﴾ يجمعكم يوم القيامة فيجازيكم بأعمالكم ﴿إن الله على كل شيء قدير﴾.

١٤٩ ﴿ ومن حيث خرجت ﴾ لسفر ﴿ فول وجهك شطر المسجد الحرام وإنه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون ﴾ بالتاء والياء(٣)، تقدم مثله [آية: ١٤٤] وكرره(٤) لبيان تساوي حكم السفر وغيره.

١٥٠ ﴿ ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره ﴾ كرره للتأكيد(٥) ﴿ لئلا يكون للناس ﴾ اليهود أو المشركين ﴿ عليكم حجة ﴾ أي مجادلة في التولي إلى غيره، أي لتنتفي مجادلتهم لكم من قول اليهود: يجحد ديننا ويتبع قبلتنا، وقول المشركين: يدعي ملة إبراهيم ويخالف قبلته ﴿ إلا الذين ظلموا منهم ﴾ بالعناد، فإنهم يقولون: ما تحول إليها إلا ميلاً إلى دين آبائه، والاستثناء متصل(٦)، والمعنى: لا يكون لأحد عليكم كلام إلا كلام هؤلاء ﴿ فلا تخشوهم ﴾ تخافوا جدالهم في التولي إليها ﴿ واخشوني ﴾ بامتثال أمري ﴿ولأتم﴾ عطف على «لئلا يكون» ﴿نعمتي عليكم﴾ بالهداية إلى معالم دينكم ﴿ولعلكم تهتدون﴾ إلى الحق.

١٥١ ﴿ كما أرسلنا ﴾ متعلق بأتم، أي إتماماً كإتمامها بإرسالنا ﴿ فيكم رسولاً منكم ﴾ محمداً ﷺ ﴿ يتلو عليكم آياتنا ﴾ القرآن ﴿ ويزكيكم ﴾ يطهركم من الشرك ﴿ ويعلمكم الكتاب ﴾ القرآن ﴿ والحكمة ﴾ ما فيه من الأحكام(٧) ﴿ ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ﴾.

١٥٢ ﴿ فاذكروني ﴾ بالصلاة والتسبيح ونحوه ﴿ أذكركم ﴾ قيل: معناه أجازيكم، وفي الحديث: عن الله (من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير من ملئه)(٨) ﴿ واشكروا لي ﴾ نعمتي بالطاعة ﴿ ولا تكفرون ﴾ بالمعصية.

ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلّٖ
وِجۡهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَاۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ أَيۡنَ مَا تَكُونُواْ
يَأۡتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٤٨﴾
وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ
وَإِنَّهُۥ لَلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿١٤٩﴾
وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ
وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ
عَلَيۡكُمۡ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِي
وَلِأُتِمَّ نِعۡمَتِي عَلَيۡكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا
فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ
ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ﴿١٥١﴾
فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ﴿١٥٢﴾

---

(١) لأنه يدل على أن الشك يضر كل من قام به، بخلاف لا تمتر، فربما يوهم أنه لا يضر غيره.

(٢) هي قراءة ابن عامر، وهي سبعية.

(٣) قراءتان سبعيتان متواترتان.

(٤) أي قوله: ﴿ فول وجهك شطر المسجد الحرام ﴾.

(٥) أي لتأكيد هذا الحكم وتثبيته في عقولهم، وقد دعت الحاجة إلى ذلك لأنه أول واقعة يقع فيها النسخ في شرعنا.

(٦) وهو ما كان فيه المستثنى من جنس المستثنى منه، وهو هنا كذلك، لأن المستثنى منه، وهم الناس المذكورون قبل، ظالمون أيضاً، وهؤلاء مفرطون في الظلم.

(٧) وفسرت الحكمة بالسنة والفقه في الدين، ولعله أرجح.

(٨) أي من ذكرني خالياً ادخرت له من الأجر والثواب ما لا يطلع عليه أحد، ومن ذكرني في جماعة من الناس، مخلصاً في ذلك، باهيت به الملائكة المقربين ونشرت فضيلته، وأعلنت ماله من جزيل المثوبة والرضوان. والحديث أخرجه البخاري (في التوحيد، باب: قول الله تعالى ﴿ويحذركم الله نفسه﴾ [آل عمران: ٢٨] رقم: ٦٩٧٠) ومسلم (في الذكر والدعاء والتوبة، باب: الحث على ذكر الله تعالى، رقم: ٢٦٧٥) باختلاف في بعض الألفاظ.

فائدة: عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: بينا الناس بقباء في صلاة الصبح إذ جاءهم آتٍ فقال: إن رسول الله ﷺ قد أنزل عليه الليلة قرآن، وقد أمر أن يستقبل الكعبة، فاستقبلوها. وكانت وجوههم إلى الشام، فاستداروا إلى الكعبة. [أخرجه البخاري في القبلة، باب: ما جاء في القبلة. . .، رقم: ٣٩٥. ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة، باب: تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة، رقم: ٥٢٦] ولعل هذا المسجد هو الذي يسمى الآن مسجد القبلتين، والله تعالى أعلم.

١٥٣ ﴿ **يا أيها الذين آمنوا استعينوا** ﴾ على الآخرة ﴿ **بالصبر** ﴾ على الطاعة والبلاء ﴿ **والصلاة** ﴾ خصها بالذكر لتكررها وعظمها ﴿ **إن الله مع الصابرين** ﴾ بالعون.

١٥٤ ﴿**ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله**﴾ هم ﴿**أموات بل**﴾ هم ﴿**أحياء**﴾ أرواحهم في حواصل(١) طيور خضر، تسرح في الجنة حيث شاءت، لحديث بذلك ﴿**ولكن لا تشعرون**﴾ تعلمون ما هم فيه.

١٥٥ ﴿ **ولنبلونكم بشيء من الخوف** ﴾ للعدو ﴿ **والجوع** ﴾ القحط ﴿ **ونقص من الأموال** ﴾ بالهلاك ﴿ **والأنفس** ﴾ بالقتل والموت والأمراض ﴿ **والثمرات** ﴾ بالجوائح(٢)، أي لنختبرنكم، فننظر أتصبرون أم لا؟ ﴿ **وبشر الصابرين** ﴾ على البلاء بالجنة، وهم:

١٥٦ ﴿**الذين إذا أصابتهم مصيبة**﴾ بلاء ﴿**قالوا إنا لله**﴾ ملكاً وعبيداً، يفعل بنا ما يشاء ﴿**وإنا إليه راجعون**﴾ في الآخرة فيجازينا، وفي الحديث: (من استرجع(٣) عند المصيبة آجره الله فيها، وأخلف الله عليه خيراً). وفيه: أن مصباح النبي ﷺ طفيء، فاسترجع، فقالت عائشة: إنما هذا مصباح؟ فقال: (كل ما ساء المؤمن فهو مصيبة) رواه أبو داود في مراسليه(٤).

١٥٧ ﴿ **أولئك عليهم صلوات** ﴾ مغفرة ﴿ **من ربهم ورحمة** ﴾ نعمة ﴿ **وأولئك هم المهتدون** ﴾ إلى الصواب.

١٥٨ ﴿ **إن الصفا والمروة** ﴾ جبلان بمكة(٥) ﴿ **من شعائر الله** ﴾ أعلام دينه، جمع شعيرة ﴿ **فمن حج البيت أو اعتمر** ﴾ أي تلبس بالحج أو العمرة، وأصلهما القصد والزيارة ﴿ **فلا جناح** ﴾ إثم ﴿ **عليه أن يطوَّف** ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الطاء(٦) ﴿ **بهما** ﴾ بأن يسعى بينهما سبعاً، نزلت لما كره المسلمون ذلك، لأن أهل الجاهلية كانوا يطوفون بهما وعليهما صنمان يمسحونهما. وعن ابن عباس: أن السعي غير فرض، لما أفاده رفع الإثم من التخيير(٧). وقال الشافعي وغيره: ركن. وبيّن ﷺ فرضيته بقوله (إن الله كتب عليكم السعي) رواه البيهقي وغيره. وقال: (ابدؤوا بما بدأ الله به) يعني الصفا. رواه مسلم (١٢١٨)(٨) ﴿**ومن تطوع**﴾ وفي قراءة بالتحتية وتشديد الطاء مجزوماً، وفيه إدغام التاء فيها(٩) ﴿ **خيراً** ﴾ أي بخير، أي عمل ما لم يجب عليه من طواف وغيره ﴿ **فإن الله شاكر** ﴾ لعمله بالإثابة عليه ﴿ **عليم** ﴾ به.

١٥٩ ونزل في اليهود ﴿**إن الذين يكتمون**﴾ الناس(١٠) ﴿ **ما أنزلنا من البينات والهدى** ﴾ كآية الرجم(١١) ونعت محمد ﷺ ﴿ **من بعد ما بيناه للناس في الكتاب** ﴾ التوراة ﴿ **أولئك يلعنهم الله** ﴾ يبعدهم من رحمته ﴿ **ويلعنهم**

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ
مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ
أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَـٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُم
بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ
وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ
أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾
أُو۟لَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ
ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ * إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ
فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ
وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّـٰهُ
لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَـٰبِ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ

---

(١) جمع حَوْصَل وحَوْصَلة، وهي من الطير: انتفاخ في المريء، يختزن فيه الغذاء قبل وصوله إلى المعدة. والمعنى: أن الطيور لأرواح الشهداء كالهوادج لمن يجلس فيها. والحديث أخرجه الدارمي في الجهاد، باب: أرواح الشهداء.

(٢) جمع جائحة وهي الآفة المتلفة للزرع ونحوه.

(٣) قال: إنا لله وإنا إليه راجعون. (٤) باب: ما جاء في الجنائز. [إنما هذا مصباح: أي فهي تتعجب من استرجاعه لأمر لا شأن له]

(٥) وهما طرفا المسعى. (٦) أي أصله: يتطوف.

(٧) أي قوله ﴿فلا جناح﴾ يفيد أنه مخير بين السعي وعدمه، وهذا دليل عدم الفرضية.

(٨) البيهقي: الحج، باب: وجوب الطواف بين الصفا والمروة.. ومسلم: الحج، باب: حجة النبي ﷺ، واللفظ عنده: (ابدأ..).

(٩) أي ﴿يطوَّع﴾ وهي سبعية وأصله: يتطوع.

(١٠) يخفون عنهم الحق ويظهرون خلافه مع مسيس الحاجة إليه.

(١١) الثابتة في التوراة، وهي: أن من زنا يرجم، كما ثبت في الحديث الصحيح [البخاري: المحاربين، باب: أحكام أهل الذمة وإحصانهم..، رقم: ٦٤٥٠].

سبب نزول الآية [١٥٨]: عن عائشة رضي الله عنها قالت: إنما أنزلت هذه الآية في الأنصار، كانوا يهلون لمناة، وكانت مناة حذوَ قُدَيْد، وكانوا يتحرجون أن يطوفوا بين الصفا والمروة، فلما جاء الإسلام سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك، فأنزل الله: ﴿ إن الصفا.. ﴾ [البخاري: التفسير/=

اللاعنون ﴾ الملائكة والمؤمنون، أو كل شيء، بالدعاء عليهم باللعنة.

١٦٠ ﴿ إلا الذين تابوا ﴾ رجعوا عن ذلك ﴿ وأصلحوا ﴾ عملهم ﴿ وبينوا ﴾ ما كتموا ﴿ فأولئك أتوب عليهم ﴾ أقبل توبتهم ﴿ وأنا التواب الرحيم ﴾ بالمؤمنين.

١٦١ ﴿إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار﴾ حال(١) ﴿أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين﴾ أي هم مستحقون ذلك في الدنيا والآخرة، والناس: قيل: عام(٢)، وقيل: المؤمنون.

١٦٢ ﴿ خالدين فيها ﴾ أي اللعنة، أو النار المدلول بها عليها(٣) ﴿ لا يخفف عنهم العذاب ﴾ طرفة عين ﴿ ولا هم ينظرون ﴾ يمهلون لتوبة أو معذرة.

١٦٣ ونزل لما قالوا: صِف لنا ربك ﴿ وإلهكم ﴾ المستحق للعبادة منكم ﴿ إله واحد ﴾ لا نظير له في ذاته ولا في صفاته ﴿ لا إله إلا هو ﴾ هو ﴿ الرحمن الرحيم﴾. وطلبوا آية على ذلك(٤) فنزل:

١٦٤ ﴿إن في خلق السموات والأرض﴾ وما فيهما من العجائب ﴿واختلاف الليل والنهار﴾ بالذهاب والمجيء، والزيادة والنقصان ﴿ والفلك ﴾ السفن ﴿ التي تجري في البحر ﴾ ولا ترسب، موقرة(٥) ﴿ بما ينفع الناس ﴾ من التجارات والحَمْل(٦) ﴿ وما أنزل الله من السماء من ماء ﴾ مطر ﴿ فأحيا به الأرض ﴾ بالنبات ﴿ بعد موتها ﴾ يُبسها ﴿ وبث ﴾ فرق ونشر به ﴿ فيها من كل دابة ﴾ لأنهم ينمون بالخصب الكائن عنه(٧) ﴿ وتصريف الرياح ﴾ تقليبها جنوباً وشمالاً، حارة وباردة ﴿ والسحاب ﴾ الغيم ﴿ المسخر ﴾ المذلل بأمر الله تعالى، يسير إلى حيث شاء الله ﴿ بين السماء والأرض ﴾ بلا علاقة(٨) ﴿ لآيات ﴾ دالات على وحدانيته تعالى ﴿ لقوم يعقلون ﴾ يتدبرون.

١٦٥ ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله ﴾ أي غيره ﴿ أندادا ﴾ أصناماً(٩) ﴿ يحبونهم ﴾ بالتعظيم والخضوع ﴿ كحب الله ﴾ أي كحبهم له ﴿ والذين آمنوا أشد حبا لله ﴾ من حبهم(١٠) للأنداد، لأنهم لا يعدلون عنه بحال ما، والكفار يعدلون في الشدة إلى الله

٣١ (سـورة البقرة)

ٱللَّـٰعِنُونَ (١٥٩) إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ
أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ (١٦٠) إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ
وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١٦١) خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۖ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ
وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ (١٦٢) وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ
ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ (١٦٣) إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا
يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ
ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ
ٱلرِّيَـٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَـَٔايَـٰتٍ
لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٦٤) وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ
ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ

---

(١) أي جملة ﴿وهم كفار﴾ في محل نصب على الحالية، أي كفروا وماتوا حال كونهم كافرين. (٢) أي حتى الكفار، لأنهم يلعن بعضهم بعضاً. (٣) أي مدلول باللعنة على النار. (٤) دليلاً على ما تقدم من صفات الله عزّ وجلّ. (٥) محملة مملوءة. (٦) ما يحمل فيها غير التجارات. (٧) أي الحاصل عن الماء النازل من السماء. (٨) بكسر العين، أي بلا شيء يتعلق به ويحفظه من السقوط. (٩) يجعلونها نظراء لله تعالى وشركاء.

(١٠) أي من حب المشركين.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت النبي ﷺ: أي الذنب أعظم عند الله ؟ قال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك». قلت: إن ذلك لعظيم، قلت: ثم أي ؟ قال: «وأن تقتل ولدك تخاف أن يطعم معك». قلت: ثم أي ؟ قال: «أن تزاني حليلة جارك». [البخاري: التفسير، باب: قوله تعالى: ﴿فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون﴾ / البقرة: ٢٢/ رقم: ٤٢٠٧. مسلم: الإيمان، باب: كون الشرك أقبح الذنوب وبيان أعظمها بعده، رقم: ٨٦] [أعظم: أكثر إثماً وعقاباً. نداً: شريكاً، والند: المثل والنظير. أن يطعم معك: أن يأكل معك، وهو عنوان شدة البخل المتنافي مع الإيمان، إلى جانب الإخلال باعتقاد أن الله تعالى هو الرزاق، مع فظاعة قتل النفس بغير حق، وكلها آثام تستحق العقاب الشديد. تزاني: تزني فيها برضاها، وهذا يدل على أنه سلك معها مسالك الخداع حتى أغراها به، وأفسد على زوجها فراشه واستقراره. حليلة: زوجة، سميت بذلك لأنها تحل له].

=البقرة، باب: قوله ﴿ إن الصفا والمروة... ﴾ رقم: ٤٢٢٥. مسلم: الحج، باب: بيان أن السعي بين الصفا والمروة ركن...، رقم: ١٢٧٧]. يهلون: يحجون ويقصدون بالعبادة والتعظيم. مناة: اسم لصنم كانوا يعظمونه ويذبحون عنده. حذو: حذاء وإزاء. قديد: اسم موضع بين مكة والمدينة. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانت الشياطين في الجاهلية تطوف الليل أجمع بين الصفا والمروة، وكان بينهما أصنام لهم، فلما جاء الإسلام قال المسلمون: يا رسول الله، لا نطوف بين الصفا والمروة، فإنه شيء كنا نصنعه في الجاهلية. فأنزل الله هذه الآية. [أخرجه الحاكم في الحج، باب: الطواف بين الصفا والمروة من سنة أم إسماعيل عليهما السلام: ٢/٢٧١].

﴿ ولو ترى ﴾ تبصر يا محمد ﴿ الذين ظلموا ﴾(١) باتخاذ الأنداد ﴿ إذ يرون ﴾ بالبناء للفاعل والمفعول، يبصرون ﴿ العذاب ﴾ لرأيت أمراً عظيماً، وإذ بمعنى إذا(٢) ﴿ أن ﴾ أي لأن ﴿ القوة ﴾ القدرة والغلبة ﴿ لله جميعاً ﴾ حال ﴿ وأن الله شديد العذاب ﴾وفي قراءة«يَرى»والفاعل: قيل:ضمير السامع(٣)، وقيل: «الذين ظلموا(٤)» فهي بمعنى يعلم، وأن بعدها سدت مسد المفعولين، وجواب لو محذوف، والمعنى: لو علموا في الدنيا شدة عذاب الله، وأن القدرة لله وحده وقت معاينتهم له، وهو يوم القيامة، لما اتخذوا من دونه أنداداً.

١٦٦ ﴿ إذ ﴾ بدل من إذ قبله ﴿ تبرأ الذين اتبعوا ﴾ أي الرؤساء ﴿ من الذين اتُّبعوا ﴾ أي أنكروا إضلالهم ﴿ و ﴾ قد ﴿رأوا العذاب وتقطعت﴾ عطف على «تبرأ» ﴿بهم﴾عنهم ﴿الأسباب﴾ الوُصل(٥) التي كانت بينهم في الدنيا من الأرحام والمودة.

١٦٧ ﴿ وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة ﴾ رجعة إلى الدنيا ﴿ فنتبرأ منهم ﴾ أي المتبوعين ﴿ كما تبرؤوا منا ﴾ اليوم، ولو للتمني، ونتبرأ جوابه ﴿ كذلك ﴾ أي كما أراهم شدة عذابه وتبرأ بعضهم من بعض ﴿ يريهم الله أعمالهم ﴾ السيئة ﴿ حسرات ﴾ حال(٦)، ندامات ﴿ عليهم وما هم بخارجين من النار ﴾ بعد دخولها.

١٦٨ ونزل فيمن حرم السوائب ونحوها (٧) ﴿ يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً ﴾ حال (٨) ﴿ طيباً ﴾ صفة مؤكدة (٩)، أو مستلذاً(١٠) ﴿ ولا تتبعوا خطوات ﴾ طرق ﴿ الشيطان ﴾ أي تزيينه ﴿ إنه لكم عدو مبين ﴾ بين العداوة.

١٦٩ ﴿ إنما يأمركم بالسوء ﴾ الإثم ﴿ والفحشاء ﴾ القبيح شرعاً ﴿ وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ﴾ من تحريم ما لم يحرم وغيره.

١٧٠ ﴿ وإذا قيل لهم ﴾ أي الكفار ﴿ اتبعوا ما أنزل الله ﴾ من التوحيد وتحليل الطيبات ﴿ قالوا ﴾ لا ﴿ بل نتبع ما ألفينا ﴾ وجدنا ﴿ عليه آباءنا ﴾ من عبادة الأصنام وتحريم السوائب والبحائر(٧)، قال تعالى: ﴿ أ ﴾ يتبعونهم ﴿ ولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ﴾ من أمر الدين ﴿ ولا يهتدون ﴾ إلى الحق؟ والهمزة للإنكار(١١).

١٧١ ﴿ ومثل ﴾ صفة ﴿ الذين كفروا ﴾ ومن يدعوهم إلى الهدى ﴿ كمثل الذي ينعق ﴾ يصوت ﴿ بما لا يسمع إلا دعاء ونداء ﴾ أي صوتاً ولا يفهم معناه، أي هم في سماع الموعظة وعدم تدبرها كالبهائم، تسمع صوت راعيها ولا تفهمه، هم

وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ
جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ
ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ
ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ
مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ
عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟
مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ
إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ
وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟
مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ
كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ

---

(١) تعدوا وتجاوزوا الحد.

(٢) أي لأن إذ تضاف لما هو في الماضي، وإذا لما هو في المستقبل، ولكن لتحقق وقوع ما أضيفت إليه صار كأنه حصل ووقع، فعبر عنه بما يعبر به عن الماضي.

(٣) أي والذين ظلموا مفعوله.

(٤) أي الذين ظلموا هم الذين يرون.

(٥) جمع وصلة، وهي سبب الاتصال، والأسباب جمع سبب، وهو في الأصل الحبل الذي يرتقى به للشجرة، ثم أطلق على كل ما يتوصل به إلى شيء عيناً كان أو معنى.

(٦) من قوله: ﴿أعمالهم﴾.

(٧) انظر في السوائب والبحائر سورة المائدة، الآية. : ١٠٣.

(٨) من المأمور بأكله، أي حال كونه مأذوناً فيه شرعاً.

(٩) للحلال، لأنه هو الطيب وإن لم تستلذه النفوس.

(١٠) أي لا يمجه الطبع السليم.

(١١) أي الاستفهام الإنكاري الذي يفيد التعجب والتوبيخ.

سبب نزول الآية [١٧٠]: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: دعا رسول الله ﷺ اليهود إلى الإسلام ورغبهم فيه، وحذرهم عذاب الله ونقمته، فقال رافع بن حريملة ومالك بن عوف: بل نتبع يا محمد ما وجدنا عليه آباءنا، فهم كانوا أعلم وخيراً منا. فأنزل الله في ذلك: ﴿ وإذا قيل لهم... ﴾ الآية. [لباب النقول]. ولا مانع أن تكون نزلت في المشركين ـ كما ذكر المفسر ـ وفي اليهود، كما ذكر في أسباب النزول.

﴿ صم بكم عمي فهم لا يعقلون ﴾ الموعظة.

١٧٢ ﴿يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات﴾ حلالات ﴿ما رزقناكم واشكروا لله﴾ على ما أحل لكم ﴿إن كنتم إياه تعبدون﴾(١)

١٧٣ ﴿ إنما حرم عليكم الميتة ﴾ أي أكلها إذ الكلام فيه، وكذا ما بعدها، وهي ما لم يذك شرعاً(٢)، والحق بها بالسنة: ما أبين(٣) من حي، وخص منها السمك والجراد(٤) ﴿ والدم ﴾ أي المسفوح، كما في الأنعام(٥) ﴿ ولحم الخنزير ﴾ خص اللحم لأنه معظم المقصود، وغيره تبع له ﴿ وما أهل به لغير الله ﴾ أي ذبح على اسم غيره، والإهلال رفع الصوت، وكانوا يرفعونه عند الذبح لآلهتهم ﴿ فمن اضطر ﴾ ألجأته الضرورة إلى أكل شيء مما ذكر، فأكله ﴿ غير باغ ﴾ خارج على المسلمين ﴿ ولا عاد ﴾ متعد عليهم بقطع الطريق ﴿ فلا إثم عليه ﴾ في أكله ﴿ إن الله غفور ﴾ لأوليائه ﴿ رحيم ﴾ بأهل طاعته حيث وسع لهم في ذلك، وخرج الباغي والعادي، ويلحق بهما كل عاصٍ بسفره، كالآبق والمكاس(٦)، فلا يحل لهم أكل شيء من ذلك ما لم يتوبوا، وعليه الشافعي رضي الله عنه.

١٧٤ ﴿ إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ﴾ المشتمل على نعت محمد ﷺ، وهم اليهود ﴿ ويشترون به ثمناً قليلاً ﴾ من الدنيا، يأخذونه بدله من سفلتهم، فلا يظهرونه خوف فوته عليهم ﴿ أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار ﴾ لأنها مآلهم ﴿ ولا يكلمهم الله يوم القيامة ﴾ غضباً عليهم ﴿ ولا يزكيهم ﴾ يطهرهم من دنس الذنوب ﴿ ولهم عذاب أليم ﴾ مؤلم هو النار.

١٧٥ ﴿ أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ﴾ أخذوها بدله في الدنيا ﴿ والعذاب بالمغفرة ﴾ المعدة لهم في الآخرة لو لم يكتموا ﴿ فما أصبرهم على النار ﴾ أي ما أشد صبرهم، وهو تعجيب للمؤمنين من ارتكابهم موجباتها من غير مبالاة(٧)، وإلا فأي صبر لهم.

١٧٦ ﴿ ذلك ﴾ الذي ذكر من أكلهم النار وما بعده ﴿ بأن ﴾ بسبب أن ﴿ الله نزل الكتاب بالحق ﴾ متعلق بنزل، فاختلفوا فيه، حيث آمنوا ببعضه وكفروا ببعضه بكتمه ﴿ وإن الذين اختلفوا في الكتاب ﴾ بذلك، وهم اليهود، وقيل: المشركون في القرآن(٨)، حيث قال بعضهم شعر، وبعضهم سحر، وبعضهم كهانة ﴿ لفي شقاق ﴾ خلاف ﴿ بعيد ﴾ عن الحق.

١٧٧ ﴿ ليس البر(٩) أن تولوا وجوهكم ﴾ في الصلاة ﴿ قبل المشرق

صُمٌّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿١٧١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ
تَعۡبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ
وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ
فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا
قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ
ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾
أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡعَذَابَ بِٱلۡمَغۡفِرَةِۚ
فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَ
بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَفِي شِقَاقِۭ
بَعِيدٖ ﴿١٧٦﴾ ۞ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ

---

(١) روى مسلم (١٠١٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (أيها الناس، إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: ﴿يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم﴾/ المؤمنون: ٥١/. وقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾) [مسلم: الزكاة، باب: قبول الصدقة..].

[إن الله طيب: أي مقدس ومنزه عن النقائص. لا يقبل إلا طيباً: حلالاً مكتسباً من طريق مشروع ومختاراً من أجود الأموال].

(٢) لم يذبح الذبح الشرعي بشروطه المبينة في كتب الفقه.

(٣) أبين: قطع. جاء في الحديث: (ماقطع من البهيمة وهي حية فهي ميتة).[أبو داود: الضحايا. باب: في صيد قطع منه قطعة].

(٤) أي فهما حلالان وإن لم يذبحا، لقوله ﷺ: (أحلت لنا ميتتان ودمان: فأما الميتتان فالحوت والجراد، وأما الدمان فالكبد والطحال) رواه أحمد في مسنده [٢/٩٧].

(٥) في قوله تعالى ﴿أو دماً مسفوحاً﴾/الأنعام: ١٤٥/.

(٦) الأبق: هو العبد الفار من سيده الخارج عن طاعته. والمكاس: المسافر لأخذ المكس، وهو ما يأخذه العشار، وقد غلب على ما يأخذه أعوان السلطان ظلماً عند البيع والشراء، وفي الحديث: (لا يدخل الجنة صاحب مكس) [أبو داود: الخراج والإمارة، باب: في السعاية على الصدقة، رقم: ٢٩٣٧].

(٧) فعلهم ما يوجب لهم دخول النار والخلود فيها دون اكتراث منهم بذلك.

(٨) أي اختلفوا في القرآن.

(٩) البر: اسم جامع لكل الطاعات وأعمال الخير المقربة إلى الله تعالى، الموصلة للثواب والمؤدية إلى الجنة. وذكر في الآية خصال جامعة من البر، تكفل لمن التزمها سعادة الدنيا والآخرة.

والمغرب﴾ نزل رداً على اليهود والنصارى حيث زعموا ذلك[1] ﴿ ولكن البر ﴾ أي ذا البر، وقرىء بفتح الباء[2]، أي البار ﴿ من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب ﴾ أي الكتب ﴿ والنبيين وآتى المال على ﴾ مع ﴿ حبه ﴾ له ﴿ ذوي القربى ﴾ القرابة ﴿ واليتامى والمساكين وابن السبيل ﴾ المسافر ﴿ والسائلين ﴾ الطالبين ﴿ وفي ﴾ فك ﴿ الرقاب ﴾ المكاتبين[3] والأسرى ﴿ وأقام الصلاة وآتى الزكاة ﴾ المفروضة، وما قبله في التطوع[4] ﴿ والموفون بعهدهم إذا عاهدوا ﴾ الله أو الناس ﴿والصابرين﴾ نصب على المدح[5] ﴿ في البأساء ﴾ شدة الفقر ﴿ والضراء ﴾ المرض ﴿ وحين البأس ﴾ وقت شدة القتال في سبيل الله ﴿ أولئك ﴾ الموصوفون بما ذكر ﴿ الذين صدقوا ﴾ في إيمانهم، أو ادعاء البر ﴿ وأولئك هم المتقون ﴾ الله.

١٧٨ ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب ﴾ فرض ﴿ عليكم القصاص ﴾ المماثلة ﴿ في القتلى ﴾ وصفاً وفعلاً[6] ﴿ الحر ﴾ يقتل ﴿ بالحر ﴾ ولا يقتل بالعبد ﴿ والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى ﴾ وبينت السنة أن الذكر يقتل بها[7]، وأنه تعتبر المماثلة في الدين، فلا يقتل مسلم ولو عبداً بكافر ولو حراً[8] ﴿ فمن عفي له ﴾ من القاتلين ﴿ من ﴾ دم ﴿ أخيه ﴾ المقتول ﴿شيء﴾ بأن ترك القصاص منه، وتنكير شيء يفيد سقوط القصاص بالعفو عن بعضه، ومن بعض الورثة[9]. وفي ذكر أخيه تعطف داع إلى العفو، وإيذان بأن القتل لا يقطع أخوة الإيمان. ومن مبتدأ، شرطية أو موصولة، والخبر ﴿ فاتباع ﴾ أي فعلى العافي اتباع للقاتل ﴿ بالمعروف ﴾ بأن يطالبه بالدية بلا عنف، وترتيب الاتباع على العفو يفيد أن الواجب أحدهما[10]، وهو أحد قولي الشافعي، والثاني: الواجب القصاص، والدية بدل عنه، فلو عفا ولم يسمها فلا شيء، ورجح[11] ﴿ و ﴾ على القاتل ﴿ أداء ﴾ للدية ﴿ إليه ﴾ أي العافي، وهو الوارث ﴿ بإحسان ﴾ بلا مطل ولا بخس ﴿ ذلك ﴾ الحكم المذكور من جواز القصاص والعفو عنه على الدية ﴿ تخفيف ﴾ تسهيل ﴿ من ربكم ﴾ عليكم ﴿ ورحمة ﴾ بكم، حيث وسع في ذلك ولم يحتم واحداً منهما، كما حتم على اليهود القصاص، وعلى النصارى الدية ﴿ فمن اعتدى ﴾ ظلم القاتل بأن قتله ﴿ بعد ذلك ﴾ أي العفو ﴿ فله عذاب أليم ﴾ مؤلم في الآخرة بالنار، أو في الدنيا بالقتل.

١٧٩ ﴿ ولكم في القصاص حياة ﴾ أي بقاء عظيم ﴿ يا أولي الألباب ﴾ ذوي العقول، لأن القاتل إذا علم أنه يقتل ارتدع، فأحيا نفسه ومن أراد قتله، فشرع ﴿ لعلكم تتقون ﴾ القتل مخافة القود[12].

١٨٠ ﴿ كتب ﴾ فرض ﴿ عليكم

وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ
وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ
ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ
وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ
بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ
وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ
فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ
فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ
بِإِحْسَٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ
بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ
حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمْ

---

[1] فقد زعم النصارى أن البر في استقبال جهة طلوع الشمس، وزعم اليهود أن البر في استقبال بيت المقدس. والمراد بالمغرب ما عدا المشرق.

[2] وهي قراءة شاذة.

[3] جمع مكاتب، وهو العبد الذي تعاقد مع سيده على قدر من المال، إذا أداه أصبح حراً.

[4] أي ما ذكر قبل هذا ـ من إعطاء المال ذوي القربى وغيرهم ـ المراد به غير الزكاة الواجبة.

[5] بفعل محذوف تقديره: أمدح الصابرين، وخصهم بالذكر لأهمية الصبر في الاستمرار بأعمال البر.

[6] التماثل في الوصف بين القاتل والمقتول حتى يقتل به، كأن يكونا مسلمين أو حرين، والتماثل بالفعل بأن يقتل القاتل بمثل الآلة التي قتل بها.

[7] انظر البخاري: الخصومات، باب: ما يذكر في الأشخاص والملازمة. . .، رقم: ٢٢٨٢.

[8] انظر البخاري: العلم، باب كتابة العلم، رقم: ١١١.

[9] أي إن القصاص لا يتجزأ فسقوط بعضه يؤدي إلى سقوطه كله.

[10] أي الذي يجب بالقتل العمد أصلاً القصاص أو الدية، فإذا عفى عن القصاص وجبت الدية وإن لم ينص عليها.

[11] أي القول الثاني، وهو المعتمد في المذهب الشافعي.

[12] القصاص.

إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ إِن تَرَكَ خَيۡرًا ٱلۡوَصِيَّةُ لِلۡوَٰلِدَيۡنِ
وَٱلۡأَقۡرَبِينَ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ
بَعۡدَ مَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثۡمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ
سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿١٨١﴾ فَمَنۡ خَافَ مِن مُّوصٖ جَنَفًا أَوۡ إِثۡمٗا
فَأَصۡلَحَ بَيۡنَهُمۡ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٨٢﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى
ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ
فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ
وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ
خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ
تَعۡلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى
لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ

إذا حضر أحدكم الموت ﴾ أي أسبابه ﴿ إن ترك خيراً ﴾ مالاً ﴿ الوصية ﴾ مرفوع بكتب. ومتعلق إذا إن كانت ظرفية، ودال على جوابها ـ إن كانت شرطية ـ وجواب إن(١)، أي فليوص ﴿للوالدين والأقربين بالمعروف﴾ بالعدل، بأن لا يزيد على الثلث ولا يفضل الغني ﴿حقاً﴾ مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله(٢) ﴿على المتقين﴾ الله. وهذا(٣)منسوخ بآية الميراث، وبحديث: (ولا وصية لوارث) رواه الترمذي [الوصايا، باب: ما جاء لا وصية لوارث، رقم: ٢١٢١].

١٨١ ﴿فمن بدله﴾ أي الإيصاء، من شاهد ووصي ﴿بعد ما سمعه﴾ علمه ﴿فإنما إثمه﴾ أي الإيصاء المبدل ﴿على الذين يبدلونه ﴾ فيه إقامة الظاهر مقام المضمر(٤)﴿ إن الله سميع ﴾ لقول الموصي ﴿ عليم ﴾ بفعل الوصي، فمجاز عليه.

١٨٢ ﴿ فمن خاف من موصٍ ﴾ مخففاً ومثقلاً ﴿ جنفاً ﴾ ميلاً عن الحق خطأً ﴿ أو إثماً ﴾ بأن تعمد ذلك، بالزيادة على الثلث، أو تخصيص غني مثلاً ﴿ فأصلح بينهم ﴾ بين الموصي والموصى له بالأمر بالعدل ﴿ فلا إثم عليه ﴾ في ذلك ﴿ إن الله غفور رحيم ﴾.

١٨٣ ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب ﴾ فرض ﴿ عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم ﴾ من الأمم ﴿ لعلكم تتقون﴾ المعاصي، فإنه يكسر الشهوة التي هي مبدؤها(٥).

١٨٤ ﴿ أياماً ﴾ نصب بالصيام(٦)، أو بصوموا مقدراً ﴿ معدودات ﴾ أي قلائل، أو مؤقتات بعدد معلوم، وهي رمضان كما سيأتي، وقلله تسهيلاً على المكلفين(٧) ﴿ فمن كان منكم ﴾ حين شهوده ﴿ مريضاً أو على سفر ﴾ أي مسافراً سفر القصر(٨)، وأجهده الصوم في الحالين فأفطر ﴿ فعدة ﴾ فعليه عدة ما أفطر ﴿ من أيام أخر ﴾ يصومها بدله ﴿ وعلى الذين ﴾ لا ﴿ يطيقونه ﴾ لكبر أو مرض لا يرجى برؤه ﴿ فدية ﴾ هي ﴿ طعام مسكين ﴾ أي قدر ما يأكله في يومه، وهو مد(٩) من غالب قوت البلد لكل يوم، وفي قراءة بإضافة فدية(١٠) وهي للبيان. وقيل: «لا» غير مقدرة(١١)، وكانوا مخيرين في صدر الإسلام بين الصوم والفدية، ثم نسخ بتعيين الصوم بقوله «فمن شهد منكم الشهر فليصمه». قال ابن عباس: إلا الحامل والمرضع، إذا أفطرتا خوفاً على الولد، فإنها باقية بلا نسخ في حقهما(١٢) ﴿فمن تطوع خيراً﴾ بالزيادة على القدر المذكور في الفدية ﴿فهو﴾ أي التطوع ﴿خير له وأن تصوموا﴾ مبتدأ، خبره ﴿خير لكم﴾ من الإفطار والفدية ﴿إن كنتم تعلمون﴾ أنه خير لكم فافعلوه.

١٨٥ تلك الأيام ﴿ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن ﴾ من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، في ليلة القدر منه(١٣) ﴿هدى﴾ حال، هادياً من الضلالة ﴿للناس وبينات﴾ آيات واضحات ﴿ من الهدى ﴾ مما يهدي إلى الحق من الأحكام ﴿ و ﴾ من ﴿ الفرقان ﴾ مما يفرق بين الحق والباطل=

---

(١) أي إذا كانت إذا ظرفية محضة بمعنى الوقت كان العامل فيها قوله ﴿الوصية﴾ والمعنى: كتب عليكم أن يوصي أحدكم وقت حضور الموت له. وإذا كانت ظرفية متضمنة معنى الشرط كان لفظ الوصية دالاً على جوابها وجواب إن في قوله: ﴿إن ترك﴾.

(٢) لأن الكتب لا يكون إلا حقاً.

(٣) أي نسخ وجوب الوصية لمن ذكر بآيات الميراث في سورة النساء.

(٤) أي قيل: إثمه على الذين يبدلونه بدل أن يقال: إثمه عليه، زيادة في فضيحتهم.

(٥) دل على هذا قوله ﷺ: (يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء) ـ متفق عليه ـ أي قطع لشهوته. والباءة الجماع، وتكون القدرة عليها بالقدرة على مؤن الزواج.

(٦) على أنه ظرف له، أي الصيام في أيام.

(٧) أي ذكره بصيغة جمع القلة، ليسهل عليهم الإقدام عليه.

(٨) أي يباح فيه قصر الصلاة. (٩) مكيال يزن ما يسعه ٦٠٠ غرام.

(١٠) أي ﴿ فديةُ طعام ﴾ بغير تنوين.

(١١) في قوله ﴿وعلى الذين يطيقونه﴾.

(١٢) أبو داود: الصوم، باب: من قال هي مثبتة للشيخ والحبلى.

(١٣) أخرج أحمد (٤/١٠٧) عن واثلة بن الأسقع رضي الله =

﴿ فمن شهد ﴾ حضر ﴿ منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر ﴾ تقدم مثله، وكرر لئلا يتوهم نسخه بتعميم من شهد(١) ﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾ ولذا أباح لكم الفطر في المرض والسفر، ولكون ذلك في معنى العلة أيضاً للأمر بالصوم(٢) عطف عليه ﴿ ولتُكمِلُوا ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿ العدة ﴾ أي عدة صوم رمضان ﴿ ولتكبروا الله ﴾ عند إكمالها ﴿ على ما هداكم ﴾ أرشدكم لمعالم دينه ﴿ ولعلكم تشكرون ﴾ الله على ذلك.

١٨٦ وسأل جماعة النبي ﷺ: أقريب ربنا فنناجيَه، أم بعيد فنناديَه؟ فنزل: ﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب ﴾ منهم بعلمي، فأخبرهم بذلك ﴿ أجيب دعوة الداع إذا دعان ﴾ بإنالته ما سأل ﴿ فليستجيبوا لي ﴾ دعائي بالطاعة ﴿ وليؤمنوا ﴾ يداوموا على الإيمان ﴿ بي لعلهم يرشدون ﴾ يهتدون.

١٨٧ ﴿ أحل لكم ليلة الصيام الرفث ﴾ بمعنى الإفضاء(٣) ﴿ إلى نسائكم ﴾ بالجماع، نزل نسخاً لما كان في صدر الإسلام من تحريمه وتحريم الأكل والشرب بعد العشاء ﴿ هن لباس لكم وأنتم لباس لهن ﴾ كناية عن تعانقهما، أو احتياج كل منهما إلى صاحبه(٤) ﴿ علم الله أنكم كنتم تختانون ﴾ تخونون ﴿ أنفسكم ﴾ بالجماع ليلة الصيام، وقع ذلك لعمر وغيره، واعتذروا إلى النبي ﷺ ﴿ فتاب عليكم ﴾ قبل توبتكم ﴿ وعفا عنكم فالآن ﴾ إذا أحل لكم ﴿ باشروهن ﴾ جامعوهن ﴿ وابتغوا ﴾ اطلبوا ﴿ ما كتب الله لكم ﴾ أي أباحه من الجماع، أو قدره من الولد ﴿ وكلوا واشربوا ﴾ الليل كله ﴿ حتى يتبين ﴾ يظهر ﴿ لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ﴾ أي الصادق، بيان للخيط الأبيض، وبيان الأسود محذوف، أي من الليل، شبه ما يبدو من البياض وما يمتد معه من الغبش بخيطين: أبيض وأسود، في الامتداد. ﴿ثم أتموا الصيام﴾ من الفجر ﴿إلى الليل﴾ أي إلى دخوله بغروب الشمس ﴿ولا تباشروهن﴾ أي نساءكم ﴿وأنتم عاكفون﴾ مقيمون بنية الاعتكاف ﴿في المساجد﴾ متعلق بـ«عاكفون» نهي لمن كان يخرج وهو معتكف، فيجامع امرأته ويعود ﴿تلك﴾ الأحكام المذكورة ﴿حدود الله﴾ حدها لعباده ليقفوا عندها ﴿فلا تقربوها﴾ أبلغ من «لا

ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ
أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ
ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٨٥﴾
وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ
إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ﴿١٨٦﴾
أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡۚ هُنَّ لِبَاسٞ
لَّكُمۡ وَأَنتُمۡ لِبَاسٞ لَّهُنَّۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَخۡتَانُونَ
أَنفُسَكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡ وَعَفَا عَنكُمۡۖ فَٱلۡـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ
وَٱبۡتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ
لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ
ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ
فِي ٱلۡمَسَٰجِدِۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقۡرَبُوهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ

= عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (أنزلت صحف إبراهيم عليه السلام في أول ليلة من رمضان، وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان، والإنجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان، وأنزل الفرقان لأربع وعشرين خلت من رمضان).

(١) أي لفظ ﴿من شهد﴾ يعم المسافر والمريض وغيرهما، فقد يوهم نسخ ما سبق من جواز الفطر.

(٢) أي إن قوله ﴿يريد..﴾ علة لإباحة الفطر في السفر والمرض، تبين أنه أريد به التوسعة على المكلف، وكذلك هو في معنى العلة للأمر بصوم القضاء، ولذا عطف عليه ﴿لتكملوا..﴾ ليكون علة ثانية تبين أن القضاء على التوسعة أيضاً، فالمطلوب فيه صيام أيام بعدد ما أفطر، من غير تقييد بزمن معين أو وجوب تتابع أو مبادرة عقب زوال العذر.

(٣) هو في الأصل معناه: أن لا يكون بينك وبين الشيء حائل، وكذلك الرفث: هو الكلام الذي يستقبح لفظه من ذكر الجماع ودواعيه، والمراد بهما هنا الجماع.

(٤) فكل منهما يشبه اللباس من حيث إنه يستر الآخر ويحفظه.

سبب نزول الآية [١٨٦]: عن معاوية بن حيدة رضي الله عنه قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: أقريب ربنا فنناجيَه، أم بعيد فنناديَه؟ فسكت عنه، فأنزل الله: ﴿ وإذا سألك... ﴾ [لباب النقول] نناجيه: نسأله وندعوه سراً، أو بصوت منخفض.

سبب نزول الآية [١٨٧]: عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النساء رمضان كله، وكان رجال يخونون أنفسهم، فأنزل الله: ﴿ علم الله أنكم كنتم تختانون... ﴾. وقال: كان أصحاب محمد ﷺ إذا كان الرجل صائماً فحضر الإفطار، فنام قبل أن يفطر، لم يأكل ليلته ولا يومه حتى يمسي، وإن قيس بن صرمة الأنصاري كان صائماً، فلما حضر الإفطار أتى امرأته فقال لها: أعندك طعام؟ قالت: لا، ولكن أنطلق فأطلب لك. وكان يومه يعمل، فغلبته عيناه، فجاءته امرأته، فلما رأته قالت: خيبة لك. فلما انتصف النهار غشي عليه، فذكر=

تعتدوها»(١)، المعبر به في آية أخرى [البقرة: ٢٢٩] **﴿كذلك﴾** كما بين لكم ما ذكر **﴿يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون﴾** محارمه.

١٨٨ **﴿ ولا تأكلوا أموالكم بينكم ﴾** أي لا يأكل بعضكم مال بعض **﴿ بالباطل ﴾** الحرام شرعاً، كالسرقة والغصب **﴿ و ﴾** لا **﴿ تدلوا ﴾** تلقوا **﴿ بها ﴾** أي بحكومتها(٢)، أو بالأموال رشوة **﴿ إلى الحكام لتأكلوا ﴾** بالتحاكم **﴿ فريقاً ﴾** طائفة **﴿ من أموال الناس ﴾** متلبسين **﴿ بالإثم وأنتم تعلمون ﴾** أنكم مبطلون.

١٨٩ **﴿ يسألونك ﴾** يا محمد **﴿ عن الأهلة ﴾** جمع هلال(٣)، لِمَ تبدو دقيقة ثم تزيد حتى تمتلىء نوراً، ثم تعود كما بدت، ولا تكون على حالة واحدة كالشمس؟ **﴿ قل ﴾** لهم **﴿ هي مواقيت ﴾** جمع ميقات **﴿ للناس ﴾** يعلمون بها أوقات زرعهم ومتاجرهم، وعِدد نسائهم وصيامهم وإفطارهم **﴿ والحج ﴾** عطف على الناس، أي يعلم بها وقته، فلو استمرت على حالة لم يعرف ذلك **﴿ وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ﴾** في الإحرام، بأن تنقبوا فيها نقباً تدخلون منه وتخرجون، وتتركوا الباب، وكانوا يفعلون ذلك ويزعمونه براً(٤) **﴿ولكن البر﴾** أي ذا البر **﴿من اتقى﴾** الله بترك مخالفته **﴿ وأتوا البيوت من أبوابها ﴾** في الإحرام كغيره **﴿ واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾** تفوزون.

١٩٠ ولما صُدَّ ﷺ عن البيت عام الحديبية، وصالح الكفار على أن يعود العام القابل، ويخلوا له مكة ثلاثة أيام، وتجهز لعمرة القضاء، وخافوا أن لا تفي قريش ويقاتلوهم، وكره المسلمون قتالهم في الحرم والإحرام والشهر الحرام، نزل **﴿ وقاتلوا في سبيل الله ﴾** أي لإعلاء دينه **﴿ الذين يقاتلونكم ﴾** من الكفار **﴿ ولا تعتدوا ﴾** عليهم بالابتداء بالقتال **﴿ إن الله لا يحب المعتدين ﴾** المتجاوزين ما حد لهم، وهذا منسوخ بآية براءة(٥) وبقوله:

١٩١ **﴿ واقتلوهم حيث ثقفتموهم ﴾** وجدتموهم **﴿ وأخرجوهم من حيث أخرجوكم ﴾** أي من مكة، وقد فعل بهم ذلك عام الفتح **﴿ والفتنة ﴾** الشرك منهم **﴿ أشد ﴾** أعظم **﴿ من القتل ﴾** لهم في الحرم أو الإحرام الذي استعظمتموه **﴿ ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام ﴾** أي في الحرم **﴿ حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم ﴾** فيه **﴿فاقتلوهم﴾** فيه، وفي قراءة بلا ألف في الأفعال الثلاثة(٦) **﴿كذلك﴾** القتل والإخراج **﴿جزاء الكافرين﴾**.

١٩٢ **﴿ فإن انتهوا ﴾** عن الكفر وأسلموا **﴿ فإن الله غفور ﴾** لهم **﴿ رحيم ﴾** بهم. ١٩٣ **﴿ وقاتلوهم حتى**

ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم
بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ وَتُدۡلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلۡحُكَّامِ لِتَأۡكُلُواْ فَرِيقٗا
مِّنۡ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلۡإِثۡمِ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ ۞ يَسۡـَٔلُونَكَ
عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِۖ قُلۡ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلۡحَجِّۗ وَلَيۡسَ ٱلۡبِرُّ
بِأَن تَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰۗ
وَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِنۡ أَبۡوَٰبِهَاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿١٨٩﴾
وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ
إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ
وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ
وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِۖ
فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ فَٱقۡتُلُوهُمۡۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾
فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٩٢﴾ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ

---

(١) أي لا تتجاوزوها، والنهي عن المقاربة نهي عن المجاوزة وزيادة.

(٢) الخصومة في الأموال.

(٣) هو أول حال القمر حين يراه الناس أول ليلة من الشهر.

(٤) انظر البخاري: أبواب العمرة، باب قول الله تعالى: ﴿وأتوا البيوت..﴾.

(٥) وهي قوله تعالى: ﴿وقاتلوا المشركين كافة﴾/التوبة: ٣٦/أي بدؤوكم بالقتال أم لا، فقد نسخت النهي عن قتال الكفار إذا لم يقاتلونا، وكذلك الآية التالية بعد هذه الآية.

(٦) فتصير التلاوة: ﴿ولا تقتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقتلوكم فيه فإن قتلوكم فاقتلوهم﴾. والمعنى: لا تأخذوا في أسباب قتلهم حتى يأخذوا بأسباب قتلكم...

ذلك للنبي ﷺ، فنزلت هذه الآية: ﴿ أحل لكم... ﴾ ففرحوا بها فرحاً شديداً، ونزلت: ﴿ وكلوا واشربوا... ﴾ [البخاري: الصوم، باب: قول الله جلّ ذكره ﴿ أحـل لكم... ﴾ رقم: ١٨١٦، والتفسير/ البقرة، باب: ﴿ أحل لكم.. ﴾ رقم: ٤٢٣٨] يخونون أنفسهم: يظلمونها بارتكاب المخالفة بمجامعة نسائهم. خيبّة لك: لم تنل مطلوبك وحرمت مما أحضرته لك من الطعام.

سبب نزول الآية [١٨٩]: عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن معاذ بن جبل وثعلبة بن غنمة قالا: يا رسول الله، ما بال الهلال يبدو ـ أو يطلع ـ دقيقاً مثل الخيط، ثم يزيد حتى يعظم ويستوي ويستدير، ثم لا يزال ينقص ويدق حتى يعود كما كان، لا يكون على حال واحد؟ فنزلت: ﴿ يسألونك... ﴾. [لباب النقول].

﴿ **لا تكون** ﴾ توجد ﴿ **فتنة** ﴾ شرك ﴿ **ويكون الدين** ﴾ العبادة ﴿ **لله** ﴾ وحده لا يعبد سواه ﴿ **فإن انتهوا** ﴾ عن الشرك فلا تتعدوا عليهم، دل على هذا ﴿ **فلا عدوان** ﴾ اعتداء بقتل أو غيره ﴿ **إلا على الظالمين** ﴾ ومن انتهى فليس بظالم، فلا عدوان عليه.

١٩٤ ﴿ **الشهر الحرام** ﴾ المحرم مقابل ﴿ **بالشهر الحرام** ﴾ فكما قاتلوكم فيه فاقتلوهم في مثله، رد لاستعظام المسلمين ذلك ﴿ **والحرمات** ﴾ جمع حرمة، ما يجب احترامه ﴿ **قصاص** ﴾ أي يقتص بمثلها إذا انتهكت ﴿ **فمن اعتدى عليكم** ﴾ بالقتال في الحرم، أو الإحرام، أو الشهر الحرام ﴿ **فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم** ﴾ سمى مقابلته اعتداء لشبهها بالمقابَل به(١) في الصورة ﴿ **واتقوا الله** ﴾ في الانتصار وترك الاعتداء ﴿ **واعلموا أن الله مع المتقين** ﴾ بالعون والنصر.

١٩٥ ﴿ **وأنفقوا في سبيل الله** ﴾ طاعته بالجهاد وغيره ﴿ **ولا تلقوا بأيديكم** ﴾ أي أنفسكم، والباء زائدة ﴿ **إلى التهلكة** ﴾ الهلاك، بالإمساك عن النفقة في الجهاد أو تركه، لأنه يقوي العدو عليكم ﴿ **وأحسنوا** ﴾ بالنفقة وغيرها ﴿ **إن الله يحب المحسنين** ﴾ أي يثيبهم.

(الجــزء الثانى)		٣٨

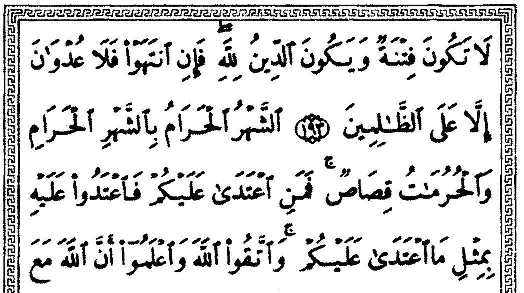
لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ
إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٣﴾ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ
وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ
بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ
الْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ
إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾
وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ
الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ
فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ
مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ
بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ
فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ

١٩٦ ﴿ **وأتموا الحج والعمرة لله** ﴾ أدوهما بحقوقهما ﴿ **فإن أحصرتم** ﴾ منعتم عن إتمامهما بعدو ﴿ **فما استيسر** ﴾ تيسر ﴿ **من الهدي** ﴾ عليكم، وهو شاة ﴿ **ولا تحلقوا رؤوسكم** ﴾ أي لا تتحللوا ﴿ **حتى يبلغ الهدي** ﴾ المذكور ﴿ **محله** ﴾ حيث يحل ذبحه، وهو مكان الإحصار عند الشافعي(٢)، فيذبح فيه بنية التحلل، ويفرق على مساكينه، ويحلق، وبه(٣) يحصل التحلل ﴿ **فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه** ﴾ كقمل وصداع فحلق في الإحرام ﴿ **ففدية** ﴾ عليه ﴿ **من صيام** ﴾ لثلاثة أيام ﴿ **أو صدقة** ﴾ بثلاثة آصع(٤) من غالب قوت البلد، على ستة مساكين ﴿ **أو نسك** ﴾ أي ذبح شاة، وأو للتخيير، وألحق به من حلق لغير عذر، لأنه أولى بالكفارة، وكذا من استمتع بغير الحلق كالطيب واللبس والدهن(٥)، لعذر أو غيره ﴿ **فإذا أمنتم** ﴾ العدو، بأن ذهب أو لم يكن ﴿ **فمن تمتع** ﴾ استمتع ﴿ **بالعمرة** ﴾ أي بسبب فراغه منها، بمحظورات الإحرام ﴿ **إلى الحج** ﴾ أي إلى الإحرام به، بأن يكون أحرم بها في أشهره ﴿ **فما استيسر** ﴾ تيسر ﴿ **من الهدي** ﴾ عليه، وهو شاة يذبحها بعد الإحرام به(٦)، والأفضل يوم النحر ﴿ **فمن لم يجد** ﴾ الهدي لفقده أو فقد ثمنه ﴿ **فصيام** ﴾ أي فعليه صيام ﴿ **ثلاثة أيام في الحج** ﴾ أي في حال الإحرام به، فيجب حينئذٍ أن يحرم قبل السابع من ذي الحجة، والأفضل قبل السادس، لكراهة صوم يوم عرفة، ولا يجوز صومها أيام التشريق على أصح قولي الشافعي ﴿ **وسبعة إذا رجعتم** ﴾ إلى وطنكم، مكة أو غيرها، وقيل: إذا فرغتم من أعمال الحج، وفيه التفات عن الغيبة(٧) ﴿ **تلك عشرة كاملة** ﴾ جملة تأكيد لما قبلها(٨) ﴿ **ذلك** ﴾ الحكم المذكور من وجوب الهدي أو الصيام على من تمتع ﴿ **لمن لم يكن** ﴾

---

(١) وهو الاعتداء منهم، وإلا فالرد على المعتدي مجازاة له على فعله، وليس اعتداءاً.

(٢) وكذلك عند مالك رحمه الله تعالى، وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى: لا بد أن يذبح في الحرم.

(٣) أي بالذبح والحلق.

(٤) جمع صاع، وهو كيل يسع ما يزن ٢٤٠٠ غرام تقريباً.

(٥) ما يستعمل من الأدهان للزينة كزيت الشعر.

(٦) أي يتحقق وجوب الذبح بعد الإحرام بالحج، ويجوز أن يذبح بعد التحلل من العمرة وقبل الإحرام بالحج.

(٧) وهي قوله تعالى: ﴿فمن تمتع.. فمن لم يجد﴾.

(٨) وهو ذكر الثلاثة والسبعة.

أهله حاضري المسجد الحرام ﴾ بأن لم يكونوا على دون مرحلتين(١) من الحرم عند الشافعي، فإن كان فلا دم عليه ولا صيام وإن تمتع: وفي ذكر الأهل إشعار باشتراط الاستيطان، فلو أقام قبل أشهر الحج ولم يستوطن وتمتع فعليه ذلك، وهو أحد وجهين عند الشافعي، والثاني لا. والأهل كناية عن النفس(٢)، وألحق بالتمتع فيما ذكر بالسنة(٣) القارن، وهو من أحرم بالعمرة والحج معاً، أو يدخل الحج عليها قبل الطواف ﴿ **واتقوا الله** ﴾ فيما يأمركم به وينهاكم عنه ﴿ **واعلموا أن الله شديد العقاب** ﴾ لمن خالفه.

١٩٧ ﴿ **الحج** ﴾ وقته ﴿ **أشهر معلومات** ﴾ شوّال وذو القعدة وعشر ليالٍ من ذي الحجة، وقيل كله(٤) ﴿ **فمن فرض** ﴾ على نفسه(٥) ﴿ **فيهن الحج** ﴾ بالإحرام به ﴿ **فلا رفث** ﴾ جماع فيه ﴿ **ولا فسوق** ﴾ معاص ﴿ **ولا جدال** ﴾ خصام ﴿ **في الحج** ﴾ وفي قراءة بفتح الأولين(٦)، والمراد في الثلاثة النهي(٧) ﴿ **وما تفعلوا من خير** ﴾ كصدقة ﴿ **يعلمه الله** ﴾ فيجازيكم به. ونزل في أهل اليمن، وكانوا يحجون بلا زاد، فيكونون كلاًّ(٨) على الناس ﴿ **وتزودوا** ﴾ ما يبلغكم لسفركم ﴿ **فإن خير الزاد التقوى** ﴾ ما يتقى به سؤال الناس وغيره ﴿ **واتقون يا أولي الألباب** ﴾ ذوي العقول.

١٩٨ ﴿ **ليس عليكم جناح** ﴾ في ﴿ **أن تبتغوا** ﴾ تطلبوا ﴿ **فضلاً** ﴾ رزقاً ﴿ **من ربكم** ﴾ بالتجارة في الحج، نزل رداً لكراهتهم ذلك ﴿ **فإذا أفضتم** ﴾ دفعتم ﴿ **من عرفات** ﴾ بعد الوقوف بها ﴿ **فاذكروا الله** ﴾ بعد المبيت بمزدلفة، بالتلبية والتهليل والدعاء ﴿ **عند المشعر الحرام** ﴾ هو جبل في آخر المزدلفة يقال له قزح، وفي الحديث: أنه ﷺ وقف به يذكر الله ويدعو حتى أسفر جداً(٩): رواه مسلم [١٢١٨] ﴿**واذكروه كما هداكم**﴾ لمعالم دينه ومناسك حجه، والكاف للتعليل(١٠) ﴿ **وإن** ﴾ مخففة(١١) ﴿**كنتم من قبله**﴾ قبل هداه ﴿**لمن الضالين**﴾(١٢).

١٩٩ ﴿ **ثم أفيضوا** ﴾ يا قريش ﴿ **من حيث أفاض الناس** ﴾ أي من عرفة، بأن تقفوا بها معهم، وكانوا يقفون بالمزدلفة ترفعاً عن الوقوف معهم، وثم للترتيب في الذكر(١٣) ﴿ **واستغفروا الله** ﴾ من ذنوبكم ﴿ **إن الله غفور** ﴾ للمؤمنين ﴿ **رحيم** ﴾ بهم.

٢٠٠ ﴿ **فإذا قضيتم** ﴾ أديتم ﴿ **مناسككم** ﴾ عبادات حجكم بأن رميتم جمرة العقبة، وطفتم واستقررتم بمنى ﴿ **فاذكروا الله** ﴾ بالتكبير والثناء ﴿ **كذكركم آباءكم** ﴾ كما=

كَامِلَةٌۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمۡ يَكُنۡ أَهۡلُهُۥ حَاضِرِي ٱلۡمَسۡجِدِ
ٱلۡحَرَامِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿١٩٦﴾
ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ
وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ
يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۚ وَٱتَّقُونِ
يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا
مِّن رَّبِّكُمۡۚ فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ
ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ وَإِن كُنتُم مِّن قَبۡلِهِۦ
لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ
وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيۡتُم
مَّنَٰسِكَكُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗاۗ
فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَمَا لَهُۥ

---

(١) وهي مسافة القصر، وتقدر بإحدى وثمانين كيلو متراً تقريباً.

(٢) أي لم يكن هو نفسه مستوطناً، وكني بالأهل عن ذلك لأن الغالب أن يستوطن الإنسان حيث يقيم أهله.

(٣) انظر البيهقي: الحج، باب: إدخال الحج على العمرة، وباب: القارن يهريق دماً: ٣٤٦/٤، ٣٥٣.

(٤) وفائدة ذلك أنه إذا لم يتحلل يوم النحر كان له أن يتحلل في بقية الشهر ولا يلزمه دم، وهو مذهب مالك رحمه الله تعالى.

(٥) ألزمها الدخول في أفعاله، فرضاً كان أم نفلاً.

(٦) في قوله تعالى: ﴿فلا رفثَ ولا فسوقَ ولا جدال﴾ ثلاث قراءات متواترة: الأولى ببناء الجميع على الفتح كما ذكرت، والثانية برفع الجميع مع التنوين، والثالثة برفع الأولين مع التنوين وبناء الثالث على الفتح.

(٧) أي هي أخبار مستعملة للنهي، وهذا أبلغ من صريح النهي، لأن فيه إشارة إلى أنها مما ينبغي أن لا يقع أصلاً.

(٨) عالةً وثقلاً، وكانوا حديثي عهد بالإسلام، وكانوا يقولون: نحن متوكلون، نحج بيت ربنا، أفلا يطعمنا؟ فإذا قدموا مكة سألوا الناس.

(٩) أي دخل في السفر ـ وهو ضياء أول النهار ـ وبالغ في ذلك.

(١٠) وما مصدرية، أي اذكروه لأجل هدايته لكم.

(١١) من [إنَّ] والأصل: وإنَّه..

(١٢) التائهين عن الهداية والحق.

(١٣) أي للترتيب في ذكر هذه الأفعال، لا للترتيب في الزمان الذي تقع فيه، لأن الإفاضة قبل المبيت بمزدلفة والذكر عند المشعر الحرام.

كنتم تذكرونهم عند فراغ حجكم بالمفاخرة ﴿ أو أشد ذكراً ﴾ من ذكركم إياهم، ونصب أشد على الحال من ذكر المنصوب باذكروا(١)، إذ لو تأخر عنه لكان صفة له(٢) ﴿ فمن الناس من يقول ربنا آتنا ﴾ نصيبنا ﴿ في الدنيا ﴾ فيؤتاه فيها ﴿ وما له في الآخرة من خلاق ﴾ نصيب.

٢٠١ ﴿ ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة ﴾ نعمة ﴿ وفي الآخرة حسنة ﴾ هي الجنة ﴿ وقنا عذاب النار ﴾ بعدم دخولها. وهذا بيان لما كان عليه المشركون ولحال المؤمنين (٣)، والقصد به الحث على طلب خير الدارين، كما وعد بالثواب عليه بقوله:

٢٠٢ ﴿ أولئك لهم نصيب ﴾ ثواب ﴿ من ﴾ أجل ﴿ ما كسبوا ﴾ عملوا من الحج والدعاء ﴿ والله سريع الحساب ﴾ يحاسب الخلق كلهم في قدر نصف يوم من أيام الدنيا، لحديث بذلك (٤).

٢٠٣ ﴿ واذكروا الله ﴾ بالتكبير عند رمي الجمرات ﴿ في أيام معدودات ﴾ أي أيام التشريق الثلاثة ﴿ فمن تعجل ﴾ أي استعجل بالنفر من منى ﴿ في يومين ﴾ أي في ثاني أيام التشريق بعد رمي جماره ﴿ فلا إثم عليه ﴾ بالتعجيل ﴿ ومن تأخر ﴾ بها حتى بات ليلة الثالث ورمى جماره ﴿ فلا إثم عليه ﴾ بذلك، أي هم مخيرون في ذلك، ونفي الإثم ﴿ لمن اتقى ﴾ الله في حجه، لأنه الحاج في الحقيقة(٥) ﴿واتقوا الله واعلموا أنكم إليه تحشرون﴾ في الآخرة، فيجازيكم بأعمالكم.

٢٠٤ ﴿ ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ﴾ ولا يعجبك في الآخرة، لمخالفته لاعتقاده ﴿ ويشهد الله على ما في قلبه ﴾ أنه موافق لقوله ﴿ وهو ألد الخصام ﴾ شديد الخصومة لك ولأتباعك، لعداوته لك، وهو الأخنس بن شريق، كان منافقاً، حلو الكلام للنبي ﷺ، يحلف أنه مؤمن ومحب له، فيدني مجلسه(٦)، فأكذبه الله في ذلك(٧). ومر بزرع وحُمُر(٨) لبعض المسلمين فأحرقه وعقرها(٩) ليلاً، كما قال تعالى:

٢٠٥ ﴿ وإذا تولى ﴾ انصرف عنك ﴿ سعى ﴾ مشى ﴿ في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل ﴾(١٠) من جملة الفساد ﴿والله لا يحب الفساد﴾ أي لا يرضى به.

٢٠٦ ﴿ وإذا قيل له اتق الله ﴾ في فعلك ﴿ أخذته العزة﴾ حملته الأنفة والحمية على العمل ﴿بالإثم﴾(١١) الذي أمر باتقائه ﴿ فحسبه ﴾ كافيه ﴿ جهنم ولبئس المهاد﴾ الفراش هي.

٢٠٧ ﴿ ومن الناس من يشري ﴾ يبيع ﴿ نفسه ﴾ أي يبذلها في طاعة الله ﴿ ابتغاء ﴾ طلب ﴿ مرضاة الله ﴾ رضاه، وهو صهيب، لما آذاه المشركون هاجر إلى

فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا
فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾
أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾
* وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ
فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَٱتَّقُوا۟
ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ
مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ
مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ
فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ
لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ
بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ
مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ

---

(١) والمعنى: فاذكروا الله ذكراً مماثلاً لذكركم آباءكم أو أكثر منه.

(٢) والقاعدة: أن الصفة إذا قدمت على الموصوف أعربت حالاً.

(٣) أي فقد كان المشركون في حجهم يسألون الله تعالى الدنيا ونعيمها، وكان المسلمون يجمعون في دعائهم بين خيري الدنيا والآخرة، فبين الله تعالى حال الفريقين في هذه الآيات.

(٤) وقيل: المراد بالمحاسبة المجازاة على الأعمال، أو المراد: أن وقت محاسبتهم قريب، وهو يوم القيامة، لأن ما هو آتٍ قريب. وفي هذا حث على المبادرة بالطاعات.

(٥) أي نفي الإثم في التعجيل أو التأخير خاص بمن اتقى الله تعالى في حجه، بالتزام آدابه، لأنه هو الحاج حقيقة لانتفاعه بحجه. وأما غيره فحاج اسماً، فلا رخصة له، ولا ينتفي عنه الإثم أصلاً.

(٦) أي بقربه ﷺ منه في مجلسه.

(٧) أي كذبه في دعواه. (٨) جمع حمار.

(٩) قطع قوائمها. (١٠) يتلف الزرع وما يولد من الحيوانات.

(١١) دفعه التكبر والعصبية الجاهلية على ارتكاب الظلم والتعدي.

سبب نزول الآية [٢٠٧]: عن سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى قال: أقبل صهيب ـ رضي الله عنه ـ مهاجراً إلى النبي ﷺ، فاتبعه نفر من قريش، فنزل عن راحلته وانتشل ما في كنانته ثم قال: يا معشر قريش، لقد علمتم أني من أرماكم رجلاً، وايم الله لا تصلون إليّ حتى أرمي كل سهم =

المدينة وترك لهم ماله ﴿ والله رؤوف بالعباد ﴾ حيث أرشدهم لما فيه رضاه.

٢٠٨ ونزل في عبد الله بن سلام وأصحابه، لما عظموا السبت وكرهوا الإبل(١)، بعد الإسلام ﴿ **يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السِّلم** ﴾ بفتح السين وكسرها: الإسلام ﴿ **كافة** ﴾ حال من السلم، أي في جميع شرائعه ﴿ **ولا تتبعوا خطوات** ﴾ طرق ﴿ **الشيطان** ﴾ أي تزيينه بالتفريق ﴿ **إنه لكم عدو مبين** ﴾ بين العداوة.

٢٠٩ ﴿ **فإن زللتم** ﴾ ملتم عن الدخول في جميعه ﴿ **من بعد ما جاءتكم البينات** ﴾ الحجج الظاهرة على أنه حق ﴿ **فاعلموا أن الله عزيز** ﴾ لا يعجزه شيء عن انتقامه منكم ﴿ **حكيم** ﴾ في صنعه.

٢١٠ ﴿ **هل** ﴾ ما ﴿ **ينظرون** ﴾ ينتظر التاركون الدخول فيه ﴿ **إلا أن يأتيهم الله** ﴾ أي أمره، كقوله: «أو يأتي أمر ربك» /النحل: ٣٣/ أي عذابه ﴿ **في ظلل** ﴾ جمع ظلة(٢) ﴿ **من الغمام** ﴾ السحاب(٣) ﴿**والملائكة(٤)** ﴾ ﴿**وقضي الأمر**﴾ تُمَّ أمر هلاكهم ﴿ **وإلى الله تُرْجِعُ الأمور**﴾(٥) بالبناء للمفعول والفاعل، في الآخرة، فيجازي كلًا بعمله.

٢١١ ﴿ **سل** ﴾ يا محمد ﴿ **بني إسرائيل** ﴾ تبكيتاً(٦) ﴿ **كم آتيناهم** ﴾ كم استفهامية(٧) معلقة سل عن المفعول الثاني(٨)، وهي ثاني مفعولي آتينا، ومميزها ﴿ **من آية بينة** ﴾ ظاهرة، كفلق البحر، وإنزال المنّ والسلوى، فبدلوها كفراً(٩) ﴿**ومن يبدل نعمة الله**﴾ أي ما أنعم به عليه من الآيات، لأنها سبب الهداية ﴿**من بعد ما جاءته**﴾ كفراً ﴿**فإن الله شديد العقاب**﴾ له.

٢١٢ ﴿ **زين للذين كفروا** ﴾ من أهل مكة ﴿ **الحياة الدنيا**﴾ بالتمويه(١٠)، فأحبوها ﴿ **و** ﴾ هم ﴿ **يسخرون من الذين آمنوا** ﴾ لفقرهم، كبلال وعمار وصهيب، أي يستهزئون بهم ويتعالون عليهم بالمال ﴿ **والذين اتقوا** ﴾ الشرك، وهم هؤلاء ﴿ **فوقهم يوم القيامة والله يرزق من يشاء بغير حساب** ﴾ أي رزقاً واسعاً في الآخرة، أو الدنيا، بأن يملك المسخور منهم أموال الساخرين ورقابهم.

٢١٣ ﴿ **كان الناس أمة واحدة** ﴾ على الإيمان، فاختلفوا، بأن آمن بعض وكفر بعض ﴿ **فبعث الله النبيين** ﴾ إليهم ﴿ **مبشرين** ﴾ من آمن بالجنة ﴿ **ومنذرين** ﴾ من كفر بالنار ﴿ **وأنزل معهم الكتاب** ﴾ بمعنى الكتب ﴿ **بالحق** ﴾ متعلق بأنزل ﴿**ليحكم**﴾ به(١١) ﴿ **بين الناس**

بِٱلۡعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ
وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٢٠٨﴾
فَإِن زَلَلۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡكُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ
عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ
فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ
تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٢١٠﴾ سَلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ كَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّنۡ
ءَايَةِۭ بَيِّنَةٖۗ وَمَن يُبَدِّلۡ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ
شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢١١﴾ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا
وَيَسۡخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَ
ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٢١٢﴾ كَانَ
ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ
وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ

---

(١) وقد كانت محرمة على بني إسرائيل، انظر تفسير الآية (١٤٧) من سورة الأنعام.

(٢) الظلة: ما يستظل به، وأكثر ما تقال فيما يستوخم ويكره.

(٣) الذي يظنونه رحمة وغيثاً، بينما يكون فيه هلاكهم.

(٤) الموكلون بتعذيبهم وإهلاكهم.

(٥) أمور العباد جميعهم.

(٦) تقريعاً وتوبيخاً على عدم إيمانهم، وإقامة للحجة عليهم، لا للاستعلام منهم.

(٧) تقريرية، أي لحملهم على الإقرار، وهو لا ينافي التبكيت.

(٨) أي مانعة له عن العمل لفظاً لا محلاً، لأن الاستفهام له صدر الكلام، فلا يعمل فيه ما قبله، وجملة ﴿كم آتيناهم﴾ سدت مسد المفعول الثاني لسل.

(٩) أي بدلوا ما تستوجبه ـ وهو الإيمان بها ـ كفراً، وفي هذا تسلية للنبي ﷺ في عدم إيمانهم به، طالما أنهم كفروا بما جاءهم على يد موسى عليه السلام من معجزات.

(١٠) بالتحسين الظاهري وببهجتها وزخرفها.

(١١) كل نبي بين أمته.

= معي في كنانتي، ثم أضرب بسيفي ما بقي في يدي منه شيء، ثم افعلوا ما شئتم، وإن شئتم دللتكم على مالي بمكة وخليتم سبيلي. قالوا: نعم. فلما قدم على النبي ﷺ المدينة قال: (ربح البيع أبا يحيى، ربح أبا يحيى). ونزلت: ﴿ ومن الناس من يشري . . . ﴾ [لباب النقول، أسباب النزول].

سبب نزول الآية [٢٠٨]: أخرج ابن جرير عن عكرمة رحمه الله تعالى قال: قال عبدالله بن سلام وثعلبة وابن يامين وأسد وأسيد ابنا كعب، =

فيما اختلفوا فيه ﴾ من الدين **﴿ وما اختلف فيه ﴾** أي الدين **﴿ إلا الذين أوتوه ﴾** أي الكتاب، فآمن بعض وكفر بعض **﴿ من بعد ما جاءتهم البينات ﴾** الحجج الظاهرة على التوحيد، ومن متعلقة باختلف، وهي وما بعدها(١) مقدم على الاستثناء في المعنى(٢) **﴿ بغياً ﴾** من الكافرين **﴿ بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من ﴾** للبيان(٣) **﴿ الحق بإذنه ﴾** بإرادته **﴿ والله يهدي من يشاء ﴾** هدايته **﴿ إلى صراط مستقيم ﴾** طريق الحق.

٢١٤ ونزل في جهد أصاب المسلمين(٤) **﴿ أم ﴾** بل أ **﴿ حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما ﴾** لم **﴿ يأتكم مثل ﴾** شبه ما أتى **﴿ الذين خلوا من قبلكم ﴾** من المؤمنين من المحن، فتصبروا كما صبروا **﴿ مستهم ﴾** جملة مستأنفة مبينة لما قبلها **﴿ البأساء ﴾** شدة الفقر **﴿ والضراء ﴾** المرض **﴿ وزلزلوا ﴾** أزعجوا بأنواع البلاء **﴿ حتى يقولُ ﴾** بالنصب والرفع، أي قال **﴿الرسول والذين آمنوا معه﴾** استبطاءً للنصر(٥)، لتناهي الشدة عليهم **﴿متى﴾** يأتي **﴿نصر الله﴾** الذي وعدناه، فأجيبوا من قِبَل الله **﴿ ألا إن نصر الله قريب ﴾** إتيانه.

٢١٥ ﴿ يسألونك ﴾ يا محمد **﴿ ماذا ينفقون ﴾** أي الذي ينفقونه؟ والسائل عمرو بن الجموح، وكان شيخاً ذا مال، فسأل النبي ﷺ عما ينفق، وعلى من ينفق؟ **﴿ قل ﴾** لهم **﴿ ما أنفقتم من خير ﴾** بيان لما(٦)، شامل للقليل والكثير، وفيه بيان المُنفق الذي هو أحد شقي السؤال، وأجاب عن المصرف الذي هو الشق الآخر بقوله: **﴿ فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل ﴾** أي هم أولى به **﴿ وما تفعلوا من خير ﴾** إنفاق أو غيره **﴿ فإن الله به عليم ﴾** فمجاز عليه.

٢١٦ ﴿ كتب ﴾ فرض **﴿ عليكم القتال ﴾**(٧) للكفار **﴿ وهو كره ﴾** مكروه **﴿ لكم ﴾** طبعاً، لمشقته **﴿ وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم ﴾** لميل النفس إلى الشهوات الموجبة لهلاكها، ونفورها عن التكليفات الموجبة لسعادتها، فلعل لكم في القتال ـ وإن كرهتموه ـ خيراً، لأن فيه: إما الظفر والغنيمة، أو الشهادة والأجر، وفي تركه ـ وإن أحببتموه ـ شراً، لأن فيه الذل والفقر، وحرمان الأجر **﴿ والله يعلم ﴾** ما هو خير لكم **﴿ وأنتم لا تعلمون ﴾** ذلك، فبادروا إلى ما يأمركم به.

فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ وَمَا ٱخۡتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ
بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهۡدِي
مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ
ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ
ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ﴿٢١٤﴾ يَسۡـَٔلُونَكَ
مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلۡ مَآ أَنفَقۡتُم مِّنۡ خَيۡرٖ فَلِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ
وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ
فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ﴿٢١٥﴾ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ
لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن
تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٢١٦﴾

---

(١) وهو قوله ﴿بغياً﴾. ومعنى بغياً: ظلماً وتعدياً، وهو منصوب على الحال.

(٢) فيكون المعنى: وما اختلف في الدين أحد من بعد ظهور الحججِ الواضحة، حال كون الاختلاف بغياً، إلا الذين أوتوه.

(٣) أي من بيانية، أتي بها لبيان المختلف فيه وأنه من الحق.

(٤) مشقة وضيق عيش وشدة بلاء. قيل: نزلت بسبب ما أصابهم في غزوة الخندق وحصار الكفار لهم، وقيل: بسبب ما أصابهم بعد الهجرة أول الأمر.

(٥) لا شكاً وارتياباً في نصرة الله تعالى لهم.

(٦) أي ﴿من خير﴾ بيان لقوله ﴿ما أنفقتم﴾.

(٧) وهو فرض على الكفاية، إذا قام به بعض المسلمين سقط الطلب عن الباقين. روى البخاري(الجهاد، باب: وجوب النفير. . ، رقم: ٢٦٧٠) ومسلم (الحج، باب: تحريم مكة وصيدها. . ، رقم: ١٣٥٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة: (لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا).

= وسعد بن عمرو وقيس بن زيد، وكلهم من يهود، قالوا: يا رسول الله، يوم السبت كنا نعظمه فدعنا فلنسبت فيه، وإن التوراة كتاب الله فدعنا فلنقم بها الليل. فنزلت: ﴿ يا أيها الذين آمنوا. . . ﴾ وذكر أن هنا من قال: إنها نزلت في دعوة أهل الكتاب إلى الدخول في الإسلام، ثم قال: والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله جلّ ثناؤه أمر الذين آمنوا بالدخول في العمل بشرائع الإسلام كلها، وقد يدخل في الذين آمنوا المصدقون بمحمد ﷺ وبما جاء به، والمصدقون بمن قبله من الأنبياء والرسل وما جاؤوا به، وقد دعا الله عزّ وجلّ كلا الفريقين إلى العمل بشرائع الإسلام =

٢١٧ وأرسل النبي ﷺ أول سراياه، وعليها عبد الله بن جحش، فقاتلوا المشركين، وقتلوا ابن الحضرمي، آخر يوم من جمادى الآخرة، والتبس عليهم برجب⁽¹⁾، فعيرهم الكفار باستحلاله، فنزل ﴿ يسألونك عن الشهر الحرام ﴾ المحرم ﴿ قتال فيه ﴾ بدل اشتمال⁽²⁾ ﴿ قل ﴾ لهم ﴿ قتال فيه كبير ﴾ عظيم وزراً⁽³⁾، مبتدأ وخبر ﴿ وصد ﴾ مبتدأ، منع للناس ﴿ عن سبيل الله ﴾ دينه ﴿ وكفر به ﴾ بالله ﴿ و ﴾ صد عن ﴿ المسجد الحرام ﴾ أي مكة ﴿ وإخراج أهله منه ﴾ وهم النبي ﷺ والمؤمنون، وخبر المبتدأ ﴿ أكبر ﴾ أعظم وزراً ﴿ عند الله ﴾ من القتال فيه ﴿ والفتنة ﴾ الشرك منكم ﴿ أكبر من القتل ﴾ لكم فيه ﴿ ولا يزالون ﴾ أي الكفار ﴿ يقاتلونكم ﴾ أيها المؤمنون ﴿ حتى ﴾ كي ﴿ يردوكم عن دينكم ﴾ إلى الكفر ﴿ إن استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت ﴾ بطلت ﴿ أعمالهم ﴾ الصالحة ﴿ في الدنيا والآخرة ﴾ فلا اعتداد بها ولا ثواب عليها، والتقييد بالموت عليه⁽⁴⁾ يفيد: أنه لو رجع إلى الإسلام لم يبطل عمله، فيثاب عليه، ولا يعيده، كالحج مثلاً، وعليه الشافعي⁽⁵⁾ رضي الله عنه ﴿ وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾.

٢١٨ ولما ظن السرية أنهم إن سلموا من الإثم فلا يحصل لهم أجر نزل ﴿ إن الذين آمنوا والذين هاجروا ﴾ فارقوا أوطانهم ﴿ وجاهدوا في سبيل الله ﴾ لإعلاء دينه ﴿ أولئك يرجون رحمت الله ﴾ ثوابه ﴿ والله غفور ﴾ للمؤمنين ﴿ رحيم ﴾ بهم.

٢١٩ ﴿يسألونك عن الخمر والميسر﴾ القمار، ما حكمهما؟ ﴿ قل ﴾ لهم ﴿ فيهما ﴾ أي في تعاطيهما ﴿ إثم كبير ﴾ عظيم، وفي قراءة بالمثلثة⁽⁶⁾، لما يحصل بسببهما من المخاصمة والمشاتمة وقول الفحش ﴿ ومنافع للناس ﴾ باللذة والفرح في الخمر، وإصابة المال بلا كد في الميسر ﴿ وإثمهما ﴾ أي ما ينشأ عنهما من المفاسد ﴿ أكبر ﴾ أعظم ﴿ من نفعهما ﴾ ولما نزلت شربها قوم وامتنع آخرون إلى أن حرمتها آية المائدة /٩٠، ٩١/ ﴿ويسألونك ماذا ينفقون ﴾ أي ما قدره؟ ﴿ قل ﴾ أنفقوا ﴿ العفوَ ﴾ أي الفاضل عن الحاجة، ولا تنفقوا ما تحتاجون إليه وتضيعوا أنفسكم، وفي قراءة بالرفع بتقدير هو ﴿ كذلك ﴾ أي كما بين لكم ما ذكر ﴿ يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون ﴾.

يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۗ
وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ
أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ
وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ
ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ
فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ
أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ
رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ * يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ
ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ
وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ
ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾

---

(١) وهو من الأشهر الحرم.

(٢) أي قوله ﴿قتال فيه﴾ بدل اشتمال من ﴿الشهر الحرام﴾ لأنه مشتمل على القتال لوقوعه فيه، والمعنى: يسألونك عن حكم القتال في الشهر الحرام.

(٣) أي لو كان لم يسبق منكم ما يبرره، مما هو أعظم منه وزراً، وأكبر شراً.

(٤) أي على الكفر والردة.

(٥) وعند أبي حنيفة رحمه الله تعالى: الردة تبطل العمل وإن رجع إلى الإسلام.

(٦) أي ﴿كثير﴾ وهي قراءة متواترة.

=وحدوده، والمحافظة على فرائضه التي فرضها، ونهاهم عن تضييع شيء من ذلك، فالآية عامة لكل من شمله اسم الإيمان، فلا وجه لخصوص بعض بها دون بعض.

سبب نزول الآية [٢١٧، ٢١٨]: عن جندب بن عبدالله رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ بعث رهطاً وبعث عليهم عبدالله بن جحش رضي الله عنه، فلقوا ابن الحضرمي فقتلوه، ولم يدروا أن ذلك اليوم من رجب أو من جمادىٰ، فقال المشركون للمسلمين: قتلتم في الشهر الحرام، فأنزل الله تعالى: ﴿ يسألونك عن الشهر الحرام. . . ﴾ فقال بعضهم: إن لم يكونوا أصابوا وزراً فليس لهم أجر، فأنزل الله تعالى: ﴿ إن الذين آمنوا والذين هاجروا. . . ﴾. [لباب النقول].

سبب نزول الآية [٢١٩]: عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن نفراً من الصحابة حين أمروا بالنفقة في سبيل الله أتوا النبي ﷺ فقالوا: إنا لا ندري ما هذه النفقة التي أمرنا بها في أموالنا، فما ننفق منها؟ فأنزل الله تعالى: ﴿ ويسألونك ماذا ينفقون. . ﴾. [لباب النقول].

٢٢٠ ﴿ في ﴾ أمر ﴿ الدنيا والآخرة ﴾ فتأخذوا بالأصلح لكم فيهما ﴿ ويسألونك عن اليتامى ﴾ وما يلقونه من الحرج في شأنهم، فإن واكلوهم يأثموا، وإن عزلوا مالهم من أموالهم وصنعوا لهم طعاماً وحدهم فحرج؟ ﴿ قل إصلاح لهم ﴾ في أموالهم بتنميتها، ومداخلتكم ﴿ خير ﴾ من ترك ذلك ﴿ وإن تخالطوهم ﴾ أي تخلطوا نفقتكم بنفقتهم ﴿ فإخوانكم ﴾ أي فهم إخوانكم في الدين، ومن شأن الأخ أن يخالط أخاه، أي فلكم ذلك ﴿ والله يعلم المفسد ﴾ لأموالهم بمخالطته ﴿ من المصلح ﴾ بها، فيجازي كلاً منهما ﴿ ولو شاء الله لأعنتكم ﴾[1] لضيق عليكم بتحريم المخالطة ﴿ إن الله عزيز ﴾ غالب على أمره ﴿ حكيم ﴾ في صنعه.

٢٢١ ﴿ ولا تنكحوا ﴾ تتزوجوا أيها المسلمون ﴿ المشركات ﴾ أي الكافرات ﴿ حتى يؤمنَّ ولأمة مؤمنة خير من مشركة ﴾ حرة، لأن سبب نزولها العيب على من تزوج أمة، وترغيبه في نكاح حرة مشركة ﴿ ولو أعجبتكم ﴾ لجمالها ومالها، وهذا مخصوص بغير الكتابيات[2] بآية «والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب»/ المائدة: ٥/ ﴿ ولا تنكحوا ﴾ تزوجوا ﴿ المشركين ﴾ أي الكفار، المؤمنات ﴿ حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم ﴾ لماله وجماله ﴿أولئك﴾ أي أهل الشرك ﴿يدعون إلى النار﴾ بدعائهم إلى العمل الموجب لها، فلا تليق مناكحتهم[3] ﴿ والله يدعو﴾ على لسان رسله ﴿إلى الجنة والمغفرة﴾ أي العمل الموجب لهما ﴿ بإذنه ﴾ بإرادته، فتجب إجابته بتزويج أوليائه[4] ﴿ ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون ﴾ يتعظون.

٢٢٢ ﴿ ويسألونك عن المحيض ﴾ أي الحيض، أو مكانه، ماذا يفعل بالنساء فيه؟ ﴿ قل هو أذى ﴾ قذر، أو محله ﴿ فاعتزلوا النساء ﴾ اتركوا وطأهن ﴿ في المحيض ﴾ أي وقته، أو مكانه ﴿ ولا تقربوهن ﴾ بالجماع ﴿ حتى يطْهُرن ﴾ بسكون الطاء، وتشديدها والهاء[5]، وفيه إدغام التاء في الأصل في الطاء، أي يغتسلن بعد انقطاعه ﴿ فإذا تطهرن فأتوهن ﴾ بالجماع ﴿ من حيث أمركم الله ﴾ بتجنبه في الحيض، وهو القبل، ولا تعدوه إلى غيره ﴿ إن الله يحب ﴾ يثيب ويكرم ﴿التوابين﴾ من الذنوب ﴿ويحب المتطهرين﴾ من الأقذار.

٢٢٣ ﴿ نساؤكم حرث لكم ﴾ أي محل زرعكم الولد ﴿ فأتوا حرثكم ﴾ أي محله، وهو القبل ﴿ أنى ﴾ كيف

فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ
لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ
مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ
حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾ وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ
مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟
ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ
وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى
ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ
يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى
فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ
فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ
ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ

---

(١) لأوقعكم في العنت وهو المشقة.

(٢) أي النهي عن تزوج المشركات وإن كان عاماً يتناول الكتابيات ـ اليهوديات والنصرانيات ـ والوثنيات، لكنه مخصوص بالوثنيات، لتصريح آية المائدة بحل الكتابيات.

(٣) أي تزويجهم والتزوج منهم.

(٤) الذين يتولاهم ويتولونه وهم المسلمون.

(٥) أي ﴿يَطَّهَّرْنَ﴾ وأصلها: يتطهرن.

سبب نزول الآية [٢٢٠]: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت ﴿ ولا تقربوا مال اليتيم. . . ﴾ [الأنعام: ١٥٢] و﴿ إن الذين يأكلون أموال اليتامى. . . ﴾ [النساء: ١٠] انطلق من كان عنده يتيم فعزل طعامه من طعامه وشرابه من شرابه، فجعل يفضل له الشيء من طعامه فيحبس له حتى يأكله أو يفسد، فاشتد ذلك عليهم، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ، فأنزل الله: ﴿ ويسألونك عن اليتامى. . . ﴾. [لباب النقول].

سبب نزول الآية [٢٢١]: عن مقاتل رحمه الله تعالى قال: نزلت في أبي مرثد الغنوي رضي الله عنه استأذن النبي ﷺ في عناق أن يتزوجها، وهي امرأة مسكينة من قريش، وكانت ذات حظ من جمال، وهي مشركة وأبو مرثد مسلم، فقال: يا نبي الله إنها لتعجبني. فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿ ولا تنكحوا المشركات. . ﴾.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: نزلت في عبدالله بن رواحة رضي الله عنه، كانت له أمة سوداء، وإنه غضب عليها فلطمها، ثم إنه فزع فأتى النبي ﷺ فأخبره خبرها فقال له النبي ﷺ: (ما هي يا عبد الله). فقال: هي تصوم وتصلي وتحسن الوضوء وتشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسوله. فقال: (يا عبد الله هي مؤمنة). فقال: لأعتقنها ولأتزوجنها. ففعل، فطعن عليه ناس من المسلمين فقالوا: نكح أمة. فأنزل الله: ﴿ولأمة مؤمنة. . ﴾.

سبب نزول الآية [٢٢٢]: عن أنس رضي الله عنه: أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها، ولم يجامعوها في البيوت، فسأل

﴿ شئتم ﴾ من قيام وقعود واضطجاع وإقبال وإدبار، ونزل رداً لقول اليهود: من أتى امرأته في قبلها - أي من وجهة دبرها - جاء الولد أحول(١). **﴿ وقدموا لأنفسكم ﴾** العمل الصالح، كالتسمية عند الجماع(٢) **﴿ واتقوا الله ﴾** في أمره ونهيه **﴿ واعلموا أنكم ملاقوه ﴾** بالبعث، فيجازيكم بأعمالكم **﴿ وبشر المؤمنين ﴾** الذين اتقوه بالجنة.

٢٢٤ **﴿ ولا تجعلوا الله ﴾** أي الحلف به **﴿ عرضة ﴾** علة مانعة **﴿ لأيمانكم ﴾** أي نَصَباً(٣) لها، بأن تكثروا الحلف به **﴿ أن ﴾** لا **﴿ تبروا وتتقوا ﴾** فتكره اليمين على ذلك، ويسن فيه الحنث ويكفر(٤)، بخلافها على فعل البر ونحوه فهي طاعة **﴿ وتصلحوا بين الناس ﴾** المعنى: لا تمتنعوا من فعل ما ذكر من البر ونحوه إذا حلفتم عليه، بل ائتوه وكفِّروا، لأن سبب نزولها الامتناع من ذلك **﴿ والله سميع ﴾** لأقوالكم **﴿ عليم ﴾** بأحوالكم.

٢٢٥ **﴿ لا يؤاخذكم الله باللغو ﴾** الكائن **﴿ في أيمانكم ﴾** وهو ما يسبق إليه اللسان من غير قصد الحلف، نحو: لا والله، وبلىٰ والله، فلا إثم فيه ولا كفارة **﴿ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم﴾** أي قصدته من الأيمان، إذا حنثتم **﴿والله غفور ﴾** لما كان من اللغو **﴿ حليم ﴾** بتأخير العقوبة عن مستحقها.

فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ
وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ
عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۗ
وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ
وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ
حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ
أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ
عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ
يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ
مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ
وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا ۚ
وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ

٢٢٦ **﴿ للذين يؤلون من نسائهم ﴾** أي يحلفون أن لا يجامعوهن **﴿ تربص ﴾** انتظار **﴿ أربعة أشهر فإن فاؤوا ﴾** رجعوا فيها أو بعدها عن اليمين إلى الوطء **﴿ فإن الله غفور﴾** لهم ما أتوه من ضرر المرأة بالحلف **﴿رحيم﴾** بهم.

٢٢٧ **﴿ وإن عزموا الطلاق ﴾** أي عليه، بأن لا يفيئوا، فليوقعوه **﴿ فإن الله سميع ﴾** لقولهم **﴿ عليم ﴾** بعزمهم، المعنىٰ: ليس لهم بعد تربص ما ذكر إلا الفيئة أو الطلاق.

٢٢٨ **﴿ والمطلقات يتربصن ﴾** أي لينتظرن **﴿ بأنفسهن ﴾** عن النكاح **﴿ ثلاثة قروء ﴾** تمضي من حين الطلاق، جمع قَرْء - بفتح القاف - وهو الطهر أو الحيض، قولان، وهذا في المدخول بهن، أما غيرهن فلا عدة عليهن، لقوله: «فما لكُم عليهنّ من عِدَّةٍ» [الأحزاب: ٤٩] وفي غير الآيسة والصغيرة(٥): فعدتهن ثلاثة أشهر، والحوامل: فعدتهن أن يضعن حملهن، كما في سورة الطلاق [الآية: ٤] والإماء: فعدتهن قرءان بالسنّة(٦) **﴿ ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن ﴾** من الولد أو الحيض **﴿ إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر وبعولتهن ﴾** أزواجهن **﴿ أحق بردهن ﴾** بمراجعتهن ولو أبَيْنَ **﴿ في ذلك ﴾** أي في زمن التربص **﴿ إن أرادوا إصلاحاً ﴾** بينهما، لا إضرار المرأة، وهو تحريض على قصده لا شرط لجواز الرجعة(٧)، وهذا في=

---

(١) البخاري التفسير باب: نساؤكم حرث.. ومسلم: النكاح، باب جواز جماعه امرأته..

(٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: (لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله قال: بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا، فإنه إن يقدر بينهما ولد في ذلك لم يضره الشيطان أبداً). متفق عليه.

(٣) أي كالغرض المنصوب لتكون حاجزاً لكم عن البر.

(٤) الحنث عدم الوفاء بما حلف عليه.

(٥) أي: التي انقطع حيضها لكبر سنها والصغيرة التي دون البلوغ.

(٦) الإماء: جمع أمة، وهي المرأة المملوكة. عن عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ قال: (طلاق الأمة تطليقتان، وقرؤها حيضتان). رواه أبو داود في كتاب الطلاق، باب: في سنة طلاق العبد، كما أخرجه الترمذي وابن ماجه.

(٧) أي ليست إرادة الإصلاح شرطاً لجواز مراجعة الزوجة، فتجوز سواء قصده أم لا.

أصحاب النبي النبيَّ ﷺ، فأنزل الله تعالى: ﴿ ويسألونك عن المحيض... ﴾ فقال ﷺ: (اصنعوا كل شيء إلا النكاح) أي الوطء. [أخرجه مسلم في الحيض، باب: جواز غسل الحائض رأس زوجها..، رقم: ٣٠٢].

الطلاق الرجعي، و﴿ أحق ﴾ لا تفضيل فيه⁽¹⁾، إذ لا حق لغيرهم في نكاحهن في العدة ﴿ ولهن ﴾ على الأزواج ﴿ مثل الذي ﴾ لهم ﴿ عليهن ﴾ من الحقوق ﴿ بالمعروف ﴾ شرعاً من حسن العشرة وترك الإضرار ونحو ذلك ﴿ وللرجال عليهن درجة ﴾ فضيلة في الحق من وجوب طاعتهن لهم، لما ساقوه من المهر والإنفاق ﴿ والله عزيز ﴾ في مُلكه ﴿ حكيم ﴾ فيما دبره لخلقه.

٢٢٩ ﴿ الطلاق ﴾ أي التطليق الذي يراجع بعده ﴿ مرتان ﴾ أي اثنتان ﴿ فإمساك ﴾ أي فعليكم إمساكهن بعده بأن تراجعوهن ﴿ بمعروف ﴾ من غير ضرار ﴿ أو تسريح ﴾ أي إرسال لهن ﴿ بإحسان ولا يحل لكم ﴾ أيها الأزواج ﴿ أن تأخذوا مما آتيتموهن ﴾ من المهور ﴿ شيئاً ﴾ إذا طلقتموهن ﴿ إلا أن يخافا ﴾ أي الزوجان ﴿ ألاّ يقيما حدود الله ﴾ أي أن لا يأتيا بما حده لهما من الحقوق، وفي قراءة «يُخافا» بالبناء للمفعول فـ«ألاّ يقيما» بدل اشتمال من الضمير فيه⁽²⁾، وقرىء بالفوقانية في الفعلين⁽³⁾ ﴿ فإن خفتم ألاّ يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به ﴾ نفسها من المال ليطلقها، أي لا حرج على الزوج في أخذه ولا الزوجة في بذله ﴿ تلك ﴾ الأحكام المذكورة ﴿ حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون ﴾.

٢٣٠ ﴿ فإن طلقها ﴾ الزوج بعد الثنتين ﴿ فلا تحل له من بعد ﴾ أي بعد الطلقة الثالثة ﴿ حتى تنكح ﴾ تتزوج ﴿ زوجاً غيره ﴾ ويطأها، كما في الحديث، رواه الشيخان⁽⁴⁾ ﴿ فإن طلقها ﴾ أي الزوج الثاني ﴿ فلا جناح عليهما ﴾ أي الزوجة والزوج الأول ﴿ أن يتراجعا ﴾ إلى النكاح بعد انقضاء العدة ﴿ إن ظنا أن يقيما حدود الله وتلك ﴾ المذكورات ﴿ حدود الله يبينها لقوم يعلمون ﴾ يتدبرون.

٢٣١ ﴿ وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن ﴾ قاربن انقضاء عدتهن ﴿ فأمسكوهن ﴾ بأن تراجعوهن ﴿ بمعروف ﴾ و من غير ضرر ﴿ أو سرحوهن بمعروف ﴾ اتركوهن حتى تنقضي عدتهن ﴿ ولا تمسكوهن ﴾ بالرجعة ﴿ضراراً﴾ مفعول لأجله ﴿ لتعتدوا ﴾ عليهن بالإلجاء إلى الافتداء والتطليق⁽⁵⁾، وتطويل الحبس⁽⁶⁾ ﴿ ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ﴾ بتعريضها إلى عذاب الله ﴿ولا تتخذوا آيات الله هزواً﴾ مهزوءاً بها بمخالفتها⁽⁷⁾

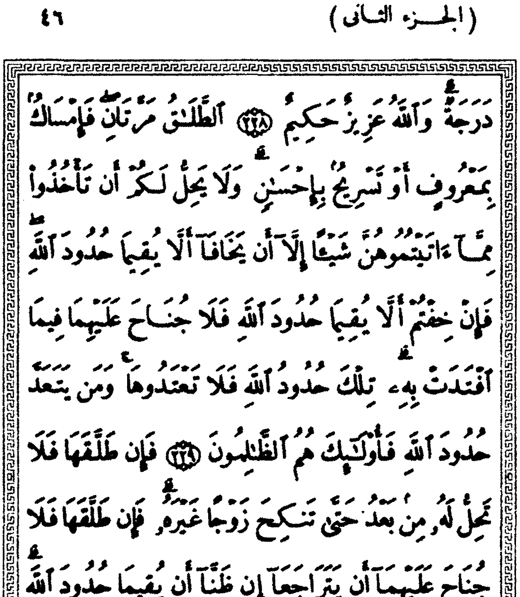

(الجـــزء الثانى) ٤٦

دَرَجَةٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ فَإِمۡسَاكُۢ
بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ
مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ
فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا
ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ
حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا
تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا
جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ
وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾ وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ
ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ سَرِّحُوهُنَّ
بِمَعۡرُوفٍۚ وَلَا تُمۡسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعۡتَدُواْۚ وَمَن يَفۡعَلۡ
ذَٰلِكَ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗاۚ

---

(1) أي قوله ﴿ أحق ﴾ لا يعني أن غير الزوج له حق في زواجها، ولكن الزوج أحق برجعتها ومفضل على غيره، وإنما هو صاحب الحق وحده، وأفعل التفضيل للمبالغة في بيان حقه وتأكيده.

(2) فيه: أي في قوله﴿يخافا﴾وهو ضمير التثنية، وبدل الاشتمال أن يكون المبدَل متعلقاً بالمبدَل منه وليس جزءاً منه.

(3) أي (تخافا) بفتح التاء، و (تُقيما) بضمها، وهي قراءة شاذة.

(4) يطأها: يجامعها، فقد قال ﷺ: (حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك) وهو كناية عن الجماع.

[البخاري: الشهادات، باب: شهادة المختبي، رقم: ٢٤٩٦. مسلم: النكاح، باب: لا تحل المطلقة ثلاثاً لمطلقها حتى تنكح. . .، رقم: ١٤٣٣].

(5) أي لا يراجع الزوج المطلقة بقصد أن يؤذيها ويسيء عشرتها، حتى يضطرها أن تطلب منه الطلاق، وتفتدي نفسها بإعطائه مايرغب من المال.

(6) قيل: كان أحدهم في الجاهلية يطلق زوجته، حتى إذا قاربت عدتها أن تنتهي راجعها، لا لرغبة فيها، ثم يطلقها، وهكذا، حتى يطول عليها مدة المنع من الزواج بغيره وتبقى محبوسة عليه، فجاء الإسلام بالنهي عن ذلك، وحصر الطلاق بمرات ثلاث، كما سبق.

(7) لأن من يخالف أمراً ويتهاون بالعمل بموجبه كمن يهزأ به.

سبب نزول الآية [٢٢٩]: عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان الناس والرجل يطلق امرأته ما شاء أن يطلقها، وهي امرأته إذا ارتجعها وهي في العدة وإن طلقها مائة مرة أو أكثر، حتى قال رجل لامرأته: والله لا أطلقك فتبيني مني ولا آويك أبداً. قالت: وكيف ذلك؟ قال: أطلقك، فكلما همت عدتك أن تنقضي راجعتك. فذهبت المرأة حتى دخلت على عائشة فأخبرتها، فسكتت عائشة حتى جاء النبي ﷺ فأخبرته، فسكت النبي ﷺ حتى نزل القرآن: ﴿ الطلاق مرتان. . ﴾ [الترمذي: أبواب الطلاق، باب: حدثنا قتيبة. . ، رقم: ١١٩٢].

﴿ واذكروا نعمت الله عليكم ﴾ بالإسلام ﴿ وما أنزل عليكم من الكتاب ﴾ القرآن ﴿ والحكمة ﴾ ما فيه من الأحكام(١) ﴿ يعظكم به ﴾ بأن تشكروها بالعمل به ﴿ واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شيء عليم ﴾ لا يخفى عليه شيء.

٢٣٢ ﴿ وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن ﴾ انقضت عدتهن ﴿ فلا تعضلوهن ﴾ خطاب للأولياء أي تمنعوهن من ﴿ أن ينكحن أزواجهن ﴾ المطلقين لهن، لأن سبب نزولها: أن أخت معقل بن يسار طلقها زوجها، فأراد أن يراجعها، فمنعها معقل بن يسار، كما رواه الحاكم(٢) ﴿ إذا تراضوا ﴾ أي الأزواج والنساء ﴿ بينهم بالمعروف ﴾ شرعاً ﴿ ذلك ﴾ النهي عن العضل ﴿ يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ﴾ لأنه المنتفع به(٣) ﴿ ذلكم ﴾ أي ترك العضل ﴿ أزكى ﴾ خير ﴿ لكم وأطهر ﴾ لكم ولهن، لما يخشى على الزوجين من الريبة بسبب العلاقة بينهما(٤) ﴿ والله يعلم ﴾ ما فيه المصلحة ﴿ وأنتم لا تعلمون ﴾ ذلك فاتبعوا أمره.

٢٣٣ ﴿ والوالدات يرضعن ﴾ أي ليرضعن ﴿ أولادهن حولين ﴾ عامين ﴿ كاملين ﴾ صفة مؤكدة(٥)، ذلك ﴿ لمن أراد أن يتم الرضاعة ﴾ ولا زيادة عليه ﴿ وعلى المولود له ﴾ أي الأب ﴿ رزقهن ﴾ إطعام الوالدات ﴿ وكسوتهن ﴾ على الإرضاع إذا كن مطلقات ﴿ بالمعروف ﴾ بقدر طاقته ﴿ لا تكلف نفس إلا وسعها ﴾ طاقتها ﴿ لا تضار والدة بولدها ﴾ بسببه، بأن تكره على إرضاعه إذا امتنعت ﴿ ولا ﴾ يضار ﴿ مولود له بولده ﴾ أي بسببه، بأن يكلف فوق طاقته، وإضافة الولد إلى كل منهما في الموضعين للاستعطاف(٦) ﴿ وعلى الوارث ﴾ أي وارث الأب، وهو الصبي، أي على وليه في ماله(٧) ﴿ مثل ذلك ﴾ الذي على الأب للوالدة من الرزق والكسوة ﴿ فإن أرادا ﴾ أي الوالدان ﴿ فصالا ﴾ فطاماً له قبل الحولين، صادراً ﴿ عن تراض ﴾ اتفاق ﴿ منهما وتشاور ﴾ بينهما لتظهر مصلحة الصبي فيه ﴿ فلا جناح عليهما ﴾ في ذلك ﴿ وإن أردتم ﴾ خطاب للآباء ﴿ أن تسترضعوا أولادكم ﴾ مراضع غير الوالدات

٤٧ (سورة البقرة)

وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ
وَٱلۡحِكۡمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ
شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٢٣١﴾ وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ
فَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحۡنَ أَزۡوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوۡاْ بَيۡنَهُم
بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ
وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ ذَٰلِكُمۡ أَزۡكَىٰ لَكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ
لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾ * وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ
كَامِلَيۡنِۖ لِمَنۡ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ وَعَلَى ٱلۡمَوۡلُودِ لَهُۥ
رِزۡقُهُنَّ وَكِسۡوَتُهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ لَا تُكَلَّفُ نَفۡسٌ إِلَّا وُسۡعَهَاۚ
لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوۡلُودٞ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦۚ وَعَلَى ٱلۡوَارِثِ
مِثۡلُ ذَٰلِكَۗ فَإِنۡ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٖ مِّنۡهُمَا وَتَشَاوُرٖ
فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَاۗ وَإِنۡ أَرَدتُّمۡ أَن تَسۡتَرۡضِعُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ

---

(١) وقيل: السنة التي هي بيان للقرآن، أو الفصل بين الحق والباطل والإصابة في القول والفعل، ولا مانع من تفسيرها بكل ما ذكر.

(٢) المستدرك: التفسير، باب: من سورة البقرة: ٢/ ٢٨٠.

(٣) أي لأن المؤمن هو الذي ينتفع بالوعظ بآيات الله تعالى.

(٤) أي أن يتهما ويساء فيهما الظن، بسبب ما بينهما من ارتباط.

(٥) أن المراد بالحولين كاملهما لا غالبهما.

(٦) أي إثارة لعطف كل من الأبوين على ولدهما.

(٧) أي ينفق ولي أمر الصبي على أمه المرضعة له من مال الصبي، إذا لم يكن أبوه موجوداً.

فائدة: في سن الرضاع المحرم:

قال ابن كثير في تفسيره للآية: ﴿والوالدات يرضعن..﴾ هذا إرشاد من الله تعالى للوالدات: أن يرضعن أولادهن كمال الرضاعة، وهي سنتان، فلا اعتبار بالرضاعة بعد ذلك، ولهذا قال: ﴿لمن أراد أن يتم الرضاعة﴾. وذهب أكثر الأئمة إلى أنه لا يحرم من الرضاعة إلا ما كان دون الحولين، فلو ارتضع المولود وعمره فوقهما لم يحرم. ثم قال: عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا يحرم من الرضاع إلا ما فتق الأمعاء في الثدي، وكان قبل الفطام» أخرجه الترمذي [باب: ما جاء أن الرضاعة لا تحرم إلا في الصغر دون الحولين، رقم: ١١٥٢] وقال: هذا حديث حسن صحيح، والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم من أصحاب رسول الله ﷺ وغيرهم: أن الرضاعة لا تحرم إلا ما كان دون الحولين، وما كان بعد الحولين الكاملين فإنه لا يحرم شيئاً. قال ابن كثير: ومعنى قوله: إلا ما كان في الثدي: أي في محل الرضاعة قبل الحولين، كما جاء في الحديث: عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: لما مات إبراهيم ابن النبي ﷺ قال: «إن له مرضعاً في الجنة» [مسند أحمد: ٤/ ٣٠٠. البخاري: الجنائز، باب: ما قيل في أولاد المسلمين، رقم: ١٣١٦] [فتق=

سبب نزول الآية [٢٣٢]: عن الحسن البصري رحمه الله تعالى قال: ﴿ فلا تعضلوهن ﴾ قال: حدثني معقل بن يسار رضي الله عنه أنها نزلت فيه، قال: زوجت أختاً لي من رجل، فطلقها، حتى إذا انقضت عدتها جاء يخطبها، فقلت له: زوجتك وفرشتك وأكرمتك، فطلقتها ثم جئت تخطبها؟ لا والله لا تعود إليك أبداً. وكان رجلاً لا بأس به، وكانت المرأة تريد أن ترجع إليه، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿ فلا تعضلوهن ﴾ فقلت: الآن أفعل يا رسول الله، قال: فزوجها إياه. [البخاري: النكاح، باب: من قال: لا نكاح إلا بولي، رقم: ٤٨٣٧].

﴿ فلا جناح عليكم ﴾ فيه ﴿ إذا سلمتم ﴾ إليهن [1] ﴿ ما آتيتم ﴾ أي أردتم إيتاءه لهن من الأجرة ﴿ بالمعروف ﴾ بالجميل، كطيب النفس ﴿ واتقوا الله واعلموا أن الله بما تعملون بصير ﴾ لا يخفى عليه شيء منه.

٢٣٤ ﴿ والذين يتوفون ﴾ يموتون ﴿ منكم ويذرون ﴾ يتركون ﴿ أزواجاً يتربصن ﴾ أي ليتربصن ﴿ بأنفسهن ﴾ بعدهم عن النكاح ﴿ أربعة أشهر وعشراً ﴾ من الليالي، وهذا في غير الحوامل، أما الحوامل: فعدتهن أن يضعن حملهن بآية الطلاق[2]، والأمة على النصف من ذلك بالسنة[3] ﴿ فإذا بلغن أجلهن ﴾ انقضت مدة تربصهن ﴿ فلا جناح عليكم ﴾ أيها الأولياء ﴿ فيما فعلن في أنفسهن ﴾ من التزين[4]، والتعرض للخطاب[5] ﴿ بالمعروف ﴾ شرعاً[6] ﴿ والله بما تعملون خبير ﴾ عالم بباطنه كظاهره.

٢٣٥ ﴿ ولا جناح عليكم فيما عرضتم ﴾ لوحتم[7] ﴿ به من خطبة النساء ﴾ المتوفى عنهن أزواجهن في العدة، كقول الإنسان مثلاً: إنك لجميلة، ومن يجد مثلك، ورب راغب فيك[8] ﴿ أو أكننتم ﴾ أضمرتم ﴿ في أنفسكم ﴾ من قصد نكاحهن ﴿ علم الله أنكم ستذكرونهن ﴾ بالخطبة، ولا تصبرون عنهن، فأباح لكم التعريض ﴿ ولكن لا تواعدوهن سراً ﴾ أي نكاحاً ﴿ إلا ﴾ لكن ﴿ أن تقولوا قولاً معروفاً ﴾ أي ما عرف شرعاً من التعريض فلكم ذلك ﴿ ولا تعزموا عقدة النكاح ﴾ أي على عقده[9] ﴿ حتى يبلغ الكتاب ﴾ أي المكتوب من العدة ﴿ أجله ﴾ بأن ينتهي ﴿ واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم ﴾ من العزم وغيره ﴿ فاحذروه ﴾ أن يعاقبكم إذا عزمتم ﴿ واعلموا أن الله غفور ﴾ لمن يحذره ﴿ حليم ﴾ بتأخير العقوبة عن مستحقها.

٢٣٦ ﴿ لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن ﴾ وفي قراءة: «تُماسوهن»[10]، أي تجامعوهن ﴿ أو ﴾ لم ﴿ تفرضوا لهن فريضة ﴾ مهراً، وما مصدرية ظرفية، أي لا تبعة عليكم - في الطلاق زمن عدم المسيس والفرض - بإثم ولا مهر، فطلقوهن ﴿ ومتعوهن ﴾ أعطوهن ما يتمتعن به ﴿ على الموسع ﴾ الغني منكم

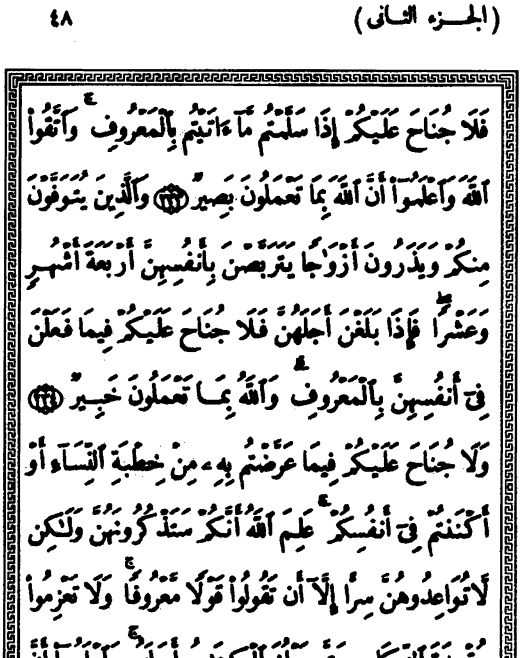

(الجـــزء الثـانى) ٤٨

فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُوا۟
ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ
مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ
وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ
فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾
وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ
أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن
لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا۟
عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ
ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ
حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ
تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ

---

(١) أي المرضعات غير الوالدات، وإعطاء الأجر قبل القيام بالعمل مندوب وليس بشرط.

(٢) وهي قوله تعالى: ﴿وأُولاتُ الأحمالِ أجلُهن أنْ يضعْنَ حملَهنّ﴾ / الطلاق: ٤/.

(٣) أي إن الأمَةَ المتوفى عنها زوجها تعتد بشهرين وخمسة أيام، قياساً على ما جاء في السنة من تنصيف عدة ذات الأقراء، أي التي تحيض، فقد روت عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ قال: (طلاق الأمة تطليقتان، وعدتها حيضتان) [الترمذي: الطلاق، باب: ما جاء أن طلاق الأمة تطليقتان، رقم: ١١٨٢].

(٤) أي وترك الحداد الذي كان واجباً عليهن فترة العدة.

(٥) أي أن يخطبن.

(٦) بأن يكون التزين أمام غير الأجانب من الرجال، ويقتصر في الخطبة على النظر إلى الوجه والكفين، ولا يكون اختلاط أو خلوة بالخاطب قبل عقد الزواج.

(٧) أفهمتم مقصودكم دون تصريح.

(٨) فتفهم من ذلك أنه يرغب في الزواج بها، فإن رغبت هي أيضاً حبست نفسها عليه.

(٩) أي لا تعقدوا عقد النكاح حال العدة، فإن عقد كان باطلاً، مع الإثم.

(١٠) وهي قراءة متواترة، قرأ بها حمزة والكسائي وخلف.

= الأمعاء: أي شق طريقه فيها وسلك إليها قبل غيره]. قال ابن كثير: وإنما قال عليه السلام ذلك لأن ابنه إبراهيم عليه السلام مات وله سنة وعشرة أشهر، فقال: «إن له مرضعاً في الجنة» يعني: تكمل الرضاعة. ويؤيده ما رواه الدارقطني [الرضاع، حديث: ٩]: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لا رضاع إلا ما كان في الحولين». وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا رضاع بعد فصال، ولا يتم بعد احتلام» [أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده، كما ذكر ابن كثير في تفسيره]. قال ابن كثير: وتمام الدلالة من هذا الحديث في قوله: ﴿وفصاله في عامين﴾ [لقمان: ١٤] وقال: ﴿وحمله وفصاله ثلاثون شهراً﴾ [الأحقاف: ١٥]. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل عليَّ النبي ﷺ وعندي رجل، قال: «يا عائشة، من هذا؟». =

قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًا بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى
ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ
وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ
أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ
لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ
بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾ حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ
وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ۖ فَإِذَآ
أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾
وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم
مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ
عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ
حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى

﴿ **قدره**(١) وعلى **المقتر** ﴾ الضيق الرزق ﴿ **قدره** ﴾ يفيد أنه لا نظر إلى قدر الزوجة ﴿ **متاعاً** ﴾ تمتيعاً ﴿ **بالمعروف** ﴾ شرعاً(٢)، صفة «متاعاً» ﴿**حقاً**﴾ صفة ثانية، أو مصدر مؤكد(٣) ﴿**على المحسنين**﴾ المطيعين.

٢٣٧ ﴿ **وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم** ﴾ يجب لهن، ويرجع لكم النصف ﴿ **إلا** ﴾ لكن ﴿ **أن يعفون** ﴾ أي الزوجات فيتركنه ﴿ **أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح** ﴾ وهو الزوج، فيترك لها الكل ـ وعن ابن عباس: الولي إذا كانت محجورة (٤) ـ فلا حرج في ذلك ﴿ **وأن تعفوا** ﴾ مبتدأ، خبره ﴿ **أقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم** ﴾ أي أن يتفضل بعضكم على بعض ﴿ **إن الله بما تعملون بصير** ﴾ فيجازيكم به.

٢٣٨ ﴿ **حافظوا على الصلوات** ﴾ الخمس بأدائها في أوقاتها ﴿ **والصلاة الوسطى** ﴾ هي العصر، أو الصبح أو الظهر أو غيرها، أقوال(٥)، وأفردها بالذكر لفضلها ﴿ **وقوموا لله** ﴾ في الصلاة ﴿ **قانتين** ﴾ قيل: مطيعين، لقوله ﷺ: (كل قنوت في القرآن فهو طاعة) رواه أحمد [٣/٧٥] وغيره، وقيل: ساكتين، لحديث زيد بن أرقم: كنا نتكلم في الصلاة حتى نزلت، فأمرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام. رواه الشيخان(٦).

٢٣٩ ﴿ **فإن خفتم** ﴾ من عدو أو سيل أو سبع ﴿ **فرجالاً** ﴾ جمع راجل، أي مشاة صلوا ﴿ **أو ركباناً** ﴾ جمع راكب، أي كيف أمكن، مستقبلي القبلة أو غيرها ويومىء(٧) بالركوع والسجود ﴿ **فإذا أمنتم** ﴾ من الخوف ﴿ **فاذكروا الله** ﴾ أي صلوا ﴿ **كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون** ﴾ قبل تعليمه من فرائضها وحقوقها، والكاف بمعنى مثل، وما مصدرية أو موصولة(٨).

٢٤٠ ﴿ **والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً** ﴾ فليوصوا ﴿ **وصية** ﴾ وفي قراءة بالرفع: أي عليهم ﴿ **لأزواجهم** ﴾ وليعطوهن ﴿ **متاعاً** ﴾ ما يتمتعن به من النفقة والكسوة ﴿ **إلى** ﴾ تمام ﴿ **الحول** ﴾ من موتهم، الواجب عليهن تربصه ﴿ **غير إخراج** ﴾ حال، أي غير مخرجات من مسكنهن ﴿ **فإن خرجن** ﴾ بأنفسهن ﴿ **فلا جناح عليكم** ﴾ يا أولياء الميت ﴿ **في ما فعلن في أنفسهن من معروف** ﴾ شرعاً، كالتزين وترك الإحداد وقطع النفقة عنها ﴿ **والله عزيز** ﴾ في ملكه ﴿ **حكيم** ﴾ في صنعه. والوصية المذكورة منسوخة بآية الميراث(٩)، وتربص الحول بآية «أربعة أشهر وعشراً» السابقة /٢٣٤/ المتأخرة في النزول، والسكنى(١٠) ثابتة عند الشافعي رحمه الله تعالى.

٢٤١ ﴿ **وللمطلقات متاع** ﴾ يعطينه ﴿ **بالمعروف** ﴾ بقدر الإمكان ﴿ **حقاً** ﴾ نصب بفعله المقدر (١١) ﴿ **على**=

---

(١) قدر إمكانه وطاقته.

(٢) على وجه يحسن في الشرع، من غير سرف ولا تقتير.

(٣) لمضمون جملة الأمر ﴿فمتعوهن﴾ قبله، أي حق تمتيعهن حقاً، وصار واجباً يلزم العمل به.

(٤) أي صغيرة، والأول أصح، لأن الصغيرة ليس لوليها أن يسقط شيئاً من مهرها.

(٥) أصحها أنها العصر، لصحة الأحاديث الواردة في ذلك، منها: ما رواه البخاري (٦٠٣٣)، ومسلم (٦٢٧) واللفظ له: أن النبي ﷺ قال يوم الخندق: (شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله بيوتهم وقبورهم ناراً). [البخاري: الجهاد، باب: الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة. مسلم: المساجد، باب: التغليظ في تفويت صلاة العصر].

(٦) البخاري: العمل في الصلاة، باب: ما ينهى من الكلام في الصلاة، رقم: ١١٤٢. مسلم: المساجد ومواضع الصلاة، باب: تحريم الكلام في الصلاة، رقم ٥٣٩.

(٧) يشير إليهما بتحريك رأسه إلى الأسفل والأعلى.

(٨) والمعنى: صلاة كائنة مثل تعليمه إياكم، أو مثل التي علمكم إياها.

(٩) أي الآيات/ ١١، ١٢، ١٧٦/ من سورة النساء، التي بينت نصيب كل واحد من الورثة، فنسخت الوصية للوارثين.

(١٠) أي للمتوفى عنها زوجها مدة عدتها أربعة أشهر وعشراً.

(١١) أي هو مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره: حق ذلك حقاً.

=قلت: أخي من الرضاعة. قال: «يا عائشة، انظرن من إخوانكن، فإنما الرضاعة من المجاعة» [البخاري: الشهادات، باب: الشهادة على الأنساب=

المتقين ﴾ الله تعالى، كرره ليعم الممسوسة(١) أيضاً، إذ الآية السابقة /٢٣٦/ في غيرها.

٢٤٢ ﴿ كذلك ﴾ كما يبين لكم ما ذكر ﴿ يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون ﴾ تتدبرون.

٢٤٣ ﴿ ألم ترَ ﴾ استفهام تعجيب وتشويق إلى استماع ما بعده، أي ألم ينته علمك ﴿ إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف ﴾ أربعة أو ثمانية أو عشرة، أو ثلاثون أو أربعون أو سبعون ألفاً ﴿ حذر الموت ﴾ مفعول له(٢)، وهم قوم من بني إسرائيل، وقع الطاعون ببلادهم ففروا ﴿ فقال لهم الله موتوا ﴾ فماتوا ﴿ ثم أحياهم ﴾ بعد ثمانية أيام أو أكثر، بدعاء نبيهم حِزقيل، بكسر المهملة والقاف وسكون الزاي، فعاشوا دهراً(٣) عليهم أثر الموت، لا يلبسون ثوباً إلا عاد كالكفن، واستمرت في أسباطهم(٤) ﴿ إن الله لذو فضل على الناس ﴾ ومنه إحياء هؤلاء ﴿ ولكن أكثر الناس ﴾ وهم الكفار ﴿ لا يشكرون ﴾ والقصد من ذكر خبر هؤلاء تشجيع المؤمنين على القتال(٥)، ولذا عطف عليه:

٢٤٤ ﴿ وقاتلوا في سبيل الله ﴾ أي لإعلاء دينه ﴿ واعلموا أن الله سميع ﴾ لأقوالكم ﴿ عليم ﴾ بأحوالكم فيجازيكم.

٢٤٥ ﴿ من ذا الذي يقرض الله ﴾ بإنفاق ماله في سبيل الله ﴿ قرضاً حسناً ﴾ بأن ينفقه لله عزّ وجلّ عن طيب قلب ﴿ فيضاعفه ﴾ وفي قراءة: «فيضعِّفه» بالتشديد ﴿ له أضعافاً كثيرة ﴾ من عشر إلى أكثر من سبعمائة، كما سيأتي ﴿ والله يقبض ﴾ يمسك الرزق عمن يشاء ابتلاءً ﴿ ويبسط ﴾ يوسعه لمن يشاء امتحاناً ﴿ وإليه ترجعون ﴾ في الآخرة بالبعث، فيجازيكم بأعمالكم.

٢٤٦ ﴿ ألم ترَ إلى الملأ ﴾ الجماعة ﴿ من بني إسرائيل من بعد ﴾ موت ﴿ موسى ﴾ أي إلى قصتهم وخبرهم(٦) ﴿ إذ قالوا لنبي لهم ﴾ هو شموئيل ﴿ ابعث ﴾ أقم ﴿ لنا ملكاً نقاتل ﴾ معه ﴿ في سبيل الله ﴾ تنتظم به كلمتنا ونرجع إليه ﴿ قال ﴾ النبي لهم ﴿ هل عسَيتم ﴾ بالفتح والكسر ﴿ إن كتب عليكم القتال أ ﴾ ن ﴿ لا تقاتلوا ﴾ خبر عسى، والاستفهام لتقرير التوقع بها(٧) ﴿قالوا وما لنا أ ﴾ ن ﴿ لا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا ﴾ بسبيهم(٨)، وقتلهم، وقد فعل بهم ذلك قوم جالوت، أي: لا مانع منه مع وجود مقتضيه(٩). قال تعالى: ﴿ فلما كتب عليهم القتال تولوا ﴾ عنه وجبنوا

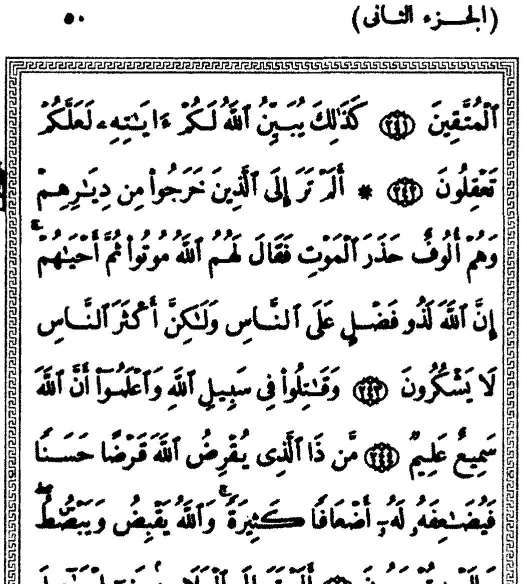

(الجـــزء الثانى) ٥٠

ٱلْمُتَّقِينَ (٢٤١) كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ
تَعْقِلُونَ (٢٤٢) * أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ
وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ
إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ
لَا يَشْكُرُونَ (٢٤٣) وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٤٤) مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا
فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ
وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٤٥) أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ
مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ
فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ
أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ
أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟

---

(١) أي كرر الأمر بالمتعة للمطلقة في السورة ليتناول المدخول بها.

(٢) أي مفعول لأجله.

(٣) مدة عمرهم.

(٤) ذرياتهم وقبائلهم.

(٥) لما فيه من بيان أن الموت واقع لا محالة، لا ينجي منه جبن أو فرار.

(٦) أي ألم ترَ إلى قصتهم.. أي ألم ينته إليك علمها وتسمع خبرها.

(٧) أي إنّ عسى في الأصل للتوقع، فدخل عليها الاستفهام لتقرير هذا التوقع، وهو ما سيكون منهم من جبن عند فرض القتال عليهم.

(٨) سبيهم هو أخذهم أسرى وجعلهم عبيداً مع نسائهم وأبنائهم.

(٩) أي ليس هناك ما يمنعنا من القتال، مع وجود ما يقتضيه منا، وهو ما ذكر.

والرضاع..، رقم: ٥٤٠٤. مسلم: الرضاع، باب: إنما الرضاعة من المجاعة، رقم: ١٤٥٥]. [انظرن: تأملن وتفكرن. فإنما الرضاعة: التي تثبت بها الحرمة. المجاعة: جوع الرضيع الذي يسده اللبن، ولا يكون ذلك إلا في الصغر].

فائدة: في متعة الطلاق:

المتعة ـ في اللغة ـ هي ما يستمتع به، وشرعاً شيء من المال يعطيه الزوج لزوجه المطلقة، تطييباً لنفسها وتعويضاً عن ألم الفراق، ولتستعين

سبب نزول الآية [٢٤٥]: عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لما نزلت: ﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم.. ﴾ [البقرة: ٢٦١] إلى آخرها قال رسول الله ﷺ: (رب زد أمتي) فنزلت: ﴿ من ذا الذي يقرض الله.. ﴾ [لباب النقول].

﴿ إلا قليلاً منهم ﴾ وهم الذين عبروا النهر مع طالوت كما سيأتي /٢٤٩/ ﴿ والله عليم بالظالمين ﴾ فمجازيهم. وسأل النبي ربه إرسال ملك فأجابه إلى إرسال طالوت:

٢٤٧ ﴿ وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً قالوا أنى ﴾ كيف ﴿ يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ﴾ لأنه ليس من سبط المملكة ولا النبوة(١)، وكان دباغاً(٢) أو راعياً ﴿ولم يؤت سعة من المال﴾ يستعين بها على إقامة الملك ﴿ قال ﴾ النبي لهم ﴿ إن الله اصطفاه ﴾ اختاره للملك ﴿ عليكم وزاده بسطة ﴾ سعة ﴿ في العلم والجسم ﴾ وكان أعلم بني إسرائيل يومئذٍ، وأجملهم وأتمهم خلقاً ﴿ والله يؤتي ملكه من يشاء ﴾ إيتاءه، لا اعتراض عليه ﴿ والله واسع ﴾ فضله ﴿ عليم ﴾ بمن هو أهل له.

٢٤٨ ﴿ وقال لهم نبيهم ﴾ لما طلبوا منه آية على ملكه(٣) ﴿ إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت ﴾ الصندوق، كان فيه صور الأنبياء، أنزله الله على آدم، واستمر إليهم، فغلبتهم العمالقة عليه وأخذوه، وكانوا يستفتحون به على عدوهم(٤)، ويقدمونه في القتال ويسكنون إليه، كما قال تعالى ﴿ فيه سكينة ﴾ طمأنينة لقلوبكم ﴿ من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون ﴾ أي تركاه هما(٥)، وهي: نعلا موسى وعصاه، وعمامة هارون، وقفيز(٦) من المن الذي كان ينزل عليهم (٧)، ورضاض الألواح(٨) ﴿ تحمله الملائكة ﴾ حال من فاعل يأتيكم ﴿ إن في ذلك لآية لكم ﴾ على ملكه ﴿ إن كنتم مؤمنين ﴾ فحملته الملائكة بين السماء والأرض، وهم ينظرون إليه، حتى وضعته عند طالوت، فأقروا بملكه، وتسارعوا إلى الجهاد، فاختار من شبابهم سبعين ألفاً.

٢٤٩ ﴿ فلما فصل ﴾ خرج ﴿ طالوت بالجنود ﴾ من بيت المقدس، وكان الحَرّ شديداً، وطلبوا منه الماء ﴿ قال إن الله مبتليكم ﴾ مختبركم ﴿ بنهر ﴾(٩) ليظهر المطيع منكم والعاصي، وهو بين الأردن وفلسطين ﴿ فمن شرب منه ﴾ أي من مائه ﴿ فليس مني ﴾ أي من أتباعي ﴿ ومن لم يطعمه ﴾ يذقه ﴿ فإنه مني إلا من اغترف غَرفة ﴾ بالفتح والضم ﴿ بيده ﴾ فاكتفى بها ولم يزد عليها فإنه مني ﴿ فشربوا منه ﴾ لما وافوه بكثرة ﴿ إلا قليلاً منهم ﴾ فاقتصروا على الغرفة، روي: أنها كفتهم لشربهم ودوابهم، وكانوا ثلثمائة وبضعة عشر(١٠) رجلاً ﴿ فلما جاوزه هو والذين

إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ
نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ
يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ
سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ
بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ
وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ
أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ
ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ
لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ
بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ
مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ
بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ

---

(١) أي ليس من القبيلة التي كان منها الملوك، وهم ذرية يهوذا ابن يعقوب عليه السلام. ولا من القبيلة التي كان منها الأنبياء، وهم ذرية لاوى بن يعقوب عليه السلام.

(٢) هو الذي يدبغ الجلود، أي يزيل رطوبتها بمواد لها تأثير في ذلك.

(٣) علامة ومعجزة على صحة تمليكه.

(٤) يطلبون النصر من الله تعالى بسببه.

(٥) فالمراد بآل موسى وآل هارون موسى وهارون أنفسهما، وكلمة آل مقحمة لتفخيم شأنهما.

(٦) القفيز مكيال معين كان في ذاك الوقت.

(٧) الطعام الحلو الذي كان ينزل عليهم في التيه.

(٨) قطعها وفتاتها.

(٩) تمرون عليه وتؤمرون بعدم الشرب منه، إلا كما سيذكر.

(١٠) بين ثلاثة عشر وتسعة عشر.

=به على بعض حوائجها.

وتستحب المتعة لكل مطلقة عند جميع الفقهاء، سواء أكان تطليقها قبل الدخول أم بعده، وسواء أفرض لها مهر أم لا. لقوله تعالى في الآية [٢٣٦] من هذه السورة: ﴿متاعاً بالمعروف حقاً على المحسنين﴾.

وتجب المتعة عند جميع الفقهاء للمطلقة التي لم يفرض لها مهر، وقد طلقت قبل الدخول بها. لقوله تعالى في سورة الأحزاب [٤٩]: ﴿إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحاً جميلاً﴾. مع قوله تعالى في سورة البقرة [٢٣٦]: ﴿لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة ومتعوهن﴾ فآية الأحزاب نصت على المتعة

﴿آمنوا معه﴾ وهم الذين اقتصروا على الغرفة ﴿قالوا﴾ أي الذين شربوا ﴿لا طاقة﴾ قوة ﴿لنا اليوم بجالوت⁽¹⁾ وجنوده﴾ أي بقتالهم، وجبنوا ولم يجاوزوه ﴿قال الذين يظنون﴾ يوقنون ﴿أنهم ملاقو الله﴾ بالبعث، وهم الذين جاوزوه ﴿كم﴾ خبرية⁽²⁾ بمعنى كثير ﴿من فئة﴾ جماعة ﴿قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله﴾ بإرادته ﴿والله مع الصابرين﴾ بالعون والنصر.

٢٥٠ ﴿ولما برزوا لجالوت وجنوده﴾ أي ظهروا لقتالهم وتصافُّوا ﴿قالوا ربنا أفرغ﴾ اصبب ﴿علينا صبراً وثبت أقدامنا﴾ بتقوية قلوبنا على الجهاد ﴿وانصرنا على القوم الكافرين﴾.

٢٥١ ﴿فهزموهم﴾ كسروهم ﴿بإذن الله﴾ بإرادته ﴿وقتل داود﴾ وكان في عسكر طالوت ﴿جالوت وآتاه﴾ أي داود ﴿الله الملك﴾ في بني إسرائيل ﴿والحكمة﴾ النبوة بعد موت شموئيل وطالوت، ولم يجتمعا⁽³⁾ لأحد قبله ﴿وعلمه مما يشاء﴾ كصنعة الدروع ومنطق الطير⁽⁴⁾ ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم﴾ بدل بعض من الناس⁽⁵⁾ ﴿ببعض لفسدت الأرض﴾ بغلبة المشركين، وقتل المسلمين، وتخريب المساجد ﴿ولكن الله ذو فضل على العالمين﴾ فدفع بعضهم ببعض.

٢٥٢ ﴿تلك﴾ هذه الآيات ﴿آيات الله نتلوها﴾ نقصها ﴿عليك﴾ يا محمد ﴿بالحق﴾ بالصدق ﴿وإنك لمن المرسلين﴾ التأكيد بإنّ وغيرها⁽⁶⁾ رداً لقول الكفار له: «لست مرسلاً»⁽⁷⁾.

٢٥٣ ﴿تلك﴾ مبتدأ ﴿الرسل﴾⁽⁸⁾ نعت⁽⁹⁾ أو عطف بيان، والخبر ﴿فضلنا بعضهم على بعض﴾ بتخصيصه بمنقبة⁽¹⁰⁾ ليست لغيره ﴿منهم من كلم الله﴾ كموسى ﴿ورفع بعضهم﴾ أي محمداً ﷺ ﴿درجات﴾ على غيره: بعموم الدعوة، وختم النبوة به، وتفضيل أمته على سائر الأمم، والمعجزات المتكاثرة، والخصائص العديدة ﴿وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه﴾ قويناه ﴿بروح القدس﴾ جبريل، يسير معه حيث سار

ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ
قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَـٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ
غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾
وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا
وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾
فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ
وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم
بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى
ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ
وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾ * تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ
عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَـٰتٍ ۚ
وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَأَيَّدْنَـٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ

---

(١) جبار من العمالقة من قوم عاد.

(٢) أي للإخبار وليست للاستفهام، وهي في موضع رفع مبتدأ وخبرها جملة ﴿غلبت﴾.

(٣) أي النبوة والملك.

(٤) فهم أصواته.

(٥) أي كلمة ﴿بعضهم﴾ بدل من الناس، بدل بعض من كل. والمعنى: لولا أن الله تعالى يدفع بعض الناس - وهم أهل الكفر والمعصية - ببعضهم - وهم أهل الإيمان والطاعة - لغلب أهل الكفر والمعصية، ولكان الشر والفساد في الأرض. والدفع: التنحية والإزالة بقوة، والمراد هنا دفع الشر بالقتال.

(٦) وهو اللام في ﴿لمن﴾ وكون الجملة اسمية.

(٧) وقد جاء هذا في القرآن على لسانهم، بقوله تعالى: ﴿ويقولُ الذين كفرُوا لَسْتَ مُرْسَلاً﴾ / الرعد: ٤٣ /.

(٨) الإشارة إلى الرسل الذين جاء ذكرهم من أول السورة إلى هنا، أو: لهم ولغيرهم ممن ثبت علمهم عند رسول الله ﷺ.

(٩) صفة.

(١٠) بمزية.

للمطلقة قبل الدخول مطلقاً، وآية البقرة بينت أنها للتي لم يفرض لها مهر، وأما التي فرض لها مهر فلها نصفه إن طلقت قبل الدخول، كما في قوله تعالى: ﴿وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم﴾ [البقرة: ٢٣٧]. فالتي لم يفرض لها مهر تجب لها المتعة بدلاً عن نصفه إذا طلقت قبل الدخول.

وأوجبها الشافعية لكل مطلقة إلا التي طلقت قبل الدخول وقد فرض لها مهر، لقوله تعالى: في هذه السورة [٢٤١]: ﴿وللمطلقات متاع بالمعروف حقاً على المتقين﴾. وهناك خلافات فرعية تعرف من كتب الفقه.

والمتعة تقدر بحال الزوج، كما في الآية [٢٣٦] من البقرة: ﴿على الموسع قدره وعلى المقتر قدره﴾ يقدرها القاضي باجتهاده عند تنازع الزوجين في قدرها، وما على المحسنين من سبيل في زيادتها.

﴿ ولو شاء الله ﴾ هدى الناس جميعاً ﴿ ما اقتتل الذين من بعدهم ﴾ بعد الرسل، أي أممهم ﴿ من بعد ما جاءتهم البينات ﴾ لاختلافهم وتضليل بعضهم بعضاً(١) ﴿ ولكن اختلفوا ﴾ لمشيئته ذلك ﴿ فمنهم من آمن ﴾ ثبت على إيمانه ﴿ ومنهم من كفر ﴾ كالنصارى بعد المسيح ﴿ ولو شاء الله ما اقتتلوا ﴾ تأكيد ﴿ ولكن الله يفعل ما يريد ﴾ من توفيق من شاء وخذلان من شاء.

٢٥٤ ﴿ يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم ﴾ زكاته ﴿ من قبل أن يأتي يوم لا بيعَ ﴾ فداء(٢) ﴿ فيه ولا خلةَ ﴾ صداقة تنفع ﴿ ولا شفاعةَ ﴾ بغير إذنه، وهو يوم القيامة، وفي قراءة برفع الثلاثة ﴿ والكافرون ﴾ بالله، أو بما فرض عليهم ﴿ هم الظالمون ﴾ لوضعهم أمر الله في غير محله.

٢٥٥ ﴿ الله لا إله ﴾ أي لا معبود بحق في الوجود ﴿ إلا هو الحي ﴾ الدائم البقاء ﴿ القيوم ﴾ المبالغ في القيام بتدبير خلقه ﴿ لا تأخذه سنة ﴾ نعاس ﴿ ولا نوم له ما في السموات وما في الأرض ﴾ ملكاً وخلقاً وعبيداً ﴿ من ذا الذي ﴾ أي لا أحد ﴿ يشفع عنده إلا بإذنه ﴾ له فيها(٣) ﴿ يعلم ما بين أيديهم ﴾ أي الخلق ﴿ وما خلفهم ﴾ أي من أمر الدنيا والآخرة ﴿ ولا يحيطون بشيء من علمه ﴾ أي لا يعلمون شيئاً من معلوماته ﴿ إلا بما شاء ﴾ أن يعلمهم به منها بإخبار الرسل ﴿ وسع كرسيه السموات والأرض ﴾ قيل: أحاط علمه بهما، وقيل: مُلكه(٤)، وقيل: الكرسي نفسه مشتمل عليهما لعظمته، لحديث: (ما السموات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة ألقيت في ترس)(٥) ﴿ ولا يؤوده ﴾ يثقله ﴿ حفظهما ﴾ أي السموات والأرض ﴿ وهو العلي ﴾ فوق خلقه بالقهر ﴿ العظيم ﴾ الكبير.

٢٥٦ ﴿ لا إكراه في الدين ﴾ على الدخول فيه ﴿ قد تبين الرشد من الغي ﴾ أي ظهر بالآيات المبينات أن الإيمان رشد والكفر غي(٦)، نزلت فيمن كان له من الأنصار أولاد أراد أن يكرههم على الإسلام ﴿ فمن يكفر بالطاغوت ﴾ الشيطان، أو الأصنام (٧)، وهو يطلق على المفرد والجمع ﴿ ويؤمن بالله فقد

وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ
ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ
وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ
يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ
هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ
لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ
مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ
وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ
وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ
ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ

---

(١) أي إنهم اقتتلوا بسبب اختلافهم وتضليل بعضهم بعضاً، رغم مجيء الدلائل الواضحة، التي فيها ما يغني عن الاختلاف والتضليل المؤديين للاقتتال.

(٢) فسر البيع بالفداء لأنه اشتراء النفس من الهلاك، والمعنى: لا تجارة يكتسب بها الإنسان ما يفتدي به نفسه من العذاب في ذلك اليوم.

(٣) أي الشفاعة.

(٤) أي سلطانه ممتد عليهما. أخرج الترمذي (كتاب ثواب القرآن، باب: ما جاء في فضل سورة البقرة وآية الكرسي، رقم: ٢٨٨١) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لكل شيء سنام، وإن سنام القرآن سورة البقرة، وفيها آية هي سيدة آي القرآن، هي آية الكرسي) أي أفضل آي القرآن.

(٥) أخرجه ابن جرير بسنده عن محمد بن زيد رضي الله عنه عند تفسيره للآية.

(٦) وهو الإفراط في الجهل.

(٧) أو هو كل باطل يعبد من دون الله عزّ وجلّ.

فائدة: في فضل آية الكرسي. عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا المنذر، أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم ؟». قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «يا أبا المنذر، أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم ؟». قال: قلت: ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾. قال: فضرب في=

سبب نزول الآية [٢٥٦]: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانت المرأة تكون مقلاة، فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوِّده، فلما أجليت بنو النضير كان فيهم من أبناء الأنصار، فقالوا: لا ندع أبناءنا، فأنزل الله تعالى: ﴿ لا إكراه في الدين. . . ﴾ [أبو داود: الجهاد، باب: في الأسير يكره على الإسلام، رقم: ٢٦٨٢] مقلاة: هي التي لا يعيش لها ولد، من القَلْت وهو الهلاك.

وعنه رضي الله عنه قال: نزلت في رجل من الأنصار من بني سالم بن عوف يقال له أبو الحصين، كان له ابنان نصرانيان وكان هو مسلماً، فقال للنبي ﷺ: ألا أستكرههما، فإنهما قد أبيا إلا النصرانية؟ فأنزل الله الآية. [ابن جرير].

استمسك ﴾ تمسك ﴿ بالعروة الوثقى ﴾(١) بالعقد المحكم ﴿ لا انفصام ﴾ انقطاع ﴿ لها والله سميع ﴾ لما يقال ﴿ عليم ﴾ بما يفعل.

٢٥٧ ﴿ الله ولي ﴾ ناصر ﴿ الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات ﴾ الكفر ﴿ إلى النور ﴾ الإيمان ﴿ والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات ﴾ ذكر الإخراج(٢): إما في مقابلة قوله «يخرجهم من الظلمات» أو في كل من آمن بالنبي قبل بعثته من اليهود ثم كفر به(٣) ﴿ أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾.

٢٥٨ ﴿ ألم ترَ إلى الذي حاج ﴾ جادل ﴿ إبراهيم في ربه ﴾ لـ ﴿ أن آتاه الله الملك ﴾ أي حمله بطره(٤) بنعمة الله على ذلك(٥)، وهو نمروذ ﴿ إذ ﴾ بدل من حاجَّ(٦) ﴿ قال إبراهيم ﴾ لما قال له: من ربك الذي تدعونا إليه؟ ﴿ ربي الذي يحيي ويميت ﴾ أي يخلق الحياة والموت في الأجساد ﴿ قال ﴾ هو ﴿ أنا أحيي وأميت ﴾ بالقتل والعفو عنه، ودعا رجلين: فقتل أحدهما وترك الآخر، فلما رآه غبياً(٧) ﴿ قال إبراهيم ﴾ منتقلاً إلى حجة أوضح منها ﴿ فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها ﴾ أنت ﴿ من المغرب فبهت الذي كفر ﴾ تحير ودهش ﴿ والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ بالكفر إلى محجة الاحتجاج(٨).

٢٥٩ ﴿ أو ﴾ رأيت ﴿ كالذي ﴾ الكاف زائدة ﴿ مر على قرية ﴾ هي بيت المقدس، راكباً على حمار، ومعه سلة تين، وقدح عصير، وهو عزير ﴿ وهي خاوية ﴾ ساقطة ﴿ على عروشها ﴾ سقوفها، لما خربها بختنصر ﴿ قال أنى ﴾ كيف ﴿ يحيي هذه الله بعد موتها ﴾ استعظاماً لقدرته تعالى ﴿ فأماته الله ﴾ وألبثه ﴿ مائة عام ثم بعثه ﴾ أحياه ليريه كيفية ذلك ﴿ قال ﴾ تعالى له ﴿ كم لبثت ﴾ مكثت هنا ﴿ قال لبثت يوماً أو بعض يوم ﴾ لأنه نام أول النهار فقبض، وأحيي عند الغروب، فظن أنه يوم النوم ﴿ قال بل لبثت مائة عام

ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِا۟ئَةَ عَامٍ

---

(١) العقدة التي هي موضع المسك من الحبل، والوثقى المحكمة الشد.

(٢) أي إخراج الكفار من النور إلى الظلمات، وهم لم يسبق لهم نور حتى يخرجوا منه.

(٣) أي ذكر إخراج الكفار مقابل ذكر إخراج المؤمنين من الظلمات، والمراد بإخراجهم منعهم من النور أصلاً، أو المراد بالكفار أهل الكتاب، فإيمانهم بالنبي ﷺ حسب صفته في كتبهم كان نوراً لهم، وكفرهم به بعد بعثته خروج منه. (٤) استخفافه وعدم شكره. (٥) الجدال في الله والكبر والتعالي. (٦) بدل اشتمال، لأن وقت القول المذكور يشتمل على المحاجة وغيرها. (٧) بليداً، لم يفهم معنى الإحياء والإماتة، تركه ولم يدقق عليه.

(٨) أي المنهج الواضح في الاحتجاج، والمحجة جادة الطريق.

=صدري وقال: «ليَهْنِكَ العلمُ يا أبا المنذر» [مسلم: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل سورة الكهف وآية الكرسي، رقم: ٨١٠] [ليهنك. . : ليكن العلم هنيئاً لك].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آتٍ، فجعل يحثو من الطعام، فأخذته وقلت: والله لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، قال: إني محتاج وعلي عيال ولي حاجة شديدة، قال: فخليت عنه. . ثم قال: فرصدته الثالثة، فجاء يحثو من الطعام، فأخذته فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله، وهذا آخر ثلاث مرات تزعم لا تعود، ثم تعود. قال: دعني، أعلمك كلمات ينفعك الله بها. قلت: ما هو ؟ قال: إذا أويت إلى فراشك، فاقرأ آية الكرسي: ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾ حتى تختم الآية، فإنك لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربنك شيطان حتى تصبح. فخليت سبيله، فأصبحت، فقال لي رسول الله ﷺ: «ما فعل أسيرك البارحة ؟». قلت: يارسول الله، زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخليت سبيله، قال: «ما هي ؟». قلت: قال لي: إذا أويت إلى فراشك، فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم: ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾. وقال لي: لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح. وكانوا أحرص شيء على الخير. فقال النبي ﷺ: «أما إنه قد صدقك وهو كذوب، تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة ؟» قال: لا. قال: «ذاك شيطان» [البخاري: الوكالة، باب: إذا وكل رجلاً فترك الوكيل شيئاً. . ، رقم: ٢١٨٧]. [آت: اسم فاعل من أتى، وأصله آتي، فحذفت الياء للالتقاء الساكنين. يحثو: يأخذ بكفيه. علي عيال: نفقة عيال، وهم الزوجة والأولاد ومن في نفقة المرء. أسيرك: سمي أسيراً لأنه=

فانظر إلى طعامك ﴾ التين ﴿ وشرابك ﴾ العصير ﴿ لم يتسنَّه ﴾ لم يتغير مع طول الزمان، والهاء قيل: أصل من سانهت، وقيل للسكت من سانيت، وفي قراءة بحذفها⁽¹⁾ ﴿ وانظر إلى حمارك ﴾ كيف هو؟ فرآه ميتاً، وعظامه بيض تلوح⁽²⁾. فعلنا ذلك لتعلم ﴿ولنجعلك آية﴾ على البعث ﴿ للناس وانظر إلى العظام ﴾ من حمارك ﴿ كيف ننشرها ﴾ نحييها⁽³⁾، بضم النون، وقرىء بفتحها، من أنشر ونشر لغتان، وفي قراءة «نُنشِزُها» بضم النون والزاي، نحركها ونرفعها ﴿ ثم نكسوها لحماً ﴾ فنظر إليها وقد تركبت، وكسيت لحماً، ونفخ فيه⁽⁴⁾ الروح ونهق ﴿ فلما تبين له ﴾ ذلك بالمشاهدة ﴿ قال أعلم ﴾ علم مشاهدة ﴿ أن الله على كل شيء قدير ﴾ وفي قراءة «اعلم» أمر من الله له⁽⁵⁾.

٢٦٠ ﴿ و ﴾ اذكر ﴿ إذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال ﴾ تعالى له ﴿ أو لم تؤمن ﴾ بقدرتي على الإحياء؟ سأله ـ مع علمه بإيمانه بذلك ـ ليجيبه بما أجاب، فيعلم السامعون غرضه ﴿ قال بلى ﴾ آمنت ﴿ ولكن ﴾ سألتك ﴿ ليطمئنَّ ﴾ يسكن ﴿ قلبي ﴾ بالمعاينة المضمومة إلى الاستدلال⁽⁶⁾ ﴿ قال فخذ أربعة من الطير فَصُرهن إليك ﴾ بكسر الصاد وضمها، أملهن إليك وقطعهن واخلط لحمهن وريشهن ﴿ ثم اجعل على كل جبل ﴾ من جبال أرضك ﴿ منهن جزءاً ثم ادعهن ﴾ إليك ﴿ يأتينك سعياً ﴾ سريعاً ﴿ واعلم أن الله عزيز ﴾ لا يعجزه شيء ﴿ حكيم ﴾ في صنعه. فأخذ طاووساً ونسراً وغراباً وديكاً، وفعل بهن ما ذكر وأمسك رؤوسهن عنده، ودعاهن، فتطايرت الأجزاء إلى بعضها حتى تكاملت، ثم أقبلت إلى رؤوسها⁽⁷⁾.

٢٦١ ﴿ مثل ﴾ صفة نفقات ﴿ الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ﴾ أي طاعته ﴿ كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة ﴾ فكذلك نفقاتهم: تضاعف لسبعمائة ضعف ﴿ والله يضاعف ﴾ أكثر من ذلك ﴿ لمن يشاء والله واسع ﴾ فضله ﴿ عليم ﴾ بمن يستحق المضاعفة.

٢٦٢ ﴿ الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا مناً﴾ على المنفق عليه، بقولهم مثلاً: قد أحسنت إليه وجبرت حاله ﴿ ولا أذىً ﴾ له، بذكر ذلك إلى من لا يحب وقوفه عليه⁽⁸⁾، ونحوه⁽⁹⁾ ﴿ لهم أجرهم ﴾ ثواب إنفاقهم ﴿ عند ربهم ولا خوف

٥٥ (سـورة البقرة)

فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ؕ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ
وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ؕ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا
ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي
الْمَوْتَىٰ ؕ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ؕ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي
قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ
كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَاعْلَمْ
أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ
سُنۢبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ ؕ وَاللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَاءُ ؕ وَاللَّهُ وَٰسِعٌ
عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ
مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ

---

(١) على أنها للسكت، فتحذف حال الوصل، وتثبت حال الوقف عليها.

(٢) تلمع.

(٣) بجمعها وضم بعضها إلى بعض.

(٤) أي في حماره.

(٥) بأن يتيقن ويحصل له علم عين اليقين بعد المشاهدة.

(٦) أي ليحصل علم عين اليقين بسبب المشاهدة، مع علم اليقين الحاصل بالبرهان والدليل، فيحصل لي الاطمئنان في أعلى مراتبه.

(٧) وفي الآيات الثلاثة السابقة أمثلة لإخراج الله تعالى أولياءه من الظلمات إلى النور، بإعطائهم الحجج الدامغة والبراهين القاطعة، على الحقائق التي يعتقدونها. وهي تتناول ـ في الوقت نفسه ـ موضوعاً أساسياً في التصور الإسلامي والعقيدة الإسلامية، له أثره الفعّال في سلوك المسلم، وهو: أن الإحياء والإماتة من خصائص الله عزّ وجلّ.

(٨) معرفته به.

(٩) من الطعن به، أو العبوس في وجهه، أو رفع الصوت عليه وإهانته.

=ربطه بحبل، وكانت عادة العرب أن تربط الأسير إذا أخذته بحبل. البارحة: أقرب ليلة مضت. فرصدته: ترقبته. آية الكرسي: الآية التي يذكر فيها كرسي الرحمن جل وعلا، وهي قوله تعالى: ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾ إلى آخر الآية. وكانوا. . : أي الصحابة، يحرصون على تعلم الخير، فيأخذونه حيثما صدر، ويبذلون في سبيله كل شيء من متاع الدنيا. قد صدقك: أخبرك بما يوافق الواقع والحق. وهو كذوب: من شأنه وخلقه كثرة الكذب].

سبب نزول الآية [٢٦٢]: قال الواحدي في كتابه [أسباب النزول]: قال الكلبي: نزلت في عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما، أما عبد الرحمن بن عوف فإنه جاء إلى النبي ﷺ بأربعة آلاف درهم صدقة، فقال: كان عندي ثمانية آلاف درهم، فأمسكت منها لنفسي ولعيالي أربعة آلاف درهم، وأربعة آلاف أقرضتها ربي. فقال له رسول الله ﷺ: (بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أعطيت). وأما عثمان رضي الله عنه فقال: علي جهاز من لا جهاز له في غزوة تبوك. فجهز المسلمين بألف بعير بأقتابها وأحلاسها، وتصدق برومة ـ ركية كانت له ـ على المسلمين، فنزلت=

عليهم ولا هم يحزنون ﴾ في الآخرة.

٢٦٣ ﴿ قول معروف ﴾ كلام حسن، ورد على السائل جميل(١) ﴿ ومغفرة ﴾ له في إلحاحه(٢) ﴿ خير من صدقة يتبعها أذىً ﴾ بالمن وتعيير له بالسؤال ﴿ والله غني ﴾ عن صدقة العباد ﴿ حليم ﴾ بتأخير العقوبة عن المانّ والمؤذي.

٢٦٤ ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم ﴾ أي أجورها ﴿ بالمن والأذى ﴾ إبطالاً ﴿ كالذي ﴾ أي كإبطال نفقة الذي ﴿ ينفق ماله رئاء الناس ﴾ مرائياً لهم(٣) ﴿ ولا يؤمن بالله واليوم الآخر ﴾ وهو المنافق ﴿ فمثله كمثل صفوان ﴾ حجر أملس ﴿ عليه تراب فأصابه وابل ﴾ مطر شديد ﴿ فتركه صلداً ﴾ صلباً أملس لا شيء عليه ﴿ لا يقدرون ﴾ استئناف لبيان مثل المنافق المنفق رئاء الناس(٤)، وجمع الضمير باعتبار معنى الذي ﴿ على شيء مما كسبوا ﴾ عملوا، أي لا يجدون له ثواباً في الآخرة، كما لا يوجد على الصفوان شيء من التراب الذي كان عليه، لإذهاب المطر له ﴿ والله لا يهدي القوم الكافرين ﴾.

٢٦٥ ﴿ ومثل ﴾ نفقات ﴿ الذين ينفقون أموالهم ابتغاء ﴾ طلب ﴿ مرضات الله وتثبيتاً من أنفسهم ﴾ أي تحقيقاً للثواب عليه، بخلاف المنافقين الذين لا يرجونه(٥) لإنكارهم له، ومن ابتدائية(٦) ﴿ كمثل جنة ﴾ بستان ﴿ بربوة ﴾ بضم الراء وفتحها(٧)، مكان مرتفع مستوٍ ﴿أصابها وابل فآتت﴾ أعطت ﴿ أكلها ﴾ بضم الكاف وسكونها، ثمرها ﴿ ضعفين ﴾ مثلي ما يثمر غيرها ﴿ فإن لم يصبها وابل فطل ﴾ مطر خفيف يصيبها ويكفيها لارتفاعها، المعنى: تثمر وتزكو(٨) كثر المطر أم قل، فكذلك نفقات من ذكر، تزكو عند الله، كثرت أم قلت ﴿ والله بما تعملون بصير ﴾ فيجازيكم به.

٢٦٦ ﴿ أيود ﴾ أيحب ﴿ أحدكم أن تكون له جنة ﴾ بستان ﴿ من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار له فيها ﴾ ثمر ﴿ من كل الثمرات و ﴾ قد ﴿ أصابه الكبر ﴾ فضعف من الكبر عن الكسب ﴿ وله ذرية ضعفاء ﴾ أولاد صغار لا يقدرون عليه(٩) ﴿ فأصابها

عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٦٢) * قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ (٢٦٣) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ (٢٦٤) وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٦٥) أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ

---

(١) كأن يقول له: إن الله تعالى يرزقك.

(٢) عفو وصفح عن كثرة سؤاله ومواظبته عليه.

(٣) أي يري الناس أعماله حتى يروه ثناءهم عليه وتعظيمهم له.

(٤) أي ﴿لا يقدرون﴾ جملة استئنافية تبين مآل من شابه المنافق المنفق رئاء الناس في حاله، وهم أصحاب المنّ والأذى، والمعنى: هذا مآل المنافق المنفق رئاء الناس، وهو مآل من شابهه بالضرورة.

عن أبي ذر رضي الله عنه، عن النّبي ﷺ قال: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم» قال: فقرأها رسول الله ﷺ ثلاث مرار. قال أبو ذر: خابوا وخسروا. من هم يارسول الله ؟ قال: «المسبل، والمنان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب». [مسلم: الإيمان، باب: بيان غلظ تحريم إسبال الإزار. . ، رقم: ١٠٦] [لا يكلمهم الله: معناه الإعراض عنهم. ولا يزكيهم: لا يطهرهم من دنس ذنوبهم. ولهم عذاب أليم: أي مؤلم. قال الواحدي: هو العذاب الذي يخلص إلى قلوبهم وجعه. المسبل: هو المرخي إزاره، الجار طرفه خيلاء. المنان: وفي رواية زيادة: «الذي لا يعطي شيئاً إلا منّه» أي يظهر فضله على من أعطاه].

(٥) أي لا يأملون أن يحصل لهم الثواب لإنكارهم.

(٦) تفيد أن التثبيت ناشيء من قبل أنفسهم لا بتأثير آخر.

(٧) قراءتان متواترتان، قرأ ابن عامر وعاصم: ﴿بَرْبوة﴾ بفتح الراء، وقرأ الباقون: ﴿بِرُبـوة﴾ بضمها. [النشر]. (٨) تنمو وتزداد. (٩) على القيام بأمر البستان.

=فيهما هذه الآية. وقال أبو سعيد الخدري: رأيت رسول الله رافعاً يده يدعو لعثمان ويقول: (يا رب إن عثمان بن عفان رضيت عنه فارض عنه). فما زال رافعاً يده حتى طلع الفجر، فأنزل الله تعالى فيه: ﴿ الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ﴾ الآية. [جهاز: أي تجهيزه بما يحتاجه من سلاح وغيره. بأقتابها: جمع قتب، وهو ما يوضع على ظهر البعير تحت الراكب. أحلاسها: جمع حِلْس، وهو الكساء الذي يلي ظهر البعير تحت القتب. رَكِيّة: هي البئر، وبرومة اسم هذه البئر التي كانت قريبة من المدينة].

إعصار﴾ ريح شديدة ﴿فيه نار فاحترقت﴾ ففقدها أحوج ما كان إليها، وبقي هو وأولاده عجزة متحيرين لا حيلة لهم(١). وهذا تمثيل لنفقة المرائي والمانّ، في ذهابها وعدم نفعها أحوج ما يكون إليها في الآخرة، والاستفهام بمعنى النفي(٢)، وعن ابن عباس: هو(٣) لرجل عمل بالطاعات، ثم بعث له الشيطان، فعمل بالمعاصي حتى أحرق أعماله. ﴿كذلك﴾ كما بين لكم ما ذكر ﴿يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون﴾ فتعتبروا.

٢٦٧ ﴿يا أيها الذين آمنوا أنفقوا﴾ أي زكوا ﴿من طيبات﴾ جياد ﴿ما كسبتم﴾ من المال ﴿ومـ﴾ـن طيبات ﴿ما أخرجنا لكم من الأرض﴾ من الحبوب والثمار ﴿ولا تيمموا﴾ تقصدوا ﴿الخبيث﴾ الرديء ﴿منه﴾ أي المذكور ﴿تنفقونـ﴾ـه في الزكاة، حال من ضمير تيمموا ﴿ولستم بآخذيه﴾ أي الخبيث لو أعطيتموه في حقوقكم ﴿إلا أن تغمضوا فيه﴾ بالتساهل وغض البصر، فكيف تؤدون منه حق الله ﴿واعلموا أن الله غني﴾ عن نفقاتكم ﴿حميد﴾ محمود على كل حال.

٢٦٨ ﴿الشيطان يعدكم الفقر﴾ يخوفكم به إن تصدقتم، فتمسكون ﴿ويأمركم بالفحشاء﴾ البخل ومنع الزكاة(٤) ﴿والله يعدكم﴾ على الإنفاق ﴿مغفرة منه﴾ لذنوبكم ﴿وفضلاً﴾ رزقاً خلفاً منه(٥) ﴿والله واسع﴾ فضله ﴿عليم﴾ بالمنفق.

٢٦٩ ﴿يؤتي الحكمة﴾ أي العلم النافع المؤدي إلى العمل ﴿من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً﴾ لمصيره إلى السعادة الأبدية ﴿وما يذّكر﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الذال، أي يتعظ ﴿إلا أولو الألباب﴾ أصحاب العقول.

٢٧٠ ﴿وما أنفقتم من نفقة﴾ أديتم من زكاة أو صدقة ﴿أو نذرتم من نذر﴾ فوفيتم به ﴿فإن الله يعلمه﴾ فيجازيكم عليه ﴿وما للظالمين﴾ بمنع الزكاة والنذر، أو بوضع الإنفاق في غير محله في معاصي الله ﴿من أنصار﴾ مانعين لهم من عذابه.

٢٧١ ﴿إن تبدوا﴾ تظهروا ﴿الصدقات﴾ أي النوافل(٦) ﴿فنعما هي﴾ أي نعم شيئاً إبداؤها ﴿وإن تخفوها﴾ تسروها ﴿وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم﴾ من إبدائها(٧) وإيتائها الأغنياء، أما صدقة الفرض: فالأفضل إظهارها ليقتدى به ولئلا يتهم(٨)، وإيتاؤها الفقراء متعين(٩) ﴿ويكفر﴾ بالياء(١٠)، والنون: مجزوماً بالعطف على محل فهو(١١)، ومرفوعاً على الاستئناف ﴿عنكم من﴾ بعض ﴿سيآتكم والله بما تعملون

إِعۡصَارٞ فِيهِ نَارٞ فَٱحۡتَرَقَتۡۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ
لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ
مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ
وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن
تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ٱلشَّيۡطَٰنُ
يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ
وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿٢٦٨﴾ يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ
وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ
أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوۡ نَذَرۡتُم مِّن نَّذۡرٖ
فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُهُۥۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِن تُبۡدُواْ
ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَۖ وَإِن تُخۡفُوهَا وَتُؤۡتُوهَا ٱلۡفُقَرَآءَ فَهُوَ
خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمۡۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ

---

(١) لا تدبير لديهم ولا يدرون ماذا يفعلون.

(٢) أي لا يود ولا يحب ذلك.

(٣) أي هذا التمثيل والتشبيه بصاحب البستان.

(٤) سمي ذلك فحشاء لقبحه.

(٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (ما من يوم يصبح فيه العباد إلا وملكان ينزلان، يقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً). [البخاري: الزكاة، باب: قول الله تعالى: ﴿فأما من أعطى واتقى..﴾ رقم: ١٣٧٤. مسلم: الزكاة، باب: في المنفق والممسك، رقم: ١٠١٠].

(٦) جمع نافلة، وهي ما كان زائداً عن الفرض.

(٧) فقد ذكر ﷺ أنه من السبعة الذين يظلهم الله تعالى بظله يوم القيامة: (رجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه) [البخاري: الزكاة، باب: الصدقة باليمين. مسلم: الزكاة، باب: فضل إخفاء الصدقة]

(٨) بترك الفرض ومنع الزكاة.

(٩) أي واجب، والمراد أنه لا يصح إعطاؤها للأغنياء، لا أنها لا تدفع إلا للفقراء، لأن مصارف الزكاة ثمانية، مذكورة في الآية/ ٦٠/ من سورة التوبة.

(١٠) مرفوعاً.

(١١) لأنه جواب شرط جازم مقترن بالفاء، فمحله الجزم.

سبب نزول الآية [٢٦٧]: عن البراء رضي الله قال: نزلت فينا معشر الأنصار، كنا أصحاب نخل، فكان الرجل يأتي من نخله على قدر كثرته وقلته، وكان الرجل يأتي بالقنو والقنوين فيعلقه في المسجد... وكان ناس ممن لا يرغب في الخير يأتي الرجل بالقنو فيه الشيص والحشف والقنو قد

خبير ﴾ عالم بباطنه كظاهره، لا يخفى عليه شيء منه.

٢٧٢ ولما منع ﷺ من التصدق على المشركين(١) ليسلموا نزل ﴿ ليس عليك هداهم ﴾ أي الناس، إلى الدخول في الإسلام، إنما عليك البلاغ ﴿ ولكن الله يهدي من يشاء ﴾ هدايته إلى الدخول فيه ﴿ وما تنفقوا من خير ﴾ مال ﴿ فلأنفسكم ﴾ لأن ثوابه لها ﴿ وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله ﴾ أي ثوابه، لا غيره من أعراض الدنيا، خبر بمعنى النهي(٢) ﴿ وما تنفقوا من خير يوفَّ إليكم ﴾ جزاؤه ﴿ وأنتم لا تظلمون ﴾ تنقصون منه شيئاً، والجملتان تأكيد للأولى(٣).

٢٧٣ ﴿ للفقراء ﴾ خبر مبتدأ محذوف، أي الصدقات ﴿ الذين أحصروا في سبيل الله ﴾ أي حبسوا أنفسهم على الجهاد، نزلت في أهل الصفة(٤)، وهم أربعمائة من المهاجرين، أرصدوا لتعلم القرآن والخروج مع السرايا(٥) ﴿ لا يستطيعون ضرباً ﴾ سفراً ﴿ في الأرض ﴾ للتجارة والمعاش، لشغلهم عنه بالجهاد ﴿ يحسبهم الجاهل ﴾ بحالهم ﴿ أغنياء من التعفف ﴾ أي لتعففهم عن السؤال وتركه ﴿ تعرفهم ﴾ يا مخاطب ﴿ بسيماهم ﴾ علامتهم من التواضع وأثر الجهد ﴿ لا يسألون الناس ﴾ شيئاً فيلحفون ﴿ إلحافاً ﴾ أي لا سؤال لهم أصلاً، فلا يقع منهم إلحاف، وهو الإلحاح ﴿ وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم ﴾ فمجاز عليه.

٢٧٤ ﴿ الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾.

٢٧٥ ﴿ الذين يأكلون الربا ﴾ أي يأخذونه، وهو: الزيادة في المعاملة بالنقود والمطعومات في القدر أو الأجل(٦). ﴿ لا يقومون ﴾ من قبورهم ﴿ إلا ﴾ قياماً ﴿ كما يقوم الذي يتخبطه ﴾ يصرعه ﴿ الشيطان من المس ﴾ الجنون، متعلق بيقومون(٧) ﴿ ذلك ﴾ الذي نزل بهم ﴿ بأنهم ﴾ بسبب أنهم ﴿ قالوا إنما البيع مثل الربا ﴾ في الجواز، وهذا من عكس التشبيه مبالغة(٨)، فقال تعالى رداً عليهم ﴿ وأحل الله البيع وحرم الربا فمن

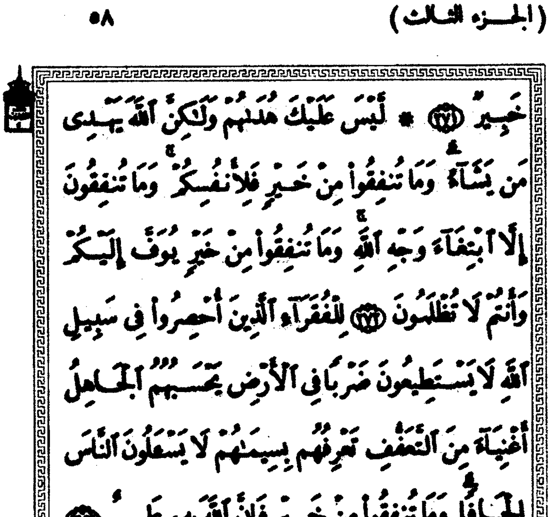
(الجـزء الثـالث) ٥٨

خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ ۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى
مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ
إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ
وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ
ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ
أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ
إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾
ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ
أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾
ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى
يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا
ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ۚ فَمَن

---

(١) أي صدقة تطوع، وذكر ذلك السيوطي عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أي معناه: لا تنفقوا إلا بهذا القصد.

(٣) أي قوله: «وما تنفقوا من خير يوف إليكم» وقوله «وأنتم لا تظلمون» مؤكدتان لقوله «وما تنفقوا من خير فلأنفسكم».

(٤) وهي مكان مظلل في مؤخرة المسجد.

(٥) جمع سرية، وهي القطعة من الجيش، وفي اصطلاح علماء السيرة: كل جيش لم يخرج فيه رسول الله ﷺ.

(٦) كان يبيعه [لترين] من الزيت مثلاً بثلاثة منه حالاً، أو يبيعه [لترين بلترين] إلى شهر مثلاً، ويسمى الأول في اصطلاح الفقهاء: رب الفضل أي الزيادة، والثاني: ربا النساء أي التأخير. وهناك صورة ثالثة للربا وتسمى: ربا القرض، وهي: أن يقرضه مائة مثلاً، على أن يردها له مائة وعشرة بعد شهر. وهذه الأنواع الثلاثة ممنوعة ومحرمة شرعاً.

(٧) المعنى: لا يقومون بسبب المس الكائن فيهم إلا...

(٨) أي إن مقصودهم تشبيه الربا من حيث الحل بالبيع المتفق على حله، فقلبوا التشبيه، حيث جعلوا الربا أصلاً وشبهوا البيع به، للمبالغة في إثبات التماثل بينهما من جميع الوجوه.

=انكسر فيعلقه، فأنزل الله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا... ﴾.. قال: فكنا بعد ذلك يأتي أحدنا بصالح ما عنده. [الترمذي: تفسير القرآن، باب: ومن تفسير البقرة، رقم: ٢٩٩٠] القنو: عنقود التمر. الشيص: أردأ التمر. الحشف: هو الذي يجف من التمر قبل أن ينضج.

سبب نزول الآية [٢٧٢]: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانوا يكرهون أن يرضخوا لأنسابهم من المشركين، فسألوا فرخص لهم، فنزلت هذه الآية: ﴿ ليس عليك هداهم.. ﴾ [أخرجه الحاكم في التفسير: ٢/٢٨٥]. يرضخوا: يعطوا شيئاً من المال.

جاءه ﴾ بلغه ﴿ موعظة ﴾ وعظ(١) ﴿ من ربه فانتهى ﴾ عن أكله ﴿ فله ما سلف ﴾ قبل النهي، أي لا يسترد منه ﴿ وأمره ﴾ في العفو عنه ﴿ إلى الله ومن عاد ﴾ إلى أكله مشبهاً له بالبيع في الحل ﴿ فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾.

٢٧٦ ﴿ يمحق الله الربا ﴾ ينقصه ويذهب بركته ﴿ويُربي الصدقات ﴾ يزيدها وينميها ويضاعف ثوابها ﴿ والله لا يحب كل كفار ﴾(٢) بتحليل الربا ﴿ أثيم ﴾ فاجر بأكله أي يعاقبه(٣).

٢٧٧ ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات(٤) وأقاموا الصلوة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾.

٢٧٨ ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ﴾ اتركوا ﴿ ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين ﴾ صادقين في إيمانكم، فإن من شأن المؤمن امتثال أمر الله تعالى. نزلت لما طالب بعض الصحابة بعد النهي بربا كان لهم قبل.

٢٧٩ ﴿ فإن لم تفعلوا ﴾ ما أمرتم به ﴿ فأذنوا ﴾ اعلموا ﴿ بحرب من الله ورسوله ﴾ لكم، فيه تهديد شديد لهم، ولما نزلت قالوا: لا يدَ لنا بحربه(٥) ﴿ وإن تبتم ﴾ رجعتم عنه ﴿ فلكم رؤوس ﴾ أصول ﴿ أموالكم لا تظلمون ﴾ بزيادة ﴿ ولا تظلمون ﴾ بنقص.

٢٨٠ ﴿ وإن كان ﴾ وقع غريم(٦) ﴿ ذو عسرة فنظرة ﴾ له، أي عليكم تأخيره ﴿ إلى ميسرة ﴾ بفتح السين وضمها، أي وقت يسر ﴿ وأن تصَّدَّقوا ﴾ بالتشديد على إدغام التاء في الأصل في الصاد، وبالتخفيف على حذفها، أي تتصدقوا على المعسر بالإبراء ﴿ خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ أنه خير فافعلوه، وفي الحديث: (من أنظر معسرا، أو وضع عنه (٧)، أظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله) رواه مسلم.

٢٨١ ﴿ واتقوا يوماً ترجعون ﴾ بالبناء للمفعول: تردون، وللفاعل: تصيرون(٨) ﴿فيه إلى الله﴾ هو يوم القيامة ﴿ ثم توفى ﴾ فيه ﴿ كل نفس ﴾ جزاء ﴿ ما كسبت ﴾ عملت من خير وشر

٥٩ (ســـورة البقرة)

جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ
إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا
خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ
لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ
عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ
إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ
وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ
وَلَا تُظۡلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ ذُو عُسۡرَةٖ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيۡسَرَةٖۚ
وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَٱتَّقُواْ
يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ

---

(١) زجر وتخويف وتذكير بالعواقب، والاتعاظ القبول والامتثال.

(٢) صيغة مبالغة من الكفر. (٣) فقوله [يعاقبه] تفسير لنفي المحبة.

(٤) التي من أهمها الامتثال بترك الربا. (٥) لا قدرة لنا ولا طاقة على هذه الحرب. (٦) من عليه ديون لا يجد وفاءها.

(٧) أبرأه من كل الدين أو من بعضه. والحديث أخرجه مسلم في الزهد والرقائق، باب: حديث جابر الطويل.

(٨) أي في قوله ﴿ ترجعون ﴾ قراءتان متواترتان: ﴿ تُرْجَعُون ﴾ أي تردون، و﴿تَرجِعُون﴾ أي تصيرون.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: آخر آية نزلت على النبي ﷺ آية الربا. [البخاري: التفسير، باب: ﴿واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله﴾ رقم: ٤٢٧٠] [آخر: أي في أواخر، والآخرية نسبية، فكل شيء آخر بالنسبة لما قبله، أو: المراد بالآخر آخر ما نزل على الإطلاق، ومراد ابن عباس رضي الله عنهما بآية الربا آية الباب: ﴿واتقوا..﴾ وسماها آية الربا لأنها جاءت في ختامها معطوفة عليها، فدخلت في حكمها ووصفها].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لما نزلت الآيات من آخر سورة البقرة في الربا، قرأها رسول الله ﷺ على الناس، ثم حرم التجارة في الخمر. [البخاري: التفسير، باب: ﴿وأحل الله البيع وحرم الربا﴾ رقم: ٤٢٦٦. مسلم: المساقاة، باب: تحريم بيع الخمر، رقم: ١٥٨٠] [الآيات: من قوله تعالى: ﴿الذين يأكلون الربا..﴾ إلى قوله: ﴿لا تَظلمون ولا تُظلمون﴾ / ٢٧٥-٢٧٩/. حرم تجارة الخمر: لأنها نوع من التعامل بالمحرم، ووسيلة من وسائل الوقوع فيه، والظاهر أن تحريم التجارة بالخمر لم تكن مقارنة لتحريم شربه].

سبب نزول الآية [٢٧٨]: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بلغنا أن هذه الآية نزلت في بني عمرو بن عوف من ثقيف، وفي بني المغيرة، وكانت بنو المغيرة يربون لثقيف، فلما أظهر الله رسوله على مكة وضع يومئذ الربا كله، فأتى بنو عمرو وبنو المغيرة إلى عتاب بن أسيد، وهو على مكة، فقال بنو المغيرة: أما جعلنا أشقى الناس بالربا، ووضع عن الناس غيرنا. فقال بنو عمرو: صولحنا أن لنا ربانا، فكتب عتاب في ذلك إلى رسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآية والتي بعدها. [لباب النقول].

﴿ وهم لا يظلمون ﴾ بنقص حسنة أو زيادة سيئة.

٢٨٢ ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم ﴾ تعاملتم ﴿ بدين ﴾ كسلم وقرض(١) ﴿ إلى أجل مسمى ﴾ معلوم ﴿ فاكتبوه ﴾ استيثاقاً ودفعاً للنزاع ﴿ وليكتب ﴾ كتاب الدين ﴿ بينكم كاتب بالعدل ﴾ بالحق في كتابته، لا يزيد في المال والأجل ولا ينقص ﴿ ولا يأب ﴾ يمنع ﴿ كاتب ﴾ من ﴿ أن يكتب ﴾ إذا دعي إليها ﴿ كما علمه الله ﴾ أي فضله بالكتابة، فلا يبخل بها. والكاف متعلقة بيأب(٢) ﴿ فليكتب ﴾ تأكيد ﴿ وليملل ﴾ يمل الكاتب(٣) ﴿ الذي عليه الحق ﴾ الدين، لأنه المشهود عليه، فيقر ليعلم ما عليه ﴿ وليتق الله ربه ﴾ في إملائه ﴿ ولا يبخس ﴾ ينقص ﴿ منه ﴾ أي الحق ﴿ شيئاً فإن كان الذي عليه الحق سفيهاً ﴾ مبذراً(٤) ﴿ أو ضعيفاً ﴾ عن الإملاء لصغر أو كبر ﴿ أو لا يستطيع أن يملَّ هو ﴾ لخرس، أو جهل باللغة، أو نحو ذلك ﴿ فليملل وليه ﴾ متولي أمره: من والد ووصي وقيم ومترجم ﴿ بالعدل واستشهدوا ﴾ أشهدوا على الدين ﴿ شهيدين ﴾ شاهدين ﴿ من رجالكم ﴾ أي: بالغي المسلمين الأحرار ﴿ فإن لم يكونا ﴾ أي الشهيدان ﴿ رجلين فرجل وامرأتان ﴾ يشهدون ﴿ ممن ترضون من الشهداء ﴾ لدينه وعدالته، وتعدد النساء لأجل ﴿ أن تضل ﴾ تنسى ﴿ إحداهما ﴾ الشهادة، لنقص عقلهن وضبطهن(٥) ﴿ فتذكر ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿ إحداهما ﴾ الذاكرة ﴿ الأخرى ﴾ الناسية، وجملة الإذكار محل العلة، أي لتذكر إن ضلت، ودخلت على الضلال لأنه سببه(٦). وفي قراءة بكسر إن شرطية، ورفع «تذكر» استئناف(٧) جوابه ﴿ولا يأب الشهداء إذا ما﴾ زائدة ﴿ دعوا ﴾ إلى تحمل الشهادة وأدائها ﴿ ولا تسأموا ﴾ تملوا من ﴿ أن تكتبوه ﴾ أي ما شهدتم عليه من الحق، لكثرة وقوع ذلك(٨) ﴿ صغيراً ﴾ كان ﴿ أو كبيراً ﴾ قليلاً او كثيراً ﴿ إلى أجله ﴾ وقت حلوله، حال من الهاء في تكتبوه(٩) ﴿ ذلكم ﴾ أي الكتب ﴿ أقسط ﴾ أعدل ﴿ عند الله وأقوم للشهادة ﴾ أي أعون على إقامتها، لأنه يذكرها ﴿ وأدنى ﴾ أقرب إلى ﴿ أ ﴾ ن ﴿ لا ترتابوا ﴾ تشكوا في قدر الحق والأجل ﴿ إلا أن تكون ﴾ تقع ﴿ تجارةً حاضرةً ﴾ وفي قراءة بالنصب، فتكون ناقصة واسمها ضمير التجارة(١٠) ﴿ تديرونها بينكم ﴾ أي تقبضونها ولا أجل فيها

وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم
بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ
كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ ۚ
فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ
وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا
أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ ۚ
وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ
فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ
إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ۚ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ
إِذَا مَا دُعُوا۟ ۚ وَلَا تَسْـَٔمُوٓا۟ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا
إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَـٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ
أَلَّا تَرْتَابُوٓا۟ ۖ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ

---

(١) السلم: أن يشتري شيئاً موصوفاً في الذمة، وينضبط بجنسه ونوعه وصفته وقدره، على أن يسلمه إياه في أجل معين، ويشترط دفع الثمن في مجلس العقد. والقرض: أن يأخذ مقداراً من المال يرده بعد أجل بدون زيادة أو نقص.

(٢) أي لا يجوز له الامتناع عن الكتابة لأجل تعليم الله تعالى له، وإكرامه بهذه النعمة فلا ينبغي أن يبخل بها. ويمكن أن تتعلق بيكتب، فيكون المعنى: عليه أن يكتب بالطريقة التي علمه الله تعالى إياها، والتي تتفق مع شرع الله عزّ وجلّ، دون تحريف أو محاباة.

(٣) يلقي عليه الألفاظ التي يكتبها.

(٤) محجوراً عليه لسفهه.

(٥) أي لأن من شأن المرأة أن تكون العاطفة لديها أقوى من العقل، فلا تضبط الأمور، وقد تغفل عن بعض شروط العقد وقيوده.

(٦) أي إن الإذكار والتذكير عند النسيان هو علة تعدد النساء في الشهادة، فكان ينبغي أن تدخل لام التعليل المقدرة على «تذكر» فيقال: أن تذكر.. إن ضلت، ولكنها دخلت على فعل الضلال فقيل: أن تضل...، لأن الضلال ـ وهو النسيان ـ سبب التذكير، فأقيم مقام المسبب عنه.

(٧) أي جملة ﴿فتذكر﴾ على هذه القراءة استئنافية، تقديرها: فهي تذكر، وهي في محل جزم جواب الشرط، لاقترانها بالفاء.

(٨) اي لا يحصل لكم سآمة بسبب كثرة وقوع المعاملات التي تحتاج إلى كتابة.

(٩) أي اكتبوا الدين مبيناً في كتابته وقت حلول أجله.

(١٠) أي أن تكون التجارة تجارةً... وعلى قراءة الرفع فتكون تامة، وتجارة فاعلها.

فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ۗ وَأَشْهِدُوٓا۟ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ
وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِن تَفْعَلُوا۟ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ ۗ
وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾
* وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ
فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ
وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا
فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ لِّلَّهِ مَا فِى
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ
أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ
مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ
بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ
وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ

﴿ فليس عليكم جناح في ﴿ أ ﴾ ن ﴿ لا تكتبوها ﴾ والمراد بها المتجر فيه[1] ﴿ وأشهدوا إذا تبايعتم ﴾ عليه، فإنه أدفع للاختلاف، وهذا وما قبله أمر ندب ﴿ ولا يضار كاتب ولا شهيد ﴾ صاحبَ الحق ومن عليه، بتحريف أو امتناع من الشهادة أو الكتابة، ولا يضرهما صاحبُ الحق بتكليفهما ما لا يليق في الكتابة والشهادة ﴿ وإن تفعلوا ﴾ ما نهيتم عنه ﴿ فإنه فسوق ﴾ خروج عن الطاعة لاحق ﴿ بكم واتقوا الله ﴾ في أمره ونهيه ﴿ ويعلمكم الله ﴾ مصالح أموركم، حال مقدرة[2]، أو مستأنف ﴿ والله بكل شيء عليم ﴾.

٢٨٣ ﴿ وإن كنتم على سفر ﴾ أي مسافرين، وتداينتم ﴿ ولم تجدوا كاتباً فَرُهُن ﴾ وفي قراءة «فرهان» جمع رهن ﴿ مقبوضة ﴾ تستوثقون بها، وبينت السنة جواز الرهن في الحضر ووجود الكاتب[3]، فالتقييد بما ذكر لأن التوثيق فيه أشد[4]. وأفاد قوله مقبوضة اشتراط القبض في الرهن[5]، والاكتفاء به من المرتهن ووكيله[6] ﴿ فإن أمن بعضكم بعضاً ﴾ أي الدائن المدينَ على حقه فلم يرتهن ﴿ فليؤد الذي اؤتمن ﴾ أي المدين ﴿ أمانته ﴾ دينه ﴿ وليتق الله ربه ﴾ في أدائه ﴿ ولا تكتموا الشهادة ﴾ إذا دعيتم لإقامتها ﴿ ومن يكتمها فإنه آثم قلبه ﴾ خص بالذكر لأنه محل الشهادة، ولأنه إذا أثم تبعه غيره، فيعاقب عليه معاقبة الآثمين ﴿ والله بما تعملون عليم ﴾ لا يخفى عليه شيء منه.

٢٨٤ ﴿ لله ما في السموات وما في الأرض وإن تبدوا ﴾ تظهروا ﴿ ما في أنفسكم ﴾ من السوء والعزم عليه ﴿ أو تخفوه ﴾ تسروه ﴿ يحاسبكم ﴾ يخبركم ﴿ به الله ﴾ يوم القيامة ﴿ فيغفر لمن يشاء ﴾ المغفرة له ﴿ ويعذب من يشاء ﴾ تعذيبه، والفعلان بالجزم عطفَ على جواب الشرط، والرفع أي فهو ﴿ والله على كل شيء قدير ﴾ ومنه محاسبتكم وجزاؤكم.

٢٨٥ ﴿ آمن ﴾ صدق ﴿ الرسول ﴾ محمد ﷺ ﴿ بما أنزل إليه من ربه ﴾ من القرآن ﴿ والمؤمنون ﴾ عطف عليه ﴿ كل ﴾ تنوينه عوض من المضاف إليه[7] ﴿ آمن بالله وملائكته وكتبه ﴾ بالجمع والإفراد[8] ﴿ ورسله ﴾ يقولون ﴿ لا نفرق بين أحد

---

[1] أي المراد بالتجارة في قوله: ﴿إلا أن تكون تجارة﴾ المتجر فيه لا فعل التجارة.

[2] أي اتقوا الله تعالى والحال أنه يعلمكم ما يصلح أموركم.

[3] فقد روى البخاري (١٩٦٢) ومسلم (١٦٠٣) عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ اشترى طعاماً من يهودي إلى أجل، ورهنه درعاً من حديد. ومعلوم أن ذلك كان في المدينة.

[4] أي تقييد جواز الرهن بالسفر لأن الحاجة في هذه الحالة إلى الرهن توثيقاً للدين أشد، لأن الغالب فيه عدم وجود الكاتب ونسيان الدين والتعرض للموت.

[5] أي حتى يلزم الرهن.

[6] أي ولا يشترط فيه إقباض الراهن، بل يكفي أن يقبضه المرتهن أو وكيله بإذن الراهن.

[7] والتقدير: كل واحد منهم.

[8] أي ﴿كُتُبِه﴾ و ﴿كتابه﴾ ويكون المراد بالمفرد جنس الكتب المنزلة، والقراءتان متواترتان.

سبب نزول الآية [٢٨٥ ـ ٢٨٦]: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما نزلت على رسول الله ﷺ ﴿ لله ما في السماوات وما في الأرض وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير ﴾ قال: فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ فأتوا رسول الله ﷺ، ثم بركوا على الرُكب، فقالوا: أي رسول الله، كلفنا من الأعمال ما نطيق: الصلاة والصيام والجهاد والصدقة، وقد أنزلت عليك هذه الآية، ولا نطيقها؟ قال رسول الله ﷺ: (أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين قبلكم: سمعنا وعصينا؟ بل قولوا سمعنا فأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير). قالوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير. فلما اقترأها القوم زلت بها ألسنتهم، فأنزل الله في إثرها: ﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه . . ﴾ فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى، فأنزل الله عز وجل: ﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها . . ﴾ [مسلم: الإيمان، باب: بيان أنه سبحانه وتعالى لم يكلف إلا ما يطاق، رقم: ١٢٥].

من رسله ﴾ فنؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعل اليهود والنصارى ﴿ وقالوا سمعنا ﴾ أي ما أمرنا به سماع قبول ﴿ وأطعنا ﴾ نسألك ﴿ غفرانك ربنا وإليك المصير ﴾ المرجع بالبعث. ولما نزلت الآية التي قبلها شكا المؤمنون من الوسوسة⁽¹⁾، وشق عليهم المحاسبة بها، فنزل:

٢٨٦ ﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ﴾ أي ما تسعه قدرتها ﴿ لها ما كسبت ﴾ من الخير، أي ثوابه ﴿ وعليها ما اكتسبت ﴾⁽²⁾ من الشر، أي وزره، ولا يؤخذ أحد بذنب أحد، ولا بما لا يكسبه مما وسوست به نفسه⁽³⁾. وقولوا ﴿ ربنا لا تؤاخذنا ﴾ بالعقاب ﴿ إن نسينا أو أخطأنا ﴾ تركنا الصواب لا عن عمد، كما آخذت به من قبلنا، وقد رفع الله ذلك عن هذه الأمة ⁽⁴⁾، كما ورد في الحديث، فسؤاله اعتراف بنعمة الله ⁽⁵⁾ ﴿ ربنا ولا تحمل علينا إصراً ﴾ أمراً يثقل علينا حمله ﴿ كما حملته على الذين من قبلنا ﴾ أي بني إسرائيل من قتل النفس في التوبة، وإخراج ربع المال في الزكاة، وقرض موضع النجاسة⁽⁶⁾ ﴿ ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة ﴾ قوة ﴿ لنا به ﴾ من التكاليف والبلاء ﴿ واعف عنا ﴾ امح ذنوبنا ﴿ واغفر لنا وارحمنا ﴾ في الرحمة زيادة على المغفرة⁽⁷⁾ ﴿ أنت مولانا ﴾ سيدنا ومتولي أمورنا ﴿ فانصرنا على القوم الكافرين ﴾ بإقامة الحجة والغلبة في قتالهم، فإن من شأن المولى أن ينصر مواليه على الأعداء. وفي الحديث: لما نزلت هذه الآية، فقرأها رسول الله ﷺ، قيل له ⁽⁸⁾ عقب كل كلمة: قد فعلت ⁽⁹⁾. والله أعلم.

(سورة آل عمران)
«مدنية وآياتها مائتان أو إلا آية»

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿ آلم ﴾ الله أعلم بمراده بذلك⁽¹⁰⁾.
٢ ﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾⁽¹¹⁾.
٣ ﴿ نزل

مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾

(٣) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ مَدَنِيَّة
وَآيَاتُهَا مِائَتَانِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ

---

(١) الخواطر التي ترد على النفس.

(٢) عزمت على فعله، أو فعلته.

(٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (إن الله تجاوز لي عن أمتي ما وسوست به صدورها ما لم تعمل أو تتكلم).
[البخاري: العتق، باب: الخطأ والنسيان في العتاقة (٢٣٩١) ومسلم: الإيمان، باب: تجاوز الله عن حديث النفس والخواطر (١٢٧)].

(٤) أي رفع المؤاخذة عما يقع منها خطأً، والحديث الوارد في هذا قوله ﷺ: (إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه). أخرجه ابن ماجه في الطلاق، باب طلاق المكره والناسي، رقم ٢٠٤٥.

(٥) أي طلب رفع المؤاخذة عن الخطأ والنسيان، بعد ثبوت ذلك في الحديث، إظهار لنعمة الله تعالى وتحدث بها.

(٦) فقد روى البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: أن بني إسرائيل كان إذا أصاب ثوب أحدهم بول قرضه. أي قطع من الثوب ما أصابه البول. [البخاري: الوضوء، البول عند سباطة قوم (٢٢٤) مسلم: الطهارة، باب المسح على الخفين (٢٧٣)].

(٧) أي في الرحمة زيادة في الإحسان على المغفرة.

(٨) من قبل الله عز وجل.

(٩) أجبت دعاءك وليبت طلبك، والحديث رواه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب: بيان أنه سبحانه وتعالى لا يكلف إلا ما يطاق، رقم: ١٢٦.

عن أبي مسعود البدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الآيتان من آخر سورة البقرة، من قرأهما في ليلة كفتاه» [البخاري: المغازي، باب: شهود الملائكة بدراً، رقم: ٣٧٨٦. مسلم: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة، رقم: ٨٠٧] [الآيتان: هما من قوله تعالى: ﴿آمن الرسول﴾ إلى آخر السورة. كفتاه: حفظتاه من الشر ووقتاه من المكروه، وقيل: أغنتاه عن قيام الليل، وذلك لما فيهما من معاني الإيمان والإسلام، والالتجاء إلى الله عز وجل، والاستعانة به والتوكل عليه، وطلب المغفرة والرحمة منه].

(١٠) انظر تفسير أول سورة البقرة.

(١١) انظر تفسير/ البقرة: ٢٥٥/.

عليك ﴾ يا محمد ﴿ الكتاب ﴾ القرآن متلبساً ﴿ بالحق ﴾ بالصدق في أخباره ﴿ مصدقاً لما بين يديه ﴾ قبله من الكتب ﴿ وأنزل التوراة والإنجيل﴾.

٤ ﴿ من قبل ﴾ أي قبل تنزيله ﴿ هدى ﴾ حال(١)، بمعنى: هاديين من الضلالة ﴿ للناس ﴾ ممن تبعهما، وعبر فيهما بأنزل، وفي القرآن بنزّل المقتضي للتكرير، لأنهما أنزلا دفعة واحدة، بخلافه ﴿ وأنزل الفرقان ﴾ بمعنى الكتب الفارقة بين الحق والباطل، وذكره بعد ذكر الثلاثة ليعم ما عداها ﴿ إن الذين كفروا بآيات الله ﴾ القرآن وغيره ﴿ لهم عذاب شديد والله عزيز ﴾ غالب على أمره، فلا يمنعه شيء من إنجاز وعده ووعيده(٢) ﴿ ذو انتقام ﴾ عقوبة شديدة ممن عصاه، لا يقدر على مثلها أحد.

٥ ﴿ إن الله لا يخفى عليه شيء ﴾ كائن ﴿ في الأرض ولا في السماء ﴾ لعلمه بما يقع في العالم من كلي وجزئي(٣)، وخصهما بالذكر لأن الحس لا يتجاوزهما.

٦ ﴿ هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء ﴾ من ذكورة وأنوثة، وبياض وسواد، وغير ذلك ﴿ لا إله إلا هو العزيز ﴾ في ملكه ﴿ الحكيم ﴾ في صنعه.

٧ ﴿ هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات ﴾ واضحات الدلالة ﴿ هن أم الكتاب ﴾ أصله المعتمد عليه في الأحكام ﴿ وأخر متشابهات ﴾ لا تفهم معانيها كأوائل السور(٤)، وجعله كله محكماً في قوله «أحكمت آياته» /هود: ١/ بمعنى أنه ليس فيه عيب، ومتشابهاً في قوله «كتاباً متشابهاً» /الزمر: ٢٣/ بمعنى أنه يشبه بعضه بعضاً في الحسن والصدق ﴿ فأما الذين في قلوبهم زيغ ﴾ ميل عن الحق ﴿ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء ﴾ طلب ﴿ الفتنة ﴾ لجهالهم، بوقوعهم في الشبهات واللبس ﴿ وابتغاء تأويله ﴾ تفسيره ﴿ وما يعلم تأويله ﴾ تفسيره ﴿ إلا الله ﴾ وحده ﴿ والراسخون ﴾ الثابتون المتمكنون ﴿ في العلم ﴾ مبتدأ خبره ﴿ يقولون آمنا به ﴾ أي بالمتشابه أنه من عند الله ولا نعلم معناه(٥) ﴿ كلّ ﴾ من المحكم والمتشابه ﴿ من عند ربنا وما يذكر ﴾ بإدغام التاء في الأصل في الذال، أي يتعظ ﴿ إلا أولوا الألباب ﴾ أصحاب العقول.

٨ ويقولون أيضاً إذا رأوا من يتبعه(٦): ﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا ﴾ تملها عن الحق بابتغاء تأويله الذي لا يليق بنا، كما أزغت قلوب أولئك ﴿ بعد إذ هديتنا ﴾ أرشدتنا إليه ﴿ وهب لنا من لدنك ﴾ من عندك ﴿ رحمة ﴾ تثبيتاً ﴿ إنك أنت الوهاب ﴾.

عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ
ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ
ٱلْفُرْقَانَ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ
وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ
فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ
فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦﴾
هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ
هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ
زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ
وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا
بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾
رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ

---

(١) من التوراة والإنجيل. (٢) الوعد ما يكون في الخير كالثواب، والوعيد ما يكون في الشر كالعقاب. (٣) أي إن علمه سبحانه يتناول كل ما يجري من أمور ما عظم منها وما صغر.

(٤) المتشابه هو ما يحتمل التأويل وليس صريحاً في معناه.

(٥) وهذا على رأي من يقف على ﴿إلا الله﴾ وهم الجمهور. وعلى رأي من قال بالوقوف على ﴿في العلم﴾ يكون المعنى: وإلا الراسخون في العلم فإنهم يعلمون تأويله أيضاً، ويكون ﴿يقولون﴾ كلاماً مستأنفاً موضحاً لحال الراسخين، والأول أصح. (٦) أي من يتبع المتشابه ويتعلق بظاهره.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب﴾. قالت: قال رسول الله ﷺ: «فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم». [البخاري: التفسير، باب: ﴿منه آيات محكمات﴾ رقم: ٤٢٧٣. مسلم: العلم، باب: النهي عن اتباع متشابه القرآن، رقم: ٢٦٦٥] [محكمات: مبينات مفصلات، أحكمت عبارتها ووضحت، وحفظت من احتمال التأويل والاشتباه. أم الكتاب: أصل الكتاب والعمدة منه. متشابهات: محتملات في معانيهن للتأويل. ابتغاء: طلب. الفتنة: أن يفتنوا الناس عن دينهم ويوقعوهم في الشك. تأويله: تفسيره حسبما يشتهون. سمى الله: أي ذكرهم في كتابه بأنهم في قلوبهم زيغ].

٩ يا ﴿ربنا إنك جامع الناس﴾ تجمعهم ﴿ليوم﴾ أي في يوم ﴿لا ريب﴾ شك ﴿فيه﴾ هو يوم القيامة، فتجازيهم بأعمالهم كما وعدت بذلك ﴿إن الله لا يخلف الميعاد﴾ موعده بالبعث، فيه التفات عن الخطاب(١)، ويحتمل أن يكون من كلامه تعالى(٢)، والغرض من الدعاء بذلك: بيان أن همهم أمر الآخرة، ولذلك سألوا الثبات على الهداية لينالوا ثوابها.

روى الشيخان عن عائشة رضي الله عنها قالت: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات﴾ إلى آخرها، وقال:(فإذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله(٣)، فاحذروهم). وروى الطبراني في الكبير، عن أبي موسى الأشعري: أنه سمع النبي ﷺ يقول (ما أخاف على أمتي إلا ثلاث خلال(٤)، وذكر منها: أن يفتح لهم الكتاب(٥) فيأخذه المؤمن يبتغي تأويله، وليس يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون: آمنا به، كل من عند ربنا، وما يذكر إلا أولوا الألباب) الحديث.

١٠ ﴿ إن الذين كفروا لن تغني ﴾ تدفع﴿ عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله ﴾ أي عذابه ﴿ شيئاً وأولئك هم وقود النار ﴾ بفتح الواو، ما توقد به.

١١ دأبهم ﴿ كدأب ﴾ كعادة ﴿ آل فرعون والذين من قبلهم ﴾ من الأمم، كعاد وثمود ﴿ كذبوا بآياتنا فأخذهم الله ﴾ أهلكهم ﴿ بذنوبهم ﴾ والجملة مفسرة لما قبلها ﴿ والله شديد العقاب ﴾.

١٢ ونزل ـ لما أمر النبي ﷺ اليهود بالإسلام، بعد مرجعه من بدر، فقالوا له: لا يغرنك أن قتلت نفراً من قريش أغماراً(٦)، لا يعرفون القتال ـ ﴿ قل ﴾ يا محمد ﴿ للذين كفروا ﴾ من اليهود ﴿ ستغلبون ﴾ بالتاء والياء، في الدنيا: بالقتل والأسر وضرب الجزية، وقد وقع ذلك(٧) ﴿ وتحشرون ﴾ بالوجهين(٨)، في الآخرة ﴿ إلى جهنم ﴾ فتدخلونها ﴿ وبئس المهاد ﴾ الفرش هي(٩).

١٣ ﴿ قد كان لكم آية ﴾ عبرة، وذُكر الفعل للفصل(١٠) ﴿ في فئتين ﴾ فرقتين ﴿ التقتا ﴾ يوم بدر للقتال ﴿ فئة تقاتل في سبيل الله ﴾ أي طاعته، وهم النبي ﷺ وأصحابه، وكانوا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلاً، معهم: فرسان، وست أدرع، وثمانية سيوف، وأكثرهم رجالة ﴿ وأخرى كافرة يرونهم ﴾ أي الكفار ﴿ مثليهم ﴾ أي المسلمين أي أكثر منهم(١١)، وكانوا نحو ألف ﴿ رأي العين ﴾ أي رؤية ظاهرة معاينة، وقد نصرهم الله مع قلتهم ﴿ والله يؤيد ﴾ يقوي ﴿ بنصره من يشاء ﴾ نصره ﴿ إن في ذلك ﴾ المذكور ﴿ لعبرة لأولي الأبصار ﴾ لذوي البصائر، أفلا تعتبرون بذلك فتؤمنوا؟.

١٤ ﴿ زين للناس حب الشهوات ﴾ ما تشتهيه النفس

رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ
لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٩﴾ إِنَّ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم
مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾ كَدَأْبِ
ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ
ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟
سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾
قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ
ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ
بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾
زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ
ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ

---

(١) إلى الغيبة، فبعد أن قالوا ﴿إنك﴾ قالوا ﴿إن الله﴾.

(٢) جاء تقريراً وتصديقاً لقولهم ﴿إنك جامع الناس﴾.

(٣) عينهم في كتابه بوصف أنهم ﴿في قلوبهم زيغ﴾.

(٤) جمع خَلَّة، وهي: خلق في الإنسان، قد يكون فضيلة وقد يكون رذيلة. والخلتان اللتان لم تذكرا هما: (أن يكثر لهم المال فيتحاسدوا فيقتتلوا.. وأن يزداد علمهم فيضيعوه ولا يسألوا عنه).

(٥) أي يقرأ عليهم فيسمعوه.

(٦) جمع غُمْر، وهو الغافل الذي لم يجرب الأمور، وأصله الصبي الذي لا عقل له.

(٧) بإجلاء بني النضير وبني قينقاع، وقتل رجال قريظة وأسر نسائهم وأولادهم، وفتح خيبر وفرض ما فرض عليهم.

(٨) أي بالتاء وبالياء: ﴿تحشرون﴾ و﴿يحشرون﴾.

(٩) أي بئس ما مهدوه لأنفسهم وكان مستقراً لهم.

(١٠) بين كان واسمها المؤنث المجازي، وهو ﴿آية﴾.

(١١) أي رأى المسلمون الكفار أكثر منهم، وهذا على الحقيقة. أو: رأى الكفار المسلمين أكثر منهم على قلتهم، ليقع الرعب في قلوبهم.

وتدعو إليه، زينها الله ابتلاءً(١)، أو الشيطان ﴿ من النساء والبنين والقناطير ﴾ الأموال الكثيرة ﴿ المقنطرة ﴾ المجمعة ﴿ من الذهب والفضة والخيل المسومة ﴾ الحسان(٢) ﴿ والأنعام ﴾ أي الإبل والبقر والمعز والغنم ﴿ والحرث ﴾الزرع ﴿ ذلك ﴾ المذكور ﴿ متاع الحياة الدنيا ﴾ يتمتع به فيها ثم يفنى ﴿ والله عنده حسن المآب ﴾ المرجع، وهو الجنة، فينبغي الرغبة فيه دون غيره.

١٥ ﴿ قل ﴾ يا محمد لقومك ﴿ أؤنبئكم ﴾ أأخبركم ﴿ بخير من ذلكم ﴾ المذكور من الشهوات، استفهام تقرير(٣) ﴿ للذين اتقوا ﴾ الشرك ﴿ عند ربهم ﴾ خبر، مبتدؤه ﴿ جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين ﴾ أي مقدرين الخلود ﴿ فيها ﴾ إذا دخلوها ﴿ وأزواج مطهرة ﴾ من الحيض وغيره مما يستقذر ﴿ ورِضوان ﴾ بكسر أوله وضمه لغتان، أي رضاً كثير ﴿من الله والله بصير﴾ عالم ﴿ بالعباد ﴾ فيجازي كلاًّ منهم بعمله.

١٦ ﴿ الذين ﴾ نعت، أو بدل من «الذين» قبله ﴿ يقولون ﴾ يا ﴿ ربنا إننا آمنا ﴾ صدقنا بك وبرسولك ﴿ فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار ﴾.

وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ
عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ۞ قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن
ذَٰلِكُمۡۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا
ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِۗ
وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿١٥﴾ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ
لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ
وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡمُنفِقِينَ وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ ﴿١٧﴾ شَهِدَ
ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا
بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ
عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا
مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ
ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنۡ حَآجُّوكَ فَقُلۡ

١٧ ﴿ الصابرين ﴾ على الطاعة وعن المعصية، نعت ﴿والصادقين ﴾ في الإيمان ﴿ والقانتين ﴾ المطيعين الله ﴿ والمنفقين ﴾ المتصدقين ﴿ والمستغفرين ﴾ لله بأن يقولوا: اللهم اغفر لنا ﴿ بالأسحار ﴾ أواخر الليل، خصت بالذكر لأنها وقت الغفلة ولذة النوم.

١٨ ﴿ شهد الله ﴾ بين لخلقه بالدلائل والآيات ﴿ أنه لا إله ﴾ أي لا معبود في الوجود بحق ﴿ إلا هو و ﴾ شهد بذلك ﴿ الملائكة ﴾ بالإقرار ﴿ وأولوا العلم ﴾ من الأنبياء والمؤمنين بالاعتقاد واللفظ ﴿ قائماً ﴾ بتدبير مصنوعاته، ونصبه على الحال، والعامل فيها معنى الجملة(٤) أي تفرد ﴿ بالقسط ﴾ بالعدل ﴿ لا إله إلا هو ﴾ كرره تأكيداً ﴿ العزيز ﴾ في ملكه ﴿ الحكيم ﴾ في صنعه.

١٩ ﴿ إن الدين ﴾ المرضي ﴿ عند الله ﴾ هو ﴿ الإسلام ﴾ أي الشرع المبعوث به الرسل، المبني على التوحيد. وفي قراءة بفتح أن بدل من أنه الخ.. بدل اشتمال(٥) ﴿ وما اختلف الذين أوتوا الكتاب ﴾ اليهود والنصارى في الدين، بأن وحَّد بعض وكفر بعض ﴿ إلا من بعد ما جاءهم العلم ﴾ بالتوحيد ﴿ بغياً ﴾ من الكافرين ﴿ بينهم ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب ﴾ أي المجازاة له.

٢٠ ﴿ فإن حاجوك ﴾ خاصمك الكفار يا محمد في الدين ﴿ فقل ﴾ لهم

---

(١) اختباراً: هل يؤثرونها على طاعته، أم يستمتعون بها في حدود شرعه.

(٢) وقيل: المعلمة، من السيما وهي العلامة أو الحسن.

عن عروة البارقي رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة: الأجر والمغنم» [البخاري: الجهاد، باب: الجهاد ماض مع البر والفاجر، رقم: ٢٦٩٧. مسلم: الإمارة، باب: الخيل في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، رقم: ١٨٧٣] [الأجر: الثواب في الآخرة. المغنم: الغنيمة في الدنيا].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «من احتبس فرساً في سبيل الله، إيماناً بالله، وتصديقاً بوعده، فإن شبعه وريَّه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة». [البخاري: الجهاد، باب: من احتبس فرساً، رقم: ٢٦٩٨] [احتبس: هيأ وأعد. في سبيل الله: بنية الجهاد. إيماناً بالله: امتثالاً لأمره. تصديقاً بوعده: الذي وعد به من الثواب على ذلك. ريه: ما يرويه من الماء. روثه: فضلاته. في ميزانه: أي يوضع ثواب هذه الأشياء في كفة حسناته].

(٣) تثبيت وتحقيق خيرية ما عند الله تعالى وأفضليته في نفوس المخاطبين.

(٤) أي جملة ﴿لا إله إلا هو﴾.

(٥) التقدير: شهد الله أنه لا إله إلا هو: شهد أن الدين.. فإن الإسلام المشهود به مشتمل على التوحيد.

﴿ أسلمت وجهي لله ﴾ انقدت له أنا ﴿ ومن اتبعن ﴾ وخص الوجه بالذكر لشرفه، فغيره أولى ﴿ وقل للذين أوتوا الكتاب ﴾ اليهود والنصارى ﴿ والأميين ﴾ مشركي العرب ﴿ ءأسلمتم ﴾ أي أسلموا ﴿ فإن أسلموا فقد اهتدوا ﴾ من الضلال ﴿ وإن تولوا ﴾ عن الإسلام ﴿ فإنما عليك البلاغ ﴾ التبليغ للرسالة ﴿ والله بصير بالعباد ﴾ فيجازيهم بأعمالهم، وهذا قبل الأمر بالقتال.

٢١ ﴿ إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون ﴾ وفي قراءة «يُقاتِلون»(١) ﴿ النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط ﴾ بالعدل ﴿ من الناس ﴾ وهم اليهود، روي: أنهم قتلوا ثلاثة وأربعين نبياً، فنهاهم مائة وسبعون من عبّادهم، فقتلوهم من يومهم(٢) ﴿ فبشرهم ﴾ أعلمهم ﴿ بعذاب أليم ﴾ مؤلم، وذكر البشارة تهكم بهم(٣)، ودخلت الفاء في خبر إنّ لشبه اسمها الموصول بالشرط(٤).

٢٢ ﴿ أولئك الذين حبطت ﴾ بطلت ﴿ أعمالهم ﴾ ما عملوه من خير: كصدقة وصلة رحم ﴿ في الدنيا والآخرة ﴾ فلا اعتداد بها لعدم شرطها ﴿ وما لهم من ناصرين ﴾ مانعين من العذاب.

٢٣ ﴿ ألم ترَ ﴾ تنظر ﴿ إلى الذين أوتوا نصيباً ﴾ حظاً ﴿ من الكتاب ﴾ التوراة ﴿ يدعون ﴾ حال(٥) ﴿ إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون ﴾ عن قبول حكمه، نزل في اليهود: زنى منهم اثنان، فتحاكموا إلى النبي ﷺ فحكم عليهما بالرجم، فأبوا، فجيء بالتوراة فوجد فيها، فرجما، فغضبوا(٦).

٢٤ ﴿ ذلك ﴾ التولي والإعراض ﴿ بأنهم قالوا ﴾ أي بسبب قولهم ﴿ لن تمسنا النار إلا أياما معدودات ﴾ أربعين يوماً، مدة عبادة آبائهم العجل، ثم تزول عنهم ﴿ وغرهم في دينهم ﴾ متعلق بقوله ﴿ ما كانوا يفترون ﴾ من قولهم ذلك(٧).

٢٥ ﴿ فكيف ﴾ حالهم ﴿ إذا جمعناهم ليوم ﴾ أي في

أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ
وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟
فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّۦنَ بِغَيْرِ حَقٍّ
وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم
بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ
فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٢﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى
ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ
لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾
ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ
وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا
جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ

---

(١) الصواب أن هذه ﴿يقتلون﴾ عند الجميع، وأما ﴿يقاتلون﴾ ففي الجملة الثانية ﴿ويقتلون الذين يأمرون بالقسط﴾.

(٢) روي البغوي عن أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، أي الناس أشد عذاباً يوم القيامة؟ قال: (رجل قتل نبياً أو رجلاً أمر بالمعروف ونهى عن المنكر. ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس﴾ إلى أن انتهى إلى قوله ﴿وما لهم من ناصرين﴾ ثم قال رسول الله ﷺ: يا أبا عبيدة، قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبياً من أول النهار وفي ساعة واحدة، فقام مائة واثنا عشر رجلاً من عباد بني إسرائيل، فأمروا من قتلهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر، فقتلوهم جميعاً من آخر النهار في ذلك اليوم، فهم الذين ذكرهم الله في كتابه، وأنزل الآية فيهم).

(٣) لأن البشارة في الأصل هي الخبر السار، فاستعمالها في موضع ما يسوء الإنسان توبيخ وتهكم.

(٤) فصار الخبر بمعنى الجزاء، فصح اقترانه بالفاء، والتقدير: من كفر فبشره.

(٥) أي جملة ﴿يدعون﴾ في محل نصب على الحال من ﴿الذين أوتوا﴾.

(٦) اثنان: أي رجل وامرأة. فوجد فيها: أي حكم الرجم للزاني المحصن. وانظر الحديث في البخاري: المحاربين، باب: الرجم في البلاط، رقم: ٦٤٣٣. ومسلم: الحدود، باب: رجم اليهود أهل الذمة في الزنا، رقم: ١٦٩٩.

وقد ورد في سبب نزول الآية غير هذا، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: دخل رسول الله ﷺ بيت المدراس على جماعة من اليهود، فدعاهم إلى الله، فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد: على أي دين أنت يا محمد؟ قال: (على ملة إبراهيم ودينه). قال: فإن إبراهيم كان يهودياً، فقال لهما رسول الله ﷺ: (فهلما إلى التوراة، فهي بيننا وبينكم) فأبيا عليه، فأنزل الله: ﴿ألم تر إلى الذين - إلى قوله - يفترون ﴾ [لباب النقول].

(٧) أي افتراؤهم هذا القول ﴿لن تمسنا النار﴾ وزعمهم صحته غرهم في ارتكاب المعاصي ومخالفة أوامر الدين.

وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ
مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ
مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾
تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ
مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ
بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ
مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ
فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ
وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ
تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ
وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ
مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ

يوم ﴿ لا ريب ﴾ شك ﴿ فيه ﴾ هو يوم القيامة ﴿ ووفيت كل نفس ﴾ من أهل الكتاب وغيرهم جزاء ﴿ ما كسبت ﴾ عملت من خير وشر ﴿ وهم ﴾ أي الناس ﴿ لا يظلمون ﴾ بنقص حسنة أو زيادة سيئة.

٢٦ ونزل ـ لما وعد ﷺ أمته ملك فارس والروم، فقال المنافقون: هيهات(١) ـ ﴿ قل اللهم ﴾ يا الله ﴿ مالك الملك تؤتي ﴾ تعطي ﴿ الملك من تشاء ﴾ من خلقك ﴿ وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء ﴾ بإيتائه ﴿ وتذل من تشاء ﴾ بنزعه منه ﴿ بيدك ﴾ بقدرتك ﴿ الخير ﴾ أي والشر ﴿ إنك على كل شيء قدير ﴾.

٢٧ ﴿ تولج ﴾ تدخل ﴿ الليل في النهار وتولج النهار ﴾ تدخله ﴿ في الليل ﴾ فيزيد كل منهما بما نقص في الآخر ﴿ وتخرج الحي من الميت ﴾ كالإنسان والطائر من النطفة والبيضة ﴿ وتخرج الميت ﴾ كالنطفة والبيضة ﴿ من الحي وترزق من تشاء بغير حساب ﴾ أي رزقاً واسعاً(٢).

٢٨ ﴿ لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء ﴾ يوالونهم ﴿ من دون ﴾ أي غير ﴿ المؤمنين ومن يفعل ذلك ﴾ أي يواليهم ﴿ فليس من ﴾ دين ﴿ الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ﴾ مصدر تَقَيْتُه، أي تخافوا مخافة، فلكم موالاتهم باللسان دون القلب، وهذا قبل عزة الإسلام، ويجري فيمن هو في بلد ليس الإسلام قوياً فيها(٣) ﴿ ويحذركم ﴾ يخوفكم ﴿ الله نفسه ﴾ أن يغضب عليكم إن واليتموهم ﴿ وإلى الله المصير ﴾ المرجع، فيجازيكم.

٢٩ ﴿ قل ﴾ لهم ﴿ إن تخفوا ما في صدوركم ﴾ قلوبكم من موالاتهم ﴿ أو تبدوه ﴾ تظهروه ﴿ يعلمه الله و ﴾ هو ﴿ يعلم ما في السموات وما في الأرض والله على كل شيءٍ قدير ﴾ ومنه تعذيب من والاهم.

٣٠ اذكر ﴿ يوم تجد كل نفس ما عملت ﴾ ـه ﴿ من خير محضراً(٤) وما عملت ﴾ ـه ﴿ من سوء ﴾ مبتدأ(٥)، خبره ﴿ تود لو أن بينها وبينه

---

(١) بُعْدَ تحقيقِ ما تقول.

(٢) وفي هذه الآية دلالة على ما ذكر قبلها مع سببه، فإن القادر على هذه الأمور العظيمة قادر على غيرها. وكان المراد من هذه الآية التدليل على قدرة الله تعالى على جعل الملك للمسلمين رغم أنهم لا تظهر عليهم علائم القوة والسلطان، حيث قيل ما قيل.

(٣) وأما في بلاد الإسلام: فليس لمسلم أن يوالي كافراً أو يداهن له.

(٤) حاضراً ظاهراً كاملاً، فتسر به، لما ستلقى من ثوابه.

(٥) أي اسم الموصول في قوله ﴿وما عملت من سوء﴾ مبتدأ.

سبب نزول الآية [٢٦]: قال ابن عباس وأنس بن مالك رضي الله عنهما: لما افتتح رسول الله ﷺ مكة ووعد أمته ملك فارس والروم، قالت المنافقون واليهود: هيهات، هيهات، من أين لمحمد ملك فارس والروم؟ هم أعز وأمنع من ذلك، ألم يكف محمداً مكة والمدينة حتى طمع في ملك فارس والروم. فأنزل الله تعالى هذه الآية. وذكر الواحدي بسنده عن عمرو بن عوف رضي الله عنه: أن النبي ﷺ بشر المسلمين يوم الخندق بالظهور على ملك كسرى وقيصر وغيرهما، فاستبشر المسلمون وقالوا: الحمدلله، موعد صدق، وعدنا النصر بعد الحفر. فقال المنافقون: ألا تعجبون؟ يمنيكم ويعدكم الباطل، ويخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى، وأنها تفتح لكم وأنتم إنما تحفرون الخندق من الفرق، ولا تستطيعون أن تبرزوا. قال: فنزل القرآن ﴿ وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً ﴾ [الأحزاب: ١٢] وأنزل الله تعالى في هذه القصة قوله: ﴿ قل اللهم مالك الملك ﴾ الآية. [الواحدي].

سبب نزول الآية [٢٨]: أخرج ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان الحجاج بن عمرو ـ حليف كعب بن الأشرف ـ وابن أبي الحقيق وقيس بن زيد قد بطنوا بنفر من الأنصار ليفتنوهم عن دينهم. فقال رفاعة بن المنذر وعبدالله بن جبير وسعد بن خيثمة لأولئك النفر: اجتنبوا هؤلاء اليهود، واحذروا لزومهم ومباطنتهم، لا يفتنوكم عن دينكم. فأبى أولئك النفر إلا مباطنتهم ولزومهم، فأنزل الله فيهم: ﴿لا يتخذ المؤمنون ـ إلى قوله ـ والله على كل شيء قدير﴾.

أمداً بعيداً ﴾ غاية في نهاية البعد، فلا يصل إليها ﴿ ويحذركم الله نفسه ﴾ كرر(١) للتأكيد ﴿ والله رؤوف بالعباد ﴾.

٣١ ونزل ـ لما قالوا: ما نعبد الأصنام إلا حباً لله، ليقربونا إليه(٢) ـ ﴿ قل ﴾ لهم يا محمد ﴿ إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾ بمعنى أنه يثيبكم ﴿ ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور ﴾ لمن اتبعني ما سلف منه قبل ذلك ﴿ رحيم ﴾ به. ٣٢ ﴿ قل ﴾ لهم ﴿ أطيعوا الله والرسول ﴾ فيما يأمركم به من التوحيد ﴿ فإن تولوا ﴾ أعرضوا عن الطاعة ﴿ فإن الله لا يحب الكافرين ﴾ فيه إقامة الظاهر مقام المضمر، أي لا يحبهم، بمعنى: يعاقبهم.

٣٣ ﴿ إن الله اصطفى ﴾ اختار ﴿ آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران ﴾ بمعنى أنفسهما(٣) ﴿ على العالمين ﴾ بجعل الأنبياء من نسلهم. ٣٤ ﴿ ذرية بعضها من ﴾ ولد ﴿ بعض ﴾ منهم(٤) ﴿ والله سميع عليم ﴾.

٣٥ اذكر ﴿ إذ قالت امرأت عمران ﴾ حنة، لما أسنت(٥) واشتاقت للولد، فدعت الله، وأحست بالحمل: يا ﴿ رب إني نذرت ﴾ أن أجعل ﴿ لك ما في بطني محرراً ﴾ عتيقاً خالصاً من شواغل الدنيا، لخدمة بيتك المقدس ﴿ فتقبل مني إنك أنت السميع ﴾ للدعاء ﴿ العليم ﴾ بالنيّات، وهلك(٦) عمران وهي حامل.

٣٦ ﴿ فلما وضعتها ﴾ ولدتها جارية(٧)، وكانت ترجو أن يكون غلاماً(٨)، إذ لم يكن يحرر إلا الغلمان ﴿ قالت ﴾ معتذرة: يا ﴿ رب إني وضعتها أنثى والله أعلم ﴾ أي عالم ﴿ بما وضعت ﴾ جملة اعتراض من كلامه تعالى، وفي قراءة بضم التاء(٩) ﴿ وليس الذكر ﴾ الذي طلبتْ ﴿ كالأنثى ﴾ التي وُهِبَتْ، لأنه يقصد للخدمة، وهي لا تصلح لها: لضعفها وعورتها وما يعتريها من الحيض ونحوه ﴿ وإني سميتها مريم وإني أعيذها بك وذريتها ﴾ أولادها ﴿ من الشيطان الرجيم ﴾ المطرود، في الحديث: (ما من مولود يولد إلا مسه الشيطان حين يولد، فيستهل صارخاً، إلا مريم وابنها) رواه الشيخان(١٠).

٣٧ ﴿ فتقبلها ربها ﴾ أي قبل مريم من أمها ﴿ بقبول حسن(١١) وأنبتها نباتاً

أَمَدًۢا بَعِيدٗاۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٣٠﴾
قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ
لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣١﴾ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ
وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾
۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ
عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ
عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ
لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا فَتَقَبَّلۡ مِنِّيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ
ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتۡهَا قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ
وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰۖ وَإِنِّي
سَمَّيۡتُهَا مَرۡيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ
ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٖ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا

---

(١) هنا بعد ذكره في الآية: ٢٨.

(٢) وقيل: نزلت في اليهود حين قالوا﴿نحن أبناء الله وأحباؤه﴾ وقيل: في نصارى نجران حين قالوا: إنما نقول ما نقول في عيسى حباً لله وتعظيماً له. [انظر أسباب النزول للواحدي].

(٣) أي معنى آل إبراهيم إبراهيم، وهكذا. أو ان لفظ آل مقحم. وقيل: المراد بآل إبراهيم إسماعيل وإسحاق ويعقوب عليهم السلام، وبآل عمران موسى وهارون عليهما السلام، إن كان المراد بعمران أباهما، أو مريم وعيسى عليهما السلام إن كان المراد به أبا مريم.

(٤) وقيل: المراد بعضها من بعض في التناصر والتعاضد، أو: بعضها من بعض في التوحيد والدعوة إلى الله عزّ وجلّ.

(٥) كبرت وطعنت في السن. (٦) مات. (٧) بنتاً. (٨) ذكراً.

(٩) أي ﴿وضعتُ﴾ فيكون من كلام أم مريم عليها السلام.

(١٠) البخاري [التفسير، باب: ﴿وإني أعيذها بك وذريتها..﴾ رقم: ٤٢٧٤] ومسلم [الفضائل، باب: فضائل عيسى عليه السلام، رقم: ٢٣٦٦]. مسه: نخسه بأصبعيه في جنبيه. فيستهل: يرفع صوته. (١١) فسلكها طريق السعداء.

فائدة: قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿فلما وضعتها..﴾: فيه دلالة على جواز التسمية يوم الولادة كما هو الظاهر من السياق، لأنه شرع من قبلنا، وقد حُكِيَ مُقَرّراً، وبذلك ثبتت السنة عن رسول الله ﷺ حيث قال: «ولد لي الليلة ولد سميته باسم أبي إبراهيم» أخرجاه [اللفظ في مسلم وحده: الفضائل، باب: رحمة النبي ﷺ الصبيان..، رقم: ٢٣١٥]. وكذلك ثبت فيهما [البخاري: العقيقة، باب تسمية المولود غداة يولد، رقم: ٥١٥٣. مسلم: الآداب، باب استحباب تحنيك المولود عند ولادته، رقم: ٢١٤٤]: أن أنس بن مالك رضي الله عنه ذهب بأخيه حين ولدته أمه إلى رسول الله ﷺ فحنكه وسماه عبد الله. وفي صحيح البخاري [البخاري: الأدب، باب: سموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي، رقم: ٥٨٣٥. مسلم: الآداب، باب: النهي عن التكني بأبي القاسم رقم: ٢١٣٣]: أن رجلاً قال: يارسول الله، ولد لي، فما أسميه؟ قال: «أسم ولدك عبد الرحمن». وثبت في الصحيح أيضاً [البخاري: الأدب، باب: تحويل الاسم إلى اسم أحسن منه. مسلم: الآداب، باب: استحباب تحنيك المولود] أنه لما جاءه أبو أسيد بابنه ليحنكه، فذهل عنه، فأمر به فرده إلى منزلهم، فلما ذكر رسول الله ﷺ في المجلس سماه المنذر. فأما حديث قتادة، عن الحسن البصري، عن سمرة بن جندب رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «كل غلام رهين بعقيقته، يذبح عنه يوم سابعه، ويسمى، ويحلق رأسه» فقد رواه أحمد [٥/٧] وأصحاب السنن [الترمذي: الأضاحي، باب: ما جاء=

حسناً ﴾ أنشأها بخلق حسن، فكانت تنبت في اليوم كما ينبت المولود في العام⁽¹⁾، وأتت بها أمها الأحبار⁽²⁾ سدنة⁽³⁾ بيت المقدس فقالت: دونكم ⁽⁴⁾ هذه النذيرة: فتنافسوا فيها، لأنها بنت إمامهم⁽⁵⁾، فقال زكريا: أنا أحق بها لأن خالتها عندي، فقالوا: لا حتى نقترع، أي نتساهم. فانطلقوا وهم تسعة وعشرون إلى نهر الأردن، وألقوا أقلامهم، على أن من ثبت قلمه في الماء⁽⁶⁾ وصعد فهو أولى بها، فثبت قلم زكريا، فأخذها وبنى لها غرفة في المسجد بسلم لا يصعد إليها غيره، وكان يأتيها بأكلها وشربها ودهنها، فيجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف، كما قال تعالى: ﴿ وَكَفَلَهَا زكريا ﴾ ضمها إليه، وفي قراءة بالتشديد ونصب زكريا ـ ممدوداً ومقصوراً⁽⁷⁾ ـ والفاعل الله ﴿ كلما دخل عليها زكريا المحراب ﴾ الغرفة ⁽⁸⁾، وهي أشرف المجالس ﴿ وجد عندها رزقاً قال يا مريم أنى ﴾ من أين ﴿ لك هذا قالت ﴾ وهي صغيرة ﴿ هو من عند الله ﴾ يأتيني به من الجنة ﴿ إن الله يرزق من يشاء بغير حساب ﴾ رزقاً واسعاً بلا تبعة.

٣٨ ﴿ هنالك ﴾ أي لما رأى زكريا ذلك، وعلم⁽⁹⁾ أن القادر على الإتيان بالشيء في غير حينه قادر على الإتيان بالولد على الكبر، وكان أهل بيته انقرضوا⁽¹⁰⁾ ﴿ دعا زكريا ربه ﴾ لما دخل المحراب للصلاة في جوف الليل ﴿ قال رب هب لي من لدنك ﴾ أي من عندك ﴿ ذرية طيبة ﴾ ولداً صالحاً ﴿ إنك سميع ﴾ مجيب ﴿ الدعاء ﴾.

٣٩ ﴿ فنادته الملائكة ﴾ أي جبريل ﴿ وهو قائم يصلي في المحراب ﴾ أي المسجد ﴿ أن ﴾ أي بأن، وفي قراءة بالكسر بتقدير القول⁽¹¹⁾ ﴿الله يبشرك﴾ مثقلاً ومخففاً⁽¹²⁾ ﴿ بيحيى مصدقاً بكلمة ﴾ كائنة ﴿ من الله ﴾ أي بعيسى أنه روح الله⁽¹³⁾، وسمي كلمة لأنه خلق بكلمة كن ﴿ وسيداً ﴾ متبوعاً ﴿ وحصوراً ﴾ ممنوعاً من النساء⁽¹⁴⁾ ﴿ ونبياً من الصالحين ﴾ روي: أنه لم يعمل خطيئةً ولم يهم بها⁽¹⁵⁾.

٤٠ ﴿ قال ربِّ أنى ﴾ كيف ﴿ يكون لي غلام ﴾ ولد ﴿ وقد بلغني الكبر ﴾ أي بلغت نهاية السن مائة وعشرين سنة ﴿ وامرأتي عاقر ﴾ بلغت ثمانية وتسعين سنة ﴿ قال ﴾ الأمر ﴿ كذلك ﴾ من خَلْقِ الله غلاماً منكما ﴿ الله يفعل ما يشاء ﴾ لا يعجزه عنه شيء، ولإظهار هذه القدرة العظيمة ألهمه السؤال ليجاب بها⁽¹⁶⁾.

٤١ ولما تاقت نفسه إلى سرعة المبشر به ﴿ قال رب اجعل لي آية ﴾ أي علامة على حمل امرأتي ﴿ قال آيتك ﴾ عليه ﴿ أ ﴾ ن ﴿ لا تكلم الناس ﴾ أي تمتنع من كلامهم⁽¹⁷⁾، بخلاف ذكر الله تعالى⁽¹⁸⁾ ﴿ ثلاثة أيام ﴾ أي بلياليها ﴿ إلا رمزاً ﴾ إشارة ﴿ واذكر ربك كثيراً وسبح ﴾ صل ﴿ بالعشي والإبكار ﴾ أواخر النهار وأوائله.

٤٢ ﴿ و ﴾ اذكر ﴿ إذ قالت الملائكة ﴾ أي جبريل ﴿ يا مريم إن الله اصطفاك ﴾ اختارك ﴿ وطهرك ﴾ من مسيس الرجال⁽¹⁹⁾

حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ
وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقًاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ
مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾
هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ
ذُرِّيَّةً طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ
قَآئِمٞ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ مُصَدِّقَۢا
بِكَلِمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدٗا وَحَصُورٗا وَنَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾
قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَقَدۡ بَلَغَنِيَ ٱلۡكِبَرُ وَٱمۡرَأَتِي
عَاقِرٞۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل
لِّيٓ ءَايَةٗۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا
رَمۡزٗاۗ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ﴿٤١﴾
وَإِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ

---

(١) أي من حيث العقل والمعرفة، وهو للمبالغة.

(٢) جمع حبر وهو العالم. (٣) جمع سادن بمعنى خادم.

(٤) خذوها فقوموا بشؤونها. (٥) رئيسهم. (٦) لم يجر مع جريه. (٧) أي بهمزة بعد الألف وبدونها. (٨) التي هي محل العبادة. (٩) أي تنبه وفطن. (١٠) لم يبق منهم أحد.

(١١) أي نادته الملائكة قائلين. (١٢) أي ﴿يُبَشِّرُكَ﴾ و ﴿يَبْشُرُكَ﴾.

(١٣) أي سر نشأ من الله تعالى، حيث خلقه بدون واسطة أب.

(١٤) أي يمنع نفسه من إتيانهن مع قدرته على ذلك.

(١٥) أي لم يقارب ذنباً صغيراً ولم يخطر له ببال.

(١٦) أي ألهم السؤال بقوله ﴿رب أنى يكون..﴾ ليجاب بإظهار هذه القدرة بقوله تعالى ﴿كذلك..﴾. (١٧) لا تستطيع أن تكلمهم. (١٨) أي فإنك لا تمنع منه. (١٩) بالوطء ومقدماته.

= في العقيقة، رقم: ١٥٢٢. أبو داود: الأضاحي، باب: في العقيقة، رقم: ٢٨٣٨. ابن ماجه: الذبائح، باب: العقيقة، رقم: ٣١٦٥. النسائي: العقيقة، باب: متى يعق، رقم: ٤٢٢٠] وصححه الترمذي بهذا اللفظ. ويروى: «ويدمى» وهو أثبت وأحفظ، والله أعلم. وكذا ما رواه الزبير بن بكار في كتاب النسب: أن رسول الله ﷺ عَقَّ عن ولده إبراهيم يوم سابعه وسماه إبراهيم. فإسناده لا يثبت، وهو مخالف لما في الصحيح، ولو صح لحمل على أنه أشهر=

﴿ واصطفاك على نساء العالمين ﴾ أي أهل زمانك(١).

٤٣ ﴿ يا مريم اقنتي لربك ﴾ أطيعيه ﴿ واسجدي واركعي مع الراكعين ﴾ أي صلي مع المصلين.

٤٤ ﴿ ذلك ﴾ المذكور من أمر زكريا ومريم ﴿ من أنباء الغيب ﴾ أخبار ما غاب عنك ﴿ نوحيه إليك ﴾ يا محمد ﴿ وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم ﴾ في الماء يقترعون ليظهر لهم ﴿ أيهم يكفل ﴾ يربي ﴿ مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون ﴾ في كفالتها فتعرف ذلك فتخبر به، وإنما عرفته من جهة الوحي.

٤٥ اذكر ﴿ إذ قالت الملائكة ﴾ أي جبريل ﴿ يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه ﴾ أي ولد(٢) ﴿ اسمه المسيح عيسى ابن مريم ﴾ خاطبها بنسبته إليها تنبيهاً على أنها تلده بلا أب، إذ عادة الرجال نسبتهم إلى آبائهم ﴿ وجيهــاً ﴾ ذا جاه(٣) ﴿ في الدنيا ﴾ بالنبوة ﴿والآخرة﴾ بالشفاعة والدرجات العلا ﴿ومن المقربين﴾ عند الله.

٤٦ ﴿ ويكلم الناس في المهد ﴾(٤) أي طفلاً قبل وقت الكلام ﴿ وكهلاً(٥) ومن الصالحين ﴾(٦).

٤٧ ﴿ قالت رب أنّى ﴾ كيف ﴿ يكون لي ولد ولم يمسسني بشر ﴾ بتزوج ولا غيره ﴿ قال ﴾ الأمر ﴿ كذلك ﴾ مِنْ خلق ولد منك بلا أب ﴿ الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمراً ﴾ أراد خلقه ﴿ فإنما يقول له كن فيكون ﴾ أي فهو يكون.

٤٨ ﴿ ونعلمه ﴾ بالنون والياء ﴿ الكتاب ﴾ الخط(٧) ﴿ والحكمة والتوراة والإنجيل ﴾.

٤٩ ﴿ و ﴾ نجعله ﴿ رسولاً إلى بني إسرائيل ﴾ في الصِّبا أو بعد البلوغ، فنفخ جبريل في جيب درعها(٨) فحملت، وكان من أمرها ما ذكر الله تعالى في سورة مريم، فلما بعثه الله إلى بني إسرائيل قال لهم: إني رسول الله إليكم ﴿ أني ﴾ أي بأني ﴿ قد جئتكم بآية ﴾ علامة على صدقي ﴿من ربكم﴾ وهي ﴿أني﴾ وفي قراءة بالكسر استئنافاً(٩) ﴿أخلق﴾ أصور ﴿لكم من الطين

(الجــزء الثـالث) ٧٠

وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ
وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ
ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ
أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾
إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ
ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ
ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ
ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى
بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا
يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ
وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى
قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ

---

(١) روى البخاري ومسلم عن علي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله يقول: (خير نسائها مريم بنت عمران، وخير نسائها خديجة بنت خويلد) أي خير نساء الأرض.

وروى البخاري ومسلم أيضاً عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء غير مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام).

[البخاري: الأنبياء، باب: قول الله تعالى: ﴿وضرب الله مثلاً للذين آمنوا..﴾ و باب ﴿وإذ قالت الملائكة يا مريم..﴾ رقم: ٣٢٣٠، ٣٢٤٩. ومسلم: فضائل الصحابة، باب: فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها، رقم: ٢٤٣٠، ٢٤٣١] واللفظ في الحديثين لمسلم.

(٢) مولود تحملين به بقول «كن». (٣) عز وسؤدد.

(٤) هو ما يمهد للصبي ويفرش له لينام فيه، والمراد: الزمان الذي يوضع الصبي فيه عادة في المهد.

(٥) زمن الكهولة من سن الثلاثين إلى الأربعين.

(٦) الكاملين في الصلاح وهم الرسل عليهم الصلاة والسلام.

(٧) أو المراد جنس الكتب الإلهية المنزلة على الرسل.

(٨) شق قميصها من جهة العنق.

(٩) أي ﴿إني﴾ فيكون كلاماً مستأنفاً مبتدءاً، وعلى قراءة الفتح تكون أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر بدل من آية.

اسمه بذلك يومئذ.

وقال ابن الأثير في [النهاية: مادة (دما)]: وفي حديث العقيقة: «يحلق رأسه ويدمى». وفي رواية: «ويسمى». كان قتادة إذا سئل عن الدم كيف يصنع به قال: إذا ذبحت العقيقة أخذت منها صوفة واستقبلت بها أوداجها، ثم توضع على يافوخ الصبي، ليسيل على رأسه مثل الخيط، ثم يغسل رأسه بعد ويحلق. أخرجه أبو داود في السنن [رقم: ٢٨٣٧] وقال: هذا وهم من همام، وجاء بتفسيره في الحديث عن قتادة، وهو منسوخ، وكان من فعل الجاهلية. وقال: «يسمى» أصح. وقال الخطابي: إذا كان قد أمرهم بإماطة الأذى اليابس عن رأس الصبي، فكيف يأمرهم بتدمية رأسه، والدم نجس نجاسة مغلظة [انتهى كلام ابن الأثير].

فائدة: عن عبادة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله=

كهيئة الطير ﴾ مثل صورته، فالكاف اسم، مفعول(١) ﴿ فأنفخ فيه ﴾(٢) الضمير للكاف ﴿ فيكون طيراً ﴾ وفي قراءة «طائراً» ﴿ بإذن الله ﴾ بإرادته، فخلق لهم الخفاش(٣) لأنه أكمل الطير خلقاً(٤)، فكان يطير وهم ينظرونه، فإذا غاب عن أعينهم سقط ميتاً، ليتميز فعل المخلوق من فعل الخالق، وهو الله تعالى، وليعلم أن الكمال لله ﴿ وأبرىء ﴾ أشفي ﴿ الأكمه ﴾ الذي ولد أعمى ﴿ والأبرص ﴾ وخصا بالذكر لأنهما داءا إعياء (٥) وكان بعثه في زمن الطب، فأبرأ في يوم خمسين ألفاً بالدعاء، بشرط الإيمان (٦) ﴿ وأحيي الموتى بإذن الله ﴾ كرره لنفي توهم الألوهية فيه، فأحيا عازر ـ صديقاً له ـ وابن العجوز وابنة العاشر (٧)، فعاشوا وولد لهم، وسام بن نوح ومات في الحال ﴿ وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون ﴾ تخبئون ﴿ في بيوتكم ﴾ مما لم أعاينه (٨)، فكان يخبر الشخص بما أكل وبما يأكل بعد ﴿ إن في ذلك ﴾ المذكور ﴿ لآية لكم إن كنتم مؤمنين ﴾.

٥٠ ﴿ و ﴾ جئتكم ﴿ مصدقاً لما بين يدي ﴾ قبلي ﴿ من التوراة ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم ﴾ فيها، فأحل لهم من السمك والطير ما لا صِيصِيَة (٩) له، وقيل: أحل الجميع، فبعض بمعنى كل ﴿ وجئتكم بآية من ربكم ﴾ كرره تأكيداً، وليبني عليه ﴿ فاتقوا الله وأطيعون ﴾ فيما آمركم به من توحيد الله وطاعته.

٥١ ﴿ إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا ﴾ الذي آمركم به ﴿ صراط ﴾ طريق ﴿ مستقيم ﴾ فكذّبوه ولم يؤمنوا به.

٥٢ ﴿ فلما أحس ﴾ علم(١٠) ﴿ عيسى منهم الكفر ﴾(١١) وأرادوا قتله ﴿ قال من أنصاري ﴾ أعواني، ذاهباً(١٢) ﴿ إلى الله ﴾ لأنصر دينه ﴿ قال الحواريون نحن أنصار الله ﴾ أعوان دينه، وهم أصفياء عيسى أول من آمن به، وكانوا اثني عشر رجلاً، من الحَوَر وهو البياض الخالص(١٣)، وقيل: كانوا قصارين يحورون الثياب، أي يبيضونها ﴿ آمنا ﴾ صدقنا ﴿ بالله واشهد ﴾ يا عيسى ﴿ بأنا مسلمون ﴾.

٥٣ ﴿ربنا آمنا بما أنزلت﴾ من الإنجيل ﴿واتبعنا الرسول ﴾ عيسى ﴿ فاكتبنا مع الشاهدين ﴾ لك بالوحدانية ولرسولك بالصدق.

٥٤ قال الله تعالى: ﴿ ومكروا ﴾ أي كفار بني إسرائيل بعيسى، إذ وكلوا به من يقتله غيلة(١٤) ﴿ ومكر الله ﴾ بهم، بأن ألقى شبه عيسى على من قصد قتله فقتلوه، ورفع عيسى إلى السماء ﴿ والله خير الماكرين ﴾ أعلمهم به(١٥).

٥٥ اذكر ﴿ إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ﴾ قابضك ﴿ ورافعك إليّ ﴾ من الدنيا من غير موت ﴿ ومطهرك ﴾ مبعدك ﴿ من الذين

كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ
ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم
بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ
إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ
وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن
رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ
فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ * فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ
مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ
نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ
ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾
وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ
يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ

---

(١) أي مفعول به لأخلق.

(٢) أي في الشيء الذي صورته مثل صورة الطير.

(٣) قيل اختاره بناءً على طلبهم لذلك، ويسمى بالوطواط أيضاً.

(٤) قيل إن له أسناناً وثدياً، وتحيض أنثاه، ولأنه يطير بلا ريش.

(٥) أي عجز الأطباء عن معرفة علاج لهما.

(٦) أي كان يشترط على من يدعو له بالشفاء أن يؤمن به.

(٧) الذي كان يأخذ من الناس عشور أموالهم.

(٨) لم أره ولم أشاهده.

(٩) شوكة يؤذي بها.

(١٠) علماً يقينياً كالمدرك بالحواس.

(١١) أي استمرارهم عليه وعدم تأثرهم بما أتاهم به من معجزات.

(١٢) حال كوني ملتجئاً.

(١٣) وسموا بذلك لخلوص نياتهم ونقاء سرائرهم، ومنه قوله ﷺ: (إن لكل نبي حوارياً وحواري الزبير) البخاري ومسلم.

(١٤) خفية، والغيلة في الأصل: أن يخدعه حتى يذهب به إلى موضع لا يراه فيه أحد، فإذا وصل إليه قتله. والمكر: الخديعة وإظهار خلاف ما يبطن، وتسمية فعل الله تعالى لهم مكراً من باب المقابلة، أي جازاهم على مكرهم بما يليق به.

(١٥) بما يدبره الماكرون فيبطله ولا ينفذ إلا ما دبره سبحانه وأراده.

=ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق، والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل» [البخاري: الأنبياء، باب: قوله: ﴿يا أهل الكتاب لا تغلو في دينكم . .﴾ [النساء: ١٧١] رقم: ٣٢٥٢. مسلم: الإيمان، باب: الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً، رقم: ٢٨] [حق: أمر ثابت وحاصل. على ما كان من العمل: أي يكون دخوله الجنة على حسب ما قدم من أعمال في الدنيا، فإن لم تكن له ذنوب يعاقب عليها بالنار كان من السابقين، وإن كانت له ذنوب فأمره إلى الله تعالى، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه، ثم كانت نهايته إلى الجنة].

كفروا وجاعل الذين اتبعوك ﴾ صدقوا بنبوتك من المسلمين والنصارى(١) ﴿ فوق الذين كفروا ﴾ بك، وهم اليهود، يعلونهم بالحجة والسيف ﴿ إلى يوم القيامة ثم إليّ مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون ﴾ من أمر الدين.

٥٦ ﴿ فأما الذين كفروا فأعذبهم عذاباً شديداً في الدنيا ﴾ بالقتل والسبي(٢) والجزية(٣) ﴿ والآخرة ﴾ بالنار ﴿ وما لهم من ناصرين ﴾ مانعين منه.

٥٧ ﴿وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم﴾ بالياء والنون(٤) ﴿أجورهم والله لا يحب الظالمين﴾ أي يعاقبهم. روي: أن الله تعالى أرسل إليه سحابة فرفعته، فتعلقت به أمه وبكت، فقال لها: إن القيامة تجمعنا، وكان ذلك ليلة القدر ببيت المقدس، وله ثلاث وثلاثون سنة، وعاشت أمه بعده ست سنين. وروى الشيخان: أنه ينزل قرب الساعة، ويحكم بشريعة نبينا، ويقتل الدجّال والخنزير، ويكسر الصليب، ويضع الجزية(٥). وفي حديث مسلم: أنه يمكث سبع سنين. وفي حديث عن أبي داود الطيالسي: أربعين سنة، ويتوفى ويصلى عليه. فيحتمل أن المراد مجموع لبثه في الأرض قبل الرفع وبعده.

٥٨ ﴿ ذلك ﴾ المذكور من أمر عيسى ﴿ نتلوه ﴾ نقصه ﴿ عليك ﴾ يا محمد ﴿ من الآيات ﴾ حال من الهاء في نتلوه(٦)، وعامله ما في ذلك من معنى الإشارة ﴿ والذكر الحكيم ﴾ المحكم، أي القرآن.

٥٩ ﴿ إن مثل عيسى ﴾ شأنه الغريب ﴿ عند الله كمثل آدم ﴾ كشأنه في خلقه من غير أم ولا أب، وهو من تشبيه الغريب بالأغرب، ليكون أقطع للخصم وأوقع في النفس ﴿ خلقه ﴾ أي آدم، أي قالبه(٧) ﴿ من تراب ثم قال له كن ﴾ بشراً ﴿ فيكون ﴾ أي فكان، وكذلك عيسى، قال له: كن من غير أب، فكان.

٦٠ ﴿ الحق من ربك ﴾ خبر مبتدأ محذوف، أي أمر عيسى ﴿ فلا تكن من الممترين ﴾ الشاكين فيه.

٦١ ﴿ فمن حاجك ﴾ جادلك من النصارى ﴿ فيه من بعد ما جاءك من العلم ﴾ بأمره ﴿ فقل ﴾ لهم ﴿ تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ﴾ فنجمعهم ﴿ ثم نبتهل ﴾ نتضرع في الدعاء ﴿ فنجعل لعنة الله على الكاذبين ﴾ بأن نقول: اللهم العن الكاذب في شأن عيسى. وقد دعا ﷺ وفد نجران لذلك لما حاجوه به، فقالوا: حتى ننظر في أمرنا ثم نأتيك، فقال ذو رأيهم، واسمه العاقب: لقد عرفتم نبوته، وأنه ما باهل قوم نبياً إلا هلكوا، فوادعوا الرجل وانصرفوا. فأتوا الرسول ﷺ، وقد خرج ومعه الحسن والحسين وفاطمة وعلي، وقال لهم: (إذا دعوت فأمنوا) فأبوا أن يلاعنوا، وصالحوه على الجزية. رواه أبو نعيم. وعن ابن عباس قال: لو خرج الذين يباهلون لرجعوا لا يجدون مالاً ولا أهلاً. وروي: لو خرجوا لاحترقوا(٨). ٦٢ ﴿ إن هذا ﴾ المذكور

كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوۡقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوۡمِ
ٱلۡقِيَٰمَةِۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ
تَخۡتَلِفُونَ (٥٥) فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗا
فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ (٥٦) وَأَمَّا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ
ٱلظَّٰلِمِينَ (٥٧) ذَٰلِكَ نَتۡلُوهُ عَلَيۡكَ مِنَ ٱلۡأٓيَٰتِ وَٱلذِّكۡرِ
ٱلۡحَكِيمِ (٥٨) إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ
مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ (٥٩) ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ
فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ (٦٠) فَمَنۡ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعۡدِ
مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ فَقُلۡ تَعَالَوۡاْ نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا وَأَبۡنَآءَكُمۡ
وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمۡ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمۡ ثُمَّ نَبۡتَهِلۡ فَنَجۡعَل
لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ (٦١) إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡقَصَصُ

---

(١) قبل بعثة محمد ﷺ.

(٢) أخذ نسائهم وأولادهم أسرى وجعلهم عبيداً.

(٣) جزء من المال يفرض على أهل الكتاب مقابل حماية المسلمين لهم.

(٤) أي ﴿فَيُوفِّيهم﴾ و ﴿فَنُوفِّيهم﴾.

(٥) أي يبطلها ولا يقبلها، لأنه لم تبق حجة لأحد بعدم الإسلام.

(٦) أي نتلوه عليك حال كونه بعض الآيات، وقيل: «من الآيات» خبر للمبتدأ «ذلك» وجملة «نتلوه» في محل نصب على الحال، وهذا يناسب قوله: وعامله ما في ذلك... أي ما في لفظ «ذلك» من معنى الفعل وهو أشير، والمعنى: المشار إليه كائن من الآيات نشير إليها تالين عليك...

(٧) جسده وصورته. (٨) أخرجه أحمد في مسنده [١/٢٤٨].

سبب نزول الآية [٥٩]: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن رهطاً من نجران قدموا على النبي ﷺ، وكان فيهم السيد والعاقب، فقالوا: ما شأنك تذكر صاحبنا؟ قال: (من هو). قالوا: عيسى، تزعم أنه عبد الله. فقال: (أجل). فقالوا: فهل رأيت مثل عيسى أو أنبئت به؟ ثم خرجوا من عنده، فجاء جبريل فقال: قل لهم إذا أتوك: «إن مثل عيسى ـ إلى قوله ـ من الممترين» [السيوطي].

﴿ لهو القصص ﴾ الخبر ﴿ الحق ﴾ الذي لا شك فيه ﴿ وما من ﴾ زائدة(١) ﴿ إله إلا الله وإن الله لهو العزيز ﴾ في ملكه ﴿ الحكيم ﴾ في صنعه.

٦٣ ﴿ فإن تولوا ﴾ أعرضوا عن الإيمان ﴿ فإن الله عليم بالمفسدين ﴾ فيجازيهم، وفيه وضع الظاهر موضع المضمر(٢).

٦٤ ﴿ قل يا أهل الكتاب ﴾ اليهود والنصارى ﴿ تعالوا إلى كلمة سواء ﴾ مصدر بمعنى: مستو أمرها ﴿ بيننا وبينكم ﴾(٣) هي ﴿ أ ﴾ ن ﴿ لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ﴾ كما اتخذتم الأحبار والرهبان ﴿ فإن تولوا ﴾ أعرضوا عن التوحيد ﴿ فقولوا ﴾ أنتم لهم ﴿ اشهدوا بأنا مسلمون ﴾ موحدون.

٦٥ ونزل ـ لما قال اليهود: إبراهيم يهودي ونحن على دينه، وقالت النصارى كذلك ـ ﴿ يا أهل الكتاب لِمَ تحاجون ﴾ تخاصمون ﴿ في إبراهيم ﴾ بزعمكم أنه على دينكم ﴿ وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده ﴾ بزمن طويل، وبعد نزولهما حدثت اليهودية والنصرانية ﴿ أفلا تعقلون ﴾ بطلان قولكم.

٦٦ ﴿ ها ﴾ للتنبيه ﴿ أنتم ﴾ مبتدأ، يا ﴿ هؤلاء ﴾ والخبر ﴿ حاججتم فيما لكم به علم ﴾ من أمر موسى وعيسى(٤)، وزعمكم أنكم على دينهما ﴿ فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم ﴾ من شأن إبراهيم(٥) ﴿ والله يعلم ﴾ شأنه ﴿ وأنتم لا تعلمون ﴾ ـه.

٦٧ قال تعالى تبرئة لإبراهيم ﴿ ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً ﴾ مائلاً عن الأديان كلها إلى الدين القيم(٦) ﴿ مسلماً ﴾ موحداً ﴿ وما كان من المشركين ﴾.

٦٨ ﴿ إن أولى الناس ﴾ أحقهم ﴿ بإبراهيم للذين اتبعوه ﴾ في زمانه ﴿ وهذا النبي ﴾ محمد ﷺ، لموافقته له في أكثر شرعه ﴿ والذين آمنوا ﴾ من أمته فهم الذين ينبغي أن يقولوا: نحن على دينه، لا أنتم ﴿ والله ولي المؤمنين ﴾ ناصرهم وحافظهم.

ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ
ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾
قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ
أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا
بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا
مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ
أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾
هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ
فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾
مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا
مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ
بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ

سبب نزول الآية [٦٥]: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: اجتمعت نصارى نجران وأحبار يهود عند رسول الله ﷺ، فتنازعوا عنده، فقال الأحبار: ما كان إبراهيم إلا يهودياً. وقالت النصارى: ما كان إبراهيم إلا نصرانياً، فأنزل الله: ﴿يا أهل الكتاب لم تحاجون﴾ الآية. [السيوطي].

سبب نزول الآية [٦٨]: ذكر الواحدي من طرق عدة قصة هجرة جعفر رضي الله عنه والمسلمين إلى الحبشة، ومحاورتهم لمن أرسلته قريش في طلبهم بحضور النجاشي، وأن النجاشي قال لهم: أبشروا ولا تخافوا، ولا دَهْوَرَةَ اليوم على حزب إبراهيم. قالوا: يا نجاشي، ومن حزب إبراهيم؟ قال هؤلاء الرهط وصاحبهم الذين جاؤوا من عنده ومن اتبعهم. فأنكر ذلك المشركون وادعوا دين إبراهيم. ثم رد النجاشي على عمرو وصاحبه المال الذي حملوه، وقال: إنما هديتكم إليّ رشوة، فاقبضوها، فإن الله ملكني ولم يأخذ مني رشوة. قال جعفر: وانصرفنا، فكنا في خير دار وأكرم جوار، وأنزل الله عزّ وجلّ ذلك اليوم في خصومتهم في إبراهيم على رسوله ﷺ وهو بالمدينة قوله: ﴿ إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه ﴾ على ملته وسنته ﴿وهذا النبي﴾ يعني محمداً ﷺ ﴿والذين آمنوا والله ولي المؤمنين﴾ [الواحدي]. لا دَهْوَرَةَ: لا ضيعة ولا عدم رعاية.

---

(١) أي من زائدة من حيث الإعراب، وأما من حيث المعنى: فتفيد استغراق النفي وعمومه، وسلب الألوهية عن كل ما عدا الله عز وجلّ، ممن نسبت له الألوهية أو تنسب إليه إلى يوم القيامة، عاقلاً كان أم غيره.

(٢) أي كان السياق يقتضي أن يقال: عليم بهم، فوضع الاسم الظاهر ﴿بالمفسدين﴾ موضع المضمر «بهم» لبيان سبب استحقاقهم العقوبة.

(٣) توافق ما جاء في التوراة والإنجيل والقرآن.

(٤) أي فيما أنزل عليكم وعلمتموه من كتبكم في شأنهما.

(٥) لأنه لم يرد له ذكر في كتبكم.

(٦) الدين الحق القائم على التوحيد وتنزيه الله تعالى عن كل ما لا يليق به من الولد وغيره.

٦٩ ونزل ـ لما دعا اليهود معاذاً وحذيفة وعماراً إلى دينهم ـ ﴿ ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون إلا أنفسهم ﴾ لأن إثم إضلالهم عليهم، والمؤمنون لا يطيعونهم فيه ﴿ وما يشعرون ﴾ بذلك.

٧٠ ﴿ يا أهل الكتاب لِمَ تكفرون بآيات الله ﴾ القرآن المشتمل على نعت محمد ﷺ ﴿ وأنتم تشهدون ﴾ تعلمون أنه حق.

٧١ ﴿ يا أهل الكتاب لِمَ تلبسون ﴾ تخلطون ﴿ الحق بالباطل ﴾ بالتحريف والتزوير ﴿ وتكتمون الحق ﴾ أي نعت النبي ﴿ وأنتم تعلمون ﴾ أنه حق.

٧٢ ﴿ وقالت طائفة من أهل الكتاب ﴾ اليهود لبعضهم ﴿ آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا ﴾ أي بالقرآن ﴿ وجه النهار ﴾ أوله ﴿ واكفروا ﴾ به ﴿ آخره لعلهم ﴾ أي المؤمنين ﴿ يرجعون ﴾ عن دينهم، إذ يقولون: ما رجع هؤلاء عنه بعد دخولهم فيه ـ وهم أولو علم ـ إلا لعلمهم بطلانه.

٧٣ وقالوا أيضاً ﴿ ولا تؤمنوا ﴾ تصدقوا ﴿ إلا لمن ﴾ اللام زائدة(١) ﴿تبع﴾ وافق ﴿دينكم﴾ قال تعالى ﴿قل﴾ لهم يا محمد ﴿ إن الهدى هدى الله ﴾ الذي هو الإسلام، وما عداه ضلال، والجملة اعتراض (٢) ﴿ أن ﴾ أي بأن ﴿يؤتى أحد مثل ما أوتيتم﴾ من الكتاب والحكمة والفضائل، وأن مفعول تؤمنوا(٣)، والمستثنى منه «أحد» قدم عليه المستثنى، المعنى: لا تقروا بأن أحداً يؤتى ذلك إلا لمن تبع دينكم ﴿ أو ﴾ بأن ﴿ يحاجوكم ﴾ أي المؤمنون يغلبوكم ﴿ عند ربكم ﴾ يوم القيامة، لأنكم اصح ديناً(٤). وفي قراءة «أأن» بهمزة التوبيخ(٥)، أي أإيتاء أحد مثله تقرون به؟ قال تعالى: ﴿ قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ﴾ فمن أين لكم أنه لا يؤتى احد مثل ما اوتيتم ﴿ والله واسع ﴾ كثير الفضل ﴿ عليم ﴾ بمن هو أهله.

٧٤ ﴿ يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾.

٧٥ ﴿ ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار ﴾ أي بمال كثير ﴿ يؤده إليك ﴾ لأمانته، كعبد الله بن سلام، أودعه رجل ألفاً ومائتي أوقية ذهباً، فأداها إليه (*)

وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ
لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾
يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ
تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ
وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ
أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ
ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟
إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ
أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ
ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾
يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾
۞ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ

---

(١) لتأكيد المعنى، والتقدير: لا تصدقوا إلا من..

(٢) اعتراض بين الفعل ﴿تؤمنوا﴾ ومفعوله ﴿أن يؤتى﴾.

(٣) أي ﴿أن﴾ وما دخلت عليه في تأويل مصدر يقع مفعولاً به لتؤمنوا، والمعنى: لا تصدقوا إتيان أحد من ذلك إلا من كان تابعاً وموافقاً لما أنتم عليه.

(٤) أي يقول هؤلاء اليهود ايضاً لأتباعهم: لا تصدقوا ان احداً يحاججكم ويغلبكم عند ربكم يوم القيامة إلا من كان على طريقتكم وتبع دينكم.

(٥) أي الاستفهام التوبيخي على إنكارهم أن يؤتى أحد غيرهم مثل ما أوتوا.

سبب نزول الآيات [٧١ ـ ٧٣]: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال عبدالله بن الصيف، وعدي بن زيد، والحرث بن عوف بعضهم لبعض: تعالوا نؤمن بما أنزل الله على محمد وأصحابه غدوة، ونكفر به عشية حتى نلبس عليهم دينهم، لعلهم يصنعون كما نصنع، فيرجعون عن دينهم، فأنزل الله فيهم: ﴿يا أهل الكتاب لم تلبسون ـ إلى قوله ـ واسع عليم﴾. [السيوطي].

وقال الحسن والسدي: تواطأ اثنا عشر حبراً من يهود خيبر، وقال بعضهم لبعض: ادخلوا في دين محمد أول النهار باللسان دون الاعتقاد، واكفروا به في آخر النهار، وقولوا: إنا نظرنا في كتبنا، وشاورنا علماءنا، فوجدنا محمداً ليس بذلك، وظهر لنا كذبه وبطلان دينه، فإذا فعلتم ذلك شك أصحابه في دينهم، وقالوا إنهم أهل كتاب وهم أعلم به منا، فيرجعون عن دينهم إلى دينكم، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وأخبر نبيه محمداً ﷺ والمؤمنين. [الواحدي].

(*) عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ: «أنه ذكر رجلاً من بني إسرائيل، سأل بعض بني إسرائيل أن يسلفه ألف دينار، فقال: ائتني بالشهداء أشهدهم، فقال: كفى بالله شهيداً، قال: فأتني بالكفيل، قال: كفى بالله كفيلاً، قال: صدقت، فدفعها إليه إلى أجل مسمى، فخرج في البحر فقضى حاجته، ثم التمس مركباً يركبها يقدم عليه للأجل الذي أجله، فلم يجد مركباً، فأخذ خشبة فنقرها، فأدخل فيها ألف دينار وصحيفة منه إلى صاحبه، ثم زجج موضعها، ثم أتى بها إلى البحر فقال: اللهم إنك تعلم أني كنت تسلفت فلاناً ألف دينار، فسألني كفيلاً فقلت: كفى بالله كفيلاً، فرضي بك، وسألني=

﴿ ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك ﴾ لخيانته ﴿ إلا ما دمت عليه قائماً ﴾ لا تفارقه، فمتى فارقته أنكره، ككعب ابن الأشرف، استودعه قرشي ديناراً فجحده ﴿ ذلك ﴾ أي ترك الأداء ﴿ بأنهم قالوا ﴾ بسبب قولهم ﴿ ليس علينا في الأميين ﴾ أي العرب ﴿ سبيل ﴾ أي إثم، لاستحلالهم ظلم من خالف دينهم، ونسبوه إليه تعالى، قال تعالى: ﴿ ويقولون على الله الكذب ﴾ في نسبة ذلك إليه ﴿ وهم يعلمون ﴾ أنهم كاذبون.

٧٦ ﴿ بلى ﴾ عليهم فيه سبيل ﴿ من أوفى بعهده ﴾ الذي عاهد عليه، أو بعهد الله إليه من أداء الأمانة وغيره ﴿ واتقى ﴾ الله بترك المعاصي وعمل الطاعات ﴿فإن الله يحب المتقين﴾ فيه وضع الظاهر موضع المضمر، أي يحبهم[1]، بمعنى: يثيبهم.

٧٧ ونزل في اليهود ـ لما بدلوا نعت النبي، وعهد الله إليهم في التوراة ـ وفيمن حلف كاذباً في دعوى أو في بيع سلعة ﴿ إن الذين يشترون ﴾ يستبدلون ﴿ بعهد الله ﴾ إليهم في الإيمان بالنبي وأداء الأمانة ﴿ وأيمانهم ﴾ حلفهم به تعالى كاذبين ﴿ ثمناً قليلاً ﴾ من الدنيا ﴿ أولئك لا خلاق ﴾ نصيب ﴿ لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ﴾ غضباً عليهم ﴿ ولا ينظر إليهم ﴾ يرحمهم ﴿ يوم القيامة ولا يزكيهم ﴾ يطهرهم ﴿ ولهم عذاب أليم ﴾ مؤلم.

٧٨ ﴿ وإن منهم ﴾ أي أهل الكتاب ﴿ لفريقاً ﴾ طائفة ككعب بن الأشرف ﴿ يلوون ألسنتهم بالكتاب ﴾ أي يعطفونها بقراءته عن المنزل إلى ما حرفوه من نعت النبي ونحوه ﴿ لتحسبوه ﴾ أي المحرف ﴿ من الكتاب ﴾ الذي أنزله الله ﴿ وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ﴾ أنهم كاذبون.

٧٩ ونزل ـ لما قال نصارى نجران: إن عيسى أمرهم أن يتخذوه رباً، أو لما طلب بعض المسلمين السجود له ﷺ ـ ﴿ ما كان ﴾ ينبغي ﴿ لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم ﴾ أي الفهم للشريعة ﴿ والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ولكن ﴾ يقول

وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ
عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ
سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾
بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَـٰٓئِكَ
لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ
إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾
وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَـٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ
ٱلْكِتَـٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ
ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ
يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ
وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِن

---

(١) أي كان التقدير أن يقال: من أوفى بعهده واتقى فإن الله يحبهم، فعدل عن هذه إلى قوله: ﴿يحب المتقين﴾ فوضع الاسم الظاهر ﴿المتقين﴾ موضع الضمير «هم» تأكيداً لرفعة شانهم وأنهم أحق بالذكر، وبياناً لسبب محبة الله تعالى لهم، وهو تقوى الله عز وجل.

سبب نزول الآية [٧٧]: عن الأشعث بن قيس رضي الله عنه قال: كان بيني وبين رجل من اليهود أرض، فجحدني فقدمته إلى النبيّ ﷺ فقال لي: (ألك بينة). قلت: لا، فقال لليهودي: (احلف) فقلت: يا رسول الله، إذن يحلف ويذهب بمالي، فأنزل الله تعالى ﴿ إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً ﴾ إلى آخر الآية. [البخاري: الخصومات، باب: كلام الخصوم بعضهم في بعض، رقم: ٢٢٨٥. مسلم: الإيمان، باب: وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة بالنار، رقم: ١٣٨]. وعن عبدالله بن أبي أوفى رضي الله عنه: أن رجلاً أقام سلعة وهو في السوق، فحلف بالله لقد أعطى بها مالم يعط، ليوقع فيها رجلاً من المسلمين، فنزلت: ﴿إن الذين يشترون..﴾ [البخاري: البيوع، باب: ما يكره من الحلف في البيع، رقم: ١٩٨٢]. قال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري: لا منافاة بين الحديثين، بل يحمل على أن النزول كان بالسببين معاً. وقال السيوطي: وأخرج ابن جرير عن عكرمة: أن الآية نزلت في حيي بن أخطب، وكعب بن الأشرف وغيرهما من اليهود الذين كتموا ما أنزل الله في التوراة وبدّلوه وحلفوا أنه من عند الله. قال الحافظ ابن حجر: الآية محتملة، لكن العمدة في ذلك ما ثبت في الصحيح. [فتح الباري: التفسير/ باب: ﴿ إن الذين يشترون.. ﴾.

سبب نزول الآية [٧٩]: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال أبو رافع القرظي حين اجتمعت الأحبار من اليهود والنصارى من أهل نجران عند رسول الله ﷺ، ودعاهم إلى الإسلام: أتريد يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى؟ قال: (معاذ الله). فأنزل الله في ذلك: ﴿ما كان لبشر ـ إلى قوله ـ مسلمون﴾. وعن الحسن قال: بلغني أن رجلاً قال: يا رسول الله، نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض، أفلا نسجد لك؟ قال: (لا، ولكن أكرموا نبيكم، واعرفوا الحق لأهله، فإنه لا ينبغي أن يسجد لأحد من دون الله). فأنزل الله: ﴿ما كان لبشر ـ إلى قوله ـ مسلمون﴾ [السيوطي].

=شهيداً فقلت: كفى بالله شهيداً، فرضي بك. وأني جهدت أن أجد مركبا أبعث إليه الذي له فلم أقدر، وإني أستودعكها. فرمى بها في البحر حتى ولجت فيه،=

﴿ كونوا ربانيين ﴾ علماء عاملين، منسوب إلى الرب بزيادة ألف ونون تفخيماً(١) ﴿ بما كنتم تَعْلَمُونَ ﴾ بالتخفيف، والتشديد(٢) ﴿ الكتاب وبما كنتم تدرسون ﴾ أي بسبب ذلك(٣) فإن فائدته أن تعملوا.

٨٠ ﴿ ولا يأمركم ﴾ بالرفع استئنافاً أي الله، والنصب عطفاً على يقول أي البشر(٤) ﴿ أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً ﴾ كما اتخذت الصابئة الملائكة(٥)، واليهود عزيراً، والنصارى عيسى ﴿ أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون ﴾ لا ينبغي له هذا.

٨١ ﴿ و ﴾ اذكر ﴿ إذ ﴾ حين ﴿ أخذ الله ميثاق النبيين ﴾ عهدهم ﴿ لما ﴾ بفتح اللام للابتداء وتوكيد معنى القسم الذي في أخذ الميثاق(٦)، وكسرها متعلقة بأخذ(٧)، وما موصولة على الوجهين، أي: للذي(٨) ﴿ آتيتكم ﴾ إياه، وفي قراءة «آتيناكم»(٩) ﴿ من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم ﴾ من الكتاب والحكمة، وهو محمد ﷺ ﴿ لتؤمنن به ولتنصرنه ﴾ جواب القسم، إن أدركتموه، وأممهم تبع لهم في ذلك ﴿ قال ﴾ تعالى لهم ﴿ ءأقررتم ﴾ بذلك ﴿ وأخذتم ﴾ قبلتم ﴿ على ذلكم إصري ﴾ عهدي ﴿ قالوا أقررنا قال فاشهدوا ﴾ على أنفسكم وأتباعكم بذلك ﴿ وأنا معكم من الشاهدين ﴾ عليكم وعليهم.

٨٢ ﴿ فمن تولى ﴾ أعرض ﴿ بعد ذلك ﴾ الميثاق ﴿ فأولئك هم الفاسقون ﴾.

٨٣ ﴿ أفغير دين الله يبغون ﴾ بالياء، أي المتولون، والتاء(١٠) ﴿ وله أسلم ﴾ انقاد ﴿ من في السموات والأرض طوعاً ﴾ بلا إباء ﴿ وكرهاً ﴾(١١) بالسيف ومعاينة ما يلجىء إليه ﴿ وإليه يرجعون ﴾ بالتاء والياء، والهمزة في أول الآية للإنكار.

٨٤ ﴿ قل ﴾ لهم يا محمد ﴿ آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط ﴾ أولاده(١٢) ﴿ وما أوتي موسى وعيسى والنبيون

كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ
تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ
أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾
وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ
وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ
وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ
قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾
فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾
أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ
وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ
وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ

---

(١) أي مفرد ربانيين ربَّانِيّ، منسوب إلى الرب، والأصل أن يقال: رَبِّيّ، فزيدت الألف والنون تعظيماً للمنسوب، ومبالغة في النسبة بينه وبين المنسوب إليه.

(٢) أي ﴿تُعَلِّمُونَ﴾. وهذه قراءة حفص كما في المصحف المرفق.

(٣) أي بسبب علمكم أو تعليمكم للكتاب ودراستكم له كونوا عاملين به، فإن العلم سبب للعمل والعمل فائدة العلم، وقبيح في العالم أن يترك العمل، وأقبح منه أن يرشد الناس إلى الحق ويهديهم ولا يهتدي بنفسه. (٤) الذي آتاه الله تعالى الكتاب والحكم والنبوة. (٥) انظر البقرة /٦٣/.

(٦) أي إن أخذ الميثاق يتضمن في معناه قسماً، لأن الميثاق عهد مؤكد بيمين، فتكون اللام في ﴿لما﴾ موطئة للقسم، وفي ﴿لتؤمنن﴾ للجواب. (٧) فتكون للتعليل، أي أخذت عليكم العهد المؤكد لحفظ ورعاية ما آتيتكم.

(٨) بفتح اللام وكسرها، على الوجهين السابقين.

(٩) مع فتح اللام فقط. (١٠) على الخطاب للحاضرين منهم.

(١١) أي وبعض من في الأرض أسلم كرهاً بالسيف، أو برؤية ما يلجىء إلى الاستسلام، كإسلام بعض اليهود حين رأوا الجبل رفع فوقهم. (١٢) أي أولاد يعقوب عليه السلام.

سبب نزول الآية [٨٣]: قال ابن عباس رضي الله عنهما: اختصم أهل الكتابين إلى رسول الله ﷺ فيما اختلفوا بينهم من دين إبراهيم، كل فرقة زعمت أنها أولى بدينه، فقال النبي ﷺ: (كلا الفريقين بريء من دين إبراهيم). فغضبوا وقالوا: والله ما نرضى بقضائك ولا نأخذ بدينك، فأنزل الله تعالى: ﴿ أفغير دين الله يبغون ﴾ [الواحدي].

= ثم انصرف وهو في ذلك يلتمس مركباً يخرج إلى بلده، فخرج الرجل الذي أسلفه ينظر لعل مركباً قد جاء بماله، فإذا بالخشبة التي فيها المال، فأخذها لأهله حطباً، فلما نشرها وجد المال والصحيفة، ثم قدم الذي كان أسلفه فأتى بالألف دينار، فقال: والله مازلت جاهداً في طلب مركب لآتيك بمالك فما وجدت مركباً قبل الذي أتيت به. قال: هل كنت بعثت إلي بشيء ؟ قال: أخبرك أني لم أجد مركباً قبل الذي جئت فيه. قال: فإن الله قد أدى عنك الذي بعثت في الخشبة. فانصرف بالألف دينار راشداً» [البخاري: الكفالة، باب: الكفالة في القرض والديون بالأبدان وغيرها، رقم: ٢١٦٩] [التمس: طلب. للأجل: الزمن الذي حدده له للوفاء. فنقرها: حفرها. صحيفة: مكتوباً. زجج: سوى موضع النقر وأصلحه، من تزجيج الحواجب وهو حلق زوائد الشعر. تسلفت فلاناً: طلبت منه سلفاً. جهدت: بذلت وسعي. ولجت: دخلت في البحر].

من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ﴾ بالتصديق والتكذيب[1] ﴿ ونحن له مسلمون ﴾ مخلصون في العبادة[2].

٨٥ ونزل فيمن ارتد ولحق بالكفار: ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام[3] ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾ لمصيره إلى النار المؤبدة عليه.

٨٦ ﴿ كيف ﴾[4] أي لا ﴿ يهدي الله قوماً كفروا بعد إيمانهم وشهدوا ﴾ أي وشهادتهم ﴿ أن الرسول حق و ﴾ قد ﴿ جاءهم البيّنات ﴾ الحجج الظاهرات على صدق النبي ﷺ ﴿ والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ أي الكافرين[5].

٨٧ ﴿ أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ﴾[6].

٨٨ ﴿ خالدين فيها ﴾ أي اللعنة، أو النار المدلول بها عليها[7] ﴿ لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون ﴾ يمهلون.

٨٩ ﴿ إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا ﴾ عملهم ﴿ فإن الله غفور ﴾ لهم ﴿ رحيم ﴾ بهم.

٩٠ ونزل في اليهود ﴿ إن الذين كفروا ﴾ بعيسى ﴿ بعد إيمانهم ﴾ بموسى ﴿ ثم ازدادوا كفراً ﴾ بمحمد ﴿ لن تقبل توبتهم ﴾ إذا غرغروا[8]، أو ماتوا كفاراً ﴿ وأولئك هم الضالون ﴾[9].

٩١ ﴿ إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ﴾ مقدار ما يملؤها ﴿ ذهباً ولو افتدى به ﴾[10] أدخل الفاء في خبر إن لشبه الذين بالشرط، وإيذاناً بتسبب عدم القبول عن الموت على الكفر[11] ﴿ أولئك لهم عذاب

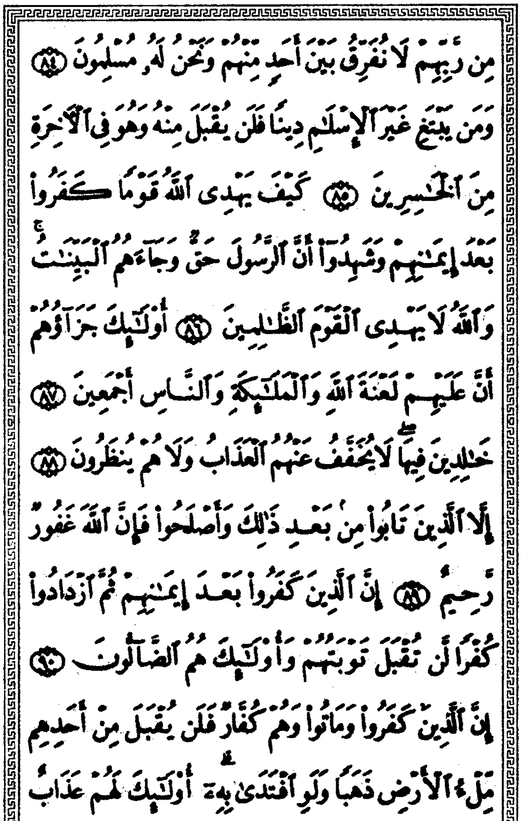

مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾
وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ
مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟
بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ
وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ
أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾
خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾
إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ
رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟
كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم
مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ

---

[1] بل نصدق بالجميع، ولا نفعل كما فعل أهل الكتاب إذ صدقوا بعضهم وكذبوا بعضاً آخر.

[2] انظر الآية/ ١٣٧/ من سورة البقرة.

[3] وهو دين الله تعالى القائم على التوحيد والإخلاص في إسلام الوجه لله عز وجل، والذي بعث الله تعالى به الرسل عليهم الصلاة والسلام، وكانت أكمل دائرة فيه ما جاء به محمد ﷺ.

[4] الاستفهام للإنكار، أو للاستبعاد والتوبيخ، فإن الجاحد للحق بعد ما وضح منهمك في الضلال، بعيد أن يهتدي إلى سبيل الرشاد.

[5] المصرين على الكفر والمستمرين عليه عناداً.

[6] أي يلعنهم حتى الكفار، فإنهم يلعن بعضهم بعضاً، كما قال تعالى: ﴿كُلَّما دخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَها﴾/ الأعراف: ٣٨/.

[7] من لوازم اللعنة الخلود في النار، فيستدل باللعنة على النار.

[8] أي صاروا في حالة النزع الأخير.

[9] المفرطون في البعد عن الحق.

[10] قيل: معناه إن من مات على الكفر لا ينجو من العذاب يوم القيامة ولو كان أنفق في دنياه هذا المقدار، أو أنفق أهله ذلك من أجله. وقيل: هو على سبيل الفرض، أي لو فرض أنه ملك ذلك يوم القيامة ورغب أن يفتدي به لا يقبل منه.

[11] أي لا عن الكفر في حد ذاته، بل مع الإصرار عليه حتى الموت، إذ لو أسلم قبله لقبل منه.

فائدة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (تجيء الأعمال يوم القيامة: فتجيء الصلاة فتقول: يا رب، أنا الصلاة، فيقول: إنك على خير. وتجيء الصدقة فتقول: يا رب، أنا الصدقة. فيقول: إنك على خير. ثم يجيء الصيام فيقول: يا رب، أنا الصيام. فيقول: إنك على خير. ثم تجيء الأعمال، كل ذلك يقول الله تعالى: إنك على خير، ثم يجيء الإسلام فيقول: يا رب، أنت السلام وأنا الإسلام. فيقول الله إنك على خير، بك اليوم آخذ وبك أعطي. قال الله في كتابه: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾) مسند أحمد [٢/ ٣٦٢].

سبب نزول الآيات [٨٦ - ٨٩]: عن ابن عباس رضي الله عنهما: قال: ارتد رجل من الأنصار عن الإسلام ولحق بالشرك فندم، فأرسل إلى قومه أن يسألوا رسول الله ﷺ: هل لي من توبة؟ فإني قد ندمت، فنزلت: ﴿ كيف يهدي الله قوماً كفروا ﴾ حتى بلغ: ﴿ إلا الذين تابوا ﴾ فكتب بها قومه إليه، فرجع فأسلم. [الواحدي].

﴿ أليم ﴾ مؤلم **﴿ وما لهم من ناصرين ﴾** مانعين منه.

٩٢ **﴿ لن تنالوا البر ﴾** أي ثوابه، وهو الجنة **﴿ حتى تنفقوا ﴾** تصّدقوا **﴿ مما تحبون ﴾** من أموالكم **﴿ وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم ﴾** فيجازي عليه.

٩٣ ونزل - لما قال اليهود: إنك تزعم أنك على ملة إبراهيم، وكان لا يأكل لحوم الإبل وألبانها - **﴿ كل الطعام كان حلاً ﴾** حـلالاً **﴿ لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل ﴾** يعقوب **﴿ على نفسه ﴾** وهو الإبل، لما حصل له عرق النَّسا[١] - بالفتح والقصر - فنذر إن شفي لا يأكلها، فحرم عليه[٢] **﴿ من قبل أن تنزل التوراة ﴾** وذلك بعد إبراهيم، ولم تكن على عهده حراماً كما زعموا **﴿ قل ﴾** لهم **﴿ فأتوا بالتوراة فاتلوها ﴾** ليتبين صدق قولكم **﴿ إن كنتم صادقين ﴾** فيه فبهتوا ولم يأتوا بها.

٩٤ قال تعالى: **﴿ فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك ﴾** أي ظهور الحجة بأن التحريم إنما كان من جهة يعقوب لا على عهد إبراهيم **﴿ فأولئك هم الظالمون ﴾** المتجاوزون الحق إلى الباطل.

٩٥ **﴿ قل صدق الله ﴾** في هذا كجميع ما أخبر به **﴿ فاتبعوا ملّة إبراهيم ﴾** التي أنا عليها **﴿ حنيفاً ﴾** مائلاً عن كل دين إلى الإسلام **﴿ وما كان من المشركين ﴾**.

٩٦ ونزل - لما قالوا: قبلتنا قبْل قبلتكم - **﴿ إن أول بيت وضع ﴾** متعبداً **﴿ للناس ﴾** في الأرض **﴿ للذي ببكة ﴾** بالباء لغة في مكة، سميت بذلك لأنها تَبُكُّ أعناق الجبابرة أي تدقها[٣]. بناه الملائكة قبل خلق آدم، ووضع بعده الأقصى، وبينهما أربعون سنة، كما في حديث الصحيحين[٤]. وفي حديث: (أنه أول ما ظهر على وجه الماء عند خلق السموات والأرض زبدة بيضاء، فدحيت الأرض من تحته)[٥] **﴿ مباركاً ﴾** حال من الذي، أي ذا بركة **﴿ وهدى للعالمين ﴾** لأنه قبلتهم.

٩٧ **﴿ فيه آيات بيّنات ﴾** منها **﴿ مقام إبراهيم ﴾** أي الحجر الذي قام عليه عند بناء البيت، فأثر قدماه فيه، وبقي إلى الآن مع تطاول الزمان وتداول الأيدي عليه. ومنها: تضعيف الحسنات فيه، وأن الطير لا يعلوه **﴿ ومن دخله كان آمناً ﴾** لا يتعرض إليه بقتل[٦] أو ظلم أو غير ذلك **﴿ ولله على الناس حج البيت ﴾** واجب، بكسر الحاء وفتحها، لغتان[٧] في مصدر حج بمعنى قصد. ويبدل من الناس **﴿ من استطاع إليه سبيلاً ﴾** طريقاً، فسره ﷺ بالزاد والراحلة. رواه الحاكم (١/٤٤٢) وغيره[٨] **﴿ومن كفر﴾** بالله أو بما فرضه من الحج **﴿فإن الله غني عن العالمين﴾** الإنس والجن والملائكة، وعن عبادتهم.

٩٨ **﴿ قل يا أهل الكتاب لم تكفرون**

أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ
مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾
۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ
إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُۗ قُلْ فَأْتُواْ
بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى
ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾
قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُۗ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ
مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي
بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ
مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًاۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ
حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ
غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ

---

(١) عرق يكون باطن الفخذ.

(٢) وفي شرعنا لا ينعقد مثل هذا النذر، لأن ترك المباح ليس قربة مندوبة، والنذر لا يلزم إلا في قربة مندوبة.

(٣) أي تهلكهم وتذلهم إذا أرادوها بسوء.

(٤) عن أبي ذر رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن أول مسجد وضع في الأرض، قال: (المسجد الحرام). قلت: ثم أي؟ قال: (المسجد الأقصى). قلت: كم بينهما؟ قال: (أربعون عاماً، ثم الأرض لك مسجد، فحيثما أدركت الصلاة فصل فإن الفضل فيه). [البخاري: الأنبياء، باب: ﴿يزفون﴾/ الصافات: ٩٤/ رقم: ٣١٨٦]

(٥) زبدة: رغوة تكون على سطح الماء. فدحيت: بسطت وجعلت صالحة للعيش عليها.

(٦) ولو قصاصاً عند أبي حنيفة رحمه الله تعالى، وإنما يضيق عليه حتى يخرج منه فيقتل خارجه. وعند غيره: يقتل فيه قصاصاً.

(٧) وهما قراءتان متواترتان، أي ﴿حَجّ﴾ و ﴿حِجّ﴾.

(٨) المستدرك : أول كتاب المناسك ، باب : السبيل الزاد والراحلة. الترمذي: التفسير، باب: ومن سورة آل عمران.

سبب نزول الآية [٩٧]: عن عكرمة قال: لما نزلت: ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام ديناً ﴾ الآية، قالت اليهود: فنحن مسلمون، فقال لهم

بآيات الله ﴾ القرآن ﴿ والله شهيد على ما تعملون ﴾ فيجازيكم عليه.

٩٩ ﴿ قل يا أهل الكتاب لم تصدون ﴾ تصرفون ﴿ عن سبيل الله ﴾ أي دينه ﴿ من آمن ﴾ بتكذيبكم النبي وكتم نعته ﴿ تبغونها ﴾ أي تطلبون السبيل ﴿ عوجاً ﴾ مصدر بمعنى معوجة، أي مائلة عن الحق ﴿ وأنتم شهداء ﴾ عالمون بأن الدين المرضي القيم دين الإسلام، كما في كتابكم ﴿وما الله بغافل عما تعملون ﴾ من الكفر والتكذيب، وإنما يؤخركم إلى وقتكم ليجازيكم.

١٠٠ ونزل ـ لما مر اليهود على الأوس والخزرج، وغاظهم تألفهم، فذكروهم بما كان بينهم في الجاهلية من الفتن، فتشاجروا، وكادوا يقتتلون ـ ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين ﴾.

١٠١ ﴿ وكيف تكفرون ﴾ استفهام تعجب وتوبيخ ﴿ وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم ﴾ يتمسك ﴿ بالله(١) فقد هدي إلى صراط مستقيم ﴾.

٧٩ (سـورة آل عمران)

بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ
ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا
عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟
ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ
تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ
وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا
وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ
وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ
قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ
مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ

١٠٢ ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ﴾ بأن يطاع فلا يعصى، ويشكر فلا يكفر، ويذكر فلا ينسى(٢). فقالوا: يا رسول الله، ومن يقوى على هذا(٣)؟ فنسخ بقوله تعالى: «فاتقوا الله ما استطعتم(٤)» /التغابن: ١٦/ ﴿ ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾(٥) موحدون.

١٠٣ ﴿ واعتصموا ﴾ تمسكوا ﴿ بحبل الله ﴾ أي دينه ﴿ جميعاً ولا تفرقوا ﴾ بعد الإسلام ﴿واذكروا نعمت الله ﴾ إنعامه ﴿ عليكم ﴾ يا معشر الأوس والخزرج ﴿ إذ كنتم ﴾ قبل الإسلام ﴿ أعداءً فألف ﴾ جمع ﴿ بين قلوبكم ﴾ بالإسلام ﴿ فأصبحتم ﴾ فصرتم ﴿ بنعمته إخواناً ﴾ في الدين والولاية(٦) ﴿ وكنتم على شفا ﴾ طرف ﴿ حفرة من النار ﴾ ليس بينكم وبين الوقوع فيها إلا أن تموتوا كفاراً ﴿ فأنقذكم منها ﴾ بالإيمان ﴿ كذلك ﴾ كما بين لكم ما ذكر ﴿ يبين الله لكم آياته

---

(١) أي يعمل بكتابه.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك [التفسير/ تفسير سورة آل عمران: ٢/ ٢٩٤] من كلام ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) أي على تقوى الله تعالى حق تقاته، أي أن يقوم بكل ما يجب لله تعالى وما يستحقه وما يليق به.

(٤) وقيل: ليست هذه الآية ناسخة، وإنما هي مبينة للمراد بتقوى الله حق تقاته، وأنه ما كان في طاقة الإنسان ووسعه.

(٥) أي استمروا على الإسلام والتمسك به حتى يأتيكم الموت وأنتم على هذه الحالة.

(٦) نصرة بعضكم بعضاً في الحق.

النبي ﷺ: (إن الله فرض على المسلمين حج البيت). فقالوا: لم يكتب علينا، وأبوا أن يحجوا، فأنزل الله: ﴿ومن كفر فإن الله غني عن العالمين﴾ [السيوطي].

سبب نزول الآيات [٩٩ ـ ١٠٠]: عن زيد بن أسلم رضي الله عنه قال: مرَّ شاس بن قيس ـ وكان يهودياً ـ على نفر من الأوس والخزرج يتحدثون، فغاظه ما رأى من تألفهم بعد العداوة، فأمر شاباً معه من يهود أن يجلس بينهم فيذكرهم يوم بعاث ففعل، فتنازعوا وتفاخروا حتى وثب رجلان: أوس بن قيظي من الأوس، وجبار بن صخر من الخزرج، فتقاولا وغضب الفريقان وتواثبوا للقتال، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ. فجاء حتى وعظهم وأصلح بينهم، فسمعوا وأطاعوا، فأنزل الله في أوس وجبار ومن كان معهما: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب﴾ الآية، وفي شاس بن قيس: ﴿يا أهل الكتاب لم تصدّون﴾ الآية. [السيوطي].

سبب نزول الآية [١٠١]: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان بين الأوس والخزرج شر في الجاهلية، فذكروا ما بينهم، فثار بعضهم إلى بعض بالسيوف، فأتي النبي ﷺ فذكر ذلك له، فذهب إليهم، فنزلت هذه الآية ﴿ وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ فأنقذكم منها ﴾ [الواحدي].

لعلكم تهتدون ﴾.

١٠٤ ﴿ ولتكن منكم أمة(١) يدعون إلى الخير ﴾ الإسلام ﴿ ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك ﴾ الداعون الآمرون الناهون ﴿ هم المفلحون ﴾ الفائزون. ومن للتبعيض(٢)، لأن ما ذكر فرض كفاية، لا يلزم كل الأمة، ولا يليق بكل أحد كالجاهل، وقيل زائدة، أي لتكونوا أمة(٣).

١٠٥ ﴿ ولا تكونوا كالذين تفرقوا ﴾ عن دينهم ﴿ واختلفوا ﴾ فيه ﴿ من بعد ما جاءهم البينات ﴾ وهم اليهود والنصارى ﴿ وأولئك لهم عذاب عظيم ﴾.

١٠٦ ﴿ يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ﴾ أي يوم القيامة ﴿ فأما الذين اسودت وجوههم ﴾ وهم الكافرون، فيلقون في النار، ويقال لهم توبيخاً ﴿ أكفرتم بعد إيمانكم ﴾ يوم أخذ الميثاق(٤) ﴿ فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ﴾.

١٠٧ ﴿ وأما الذين ابيضت وجوههم ﴾ وهم المؤمنون ﴿ ففي رحمة الله ﴾ أي جنته ﴿ هم فيها خالدون ﴾.

١٠٨ ﴿ تلك ﴾ أي هذه الآيات ﴿ آيات الله نتلوها عليك ﴾ يا محمد ﴿ بالحق وما الله يريد ظلماً للعالمين ﴾ بأن يأخذهم بغير جُرم.

١٠٩ ﴿ ولله ما في السموات وما في الأرض ﴾ ملكاً وخلقاً وعبيداً ﴿ وإلى الله ترجع ﴾ تصير ﴿ الأمور ﴾.

١١٠ ﴿ كنتم ﴾ يا أمة محمد في علم الله تعالى ﴿ خير أمة أخرجت ﴾ أظهرت ﴿ للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن

لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ
وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ
بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾
يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ
وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا
كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ
فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ
نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾
وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ
ٱلْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ
بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ

---

(١) جماعة. (٢) أي معنى ﴿منكم﴾ بعضكم.

(٣) فيكون المخاطب بفرض الكفاية جميع الأمة، لكن يسقط الواجب بقيام بعضهم به.

(٤) أي حين خوطبوا - في عالم الذر وقبل أن يخرجوا إلى الوجود - بقوله تعالى: ﴿ألست بربكم قالوا بلى﴾ /الأعراف: ١٧٢/. وعلى هذا فالمراد الكافرون عامة. أو المراد بكفرهم بعد إيمانهم إصرارهم على الكفر بعد وضوح الأدلة التي تستدعي منهم الإيمان. وقيل غير ذلك.

فائدة: في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (إياكم والجلوس على الطرقات). فقالوا: ما لنا بد إنما هي مجالسنا نتحدث فيها. قال: (فإذا أبيتم إلا المجالس فأعطوا الطريق حقها). قالوا: وما حق الطريق ؟ قال: (غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، وأمر بالمعروف، ونهي عن المنكر) [البخاري: المظالم، باب: أفنية الدور والجلوس فيها. . ، رقم: ٢٣٣٣. مسلم: اللباس والزينة، باب: النهي عن الجلوس في الطرقات. . ، رقم: ٢١٢١] [إياكم: أحذركم. بد: غنى عنه. المجالس: الجلوس في تلك المجالس. حقها: ما يليق بها من آداب. غض البصر: خفض النظر عمن يمر في الطريق من النساء وغيرهن مما يثير الفتنة. كف الأذى: عدم التعرض لأحد بقول أو فعل يتأذى به].

وعن أبي وائل قال: قيل لأسامة: لو أتيت فلاناً فكلمته، قال: إنكم لترون أني لا أكلمه إلا أسمعكم، إني أكلمه في السر، دون أن أفتح باباً لا أكون أول من فتحه، ولا أقول لرجل أن كان عليَّ أميراً: إنه خير الناس، بعد شيء سمعته من رسول الله ﷺ. قالوا: وما سمعته يقول ؟ قال: سمعته يقول: (يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار، فتندلق أقتابه في النار، فيدور كما يدور الحمار برحاه، فيجتمع أهل النار عليه فيقولون: أي فلان، ما شأنك ؟ أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر ؟ قال: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه) [البخاري: بدء الخلق، باب: صفة النار وأنها مخلوقة، رقم: ٣٠٩٤. مسلم: الزهد والرقائق، باب: عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله، رقم: ٢٩٨٩] [لأسامة: بن زيد رضي الله عنهما. فلاناً: هو عثمان بن عفان رضي الله عنه. فكلمته: في إطفاء الفتنة التي تقع بين الناس، وقيل: في شأن أخيه لأمه الوليد بن عتبة. لترون: لتظنون. فتندلق: تخرج وتنصب بسرعة. أقتابه: جمع قتب وهي الأمعاء والأحشاء. برحاه: حجر الطاحون التي يديرها].

سبب نزول الآية [١١٠]: قال عكرمة ومقاتل: نزلت في ابن مسعود وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى أبي حذيفة، وذلك أن مالك بن الصيف ووهب بن يهوذا اليهوديين قالا لهم: إن ديننا خير مما تدعونا إليه ونحن خير وأفضل منكم. فأنزل الله تعالى هذه الآية. [الواحدي]

أهل الكتاب لكان ﴾ الإيمان ﴿ خيراً لهم منهم المؤمنون ﴾ كعبد الله بن سلام رضي الله عنه وأصحابه ﴿ وأكثرهم الفاسقون ﴾ الكافرون(١).

١١١ ﴿ لن يضروكم ﴾ أي اليهود، يا معشر المسلمين، بشيء ﴿ إلا أذى ﴾ باللسان من سب ووعيد ﴿ وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ﴾(٢) منهزمين ﴿ ثم لا ينصرون ﴾ عليكم، بل لكم النصر عليهم.

١١٢ ﴿ ضربت عليهم الذلة(٣) أين ما ثقفوا ﴾ حيثما وجدوا، فلا عز لهم ولا اعتصام ﴿ إلا ﴾ كائنين ﴿ بحبل من الله وحبل من الناس ﴾ المؤمنين، وهو عهدهم إليهم بالأمان على أداء الجزية، أي لا عصمة لهم غير ذلك ﴿ وباؤوا ﴾ رجعوا ﴿ بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة(٤) ذلك بأنهم ﴾ أي بسبب أنهم ﴿ كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك ﴾ تأكيد(٥) ﴿ بما عصوا ﴾ أمر الله ﴿ وكانوا يعتدون ﴾ يتجاوزون الحلال إلى الحرام.

١١٣ ﴿ ليسوا ﴾ أي أهل الكتاب ﴿ سواء ﴾ مستوين(٦) ﴿ من أهل الكتاب أمة(٧) قائمة ﴾ مستقيمة ثابتة على الحق، كعبد الله بن سلام رضي الله عنه وأصحابه ﴿ يتلون آيات الله آناء الليل ﴾ أي في ساعاته ﴿ وهم يسجدون ﴾ يصلون، حال(٨).

١١٤ ﴿ يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك ﴾ الموصوفون بما ذكر ﴿ من الصالحين ﴾، ومنهم من ليسوا كذلك، وليسوا من الصالحين.

١١٥ ﴿ وما تفعلوا ﴾ بالتاء، أيتها الأمة(٩)، والياء، أي الأمة القائمة(١٠) ﴿من خير فلن تكفروه﴾ بالوجهين(١١)، أي يعدموا ثوابه، بل يجازون عليه ﴿ والله عليم بالمتقين ﴾.

١١٦ ﴿ إن الذين

أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ
ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ
يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ
أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو
بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ
كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ
ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ ۞ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ
مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ
ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ
وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ
فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا۟
مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ

---

(١) وسمي كفرهم فسوقاً إشارة إلى أنهم خارجون عن طاعة الله عزّ وجلّ حسب ما في دينهم أيضاً، فهم قد خرجوا عن دينهم ولم يدخلوا في الإسلام.

(٢) أي يعطوكم ظهورهم ويجعلوها في جهتكم، وهو كناية عن الهرب والانهزام.

(٣) لزمتهم الضعة والصغار، حتى ولو زعموا لأنفسهم دولة، لأنهم ما برحوا خائفين قلقين، معتمدين على مصالح الأمم فيهم.

(٤) وهي أن يظهر اليهودي من نفسه الفقر والحاجة وإن كان غنياً موسراً.

(٥) لقوله ﴿ذلك بأنهم﴾ وانظر/ البقرة: ٦١/ و/ آل عمران: ٢١/.

(٦) في عقيدتهم وموقفهم من دعوة الحق.

(٧) جماعة وفئة.

(٨) من فاعل يتلون، وهم الفئة الثابتة على الحق من أهل الكتاب.

(٩) المسلمة، أمة محمد ﷺ.

(١٠) الثابتة على الحق من أهل الكتاب.

(١١) أي ﴿تُكفروه﴾ و ﴿يُكفروه﴾ على المعنى الذي سبق.

سبب نزول الآية [١١٣]: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما أسلم عبدالله بن سلام وثعلبة بن سعية، وأسيد بن سعية، وأسد بن عبد، ومن أسلم من يهود معهم، فآمنوا وصدّقوا ورغبوا في الإسلام، قالت أحبار اليهود وأهل الكفر منهم: ما آمن بمحمد واتبعه إلا شرارنا، ولو كانوا خيارنا ما تركوا دين آبائهم وذهبوا إلى غيره. فأنزل الله في ذلك: ﴿ليسوا سواء من أهل الكتاب﴾ الآية. [السيوطي].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: أخر رسول الله ﷺ صلاة العشاء، ثم خرج إلى المسجد فإذا الناس ينتظرون الصلاة، فقال: (أما إنه ليس من أهل هذه الأديان أحد يذكر الله هذه الساعة غيركم). وأنزلت هذه الآية: ﴿ ليسوا سواء من أهل الكتاب أمّة قائمة ـ حتى بلغ ـ والله عليم بالمتقين ﴾. [مسند أحمد: ١/٣٩٦].

كفروا لن تغني ﴾ تدفع ﴿عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله ﴾ أي من عذابه ﴿ شيئاً ﴾ وخصهما بالذكر لأن الإنسان يدفع عن نفسه: تارة بفداء المال، وتارة بالاستعانة بالأولاد ﴿ وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾.

١١٧ ﴿ مثل ﴾ صفة ﴿ ما ينفقون ﴾ أي الكفار ﴿ في هذه الحياة الدنيا ﴾ في عداوة النبي[١]، أو صدقة ونحوها[٢] ﴿ كمثل ريح فيها صر ﴾ حر، أو برد شديد ﴿ أصابت حرث ﴾ زرع ﴿ قوم ظلموا أنفسهم ﴾ بالكفر والمعصية ﴿ فأهلكته ﴾ فلم ينتفعوا به، فكذلك نفقاتهم ذاهبة لا ينتفعون بها ﴿ وما ظلمهم الله ﴾ بضياع نفقاتهم ﴿ ولكن أنفسهم يظلمون ﴾ بالكفر الموجب لضياعها.

١١٨ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة﴾ أصفياء تطلعونهم على سركم[٣] ﴿من دونكم﴾ أي غيركم من اليهود والنصارى والمنافقين ﴿ لا يألونكم خبالاً ﴾ نصب بنزع الخافض، أي لا يقصرون لكم في الفساد[٤] ﴿ ودوا ﴾ تمنوا ﴿ ما عنتم ﴾ أي عنتكم، وهو شدة الضرر ﴿ قد بدت ﴾ ظهرت ﴿ البغضاء ﴾ العداوة لكم ﴿من أفواههم﴾ بالوقيعة فيكم، وإطلاع المشركين على سركم ﴿ وما تخفي صدورهم ﴾ من العداوة ﴿ أكبر قد بينا لكم الآيات ﴾ على عداوتهم ﴿ إن كنتم تعقلون ﴾ ذلك فلا توالوهم.

١١٩ ﴿ ها ﴾ للتنبيه ﴿ أنتم ﴾ يا ﴿ أولاء ﴾ المؤمنين ﴿ تحبونهم ﴾ لقرابتهم منكم وصداقتكم ﴿ ولا يحبونكم ﴾ لمخالفتهم لكم في الدين ﴿ وتؤمنون بالكتاب كله ﴾ أي بالكتب كلها، ولا يؤمنون بكتابكم ﴿ وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل ﴾ أطراف الأصابع ﴿ من الغيظ ﴾ شدة الغضب، لما يرون من ائتلافكم. ويعبر عن شدة الغضب بعض الأنامل مجازاً وإن لم يكن ثَمّ عض ﴿ قل موتوا بغيظكم ﴾ أي ابقوا عليه إلى الموت، فلن تروا ما يسركم ﴿ إن الله عليم بذات الصدور ﴾ بما في القلوب، ومنه ما يضمره هؤلاء.

١٢٠ ﴿ إن تمسسكم ﴾ تصبكم ﴿ حسنة ﴾ نعمة، كنصر وغنيمة ﴿ تسؤهم ﴾ تحزنهم ﴿ وإن تصبكم سيئة ﴾ كهزيمة وجدب[٥] ﴿ يفرحوا بها ﴾ وجملة الشرط متصلة بالشرط قبل[٦]، وما بينهما اعتراض، والمعنى: أنهم متناهون في عداوتكم، فَلِمَ توالونهم؟ فاجتنبوهم

كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ
شَيْـًٔا ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١٦﴾ مَثَلُ
مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ
أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ
ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ
قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ
قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ
تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ
قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ
قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾
إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا

---

(١) كإنفاق أبي سفيان ببدر وأحد لتجهيز الجيوش لمحاربة النبي ﷺ.

(٢) من الأعمال التي ظاهرها الإحسان كالإنفاق في صلة الرحم.

(٣) وسموا بطانة لأنهم يشبهون بطانة الثوب من حيث القرب من الشخص.

(٤) وأصل الخبال: ما يلحق الحيوان من مرض وفتور، فيورثه فساداً واضطراباً. ويطلق على النقصان والفساد الذي يورث الاضطراب.

(٥) قلة نمو زرع وعشب بسبب قلة المطر، ضد الخصب.

(٦) أي جملة ﴿إن تمسسكم . . ﴾ مرتبطة بقوله: ﴿وإذا لقوكم . . وإذا خلوا . . ﴾.

فائدة: عن الأزهر بن راشد قال: كانوا يأتون أنساً رضي الله عنه، فإذا حدثهم بحديث لا يدرون ما هو أتوا الحسن ـ يعني البصري ـ فيفسره لهم. قال: فحدث ذات يوم عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تستضيئوا بنار المشركين، ولا تنقشوا في خواتيمكم عربياً». فلم يدروا ما هو، فأتوا الحسن فقالوا له: إن أنساً حدثنا أن رسول الله ﷺ قال: «لا تستضيئوا بنار الشرك، ولا تنقشوا في خواتيمكم عربياً». فقال الحسن: أما قوله: «لا تنقشوا في خواتيمكم عربياً»: محمد ﷺ. وأما قوله: «ولا تستضيئوا بنار الشرك» يقول: لا تستشيروا المشركين في أموركم. ثم قال الحسن: تصديق ذلك في كتاب الله: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم﴾. [مسند أحمد: ٣/ ٩٩. النسائي: كتاب الزينة، باب: قول النبي ﷺ: «لا تنقشوا. .» رقم: ٥٢٠٩]

سبب نزول الآية [١١٨]: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رجال من المسلمين يواصلون رجالاً من يهود لما كان بينهم من الجوار والحلف في الجاهلية، فأنزل الله فيهم ينهاهم عن مباطنتهم تخوف الفتنة عليهم: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم﴾ الآية. [السيوطي].

﴿ وإن تصبروا ﴾ على أذاهم ﴿ وتتقوا ﴾ الله في موالاتهم وغيرها(١) ﴿ لا يضِرْكم ﴾ بكسر الضاد وسكون الراء، وضمها وتشديدها(٢) ﴿ كيدهم(٣) شيئاً إن الله بما يعملون﴾ بالياء، والتاء(٤) ﴿ محيط ﴾ عالم فيجازيهم به.

١٢١ ﴿ و ﴾ اذكر يا محمد ﴿ إذ غدوت(٥) من أهلك ﴾ من المدينة ﴿ تبوىء ﴾ تنزل ﴿ المؤمنين مقاعد ﴾ مراكز يقفون فيها ﴿ للقتال والله سميع ﴾ لأقوالكم ﴿ عليم ﴾ بأحوالكم، وهو يوم أحد، خرج النبي ﷺ بألف أو إلا خمسين رجلاً، والمشركون ثلاثة آلاف، ونزل بالشعب، يوم السبت سابع شوّال سنة ثلاثة من الهجرة، وجعل ظهره وعسكره إلى أحد، وسوّى صفوفهم، وأجلس جيشاً من الرماة، وأمر عليهم عبد الله بن جبير بسفح الجبل، وقال: (انضحوا عنا بالنبل(٦)، لا يأتونا من ورائنا، ولا تبرحوا(٧)، غلبنا أو نُصِرنا).

١٢٢ ﴿ إذ ﴾ بدل من إذ قبله ﴿ همت طائفتان منكم ﴾ بنو سلمة وبنو حارثة ، جناحا العسكر ﴿ أنْ تفشلا ﴾ تجبنا عن القتال وترجعا، لما رجع عبد الله بن أُبَيٍّ المنافق وأصحابه وقال: علام نقتل أنفسنا وأولادنا؟ وقال لأبي جابر السلمي ـ القائل له: أنشدكم الله في نبيكم وأنفسكم ـ: لو نعلم قتالاً لاتبعناكم(٨)، فثبتهما الله ولم ينصرفا ﴿ والله وليهما ﴾ ناصرهما ﴿ وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ ليثقوا به دون غيره.

١٢٣ ونزل ـ لما هزموا(٩) ـ تذكيراً لهم بنعمة الله تعالى(١٠): ﴿ولقد نصركم الله ببدر﴾ موضع بين مكة والمدينة ﴿وأنتم أذلة﴾ بقلة العدد والسلاح ﴿فاتقوا الله لعلكم تشكرون﴾ نعمه.

١٢٤ ﴿إذ﴾ ظرف لنصركم ﴿تقول للمؤمنين﴾ توعدهم(١١) تطميناً ﴿ألن يكفيكم أن يمدكم﴾ يعينكم ﴿ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين﴾ بالتخفيف والتشديد(١٢).

١٢٥ ﴿بلى﴾ يكفيكم ذلك، وفي الأنفال [٩] «بألفٍ» لأنه أمدهم أولاً بها، ثم صارت ثلاثة، ثم صارت خمسة، كما قال تعالى: ﴿ إن تصبروا ﴾ على لقاء العدو ﴿ وتتقوا ﴾ الله في المخالفة ﴿ ويأتوكم ﴾ أي المشركون ﴿ من فورهم ﴾ وقتهم ﴿ هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين ﴾ بكسر الواو وفتحها، أي معلمين(١٣)، وقد صبروا، وأنجز الله وعده: بأن قاتلت معهم الملائكة على خيل بلق(١٤)، عليهم عمائم صفر أو بيض، أرسلوها بين أكتافهم(١٥).

١٢٦ ﴿ وما جعله الله ﴾ أي الإمداد ﴿ إلا بشرى لكم ﴾ بالنصر ﴿ ولتطمئن ﴾ تسكن ﴿ قلوبكم به ﴾ فلا تجزع من كثرة العدو وقلتكم ﴿ وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم ﴾ يؤتيه من يشاء، وليس بكثرة الجند.

١٢٧ ﴿ ليقطع ﴾ متعلق بنصركم، أي ليهلك ﴿طرفاً(١٦)=

وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ
بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ﴿١٢٠﴾ وَإِذۡ غَدَوۡتَ مِنۡ أَهۡلِكَ تُبَوِّئُ
ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلۡقِتَالِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ إِذۡ هَمَّت
طَّآئِفَتَانِ مِنكُمۡ أَن تَفۡشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَاۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ
ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٞۖ فَٱتَّقُواْ
ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذۡ تَقُولُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ أَلَن
يَكۡفِيَكُمۡ أَن يُمِدَّكُمۡ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ
مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن
فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ
مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ لَكُمۡ وَلِتَطۡمَئِنَّ
قُلُوبُكُم بِهِۦۗ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ
ٱلۡحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقۡطَعَ طَرَفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡ يَكۡبِتَهُمۡ

---

(١) بأن تتركوا موالاة الكافر، وكل ما حرم عليكم.

(٢) أي ﴿يَضُرُّكم﴾ بضم الضاد وتشديد الراء مع ضمها أيضاً.

(٣) تدبيرهم واحتيالهم ليوقعوكم فيما يضركم.

(٤) وهي قراءة شاذة.

(٥) خرجت أول النهار.

(٦) ادفعوا وامنعوا المشركين وخيلهم وفرقوا جمعهم، والنضح الرش والرشح، والمناسب هنا الأول.

(٧) لا تغادروا أماكنكم. انظر البخاري [المغازي، باب: غزوة أحد] وسنن أبي داود [الجهاد، باب: في الكمناء].

(٨) انظر الآية /١٦٧/ من هذه السورة.

(٩) أي بسبب ما أصابهم في أحد من قتل وجراح، يعتبر هزيمة بالنسبة لما أحرزوه في بدر.

(١٠) وتقوية لقلوبهم وتسلية لهم عما أصابهم من هَمٍّ وغَمٍّ.

(١١) كان الأولى أن يقال: تعدهم، لأن توعد مضارع أوعد، ويكون غالباً في الشر، بينما وعد تكون في الخير، ومضارعها يعد.

(١٢) للزاي المفتوحة، أي ﴿منزَلين﴾ و﴿منزَّلين﴾.

(١٣) معلِّمين أنفسهم أو خيولهم، أو معلَّمين من قبله تعالى، من السِّيما وهي العلامة.

(١٤) بيض الوجوه والأيدي والأرجل.

(١٥) أي أرسلوا أطرافها.

(١٦) فئة وطائفة.

سبب نزول الآية [١٢٢]: أخرج البخاري [التفسير، باب: ﴿ إذ همت طائفتان منكم. . . ﴾ رقم: ٤٢٨٢] ومسلم [فضائل الصحابة، باب: من فضائل الأنصار رضى الله عنهم، رقم: ٢٥٠٥] عن جابر رضي الله عنه قال: نزلت فينا ﴿ إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما ﴾ قال:

من الذين كفروا ﴾ بالقتل والأسر ﴿ أو يكبتهم ﴾ يذلهم بالهزيمة ﴿ فينقلبوا ﴾ يرجعوا ﴿ خائبين ﴾ لم ينالوا ما راموه (١).

١٢٨ ونزل ـ لما كسرت رباعيته ﷺ، وشج وجهه يوم: أحد، وقال: (كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم)(٢) ـ ﴿ليس لك من الأمر شيء ﴾ بل الأمر لله فاصبر ﴿ أو ﴾ بمعنى إلى أن ﴿ يتوب عليهم ﴾ بالإسلام ﴿ أو يعذبهم فإنهم ظالمون ﴾ بالكفر.

١٢٩ ﴿ ولله ما في السموات وما في الأرض ﴾ مِلكاً وخلقاً وعبيداً ﴿ يغفر لمن يشاء ﴾ المغفرة له ﴿ ويعذب من يشاء ﴾ تعذيبه ﴿ والله غفور ﴾ لأوليائه ﴿ رحيم ﴾ بأهل طاعته.

١٣٠ ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربوا أضعافاً مضاعفة ﴾ بألف ودونها، بأن تزيدوا في المال عند حلول الأجل وتؤخروا الطلب ﴿ واتقوا الله ﴾ بتركه ﴿ لعلكم تفلحون ﴾ تفوزون.

١٣١ ﴿ واتقوا النار التي أعدت للكافرين ﴾ أن تعذبوا بها.

١٣٢ ﴿ وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون ﴾.

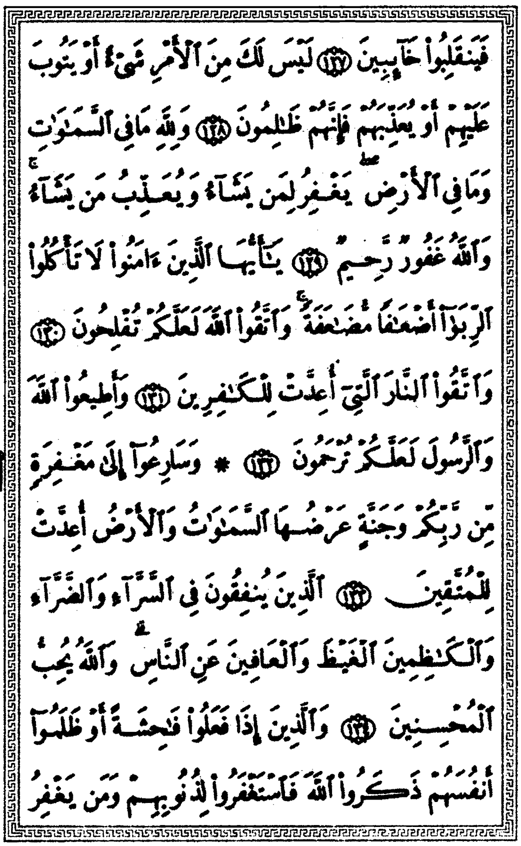

٨٤ (الجـــزء الرابـع)

فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ (١٢٧) لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ أَوۡ يَتُوبَ
عَلَيۡهِمۡ أَوۡ يُعَذِّبَهُمۡ فَإِنَّهُمۡ ظَٰلِمُونَ (١٢٨) وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ
وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ (١٢٩) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ
ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ (١٣٠)
وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ (١٣١) وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ
وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ (١٣٢) * وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ
مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ
لِلۡمُتَّقِينَ (١٣٣) ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ
وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ
ٱلۡمُحۡسِنِينَ (١٣٤) وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ
أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ

١٣٣ ﴿ وسارعوا ﴾ بواو ودونها(٣) ﴿ إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض ﴾ أي كعرضهما لو وصلت إحداهما بالأخرى، والعرض السعة(٤) ﴿ أعدت للمتقين ﴾ اللهَ بعمل الطاعات وترك المعاصي.

١٣٤ ﴿ الذين ينفقون ﴾ في طاعة الله ﴿ في السراء والضراء ﴾ اليسر والعسر ﴿ والكاظمين الغيظ ﴾ الكافين عن إمضائه مع القدرة(٥) ﴿ والعافين عن الناس ﴾ ممن ظلمهم، أي التاركين عقوبتهم ﴿ والله يحب المحسنين ﴾ بهذه الأفعال، أي يثيبهم.

١٣٥ ﴿ والذين إذا فعلوا فاحشة ﴾ ذنباً قبيحاً كالزنا ﴿ أو ظلموا أنفسهم ﴾ بما دونه كالقُبلة ﴿ ذكروا الله ﴾ أي وعيده ﴿ فاستغفروا لذنوبهم ومن ﴾ أي لا ﴿ يغفر

---

(١) ما قصدوه من التغلب على المسلمين والنيل منهم.

(٢) أخرج الحديث بهذا اللفظ ابن ماجه في الفتن، باب: الصبر على البلاء، رقم: ٤٠٢٧. وأخرجه مسلم في الجهاد والسير، باب: غزوة أحد، رقم: ١٧٩١. [خضبوا: صبغوا].

(٣) أي ﴿سارعوا﴾ وهي قراءة متواترة، والمعنى: بادروا وأقبلوا على الأعمال الصالحة التي تستحقون بسببها المغفرة ودخول الجنة.

(٤) أي ليس المراد بالعرض هنا ما يقابل الطول، وإنما هو كناية عن المبالغة في سعتها.

(٥) قال رسول الله ﷺ: (من كظم غيظاً وهو يقدر على إنفاذه ملأ الله قلبه أمناً وإيماناً). وقال رسول الله ﷺ: (من كظم غيظاً وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله عز وجل يوم القيامة على رؤوس الخلائق، حتى يخيره من الحور العين ما يشاء) [الترمذي في البر والصلة، باب: ما جاء في كظم الغيظ، رقم: ٢٠٢٢. أبوداود: الأدب، باب من كظم غيظاً، رقم: ٤٧٧٧، ٤٧٧٨].

والغيظ: شدة الحنق والغضب الذي يحيط بالإنسان ويتمكن منه.

نحن الطائفتان بنو حارثة وبنو سلمة، وما يسرني أنها لم تنزل، لقول الله تعالى ﴿ والله وليهما ﴾. أي كان سروره بنزولها كثيراً رغم ما فيها من العتاب واللوم، قال الخازن: ففيها الاستبشار بما حصل لهم من الشرف العظيم، وإنزاله فيهم آية ناطقة مفصحة بأن الله وليهم، وأن تلك الهمة التي هموها ما أخرجتهم من ولاية الله تعالى.

سبب نزول الآية [١٢٨]: وجاء في سبب نزول هذه الآية أيضاً: ما رواه عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: أنه سمع رسول الله ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع من الركعة الآخرة من الفجر يقول: (اللهم العن فلاناً وفلاناً وفلاناً). بعدما يقول: (سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد). فأنزل الله: ﴿ ليس لك... ﴾ [البخاري: المغازي، باب: ﴿ ليس لك من الأمر.. ﴾ رقم: ٣٨٤٢].

الذنوب إلا الله ولم يصروا ﴾ يداوموا ﴿ على ما فعلوا ﴾ بل أقلعوا عنه ﴿ وهم يعلمون ﴾ أن الذي أتوه معصية.

١٣٦ ﴿ أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ﴾ حال مقدرة، أي مقدرين الخلود فيها إذا دخلوها ﴿ ونعم أجر العاملين ﴾ بالطاعة هذا الأجر.

١٣٧ ونزل في هزيمة أحد ﴿ قد خلت ﴾ مضت ﴿ من قبلكم سنن ﴾ طرائق في الكفار، بإمهالهم ثم أخذهم ﴿ فسيروا ﴾ أيها المؤمنون ﴿ في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ﴾ الرسل، أي آخر أمرهم من الهلاك، فلا تحزنوا لغلبتهم، فأنا أمهلهم لوقتهم.

١٣٨ ﴿ هذا ﴾ القرآن ﴿ بيان للناس ﴾ كلهم ﴿ وهدى ﴾ من الضلالة ﴿وموعظة للمتقين﴾ منهم.

١٣٩ ﴿ ولا تهنوا ﴾ تضعفوا عن قتال الكفار ﴿ ولا تحزنوا ﴾ على ما أصابكم بأحد ﴿ وأنتم الأعلون ﴾ بالغلبة عليهم ﴿ إن كنتم مؤمنين ﴾ حقاً، وجوابه دل عليه مجموع ما قبله⁽¹⁾.

١٤٠ ﴿ إن يمسسكم ﴾ يصبكم بأحد ﴿ قرح ﴾ بفتح القاف وضمها⁽²⁾، جهد من جرح ونحوه ﴿ فقد مس القوم ﴾ الكفار ﴿ قرح مثله ﴾ ببدر ﴿ وتلك الأيام نداولها ﴾ نصرفها ﴿ بين الناس ﴾ يوماً لفرقة ويوماً لأخرى ليتعظوا ﴿ وليعلم الله ﴾ علم ظهور⁽³⁾ ﴿ الذين آمنوا ﴾ أخلصوا في إيمانهم من غيرهم ﴿ ويتخذ منكم شهداء ﴾ يكرمهم بالشهادة ﴿ والله لا يحب الظالمين ﴾ الكافرين، أي يعاقبهم، وما ينعم به عليهم استدراج⁽⁴⁾.

١٤١ ﴿ وليمحص الله الذين آمنوا ﴾ يطهرهم من الذنوب بما⁽⁵⁾ يصيبهم ﴿ ويمحق ﴾ يهلك ﴿ الكافرين ﴾⁽⁶⁾.

١٤٢ ﴿ أم ﴾ بل أ ﴿ حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما ﴾ لم ﴿ يعلم الله الذين جاهدوا منكم ﴾ علم ظهور⁽⁷⁾ ﴿ ويعلم الصابرين ﴾ في الشدائد.

ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾
أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى
مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾
قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ
كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ
وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ
ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ
مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ
وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمْحَقَ
ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا
يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾

---

(١) أي إن كنتم مؤمنين فلا يصيبنكم وهن ولا يسيطرن عليكم حزن. (٢) أي ﴿قَرْح﴾ و ﴿قُرْح﴾ وهما قراءتان متواترتان.

(٣) أي ليظهر ما في علمه تعالى إلى حيز الوجود، ويطلع عليه العباد، ويترتب على ذلك الثواب أو العقاب.

(٤) أي هو نقمة في صورة نعمة، لأنهم يستدرجون به إلى مراتب العذاب. (٥) بسبب ما يقع بهم من المصائب.

(٦) التمحيص: التنقية والإزالة، والاختبار والابتلاء. والمحق: نقص الشيء قليلاً قليلاً. (٧) يظهر علمه للناس.

فائدة: في غفران الذنوب. عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «بينما رجل يمشي بطريق، وجد غصن شوك على الطريق فأخره، فشكر الله له، فغفر له». [البخاري: الجماعة والإمامة، باب: فضل التهجير إلى الظهر، رقم: ٦٢٤. مسلم: الإمارة، باب: بيان الشهداء، رقم: ١٩١٤].

وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع من طهر، ويدهن من دهنه، أو يمس من طيب بيته، ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين، ثم يصلي ما كتب له، ثم ينصت إذا تكلم الإمام، إلا غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى». [البخاري: الجمعة، باب: الدهن للجمعة، رقم: ٨٤٣] [ما استطاع من طهر: ما أمكنه من تنظيف، كقص الظفر والشارب وحلق العانة وغير ذلك. يمس من طيب بيته: يتطيب من طيب زوجته. ما كتب له: ما قدر له من فرض أو نفل].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «كان رجل يسرف على نفسه، فلما حضره الموت قال لبنيه: إذا أنا مت فأحرقوني، ثم اطحنوني، ثم ذروني في الريح، فوالله لئن قدر عليَّ ربي ليعذبني عذاباً ما عذبه أحداً. فلما مات فعل به ذلك، فأمر الله الأرض فقال: اجمعي ما فيك منه، ففعلت، فإذا هو قائم، فقال: ما حملك على ما صنعت؟ قال: يا رب خشيتك، فغفر له». وفي رواية: «مخافتك يا رب» [البخاري: الأنبياء، باب: ﴿أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم﴾ / الكهف: ٩/. مسلم: التوبة، باب: في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه] [يسرف على نفسه: يبالغ في المعاصي. قدر علي ربي: حكم. ذروني: فرقوني].

سبب نزول الآية [١٤٠]: عن عكرمة قال: لما أبطأ على النساء الخبر خرجن ليستخبرن، فإذا رجلان مقبلان على بعير، فقالت امرأة: ما فعل رسول الله ﷺ؟ قالا: حيّ، قالت: فلا أبالي، يتخذ الله من عباده الشهداء. ونزل القرآن على ما قالت: ﴿ ويتخذ منكم شهداء ﴾ [السيوطي].

١٤٣ ﴿ ولقد كنتم تمنون ﴾ فيه حذف إحدى التاءين في الأصل ﴿ الموت من قبل أن تلقوه ﴾ حيث قلتم: ليت لنا يوماً كيوم بدر، لننال ما نال شهداؤه ﴿ فقد رأيتموه ﴾ أي سببه: الحرب ﴿ وأنتم تنظرون ﴾ أي بصراء، تتأملون الحال كيف هي، فلمَ انهزمتم؟

١٤٤ ونزل في هزيمتهم ـ لما أشيع أن النبي قتل، وقال لهم المنافقون: إن كان قتل فارجعوا إلى دينكم ـ ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل ﴾ كغيره. ﴿ انقلبتم على أعقابكم ﴾ رجعتم إلى الكفر؟ والجملة الأخيرة محل الاستفهام الإنكاري(١)، أي ما كان معبوداً فترجعوا(٢) ﴿ ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً ﴾ وإنما يضر نفسه ﴿ وسيجزي الله الشاكرين ﴾ نعمه بالثبات.

١٤٥ ﴿ وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله ﴾ بقضائه ﴿ كتاباً ﴾ مصدر، أي كتب الله ذلك ﴿مؤجلاً﴾ مؤقتاً، لا يتقدم ولا يتأخر، فلمَ انهزمتم، والهزيمة لا تدفع الموت والثبات لا يقطع الحياة؟ ﴿ ومن يرد ﴾ بعمله ﴿ ثواب الدنيا ﴾ أي جزاءه منها ﴿ نؤته منها ﴾ ما قسم له، ولاحظ له في الأخرة ﴿ ومن يرد ثواب الأخرة نؤته منها ﴾ أي من ثوابها ﴿ وسنجزي الشاكرين ﴾.

١٤٦ ﴿ وكأين ﴾ كم ﴿ من نبي قُتِل ﴾ وفي قراءة «قاتل» والفاعل أو نائبه: قيل ربيون، وقيل ضميره(٣) ﴿ معه ﴾ خبر، مبتدؤه ﴿ ربيون كثير ﴾ جموع كثيرة(٤) ﴿ فما وهنوا ﴾ جبنوا ﴿ لما أصابهم في سبيل الله ﴾ من الجراح وقتل أنبيائهم وأصحابهم ﴿ وما ضعفوا ﴾ عن الجهاد ﴿ وما استكانوا ﴾ خضعوا لعدوهم، كما فعلتم حين قيل قتل النبي(٥) ﴿ والله يحب الصابرين ﴾ على البلاء، أي يثيبهم.

١٤٧ ﴿ وما كان قولهم ﴾ عند قتل نبيهم، مع ثباتهم وصبرهم ﴿ إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا ﴾ تجاوزنا الحد ﴿ في أمرنا ﴾ إيذاناً بأن ما أصابهم لسوء فعلهم(٦)، وهضماً لأنفسهم (٧) ﴿ وثبت أقدامنا ﴾ بالقوة على الجهاد ﴿ وانصرنا على القوم الكافرين ﴾.

١٤٨ ﴿ فآتاهم الله ثواب الدنيا ﴾ النصر والغنيمة

وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ
وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ
مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ
وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ
ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ
كِتَـٰبًا مُّؤَجَّلًا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ
ثَوَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَسَنَجْزِى ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾
وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ
أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ وَٱللَّهُ
يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا
ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا
عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا

---

(١) أي إن الاستفهام الإنكاري منصب على انقلابهم عن الدين.

(٢) أي لم يكن محمد ﷺ هو المعبود لكم حتى ترجعوا عن الدين الحق بموته.

(٣) أي ضمير الفاعل أو نائبه المستتر في﴿قتل﴾ أو﴿قاتل﴾يعود على النبي ﷺ، والمعنى: كثير من الأنبياء قتلوا أو قاتلوا، وكان مع كل منهم جموع كثيرة، فما أصابهم ضعف أو استكانة لقتل نبيهم أو قتاله.

(٤) وعلى هذا التفسير يكون﴿ربيون﴾ جمع رِبِّي، نسبة الى الرِّبَّة وهي الجماعة الكثيرة. وقيل: نسبة إلى الرب على غير قياس، وهم العلماء الأتقياء والفقهاء العابدون.

(٥) فقال بعضهم: استعينوا بعبد الله بن أبي ـ رأس المنافقين ـ ليطلب لكم الأمان من أبي سفيان، الذي كان رأس المشركين.

(٦) أي قالوا ذلك إعلاماً بأن ما وقع فيهم من مصائب في القتال إنما كان بسبب تقصير منهم في جنب الله تعالى.

(٧) تأدياً لأنفسهم حتى لا يأخذها الغرور بسبب جهادهم وصبرهم وثباتهم.

سبب نزول الآية [١٤٣]: عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رجالاً من الصحابة كانوا يقولون: ليتنا نقتل كما قتل أصحاب بدر، أو: ليت لنا يوماً كيوم بدر، نقاتل فيه المشركين ونبلي فيه خيراً، أو نلتمس الشهادة والجنة أو الحياة والرزق. فأشهدهم الله أحداً، فلم يلبثوا إلا من شاء الله منهم. فأنزل الله: ﴿ ولقد كنتم تمنون الموت ﴾ الآية. [السيوطي].

سبب نزول الآية [١٤٤]: عن عمر رضي الله عنه قال: تفرّقنا عن رسول الله ﷺ يوم أحد فصعدت الجبل، فسمعت يهود تقول: قتل محمد، فقلت: لا أسمع أحداً يقول: قتل محمد إلا ضربت عنقه، فنظرت فإذا رسول الله ﷺ والناس يتراجعون، فنزلت ﴿ وما محمد إلا رسول ﴾ الآية.

وعن الربيع قال: لما أصابهم يوم أحد ما أصابهم من القرح وتداعوا نبي الله، قالوا: قد قتل، فقال أناس: لو كان نبياً ما قتل، وقال أناس:

﴿ وحسن ثواب الآخرة ﴾ أي الجنة، وحسنه التفضل فوق الاستحقاق **﴿ والله يحب المحسنين ﴾**.

١٤٩ **﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا ﴾** فيما يأمرونكم به **﴿ يردوكم على أعقابكم ﴾** إلى الكفر **﴿ فتنقلبوا خاسرين ﴾**(١).

١٥٠ **﴿ بل الله مولیکم ﴾** ناصركم **﴿ وهو خير الناصرين ﴾** فأطيعوه دونهم.

١٥١ **﴿ سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب ﴾**(٢) بسكون العين وضمها، الخوف، وقد عزموا بعد ارتحالهم من أحد على العود واستئصال المسلمين، فرعبوا ولم يرجعوا(٣) **﴿بما أشركوا﴾** بسبب إشراكهم **﴿ بالله ما لم ينزل به سلطاناً ﴾** حجة على عبادته، وهو الأصنام **﴿ ومأواهم النار وبئس مثوى ﴾** مأوى **﴿ الظالمين ﴾** الكافرين هي.

١٥٢ **﴿ ولقد صدقكم الله وعده ﴾** إياكم بالنصر **﴿ إذ تحسونهم ﴾** تقتلونهم(٤) **﴿ بإذنه ﴾** بإرادته **﴿ حتى إذا فشلتم ﴾** جبنتم عن القتال **﴿ وتنازعتم ﴾** اختلفتم **﴿ في الأمر ﴾** أي أمر النبي ﷺ بالمقام في سفح الجبل للرمي، فقال بعضكم: نذهب فقد نصر أصحابنا، وبعضكم: لا نخالف أمر النبي ﷺ **﴿ وعصيتم ﴾** أمره، فتركتم المركز لطلب الغنيمة **﴿ من بعدما أراكم ﴾** الله **﴿ ما تحبون ﴾** من النصر، وجواب إذا دل عليه ما قبل، أي منعكم نصره **﴿ منكم من يريد الدنيا ﴾** فترك المركز للغنيمة **﴿ ومنكم من يريد الآخرة ﴾** فثبت به حتى قتل كعبد الله بن جبير وأصحابه رضي الله عنهم، اللهم ارحمنا بهم. **﴿ثم صرفكم﴾** عطف على جواب إذا المقدر، ردكم للهزيمة **﴿عنهم﴾** أي الكفار **﴿ليبتليكم﴾** ليمتحنكم، فيظهر المخلص من غيره **﴿ولقد عفا عنكم﴾** ما ارتكبتموه **﴿والله ذو فضل على المؤمنين﴾** بالعفو.

١٥٣ اذكروا **﴿ إذ تصعدون ﴾** تبعدون في الأرض هاربين **﴿ ولا تلوون ﴾** تعرجون **﴿ على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم﴾** أي من ورائكم، يقول: (إليَّ عباد الله، إليَّ عباد الله) **﴿ فأثابكم ﴾** فجازاكم **﴿ غماً ﴾** بالهزيمة **﴿ بغم ﴾** بسبب غمكم للرسول بالمخالفة، وقيل: الباء بمعنى على، أي مضاعفاً على غم فوت الغنيمة **﴿ لكيلا ﴾** متعلق بعفا(٥)، أو بأثابكم فلا زائدة(٦) =

٨٧ (سـورة آل عمران)

وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًاۚ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ

---

(١) قيل: نزلت في قول المنافقين للمؤمنين عند هزيمتهم يوم أحد: ارجعوا إلى دينكم وإخوانكم ولو كان محمد نبياً لما قتل. وقيل: هي عامة في مطاوعة الكفرة والنزول على حكمهم، فإنه يستجر إلى موافقتهم.

(٢) هذا وعد عظيم من الله عزّ وجل، يستثير عزيمة المسلمين، ويبين لهم أنه ليس عليهم إلا أن يصمدوا في وجه الباطل حتى ينحسر بذلة الكفر وصغار الضلال، وتنخلع قلوب أعوانه ذعراً من هيبة الحق وسطوته.

(٣) ورد في كتب السيرة: أن أبا سفيان ومن معه ارتحلوا يوم أحد متوجهين إلى مكة، فلما بلغوا بعض الطريق ندموا وقالوا: بئس ما صنعنا قتلناهم حتى إذا لم يبق منهم إلا الشريد تركناهم، ارجعوا إليهم فاستأصلوهم، فلما عزموا على ذلك ألقى الله في قلوبهم الرعب ـ الخوف الشديد ـ حتى رجعوا عما هموا به. وكان رسول الله ﷺ قد خرج في إثرهم بمن شهد معه الغزوة حتى نزل بحمراء الأسد، فلم يدرك منهم أحداً.

(٤) أي قتلاً كثيراً فاشياً، من حَسَّه إذا أبطل حِسَّه.

(٥) فتكون «لا» في﴿لكيلا﴾نافية وليست بزائدة، والمعنى: عفا عنكم لأجل أن لا تحزنوا، أي ليذهب عنكم الحزن.

(٦) فيكون المعنى: جازاكم بالغم لتحزنوا. .

قاتلوا على ما قاتل عليه نبيكم حتى يفتح الله عليكم أو تلحقوا به، فأنزل الله: ﴿ وما محمد إلا رسول ﴾الآية. وعن الزهري: أن الشيطان صاح يوم أحد أن محمداً قد قتل. قال كعب بن مالك: وأنا أول من عرف رسول الله ﷺ: رأيت عينيه من تحت المغفر، فناديت بأعلى صوتي: هذا رسول الله ﷺ، فأنزل الله: ﴿ وما محمد إلا رسول ﴾ الآية. وعن ابن أبي نجيح: أن رجلاً من المهاجرين مر على رجل من الأنصار وهو يتشحط في دمه، فقال: أشعرت أن محمداً قد قتل، فقال: إن كان محمد قد قتل فقد بلغ، فقاتلوا عن دينكم. فنزلت. [السيوطي]. [المغفر: ما يستر به الوجه من الحديد].

سبب نزول الآية [١٥٢]: قال محمد بن كعب القرظي: لما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة، وقد أصيبوا بما أصيبوا يوم أحد، قال ناس من

﴿ تحزنوا على ما فاتكم ﴾ من الغنيمة ﴿ ولا ما أصابكم ﴾ من القتل والهزيمة ﴿ والله خبير بما تعملون ﴾.

١٥٤ ﴿ ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة ﴾ أمناً ﴿ نعاساً ﴾ بدل ﴿ يغشى ﴾ بالياء والتاء ﴿ طائفة منكم ﴾ وهم المؤمنون، فكانوا يميدون(١) تحت الحَجَف(٢)، وتسقط السيوف منهم ﴿وطائفة قد أهمتهم أنفسهم﴾ أي حملتهم على الهم، فلا رغبة لهم إلا نجاتها دون النبي وأصحابه، فلم يناموا، وهم المنافقون ﴿ يظنون بالله ﴾ ظناً ﴿ غير ﴾ الظن ﴿ الحق ظن ﴾ أي كظن ﴿ الجاهلية ﴾ حيث اعتقدوا أن النبي قتل، أو: لا ينصر ﴿ يقولون هل ﴾ ما ﴿ لنا من الأمر ﴾ أي النصر الذي وعدناه ﴿ من ﴾ زائدة ﴿شيء قل﴾ لهم ﴿ إن الأمر كله ﴾ بالنصب توكيداً، والرفع مبتدأ، وخبره ﴿ لله ﴾(٣) أي القضاء له يفعل ما يشاء ﴿ يخفون في أنفسهم ما لا يبدون ﴾ يظهرون ﴿ لك يقولون ﴾ بيان لما قبله ﴿ لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ها هنا ﴾ أي لو كان الاختيار إلينا لم نخرج فلم نقتل، لكن أخرجنا كرهاً ﴿ قل ﴾ لهم ﴿ لو كنتم في بيوتكم ﴾ وفيكم من كتب الله عليه القتل ﴿ لبرز ﴾ خرج ﴿ الذين كتب ﴾ قضي ﴿ عليهم القتل ﴾ منكم ﴿ إلى مضاجعهم ﴾ مصارعهم فيقتلوا، ولم ينجهم قعودهم، لأن قضاءه تعالى كائن لا محالة ﴿ و ﴾ فعل ما فعل بأحد ﴿ ليبتلي ﴾ يختبر ﴿ الله ما في صدوركم ﴾ قلوبكم من الإخلاص والنفاق ﴿ وليمحص ﴾ يميز ﴿ ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور ﴾ بما في القلوب، لا يخفى عليه شيء، وإنما يبتلي ليظهر للناس.

١٥٥ ﴿ إن الذين تولوا(٤) منكم ﴾ عن القتال ﴿ يوم التقى الجمعان ﴾ جمع المسلمين وجمع الكافرين بأحد، وهم المسلمون إلا اثني عشر رجلاً ﴿ إنما استزلهم ﴾ أزلهم ﴿ الشيطان ﴾ بوسوسته ﴿ ببعض ما كسبوا ﴾ من الذنوب، وهو مخالفة أمر النبي ﷺ (٥) ﴿ ولقد عفا الله عنهم إن الله غفور ﴾ للمؤمنين ﴿ حليم ﴾ لا يعجل على العصاة.

١٥٦ ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا ﴾ أي المنافقين ﴿ وقالوا لإخوانهم ﴾(٦) أي في شأنهم(٧) ﴿ إذا

وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمۡۗ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ أَنزَلَ
عَلَيۡكُم مِّنۢ بَعۡدِ ٱلۡغَمِّ أَمَنَةٗ نُّعَاسٗا يَغۡشَىٰ طَآئِفَةٗ مِّنكُمۡۖ
وَطَآئِفَةٞ قَدۡ أَهَمَّتۡهُمۡ أَنفُسُهُمۡ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ
ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٖۗ قُلۡ إِنَّ
ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِۗ يُخۡفُونَ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبۡدُونَ لَكَۖ يَقُولُونَ
لَوۡ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٞ مَّا قُتِلۡنَا هَٰهُنَاۗ قُل لَّوۡ كُنتُمۡ
فِي بُيُوتِكُمۡ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡۖ
وَلِيَبۡتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمۡ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ
وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ
ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْۖ
وَلَقَدۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ ﴿١٥٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ إِذَا

---

(١) يميلون ويتحركون. (٢) جمع حَجَفة، وهي الترس الصغير.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: النعاس في القتال من الله، وفي الصلاة من الشيطان. [أخرجه ابن كثير في تفسيره]. وعن أبي طلحة رضي الله عنه قال: كنت فيمن تغشاه النعاس يوم أحد، حتى سقط سيفي من يدي مراراً، يسقط وآخذه، ويسقط وآخذه.

وعنه رضي الله عنه قال: غشينا النعاس ونحن في مصافّنا يوم أحد، قال: فجعل سيفي يسقط من يدي وآخذه، ويسقط وآخذه. [البخاري: المغازي/ غزوة أحد، باب: ﴿ثم أنـزل عليكم من بعـد الغم..﴾ رقم: ٣٨٤١. التفسير/ آل عمران، باب: ﴿أمنة نعاساً﴾ رقم: ٤٢٨٦].

[مصافنا: جمع مصف، وهو الموقف في الصف في أرض المعركة]. وعن أبي طلحة رضي الله عنه ـ أيضاً ـ قال: رفعت رأسي يوم أحد وجعلت أنظر وما فيهم يومئذ أحد إلا يميد تحت حجفته من النعاس. فذلك قوله تعالى: ﴿ثم أنزل عليكم..﴾. [الترمذي: تفسير القرآن، باب: ومن سورة آل عمران، رقم ٣٠١٠. المستدرك للحاكم: التفسير/ تفسير سورة آل عمران: ٢/٢٩٧].

(٣) أي قوله: ﴿كلّه﴾ منصوب على أنه توكيد بقوله ﴿الأمر﴾. وفي قراءة: ﴿كلُّه﴾ مرفوع، فيكون مبتدأ، وخبره قوله: ﴿لله﴾ أي كائن له سبحانه. وعليه تكون جملة: ﴿كلُّه لله﴾ خبر لقوله: ﴿إنّ الأمرَ﴾. (٤) هربوا منهزمين. (٥) حين تركوا أماكنهم ونزلوا لجمع الغنيمة. (٦) في الكفر والنفاق.

(٧) أي قالوا هذا في شأن الذين خرجوا منهم وماتوا أو قتلوا.

أصحابه: من أين أصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر؟ فأنزل الله تعالى: ﴿ ولقد صدقكم الله وعده ﴾ الآية إلى قوله: ﴿ منكم من يريد الدنيا ﴾ يعني الرماة، الذين فعلوا ما فعلوا يوم أحد. [الواحدي] [فعلوا ما فعلوا: من تركهم الأماكن التي وضعهم فيها رسول الله ﷺ وأمرهم أن لا يغادروها].

سبب نزول الآية [١٥٤]: عن الزبير رضي الله عنه قال: لقد رأيتني يوم أحد حين اشتد علينا الخوف وأرسل علينا النوم، فما منا أحد إلا ذقنه في صدره، فوالله إني لأسمع كالحلم قول معتب بن قشير: لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ههنا، فحفظتها، فأنزل الله في ذلك: ﴿ ثم أنزل عليكم من بعد الغمّ أمنة نعاساً ـ إلى قوله ـ والله عليم بذات الصدور ﴾. [السيوطي].

ضربوا ﴾ سافروا ﴿ في الأرض ﴾ فماتوا ﴿ أو كانوا غزّى ﴾ جمع غاز، فقتلوا ﴿ لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ﴾ أي لا تقولوا كقولهم ﴿ ليجعل الله ذلك ﴾ القول في عاقبة أمرهم(١) ﴿ حسرة في قلوبهم والله يحيي ويميت ﴾ فلا يمنع عن الموت قعود ﴿ والله بما تعملون ﴾ بالتاء والياء(٢) ﴿ بصير ﴾ فيجازيكم به.

١٥٧ ﴿ ولئن ﴾ لام قسم ﴿ قتلتم في سبيل الله ﴾ أي الجهاد ﴿ أو متم ﴾ بضم الميم وكسرها، من مات يموت ويمات (٣)، أي أتاكم الموت فيه ﴿ لمغفرة ﴾ كائنة ﴿ من الله ﴾ لذنوبكم ﴿ ورحمة ﴾ منه لكم على ذلك، واللام ومدخولها جواب القسم (٤)، وهو في موضع الفعل (٥)، مبتدأ خبره ﴿ خير مما تجمعون ﴾ من الدنيا، بالتاء والياء.

١٥٨ ﴿ ولئن ﴾ لام قسم ﴿ متم ﴾ بالوجهين ﴿ أو قتلتم ﴾ في الجهاد وغيره ﴿ لإلى الله ﴾ لا إلى غيره ﴿ تحشرون ﴾ في الآخرة، فيجازيكم.

١٥٩ ﴿ فبما ﴾ ما زائدة ﴿ رحمة من الله لنت ﴾ يا محمد ﴿ لهم ﴾ أي سهلت أخلاقك إذ خالفوك ﴿ ولو كنت فظاً ﴾ سيء الخلق ﴿غليظ القلب ﴾ جافياً، فأغلظت لهم ﴿ لانفضوا ﴾ تفرقوا ﴿ من حولك فاعف ﴾ تجاوز ﴿ عنهم ﴾ ما أتوه(٦) ﴿ واستغفر لهم ﴾ ذنبهم حتى أغفر لهم ﴿ وشاورهم ﴾ استخرج آراءهم ﴿ في الأمر ﴾ أي شأنك من الحرب وغيره، تطييباً لقلوبهم، وليُسْتَنَّ بك(٧). وكان ﷺ كثير المشاورة لهم ﴿ فإذا عزمت ﴾ على إمضاء ما تريد بعد المشاورة ﴿ فتوكل على الله ﴾ ثق به بعد المشاورة ﴿ إن الله يحب المتوكلين ﴾ عليه.

١٦٠ ﴿ إن ينصركم الله ﴾ يعنكم على عدوكم كيوم بدر ﴿ فلا غالب لكم وإن يخذلكم ﴾ يترك نصركم كيوم أحد ﴿ فمن ذا الذي ينصركم من بعده ﴾ أي بعد خذلانه، أي لا ناصر لكم ﴿ وعلى الله ﴾ لا غيره ﴿ فليتوكل ﴾ ليثق ﴿ المؤمنون ﴾.

١٦١ ونزل ـ لما فقدت قطيفة حمراء يوم بدر، فقال بعض الناس: لعل النبي أخذها(٨) ـ ﴿وما كان﴾ ما ينبغي ﴿ لنبي أن يغل ﴾ يخون في الغنيمة، فلا تظنوا به ذلك(٩)، وفي قراءة بالبناء للمفعول(١٠)، أي ينسب إلى الغلول ﴿ ومن يغلل يأتِ بما غل يوم القيامة ﴾ حاملاً له على عنقه ﴿ ثم توفى كل نفس ﴾ الغال وغيره، جزاء ﴿ ما كسبت ﴾ عملت ﴿ وهم

٨٩ (سـورة آل عمران)

ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟
وَمَا قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ
وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ
ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾
وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ
ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ
حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ
فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾
إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ
فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ
بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ

---

(١) أشار بقوله [في عاقبة أمرهم] إلى أن اللام في﴿ليجعل..﴾ هي لام العاقبة، كما في قوله تعالى: ﴿فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً﴾/ القصص: ٨/: أي التقطوه فكانت عاقبة أمرهم أنه صار عدواً لهم وحزناً.

(٢) فعلى قراءة التاء: هو تحذير للمؤمنين من أن يماثلوهم في قولهم أو فعلهم، وعلى قراءة الياء: وعيد للمنافقين بعقاب الله تعالى لهم جزاء على ما علمه منهم.

(٣) أي﴿مُتم﴾من مات يموت، على وزن قال يقول. و﴿مِتم﴾ من مات يمات، على وزن خاف يخاف.

(٤) أي وجواب الشرط «إن» محذوف، دل عليه جواب القسم.

(٥) أي مدخول اللام وهو «مغفرة ورحمة» في موضع الفعل، والتقدير: لغفر الله لكم ورحمكم.

(٦) ما فعلوه من مخالفتك.

(٧) لتقتدي بك في هذا أمتك من بعدك.

(٨) أي من الغنيمة قبل أن تقسم. والقطيفة ثوب له خمل.

(٩) لأنه يتنافى مع العصمة التي هي من لوازم النبوة.

(١٠) أي ﴿يُغَلّ﴾.

فائدة: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام فينا النّبي ﷺ فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره، قال: «لا ألفين أحدكم يوم القيامة على رقبته شاة لها ثُغَاء،

سبب نزول الآية [١٦١]: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: نزلت هذه الآية في قطيفة حمراء، افتقدت يوم بدر، فقال بعض الناس: لعل رسول الله ﷺ أخذها، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿ وما كان لنبي أن يغلّ ﴾ إلى آخر الآية. [الترمذي: أبواب تفسير القرآن، باب: ومن سورة آل عمران، رقم: ٣٠١٢].

لا يظلمون ﴾ شيئاً.

١٦٢ ﴿ أفمن اتبع رضوان الله ﴾ فأطاع ولم يغل ﴿ كمن باء ﴾ رجع ﴿ بسخط من الله ﴾ لمعصيته وغلوله ﴿ ومأواه جهنم وبئس المصير ﴾ المرجع هي، لا(١).

١٦٣ ﴿ هم درجات ﴾ أي أصحاب درجات ﴿ عند الله ﴾ أي مختلفو المنازل: فلمن اتبع رضوانه الثواب، ولمن باء بسخطه العقاب ﴿ والله بصير بما يعملون ﴾ فيجازيهم به.

١٦٤ ﴿ لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم ﴾ أي عربياً مثلهم، ليفهموا عنه ويشرفوا به، لا مَلَكاً ولا أعجمياً ﴿ يتلو عليهم آياته ﴾ القرآن ﴿ ويزكيهم ﴾ يطهرهم من الذنوب ﴿ ويعلمهم الكتاب ﴾ القرآن ﴿ والحكمة ﴾ السنة ﴿ وإن ﴾ مخففة(٢) أي إنهم ﴿ كانوا من قبل ﴾ أي قبل بعثه ﴿ لفي ضلال مبين ﴾ بين.

١٦٥ ﴿ أولما أصابتكم مصيبة ﴾ بأحد، بقتل سبعين منكم ﴿ قد أصبتم مثليها ﴾ ببدر، بقتل سبعين وأسر سبعين منهم ﴿ قلتم ﴾ متعجبين ﴿ أنى ﴾ من اين لنا ﴿ هذا ﴾ الخذلان، ونحن مسلمون، ورسول الله فينا؟ والجملة الأخيرة محل الاستفهام الإنكاري(٣) ﴿ قل ﴾ لهم ﴿ هو من عند أنفسكم ﴾ لأنكم تركتم المركز فخذلتم ﴿ إن الله على كل شيء قدير ﴾ ومنه النصر ومنعه، وقد جازاكم بخلافكم(٤).

١٦٦ ﴿ وما أصابكم يوم التقى الجمعان ﴾ بأحد ﴿ فبإذن الله ﴾ بإرادته ﴿ وليعلم ﴾ الله علم ظهور(٥) ﴿ المؤمنين ﴾ حقاً.

١٦٧ ﴿ وليعلم الذين نافقوا و ﴾ الذين ﴿ قيل لهم ﴾ لما انصرفوا عن القتال، وهم عبد الله بن أبي(٦) وأصحابه ﴿ تعالوا قاتلوا في سبيل الله ﴾ أعداءه ﴿ أو ادفعوا ﴾ عنا القوم بتكثير سوادكم إن لم تقاتلوا ﴿ قالوا لو نعلم ﴾ نحسن ﴿ قتالاً لاتبعناكم ﴾ قال تعالى تكذيباً لهم ﴿هم للكفر يومئذٍ أقرب منهم للإيمان ﴾ بما أظهروا من خذلانهم للمؤمنين، وكانوا قبل أقرب إلى الإيمان من حيث الظاهر ﴿ يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم ﴾ ولو علموا قتالاً لم يتبعوكم

لَا يُظۡلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٖ
مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمۡ دَرَجَٰتٌ
عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى
ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ
ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ
مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ
قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ
إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٦٥﴾ وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى
ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ
نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ
قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ هُمۡ لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ أَقۡرَبُ
مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ

---

(١) أشار بلا إلى أن المراد بالاستفهام إنكار استواء من اتبع رضوان الله تعالى ومن باء بسخطه، والمعنى: لا يستوون، بل منازلهم مختلفة.

(٢) من الثقيلة فلا عمل لها، وقيل: هي نافية، والتقدير: وما كانوا من قبل إلا في ضلال مبين.

(٣) أي إن الإنكار منصب على قولهم﴿أنى هذا﴾والمعنى: لا ينبغي أن يكون منكم هذا التعجب وسبب الخذلان ظاهر لكم.

(٤) أي لأجل مخالفتكم أمر رسول الله ﷺ.

(٥) أي يظهر ما في علمه للناس ليعاينوه ويعلموه.

(٦) ابن سلول رأس المنافقين.

=على رقبته فرس لها حَمْحَمة، يقول: يارسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك من الله شيئاً، قد أبلغتك. وعلى رقبته بعير لها رُغَاء، يقول: يارسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك. وعلى رقبته صامِتٌ فيقول: يارسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك. أو على رقبته رِقاع تخفق، فيقول: يارسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك». [البخاري: الجهاد، باب: الغلول، رقم: ٢٩٠٨. مسلم: الإمارة، باب: غلظ تحريم الغلول، رقم: ١٨٣١]. [فذكر الغلول: تعرض لذكره وبيان حكمه، والغلول هو الأخذ من الغنيمة خفية قبل قسمتها، وكل من خان في شيء خفية فقد غل، ومنه الأخذ من الأموال العامة بغير حق. عظم أمره: شدد في الإنكار على فاعله. لا ألفين: لا أجدن. ثغاء: صوت الغنم. حمحمة: صوت الفرس إذا طلب العلف. لا أملك لك شيئاً: من المغفرة، لأن الشفاعة أمرها إلى الله تعالى. رغاء: صوت البعير. صامت: الذهب والفضة ونحوهما. رقاع: جمع رقعة وهي الخرقة. تخفق: تتحرك].

سبب نزول الآية [١٦٥]: عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: عوقبوا يوم أحد بما صنعوا يوم بدر من أخذهم الفداء، فقتل منهم سبعون، وفرّ أصحاب النبي ﷺ وكسرت رباعيته، وهشمت البيضة على رأسه، وسال الدم على وجهه، فأنزل الله: ﴿ أو لما أصابتكم مصيبة ﴾ الآية. [السيوطي].

﴿ والله أعلم بما يكتمون ﴾ من النفاق.

١٦٨ ﴿ الذين ﴾ بدل من الذين قبله أو نعت ﴿ قالوا لإخوانهم ﴾ في الدين ﴿ و ﴾ قد ﴿ قعدوا ﴾ عن الجهاد ﴿ لو أطاعونا ﴾ أي شهداء أحد أو إخواننا، في القعود ﴿ ما قتلوا قل ﴾ لهم ﴿ فادرؤوا ﴾ ادفعوا ﴿ عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين ﴾ في أن القعود ينجي منه.

١٦٩ ونزل في الشهداء ﴿ ولا تحسبن الذين قُتِّلوا ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿ في سبيل الله ﴾ أي لأجل دينه ﴿ أمواتاً بل ﴾ هم ﴿ أحياء عند ربهم ﴾ أرواحهم في حواصل طيور خضر، تسرح في الجنة حيث شاءت، كما ورد في الحديث(١) ﴿ يرزقون ﴾ يأكلون من ثمار الجنة.

١٧٠ ﴿ فرحين ﴾ حال من ضمير يرزقون ﴿ بما آتاهم الله من فضله و ﴾ هم ﴿ يستبشرون ﴾ يفرحون ﴿ بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ﴾ من إخوانهم المؤمنين، ويبدل من الذين ﴿ أ ن ﴾ أي بأن ﴿ لا خوف عليهم ﴾ أي الذين لم يلحقوا بهم ﴿ ولا هم يحزنون ﴾ في الآخرة، المعنى: يفرحون بأمنهم وفرحهم(٢).

وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟ ۗ قُلْ فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟

١٧١ ﴿ يستبشرون بنعمة ﴾ ثواب ﴿ من الله وفضل ﴾ زيادة عليه ﴿ وأن ﴾ بالفتح عطفاً على نعمة، والكسر استئنافاً ﴿ الله لا يضيع أجر المؤمنين ﴾ بل يأجرهم.

١٧٢ ﴿ الذين ﴾ مبتدأ ﴿ استجابوا لله والرسول ﴾ دعاءه بالخروج للقتال، لما أراد أبو سفيان وأصحابه العود، وتواعدوا مع النبي ﷺ وأصحابه سوق بدر، العام المقبل من يوم أحد ﴿ من بعد ما أصابهم القرح ﴾(٣) بأحد، وخبر المبتدأ ﴿ للذين أحسنوا منهم ﴾ بطاعته ﴿ واتقوا ﴾ مخالفته ﴿ أجر عظيم ﴾ هو الجنة.

١٧٣ ﴿ الذين ﴾ بدل من الذين قبله أو نعت ﴿ قال لهم الناس ﴾ أي نعيم بن مسعود الأشجعي ﴿ إن الناس ﴾ أبا سفيان وأصحابه ﴿ قد جمعوا لكم ﴾ الجموع ليستأصلوكم ﴿ فاخشوهم ﴾ ولا تأتوهم ﴿ فزادهم ﴾ ذلك القول ﴿ إيماناً ﴾ تصديقاً بالله ويقيناً ﴿ وقالوا حسبنا الله ﴾ كافينا أمرهم ﴿ ونعم الوكيل ﴾ المفوض إليه الأمر هو(٤). وخرجوا مع النبي ﷺ، فوافوا سوق بدر، وألقى الله الرعب في قلب أبي سفيان وأصحابه فلم يأتوا، وكان معهم تجارات فباعوا وربحوا. قال تعالى:

١٧٤ ﴿ فانقلبوا ﴾ فباؤوا ورجعوا من بدر ﴿ بنعمة من الله وفضل ﴾ بسلامة وربح ﴿ لم يمسسهم سوء ﴾ من قتل أو جرح ﴿ واتبعوا

---

(١) روى مسلم عن مسروق قال: سألنا عبد الله عن هذه الآية ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾ فقال: أما إنا قد سألنا عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: (أرواحهم في جوف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطلع إليهم ربهم اطِّلاعة فقال: هل تشتهون شيئاً؟ قالوا: أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا، ففعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا: يا رب، نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا). [مسلم: الإمارة، باب: بيان أن أرواح الشهداء في الجنة. . .، رقم: ١٨٨٧].

(٢) أي إن استبشارهم بحال إخوانهم لا بذواتهم، لأن الذوات لا يستبشر بها، فأن وما دخلت عليه في محل جر بدل من ﴿الذين لم يلحقوا بهم﴾ بدل اشتمال.

(٣) القرح: القتل والجراح الكثيرة، والمعنى الثاني هو المراد هنا. وانظر الآية/ ١٤١/ من هذه السورة.

(٤) روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال في قوله تعالى: ﴿إن الناس قد جمعوا لكم ـ إلى قوله ـ وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل﴾ قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في=

سبب نزول الآية [١٧٢] وما بعدها: عن عائشة رضي الله عنها في قوله تعالى: ﴿الذين استجابوا لله. . .﴾ قالت لعروة بن الزبير: يا ابن أختي،

رضوان الله ﴾ بطاعته وطاعة رسوله في الخروج ﴿ والله ذو فضل عظيم ﴾ على أهل طاعته.

١٧٥ ﴿ إنما ذلكم ﴾ أي القائل لكم إن الناس الخ ﴿ الشيطان يخوف ﴾ ـكم ﴿ أولياءه ﴾ الكفار(١) ﴿ فلا تخافوهم وخافون ﴾ في ترك أمري ﴿ إن كنتم مؤمنين ﴾ حقاً.

١٧٦ ﴿ ولا يُحزنك ﴾ بضم الياء وكسر الزاي(٢)، وبفتحها وضم الزاي من حزنه، لغة في أحزنه(٣) ﴿ الذين يسارعون في الكفر ﴾ يقعون فيه سريعاً بنصرته، وهم أهل مكة أو المنافقون، أي لا تهتم لكفرهم ﴿ إنهم لن يضروا الله شيئاً ﴾ بفعلهم، وإنما يضرون أنفسهم ﴿ يريد الله ألا يجعل لهم حظاً ﴾ نصيباً ﴿ في الآخرة ﴾ أي الجنة، فلذلك خذلهم ﴿ ولهم عذاب عظيم ﴾ في النار.

١٧٧ ﴿ إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان ﴾ أي أخذوه بدله ﴿ لن يضروا الله ﴾ بكفرهم ﴿ شيئاً ولهم عذاب أليم ﴾ مؤلم.

١٧٨ ﴿ ولا تحسبن ﴾ بالياء والتاء(٤) ﴿ الذين كفروا أنما نملي ﴾ أي إملاءنا(٥) ﴿ لهم ﴾ بتطويل الأعمار وتأخيرهم ﴿ خير لأنفسهم ﴾ وأن ومعمولاها(٦) سدت مسد المفعولين في قراءة التحتانية، ومسد الثاني في الأخرى(٧) ﴿ إنما نملي ﴾ نمهل ﴿ لهم ليزدادوا إثماً ﴾ بكثرة المعاصي ﴿ ولهم عذاب مهين ﴾ ذو إهانة في الآخرة.

١٧٩ ﴿ ما كان الله ليذر ﴾ ليترك ﴿ المؤمنين على ما أنتم ﴾ أيها الناس ﴿ عليه ﴾ من اختلاط المخلص بغيره ﴿ حتى يميز ﴾ بالتخفيف والتشديد(٨)، يفصل ﴿ الخبيث ﴾ المنافق ﴿ من الطيب ﴾ المؤمن، بالتكاليف الشاقة المبينة لذلك، ففعل ذلك يوم أحد(٩) ﴿ وما كان الله ليطلعكم على الغيب ﴾ فتعرفوا المنافق من غيره قبل التمييز ﴿ ولكن الله يجتبي ﴾ يختار ﴿ من رسله من يشاء ﴾ فيطلعه على غيبه، كما أطلع النبي ﷺ على حال المنافقين ﴿ فآمنوا بالله ورسله وإن تؤمنوا وتتقوا ﴾ النفاق ﴿ فلكم أجر عظيم ﴾.

(الجـــزء الرابـع) ٩٢

رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ
ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم
مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْكُفْرِ ۚ
إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا
فِي ٱلْأٓخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا
ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّوا ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾
وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ
إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾
مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ
ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ
وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا بِٱللَّهِ
وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾

= النار، وقالها محمد ﷺ حين قال لهم الناس: إن الناس قد جمعوا لكم. [البخاري: التفسير، باب: ﴿ إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ﴾ رقم: ٤٢٨٧].

(١) يوسوس لكم لتقعدوا عن قتالهم، أو المراد أن الشيطان يوسوس لأوليائه الكفار والمنافقين، ويلقي في قلوبهم الرعب منكم، فيجبنوا عن قتالكم، فلا ترهبوا جانبهم ولا تكترثوا بهم.

(٢) من أحزنه. (٣) وهي لغة مشهورة.

(٤) أي لا يحسبن الكافرون. . ، أو: لا تحسبن ـ يا محمد ﷺ ـ الكافرين. . .

(٥) في اللغة: أملى له في الأمر أرخى له فيه، ووسع عليه وأخره. (٦) اسمها وخبرها.

(٧) أي على قراءة ﴿يحسبَنّ﴾ تكون جملة ﴿أنما نملي. .﴾ سدت مسد مفعولي يحسبن، والفاعل الاسم الموصول مع صلته، وهو ﴿الذين كفروا﴾. وعلى قراءة ﴿تحسبَنّ﴾ تكون جملة ﴿أنما. .﴾ سادة مسد المفعول الثاني، ويكون الموصول في ﴿الذين كفروا﴾ هو المفعول الأول.

(٨) أي ﴿يَمِيزَ﴾ و ﴿يُمَيِّزَ﴾.

(٩) حيث امتحنهم بالخروج لملاقاة العدو، فتميز المنافقون برجوعهم قبل العدو.

كان أبواك منهم: الزبير وأبو بكر، لما أصاب رسول الله ﷺ ما أصاب يوم أحد وانصرف عنه المشركون، خاف أن يرجعوا، قال: (من يذهب في إثرهم). فانتدب منهم سبعون رجلاً، كان فيهم أبو بكر والزبير. [البخاري: المغازي، باب: ﴿الذين استجابوا لله والرسول﴾ رقم: ٣٨٤٩].
[أبواك: أي أبوك الزبير وجدك أبو بكر، رضي الله عنهما، فهو أبو أمه أسماء رضي الله عنها].

١٨٠ ﴿ ولا تحسبن ﴾ بالياء والتاء ﴿ الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله ﴾ أي بزكاته(١) ﴿ هو ﴾ أي بخلهم ﴿ خيراً لهم ﴾ مفعول ثانٍ، والضمير للفصل(٢)، والأول(٣) بخلهم مقدراً قبل الموصول على الفوقانية(٤)، وقبل الضمير على التحتانية(٥) ﴿ بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به ﴾ أي بزكاته من المال(٦) ﴿ يوم القيامة ﴾ بأن يجعل حية في عنقه تنهشه كما ورد في الحديث(٧) ﴿ ولله ميراث السماوات والأرض ﴾ يرثهما بعد فناء أهلهما ﴿ والله بما تعملون ﴾ بالتاء والياء ﴿ خبير ﴾ فيجازيكم به.

١٨١ ﴿ لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء ﴾ وهم اليهود قالوه لما نزل «من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً» /البقرة: ٢٤٥/ وقالوا: لو كان غنياً ما استقرضنا ﴿ سنكتب ﴾ نأمر بكتب ﴿ ما قالوا ﴾ في صحائف أعمالهم ليجازوا عليه، وفي قراءة بالياء مبنياً للمفعول(٨) ﴿ و ﴾ نكتب ﴿ قتلهم ﴾ بالنصب والرفع(٩) ﴿ الأنبياء بغير حق ونقول ﴾ بالنون والياء: أي الله لهم في الآخرة على لسان الملائكة ﴿ذوقوا عذاب الحريق﴾ النار. ويقال لهم إذا ألقوا فيها:

١٨٢ ﴿ ذلك ﴾ العذاب ﴿ بما قدمت أيديكم ﴾ عبر بها عن الإنسان لأن أكثر الأفعال تزاول بها ﴿ وأن الله ليس بظلام ﴾ أي بذي ظلم ﴿ للعبيد ﴾ فيعذبهم بغير ذنب.

١٨٣ ﴿ الذين ﴾ نعت للذين قبله ﴿ قالوا ﴾ لمحمد ﴿ إن الله ﴾ قد ﴿ عهد إلينا ﴾ في التوراة ﴿ ألا نؤمن لرسول ﴾ نصدقه ﴿ حتى يأتينا بقربان تأكله النار ﴾ فلا نؤمن لك حتى تأتينا به، وهو ما يتقرب به إلى الله من نعم وغيرها(١٠)، فإن قُبِل جاءت نار بيضاء(١١) من السماء فأحرقته، وإلا بقي مكانه. وعهد إلى بني إسرائيل ذلك إلا في المسيح ومحمد ﷺ. قال تعالى: ﴿ قل ﴾ لهم توبيخاً ﴿ قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات ﴾ بالمعجزات ﴿ وبالذي قلتم ﴾(١٢) كزكريا ويحيى فقتلتموهم، والخطاب لمن في زمن نبينا محمد ﷺ، وإن كان الفعل لأجدادهم، لرضاهم به ﴿ فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين ﴾ في أنكم تؤمنون عند الإتيان به.

١٨٤ ﴿ فإن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاؤوا بالبينات ﴾ المعجزات ﴿ والزبر ﴾(١٣) كصحف إبراهيم ﴿ والكتاب ﴾ وفي قراءة بإثبات الباء فيهما(١٤) ﴿ المنير ﴾ الواضح، هو التوراة والإنجيل، فاصبر كما صبروا.

وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ
هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ
يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ
بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ
قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ
ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾
ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾
ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ
يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن
قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ
صَـٰدِقِينَ ﴿١٨٣﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن
قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾

---

(١) أي يبخلون بأداء زكاة ما أعطاهم الله تعالى من المال فضلاً منه. (٢) أي الضمير في قوله ﴿هو خيراً﴾ للفصل بين الفعل ومفعوله لتأكيد المعنى، ولا محل له من الإعراب.

(٣) أي المفعول الأول لتحسبن. (٤) أي على قراءة ﴿تحسبن﴾.

(٥) فيكون المعنى على التقدير الأول: لا تحسبن بخل الذين... خيراً، وعلى الثاني: لا يحسبن الذين... بخلهم خيراً. (٦) فيكون التطويق بتمام المال.

(٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته مُثِّل له يوم القيامة شجاعاً أقرع له زبيبتان، يطوقه يوم القيامة، ثم يأخذ بلهزميه - يعني شدقيه - ثم يقول: أنا مالك أنا كنزك. ثم تلا ﴿لا يحسبنّ الذين يبخلون..﴾). البخاري: الزكاة، باب: إثم مانع الزكاة، رقم: ١٣٣٨. [شجاعاً: ذكر الحية الكبير. أقرع: كناية عن كثرة سمه لطول عمره. زبيبتان: نابان يخرجان من فمه، أو نقطتان سوداوان فوق عينيه، وهو أوحش الحيات. شدقيه: جانبي فمه]. (٨) أي ﴿سيُكْتَب﴾.

(٩) أي بالنصب على قراءة ﴿سنكتب﴾ وبالرفع على قراءة ﴿سيكتب﴾. (١٠) أي من إبل وبقر وغنم وغيرها من حيوانات وأمتعة. (١١) لا دخان لها.

(١٢) أي وأتوكم بالقربان على الوصف الذي ذكرتم.

(١٣) جمع زبور وهو كل كتاب فيه موعظة وحكمة، وزَبَر زجر وكتب. (١٤) أي ﴿وبالزبر وبالكتاب﴾.

سبب نزول الآية [١٨١]: عن مجاهد قال: نزلت في اليهود، صك أبو بكر رضي الله عنه وجه رجل منهم، وهو الذي قال: إن الله فقير ونحن أغنياء، قال شبل: بلغني أنه فنحاص اليهودي، وهو الذي قال: يد الله مغلولة. [الواحدي] صك: من الصَّكّ وهو الضرب الشديد. مغلولة: مقبوضة عن العطاء، وهو كناية عن البخل.

١٨٥ ﴿ كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم ﴾ جزاء أعمالكم ﴿ يوم القيامة فمن زحزح ﴾ بُعِّد ﴿ عن النار وأدخل الجنة فقد فاز ﴾ نال غاية مطلوبه ﴿ وما الحياة الدنيا ﴾ أي العيش فيها ﴿ إلا متاع الغرور ﴾ الباطل(١)، يتمتع به قليلاً ثم يفنى.

١٨٦ ﴿ لتبلون ﴾ حذف منه نون الرفع لتوالي النونات، والواو ضمير الجمع لالتقاء الساكنين(٢)، لتختبرن ﴿ في أموالكم ﴾ بالفرائض فيها(٣) والجوائح(٤) ﴿ وأنفسكم ﴾ بالعبادات والبلاء(٥) ﴿ ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ﴾ اليهود والنصارى ﴿ ومن الذين أشركوا ﴾ من العرب ﴿ أذىً كثيراً ﴾ من السب والطعن والتشبيب بنسائكم(٦) ﴿ وإن تصبروا ﴾ على ذلك ﴿ وتتقوا ﴾ الله ﴿ فإن ذلك من عزم الأمور ﴾ أي من معزوماتها التي يعزم عليها لوجوبها.

١٨٧ ﴿ و ﴾ اذكر ﴿ إذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب ﴾ أي العهد عليهم في التوراة ﴿ ليبيننه ﴾ أي الكتاب ﴿للناس ولا يكتمونه﴾ أي الكتاب، بالياء والتاء بالفعلين(٧) ﴿فنبذوه﴾ طرحوا الميثاق ﴿وراء ظهورهم﴾ فلم يعملوا به ﴿واشتروا به﴾ أخذوا بدله ﴿ثمناً قليلاً﴾ من الدنيا من سفلتهم، وبرياستهم في العلم، فكتموه خوف فوته عليهم ﴿ فبئس ما يشترون ﴾ شراؤهم هذا.

١٨٨ ﴿ لا تحسبن ﴾ بالتاء والياء ﴿ الذين يفرحون بما أتوا ﴾ فعلوا في إضلال الناس ﴿ ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا ﴾ من التمسك بالحق(٨) وهم على ضلال ﴿ فلا تحسبنهم ﴾ في الوجهين(٩)، تأكيد ﴿ بمفازة ﴾ بمكان ينجون فيه ﴿ من العذاب ﴾ في الآخرة بل هم في مكان يعذبون فيه وهو جهنم ﴿ ولهم عذاب أليم ﴾ مؤلم فيها، ومفعولا تحسب الأولى دل عليهما مفعولا الثانية على قراءة التحتانية(١٠)، وعلى الفوقانية حذف الثاني فقط(١١).

١٨٩ ﴿ ولله ملك السموات والأرض ﴾ خزائن المطر والرزق والنبات وغيرها ﴿ والله على كل شيء

(الجـزء الرابع) ٩٤

كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ
يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ
فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾
۞ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ
أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ
وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾
وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ
لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟
بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ
يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا
تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾
وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ

---

(١) الزائل الذي لا يبقى، وأصل الغرور الخدع، فيخدع الإنسان بزخارف الدنيا ويتوهم بقاءها، ثم لا تلبث أن تفارقه أو يفارقها.

(٢) أصله: لتبلُوونَنَّ، حذفت نون الرفع الأولى فالتقى ساكنان، الواو والنون، فحذفت الواو لدلالة الضمة عليها، وشددت النون.

(٣) كالزكاوات والنفقات.

(٤) جمع جائحة، وهي الآفة المهلكة كالغرق والحرق ونحوهما. (٥) كالمرض ونحوه.

(٦) التعرض بذكر محاسنهن وأوصافهن في قصائدهم وتناشدها بينهم.

(٧) أي ﴿ليبيننه﴾ و﴿لا يكتمونه﴾. و﴿لتبيننه﴾ و﴿لا تكتمونه﴾.

(٨) أي لم يفعلوا التمسك بالحق، وهم يدعون ذلك ليثنى عليهم به. (٩) أي بالتاء والياء كقوله ﴿لا تحسبن﴾.

(١٠) التقدير: لا يحسبن الفرحون بما ذكر أنفسهم فائزين. .

(١١) لأن المفعول الأول ﴿الذين يفرحون﴾ والتقدير: لا تحسبن الفرحين بما ذكر فائزين.

سبب نزول الآية [١٨٨]: عن أبي سعيد الخدري: أن رجالاً من المنافقين في عهد رسول الله ﷺ كانوا إذا خرج رسول الله ﷺ إلى الغزو تخلفوا عنه، وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله ﷺ، فإذا قدم اعتذروا إليه وحلفوا وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا، فنزلت: ﴿لا تحسبنَّ الذين يفرحون بما أتوا﴾ الآية.

وعن حميد بن عبد الرحمن بن عوف: أن مروان قال لبوّابه: اذهب يا رافع إلى ابن عباس فقل: لئن كان كل امرئ منا فرح بما أتى وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذباً لنعذبنّ أجمعون. فقال ابن عباس: ما لكم ولهذه؟ إنما أنزلت هذه الآية في أهل الكتاب، سألهم النبي ﷺ عن شيء فكتموه إياه وأخبروه بغيره، فخرجوا قد أروه أنهم قد أخبروه بما سألهم عنه، واستحمدوا بذلك إليه، وفرحوا بما أتوا من كتمانهم إياه ما سألهم عنه.

[البخاري: التفسير/آل عمران، باب: ﴿لا تحسبن الذين يفرحون..﴾ رقم: ٤٢٩١، ٤٢٩٢. مسلم: صفات المنافقين وأحكامهم، رقم: ٢٧٧٧، ٢٧٧٨].

قدير ﴾ ومنه تعذيب الكافرين وإنجاء المؤمنين.

١٩٠ ﴿ إن في خلق السموات والأرض ﴾ وما فيهما من العجائب ﴿ واختلاف الليل والنهار ﴾ بالمجيء والذهاب والزيادة والنقصان ﴿ لآيات ﴾ دلالات على قدرته تعالى ﴿ لأولي الألباب ﴾ لذوي العقول.

١٩١ ﴿ الذين ﴾ نعت لما قبله أو بدل ﴿ يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ﴾ مضطجعين، أي في كل حال(١)، وعن ابن عباس: يصلون كذلك حسب الطاقة ﴿ ويتفكرون في خلق السموات والأرض ﴾ ليستدلوا به على قدرة صانعهما، يقولون ﴿ ربنا ما خلقت هذا ﴾ الخلق الذي نراه ﴿ باطلاً ﴾ حال، عبثاً بل دليلاً على كمال قدرتك ﴿ سبحانك ﴾ تنزيهاً لك عن العبث ﴿فقنا عذاب النار ﴾.

١٩٢ ﴿ ربنا إنك من تدخل النار ﴾ للخلود فيها ﴿ فقد أخزيته ﴾ أهنته ﴿ وما للظالمين ﴾ الكافرين، فيه وضع الظاهر موضع المضمر(٢) إشعاراً بتخصيص الخزي بهم(٣) ﴿ من ﴾ زائدة ﴿ أنصار ﴾ يمنعونهم من عذاب الله تعالى.

١٩٣ ﴿ ربنا إننا سمعنا منادياً ينادي ﴾ يدعو الناس ﴿ للإيمان ﴾ أي إليه، وهو محمد ﷺ، أو القرآن ﴿ أن ﴾ أي بأن ﴿ آمنوا بربكم فآمنا ﴾ به ﴿ ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر ﴾ غط ﴿ عنا سيآتنا ﴾ فلا تظهرها بالعقاب عليها ﴿ وتوفنا ﴾ اقبض أرواحنا ﴿ مع ﴾ في جملة ﴿ الأبرار ﴾ الأنبياء والصالحين.

١٩٤ ﴿ ربنا وآتنا ﴾ أعطنا ﴿ ما وعدتنا ﴾ به ﴿ على ﴾ ألسنة ﴿ رسلك ﴾ من الرحمة والفضل، وسؤالهم ذلك - وإن كان وعده تعالى لا يخلف - سؤال أن يجعلهم من مستحقيه(٤)، لأنهم لم يتيقنوا استحقاقهم له. وتكرير ربنا مبالغة في التضرع ﴿ ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد ﴾ الوعد بالبعث والجزاء.

١٩٥ ﴿ فاستجاب لهم ربهم ﴾ دعاءهم ﴿ أني ﴾ أي بأني ﴿ لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم ﴾ كائن ﴿ من بعض ﴾ أي الذكور من الإناث وبالعكس، والجملة مؤكدة لما قبلها، أي هم سواء في المجازاة بالأعمال وترك تضييعها، نزلت لما قالت أم سلمة: يا رسول الله، إني لا أسمع ذكر النساء في الهجرة بشيء. ﴿ فالذين هاجروا ﴾ من مكة إلى المدينة ﴿ وأخرجوا من ديارهم وأوذوا

قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ
ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُولِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ
ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ
فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ
أَخْزَيْتَهُۥ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا
مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا رَبَّنَا فَٱغْفِرْ
لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾
رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي
لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم
مِّنۢ بَعْضٍ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟

---

(١) عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يذكر الله عزّ وجلّ في كل أحيانه. وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (من قعد مقعداً لم يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة، ومن اضطجع مضطجعاً لا يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة، وما مشى أحد ممشى لا يذكر الله فيه إلا كانت عليه من الله ترة) والترة النقص والتبعة.
[حديث عائشة رضي الله عنها أخرجه مسلم في الحيض، باب: ذكر الله تعالى في حال الجنابة وغيرها، رقم: ٣٧٣. وحديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه أبو داود في الأدب، باب: كراهية أن يقوم الرجل من مجلسه ولا يذكر الله، رقم: ٤٨٥٦].

(٢) أي قيل﴿وما للظالمين﴾ولم يقل: وما لهم.

(٣) أي بالظالمين.

(٤) بأن يوفقهم للاستمرار على الإيمان والعمل الصالح ويحسن ختامهم.

سبب نزول الآية [١٩٠]: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أتت قريش اليهود فقالوا: بم جاءكم موسى من الآيات؟ قالوا: عصاه، ويد بيضاء للناظرين، وأتوا النصارى فقالوا: كيف كان عيسى؟ قالوا: كان يبرىء الأكمه والأبرص ويحيي الموتى. فأتوا النبي ﷺ فقالوا: ادع لنا ربك يجعل لنا الصفا ذهباً. فدعا ربه، فنزلت هذه الآية: ﴿إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب﴾ فليتفكروا فيها [السيوطي].

سبب نزول الآية [١٩٥]: عن أمّ سلمة رضي الله عنها أنها قالت: يا رسول الله، لا أسمع الله ذكر النساء في الهجرة، فأنزل الله: ﴿أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى﴾ إلى آخر الآية. [الترمذي: التفسير، باب: ومن سورة النساء، رقم ٣٠٢٦].

في سبيلي ﴾ ديني ﴿ وقاتلوا ﴾ الكفار ﴿ وقتلوا ﴾ بالتخفيف والتشديد⁽١⁾، وفي قراءة بتقديمه⁽٢⁾ ﴿ لأكفرن عنهم سيئاتهم ﴾ أسترها بالمغفرة ﴿ ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثواباً ﴾ مصدر من معنى لأكفرن، مؤكد له ﴿ من عند الله ﴾ فيه التفات عن التكلم ⁽٣⁾ ﴿ والله عنده حسن الثواب ﴾ الجزاء.

١٩٦ ونزل لما قال المسلمون: أعداء الله فيما نرى من الخير ونحن في الجهد ﴿لا يغرنك تقلب الذين كفروا ﴾ تصرفهم ﴿ في البلاد ﴾ بالتجارة والكسب.

١٩٧ هو ﴿ متاع قليل ﴾ يتمتعون به يسيراً في الدنيا ويفنى ﴿ ثم مأويهم جهنم وبئس المهاد ﴾ الفراش هي.

١٩٨ ﴿ لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين ﴾ أي مقدرين الخلود ﴿ فيها نزلاً ﴾ وهو ما يعد للضيف، ونصبه على الحال من جنات، والعامل فيها معنى الظرف⁽٤⁾ ﴿ من عند الله وما عند الله ﴾ من الثواب ﴿خير للأبرار ﴾ من متاع الدنيا.

١٩٩ ﴿ وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله ﴾ كعبد الله بن سلام وأصحابه والنجاشي ﴿ وما أنزل إليكم ﴾ أي القرآن ﴿ وما أنزل إليهم ﴾ أي التوراة والإنجيل ﴿ خاشعين ﴾ حال من ضمير يؤمن، مراعى فيه معنى من⁽٥⁾، أي متواضعين ﴿ لله لا يشترون بآيات الله ﴾ التي عندهم في التوراةوالإنجيل من نعت النبي ﷺ ﴿ ثمناً قليلاً ﴾ من الدنيا، بأن يكتموها خوفاً على الرياسة، كفعل غيرهم من اليهود ﴿ أولئك لهم أجرهم ﴾ ثواب أعمالهم ﴿ عند ربهم ﴾ يؤتونه مرتين كما في القصص/ الآية: ٥٤/ ﴿ إن الله سريع الحساب ﴾ يحاسب الخلق في قدر نصف نهار من أيام الدنيا.

٢٠٠ ﴿ يا أيها الذين آمنوا اصبروا ﴾ على الطاعات والمصائب وعن المعاصي ﴿ وصابروا ﴾ الكفار، فلا يكونوا أشد صبراً منكم ﴿ ورابطوا ﴾ أقيموا على الجهاد ﴿ واتقوا الله ﴾ في جميع أحوالكم ﴿ لعلكم تفلحون ﴾ تفوزون بالجنة، وتنجون من النار⁽٦⁾.

فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ ﴿١٩٨﴾ وَإِنَّ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَمَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِمۡ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشۡتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾

---

(١) أي ﴿ قُتِلُوا ﴾ و ﴿ قُتِّلُوا ﴾.

(٢) أي بتقديم ﴿قُتِلُوا﴾ بالتخفيف، والمعنى: قتلوا حال مقاتلتهم للأعداء ولم يفروا.

(٣) أي وكان مقتضى السياق أن يقال: من عندي، وفائدة الالتفات تشريفهم بإضافة الثواب إلى الله عزّ وجلّ.

(٤) وهو ﴿لهم جنات﴾ والمعنى: كائنة لهم جنات حال كونها ضيافة وإكراماً من الله تعالى.

(٥) الدال على الجمع.

(٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما : أنه بات عند ميمونة أم المؤمنين ، وهي خالته، قال: فاضطجعت في عرض الوسادة واضطجع رسول الله ﷺ وأهله في طولها، فنام رسول الله ﷺ حتى انتصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل، ثم استيقظ رسول الله ﷺ، فجعل يمسح النوم عن وجهه بيده، ثم قرأ العشر آيات الخواتـم من سورة آل عمران، ثم قام إلى شن معلقة، فتوضأ منها فأحسن وضوءه ثم قام يصلي.. وفي رواية: فلما كان ثلث الليل الآخر قعد، فنظر إلى السماء فقال: ﴿إن في خلق السماوات..﴾ [البخاري: الوضوء، باب: قراءة القرآن بعد الحدث: ١٨١. والتفسير، باب: ﴿إن في خلق السماوات..﴾ رقم: ٤٢٩٣. مسلم: صلاة المسافرين وقصرها، باب: الدعاء في صلاة الليل وقيامه: ٧٦٣].

سبب نزول الآية [١٩٩]: عن أنس رضي الله عنه قال: لما جاء نعي النجاشي قال رسول الله ﷺ: (صلوا عليه). قالوا: يا رسول الله، نصلي على عبد حبشي؟ فأنزل الله ﴿وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله﴾. [السيوطي].

(سورة النساء مدنية)

(آياتها مائة وخمس أو ست أو سبع وسبعون آية)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

١ ﴿ يا أيها الناس ﴾ أي أهل مكة ﴿ اتقوا ربكم ﴾ أي عقابه، بأن تطيعوه ﴿ الذي خلقكم من نفس واحدة ﴾ آدم ﴿ وخلق منها زوجها ﴾ حواء ـ بالمد ـ من ضلع من أضلاعه اليسرى ﴿ وبث ﴾ فرق ونشر ﴿ منهما ﴾ من آدم وحواء ﴿ رجالاً كثيراً ونساءً ﴾ كثيرة ﴿ واتقوا الله الذي تسّاءلون ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في السين، وفي قراءة بالتخفيف بحذفها، أي تتساءلون ﴿به﴾ فيما بينكم، حيث يقول بعضكم لبعض: أسألك بالله، وأنشدك بالله ﴿و﴾ اتقوا ﴿ الأرحام ﴾ أن تقطعوها⁽¹⁾، وفي قراءة بالجر عطفاً على الضمير في به، وكانوا يتناشدون بالرحم⁽²⁾ ﴿ إن الله كان عليكم رقيباً ﴾ حافظاً لأعمالكم، فيجازيكم بها، أي لم يزل متصفاً بذلك.

(٤) سُورَةُ النِّسَاءِ مَدَنِيَّة
وَآيَاتُهَا سِتٌّ وَسَبْعُونَ وَمِائَة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ
وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ
وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ
عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟
ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ
إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى
ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ
وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ

٢ ونزل في يتيم طلب من وليه ماله فمنعه ﴿ وآتوا اليتامى ﴾ الصغار الذين لا أب لهم ﴿ أموالهم ﴾ إذا بلغوا ﴿ ولا تتبدلوا الخبيث ﴾ الحرام ﴿ بالطيب ﴾ الحلال، أي تأخذوه بدله، كما تفعلون من أخذ الجيد من مال اليتيم وجعل الرديء من مالكم مكانه ﴿ ولا تأكلوا أموالهم ﴾ مضمومة ﴿ إلى أموالكم إنه ﴾ أي أكلها ﴿ كان حوباً ﴾ ذنباً ﴿ كبيراً ﴾ عظيماً. ولما نزلت تحرجوا من ولاية اليتامى، وكان فيهم من تحته العشر أو الثمان من الأزواج فلا يعدل بينهن، فنزل:

٣ ﴿ وإن خفتم أ ﴾ ن ﴿ لا تقسطوا ﴾ تعدلوا ﴿ في اليتامى ﴾ فتحرجتم من أمرهم، فخافوا أيضاً أن لا تعدلوا بين النساء إذا نكحتموهن ﴿ فانكحوا ﴾ تزوجوا ﴿ ما ﴾ بمعنى من ﴿ طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ﴾ أي اثنتين اثنتين، وثلاثاً ثلاثاً، وأربعاً أربعاً، ولا تزيدوا على ذلك ﴿ فإن خفتم أ ﴾ ن ﴿ لا تعدلوا ﴾ فيهن بالنفقة والقسم ﴿ فواحدة ﴾ انكحوها ﴿ أو ﴾ اقتصروا على ﴿ ما ملكت

---

(١) الأرحام جمع رحم، والمراد بها القرابة، سموا بذلك لأنهم يتراحمون ويعطف بعضهم على بعض. وقطعها هو قطع التواصل فيما بينهم، وهو حرام، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: (الرحم معلقة بالعرش، تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله). وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (لا يدخل الجنة قاطع) أي قاطع رحم. [البخاري: الأدب، باب: إثم القاطع، وباب: من وصل وصله الله . مسلم: البر والصلة والآداب، باب: صلة الرحم وتحريم قطيعتها].

(٢) يقولون: أنشدك بالله وأنشدك بالرحم، ومعناه: سألتك بذلك مقسماً عليك.

سبب نزول الآية [٢]: قال الواحدي: قال مقاتل والكلبي: نزلت في رجل من غطفان، كان عنده مال كثير لابن أخ له يتيم، فلما بلغ اليتيم طلب المال فمنعه عمه، فترافعا إلى النبي ﷺ، فنزلت هذه الآية، فلما سمعها العم قال: أطعنا الله وأطعنا الرسول، نعوذ بالله من الحوب الكبير. فدفع إليه ماله، فقال النبي ﷺ: (من يوق شح نفسه ورجع به هكذا فإنه يَحُلُّ داره) يعني جنته. فلما قبض الفتى ماله أنفقه في سبيل الله تعالى، فقال النبي ﷺ: (ثبت الأجر وبقي الوزر). فقالوا: يا رسول الله، قد عرفنا أنه ثبت الأجر، فكيف بقي الوزر؟ وهو ينفق في سبيل الله؟ فقال: (ثبت الأجر للغلام، وبقي الوزر على والده). أي الذي جمع المال من طريق غير مشروع.

سبب نزول الآية [٣]: عن عائشة رضي الله عنها في قوله تعالى: ﴿وإن خفتم الا تقسطوا﴾ الآية، قالت: أنزلت هذه في الرجل يكون له اليتيمة وهو وليها ووارثها، ولها مال، وليس لها أحد يخاصم دونها، فلا يُنْكِحُها لمالها، ويَضُرُّ بها ويسيء صحبتها، فقال الله تعالى: ﴿وإن خفتم الا تقسطوا في اليتامى . .﴾ يقول: ما أحللتم لكم، ودع هذه التي تضر بها. [مسلم: أوائل كتاب التفسير، رقم ٣٠١٨. وانظر البخاري: الشركة، باب: شركة اليتيم وأهل الميراث، رقم: ٢٣٦٢].

أيمانكم ﴾ من الإماء(١)، إذ ليس لهن من الحقوق ما للزوجات ﴿ ذلك ﴾ أي نكاح الأربع فقط، أو الواحدة، أو التسري ﴿ أدنى ﴾ أقرب إلى ﴿ ألا تعولوا ﴾ تجوروا.

٤ ﴿ وآتوا ﴾ أعطوا ﴿ النساء صدقاتهن ﴾ جمع صَدُقة، مهورهن ﴿ نحلة ﴾ مصدر(٢)، عطية عن طيب نفس ﴿ فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً ﴾ تمييز محول عن الفاعل، أي طابت أنفسهن لكم عن شيء من الصداق فوهبنه لكم ﴿ فكلوه هنيئاً ﴾ طيباً ﴿ مريئاً ﴾ محمود العاقبة، لا ضرر فيه عليكم في الآخرة، نزلت رداً على من كره ذلك.

٥ ﴿ ولا تؤتوا ﴾ أيها الأولياء ﴿ السفهاء ﴾ المبذرين من الرجال والنساء والصبيان ﴿ أموالكم ﴾ أي أموالهم التي في أيديكم ﴿ التي جعل الله لكم قياماً ﴾ مصدر قام، أي تقوم بمعاشكم وصلاح أودكم(٣)، فيَضعوها في غير وجهها، وفي قراءة «قِيَماً» جمع قيمة، ما تُقَوَّم به الأمتعة ﴿ وارزقوهم فيها ﴾ أطعموهم منها ﴿ واكسوهم وقولوا لهم قولاً معروفاً ﴾ عِدوهم عِدَة جميلة بإعطائهم أموالهم إذا رشدوا.

٦ ﴿ وابتلوا ﴾ اختبروا ﴿ اليتامى ﴾ قبل البلوغ، في دينهم وتصرفهم في أحوالهم ﴿ حتى إذا بلغوا النكاح ﴾ أي صاروا أهلاً له بالاحتلام(٤)، أو السن وهو استكمال خمس عشرة سنة عند الشافعي(٥) ﴿ فإن آنستم ﴾ أبصرتم ﴿ منهم رشداً ﴾ صلاحاً في دينهم ومالهم ﴿ فادفعوا إليهم أموالهم ولا تأكلوها ﴾ أيها الأولياء ﴿ إسرافاً ﴾ بغير حق، حال ﴿ وبداراً ﴾ أي مبادرين إلى إنفاقها مخافة ﴿ أن يكبروا ﴾ رشداء، فيلزمكم تسليمها إليهم ﴿ ومن كان ﴾ من الأولياء ﴿ غنياً فليستعفف ﴾ أي يعف عن مال اليتيم ويمتنع من أكله ﴿ ومن كان فقيراً فليأكل ﴾ منه ﴿ بالمعروف ﴾ بقدر أجرة عمله ﴿ فإذا دفعتم إليهم ﴾ أي إلى اليتامى ﴿ أموالهم فأشهدوا عليهم ﴾ أنهم تسلموها وبرئتم، لئلا يقع اختلاف، فترجعوا إلى البينة، وهذا أمر إرشاد(٦) ﴿ وكفى بالله ﴾ الباء زائدة ﴿ حسيباً ﴾ حافظاً لأعمال خلقه ومحاسبهم.

٧ ونزل رداً لما كان عليه الجاهلية من عدم توريث النساء والصغار ﴿ للرجال ﴾ الأولاد والأقرباء ﴿ نصيب ﴾ حظ ﴿ مما ترك الوالدان والأقربون ﴾ المتوفون ﴿ وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه ﴾ أي المال ﴿ أو كثر ﴾ جعله الله ﴿ نصيباً مفروضاً ﴾ مقطوعاً بتسليمه إليهم.

٨ ﴿ وإذا حضر القسمة ﴾ للميراث ﴿ أولو القربى ﴾ ذوو القرابة ممن لا يرث

(الجـــزء الرابـع) ٩٨

أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ ﴿٣﴾ وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ
صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ
هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴿٤﴾ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ
ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا
مَّعْرُوفًا ﴿٥﴾ وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ
ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ
إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ
وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ
أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾ لِّلرِّجَالِ
نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ
مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ
نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُو۟لُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ

---

(١) جمع أمة، وهي المرأة المملوكة. ويحل لمن ملكها أن يجامعها بسبب ملكه لها، وهذا معنى التسري.

(٢) من معنى الفعل وهو ﴿آتوا﴾ فإنه بمعنى انحلوا، أي أعطوا.

(٣) اعوجاجكم.

(٤) وهو نزول المني لأول مرة عند الذكر، وسيلان دم الحيض كذلك عند الأنثى.

(٥) وحجته في هذا ما رواه البخاري [الشهادات، باب: بلوغ الصبيان وشهادتهم، رقم: ٢٥٢١] ومسلم [الإمارة، باب: بيان سن البلوغ، رقم: ١٨٦٨] عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ عرضه يوم أحد وهو ابن أربعَ عشرة سنة فلم يُجِزْه، ثم عرضني يوم الخندق وأنا ابن خمسَ عشرة فأجازني. قال نافع ـ راوي الحديث عن ابن عمر ـ: فقدمت على عمر بن عبد العزيز وهو خليفة، فحدثته هذا الحديث، فقال: إن هذا الحد بين الصغير والكبير. وكتب إلى عماله أن يفرضوا لمن بلغ خمس عشرة. أي أن يقدروا لهم عطاءً في ديوان الجند إذا حضروا المعارك.

(٦) أي توجيه وندب لا أمر وجوب، فلو لم يشهدوا على دفعها جاز.

سبب نزول الآية [٧]: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان أهل الجاهلية لا يورثون البنات ولا الصغار الذكور حتى يدركوا، فمات رجل من الأنصار يقال له أوس بن ثابت وترك ابنتين وابناً صغيراً، فجاء ابنا عمه خالد وعرفطة وهما عصبة، فأخذا ميراثه كله، فأتت امرأته رسول الله ﷺ فذكرت له ذلك، فقال: ما أدري ما أقول؟ فنزلت: ﴿للرجال نصيب مما ترك الوالدان﴾ الآية. [السيوطي] يدركوا: يبلغوا. عصبة هم أقرباء الإنسان من قبل أبيه، ويرثون بالتعصيب، أي يأخذ ما بقي من المال بعد أخذ أصحاب الفروض نصيبهم منه.

﴿ واليتامى والمساكين فارزقوهم منه ﴾ شيئاً قبل القسمة ﴿ وقولوا ﴾ أيها الأولياء ﴿ لهم ﴾ إذا كان الورثة صغاراً ﴿ قولاً معروفاً ﴾ جميلاً، بأن تعتذروا إليهم أنكم لا تملكونه وأنه للصغار، وهذا(١) قيل إنه منسوخ، وقيل لا، ولكن تهاون الناس في تركه، وعليه فهو ندب، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: واجب.

٩ ﴿ وليخش ﴾ أي ليخف على اليتامى ﴿ الذين لو تركوا ﴾ أي قاربوا أن يتركوا ﴿ من خلفهم ﴾ أي بعد موتهم ﴿ ذرية ضعافاً ﴾ أولاداً صغاراً ﴿ خافوا عليهم ﴾ الضياع ﴿ فليتقوا الله ﴾ في أمر اليتامى، وليأتوا إليهم ما يحبون أن يفعل بذريتهم من بعدهم ﴿ وليقولوا ﴾ لمن حضرته الوفاة ﴿ قولاً سديداً ﴾ صواباً، بأن يأمروه أن يتصدق بدون ثلثه(٢)، ويدع الباقي لورثته، ولا يتركهم عالة(٣).

١٠ ﴿ إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً ﴾ بغير حق ﴿ إنما يأكلون في بطونهم ﴾ أي ملأها ﴿ ناراً ﴾ لأنه يؤول إليها(٤) ﴿وسيُصلون﴾ بالبناء للفاعل أو المفعول، يدخلون ﴿ سعيراً ﴾ ناراً شديدة يحترقون فيها.

وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا
مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً
ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ
فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ
فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءً
فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا
ٱلنِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ
إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ
ٱلثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ۚ مِنۢ
بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا
تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ

١١ ﴿ يوصيكم ﴾ يأمركم ﴿ الله في ﴾ شأن ﴿ أولادكم ﴾ بما يذكر ﴿ للذكر ﴾ منهم ﴿ مثل حظ ﴾ نصيب ﴿ الأنثيين ﴾ إذا اجتمعتا معه، فله نصف المال ولهما النصف، فإن كان معه واحدة فلها الثلث وله الثلثان، وإن انفرد حاز المال(٥) ﴿ فإن كن ﴾ أي الأولاد ﴿ نساء ﴾ فقط ﴿ فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك ﴾ الميت، وكذا الاثنتان، لأنه(٦) للأختين بقوله «فلهما الثلثان مما ترك»/ النساء: ١٧٦/ فهما أولى، ولأن البنت تستحق الثلث مع الذكر فمع الأنثى أولى، وفوق: قيل صلة(٧)، وقيل: لدفع توهم زيادة النصيب بزيادة العدد، لما فهم استحقاق الاثنتين الثلثين من جعل الثلث للواحدة مع الذكر ﴿ وإن كانت ﴾ المولودة ﴿ واحدة ﴾ وفي قراءة بالرفع، فكان تامة ﴿ فلها النصف ولأبويه ﴾ أي الميت، ويبدل منهما ﴿ لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد ﴾ ذكر أو أنثى، ونكتة البدل(٨) إفادة أنهما لا يشتركان فيه. وألحق بالولد ولد الابن وبالأب الجد ﴿ فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه ﴾ فقط أو مع زوج ﴿ فلأمه ﴾ بضم الهمزة، وكسرها فراراً من الانتقال من ضمة إلى كسرة، لثقله في الموضعين(٩) ﴿ الثلث ﴾ أي ثلث المال، أو ما يبقى بعد الزوج، والباقي للأب ﴿ فإن كان له إخوة ﴾ أي اثنان فصاعداً، ذكور أو إناث ﴿ فلأمه السدس ﴾ والباقي للأب، ولا شيء للإخوة. وإرث من ذكر ما ذُكِر ﴿ من بعد ﴾ تنفيذ ﴿ وصية يوصي ﴾ بالبناء للفاعل والمفعول ﴿ بها أو ﴾ قضاء ﴿ دين ﴾ عليه، وتقديم الوصية على الدين، وإن كانت مؤخرة عنه في الوفاء، للاهتمام بها ﴿ آباؤكم وأبناؤكم ﴾ مبتدأ خبره ﴿ لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعاً ﴾ في الدنيا والآخرة، فظان أن ابنه أنفع له فيعطيه الميراث، فيكون الأب أنفع، وبالعكس، والعالم بذلك هو الله، ففرض لكم الميراث ﴿ فريضة من الله إن الله

---

(١) أي إعطاء من حضر قسمة الميراث ـ ممن ذكر ـ شيئاً منه.

(٢) أي بثلث تركته أو أقل منه، ولا يزيد عنه.

(٣) عالة: فقراء يحتاجون إلى من يعيلهم.

(٤) أي اعتبر أكل مال اليتيم أكلاً للنار لأنه يجعل مصير فاعله إليها.

(٥) أخذه كله.

(٦) أي فرض الثلثين.

(٧) زائدة لتأكيد المعنى.

(٨) فائدته.

(٩) هنا وفي قوله ﴿فلأمه السـدس﴾ الآتي.

سبب نزول الاية [١١]: عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: عادني رسول الله ﷺ وأبو بكر في بني سلمة ماشيين، فوجدني النبي ﷺ لا أعقل شيئاً، فدعا بماء فتوضأ منه، ثم رش عليّ فأفقت، فقلت: ما تأمرني أن أصنع في مالي يا رسول الله؟ فنزلت: ﴿يوصيكم الله في أولادكم..﴾ [البخاري: التفسير/النساء، باب: ﴿يوصيكم الله في أولادكم﴾ رقم: ٤٣٠١. مسلم: الفرائض، باب: ميراث الكلالة، رقم: ١٦١٦].

وعن جابر رضي الله عنه قال: جاءت امرأة سعد بن الربيع بابنتيها من سعد إلى رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله هاتان ابنتا سعد بن الربيع، قتل أبوهما معك في أحد شهيداً، وإن عمهما أخذ مالهما فلم يدع لهما مالاً، ولا تُنكحان إلا ولهما مال. فقال: (يقضي الله في ذلك). فنزلت آية الميراث، فبعث رسول الله ﷺ إلى عمهما فقال: (أعط ابنتي سعد الثلثين، وأعط أمهما الثمن، وما بقي فهو لك). [الترمذي: الفرائض، باب: ما

كان عليماً ﴾ بخلقه ﴿ حكيماً ﴾ فيما دبَّره لهم، أي لم يزل متصفاً بذلك.

١٢ ﴿ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد ﴾ منكم أو من غيركم ﴿ فإن كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين ﴾ وألحق بالولد في ذلك ولد الابن بالإجماع ﴿ ولهن ﴾ أي الزوجات، تعددن أوْلا ﴿ الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد ﴾ منهن أو من غيرهن ﴿ فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين ﴾ وولد الابن في ذلك كالولد إجماعاً ﴿ وإن كان رجل يورث ﴾ صفة(١)، والخبر ﴿ كلالة ﴾ أي لا والد له ولا ولد ﴿ أو امرأة ﴾ تورث كلالة ﴿ وله ﴾أي للموروث كلالة﴿ أخ أو أخت ﴾أي وهما من أم،وقرأ به ابن مسعود وغيره(٢) ﴿ فلكل واحد منهما السدس ﴾ مما ترك ﴿ فإن كانوا ﴾ أي الإخوة والأخوات من الأم ﴿ أكثر من ذلك ﴾ أي من واحد ﴿ فهم شركاء في الثلث ﴾ يستوي فيه ذكرهم وأنثاهم ﴿ من بعد وصية يوصي بها أو دين غير مضار ﴾ حال من ضمير يوصي، أي غير مدخل الضرر على الورثة، بأن يوصي بأكثر من الثلث ﴿ وصية ﴾ مصدر مؤكد ليوصيكم ﴿ من الله والله عليم ﴾ بما دبره لخلقه من الفرائض ﴿ حليم ﴾ بتأخير العقوبة عمن خالفه. وخصت السنة توريث من ذكر بمن ليس فيه مانع: من قتل، أو اختلاف دين،أو رق(٣).

١٣ ﴿ تلك ﴾ الأحكام المذكورة من أمر اليتامى وما بعده ﴿ حدود الله ﴾ شرائعه التي حدها لعباده، ليعملوا بها ولا يتعدوها ﴿ ومن يطع الله ورسوله ﴾ في ما حكم به ﴿ يدخله ﴾ بالياء، والنون التفاتاً(٤) ﴿ جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ﴾.

١٤ ﴿ ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ﴾ بالوجهين(٥) ﴿ ناراً خالداً فيها وله ﴾ فيها ﴿ عذاب مهين ﴾ ذو إهانة، وروعي في الضمائر في الآيتين لفظ من(٦)، وفي خالدين معناها(٧).

كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (١١) * وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ
إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا
تَرَكْنَ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۚ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ
مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ
فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ۚ مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ
أَوْ دَيْنٍ ۗ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ
أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِن
ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ
أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ (١٢)
تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ
تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ
ٱلْعَظِيمُ (١٣) وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ

---

(١) أي جملة ﴿يورث﴾ صفة لرجل، والتقدير: وإن كان رجل موروث.

(٢) أي قرأ ابن مسعود رضي الله عنه وغيره: وله أخ أو أخت من أم، وهي قراءة شاذة، ولكنها يحتج بها كخبر الواحد.

(٣) ودليل منع القاتل من الميراث قوله ﷺ: (القاتل لا يرث) رواه الترمذي في الفرائض، باب: ما جاء في إبطال ميراث القاتل، رقم: ٢١١٠. ودليل منع الميراث عند اختلاف الدين قوله ﷺ: (لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم) أخرجه البخاري في الفرائض، باب: لا يرث المسلم الكافر. .، رقم: ٦٣٨٣. ومسلم في أول كتاب الفرائض، رقم: ١٦١٤. وأما الرق فلأن الرقيق لا يملك أصلاً.

(٤) أي ﴿نُدْخِلْهُ﴾ التفاتاً من الغيبة إلى الخطاب.

(٥) ﴿يدخله﴾ و﴿ندخله﴾ على الالتفات.

(٦) وهو دال على الإفراد، فأفردت حيث قال: ﴿يطع﴾ و﴿يعص﴾ و﴿يتعد﴾ و﴿له﴾.

(٧) وهو دال على الجمع، فقال في الآية التي قبلها ﴿خالدين فيها﴾.

جاء في ميراث البنات، رقم: ٢٠٩٣، كما أخرجه أبو داود وابن ماجه وأحمد والحاكم].

ذكر الحافظ ابن حجر أنه تمسك بهذا من قال: إن الآية نزلت في قصة ابنتي سعد، ولم تنزل في قصة جابر، خصوصاً أن جابراً لم يكن له يومئذٍ ولد. وأجاب عن هذا بأنه لا مانع أن تكون نزلت في الأمرين معاً، ويحتمل أن يكون نزول أوّلها في قصة البنتين، وآخرها وهو قوله: ﴿ وإن كان رجل يورث كلالة ﴾ في قصة جابر، ويكون مراد جابر بقوله: فنزلت: ﴿ يوصيكم الله في أولادكم﴾: أي ذكر الكلالة المتصل بهذه الآية. [فتح الباري عند الكلام عن حديث البخاري المذكور].

وقد ورد سبب ثالث: أخرجه ابن جرير عن السدّي قال: كان أهل الجاهلية لا يورثون الجواري ولا الضعفاء من الغلمان، لا يرث الرجلَ من ولده إلا من أطاق القتال، فمات عبد الرحمن ـ أخو حسان الشاعر ـ وترك امرأة يقال لها أمّ كحة وترك خمس بنات، فجاءت الورثة يأخذون ماله، فشكت أمّ كحة ذلك إلى النبيّ ﷺ، فأنزل الله هذه الآية: ﴿فإن كنّ نساءً فوق اثنتين فلهنّ ثلثا ما ترك﴾. ثم قال في أمّ كحة: ﴿ولهنّ الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهنّ الثمن﴾. أقول: ولا مانع أيضاً من أن تكون الآيات نزلت لهذه الأسباب كلها، والله تعالى أعلم.

١٥ ﴿ واللاتي يأتين الفاحشة ﴾ الزنا ﴿ من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم ﴾ أي من رجالكم المسلمين ﴿ فإن شهدوا ﴾ عليهن بها ﴿ فأمسكوهن ﴾ احبسوهن ﴿ في البيوت ﴾ وامنعوهن من مخالطة الناس ﴿ حتى يتوفاهن الموت ﴾ أي ملائكته ﴿ أو ﴾ إلى أن ﴿ يجعل الله لهن سبيلاً ﴾ طريقاً إلى الخروج منها. أمروا بذلك أول الإسلام، ثم جعل لهن سبيلا: بجلد البكر مائة وتغريبها عاماً، ورجم المحصنة. وفي الحديث، لما بين الحد قال: (خذوا عني، خذوا عني، قد جعل الله لهن سبيلًا) رواه مسلم(١).

١٦ ﴿ واللذان ﴾ بتخفيف النون وتشديدها ﴿ يأتيانها ﴾ أي الفاحشة: الزنا أو اللواط(٢) ﴿ منكم ﴾ أي الرجال ﴿ فآذوهما ﴾ بالسب والضرب بالنعال ﴿ فإن تابا ﴾ منها ﴿ وأصلحا ﴾ العمل ﴿ فأعرضوا عنهما ﴾ ولا تؤذوهما ﴿ إن الله كان تواباً ﴾ على من تاب ﴿ رحيماً ﴾ به. وهذا منسوخ بالحد إن أريد بها الزنا، وكذا إن أريد بها اللواط عند الشافعي، لكن المفعول به لا يرجم عنده وإن كان محصناً، بل يجلد ويغرب(٣). وإرادة اللواط أظهر، بدليل تثنية الضمير، والأول(٤) قال: أراد الزاني والزانية، ويرده تبيينهما بمن المتصلة بضمير الرجال، واشتراكهما في الأذى والتوبة والإعراض، وهو مخصوص بالرجال، لما تقدم في النساء من الحبس.

يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ وَٱلَّٰتِى يَأْتِينَ
ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ
فَإِن شَهِدُوا۟ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ
ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾ وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَٰنِهَا مِنكُمْ
فَـَٔاذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ
كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ
ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ
عَلَيْهِمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ
لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ
قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ
أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟

١٧ ﴿ إنما التوبة على الله ﴾ أي التي كتب على نفسه قبولها بفضله ﴿ للذين يعملون السوء ﴾ المعصية ﴿ بجهالة ﴾ حال، أي جاهلين إذ عصوا ربهم ﴿ ثم يتوبون من ﴾ زمن ﴿ قريب ﴾ قبل أن يغرغروا(٥) ﴿ فأولئك يتوب الله عليهم ﴾ يقبل توبتهم ﴿ وكان الله عليماً ﴾ بخلقه ﴿ حكيماً ﴾ في صنعه بهم.

١٨ ﴿ وليست التوبة للذين يعملون السيئات ﴾ الذنوب ﴿ حتى إذا حضر أحدهم الموت ﴾ وأخذ في النزع ﴿ قال ﴾ عند مشاهدة ما هو فيه ﴿ إني تبت الآن ﴾ فلا ينفعه ذلك ولا يقبل منه ﴿ ولا الذين يموتون وهم كفار ﴾ إذا تابوا في الآخرة عند معاينة العذاب لا تقبل منهم ﴿ أولئك أعتدنا ﴾ أعددنا ﴿ لهم عذاباً أليماً ﴾ مؤلماً.

١٩ ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء ﴾ أي ذاتهن ﴿ كُرهاً ﴾ بالفتح والضم لغتان، أي مكْرِهين على ذلك، كانوا في الجاهلية يرثون نساء أقربائهم، فإن شاؤوا تزوجوهن بلا صداق، أو زوجوهن وأخذوا صداقهن، أو عضلوهن حتى يفتدين بما ورثنه، أو يمتن فيرثوهن، فنهوا عن ذلك ﴿ ولا ﴾ أن ﴿ تعضلوهن ﴾ أي تمنعوا أزواجكم عن نكاح غيركم بإمساكهن، ولا رغبة لكم فيهن، ضرراً ﴿ لتذهبوا

---

(١) وفيه: (البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام). والبكر هو الذي لم يتزوج، ذكراً كان أم أنثى. وروى البخاري ومسلم ـ من حديث الذي اعترف على نفسه بالزنا ـ أن رسول الله ﷺ سأله: (هل أحصنت) قال: نعم، فقال النبي ﷺ (اذهبوا به فارجموه) قال جابر بن عبد الله رضي الله عنه: فكنت فيمن رجمه، فرجمناه بالمصلى، فلما أذلقته الحجارة هرب، فأدركناه بالحرة فرجمناه. [أحصنت: تزوجت. المصلى: مكان صلاة العيدين. أذلقته. أصابته بحدها وبلغت منه الجهد. الحرة: موضع ذو حجارة سوداء، والمدينة بين حرتين]. [انظر البخاري: المحاربين، باب: لا يرجم المجنون والمجنونة، رقم: ٦٤٣٠. ومسلم: الحدود، باب: حد الزنا، وباب: رجم الثيب في الزنا].

(٢) هو إتيان الذكر في دبره، وكذلك إتيان غير الزوجة في دبرها.

(٣) وأما الفاعل فعقوبته عقوبة الزاني السابقة الذكر.

(٤) القائل الأول الذي فسر الضمير في قوله﴿يأتيانها﴾بالزنا.

(٥) أي تصل روحهم الى حلوقهم ويصبحوا لا أمل لهم بالحياة.

سبب نزول الآية [١٩]: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته: إن شاء بعضهم تزوجها، وإن شاؤوا زوجوها، وإن شاؤوا لم يزوجوها، فهم أحق بها من أهلها، فنزلت هذه الآية في ذلك. [البخاري: التفسير/ النساء، باب: ﴿لا يحل لكم أن ترثوا النساء..﴾ رقم: ٤٣٠٣].

بيعض ما آتيتموهن ﴾ من المهر ﴿ إلا أن يأتين بفاحشة مبينة ﴾ بفتح الياء وكسرها، أي بينت أو هي بينة، أي زنا أو نشوز(١)، فلكم أن تضاروهن حتى يفتدين منكم ويختلعن ﴿وعاشروهن بالمعروف﴾ أي بالإجمال في القول(٢) والنفقة والمبيت ﴿ فإن كرهتموهن ﴾ فاصبروا ﴿ فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً ﴾ ولعله يجعل فيهن ذلك، بأن يرزقكم منهن ولداً صالحاً.

٢٠ ﴿ وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج ﴾ أي أخذها بدلها، بأن طلقتموها ﴿ و ﴾ قد ﴿ آتيتم إحداهن ﴾ أي الزوجات ﴿ قنطاراً ﴾ مالاً كثيراً صداقاً ﴿ فلا تأخذوا منه شيئاً أتأخذونه بهتاناً﴾ ظلماً ﴿ وإثماً مبيناً ﴾ بيناً، ونصبهما(٣) على الحال. والاستفهام(٤) للتوبيخ وللإنكار في قوله:

٢١ ﴿ وكيف تأخذونه ﴾ أي بأي وجه ﴿ وقد أفضى ﴾ وصل ﴿ بعضكم إلى بعض ﴾ بالجماع المقرر للمهر(٥) ﴿ وأخذن منكم ميثاقاً ﴾ عهداً ﴿ غليظاً ﴾ شديداً، وهو ما أمر الله به من إمساكهن بمعروف أو تسريحهن بإحسان(٦).

٢٢ ﴿ ولا تنكحوا ما ﴾ بمعنى مَنْ ﴿ نكح آباؤكم من النساء إلا ﴾ لكن ﴿ ما قد سلف ﴾ من فعلكم ذلك فإنه معفو عنه ﴿ إنه ﴾ أي نكاحهن ﴿ كان فاحشة ﴾ قبيحاً ﴿ ومقتاً ﴾ سبباً للمقت من الله، وهو أشد البغض ﴿ وساء ﴾ بئس ﴿ سبيلاً ﴾ طريقاً ذلك.

٢٣ ﴿ حرمت عليكم أمهاتكم ﴾ أن تنكحوهن، وشملت الجدات من قبل الأب أو الأم ﴿ وبناتكم ﴾ وشملت بنات الأولاد وإن سفلن ﴿ وأخواتكم ﴾ من جهة الأب أو الأم ﴿ وعماتكم ﴾ أي أخوات آبائكم وأجدادكم ﴿ وخالاتكم ﴾ أي أخوات أمهاتكم وجداتكم ﴿ وبنات الأخ وبنات الأخت ﴾ ويدخل فيهن أولادهما ﴿ وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم ﴾ قبل استكمال الحولين خمس رضعات، كما بينه الحديث(٧) ﴿ وأخواتكم من الرضاعة ﴾ ويلحق بذلك(٨) بالسنة البنات منها، وهن: من أرضعتهن موطوؤته، والعمات والخالات وبنات الأخ وبنات الأخت منها، لحديث: (يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب) رواه البخاري ومسلم(٩) ﴿ وأمهات نسائكم وربائبكم ﴾ جمع ربيبة، وهي بنت الزوجة من غيره ﴿ اللاتي في حجوركم ﴾ تربونهن، صفة موافقة للغالب، فلا مفهوم له(١٠) ﴿ من

بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾ وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾ وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن

---

(١) عصيان للزوج وترفع عليه وإعراض عنه وبذاءة باللسان ونحو ذلك. (٢) أي بالقول الحسن الجميل والملاطفة به.

(٣) أي نصب ﴿بهتاناً﴾ و ﴿إثماً﴾. (٤) في قوله﴿أتأخذونه﴾.

(٥) المثبت له بكامله، ويتقرر المهر بالجماع بعد عقد الزواج الصحيح.

(٦) في قوله تعالى ﴿ الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ﴾ /البقرة: ٢٢٩/.

(٧) أخرج مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرمن، ثم نسخت بخمس معلومات، فتوفي رسول الله ﷺ وهن فيما يقرأ من القرآن. [الرضاع، باب: التحريم بخمس رضعات].

والمعنى: أن نسخها كان متأخراً، حتى إنه توفي رسول الله ﷺ وبعض الناس ما زال يتلوها قرآناً، لأنه لم يبلغه النسخ بعد. فهذا مما نسخ تلاوته وحكمه.

(٨) أي بأمهات وأخوات الرضاعة.

(٩) البخاري: الشهادات، باب: الشهادة على الأنساب والرضاع. .، رقم: ٢٥٠٢. مسلم: الرضاع، باب: تحريم ابنة الأخ من الرضاعة، رقم: ١٤٤٧].

(١٠)أي ذكر الحجور لأن الغالب أن الربيبة لا تستغني عن تربية أمها، فتبقى في حجر زوجها، فلا يفهم من ذكر الحجور جواز التزوج بالربيبة من الزوجة المدخول بها إذا لم تكن في حجر زوج أمها.

سبب نزول الآية [٢٢]: قال أشعث بن سوار رضي الله عنه: توفي أبو قيس، وكان من صالحي الأنصار، فخطب ابنه قيس امرأة أبيه، فقالت: إني أعدك ولداً، ولكني آتي رسول الله ﷺ استأمره، فأتته فأخبرته، فأنزل الله تعالى هذه الآية. [الواحدي].

نسائكم اللاتي دخلتم بهن ﴾ أي جامعتموهن ﴿ فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم ﴾ في نكاح بناتهن إذا فارقتموهن ﴿ وحلائل ﴾ أزواج ﴿ أبنائكم الذين من أصلابكم ﴾ بخلاف من تبنيتموهم فلكم نكاح حلائلهم ﴿ وأن تجمعوا بين الأختين ﴾ من نسب أو إرضاع بالنكاح، ويلحق بهما بالسنة الجمع بينها وبين عمتها أو خالتها⁽¹⁾، ويجوز نكاح كل واحدة على الانفراد، وملكهما معاً ويطأ واحدة ﴿ إلا ﴾ لكن ﴿ ما قد سلف ﴾ في الجاهلية من نكاحكم بعض ما ذكر، فلا جناح عليكم فيه ﴿ إن الله كان غفوراً ﴾ لما سلف منكم قبل النهي ﴿ رحيماً ﴾ بكم في ذلك.

٢٤ ﴿ و ﴾ حرمت عليكم ﴿ المحصنات ﴾ أي ذوات الأزواج ﴿ من النساء ﴾ أن تنكحوهن قبل مفارقة أزواجهن حرائر[2] مسلمات كن أو لا ﴿ إلا ما ملكت أيمانكم ﴾ من الإماء بالسبي[3]، فلكم وطؤهن، وإن كان لهن أزواج في دار الحرب، بعد الاستبراء[4] ﴿ كتاب الله ﴾ نصب على المصدر[5]، أي كتب ذلك ﴿ عليكم وأحل ﴾ بالبناء للفاعل والمفعول ﴿ لكم ما وراء ذلكم ﴾ أي سوى ما حرم عليكم من النساء ﴿ أن تبتغوا ﴾ تطلبوا النساء ﴿ بأموالكم ﴾ بصداق أو ثمن[6] ﴿ محصنين ﴾ متزوجين ﴿ غير مسافحين ﴾ زانين ﴿ فما ﴾ فمن ﴿ استمتعتم ﴾ تمتعتم ﴿ به منهن ﴾ ممن تزوجتم، بالوطء ﴿ فآتوهن أجورهن ﴾ مهورهن التي فرضتم لهن ﴿ فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم ﴾ أنتم وهن ﴿ به من بعد الفريضة ﴾ من حطها أو بعضها أو زيادة عليها ﴿ إن الله كان عليماً ﴾ بخلقه ﴿ حكيماً ﴾ فيما دبره لهم.

٢٥ ﴿ ومن لم يستطع منكم طولاً ﴾ أي غنى لـ ﴿ أن ينكح المحصنات ﴾ الحرائر ﴿ المؤمنات ﴾ هو جري على الغالب فلا مفهوم له[7] ﴿ فمن ما ملكت أيمانكم ﴾ ينكح ﴿ من فتياتكم[8] المؤمنات والله أعلم بإيمانكم ﴾ فاكتفوا بظاهره وكلوا السرائر إليه، فإنه العالم بتفصيلها، ورُبَّ أمةٍ تفضل الحرة فيه، وهذا تأنيس بنكاح الإماء[9] ﴿ بعضكم من بعض ﴾ أي أنتم وهن سواء في الدين، فلا تستنكفوا من نكاحهن ﴿ فانكحوهن بإذن أهلهن ﴾

نِسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ
فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ
وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَۗ إِنَّ ٱللَّهَ
كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾ ۞ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ
إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْۚ وَأُحِلَّ لَكُم
مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُواْ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَۚ
فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةًۚ
وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِۚ
إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ
طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ
أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُمۚ
بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ

---

(١) لقوله ﷺ: (لا يجمع بين المرأة وعمتها ولا بين المرأة وخالتها) [البخاري: النكاح، باب: لا تنكح المرأة على عمتها، رقم: ٤٨٢٠. مسلم: النكاح، باب: تحريم الجمع بين المرأة وعمتها. .، رقم: ١٤٠٨]. والقاعدة في تحريم الجمع: أن كل امرأتين بينهما قرابة أو رضاع، لو كان ذلك بين الرجل وبين أي منهما لم يجز له نكاحها، لم يجز له الجمع بينهما.

(٢) أي إن الحرة المتزوجة لا يجوز عقد النكاح عليها إلا بعد أن يفارقها زوجها بطلاق أو موت، وتنتهي عدتها منه.

(٣) هو أخذ نساء الكفار وأولادهم من ساحة القتال.

(٤) أي التأكد من براءة أرحامهن بتركهن حتى يحضن ويطهرن إن كن غير حوامل، وحتى يضعن حملهن إن كن حوامل. روى أبو داود عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أنه ﷺ قال في سبايا أوطاس: (لا توطأ حامل حتى تضع، ولا غير ذات حمل حتى تحيض حيضة).[النكاح/وطأ السبايا].

(٥) أي كتب الله تعالى ذلك كتاباً، أي فرض تحريمه فرضاً.

(٦) بمهر للحرة وثمن للأمة.

(٧) أي لا يفهم من وصف المحصنات بالمؤمنات أن الحكم خاص بهن، بل لو قدر على التزوج بحرة كتابية لم يجز له التزوج بأمة.

(٨) جمع فتاة، وهي الشابة من النساء، والمراد بها هنا الأَمَة.

(٩) تسلية وتطييب نفس لمن لم يستطع التزوج بحرة وتزوج بأمة.

سبب نزول الآية [٢٤]: أخرج مسلم [في الرضاع، باب: جواز وطء المسبية بعد الاستبراء. .، رقم: ١٤٥٦] عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ يوم حنين بعث جيشاً إلى أوطاس، فلقوا عدواً فقاتلوهم. فظهروا عليهم وأصابوا لهم سبايا، فكأن ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ تحرجوا من غشيانهن من أجل أزواجهن من المشركين، فأنزل الله عز وجل في ذلك ﴿ والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم ﴾ أي فهن لكم حلال إذا انقضت عدتهن. [تحرجوا: خافوا الوقوع في الإثم. غشيانهن: جماعهن].

مواليهن ﴿ وآتوهن ﴾ أعطوهن ﴿ أجورهن ﴾ مهورهن ﴿ بالمعروف ﴾ من غير مطل ونقص ﴿ محصنات ﴾ عفائف، حال ﴿ غير مسافحات ﴾ زانيات جهراً ﴿ ولا متخذات أخدان ﴾ أخلاء يزنون بهن سراً ﴿ فإذا أحصن ﴾ زوجن، وفي قراءة بالبناء للفاعل: تزوجن ﴿ فإن أتين بفاحشة ﴾ زناً ﴿ فعليهن نصف ما على المحصنات ﴾ الحرائر الأبكار إذا زنين ﴿ من العذاب ﴾ الحد، فيجلدن خمسين ويغربن نصف سنة، ويقاس عليهن العبيد، ولم يجعل الإحصان شرطاً لوجوب الحد⁽١⁾، بل لإفادة أنه لا رجم عليهن أصلاً ﴿ ذلك ﴾ أي نكاح المملوكات عند عدم الطول ﴿ لمن خشي ﴾ خاف ﴿ العنت ﴾ الزنا، وأصله المشقة، سمي به الزنا لأنه سببها: بالحد في الدنيا، والعقوبة في الآخرة ﴿ منكم ﴾ بخلاف من لا يخافه من الأحرار، فلا يحل له نكاحها، وكذا من استطاع طول حرة⁽٢⁾، وعليه الشافعي. وخرج بقوله «من فتياتكم المؤمنات» الكافرات، فلا يحل له نكاحها ولو عدم وخاف⁽٣⁾ ﴿ وأن تصبروا ﴾ عن نكاح المملوكات ﴿ خير لكم ﴾ لئلا يصير الولد رقيقاً ﴿ والله غفور رحيم ﴾ بالتوسعة في ذلك.

٢٦ ﴿ يريد الله ليبين لكم ﴾ شرائع دينكم ومصالح أمركم ﴿ ويهديكم سنن ﴾ طرائق ﴿ الذين من قبلكم ﴾ من الأنبياء، في التحليل والتحريم، فتتبعوهم ﴿ ويتوب عليكم ﴾ يرجع بكم عن معصيته التي كنتم عليها إلى طاعته ﴿ والله عليم ﴾ بكم ﴿ حكيم ﴾ فيما دبره لكم.

٢٧ ﴿ والله يريد أن يتوب عليكم ﴾ كرره ليبني عليه ﴿ ويريد الذين يتبعون الشهوات ﴾ اليهود والنصارى، أو المجوس، أو الزناة ﴿ أن تميلوا ميلاً عظيماً ﴾ تعدلوا عن الحق بارتكاب ما حرم عليكم، فتكونوا مثلهم.

٢٨ ﴿ يريد الله أن يخفف عنكم ﴾ يسهل عليكم أحكام الشرع ﴿ وخلق الإنسان ضعيفاً ﴾ لا يصبر عن النساء والشهوات.

٢٩ ﴿ ⁽٤⁾ يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ﴾ بالحرام في الشرع: كالربا والغصب ﴿ إلا ﴾ لكن ﴿ أن تكون ﴾ الأموال أموال ﴿ تجارة ﴾ صادرة ﴿ عن تراض منكم ﴾ وطيب نفس، فلكم أن تأكلوها ﴿ ولا تقتلوا أنفسكم ﴾ بارتكاب ما يؤدي إلى هلاكها أياً كان، في الدنيا أو الآخرة، بقرينة⁽٥⁾ ﴿ إن الله كان بكم رحيماً ﴾ في منعه لكم من ذلك.

٣٠ ﴿ ومن يفعل ذلك ﴾ أي ما نهي عنه⁽٦⁾ ﴿ عدواناً ﴾ تجاوزاً للحلال، حال ﴿ وظلماً ﴾ تأكيد ﴿ فسوف نصليه ﴾ ندخله ﴿ ناراً ﴾ يحترق فيها⁽٧⁾

أُجُورَهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ مُحۡصَنَٰتٍ غَيۡرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا
مُتَّخِذَٰتِ أَخۡدَانٖۚ فَإِذَآ أُحۡصِنَّ فَإِنۡ أَتَيۡنَ بِفَٰحِشَةٖ
فَعَلَيۡهِنَّ نِصۡفُ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ مِنَ ٱلۡعَذَابِۚ ذَٰلِكَ
لِمَنۡ خَشِيَ ٱلۡعَنَتَ مِنكُمۡۚ وَأَن تَصۡبِرُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۗ وَٱللَّهُ
غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢٥﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ وَيَهۡدِيَكُمۡ سُنَنَ
ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَيَتُوبَ عَلَيۡكُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٢٦﴾
وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ
أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ
وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ﴿٢٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ
أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ
مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ﴿٢٩﴾
وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ

---

(١) فلو زنت الأمة غير المتزوجة جلدت أيضاً وغربت، لقوله ﷺ: (إذا زنت أمة أحدكم فتبين زناها فليجلدها الحد. .) [البخاري: البيوع، باب بيع العبد الزاني. مسلم: الحدود، باب رجم اليهود. .].

(٢) أي قدر على التزوج بها.

(٣) عدم القدرة على التزوج بالحرة، وخاف على نفسه الزنا.

(٤) لما بين النهي عن بعض الفروج وإباحة بعضها شرع فبين النهي عن بعض الأموال والأنفس.

(٥) أي قوله ﴿إن الله كان بكم رحيماً﴾ دليل على التعميم في النهي عن ارتكاب ما يؤدي إلى الهلاك.

(٦) من أكل الأموال وقتل الأنفس ظلماً.

(٧) روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيها خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن تحسّى سُمّاً فقتل نفسه فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً).

[البخاري: الطب، باب: شرب السم والدواء به. .، رقم: ٥٤٤٢. مسلم: الإيمان، باب: غلظ تحريم قتل انسان نفسه. .، رقم: ١٠٩].

[يتردى: التردي السقوط من علو إلى سفل. تحسّى: شربه على غصة ومرارة. يتوجأ: يطعن ويقطع].

﴿ وكان ذلك على الله يسيراً ﴾ هيناً.

٣١ ﴿ إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ﴾ وهي ما ورد عليها وعيد كالقتل والزنا والسرقة، وعن ابن عباس: هي إلى السبعمائة أقرب ﴿ نكفر عنكم سيئاتكم ﴾ الصغائر بالطاعات ﴿ وندخلكم مدخلاً ﴾ بضم الميم وفتحها، أي إدخالاً أو موضعاً ﴿ كريماً ﴾ هو الجنة.

٣٢ ﴿ ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض ﴾ من جهة الدنيا أو الدين، لئلا يؤدي إلى التحاسد والتباغض ﴿ للرجال نصيب ﴾ ثواب ﴿ مما اكتسبوا ﴾ بسبب ما عملوا من الجهاد وغيره ﴿ وللنساء نصيب مما اكتسبن ﴾ من طاعة أزواجهن وحفظ فروجهن، نزلت لما قالت أم سلمة: ليتنا كنا رجالاً فجاهدنا، وكان لنا مثل أجر الرجال. ﴿ واسألوا ﴾ بهمزة ودونها(١) ﴿ الله من فضله ﴾ ما احتجتم إليه يعطكم ﴿ إن الله كان بكل شيء عليماً ﴾ ومنه مَحل الفضل(٢) وسؤالكم.

٣٣ ﴿ ولكل ﴾ من الرجال والنساء ﴿ جعلنا موالي ﴾ عَصَبَة(٣) يعطون ﴿ مما ترك الوالدان والأقربون ﴾ لهم من المال ﴿والذين عاقدت﴾ بألف ودونها ﴿ أيمانكم ﴾ جمع يمين، بمعنى القسم أو اليد، أي الحلفاء الذين عاهدتموهم في الجاهلية على النصرة والإرث ﴿ فآتوهم ﴾ الآن ﴿ نصيبهم ﴾ حظوظهم من الميراث وهو السدس(٤) ﴿ إن الله كان على كل شيءٍ شهيداً ﴾ مطلعاً، ومنه حالكم، وهذا(٥) منسوخ بقوله «وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض» /الأنفال: ٧٥/.

٣٤ ﴿ الرجال قوامون ﴾ مسلطون ﴿ على النساء ﴾ يؤدبونهن ويأخذون على أيديهن ﴿ بما فضل الله بعضهم على بعض ﴾ أي بتفضيله لهم عليهن بالعلم والعقل والولاية وغير ذلك ﴿ وبما أنفقوا ﴾ عليهن ﴿ من أموالهم فالصالحات ﴾ منهن ﴿ قانتات ﴾ مطيعات لأزواجهن ﴿ حافظات للغيب ﴾ أي لفروجهن وغيرها في غيبة أزواجهن ﴿بما حفظ﴾ـهن ﴿الله﴾ حيث أوصى عليهن الأزواج ﴿ واللاتي تخافون نشوزهن ﴾ عصيانهن لكم، بأن ظهرت أمارته(٦) ﴿ فعظوهن ﴾ فخوفوهن الله ﴿ واهجروهن في المضاجع ﴾ اعتزلوا إلى فراش آخر إن أظهرن النشوز ﴿ واضربوهن ﴾ ضرباً غير مبرح(٧) إن لم يرجعن بالهجران ﴿ فإن أطعنكم ﴾ فيما يراد منهن ﴿ فلا تبغوا﴾ تطلبوا ﴿عليهن سبيلاً﴾ طريقاً إلى ضربهن ظلماً

وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ۝٣٠ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ
عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ۝٣١
وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ
نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ
وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ۝٣٢
وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِىَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ۚ وَٱلَّذِينَ
عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ
شَىْءٍ شَهِيدًا ۝٣٣ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا
فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ
فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ
وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ
وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ

---

(١) أي ﴿ واسألوا ﴾ و﴿ سلوا ﴾.

(٢) وهو الأشياء التي ينعم بها عليكم، ويظهر بها فضله سبحانه.

(٣) هم الورثة الذين يأخذون ما فضل من التركة بعد أن يأخذ أصحاب الفروض المقدرة سهامهم.

(٤) كما كان متعارفاً بينهم.

(٥) أي التوارث بالتحالف، روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿ولكل جعلنا موالي﴾ قال: ورثة ﴿والذين عاقدت أيمانكم﴾ كان المهاجرون لما قدموا المدينة يرث المهاجر الأنصاري دون ذوي رحمه، للأخوة التي آخى النبي ﷺ بينهم، فلما نزلت ﴿ولكل جعلنا موالي﴾ نسخت، ثم قال ﴿والذين عاقدت أيمانكم﴾ من النصر والرفادة والنصيحة، وقد ذهب الميراث، ويوصي له. [التفسير/النساء، باب: ﴿ولكل جعلنا موالي﴾].

(٦) علامته.

(٧) غير شديد، بحيث لا يكسر عظماً ولا يعيب عضواً ولا يسيل دماً.

سبب نزول الآية [٣٢]: روى الحاكم، عن أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت: أيغزو الرجال ولا نغزو ولا نقاتل فنستشهد، وإنما لنا نصف الميراث؟ فأنزل الله: ﴿ولا تتمنوا ما فضّل الله به بعضكم على بعض﴾. [المستدرك: التفسير، باب: تفسير سورة النساء: ٢/٣٠٥].

سبب نزول الآية [٣٣]: قال مقاتل: نزلت هذه الآية في سعد بن الربيع، وكان من النقباء، وامرأته حبيبة بنت زيد بن أبي زهير، وهما من الأنصار، وذلك أنها نشزت عليه فلطمها، فانطلق أبوها معها إلى النبي ﷺ فقال: أفرشته كريمتي فلطمها. فقال النبي ﷺ: (لتقتص من زوجها). وانصرفت مع أبيها لتقتص منه، فقال النبي ﷺ: (ارجعوا، هذا جبريل عليه السلام أتاني). وأنزل الله تعالى هذه الآية، فقال رسول الله ﷺ: (أردنا أمراً وأراد الله أمراً، والذي أراد الله خير). ورفع القصاص. [الواحدي].

﴿ إن الله كان علياً كبيراً ﴾ فاحذروه أن يعاقبكم إن ظلمتموهن(١).

٣٥ ﴿وإن خفتم﴾ علمتم ﴿شقاق﴾ خلاف ﴿بينهما﴾ بين الزوجين، والإضافة للاتساع(٢)، أي شقاقاً بينهما ﴿ فابعثوا ﴾ إليهما برضاهما ﴿ حكماً ﴾ رجلاً عدلاً ﴿ من أهله ﴾ أقاربه ﴿ وحكماً من أهلها ﴾ ويوكل الزوج حكمه في طلاق وقبول عوض عليه، وتوكل هي حكمها في الاختلاع(٣)، فيجتهدان ويأمران الظالم بالرجوع، أو يفرقان إن رأياه(٤)، قال تعالى: ﴿ إن يريدا ﴾ أي الحكمان ﴿ إصلاحاً يوفق الله بينهما ﴾ بين الزوجين، أي يقدرهما على ما هو الطاعة من إصلاح أو فراق ﴿ إن الله كان عليماً ﴾ بكل شيء ﴿ خبيراً ﴾ بالبواطن كالظواهر.

٣٦ ﴿ واعبدوا الله ﴾ وحده ﴿ ولا تشركوا به شيئاً و ﴾ أحسنوا ﴿ بالوالدين إحساناً ﴾ براً ولين جانب ﴿ وبذي القربى ﴾ القرابة ﴿ واليتامى والمساكين والجار ذي القربى ﴾ القريب منك في الجوار أو النسب ﴿ والجار الجنب ﴾ البعيد عنك في الجوار أو النسب ﴿ والصاحب بالجنب ﴾ الرفيق في سفر أو صناعة، وقيل الزوجة ﴿ وابن السبيل ﴾ المنقطع في سفره ﴿ وما ملكت أيمانكم ﴾ من الأرقاء ﴿ إن الله لا يحب من كان مختالاً ﴾ متكبراً ﴿ فخوراً ﴾ على الناس بما أوتي(٥).

٣٧ ﴿ الذين ﴾ مبتدأ ﴿ يبخلون ﴾ بما يجب عليهم ﴿ ويأمرون الناس بالبخل ﴾ به ﴿ ويكتمون ما آتاهم الله من فضله ﴾ من العلم والمال، وهم اليهود، وخبر المبتدأ محذوف وتقديره: معذبون، دل عليه قوله ﴿ وأعتدنا للكافرين ﴾ بذلك وبغيره ﴿ عذاباً مهيناً ﴾ ذا إهانة.

٣٨ ﴿ والذين ﴾ عطف على الذين قبله ﴿ ينفقون أموالهم رئاء الناس ﴾ مرائين لهم(٦) ﴿ ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ﴾ كالمنافقين وأهل مكة ﴿ ومن يكن الشيطان له قريناً ﴾ صاحباً يعمل بأمره كهؤلاء ﴿ فساء ﴾ بئس ﴿ قريناً ﴾ هو.

٣٩ ﴿ وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر

(الجـــزء الخامس) ١٠٦

إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا
فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا
يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾ * وَٱعْبُدُوا۟
ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى
ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ
ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ
أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾
ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ
ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾
وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ
وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ
قَرِينًا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ

---

(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله، أي النساء خير؟ قال: (التي تسره إذا نظر إليها، وتطيعه إذا أمر، ولا تخالفه فيما يكره في نفسها ولا في ماله) [أحمد: ٢/٤٣٢]. وروى البخاري ومسلم عنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (استوصوا بالنساء خيراً، فإن المرأة خلقت من ضلع أعوج، وإن أعوج ما في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء) [البخاري: النكاح، باب: الوصاة بالنساء، رقم: ٤٨٩٠. مسلم: الرضاع، باب: الوصية بالنساء، رقم ١٤٦٨].

(٢) أي توسعاً في باب الإضافة لأن الأصل هنا عدم الإضافة.

(٣) هو تفريق على مال تعطيه المرأة للرجل، ويكون بلفظ الخلع أو الطلاق.

(٤) أي التفريق، وأن المصلحة فيه.

(٥) أي بسبب ما أعطاه الله تعالى من نِعَم، كان ينبغي عليه أن يشكرها ويستعملها في مرضاة الله عزّ وجلّ، ومن دلائل هذا الشكر: صدقه في عبادة الله تبارك وتعالى، وحسن صلته بمن ذكرتهم الآية، فإذا لم يكن منه ذلك كان هذا عنوان الإعراض عن الله عزّ وجلّ والتعالي على خلق الله تعالى

(٦) وهذا شرك عملي لا يقبل الله عزّ وجلّ معه العمل. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه) أي لا يثيبه عليه، بل يعاقبه على قصده غير الله تعالى بعمله.
[مسلم: الزهد، باب: من أشرك في عمله غير الله، رقم: ٢٩٨٥].

سبب نزول الآية [٣٧]: عن سعيد بن جبير: أنها نزلت في علماء بني إسرائيل، كانوا يبخلون بما عندهم من العلم. وقال الكلبي: هم اليهود، بخلوا أن يصدقوا في بيان صفة محمد ﷺ في كتابهم.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت في جماعة من اليهود، كانوا يأتون رجالاً من الأنصار ينصحون لهم فيقولون: لا تنفقوا أموالكم، فإنا نخشى عليكم الفقر في ذهابها، ولا تسارعوا في النفقة، فإنكم لا تدرون ما يكون. [السيوطي، الواحدي].

وأنفقوا مما رزقهم الله ﴾ أي أيُّ ضرر عليهم في ذلك، والاستفهام للإنكار ولو مصدرية(١)، أي لا ضرر فيه، وإنما الضرر فيما هم عليه ﴿ وكان الله بهم عليماً ﴾ فيجازيهم بما عملوا.

٤٠ ﴿ إن الله لا يظلم ﴾ أحداً ﴿ مثقال ﴾ وزن ﴿ ذرة ﴾ أصغر نملة، بأن ينقصها من حسناته أو يزيدها في سيئاته ﴿وإن تك﴾ الذرة ﴿حسنة﴾ من مؤمن، وفي قراءة بالرفع فكان تامة(٢) ﴿يضاعفها﴾ من عشر إلى أكثر من سبعمائة، وفي قراءة «يضعِّفها» بالتشديد ﴿ ويؤت من لدنه ﴾ من عنده مع المضاعفة ﴿ أجراً عظيماً ﴾ لا يقدره أحد(٣).

٤١ ﴿ فكيف ﴾ حال الكفار ﴿ إذا جئنا من كل أمة بشهيد ﴾ يشهد عليها بعملها، وهو نبيُّها ﴿ وجئنا بك ﴾ يا محمد ﴿ على هؤلاء شهيداً ﴾.

٤٢ ﴿ يومئذٍ ﴾ يوم المجيء ﴿ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو ﴾ أي أن ﴿ تسوى ﴾ بالبناء للمفعول والفاعل، مع حذف إحدى التاءين في الأصل ومع ادغامها في السين(٤)، أي تتسوى ﴿ بهم الأرض ﴾ بأن يكونوا تراباً مثلها، لعظم هوله، كما في آية أخرى «ويقول الكافر يا ليتني كنت تراباً»/ النبأ: ٤٠/ ﴿ ولا يكتمون الله حديثاً ﴾ مما عملوه، وفي وقت آخر يكتمونه ويقولون: «والله ربنا ما كنا مشركين» /الأنعام: ٢٣/.

٤٣ ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة ﴾ أي لا تصلوا ﴿ وأنتم سكارى ﴾ من الشراب، لأن سبب نزولها صلاة جماعة في حالة السكر ﴿ حتى تعلموا ما تقولون ﴾ بأن تصحُوا ﴿ ولا جنباً ﴾ بإيلاج أو إنزال(٥)، ونصبه على الحال، وهو يطلق على المفرد وغيره ﴿ إلا عابري ﴾ مجتازي ﴿ سبيل ﴾ طريق، أي مسافرين ﴿ حتى تغتسلوا ﴾ فلكم أن تصلوا، واستثناء المسافر لأن له حكماً آخر سيأتي، وقيل: المراد النهي عن قربان مواضع الصلاة - أي المساجد - إلا عبورها من غير مكث ﴿ وإن كنتم مرضى ﴾ مرضاً يضره الماء ﴿ أو على سفر ﴾ أي مسافرين وأنتم جنب أو محدثون ﴿ أو جاء أحد منكم من الغائط ﴾ هو المكان المعد لقضاء الحاجة، أي أحدث ﴿ أو لامستم النساء ﴾ وفي قراءة بلا ألف، وكلاهما بمعنى اللمس وهو الجس باليد، قاله ابن عمر وعليه الشافعي، وألحق به الجس بباقي البشرة، وعن ابن عباس: هو الجماع ﴿ فلم تجدوا ماء ﴾ تتطهرون به للصلاة بعد الطلب والتفتيش، وهو راجع إلى ما عدا المرضى ﴿ فتيمموا ﴾ اقصدوا بعد دخول الوقت ﴿ صعيداً طيباً ﴾ تراباً طاهراً، فاضربوا منه ضربتين ﴿ فامسحوا بوجوهكم وأيديكم ﴾ مع المرفقين، منه، ومسح يتعدى بنفسه وبالحرف ﴿إن الله كان عفواً غفوراً﴾.

٤٤ ﴿ ألم ترَ إلى الذين أوتوا نصيباً ﴾ حظاً ﴿ من=

وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا (٣٩) إِنَّ ٱللَّهَ
لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ
مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا (٤٠) فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ
بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا (٤١) يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا
يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا (٤٢) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟
ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا
إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا۟ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ
عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ
ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟
بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا (٤٣)
أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ

---

(١) تسبك ما بعدها بمصدر، والتقدير: لا ضرر عليهم في إيمانهم.. وإنفاقهم..

(٢) فيكون المعنى: وإن وجدت حسنة. فقوله ﴿حسنة﴾ فاعل.

(٣) روى مسلم [صفات المنافقين وأحكامهم، باب: جزاء المؤمن بحسناته..، رقم: ٢٨٠٨] عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة، يعطى بها في الدنيا ويجزى بها في الآخرة. وأما الكافر فيعطى بحسنات قد عمل بها لله في الدنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يجزى بها).

(٤) فالقراءات ثلاث ﴿تُسَوَّى﴾ و ﴿تَسَوَّى﴾ و ﴿تَسَّوَّى﴾.

(٥) أي بإدخال حشفة الذكر في الفرج وإن لم ينزل، أو بنزول المني ولو بدون إدخال.

سبب نزول الآية [٤٣]: عن عليّ رضي الله عنه قال: صنع لنا عبد الرحمن بن عوف طعاماً، فدعانا وسقانا من الخمر، فأخذت الخمر منا، وحضرت الصلاة فقدّموني، فقرأت: ﴿ قل يا أيها الكافرون. لا أعبد ما تعبدون ﴾ ونحن نعبد ما تعبدون، فأنزل الله: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا.. ﴾

[الترمذي: تفسير القرآن، باب: ومن سورة النساء، رقم: ٣٠٢٩، كما أخرجه أبو داود والنسائي والحاكم].

وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، حتى إذا كنا بالبيداء، أو بذات الجيش، انقطع عقد لي،

الكتاب ﴾ وهم اليهود ﴿ يشترون الضلالة ﴾ بالهدى ﴿ ويريدون أن تضلوا السبيل ﴾ تخطئوا الطريق الحق لتكونوا مثلهم.

٤٥ ﴿ والله أعلم بأعدائكم ﴾ منكم فيخبركم بهم لتجتنبوهم ﴿ وكفى بالله ولياً ﴾ حافظاً لكم منهم ﴿ وكفى بالله نصيراً ﴾ مانعاً لكم من كيدهم.

٤٦ ﴿ من الذين هادوا ﴾ قوم ﴿ يحرفون ﴾ يغيرون ﴿ الكلم ﴾ الذي أنزل الله في التوراة من نعت محمد ﷺ ﴿ عن مواضعه ﴾ التي وضع عليها﴿ ويقولون ﴾ للنبي ﷺ إذا أمر بشيء ﴿ سمعنا ﴾ قولك ﴿ وعصينا ﴾ أمرك ﴿ واسمع غير مسمع ﴾ حال بمعنى الدعاء، أي لا سمعت ﴿ و ﴾ يقولون له ﴿ راعنا ﴾ وقد نهي عن خطابه بها(١)، وهي كلمة سب بلغتهم(٢) ﴿ليًا ﴾ تحريفاً ﴿ بألسنتهم وطعناً ﴾ قدحاً ﴿ في الدين ﴾ الإسلام ﴿ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا﴾ بدل وعصينا ﴿ واسمع ﴾ فقط ﴿ وانظرنا ﴾ انظر إلينا بدل راعنا ﴿ لكان خيراً لهم ﴾ مما قالوه ﴿ وأقوم ﴾ أعدل منه ﴿ ولكن لعنهم الله ﴾ أبعدهم عن رحمته ﴿ بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً ﴾منهم،كعبد الله بن سلام وأصحابه،رضي الله عنهم.

٤٧ ﴿ يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما أنزلنا ﴾ من القرآن ﴿ مصدقاً لما معكم ﴾ من التوراة ﴿ من قبل أن نطمس وجوهاً ﴾نمحو ما فيها من العين والأنف والحاجب ﴿ فنردها على أدبارها ﴾ فنجعلها كالأقفاء لوحاً واحداً ﴿ أو نلعنهم ﴾ نمسخهم قردة ﴿ كما لعنا ﴾ مسخنا ﴿ أصحاب السبت ﴾(٣) منهم ﴿ وكان أمر الله ﴾ قضاؤه ﴿ مفعولاً ﴾. ولما نزلت أسلم عبدالله بن سلام، فقيل: كان وعيداً بشرط، فلما أسلم بعضهم رفع. وقيل: يكون طمس ومسخ قبل قيام الساعة.

٤٨ ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك ﴾ أي الإشراك ﴿ به ويغفر ما دون ﴾ سوى ﴿ ذلك ﴾ من الذنوب ﴿ لمن يشاء ﴾ المغفرة له، بأن يدخله الجنة بلا عذاب، ومن شاء عذبه من المؤمنين بذنوبه ثم يدخله الجنة ﴿ ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً ﴾ ذنباً ﴿ عظيماً ﴾ كبيراً.

٤٩ ﴿ ألم ترَ إلى الذين يزكون أنفسهم ﴾ وهم اليهود(٤) حيث قالوا: «نحن أبناء الله وأحباؤه» /المائدة: ١٨/: أي ليس الأمر بتزكيتهم أنفسهم ﴿ بل الله

(الجـزء الخامس)　　١٠٨

ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ
بِأَعْدَآئِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾ مِّنَ
ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا
وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا
فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ
خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ
إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا
نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا
عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ
ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ
مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ
إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ

---

(١) أي نهى الله تعالى المؤمنين عن خطاب النبي ﷺ بهذه الكلمة فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا﴾ /البقرة: ١٠٤/.

(٢) ومعناها الرُّعونة، وهي الحمق والطيش.

(٣) الذين اعتدوا فيه باحتيالهم في صيد الأسماك. انظر /الأعراف: ١٦٣/.

(٤) وممن قال هذا القول أيضاً النصارى، كما جاء في أول الآية المذكورة: ﴿وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه..﴾.

فأقام رسول الله ﷺ على التماسه، وأقام الناس معه، وليسوا على ماء وليس معهم ماء، فأتى الناس إلى أبي بكر الصديق فقالوا: ألا ترى ما صنعت عائشة، أقامت برسول الله ﷺ وبالناس، وليسوا على ماء وليس معهم ماء؟ فجاء أبو بكر ورسول الله ﷺ واضع رأسه على فخذي قد نام، فقال: حبست رسول الله والناس، وليسوا على ماء وليس معهم ماء؟ قالت عائشة: فعاتبني أبو بكر وقال ما شاء الله أن يقول: فجعل يطعنني بيده في خاصرتي، ولا يمنعني من التحرك إلا مكان رسول الله ﷺ على فخذي، فقام رسول الله ﷺ حين أصبح على غير ماء، فأنزل الله تعالى آية التيمم، فقال أسيد بن حضير: ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر. قالت: فبعثنا البعير الذي كنت عليه فوجدنا العقد تحته.

[البخاري: التفسير/النساء، باب: قوله: ﴿فلم تجدوا ماءً فتيمموا صعيداً طيباً﴾ رقم: ٤٣٣١. ومسلم: الحيض، باب: التيمم، رقم: ٣٦٧].

(بالبيداء أو بذات الجيش) موضعان بين مكة والمدينة. (التماسه) طلبه والبحث عنه. (ليسوا على ماء) ليس في المكان الذي أقاموا فيه ماء. (فعاتبني) لامني وأنبني. (يطعنني) يضربني برؤوس أصابعه. (إلا مكان..) كونه نائماً على فخذي، فلم أتحرك كي لا أوقظه ولا أزعجه. (بأول بركتكم) ليس هذا أول خير يكون للأمة بسببكم، والبركة كثرة الخير.

سبب نزول الآية [٤٩]: قال الكلبي: نزلت في رجال من اليهود، أتوا رسول الله ﷺ بأطفالهم وقالوا: يا محمد، هل على أولادنا هؤلاء من ذنب؟ قال: (لا). فقالوا: والذي نحلف به ما نحن إلا كهيئتهم، ما من ذنب نعمله بالنهار إلا كفر عنا بالليل، وما من ذنب نعمله بالليل إلا كفر عنا بالنهار. فهذا الذي زكوا به أنفسهم. [الواحدي] (كهيئتهم) مثل حالهم. (زكوا به..) مدحوا به أنفسهم وطهروها وأثنوا عليها.

يزكي ﴾ يطهر ﴿ من يشاء ﴾ بالإيمان ﴿ ولا يظلمون ﴾ ينقصون من أعمالهم ﴿ فتيلاً ﴾ قدر قشرة النواة(١).

٥٠ ﴿ انظر ﴾ متعجباً ﴿ كيف يفترون على الله الكذب ﴾ بذلك ﴿ وكفى به إثماً مبيناً ﴾ بيناً.

٥١ ونزل في كعب بن الأشرف ونحوه من علماء اليهود ـ لما قدموا مكة، وشاهدوا قتلى بدر، وحرضوا المشركين على الأخذ بثأرهم، ومحاربة النبي ﷺ ـ ﴿ ألم ترَ إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ﴾ صنمان لقريش(٢) ﴿ويقولون للذين كفروا﴾ أبي سفيان وأصحابه، حين قالوا لهم: أنحن أهدى سبيلاً، ونحن ولاة البيت: نسقي الحاج ونقري الضيف ونفك العاني ونفعل. . .؟ أم محمد، وقد خالف دين آبائه وقطع الرحم وفارق الحرم؟ ﴿ هؤلاء ﴾ أي أنتم ﴿ أهدى من الذين آمنوا سبيلاً ﴾ أقوم طريقاً.

٥٢ ﴿ أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعنـ ﴾ ـه ﴿ الله فلن تجد له نصيراً ﴾ مانعاً من عذابه.

٥٣ ﴿ أم ﴾ بل أ ﴿ لهم نصيب من الملك ﴾ أي ليس لهم شيء منه، ولو كان ﴿فإذاً لا يؤتون الناس نقيراً ﴾ أي شيئاً تافهاً قدر النقرة في ظهر النواة، لفرط بخلهم(٣).

يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ٱنظُرۡ كَيۡفَ
يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثۡمٗا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾
أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ
وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ
مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ
وَمَن يَلۡعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ أَمۡ لَهُمۡ نَصِيبٞ
مِّنَ ٱلۡمُلۡكِ فَإِذٗا لَّا يُؤۡتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمۡ يَحۡسُدُونَ
ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۖ فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ ءَالَ
إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَءَاتَيۡنَٰهُم مُّلۡكًا عَظِيمٗا ﴿٥٤﴾
فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن صَدَّ عَنۡهُۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ
سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا
كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ

٥٤ ﴿ أم ﴾ بل أ ﴿ يحسدون الناس ﴾ أي النبي ﷺ ﴿ على ما آتاهم الله من فضله ﴾ من النبوة وكثرة النساء، أي يتمنون زواله عنه، ويقولون: لو كان نبياً لاشتغل عن النساء ﴿ فقد آتينا آل إبراهيم ﴾ جده، كموسى وداود وسليمان ﴿ الكتاب والحكمة ﴾ والنبوة ﴿ وآتيناهم ملكاً عظيماً ﴾ فكان لداود تسع وتسعون امرأة ولسليمان ألف ما بين حرة وسُرِّيَّة(٤).

٥٥ ﴿ فمنهم من آمن به ﴾ بمحمد ﷺ(٥) ﴿ ومنهم من صد ﴾ أعرض ﴿ عنه ﴾ فلم يؤمن ﴿ وكفى بجهنم سعيراً ﴾ عذاباً لمن لا يؤمن.

٥٦ ﴿ إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ﴾ ندخلهم ﴿ ناراً ﴾ يحترقون فيها ﴿ كلما نضجت ﴾ احترقت ﴿ جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ﴾ بأن تعاد إلى حالها الأول غير محترقة ﴿ ليذوقوا

---

(١) الأصح: أن الفتيل هو الخيط الذي في شق النواة طولاً، وقشرتها هو القطمير.

(٢) وقيل: الجبت كل ما حرم الله تعالى، ومنه ما عبد من دون الله. والطاغوت: كل شر يطغي الإنسان، صيغة مبالغة من الطغيان. وهذا التفسير أعم وأولى.

(٣) أي لبخلهم الشديد البالغ نهايته.

(٤) هي الأمَة التي يطؤها سيدها، مأخوذة من السر وهو الإخفاء، لأن الإنسان كثيراً ما يسرها ويسترها عن حرته. وقيل: مأخوذة من السرور لأنه يُسَر بها. (٥) أو بما أنزل عليه من حديث إبراهيم وآله عليهم الصلاة والسلام.

فائدة: في ترك المدح والتمادح.

عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: أثنى رجل على رجل عند النبي ﷺ فقال: «ويلك، قطعت عنق صاحبك، قطعت عنق صاحبك» مراراً، ثم قال: «من كان منكم مادحاً أخاه لا محالة فليقل: أحسِب فلاناً، والله حسيبه، ولا أزكي على الله أحداً، أحسِبه كذا وكذا، إن كان يعلم ذلك منه» [البخاري: الشهادات، باب: إذا زكى رجل رجلاً كفاه، رقم: ٢٥١٩. مسلم: الزهد والرقائق، باب: النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط، رقم: ٣٠٠٠]. [أثنى: مدح. ويلك. الويل الحزن والهلاك، ويستعمل بمعنى التفجع والتعجب. قطعت عنق صاحبك: تسببت بهلاكه، لأنه ربما أخذه العجب بسبب مدحك له. مراراً: أي كرر قوله مرات. لا محالة: لابد منه ألبتة. أحسب: أظن. حسيبه: كافيه. لا أزكي على الله أحداً: لا أجزم على عاقبة أحد بخير أو غيره].

وعن همام بن الحارث: أن رجلاً جعل يمدح عثمان، فعمد المقداد فجثا على ركبتيه، وكان رجلاً ضخماً، فجعل يحثو في وجهه الحصباء، فقال له=

سبب نزول الآية [٥١]: عن عكرمة قال: جاء حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف إلى أهل مكة، فقالوا لهم: أنتم أهل الكتاب وأهل العلم القديم، فأخبرونا عنا وعن محمد؟ فقالوا: ما أنتم وما محمد؟ قالوا: نحن ننحر الكوماء، ونسقي اللبن على الماء، ونفك العاني، ونصل الأرحام، ونسقي الحجيج، وديننا القديم ودين محمد الحديث. قالا: بل أنتم خير منه وأهدى سبيلاً. فأنزل الله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ومنْ يلْعَنِ الله فلنْ تجدَ له نصيراً﴾ [الواحدي]. (الكوماء) الناقة العالية السنام، وهو دليل عظمها وسمنها. (على الماء) أي حين نأتي بالماشية لتشرب نحلبها ونعطي من لبنها من حضر من الفقراء. و(نفك العاني) نسعى في تخليص الأسير من الأسر.

العذاب ﴾ ليقاسوا شدته ﴿ إن الله كان عزيزاً ﴾ لا يعجزه شيء ﴿ حكيماً ﴾ في خلقه.

٥٧ ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً لهم فيها أزواج مطهرة ﴾ من الحيض وكل قذر ﴿ وندخلهم ظلاً ظليلاً ﴾ دائماً لا تنسخه شمس، وهو ظل الجنة.

٥٨ ﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات ﴾ أي ما اؤتمنتم عليه من الحقوق ﴿ إلى أهلها ﴾ نزلت لما أخذ علي رضي الله عنه مفتاح الكعبة من عثمان بن طلحة الحجبي سادنها قسراً، لما قدم النبي ﷺ مكة عام الفتح، ومنعه وقال: لو علمت أنه رسول الله لم أمنعه(١). فأمر رسول الله ﷺ برده إليه وقال: (هاك، خالدة تالدة)(٢). فعجب من ذلك، فقرأ له علي الآية فأسلم، وأعطاه عند موته لأخيه شيبة، فبقي في ولده. والآية وإن وردت على سبب خاص فعمومها معتبر بقرينة الجمع(٣) ﴿وإذا حكمتم بين الناس ﴾ يأمركم ﴿ أن تحكموا بالعدل إن الله نعمّا ﴾ فيه إدغام ميم نِعْمَ في ما النكرة الموصوفة، أي نعم شيئاً ﴿ يعظكم به ﴾ تأدية الأمانة والحكم بالعدل ﴿ إن الله كان سميعاً ﴾ لما يقال ﴿ بصيراً ﴾ بما يفعل.

٥٩ ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي ﴾ وأصحاب ﴿ الأمر ﴾ أي الولاة ﴿ منكم ﴾ إذا أمروكم بطاعة الله ورسوله ﴿ فإن تنازعتم ﴾ اختلفتم ﴿ في شيء فردوه إلى الله ﴾ أي إلى كتابه ﴿ والرسول ﴾ مدة حياته، وبعده إلى سنّته، أي اكشفوا عليه منهما ﴿ إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك ﴾ أي الرد إليهما ﴿ خير ﴾ لكم من التنازع والقول بالرأي ﴿ وأحسن تأويلاً ﴾ مآلاً.

٦٠ ونزل ـ لما اختصم يهودي ومنافق، فدعا المنافق إلى كعب بن الأشرف ليحكم بينهما، ودعا اليهودي إلى النبي ﷺ، فأتياه فقضى لليهودي، فلم يرض المنافق، وأتيا عمر، فذكر له اليهودي ذلك، فقال للمنافق: أكذلك قال؟ قال: نعم، فقتله(٤) ـ ﴿ ألم ترَ إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت ﴾ الكثير الطغيان، وهو كعب بن الأشرف ﴿ وقد أمروا أن يكفروا به ﴾ ولا يوالوه

ٱلْعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا
ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌۖ
وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾ * إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟
ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟
بِٱلْعَدْلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا
بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟
ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ
إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِۚ
ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ
أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ
أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ

---

(١) فلوى علي رضي الله عنه يده وأخذ منه المفتاح وفتح الباب، ودخل رسول الله ﷺ. وقد روى دخوله ﷺ بعد أخذه المفتاح من عثمان البخاري في فتح مكة ومسلم في الحج.

(٢) أي خذ خدمة البيت مستمرة فيكم في المستقبل، كما كانت متأصلة فيكم قديماً. وذكر هذا السبب البغوي في تفسيره.

(٣) أي إنّ الآية عامة في الأمر بأداء الأمانات، يتناول الأمر فيها الأمة على مر الأزمان، كما يتناول جميع الأمانات، بدليل الجمع في ﴿يأمركم﴾ وفي ﴿الأمانات﴾.

(٤) ذكر هذا السبب الواحدي في كتابه: أسباب النزول.

=عثمان: ما شأنك ؟ فقال: إن رسول الله ﷺ قال: «إذا رأيتم المداحين، فاحثوا في وجوههم التراب». [مسلم: الزهد والرقائق، باب: النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط. .، رقم: ٣٠٠٢]. هذا الحديث قد حمله المقداد رضي الله عنه الذي هو راويه على ظاهره ووافقه طائفة، وكانوا يحثون التراب في وجهه حقيقة. وقال آخرون: معناه خيبوهم فلا تعطوهم شيئاً لمدحهم.

سبب نزول الآية [٥٨]: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما فتح رسول الله ﷺ مكة دعا عثمان بن طلحة، فلما أتاه قال: أرني المفتاح، فأتاه به، فلما بسط يده إليه قام العباس فقال: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، اجمعه لي مع السقاية. فكفّ عثمان يده، فقال رسول الله ﷺ: (هات المفتاح يا عثمان). فقال: هاك أمانة الله. فقام ففتح الكعبة، ثم خرج فطاف بالبيت، ثم نزل عليه جبريل بردّ المفتاح، فدعا عثمان بن طلحة فأعطاه المفتاح، ثم قال: ﴿إن الله يأمركم أن تؤدّوا الأمانات إلى أهلها ﴾ حتى فرغ من الآية. [السيوطي].

سبب نزول الآية [٥٩]: أخرج البخاري [التفسير/النساء، باب: قوله ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول. .﴾ رقم: ٤٣٠٨] ومسلم [الإمارة، باب: وجوب طاعة الأمراء في غير معصية. .، رقم: ١٨٣٤] عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿أطيعوا الله. .﴾ قال: نزلت في عبد الله بن حذافة بن قيس ابن عدي، إذ بعثه النبي ﷺ في سرية.

وقد جاء في سيرة ابن هشام [سرية علقمة بن مجزز] أنه أوقد ناراً وأمرهم أن يدخلوا فيها، فبين ﷺ أنه لا طاعة في معصية.

﴿ ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً ﴾ عن الحق.

٦١ ﴿ وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله ﴾ في القرآن من الحكم ﴿ وإلى الرسول ﴾ ليحكم بينكم ﴿ رأيت المنافقين يصدون ﴾ يعرضون ﴿ عنك ﴾ إلى غيرك ﴿ صدوداً ﴾.

٦٢ ﴿ فكيف ﴾ يصنعون ﴿ إذا أصابتهم مصيبة ﴾ عقوبة ﴿ بما قدمت أيديهم ﴾ من الكفر والمعاصي، أي أيقدرون على الإعراض والفرار منها؟ لا ﴿ ثم جاؤوك ﴾(١) معطوف على يصدون(٢) ﴿ يحلفون بالله إن ﴾ ما ﴿ أردنا ﴾ بالمحاكمة إلى غيرك ﴿ إلا إحساناً ﴾ صلحاً ﴿ وتوفيقاً ﴾ تأليفاً بين الخصمين بالتقريب في الحكم، دون الحمل على مُرِّ الحق(٣).

٦٣ ﴿ أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم ﴾ من النفاق، وكذبهم في عذرهم ﴿ فأعرض عنهم ﴾ بالصفح ﴿ وعظهم ﴾ خوفهم الله ﴿ وقل لهم في ﴾ شأن ﴿ أنفسهم قولاً بليغاً ﴾ مؤثراً فيهم، أي ازجرهم ليرجعوا عن كفرهم.

٦٤ ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع ﴾ فيما يأمر به ويحكم ﴿ بإذن الله ﴾ بأمره، لا ليعصى ويخالف ﴿ ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم ﴾ بتحاكمهم إلى الطاغوت ﴿ جاؤوك ﴾ تائبين ﴿ فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول ﴾ فيه التفات عن الخطاب(٤) تفخيماً لشأنه(٥) ﴿ لوجدوا الله تواباً ﴾ عليهم ﴿ رحيماً ﴾ بهم.

٦٥ ﴿ فلا ﴾ لا زائدة ﴿ وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر ﴾ اختلط ﴿ بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً ﴾ ضيقاً أو شكاً ﴿ مما قضيت ﴾ به ﴿ ويسلموا ﴾ ينقادوا لحكمك ﴿ تسليماً ﴾ من غير معارضة.

٦٦ ﴿ ولو أنا كتبنا عليهم(٦) أن ﴾ مفسرة ﴿ اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ﴾ كما كتبنا على بني إسرائيل

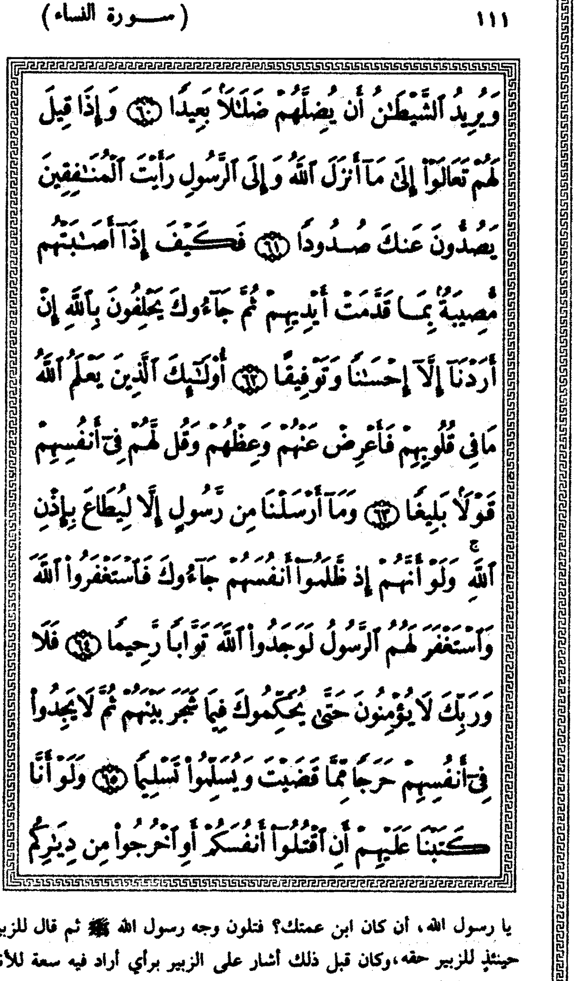
١١١ (سورة النساء)

وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ
لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ
يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم
مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ
أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ
مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ
قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ
ٱللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ
وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا
وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ
فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّا
كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم

سبب نزول الآية [٦٥]: عن عروة بن الزبير عن أبيه ـ رضي الله عنه ـ أنه كان يحدث: أنه خاصم رجلاً من الأنصار قد شهد بدراً إلى النبي ﷺ في شراج من الحرة، كانا يسقيان بها كلاهما، فقال النبي ﷺ للزبير: (اسق يا زبير، ثم أرسل إلى جارك). فغضب الأنصاري فقال: يا رسول الله، أن كان ابن عمتك؟ فتلون وجه رسول الله ﷺ ثم قال للزبير: (اسق، ثم احبس الماء حتى يبلغ الجدر). فاستوعى رسول الله ﷺ حينئذٍ للزبير حقه، وكان قبل ذلك أشار على الزبير برأي أراد فيه سعة للأنصاري وله، فلما أحفظ الأنصاري رسول الله ﷺ استوعى للزبير حقه في صريح الحكم. قال عروة: قال الزبير: والله ما أحسب هذه الآية نزلت إلا في ذلك: ﴿فلا وربك لا يؤمنون..﴾

[البخاري: الصلح، باب: إذا أشار الإمام بالصلح فأبى حكم عليه بالحكم البين، رقم: ٢٥٦١. مسلم: الفضائل، باب: وجوب اتباعه ﷺ، رقم ٢٣٥٧].

(شِراج الحرة) جمع شَرْج، وهو مسيل الماء من مرتفع إلى سهل. والحرة: هي الأرض الصلبة الغليظة ذات الحجارة السوداء، والمدينة بين حرتين. (أن كان..) أي حكمت له بذلك محاباة، لأنه ابن عمتك. قال ذلك وهو مغضب، وكان ذلك زلة منه رضي الله عنه. (فتلون..) أي ظهر عليه الغضب من هذا الاتهام الذي لا يليق به ﷺ. (الجدر) الحواجز التي تحبس الماء، حتى يستوفي تمام حقه. (أحفظ) أغضب وأثار حفيظته. (صريح الحكم) أي في الحكم الواضح الصريح.

سبب نزول الآية [٦٦]: أخرج ابن جرير عن السدّي قال: لما نزلت: ﴿ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم ..﴾ افتخر ثابت بن قيس بن شماس ورجل من اليهود، فقال اليهودي: والله لقد كتب الله علينا أن اقتلوا أنفسكم فقتلنا أنفسنا، فقال ثابت: والله لو كتب الله علينا أن اقتلوا أنفسكم لقتلنا أنفسنا، فأنزل الله: ﴿ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم وأشدّ تثبيتاً﴾.

---

(١) أي أولياء المنافق القتيل، أو من كان على شاكلته في النفاق.

(٢) أي يعرضون عن حكمك ثم يأتونك معتذرين، وما بين المعطوف والمعطوف عليه كلام معترض.

(٣) أي على الحق الذي لا تساهل فيه، وفي ذلك صعوبة على النفوس ومرارة.

(٤) أي لم يقل: واستغفرت لهم، بصيغة المخاطب، بل قال ﴿واستغفر..﴾ بصيغة الغيبة.

(٥) بذكره بوصف الرسالة، وهو أعظم صفاته.

(٦) أمرناهم بذلك وأوجبناه عليهم.

﴿ ما فعلوه ﴾ أي المكتوب عليهم ﴿ إلا قليل ﴾ بالرفع على البدل⁽¹⁾، والنصب على الاستثناء ﴿ منهم ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به ﴾ من طاعة الرسول ﴿ لكان خيراً لهم وأشد تثبيتاً ﴾ تحقيقاً لإيمانهم.

٦٧ ﴿ وإذاً ﴾ أي لو ثبتوا ﴿ لآتيناهم من لدنا ﴾ من عندنا ﴿ أجراً عظيماً ﴾ هو الجنة.

٦٨ ﴿ ولهديناهم صراطاً مستقيماً ﴾.

٦٩ قال بعض الصحابة للنبي ﷺ: كيف نراك في الجنة، وأنت في الدرجات العلا، ونحن أسفل منك؟ فنزل ﴿ ومن يطع الله والرسول﴾ فيما أمر به ﴿ فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين ﴾ أفاضل أصحاب الأنبياء، لمبالغتهم في الصدق والتصديق ﴿ والشهداء ﴾ القتلى في سبيل الله ﴿ والصالحين ﴾ غير من ذكر ﴿ وحسن أولئك رفيقاً ﴾ رفقاء في الجنة، بأن يستمتع فيها برؤيتهم وزيارتهم والحضور معهم، وإن كان مقرهم في الدرجات العالية بالنسبة إلى غيرهم.

٧٠ ﴿ ذلك ﴾ أي كونه مع من ذكر، مبتدأ خبره ﴿ الفضل من الله ﴾ تفضل به عليهم، لا أنهم نالوه بطاعتهم ﴿ وكفى بالله عليماً ﴾ بثواب الآخرة، أي فثقوا بما أخبركم به «ولا ينبئك مثل خبير»/ فاطر: ١٤/.

٧١ ﴿ يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم ﴾ من عدوكم، أي احترزوا منه وتيقظوا له ﴿ فانفروا ﴾ انهضوا إلى قتاله ﴿ ثبات ﴾⁽²⁾ متفرقين، سرية⁽³⁾ بعد أخرى ﴿ أو انفروا جميعاً ﴾ مجتمعين.

٧٢ ﴿ وإن منكم لمن ليبطئن ﴾ ليتأخرنّ عن القتال، كعبد الله بن أُبَيّ المنافق وأصحابه، وجعله منهم من حيث الظاهر، واللام في الفعل للقسم ﴿ فإن أصابتكم مصيبة ﴾ كقتل وهزيمة ﴿ قال قد أنعم الله عليّ إذ لم أكن معهم شهيداً ﴾ حاضراً فأصاب.

٧٣ ﴿ ولئن ﴾ لام قسم ﴿ أصابكم فضل من الله ﴾ كفتح وغنيمة ﴿ ليقولن ﴾ نادماً ﴿ كأن ﴾ مخففة واسمها محذوف، أي كأنه ﴿لم يكن﴾ بالياء والتاء⁽⁴⁾ ﴿بينكم وبينه مودة ﴾ معرفة وصداقة، وهذا راجع إلى قوله: قد أنعم الله عليّ، اعترض به بين القول ومقوله، وهو ﴿ يا ﴾ للتنبيه ﴿ ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً ﴾ آخذ حظاً وافراً من الغنيمة.

٧٤ قال تعالى: ﴿ فليقاتل في سبيل الله ﴾ لإعلاء دينه

مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ
لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن
لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾
وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ
عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ
وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ
وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ
فَٱنفِرُوا۟ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُوا۟ جَمِيعًا ﴿٧١﴾ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن
لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَىَّ إِذْ لَمْ
أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ
لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ
مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ * فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ

---

(١) من الواو في ﴿فعلوه﴾.

(٢) جمع ثبة وهي الجماعة من الرجال فوق العشرة، أي جماعات متفرقين.

(٣) هي القطعة من الجيش، سميت بذلك لأنها يكون فيها سراة القوم، أي أشرافهم.

(٤) أي ﴿يكن﴾ على التذكير، و﴿تكن﴾ على التأنيث، وهما قراءتان متواترتان.

فائدة: عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بينما أنا والنبي ﷺ خارجان من المسجد فلقينا رجلاً عند سدة المسجد، فقال: يارسول الله، متى الساعة؟ قال النبي ﷺ: «ما أعددت لها؟». فكأن الرجل استكان، ثم قال: يارسول الله، ما أعددت لها كبير صيام ولا صلاة ولا صدقة، ولكني أحب الله ورسوله. قال: «أنت مع من أحببت». وفي رواية: قال أنس رضي الله عنه: فأنا أحب النبي ﷺ وأبا بكر وعمر، وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم، وإن لم أعمل بمثل أعمالهم. [البخاري: فضائل الصحابة، باب: مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، الأحكام، باب: القضاء والفتيا في الطريق. مسلم: البر والصلة والآداب، باب: المرء مع من أحب] [رجل: هو ذو الخويصرة اليماني رضي الله عنه. سدة المسجد: المظلة عند بابه، وقيل: الساحة أمامه. أعددت لها: هيأت من الأعمال الصالحة التي هي أحق بالسؤال عنها والاهتمام بها. استكان: خضع].

سبب نزول الآية [٦٩]: عن عائشة رضي الله عنها قالت: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إنك لأحب إليّ من نفسي وأهلي وولدي، وإني لأكون في البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتيك فأنظر إليك، وإذا ذكرت موتي وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين، وأني إذا دخلت الجنة خشيت أن لا أراك. فلم يرد رسول الله ﷺ شيئاً حتى نزل جبريل عليه السلام بهذه الآية: ﴿ومن يطع الله والرسول﴾ الآية. [الواحدي، السيوطي].

﴿ الذين يشرون ﴾ يبيعون ﴿ الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل ﴾ يستشهد ﴿ أو يغلب ﴾ يظفر بعدوه ﴿ فسوف نؤتيه أجراً عظيماً ﴾ ثواباً جزيلاً(١).

٧٥ ﴿ وما لكم لا تقاتلون ﴾ استفهام توبيخ، أي لا مانع لكم من القتال﴿في سبيل الله و﴾في تخليص ﴿ المستضعفين من الرجال والنساء والولدان ﴾ الذين حبسهم الكفار عن الهجرة وآذوهم، قال ابن عباس رضي الله عنهما: كنت أنا وأمي منهم(٢) ﴿ الذين يقولون ﴾ داعين: يا ﴿ ربنا أخرجنا من هذه القرية ﴾ مكة ﴿ الظالم أهلها ﴾ بالكفر ﴿ واجعل لنا من لدنك ﴾ من عندك ﴿ ولياً ﴾يتولى أمورنا،ربنا﴿ واجعل لنا من لدنك نصيراً ﴾ يمنعنا منهم، وقد استجاب الله دعاءهم، فيسر لبعضهم الخروج، وبقي بعضهم إلى أن فتحت مكة، وولى ﷺ عتاب بن أسيد، فأنصف مظلومهم من ظالمهم.

٧٦ ﴿ الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت ﴾ الشيطان ﴿ فقاتلوا أولياء الشيطان ﴾ أنصار دينه، تغلبوهم لقوتكم بالله ﴿ إن كيد الشيطان ﴾ بالمؤمنين ﴿ كان ضعيفاً ﴾ واهياً، لا يقاوم كيد الله بالكافرين(٣).

٧٧ ﴿ ألم ترَ إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم ﴾ عن قتال الكفار لما طلبوه بمكة، لأذى الكفار لهم، وهم جماعة من الصحابة ﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب ﴾ فرض ﴿ عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون ﴾ يخافون ﴿ الناس ﴾ الكفار، أي عذابهم بالقتل ﴿ كخشيتـ ﴾ ـهم عذاب ﴿ الله أو أشد خشية ﴾ من خشيتهم له، ونصب أشد على الحال، وجواب «لما» دل عليه «إذا» وما بعدها، أي فاجأتهم الخشية ﴿وقالوا﴾ أي جزعاً من الموت ﴿ربنا لم كتبت علينا القتال لولا ﴾ هلا ﴿ أخرتنا إلى أجل قريب قل ﴾ لهم ﴿ متاع

ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ
ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾
وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ
ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ
هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا
وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ
فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ؕ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ
فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾
أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ
وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ
يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ
كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ

---

(١) أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (تضمن الله لمن خرج في سبيله، لا يخرجه إلا جهاداً في سبيلي وإيماناً بي وتصديقاً برسلي، فهو علي ضامن أن أدخله الجنة، أو أرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه، نائلاً ما نال من أجر أو غنيمة).

[البخاري: الإيمان، باب: الجهاد من الإيمان، رقم: ٣٦. مسلم: الجهاد، باب: فضل الجهاد والخروج في سبيل الله، رقم: ١٨٧٦، واللفظ لمسلم].

[جهاداً.. إيماناً.. تصديقاً: منصوبة على أنها مفعول لأجله، أي: لا يخرجه ويبعثه شيء إلا لأجل ذلك، وهو محض الإيمان، والإخلاص].

(٢) أخرجه البخاري في الجنائز، باب: إذا أسلم الصبي فمات..، رقم: ١٢٩١.

(٣) الكيد: السعي في الفساد على جهة الاحتيال، وكيد الشيطان: وسوسته للكافرين ليتحزبوا ويقاتلوا المؤمنين. وكيد الله تعالى: تدبيره في تأييد المؤمنين ونصرتهم على عدوهم.

فائدة: قال ابن كثير في تفسير الآية [٧٧]: كان المؤمنون في ابتداء الإسلام ـ وهم بمكة ـ مأمورين بالصلاة والزكاة وإن لم تكن ذات النُّصب، لكن كانوا مأمورين بمواساة الفقراء منهم، وكانوا مأمورين بالصفح والعفو عن المشركين والصبر إلى حين، وكانوا يتحرقون ويودون لو أُمروا بالقتال ليشتفوا من أعدائهم، ولم يكن الحال إذ ذاك مناسباً، لأسباب كثيرة، منها: قلة عددهم بالنسبة إلى كثرة عدد عدوهم، ومنها: كونهم كانوا في بلدهم وهو بلد حرام وأشرف بقاع الأرض، فلم يكن الأمر بالقتال فيه ابتداءً لائقاً، فلهذا لم يؤمروا بالجهاد إلا في المدينة، لما صارت لهم دار ومنعة وأنصار، ومع هذا لما أُمروا بما كانوا يودونه جزع بعضهم منه وخافوا من مواجهة الناس خوفاً شديداً، وقالوا: ﴿ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب﴾ أي: لو ما أخرت فرضه إلى مدة أخرى، فإن فيه سفك الدماء، ويتم الأبناء، وتأيم النساء، وهذه الآية في معنى قوله تعالى:﴿ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال..﴾ الآيات [محمد: ٢٠]. [الطبراني في المعجم الكبير: ٢/٦٨، الحديث: ١٢٤٩٧].

سبب نزول الآية [٧٧]: عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن عبد الرحمن وأصحابه أتوا إلى النبي ﷺ بمكة، فقالوا: يا نبي الله، كنا في عز ونحن مشركون، فلما آمنا صرنا أذلة؟ فقال: (إني أمرت بالعفو، فلا تقاتلوا القوم). فلما حوله الله إلى المدينة أمره بالقتال، فكفوا، فأنزل الله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم..﴾ [أخرجه الحاكم في المستدرك: التفسير/ تفسير سورة النساء: ٢/٣٠٧]

الدنيا ﴾ ما يتمتع به فيها، أو الاستمتاع بها ﴿ قليل ﴾ آيل إلى الفناء(١) ﴿ والآخرة ﴾ أي الجنة ﴿ خير لمن اتقى ﴾ عقاب الله بترك معصيته(٢) ﴿ ولا تظلمون ﴾ بالتاء والياء، تنقصون من أعمالكم ﴿ فتيلاً ﴾ قدر قشرة النواة(٣)، فجاهدوا.

٧٨ ﴿ أين ما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج ﴾ جصون ﴿ مشيدة ﴾ مرتفعة، فلا تخشوا القتال خوف الموت ﴿ وإن تصبهم ﴾ أي اليهود ﴿ حسنة ﴾ خصب وسعة ﴿ يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة ﴾ جدب وبلاء، كما حصل لهم عند قدوم النبي ﷺ المدينة ﴿ يقولوا هذه من عندك ﴾ يا محمد، أي بشؤمك ﴿ قل ﴾ لهم ﴿ كل ﴾ من الحسنة والسيئة ﴿ من عند الله ﴾ من قِبَله ﴿ فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون ﴾ أي لا يقاربون أن يفهموا ﴿ حديثاً ﴾ يلقى إليهم، وما استفهام تعجيب من فرط جهلهم، ونفي مقاربة الفعل أشد من نفيه.

٧٩ ﴿ ما أصابك ﴾ أيها الإنسان ﴿ من حسنة ﴾ خير ﴿ فمن الله ﴾ أتتك فضلاً منه ﴿ وما أصابك من سيئة ﴾ بلية ﴿فمن نفسك﴾ أتتك، حيث ارتكبت ما يستوجبها من الذنوب ﴿وأرسلناك﴾ يا محمد ﴿للناس رسولاً﴾ حال مؤكدة(٤) ﴿ وكفى بالله شهيداً ﴾ على رسالتك.

٨٠ ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى ﴾ أعرض عن طاعته فلا يهمنك(٥) ﴿ فما أرسلناك عليهم حفيظاً ﴾ حافظاً لأعمالهم، بل نذيراً، وإلينا أمرهم فنجازيهم، وهذا قبل الأمر بالقتال(٦).

٨١ ﴿ ويقولون ﴾ أي المنافقون إذا جاؤوك: أمرنا ﴿ طاعة ﴾ لك ﴿ فإذا برزوا ﴾ خرجوا ﴿ من عندك بيت طائفة منهم ﴾ بإدغام التاء في الطاء(٧) وتركه، أي أضمرت(٨) ﴿ غير الذي تقول ﴾ لك في حضورك من الطاعة، أي عصيانك ﴿ والله يكتب ﴾ يأمر بكتب ﴿ ما يبيتون ﴾ في صحائفهم ليجازوا عليه ﴿ فأعرض عنهم ﴾ بالصفح ﴿ وتوكل على الله ﴾ ثق به فإنه كافيك ﴿ وكفى بالله وكيلاً ﴾ مفوضاً إليه.

٨٢ ﴿ أفلا يتدبرون ﴾ يتأملون ﴿ القرآن ﴾ وما فيه من المعاني البديعة ﴿ ولو كان

ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾
أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ
مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ
وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ
مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ
حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ
مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ
وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ
وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ
فَإِذَا بَرَزُوا۟ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ ۖ
وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ۖ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ
وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ

---

(١) صائر إلى الزوال.

(٢) روى مسلم عن المستورد بن شداد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه هذه - وأشار بالسبابة - في اليَمِّ، فلينظر بم ترجع). [مسلم: الجنة وصفة نعيمها، باب: فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، رقم: ٢٨٥٨] اليم: البحر.

(٣) انظر/ النساء: ٤٩/.

(٤) أي لقوله ﴿وأرسلناك﴾ فإنها تفيد أنه رسول، ﷺ.

(٥) فلا يحزنك إعراضهم، من أهمه الأمر إذا أحزنه وأقلقه.

(٦) وأما بعده فلا إعراض عنهم، بل هم مخيرون بين الإسلام أو دفع الجزية أو قتالهم.

(٧) أي تاء ﴿بيت﴾ وطاء ﴿طائفة﴾ وهي قراءة متواترة.

(٨) أي أضمرته قبل خروجها، وأظهرته بعد خروجها.

فائدة: عن عائشة رضي الله عنها، زوج النبي ﷺ، قالت: قال رسول الله ﷺ: «ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كفر الله بها عنه، حتى الشوكة يشاكها».

وعن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب، ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم، حتى الشوكة يشاكها، إلا كفر الله بها من خطاياه».

وعن كعب بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «مثل المؤمن كالخامة من الزرع، تفيئها الريح مرة، وتعدلها مرة. ومثل المنافق كالأرزة، لا تزال حتى يكون انجعافها مرة واحدة». [البخاري: المرضى، باب: ما جاء في كفارة المرض. مسلم: البر والصلة والآداب، باب: ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن. صفات المنافقين وأحكامهم، باب: مثل المؤمن كالزرع. .] [كفر الله بها عنه: محى بسببها من ذنوبه. يشاكها: يصاب بها في جسده. نصب: تعب. وصب: مرض. هم: كره لما يتوقعه من سوء. حزن: أسى على ما حصل له من مكروه في الماضي. أذى: من تعدي غيره عليه. غم: ما يضيق القلب والنفس. خطاياه: ذنوبه. كالخامة: الغض الرطب من النبات أو ما ينبت. تفيئها: تميلها. تعدلها: ترفعها. لا تزال قائمة: لا تلين. انجعافها: انقلاعها] والمعنى: أن المؤمن معرض للمصائب، ليكون ذلك تنقية له وتطهيراً، ويكون ذلك شيئاً فشيئاً. وأما المنافق فيسلم - غالباً منها - ليكون هلاكه دفعة واحدة يوم القيامة، والله أعلم.

من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ﴾ تناقضاً في معانيه، وتبايناً في نظمه.

٨٣ ﴿ وإذا جاءهم أمر ﴾ عن سرايا(١) النبي ﷺ بما حصل لهم ﴿ من الأمن ﴾ بالنصر ﴿ أو الخوف ﴾ بالهزيمة ﴿ أذاعوا به ﴾ أفشوه، نزل في جماعة من المنافقين أو في ضعفاء المؤمنين، كانوا يفعلون ذلك، فتضعف قلوب المؤمنين ويتأذى النبي ﴿ ولو ردوه ﴾ أي الخبر ﴿ إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم ﴾ أي ذوي الرأي من أكابر الصحابة، أي لو سكتوا عنه حتى يخبروا به ﴿ لعلمه ﴾ هل هو مما ينبغي أن يذاع أو لا ﴿ الذين يستنبطونه ﴾(٢) يتبعونه ويطلبون علمه، وهم المذيعون ﴿ منهم ﴾ من الرسول وأولي الأمر ﴿ ولولا فضل الله عليكم ﴾ بالإسلام ﴿ ورحمته ﴾ لكم بالقرآن ﴿ لاتبعتم الشيطان ﴾ فيما يأمركم به من الفواحش ﴿ إلا قليلاً ﴾.

٨٤ ﴿ فقاتل ﴾ يا محمد ﴿ في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك ﴾ فلا تهتم بتخلفهم عنك، المعنى: قاتل ولو وحدك، فإنك موعود بالنصر ﴿ وحرض المؤمنين ﴾ حثهم على القتال ورغبهم فيه ﴿ عسى الله أن يكف بأس ﴾ حرب ﴿ الذين كفروا والله أشد بأساً ﴾ منهم ﴿ وأشد تنكيلاً ﴾ تعذيباً منهم، فقال رسول الله ﷺ: (والذي نفسي بيده، لأخرجن ولو وحدي) فخرج بسبعين راكباً إلى بدر الصغرى(٣)، فكف الله بأس الكفار بإلقاء الرعب في قلوبهم: ومَنْع أبي سفيان عن الخروج، كما تقدم في آل عمران. /الآية: ١٥١، ١٧٣/

٨٥ ﴿ من يشفع ﴾ بين الناس ﴿ شفاعة حسنة ﴾ موافقة للشرع ﴿ يكن له نصيب ﴾ من الأجر ﴿ منها ﴾ بسببها ﴿ ومن يشفع شفاعة سيئة ﴾ مخالفة له ﴿ يكن له كفل ﴾ نصيب من الوزر(٤) ﴿ منها ﴾ بسببها ﴿ وكان الله على كل شيء مقيتاً ﴾ مقتدراً، فيجازي كل أحد بما عمل.

٨٦ ﴿ وإذا حييتم بتحية ﴾ كأن قيل لكم: سلام عليكم ﴿ فحيوا ﴾ المحيي ﴿ بأحسن منها ﴾ بأن تقولوا له: عليك السلام ورحمة الله وبركاته ﴿ أو ردوها ﴾ بأن تقولوا له كما قال، أي الواجب أحدهما، والأول أفضل ﴿ إن الله كان على كل شيء حسيباً ﴾ محاسباً، فيجازي عليه، ومنه رد السلام. وخصت السنة الكافر والمبتدع(٥) والفاسق، والمسلِّم على قاضي الحاجة(٦)، ومن في الحمام، والآكل، فلا يجب الرد عليهم، بل يكره في غير الأخير، ويقال للكافر: وعليك(٧).

٨٧ ﴿ الله لا إله إلا هو ﴾ والله ﴿ ليجمعنكم ﴾ من قبوركم ﴿ إلى ﴾ في ﴿ يوم القيامة لا ريب ﴾ شك ﴿ فيه ومن ﴾ أي لا أحد ﴿ أصدق

مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا جَآءَهُمْ
أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى
ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ
مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ
إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ
وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾ مَّن يَشْفَعْ
شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً
سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ
مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ
إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ
لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ

---

(١) جمع سرية، وهي كل جيش يبعثه رسول الله ﷺ دون أن يخرج معهم. وهذا اصطلاح كتاب السيرة، وأما من حيث اللغة: فالسرية هي القطعة من الجيش.

(٢) من الاستنباط وهو الاستخراج.

(٣) حسب مواعدة أبي سفيان له عقب غزوة أحد. وقد أسلم يوم الفتح وحسن إسلامه، رضي الله عنه.

(٤) الوزر: هو الإثم والثقل.

(٥) صاحب البدعة التي تخالف الشرع، والبدعة الأمر المستحدث.

(٦) أخرج مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رجلاً مرّ ورسول الله ﷺ يبول، فسلم عليه فلم يرد عليه. وقيس غيره عليه. [مسلم: الحيض، باب: التيمم، رقم: ٣٧٠].

(٧) ثبت ذلك عنه ﷺ في صحيح البخاري: الاستئذان، باب: كيف الرد على أهل الذمة بالسلام. وصحيح مسلم: السلام، باب: النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم.

سبب نزول الآية [٨٣]: عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لما اعتزل النبيّ ﷺ نساءه دخلت المسجد، فإذا الناس ينكتون بالحصى يقولون: طلق رسول الله ﷺ نساءه.. فقمت على باب المسجد فناديت بأعلى صوتي: لم يطلق نساءه، فنزلت هذه الآية: ﴿وإذا جاءهم أمر من الأمن أوالخوف أذاعوا به.. ﴾ فكنت أنا أستنبط ذلك الأمر. [أخرج هذا مسلم في حديث طويل: الطلاق، باب: في الإيلاء واعتزال النساء..، رقم: ١٤٧]

من الله حديثاً ﴾ قولاً.

٨٨ ولما رجع ناس من أحد اختلف الناس فيهم، فقال فريق: نقتلهم، وقال فريق: لا، فنزل ﴿ فما لكم ﴾ أي ما شانكم صرتم ﴿ في المنافقين فئتين ﴾ فرقتين ﴿ والله أركسهم ﴾ ردهم ﴿ بما كسبوا ﴾ من الكفر والمعاصي ﴿ أتريدون أن تهدوا من أضلـ ﴾ ـه ﴿ الله ﴾ أي تعدوهم من جملة المهتدين، والاستفهام في الموضعين للإنكار ﴿ ومن يضللـ ﴾ ـه ﴿ الله فلن تجد له سبيلاً ﴾ طريقاً إلى الهدى.

٨٩ ﴿ ودوا ﴾ تمنوا ﴿ لو تكفرون كما كفروا فتكونون ﴾ أنتم وهم ﴿ سواء ﴾ في الكفر ﴿ فلا تتخذوا منهم أولياء ﴾ توالونهم وإن أظهروا الإيمان ﴿ حتى يهاجروا في سبيل الله ﴾ هجرة صحيحة تحقق إيمانهم[١] ﴿ فإن تولوا ﴾ وأقاموا على ما هم عليه[٢] ﴿ فخذوهم ﴾ بالأسر ﴿ واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم ولياً ﴾ توالونه ﴿ ولا نصيراً ﴾ تنتصرون به على عدوكم.

٩٠ ﴿ إلا الذين يصلون ﴾ يلجؤون ﴿ إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق ﴾ عهد بالأمان لهم ولمن وصل إليهم، كما عاهد النبي ﷺ هلال بن عويمر الأسلمي ﴿ أو ﴾ الذين ﴿ جاؤوكم ﴾ وقد ﴿ حصرت ﴾ ضاقت ﴿ صدورهم ﴾ عن ﴿ أن يقاتلوكم ﴾ مع قومهم ﴿ أو يقاتلوا قومهم ﴾ معكم، أي ممسكين عن قتالكم وقتالهم، فلا تتعرضوا إليهم بأخذ ولا قتل. وهذا وما بعده منسوخ بآية السيف[٣] ﴿ ولو شاء الله ﴾ تسليطهم عليكم ﴿ لسلطهم عليكم ﴾ بأن يقوي قلوبهم ﴿ فلقاتلوكم ﴾ ولكنه لم يشاء، فألقى في قلوبهم الرعب ﴿ فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم ﴾ الصلح، أي انقادوا ﴿ فما جعل الله لكم عليهم سبيلاً ﴾ طريقاً بالأخذ والقتل.

٩١ ﴿ ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم ﴾ بإظهار الإيمان عندكم ﴿ ويأمنوا قومهم ﴾ بالكفر إذا رجعوا إليهم، وهم أسد وغطفان ﴿ كل ما ردوا إلى الفتنة ﴾ دعوا إلى الشرك

مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ * فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ
أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓا۟ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا۟ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ
وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ
كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ۖ فَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ
يُهَاجِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ
حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ۖ وَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾
إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ
أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَٰتِلُوا۟
قَوْمَهُمْ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَٰتَلُوكُمْ ۚ فَإِنِ
ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ
ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾ سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ
أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا۟ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ

---

(١) وذلك: بخروجهم مع رسول الله ﷺ للقتال في سبيل الله تعالى، مخلصين صابرين محتسبين. وبتركهم للمعاصي ما ظهر منها وما بطن.

(٢) من الكفر وأظهروا ذلك.

(٣) التي تأمر بقتال المشركين على أي حال، وهي قوله تعالى: ﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم. . ﴾. [التوبة: ٥].

سبب نزول الآية [٨٨]: عن زيد بن ثابت رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ خرج إلى أحد، فرجع ناس ممن خرجوا معه، فكان أصحاب رسول الله ﷺ فيهم فرقتين: فرقة تقول نقاتلهم، وفرقة تقول لا، فأنزل الله: ﴿ فما لكم في المنافقين فئتين ﴾[البخاري: المغازي، باب: غزوة أحد، رقم: ٣٨٢٤].

وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: أن قوماً من العرب أتوا رسول الله ﷺ فأسلموا، وأصابوا وباء المدينة وحُمّاها، فأركسوها، فخرجوا من المدينة، فاستقبلهم نفر من أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: ما لكم رجعتم؟ فقالوا: أصابنا وباء المدينة، فاجتويناها. فقالوا: ما لكم في رسول أسوة؟ فقال بعضهم: نافقوا. وقال بعضهم: لم ينافقوا، هم مسلمون. فأنزل الله تعالى: ﴿فما لكم في المنافقين فئتين والله أرْكَسَهُم بما كَسَبُوا﴾ الآية. [الواحدي، السيوطي].

(فأركسوها) انقلب حالهم بسبب وبائها. (فاجتويناها) كرهنا المقام فيها. (أسوة) قدوة في سكناه للمدينة.

سبب نزول الآية [٩٠]: عن الحسن أن سراقة بن مالك المدلجيّ حدثهم قال: لما ظهر النبي ﷺ على أهل بدر وأحد وأسلم من حولهم، قال سراقة: بلغني أنه يريد أن يبعث خالد بن الوليد إلى قومي بني مدلج، فأتيته فقلت: أنشدك النعمة، بلغني أنك تريد أن تبعث إلى قومي وأنا أريد أن توادعهم، فإن أسلم قومك أسلموا ودخلوا في الإسلام، وإن لم يسلموا لم يحسن تغليب قومك عليهم. فأخذ رسول الله ﷺ بيد خالد، فقال: (اذهب معه فافعل ما يريد). فصالحهم خالد على أن لا يعينوا على رسول الله ﷺ، وإن أسلمت قريش أسلموا معهم. وأنزل الله: ﴿إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق﴾ فكان من وصل إليهم كان معهم على عهدهم. [السيوطي].

وأخرج ابن جرير عن عكرمة قال: نزلت في هلال بن عويمر الأسلمي وسراقة بن مالك. . وخزيمة بن عامر.

أُرْكِسُوا۟ فِيهَا ۚ فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ
وَيَكُفُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ۚ
وَأُو۟لَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿٩١﴾ وَمَا كَانَ
لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا
فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن
يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ
رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ
فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ
فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا
حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ
خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا
عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ

﴿ أركسوا فيها ﴾ وقعوا أشد وقوع(١) **﴿ فإن لم يعتزلوكم ﴾** بترك قتالكم **﴿ و ﴾** لم **﴿ يلقوا إليكم السلم و ﴾** لم **﴿ يكفوا أيديهم ﴾** عنكم **﴿ فخذوهم ﴾** بالأسر **﴿ واقتلوهم حيث ثقفتموهم ﴾** وجدتموهم **﴿ وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطاناً مبيناً ﴾** برهاناً بيناً ظاهراً على قتلهم وسبيهم(٢) لغدرهم.

٩٢ **﴿ وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً ﴾** أي ما ينبغي أن يصدر منه قتل له **﴿ إلا خطأ ﴾** مخطئاً في قتله من غير قصد **﴿ ومن قتل مؤمناً خطأ ﴾** بأن قصد رمي غيره كصيد أو شجرة فأصابه، أو ضربه بما لا يقتل غالباً **﴿ فتحرير ﴾** عتق **﴿ رقبة ﴾** نسمة **﴿ مؤمنة ﴾** عليه **﴿ ودية مسلمة ﴾** مؤداة **﴿ إلى أهله ﴾** أي ورثة المقتول **﴿ إلا أن يصدقوا ﴾** يتصدقوا عليه بها، بأن يعفوا عنها. وبينت السنة أنها مائة من الإبل: عشرون بنت مخاض، وكذا بنات لبون، وبنو لبون، وحقاق، وجذاع(٣). وأنها على عاقلة القاتل، وهم عصبته، إلا الأصل والفرع، موزعة عليهم على ثلاث سنين: على الغني منهم نصف دينار، والمتوسط ربع كل سنة، فإن لم يفوا فمن بيت المال، فإن تعذر فعلى الجاني **﴿ فإن كان ﴾** المقتول **﴿ من قوم عدو ﴾** حرب **﴿ لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة ﴾** علَى قاتله كفارة، ولا دية تسلم إلى أهله لحرابتهم **﴿ وإن كان ﴾** المقتول **﴿ من قوم بينكم وبينهم ميثاق ﴾** عهد كأهل الذمة **﴿ فدية ﴾** له **﴿ مسلمة إلى أهله ﴾** وهي ثلث ديّة المؤمن إن كان يهودياً أو نصرانياً(٤)، وثلثا عشرها إن كان مجوسياً(٥) **﴿ وتحرير رقبة مؤمنة ﴾** على قاتله **﴿ فمن لم يجد ﴾** الرقبة، بأن فقدها وما يحصلها به **﴿ فصيام شهرين متتابعين ﴾** عليه كفارة، ولم يذكر الله تعالى الانتقال إلى الطعام كالظهار(٦)، وبه أخذ الشافعي في أصح قوليه **﴿ توبة من الله ﴾** مصدر منصوب بفعله المقدر **﴿ وكان الله عليماً ﴾** بخلقه **﴿ حكيماً ﴾** فيما دبره لهم.

٩٣ **﴿ ومن يقتل مؤمناً متعمداً ﴾** بأن يقصد قتله بما يقتل غالباً، عالماً بإيمانه **﴿ فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه ﴾** أبعده من رحمته **﴿ وأعد له عذاباً عظيماً ﴾** في النار، وهذا مؤول بمن يستحله، أو بأن هذا جزاؤه إن جوزي، ولا بدع في خلف الوعيد(٧)، لقوله: «ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء» / النساء: ٤٨، ١١٦/ وعن ابن عباس: أنها على ظاهرها، وأنها ناسخة لغيرها من آيات المغفرة(٨). وبينت آية البقرة /١٧٨/ أن قاتل العمد يقتل به، وأن عليه الديّة إن عفي عنه، وسبق قدرها. وبينت السنّة أن بين العمد والخطأ قتلاً يسمى شبه العمد، وهو: أن يقتله بما لا يقتل غالباً، فلا قصاص فيه، بل دية كالعمد في الصفة والخطأ في التأجيل والحمل. وهو والعمد أولى بالكفارة من الخطأ.

٩٤ ونزل ـ لمامر نفر من الصحابة برجل من بني سليم، وهو يسوق غنماً، فسلم عليهم، فقالوا: ما سلم علينا=

---

(١) من الإركاس وهو الوقوع منكوساً على الراس.

(٢) أخذ أولادهم ونسائهم أسرى وجعلهم أرقاء.

(٣) بنت مخاض: التي تم لها سنة. بنت وابن لبون: ما تم له سنتان. حقاق: جمع حقة، وهي ما تم لها ثلاث سنين. جذاع: جمع جذعة، وهي ما تم لها أربع سنين. وانظر فيما ذكر [البخاري: الديات، باب: جنين المرأة وأن العقل على الوالد وعصبة الوالد لا على الولد، رقم: ٦٥١١، ٦٥١٢. مسلم: القسامة، باب: دية الجنين ووجوب الدية في قتل الخطأ..، رقم: ١٦٨١. الترمذي: الديات، باب: ما جاء في الدية كم هي من الإبل، رقم: ١٣٨٦].

(٤) وهذا مذهب الشافعي رحمه الله تعالى، ومذهب أبي حنيفة رحمه الله تعالى أنها مثل دية المسلم، ومذهب مالك وأحمد رحمهما الله تعالى أنها نصف دية المسلم.

(٥) وهذا مذهب مالك وأحمد والشافعي رحمهم الله تعالى، وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى: هي مثل دية المسلم.

(٦) أي في كفارة الظهار: إن عجز عن الصوم أطعم عن كل يوم مسكيناً، انظر/ المجادلة: ٣ ـ ٤/.

(٧) أي يخلد في النار إن عامله الله تعالى بالعدل وجازاه على فعله، ولكن قد يخلف الله تعالى وعيده ويعفو عن تخليده، ولا مانع من ذلك، لأن خلف الوعيد فضل.

(٨) أي إن القاتل عمداً لا توبة له، أخرج ذلك عنه البخاري

إلا تقية، فقتلوه واستاقوا غنمه(١) ـ ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم ﴾ سافرتم للجهاد ﴿ في سبيل الله فتبينوا ﴾ وفي قراءة بالمثلثة في الموضعين(٢) ﴿ ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام ﴾ بألف ودونها، أي التحية أو الانقياد بقوله كلمة الشهادة التي هي أمارة على الإسلام ﴿ لست مؤمناً ﴾ وإنما قلت هذا تقية لنفسك ومالك، فتقتلوه ﴿ تبتغون ﴾ تطلبون بذلك ﴿ عرض الحياة الدنيا ﴾ متاعها من الغنيمة ﴿ فعند الله مغانم كثيرة ﴾ تغنيكم عن قتل مثله لماله ﴿ كذلك كنتم من قبل ﴾ تعصم دماؤكم وأموالكم بمجرد قولكم الشهادة ﴿ فمن الله عليكم ﴾ بالاشتهار بالإيمان والاستقامة ﴿ فتبينوا ﴾ أن تقتلوا مؤمناً، وافعلوا بالداخل في الإسلام كما فعل بكم ﴿ إن الله كان بما تعملون خبيراً ﴾ فيجازيكم به.

٩٥ ﴿ لا يستوي القاعدون من المؤمنين ﴾ عن الجهاد ﴿ غير أولي الضرر ﴾ بالرفع صفة، والنصب استثناء، من زمانة(٣) أو عمى أو نحوه ﴿ والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين ﴾ لضرر ﴿ درجة ﴾ فضيلة، لاستوائهما في النيّة وزيادة المجاهدين بالمباشرة ﴿ وكلاً ﴾ من الفريقين ﴿ وعد الله الحسنى ﴾ الجنة ﴿ وفضل الله المجاهدين على القاعدين ﴾ لغير ضرر ﴿ أجراً عظيماً ﴾. ويبدل منه:

٩٦ ﴿ درجات منه ﴾ منازل بعضها فوق بعض من الكرامة ﴿ ومغفرة ورحمة ﴾ منصوبان بفعلهما المقدر ﴿ وكان الله غفوراً ﴾ لأوليائه ﴿ رحيماً ﴾ بأهل طاعته.

٩٧ ونزل في جماعة أسلموا ولم يهاجروا، فقتلوا يوم بدر مع الكفار ﴿ إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم ﴾ بالمقام مع الكفار وترك الهجرة ﴿ قالوا ﴾ لهم موبخين ﴿ فيم كنتم ﴾ أي في أي شيء كنتم في أمر دينكم ﴿ قالوا ﴾ معتذرين ﴿ كنا مستضعفين ﴾ عاجزين عن إقامة الدين ﴿ في الأرض ﴾ أرض مكة ﴿ قالوا ﴾ لهم توبيخاً ﴿ ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ﴾ من أرض الكفر إلى بلد آخر، كما فعل غيركم؟ قال الله

فَتَبَيَّنُوا۟ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا
تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۚ
كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ
كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ
ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ
بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ
وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ
وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾
دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ
قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ
وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ

في التفسير/الفرقان، باب: قوله ﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر..﴾. ومسلم في التفسير آخر صحيحه.

(١) أخرج هذا البخاري في التفسير/ النساء، باب: ﴿ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً﴾. ومسلم في التفسير، عن ابن عباس، رضي الله عنهما.

(٢) أي ﴿فتثبتوا﴾ بالثاء، هنا وفي آخر الآية.

(٣) وهي العاهة أو المرض الدائم.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من آمن بالله وبرسوله، وأقام الصلاة، وصام رمضان، كان حقاً على الله أن يدخله الجنة، جاهد في سبيل الله، أو جلس في أرضه التي ولد فيها». فقالوا: يارسول الله، أفلا نبشر الناس؟ قال: «إن في الجنة مائة درجة، أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، فوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة». [البخاري: الجهاد، باب: درجات المجاهدين في سبيل الله، رقم: ٢٦٣٧] [الفردوس: هو البستان الذي يجمع ما في البساتين كلها. أوسط: خيرها وأفضلها].

سبب نزول الآية [٩٥]: عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أنه قال: رأيت مروان بن الحكم جالساً في المسجد فأقبلت حتى جلست إلى جنبه، فأخبرنا أن زيد بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ أخبره: أن رسول الله ﷺ أملى عليه: ﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين... والمجاهدون في سبيل الله﴾. قال فجاءه ابن أم مكتوم ـ رضي الله عنه ـ وهو يملها عليَّ، فقال: يا رسول الله، لو أستطيع الجهاد لجاهدت. وكان رجلاً أعمى فأنزل الله تبارك وتعالى على رسوله ﷺ وفخذه على فخذي، فثقلت عليَّ حتى خفت أن تَرُضَّ فخذي، ثم سُرِّيَ عنه، فأنزل الله عز وجل: ﴿غير أولي الضرر﴾. [البخاري: الجهاد، باب: قول الله تعالى: ﴿لا يستوي القاعدون..﴾ رقم: ٢٦٧٧]. يملها: يمليها، أي يقرؤها عليه ليكتبها. ترض: تُدَقّ وتتمزق. سري عنه: كشف وأزيل ما يجده من ثقل الوحي.

سبب نزول الآية [٩٧]: عن محمد بن عبد الرحمن أبي الأسود قال: قطع على أهل المدينة بعث، فاكتتبت فيه، فلقيت عكرمة مولى ابن عباس فأخبرته، فنهاني عن ذلك أشد النهي، ثم قال: أخبرني ابن عباس أن ناساً من المسلمين كانوا مع المشركين، يكثرون سواد المشركين على عهد رسول الله ﷺ، يأتي السهم فيرمى به، فيصيب أحدهم فيقتله، أو يضرب فيقتل، فأنزل الله: ﴿إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم﴾ الآية. [البخاري: التفسير، باب: ﴿إن الذين توفاهم الملائكة..﴾] [قطع.. بعث: ألزموا بإخراج جيش لقتال أهل الشام في خلافة عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما. فاكتتبت: جعلت في عداده. سواد: العدد الكثير. قال ابن حجر في شرح الحديث: وغرض عكرمة أن الله ذم من كثر سواد المشركين مع أنهم كانوا لا يريدون بقلوبهم موافقتهم،

تعالى: ﴿ فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً ﴾ هي.

٩٨ ﴿ إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان ﴾ الذين ﴿ لا يستطيعون حيلة ﴾ لا قوة لهم على الهجرة ولا نفقة ﴿ ولا يهتدون سبيلاً ﴾ طريقاً إلى أرض الهجرة(١).

٩٩ ﴿ فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفواً غفوراً ﴾.

١٠٠ ﴿ ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغماً ﴾ مهاجراً ﴿ كثيراً وسعة ﴾ في الرزق ﴿ ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت ﴾ في الطريق، كما وقع لجندع بن ضمرة الليثي ﴿ فقد وقع ﴾ ثبت ﴿ أجره على الله وكان الله غفوراً رحيماً ﴾.

١٠١ ﴿ وإذا ضربتم ﴾ سافرتم ﴿ في الأرض فليس عليكم جناح ﴾ في ﴿ أن تقصروا من الصلاة ﴾ بأن تردوها من أربع إلى اثنين ﴿ إن خفتم أن يفتنكم ﴾ أي ينالكم بمكروه ﴿ الذين كفروا ﴾ بيان للواقع إذ ذاك، فلا مفهوم له(٢). وبينت السنّة: أن المراد بالسفر الطويل، وهو أربعة برد، وهي مرحلتان(٣). ويؤخذ من قوله: «فليس عليكم جناح» أنه رخصة لا واجب، وعليه الشافعي ﴿ إن الكافرين كانوا لكم عدواً مبيناً ﴾ بيِّني العداوة.

١٠٢ ﴿ وإذا كنت ﴾ يا محمد حاضراً ﴿ فيهم ﴾ وأنتم تخافون العدو ﴿ فأقمت لهم الصلاة ﴾ وهذا جري على عادة القرآن في الخطاب(٤) فلا مفهوم له ﴿ فلتقم طائفة منهم معك ﴾ وتتأخر طائفة ﴿ وليأخذوا ﴾ أي الطائفة التي قامت معك ﴿ أسلحتهم ﴾ معهم ﴿ فإذا سجدوا ﴾ أي صلوا ﴿ فليكونوا ﴾ أي الطائفة الأخرى ﴿ من ورائكم ﴾ يحرسون إلى أن تقضوا الصلاة، وتذهب هذه الطائفة تحرس ﴿ ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا

مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ
وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾
فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا
غَفُورًا ﴿٩٩﴾ ۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ
مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى
ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ
وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ
فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ
أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُوا۟ لَكُمْ عَدُوًّا
مُّبِينًا ﴿١٠١﴾ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ
طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ ۖ فَإِذَا سَجَدُوا۟
فَلْيَكُونُوا۟ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟

فكذلك أنت لا تكثر سواد هذا الجيش وإن كنت لا تريد موافقتهم، لأنهم لا يقاتلون في سبيل الله].

سبب نزول الآية [١٠٠]: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خرج ضمرة بن جندب من بيته مهاجراً، فقال لأهله: احملوني فأخرجوني من أرض المشركين إلى رسول الله ﷺ، فمات في الطريق قبل أن يصل إلى النبي ﷺ، فنزل الوحي: ﴿ومن يخرج من بيته مهاجراً﴾ الآية.

وعن سعيد بن جبير: عن أبي ضمرة الزرقي، وكان بمكة، فلما نزلت: ﴿إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة﴾. فقال: إني لغني، وإني لذو حيلة. فتجهز يريد النبي ﷺ فأدركه الموت بالتنعيم، فنزلت هذه الآية: ﴿ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله﴾. التنعيم: موضع قرب مكة.

وعن يزيد بن عبد الله بن قسط: أن جندع بن ضمرة الضمري كان بمكة، فمرض، فقال لبنيه: أخرجوني من مكة فقد قتلني غمها. فقالوا: إلى أين؟ فأومأ بيده نحو المدينة يريد الهجرة، فخرجوا به، فلما بلغوا أضاة بني غفار مات، فأنزل الله فيه: ﴿ومن يخرج من بيته مهاجراً﴾ الآية. [السيوطي] أضاة: مستنقع من سيل أو غيره.

سبب نزول الآية [١٠١ - ١٠٢]: أخرج ابن جرير عن عليّ رضي الله عنه قال: سأل قوم من التجار رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله، إنا نضرب في الأرض، فكيف نصلي؟ فأنزل الله: ﴿وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة﴾. ثم انقطع الوحي، فلما كان

---

(١) أخرج البخاري [الجنائز، باب: إذا أسلم الصبي فمات. . ، رقم: ١٢٩١] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت أنا وأمي من المستضعفين، أنا من الولدان وأمي من النساء.

(٢) أي قوله ﴿إن خفتم. . ﴾ بيان للواقع الذي كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، فلا يفهم منه عدم جواز القصر عند الأمن وعدم الخوف. يدل على هذا ما أخرجه مسلم [صلاة المسافرين وقصرها، باب: صلاة المسافرين وقصرها، رقم: ٦٨٦]. عن يعلى بن أمية رضي الله عنه قال: قلت لعمر بن الخطاب: ﴿ليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا﴾ فقد أمن الناس؟ فقال: عجبت مما عجبت منه، فسألت رسول الله ﷺ عن ذلك، فقال: (صدقة تصدق الله بها عليكم، فاقبلوا صدقته).

(٣) وتقدر الآن بواحد وثمانين كيلومتراً تقريباً.

(٤) للنبي ﷺ، فلا يفهم منه أن صلاة الخوف لا تكون في غيابه ﷺ أو بعد وفاته.

فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ﴾ معهم إلى أن تقضوا الصلاة، وقد فعل النبي ﷺ كذلك ببطن نخل. رواه الشيخان⁽¹⁾ ﴿ ود الذين كفروا لو تغفلون ﴾ إذا قمتم إلى الصلاة ﴿ عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ﴾ بأن يحملوا عليكم فيأخذوكم، وهذا علة الأمر بأخذ السلاح ﴿ ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم ﴾ فلا تحملوها⁽²⁾، وهذا يفيد إيجاب حملها عند عدم العذر، وهو أحد قولين للشافعي، والثاني: أنه سنّة، ورُجِّح ﴿ وخذوا حذركم ﴾ من العدو، أي احترزوا منه ما استطعتم ﴿ إن الله أعد للكافرين عذاباً مهيناً ﴾ ذا إهانة.

١٠٣ ﴿ فإذا قضيتم الصلاة ﴾ فرغتم منها ﴿ فاذكروا الله ﴾ بالتهليل والتسبيح ﴿ قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم ﴾ مضطجعين، أي في كل حال ﴿ فإذا اطمأننتم ﴾ أمنتم ﴿ فأقيموا الصلاة ﴾ أدوها بحقوقها ﴿ إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً ﴾ مكتوباً أي مفروضاً ﴿ موقوتاً ﴾ أي مقدراً وقتها فلا تؤخر عنه.

١٠٤ ونزل لما بعث ﷺ طائفة في طلب أبي سفيان وأصحابه، لما رجعوا من أحد، فشكوا الجراحات⁽³⁾ ﴿ ولا تهنوا ﴾ تضعفوا ﴿ في ابتغاء ﴾ طلب ﴿ القوم ﴾ الكفار لتقاتلوهم ﴿ إن تكونوا تألمون ﴾ تجدون ألم الجراح ﴿ فإنهم يألمون كما تألمون ﴾ أي مثلكم، ولا يجبنون عن قتالكم ﴿ وترجون ﴾ أنتم ﴿ من الله ﴾ من النصر والثواب عليه ﴿ ما لا يرجون ﴾ هم، فأنتم تزيدون عليهم بذلك، فينبغي أن تكونوا أرغب منهم فيه ﴿ وكان الله عليماً ﴾ بكل شيء ﴿ حكيماً ﴾ في صنعه.

١٠٥ وسرق طعمة بن أبيرق درعاً وخبأها عند يهودي، فوجدت عنده، فرماه طعمة بها، وحلف أنه ما سرقها، فسأل قومه النبي ﷺ أن يجادل عنه ويبرئه، فنزل ﴿ إنا أنزلنا إليك الكتاب ﴾ القرآن ﴿ بالحق ﴾ متعلق بأنزل ﴿ لتحكم بين الناس بما أراك ﴾ أعلمك ﴿ الله ﴾ فيه ﴿ ولا تكن للخائنين ﴾ كطعمة ﴿ خصيماً ﴾ مخاصماً عنهم.

١٠٦ ﴿ واستغفر الله ﴾ مما هممت به⁽⁴⁾ ﴿ إن الله كان غفوراً رحيماً ﴾.

(الجــزء الخامس) ١٢٠

فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم
مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ
أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓا۟ أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُوا۟ حِذْرَكُمْ ۗ
إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ
فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ
فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا
مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ
فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ
وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ
لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ
خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾

---

(1) انظر [البخاري: أبواب صلاة الخوف، باب: صلاة الخوف. ومسلم: صلاة المسافرين وقصرها، باب: صلاة الخوف]. وبطن نخل: موضع قريب من المدينة على طريق البصرة، وقعت فيه غزوة ذات الرقاع.

(2) أخرج البخاري [التفسير/النساء، باب: ﴿ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى..﴾ رقم: ٤٣٢٣] عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿أو كنتم مرضى﴾ قال: عبد الرحمن بن عوف، كان جريحاً. قال في فتح الباري: أي فنزلت فيه.

(3) انظر الآية/ ١٧٢/ من سورة آل عمران.

(4) من القضاء على اليهودي بشهادة قوم طعمة على اليهودي، فإنه لو وقع لكان خلاف الحقيقة، وهذا لو حصل منه ﷺ لم يكن ذنباً في اصطلاح الشرع، لأنه حصل عن اجتهاد، وإنما أمر الرسول ﷺ بالاستغفار منه، لأنه لعلو منزلته وشرف درجته كان ينبغي أن لا يقع منه، وكل ما لا يعد ذنباً في حق عامة الأمة من مثل هذه الأمور يعد ذنباً في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام، من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين.

بعد ذلك بحول غزا النبيّ ﷺ فصلى الظهر، فقال المشركون: لقد أمكنكم محمد وأصحابه من ظهورهم، هلا شددتم عليهم؟ فقال قائل منهم: إنْ لهم أخرى مثلها في أثرها، فأنزل الله تبارك وتعالى بين الصلاتين: ﴿إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا ـ إلى قوله ـ عذاباً مهيناً﴾ فنزلت صلاة الخوف.
شددتم: حملتم وهجمتم عليهم هجمة قوية.

وعن أبي عياش الزرقي رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله بعسفان، فاستقبلنا المشركون عليهم خالد بن الوليد، وهم بيننا وبين القبلة، فصلى بنا النبيّ ﷺ الظهر، فقالوا: قد كانوا على حال لو أصبنا غرتهم، ثم قالوا: يأتي عليهم الآن صلاة هي أحبّ إليهم من أبنائهم وأنفسهم. فنزل جبريل بهذه الآيات بين الظهر والعصر: ﴿وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة..﴾. [مسند أحمد: ٥٩/٤. المستدرك للحاكم: صلاة الخوف: ٣٣٧/١].

سبب نزول الآية [١٠٥ ـ ١١٦]: عن قتادة بن النعمان رضي الله عنه قال: كان أهل بيت منا يقال لهم بنو أبيرق: بشر وبشير ومبشر، وكان

١٠٧ ﴿ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم﴾ يخونونها بالمعاصي لأن وبال خيانتهم عليهم ﴿إن الله لا يحب من كان خواناً﴾ كثير الخيانة ﴿أثيماً﴾ أي يعاقبه.

١٠٨ ﴿يستخفون﴾ أي طعمة وقومه، حياءً ﴿من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم﴾ بعلمه ﴿إذ يبيتون﴾ يضمرون ﴿ما لا يرضى من القول﴾ من عزمهم على الحلف على نفي السرقة، ورمي اليهودي بها ﴿وكان الله بما يعملون محيطاً﴾ علماً.

١٠٩ ﴿ها أنتم﴾ يا ﴿هؤلاء﴾ خطاب لقوم طعمة ﴿جادلتم﴾ خاصمتم ﴿عنهم﴾ أي عن طعمة وذويه، وقرىء: عنه(١) ﴿في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة﴾ إذا عذبهم ﴿أم من يكون عليهم وكيلاً﴾ يتولى أمرهم ويذب عنهم(٢)، أي لا أحد يفعل ذلك.

١١٠ ﴿ومن يعمل سوءاً﴾ ذنباً يسوء به غيره، كرمي طعمة اليهوديَّ ﴿أو يظلم نفسه﴾ يعمل ذنباً قاصراً عليه ﴿ثم يستغفر الله﴾ منه أي يتب ﴿يجد الله غفوراً﴾ له ﴿رحيماً﴾ به.

وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ
مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمٗا ﴿١٠٧﴾ يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا
يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ إِذۡ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرۡضَىٰ
مِنَ ٱلۡقَوۡلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَٰٓأَنتُمۡ
هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلۡتُمۡ عَنۡهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ
عَنۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا ﴿١٠٩﴾ وَمَن
يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ
غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١١٠﴾ وَمَن يَكۡسِبۡ إِثۡمٗا فَإِنَّمَا يَكۡسِبُهُۥ
عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكۡسِبۡ
خَطِيٓـَٔةً أَوۡ إِثۡمٗا ثُمَّ يَرۡمِ بِهِۦ بَرِيٓـٔٗا فَقَدِ ٱحۡتَمَلَ بُهۡتَٰنٗا
وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ﴿١١٢﴾ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ وَرَحۡمَتُهُۥ
لَهَمَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ

١١١ ﴿ومن يكسب إثماً﴾ ذنباً ﴿فإنما يكسبه على نفسه﴾ لأن وباله عليها ولا يضر غيره ﴿وكان الله عليماً حكيماً﴾ في صنعه.

١١٢ ﴿ومن يكسب خطيئة﴾ ذنباً صغيراً ﴿أو إثماً﴾ ذنباً كبيراً ﴿ثم يرم به بريئاً﴾ منه ﴿فقد احتمل﴾ تحمل ﴿بهتاناً﴾(٣) برميه ﴿وإثماً مبيناً﴾ بيناً يكسبه.

١١٣ ﴿ولولا فضل الله عليك﴾ يا محمد ﴿ورحمته﴾ بالعصمة ﴿لهمت﴾ أضمرت ﴿طائفة منهم﴾ من قوم طعمة ﴿أن يضلوك﴾ عن القضاء بالحق بتلبيسهم عليك ﴿وما يضلون إلا أنفسهم

---

(١) وهي قراءة شاذة.

(٢) يدافع عنهم.

عن أم سلمة رضي الله عنها، عن رسول الله ﷺ: أنه سمع خصومة بباب حجرته، فخرج إليهم، فقال: «إنما أنا بشر، وإنه يأتيني الخصم، فلعل بعضكم أن يكون أبلغ من بعض، فأحسب أنه صدق، فأقضي له بذلك، فمن قضيت له بحق مسلم فإنما هي قطعة من النار، فليأخذها أو فليتركها» [البخاري: المظالم، باب: إثم من خاصم في باطل وهو يعلمه، رقم: ٢٣٢٦. مسلم: الأقضية، باب: الحكم بالظاهر واللحن بالحجة، رقم: ١٧١٣] [بشر: أي لا أعلم الغيب وبواطن الأمور، إلا ما أطلعني الله تعالى عليه، ويطرأ عليَّ ما يطرأ على البشر من أعراض لا تخل في كوني رسولاً، كالغضب والتأثر بظاهر الكلام. الخصم: المتخاصمون. أبلغ: أفصح ببيان حجته. بذلك: بما ظهر لي من الحجة. قطعة من النار: أي فهي حرام، مآل أخذه إلى النار].

(٣) كذباً يبهت سامعه ويتحير في عظمه.

بشير رجلاً منافقاً، يقول الشعر يهجو به أصحاب رسول الله، ثم ينحله بعض العرب يقول: قال فلان كذا. وكانوا أهل بيت حاجة وفاقة في الجاهلية والإسلام، وكان الناس إنما طعامهم بالمدينة التمر والشعير، فابتاع عمي رفاعة بن زيد حملاً من الدَّرْمَك فجعله في مشربة له فيها سلاح ودرع وسيف، فعدي عليه من تحت فنقبت المشربة وأخذ الطعام والسلاح، فلما أصبح أتاني عمي رفاعة فقال: يا ابن أخي إنه قد عدي علينا في ليلتنا هذه، فنقبت مشربتنا وذهب بطعامنا وسلاحنا، فتجسسنا في الدار وسألنا فقيل لنا: قد رأينا بني أبيرق استوقدوا في هذه الليلة، ولا نرى فيما نرى إلا على بعض طعامكم. فقال بنو أبيرق، ونحن نسأل في الدار: والله ما نرى صاحبكم إلا لبيد بن سهل. رجل منّا له صلاح وإسلام، فلما سمع لبيد اخترط سيفه وقال: أنا أسرق؟ والله ليخالطنكم هذا السيف أو لتبينُنّ هذه السرقة. قالوا: إليك عنا أيها الرجل، فما أنت بصاحبها. فسألنا في الدار حتى لم نشك أنهم أصحابنا، فقال لي عمي: يا ابن أخي لو أتيت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له، فأتيته فقلت: أهل بيت منا أهل جفاء عمدوا إلى عمي، فنقبوا مشربة له وأخذوا سلاحه وطعامه، فليردّوا علينا سلاحنا، وأما الطعام فلا حاجة لنا فيه. فقال رسول الله ﷺ: (سأنظر في ذلك). فلما سمع بنو أبيرق أتوا رجلاً منهم يقال له أسير بن عروة، فكلموه في ذلك، فاجتمع في ذلك أناس من أهل الدار فقالوا: يا رسول الله، إن قتادة بن النعمان وعمه عمدا إلى أهل بيت منا أهل إسلام وصلاح، يرمونهم بالسرقة من غير بينة ولا ثبت. قال قتادة: فأتيت رسول الله ﷺ، فقال: (عمدت

وما يضرونك من ﴾ زائدة ﴿ شيء ﴾ لأن وبال إضلالهم عليهم ﴿ وأنزل الله عليك الكتاب ﴾ القرآن ﴿ والحكمة ﴾ ما فيه من الأحكام(١) ﴿ وعلمك ما لم تكن تعلم ﴾ من الأحكام والغيب ﴿ وكان فضل الله عليك ﴾ بذلك وغيره ﴿ عظيماً ﴾.

١١٤ ﴿ لا خير في كثير من نجواهم ﴾ أي الناس، أي ما يتناجون فيه ويتحدثون(٢) ﴿ إلا ﴾ نجوى ﴿ من أمر بصدقة أو معروف ﴾ عمل بر ﴿ أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ﴾ المذكور ﴿ ابتغاء ﴾ طلب ﴿ مرضات الله ﴾ لا غيره من أمور الدنيا ﴿ فسوف نؤتيه ﴾ بالنون والياء(٣)، أي الله ﴿ أجراً عظيماً ﴾(٤).

١١٥ ﴿ ومن يشاقق ﴾ يخالف ﴿ الرسول ﴾ فيما جاء به من الحق ﴿ من بعد ما تبين له الهدى ﴾ ظهر له الحق بالمعجزات ﴿ ويتبع ﴾ طريقاً ﴿ غير سبيل المؤمنين ﴾ أي طريقهم الذي هم عليه من الدين، بأن يكفر ﴿ نوله ما تولى ﴾ نجعله والياً لما تولاه من الضلال، بأن نخلي بينه وبينه في الدنيا ﴿ ونصله ﴾ ندخله في الآخرة ﴿ جهنم ﴾ فيحترق فيها ﴿ وساءت مصيراً ﴾ مرجعاً هي.

١١٦ ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالاً بعيداً ﴾ عن الحق.

١١٧ ﴿ إن ﴾ ما ﴿ يدعون ﴾ يعبد المشركون ﴿ من دونه ﴾ أي الله، أي غيره ﴿ إلا إناثاً ﴾ أصناماً مؤنثة، كاللات والعزى ومناة ﴿ وإن ﴾ ما ﴿ يدعون ﴾ يعبدون بعبادتها ﴿ إلا شيطاناً مريداً ﴾ خارجاً عن الطاعة، لطاعتهم له فيها، وهو إبليس.

١١٨ ﴿ لعنه الله ﴾ أبعده عن رحمته ﴿ وقال ﴾ أي الشيطان ﴿ لأتخذن ﴾ لأجعلن لي ﴿ من عبادك نصيباً ﴾ حظاً ﴿ مفروضاً ﴾ مقطوعاً، أدعوهم إلى طاعتي.

١١٩ ﴿ ولأضلنهم ﴾ عن الحق بالوسوسة ﴿ ولأمنينهم ﴾ ألقي في قلوبهم طول الحياة: أن لا بعث ولا حساب ﴿ ولآمرنهم

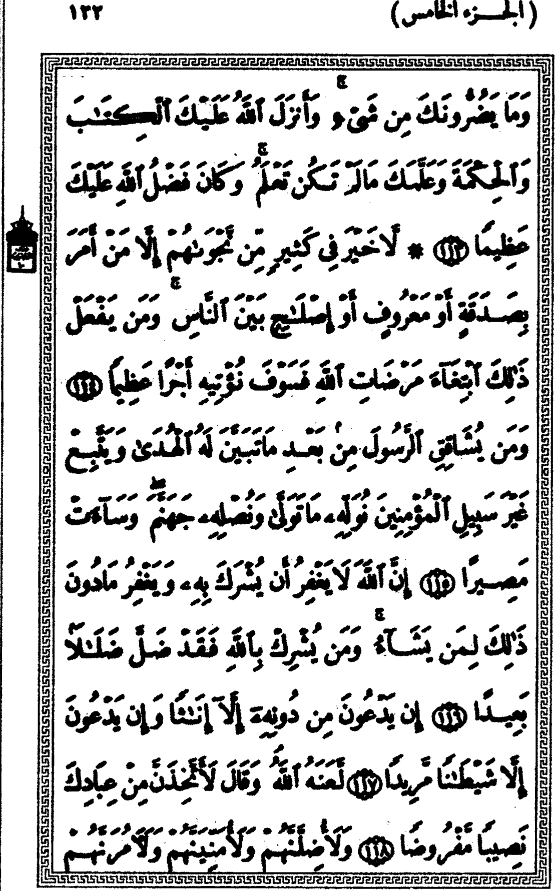

(الجـــزء الخامس) ١٢٢

وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ
وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ
عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ * لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ
بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ
ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾
وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ
غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ
مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ
ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا
بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ
إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ
نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ

---

(١) وقيل: المراد بالحكمة السنة وبيانها.

(٢) سراً فيما بينهم. (٣) أي ﴿نؤتيه﴾ و﴿يؤتيه﴾.

(٤) وقد ورد في فضل الإصلاح بين الناس أحاديث كثيرة منها: قوله ﷺ: (ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة). قالوا: بلى يا رسول الله، قال: (إصلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقة). أخرجه الترمذي، وأبو داود. وقال الترمذي: ويروى عن النبي ﷺ أنه قال: (هي الحالقة، لا أقول: تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين). [الترمذي: صفة القيامة، باب: سوء ذات البين هي الحالقة، رقم: ٢٥١١. أبو داود: الأدب، باب: في إصلاح ذات البين، رقم: ٤٩١٩].

وقد رخص الشارع بالكذب لتحصيل الإصلاح، فقد روى البخاري ومسلم عن أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس، فينمي خيراً أو يقول خيراً) وزاد مسلم في رواية له: قالت: ولم أسمعه يرخص في شيء مما يقول الناس إلا في ثلاث، يعني: الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل زوجته وحديث المرأة زوجها. [يعني: يبلغ الكلام على وجه الإصلاح]. [البخاري: الصلح، باب: ليس الكاذب الذي يصلح بين الناس، رقم: ٢٥٤٦. مسلم: البر والصلة والآداب، باب: تحريم الكذب وبيان المباح منه، رقم: ٢٦٠٥].

إلى أهل بيت، ذكر منهم إسلام وصلاح، ترميهم بالسرقة على غير ثبت وبينة). فرجعت فأخبرت عمي، فقال: الله المستعان، فلم نلبث أن نزل القرآن: ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحقّ لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيماً﴾ بني أبيرق ﴿ واستغفر الله﴾ أي مما قلت لقتادة، إلى قوله ﴿عظيماً﴾ فلما نزل القرآن أتي رسول الله ﷺ بالسلاح فردّه إلى رفاعة، ولحق بشير بالمشركين. فنزل على سلافة بنت سعد، فأنزل الله: ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ـ إلى قوله ـ ضلالاً بعيداً﴾. قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم. [المستدرك: الحدود/حكاية

فليبتكن ﴾ يقطعن ﴿ آذان الأنعام ﴾ وقد فعل ذلك بالبحائر(١) ﴿ ولآمرنهم فليغيرن خلق الله ﴾ دينه، بالكفر وإحلال ما حرم وتحليل ما أحل ﴿ ومن يتخذ الشيطان ولياً ﴾ يتولاه ويطيعه ﴿ من دون الله ﴾ أي غيره ﴿ فقد خسر خسراناً مبيناً ﴾ بيناً، لمصيره إلى النار المؤبدة عليه.

١٢٠ ﴿ يعدهم ﴾ طول العمر ﴿ ويمنيهم ﴾ نيل الآمال في الدنيا، وأن لا بعث ولا جزاء ﴿ وما يعدهم الشيطان ﴾ بذلك ﴿ إلا غروراً ﴾ باطلاً.

١٢١ ﴿ أولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصاً ﴾ معدلاً(٢) بذلك.

١٢٢ ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً وعد الله حقاً ﴾ أي وعدهم الله ذلك وحَقَّه حقاً ﴿ ومن ﴾ أي لا أحد ﴿ أصدق من الله قيلا ﴾ أي قولاً.

١٢٣ ونزل ـ لما افتخر المسلمون وأهل الكتاب ـ ﴿ ليس ﴾ الأمر منوطاً(٣) ﴿ بأمانيكم(٤) ﴿ ولا أماني أهل الكتاب ﴾ بل بالعمل الصالح ﴿ من يعمل سوءً يجز به ﴾ إما في الآخرة، أو الدنيا بالبلاء والمحن، كما ورد في الحديث(٥) ﴿ ولا يجد له من دون الله ﴾ أي غيره ﴿ ولياً ﴾ يحفظه ﴿ ولا نصيراً ﴾ يمنعه منه.

١٢٤ ﴿ ومن يعمل ﴾ شيئاً ﴿ من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون ﴾ بالبناء للمفعول والفاعل(٦) ﴿الجنة ولا يظلمون نقيراً﴾ قدر نقرة النواة(٧).

١٢٥ ﴿ ومن ﴾ لا أحد ﴿ أحسن ديناً ممن أسلم وجهه ﴾ أي انقاد وأخلص عمله ﴿ لله وهو محسن ﴾ موحد ﴿ واتبع ملة إبراهيم ﴾ الموافقة لملة الإسلام ﴿ حنيفاً ﴾ حال، أي مائلاً عن الأديان كلها إلى الدين القيم(٨)

١٢٣ (سـورة النساء)

فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ
وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا
مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ
إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا
مَحِيصًا ﴿١٢١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ
جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا وَعْدَ
ٱللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ
وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا
يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ
مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ
يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا
مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا

---

(١) جمع بحيرة، انظر/ المائدة: ١٠٣/.

(٢) منفذاً ومهرباً.

(٣) مرتبطاً.

(٤) جمع أمنية وهي ما يقدره الإنسان في نفسه ويصوره فيها، وما يشتهيه ويحبه ويرغب فيه.

(٥) روى مسلم (البر والصلة والآداب، باب: ثواب المؤمن فيما يصيبه ...، رقم: ٢٥٧٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما نزلت ﴿من يعمل سوءاً يجز به﴾ بلغت من المسلمين مبلغاً شديداً، فقال رسول الله ﷺ: (قاربوا وسددوا، ففي كل ما يصاب به المسلم كفارة، حتى النكبة ينكبها، والشوكة يشاكها). [قاربوا: توسطوا واعتدلوا في العمل. سددوا: اقصدوا السداد، وهو الصواب. النكبة: العَثْرة والسقوط، من النكب، وهو الكبّ والقلب].

(٦) أي ﴿يُدْخَلُونَ﴾ و ﴿يَدْخُلُونَ﴾. قراءتان متواترتان.

(٧) وهي الشق الصغير المستدير في ظهرها، والمعنى: لا ينقصون شيئاً من ثواب عملهم مهما قل.

(٨) القيم: المستقيم المعتدل والحق الذي لا باطل فيه.

سرقة متاع رفاعة: ٣٨٥/٤. الترمذي تفسير القرآن، باب: ومن سورة النساء، رقم: ٣٠٣٩]. ينحله: يعطيه. فاقة: حاجة وفقر. الدَّرْمَك: الطحين الأبيض. مشربة: بضم الراء وفتحها ـ: غرفة مرتفعة. استوقدوا: أوقدوا ناراً. ثَبَت: حُجَّة.

سبب نزول الآيات [١٢٣ ـ ١٢٥]: عن أبي صالح قال: جلس أهل الكتاب ـ أهل التوراة وأهل الإنجيل ـ وأهل الأديان، كل صنف يقول لصاحبه: نحن خير منكم، فنزلت هذه الآية.

وقال مسروق وقتادة: احتج المسلمون وأهل الكتاب، فقال أهل الكتاب: نحن أهدى منكم، نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم، ونحن أولى بالله منكم. وقال المسلمون: نحن أهدى منكم، وأولى بالله، نبينا خاتم الأنبياء، وكتابنا يقضي على الكتب التي قبله. فأنزل الله تعالى هذه الآية. ثم أفلج الله حجة المسلمين على من ناوأهم من أهل الأديان بقوله تعالى: ﴿ومَنْ يعمَلْ من الصَّالحاتِ منْ ذَكَرٍ أوْ أُنثى وهو مؤْمِنٌ﴾. وبقوله تعالى: ﴿ومن أحسنُ ديناً ممن أسلَم وجْهَهُ للَّهِ﴾ الآيتين. [السيوطي، الواحدي، ابن جرير] أفلج: أظهر وقوى. ناوأهم: عاداهم.

﴿ واتخذ الله إبراهيم خليلاً ﴾ صفياً خالص المحبة له.

١٢٦ ﴿ ولله ما في السموات وما في الأرض ﴾ ملكاً وخلقاً وعبيداً ﴿ وكان الله بكل شيء محيطاً ﴾ علماً وقدرة، أي لم يزل متصفاً بذلك.

١٢٧ ﴿ ويستفتونك ﴾ يطلبون منك الفتوى ﴿ في ﴾ شأن ﴿ النساء ﴾ وميراثهن ﴿ قل ﴾ لهم ﴿ الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب ﴾ القرآن من آية الميراث /النساء: ١١، ١٢، ١٧٦/ ويفتيكم أيضاً ﴿في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب ﴾ فرض ﴿ لهن ﴾ في الميراث ﴿ وترغبون ﴾ أيها الأولياء عن ﴿ أن تنكحوهن ﴾ لدمامتهن(١)، وتعضلوهن أن يتزوجن طمعاً في ميراثهن، أي يفتيكم أن لا تفعلوا ذلك ﴿ و ﴾ في ﴿ المستضعفين ﴾ الصغار ﴿ من الولدان ﴾ أن تعطوهم حقوقهم ﴿ و ﴾ يأمركم ﴿ أن تقوموا لليتامى بالقسط ﴾ بالعدل في الميراث والمهر ﴿ وما تفعلوا من خير فإن الله كان به عليماً ﴾ فيجازيكم به.

١٢٨ ﴿ وإن امرأة ﴾ مرفوع بفعل يفسره(٢) ﴿ خافت ﴾ توقعت ﴿ من بعلها ﴾ زوجها ﴿ نشوزاً ﴾ ترفعاً عليها، بترك مضاجعتها(٣) والتقصير في نفقتها، لبغضها وطموح عينه(٤) إلى أجمل منها﴿ أو إعراضاً ﴾عنها بوجهه﴿ فلا جناح عليهما أن يَصَّالحا﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الصاد، وفي قراءة ﴿يُصْلِحا﴾ من أَصْلَحَ ﴿بينهماصلحاً﴾ في القسم والنفقة، بأن تترك له شيئاً طلباً لبقاء الصحبة، فإن رضيت بذلك وإلا فعلى الزوج أن يوفيها حقها أو يفارقها ﴿ والصلح خير ﴾ من الفرقة والنشوز والإعراض، قال تعالى في بيان ما جبل عليه الإنسان ﴿ وأحضرت الأنفس الشح ﴾ شدة البخل، أي جبلت عليه فكأنها حاضرته لا تغيب عنه. المعنى: أن المرأة لا تكاد تسمح بنصيبها من زوجها، والرجل لا يكاد يسمح عليها بنفسه إذا أحب غيرها. ﴿ وإن تحسنوا ﴾ عشرة النساء﴿ وتتقوا ﴾ الجور عليهن﴿ فإن الله كان بماتعملون خبيراً ﴾فيجازيكم به.

١٢٩ ﴿ ولن تستطيعوا أن تعدلوا ﴾ تسووا ﴿ بين النساء ﴾ في المحبة ﴿ ولو حرصتم ﴾ على ذلك ﴿ فلا تميلوا كل الميل ﴾ إلى التي تحبونها في القسم والنفقة ﴿ فتذروها ﴾ أي تتركوا الممال عنها ﴿ كالمعلقة ﴾ التي لا هي أيم ولا هي ذات بعل(٥) ﴿ وإن تصلحوا ﴾ بالعدل بالقسم

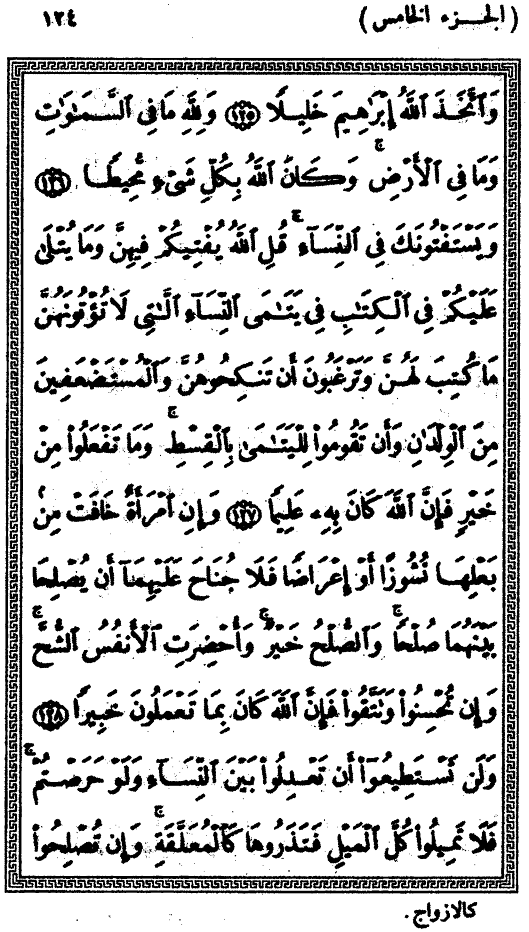

(الجـزء الخامس) ١٢٤

وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ﴿١٢٥﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطٗا ﴿١٢٦﴾
وَيَسۡتَفۡتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِيهِنَّ وَمَا يُتۡلَىٰ
عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا تُؤۡتُونَهُنَّ
مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرۡغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ
مِنَ ٱلۡوِلۡدَٰنِ وَأَن تَقُومُواْ لِلۡيَتَٰمَىٰ بِٱلۡقِسۡطِۚ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ
خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمٗا ﴿١٢٧﴾ وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ
بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضٗا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا
بَيۡنَهُمَا صُلۡحٗاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ
وَإِن تُحۡسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴿١٢٨﴾
وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡۖ
فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلۡمَيۡلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلۡمُعَلَّقَةِۚ وَإِن تُصۡلِحُواْ

---

(١) لدمامتهن: لقبحهن. (٢) أي التقدير: إن خافت امرأة..

(٣) أي مجامعتها، وكذلك بترك الحديث معها ومجالستها.

(٤) تلفته ونظره، وطمح بصره إلى الشيء ارتفع إليه.

(٥) تشبيهاً لها بالشيء المعلق، لا هو في السماء ولا هو في الأرض. وقيل: معناه فتتركوها كالمسجونة، لا هي خالصة من عصمة زوج فتتزوج، ولا هي ذات زوج فيحسن إليها كالازواج.

سبب نزول الآية [١٢٧]: عن عائشة رضي الله عنها في هذه الآية قالت: هو الرجل تكون عنده اليتيمة، هو وليها ووارثها، فأشركته في ماله حتى في العذق، فيرغب أن ينكحها ويكره أن يزوّجها رجلاً فيشركه في ماله بما شركته، فيعضلها، فنزلت هذه الآية. [البخاري: التفسير/ النساء، باب: ﴿ ويستفتونك.. ﴾ رقم: ٤٣٣٤. ومسلم في التفسير، رقم: ٣٠١٨] العذق: عنقود النخيل. فيعضلها: يمنعها من الزواج.

وعنها رضي الله عنها قالت: ثم إن الناس استفتوا رسول الله ﷺ بعد هذه الآية، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿ويستفتونك في النساء﴾ الآية، قالت: والذي ذكر الله أنه يتلى عليهم في الكتاب الآية الأولى التي قال فيها: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى﴾ [٣] قالت عائشة رضي الله عنها: وقال الله تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾ يعني هي رغبة أحدكم عن يتيمته التي تكون في حجره حين تكون قليلة المال والجمال، فنهوا أن ينكحوا ما رغبوا في مالها وجمالها من يتامى النساء إلا بالقسط، من أجل رغبتهم عنهن. [البخاري: الشركة، باب: شركة اليتيم وأهل الميراث، رقم: ٢٣٦٢. مسلم: التفسير، رقم: ٣٠١٨] بعد هذه الآية: أي قوله تعالى: ﴿وإن خفتم ألا تقسطوا.. ﴾.

سبب نزول الآية [١٢٨]: أخرج الواحدي. عن عائشة، رضي الله عنها، في قول الله تعالى: ﴿ وإن امرأة خافت مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزاً ﴾ إلى آخر الآية، نزلت في المرأة تكون عند الرجل فلا يستكثر منها ويريد فراقها، ولعلها أن تكون لها صحبة ويكون لها ولد، فيكره فراقها، وتقول له: لا

﴿ وتتقوا ﴾ الجور ﴿ فإن الله كان غفوراً ﴾ لما في قلوبكم من الميل ﴿ رحيماً ﴾ بكم في ذلك.

١٣٠ ﴿ وإن يتفرقا ﴾ أي الزوجان بالطلاق ﴿ يغن الله كلاً ﴾ عن صاحبه ﴿ من سعته ﴾ أي فضله، بأن يرزقها زوجاً غيره ويرزقه غيرها ﴿ وكان الله واسعاً ﴾ لخلقه في الفضل ﴿ حكيماً ﴾ فيما دبره لهم.

١٣١ ﴿ ولله ما في السموات وما في الأرض ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب ﴾ بمعنى الكتب ﴿ من قبلكم ﴾ أي اليهود والنصارى ﴿ وإياكم ﴾ يا أهل القرآن ﴿ أن ﴾ أي بأن ﴿ اتقوا الله ﴾ خافوا عقابه بأن تطيعوه ﴿ و ﴾ قلنا لهم ولكم ﴿ إن تكفروا ﴾ بما وصيتم به ﴿ فإن لله ما في السموات وما في الأرض ﴾ خلقاً وملكاً وعبيداً، فلا يضره كفركم ﴿ وكان الله غنياً ﴾ عن خلقه وعبادتهم ﴿ حميداً ﴾ محموداً في صنعه بهم.

١٣٢ ﴿ ولله ما في السموات وما في الأرض ﴾ كرره تأكيداً لتقرير موجب التقوى[1] ﴿ وكفى بالله وكيلاً ﴾ شهيداً بأن ما فيهما له. ١٣٣ ﴿ إن يشأ يذهبكم ﴾ يا ﴿ أيها الناس ويأتِ بآخرين ﴾ بدلكم ﴿ وكان الله على ذلك قديراً ﴾.

١٣٤ ﴿ من كان يريد ﴾ بعمله ﴿ ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة ﴾ لمن أراده، لا عند غيره، فَلِمَ يطلب أحدكم الأخس، وهلا طلب الأعلى بإخلاصه له، حيث كان مطلبه لا يوجد إلا عنده؟ ﴿ وكان الله سميعاً بصيراً ﴾.

١٣٥ ﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين ﴾ قائمين ﴿ بالقسط ﴾ بالعدل ﴿ شهداء ﴾ بالحق ﴿ لله ولو ﴾ كانت الشهادة ﴿ على أنفسكم ﴾ فاشهدوا عليها، بأن تقروا بالحق ولا تكتموه ﴿ أو ﴾ على ﴿ الوالدين والأقربين إن يكن ﴾ المشهود عليه ﴿ غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما ﴾ منكم وأعلم بمصالحهما

وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا

---

[1] أي ما يوجب على العبد أن يتقي الله تعالى، وهو كونه سبحانه خالقاً ومالكاً لخلقه ومنعماً عليهم.

فائدة: في القسم بين الزوجات: عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يقسم بين نسائه فيعدل، ثم يقول: «اللهم هذا قسمي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك» يعني القلب. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من كانت له امرأتان، فمال إلى إحداهما، جاء يوم القيامة وأحد شقيه ساقط» [أحد شقيه..: أي نصفه مائل، والمراد بالميل هنا الميل الظاهر والتميز بالنفقة ونحوها]

[مسند أحمد: ٦/١٤٤. أبو داود: النكاح، باب: في القسم بين النساء، رقم: ٢١٣٣، ٢١٣٤. الترمذي: النكاح، باب: ما جاء في التسوية بين الضرائر، رقم: ١١٤٠، ١١٤١. النسائي: عشرة النساء، باب: ميل الرجل إلى بعض نسائه دون بعض، رقم: ٣٩٤٢، ٣٩٤٣. ابن ماجه: النكاح، باب: القسمة بين النساء، رقم ١٩٦٩، ١٩٧١. الدارمي: النكاح، باب: في العدل: بين النساء، وباب: في القسمة بين النساء، رقم: ٢١٢٦، ٢١٢٧].

تطلقني، وأمسكني وأنت في حل من شاني، فانزلت هذه الآية. [أخرجه البخاري في المظالم، باب: إذا حلله من ظلمه فلا رجوع فيه، رقم: ٢٣١٨. ومسلم: التفسير، رقم: ٣٠٢١ مع اختلاف في بعض الألفاظ]. فلا يستكثر منها: لا يريد كثرة صحبتها والاستمرار معها.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قالت سودة بنت زمعة حين أسنت وفَرِقت أن يفارقها رسول الله ﷺ: يا رسول الله، يومي لعائشة. فقبل رسول الله ﷺ منها. قالت: نقول في ذلك أنزل الله تعالىٰ وفي أشباهها: ﴿ وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً.. ﴾ [أبو داود: النكاح، باب: في القسم بين النساء، رقم: ٢١٣٥] فرقت: خافت.

وأخرج سعيد بن منصور عن سعيد بن المسيب: أن ابنة محمد بن مسلمة كانت عند رافع بن خديج، فكره منها أمراً: إما كبراً أو غيره، فأراد طلاقها، فقالت: لا تطلقني واقسم لي ما بدا لـك، فأنزل: ﴿وإن امرأة خافت﴾ الآية. [السيوطي].

وأخرج الحاكم عن عائشة رضي الله عنها قال: نزلت هذه الآية: ﴿والصلح خير﴾ في رجل كانت تحته امرأة قد ولدت له أولاداً، فأراد أن يستبدل بها، فراضته على أن تقرّ عنده ولا يقسم لها. [المستدرك: البيوع: ٢/٥٩] [تقر: تبقى وتستقر].

سبب نزول الآية [١٣٥]: عن السدي قال: نزلت في النبي ﷺ، اختصم إليه غني وفقير، وكان ضلعه مع الفقير، رأى أن الفقير لا يظلم الغني، فأبى الله تعالى إلا أن يقوم بالقسط في الغني والفقير، فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط﴾ حتى بلغ: ﴿إِنْ يكُنْ غنيّاً أو فقيراً فالله أولى بِهِمَا﴾. [الواحدي]. ضَلْعه: ميله.

﴿ **فلا تتبعوا الهوى** ﴾ في شهادتكم، بأن تحابوا الغني لرضاه أو الفقير رحمة له، لـ ﴿ **أن** ﴾ لا ﴿ **تعدلوا** ﴾ تميلوا عن الحق ﴿ **وإن تلووا** ﴾ تحرفوا الشهادة، وفي قراءة بحذف الواو الأولى تخفيفاً(١) ﴿ **أو تعرضوا** ﴾ عن أدائها ﴿ **فإن الله كان بما تعملون خبيراً** ﴾ فيجازيكم به.

١٣٦ ﴿ **يا أيها الذين آمنوا آمنوا** ﴾ داوموا على الإيمان ﴿ **بالله ورسوله والكتاب الذي نُزِّل على رسوله** ﴾ محمد ﷺ، وهو القرآن ﴿**والكتاب الذي أُنزل من قبل**﴾ على الرسل، بمعنى الكتب، وفي قراءة بالبناء للفاعل في الفعلين(٢) ﴿**ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسلِه واليوم الآخر فقد ضل ضلالاً بعيداً** ﴾ عن الحق(٣).

١٣٧ ﴿ **إن الذين آمنوا** ﴾ بموسى وهم اليهود ﴿ **ثم كفروا** ﴾ بعبادة العجل ﴿ **ثم آمنوا** ﴾ بعده ﴿ **ثم كفروا** ﴾ بعيسى ﴿ **ثم ازدادوا كفراً** ﴾ بمحمد ﴿ **لم يكن الله ليغفر لهم** ﴾ ما أقاموا عليه ﴿ **ولا ليهديهم سبيلاً** ﴾ طريقاً إلى الحق(٤).

١٣٨ ﴿ **بشر** ﴾ أخبر يا محمد ﴿ **المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً** ﴾ مؤلماً، هو عذاب النار.

١٣٩ ﴿**الذين**﴾ بدل أو نعت للمنافقين(٥) ﴿**يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين**﴾ لما يتوهمون فيهم من القوة ﴿ **أيبتغون** ﴾ يطلبون ﴿ **عندهم العزة** ﴾ استفهام إنكار، أي لا يجدونها عندهم ﴿ **فإن العزة لله جميعاً** ﴾ في الدنيا والآخرة، ولا ينالها إلا أولياؤه.

١٤٠ ﴿**وقد نزل**﴾ بالبناء للفاعل والمفعول(٦) ﴿**عليكم في الكتاب** ﴾ القرآن في سورة الأنعام/ الآية: ٦٨/ ﴿ **أن** ﴾ مخففة واسمها محذوف، أي أنه ﴿ **إذا سمعتم آيات الله** ﴾ القرآن ﴿ **يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم** ﴾ أي الكافرين والمستهزئين ﴿ **حتى يخوضوا**

(الجـــزء الخامس) ١٢٦

فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ
ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟
ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ
وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ
وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ
ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟
ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ
وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا ﴿١٣٧﴾ بَشِّرِ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا
أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ
ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾
وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ
يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟

---

(١) أي ﴿تَلُوا﴾ بضم اللام، قرأ بها ابن عامر وحمزة. [النشر].

(٢) أي ﴿نَزَّلَ﴾ و ﴿أَنزَلَ﴾ وهي رواية حفص عن عاصم.

(٣) روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنها نزلت في عبد الله ابن سلام، وأسد وأسيد ابني كعب، وثعلبة بن قيس، وسلام ابن أخت عبد الله بن سلام، وسلمة ابن أخيه، ويامين بن يامين، فهؤلاء مؤمنو أهل الكتاب، أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: إنا نؤمن بك وبكتابك، وبموسى والتوراة وعزير، ونكفر بما سوى ذلك من الكتب والرسل، فقال لهم النبي ﷺ: (بل آمنوا بالله وبرسوله محمد والقرآن وبكل كتاب كان قبله) فأنزل الله هذه الآية [الخازن، الواحدي].

(٤) وقيل: نزلت في المنافقين، وذلك أنهم آمنوا ثم كفروا بعد الإيمان، ثم آمنوا ـ يعني ـ بألسنتهم، وهو إظهارهم الإيمان لتجرىْ عليهم أحكام المؤمنين، ثم ازدادوا كفراً، يعني بموتهم على الكفر، وقيل: بذنوب أحدثوها في الكفر. [الخازن].

(٥) أي اسم الموصول في محل نصب على أنه بدل من لفظ ﴿المنافقين﴾ في قوله ﴿بشر المنافقين﴾ وكأنه قال: بشر الذين يتخذون.. أو صفة له، أي: بشر المنافقين الذين هذه صفتهم بذلك.

(٦) أي ﴿نَزَّلَ﴾ و ﴿نُزِّل﴾ قراءتان متواترتان. [النشر].

فائدة: عن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: قال النَّبي ﷺ: «خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم» قال عمران: لا أدري، أذكر النَّبي ﷺ بعد قرنه قرنين أو ثلاثة. وقال النَّبي ﷺ: «إن بعدكم قوماً يخونون ولا يؤتمنون، ويشهدون ولا يستشهدون، وينذرون ولا يفون، ويظهر فيهم السمن». [قرني: أهل قرني وهم أصحابي، والقرن مائة سنة، أو أهل زمان واحد، سموا بذلك لاقترانهم في الوجود، وقيل غير ذلك. يلونهم: يأتون بعدهم قريبين منهم. يظهر فيهم السمن: المعنى: أنهم يحبون التوسع في المآكل والمشارب التي هي أسباب السمن، وقيل غير ذلك].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النَّبي ﷺ قال: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء أقوام: تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته». قال إبراهيم: وكانوا يضربوننا على الشهادة والعهد. [البخاري: الشهادات، باب: لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد، رقم: ٢٥٠٨، ٢٥٠٩. مسلم: فضائل الصحابة، باب: فضل الصحابة ثم الذين يلونهم، رقم: ٢٥٣٣، ٢٥٣٥]. [تسبق: كناية عن التسرع في الشهادة والحلف والحرص عليها ولو لم يطلب إليها، وهو عنوان قلة الورع والمبالاة في الدين. إبراهيم: هو النخعي رحمه الله تعالى. يضربوننا: يؤنبوننا بالضرب على التسرع بالشهادة والحلف حتى لا يصبح ذلك عادة لنا]. وعن أنس رضي الله عنه قال: سئل النَّبي ﷺ عن الكبائر فقال: «الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، وشهادة الزور» [البخاري: الشهادات، باب: ما قيل في شهادة الزور، رقم: ٢٥١٠. مسلم: الإيمان، باب: بيان الكبائر وأكبرها، رقم:

في حديث غيره إنكم اذاً ﴾ إن قعدتم معهم ﴿ مثلهم ﴾ في الإثم ﴿ إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً ﴾ كما اجتمعوا في الدنيا على الكفر والاستهزاء.

١٤١ ﴿الذين﴾ بدل من «الذين» قبله ﴿يتربصون﴾ ينتظرون ﴿بكم﴾ الدوائر ﴿فإن كان لكم فتح﴾ ظفر وغنيمة ﴿من الله قالوا ﴾ لكم ﴿ ألم نكن معكم ﴾ في الدين والجهاد؟ فأعطونا من الغنيمة ﴿ وإن كان للكافرين نصيب ﴾ من الظفر عليكم ﴿ قالوا ﴾ لهم ﴿ ألم نستحوذ ﴾ نستول ﴿ عليكم ﴾ ونقدر على أخذكم وقتلكم، فأبقينا عليكم؟ ﴿ و ﴾ ألم ﴿ نمنعكم من المؤمنين ﴾ أن يظفروا بكم، بتخذيلهم ومراسلتكم بأخبارهم، فلنا عليكم المنّة؟ قال تعالى: ﴿ فالله يحكم بينكم ﴾ وبينهم ﴿ يوم القيامة ﴾ بأن يدخلكم الجنة ويدخلهم النار ﴿ ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً ﴾ طريقاً بالاستئصال(١). ١٤٢ ﴿ إن المنافقين يخادعون الله ﴾ بإظهار خلاف ما أبطنوه من الكفر، فيدفعوا عنهم أحكامه الدنيوية ﴿ وهو خادعهم ﴾ مجازيهم على خداعهم، فيفتضحون في الدنيا بإطلاع الله نبيه على ما أبطنوه، ويعاقبون في الآخرة ﴿ وإذا قاموا إلى الصلاة ﴾ مع المؤمنين ﴿ قاموا كسالى ﴾ متثاقلين ﴿ يراؤون الناس ﴾(٢) بصلاتهم ﴿ ولا يذكرون الله ﴾ يصلون ﴿ إلا قليلاً ﴾ رياءً.

١٤٣ ﴿ مذبذبين ﴾ مترددين ﴿ بين ذلك ﴾ الكفر والإيمان ﴿ لا ﴾ منسوبين ﴿ إلى هؤلاء ﴾ أي الكفار ﴿ ولا إلى هؤلاء ﴾ أي المؤمنين ﴿ ومن يضلل ﴾ ـه ﴿ الله فلن تجد له سبيلاً ﴾ طريقاً إلى الهدى(٣).

١٤٤ ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من

فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦٓۚ إِنَّكُمۡ إِذٗا مِّثۡلُهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ
ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ٱلَّذِينَ
يَتَرَبَّصُونَ بِكُمۡ فَإِن كَانَ لَكُمۡ فَتۡحٞ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمۡ نَكُن
مَّعَكُمۡ وَإِن كَانَ لِلۡكَٰفِرِينَ نَصِيبٞ قَالُوٓاْ أَلَمۡ نَسۡتَحۡوِذۡ
عَلَيۡكُمۡ وَنَمۡنَعۡكُم مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ
يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ
سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ
وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ
وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ
لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن
تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا ﴿١٤٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ
ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَتُرِيدُونَ أَن

---

(١) بأن يمحوا دولة الإيمان من الأرض ولا يبقوا مؤمناً بالكلية، أو المراد: أن شريعة المسلمين تبقى ظاهرة لا يستطيع الكفر طمسها إلى قيام الساعة. ومما لا شك فيه: أن المسلمين إذا التزموا بإسلامهم، أفراداً وجماعات، قامت دولتهم، ولم يكن لأهل الكفر أو الفسوق عليهم سلطان.

(٢) عن سلمة قال: سمعت جندباً رضي الله عنه يقول: قال النبي ﷺ ولم أسمع أحداً يقول قال النبي ﷺ غيره، فدنوت منه، فسمعته يقول: قال النبي ﷺ: «من سمَّع سمَّع الله به، ومن يرائي يرائي الله به» [البخاري: الرقاق، باب: الرياء والسمعة، رقم: ٦١٣٤. مسلم: الزهد والرقائق، باب: من أشرك في عمله غير الله (تحريم الرياء) رقم: ٢٩٨٦] [سمَّع: شهر بنفسه وأذاع ذكره، وقيل: عمل عملاً على غير إخلاص، يريد أن يراه الناس ويسمعوه. سمع الله به: كشفه على حقيقته وفضح أمره. يرائي: يطلع الناس على عمله بقصد الثناء منهم. يرائي الله به: يطلع الناس على حقيقته، وأنه لا يعمل لوجه الله تعالى، فيذمه الناس، مع استحقاق سخط الله تعالى عليه].

(٣) روى مسلم [صفات المنافقين. .، رقم: ٢٧٨٤] عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال (مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين، تعير إلى هذه مرة وإلى هذه مرة). [العائرة: المتحيرة المترددة، لا تدري لأي الغنمين تتبع. تعير: تتردد يميناً وشمالاً، لا تدري أين تذهب].

فائدة: قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى. .﴾: هذه صفة المنافقين في أشرف الأعمال وأفضلها وخيرها وهي الصلاة، إذا قاموا إليها قاموا وهم كسالى عنها، لأنهم لا نية لهم فيها ولا إيمان لهم بها ولا خشية، ولا يعقلون معناها. كما روى ابن مردويه، من طريق عبيد الله بن زحْر، عن خالد بن أبي عمران، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: يكره أن يقوم الرجل إلى الصلاة وهو كسلان، ولكن يقوم إليها طلق الوجه، عظيم الرغبة، شديد الفرح؛ فإنه يناجي الله، وإن الله أمامه يغفر له ويجيبه إذا دعاه، ثم يتلو ابن عباس رضي الله عنهما هذه الآية: ﴿وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى﴾. فقوله تعالى: ﴿وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى﴾ هذه صفة ظواهرهم، كما قال: ﴿ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى﴾ [التوبة: ٥٤]. ثم ذكر تعالى صفة بواطنهم الفاسدة فقال: ﴿يراؤون الناس﴾ أي لا إخلاص لهم، ولهذا يتخلفون كثيراً عن الصلاة التي لا يُرَوْن غالباً فيها، كصلاة العشاء وقتِ العتمة، وصلاة الصبح في وقت الغلس، كما ثبت في الصحيحين: أن رسول الله ﷺ قال: «أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء=

ـ ٨٨]. [الكبائر: جمع كبيرة، وهي كل فعل قبيح نهى عنه الشرع وشدد النهي عنه وأعظم أمره. عقوق: هو كل فعل يتأذى به الوالدان تأذياً شديداً، وهو ليس من الأفعال الواجبة شرعاً، أصله من العق وهو القطع، لأن العاق يقطع ما بينه وبينهما من صلة. الزور: الكذب والباطل].

دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم ﴾ بموالاتهم ﴿ سلطاناً مبيناً ﴾ برهاناً بيناً على نفاقكم.

١٤٥ ﴿ إن المنافقين في الدرك ﴾ المكان ﴿ الأسفل من النار ﴾ وهو قعرها⁽١⁾ ﴿ ولن تجد لهم نصيراً ﴾ مانعاً من العذاب. ١٤٦ ﴿ إلا الذين تابوا ﴾ من النفاق ﴿ وأصلحوا ﴾ عملهم ﴿ واعتصموا ﴾ وثقوا ﴿ بالله وأخلصوا دينهم لله ﴾ من الرياء ﴿ فأولئك مع المؤمنين ﴾ فيما يؤتَوْنه ﴿ وسوف يؤت الله المؤمنين أجراً عظيماً ﴾ في الآخرة، وهو الجنة.
١٤٧ ﴿ ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم ﴾ نعمه ﴿ وآمنتم ﴾ به، والاستفهام بمعنى النفي، أي لا يعذبكم ﴿ وكان الله شاكراً ﴾ لأعمال المؤمنين بالإثابة ﴿ عليماً ﴾ بخلقه.

١٤٨ ﴿ لا يحب الله الجهر بالسوء من القول ﴾ من أحد، أي يعاقب عليه ﴿ إلا من ظلم ﴾ فلا يؤاخذه بالجهر به، بأن يخبر عن ظلم من ظلمه ويدعو عليه⁽٢⁾ ﴿ وكان الله سميعاً ﴾ لما يقال ﴿ عليماً ﴾ بما يفعل. ١٤٩ ﴿ إن تبدوا ﴾ تظهروا ﴿ خيراً ﴾ من أعمال البر ﴿ أو تخفوه ﴾ تعملوه سراً ﴿ أو تعفوا عن سوء ﴾ ظلم ﴿ فإن الله كان عفواً قديراً ﴾.

١٥٠ ﴿ إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ﴾ بأن يؤمنوا به دونهم ﴿ ويقولون نؤمن ببعض ﴾ من الرسل ﴿ ونكفر ببعض ﴾ منهم ﴿ ويريدون أن يتخذوا بين ذلك ﴾ الكفر والإيمان ﴿ سبيلاً ﴾ طريقاً يذهبون إليه. ١٥١ ﴿ أولئك هم

تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ
فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾
إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ
لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ
أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ
وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾ * لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ
مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾
إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ
عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ
وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ
بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ
سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا

---

(١) والنار دركات، كما أن الجنة درجات.

(٢) روى مسلم (البر والصلة والآداب، باب: النهي عن السباب، رقم: ٢٥٨٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (المستبَّانِ: ما قالا فعلى البادىء منهما، حتى يعتدي المظلوم). أي إن إثم السباب الواقع من المتسابين يكون على الذي بدأ منهما بذلك، إلا إذا تجاوز المعتدى عليه حدود الانتصار لنفسه، بأن أفرط في السباب ورد بأكثر مما قيل له، وبالغ في النيل ممن ظلمه، فيكون عليه إثم ما قال.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ يشكو جاره، فقال: «اذهب فاصبر» فأتاه مرتين أو ثلاثاً، فقال: «اذهب فاطرح متاعك في الطريق» فطرح متاعه في الطريق، فجعل الناس يسألونه فيخبرهم خبره، فجعل الناس يلعنونه: فعل الله به فعل وفعل، فجاء إليه الرجل فقال له: ارجع، لا ترى مني شيئاً تكرهه. [أبو داود: الأدب، باب: في حق الجوار، رقم: ٥١٥٣].

=وصلاة الفجر، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبواً، ولقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام، ثم آمر رجلاً فيصلي بالناس، ثم أنطلق معي برجال معهم حزم من حطب، إلى قوم لا يشهدون الصلاة، فأحرق عليهم بيوتهم بالنار». وفي رواية: «والذي نفسي بيده، لو علم أحدهم أنه يجد عَرْقاً سميناً، أو مرماتين حسنتين لشهد الصلاة، ولولا ما في البيوت من النساء والذرية لحرقت عليهم بيوتهم بالنار» [البخاري: الجماعة والإمامة، باب: فضل العشاء في الجماعة، رقم: ٦٢٦. مسلم: المساجد ومواضع الصلاة، باب: فضل صلاة الجماعة، رقم: ٦٥١. مسند أحمد: ٢/٣٧٦]. [الغلس: ظلمة آخر الليل. ما فيهما: من الأجر. حبواً: زحفاً على المقاعد أو الركب. عرقاً: عظماً عليه بقية لحم قليلة. مرماتين: مثنى مرماة وهي قدم الشاة].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحسن الصلاة حيث يراه الناس، وأساءها =حيث يخلو، فتلك استهانة استهان بها ربه عز وجل» [أبو يعلى في مسنده ٥١١٧/١٥١].

فائدة: في حق الضيافة.

عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قلنا للنبي ﷺ: إنك تبعثنا، فننزل بقوم لا يقروننا، فما ترى فيه؟ فقال لنا: «إن نزلتم بقوم، فأُمِر لكم بما ينبغي للضيف فاقبلوا، فإن لم يفعلوا فخذوا منهم حق الضيف» [البخاري: المظالم، باب: قصاص المظلوم إذا وجد مال ظالمه، رقم: ٢٣٢٩. مسلم: اللقطة، باب: الضيافة ونحوها، رقم: ١٧٢٧] [لا يقروننا: لا يقدمون لنا ضيافة. بما=

سبب نزول الآية [١٤٨]: عن مجاهد قال: أنزلت: ﴿لا يحبّ الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم﴾ في رجل أضاف رجلاً بالمدينة، فأساء قراه، فتحوّل عنه، فجعل يثني عليه بما أولاه، فرخص له أن يثني عليه بما أولاه. [السيوطي] قراه: ضيافته، والقرى ما يقدم للضيف من طعام وشراب ونحوه. يثني عليه: يذكره بما قدم له وما أعطاه ومنحه.

الكافرون حقاً ﴾ مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله ﴿ وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً ﴾ ذا إهانة، وهو عذاب النار.

١٥٢ ﴿ والذين آمنوا بالله ورسله ﴾ كلهم ﴿ ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم ﴾ بالياء والنون ﴿ أجورهم ﴾ ثواب أعمالهم ﴿ وكان الله غفوراً ﴾ لأوليائه ﴿ رحيماً ﴾ بأهل طاعته.

١٥٣ ﴿يسألك ﴾ يا محمد ﴿ أهل الكتاب ﴾ اليهود ﴿ أن تنزل عليهم كتاباً من السماء ﴾ جملةً كما أنزل على موسى، تعنتاً(١)، فإن استكبرت ذلك(٢) ﴿فقد سألوا﴾ أي آباؤهم ﴿موسى أكبر﴾ أعظم ﴿من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة﴾ عياناً ﴿ فأخذتهم الصاعقة ﴾ الموت، عقاباً لهم ﴿ بظلمهم ﴾ حيث تعنتوا في السؤال ﴿ ثم اتخذوا العجل ﴾ إلهاً ﴿ من بعد ما جاءتهم البينات ﴾ المعجزات على وحدانية الله ﴿ فعفونا عن ذلك ﴾ ولم نستأصلهم ﴿ وآتينا موسى سلطاناً مبيناً ﴾ تسلطاً بيناً ظاهراً عليهم، حيث أمرهم بقتل أنفسهم توبة فأطاعوه.

١٥٤ ﴿ ورفعنا فوقهم الطور ﴾ الجبل ﴿ بميثاقهم ﴾ بسبب أخذ الميثاق عليهم ليخافوا فيقبلوه فلا ينقضوه ﴿وقلنالهم﴾ وهو مظل عليهم ﴿ ادخلوا الباب ﴾ باب القرية ﴿ سجداً ﴾سجود انحناء﴿ وقلنا لهم لا تعدوا ﴾وفى قراءة بفتح العين وتشديد الدال، وفيه إدغام التاء في الأصل في الدال(٣)، أي لا تعتدوا ﴿ في السبت ﴾ باصطياد الحيتان فيه ﴿ وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً ﴾ على ذلك، فنقضوه.

١٥٥ ﴿ فبما نقضهم ﴾ ما زائدة، والباء للسببية متعلقة بمحذوف، أي لعناهم بسبب نقضهم ﴿ ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم ﴾ للنبي ﷺ ﴿ قلوبنا غلف ﴾ لا تعي كلامك ﴿ بل طبع ﴾ ختم ﴿الله عليها بكفرهم﴾ فلا تعي وعظاً ﴿فلا يؤمنون إلا قليلاً ﴾ منهم كعبد الله بن سلام وأصحابه.

١٥٦ ﴿ وبكفرهم ﴾ ثانياً بعيسى، وكرر الباء للفصل بينه وبين ما عطف عليه(٤) ﴿ وقولهم

لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ
وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۚ
وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن
تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ
مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ
ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن
ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ
ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا
لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾
فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ
ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا
بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ

---

(١) عناداً لا استرشاداً، والتعنت الإيقاع فيما يشق تحمله.

(٢) استفظعته واستشنعت طلبه.

(٣) الأصل: لا تَعْتَدُوا، فقلبت التاء دالاً وأدغمت بالدال، فصارت ﴿لا تَعَدُّوا﴾ وفتحت العين لالتقاء الساكنين. سكون العين في الأصل وسكون الدال المدغمة. وفي قراءة ﴿تَعْدُّوا﴾ بسكون العين وتشديد الدال. والقراءات الثلاث متواترة.

(٤) أي كررت الباء في قوله ﴿وبكفرهم﴾ المعطوف على قوله ﴿وكفرهم بآيات الله﴾ المقدر دخول الباء عليه، أي (وبكفرهم) لأنه فصل بين المعطوف والمعطوف عليه بكلام أجنبي عنهما وهو قوله ﴿بل طبع الله..﴾ فاحتيج لأعادة حرف الجر.

=ينبغي: بما يقدم عادة. فخذوا منهم: ما كان ينبغي أن يقدم، قهراً عنهم، وذلك في حق الضيف المضطر إلى ضيافة، كما لو كان في مكان لا تباع فيه الأشياء، أو كان منقطعاً، وأما غير المضطر فضيافته سنة مؤكدة].

وعن أبي شريح العدوي رضي الله عنه قال: سمعت أذناي وأبصرت عيناي حين تكلم النبي ﷺ فقال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته». قال: وما جائزته يارسول الله ؟ قال:= «يومٌ وليلة، والضيافة ثلاثة أيام، فما كان وراء ذلك فهو صدقة عليه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت» [البخاري: الأدب، باب: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر» رقم: ٥٦٧٣. مسلم: الإيمان، باب: الحث على إكرام الجار والضيف، رقم: ٤٨].

فائدة: قال ابن كثير في تفسير الآيات [١٥٠_١٥٢]: يتوعد تعالى الكافرين به وبرسله من اليهود والنصارى، حيث فرقوا بين الله ورسله في الإيمان، فأمنوا ببعض الأنبياء وكفروا ببعض،=

سبب نزول الآية [١٥٣ - ١٥٦]: أخرج ابن جرير عن محمد بن كعب القرظي قال: جاء أناس من اليهود إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: إن موسى جاء بالألواح من عند الله، فأتنا بالألواح حتى نصدّقك. فأنزل الله: ﴿يسألك أهل الكتاب ـ إلى قوله ـ بهتاناً عظيماً﴾. وفي رواية: فجثا رجل من اليهود، فقال: ما أنزل الله عليك ولا على موسى ولا على عيسى ولا على أحد شيئاً. فأنزل الله: ﴿وما قدروا الله حقّ قدره﴾ الآية. [الأنعام: ٩١].

عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ

على مريم بهتاناً عظيماً ﴾ حيث رموها بالزنا.

١٥٧ **﴿ وقولهم ﴾** مفتخرين **﴿ إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله ﴾** في زعمهم(١)، أي بمجموع ذلك عذبناهم، قال تعالى تكذيباً لهم في قتله **﴿ وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ﴾** المقتول والمصلوب ـ وهو صاحبهم ـ بعيسى، أي ألقى الله عليه شبهه فظنوه إياه **﴿ وإن الذين اختلفوا فيه ﴾** أي في عيسى **﴿ لفي شك منه ﴾** من قتله، حيث قال بعضهم لما رأوا المقتول: الوجه وجه عيسى، والجسد ليس بجسده، فليس به. وقال آخرون: بل هو هو **﴿ ما لهم به ﴾** بقتله **﴿ من علم إلا اتباع الظن ﴾** استثناء منقطع، أي لكن يتبعون فيه الظن الذي تخيلوه **﴿ وما قتلوه يقيناً ﴾** حال مؤكدة لنفي القتل(٢). ١٥٨ **﴿ بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً ﴾** في ملكه **﴿ حكيماً ﴾** في صنعه.

١٥٩ **﴿ وإن ﴾** ما **﴿ من أهل الكتاب ﴾** أحد **﴿ إلا ليؤمننَّ به ﴾** بعيسى(٣) **﴿ قبل موته ﴾** أي الكتابي، حين يعاين ملائكة الموت، فلا ينفعه إيمانه. أو قبل موت عيسى لما ينزل قرب الساعة، كما ورد في الحديث(٤). **﴿ ويوم القيامة يكون ﴾** عيسى **﴿ عليهم شهيداً ﴾** بما فعلوه لما بعث إليهم. ١٦٠ **﴿ فبظلم ﴾** أي فبسبب ظلم **﴿ من الذين هادوا ﴾** هم اليهود **﴿ حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم ﴾** هي التي في قوله تعالى: «حرمنا كل ذي ظفر» الآية/ الأنعام: ١٤٦/ **﴿ وبصدهم ﴾** الناس **﴿ عن سبيل الله ﴾** دينه، صداً **﴿ كثيراً ﴾**.

١٦١ **﴿ وأخذهم الربا وقد نهوا عنه ﴾** في التوراة **﴿ وأكلهم أموال الناس بالباطل ﴾** بالرشا في الحكم **﴿ وأعتدنا للكافرين منهم عذاباً أليماً ﴾** مؤلماً.

١٦٢ **﴿ لكن الراسخون ﴾** الثابتون **﴿ في العلم منهم ﴾** كعبد الله بن سلام **﴿ والمؤمنون ﴾** المهاجرون والأنصار **﴿ يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك ﴾** من الكتب **﴿ والمقيمين الصلاة ﴾** نصب على المدح(٥)،

---

(١) أنهم قتلوه. (٢) أي قتلهم له منتف انتفاءً يقيناً لا شك فيه.

(٣) وأنه عبد الله تعالى ورسوله، وأنه ليس بإله ولا ولداً للإله، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

(٤) روى البخاري (٣٢٦٤) ومسلم (١٥٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (والذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد) وزاد في رواية: (وحتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها) يقول أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم ﴿وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته﴾ الآية.
[فيكسر الصليب: حقيقة ويبطل ما تزعمه النصارى من تعظيمه. يضع الجزية: أي لا يقبلها من أحد، ولا يقبل إلا الإسلام. يفيض المال: يكثر في أيدي الناس، مما يدل على الاستقرار وحصول الأمن وحسن المعاش].

[البخاري: الأنبياء، باب: نزول عيسى بن مريم عليهما السلام. مسلم: الإيمان، باب: نزول عيسى بن مريم حاكماً بشريعة نبينا محمد ﷺ].

(٥) التقدير: وأمدح المقيمين الصلاة، فتكون جملة ﴿والمقيمين الصلاة﴾ معترضة بين المعطوف ﴿ والمؤتون ﴾ والمعطوف عليه ﴿والمؤمنون..﴾ ذكر منصوباً على المدح تعظيماً لشأنهم.

=بمجرد التشهي والعادة، وما ألفوا عليه آباءهم، لا عن دليل قادهم إلى ذلك، فإنه لا سبيل لهم إلى ذلك، بل بمجرد الهوى والعصبية، فاليهود ـ عليهم لعائن الله ـ آمنوا بالأنبياء إلا عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام، والنصارى آمنوا بالأنبياء وكفروا بخاتمهم وأشرفهم محمد ﷺ، والسامرة لا يؤمنون بنبي بعد يوشع خليفة موسى بن عمران، والمجوس: يقال إنهم كانوا يؤمنون بنبي لهم يقال له زرادشت، ثم كفروا بشرعه، فرفع من بين أظهرهم، والله أعلم. والمقصود أن من كفر بنبي من الأنبياء فقد كفر بسائر الأنبياء، فإن الإيمان واجب بكل نبي بعثه الله إلى أهل الأرض، فمن رد نبوته للحسد أو العصبية أو التشهي تبين أن إيمانه بمن آمن به من الأنبياء ليس إيماناً شرعياً، إنما هو عن غرض وهوى وعصبية، ولهذا قال تعالى: ﴿إن الذين يكفرون بالله ورسله﴾ فوسمهم بأنهم كفار بالله ورسله ﴿ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله﴾ أي: في الإيمان ﴿ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً﴾ أي: طريقاً ومسلكاً، ثم أخبر تعالى عنهم فقال: ﴿أولئك هم الكافرون حقاً﴾ أي: كفرهم=

وقرىء بالرفع ﴿والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم﴾ بالنون والياء ﴿أجراً عظيماً﴾ هو الجنة.

١٦٣ ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده و﴾ كما ﴿أوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق﴾ ابنيه ﴿ويعقوب﴾ ابن إسحاق ﴿والأسباط﴾ أولاده ﴿وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا﴾ أباه ﴿داود زبوراً﴾ بالفتح⁽¹⁾، اسم للكتاب المؤتى، والضم⁽¹⁾ مصدر بمعنى مزبوراً، أي مكتوباً. ١٦٤ ﴿و﴾ أرسلنا ﴿رسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك﴾ روي: أنه تعالى بعث ثمانية آلاف نبي: أربعة آلاف من إسرائيل، وأربعة آلاف من سائر الناس. قاله الشيخ في سورة غافر⁽²⁾ ﴿وكلم الله موسى﴾ بلا واسطة ﴿تكليماً﴾.

١٦٥ ﴿رسلاً﴾ بدل من رسلاً قبله ﴿مبشرين﴾ بالثواب من آمن ﴿ومنذرين﴾ بالعقاب من كفر، أرسلناهم ﴿لئلا يكون للناس على الله حجة﴾ تُقَال ﴿بعد﴾ إرسال ﴿الرسل﴾ إليهم «فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين»/ القصص: ٤٧/ فبعثناهم لقطع عذرهم⁽³⁾ ﴿وكان الله عزيزاً﴾ في ملكه ﴿حكيماً﴾ في صنعه.

١٦٦ ونزل ـ لما سئل اليهود عن نبوته ﷺ فأنكروه ـ ﴿لكن الله يشهد﴾ يبين نبوتك ﴿بما أنزل إليك﴾ من القرآن المعجز ﴿أنزله﴾ ملتبساً ﴿بعلمه﴾ أي عالماً به، أو: وفيه علمه ﴿والملائكة يشهدون﴾ لك أيضاً ﴿وكفى بالله شهيداً﴾ على ذلك.

١٦٧ ﴿إن الذين كفروا﴾ بالله ﴿وصدوا﴾ الناس ﴿عن سبيل الله﴾ دين الإسلام، بكتمهم نعت محمد ﷺ، وهم اليهود ﴿قد ضلوا ضلالاً بعيداً﴾ عن الحق.

١٦٨ ﴿إن الذين كفروا﴾ بالله

ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُوْلَـٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ
أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾ ۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ
إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ
وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ
وَيُونُسَ وَهَـٰرُونَ وَسُلَيْمَـٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾
وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَـٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ
نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾
رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ
حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ لَّـٰكِنِ ٱللَّهُ
يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ
وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن
سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّوا۟ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟

---

(١) أي بفتح الزاي وضمها، وهما قراءتان سبعيتان.

(٢) أي قاله الجلال المحلي عند قوله تعالى: ﴿منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك﴾/ غافر: ٧٨/. قال الصاوي في حاشيته: هذه الرواية ضعيفة، فلذا تبرأ منها المفسر، والرواية المشهورة: أن الأنبياء مائة ألف، وفي رواية: مائتا ألف وأربعة وعشرون ألفاً، الرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر أو أربعة عشر أو خمسة عشر. وبعد ذلك: فالحق أنه لم يبلغنا عددهم على الصحيح، وإنما هي أحاديث مختلفة تقبل الطعن، كما أفاده الأشياخ.

(٣) روى [البخاري: التوحيد، باب : قول النبي ﷺ: (لا شخص أغير من الله). مسلم: اللعان] عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: قال سعد بن عبادة: لو رأيت رجلاً على امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: (تعجبون من غيرة سعد، والله لأنا أغير منه، والله أغير مني، ومن أجل غيرة الله حرم الله الفواحش ما ظهر منها وما بطن. ولا أحد أحب إليه العذر من الله، ومن أجل ذلك بعث المنذرين والمبشرين. ولا أحد أحب إليه المدحة من الله، ومن أجل ذلك وعد الجنة).

غير مصفح: أي ضربته بحده لا بصفحه، وهو عرضه.
تعجبون..: أي ترون أن غيرته شديدة تثير العجب.
والغيرة: ما يحمل على المنع من النظر ونحوه لأجنبي، وغيرة الله تعالى ورسوله ﷺ منعهما من المعاصي.
الفواحش: جمع فاحشة، وهي كل خصلة قبيحة من الأقوال أو الأفعال. ما ظهر..: أي ما كان منها في السر وما كان في العلن. العذر: التوبة، والرجوع عن الخطأ وطلب العفو عنه. المبشرين..: الرسل، يبشرون بالثواب لمن تاب

=محقق لا محالة بمن ادعوا الإيمان به، لأنه ليس شرعياً، إذ لو كانوا مؤمنين به لكونه رسول الله لآمنوا بنظيره، وبمن هو أوضح دليلاً وأقوى برهاناً منه، أو نظروا حق النظر في نبوته. وقوله: ﴿وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً﴾ أي: كما استهانوا بمن كفروا به، إما لعدم نظرهم فيما جاءهم به من الله، وإعراضهم عنه، وإقبالهم على جمع حطام الدنيا مما لا ضرورة بهم إليه، وإما بكفرهم به بعد علمهم بنبوته، كما كان يفعله كثير من أحبار اليهود في زمان رسول الله ﷺ، حيث حسدوه على ما آتاه الله من النبوة العظيمة، وخالفوه وكذبوه وعادوه وقاتلوه، فسلط الله عليهم الذل الدنيوي الموصول بالذل الأخروي: ﴿ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤوا بغضب من الله﴾ في الدنيا والآخرة. وقوله: ﴿والذين آمنوا بالله ورسله لم يفرقوا بين أحد منهم﴾ يعني بذلك: أمة محمد ﷺ، فإنهم=

سبب نزول الآية [١٦٦]: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: دخل جماعة من اليهود على رسول الله ﷺ فقال لهم: (إني والله أعلم أنكم

﴿ وظلموا ﴾ نبيه بكتمان نعته ﴿ لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقاً ﴾ من الطرق.

١٦٩ ﴿ إلا طريق جهنم ﴾ أي الطريق المؤدي إليها ﴿ خالدين ﴾ مقدرين الخلود ﴿ فيها ﴾ إذا دخلوها ﴿ أبداً وكان ذلك على الله يسيراً ﴾ هيناً.

١٧٠ ﴿ يا أيها الناس﴾ أي أهل مكة ﴿ قد جاءكم الرسول ﴾ محمد ﷺ ﴿ بالحق من ربكم فآمنوا ﴾ به، واقصدوا ﴿ خيراً لكم ﴾ مما أنتم فيه ﴿ وإن تكفروا ﴾ به ﴿ فإن لله ما في السموات والأرض ﴾ ملكاً وخلقاً وعبيداً، فلا يضره كفركم ﴿ وكان الله عليماً ﴾ بخلقه ﴿ حكيماً ﴾ في صنعه بهم.

١٧١ ﴿ يا أهل الكتاب ﴾ الإنجيل ﴿ لا تغلوا ﴾ تتجاوزوا الحد ﴿ في دينكم ولا تقولوا على الله إلا ﴾ القول ﴿ الحق ﴾ من تنزيهه عن الشريك والولد ﴿ إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها ﴾ أوصلها الله ﴿ إلى مريم وروح ﴾ أي ذو روح ﴿ منه ﴾ أضيف إليه تعالى تشريفاً له، وليس كما زعمتم ابن الله أو إلهاً معه أو ثالث ثلاثة، لأن ذا الروح مركب، والإله منزهٌ عن التركيب وعن نسبة المركب إليه ﴿ فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ﴾ الآلهة ﴿ ثلاثة ﴾ الله وعيسى وأمه ﴿ انتهوا ﴾ عن ذلك وأتوا ﴿ خيراً لكم ﴾ منه، وهو التوحيد ﴿ إنما الله إله واحد سبحانه ﴾ تنزيهاً له عن ﴿ أن يكون له ولد له ما في السماوات وما في الأرض ﴾ خلقاً وملكاً وعبيداً، والملكية تنافي البنوة(١) ﴿ وكفى بالله وكيلاً ﴾ شهيداً على ذلك.

١٧٢ ﴿ لن يستنكف ﴾ يتكبر ويأنف ﴿ المسيح ﴾ الذي زعمتم أنه إله، عن ﴿ أن يكون عبداً

وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾
إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى
ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ
بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُواْ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ وَإِن تَكْفُرُواْ
فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا
حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ وَلَا
تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ
مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ
فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَـٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُواْ خَيْرًا
لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَـٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ
وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ
وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا

وأطاع، وينذرون بالعقاب لمن عصى وأصر على المخالفة.

المدحة: الثناء الحسن بذكر أوصاف الكمال والتنزيه عما لا يليق به.

(١) لأن الابن جزء من الأب، ولا يعقل أن يكون بعض ما يملكه المالك جزءاً منه.

فائدة: عن ابن عباس رضي الله عنهما: سمع عمر رضي الله عنه يقول على المنبر: سمعت النَّبي ﷺ يقول: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله». [لا تطروني: من الإطراء، وهو الإفراط في المديح ومجاوزة الحد فيه، وقيل: هو المديح بالباطل والكذب فيه. كما أطرت النصارى ابن مريم: أي بدعواهم فيه الألوهية وغير ذلك].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الدنيا والآخرة، ـ وفي رواية: ليس بيني وبينه نبي ـ والأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد» [البخاري: الأنبياء، باب: ﴿واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها﴾ /مريم: ١٦/. مسلم: الفضائل، باب: فضائل عيسى عليه السلام]. [أولى: أخص الناس به وأقربهم إليه. أولاد علات: هم الإخوة لأب واحد من أمهات مختلفة، والمعنى: أن شرائعهم متفقة من حيث الأصول وإن اختلفت من حيث الفروع، حسب الزمن، وحسب العموم والخصوص. شتى: مختلفة ومتعددة. دينهم واحد: هو دين التوحيد، وهذا يفيد أن النسب الحقيقي هو نسب العقيدة والإيمان، وبه يكون التفاضل لا بالآباء].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها».

ثم يقول أبو هريرة: واقرؤوا إن شئتم: ﴿وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً﴾ [النساء: ١٥٩] [البخاري: الأنبياء، باب: نزول عيسى عليه السلام. مسلم: الإيمان، باب: نزول عيسى..] [ليوشكن: ليقربن. مقسطاً: عدلاً. يضع الجزية: يرفعها، ولا يقبل إلا الإسلام. يفيض: يكثر ويستغني الناس. إن شئتم: أن تتأكدوا من معنى وصدق ما أروي].

=يؤمنون بكل كتاب أنزله الله، وبكل نبي بعثه الله، كما قال تعالى: ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله﴾ [البقرة: ٢٨٥]. ثم أخبر تعالى بأنه قد أعد لهم الجزاء الجزيل والثواب الجليل والعطاء الجميل، فقال: ﴿أولئك سوف يؤتيهم أجورهم﴾ على ما آمنوا بالله ورسله ﴿وكان الله غفوراً رحيماً﴾ أي: لذنوبهم، أي: إن كان لبعضهم ذنوب.

تعلمون أني رسول الله). فقالوا: ما نعلم ذلك، فأنزل الله: ﴿ لكن الله يشهد ﴾. [السيوطي].

سبب نزول الآية [١٧٢]: قال الكلبي:

لله ولا الملائكة المقربون﴾ عند الله لا يستنكفون أن يكونوا عبيداً. وهذا من أحسن الاستطراد⁽¹⁾، ذكر للرد على من زعم أنها آلهة أو بنات الله، كما رد بما قبله على النصارى ـ الزاعمين ذلك ـ المقصودِ خطابهم⁽²⁾ ﴿ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعاً﴾ في الآخرة.

١٧٣ ﴿ فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ﴾ ثواب أعمالهم ﴿ ويزيدهم من فضله ﴾ ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر⁽³⁾ ﴿وأما الذين استنكفوا واستكبروا﴾ عن عبادته ﴿فيعذبهم عذاباً أليماً﴾ مؤلماً، هو عذاب النار ﴿ ولا يجدون لهم من دون الله ﴾ أي غيره ﴿ ولياً ﴾ يدفعه عنهم ﴿ ولا نصيراً ﴾ يمنعهم منه.

١٧٤ ﴿ يا أيها الناس قد جاءكم برهان ﴾ حجة ﴿ من ربكم ﴾ عليكم، وهو النبي ﷺ ﴿ وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً ﴾ وهو القرآن.

١٧٥ ﴿ فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به⁽⁴⁾ فسيدخلهم في رحمة منه وفضل⁽⁵⁾ ويهديهم إليه صراطاً ﴾ طريقاً ﴿ مستقيماً ﴾ هو دين الإسلام.

١٧٦ ﴿ يستفتونك ﴾ في الكلالة ﴿ قل الله يفتيكم في الكلالة إن امرؤ ﴾ مرفوع بفعل يفسره ﴿هلك﴾ مات.

لِلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً

﴿ ليس له ولد ﴾ أي ولا والد، وهو الكلالة ﴿ وله أخت ﴾ من أبوين أو أب ﴿ فلها نصف ما ترك وهو ﴾ أي الأخ كذلك ﴿ يرثها ﴾ جميع ما تركت ﴿ إن لم يكن لها ولد ﴾ فإن كان لها ولد ذكر فلا شيء له، أو أنثى فله ما فضل عن نصيبها، ولو كانت الأخت أو الأخ من أم ففرضه السدس، كما تقدم أول السورة/ الآية: ١٢/ ﴿ فإن كانتا ﴾ أي الأختان ﴿ اثنتين ﴾ أي فصاعداً، لأنها نزلت في جابر، وقد مات عن أخوات⁽⁶⁾ ﴿فلهما الثلثان مما ترك﴾ الأخ ﴿وإن كانوا﴾ أي الورثة ﴿إخوة رجالاً ونساء

---

(١) يـــراد: الانتقال من معنى إلى معنى آخر متصل به، أو ذكر الشيء في غير محله لمناسبة، والمناسبة هنا الرد على النصارى في دعواهم بنوة عيسى عليه السلام، فناسب أن يرد على المشركين في دعواهم أن الملائكة بنات الله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

(٢) أي كمـا رد بقـولـه ﴿لن يستنكف المسيح..﴾ على النصارى ـ المقصود خطابهم بالآية ـ زعمهم أن عيسى عليه السلام ابن الله أو إله معه أو ثالث ثلاثة.

(٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (قال الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر). قال أبو هريرة رضي الله عنه: فاقرؤوا إن شئتم: ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين﴾ [السجدة: ١٧].

[البخاري: بدء الخلق، باب: ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، رقم: ٣٠٧٢. مسلم: أوائل كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم: ٢٨٢٤].

(٤) التجؤوا إليه أن يثبتهم على الإيمان ويصونهم من زيغ الشيطان، والتزموا شرعه، بتمسكهم بكتابه وسنة نبيه ﷺ.

(٥) سيدخلهم جنته، ويزيدهم إكراماً وإنعاماً.

(٦) أي بعد نزولها، لا أنها نزلت فيه بعد موته، لأنه عاش بعد وفاة النبي ﷺ.

إن وفد نجران قالوا: يا محمد، تعيب صاحبنا؟ قال: (ومن صاحبكم). قالوا: عيسى. قال: (أي شيء أقول فيه). قالوا: تقول إنه عبد الله ورسوله. فقال لهم: (إنه ليس بعار لعيسى أن يكون عبداً لله). قالوا: بلى. فنزلت: ﴿لن يستنكف المسيح أَنْ يَكُونَ عَبْداً لِلَّهِ﴾ الآية. [الواحدي].

سبب نزول الآية [١٧٦]: أخرج أبو داود [الفرائض، باب: من كان ليس له ولد وله أخوات، رقم: ٢٨٨٧] عن جابر رضي الله عنه قال: اشتكيت وعندي سبع أخوات، فدخل عليَّ رسول الله ﷺ، فنفخ في وجهي فأفقت، فقلت: يا رسول الله، ألا اوصي لأخواتي بالثلث؟ قال: (أحسن). قلت: الشطر؟ قال: (أحسن). ثم خرج وتركني، فقال: (يا جابر، لا أراك ميتاً من وجعك هذا، وإن الله قد أنزل فبين مالأخواتك، فجعل لهن الثلثين). فكان جابر يقول: أنزلت هذه الآية فيّ: ﴿ يستفتونك قلِ الله يفتيكم في الكلالة ﴾. قال الحافظ ابن حجر: وهذه قصة أخرى لجابر غير التي تقدّمت في أوّل تفسير سورة النساء فيما يظهر لي، وقد قدمت المستند في ذلك واضحاً في أوائل هذه السورة، والله أعلم. [فتح الباري: التفسير/ النساء، باب: ﴿ يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة.. ﴾] وانظر سبب نزول الآية [١١] من هذه السورة.

فللذكر﴾ منهم ﴿مثل حظ الأنثيين يبين الله لكم﴾ شرائع دينكم ﴿أن﴾ لا ﴿تضلوا والله بكل شيء عليم﴾ ومنه الميراث. . روى الشيخان عن البراء: أنها آخر آية نزلت(١)، أي من الفرائض.

(سورة المائدة)

(مدنية، وآياتها مائة وعشرون، أو وثنتان أو ثلاث، آية)

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود﴾ العهود المؤكدة التي بينكم وبين الله(٢) والناس ﴿أحلت لكم بهيمة الأنعام﴾ الإبل والبقر والغنم، أكلاً بعد الذبح ﴿إلا ما يتلى عليكم﴾ تحريمه في «حرمت عليكم الميتة» الآية/ ٤/ فالاستثناء منقطع(٣)، ويجوز أن يكون متصلاً(٤) والتحريم لما عرض من الموت ونحوه ﴿غير محلي الصيد وأنتم حرم﴾ أي محرمون، ونصب غير على الحال من ضمير لكم(٥) ﴿إن الله يحكم ما يريد﴾ من التحليل وغيره لا اعتراض عليه.

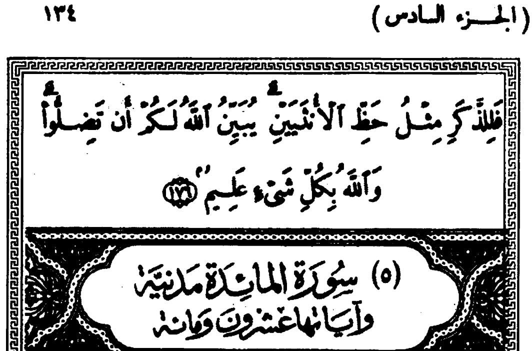

١٣٤ (الجـزء السادس)

فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ۗ
وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿١٧٦﴾

(٥) سُورَةُ المَائِدَةِ مَدَنِيَّة
وَآيَاتُهَا عِشْرُونَ وَمِائَة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ
ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ
إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟
شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ
وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ
وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ

٢ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله﴾ جمع شعيرة، أي معالم دينه، بالصيد في الإحرام ﴿ولا الشهر الحرام﴾ بالقتال فيه ﴿ولا الهدي﴾ ما أهدي إلى الحرم من النعم بالتعرض له ﴿ولا القلائد﴾ جمع قلادة(٦)، وهي ما كان يقلد به من شجر الحرم ليأمن، أي فلا تتعرضوا لها ولا لأصحابها ﴿ولا﴾ تحلوا ﴿آمين﴾ قاصدين ﴿البيت الحرام﴾ بأن تقاتلوهم ﴿يبتغون فضلاً﴾ رزقاً ﴿من ربهم﴾ بالتجارة ﴿ورضواناً﴾ منه بقصده، بزعمهم الفاسد، وهذا منسوخ بآية براءة(٧) ﴿وإذا حللتم﴾ من الإحرام ﴿فاصطادوا﴾ أمر إباحة ﴿ولا يجرمنكم﴾ يكسبنكم ﴿شنآن﴾ بفتح النون وسكونها، بغض

---

(١) انظر: البخاري [التفسير/النساء، باب: ﴿يستفتونك قل الله يفتيكم. .﴾ رقم: ٤٣٢٩] ومسلم [الفرائض، باب: آخر آية أنزلت آية الكلالة، رقم: ١٦١٨].

(٢) وعقود الله تعالى تكاليفه وأحكام دينه التي عهد بها إلى عباده.

(٣) لأن المستثنى منه حلال والمستثنى محرم.

(٤) لأن المستثنى كان حلالاً في الأصل، والتحريم عارض، فكأنه استثناء حلال من حلال.

(٥) المعنى: حال كونكم لا تحلون الصيد للحيوانات الوحشية وأنتم في حالة إحرام.

(٦) هي ما يعلق ويشد في عنق البعير وغيره، والمراد النهي عن التعرض لما علقت عليه.

(٧) أي عدم التعرض لمن جاء قاصداً الحرم من المشركين منسوخ بقوله تعالى: ﴿فلا يَقْرَبُوا المسْجِدَ الحَرامَ﴾/التوبة: ٢٨/.

سبب نزول الآية [٢]: أخرج ابن جرير عن عكرمة قال: قدم الحطم أخو بني ضبيعة بن ثعلبة البكري المدينة في عير له يحمل طعاماً، فباعه، ثم دخل على النبيّ ﷺ فبايعه وأسلم، فلما ولى خارجاً نظر إليه، فقال لمن عنده: (لقد دخل عليَّ بوجه فاجر وولى بقفا غادر). فلما قدم اليمامة ارتدّ عن الإسلام، وخرج في عير له تحمل الطعام في ذي القعدة يريد مكة، فلما سمع به أصحاب النبيّ ﷺ تهيأ للخروج إليه نفر من المهاجرين والأنصار ليقتطعوه في عيره، فأنزل الله: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله﴾ الآية، فانتهى القوم. وأخرج عن السديّ نحوه.

عير: هي الابل المحملة بالأموال. ليقتطعوه: ليقطعوا عليه الطريق ويأخذوه.

وعن زيد بن أسلم قال: كان رسول الله ﷺ بالحديبية وأصحابه حين صدّهم المشركون عن البيت، وقد اشتدّ ذلك عليهم، فمرّ بهم أناس من المشركين من أهل المشرق يريدون العمرة، فقال أصحاب النبيّ ﷺ: نصدّ هؤلاء كما صدّوا أصحابنا، فأنزل الله: ﴿ولا يجرمنكم﴾ الآية [السيوطي].

﴿ قوم ﴾ لأجل ﴿ أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا ﴾ عليهم بالقتل وغيره ﴿ وتعاونوا على البر ﴾ بفعل ما أمرتم به ﴿ والتقوى ﴾ بترك ما نهيتم عنه ﴿ ولا تعاونوا ﴾ فيه حذف إحدى التاءين في الأصل ﴿ على الإثم ﴾ المعاصي ﴿ والعدوان ﴾ التعدي في حدود الله ﴿ واتقوا الله ﴾ خافوا عقابه، بأن تطيعوه ﴿ إن الله شديد العقاب ﴾ لمن خالفه.

٣ ﴿ حرمت عليكم الميتة ﴾ أي أكلها ﴿ والدم ﴾ أي المسفوح، كما في الأنعام/ الآية: ١٤٥/ ﴿ ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به ﴾ بأن ذبح على اسم غيره ﴿ والمنخنقة ﴾ الميتة خنقاً ﴿ والموقوذة ﴾ المقتولة ضرباً ﴿ والمتردية ﴾ الساقطة من علو إلى أسفل فماتت ﴿ والنطيحة ﴾ المقتولة بنطح أخرى لها ﴿ وما أكل السبع ﴾ منه ﴿ إلا ما ذكيتم ﴾ أي أدركتم فيه الروح من هذه الأشياء فذبحتموه ﴿ وما ذبح على ﴾ اسم ﴿ النصب ﴾ جمع نصاب، وهي الأصنام ﴿ وأن تستقسموا ﴾ تطلبوا القسم والحكم ﴿ بالأزلام ﴾ جمع زلم، بفتح الزاي وضمها مع فتح اللام، قدح(١) ـ بكسر القاف ـ صغير لا ريش له ولا نصل، وكانت سبعة عند سادن الكعبة(٢)، عليها أعلام(٣)، وكانوا يحكمونها: فإن أمرتهم ائتمروا، وإن نهتهم انتهوا ﴿ ذلكم فسق ﴾ خروج عن الطاعة. ونزل يوم عرفة عام حجة الوداع ﴿اليوم يئس الذين كفروا من دينكم ﴾ أن ترتدوا عنه، بعد طمعهم في ذلك، لما رأوا من قوته ﴿ فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم ﴾ أحكامه وفرائضه، فلم ينزل بعدها حلال ولا حرام ﴿ وأتممت عليكم نعمتي ﴾ بإكماله، وقيل: بدخول مكة آمنين ﴿ ورضيت ﴾ أي اخترت ﴿ لكم الإسلام ديناً(٤) فمن اضطر في مخمصة ﴾ مجاعة إلى أكل شيء مما حرم عليه فأكله ﴿ غير متجانف ﴾ مائل ﴿ لإثم ﴾ معصية ﴿ فإن الله غفور ﴾ له ما أكل ﴿ رحيم ﴾ به في إباحته له، بخلاف المائل لإثم، أي الملتبس به، كقاطع الطريق والباغي مثلاً، فلا يحل له الأكل.

٤ ﴿ يسألونك ﴾ يا محمد ﴿ ماذا أحل لهم ﴾ من الطعام ﴿ قل أحل لكم الطيبات ﴾ المستلذات ﴿ و ﴾ صيد ﴿ ما علمتم من الجوارح﴾ الكواسب(٥) من الكلاب والسباع والطير

قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟
وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ
وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾
حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ
لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ
وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن
تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ
لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ
ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ
لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ
لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ

---

(١) سهم، والريش ما يكون في مؤخرته ليوجهه نحو الهدف، والنصل القسم المحدد منه في مقدمته.

(٢) خادمها.

(٣) كتابة، مثل: أمرني ربي، ونهاني ربي، منكم، من غيركم وهكذا.

(٤) روى البخاري ومسلم أن رجلاً من اليهود جاء إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين آية في كتابكم تقرؤونها، لو علينا نزلت معشر اليهود لاتخذنا ذلك اليوم عيداً. قال: فأي آية؟ قال ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ فقال عمر: إني لأعلم اليوم الذي نزلت فيه والمكان الذي نزلت فيه، نزلت على رسول الله ﷺ بعرفات في يوم الجمعة.
أقول: يريد بذلك أنه اجتمع في يوم نزولها يوما عيد بالنسبة إلينا.
[البخاري: الإيمان، باب: زيادة، الإيمان ونقصانه، رقم: ٤٥. مسلم: أوائل كتاب التفسير، رقم: ٣٠١٧، واللفظ له].

(٥) الكواسب: أي التي تكسب رزقها وتصطاد بنابها أو مخلبها.

سبب نزول الآية [٣]: عن حبان بن حجر رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ وأنا أوقد تحت قدر فيها لحم ميتة، فأنزل تحريم الميتة، فأكفأت القدر. [السيوطي] أي قلبته حتى أفرغت ما فيه على الأرض.

سبب نزول الآية [٤]: عن أبي رافع رضي الله عنه قال: جاء جبريل إلى النبيّ ﷺ فاستأذن عليه فأذن له، فأبطأ، فأخذ رداءه، فخرج إليه وهو قائم بالباب، فقال: (قد أذنا لك. قال: أجل، ولكنا لا ندخل بيتاً فيه صورة ولا كلب). فنظروا فإذا في بعض بيوتهم جرو، فأمر أبا رافع: (ولا تدع كلباً بالمدينة إلا قتلته). فأتاه ناس فقالوا: يا رسول الله، ماذا يحلّ لنا من هذه الأمة التي أمرت بقتلها؟ فنزلت: ﴿يسألونك ماذا أحلّ لهم﴾ الآية.

وقال سعيد بن جبير: نزلت هذه الآية في عدي بن حاتم وزيد بن المهلهل الطائيين، وهو زيد الخيل الذي سماه رسول الله ﷺ زيد الخير، فقالا: يا رسول الله، إنا قوم نصيد بالكلاب والبزاة، فإن كلاب آل درع وآل حويرية تأخذ البقر والحمر والظباء والضب، فمنه ما يدرك ذكاته ومنه ما

﴿ مكلبين ﴾ حال، من كلَّبت الكلب ـ بالتشديد ـ أي أرسلته على الصيد ﴿ تعلمونهن ﴾ حال من ضمير مكلبين، أي تؤدبونهن ﴿ مما علمكم الله ﴾ من آداب الصيد ﴿ فكلوا مما أمسكن عليكم ﴾ وإن قتلنه، بأن لم يأكلن منه، بخلاف غير المعلمة فلا يحل صيدها، وعلامتها(١): أن تسترسل إذا أرسلت، وتنزجر إذا زجرت، وتمسك الصيد ولا تأكل منه. وأقل ما يعرف به ذلك ثلاث مرات، فإن أكلت منه فليس مما أمسكن على صاحبها، فلا يحل أكله، كما في حديث الصحيحين وفيه: أن صيد السهم، إذا أرسل وذكر اسم الله عليه، كصيد المعلم من الجوارح(٢) ﴿ واذكروا اسم الله عليه ﴾ عند إرساله ﴿ واتقوا الله إن الله سريع الحساب ﴾.

٥ ﴿ اليوم أحل لكم الطيبات ﴾ المستلذات ﴿ وطعام الذين أوتوا الكتاب ﴾ أي ذبائح اليهود والنصارى ﴿ حل ﴾ حلال ﴿ لكم وطعامكم ﴾ إياهم ﴿ حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات ﴾ الحرائر ﴿ من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ﴾ حل لكم أن تنكحوهن ﴿ إذا آتيتموهن أجورهن ﴾ مهورهن ﴿ محصنين ﴾ متزوجين ﴿ غير مسافحين ﴾ معلنين بالزنا بهن ﴿ ولا متخذي أخدان ﴾ منهن، تسرون بالزنا بهن ﴿ ومن يكفر بالإيمان ﴾ أي يرتد ﴿ فقد حبط عمله ﴾ الصالح قبل ذلك، فلا يعتد به ولا يثاب عليه ﴿ وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾ إذا مات عليه.

٦ ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم ﴾ أي أردتم القيام ﴿ إلى الصلاة ﴾ وأنتم محدثون ﴿ فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق ﴾ أي معها، كما بينته السنة(٣) ﴿ وامسحوا برؤوسكم ﴾ الباء للإلصاق، أي ألصقوا المسح بها من غير إسالة ماء، وهو(٤) اسم جنس، فيكفي أقل ما يصدق عليه وهو مسح بعض الشعر، وعليه الشافعي ﴿ وأرجلكم ﴾ بالنصب عطفاً على أيديكم، وبالجر على الجوار(٥) ﴿ إلى الكعبين ﴾ أي معهما، كما بينته السنة(٦)، وهما: العظمان الناتئان في كل رجل عند مفصل الساق والقدم. والفصل بين الأيدي والأرجل المغسولة بالرأس الممسوح يفيد وجوب الترتيب في طهارة هذه الأعضاء، وعليه الشافعي. ويؤخذ من السنة وجوب النية فيه كغيره من العبادات(٧) ﴿ وإن كنتم جنباً

مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ
عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ
سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤﴾ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ
وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ
حِلٌّ لَّهُمْ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ
مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ
أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ
وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ
مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى
ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ
وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنتُمْ
جُنُبًا فَٱطَّهَّرُوا۟ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ

---

(١) أي صفة تعلمها وشرطه.

(٢) انظر: البخاري [الذبائح والصيد، باب: صيد القوس، رقم: ٥١٦١] ومسلم [الصيد والذبائح، باب: الصيد بالكلاب المعلمة، رقم: ١٩٣٠].

(٣) فقد روى مسلم (٢٤٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه غسل يديه حتى أشرع في العضد، وقال: هكذا رأيت رسول الله ﷺ يتوضأ. [الطهارة، باب: استحباب إطالة الغرة..].

(٤) أي المسح.

(٥) أي لمجاورتها للمجرور وهو ﴿برؤوسكم﴾ وهو منصوب في المعنى، عطفاً على الأيدي المغسولة. وقيل في توجيهها غير هذا.

(٦) في حديث أبي هريرة السابق أنه غسل رجليه حتى أشرع في الساق.

(٧) لقوله ﷺ: (إنما الأعمال بالنيات). [البخاري: بدء الوحي، رقم الحديث: ١. ومسلم: الإمارة، باب: قوله ﷺ: (إنما الأعمال بالنية) رقم: ١٩٠٧].

يقتل فلا يدرك ذكاته، وقد حرم الله الميتة، فماذا يحل لنا منها؟ فنزلت: ﴿يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات﴾ يعني الذبائح ﴿وما علمتم من الجوارح﴾ يعني وصيدَ ما علمتم من الجوارح، وهو الكواسب من الكلاب وسباع الطير. [الواحدي، السيوطي].

جرو: كلب صغير. الأمة: الجماعة من المخلوقات من جنس واحد. البزاة: جمع بازي وهو من الطيور الجارحة. الحمر: جمع حمار، والمراد الحمر الوحشية، فهي مأكولة اللحم. الظباء: جمع ظبي. الضب: حيوان بري يشبه الجرذون. ذكاته: ذبحه، أي وفيه حياة مستقرة. الكواسب: الجوارح، فهي تكسب الصيد بجرحه وأخذه.

سبب نزول الآية [٦]: عن عائشة رضي الله عنها قالت: سقطت قلادة لي بالبيداء ونحن داخلون المدينة، فأناخ رسول الله ﷺ. ونزل، فثنى رأسه في حجري راقداً، وأقبل أبو بكر فلكزني لكزة شديدة، وقال: حبست الناس في قلادة. فبي الموت لمكان رسول الله ﷺ، وقد أوجعني، ثم إن=

فاطهروا ﴾ فاغتسلوا ﴿ وإن كنتم مرضى ﴾ مرضاً يضره الماء ﴿ أو على سفر ﴾ أي مسافرين ﴿ أو جاء أحد منكم من الغائط ﴾(١) أي أحدث ﴿ أو لامستم النساء ﴾ سبق مثله في آية / النساء: ٤٣/ ﴿ فلم تجدوا ماء ﴾ بعد طلبه ﴿ فتيمموا ﴾ اقصدوا ﴿ صعيداً طيباً ﴾ تراباً طاهراً ﴿ فامسحوا بوجوهكم وأيديكم ﴾ مع المرفقين ﴿ منه ﴾ بضربتين، والباء للإلصاق، وبينت السنة أن المراد استيعاب العضوين بالمسح(٢) ﴿ ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ﴾ ضيق، بما فرض عليكم من الوضوء والغسل والتيمم ﴿ ولكن يريد ليطهركم ﴾ من الأحداث والذنوب ﴿ وليتم نعمته عليكم ﴾ بالإسلام، ببيان شرائع الدين ﴿ لعلكم تشكرون ﴾ نعمه.

٧ ﴿واذكروا نعمة الله عليكم﴾ بالإسلام ﴿وميثاقه﴾ عهده ﴿الذي واثقكم به﴾ عاهدكم عليه ﴿إذ قلتم﴾ للنبي ﷺ حين بايعتموه ﴿ سمعنا وأطعنا ﴾ في كل ما تأمر به وتنهى، مما نحب ونكره ﴿ واتقوا الله ﴾ في ميثاقه أن تنقضوه ﴿ إن الله عليم بذات الصدور ﴾ بما في القلوب، فبغيرها أولى.

٨ ﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين ﴾ قائمين ﴿ لله ﴾ بحقوقه ﴿ شهداء بالقسط ﴾ بالعدل ﴿ ولا يجرمنكم ﴾ يحملنكم ﴿ شنآن ﴾ بغض ﴿ قوم ﴾ أي الكفار ﴿ على ألا تعدلوا ﴾ فتنالوا منهم(٣) لعداوتهم ﴿ اعدلوا ﴾ في العدو والولي ﴿ هو ﴾ أي العدل ﴿ أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون ﴾ فيجازيكم به.

٩ ﴿ وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ وعداً حسناً ﴿ لهم مغفرة وأجر عظيم ﴾ هو الجنة.

١٠ ﴿ والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم ﴾.

١١ ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم

أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً
فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ
مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ
وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾ وَٱذْكُرُوا۟
نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا
وَأَطَعْنَا ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ
وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ
لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾
وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۙ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ
عَظِيمٌ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ
ٱلْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ

---

(١) مكان قضاء الحاجة، وهو في الأصل المنخفض من الأرض.

(٢) فقد روى أبو داود أنه ﷺ ضرب بيديه على حائط ومسح بها وجهه، ثم ضرب ضربة أخرى فمسح بها ذراعيه. [الطهارة، باب: التيمم في الحضر، رقم: ٣٣٠].

(٣) ما يشفي غليلكم من قتل أو أخذ مال.

=النبيّ ﷺ استيقظ وحضرت الصبح، فالتمس الماء فلم يوجد، فنزلت: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة..﴾. فقال أسيد بن حضير: لقد بارك الله للناس فيكم يا آل أبي بكر،ما أنتم إلا بركة لهم.[البخاري: التفسير/ المائدة، باب: قوله ﴿فلم تجدوا ماء فتيمموا﴾ رقم: ٤٣٣٢] [قلادة: الحلي الذي يوضع في العنق. بالبيداء: الصحراء. فأناخ: أي نزل بمن معه في المكان. فثنى: وضع. حجري: حضني. راقداً: نائماً. فلكزني: دفعني وضربني في صدري بكفه. في الموت: كاد ينزل بي الموت من شدة الألم، ولم أتحرك حتى لا أزعج النبي ﷺ. فيكم: بسببكم].

ولقد ذكر السيوطي في كتابه [لباب النقول] حديث البخاري وغيره ثم قال:

تنبيهان: (الأوّل) ساق البخاري هذا الحديث من رواية عمرو بن الحارث، وفيه التصريح بأن آية التيمم المذكورة في رواية غيره هي آية المائدة، وأكثر الرواة قالوا: فنزلت آية التيمم، ولم يبينوها، وقد قال ابن عبد البرّ: وهذه معضلة ما وجدت لدائها دواء، لأنا لا نعلم أيّ الآيتين عنت عائشة، وقد قال ابن بطال: هي آية النساء، ووجهه بأن آية المائدة تسمى آية الوضوء، وآية النساء لا ذكر للوضوء بها، فيتجه تخصيصها بآية التيمم، وأورد الواحدي هذا الحديث في أسباب النزول عند ذكر آية النساء أيضاً، ولا شك أن الذي مال إليه البخاري من أنها آية المائدة هو الصواب، للتصريح بها في الطريق المذكور.

(الثاني) دلّ الحديث على أن الوضوء كان واجباً عليهم قبل نزول الآية، ولهذا استعظموا نزولهم على غير ماء، ووقع من أبي بكر في حقّ عائشة ما وقع. قال ابن عبد البرّ: معلوم عند جميع أهل المغازي أنه ﷺ لم يصلّ منذ فرضت عليه الصلاة إلا بوضوء. ولا يدفع ذلك إلا جاحد أو معاند. قال: والحكمة في نزول آية الوضوء مع تقدّم العمل به ليكون فرضه متلوّاً بالتنزيل. وقال غيره: يحتمل أن يكون أوّل الآية نزل مقدّماً مع فرض الوضوء، ثم نزل بقيتها وهو ذكر التيمم في هذه القصة. قلت: الأوّل أصوب، فإن فرض الوضوء كانَ مع فرض الصلاة بمكة، والآية مدنية.

سبب نزول الآية [١١]: عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما: أن رجلاً من محارب يقال له: غورث بن الحارث، قال لقومه من

إذ هم قوم ﴾ هم قريش ﴿ أن يبسطوا ﴾ يمدوا ﴿ إليكم أيديهم ﴾ ليفتكوا بكم ﴿ فكف أيديهم عنكم ﴾ وعصمكم مما أرادوا بكم ﴿ واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾.

١٢ ﴿ ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل ﴾ بما يذكر بعد ﴿ وبعثنا ﴾ فيه التفات عن الغيبة، أقمنا ﴿ منهم اثني عشر نقيباً ﴾ من كل سبط[1] نقيب يكون كفيلاً على قومه بالوفاء بالعهد، توثقة عليهم ﴿ وقال ﴾ لهم ﴿ الله إني معكم ﴾ بالعون والنصرة ﴿ لئن ﴾ لام قسم ﴿ أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزرتموهم ﴾ نصرتموهم ﴿ وأقرضتم الله قرضاً حسناً ﴾ بالإنفاق في سبيله ﴿ لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار فمن كفر بعد ذلك ﴾ الميثاق ﴿ منكم فقد ضل سواء السبيل ﴾ أخطأ طريق الحق، والسواء في الأصل الوسط. فنقضوا الميثاق، قال سبحانه وتعالى:

١٣ ﴿ فبما نقضهم ﴾ ما زائدة ﴿ ميثاقهم لعناهم ﴾ أبعدناهم عن رحمتنا ﴿ وجعلنا قلوبهم قاسية ﴾ لا تلين لقبول الإيمان ﴿ يحرفون الكلم ﴾ الذي في التوراة من نعت محمد ﷺ وغيره ﴿ عن مواضعه ﴾ التي وضعه الله عليها، أي يبدلونه ﴿ ونسوا ﴾ تركوا ﴿ حظاً ﴾ نصيباً ﴿ مما ذكروا ﴾ أمروا ﴿ به ﴾ في التوراة من اتباع محمد ﷺ ﴿ ولا تزال ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿ تطلع ﴾ تظهر ﴿ على خائنة ﴾ أي خيانة ﴿ منهم ﴾ بنقض العهد وغيره ﴿ إلا قليلاً منهم ﴾ ممن أسلم ﴿ فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين ﴾ وهذا منسوخ بآية السيف[2].

١٤ ﴿ ومن الذين قالوا إنا نصارى ﴾ متعلق بقوله

إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ
عَنكُمْ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾
۞ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ
ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ
وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ
ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ
جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ
مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ
لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن
مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ
عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ

---

[1] قبيلة، والنقيب: هو الذي يبحث عن أحوال القوم ويفتش عنها ويهتم بها.

[2] أي الأمر بالعفو والصفح عن أهل الكتاب منسوخ بالآية التي تأمر بقتالهم، وهي: ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب﴾ [التوبة: ٢٩]. وقيل: هي غير منسوخة، والعفو والصفح خاص بمن تاب منهم وآمن.

فائدة: قال ابن كثير في تفسير الآية [١٢]: لما أمر تعالى عباده المؤمنين بالوفاء بعهده وميثاقه، الذي أخذه عليهم على لسان عبده ورسوله محمد ﷺ، وأمرهم بالقيام بالحق والشهادة بالعدل، وذكرهم نعمه عليهم الظاهرة والباطنة، فيما هداهم له من الحق والهدى، شرع يبين لهم كيف أخذ العهود والمواثيق على من كان قبلهم من أهل الكتابين، اليهود والنصارى، فلما نقضوا عهوده ومواثيقه أعقبهم ذلك لعناً منه لهم، وطرداً عن بابه وجنابه، وحجاباً لقلوبهم عن الوصول إلى الهدى ودين الحق، وهو العلم النافع والعمل الصالح، فقال تعالى: ﴿ولقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً﴾ يعني: عرفاء على قبائلهم بالمبايعة والسمع والطاعة لله ولرسوله ولكتابه. وهكذا لما بايع رسول الله ﷺ الأنصار ليلة العقبة، وكان فيهم اثنا عشر نقيباً، ثلاثة من الأوس وهم: أسيد بن الحضير، وسعد بن خيثمة، ورفاعة بن عبد المنذر ـ ويقال بدله: أبو الهيثم بن التيهان ـ رضي الله عنهم، وتسعة من الخزرج، وهم: أبو أمامة أسعد بن زرارة، وسعد بن الربيع، وعبد الله بن رواحة، ورافع بن مالك بن العجلان، والبراء بن معرور، وعبادة بن الصامت، وسعد بن

غطفان ومحارب: ألا أقتل لكم محمداً؟ قالوا: نعم، وكيف تقتله؟ قال: أفتك به. قال: فأقبل إلى رسول الله ﷺ وهو جالس وسيفه في حجره، فقال: يا محمد، أنظر إلى سيفك هذا؟ قال: (نعم). فأخذه فاستله، ثم جعل يهزه ويهم به، فكبته الله عزّ وجلّ. ثم قال: يا محمد، ما تخافني؟ قال: (لا). قال: ألا تخافني وفي يدي السيف؟ قال: (يمنعني الله منك). ثم أغمد السيف ورده إلى رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى: ﴿اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم﴾. أخرج هذا الواحدي في أسباب النزول، وذكر البخاري هذه القصة في المغازي، باب: غزوة ذات الرقاع، رقم: ٣٩٠٥، ولم يتعرض لذكر نزول الآية.

وقال مجاهد وعكرمة: قتل رجل من أصحاب رسول الله ﷺ رجلين من بني سُلَيم، وبين النبي عليه السلام وبين قومهما موادعة، فجاء قومهما يطلبون الدية، فأتى النبي عليه السلام ومعه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة وعبد الرحمن بن عوف رضوان الله عليهم أجمعين، فدخلوا على كعب بن الأشرف وبني النضير يستعينهم في عقلهما، فقالوا: يا أبا القاسم، قد آن لك أن تأتينا وتسألنا حاجة، اجلس حتى نطعمك ونعطيك الذي

﴿ أخذنا ميثاقهم ﴾ كما أخذنا على بني إسرائيل اليهود ﴿ فنسوا حظاً مما ذكروا به ﴾ في الإنجيل من الإيمان وغيره، ونقضوا الميثاق ﴿ فأغرينا ﴾ أوقعنا ﴿ بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة ﴾ بتفرقهم واختلاف أهوائهم، فكل فرقة تكفر الأخرى ﴿ وسوف ينبئهم الله ﴾ في الآخرة ﴿ بما كانوا يصنعون ﴾ فيجازيهم عليه.

١٥ ﴿ يا أهل الكتاب ﴾ اليهود والنصارى ﴿ قد جاءكم رسولنا ﴾ محمد ﴿ يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون ﴾ تكتمون ﴿ من الكتاب ﴾ التوراة والإنجيل، كآية الرجم(١) وصفته(٢) ﴿ ويعفو عن كثير ﴾ من ذلك، فلا يبينه إذا لم يكن فيه مصلحة إلا افتضاحكم. ﴿ قد جاءكم من الله نور ﴾ هو النبي ﷺ ﴿ وكتاب ﴾ قرآن ﴿ مبين ﴾ بيِّن ظاهر.

١٦ ﴿ يهدي به ﴾ أي بالكتاب ﴿ الله من اتبع رضوانه ﴾ بأن آمن ﴿ سبل السلام ﴾ طرق السلامة ﴿ ويخرجهم من الظلمات ﴾ الكفر ﴿ إلى النور ﴾ الإيمان ﴿ بإذنه ﴾ بإرادته ﴿ ويهديهم إلى صراط مستقيم ﴾ دين الإسلام.

١٧ ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم ﴾ حيث جعلوه إلهاً، وهم اليعقوبية، فرقة من النصارى ﴿ قل فمن يملك ﴾ أنْ يدفع ﴿ من ﴾ عذاب ﴿ الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً ﴾ أي لا أحد يملك ذلك، ولو كان المسيح إلهاً لقدر عليه ﴿ ولله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيءٍ ﴾ شاءه ﴿ قدير ﴾.

١٨ ﴿ وقالت اليهود

١٣٩ (ســورة المـائدة)

أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ
ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ
بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ
رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ
وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ
مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ
وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ
صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ
ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ
أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ
جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ
مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ

عبادة، وعبد الله بن عمرو بن حرام، والمنذر بن عمرو بن خنيس رضي الله عنهم، وقد ذكرهم كعب بن مالك في شعر له، كما أورده ابن إسحاق رحمه الله، والمقصود أن هؤلاء كانوا عرفاء على قومهم ليلتئذ عن أمر النبي ﷺ لهم بذلك، وهم الذين ولوا المبايعة والمعاقدة عن قومهم للنبي ﷺ على السمع والطاعة.

(١) الرمي بالحجارة حتى الموت للزاني المحصن، أي المتزوج. روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن اليهود جاؤوا إلى رسول الله ﷺ فذكروا له أن رجلاً منهم وامرأة زنيا، فقال لهم رسول الله ﷺ: (ما تجدون في التوراة في شأن الرجم). قالوا: نفضحهم ويجلدون. فقال عبد الله بن سلام: كذبتم، إن فيها الرجم، فأتوا بالتوراة فنشروها، فوضع أحدهم يده على آية الرجم، فقرأ ما قبلها وما بعدها، فقال له عبد الله بن سلام: ارفع يدك، فرفع يده، فإذا فيها آية الرجم، فقالوا: صدق يا محمد، فيها آية الرجم، فأمر بهما رسول الله ﷺ، فرجما. قال عبد الله بن عمر: فرأيت الرجل يجنأ على المرأة، يقيها الحجارة. [نفضحهم: نكشف مساوئهم للناس. يجنأ: يكب عليها ويحميها]. [البخاري: المناقب، باب: ﴿قول الله تعالى: ﴿يعرفونه كما يعرفون أبناءهم..﴾ رقم: ٣٤٣٦. مسلم: الحدود، باب: رجم اليهود أهل الذمة في الزنا، رقم: ١٦٩٩].

(٢) أي صفة نبينا ﷺ.

تسألنا. فجلس هو وأصحابه، فجاء بعضهم ببعض وقالوا: إنكم لم تجدوا محمداً أقرب منه الأن، فمن يظهر على هذا البيت فيطرح عليه صخرة، فيريحنا منه؟ فقال عمر بن جحاش بن كعب: أنا، فجاء إلى رحا عظيمة ليطرحها عليه، فأمسك الله تعالى يده، وجاء جبريل عليه السلام وأخبره بذلك، فخرج رسول الله ﷺ، وأنزل الله تعالى هذه الآية. [الواحدي، السيوطي].

سبب نزول الآية [١٥]: أخرج ابن جرير عن عكرمة قال: إن نبيّ الله ﷺ أتاه اليهود يسألونه عن الرجم، واجتمعوا في بيت، فقال: (أيكم أعلم). فأشاروا إلى ابن صوريا، فقال: (أنت أعلمهم). قال: سل عما شئت. قال: (أنت أعلمهم). قال: إنهم ليزعمون ذلك. قال: فناشده بالذي أنزل التوراة على موسى ، والذي رفع الطور ، وناشده بالمواثيق التي أخذت عليهم ، فقال : إن نساءنا نساء حسان ، فكثر فينا القتل ، فاختصرنا أختصورة فجلدنا مائة وحلقنا الرؤوس. قال: فحكم عليهم بالرجم، فأنزل الله فيهم: ﴿يا أهل الكتاب ـ إلى قوله ـ صراط مستقيم﴾.

سبب نزول الآية [١٨]: عن ابن عباس رضي الله عنهما: قال: أتى رسول الله ﷺ نعمان بن قصيّ وبحر بن عمر وشاش بن عدي، فكلموه، وكلمهم، ودعاهم إلى الله وحذرهم نقمته، فقالوا: ما تخوّفنا يا محمد؟ نحن والله أبناء الله وأحباؤه. كقول النصارى، فأنزل الله فيهم: ﴿وقالت اليهود والنصارى﴾ الآية. [السيوطي].

والنصارى ﴾ أي كل منهما ﴿ نحن أبناء الله ﴾ أي كأبنائه في القرب والمنزلة، وهو كأبينا في الرحمة والشفقة ﴿ وأحباؤه قل ﴾ لهم يا محمد ﴿ فلم يعذبكم بذنوبكم ﴾ إن صدقتم في ذلك؟ ولا يعذب الأب ولده، ولا الحبيب حبيبه، وقد عذبكم، فأنتم كاذبون ﴿ بل أنتم بشر ممن ﴾ من جملة من ﴿ خلق ﴾ من البشر، لكم ما لهم وعليكم ما عليهم ﴿ يغفر لمن يشاء ﴾ المغفرة له ﴿ ويعذب من يشاء ﴾ تعذيبه، لا اعتراض عليه ﴿ ولله ملك السموات والأرض وما بينهما وإليه المصير ﴾ المرجع.

١٩ ﴿ يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا ﴾ محمد ﴿ يبين لكم ﴾ شرائع الدين ﴿ على فترة ﴾ انقطاع ﴿ من الرسل ﴾ إذ لم يكن بينه وبين عيسى رسول، ومدة ذلك خمسمائة وتسع وستون سنة(١)، لـ ﴿ أن ﴾ لا ﴿ تقولوا ﴾ إذا عذبتم ﴿ ما جاءنا من ﴾ زائدة ﴿ بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير ﴾ فلا عذر لكم إذاً ﴿ والله على كل شيء قدير ﴾ ومنه تعذيبكم إن لم تتبعوه.

٢٠ ﴿ و ﴾ اذكر ﴿ إذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم ﴾ أي منكم ﴿ أنبياء وجعلكم ملوكاً ﴾ أصحاب خدم وحشم(٢) ﴿ وآتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين ﴾ من المن والسلوى، وفلق البحر، وغير ذلك.

٢١ ﴿ يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة ﴾ المطهرة ﴿ التي كتب الله لكم ﴾ أمركم بدخولها، وهي الشام(٣) ﴿ ولا ترتدوا على أدباركم ﴾(٤) تنهزموا خوف العدو ﴿ فتنقلبوا خاسرين ﴾ في سعيكم.

٢٢ ﴿ قالوا يا موسى إن فيها قوماً جبارين ﴾ من بقايا عاد، طوالاً، ذوي قوة ﴿ وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون ﴾ لها.

وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ قُلۡ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم
بِذُنُوبِكُمۖ بَلۡ أَنتُم بَشَرٞ مِّمَّنۡ خَلَقَۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ
وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا
بَيۡنَهُمَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٨﴾ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ
رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا
مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ
كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٩﴾ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ
ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَعَلَ فِيكُمۡ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم
مُّلُوكٗا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمۡ يُؤۡتِ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾
يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ
وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾
قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا

فائدة: قال ابن كثير في تفسير الآية [١٨]: ثم قال تعالى راداً على اليهود والنصارى في كذبهم وافترائهم: ﴿وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه﴾ أي: نحن منتسبون إلى أنبيائه، وهم بنوه وله فيهم عناية، وهو يحبنا. ونقلوا عن كتابهم أن الله قال لعبده إسرائيل: «أنت ابني بكري» فحملوا هذا على غير تأويله، وحرَّفوه، وقد رد عليهم غير واحد ممن أسلم من عقلائهم وقالوا: هذا يطلق عندهم على التشريف والإكرام، كما نقل النصارى عن كتابهم: أن عيسى قال لهم: إني ذاهب إلى أبي وأبيكم. يعني: ربي وربكم. ومعلوم أنهم لم يدعوا لأنفسهم من البنوة ما ادعوها في عيسى عليه السلام، وإنما أرادوا بذلك معزتهم لديه وحظوظهم عنده، ولهذا قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه. قال الله تعالى راداً عليهم: ﴿قل فلم يعذبكم بذنوبكم﴾ أي: لو كنتم كما تدعون أبناءه وأحباءه فَلِمَ أعد لكم نار جهنم على كفركم وكذبكم وافترائكم؟ وقد قال بعض شيوخ الصوفية لبعض الفقهاء: أين تجد في القرآن أن الحبيب لا يعذب حبيبه؟ فلم يرد عليه، فتلا الصوفي هذه الآية: ﴿قل فلم يعذبكم بذنوبكم﴾ وهذا الذي قاله حسن، وله شاهد في المسند للإمام أحمد [٣/ ٢٣٥] حيث قال: حدثنا ابن أبي عدي، عن حميد، عن أنس رضي الله عنه قال: مر النبي ﷺ في نفر من أصحابه وصبي في الطريق، فلما رأت أمه=

سبب نزول الآية [١٩]: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: دعا رسول الله ﷺ يهود إلى الإسلام ورغبهم فيه، فأبوا عليه، فقال لهم معاذ بن جبل وسعد بن عبادة: يا معشر يهود اتقوا الله، فوالله إنكم لتعلمون أنه رسول الله، لقد كنتم تذكرونه لنا قبل مبعثه وتصفونه لنا بصفته. فقال رافع بن حريملة ووهب بن يهوذا: ما قلنا لكم هذا، وما أنزل الله من كتاب من بعد موسى، ولا أرسل بشيراً ولا نذيراً بعده. فأنزل الله: ﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم﴾ الآية. [السيوطي].

---

(١) روى البخاري عن سلمان رضي الله عنه قال: فترة بين عيسى ومحمد ﷺ ستمائة سنة. [البخاري: فضائل الصحابة، باب: إسلام سلمان الفارسي رضي الله عنه، رقم: ٣٧٣٢]. والمدة التي ذكرها المفسر نقلها ابن الجوزي عن ابن عباس رضي الله عنهما. وقيل غير ذلك. [الخازن].

(٢) قيل: هم الخدم من الرجال خاصة، وقيل: هم كل من يغضب للمرء إذا أصابه أمر.

(٣) وقيل: بيت المقدس.

(٤) ترجعوا إلى الوراء من حيث أتيتم.

٢٣ ﴿ قال ﴾ لهم ﴿ رجلان من الذين يخافون ﴾ مخالفة أمر الله ، وهما يوشع وكالب ، من النقباء الذين بعثهم موسى في كشف أحوال الجبابرة ﴿ أنعم الله عليهما ﴾ بالعصمة(١)، فكتما ما اطلعا عليه من حالهم إلا عن موسى، بخلاف بقية النقباء فأفشوه فجبنوا ﴿ ادخلوا عليهم الباب ﴾ باب القرية ولا تخشوهم، فإنهم أجساد بلا قلوب ﴿ فإذا دخلتموه فإنكم غالبون ﴾ قالا ذلك تيقناً بنصر الله وإنجاز وعده ﴿ وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين ﴾.

٢٤ ﴿ قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا ﴾هم﴿ إنا ها هنا قاعدون ﴾عن القتال(٢).

٢٥ ﴿ قال ﴾ موسى حينئذ ﴿ رب إني لا أملك إلا نفسي و ﴾ إلا ﴿ أخي ﴾ ولا أملك غيرهما فأجبرهم على الطاعة ﴿ فافرق ﴾ فافصل ﴿ بيننا وبين القوم الفاسقين ﴾.

٢٦ ﴿ قال ﴾ تعالى له ﴿ فإنها ﴾ أي الأرض المقدسة ﴿ محرمة عليهم ﴾ أن يدخلوها ﴿ أربعين سنة يتيهون ﴾ يتحيرون ﴿ في الأرض ﴾ وهي تسعة فراسخ، قاله ابن عباس ﴿ فلا تأس ﴾ تحزن ﴿ على القوم الفاسقين ﴾ روي: أنهم كانوا يسيرون الليل جادين، فإذا أصبحوا إذا هم في الموضع الذي ابتدؤوا منه، ويسيرون النهار كذلك، حتى انقرضوا كلهم إلا من لم يبلغ العشرين، قيل: وكانوا ستمائة ألف. ومات هارون وموسى في التيه، وكان رحمة لهما وعذاباً لأولئك، وسأل موسى ربه عند موته أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر(٣)، فأدناه، كما في الحديث. ونبيء يوشع بعد الأربعين، وأمر بقتال الجبارين، فسار بمن بقي معه وقاتلهم، وكان يوم الجمعة، ووقفت له الشمس ساعة حتى فرغ من قتالهم، وروى أحمد في مسنده حديث: (إن الشمس لم تحبس على بشر إلا ليوشع، ليالي سار إلى بيت المقدس)(٤).

حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿٢٢﴾
قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا
عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ
فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن
نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا
إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا
نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٥﴾
قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ
فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ۞ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ
ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ
يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ
الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ

٢٧ ﴿ واتل ﴾ يا محمد ﴿ عليهم ﴾ على قومك ﴿ نبأ ﴾ خبر ﴿ ابني آدم ﴾ هابيل وقابيل ﴿ بالحق ﴾ متعلق بـ «اتل» ﴿ إذ قربا قرباناً ﴾ إلى الله، وهو: كبش لهابيل، وزرع لقابيل ﴿ فتقبل من أحدهما ﴾ وهو هابيل، بأن نزلت نار من السماء فأكلت قربانه ﴿ ولم يتقبل من الآخر ﴾ وهو قابيل، فغضب، وأضمر الحسد في نفسه إلى أن حج آدم ﴿ قال ﴾ له ﴿ لأقتلنك ﴾ قال: لمَ؟ قال: لتقبل قربانك دوني ﴿ قال إنما يتقبل الله من المتقين ﴾.

٢٨ ﴿ لئن ﴾ لام قسم ﴿ بسطت ﴾ مددت ﴿ إليّ يدك لتقتلني ما أنا بباسط

---

(١) بالمنع والحماية من الوقوع في المخالفة.

(٢) روى البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: شهدت من المقداد ابن الأسود مشهداً، لأن أكون أنا صاحبه أحب إليّ مما عدل به: أتى النبي ﷺ وهو يدعو على المشركين يوم بدر فقال: يا رسول الله، إنا لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى ﴿اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون﴾. ولكن امض ونحن معك. فكأنه سري عن رسول الله ﷺ. وفي رواية: لكنا نقاتل عن يمينك وعن شمالك ومن بين يديك ومن خلفك. فرأيت رسول الله ﷺ أشرق وجهه وسر. [البخاري: المغازي، باب: قول الله تعالى: ﴿إذ تستغيثون ربكم..﴾ /الأنفال: ٩/رقم: ٣٧٣٦].

[مما عدل به: من أي شيء يعوض به عنه. سري: أذهب عنه الغم والهم ودخل عليه السرور].

(٣) قدر مسافة يقطعها الحجر إذا رمي. والحديث رواه البخاري في الجنائز، باب: من أحب الدفن في الأرض المقدسة...، رقم: ١٢٧٤. ومسلم في الفضائل، باب: من فضائل موسى عليه السلام، رقم: ٢٣٧٢.

(٤) المسند [٢/٣٢٥] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

= القوم خشيت على ولدها أن يوطأ، فأقبلت تسعى وتقول: ابني ابني. وسعت فأخذته، فقال القوم: يارسول الله، ما كانت هذه لتلقي ابنها في النار. قال: فخفّضهم النبي ﷺ فقال: «لا، ولا يلقي الله حبيبه في النار» تفرد به. =

= ﴿بل أنتم بشر ممن خلق﴾ أي: لكم أسوة أمثالكم من بني آدم، وهو تعالى الحاكم في جميع عباده، ﴿يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء﴾ أي: هو فعال لما يريد، لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب. ﴿ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما﴾ أي: =

يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين ﴾ في قتلك.

٢٩ ﴿ إني أريد أن تبوء ﴾ ترجع ﴿ بإثمي ﴾ بإثم قتلي ﴿ وإثمك ﴾ الذي ارتكبته من قبل ﴿ فتكون من أصحاب النار ﴾ ولا أريد أن أبوء بإثمك إذا قتلتك فأكون منهم، قال تعالى: ﴿ وذلك جزاء الظالمين ﴾.

٣٠ ﴿ فطوعت ﴾ فزينت ﴿ له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح ﴾ فصار ﴿ من الخاسرين ﴾ بقتله، ولم يدر ما يصنع به، لأنه أول ميت على وجه الأرض من بني آدم⁽¹⁾، فحمله على ظهره.

٣١ ﴿ فبعث الله غراباً يبحث في الأرض ﴾ ينبش التراب بمنقاره وبرجليه، ويثيره على غراب ميت معه حتى واراه ﴿ ليريه كيف يواري ﴾ يستر ﴿ سوأة ﴾ جيفة ﴿ أخيه قال يا ويلتى أعجزت ﴾ عن ﴿ أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي فأصبح من النادمين ﴾ على حمله⁽²⁾، وحفر له وواراه.

٣٢ ﴿ من أجل ذلك ﴾ الذي فعله قابيل ﴿ كتبنا على بني إسرائيل أنه ﴾ أي الشأن ﴿ من قتل نفساً بغير نفس ﴾ قتلها⁽³⁾ ﴿ أو ﴾ بغير ﴿ فساد ﴾ أتاه ﴿ في الأرض ﴾ من كفر أو زنا أو قطع طريق أو نحوه ﴿ فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها ﴾ بأن امتنع عن قتلها ﴿ فكأنما أحيا الناس جميعاً ﴾ قال ابن عباس: من حيث انتهاك حرمتها وصونها⁽⁴⁾ ﴿ ولقد جاءتهم ﴾ أي بني إسرائيل ﴿ رسلنا بالبينات ﴾ المعجزات ﴿ ثم إن كثيراً منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون ﴾ مجاوزون الحد بالكفر والقتل وغير ذلك.

٣٣ ونزل في العرنيين ـ لما قدموا المدينة وهم مرضى، فأذن لهم النبي ﷺ أن يخرجوا إلى الإبل، ويشربوا من أبوالها وألبانها، فلما صحوا قتلوا راعي النبي ﷺ واستاقوا الإبل ـ ﴿ إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ﴾ بمحاربة المسلمين⁽⁵⁾

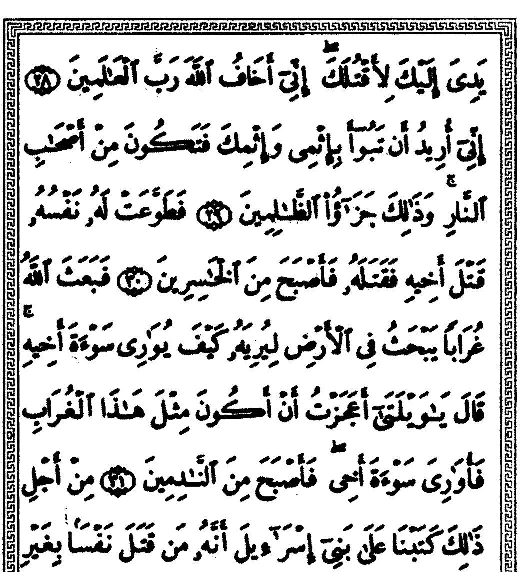

يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾
إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ
ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ
قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ
غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ
قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ
فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾ مِنۡ أَجۡلِ
ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ
نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا
وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ
رُسُلُنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡأَرۡضِ
لَمُسۡرِفُونَ ﴿٣٢﴾ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ

---

(1) أخرج البخاري (٣١٥٧) ومسلم (١٦٧٧) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها، لأنه أول من سن القتل). [كفل. . : نصيب من الإثم. سن القتل: بدأه فكان قدوة فيه]. [البخاري: الأنبياء، باب: قول الله تعالى: ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة﴾. مسلم: القسامة، باب: بيان إثم من سن القتل].

(2) وقيل: على فقد أخيه، ولكنه لم يكن ندم التائبين.

(3) عمداً وعدواناً.

(4) أي إن من انتهك حرمة نفس كمن انتهك حرمة جميع النفوس، وكذلك من صان نفساً وامتنع عن قتلها كمن صان جميع النفوس، في مراعاة حق الله تعالى وحفظ هذه البنية التي أنشأها في أحسن تقويم.

(5) أو المراد بمحاربتهما: مخالفتهما والخروج عن طاعتهما.

=الجميع ملكه وتحت قهره وسلطانه ﴿وإليه المصير﴾ أي: المرجع والمآب إليه، فيحكم في عباده بما يشاء، وهو العادل الذي لا يجور.

سبب نزول الآية [٣٣]: أخرج الواحدي بسنده عن أنس رضي الله عنه: أن رهطاً من عكل وعرينة أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله، إنا كنا أهل ضرع، ولم نكن أهل ريف، فاستوخمنا المدينة. فأمر لهم رسول الله عليه السلام بذود أن يخرجوا فيها فليشربوا من ألبانها وأبوالها، فقتلوا راعي رسول الله ﷺ واستاقوا الذود، فبعث رسول الله عليه السلام في آثارهم فأتي بهم، فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم، فتركوا في الحرة حتى ماتوا على حالهم.

قال قتادة: ذكر لنا أن هذه الآية نزلت فيهم: ﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويَسْعَوْنَ في الأَرْضِ فساداً﴾ إلى آخر الآية.

والحديث أخرجه مسلم: القسامة، باب: حكم المحاربين والمرتدين، رقم ١٦٧١ دون ذكر قول قتادة.

[ضرع: ماشية من إبل ونحوها، لها ضروع تدر اللبن. فاستوخمنا: استثقلناها ولم يوافق هواؤها أبداننا. بذود: بإبل. سمل: في أكثر الروايات (سمر) و(سمل) وهو الصحيح، أي فقأها بحديدة محماة. الحرة: أرض ذات حجارة سوداء].

﴿ ويسعون في الأرض فساداً ﴾ بقطع الطريق ﴿ أن يقتلوا أو يصلبوا(١) أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ﴾ أي أيديهم اليمنى وأرجلهم اليسرى ﴿ أو ينفوا من الأرض ﴾ أو لترتيب الأحوال: فالقتل لمن قتل فقط، والصلب لمن قتل وأخذ المال، والقطع لمن أخذ المال ولم يقتل، والنفي لمن أخاف فقط، قاله ابن عباس، وعليه الشافعي. وأصح قوليه: أن الصلب ثلاث بعد القتل، وقيل: قبله قليلاً، ويلحق بالنفي ما أشبهه في التنكيل(٢) من الحبس وغيره ﴿ ذلك ﴾ الجزاء المذكور ﴿ لهم خزي ﴾ ذل ﴿ في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم ﴾ هو عذاب النار.

٣٤ ﴿ إلا الذين تابوا ﴾ من المحاربين والقطاع ﴿ من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور ﴾ لهم ما أتوه ﴿ رحيم ﴾ بهم، عبر بذلك دون: فلا تحدوهم، ليفيد أنه لا يسقط عنه بتوبته إلا حدود الله دون حقوق الآدميين، كذا ظهر لي، ولم أرَ من تعرض له والله أعلم، فإذا قتل وأخذ المال يقتل ويقطع ولا يصلب، وهو أصح قولي الشافعي، ولا تفيد توبته بعد القدرة عليه شيئاً، وهو أصح قوليه أيضاً(٣).

٣٥ ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ﴾ خافوا عقابه بأن تطيعوه ﴿ وابتغوا ﴾ اطلبوا ﴿ إليه الوسيلة ﴾ ما يقربكم إليه من طاعته ﴿ وجاهدوا في سبيله ﴾ لإعلاء دينه ﴿ لعلكم تفلحون ﴾ تفوزون.

٣٦ ﴿ إن الذين كفروا لو ﴾ ثبت ﴿ أن لهم ما في الأرض جميعاً ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم ﴾.

٣٧ ﴿ يريدون ﴾ يتمنون ﴿ أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم ﴾ دائم.

٣٨ ﴿ والسارق والسارقة ﴾ أل فيهما موصولة مبتدأ(٤)، ولشبهه بالشرط دخلت الفاء في خبره وهو ﴿ فاقطعوا أيديهما ﴾ أي يمين كل منهما من الكوع، وبينت السنة: أن الذي يقطع فيه ربع دينار فصاعداً(٥)، وأنه: إذا عاد قطعت رجله اليسرى من مفصل القدم، ثم اليد اليسرى، ثم الرجل اليمنى(٦)، وبعد ذلك يعزر(٧). ﴿ جزاء ﴾ نصب على المصدر ﴿ بما كسبا نكالاً ﴾ عقوبة لهما ﴿ من الله والله عزيز ﴾ غالب على أمره ﴿ حكيم ﴾ في خلقه.

٣٩ ﴿ فمن تاب من بعد ظلمه ﴾ رجع عن السرقة

وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ
أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ
لَهُمْ خِزْيٌ فِي ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾
إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ
ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ
وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُوا۟ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ
تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ
جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُوا۟ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ
مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟
مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾
وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا
مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ

---

(١) يربطوا على خشبة قبل القتل أو بعده.

(٢) هو الإصابة بما يكرهه ويؤلمه.

(٣) روى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن ناساً من عكل وعرينة قدموا المدينة على النبي ﷺ وتكلموا بالإسلام، فقالوا: يا نبي الله، إنا كنا أهل ضرع ولم نكن أهل ريف، واستوخموا المدينة، فأمر لهم النبي ﷺ بذود وراع، وأمرهم أن يخرجوا فيه فيشربوا من ألبانها وأبوالها، فانطلقوا حتى إذا كانوا ناحية الحرة كفروا بعد الإسلام، وقتلوا راعي النبي ﷺ واستاقوا الذود، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فبعث الطلب في آثارهم، فأمر بهم فسمروا أعينهم وقطعوا أيديهم وأرجلهم، وتركوا في ناحية الحرة حتى ماتوا على حالهم. [أهل ضرع: أهل ماشية نعيش من اللبن. استوخموا المدينة: لم توافق مزاجهم. بذود: إبل ما بين الثلاثة إلى العشرة. الحرة: أرض ذات حجارة سوداء. سمر أعينهم: حمى مسامير الحديد وجعلها في أعينهم]. [البخاري: المغازي، باب: قصة عكل وعرينة، رقم: ٣٩٥٦. مسلم: القسامة، باب: حكم المحاربين والمرتدين، رقم: ١٦٧١]. (٤) أي الذي يسرق والتي تسرق. .

(٥) روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها، عن رسول الله ﷺ قال: (لا تقطع يد السارق إلا في ربع دينار فصاعداً). [البخاري: الحدود، باب: قول الله تعالى: ﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما﴾ رقم: ٦٤٠٧. مسلم: الحدود، باب: حد السرقة ونصابها، رقم: ١٦٨٤].

(٦) روى الشافعي رحمه الله تعالى بإسناده عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال في السارق: (إن سرق فاقطعوا يده، ثم إن سرق فاقطعوا رجله، ثم إن سرق فاقطعوا يده، ثم إن سرق فاقطعوا رجله).

(٧) يعاقبه الحاكم بما يراه رادعاً له عن إقدامه على هذه المعصية من ضرب أو سجن أو نفي.

سبب نزول الآية [٣٩]: أخرج أحمد وغيره، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: أن امرأة سرقت على عهد رسول الله ﷺ فقطعت يدها

﴿ وأصلح ﴾ عمله ﴿ فإن الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم ﴾ في التعبير بهذا ما تقدم⁽¹⁾، فلا يسقط بتوبته حق الآدمي من القطع ورد المال. نعم، بينت السنّة أنه: إن عفا عنه قبل الرفع إلى الإمام سقط القطع⁽²⁾، وعليه الشافعي.

٤٠ ﴿ ألم تعلم ﴾ الاستفهام فيه للتقرير ﴿ أن الله له ملك السموات والأرض يعذب من يشاء ﴾ تعذيبه ﴿ ويغفر لمن يشاء ﴾ المغفرة له ﴿ والله على كل شيء قدير ﴾ ومنه التعذيب والمغفرة.

٤١ ﴿ يا أيها الرسول لا يحزنك ﴾ صنع ﴿ الذين يسارعون في الكفر ﴾ يقعون فيه بسرعة، أي يظهرونه إذا وجدوا فرصة ﴿ من ﴾ للبيان ﴿ الذين قالوا آمنا بأفواههم ﴾ بألسنتهم، متعلق بقالوا ﴿ ولم تؤمن قلوبهم ﴾ وهم المنافقون ﴿ ومن الذين هادوا ﴾ قوم ﴿ سماعون للكذب ﴾ الذي أفترته أحبارهم سماع قبول ﴿ سماعون ﴾ منك ﴿ لقوم ﴾ لأجل قوم ﴿ آخرين ﴾ من اليهود ﴿ لم يأتوك ﴾ وهم أهل خيبر، زنى فيهم محصنان، فكرهوا رجمهما، فبعثوا قريظة ليسألوا النبي ﷺ عن حكمهما ﴿يحرفون الكلم﴾ الّذي في التوراة، كآية الرجم ﴿من بعد مواضعه﴾ التي وضعه الله عليها، أي يبدلونه ﴿ يقولون ﴾ لمن أرسلوهم ﴿ إن أوتيتم هذا﴾ الحكم المحرف، أي الجلد، أي أفتاكم به محمد ﴿ فخذوه ﴾ فاقبلوه ﴿ وإن لم تؤتوه ﴾ بل أفتاكم بخلافه ﴿ فاحذروا ﴾ أن تقبلوه ﴿ ومن يرد الله فتنته ﴾ إضلاله ﴿ فلن تملك له من الله شيئاً ﴾ في دفعها ﴿ أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم ﴾ من الكفر، ولو أراده لكان ﴿ لهم في الدنيا خزي ﴾ ذل بالفضيحة والجزية ﴿ ولهم في الآخرة عذاب عظيم ﴾.

٤٢ هم ﴿ سماعون للكذب أكالون للسحت ﴾ بضم الحاء وسكونها، أي الحرام كالرشا⁽³⁾ ﴿ فإن جاؤوك ﴾ لتحكم بينهم ﴿ فاحكم بينهم أو أعرض عنهم ﴾ هذا التخيير منسوخ بقوله: «وأن احكم بينهم» الآية/ ٥٢/ فيجب الحكم بينهم إذا ترافعوا إلينا، وهو أصح قولي الشافعي، فلو ترافعوا إلينا مع مسلم وجب إجماعاً ﴿ وإن تعرض

وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾
أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن
يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾
* يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ
ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ
هَادُوا۟ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ
يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا
فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ
فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن
يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ
عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ
فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ

---

(١) في تفسير الآية: ٣٧.

(٢) روى أبو داود والنسائي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: (تعافوا الحدود فيما بينكم، فما بلغني من حد فقد وجب). [أبو داود: الحدود، باب: العفو عن الحدود ما لم تبلغ السلطان، رقم: ٤٣٧٦. النسائي: قطع السارق، باب: ما يكون حرزاً وما لا يكون: رقم: ٤٨٨٥].

(٣) والربا ونحو ذلك، سمي سحتاً لأنه يسحت البركة، أي يذهبها ويمحقها.

اليمنى، فقالت: هل لي من توبة يا رسول الله؟ فأنزل الله في سورة المائدة: ﴿فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح﴾ الآية.

سبب نزول الآية [٤١]: عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: مُرّ على رسول الله ﷺ بيهودي محمماً مجلوداً، فدعاهم فقال: (أهكذا تجدون حَد الزاني في كتابكم). قالوا: نعم. فدعا رجلاً من علمائهم فقال: (أنشدك الله الذي أنزل التوراة على موسى عليه السلام، أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم). قال: لا، ولولا أنك نشدتني لم أخبرك، نجده الرجم، ولكنه كثر في أشرافنا، فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه، وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد، قلنا: تعالوا فلنجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع، فجعلنا التحميم والجلد مكان الرجم. فقال رسول الله ﷺ: (اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه). فأمر به فرجم، فأنزل الله عز وجل: ﴿يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر﴾ إلى قوله: ﴿إن أوتيتُم هذا فخذوه﴾ يقولون: ائتوا محمداً، فإن أمركم بالتحميم والجلد فخذوه، وإن أفتاكم بالرجم فاحذروا. فأنزل الله تعالى: ﴿ ومن لم يحكُمْ بما أنْزَل الله فأولئك هم الكافرون ﴾. ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ﴾. ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون ﴾. في الكفار كلها. [مسلم: الحدود، باب: رجم اليهود أهل الذمة في الزنا، رقم: ١٧٠٠].

[محمماً: مسود الوجه، من الحُمَمَة وهي الفحمة. أنشدك الله: سألتك بالله وأقسمت عليك].

وروى أحمد في مسنده [١/٢٤٧] عن ابن عباس قال: أنزلها الله في طائفتين من اليهود قهرت إحداهما الأخرى في الجاهلية حتى ارتضوا،

عنهم فلن يضروك شيئاً وإن حكمت ﴾ بينهم ﴿ فاحكم بينهم بالقسط ﴾ بالعدل ﴿ إن الله يحب المقسطين ﴾ العادلين في الحكم، أي يثيبهم(١).

٤٣ ﴿ وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ﴾ بالرجم، استفهام تعجيب، أي لم يقصدوا بذلك معرفة الحق، بل ما هو أهون عليهم ﴿ ثم يتولون ﴾ يعرضون عن حكمك بالرجم الموافق لما في كتابهم ﴿ من بعد ذلك ﴾ التحكيم ﴿ وما أولئك بالمؤمنين ﴾.

٤٤ ﴿ إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ﴾لهم من الضلالة﴿ ونور ﴾ بيان الأحكام ﴿ يحكم بها النبيون ﴾ من بني إسرائيل ﴿ الذين أسلموا ﴾ انقادوا لله ﴿ للذين هادوا والربانيون ﴾ العلماء منهم ﴿ والأحبار ﴾ الفقهاء ﴿ بما ﴾ أي بسبب الذي ﴿ استحفظوا ﴾ استودعوه، أي استحفظهم الله إياه ﴿ من كتاب الله ﴾ أن يبدلوه ﴿ وكانوا عليه شهداء ﴾ أنه حق ﴿ فلا تخشوا الناس ﴾ أيها اليهود، في إظهار ما عندكم، من نعت محمد ﷺ، والرجم،وغيرهما﴿ واخشون ﴾ في كتمانه ﴿ ولا تشتروا ﴾ تستبدلوا ﴿ بآياتي ثمناً قليلاً ﴾ من الدنيا تأخذونه على كتمانها ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾ به.

٤٥ ﴿ وكتبنا ﴾ فرضنا ﴿ عليهم فيها ﴾ أي التوراة ﴿ أن النفس ﴾ تقتل ﴿ بالنفس ﴾ إذا قتلتها ﴿ والعين ﴾ تفقأ ﴿ بالعين والأنف ﴾ يجدع(٢) ﴿ بالأنف والأذن ﴾ تقطع ﴿ بالأذن والسن ﴾ تقلع ﴿ بالسن ﴾ وفي قراءة بالرفع في الأربعة(٣) ﴿ والجروح ﴾ بالوجهين(٤) ﴿ قصاص ﴾ أي يقتص فيها إذا أمكن، كاليد والرجل والذكر ونحو ذلك، وما لا يمكن فيه الحكومة(٥). وهذا الحكم وإن كتب عليهم فهو مقرر في شرعنا(٦) ﴿ فمن تصدق به ﴾ أي بالقصاص، بأن مكن من نفسه ﴿ فهو كفارة له ﴾ لما أتاه ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله ﴾ في القصاص وغيره ﴿ فأولئك هم

عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئًا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم
بِالْقِسْطِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ
وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ
وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا
هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا
وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا
عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا
بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ
هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ
بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ
وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ
كَفَّارَةٌ لَّهُ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ

---

(١) روى مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا). [يمين الرحمن: الله تعالى أعلم بتلك اليمين، التي يلزم عنها الفضل والإحسان. وما ولوا: من كانت لهم عليه ولاية].
[مسلم:الإمارة، باب:فضيلة الإمام العادل. . ،رقم: ١٨٢٧]

(٢) يقطع. (٣) أي العين وما بعدها. (٤) أي بالفتح وبالضم.

(٥) أي ما لا يمكن فيه القصاص، لعدم إمكان المماثلة، تجب فيه حكومة عدل، وهي جزء من الدية يقدره القاضي المسلم العدل حسب نوعية الجناية.

(٦) فقد روى البخاري وغيره أن النبي ﷺ أمر بالقصاص من امرأة كسرت سن جارتها، وقال: (كتاب الله القصاص). وليس في القرآن قصاص في السن إلا هذه الآية، فدل قوله ﷺ وقضاؤه على تقرير ما فيها.
[انظر البخاري: الصلح، باب: الصلح في الدية، رقم: ٢٥٥٦. ومسلم: القسامة، باب: إثبات القصاص في الأسنان وما في معناها، رقم: ١٦٧٥].

فاصطلحوا على أن كلّ قتيل قتلته العزيزة من الذليلة فديته خمسون وسقاً، وكلّ قتيل قتلته الذليلة من العزيزة فديته مائة وسق، فكانوا على ذلك حتى قدم رسول الله ﷺ، فقتلت الذليلة من العزيزة قتيلاً، فأرسلت العزيزة أن ابعثوا إلينا بمائة وسق، فقالت الذليلة: وهل كان ذلك في حيين قط دينهما واحد، ونسبتهما واحدة، وبلدهما واحد، دية بعضهم نصف دية بعض؟ إنا أعطيناكم هذا ضيماً منكم وخوفاً وفرقاً، فأما إذ قدم محمد فلا نعطيكم. فكادت الحرب تهيج بينهما، ثم ارتضوا على أن جعلوا رسول الله ﷺ بينهما، فأرسلوا إليه أناساً من المنافقين ليختبروا رأيه، فأنزل الله: ﴿يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر﴾ الآية. [وسقاً: مكيالاً معيناً كان معروفاً لديهم، يتسع لما وزنه (١٥٠) كيلو غرام تقريباً. ضيماً: ظلماً. فرقاً: خوفاً].

سبب نزول الآية [٤٤]: أخرج الواحدي بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: زنى رجل من اليهود وامرأة، قال بعضهم لبعض: اذهبوا بنا إلى هذا النبي، فإنه نبي مبعوث للتخفيف، فإذا أفتانا بفتيا دون الرجم قبلناها واحتججنا بها عند الله، وقلنا: فتيا نبي من أنبيائك. فأتوا النبي ﷺ وهو جالس في المسجد مع أصحابه، فقالوا: يا أبا القاسم، ما ترى في رجل وامرأة زنيا؟ فلم يكلمهما حتى أتى بيت مدراسهم، فقام على الباب فقال:

الظالمون ﴾.

٤٦ **﴿ وقفينا ﴾** أتبعنا **﴿ على آثارهم ﴾** أي النبيين **﴿ بعيسى ابن مريم مصدقاً لما بين يديه ﴾** قبله **﴿ من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى ﴾** من الضلالة **﴿ ونور ﴾** بيان للأحكام **﴿ ومصدقاً ﴾** حال **﴿ لما بين يديه من التوراة ﴾** لما فيها من الأحكام **﴿ وهدى وموعظة للمتقين ﴾**.

٤٧ **﴿ و ﴾** قلنا **﴿ ليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ﴾** من الأحكام، وفي قراءة بنصب يحكم وكسر لامه، عطفاً على معمول آتيناه[1] **﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون ﴾**.

٤٨ **﴿ وأنزلنا إليك ﴾** يا محمد **﴿ الكتاب ﴾** القرآن **﴿ بالحق ﴾** متعلق بأنزلنا **﴿ مصدقاً لما بين يديه ﴾** قبله **﴿ من الكتاب ومهيمناً ﴾** شاهداً[2] **﴿ عليه ﴾** والكتاب بمعنى الكتب **﴿ فاحكم بينهم ﴾** بين أهل الكتاب إذا ترافعوا إليك **﴿ بما أنزل الله ﴾** إليك **﴿ ولا تتبع أهواءهم ﴾** عادلاً **﴿ عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم ﴾** أيها الأمم[3] **﴿ شرعة ﴾** شريعة **﴿ ومنهاجاً ﴾** طريقاً واضحاً في الدين يمشون عليه **﴿ ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ﴾** على شريعة واحدة **﴿ ولكن ﴾** فرقكم فرقاً **﴿ ليبلوكم ﴾** ليختبركم **﴿ فيما آتاكم ﴾** من الشرائع المختلفة، لينظر المطيع منكم والعاصي **﴿ فاستبقوا الخيرات ﴾** سارعوا إليها **﴿ إلى الله مرجعكم جميعاً ﴾** بالبعث **﴿ فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون ﴾** من أمر الدين، ويجزي كلاً منكم بعمله.

٤٩ **﴿ وأن احكم بينهم بما أنزل الله**

ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ
مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ
هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى
وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ
أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا
لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم
بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ
ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ
لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ
فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا
كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ

---

[1] وهو هدى وموعظة، والمعنى: آتيناه الإنجيل لهدايتهم وموعظتهم وحكمهم به.

[2] بالصحة، أو التحريف والتبديل، ومقرراً لأصول شرائعها وما يتأبد من فروعها، وناسخاً لبعض أحكامها، مؤيداً لتلك الأحكام ببيان انتهاء مشروعيتها المستفادة من تلك الكتب.

[3] قال الخازن في تفسيره: الخطاب في قوله: ﴿منكم﴾ للأمم الثلاثة: أمة موسى وأمة عيسى وأمة محمد ﷺ أجمعين، بدليل أن الله عز وجل قال قبل هذه: ﴿إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور﴾ ثم قال بعد ذلك: ﴿وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم﴾ ثم قال: ﴿أنزلنا إليك الكتاب﴾ ثم جمع فقال: ﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً﴾ والشرعة الشريعة، يعني: لكل أمة شريعة: فللتوراة شريعة، وللإنجيل شريعة، وللقرآن شريعة، والدين واحد وهو التوحيد. وأصل الشريعة من الشرع، وهو: البيان والإظهار، فمعنى شرع: بين وأوضح، وقيل: هو من الشروع في الشيء. والشريعة في كلام العرب: المشْرَعة التي يشرعها الناس فيشربون ويسقون منها. وقيل: الشريعة الطريقة، ثم استعير ذلك للطريقة الإلهية المؤدية إلى الدين، والمنهاج الطريق الواضح. وقال بعضهم: الشريعة والمنهاج عبارتان عن معنى واحد، والتكرير للتأكيد، والمراد بهما الدين. وقال آخرون: بينهما فرق لطيف وهو: أن الشريعة هي التي أمر الله بها عباده، والمنهاج الطريق الواضح المؤدي إلى الشريعة. قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿شرعة ومنهاجاً﴾: سنة وسبيلاً. وقال قتادة: سبيلاً وسنة.=

(أنشدكم بالله الذي أنزل التوراة على موسى، ما تجدون في التوراة على من زنى إذ أحصـن). قالوا: يحمم ويجبه ويجلد. والتجبية: أن يحمل الزانيان على الحمار ويقابل أقفيتهما، ويطاف بهما. قال: وسكت شاب منهم، فلما رآه النبي ﷺ سكت ألح به في النشدة، فقال: اللهم إذ أنشدتنا، فإنا نجد في التوراة الرجم. فقال النبي عليه السلام: (فما أول ما أرخصتم أمر الله عزّ وجلّ). قال: زنى رجل ذو قرابة من ملك من ملوكنا، فأخر عنه الرجم، ثم زنى رجل من سراة الناس، فأراد رجمه، فأحال قومه دونه، فقالوا: لا يرجم صاحبنا حتى يجيء بصاحبكم فيرجمه، فاصطلحوا على هذه العقوبة بينهم. فقال النبي ﷺ: (فإني أحكم بما في التوراة). فأمر بهما فرجما.

قال الزهري: فبلغنا أن هذه الآية نزلت فيهم: ﴿إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكُمُ بها النبيُّونَ الذين أَسْلَموا﴾. وكان النبي ﷺ منهم.

قال معمر: أخبرني الزهري، عن سالم، عن ابن عمر قال: شهدت رسول الله ﷺ حين أمر برجمهما، فلما رجما رأيته يجنأ بيده عنها ليقيها الحجارة. [انظر البخاري: المناقب، باب: قول الله تعالى: ﴿يعرفونه كما يعرفون أبناءهم..﴾ رقم: ٣٤٣٦. ومسلم: الحدود، باب: رجم اليهود أهل الذمة في الزنا، رقم: ١٦٩٩]. بيت مدراسهم: المكان الذي يدرسون فيه كتبهم. النشدة: السؤال بالله تعالى والقسم. سراة الناس: أشرافهـم. فأحال قومه..: حموه من إقامة الحد عليه. يجنأ: يحني ويميـل.

سبب نزول الآية [٤٩]: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال كعب بن أسيد وعبد الله بن صوريا وشاس بن قيس: اذهبوا بنا إلى

ولا تتبع أهواءهم واحذرهم ﴾ لـ **﴿ أن ﴾** لا **﴿ يفتنوك ﴾** يضلوك **﴿ عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا ﴾** عن الحكم المنزل وأرادوا غيره **﴿ فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ﴾** بالعقوبة في الدنيا **﴿ ببعض ذنوبهم ﴾** التي أتوها، ومنها التولي(١)، ويجازيهم على جميعها في الأخرى **﴿ وإن كثيراً من الناس لفاسقون ﴾**.

٥٠ **﴿ أفحكم الجاهلية يبغون ﴾** بالياء والتاء، يطلبون من المداهنة(٢) والميل إذا تولوا؟ استفهام إنكاري(٣) **﴿ ومن ﴾** أي لا أحد **﴿ أحسن من الله حكماً لقوم ﴾** عند قوم **﴿ يوقنون ﴾** به، خصوا بالذكر لأنهم الذين يتدبرونه.

٥١ **﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ﴾** توالونهم وتوادونهم **﴿ بعضهم أولياء بعض ﴾** لاتحادهم في الكفر **﴿ ومن يتولهم منكم فإنه منهم ﴾** من جملتهم **﴿ إن الله لا يهدي القوم الظالمين ﴾** بموالاتهم الكفار.

٥٢ **﴿ فترى الذين في قلوبهم مرض ﴾** ضعف اعتقاد، كعبد الله بن أبي المنافق **﴿ يسارعون فيهم ﴾** في موالاتهم **﴿يقولون﴾** معتذرين عنها **﴿نخشى أن تصيبنا دائرة﴾**(٤) يدور بها الدهر علينا من جدب أو غلبة، ولا يتم أمر محمد، فلا يميرونا(٥). قال تعالى **﴿ فعسى الله أن يأتي بالفتح ﴾** بالنصر لنبيه بإظهار دينه **﴿ أو أمر من عنده ﴾** بهتك ستر المنافقين وافتضاحهم **﴿ فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم ﴾** من الشك وموالاة الكفار **﴿ نادمين ﴾**.

٥٣ **﴿ ويقول ﴾** بالرفع استئنافاً بواو ودونها، وبالنصب عطفاً على «يأتي»(٦) **﴿ الذين آمنوا ﴾** لبعضهم، إذا هتك سترهم، تعجباً **﴿ أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم ﴾** غاية اجتهادهم فيها **﴿ إنهم لمعكم ﴾** في الدين، قال تعالى:

وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ
مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ
أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ
لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ
مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ
وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ
فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن
يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟
فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ
ٱلَّذِينَ أَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۚ

= فالسنن مختلفة: للتوراة شريعة وللإنجيل شريعة وللقرآن شريعة، يحل الله عز وجل فيها ما يشاء ويحرم ما يشاء، وليعلم من يطيعه ممن يعصيه. والدين الذي لا يقبل غيره هو التوحيد والإخلاص لله، الذي جاءت به جميع الرسل عليهم السلام.

(١) الإعراض عن حكم الله تعالى المنزل عليك، والذي حكمت به بينهم.

(٢) إظهار خلاف ما في الضمير، وبذل الدين لأجل الدنيا.

(٣) بمعنى النفي، أي لا يظفرون عندك بحكم الجاهلية وقد عصمك الله تعالى من الميل عن الحكم بما أنزل الله عزّ وجلّ.

(٤) حادثة مكروهة من حوادث الدهر.

(٥) لا يعطونا الميرة، وهي الطعام.

(٦) أي تقرأ **﴿يقول﴾** بدون واو، مرفوعة على أنها كلام مستأنف. وتقرأ **﴿ويقول﴾** بالواو، مرفوعة على الاستئناف، ومنصوبة على العطف على **﴿يأتي﴾** والقراءات كلها متواترة، كما رسمت في المصاحف التي نسخت أيام عثمان رضي الله عنه. [انظر النشر في القراءات لابن الجزري: ٢٥٤/٢].

محمد لعلنا نفتنه عن دينه، فجاؤوا فقالوا: يا محمد، إنك قد عرفت أنا أحبار يهود وأشرافهم وساداتهم، وأنا إن اتبعناك اتبعتنا يهود ولم يخالفونا، وأن بيننا وبين قومنا خصومة، فنحاكمهم إليك فتقضي لنا عليهم ونؤمن بك. فأبى ذلك، وأنزل الله فيهم: **﴿وأن احكم بينهم بما أنزل الله ـ إلى قوله ـ لقوم يوقنون﴾** [السيوطي].

سبب نزول الآية [٥١ ـ ٥٢]: قال عطية العوفي: جاء عبادة بن الصامت فقال: يا رسول الله، إن لي موالي من اليهود كثير عددهم حاضر نصرهم، وإني أبرء إلى الله ورسوله من ولاية اليهود، وآوي إلى الله ورسوله. فقال عبد الله بن أبي: إني رجل أخاف الدوائر، ولا أبرأ من ولاية اليهود. فقال رسول الله ﷺ: (يا أبا الحباب، ما تجلب به من ولاية اليهود على عبادة بن الصامت فهو لك دونه). فقال: قد قبلت. فأنزل الله تعالى فيهما: **﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضُهُمْ أولياءُ بعضٍ ﴾** إلى قوله تعالى: **﴿ فترى الذين في قلوبهمْ مَرَضٌ ﴾** يعني عبدالله بن أبيّ **﴿ يسارعون فيهم ﴾** وفي ولايتهم. **﴿يقولون نخشى أن تُصيبَنَا دائرةٌ﴾** الآية. [الواحدي].

[آوي: ألتجىء وأحتمي. الدوائر: المصائب وتقلبات الزمن. ما تجلب به: ما يحصل من منافع].

وعن عبادة بن الصامت قال: لما حاربت بنو قينقاع رسول الله ﷺ تشبث بأمرهم عبد الله بن أبيّ وقام دونهم، ومشى عبادة بن الصامت إلى رسول الله ﷺ وتبرّأ إلى الله وإلى رسوله من حلفهم، وكان أحد بني عوف بن الخزرج، وله من حلفهم مثل الذي لهم من عبدالله بن أبيّ، فحالفهم إلى رسول الله ﷺ وتبرّأ من حلف الكفار وولايتهم، قال: ففيه وفي عبد الله بن أبيّ نزلت القصة في المائدة: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود**

﴿ حبطت ﴾ بطلت ﴿ أعمالهم ﴾ الصالحة ﴿ فأصبحوا ﴾ فصاروا ﴿ خاسرين ﴾ الدنيا بالفضيحة، والآخرة بالعقاب.

٥٤ ﴿ يا أيها الذين آمنوا من يرتد ﴾ بالفك والإدغام(١)، يرجع ﴿ منكم عن دينه ﴾ إلى الكفر، إخبار بما علم الله وقوعه، وقد ارتد جماعة بعد موت النبي ﷺ ﴿ فسوف يأتي الله ﴾ بدلهم ﴿ بقوم يحبهم ويحبونه ﴾ قال ﷺ: (هم قوم هذا) وأشار إلى أبي موسى الأشعري، رواه الحاكم في صحيحه(٢) ﴿ أذلة ﴾ عاطفين ﴿ على المؤمنين أعزة ﴾ أشداء ﴿ على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ﴾ فيه كما يخاف المنافقون لوم الكفار ﴿ ذلك ﴾ المذكور من الأوصاف ﴿ فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع ﴾ كثير الفضل ﴿ عليم ﴾ بمن هو أهله.

٥٥ ونزل ـ لما قال ابن سلام: يا رسول الله، إن قومنا هجرونا ـ ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ﴾ خاشعون، أو يصلون صلاة التطوع.

٥٦ ﴿ ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا ﴾ فيعينهم وينصرهم ﴿ فإن حزب الله هم الغالبون ﴾ لنصره إياهم، أوقعه موقع فإنهم، بياناً لأنهم من حزبه(٣)، أي أتباعه.

٥٧ ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ﴾ مهزوءاً به ﴿ ولعباً من ﴾ للبيان ﴿ الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار ﴾ المشركين، بالجر والنصب(٤) ﴿ أولياء واتقوا الله ﴾ بترك موالاتهم ﴿ إن كنتم مؤمنين ﴾ صادقين في إيمانكم.

٥٨ ﴿ و ﴾ الذين ﴿ إذا ناديتم ﴾ دعوتم ﴿ إلى الصلاة ﴾ بالأذان ﴿ اتخذوها ﴾ أي الصلاة ﴿ هزواً ولعباً ﴾ بأن يستهزئوا بها ويتضاحكوا ﴿ ذلك ﴾ الاتخاذ ﴿ بأنهم ﴾ أي بسبب أنهم ﴿ قوم لا يعقلون ﴾.

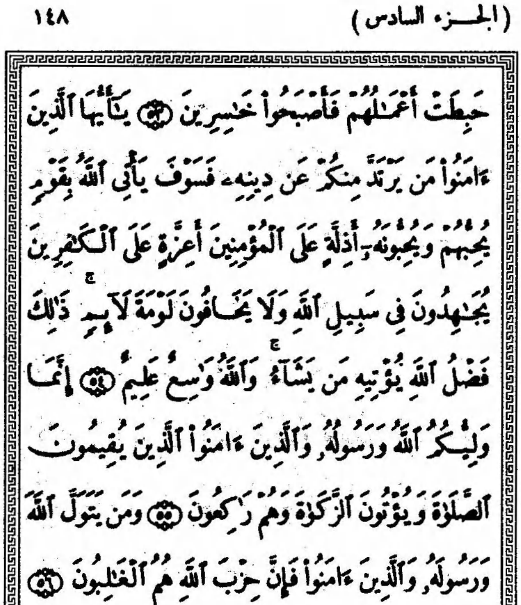
(الجـــزء السادس) ١٤٨

حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فَأَصْبَحُوا۟ خَـٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ
يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ
يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ
فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا
وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ
ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ
وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾
يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا
وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ
وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ
ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾

والنصارى أولياء﴾ الآية [السيوطي، وابن جرير][تشبث بأمرهم: تعلق به وتمسك. قام دونهم: حماهم ودافع عنهم].

سبب نزول الآية [٥٥ ـ ٥٦]: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أقبل عبد الله بن سلام ومعه نفر من قومه قد آمنوا. فقالوا: يا رسول الله، إن منازلنا بعيدة، وليس لنا مجلس ولا متحدث، وإن قومنا لما رأونا آمنا بالله ورسوله وصدقناه رفضونا، وآلوا على أنفسهم أن لا يجالسونا ولا يناكحونا ولا يكلمونا، فشق ذلك علينا. فقال لهم النبي عليه السلام: ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا﴾ الآية، ثم إن النبي ﷺ خرج إلى المسجد والناس بين قائم وراكع، فنظر سائلاً، فقال: (هل أعطاك أحد شيئاً). قال: نعم، خاتم من ذهب. قال: (من أعطاك). قال: ذلك القائم، وأومأ بيده إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه. فقال: (على أي حال أعطاك). قال: أعطاني وهو راكع، فكبر النبي ﷺ ثم قرأ: ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ ورَسُولَه والذين آمنوا فإنَّ حِزْبَ الله هم الغَالِبُون﴾. [الواحدي والسيوطي].

سبب نزول الآيات [٥٧ ـ ٦١]: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رفاعة بن زيد بن التابوت وسويد بن الحارث قد أظهرا الإسلام ونافقا، وكان رجل من المسلمين يوادهما، فأنزل الله: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم﴾ إلى قوله: ﴿بما كانوا يكتمون﴾. [السيوطي والواحدي].

---

(١) أي ﴿يَرْتَدِدْ﴾ بفك الدالين، و ﴿يَرْتَدَّ﴾ بإدغام إحداهما في الأخرى.

(٢) أي في كتابه المسمى [المستدرك على الصحيحين]: كتاب التفسير/ تفسير سورة المائدة [٢/ ٣١٣].

وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (أتاكم أهل اليمن، هم أرق أفئدة، وألين قلوباً، الإيمان يمان، والحكمة يمانية).

[البخاري: المغازي، باب: قدوم الأشعريين وأهل اليمن، رقم: ٤١٢٧. مسلم: الإيمان، باب: تفاضل أهل الإيمان فيه ورجحان أهل اليمن، رقم: ٥٢].

(٣) أي كان السياق يقتضي أن يقال [فإنهم هم الغالبون] فعدل عن هذا لما ذكر إيضاحاً وبياناً أنهم يغلبون لأنهم حزب الله تعالى وأنصار دينه.

(٤) أي لقوله ﴿والكفار﴾ فالجر عطفاً على ﴿الذين أوتوا﴾ والنصب عطفاً على ﴿الذين اتخذوا﴾ والقراءتان متواترتان.

قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ
وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ
فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ
ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ
وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ
عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَقَد
دَّخَلُوا۟ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا۟ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا
كَانُوا۟ يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ
فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟
يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ
ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾
وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟

٥٩ ـ ونزل ـ لما قال اليهود للنبي ﷺ: بمن تؤمن من الرسل؟ فقال: «بالله وما أنزل إلينا» الآية/البقرة: ١٣٦/فلما ذكر عيسى قالوا: لا نعلم ديناً شراً من دينكم ـ ﴿ قل يا أهل الكتاب هل تنقمون ﴾ تنكرون ﴿ منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل ﴾ إلى الأنبياء ﴿ وأن أكثركم فاسقون ﴾ عطف على آمنا، المعنى: ما تنكرون إلا إيماننا، ومخالفتكم في عدم قبوله المعبر عنه(١) بالفسق اللازم عنه، وليس هذا(٢) مما ينكر.

٦٠ ﴿ قل هل أنبئكم ﴾ أخبركم ﴿ بشر من ﴾ أهل ﴿ ذلك ﴾ الذي تنقمونه ﴿ مثوبة ﴾ ثواباً بمعنى جزاءً ﴿ عند الله ﴾ هو ﴿ من لعنه الله ﴾ أبعده من رحمته ﴿ وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير ﴾ بالمسخ ﴿ و ﴾ من ﴿ عبد الطاغوت ﴾ الشيطان بطاعته، وروعي في منهم معنى مَنْ، وفيما قبله لفظها، وهم اليهود. وفي قراءة بضم باء «عَبُدَ» وإضافته إلى ما بعده، اسم جمع لعَبْد(٣)، ونصبه بالعطف على القردة ﴿أولئك شر مكاناً﴾ تمييز، لأن مأواهم النار ﴿ وأضل عن سواء السبيل ﴾ طريق الحق، وأصل السواء الوسط، وذكر شر وأضل في مقابلة قولهم: لا نعلم ديناً شراً من دينكم.

٦١ ﴿ وإذا جاؤوكم ﴾ أي منافقو اليهود ﴿ قالوا آمنا وقد دخلوا ﴾ إليكم متلبسين ﴿ بالكفروهم قد خرجوا ﴾ من عندكم متلبسين ﴿ به ﴾ ولم يؤمنوا ﴿ والله أعلم بما كانوا يكتمونـ ﴾ ـه من النفاق.

٦٢ ﴿ وترى كثيراً منهم ﴾ أي اليهود ﴿ يسارعون ﴾ يقعون سريعاً ﴿ في الإثم ﴾ الكذب ﴿ والعدوان ﴾ الظلم ﴿ وأكلهم السحت ﴾ الحرام كالرشا ﴿ لبئس ما كانوا يعملونـ ﴾ ـه عملهم هذا.

٦٣ ﴿لولا﴾ هلاَّ ﴿ينهاهم الربانيون والأحبار﴾ منهم ﴿ عن قولهم الإثم ﴾ الكذب ﴿ وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعونـ ﴾ ـه ترك نهيهم.

٦٤ ﴿ وقالت اليهود ﴾ لما ضيق عليهم بتكذيبهم النبي ﷺ، بعد أن كانوا أكثر الناس مالاً ﴿ يد الله مغلولة ﴾ مقبوضة عن إدرار الرزق علينا، كنوا به عن البخل، تعالى الله عن ذلك، قال تعالى: ﴿ غلت ﴾ أمسكت ﴿ أيديهم ﴾ عن فعل الخيرات، دعاء عليهم ﴿ ولعنوا بما قالوا

---

(١) عن عدم قبول الإيمان.

(٢) أي إيماننا ومخالفتنا لكم في عدم قبوله.

(٣) أي ﴿عَبُدَ الطاغوتِ﴾ والقراءتان متواترتان.

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن القردة والخنازير، أهي مما مسخ الله ؟ فقال: «إن الله لم يهلك قوماً ـ أو قال: لم يمسخ قوماً ـ فيجعل لهم نسلاً ولا عقباً، وإن القردة والخنازير كانت قبل ذلك». [مسلم: القدر، باب: بيان أن الآجال والأرزاق وغيرها لا تزيد ولا تنقص عما سبق به القدر، رقم: ٢٦٦٣].

وعنه رضي الله عنه قال: سألنا رسول الله ﷺ عن القردة والخنازير، أهي من نسل اليهود ؟ فقال: «لا، إن الله لم يلعن قوماً فيمسخهم فكان لهم نسل، ولكن هذا خلق كان، فلما غضب الله على اليهود فمسخهم جعلهم مثلهم». [مسند أحمد: ١/ ٣٩٥].

سبب نزول الآية [٥٩، ٦٠]: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أتى النبيَّ ﷺ نفر من يهود فيهم أبو ياسر بن أخطب، ونافع بن أبي نافع، وغازي بن عمر، فسألوه عمن يؤمن به من الرسل، قال: (أؤمن بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون) الآية، فلما ذكر عيسى جحدوا نبوته وقالوا: لا نؤمن بعيسى ولا بمن آمن به. فأنزل الله فيهم: ﴿قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا﴾ الآية.

وقالوا: والله ما نعلم أهل دين أقل حظاً في الدنيا والآخرة منكم، ولا ديناً شراً من دينكم. فأنزل الله تعالى: ﴿قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة﴾ الآية. [السيوطي والواحدي].

سبب نزول الآية [٦٤]: عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رجل من اليهود يقال له النباش بن قيس: إن ربك بخيل لا ينفق. فأنزل الله ﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة﴾ الآية. [الطبراني في المعجم الكبير: ٢/ ٦٨، الحديث: ١٢٤٩٧].

وعنه رضي الله عنه قال: نزلت: ﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة﴾ في فنحاص رأس يهود قينقاع. [السيوطي].

بل يداه مبسوطتان ﴾ مبالغة بالوصف بالجود، وثنى اليد لإفادة الكثرة، إذ غاية ما يبذله السخي من ماله أن يعطي بيديه[1] ﴿ ينفق كيف يشاء ﴾ من توسيع وتضييق لا اعتراض عليه ﴿ وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك ﴾ من القرآن ﴿ طغياناً وكفراً ﴾ لكفرهم به ﴿ وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة ﴾ فكل فرقة منهم تخالف الأخرى ﴿ كلما أوقدوا ناراً للحرب ﴾ أي لحرب النبي ﷺ ﴿ أطفأها الله ﴾ أي كلما أرادوه ردهم ﴿ ويسعون في الأرض فساداً ﴾ أي مفسدين بالمعاصي ﴿ والله لا يحب المفسدين ﴾ بمعنى أنه يعاقبهم.

٦٥ ﴿ ولو أن أهل الكتاب آمنوا ﴾ بمحمد ﷺ ﴿ واتقوا ﴾ الكفر ﴿ لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم ﴾.

٦٦ ﴿ ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل ﴾ بالعمل بما فيهما، ومنه الإيمان بالنبي ﷺ ﴿ وما أنزل إليهم ﴾ من الكتب ﴿ من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم ﴾ بأن يوسع عليهم الرزق، ويفيض من كل جهة ﴿ منهم أمة ﴾ جماعة ﴿ مقتصدة ﴾[2] تعمل به، وهم من آمن بالنبي ﷺ، كعبد الله بن سلام وأصحابه ﴿ وكثير منهم ساء ﴾ بئس ﴿ ما ﴾ شيء ﴿ يعملونـ ﴾ ـه.

٦٧ ﴿ يا أيها الرسول بلغ ﴾ جميع ﴿ ما أنزل إليك من ربك ﴾ ولا تكتم شيئاً منه خوفاً أن تُنال بمكروه ﴿ وإن لم تفعل ﴾ أي لم تبلغ جميع ما أنزل إليك ﴿ فما بلغت رسالته ﴾ بالإفراد والجمع[3]، لأن كتمان بعضها ككتمان كلها ﴿ والله يعصمك من الناس ﴾ أن يقتلوك، وكان ﷺ يُحْرَس حتى نزلت، فقال: (انصرفوا فقد عصمني الله) رواه الحاكم[4] ﴿ إن الله لا يهدي القوم الكافرين ﴾.

٦٨ ﴿ قل يا أهل

(الجــزء السادس) ١٥٠

بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا
مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًاۚ وَأَلْقَيْنَا
بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟
نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًاۚ
وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ
ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ
ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ
إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمۚ
مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾
۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمْ
تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ
إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ

---

[1] أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (قال الله تبارك وتعالى: أنفق أنفق عليك) وقال: (يد الله ملأى لا تغيضها نفقة، سحاء الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض، فإنه لم يغض ما في يده. [لا تغيضها: لا تنقصها. سحاء: كثيرة العطاء]. [البخاري: التفسير/هود، باب: قوله ﴿وكان عرشه على الماء﴾ رقم: ٤٤٠٧. مسلم: الزكاة، باب: الحث على النفقة وتبشير المنفق بالخلف، رقم: ٩٩٣].

[2] معتدلة، غير مغالية ولا مقصرة.

[3] اي ﴿رسالته﴾ و ﴿رسالاته﴾. والجمع باعتبار تنوع المرسل به من عقيدة وعبادة وتشريع وأخلاق وغير ذلك.

[4] في المستدرك [التفسير: ٢/٣١٣] عن عائشة رضي الله عنها.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: من حدثك أن محمداً ﷺ كتم شيئاً مما أنزل عليه فقد كذب، والله يقول: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك﴾ الآية. [البخاري: التفسير، باب: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾. مسلم: الإيمان، باب: معنى قول الله عز وجل: ﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾] [كتم: أخفاه ولم يبلغه. والله يقول: أي كيف يكتم شيئاً والحال أن الله تعالى أمره بالتبليغ مطلقاً وحذره من الكتمان].

سبب نزول الآية [٦٧]: عن الحسن: أن رسول الله ﷺ قال: (إن الله بعثني برسالة فضقت بها ذرعاً، وعرفت أن الناس مكذبيّ، فوعدني لأبلغنّ أو ليعذبني). فانزلت: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾ [السيوطي، الواحدي]. وعن مجاهد قال: لما نزلت: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾ قال: (يا ربّ كيف أصنع وأنا وحدي يجتمعون عليّ). فنزلت: ﴿وإن لم تفعل فما بلغت رسالته﴾. [السيوطي].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سهر رسول الله ﷺ ذات ليلة، فقلت: يا رسول الله، ما شأنك؟ قال: (الا رجل صالح يحرسنا الليلة). فقالت بينما نحن في ذلك سمعت صوت السلاح، فقال: (من هذا). قال: سعد وحذيفة، جئنا نحرسك. فنام رسول الله ﷺ حتى سمعت غطيطه، ونزلت هذه الآية، فأخرج رسول الله ﷺ رأسه من قبة أدم وقال: (انصرفوا يا أيها الناس فقد عصمني الله). [الواحدي].

غطيطه: هو صوت النائم، أدم: جلد مدبوغ. عصمني: حفظني وحماني.

وأخرج ابن حبان في صحيحه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنا إذا أصبحنا ورسول الله ﷺ في سفر تركنا له أعظم شجرة وأظلها، فينزل تحتها، فنزل ذات يوم تحت الشجرة وعلق سيفه فيها، فجاء رجل فأخذه، وقال: يا محمد من يمنعك مني؟ فقال رسول الله ﷺ: (الله يمنعني منك، ضع السيف) فوضعه، فنزلت: ﴿والله يعصمك من الناس﴾.

سبب نزول الآية [٦٨]: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء رافع، وسلام بن مشكم، ومالك بن الصيف، فقالوا: يا محمد، ألست تزعم

ٱلْكِتَـٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ
وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ
إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ
ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّـٰبِـُٔونَ
وَٱلنَّصَـٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا
فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَ
بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ
بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾
وَحَسِبُوٓا۟ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ
ثُمَّ عَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾
لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ
وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ

الكتاب لستم على شيء﴾ من الدين معتد به **﴿حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم﴾** بأن تعملوا بما فيه، ومنه الإيمان بي **﴿وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك﴾** من القرآن **﴿طغياناً وكفراً﴾** لكفرهم به **﴿فلا تأس﴾** تحزن **﴿على القوم الكافرين﴾** إن لم يؤمنوا بك، أي لا تهتم بهم.

٦٩ **﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا﴾** هم اليهود، مبتدأ **﴿والصابئون﴾** فرقة منهم(١) **﴿والنصارى﴾** ويبدل من المبتدأ **﴿من آمن﴾** منهم **﴿بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾** في الآخرة، خبر المبتدأ ودال على خبر إن(٢).

٧٠ **﴿لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل﴾** على الإيمان بالله ورسله **﴿وأرسلنا إليهم رسلاً كلما جاءهم رسول﴾** منهم **﴿بما لا تهوى أنفسهم﴾** من الحق كذبوه **﴿فريقاً﴾** منهم **﴿كذبوا﴾**. **﴿وفريقاً﴾** منهم **﴿يقتلون﴾** كزكريا ويحيى، والتعبير به دون قتلوا حكاية للحال الماضية، للفاصلة(٣).

٧١ **﴿وحسبوا﴾** ظنوا **﴿ألا تكون﴾** بالرفع فأن(٤) مخففة(٥)، والنصب فهي ناصبة، أي تقع **﴿فتنة﴾** عذاب بهم على تكذيب الرسل وقتلهم **﴿فعموا﴾** عن الحق فلم يبصروه **﴿وصموا﴾** عن استماعه **﴿ثم تاب الله عليهم﴾** لما تابوا **﴿ثم عموا وصموا﴾** ثانياً **﴿كثير منهم﴾** بدل من الضمير(٦) **﴿والله بصير بما يعملون﴾** فيجازيهم به.

٧٢ **﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم﴾** سبق مثله / الآية: ١٧/ **﴿وقال﴾** لهم **﴿المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم﴾** فإني عبد ولست بإله

---

(١) انظر/ البقرة: ٦٢/.

(٢) أي قوله ﴿الذين﴾ في ﴿والذين هادوا﴾ مبتدأ، وقوله ﴿والصابئون والنصارى﴾ معطوفان عليه، وقوله ﴿من آمن..﴾ بدل من ﴿ الذين..﴾ وما عطف عليه، وقوله ﴿فلا خوف..﴾ خبر للمبتدأ ﴿الذين..﴾ وهو دال أيضاً على خبر ﴿إنّ﴾ في قوله ﴿إن الذين آمنوا﴾ أي فلا خوف عليهم... والله تعالى أعلم.

(٣) أي في قوله ﴿يقتلون﴾ حكاية لما وقع منهم في الماضي وكأنه يقع منهم الآن، مع رعاية فواصل الآيات قبلها وبعدها.

(٤) المدغمة في اللام من لا، فأصل ﴿ألاّ﴾ أنْ لا.

(٥) من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن محذوف والتقدير: أنه لا تكون فتنة.

(٦) في عموا وصموا، أي لم يصر جميعهم كذلك.

فائدة: عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لهم أجران: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد ﷺ. والعبد المملوك إذا أدى حق الله وحق مواليه. ورجل كانت عنده أمة يطؤها، فأدبها فأحسن تأديبها، وعلمها فأحسن تعليمها، ثم أعتقها فتزوجها، فله أجران». [البخاري: العلم، باب: تعليم الرجل أمته وأهله، رقم: ٩٧. مسلم: الإيمان، باب: وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس، رقم: ١٥٤] [رجل من أهل الكتاب: التوراة أو الإنجيل، ذكراً كان أم أنثى. مواليه: جمع مولى، وهو السيد المالك للعبد أو المعتق له. أمة: امرأة مملوكة. يطؤها: متمكن من جماعها شرعاً بملكه لها. فأدبها: رباها ونشأها على التخلق بالأخلاق الحميدة].

وعن أنس رضي الله عنه قال: بلغ عبد الله بن سلام مقدمُ رسول الله ﷺ المدينة، فأتاه فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي: ما أول أشراط الساعة، وما أول طعام يأكله أهل الجنة، ومن أي شيء ينزع الولد إلى أبيه، ومن أي شيء ينزع إلى أخواله ؟ فقال رسول الله ﷺ: «خبرني بهن آنفاً جبريل». قال: فقال عبد الله: ذاك عدو اليهود من الملائكة، فقال رسول الله ﷺ: «أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت، وأما الشبه في الولد: فإن الرجل إذا غشي المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه له، وإذا=

أنك على ملة إبراهيم ودينه، وتؤمن بما عندنا؟ قال: (بلى، ولكنكم أحدثتم وجحدتم بما فيها، وكتمتم ما أمرتم أن تبينوه للناس). قالوا: فإنا نأخذ بما في أيدينا، فإنا على الهدى والحقّ. فأنزل الله: ﴿قل يا أهل الكتاب لستم على شيء﴾ الآية. [السيوطي].

﴿ إنه من يشرك بالله ﴾ في العبادة غيره ﴿ فقد حرم الله عليه الجنة ﴾ منعه أن يدخلها ﴿ ومأواه النار وما للظالمين من ﴾ زائدة ﴿ أنصار ﴾ يمنعونهم من عذاب الله⁽¹⁾.

٧٣ ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ﴾ آلهة ﴿ ثلاثة ﴾ أي أحدها، والآخران عيسى وأمه، وهم فرقة من النصارى ﴿ وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ﴾ من التثليث ويوحدوا ﴿ ليمسنّ الذين كفروا ﴾ أي ثبتوا على الكفر ﴿ منهم عذاب أليم ﴾ مؤلم، وهو النار.

٧٤ ﴿ أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه ﴾ مما قالوا، استفهام توبيخ ﴿ والله غفور ﴾ لمن تاب ﴿ رحيم ﴾ به.

٧٥ ﴿ ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت ﴾ مضت ﴿ من قبله الرسل ﴾ فهو يمضي مثلهم، وليس بإله كما زعموا، وإلا لما مضى ﴿ وأمه صديقة ﴾ مبالغة في الصدق ﴿ كانا يأكلان الطعام ﴾ كغيرهما من الناس، ومن كان كذلك لا يكون إلهاً، لتركيبه وضعفه، وما ينشأ منه من البول والغائط ﴿ انظر ﴾ متعجباً ﴿ كيف نبين لهم الآيات ﴾ على وحدانيتنا ﴿ ثم انظر أنى ﴾ كيف ﴿ يؤفكون ﴾ يصرفون عن الحق مع قيام البرهان.

٧٦ ﴿ قل أتعبدون من دون الله ﴾ أي غيره ﴿ ما لا يملك لكم ضراً ولا نفعاً والله هو السميع ﴾ لأقوالكم ﴿ العليم ﴾ بأحوالكم، والاستفهام للإنكار⁽²⁾.

٧٧ ﴿ قل يا أهل الكتاب ﴾ اليهود والنصارى ﴿ لا تغلوا ﴾ تجاوزوا الحد ﴿ في دينكم ﴾ غلوا ﴿ غير الحق ﴾ بأن تضعوا عيسى⁽³⁾ أو ترفعوه فوق حقه ﴿ ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل ﴾ بغلوهم، وهم أسلافهم ﴿ وأضلوا كثيراً ﴾ من الناس ﴿ وضلوا عن سواء السبيل ﴾ طريق الحق، والسواء في الأصل الوسط.

٧٨ ﴿ لعن الذين كفروا

(الجـــزء السادس) ١٥٢

إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ
وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ
ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟
عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾
أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾
مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ
وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ
ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن
دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ
ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ
ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟
كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟

---

(1) روى البخاري ومسلم عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: (من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل) أي مع محاسبته على ما قدم من أعمال ومجازاته بها.

[البخاري: الأنبياء، باب قوله: ﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم..﴾ رقم: ٣٢٥٢. مسلم: الإيمان، باب: الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً، رقم: ٢٨].

(2) لإنكار ما وقع منهم وتوبيخهم عليه.

(3) تنزلوه عن مكانته، كما فعلت اليهود، إذ أنكروا نبوته وقالوا فيه وفي أمه ما لا يليق.

= سبق ماؤها كان الشبه لها». قال: أشهد أنك رسول الله، ثم قال: يارسول الله، إن اليهود قوم بُهت، إن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم بهتوني عندك. فجاءت اليهود ودخل عبد الله البيت، فقال رسول الله ﷺ: «أي رجل فيكم عبد الله بن سلام». قالوا: أعلمنا، وابن أعلمنا، وأخيرنا، وابن أخيرنا. فقال رسول الله ﷺ: «أفرأيتم إن أسلم عبد الله». قالوا: أعاذه الله من ذلك. فخرج عبد الله إليهم فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله. فقالوا: شرنا، وابن شرنا، ووقعوا فيه.

[البخاري: الأنبياء، باب: قول الله تعالى: ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة﴾ / البقرة: ٣٠/ رقم: ٣١٥١] [أشراط الساعة: علاماتها. آنفاً: الآن، وأول وقت يقرب مني مما مضى. تحشر: تجمع. فزيادة كبد حوت: هي القطعة المنفردة المتعلقة بالكبد، وهي أطيبها وألذها. غشي المرأة: جامعها. ماؤه: منيه. بهت: جمع بَهُوت، وهو كثير البهتان، وهو أسوأ الكذب، أي: كذابون وممارون لا يرجعون إلى الحق. ووقعوا فيه: أي ذموه وطعنوا فيه].

من بني إسرائيل على لسان داود ﴾ بأن دعا عليهم فمسخوا قردة، وهم أصحاب أيلة(١) ﴿ وعيسى ابن مريم ﴾ بأن دعا عليهم فمسخوا خنازير، وهم أصحاب المائدة(٢) ﴿ ذلك ﴾ اللعن ﴿ بما عصوا وكانوا يعتدون ﴾.

٧٩ ﴿ كانوا لا يتناهون ﴾ أي لا ينهى بعضهم بعضاً ﴿ عن ﴾ معاودة ﴿ منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلونـ ﴾ ـه فعلهم هذا. ٨٠ ﴿ ترى ﴾ يا محمد ﴿ كثيراً منهم يتولون الذين كفروا ﴾ من أهل مكة بغضاً لك ﴿ لبئس ما قدمت لهم أنفسهم ﴾ من العمل لمعادهم، الموجب لهم ﴿ أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون ﴾.

٨١ ﴿ ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي ﴾ محمد ﴿ وما أنزل إليه ما اتخذوهم ﴾ أي الكفار ﴿ أولياء ولكن كثيراً منهم فاسقون ﴾ خارجون عن الإيمان.

٨٢ ﴿ لتجدن ﴾ يا محمد ﴿ أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ﴾ من أهل مكة، لتضاعف كفرهم وجهلهم وانهماكهم في اتباع الهوى ﴿ ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك ﴾ أي قرب مودتهم للمؤمنين ﴿ بأن ﴾ بسبب أن ﴿ منهم قسيسين ﴾ علماء(٣) ﴿ ورهباناً ﴾ عباداً ﴿ وأنهم لا يستكبرون ﴾ عن اتباع الحق كما يستكبر اليهود وأهل مكة. نزلت في وفد النجاشي القادمين عليه من الحبشة، قرأ ﷺ عليهم سورة يس فبكوا وأسلموا، وقالوا ما أشبه هذا بما كان ينزل على عيسى(٤). قال تعالى: ٨٣ ﴿ وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ﴾ من القرآن ﴿ ترى أعينهم تفيض من الدمع =

فائدة: عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل أنه كان الرجل يلقى الرجل فيقول: يا هذا، اتق الله ودع ما تصنع، فإنه لا يحل لك. ثم يلقاه من الغد وهو على حاله، فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده. فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض، ثم قال: ﴿لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون. كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون. ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم﴾ إلى قوله: ﴿فاسقون﴾ ثم قال: كلا والله، لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، ثم لتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطراً، ولتقصرنه على الحق قصراً. زاد في رواية: أو ليضربن الله قلوب بعضكم ببعض، ثم يلعنكم كما لعنهم». أخرجه أبو داود [الملاحم، باب: الأمر والنهي، رقم: ٤٣٣٦] وأخرجه الترمذي [تفسير القرآن، باب: ومن سورة المائدة، رقم: ٣٠٥] عنه فقال: قال رسول الله ﷺ: «لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا، فجالسوهم في مجالسهم، وآكلوهم، وشاربوهم، فضرب الله قلوب بعضهم ببعض، ولعنهم على لسان داود وعيسى بن مريم، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون» وجلس رسول الله ﷺ، وكان متكئاً، فقال: «لا والذي نفسي بيده حتى تأطروهم على الحق أطراً» قال الترمذي: هذا الحديث حسن غريب. [أكيله وشريبه وقعيده: هو المؤاكل والمشارب والمقاعد، فعيل بمعنى فاعل. لتأطرنه: الأطر العطف، يعني: لتعطفنه ولتردنه إلى الحق الذي خالفه. والقصر القهر على الشيء. غريب: الحديث الغريب هو الذي تفرد بروايته في إحدى حلقات سنده راو واحد].

مِنۢ بَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ
ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ
عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرٗا
مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ
أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾
وَلَوۡ كَانُواْ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمۡ
أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾ * لَتَجِدَنَّ
أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ
وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ
ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانٗا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٨٢﴾
وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ
ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا

سبب نزول الآية [٨٢ - ٨٣]: عن سعيد بن المسيب وعن عروة بن الزبير وغيرهما، قالوا: بعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمري بكتاب معه إلى النجاشي، فقدم على النجاشي، فقرأ كتاب رسول الله ﷺ، ثم دعا جعفر بن أبي طالب والمهاجرين معه، فأرسل إلى الرهبان والقسيسين فجمعهم، ثم أمر جعفراً أن يقرأ عليهم القرآن، فقرأ سورة مريم عليها السلام، فآمنوا بالقرآن، وأفاضت أعينهم من الدمع، وهم الذين أنزل فيهم: ﴿ولتجدن أقربهم مودةً للذين آمنوا الذين قالوا إنَّا نَصارى﴾ إلى قوله: ﴿فاكْتُبْنا مع الشَّاهدين﴾. وعن سعيد بن جبير قال: بعث النجاشي ثلاثين رجلاً من خيار أصحابه إلى رسول الله ﷺ، فقرأ عليهم سورة ﴿يس﴾ فبكوا، فنزلت فيهم الآية. [الواحدي، السيوطي].

وأخرج النسائي عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه قال: نزلت هذه الآية في النجاشي وأصحابه: ﴿وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع﴾. [أخرجه النسائي في سننه الكبرى في كتاب التفسير :٦/ ٢٣٣٦ رقم:١١٤٨].

---

(١) الذين اعتدوا في السبت واصطادوا الأسماك.

(٢) أي الذين أكلوا منها وادخروا ولم يؤمنوا به.

(٣) جمع قسيس، وهو رئيس النصارى وعالمهم في دينهم، وأصله من تقسس الشيء إذا اتبعه وتطلبه بالليل.

(٤) ذكر ذلك الواحدي والسيوطي في أسباب النزول، كما ترى.

مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا ﴾ صدقنا بنبيك وكتابك ﴿ فاكتبنا مع الشاهدين ﴾ المقربين بتصديقهم.

٨٤ ﴿ و ﴾ قالوا في جواب من عيرهم بالإسلام من اليهود ﴿ ما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ﴾ القرآن، أي لا مانع لنا من الإيمان مع وجود مقتضيه(١) ﴿ ونطمع ﴾ عطف على نؤمن ﴿ أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين ﴾ المؤمنين الجنة. قال تعالى:

٨٥ ﴿ فأثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين ﴾ بالإيمان.

٨٦ ﴿ والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم ﴾.

٨٧ ونزل ـ لما هم قوم من الصحابة أن يلازموا الصوم والقيام(٢)، ولا يقربوا النساء والطيب، ولا يأكلوا اللحم، ولا يناموا على الفراش ـ ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ﴾ تتجاوزوا أمر الله ﴿ إن الله لا يحب المعتدين ﴾.

٨٨ ﴿ وكلوا مما رزقكم الله(٣) حلالاً طيباً ﴾ مفعول، والجار والمجرور قبله حال متعلق به(٤) ﴿ واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون ﴾.

٨٩ ﴿ لا يؤاخذكم الله باللغو ﴾ الكائن ﴿ في أيمانكم ﴾ هو ما يسبق إليه اللسان من غير قصد الحلف، كقول الإنسان: لا والله، وبلى والله ﴿ ولكن يؤاخذكم بما عقدتم ﴾ بالتخفيف والتشديد(٥)، وفي قراءة «عاقدتم» ﴿ الأيمان ﴾ عليه، بأن حلفتم عن قصد ﴿ فكفارته ﴾ أي اليمين إذا حنثتم فيه(٦) ﴿ إطعام عشرة مساكين ﴾ لكل مسكين مد(٧) ﴿ من أوسط ما تطعمون ﴾ منه ﴿ أهليكم ﴾ أي أقصده(٨) وأغلبه، لا أعلاه ولا أدناه ﴿ أو كسوتهم ﴾ بما يسمى كسوة كقميص وعمامة وإزار، ولا يكفي دفع ما ذكر إلى مسكين واحد، وعليه الشافعي ﴿ أو تحرير ﴾ عتق ﴿ رقبة ﴾ أي مؤمنة كما في كفارة القتل والظهار(٩)، حملاً للمطلق على المقيد(١٠) ﴿ فمن لم يجد ﴾ واحداً مما ذكر ﴿ فصيام ثلاثة أيام ﴾ كفارته، وظاهره أنه لا يشترط التتابع، وعليه الشافعي ﴿ ذلك ﴾ المذكور ﴿ كفارة

مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ
ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾
فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ
خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ
وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا۟ مِمَّا
رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ
مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن
يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ
مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ
تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ

---

(١) أي ما يقتضي الإيمان ويستوجبه من الحق المؤيد بالدلائل.

(٢) قيام الليل بالصلاة فيه.

(٣) تمتعوا بأنواع رزق الله تعالى بالأكل وغيره.

(٤) التقدير كلوا شيئاً حلالاً طيباً كائناً مما رزقكم الله. والحلال الطيب: هو ما أحله الله تعالى وحصل من كسب مشروع.

(٥) للقاف، أي ﴿عقَدْتُم﴾ و ﴿عقَّدْتُم﴾.

(٦) أي لم تفوا بما حلفتم عليه.

(٧) أي سعة مكعب طول حرفه ٩,٢ سنتمتراً، وزنة ٦٠٠ غرام تقريباً. (٨) المعتدل منه. (٩) انظر/ النساء: ٩٢/ و / المجادلة: ٣/. (١٠) أي حمل لفظ الرقبة المطلق في كفارة اليمين والظهار على لفظها المقيد ـ ﴿مؤمنة﴾ في كفارة القتل.

سبب نزول الآيات [٨٧ ـ ٨٩]: روى الترمذي عن ابن عباس: أن رجلاً أتى النبيّ ﷺ فقال: يا رسول الله، إني إذا أصبت اللحم انتشرت للنساء وأخذتني شهوتي، فحرّمت عليّ اللحم. فأنزل الله: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تحرّموا طيبات.. ﴾ الآية. [الترمذي: التفسير، باب: ومن سورة النساء، رقم ٣٠٥٢]. [انتشرت: أي تحركت شهوته].

وقال الواحدي: قال المفسرون: جلس رسول الله ﷺ يوماً، فذكّر الناس ووصف القيامة، ولم يزدهم على التخويف، فرق الناس وبكوا، فاجتمع عشرة من الصحابة في بيت عثمان بن مظعون الجمحي، وهم: أبو بكر الصديق، وعلي بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عمر، وأبو ذر الغفاري، وسالم مولى أبي حذيفة، والمقداد ابن الأسود، وسلمان الفارسي، ومعقل بن مقرن، واتفقوا على أن يصوموا النهار ويقوموا الليل، ولا يناموا على الفرش، ولا يأكلوا اللحم ولا الودك، ويترهبوا، ويجبوا المذاكير. فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فجمعهم فقال: (ألم أنبأ أنكم اتفقتم على كذا وكذا). فقالوا: بلى يا رسول الله، وما أردنا إلا الخير. فقال: (إني لم أومر بذلك، إن لأنفسكم عليكم حقاً، فصوموا وأفطروا، وقوموا وناموا، فإني أقوم وأنام، وأصوم وأفطر، وآكل اللحم والدسم، ومن رغب عن سنتي فليس مني). ثم خرج إلى الناس وخطبهم فقال: (ما بال أقوام حرموا النساء والطعام والطيب والنوم وشهوات الدنيا، أما إني لست آمركم أن تكونوا قسيسين ولا رهباناً، فإنه ليس في ديني ترك اللحم والنساء،

أيمانكم إذا حلفتم ﴾ وحنثتم ﴿ واحفظوا أيمانكم ﴾ أن تنكثوها(١)، ما لم يكن(٢) على فعل بر أو إصلاح بين الناس، كما في سورة البقرة/ الآية: ٢٢٤/ ﴿ كذلك ﴾ أي مثل ما بين لكم ما ذكر ﴿ يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون ﴾ ـه على ذلك.

٩٠ ﴿ يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر ﴾ المسكر الذي يخامر العقل ﴿والميسر ﴾ القمار ﴿ والأنصاب ﴾ الأصنام ﴿ والأزلام ﴾ قداح الاستقسام(٣) ﴿رجس ﴾ خبيث مستقذر ﴿ من عمل الشيطان ﴾ الذي يزينه ﴿ فاجتنبوه ﴾ أي الرجس المعبر به عن هذه الأشياء أن تفعلوه ﴿ لعلكم تفلحون ﴾.

٩١ ﴿ إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ﴾ إذا أتيتموهما، لما يحصل فيهما من الشر والفتن ﴿ ويصدكم ﴾ بالاشتغال بهما ﴿عن ذكر الله وعن الصلاة ﴾ خصها بالذكر(٤) تعظيماً لها ﴿ فهل أنتم منتهون ﴾ عن إتيانهما، أي انتهوا.

٩٢ ﴿ وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا ﴾ المعاصي ﴿ فإن توليتم ﴾ عن الطاعة ﴿ فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين ﴾ الإبلاغ المبين(٥)، وجزاؤكم علينا.

٩٣ ﴿ ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح(٦) فيما طعموا ﴾ أكلوا من الخمر والميسر قبل التحريم ﴿ إذا ما اتقوا ﴾ المحرمات ﴿ وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ﴾ ثبتوا على التقوى والإيمان ﴿ ثم اتقوا وأحسنوا ﴾ العمل ﴿ والله يحب المحسنين ﴾ بمعنى أنه يثيبهم.

٩٤ ﴿ يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم ﴾ ليختبرنكم ﴿ الله =

أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ
لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟
إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ
عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ
ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ
وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم
مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ ۚ
فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٩٢﴾
لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا
طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟
وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ

---

(١) أي احفظوها من النكث وهو النقض وعدم الوفاء بها.

(٢) نكثها من اجل ما ذكر مما هو خير من البرّ بها.

(٣) جمع زلـم، انظر الآية: ٣ من السورة نفسها.

(٤) أي الصلاة، مع دخولها في ذكر الله تعالى.

(٥) الواضح، المؤيد بالحجة والبرهان.

(٦) إثم ومؤاخذة. عن أنس رضي الله عنه قال: كنت ساقي القوم في منزل أبي طلحة، فنزل تحريم الخمر، فأمر منادياً فنادى، فقال أبو طلحة: اخرج فانظر ما هذا الصوت؟ قال: فخرجت فقلت: هذا مناد ينادي: ألا إن الخمر قد حرمت، فقال لي: اذهب فأهرقها، قال: فجرت في سكك المدينة. قال: وكانت خمرهم يومئذٍ الفضيح، فقال بعض القوم: قتل قوم وهي في بطونهم، قال: فأنزل الله: ﴿ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا﴾.

[البخاري: التفسير/ المائدة، باب: ﴿ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا﴾ رقم: ٤٣٤٤. مسلم: الأشربة، باب: تحريم الخمر وبيان أنها تكون من عصير العنب. .، رقم: ١٩٨٠].

[سكك: طرق. الفضيح: هو التمر المشقوق والمكسور. وهي في بطونهم: أي قد شربوها كثيراً، فهو مبالغة، فكأنهم ماتوا وهي لا تزال في بطونهم لكثرة شربهم لها].

ولا اتخاذ الصوامع، وإن سياحة أمتي الصوم ورهبانيتها الجهاد، واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وحجوا واعتمروا، وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة، وصوموا رمضان، فإنما هلك من كان قبلكم بالتشديد، شددوا على أنفسهم فتشدّد الله عليهم، فأولئك بقاياهم في الديارات والصوامع). فأنزل الله تعالى هذه الآية، فقالوا: يا رسول الله، كيف نصنع بأيماننا التي حلفنا عليها؟ وكانوا حلفوا على ما عليه اتفقوا، فأنزل الله تعالى: ﴿لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُم﴾ الآية.

[ولم يزدهم على التخويف: أي اقتصر على ذكر الترهيب وما يخيف، ولم يذكر شيئاً من الترغيب. الوَدَك: دسم اللحم ودهنه. يترهبوا: ينقطعوا للعبادة. يجبوا المذاكير: يقطعوا أعضاءهم التناسلية، كي لا يبقى لديهم ميل للنساء. الصوامع: جمع صومعة، وهي بيت يتخذ في مكان مرتفع بعيد عن الناس، يخلو فيه المرء للعبادة. الديارات: جمع دَيْر، وهو مكان عبادة النصارى من أهل الكتاب].

سبب نزول الآيات [٩٠ ـ ٩٣]: عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: أتيت على نفر من الأنصار والمهاجرين، فقالوا: تعال نطعمك ونسقيك خمراً، وذلك قبل أن تحرم الخمر، فأتيتهم في حَشٍّ، والحش البستان، وإذا رأس جزور مشوي عندهم، وزِقّ من خمر، فأكلت وشربت معهم، فذكرت الأنصار والمهاجرين عندهم فقلت: المهاجرون خير من الأنصار، قال: فأخذ رجل أحد لَحْيَي الرأس فضربني به فجرح بأنفي. فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته، فأنزل الله عز وجل فيَّ ـ يعني نفسه ـ شأنَ الخمر: ﴿إنما الخمر والمَيْسِرُ﴾ الآية. [أخرجه مسلم: في فضائل الصحابة،

بشيء ﴾ يرسله لكم ﴿ من الصيد تناله ﴾ أي الصغار منه ﴿ أيديكم ورماحكم ﴾ الكبار منه، وكان ذلك بالحديبية وهم محرمون، فكانت الوحش[1] والطير تغشاهم في رحالهم[2] ﴿ ليعلم الله ﴾ علم ظهور[3] ﴿ من يخافه بالغيب ﴾ حال، أي غائباً لم يره، فيجتنب الصيد ﴿ فمن اعتدى بعد ذلك ﴾ النهي عنه فاصطاده ﴿ فله عذاب أليم ﴾.

٩٥ ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ﴾ محرمون بحج أو عمرة ﴿ ومن قتله منكم متعمداً فجزاء ﴾ بالتنوين ورفع ما بعده، أي فعليه جزاء ﴿مثل ما قتل من النعم﴾ أي شبهه في الخلقة، وفي قراءة بإضافة جزاء[4] ﴿ يحكم به ﴾ أي بالمثل رجلان ﴿ ذوا عدل منكم ﴾ لهما فطنة يميزان بها أشبه الأشياء به، وقد حكم ابن عباس وعمر وعلي رضي الله عنهم في النعامة ببدنة، وابن عباس وأبو عبيدة في بقر الوحش وحماره ببقرة، وابن عمر وابن عوف في الظبي بشاة، وحكم بها ابن عباس وعمر وغيرهما في الحمام لأنه يشبهها في العب[5] ﴿ هدياً ﴾ حال من جزاء ﴿ بالغ الكعبة ﴾ أي يبلغ به الحرم، فيذبح فيه ويتصدق به على مساكينه، ولا يجوز أن يذبح حيث كان. ونصبه نعتاً لما قبله وإن أضيف، لأن إضافته لفظية لا تفيد تعريفاً. فإن لم يكن للصيد مثل من النعم، كالعصفور والجراد، فعليه قيمته ﴿ أو ﴾ عليه ﴿ كفارة ﴾ غير الجزاء وإن وجده، هي ﴿ طعام مساكين ﴾ من غالب قوت البلد ما يساوي قيمة الجزاء، لكل مسكين مد، وفي قراءة بإضافة كفارة لما بعده، وهي للبيان[6] ﴿ أو ﴾ عليه ﴿ عدل ﴾ مثل ﴿ ذلك ﴾ الطعام ﴿صياماً﴾ يصومه، عن كل مد يوماً وان وجده، وجب ذلك عليه ﴿ ليذوق وبال ﴾ ثقل جزاء ﴿ أمره ﴾ الذي فعله ﴿ عفا الله عما سلف ﴾ من قتل الصيد قبل تحريمه ﴿ ومن عاد ﴾ إليه ﴿ فينتقم الله منه والله عزيز ﴾ غالب على أمره ﴿ ذو انتقام ﴾ ممن عصاه، وألحق بقتله متعمداً فيما ذكر الخطأ[7].

٩٦ ﴿ أحل لكم ﴾ أيها الناس، حلالاً كنتم أو محرمين ﴿ صيد البحر ﴾ أن تأكلوه، وهو ما لا يعيش إلا فيه كالسمك، بخلاف ما يعيش فيه وفي البر كالسرطان ﴿ وطعامه ﴾ ما يقذفه ميتاً ﴿ متاعاً ﴾ تمتيعاً ﴿ لكم ﴾ تأكلونه ﴿ وللسيارة ﴾ المسافرين منكم يتزودونه ﴿ وحرم عليكم صيد البر ﴾ وهو ما يعيش فيه من الوحش المأكول أن تصيدوه ﴿ ما دمتم حرماً ﴾ فلو صاده حلال فللمحرم أكله، كما بينته السنة[8] ﴿ واتقوا الله الذي إليه تحشرون ﴾.

٩٧ ﴿ جعل الله الكعبة البيت الحرام ﴾ المحرم ﴿ قياماً للناس ﴾ يقوم به أمر دينهم بالحج إليه، ودنياهم بأمن داخله وعدم التعرض له وجبي ثمرات كل شيء إليه، وفي

تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ
فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم
مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ
مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ
أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ ۗ عَفَا ٱللَّهُ
عَمَّا سَلَفَ ۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو
ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ
وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَٱتَّقُوا۟
ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾ * جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ
ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ
وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ

---

[1] الحيوانات المتوحشة التي يحل أكلها، وهي التي ليس لها ناب.

[2] تأتي إليهم وهم في منازلهم. [3] ليظهر ما في علمه للخلق.

[4] أي ﴿فجزاءُ مِثْلِ . .﴾ وهي قراءة متواترة.

[5] شرب الماء بلا مص ولا تنفس.

[6] أي الإضافة لبيان جنس الكفارة.

[7] ومستثنى من منع القتل على المحرم وفي الحرم ما ورد في قوله ﷺ: (خمس من الدواب ليس على المحرم في قتلهن جناح: الغراب والحدأة والعقرب والفارة والكلب العقور) متفق عليه. وعند مسلم (خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم. .) [البخاري: الإحصار وجزاء الصيد، باب: ما يقتل المحرم من الدواب. مسلم: الحج، باب: ما يندب للمحرم وغيره قتله من الدواب في الحل والحرم].

[8] وثبت هذا من حديث أبي قتادة رضي الله عنه عند البخاري [الإحصار وجزاء الصيد، باب: إذا صاد الحلال فأهدى للمحرم الصيد أكله] ومسلم [الحج، باب: تحريم الصيد للمحرم].

باب: فضل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، رقم: ١٧٤٨]. جزور: بعير مذبوح. زق: هو الوعاء الذي يخمر فيه الخمر. فجدع: فشق].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إنما نزل تحريم الخمر في قبيلتين من قبائل الأنصار شربوا، فلما أن ثمل القوم عبث بعضهم ببعض، فلما صحوا جعل الرجل يرى الأثر في وجهه ورأسه ولحيته، فيقول: صنع بي هذا أخي فلان، وكانوا إخوة ليس في قلوبهم ضغائن، فيقول: والله لو كان بي رؤوفاً رحيماً ما صنع بي هذا، حتى وقعت الضغائن في قلوبهم، فأنزل الله هذه الآية: ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر﴾ الآية، فقال ناس

قراءة «قِيَماً» بلا ألف، مصدر قام غير معل(١) ﴿ والشهر الحرام ﴾ بمعنى الأشهر الحرم: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب، قياماً لهم بأمنهم من القتال فيها ﴿ والهدي والقلائد ﴾(٢) قياماً لهم بأمن صاحبهما من التعرض له ﴿ ذلك ﴾ الجعل المذكور ﴿ لتعلموا أن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض وأن الله بكل شيء عليم ﴾ فإن جعله ذلك، لجلب المصالح لكم ودفع المضار عنكم قبل وقوعها، دليل على علمه بما هو في الوجود وما هو كائن.

٩٨ ﴿ اعلموا أن الله شديد العقاب ﴾ لأعدائه ﴿ وأن الله غفور ﴾ لأوليائه ﴿ رحيم ﴾ بهم.

٩٩ ﴿ ما على الرسول إلا البلاغ ﴾ لكم ﴿ والله يعلم ما تبدون ﴾ تظهرون من العمل ﴿ وما تكتمون ﴾ تخفون منه، فيجازيكم به.

١٠٠ ﴿ قل لا يستوي الخبيث ﴾ الحرام ﴿ والطيب ﴾ الحلال ﴿ ولو أعجبك ﴾ أي سرك ﴿ كثرة الخبيث فاتقوا الله ﴾ في تركه ﴿ يا أولي الألباب لعلكم تفلحون ﴾ تفوزون.

١٠١ ونزل ـ لما أكثروا سؤاله ﷺ ـ ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد ﴾ تظهر ﴿ لكم تسؤكم ﴾ لما فيها من المشقة ﴿ وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن ﴾ في زمن النبي ﷺ ﴿ تبد لكم ﴾ المعنى: إذا سألتم عن أشياء في زمنه ينزل القرآن بإبدائها، ومتى أبداها ساءتكم، فلا تسألوا عنها. قد ﴿ عفا الله عنها ﴾ عن مسألتكم، فلا تعودوا ﴿ والله غفور حليم ﴾.

١٠٢ ﴿ قد سألها ﴾ أي الأشياء ﴿ قوم من قبلكم ﴾ أنبياءهم، فأجيبوا ببيان أحكامها ﴿ ثم أصبحوا ﴾ صاروا ﴿ بها كافرين ﴾ بتركهم العمل بها.

١٠٣ ﴿ ما جعل ﴾ شرع ﴿ الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ﴾ كما كان أهل الجاهلية يفعلونه، روى البخاري عن سعيد بن المسيب قال: البحيرة: التي يمنع درها للطواغيت(٣) فلا يحلبها أحد من الناس، والسائبة: التي كانوا يسيبونها لآلهتهم فلا يحمل عليها شيء(٤)، والوصيلة: الناقة البكر تبكر في أول نتاج الإبل بأنثى ثم تثني بعد بأنثى، وكانوا يسيبونها لطواغيتهم إن وصلت إحداهما بأخرى ليس بينهما ذكر، والحام: فحل الإبل يضرب الضراب المعدود(٥)، فإذا قضى ضرابه ودعوه للطواغيت وأعفوه من الحمل عليه، فلا يحمل عليه شيء، وسموه الحامي ﴿ ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب ﴾ في ذلك وفي نسبته إليه ﴿ وأكثرهم لا يعقلون ﴾ أن ذلك افتراء، لأنهم قلدوا فيه آباءهم.

١٠٤ ﴿ وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله

وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ ٱعْلَمُوٓا۟
أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾
مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ
وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾ قُل لَّا يَسْتَوِي ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ
وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِي ٱلْأَلْبَٰبِ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ
أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ
ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾
قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا۟ بِهَا كَٰفِرِينَ ﴿١٠٢﴾
مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ
وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَأَكْثَرُهُمْ
لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ

---

(١) أي مصدر قام قِوَماً، فقلبت الواو ياءً، دون زيادة حرف العلة وهو الألف. والقراءة متواترة.

(٢) الهدي: ما يساق من الأنعام ليذبح في الحرم، والقلائد: ما كانوا يقلدون به أنفسهم من شجر الحرم ليأمنوا على أنفسهم، أو الأنعام التي وضعت في أعناقها القلائد إشارة إلى أنها مهداة إلى الحرم.

(٣) أي يجعل لبنها لخدمة الأصنام، بعد أن تنتج خمسة أبطن آخرها ذكر، وتبحر أذنها ـ أي تشق ـ علامة على ذلك.

(٤) بعد أن تنتج عشر إناث.

(٥) عشر مرات ينشأ عن كل منها حمل، وضراب الإبل كالجماع من الإنسان. [انظر في الحواشي الثلاث تفسير ابن كثير]

من المتكلفين: هي رجس، وهي في بطن فلان، وقد قتل يوم أحد، فأنزل الله: ﴿ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ الآية.

[ثمل القوم: سكروا وأخذ الشراب منهم مأخذه. المتكلفين: المتعرضين لما لا يعنيهم].

سبب نزول الآية [١٠٠]: عن جابر رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ (إن الله عزّ وجلّ حرم عليكم عبادة الأوثان، وشرب الخمر، والطعن في الأنساب، ألا إن الخمر لُعِنَ شاربها وعاصرها وساقيها وبائعها وآكل ثمنها). فقام إليه أعرابي فقال: يا رسول الله، إني كنت رجلاً كانت هذه تجارتي، فاقتنيت من بيع الخمر مالاً، فهل ينفعني ذلك المال إن عملت فيه بطاعة الله؟ فقال له النبي ﷺ: (إن أنفقته في حج أو جهاد أو صدقة لم يعدل عند الله جناح بعوضة، إن الله لا يقبل إلا الطيب). فأنزل الله تعالى تصديقاً لقوله ﷺ: ﴿قُلْ لا يَسْتَوِي الخبيث والطَّيِّبُ..﴾ [الواحدي والسيوطي].

سبب نزول الآيات [١٠١ ـ ١٠٢]: عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: خطب رسول الله ﷺ خطبة: فقال رجل: من أبي؟ قال: (فلان)،

وإلى الرسول﴾ أي إلى حكمه، من تحليل ما حرمتم ﴿قالوا حسبنا﴾ كافينا ﴿ما وجدنا عليه آباءنا﴾ من الدين والشريعة، قال تعالى: ﴿أ﴾ حسبهم ذلك ﴿ولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون﴾ إلى الحق، والاستفهام للإنكار.

١٠٥ ﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم﴾ أي احفظوها وقوموا بصلاحها ﴿لا يضركم من ضل إذا اهتديتم﴾ قيل: المراد لا يضركم من ضل من أهل الكتاب، وقيل: المراد غيرهم، لحديث أبي ثعلبة الخشني: سألت عنها رسول الله ﷺ فقال: (ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً(١)، وهوى متبعاً(٢) ودنيا مؤثرة(٣)، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك نفسك) رواه الحاكم وغيره(٤) ﴿إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم تعملون﴾ فيجازيكم به.

١٠٦ ﴿يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت﴾ أي أسبابه ﴿حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم﴾ خبر بمعنى الأمر، أي ليشهد، وإضافة شهادة لبين على الاتساع(٥)، وحين بدل من إذا أو ظرف لحضر ﴿أو آخران من غيركم﴾ أي غير ملتكم ﴿إن أنتم ضربتم﴾ سافرتم ﴿في الأرض فأصابتكم مصيبة الموت تحبسونهما﴾ توقفونهما، صفة آخران ﴿من بعد الصلاة﴾ أي صلاة العصر ﴿فيقسمان﴾ يحلفان ﴿بالله إن ارتبتم﴾ شككتم فيهما، ويقولان ﴿لا نشتري به﴾ بالله ﴿ثمناً﴾ عوضاً نأخذه بدله من الدنيا، بأن نحلف به أو نشهد كذباً لأجله(٦) ﴿ولو كان﴾ المقسم له أو المشهود له ﴿ذا قربى﴾ قرابة منا ﴿ولا نكتم شهادة الله﴾ التي أمرنا بإقامتها ﴿إنا إذاً﴾ إن كتمناها ﴿لمن الآثمين﴾.

١٠٧ ﴿فإن عثر﴾ اطلع بعد حلفهما ﴿على أنهما استحقا إثماً﴾ أي فعلا ما يوجبه من خيانة أو كذب في الشهادة، بأن وجد عندهما مثلاً ما اتهما به، وادعيا أنهما ابتاعاه من الميت، أو وصى لهما به ﴿فآخران يقومان مقامهما﴾ في توجه اليمين عليهما ﴿من الذين استحق عليهم﴾ الوصية، وهم الورثة، ويبدل من آخران ﴿الأوليان﴾ بالميت، أي الأقربان إليه، وفي قراءة «الأوَّلِين» جمع أول، صفة أو بدل من الذين ﴿فيقسمان بالله﴾ على خيانة الشاهدين

وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا۟ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ
أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾
يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ
إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ شَهَـٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا
حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ
مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ
فَأَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ ۚ تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ
فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ
ذَا قُرْبَىٰ ۙ وَلَا نَكْتُمُ شَهَـٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْـَٔاثِمِينَ ﴿١٠٦﴾
فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا
مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَـٰنِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ

---

(١) بخلاً شديداً يؤثر على سلوك من فيه.

(٢) اتباعاً لأهواء النفس ورغباتها.

(٣) يؤثرها صاحبها على الآخرة. (٤) المستدرك: الرقاق [٤/٣٢٢]

(٥) أي فالأصل أن تضاف الشهادة إلى المشهود به، وهو هنا مال من حضرته الوفاة، فيقال: شهادة الأموال تكون بينكم في هذه الحالة، فأضيفت إلى البين ـ الذي هو كناية عن التخاصم والتنازع ـ لأن الشهود يحتاج إليهم عند ذلك. فالأصل في الظرف أن لا يضاف، لأن الإضافة تخرجه عن الظرفية، فأضيف توسعاً ـ أي تجاوزاً و تسامحاً ـ للمعنى الذي ذكر، فصار مفعولاً به بإضافته إلى المصدر وهو شهادة. وقوله ﴿بينكم﴾ أفاد أن الشهود من المسلمين، لأنه خطاب لهم، ودل عليه أيضاً قوله بعد ذلك ﴿أو آخران من غيركم﴾ والله أعلم. (٦) لأجل العرض الدنيوي.

فنزلت هذه الآية: ﴿لا تسألوا عن أشياء﴾ الآية.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان قوم يسألون رسول الله ﷺ استهزاءً، فيقول الرجل: من أبي؟ ويقول الرجل تضل ناقته: أين ناقتي؟ فأنزل الله فيهم هذه الآية: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء﴾ حتى فرغ من الآية كلها. [البخاري: التفسير المائدة، باب: ﴿لا تسألوا عن أشياء..﴾. مسلم: الفضائل، باب: توقيره ﷺ وترك إكثار سؤاله..].

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿ولِلّهِ على النَّاسِ حِجُّ البيْتِ﴾ [آل عمران ٩٧] قالوا: يا رسول الله. في كل عام؟ فسكت، فقالوا: يا رسول الله، في كل عام؟ قال: (لا، ولو قلت نعم لوجبت). وأنزل الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم﴾. [الترمذي: تفسير القرآن، باب: ومن سورة المائدة، رقم: ٣٠٥٧]. وذكر الحافظ ابن حجر في (فتح الباري) عند شرحه حديثي البخاري أسباباً أخرى بالإضافة لما ذكرته، وقال: لا مانع أن تتعدد الأسباب، وما في الصحيح أصح.

سبب نزول الآية [١٠٥]: عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كتب رسول الله ﷺ إلى أهل هجر، وعليهم منذر بن ساوى، يدعوهم إلى

ويقولان ﴿ لشهادتنا ﴾ يميننا ﴿ أحق ﴾ أصدق ﴿ من شهادتهما ﴾ يمينهما ﴿ وما اعتدينا ﴾ تجاوزنا الحق في اليمين ﴿ إنا إذاً لمن الظالمين ﴾ المعنى: ليشهد المحتضر على وصيته اثنين، أو يوصي إليهما، من أهل دينه، أو غيرهم إن فقدهم لسفر ونحوه، فإن ارتاب الورثة فيهما، فادعوا أنهما خانا بأخذ شيء، أو دفعه إلى شخص زعما أن الميت أوصى له به، فليحلفا إلى آخره. . فإن اطلع على أمارة تكذيبهما، فادعيا دافعاً له، حلف أقرب الورثة على كذبهما وصدق ما ادعوه. والحكم ثابت في الوصيين منسوخ في الشاهدين⁽¹⁾، وكذا شهادة غير أهل الملّة منسوخة. واعتبار صلاة العصر للتغليظ، وتخصيص الحلف في الآية باثنين من أقرب الورثة لخصوص الواقعة التي نزلت لها، وهي ما رواه البخاري: أن رجلاً من بني سهم خرج مع تميم الداري وعدي بن بدّاء، أي وهما نصرانيان، فمات السهمي بأرض ليس فيها مسلم، فلما قدما بتركته فقدوا جاماً من فضة، مخوصاً بالذهب، فرفعا إلى النبي ﷺ فنزلت، فأحلفهما، ثم وجد الجام بمكة، فقالوا: ابتعناه من تميم وعدي، فنزلت الآية الثانية، فقام رجلان من أولياء السهمي فحلفا. وفي رواية الترمذي: فقام عمرو بن العاص ورجل آخر منهم فحلفا، وكان أقرب إليه، وفي رواية: فمرض فأوصى إليهما، وأمرهما أن يبلغا ما ترك أهله، فلما مات أخذا الجام، ودفعا إلى أهله ما بقي⁽²⁾.

لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ
أَوْ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُوا۟ ۗ
وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٠٨﴾ ۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ
ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ
عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ
نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ
تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ
وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ
كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ
وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ
بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم

١٠٨ ﴿ ذلك ﴾ الحكم المذكور من رد اليمين على الورثة ﴿ أدنى ﴾ اقرب إلى ﴿ أن يأتوا ﴾ أي الشهود او الأوصياء ﴿ بالشهادة على وجهها ﴾ الذي تحملوها عليه من غير تحريف ولا خيانة ﴿ أو ﴾ أقرب إلى ان ﴿ يخافوا ان ترد أيمان بعد أيمانهم ﴾ على الورثة المدعين، فيحلفوا على خيانتهم وكذبهم، فيفتضحوا ويغرموا، فلا يكذبوا ﴿ واتقوا الله ﴾ بترك الخيانة والكذب ﴿ واسمعوا ﴾ ما تؤمرون به سماع قبول ﴿ والله لا يهدي القوم الفاسقين ﴾ الخارجين عن طاعته، اي سبيل الخير.

١٠٩ اذكر ﴿ يوم يجمع الله الرسل ﴾ هو يوم القيامة ﴿ فيقول ﴾ لهم توبيخا لقومهم ﴿ ماذا ﴾ أي الذي ﴿ أجبتم ﴾ به حين دعوتم إلى التوحيد ﴿ قالوا لا علم لنا ﴾ بذلك ﴿ إنك أنت علام الغيوب ﴾ ما غاب عن العباد، وذهب عنهم علمه لشدة هول يوم القيامة وفزعهم، ثم يشهدون على اممهم لما يسكتون.

١١٠ اذكر ﴿ إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك ﴾ اشكرها ﴿ إذ أيدتك ﴾ قويتك ﴿ بروح القدس ﴾ جبريل ﴿ تكلم الناس ﴾ حال من الكاف في أيدتك ﴿ في المهد ﴾⁽³⁾ اي طفلاً ﴿ وكهلاً ﴾⁽⁴⁾ يفيد نزوله قبل الساعة، لأنه رفع قبل الكهولة، كما سبق في آل عمران [٥٦] ﴿واذ علمتك الكتاب والحكمة⁽⁵⁾ والتوراة والإنجيل وإذ تخلق من الطين كهيئة ﴾ كصورة ﴿ الطير ﴾ والكاف اسم بمعنى مثل، مفعول⁽⁶⁾ ﴿بإذني فتنفخ فيها فتكون طيراً بإذني﴾ بإرادتي ﴿وتبرىء الأكمه⁽⁷⁾ والأبرص=

---

(١) عند من يشترط إسلام الشاهد ولو كان المشهود عليه غير مسلم، وهم الجمهور ما عدا الحنفية.

(٢) البخاري: الوصايا، باب: قول الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم. .﴾ رقم: ٢٦٢٨. [جاماً: إناءً كبيراً. مخوصاً: منقوشاً فيه خطوط طويلة دقيقة كالخوص، وهو ورق النخل].

(٣) فراش الصبي الذي يمهد له عند ولادته وبعدها. وذكر المهد كناية عن السن التي يكون فيها الإنسان حين يكون من شانه أن يوضع فيه.

(٤) سن الكهولة ما بين الثلاثين والاربعين.

(٥) العلم النافع والاطلاع على أسرار العلوم.

(٦) لقوله ﴿تخلق﴾.

(٧) من خلق أعمى مطموس البصر. البرص: داء يصيب الجلد يبقع بيضاء.

الإسلام، فإن أبوا فليؤدوا الجزية. فلما أتاه الكتاب عرضه على من عنده من العرب واليهود والنصارى والصابئين والمجوس، فأقروا بالجزية، وكرهوا الإسلام، وكتب إليه رسول الله ﷺ: (أما العرب فلا تقبل منهم إلا الإسلام أو السيف. وأما أهل الكتاب والمجوس فاقبل منهم الجزية). فلما قرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ أسلمت العرب، وأما أهل الكتاب والمجوس فأعطوا الجزية، فقال منافقو العرب: عجباً من محمد، يزعم أن الله بعثه

بإذني وإذ تخرج الموتى﴾ من قبورهم أحياءً ﴿بإذني وإذ كففت بني إسرائيل عنك ﴾ حين هموا بقتلك ﴿ إذ جئتهم بالبينات ﴾ المعجزات ﴿ فقال الذين كفروا منهم إن ﴾ ما ﴿ هذا ﴾ الذي جئت به ﴿ إلا سحر مبين ﴾ وفي قراءة «ساحر» أي عيسى. ١١١ ﴿ وإذ أوحيت إلى الحواريين ﴾ أمرتهم على لسانه(١) ﴿ أن ﴾ أي بأن ﴿ آمنوا بي وبرسولي ﴾ عيسى ﴿ قالوا آمنا ﴾ بك وبرسولك ﴿ واشهد بأننا مسلمون ﴾.

١١٢ اذكر ﴿ إذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ﴾ أي يفعل(٢) ﴿ ربك ﴾ وفي قراءة بالفوقانية ونصب ما بعده(٣)، أي تقدر أن تسأله ﴿ أن ينزل علينا مائدة من السماء قال ﴾ لهم عيسى ﴿ اتقوا الله ﴾ في اقتراح الآيات(٤) ﴿ إن كنتم مؤمنين ﴾.

١١٣ ﴿ قالوا نريد ﴾ سؤالها من أجل ﴿ أن نأكل منها وتطمئن ﴾ تسكن ﴿ قلوبنا ﴾ بزيادة اليقين ﴿ ونعلم ﴾ نزداد علماً ﴿ أن ﴾ مخففة، أي أنك ﴿ قد صدقتنا ﴾ في ادعاء النبوة ﴿ ونكون عليها من الشاهدين ﴾.

١١٤ ﴿ قال عيسى بن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا ﴾ أي يوم نزولها ﴿ عيداً ﴾ نعظمه ونشرفه(٥) ﴿ لأولنا ﴾ بدل من لنا بإعادة الجار ﴿ وآخرنا ﴾ لمن يأتي بعدنا ﴿ وآية منك ﴾ على قدرتك ونبوتي ﴿ وارزقنا ﴾ إياها(٦) ﴿ وأنت خير الرازقين ﴾.

١١٨ ﴿ قال الله ﴾ مستجيباً له ﴿ إني مُنْزِلها ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿ عليكم فمن يكفر بعد﴾ أي بعد نزولها﴿منكم ﴿ فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين ﴾ فنزلت الملائكة بها من السماء، عليها سبعة أرغفة وسبعة أحوات(٧)، فأكلوا منها حتى شبعوا، قاله ابن عباس. وفي حديث [أنزلت المائدة من السماء خبزاً ولحماً، فأمروا أن لا يخونوا ولا يدخروا لغد، فخانوا وادخروا، فمسخوا قردة وخنازير](٨).

١١٦ ﴿ و ﴾ اذكر ﴿ إذ قال ﴾ أي يقول ﴿ الله ﴾ لعيسى في القيامة توبيخاً لقومه ﴿ يا عيسى ابن مريم

بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ
مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُواْ بِي
وَبِرَسُولِي قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ
ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن
يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِۖ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم
مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا
وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾
قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ
ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَۖ
وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا
عَلَيْكُمْۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ
أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ

---

(١) أي على لسان عيسى عليه السلام.

(٢) أي المراد بهل يستطيع ما يلزم عنه وهو الفعل، أي: هل يفعل؟ لأنهم موقنون بقدرته سبحانه على ذلك.

(٣) أي ﴿هل تستطيع ربَّك﴾ وهي قراءة متواترة. [النشر].

(٤) أي خوارق العادات.

(٥) وسمي عيداً لأنه يتكرر ويعود بالفرح والسرور، من العود وهو الرجوع.

(٦) اجعل لنا فيها نفعاً. (٧) جمع حوت وهو السمكة الكبيرة.

(٨) أي الذين خانوا، أخرجه الترمذي [تفسير القرآن، باب: ومن سورة المائدة، رقم: ٣٠٦٣] مرفوعاً وموقوفاً وصحح وقفه.

قال الخازن في تفسيره: واختلف العلماء في نزول المائدة، فقال الحسن ومجاهد: لم تنزل المائدة، لأن الله لما أوعدهم على كفرهم بالعذاب بعد نزول المائدة خافوا أن يكفر بعضهم، فاستعفوا وقالوا: لا نريدها، فلم تنزل عليهم. فعلى هذا القول يكون معنى قوله تعالى: ﴿إني منزلها عليكم﴾ إن سألتم نزولها. والصحيح الذي عليه جمهور العلماء والمفسرين أنها نزلت، لأن الله تعالى قال: ﴿إني منزلها عليكم﴾ وهذا وعد من الله بإنزالها، ولا خلف في خبره ووعده. ولما روي عن عمار بن ياسر قال: قال رسول الله ﷺ: «أنزلت المائدة من السماء خبزاً ولحماً، وأمروا أن لا يخونوا ولا يدخروا لغد، فخانوا وادخروا ورفعوا لغد، فمسخوا قردة وخنازير». أخرجه الترمذي [التفسير، باب: ومن سورة المائدة رقم: ٣٠٦٣] وقال: قد روي عن عمار من غير طريق موقوفاً، وهو أصح.

هذا وقد ذكر ابن كثير آثاراً في نزولها، ثم قال: وكل هذه الآثار دالة على أن المائدة قد نزلت على بني إسرائيل أيام عيسى بن مريم، إجابة من الله لدعوته، وكما دل على ذلك ظاهر هذا السياق من القرآن العظيم: ﴿قال إني منزلها عليكم﴾. وذكر آثاراً في أنها لم تنزل، ثم قال: والذي عليه الجمهور أنها نزلت، وهو الذي اختاره ابن جرير، قال: لأنه تعالى أخبر بنزولها. . ووعد الله ووعيده حق وصدق.

ليقاتل الناس كافة حتى يسلموا، ولا يقبل الجزية إلا من أهل الكتاب، فلا نراه إلا قبل من مشركي أهل هجر ما رد على مشركي العرب. فأنزل الله تعالى: ﴿ عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم ﴾ يعني من ضل من أهل الكتاب. [الواحدي].

ءأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلٰهين من دون الله قال ﴾ عيسى، وقد أرعد(١) ﴿ سبحانك ﴾ تنزيهاً لك عما لا يليق بك من الشريك وغيره ﴿ ما يكون ﴾ ما ينبغي ﴿ لي أن أقول ما ليس لي بحق ﴾ خبر ليس، ولي للتبيين ﴿ إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما ﴾ أخفيه ﴿ في نفسي ولا أعلم ما في نفسك ﴾ أي ما تخفيه من معلوماتك ﴿ إنك أنت علام الغيوب ﴾.

١١٧ ﴿ ما قلت لهم إلا ما أمرتني به ﴾ وهو ﴿ أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنتُ عليهم شهيداً ﴾ رقيباً أمنعهم مما يقولون ﴿ ما دمت فيهم فلما توفيتني ﴾ قبضتني بالرفع إلى السماء ﴿ كنت أنت الرقيب عليهم ﴾ الحفيظ لأعمالهم ﴿ وأنت على كل شيءٍ ﴾ من قولي لهم وقولهم بعدي وغير ذلك ﴿ شهيد ﴾ مطلع عالم به.

١١٨ ﴿ إن تعذبهم ﴾ أي من أقام على الكفر منهم ﴿ فإنهم عبادك ﴾ وأنت مالكهم، تتصرف فيهم كيف شئت، لا اعتراض عليك ﴿ وإن تغفر لهم ﴾ أي لمن آمن منهم ﴿ فإنك أنت العزيز ﴾ الغالب على أمره ﴿ الحكيم ﴾ في صنعه(٢).

١١٩ ﴿ قال الله هذا ﴾ أي يوم القيامة ﴿ يوم ينفع الصادقين ﴾ في الدنيا، كعيسى ﴿ صدقهم ﴾ لأنه يوم الجزاء ﴿ لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً رضي الله عنهم ﴾ بطاعته ﴿ ورضوا عنه ﴾ بثوابه ﴿ ذلك الفوز العظيم ﴾ ولا ينفع الكاذبين في الدنيا صدقهم فيه كالكفار، لما يؤمنون عند رؤية العذاب.

١٢٠ ﴿ لله ملك السموات والأرض ﴾ خزائن المطر والنبات والرزق وغيرها ﴿ وما فيهن ﴾ أتى بما تغليباً لغير العاقل ﴿ وهو على كل شيءٍ قدير ﴾ ومنه إثابة الصادق وتعذيب الكاذب.

ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ
قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن
كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي
نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ
أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ
شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ
عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ
عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾
قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ
تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ
وَرَضُواْ عَنْهُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾

دعاء النبي ﷺ لأمته..].

وأخرج النسائي عن أبي ذر رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قام حتى أصبح بآية، والآية ﴿إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم﴾. [النسائي: كتاب الافتتاح، باب ترديد الآية: ٢/١٧٧].

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: صلى رسول الله ﷺ ليلة، فقرأ بآية حتى أصبح، يركع بها ويسجد بها: ﴿إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم﴾. فلما أصبح قلت: يارسول الله، مازلت تقرأ هذه الآية حتى أصبحت، تركع بها وتسجد بها؟ قال: «إني سألت ربي عز وجل الشفاعة لأمتي، فأعطانيها، وهي نائلة إن شاء الله لمن لا يشرك بالله شيئاً» [مسند أحمد: ٥/١٤٩].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خطب رسول الله ﷺ فقال: «يا أيها الناس، إنكم محشورون إلى الله حفاة عراة غرلاً» ثم قال: ﴿كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين﴾ إلى آخر الآية [الأنبياء: ١٠٤]. ثم قال: «ألا وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم، ألا وإنه يجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: يا رب أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿وكنت عليهم شهيداً مادمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد﴾. فيقال: إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم». [البخاري: التفسير، باب: ﴿وكنت عليهم شهيداً..﴾. مسلم: الجنة وصفة نعيمها، باب: فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة] [غرلاً: جمع أغرل، وهو الذي لم يختن، والمعنى: أنهم يحشرون كما خلقوا. ذات الشمال: أي إلى النار. مرتدين: تاركين لأحكام الإسلام وشرائعه مهملين لها أو منكرين].

(١) أصابته الرعدة وهي الاضطراب عند الفزع.

(٢) روى مسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ تلا قول الله عزّ وجلّ في إبراهيم: ﴿رب إنهن أضللن كثيراً من الناس فمن تبعني فإنه مني﴾ الآية /إبراهيم: ٣٦/ وقول عيسى ﴿إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم﴾ فرفع يديه وقال: (اللّهم أمتي أمتي) وبكى، فقال الله تعالى: (يا جبريل، اذهب إلى محمد ـ وربك أعلم ـ فاسأله: ما يبكيك) فأتاه جبريل عليه السلام فسأله، فأخبره رسول الله ﷺ بما قال ـ وهو أعلم ـ فقال الله: (يا جبريل، اذهب إلى محمد، فقل له: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك). [الإيمان، باب:

(سورة الأنعام)

(مكية إلا: ﴿وما قدروا الله..﴾ الآيات الثلاث [٩١-٩٣]. وإلا: ﴿قل تعالوا..﴾ الآيات
الثلاث [١٥١-١٥٣] فمدنية. وآياتها: مائة وخمس - أو: ست - وستون آية)

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿الحمد﴾ وهو الوصف بالجميل[1]، ثابت ﴿لله﴾ وهل المراد الإعلام بذلك للإيمان به، أو الثناء به، أو هما؟ احتمالات، أفيدها الثالث. قاله الشيخ في سورة الكهف[2] ﴿الذي خلق السموات والأرض﴾ خصهما بالذكر لأنهما أعظم المخلوقات للناظرين ﴿وجعل﴾ خلق ﴿الظلمات والنور﴾ أي كل ظلمة ونور، وجمعها دونه لكثرة أسبابها[3]، وهذا من دلائل وحدانيته[4] ﴿ثم الذين كفروا﴾ مع قيام هذا الدليل ﴿بربهم يعدلون﴾ يسوون به غيره في العبادة.

٢ ﴿هو الذي خلقكم من طين﴾ بخلق أبيكم آدم منه ﴿ثم قضى أجلاً﴾ لكم تموتون عند انتهائه ﴿وأجل مسمى﴾ مضروب ﴿عنده﴾ لبعثكم ﴿ثم أنتم﴾ أيها الكفار ﴿تمترون﴾ تشكون في البعث، بعد علمكم أنه ابتدأ خلقكم، ومن قدر على الابتداء فهو على الإعادة أقدر.

٣ ﴿وهو الله﴾ مستحق للعبادة ﴿في السموات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم﴾ ما تسرونه وما تجهرون به بينكم ﴿ويعلم ما تكسبون﴾ تعملون من خير وشر.

٤ ﴿وما تأتيهم﴾ أي أهل مكة ﴿من﴾ صلة[5] ﴿آية من آيات ربهم﴾ من القرآن ﴿إلا كانوا عنها معرضين﴾.

٥ ﴿فقد كذبوا بالحق﴾ القرآن ﴿لما جاءهم فسوف يأتيهم أنباء﴾ عواقب ﴿ما كانوا به يستهزئون﴾.

٦ ﴿ألم يروا﴾ في أسفارهم إلى الشام وغيرها ﴿كم﴾ خبرية بمعنى كثيراً

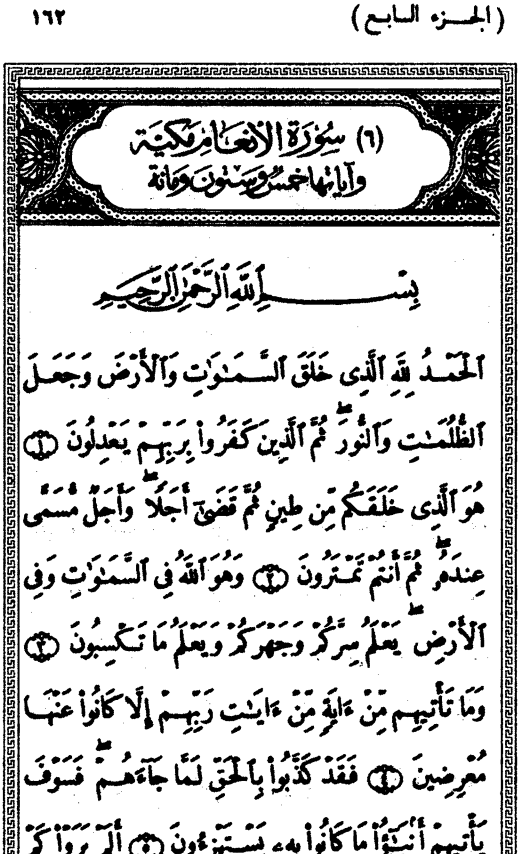
(الجـزء السابع) ١٦٢

(٦) سُورَةُ الأَنعَامِ مَكِّيَّة
وَآيَاتُهَا خَمسٌ وَسِتُّونَ وَمِائَة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ
ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ﴿١﴾
هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٖ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلٗاۖ وَأَجَلٞ مُّسَمًّى
عِندَهُۥۖ ثُمَّ أَنتُمۡ تَمۡتَرُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي
ٱلۡأَرۡضِۖ يَعۡلَمُ سِرَّكُمۡ وَجَهۡرَكُمۡ وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُونَ ﴿٣﴾
وَمَا تَأۡتِيهِم مِّنۡ ءَايَةٖ مِّنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِمۡ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهَا
مُعۡرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ فَسَوۡفَ
يَأۡتِيهِمۡ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٥﴾ أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ

---

(١) على جهة التعظيم والتبجيل.

(٢) أي قال الكلام السابق كله الجلال المحلي أول تفسير سورة الكهف.

عن وراد كاتب المغيرة رضي الله عنه قال: كتب معاوية رضي الله عنه إلى المغيرة: اكتب إلي ما سمعت من رسول الله ﷺ. فكتب إليه: أن نبي الله ﷺ كان يقول في دبر كل صلاة: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد». وكتب إليه: أنه كان ينهى عن قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال. وكان ينهى عن عقوق الأمهات، ووأد البنات، ومنع وهات. [البخاري: الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: ما يكره من كثرة السؤال وتكلف ما لا يعنيه، رقم: ٦٨٦٢. مسلم: المساجد ومواضع الصلاة، باب: استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته، رقم: ٥٩٣].[دبر: عقب. ولا ينفع..: أي لا ينفع صاحب الغنى غناه عندك، وإنما ينفعه إيمانه وعمله الصالح. قيل وقال: فعلان ماضيان، وهما كناية عن الاشتغال بما لا يعني، ونقل الكلام الذي لا يعود بالخير على ناقله. إضاعة المال: صرفه في غير حقه ومحله. عقوق الأمهات: الإساءة إليهن وقطع الصلة بهن وعدم الإحسان إليهن، والعقوق من العق وهو الشق. وأد البنات: دفنهن وهن أحياء. منع وهات: منع ما وجب من الحقوق، وطلب ما ليس بحق].

(٣) لأن كل جِرم كثيف له ظلمة وهي ظله، والأجرام كثيرة ومختلفة.

(٤) لأنه هو الخالق المتصرف وحده، وغير الخالق ليس بإله.

(٥) أي حرف جر زائد، يفيد استغراق النفي، أي إن إعراضهم كان عاماً عن كل الآيات دون استثناء. وفي بعض النسخ المطبوعة [زائدة] بدل قوله [صلة].

فضل السورة: عن جابر رضي الله عنه قال: لما نزلت سورة الأنعام سبح رسول الله ﷺ، ثم قال: (لقد شيع هذه السورة من الملائكة ما سد الأفق) [الحاكم في المستدرك: التفسير / تفسير سورة الأنعام: ٢/ ٣١٤].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (نزلت علي سورة الأنعام جملة واحدة، وشيعها سبعون ألفاً من الملائكة، لهم زجل بالتسبيح والتحميد) [ابن كثير، من طريق ابن مردويه] [زجل: صوت].

﴿ أهلكنا من قبلهم من قرن ﴾ أمة من الأمم الماضية ﴿ مكناهم ﴾ أعطيناهم مكاناً ﴿ في الأرض ﴾ بالقوة والسعة ﴿ ما لم نمكن ﴾ نعط ﴿ لكم ﴾ فيه التفات عن الغيبة ﴿ وأرسلنا السماء ﴾ المطر ﴿عليهم مدراراً ﴾ متتابعاً ﴿ وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم ﴾ تحت مساكنهم(١) ﴿ فأهلكناهم بذنوبهم ﴾ بتكذيبهم الأنبياء ﴿ وأنشأنا من بعدهم قرناً آخرين ﴾.

٧ ﴿ ولو نزلنا عليك كتاباً ﴾ مكتوباً ﴿ في قرطاس ﴾ رق(٢) كما اقترحوه ﴿ فلمسوه بأيديهم ﴾ أبلغ من عاينوه، لأنه أنفى للشك ﴿ لقال الذين كفروا إن ﴾ ما ﴿ هذا إلا سحر مبين ﴾ تعنتاً وعناداً.

٨ ﴿ وقالوا لولا ﴾ هلا ﴿ أنزل عليه ﴾ على محمد ﷺ ﴿ ملك ﴾ يصدقه ﴿ ولو أنزلنا ملكاً ﴾ كما اقترحوا، فلم يؤمنوا ﴿ لقضي الأمر ﴾ بهلاكهم ﴿ ثم لا ينظرون ﴾ يمهلون لتوبة أو معذرة، كعادة الله فيمن قبلهم من إهلاكهم عند وجود مقترحهم إذا لم يؤمنوا.

٩ ﴿ ولو جعلناه ﴾ أي المنزل إليهم ﴿ ملكاً لجعلناه ﴾ أي الملك ﴿ رجلاً ﴾ أي على صورته، ليتمكنوا من رؤيته، إذ لا قوة للبشر على رؤية الملك ﴿ و ﴾ لو أنزلناه وجعلناه رجلاً ﴿ للبسنا ﴾ شبهنا ﴿ عليهم ما يلبسون ﴾ على أنفسهم، بأن يقولوا: ما هذا إلا بشر مثلكم(٣).

١٠ ﴿ ولقد استهزيء برسل من قبلك ﴾ فيه تسلية للنبي ﷺ ﴿ فحاق ﴾ نزل ﴿ بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون ﴾ وهو العذاب، فكذا يحيق بمن استهزأ بك.

١١ ﴿ قل ﴾ لهم ﴿ سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين ﴾ الرسل من هلاكهم بالعذاب، ليعتبروا.

١٢ ﴿ قل لمن ما في السموات والأرض قل لله ﴾ إن لم يقولوه، لا جواب غيره ﴿ كتب ﴾ قضى ﴿على نفسه الرحمة ﴾ فضلاً منه(٤)، وفيه تلطف في دعائهم إلى الإيمان ﴿ ليجمعنكم إلى

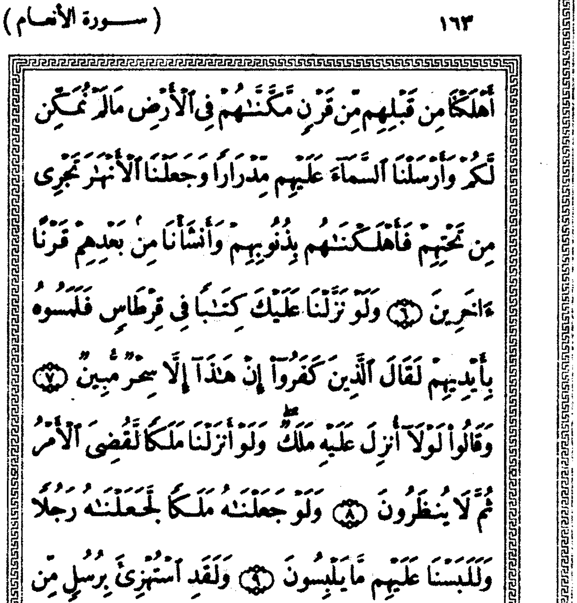
(ســـورة الأنعـام) ١٦٣

أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن
لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِي
مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا
ءَاخَرِينَ ﴿٦﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ
بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾
وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ ٱلْأَمْرُ
ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا
وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن
قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾
قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ
ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ
قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ

---

(١) أي فجرنا لهم ينابيع الأرض، فاتخذوا البساتين ونحوها.

(٢) جلد يكتب فيه، والقرطاس ما يكتب فيه من ورق وغيره.

(٣) فيقعون في نفس ما أشكل عليهم واختلط، إذ يقابلون بشراً لا ملكاً.

(٤) روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لما خلق الله الخلق كتب في كتابه - فهو عنده فوق العرش - إن رحمتي تغلب غضبي). وعنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (جعل الله الرحمة مائة جزء، فأمسك عنده تسعة وتسعين، وأنزل في الأرض جزءاً واحداً، فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق، حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه) متفق عليه. وروى البخاري ومسلم عن عمر رضي الله عنه قال: قدم على رسول الله ﷺ بسبي، فإذا امرأة من السبي تبتغي، إذا وجدت صبياً في السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته، فقال لنا رسول الله ﷺ: (أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار). قلنا: لا والله، وهي تقدر أن لا تطرحه. فقال رسول الله ﷺ: (لله أرحم بعباده من هذه المرأة بولدها). [السبي: ما أخذ من نساء الكفار وأولادهم أثناء الحرب. تبتغي: تبحث عن شيء].

[البخاري: بدء الخلق، باب: ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وهو الذي يبدأ الخلق..﴾ رقم: ٣٠٢٢. الأدب، باب: رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، وباب: جعل الله الرحمة في مائة جزء، رقم: ٥٦٥٣، ٥٦٥٤. مسلم: التوبة، باب: في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، رقم: ٢٧٥١ - ٢٧٥٣].

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سئل رسول الله ﷺ عن الوقوف بين يدي رب العالمين، هل فيه ماء؟ قال: «والذي نفسي بيده إن فيه لماء، وإن أولياء الله ليردون حياض الأنبياء، ويبعث الله تعالى سبعين ألف ملك في أيديهم عصى من نار، يذودون الكفار عن حياض الأنبياء». [ابن كثير من طريق ابن مردويه]. وفي الترمذي [صفة القيامة، باب: ما جاء في صفة الحوض، رقم:

سبب نزول الآية [٧]: قال الكلبي: إن مشركي مكة قالوا: يا محمد، والله لا نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من عند الله، ومعه أربعة من الملائكة يشهدون أنه من عند الله، وأنك رسوله. فنزلت هذه الآية. [الواحدي]

يوم القيامة ﴾ ليجازيكم بأعمالكم ﴿ لا ريب ﴾ شك ﴿ فيه الذين خسروا أنفسهم ﴾ بتعريضها للعذاب، مبتدأ خبره ﴿ فهم لا يؤمنون ﴾.

١٣ ﴿ وله ﴾ لله تعالى ﴿ ما سكن ﴾ حل ﴿ في الليل والنهار ﴾ أي كل شيء، فهو ربه وخالقه ومالكه ﴿ وهو السميع ﴾ لما يقال ﴿ العليم ﴾ بما يفعل.

١٤ ﴿ قل ﴾ لهم ﴿ أغير الله أتخذ ولياً ﴾ أعبده ﴿ فاطر السموات والأرض ﴾ مبدعهما ﴿ وهو يطعم ﴾ يَرْزُق ﴿ ولا يطعَم ﴾ يُرزق، لا ﴿ قل إني أمرت أن أكون أول من أسلم ﴾ لله تعالى من هذه الأمة ﴿ و ﴾ قيل لي ﴿ لا تكونن من المشركين ﴾ به.

١٥ ﴿قل إني أخاف إن عصيت ربي﴾ بعبادة غيره ﴿عذاب يوم عظيم﴾ هو يوم القيامة.

١٦ ﴿ من يصرف ﴾ بالبناء للمفعول أي العذاب، وللفاعل أي الله، والعائد محذوف⁽¹⁾ ﴿ عنه يومئذٍ فقد رحمه ﴾ تعالى، أي أراد له الخير ﴿ وذلك الفوز المبين ﴾ أي النجاة الظاهرة.

١٧ ﴿ وإن يمسسك الله بضر ﴾ بلاء، كمرض وفقر ﴿ فلا كاشف ﴾ رافع ﴿ له إلا هو وإن يمسسك بخير ﴾ كصحة وغنى ﴿ فهو على كل شيءٍ قدير ﴾ ومنه ما مسك به⁽²⁾، ولا يقدر على رده عنك غيره.

١٨ ﴿ وهو القاهر ﴾ القادر الذي لا يعجزه شيء، مستعلياً ﴿ فوق عباده وهو الحكيم ﴾ في خلقه ﴿ الخبير ﴾ ببواطنهم كظواهرهم.

١٩ ونزل ـ لما قالوا للنبي ﷺ: ائتنا بمن يشهد لك بالنبوة، فإن أهل الكتاب أنكروك ـ: ﴿ قل ﴾ لهم ﴿ أي شيء أكبر شهادة ﴾ تمييز محول عن المبتدأ⁽³⁾ ﴿ قل الله ﴾ إن لم يقولوه، لا جواب غيره، هو ﴿ شهيد بيني وبينكم ﴾ على صدقي ﴿ وأوحي إليَّ هذا القرآن لأنذركم ﴾ أخوفكم يا أهل مكة ﴿ به ومن بلغ ﴾ عطف على ضمير أنذركم، أي بلغه القرآن من الإنس والجن

يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ ۞ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَـٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ

٢٤٤٥] «إن لكل نبي حوضاً، وإنهم يتباهون أيهم أكثر واردة، وأرجو أن أكون أكثرهم واردة» [يذودون: يدفعون ويبعدون. واردة: هم القوم الذين يأتون ليشربوا].

(١) أي في قوله ﴿يصرف﴾ قراءتان متواترتان: ﴿يُصْرَفْ﴾ بالبناء للمفعول، ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره هو أي العذاب. وقراءة: ﴿يَصْرِفْ﴾ بالبناء للفاعل، والفاعل ضمير مستتر يعود على الله تعالى، والمفعول محذوف، والتقدير من يصرف الله العذابَ عنه...

والمراد بقوله: [والعائد..] المفعول، كما قدرنا. قال الصاوي في حاشيته: [قوله والعائد محذوف] الأوضح أن يقول: والمفعول محذوف، وهو ضمير يعود على العذاب، لأن الضمير العائد على ﴿من﴾ مذكور بقوله ﴿عنه﴾. وأيضاً لا يحتاج للعائد إلا الموصول، و﴿من﴾ هنا شرطية لا موصولة. وذكر الجمل في حاشيته ـ أيضاً ـ كلاماً بمعنى ما ذكره الصاوي.

(٢) أي ما أعطاكه من النبوة والمنزلة الرفيعة وغير ذلك.

(٣) والأصل: شهادة أي شيء أكبر؟.

سبب نزول الآيات [١٣ ـ ١٨]: قال الكلبي: عن ابن عباس: إن كفار مكة أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمد، إنا قد علمنا أنه إنما يحملك على ما تدعو إليه الحاجة، فنحن نجعل لك نصيباً في أموالنا حتى تكون أغنانا رجلاً، وترجع عما أنت عليه. فنزلت. [الواحدي].

سبب نزول الآية [١٩]: قال الكلبي: إن رؤساء مكة قالوا: يا محمد، ما نرى أحداً يصدقك بما تقول من أمر الرسالة، ولقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا أن ليس لك عندهم ذكر ولا صفة، فأرنا من يشهد لك أنك رسول كما تزعم؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية. [الواحدي].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء النحام بن زيد وقردم بن كعب وبحري بن عمرو، فقالوا: يا محمد، ما نعلم مع الله إلهاً غيره. فقال: (لا إله إلا الله، بذلك بعثت، وإلى ذلك أدعو). فأنزل الله في قولهم: ﴿قل أي شيء أكبر شهادة﴾ الآية. [السيوطي].

﴿ أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى ﴾ استفهام إنكار ﴿ قل ﴾ لهم ﴿ لا أشهد ﴾ بذلك ﴿ قل إنما هو إله واحد وإنني بريء مما تشركون ﴾ معه من الأصنام.

٢٠ ﴿ الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه ﴾ أي محمداً، بنعته في كتابهم ﴿ كما يعرفون أبناءهم الذين خسروا أنفسهم ﴾ منهم ﴿ فهم لا يؤمنون ﴾ به.

٢١ ﴿ ومن ﴾ أي لا أحد ﴿ أظلم ممن افترى على الله كذباً ﴾ بنسبة الشريك إليه ﴿ أو كذب بآياته ﴾ القرآن ﴿ إنه ﴾ أي الشأن ﴿ لا يفلح الظالمون ﴾ بذلك.

٢٢ ﴿ و ﴾ اذكر ﴿ يوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للذين أشركوا ﴾ توبيخاً ﴿ أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون ﴾ أنهم شركاء الله.

٢٣ ﴿ ثم لم تكن ﴾ بالتاء والياء ﴿ فتنتهم ﴾ بالنصب والرفع(١)، أي معذرتهم ﴿ إلا أن قالوا ﴾ أي قولهم ﴿ والله ربنا ﴾ بالجر نعت، والنصب نداء(٢) ﴿ ما كنا مشركين ﴾.

٢٤ قال تعالى: ﴿ انظـر ﴾ يا محمد ﴿ كيف كذبوا على أنفسهم ﴾ بنفي الشرك عنهم ﴿ وضل ﴾ غاب ﴿ عنهم ما كانوا يفترون ﴾ ـه على الله من الشركاء.

٢٥ ﴿ ومنهم من يستمع إليك ﴾ إذا قرأت ﴿ وجعلنا على قلوبهم أكنة ﴾ أغطية لـ ﴿ أن ﴾ لا ﴿ يفقهوه ﴾ يفهموا القرآن ﴿ وفي آذانهم وقراً ﴾ صمماً، فلا يسمعونه سماع قبول ﴿ وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى إذا جاؤوك يجادلونك يقول الذين كفروا إن ﴾ ما ﴿ هذا ﴾ القرآن

١٦٥ (سورة الأنعام)

أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّآ أَشْهَدُ
قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾
ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ
ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ
مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ
ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ
أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ
إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ
كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾
وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن
يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا ۚ
حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ

---

(١) القراءات في الآية ثلاثة، وهي:

أ ـ ﴿ثم لم تكن فتنتُهم إلا أن قالوا والله ربِّنا﴾ فقوله ﴿فتنتهم﴾ اسم ﴿تكن﴾ والمصدر المؤول من ﴿أن قالوا﴾ ـ أي قولَهم معتذرين ـ خبرها. وقولهم ﴿ربِّنا﴾ نعت ـ أي صفة ـ للفظ الجلالة قبله.

ب ـ ﴿ثم لم تكن فتنتَهم إلا أن قالوا والله ربِّنا﴾ فيكون المصدر المؤول اسم ﴿تكن﴾ و ﴿فتنتَهم﴾ خبرها مقدماً.

جـ ـ ﴿ثم لم يكن فتنتَهم إلا أن قالوا والله ربَّنا﴾ فقوله ﴿فتنتهم﴾ خبر مقدم، والمصدر المؤول [قولهم] مبتدأ مؤخر، وقوله ﴿ربنا﴾ بالنصب على النداء، والمعنى: والله يا ربنا..

(٢) أي لفظ ﴿ربنا﴾ مجرور على أنه نعت ـ أي صفة ـ للفظ الجلالة، ومنصوب على أنه منادى، كما بينت في الحاشية السابقة.

عن سعيد بن جبير ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما ـ قال: أتاه رجل فقال: يا أبا عباس، سمعت الله يقول: ﴿والله ربنا ما كنا مشركين﴾ ؟ قال: أما قوله: ﴿والله ربنا ما كنا مشركين﴾ فإنهم رأوا أنه لا يدخل الجنة إلا أهل الصلاة، فقالوا: تعالوا فلنجحد، فيجحدون، فيختم الله على أفواههم، وتشهد أيديهم وأرجلهم ولا يكتمون الله حديثاً، فهل في قلبك الآن شيء ؟ إنه ليس من القرآن شيء إلا قد نزل فيه شيء، ولكن لا تعلمون وجهه.

[أخرجه ابن أبي حاتم، كما ذكر ابن كثير في تفسيره].

سبب نزول الآية [٢٥]: قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن أبا سفيان بن حرب، والوليد بن المغيرة، والنضر بن الحارث، وعتبة وشيبة ابني ربيعة، وأمية وأبياً ابني خلف، استمعوا إلى رسول الله ﷺ، فقالوا للنضر: يا أبا قتيلة، ما يقول محمد؟ قال: والذي جعلها بيته ما أدري ما يقول، إلا أني أرى يحرك شفتيه يتكلم بشيء، وما يقول إلا أساطير الأولين، مثل ما كنت أحدثكم عن القرون الماضية. وكان النضر كثير الحديث عن القرون الأوَل، وكان يحدث قريشاً فيستملحون حديثه. فأنزل الله تعالى هذه الآية. [الواحدي].

جعلها: أي الكعبة. أساطير: جمع أسطورة وهي الحديث المكذوب ونحوه. فيستملحون: يجدونه مليحاً، أي حسناً يستمع له.

﴿ إلا أساطير ﴾ أكاذيب ﴿ الأولين ﴾ كالأضاحيك والأعاجيب، جمع أسطورة بالضم.

٢٦ ﴿ وهم ينهون ﴾ الناس ﴿ عنه ﴾ عن اتباع النبي ﷺ ﴿ وينأون ﴾ يتباعدون ﴿ عنه ﴾ فلا يؤمنون به، وقيل: نزلت في أبي طالب، كان ينهى عن أذاه ولا يؤمن به. ﴿ وإن ﴾ ما ﴿ يهلكون ﴾ بالنأي عنه ﴿ إلا أنفسهم ﴾ لأن ضرره عليهم ﴿ وما يشعرون ﴾ بذلك.

٢٧ ﴿ ولو ترى ﴾ يا محمد ﴿ إذ وقفوا ﴾ عرضوا ﴿ على النار فقالوا يا ﴾ للتنبيه ﴿ ليتنا نرد ﴾ إلى الدنيا ﴿ ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين﴾ برفع الفعلين استئنافاً، ونصبهما في جواب التمني، ورفع الأول ونصب الثاني(١)، وجواب لو: لرأيت أمراً عظيماً.

٢٨ قال تعالى: ﴿ بل ﴾ للإضراب عن إرادة الإيمان المفهوم من التمني ﴿ بدا ﴾ ظهر ﴿ لهم ما كانوا يخفون من قبل﴾ يكتمون بقولهم: والله ربنا ما كنا مشركين، بشهادة جوارحهم، فتمنوا ذلك ﴿ ولوردوا ﴾ إلى الدنيا فرضاً ﴿ لعادوا لما نهوا عنه ﴾ من الشرك ﴿ وإنهم لكاذبون ﴾ في وعدهم بالإيمان.

٢٩ ﴿ وقالوا ﴾ أي منكرو البعث ﴿ إن ﴾ ما ﴿ هي ﴾ أي الحياة ﴿ إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين ﴾.

٣٠ ﴿ ولو ترى إذ وقفوا ﴾ عرضوا ﴿ على ربهم ﴾ لرأيت أمراً عظيماً ﴿ قال ﴾ لهم على لسان الملائكة توبيخاً ﴿ أليس هذا ﴾ البعث والحساب ﴿ بالحق قالوا بلى وربنا ﴾ إنه لحق ﴿ قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ﴾ به في الدنيا.

٣١ ﴿ قد خسر الذين كذّبوا بلقاء الله ﴾ بالبعث ﴿ حتى ﴾ غاية للتكذيب ﴿ إذا جاءتهم الساعة ﴾ القيامة ﴿ بغتة ﴾ فجأة ﴿ قالوا يا حسرتنا ﴾ هي شدة التألم، ونداؤها مجاز، أي هذا أوانك فاحضري ﴿ على ما فرطنا ﴾ قصرنا ﴿ فيها ﴾ أي الدنيا ﴿ وهم يحملون أوزارهم(٢) على ظهورهم ﴾ بأن تأتيهم عند البعث، في أقبح شيء صورةً وأنتنه ريحاً، فتركبهم(٣) ﴿ ألا ساء ﴾ بئس ﴿ ما يزرون ﴾ يحملونه حملهم ذلك(٤).

٣٢ ﴿ وما الحياة الدنيا ﴾ أي الاشتغال بها ﴿ إلا لعب ولهو ﴾ وأما الطاعة وما يعين عليها فمن أمور الآخرة

إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمۡ يَنۡهَوۡنَ عَنۡهُ وَيَنۡـَٔوۡنَ
عَنۡهُۖ وَإِن يُهۡلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَوۡ
تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ
بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلۡ بَدَا لَهُم
مَّا كَانُواْ يُخۡفُونَ مِن قَبۡلُۖ وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ
وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوٓاْ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا
وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ
قَالَ أَلَيۡسَ هَٰذَا بِٱلۡحَقِّۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ
ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴿٣٠﴾ قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ
بِلِقَآءِ ٱللَّهِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةٗ قَالُواْ يَٰحَسۡرَتَنَا
عَلَىٰ مَا فَرَّطۡنَا فِيهَا وَهُمۡ يَحۡمِلُونَ أَوۡزَارَهُمۡ عَلَىٰ ظُهُورِهِمۡۚ
أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۖ

---

(١) أي القراءات المتواترة في ﴿نكذب﴾ و﴿نكون﴾ ثلاثة، هي:

أ ـ ﴿نكذبُ﴾ و﴿نكونُ﴾ بالرفع فيهما على الاستئناف، أي تكون جملة ﴿ولا نكذب﴾ خبراً لمبتدأ محذوف تقديره: ونحن لا نكذب، وتكون الجملة من المبتدأ والخبر استئنافية غير مرتبطة بما قبلها من التمني، وجملة ﴿نكون﴾ معطوفة عليها.

ب ـ ﴿نكذبَ﴾ و﴿نكونَ﴾ بالنصب فيهما، والناصب لهما أن مضمرة وجوباً بعد واو المعية الواقعة في جواب التمني، والتقدير: نتمنى على الله تعالى ردنا مع عدم تكذيب منا، ومع حصول إيمان.

جـ ـ ﴿نكذبُ﴾ و ﴿نكونَ﴾ بنصب الثاني بأن مضمرة بعد واو المعية، والتقدير: نتمنى على الله تعالى ردنا مع كوننا من المؤمنين، وجملة ﴿لا نكذبُ﴾ خبر لمبتدأ تقديره ونحن لا نكذب، والجملة معترضة بين التمني ﴿يا ليتنا﴾ وجوابه ﴿ونكونَ من المؤمنين﴾.

(٢) جمع وِزر، وهو في اللغة الحمل الثقيل والإثم.

(٣) وقيل: المراد بحملها شدة مقاساتهم العذاب بسببها.

(٤) أي بئس الحِمْل الذي يحملونه حِملُهم ذلك.

سبب نزول الآية [٢٦]: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: نزلت هذه الآية في أبي طالب، كان ينهى المشركين أن يؤذوا رسول الله ﷺ، ويتباعد عما جاء به. [أخرجه الحاكم في المستدرك: التفسير/ تفسير سورة الأنعام: ٢/٣١٥].

قال الواحدي: قال مقاتل: وذلك أن النبي ﷺ كان عند أبي طالب يدعوه إلى الإسلام، فاجتمعت قريش إلى أبي طالب يردون سؤال النبي ﷺ، فقال أبو طالب:

والله لا وصلوا إليك بجمعهم حتى أوسد في التراب دفينا فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة وأبشر وقرّ بذاك منك عيونا

﴿ وللدار الآخرة ﴾ وفي قراءة «ولدار الآخرة» أي الجنة ﴿ خير للذين يتقون ﴾ الشرك ﴿ أفلا يعقلون ﴾ بالياء والتاء، ذلك فيؤمنوا.

٣٣ ﴿ قد ﴾ للتحقيق ﴿ نعلم إنه ﴾ أي الشأن ﴿ ليحزنك الذي يقولون ﴾ لك من التكذيب ﴿ فإنهم لا يكذبونك ﴾ في السر لعلمهم أنك صادق، وفي قراءة بالتخفيف(١)، أي لا ينسبونك إلى الكذب ﴿ ولكن الظالمين ﴾ وضعه موضع المضمر(٢) ﴿ بآيات الله ﴾ القرآن ﴿ يجحدون ﴾ يكذبون.

٣٤ ﴿ ولقد كذبت رسل من قبلك ﴾ فيه تسلية للنبي ﷺ ﴿ فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ﴾ بإهلاك قومهم، فاصبر حتى يأتيك النصر بإهلاك قومك ﴿ ولا مبدل لكلمات الله ﴾ مواعيده ﴿ ولقد جاءك من نبأ المرسلين ﴾ ما يسكن به قلبك.

٣٥ ﴿ وإن كان كبر ﴾ عظم ﴿ عليك إعراضهم ﴾ عن الإسلام لحرصك عليهم ﴿ فإن استطعت أن تبتغي نفقاً ﴾ سرباً(٣) ﴿ في الأرض أو سلماً ﴾ مصعداً ﴿ في السماء فتأتيهم بآية ﴾ مما اقترحوا فافعل، المعنى: أنك لا تستطيع ذلك، فاصبر حتى يحكم الله ﴿ ولو شاء الله ﴾ هدايتهم ﴿ لجمعهم على الهدى ﴾ ولكن لم يشأ ذلك فلم يؤمنوا ﴿ فلا تكونن من الجاهلين ﴾ بذلك.

٣٦ ﴿ إنما يستجيب ﴾ دعاءك إلى الإيمان ﴿ الذين يسمعون ﴾ سماع تفهم واعتبار ﴿ والموتى ﴾ أي الكفار، شبههم بهم في عدم السماع ﴿ يبعثهم الله ﴾ في الآخرة ﴿ ثم إليه يرجعون ﴾ يردون، فيجازيهم بأعمالهم.

٣٧ ﴿ وقالوا ﴾ أي كفار مكة ﴿ لولا ﴾ هلا ﴿ نزل عليه آية من ربه ﴾ كالناقة والعصا والمائدة ﴿ قل ﴾ لهم ﴿ إن الله قادر على أن ينزل ﴾ بالتشديد والتخفيف ﴿ آية ﴾ مما اقترحوا ﴿ ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾ أن نزولها بلاء عليهم، لوجوب هلاكهم إن جحدوها.

وَلَلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾
قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ
وَلَـٰكِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ
رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ
أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن
نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ
ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ
فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا
تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾ ۞ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ
يَسْمَعُونَ ۘ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾
وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ
عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾

---

(١) ﴿لا يُكْذِبونك﴾ وهي قراءة نافع والكسائي. [النشر].

(٢) أي وضع لفظ الظالمين موضع الضمير، فقال ﴿ولكن الظالمين﴾ ولم يقل: ولكنهم، زيادة في التقبيح لهم والتشنيع عليهم، بوصفهم بالظلم بسبب تكذيبهم.

(٣) شقاً نافذاً في الأرض.

فائدة: قال ابن كثير في تفسير الآية [٣٣]: وذكر محمد بن إسحاق، عن الزهري - في قصة أبي جهل حين جاء يستمع قراءة النبي ﷺ من الليل، هو وأبو سفيان صخر بن حرب، والأخنس ابن شريق، ولا يشعر واحد منهم بالآخر - فاستمعوها إلى الصباح، فلما هجم الصبح تفرقوا، فجمعتهم الطريق، فقال كل منهم للآخر: ما جاء بك؟ فذكر له ما جاء له، ثم تعاهدوا ألا يعودوا، لما يخافون من علم شباب قريش بهم، لئلا يفتتنوا بمجيئهم. فلما كانت الليلة الثانية جاء كل منهم ظناً منه أن صاحبيه لا يجيئان، لما تقدم من العهود، فلما أجمعوا جمعتهم الطريق، فتلاوموا، ثم تعاهدوا أن لا يعودوا. فلما كانت الليلة الثالثة جاؤوا أيضاً، فلما=

وعرضت ديناً لا محالة أنه من خير أديان البرية دينا لولا الملامة أو حذاري سبة لوجدتني سمحاً بذاك مبينا

[فاصدع: اجهر بالحق وأظهره. غضاضة: ذلة ومنقصة. قر: ليحصل لك سرور بذلك. البرية: الخلق. حذاري سبة: حذري من أن يشتمني قومي ويعيروني].

وعن سعيد بن أبي هلال قال: نزلت في عمومة النبيّ ﷺ، وكانوا عشرة، فكانوا أشدّ الناس معه في العلانية، وأشدّ الناس عليه في السرّ. [السيوطي في لباب النقول].

سبب نزول الآية [٣٣]: عن عليّ رضي الله عنه: أن أبا جهل قال للنبيّ ﷺ: إنا لا نكذّبك، ولكن نكذّب بما جئت به. فأنزل الله: ﴿فإنهم لا يكذّبونك ولكنّ الظالمين بآيات الله يجحدون﴾. [الترمذي: تفسير القرآن، باب: ومن سورة الأنعام، رقم: ٣٠٦٦].

وقال الواحدي في كتابه [أسباب النزول]: قال السدي: التقى الأخنس بن شريق وأبو جهل بن هشام، فقال الأخنس لأبي جهل: يا أبا الحكم، اخبرني عن محمد، أصادق هو أم كاذب؟ فإنه ليس ههنا من يسمع كلامك غيري. فقال أبو جهل: والله إن محمداً لصادق، وما كذب محمد قط، ولكن إذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والندوة والنبوة، فماذا يكون لسائر قريش؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية. [ذهب. . : أي كانت لهم .

٣٨ ﴿ وما من ﴾ صلة(١) ﴿ دابة ﴾ تمشي ﴿ في الأرض ولا طائر يطير ﴾ في الهواء ﴿ بجناحيه إلا أمم أمثالكم ﴾ في تدبير خلقها ورزقها وأحوالها ﴿ ما فرطنا ﴾ تركنا ﴿ في الكتاب ﴾ اللوح المحفوظ ﴿ من ﴾ صلة(١) ﴿ شيء ﴾ فلم نكتبه ﴿ ثم إلى ربهم يحشرون ﴾ فيقضي بينهم، ويقتص للجماء من القرناء(٢)، ثم يقول لهم: كونوا تراباً.

٣٩ ﴿ والذين كذبوا بآياتنا ﴾ القرآن ﴿ صم ﴾ عن سماعها سماع قبول ﴿ وبكم ﴾ عن النطق بالحق ﴿ في الظلمات ﴾ الكفر ﴿ من يشأ الله ﴾ إضلاله ﴿ يضلله ومن يشأ ﴾ هدايته ﴿ يجعله على صراط ﴾ طريق ﴿ مستقيم ﴾ دين الإسلام.

٤٠ ﴿ قل ﴾ يا محمد لأهل مكة ﴿ أرأيتكم ﴾ أخبروني ﴿ إن أتاكم عذاب الله ﴾ في الدنيا ﴿ أو أتتكم الساعة ﴾ القيامة المشتملة عليه(٣)، بغتة ﴿ أغير الله تدعون ﴾؟ لا(٤)، ﴿ إن كنتم صادقين ﴾ في أن الأصنام تنفعكم فادعوها.

٤١ ﴿ بل إياه ﴾ لا غيره ﴿ تدعون ﴾ في الشدائد ﴿ فيكشف ما تدعون إليه ﴾ أن يكشفه عنكم من الضر ونحوه ﴿ إن شاء ﴾ كَشْفَه ﴿ وتنسون ﴾ تتركون ﴿ ما تشركون ﴾ معه من الأصنام، فلا تدعونه.

٤٢ ﴿ ولقد أرسلنا إلى أمم من ﴾ صلة(١) ﴿ قبلك ﴾ رسلاً فكذبوهم ﴿ فأخذناهم بالبأساء ﴾ شدة الفقر ﴿ والضراء ﴾ شدة المرض ﴿ لعلهم يتضرعون ﴾ يتذللون فيؤمنوا.

٤٣ ﴿ فلولا ﴾ فهلا ﴿ إذ جاءهم بأسنا ﴾ عذابنا ﴿ تضرعوا ﴾ أي لم يفعلوا ذلك مع قيام المقتضي له ﴿ ولكن قست قلوبهم ﴾ فلم تلن للإيمان ﴿ وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون ﴾ من المعاصي، فأصروا عليها.

٤٤ ﴿ فلما نسوا ﴾ تركوا ﴿ ما ذكروا ﴾ وعظوا وخوفوا ﴿ به ﴾ من البأساء والضراء، فلم يتعظوا ﴿ فتحنا ﴾ بالتخفيف والتشديد(٥) ﴿ عليهم أبواب كل شيء ﴾ من النِّعم استدراجاً لهم(٦) ﴿ حتى إذا فرحوا

---

(١) أي ﴿من﴾ حرف جر زائد، يفيد تأكيد العموم والشمول.

(٢) يؤخذ بحق الدابة التي لا قرون لها من الدابة ذات القرون التي ظلمتها في الدنيا، فنطحتها بقرونها دون حق. روى أبو هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء) [مسلم: البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظلم، رقم: ٢٥٨٢]. يقاد: يقتص بمعاقبتها على فعلها معاقبة مقابلة لا معاقبة تكليف، تحقيقاً لكمال العدالة.

(٣) على عذاب الله تعالى.

(٤) جواب للاستفهام الإنكاري، التقدير: لا، لا تدعون غيره.

(٥) أي بتشديد التاء المفتوحة وبدون تشديد.

(٦) استدراج الله للعبد: أن يعطيه من النعم، أو لا يعجل له بالعقوبة، فتلهيه النعمة أو يتمادى في المعصية، فيأخذه الله بالهلاك وهو في غفلة.

عن عقبة بن عامر رضي الله عنه، عن النَّبي ﷺ قال: «إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا ـ على معاصيه ـ ما يحب فإنما هو استدراج» ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿فلما نسوا ما ذكروا به..﴾ الآية. [مسند أحمد: ٤/١٤٥] [استدراج: هو الأخذ قليلاً قليلاً].

وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟

أصبحوا تعاهدوا أن لا يعودوا لمثلها. فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصاه، ثم خرج حتى أتى أبا سفيان بن حرب في بيته، فقال: أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد؟ قال: يا أبا ثعلبة، والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها، وسمعت أشياء ما عرفت معناها ولا ما يراد بها. قال الأخنس: وأنا والذي حلفت به. ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل، فدخل عليه بيته فقال: يا أبا الحكم، ما رأيك فيما سمعت من محمد؟ قال: ماذا سمعت؟ تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف: أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تجاثينا على الركب، وكنا كفرسي رهان، قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من=

هذه الفضائل، من حمل الراية في الحرب، وسقاية الحجيج، وحيازة مفتاح الكعبة وخدمتها، والمشورة في الأمور، ثم النبوة].

وقال أبو ميسرة: إن رسول الله ﷺ مرّ بأبي جهل وأصحابه، فقالوا: يا محمد، إنا والله ما نكذبك، وإنك عندنا لصادق، ولكن نكذب ما جئت به. فنزلت: ﴿فإنَّهم لا يُكذِّبُونَك ولكِنَّ الظَّالمينَ بآياتِ اللَّهِ يجْحَدُونَ﴾.

وقال مقاتل: نزلت في الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، كان يكذب النبي ﷺ في العلانية، وإذا خلا مع أهل بيته قال: ما محمد من أهل الكذب، ولا أحسبه إلا صادقاً. فأنزل الله تعالى هذه الآية.

بما أوتوا ﴾ فرح بطر(١) **﴿ أخذناهم ﴾** بالعذاب **﴿ بغتة ﴾** فجأة **﴿ فإذا هم مبلسون ﴾** آيسون من كل خير.

٤٥ **﴿ فقطع دابر القوم الذين ظلموا ﴾** أي آخرهم، بأن استؤصلوا(٢) **﴿ والحمد لله رب العالمين ﴾** على نصر الرسل، وإهلاك الكافرين.

٤٦ **﴿ قل ﴾** لأهل مكة **﴿ أرأيتم ﴾** أخبروني **﴿ إن أخذ الله سمعكم ﴾** أصمكم **﴿ وأبصاركم ﴾** أعماكم **﴿ وختم ﴾** طبع **﴿ على قلوبكم ﴾** فلا تعرفون شيئاً **﴿ من إله غير الله يأتيكم به ﴾** بما أخذه منكم، بزعمكم **﴿ انظر كيف نصرف ﴾** نبين **﴿ الآيات ﴾** الدلالات على وحدانيتنا **﴿ ثم هم يصدفون ﴾** يعرضون عنها فلا يؤمنون.

٤٧ **﴿ قل ﴾** لهم **﴿ أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله بغتة أو جهرة ﴾** ليلاً أو نهاراً(٣) **﴿ هل يهلك إلا القوم الظالمون ﴾** الكافرون، أي ما يهلك إلا هم. ٤٨ **﴿ وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ﴾** من آمن بالجنة **﴿ ومنذرين ﴾** من كفر بالنار **﴿ فمن آمن ﴾** بهم **﴿ وأصلح ﴾** عمله **﴿ فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾** في الآخرة.

٤٩ **﴿ والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون ﴾** يخرجون عن الطاعة.

بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ
دَابِرُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾
قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمۡعَكُمۡ وَأَبۡصَٰرَكُمۡ وَخَتَمَ عَلَىٰ
قُلُوبِكُم مَّنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِهِۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ
ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ هُمۡ يَصۡدِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلۡ أَرَءَيۡتَكُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ
عَذَابُ ٱللَّهِ بَغۡتَةً أَوۡ جَهۡرَةً هَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾
وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۖ فَمَنۡ ءَامَنَ
وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَٱلَّذِينَ
كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلۡعَذَابُ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴿٤٩﴾
قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ
وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ قُلۡ
هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾

٥٠ **﴿ قل ﴾** لهم **﴿ لا أقول لكم عندي خزائن الله ﴾** التي منها يرزق **﴿ ولا ﴾** أني **﴿ أعلم الغيب ﴾** ما غاب عني ولم يوح إليّ **﴿ ولا أقول لكم إني ملك ﴾** من الملائكة **﴿ إن ﴾** ما **﴿ أتبع إلا ما يوحى إليّ قل هل يستوي الأعمى ﴾** الكافر **﴿ والبصير ﴾** المؤمن؟ لا **﴿ أفلا تتفكرون ﴾** فى ذلك فتؤمنوا(٤).

=السماء! فمتى ندرك هذه ؟ والله لا نؤمن به أبداً ولا نصدقه. قال: فقام عنه الأخنس وتركه.

أقول: وهذا دليل العناد والكبرياء، وأن الكثير من الناس لا يذعن للحق، لا لجهله به، وإنما استكبار وجحود.

[يفتتنوا بمجيئهم: أي يعلموا أن ما يقوله حق فيؤمنوا به. أجمعوا: عزموا وصمموا على الذهاب. تجاثينا: جلسنا، وهو كناية عن التقارب والتساوي، ومثله قوله: كفرسي رهان، أي الفرسين المتسابقين المتقاربين في السبق].

(١) أي فرح كبر وتعالٍ وعدم شكر للنعمة.

(٢) بالهلاك، فلم يبق منهم أحد.

(٣) سبق ذلك علامة تدل على مجيئه أم لا.

(٤) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ ـ وهو الصادق المصدوق ـ قال: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكاً فيؤمر بأربع كلمات ويقال له: اكتب عمله ورزقه وأجله وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح، فإن الرجل منكم ليعمل حتى ما يكون بينه وبين الجنة إلا ذراع، فيسبق عليه كتابه فيعمل بعمل أهل النار. ويعمل حتى ما يكون بينه وبين النار إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة». [البخاري: بدء الخلق، باب: ذكر الملائكة، رقم: ٣٠٣٦. مسلم: القدر، باب: كيفية خلق الآدمي في بطن أمه، رقم: ٢٦٤٣] [يجمع خلقه: يضم بعضه إلى بعض، أو المراد بالجمع: مكث البويضة في الرحم بعد تلقيحها بالنطفة. علقة: دماً غليظاً جامداً. مضغة: قطعة لحم قدر ما يمضغ. شقي أو سعيد: حسب ما اقتضته حكمته وسبقت به كلمته وما علمه سبحانه مما سيكون من هذا المكلف من أسباب السعادة أو الشقاوة. فيسبق عليه: يغلب عليه. كتابه: الذي كتبه الملك وهو في بطن أمه].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه قال: لما بعث رسول الله ﷺ بعثاً قبل الساحل، وأمَّر عليهم أبا عبيدة بن الجراح وهم ثلاثمائة، فخرجنا وكنا ببعض الطريق فني الزاد، فأمر أبو عبيدة بأزواد الجيش فجمع، فكان مزودي تمر، فكان يقوتنا كل يوم قليلاً قليلاً حتى فني، فلم يكن يصيبنا إلا تمرة تمرة. فقلت: ما تغني عنكم تمرة ؟ فقال: لقد وجدنا فقدها حين فنيت، ثم انتهينا إلى البحر، فإذا حوت مثل الظَّرِب، فأكل منها القوم ثمان عشرة ليلة، ثم أمر أبو عبيدة بضلعين من أضلاعه فنصبا، ثم أمر براحلة فرحلت، ثم مرت تحتها فلم تصبها. وفي رواية: فلما قدمنا المدينة ذكرنا ذلك للنبي ﷺ، فقال: «كلوا، رزقاً أخرجه الله، أطعمونا إن كان معكم» فأتاه بعضهم بعضو فأكله. [البخاري: المغازي، باب: غزوة سيف البحر..، رقم: ٤١٠٢، ٤١٠٣. مسلم: الصيد والذبائح، باب: إباحة ميتات البحر، رقم: ١٩٣٥] [مزودي تمر: مثنى مزود، وهو جراب يجعل فيه الزاد. يقوتنا: يطعمنا. وجدنا فقدها: مؤثراً شاقاً علينا، ولقد حزنا لفقدها. حوت: سمكة عظيمة. الظرب: الرابية أو الجبل الصغير=

٥١ ﴿ وأنذر ﴾ خوف ﴿ به ﴾ أي القرآن ﴿ الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ﴾ أي غيره ﴿ ولي ﴾ ينصرهم ﴿ ولا شفيع ﴾ يشفع لهم، وجملة النفي حال من ضمير يحشروا، وهي محل الخوف(١)، والمراد بهم المؤمنون العاصون ﴿ لعلهم يتقون ﴾ الله، بإقلاعهم عما هم فيه(٢) وعمل الطاعات.

٥٢ ﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون ﴾ بعبادتهم ﴿ وجهه ﴾ تعالى، لا شيئاً من أعراض الدنيا، وهم الفقراء، وكان المشركون طعنوا فيهم، وطلبوا أن يطردهم ليجالسوه، وأراد النبي ﷺ ذلك طمعاً في إسلامهم ﴿ ما عليك من حسابهم من ﴾ صلة(٣) ﴿ شيء ﴾ إن كان باطنهم غير مرضي ﴿ وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم ﴾ جواب النفي ﴿ فتكون من الظالمين ﴾ إن فعلت ذلك.

٥٣ ﴿ وكذلك فتنا ﴾ ابتلينا ﴿ بعضهم ببعض ﴾ أي الشريف(٤) بالوضيع والغني بالفقير، بأن قدمناه بالسبق إلى الإيمان ﴿ ليقولوا ﴾ أي الشرفاء والأغنياء منكرين ﴿ أهؤلاء ﴾ الفقراء ﴿ منَّ الله عليهم من بيننا ﴾ بالهداية، أي لو كان ما هم عليه هدى ما سبقونا إليه، قال الله تعالى: ﴿ أليس الله بأعلم بالشاكرين ﴾ له فيهديهم؟ بلى.

٥٤ ﴿ وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل ﴾ لهم ﴿ سلام عليكم كتب ﴾ قضى ﴿ ربكم على نفسه الرحمة إنه ﴾ أي الشأن، وفي قراءة بالفتح(٥) بدل من الرحمة ﴿ من عمل منكم سوءاً بجهالة ﴾ منه حيث ارتكبه ﴿ ثم تاب ﴾ رجع ﴿ من بعده ﴾ بعد عمله عنه ﴿ وأصلح ﴾ عمله ﴿ فإنه ﴾ أي الله ﴿ غفور ﴾ له ﴿ رحيم ﴾ به، وفي قراءة بالفتح(٦)، أي فالمغفرة له.

٥٥ ﴿ وكذلك ﴾ كما بينا ما ذكر ﴿ نفصل ﴾ نبين ﴿ الآيات ﴾ القرآن، ليظهر الحق فيعمل به ﴿ ولتستبين ﴾ تظهر ﴿ سبيل ﴾ طريق ﴿ المجرمين ﴾ فتجتنب، وفي قراءة بالتحتانية(٧)، وفي أخرى بالفوقانية ونصب سبيل، خطاب للنبي ﷺ(٨).

٥٦ ﴿ قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون ﴾ تعبدون

وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم
مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ وَلَا تَطْرُدِ
ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ
مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم
مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَٰلِكَ
فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم
مِّنۢ بَيْنِنَآ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَآءَكَ
ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ
عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ
تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾ وَكَذَٰلِكَ
نُفَصِّلُ ٱلْأٓيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾
قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ

الراحلة: المركب من الإبل. فرحلت: وضع عليها الرحل، وهو كل شيء يعد للرحيل من مركب للبعير ووعاء للمتاع ورسن وغير ذلك].

(١) أي المخوف به، والمعنى: يخافون أن يحشروا غير منصورين ولا مشفوعاً لهم.

(٢) أي بكفهم عما هم فيه من المعصية.

(٣) أي من حرف جر زائد من حيث الإعراب لا من حيث المعنى، بل هو تأكيد للمعنى.

(٤) أي ذا المكانة في قومه.

(٥) أي ﴿أنه﴾ بفتح الهمزة، فتكون أن وما دخلت عليه في محل نصب بدل من قوله ﴿الرحمة﴾ والمعنى: كتب ربكم على نفسه أنه من عمل...

(٦) أي ﴿فأنه﴾ بفتح الهمزة، وعلى قراءة الكسر الجملة استئنافية، وعلى قراءة الفتح: أن وما دخلت عليه في محل رفع مبتدأ، والخبر محذوف، والتقدير: فالمغفرة والرحمة من الله تعالى حاصلان له.

(٧) أي ﴿ليستبين سبيلُ﴾ والسبيل يذكر ويؤنث.

(٨) والمعنى: لتستوضح أنت طريقهم وتعلم نهجهم فتعاملهم بما يليق بهم.

سبب نزول الآية [٥١ - ٥٥]: أخرج مسلم في صحيحه [فضائل الصحابة، باب: في فضل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، رقم: ٢٤١٣] عن سعد رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ ستة نفر، فقال المشركون للنبي ﷺ: اطرد هؤلاء، لا يجترئون علينا. قال: وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل ورجلان لست أسميهما، فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع، فحدث نفسه، فأنزل الله عز وجل: ﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم.. ﴾. وعند الحاكم وابن حبان: قالوا: اطردهم، فإنا نستحي أن نكون تبعاً لك كهؤلاء.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: مرّ الملأ من قريش على رسول الله ﷺ وعنده خباب بن الأرت وصهيب وبلال وعمار، فقالوا: يا محمد أرضيت بهؤلاء، وهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا، لو طردت هؤلاء لاتبعناك. فأنزل الله فيهم القرآن: ﴿ وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا - إلى قوله - سبيل المجرمين ﴾. [أحمد في مسنده].

وأخرج ابن جرير عن عكرمة قال: جاء عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ومطعم بن عدي والحارث بن نوفل وقرظة بن عبد عمرو بن نوفل - في

﴿ من دون الله قل لا أتبع أهواءكم﴾ في عبادتها ﴿ قد ضللت إذاً ﴾ إن اتبعتها ﴿ وما أنا من المهتدين ﴾.

٥٧ ﴿ قل إني على بينة ﴾ بيان ﴿ من ربي و ﴾ قد ﴿ كذبتم به ﴾ بربي، حيث أشركتم ﴿ ما عندي ما تستعجلون به ﴾ من العذاب ﴿ إن ﴾ ما ﴿ الحكم ﴾ في ذلك وغيره ﴿ إلا لله يقضِ ﴾ القضاء ﴿ الحق وهو خير الفاصلين ﴾ الحاكمين، وفي قراءة «يَقُصُّ» أي يقول.

٥٨ ﴿ قل ﴾ لهم ﴿ لو أن عندي ما تستعجلون به لقضي الأمر بيني وبينكم ﴾ بأن أعجله لكم وأستريح، ولكنه عند الله ﴿ والله أعلم بالظالمين ﴾ متى يعاقبهم.

٥٩ ﴿ وعنده ﴾ تعالى ﴿ مفاتح الغيب ﴾ خزائنه، أو الطرق الموصلة إلى علمه ﴿ لا يعلمها إلا هو ﴾ وهي الخمسة التي في قوله: «إن الله عنده علم الساعة» الآية /لقمان: ٣٤/ كما رواه البخاري(١) ﴿ ويعلم ما ﴾ يحدث ﴿ في البر ﴾ القفار(٢) ﴿ والبحر ﴾ القرى التي على الأنهار(٣) ﴿ وما تسقط من ﴾ صلة(٤) ﴿ ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس ﴾ عطف على ورقة ﴿ إلا في كتاب مبين ﴾ هو اللوح المحفوظ، والاستئناف بدل اشتمال من الاستثناء قبله(٥).

٦٠ ﴿ وهو الذي يتوفيكم بالليل ﴾ يقبض أرواحكم عند النوم ﴿ ويعلم ما جرحتم ﴾ كسبتم ﴿ بالنهار ثم يبعثكم فيه ﴾ أي النهار، برد أرواحكم ﴿ ليقضى أجل مسمى ﴾ هو أجل الحياة ﴿ ثم إليه مرجعكم ﴾ بالبعث ﴿ ثم ينبئكم بما كنتم تعملون ﴾ فيجازيكم به.

٦١ ﴿ وهو القاهر ﴾(٦) مستعلياً ﴿ فوق عباده ويرسل عليكم

قُلْ لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ ۙ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ
ٱلْمُهْتَدِينَ (٥٦) قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ۚ
مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ
ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ (٥٧) قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى
مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ
بِٱلظَّٰلِمِينَ (٥٨) * وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ
إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ
إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ
وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ (٥٩) وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم
بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ
أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَ (٦٠) وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ

---

(١) روى البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: (مفتاح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله تعالى: لا يعلم أحد ما يكون في غد إلا الله، ولا يعلم أحد ما يكون في الأرحام إلا الله، ولا تعلم نفس ماذا تكسب غداً، ولا تدري نفس بأي ارض تموت، ولا يدري أحد متى يجيء المطر) وفي رواية (ولا يعلم متى الساعة إلا الله).

وفي رواية قال: (مفاتح الغيب خمس - ثم قرأ: ﴿إنَّ الله عندَهُ علْمُ الساعةِ ويُنَزِّلُ الغَيْثَ ويعلَمُ ما في الأرحام وما تَدْرِي نفسٌ ماذا تَكْسِبُ غداً وما تَدْري نَفْسٌ بأيِّ ارضٍ تموتُ إنَّ الله عليمٌ خبيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤]). [الغيث: المطر، وقد يطلق على الخاص منه بالخير].

[البخاري: الاستسقاء، باب: لا يدري أحد متى يجيء المطر إلا الله، رقم: ٩٩٢. التفسير/ الأنعام، باب: ﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو﴾ رقم: ٤٣٥١. ولقمان، باب: ﴿إن الله عنده علم الساعة﴾ رقم: ٤٥٠. التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً﴾ رقم: ٦٩٤٤].

(٢) جمع قَفْر وهي الصحراء التي لا ماء فيها ولا نبات.

(٣) وجمهور المفسرين على أن المراد البر والبحر المعروفان، وهما جميع الأرض.

(٤) أي ﴿من﴾ حرف جر زائد، يفيد تأكيد العموم والشمول.

(٥) أي والاستئناف في قوله: ﴿ولا حبة..﴾ بدل اشتمال من الاستثناء قبله وهو قوله: ﴿إلا يعلمها﴾ لأن ما في اللوح المحفوظ يشتمل عليه علم الله تعالى، فدائرة علمه سبحانه أوسع من دائرة اللوح المحفوظ.

أشراف من بني عبد مناف من الكفار - إلى أبي طالب فقالوا: يا أبا طالب، لو أن ابن أخيك يطرد عنا موالينا وحلفاءنا - فإنما هم عبيدنا وعسفاؤنا - كان أعظم في صدورنا وأطوع له عندنا وأدنى لاتباعنا إياه وتصديقنا له. قال: فأتى أبو طالب النبي ﷺ فحدثه بالذي كلموه به، فقال عمر بن الخطاب: لو فعلت ذلك حتى تنظر ما الذي يريدون، وإلى ما يصيرون من قولهم. فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون. ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه - إلى قوله - أليس الله بأعلم بالشاكرين ﴾. قال: وكانوا بلالاً وعمار بن ياسر وسالماً مولى أبي حذيفة وصبيحاً مولى أسيد. ومن الحلفاء: ابن مسعود والمقداد بن عمرو ومسعود بن القاري وواقد بن عبدالله الحنظلي وعمرو بن عبد عمرو ذو الشمالين، ومرثد بن أبي مرثد وأبو مرثد من غني، حليف حمزة بن عبد المطلب، وأشباههم من الحلفاء. ونزلت في أئمة الكفر من قريش والموالي والحلفاء: ﴿ وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا ﴾ الآية، فلما نزلت

حفظة ﴾ ملائكة تحصي أعمالكم ﴿ حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته ﴾ وفي قراءة «توفاه»⁽¹⁾ ﴿ رسلنا ﴾ الملائكة الموكلون بقبض الأرواح ﴿ وهم لا يفرطون ﴾ يقصرون فيما يؤمرون به.

٦٢ ﴿ ثم ردوا ﴾ أي الخلق ﴿ إلى الله مولاهم ﴾ مالكهم ﴿ الحق ﴾ الثابت العدل، ليجازيهم ﴿ ألا له الحكم ﴾ القضاء النافذ فيهم ﴿ وهو أسرع الحاسبين ﴾ يحاسب الخلق كلهم في قدر نصف نهار من أيام الدنيا، لحديث بذلك⁽²⁾.

٦٣ ﴿ قل ﴾ يا محمد لأهل مكة ﴿ من ينجيكم من ظلمات البر والبحر ﴾ أهوالهما في أسفاركم حين ﴿ تدعونه تضرعاً ﴾ علانية ﴿ وخفية ﴾ سراً، تقولون ﴿ لئن ﴾ لام قسم ﴿ أنجيتنا ﴾ وفي قراءة «أنجانا» أي الله ﴿ من هذه ﴾ الظلمات والشدائد ﴿ لنكونن من الشاكرين ﴾ المؤمنين.

٦٤ ﴿ قل ﴾ لهم ﴿ الله ينجيكم ﴾ بالتخفيف والتشديد⁽³⁾ ﴿ منها ومن كل كرب ﴾ غم سواها ﴿ ثم أنتم تشركون ﴾ به.

٦٥ ﴿ قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم ﴾ من السماء، كالحجارة والصيحة ﴿ أو من تحت أرجلكم ﴾ كالخسف ﴿ أو يلبسكم ﴾ يخلطكم ﴿ شيعاً ﴾ فرقاً مختلفة الأهواء ﴿ ويذيق بعضكم بأس بعض ﴾ بالقتال، قال ﷺ لما نزلت: (هذا أهون وأيسر)⁽⁴⁾. ولما نزل ما قبله: (أعوذ بوجهك)⁽⁵⁾ رواه البخاري. وروى مسلم حديث: (سألت ربي ألا يجعل بأس أمتي بينهم فمنعنيها)⁽⁶⁾ وفي حديث: لما نزلت قال: (أما إنها كائنة، ولم يأتِ تأويلها بعد)⁽⁷⁾ ﴿ انظر كيف نصرف ﴾ نبين لهم ﴿ الآيات ﴾ الدلالات على قدرتنا ﴿ لعلهم يفقهون ﴾ يعلمون أن ما هم عليه باطل.

٦٦ ﴿ وكذب به ﴾ بالقرآن ﴿ قومك وهو الحق ﴾ الصدق ﴿ قل ﴾ لهم ﴿ لست عليكم بوكيل ﴾ فأجازيكم، إنما أنا منذر وأمركم إلى الله. وهذا⁽⁸⁾ قبل الأمر بالقتال.

٦٧ ﴿ لكل نبأ ﴾ خبر ﴿ مستقر ﴾ وقت يقع فيه ويستقر، ومنه عذابكم ﴿ وسوف تعلمون ﴾ تهديد لهم.

٦٨ ﴿ وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا ﴾ القرآن، بالاستهزاء⁽⁹⁾ ﴿ فأعرض عنهم ﴾ ولا تجالسهم

حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ
لَا يُفَرِّطُونَ (٦١) ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ أَلَا لَهُ
ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ (٦٢) قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن
ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا
مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ (٦٣) قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم
مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ (٦٤) قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ
عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ
أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ
ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ (٦٥)
وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم
بِوَكِيلٍ (٦٦) لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (٦٧)
وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ

---

(1) مع الإمالة وهي إلى الكسر أقرب.

(2) الدر المنثور: [٥/ ١٧٢، ٦/ ١٦٤]. زاد المسير لابن الجوزي [٣٦٠].

(3) مع قراءة ﴿أنجيتنا﴾. وبالتشديد لا غير مع قراءة ﴿أنجانا﴾.

(4) أي مما قبله وهو بعث العذاب.

(5) التجيء إليك وأستجير بك. والحديث أخرجه البخاري في التفسير/الأنعام، باب: ﴿قل هو القادر على أن يبعث..﴾ رقم: ٤٣٥٢.

(6) مسلم: الفتن وأشراط الساعة، باب: هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، رقم: ٢٨٩٠. والمراد بالبأس هنا النزاع والحروب ونحوها من الشدة.

(7) أي لم يقع معناها وما تدل عليه بعد، ولكنها ستقع لا محالة. والحديث أخرجه الترمذي في أبواب تفسير القرآن، باب: ومن سورة الأنعام، رقم: ٣٠٦٨.

(8) أي الاقتصار على إنذارهم دون قتالهم إن أبوا.

(9) أصل الخوض في اللغة الدخول في الماء، ويستعار للشروع في الكلام والأخذ فيه، وأكثر ما يستعمل في هذا إذا كان الكلام على سبيل العبث والباطل. والمعنى الجامع في هذا بين المستعار والمستعار له: التعرض للهلاك.

أقبل عمر بن الخطاب فاعتذر من مقالته، فأنزل الله تعالى: ﴿ وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم ﴾ الآية. [عسقلانا: أجراؤنا].

قال عكرمة: نزلت في الذين نهى الله تعالى نبيه ﷺ عن طردهم، فكان إذا رآهم النبي ﷺ بدأهم بالسلام، وقال: (الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرني أن ابدأهم بالسلام). وقال ماهان الحنفي: أتى قوم النبي ﷺ فقالوا: إنا أصبنا ذنوباً عظاماً. فما إخاله رد عليهم بشيء، فلما ذهبوا وتولوا نزلت هذه الآية: ﴿وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا﴾. [الواحدي والسيوطي].

سبب نزول الآيات [٦٥ - ٦٧]: عن زيد بن أسلم رضي الله عنه قال: لما نزلت: ﴿ قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم ﴾ الآية.

﴿حتى يخوضوا في حديث غيره وإما﴾ فيه إدغام نون إن الشرطية في ما المزيدة(١) ﴿ينسينك﴾ بسكون النون والتخفيف(٢)، وفتحها والتشديد(٣) ﴿الشيطان﴾ فقعدت معهم ﴿فلا تقعد بعد الذكرى﴾ أي تذكره ﴿مع القوم الظالمين﴾ فيه وضع الظاهر موضع المضمر(٤). وقال المسلمون: إن قمنا كلما خاضوا لم نستطع أن نجلس في المسجد وأن نطوف؟ فنزل: ٦٩ ﴿وما على الذين يتقون﴾ الله ﴿من حسابهم﴾ أي الخائضين ﴿من﴾ صلة ﴿شيء﴾ إذا جالسوهم ﴿ولكن﴾ عليهم ﴿ذكرى﴾ تذكرة لهم وموعظة ﴿لعلهم يتقون﴾ الخوض.

٧٠ ﴿وذر﴾ اترك ﴿الذين اتخذوا دينهم﴾ الذي كلفوه ﴿لعباً ولهواً﴾ باستهزائهم به ﴿وغرتهم الحياة الدنيا﴾ فلا تتعرض لهم، وهذا قبل الأمر بالقتال ﴿وذكر﴾ عظ ﴿به﴾ بالقرآن الناس لـ ﴿أن﴾ لا ﴿تبسل نفس﴾ تسلم إلى الهلاك ﴿بما كسبت﴾ عملت ﴿ليس لها من دون الله﴾ أي غيره ﴿ولي﴾ ناصر ﴿ولا شفيع﴾ يمنع عنها العذاب ﴿وإن تعدل كل عدل﴾ تفد كل فداء ﴿لا يؤخذ منها﴾ ما تفدى به ﴿أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم﴾ ماء بالغ نهاية الحرارة ﴿وعذاب أليم﴾ مؤلم ﴿بما كانوا يكفرون﴾ بكفرهم.

٧١ ﴿قل أندعو﴾ أنعبد ﴿من دون الله ما لا ينفعنا﴾ بعبادته ﴿ولا يضرنا﴾ بتركها، وهو الأصنام ﴿ونرد على أعقابنا﴾ نرجع مشركين ﴿بعد إذ هدانا الله﴾ إلى الإسلام ﴿كالذي استهوته﴾ أضلته ﴿الشياطين في الأرض حيران﴾ متحيراً، لا يدري أين يذهب، حال من الهاء(٥) ﴿له أصحاب﴾ رفقة ﴿يدعونه إلى الهدى﴾ أي ليهدوه الطريق، يقولون له ﴿ائتنا﴾ فلا يجيبهم، فيهلك، والاستفهام للإنكار(٦)، وجملة التشبيه(٧) حال من ضمير نرد ﴿قل إن هدى الله﴾ الذي هو الإسلام ﴿هو الهدى﴾ وما عداه ضلال

حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ
فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ وَمَا
عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ
لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا
وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا
كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن
تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا
كَسَبُوا۟ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟
يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا
وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى
ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ
يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ

---

(١) أي الأصل: وإنْ ما، فأدغمت النون بالميم، وما مزيدة في اللفظ لتأكيد المعنى، فكفت إنْ الشرطية عن جزم الفعل بعدها. (٢) أي تخفيف السين المكسورة، من أنسى، وهي قراءة حفص والجمهور. (٣) أي فتح النون وتشديد السين المكسورة: ﴿يُنَسِّيَنَّكَ﴾ من نسّى، وهي قراءة ابن عامر. [النشر]

(٤) أي كان حق الكلام أن يقال: معهم، فعدل لما ذكر لبيان أنهم متعدون ومتجاوزون للحق بفعلهم. (٥) في ﴿استهوته﴾.

(٦) في قوله ﴿أندعو﴾: أي لن نفعل ذلك.

(٧) وهي ﴿كالذي. . .﴾: أي أتكون حالنا مثل حال هذا التائه المتحير؟ لا.

عن عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: «ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا: كل مال نحلته عبداً حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين: فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم ينزل به سلطاناً، وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم، عربهم وعجمهم، إلا بقايا من أهل الكتاب. وقال: إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك، وأنزلت عليك كتاباً لا يغسله الماء، تقرؤه نائماً ويقظان. وإن الله أمرني أن أحرق قريشاً. فقلت: رب، إذاً يثلغوا رأسي فيدعوه خبزة. قال: استخرجهم كما استخرجوك، واغزهم نغزك، وأنفق فسننفق عليك، وابعث جيشاً نبعث خمسة مثله، وقاتل بمن أطاعك من عصاك. قال: وأهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط متصدق موفق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم، وعفيف متعفف ذو عيال. قال: وأهل النار خمسة: الضعيف الذي لا زبر له، الذين هم فيكم تبعاً، لا يتبعون أهلاً ولا مالاً. والخائن الذي لا يخفى له طمع وإن دق إلا خانه. ورجل لا يصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعك من أهلك ومالك ـ وذكر البخل أو الكذب ـ والشنظير الفحاش». [مسلم: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، رقم: ٢٨٦٥] [نحلته: أعطيته. حنفاء: مسلمين طاهرين من المعاصي. فاجتالتهم: أزالوهم عن الفطرة التي كانوا عليها. أهل الكتاب: المتمسكون بدينهم الحق من غير تبديل ولا تحريف.=

قال رسول الله ﷺ: (لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض بالسيوف). قالوا: ونحن نشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله؟ فقال بعض الناس: لا يكون هذا أبداً أن يقتل بعضنا بعضاً ونحن مسلمون، فنزلت: ﴿انظر كيف نصرّف الآيات لعلهم يفقهون. وكذّب به قومك وهو الحقّ قل لست عليكم بوكيل. لكلّ نبأ مستقرّ وسوف تعلمون﴾. [السيوطي].

﴿ وأمرنا لنسلم ﴾ أي بان نسلم ﴿ لرب العالمين ﴾.

٧٢ ﴿ وأن ﴾ أي بأن ﴿ أقيموا الصلاة واتقوه ﴾ تعالى ﴿ وهو الذي إليه تحشرون ﴾ تجمعون يوم القيامة للحساب.

٧٣ ﴿ وهو الذي خلق السماوات والأرض بالحق﴾ أي محقاً ﴿ و ﴾ اذكر ﴿ يوم يقول ﴾ للشيء ﴿ كن فيكون ﴾ هو يوم القيامة، يقول للخلق: قوموا فيقوموا ﴿ قوله الحق ﴾ الصدق الواقع لا محالة ﴿ وله الملك يوم ينفخ في الصور ﴾ القرن[1]، النفخة الثانية من إسرافيل، لا ملك فيه لغيره «لمن الملك اليوم لله» /غافر: ١٦/ ﴿ عالم الغيب والشهادة ﴾ ما غاب وما شوهد ﴿ وهو الحكيم ﴾ في خلقه ﴿ الخبير ﴾ بباطن الأشياء كظاهرها.

٧٤ ﴿ و ﴾ اذكر ﴿ إذ قال إبراهيم لأبيه آزر ﴾ هو لقبه، واسمه تارخ[2] ﴿ أتتخذ أصناماً آلهة ﴾ تعبدها؟ استفهام توبيخ ﴿ إني أراك وقومك ﴾ باتخاذها ﴿ في ضلال ﴾ عن الحق ﴿ مبين ﴾ بين.

٧٥ ﴿وكذلك﴾ كما أريناه إضلال أبيه وقومه ﴿نري إبراهيم ملكوت﴾ ملك ﴿السماوات والأرض﴾ ليستدل به على وحدانيتنا ﴿وليكون من الموقنين﴾ بها، وجملة «وكذلك» وما بعدها اعتراض[3]، وعطف على «قال»:

٧٦ ﴿ فلما جن ﴾ أظلم ﴿ عليه الليل رأى كوكباً ﴾ قيل: هو الزهرة ﴿ قال ﴾ لقومه، وكانوا نجامين[4] ﴿ هذا ربي ﴾في زعمكم﴿ فلما أفل ﴾غاب﴿قال﴾ لهم﴿لا أحب الآفلين ﴾ أن أتخذهم أرباباً، لأن الرب لا يجوز عليه التغير والانتقال، لأنهما من شأن الحوادث. فلم ينجع فيهم ذلك[5].

٧٧ ﴿ فلما رأى القمر بازغاً ﴾ طالعاً ﴿ قـال ﴾ لهم ﴿ هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي ﴾ يثبتني على الهدى ﴿ لأكونن من القوم الضالين ﴾ تعريض لقومه بأنهم على ضلال، فلم ينجع فيهم ذلك.

٧٨ ﴿ فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ﴾ ذكّره لتذكير خبره

وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ
وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ
قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ
وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾ * وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ
لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ
فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا
جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ
قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ
هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ
ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا

لا يغسله الماء: لا يذهب، لحفظه في الصدور. يثلغوا: يشقوه كما يشق الخبز. مقسط: عادل. لا زبر له: لا عقل له يمنعه مما لا ينبغي. الشنظير: السيء الخلق].

(١) أخرج أبو داود والترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: ما الصور؟ قال: (قرن ينفخ فيه). وأخرج الترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن القرن، وحنى جبهته وأصغى سمعه، ينتظر أن يؤمر أن ينفخ فينفخ) فكأن ذلك ثقل على أصحابه، فقالوا: كيف نفعل يا رسول الله، وكيف نقول؟ قال: (قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، على الله توكلنا) وربما قال (توكلنا على الله).

[أبو داود: السنة، باب: البعث والصور، رقم: ٤٧٤٢. الترمذي: صفة القيامة، باب: ما جاء في شأن الصور، رقم: ٢٤٣٢، ٢٤٣٣. تفسير القرآن، باب: ومن سورة الزمر، رقم: ٣٢٣٨].

(٢) روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة، وعلى وجه آزر قترة وغبرة، فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك لا تعصني؟ فيقول أبوه: فاليوم لا أعصيك، فيقول إبراهيم: يا رب إنك وعدتني أن لا تخزيني يوم يبعثون، فأي خزي أخزى من أبي الأبعد؟ فيقول الله تعالى: إني حرمت الجنة على الكافرين. ثم يقال: يا إبراهيم ما تحت رجليك؟ فينظر فإذا هو بذيخ ملتطخ، فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار) [البخاري: الأنبياء، باب: قول الله تعالى: ﴿واتخذ الله إبراهيم خليلاً﴾ رقم: ٣١٧٢]. [قترة: غبرة شديدة وهي في الأصل غبرة الجيش. الذيخ: ذكر الضباع].

(٣) أي قوله ﴿وكذلك... الموقنين﴾ اعتراض بين قوله منكراً على قومه عبادة الأصنام، وبين استدلاله على ذلك بقوله تعالى ﴿فلما جن عليه الليل..﴾ فقوله معطوف عليه، واستدلاله معطوف.

(٤) عالمين بمطالع النجوم وحسابها، وقيل: يعبدون النجوم.

(٥) لم تفد تلك الحجة وتؤثر فيهم بحيث تلفتهم عن الباطل إلى الحق.

﴿ ربي هذا أكبر ﴾ من الكوكب والقمر ﴿ فلما أفلت ﴾ وقويت عليهم الحجة ولم يرجعوا ﴿ قال يا قوم إني بريء مما تشركون ﴾ بالله، من الأصنام والأجرام المحدثة المحتاجة إلى محدث. فقالوا له: ما تعبد؟

٧٩ قال: ﴿ إني وجهت وجهي ﴾ قصدت بعبادتي ﴿ للذي فطر ﴾ خلق ﴿السماوات والأرض﴾ أي الله ﴿ حنيفاً ﴾ مائلاً إلى الدين القيم ﴿ وما أنا من المشركين ﴾ به.

٨٠ ﴿ وحاجه قومه ﴾ جادلوه في دينه، وهددوه بالأصنام أن تصيبه بسوء إن تركها ﴿ قال أتحاجوني ﴾ بتشديد النون، وتخفيفها بحذف إحدى النونين، وهي نون الرفع عند النحاة ونون الوقاية عند القراء، أتجادلونني ﴿ في ﴾ وحدانية ﴿ الله وقد هدان ﴾ تعالى إليها ﴿ ولا أخاف ما تشركون ﴾ ـه ﴿ به ﴾ من الأصنام أن تصيبني بسوء، لعدم قدرتها على شيء ﴿ إلا ﴾ لكن ﴿ أن يشاء ربي شيئاً ﴾ من المكروه يصيبني فيكون ﴿ وسع ربي كل شيء علماً ﴾ أي وسع علمه كل شيء ﴿ أفلا تتذكرون ﴾ هذا فتؤمنوا.

٨١ ﴿ وكيف أخاف ما أشركتم ﴾ بالله، وهي لا تضر ولا تنفع ﴿ ولا تخافون ﴾ أنتم من الله ﴿ أنكم أشركتم بالله ﴾ في العبادة ﴿ ما لم ينزل به ﴾ بعبادته ﴿ عليكم سلطاناً ﴾ حجة وبرهاناً، وهو القادر على كل شيء ﴿ فأي الفريقين أحق بالأمن ﴾ أنحن أم أنتم؟ ﴿ إن كنتم تعلمون ﴾ من الأحق به، أي وهو نحن، فاتبعوه. قال تعالى:

٨٢ ﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا ﴾ يخلطوا ﴿ إيمانهم بظلم ﴾ أي شرك، كما فسر بذلك في حديث الصحيحين[1] ﴿ أولئك لهم الأمن ﴾ من العذاب ﴿ وهم مهتدون ﴾.

٨٣ ﴿ وتلك ﴾ مبتدأ، ويبدل منه ﴿ حجتنا ﴾ التي احتج بها إبراهيم على وحدانية الله، من أفول الكوكب وما بعده، والخبر ﴿ آتيناها إبراهيم ﴾ أرشدناه لها حجةً ﴿ على قومه نرفع درجات من نشاء ﴾ بالإضافة والتنوين(*)، في العلم والحكمة ﴿ إن ربك حكيم ﴾ في صنعه ﴿ عليم ﴾ بخلقه. ٨٤ ﴿ ووهبنا له إسحاق ويعقوب ﴾ابنه

رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا
تُشۡرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ
قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ
مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۗ وَسِعَ رَبِّي
كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيۡفَ أَخَافُ
مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ
عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗاۚ فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ
تَعۡلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ
أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ
ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ
إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ

(*) أي بإضافة درجات لما بعدها، وبتنوينها بدون إضافة.

[1] روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لما نزلت ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾ شق ذلك على المسلمين، فقالوا: يا رسول الله، أينا لا يظلم نفسه؟ فقال رسول الله ﷺ: (ليس ذلك، إنما هو الشرك، ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه وهو يعظه: ﴿يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم﴾) [البخاري: الأنبياء، باب: قول الله تعالى: ﴿ولقد آتينا لقمان الحكمة..﴾ رقم: ٣٢٤٦].

وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ، فلما برزنا من المدينة إذا راكب يوضع نحونا، فقال رسول الله ﷺ: «كأن هذا الراكب إياكم يريد». فانتهى إلينا الرجل، فسلم علينا فرددنا عليه، فقال له النبي ﷺ: «من أين

فائدة: عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مولود إلا ويولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء؟» ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه: اقرؤوا إن شئتم: ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم﴾ [الروم: ٣٠]. [البخاري: الجنائز، باب: إذا أسلم الصبي فمات..، رقم: ١٢٩٣. مسلم: القدر، باب: معنى كل مولود يولد على الفطرة..، رقم: ٢٦٥٨] [الفطرة: أصل الخلقة وهي التوحيد الذي جاء به الإسلام. يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه: يجعلانه يهودياً أو نصرانياً أو مجوسياً، حسب ملتهما، بترغيبهما له في ذلك أو بتبعيته لهما. تنتج البهيمة: تلد الدابة العجماء. بهيمة جمعاء: تامة الأعضاء مستوية الخلق. تحسون: تبصرون. جدعاء: مقطوعة الأذن أو الأنف أو غير ذلك، أي إن الناس يفعلون بها ذلك، فكذلك يفعلون بالمولود الذي يولد على الفطرة السليمة. اقرؤوا إن شئتم: أن تتأكدوا هذا المعنى. فطرة الله: ملة الإيمان والتوحيد ومعرفة الخالق سبحانه. فطر الناس: خلقهم].

سبب نزول الآية [٨٢]: عن بكر بن سوادة رضي الله عنه قال: حمل رجل من العدوّ على المسلمين فقتل رجلاً، ثم حمل فقتل آخر، ثم حمل فقتل آخر، ثم قال: أينفعني الإسلام بعد هذا؟ فقال رسول الله ﷺ: (نعم). فضرب فرسه، فدخل فيهم، ثم حمل على أصحابه، فقتل رجلاً، ثم آخر، ثم آخر، ثم قُتِل، قال: فيرون أن هذه الآية نزلت فيه: ﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾ الآية. [السيوطي].

﴿ كلاً ﴾ منهما ﴿ هدينا ونوحاً هدينا من قبل ﴾ أي قبل إبراهيم ﴿ ومن ذريته ﴾ أي نوح ﴿ داود وسليمان ﴾ ابنه ﴿ وأيوب ويوسف ﴾ ابن يعقوب ﴿وموسى وهارون وكذلك﴾ كما جزيناهم ﴿نجزي المحسنين﴾.

٨٥ ﴿ وزكريا ويحيى ﴾ ابنه ﴿ وعيسى ﴾ ابن مريم، يفيد أن الذرية تتناول أولاد البنت ﴿ وإلياس ﴾ ابن أخي هارون أخي موسى ﴿ كل ﴾ منهم ﴿ من الصالحين ﴾.

٨٦ ﴿وإسماعيل﴾ بن إبراهيم ﴿واليسع﴾ اللام زائدة(١) ﴿ويونس ولوطاً﴾ بن هارون أخي إبراهيم ﴿وكلاً﴾ منهم ﴿ فضلنا على العالمين ﴾ بالنبوة.

٨٧ ﴿ ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم ﴾ عطف على كلاً أو نوحاً، ومن للتبعيض، لأن بعضهم لم يكن له ولد، وبعضهم كان في ولده كافر ﴿ واجتبيناهم ﴾ اخترناهم ﴿ وهديناهم إلى صراط مستقيم ﴾.

٨٨ ﴿ ذلك ﴾ الدين الذي هدوا إليه ﴿ هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ولو أشركوا ﴾ فرضاً ﴿ لحبط عنهم ما كانوا يعملون ﴾.

٨٩ ﴿ أولئك الذين آتيناهم الكتاب ﴾ بمعنى الكتب ﴿ والحكم ﴾ الحكمة(٢) ﴿ والنبوة فإن يكفر بها ﴾ أي بهذه الثلاثة ﴿ هؤلاء ﴾ أي أهل مكة ﴿ فقد وكلنا بها ﴾ أرصدنا لها ﴿ قوماً ليسوا بها بكافرين ﴾ هم المهاجرون والأنصار.

٩٠ ﴿ أولئك الذين هدى ﴾ هم ﴿ الله فبهداهم ﴾ طريقهم من التوحيد والصبر ﴿ اقتده ﴾ بهاء السكت وقفاً ووصلاً، وفي قراءة بحذفها وصلاً(٣) ﴿قل﴾ لأهل مكة ﴿ لا أسألكم عليه ﴾ أي القرآن ﴿ أجراً ﴾ تعطونيه ﴿ إن هو ﴾ ما القرآن﴿إلا ذكرى ﴾ عظة

(الجـــزء السابـع) ١٧٦

كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ
وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ وَكَذَٰلِكَ
نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ
كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ
وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ
وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ
مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ
عِبَادِهِۦ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾
أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ
فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا
بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ
ٱقْتَدِهْ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ

فائدة: أخرج ابن كثير من طريق ابن أبي حاتم: عن أبي حرب ابن أبي الأسود قال: أرسل الحجاج إلى يحيى بن يعمر فقال: بلغني أنك تزعم: أن الحسن والحسين من ذرية النبي ﷺ تجده في كتاب الله، وقد قرأته من أوله إلى آخره فلم أجده ؟ قال: أليس تقرأ سورة الأنعام: ﴿ومن ذريته داود وسليمان﴾ حتى بلغ: ﴿ويحيى وعيسى﴾ ؟ قال: بلى. قال: أليس عيسى من ذرية إبراهيم وليس له أب ؟ قال: صدقت. قال ابن كثير: فلهذا إذا أوصى الرجل لذريته، أو وقف على ذريته أو وهبهم، دخل أولاد البنات فيهم، فأما إذا أعطى الرجل بنيه أو وقف عليهم، فإنه يختص بذلك بنوه لصلبه وبنو بنيه، واحتجوا بقول الشاعر العربي:

أقبلت ؟». قال: من أهلي وولدي وعشيرتي. قال: «فأين تريد ؟». قال: أريد رسول الله. قال: «فقد أصبته». قال: يارسول الله، علمني: ما الإيمان ؟ قال: «تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت». قال: قد أقررت. قال: ثم إن بعيره دخلت يده في شبكة جرذان، فهوى بعيره وهوى الرجل، فوقع على هامته فمات. فقال النبي ﷺ: «عليَّ بالرجل». فوثب إليه عمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان فأقعداه، فقالا: يارسول الله، قبض الرجل. قال: فأعرض عنهما رسول الله ﷺ، ثم قال لهما رسول الله ﷺ: «أما رأيتما إعراضي عن الرجل ؟ فإني رأيت ملكين يدسان في فيه من ثمار الجنة، فعلمت أنه مات جائعاً». ثم قال رسول الله ﷺ: «هذا من الذين قال الله عز وجل: ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم..﴾ الآية». ثم قال: «دونكم أخاكم» قال: فاحتملناه إلى الماء فغسلناه وحنطناه وكفناه وحملناه إلى القبر، فجاء رسول الله ﷺ حتى جلس على شفير القبر فقال: «الحدوا ولا تشقوا، فإن اللحد لنا والشق لغيرنا». وفي رواية أنه ﷺ قال: «هذا ممن عمل قليلاً وأجر كثيراً» [مسند أحمد: ٣٥٩/٤] [يوضع: من الإيضاع وهو نوع سريع من السير. شبكة جرذان: جحرها ـ أي نقوبها ـ المتقارب بعضها من بعض في الأرض. يدسان في فيه: يدخلان في فمه بقوة وكثرة. شفير القبر: جانبه وحرفه]

(١) أي الألف واللام، والأصل في هذا الاسم أنه منقول عن الفعل المضارع «يَسَعُ» فجرد عن الضمير وسمي به، وزيدت فيه الألف واللام.

(٢) العلم النافع للفصل والقضاء بين الناس.

(٣) فيكون اللفظ: «فبهداهُم اقتدِ قُل».

﴿ للعالمين ﴾ الإنس والجن.

٩١ ﴿ وما قدروا ﴾ أي اليهود ﴿ الله حق قدره ﴾ أي ما عظموه حق عظمته، أو ما عرفوه حق معرفته ﴿ إذ قالوا ﴾ للنبي ﷺ، وقد خاصموه في القرآن ﴿ ما أنزل الله على بشر من شيء قل ﴾ لهم ﴿ من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس يجعلونه ﴾ بالياء والتاء في المواضع الثلاثة[1] ﴿ قراطيس ﴾ أي يكتبونه في دفاتر مقطعة ﴿ يبدونها ﴾ أي ما يحبون إبداءه منها ﴿ ويخفون كثيراً ﴾ مما فيها، كنعت محمد ﷺ ﴿ وعلمتم ﴾ أيها اليهود في القرآن ﴿ ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم ﴾ من التوراة، ببيان ما التبس عليكم واختلفتم فيه ﴿ قل الله ﴾ أنزله، إن لم يقولوه، لا جواب غيره ﴿ ثم ذرهم في خوضهم ﴾ باطلهم ﴿ يلعبون ﴾.

٩٢ ﴿ وهذا ﴾ القرآن ﴿ كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ﴾ قبله من الكتب ﴿ ولتنذر ﴾ بالتاء والياء، عطف على معنى ما قبله، أي أنزلناه للبركة والتصديق ولتنذر به ﴿أم القرى ومن حولها﴾ أي أهل مكة[2] وسائر الناس ﴿والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون﴾ خوفاً من عقابها.

لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ
ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى
جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ
تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ
ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾
وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ
وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ
يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ وَمَنْ
أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ
إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ
إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟
أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ

٩٣ ﴿ ومن ﴾ أي لا أحد ﴿ أظلم ممن افترى على الله كذباً ﴾ بادعاء النبوة ولم ينبأ ﴿ أو قال أوحي إلي ولم يوح إليه شيء ﴾ نزلت في مسيلمة ﴿ ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله ﴾ وهم المستهزئون، قالوا «لو نشاء لقلنا مثل هذا» /الأنفال: ٣١/ ﴿ ولو ترى ﴾ يا محمد ﴿ إذ الظالمون ﴾ المذكورون ﴿ في غمرات ﴾ سكرات ﴿ الموت والملائكة باسطوا أيديهم ﴾ إليهم بالضرب والتعذيب، يقولون لهم تعنيفاً ﴿ أخرجوا أنفسكم ﴾ إلينا لنقبضها ﴿ اليوم تجزون عذاب الهون ﴾ الهوان

بنونا بنو أبنائنا وبناتنا بنوهن أبناء الرجال الأجانب

وقال آخرون: ويدخل بنو البنات فيهم أيضاً، لما ثبت في صحيح البخاري: [الصلح: باب: قول النبي ﷺ للحسن بن علي رضي الله عنهما: «ابني هذا سيد» رقم: ٢٥٥٧]: أن رسول الله ﷺ قال للحسن بن علي: «إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين». فسماه ابناً، فدل على دخوله في الأبناء. وقال الآخرون: هذا تجوز.

(١) وهي: يجعلونه، يبدونها، يخفون.

(٢) وسميت أم القرى لأنها محج الناس وقبلة أهل الأرض.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: (أعطيت خمساً لم يعطهن أحدٌ قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحدٍ قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصةً، وبعثت إلى الناس عامةً). [البخاري: أوائل التيمم، رقم: ٣٢٨. مسلم: أول كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم: ٥٢١]=

سبب نزول الآية [٩١]: قال ابن عباس رضي الله عنهما: قالت اليهود: يا محمد، أنزل الله عليك كتاباً؟ قال: (نعم). قالوا: والله ما أنزل الله من السماء كتاباً. فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الكتابَ الذي جاءَ بِهِ مُوسَى نوراً وهُدىً للناس﴾.

وقال محمد بن كعب القرظي: أمر الله محمداً ﷺ أن يسأل أهل الكتاب عن أمره، وكيف يجدونه في كتبهم، فحملهم حسد محمد أن كفروا بكتاب الله ورسوله وقالوا: ﴿ما أنزل الله على بشر من شيء﴾ فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقال سعيد بن جبير: جاء رجل من اليهود يقال له: مالك بن الصيف، فخاصم النبي ﷺ، فقال له النبي ﷺ: (أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى، أما تجد في التوراة أن الله يبغض الحبر السمين). وكان حبراً سميناً، فغضب وقال: والله ما أنزل الله على بشر من شيء. فقال له أصحابه الذين معه: ويحك، ولا على موسى؟ فقال: والله ما أنزل الله على بشر من شيء. فأنزل الله تعالى هذه الآية. [الواحدي والسيوطي].

[الحبر: هو عالم اليهود، وقد يطلق على كل عالم] وانظر سبب نزول الآية [١٥٣] من سورة النساء.

سبب نزول الآية [٩٣]: عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سرح، كان قد تكلم بالإسلام، فدعاه رسول الله ﷺ ذات يوم يكتب له شيئاً، فلما نزلت الآية التي في المؤمنين [١٢]: ﴿ولقدْ خلقنا الإنسانَ مِنْ سُلالَةٍ﴾ أملاها عليه، فلما انتهى إلى قوله: ﴿ثم أنشأناهُ خَلْقاً آخَرَ﴾ عجب عبد الله في تفصيل خلق الإنسان، فقال: تبارك الله أحسن الخالقين، فقال رسول الله ﷺ: (هكذا أنزلت

﴿ بما كنتم تقولون على الله غير الحق ﴾ بدعوى النبوة والإيحاء كذباً ﴿ وكنتم عن آياته تستكبرون ﴾ تتكبرون عن الإيمان بها، وجواب لو: لرأيت أمراً فظيعاً.

٩٤ ﴿ و ﴾ يقال لهم إذا بعثوا ﴿لقد جئتمونا فرادى ﴾ منفردين عن الأهل والمال والولد ﴿ كما خلقناكم أول مرة ﴾ أي حفاة عراة غرلاً(١) ﴿ وتركتم ما خولناكم ﴾ أعطيناكم من الأموال ﴿ وراء ظهوركم ﴾ في الدنيا، بغير اختياركم ﴿ و ﴾ يقال لهم توبيخاً ﴿ ما نرى معكم شفعاءكم ﴾ الأصنام ﴿ الذين زعمتم أنهم فيكم ﴾ أي استحقاق عبادتكم ﴿ شركاء ﴾ لله ﴿ لقد تقطع بينُكم ﴾(٢) وصْلكم، أي تشتت جمعكم، وفي قراءة بالنصب ظرف، أي وصْلُكم بينكم ﴿ وضل ﴾ ذهب ﴿ عنكم ما كنتم تزعمون ﴾ في الدنيا من شفاعتها.

٩٥ ﴿ إن الله فالق ﴾ شاق ﴿ الحب ﴾ عن النبات ﴿ والنوى ﴾ عن النخل ﴿ يخرج الحي من الميت ﴾ كالإنسان والطائر من النطفة والبيضة ﴿ ومخرج الميت ﴾ النطفة والبيضة ﴿ من الحي ذلكم ﴾ الفالق المخرج ﴿ الله فأنى تؤفكون ﴾ فكيف تصرفون عن الإيمان مع قيام البرهان.

٩٦ ﴿ فالق الإصباح ﴾ مصدر بمعنى الصبح، أي شاق عمود الصبح، وهو أول ما يبدو من نور النهار عن ظلمة الليل ﴿ وجاعل(٣) الليل سكناً ﴾ تسكن فيه الخلق من التعب ﴿ والشمس والقمر ﴾ بالنصب عطفاً على محل الليل(٤) ﴿ حسباناً ﴾ حساباً للأوقات، أو الباء محذوفة، وهو حال من مقدر، أي يجريان بحسبان، كما في آية الرحمن/ ٥/ ﴿ ذلك ﴾ المذكور ﴿ تقدير العزيز ﴾ في ملكه ﴿ العليم ﴾ بخلقه.

٩٧ ﴿ وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر ﴾ في الأسفار ﴿ قد فصلنا ﴾ بينا ﴿ الآيات ﴾ الدلالات على قدرتنا ﴿لقوم يعلمون﴾ يتدبرون.

٩٨ ﴿ وهو الذي أنشأكم ﴾ خلقكم ﴿ من نفس واحدة ﴾ هي آدم ﴿فمستقِر﴾ منكم في الرحم ﴿ ومستودَع ﴾ منكم في الصلب، وفي قراءة بفتح القاف، أي مكان قرار لكم ﴿ قد فصلنا الآيات

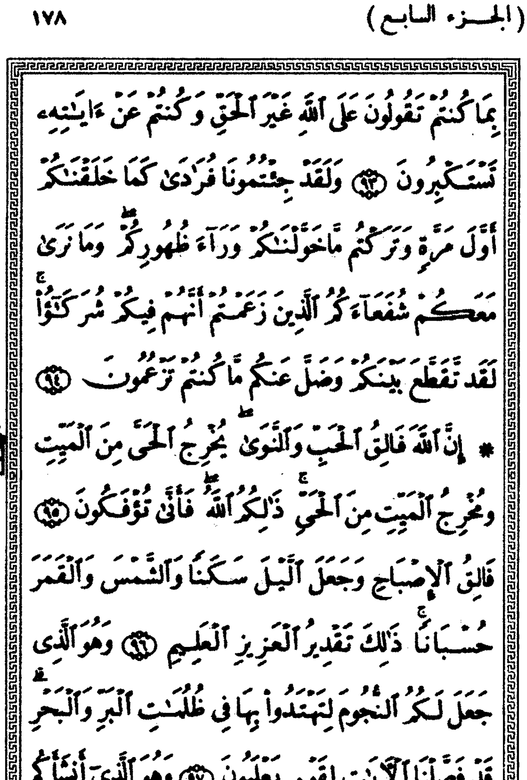

(الجـــزء السابـع) ١٧٨

بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ
تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ
أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ
مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ ۚ
لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾
۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ
وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾
فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ
حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى
جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ
قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم
مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ

=[نصرت بالرعب: هو الخوف يقذف في قلوب أعدائي. مسيرة شهر: أي بيني وبينه مسيرة شهر. المغانم: جمع مغنم، وهو الغنيمة، وهي ما يحصل عليه المسلمون من الكفار قهراً].

(١) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قام فينا رسول الله ﷺ بموعظة فقال: (أيها الناس، إنكم تحشرون إلى الله حفاة عراة غرلاً ﴿كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين﴾/ الأنبياء: ١٠٤/) [البخاري: التفسير/المائدة، باب: ﴿وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم..﴾ رقم: ٤٣٤٩. مسلم: الجنة وصفة نعيمها، باب: فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، رقم: ٢٨٦٠]. [غرلاً: جمع اغرل وهو الذي لم يختتن].

(٢) مصدر بان يبين، ومعناه الوصل والانقطاع، والمراد به هنا الوصل.

(٣) وفي قراءة سبعية: ﴿وَجَعَلَ اللَّيْلَ﴾.

(٤) على قراءة ﴿جاعل الليل﴾ فمحلها النصب لإضافة اسم الفاعل إليها، وعلى قراءة ﴿جعل﴾ فمعطوفة عليه محلاً ولفظاً.

عليّ). فشك عبد الله حينئذٍ وقال: لئن كان محمد صادقاً لقد أوحي إليّ كما أوحي إليه، ولئن كان كاذباً لقد قلت كما قال. وذلك قوله: ﴿ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله﴾ وارتد عن الإسلام. [تكلم بالإسلام: أي نطق بالشهادتين وأعلن إسلامه].

وعن شرحبيل بن سعد قال: نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سرح، قال: سأنزل مثل ما أنزل الله، وارتد عن الإسلام، فلما دخل رسول الله ﷺ مكة أتى به عثمان رسول الله ﷺ، فاستأمن له. [الواحدي، السيوطي].

سبب نزول الآية [٩٤]: أخرج ابن جرير عن عكرمة قال: قال النضر بن الحارث: سوف تشفع لي اللات والعزّى، فنزلت هذه الآية: ﴿ولقد جئتمونا فرادى ـ إلى قوله ـ شركاء﴾.

لقوم يفقهون ﴾ ما يقال لهم.

٩٩ ﴿وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا﴾ فيه التفات عن الغيبة(١) ﴿به﴾ بالماء ﴿نبات كل شيء﴾ ينبت ﴿ فأخرجنا منه ﴾ أي النبات شيئاً ﴿ خضراً ﴾ بمعنى أخضر ﴿ نخرج منه ﴾ من الخضر ﴿ حباً متراكباً ﴾ يركب بعضه بعضاً، كسنابل الحنطة ونحوها ﴿ ومن النخل ﴾ خبر، ويبدل منه ﴿ من طلعها ﴾ أول ما يخرج منها، والمبتدأ ﴿ قنوان ﴾ عراجين(٢) ﴿ دانية ﴾ قريب بعضها من بعض(٣) ﴿ و ﴾ أخرجنا به ﴿ جنات ﴾ بساتين ﴿ من أعناب والزيتون والرمان مشتبهاً ﴾ ورقهما، حال ﴿ وغير متشابه ﴾ ثمرهما ﴿ انظروا ﴾ يا مخاطبون نظر اعتبار ﴿ إلى ثمره﴾ بفتح الثاء والميم، وبضمهما، وهو(٤) جمع ثمرة، كشجرة وشَجرَ وخشبة وخُشُب ﴿ إذا أثمر ﴾ أول ما يبدو، كيف هو؟ ﴿ و ﴾ إلى ﴿ ينعه ﴾ نضجه إذا أدرك، كيف يعود؟ ﴿إنَّ في ذلكم لآيات ﴾ دلالات على قدرته تعالى على البعث وغيره ﴿ لقوم يؤمنون﴾ خصوا بالذكر لأنهم المنتفعون بها في الإيمان، بخلاف الكافرين.

لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً
فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ
حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ
مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ
ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ
لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ
وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا
يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ
لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ
شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ
كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾
لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ

١٠٠ ﴿ وجعلوا لله ﴾ مفعول ثانٍ(٥) ﴿ شركاء ﴾ مفعول أول، ويبدل منه ﴿ الجن ﴾ حيث أطاعوهم في عبادة الأوثان ﴿ و ﴾ قد ﴿ خلقهم ﴾ فكيف يكونون شركاءه؟ ﴿ وخرقوا ﴾ بالتخفيف والتشديد(٦)، أي اختلقوا ﴿ له بنين وبنات بغير علم ﴾ حيث قالوا: عزير ابن الله(٧)، والملائكة بنات الله(٨) ﴿ سبحانه ﴾ تنزيهاً له ﴿ وتعالى عما يصفون ﴾ بأن له ولداً.

١٠١ هو ﴿ بديع السموات والأرض ﴾ مبدعهما من غير مثال سبق ﴿ أنى ﴾ كيف ﴿ يكون له ولد ولم تكن له صاحبة ﴾ زوجة؟ ﴿ وخلق كل شيء ﴾ من شأنه أن يخلق ﴿ وهو بكل شيء عليم ﴾.

١٠٢ ﴿ ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه ﴾ وحدوه ﴿ وهو على كل شيء وكيل ﴾ حفيظ.

١٠٣ ﴿ لا تدركه الأبصار ﴾ أي لا تراه، وهذا مخصوص(٩)، لرؤية المؤمنين له في الآخرة، لقوله تعالى: «وجوه يومئذٍ ناضرة. إلى ربها ناظرة» /القيامة: ٢٢، ٢٣/ وحديث الشيخين: (إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر)(١٠). وقيل: المراد لا تحيط به ﴿ وهو يدرك الأبصار ﴾ أي يراها ولا تراه، ولا يجوز في غيره أن يدرك البصر وهو لا يدركه أو يحيط به علماً ﴿ وهو اللطيف ﴾ بأوليائه ﴿ الخبير ﴾ بهم.

---

(١) أي إلى التكلم، فبعد أن قال ﴿أنزل﴾ بصيغة الغائب قال ﴿أخرجنا﴾ بصيغة المتكلم.

(٢) جمع عُرجون، وهو قضيب عنقود التمر.

(٣) ومتدلية قريبة التناول، ينالها القائم والقاعد.

(٤) أي ثَمَر وثُمُر.

(٥) أي الجار متعلق بمفعول ثانٍ محذوف تقديره: كائنةً لله.

(٦) للراء المفتوحة.

(٧) قال هذا اليهود، كما قالت النصارى: عيسى ابن الله، تعالى الله عزّ وجلّ عن ذلك علواً كبيراً.

(٨) قال هذا بعض العرب.

(٩) أي نفي رؤيته سبحانه وتعالى مخصوص، مقصور على زمن الدنيا، لثبوت الأدلة برؤية المؤمنين له تعالى يوم القيامة، رؤية تليق به سبحانه.
وقيل: المراد بالإدراك الإحاطة، ولا يلزم من عدم الإحاطة عدم الرؤية، كما لا يلزم من عدم إحاطة العلم عدم العلم، قال تعالى: ﴿ولا يحيطون به علماً﴾ [طه: ١١٠] [تفسير ابن كثير].

(١٠) البخاري: مواقيت الصلاة، باب: فضل صلاة العصر، رقم: ٥٢٩. مسلم: المساجد ومواضع الصلاة، باب: فضل صلاتي الصبح والعصر، رقم: ٦٣٣.

سبب نزول الآية [١٠٠]: قال الكلبي: نزلت هذه الآية في الزنادقة، قالوا: إن الله تعالى وإبليس أخوان، والله خالق الناس والدواب، وإبليس خالق الحيات والسباعِ والعقارب، فذلك قوله تعالى: ﴿وجعلوا لله شركاء الجن﴾. [الواحدي].

١٠٤ قل يا محمد لهم ﴿ قد جاءكم بصائر ﴾ حجج ﴿ من ربكم فمن أبصر ﴾ ها فآمن ﴿ فلنفسه ﴾ أبصر، لأن ثواب إبصاره له ﴿ ومن عمي ﴾ عنها فضل ﴿ فعليها ﴾ وبال إضلاله ﴿ وما أنا عليكم بحفيظ ﴾ رقيب لأعمالكم، إنما أنا نذير.

١٠٥ ﴿ وكذلك ﴾ كما بينا ما ذكر ﴿ نصرف ﴾ نبين ﴿ الآيات ﴾ ليعتبروا ﴿ وليقولوا ﴾ أي الكفار في عاقبة الأمر ﴿ دارست ﴾ ذاكرت أهل الكتاب، وفي قراءة «درست» أي كتب الماضين، وجئت بهذا منها ﴿ ولنبينه لقوم يعلمون ﴾.

١٠٦ ﴿ اتبع ما أوحي إليك من ربك ﴾ أي القرآن ﴿ لا إله إلا هو وأعرض عن المشركين ﴾.

١٠٧ ﴿ ولو شاء الله ما أشركوا وما جعلناك عليهم حفيظاً ﴾ رقيباً، فتجازيهم بأعمالهم ﴿ وما أنت عليهم بوكيل ﴾ فتجبرهم على الإيمان، وهذا قبل الأمر بالقتال(١).

١٠٨ ﴿ ولا تسبوا الذين يدعون ﴾ هم ﴿ من دون الله ﴾ أي الأصنام ﴿ فيسبوا الله عدواً ﴾ اعتداءً وظلماً ﴿ بغير علم ﴾ أي جهلاً منهم بالله ﴿ كذلك ﴾ كما زينا لهؤلاء ما هم عليه ﴿ زينا لكل أمة عملهم ﴾ من الخير والشر فأتوه(٢) ﴿ ثم إلى ربهم مرجعهم ﴾ في الأخرة ﴿ فينبئهم بما كانوا يعملون ﴾ فيجازيهم به.

١٠٩ ﴿ وأقسموا ﴾ أي كفار مكة ﴿ بالله جهد أيمانهم ﴾ أي غاية اجتهادهم فيها ﴿ لئن جاءتهم آية ﴾(٣) مما اقترحوا ﴿ ليؤمنن بها قل ﴾ لهم ﴿ إنما الآيات عند الله ﴾ ينزلها كما يشاء، وإنما أنا نذير ﴿ وما يشعركم ﴾ يدريكم بإيمانهم إذا جاءت؟ أي أنتم لا تدرون ذلك ﴿ إنها إذا جاءت لا يؤمنون ﴾ لما سبق في علمي. وفي قراءة بالتاء خطاباً للكفار، وفي أخرى بفتح أنَّ بمعنى لعل(٤)، أو معمولة لما قبلها(٥).

١١٠ ﴿ ونقلب أفئدتهم ﴾ نحول قلوبهم عن الحق فلا

ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ
فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾
وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ
يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾ ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لَآ إِلَٰهَ
إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ
مَآ أَشْرَكُوا۟ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم
بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟
ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ
ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾
وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا
قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ

سبب نزول الآية [١٠٨]: قال ابن عباس رضي الله عنهما: قالوا: يا محمد، لتنتهين عن سبك آلهتنا أو لنهجون ربك. فنهى الله أن يسبوا أوثانهم فيسبوا الله عدواً بغير علم. وقال قتادة: كان المسلمون يسبون أوثان الكفار. فيردون ذلك عليهم، فنهاهم الله تعالى أن يستسبوا لربهم قوماً جهلة لا علم لهم بالله. وقال السدي: لما حضرت أبا طالب الوفاة قالت قريش: انطلقوا فلندخل على هذا الرجل، فلنأمرنه أن ينهى عنا ابن أخيه، فإنا نستحي أن نقتله بعد موته، فتقول العرب: كان يمنعه، فلما مات قتلوه. فانطلق أبو سفيان، وأبو جهل، والنضر بن الحارث، وأمية وأبي ابنا خلف، وعقبة بن أبي معيط، وعمرو بن العاص، والأسود بن البختري، إلى أبي طالب، فقالوا: أنت كبيرنا وسيدنا وإنَّ محمداً قد آذانا وآذى آلهتنا، فنحب أن تدعوه فتنهاه عن ذكر آلهتنا، ولندعه وإلهه. فدعاه فجاء النبي ﷺ، فقال له أبو طالب: هؤلاء قومك وبنو عمك. فقال رسول الله ﷺ: (ماذا يريدون). فقالوا: نريد أن تدعنا وآلهتنا وندعك وإلهك. فقال أبو طالب: قد أنصفك قومك، فاقبل منهم، فقال رسول الله عليه السلام: (أرأيتم إن أعطيتكم هذا، هل أنتم معطيَّ كلمةً، إن تكلمتم بها ملكتم العرب ودانت لكم بها العجم). قال أبو جهل: نعم ـ وأبيك ـ لنعطينكها وعشر أمثالها، فما هي؟ قال: (قولوا: لا إله إلا الله). فأبوا واشمأزوا. فقال أبو طالب: قل غيرها يا ابن أخي، فإن قومك قد فزعوا منها. فقال: يا عم، ما أنا بالذي أقول غيرها، ولو أتوني بالشمس فوضعوها في يدي ما قلت غيرها). فقالوا: لتكفن عن شتمك آلهتنا أو لنشتمنك ونشتم من يأمرك. =

سبب نزول الآيات [١٠٩ ـ ١١١]: عن محمد بن كعب القرظي رضي الله عنه قال: كلمت رسول الله ﷺ قريش فقالوا: يا محمد، تخبرنا أن

---

(١) وأما بعده: فلا إعراض عن المشركين حتى يسلموا أو يقتلوا.

(٢) ولله الحجة البالغة على خلقه فيما يأمرهم به وينهاهم عنه، وله الحكمة التامة فيما يختاره ويشاؤه، وهو سبحانه الذي خلق الأشياء وجعل فيها خصائص تستهوي الإنسان إليها، ابتلاءً منه جلَّ وعلا لهؤلاء الخلق، الذين أعطاهم العقل الذي يميزون به الخير من الشر، والقدرة التي بها يستطيعون أن يفعلوا أو يتركوا، وقد بعث إليهم الرسل يوضحون لهم ما هو خير عليهم أن يلتزموه، وما هو شر عليهم أن يجتنبوه، فمنهم من استجاب لفطرته واستقامت طريقته، فوفقه الله تعالى في مسلكه، ونصب له معالم الهداية ليصل إلى سعادته. ومنهم من سولت له نفسه أن ينحرف عن الجادة، واستحوذ عليه الشيطان، فاندفع في طريق الشر وأمعن، فحجب الله تعالى عنه نور الهداية، فازداد بعداً عن الحق وتمسكاً بالباطل، فنسأل الله تعالى الرعاية والحفظ.

(٣) أمر خارق للعادة.

(٤) القراءات ثلاثة: ﴿ إنها إذا جاءت لا يؤمنون ﴾. ﴿ إنها إذا جاءت لا تؤمنون ﴾. ﴿ أنها إذا جاءت لا يؤمنون ﴾ [انظر الجمل والصاوي على تفسير الجلالين]

(٥) أي مفعول ثان ليشعر، والتقدير: وما يشعركم إيمانهم؟ أي لا تعلمون إيمانهم.

يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَنَذَرُهُمۡ فِى طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿١١٠﴾
۞ وَلَوۡ أَنَّنَا نَزَّلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَحَشَرۡنَا
عَلَيۡهِمۡ كُلَّ شَىۡءٖ قُبُلٗا مَّا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ
وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَجۡهَلُونَ ﴿١١١﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ
عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِى بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ
زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرۡهُمۡ
وَمَا يَفۡتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصۡغَىٰٓ إِلَيۡهِ أَفۡـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ
بِٱلۡأٓخِرَةِ وَلِيَرۡضَوۡهُ وَلِيَقۡتَرِفُواْ مَا هُم مُّقۡتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ
أَبۡتَغِى حَكَمٗا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مُفَصَّلٗاۚ
وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٞ مِّن رَّبِّكَ
بِٱلۡحَقِّۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ
رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ

يفهمونه ﴿ وأبصارهم ﴾ عنه فلا يبصرونه، ولا يؤمنون ﴿ كما لم يؤمنوا به ﴾ أي بما أنزل من الآيات ﴿ أول مرة ونذرهم ﴾ نتركهم ﴿ في طغيانهم ﴾ ضلالهم ﴿ يعمهون ﴾ يترددون متحيرين.

١١١ ﴿ ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى ﴾ كما اقترحوا ﴿ وحشرنا ﴾ جمعنا ﴿ عليهم كل شيء قبلاً ﴾ بضمتين جمع قبيل، فوجاً فوجاً[١]، وبكسر القاف وفتح الباء، أي معاينة، فشهدوا بصدقك ﴿ ما كانوا ليؤمنوا ﴾ لما سبق في علم الله ﴿ إلا ﴾ لكن ﴿ أن يشاء الله ﴾ إيمانهم فيؤمنوا ﴿ ولكن أكثرهم يجهلون ﴾ ذلك.

١١٢ ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً ﴾ كما جعلنا هؤلاء أعداءك، ويبدل منه ﴿ شياطين ﴾ مردة ﴿ الإنس والجن يوحي ﴾ يوسوس ﴿ بعضهم إلى بعض زخرف القول ﴾ مموهه من الباطل ﴿ غروراً ﴾ أي ليغرهم ﴿ ولو شاء ربك ما فعلوه ﴾ أي الإيحاء المذكور ﴿ فذرهم ﴾ دع الكفار ﴿ وما يفترون ﴾ من الكفر وغيره مما زين لهم، وهذا[٢] قبل الأمر بالقتال.

١١٣ ﴿ ولتصغى ﴾ عطف على غروراً، أي تميل ﴿ إليه ﴾ أي الزخرف ﴿ أفئدة ﴾ قلوب ﴿ الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ﴾ يكتسبوا ﴿ ما هم مقترفون ﴾ من الذنوب، فيعاقب عليه.

١١٤ ونزل ـ لما طلبوا من النبي ﷺ أن يجعل بينه وبينهم حكماً ـ قل: ﴿ أفغير الله أبتغي ﴾ أطلب ﴿ حكماً ﴾ قاضياً بيني وبينكم ﴿ وهو الذي أنزل إليكم الكتاب ﴾ القرآن ﴿ مفصلاً ﴾ مبيناً فيه الحق من الباطل ﴿ والذين آتيناهم الكتاب ﴾ التوراة، كعبد الله بن سلام وأصحابه ﴿ يعلمون أنه منزل ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿ من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين ﴾ الشاكين فيه، والمراد بذلك التقرير للكفار أنه حق.

١١٥ ﴿ وتمت كلمت ربك ﴾ بالأحكام والمواعيد ﴿ صدقاً وعدلاً ﴾ تمييز ﴿ لا مبدل لكلماته ﴾ بنقض أو خلف ﴿ وهو السميع ﴾ لما يقال

---

(١) جماعات جماعات.

(٢) أي ترك هؤلاء وشأنهم دون قتالهم.. وأما بعد الأمر بالقتال فلا يتركون حتى يسلموا أو يقاتلوا.

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ في مجلس قد أطال فيه الجلوس، قال: فقال: «يا أبا ذر، هل صليت». قال: لا، يارسول الله. قال: «قم فاركع ركعتين». قال: ثم جئت فجلست إليه، فقال: «يا أبا ذر، هل تعوذت بالله من شياطين الجن والإنس». قال: قلت: لا، يارسول الله، وهل للإنس من شياطين؟ قال: «نعم، هم شر من شياطين الجن». [ابن جرير، ومسند أحمد: ٥/ ١٧٨] . قال ابن كثير بعد إيراد الحديث وروايات له وأقوال: فالصحيح ما تقدم من حديث أبي ذر: أن للإنس شياطين منهم، وشيطان كل شيء مارِدُه، ولهذا جاء في صحيح مسلم: [الصلاة، باب: قدر ما يستر المصلي] عن أبي ذر: أن رسول الله ﷺ قال: «الكلب الأسود شيطان». ومعناه ـ والله أعلم ـ شيطان في الكلاب.

= فأنزل الله تعالى هذه الآية. [الواحدي، السيوطي]

[سبك..: أي ذكرك لها بما يعيبها ويقلل من شأنها. لنهجون: من الهجاء، وهو أن يقول كلاماً فيه انتقاص وشتم. يستسبوا: يطلبوا السبَّ ويتسببوا به. دانت: انقادت وخضعت. العجم: كل من عدا العرب من الشعوب].

موسى عليه السلام كانت معه عصا، ضرب بها الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً، وأن عيسى عليه السلام كان يحيي الموتى، وأن ثمود كانت لهم ناقة، فأتنا ببعض تلك الآيـات حتى نصدقك. فقال رسول الله ﷺ: (أي شيء تحبون أن آتيكم به). فقالوا: تجعل لنا الصفا ذهباً. قال: (فإن فعلت تصدقوني). قالوا: نعم والله، لئن فعلت لنتبعنك أجمعين. فقام رسول الله ﷺ يدعو، فجاءه جبريل عليه السلام وقال: إن شئت أصبح الصفا ذهباً، ولكني لم أرسل آية فلم يصدق بها إلا أنزلت العذاب، وإن شئت تركتهم حتى يتوب تائبهم. فقال رسول الله ﷺ: (أتركهم حتى يتوب تائبهم). فأنزل الله تعالى: ﴿ وأقسموا بالله جَهْدَ أيمانِهِمْ لَئِنْ جاءَتْهم آيةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بها ﴾ إلى قوله: ﴿ما كانوا ليؤمنوا إلا أنْ يشاءَ اللَّهُ ولكنَّ أكثَرَهم يجهلُونَ﴾. [الواحدي، السيوطي].

﴿ العليم ﴾ بما يفعل.

١١٦ ﴿ وإن تطع أكثر من في الأرض ﴾ أي الكفار ﴿ يضلوك عن سبيل الله ﴾ دينه ﴿ إن ﴾ ما ﴿ يتبعون إلا الظن ﴾ في مجادلتهم لك في أمر الميتة، إذ قالوا: ما قتل الله أحق أن تأكلوه مما قتلتم ﴿ وإن ﴾ ما ﴿ هم إلا يخرصون ﴾ يكذبون في ذلك.

١١٧ ﴿ إن ربك هو أعلم ﴾ أي عالم ﴿ من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ﴾ فيجازي كلًّا منهم.

١١٨ ﴿ فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ﴾ أي ذبح على اسمه ﴿ إن كنتم بآياته مؤمنين ﴾.

١١٩ ﴿ وما لكم أ ﴾ ن ﴿ لا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه ﴾ من الذبائح ﴿ وقد فصل ﴾ بالبناء للمفعول وللفاعل في الفعلين(١) ﴿ لكم ما حرم عليكم ﴾ في آية «حرمت عليكم الميتة» /المائدة: ٣/ ﴿ إلا ما اضطررتم إليه ﴾ منه، فهو أيضاً حلال لكم، المعنى: لا مانع لكم من أكل ما ذكر، وقد بين لكم المحرم أكله، وهذا ليس منه. ﴿ وإن كثيراً ليضلون ﴾ بفتح الياء وضمها ﴿ بأهوائهم ﴾ بما تهواه أنفسهم من تحليل الميتة وغيرها ﴿ بغير علم ﴾ يعتمدونه في ذلك ﴿ إن ربك هو أعلم بالمعتدين ﴾ المتجاوزين الحلال إلى الحرام.

ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ
عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا
يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ
وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ
إِن كُنتُم بِـَٔايَـٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا
ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا
مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ
عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾ وَذَرُوا۟ ظَـٰهِرَ ٱلْإِثْمِ
وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟
يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ
وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ
لِيُجَـٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾

١٢٠ ﴿ وذروا ﴾ اتركوا ﴿ ظاهر الإثم وباطنه ﴾ علانيته وسره، والإثم: قيل: الزنا، وقيل: كل معصية ﴿ إن الذين يكسبون الإثم سيجزون ﴾ في الآخرة ﴿ بما كانوا يقترفون ﴾ يكتسبون.

١٢١ ﴿ ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ﴾ بأن مات، أو ذبح على اسم غيره، وإلا: فما ذبحه المسلم ـ ولم يسم فيه عمداً أو نسياناً ـ فهو حلال، قاله ابن عباس، وعليه الشافعي(٢) ﴿ وإنه ﴾ أي الأكل منه ﴿ لفسق ﴾ خروج عما يحل ﴿ وإن الشياطين ليوحون ﴾ يوسوسون ﴿ إلى أوليائهم ﴾ الكفار ﴿ ليجادلوكم ﴾ في تحليل الميتة ﴿ وإن أطعتموهم ﴾ فيه ﴿ إنكم لمشركون ﴾ بذلك.

---

(١) أي ﴿فُصِّل﴾ و﴿حُرِّم﴾. و﴿فَصَّل﴾ و﴿حَرَّم﴾.

(٢) ومما احتجوا به لهذا ما رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله، إن هنا أقواماً حديثاً عهدهم بشرك، يأتوننا بلحمان، فما ندري يذكرون اسم الله عليها أم لا؟ قال: (اذكروا أنتم اسم الله وكلوا). قالوا: لو كانت التسمية شرطاً للإباحة لكان الشك في وجودها مانعاً من حل الأكل. [البخاري: التوحيد، باب: السؤال بأسماء الله تعالى والاستعاذة بها، رقم: ٦٩٦٣].

ومما احتجوا به قوله ﷺ: (ذبيحة المسلم حلال، ذكر اسم الله أو لم يذكر، إنه إن ذكر لم يذكر إلا اسم الله) [أخرجه أبو داود في مراسيله]. قالوا: وهو مرسل، ولكن يعضده ما رواه الدارقطني في سننه [باب الصيد والذبائح: ٤/ ٢٩٥]: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إذا ذبح المسلم ولم يذكر اسم الله فليأكل، فإن المسلم فيه اسم من أسماء الله تعالى.

سبب نزول الآيات [١١٨ ـ ١٢١]: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أتى ناس إلى النبيّ ﷺ فقالوا: يا رسول الله، أنأكل ما نقتل، ولا نأكل ما يقتل الله؟ فأنزل الله: ﴿فكلوا مما ذكر اسم الله عليه إن كنتم بآياته مؤمنين ـ إلى قوله ـ وإن أطعتموهم إنكم لمشركون﴾.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: في قوله: ﴿ وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم ﴾. قال: قالوا: ما ذبح الله لا تأكلون، وما ذبحتم أنتم تأكلون؟ فأنزل الله الآية.

[الترمذي: تفسير القرآن، باب: ومن سورة الأنعام، رقم: ٣٠٧١. أبو داود: الأضاحي، باب: في ذبائح أهل الكتاب، ٢٨١٨، ٢٨١٩].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت: ﴿ ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ﴾ أرسلت فارس إلى قريش: أن خاصموا محمداً فقولوا له: ما تذبح أنت بيدك بسكين فهو حلال، وما ذبح الله بشمشار من ذهب ـ يعني الميتة ـ فهو حرام، فنزلت هذه الآية: ﴿وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم ﴾. قال: الشياطين فارس، وأولياؤهم قريش. [السيوطي].

١٢٢ ونزل في أبي جهل وغيره ﴿ أو من كان ميتاً ﴾ بالكفر ﴿ فأحييناه ﴾ بالهدى ﴿ وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس ﴾ يتبصر به الحق من غيره، وهو الإيمان ﴿ كمن مثله ﴾ مثل زائدة(١)، أي كمن هو ﴿ في الظلمات ليس بخارج منها ﴾ وهو الكافر؟ لا(٢) ﴿ كذلك ﴾ زين للمؤمنين الإيمان كما ﴿ زين للكافرين ما كانوا يعملون ﴾ من الكفر والمعاصي.

١٢٣ ﴿ وكذلك ﴾ كما جعلنا فساق مكة أكابرها ﴿ جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها ﴾ بالصد عن الإيمان ﴿ وما يمكرون إلا بأنفسهم ﴾ لأن وباله عليهم ﴿ وما يشعرون ﴾ بذلك.

١٢٤ ﴿ وإذا جاءتهم ﴾ أي أهل مكة ﴿ آية ﴾ علي صدق النبي ﷺ ﴿ قالوا لن نؤمن ﴾ به ﴿ حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله ﴾ من الرسالة والوحي إلينا، لأننا أكثر مالاً وأكبر سناً. قال تعالى: ﴿ الله أعلم حيث يجعل رسالته ﴾ بالجمع والإفراد(٣)، وحيث مفعول به لفعل دل عليه أعلم، أي يعلم الموضع الصالح لوضعها فيه فيضعها، وهؤلاء ليسوا أهلاً لها ﴿ سيصيب الذين أجرموا ﴾ بقولهم ذلك ﴿ صغار ﴾ ذل ﴿ عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون ﴾ أي بسبب مكرهم.

١٢٥ ﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ﴾ بأن يقذف في قلبه نوراً فينفسح له ويقبله، كما ورد في الحديث(٤) ﴿ ومن يرد ﴾ الله ﴿ أن يضله يجعل صدره ضيْقاً ﴾ بالتخفيف والتشديد، عن قبوله ﴿ حرجاً ﴾ شديد الضيق، بكسر الراء صفة، وفتحها مصدر وصف فيه مبالغة ﴿ كأنما يصَّعَّد ﴾ وفي قراءة «يصَّاعد» وفيهما إدغام التاء في الأصل في الصاد(٥)، وفي أخرى بسكونها(٦) ﴿ في السماء ﴾ إذا كلف الإيمان، لشدته عليه ﴿ كذلك ﴾ الجعل ﴿ يجعل الله الرجس ﴾ العذاب، أو الشيطان، أي يسلطه ﴿ على الذين لا يؤمنون ﴾.

١٢٦ ﴿ وهذا ﴾ الذي أنت عليه يا محمد ﴿ صراط ﴾ طريق ﴿ ربك مستقيماً ﴾ لا عوج فيه، ونصبه على الحال المؤكدة للجملة، والعامل فيها معنى الإشارة(٧)

أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَـٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ
فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ
كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَـٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ
جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَـٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ وَمَا
يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ
ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ
ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟
صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾
فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ ۖ وَمَن
يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا
يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى
ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَهَـٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ

---

(١) لأن المثل هو الصفة، والمستقر في الظلمات ذواتهم لا صفاتهم. والزيادة تفيد تأكيد المعنى. وقيل: ليست زائدة، بل هي مبتدأ، وفي الظلمات خبره، والمعنى: كمن صفته خابط تائه في الظلمات.

(٢) أي لا يستوي المؤمن والكافر.

(٣) أي ﴿رسالتَه﴾ و ﴿رسالاته﴾.

(٤) أخرج الطبري بسنده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قيل لرسول الله ﷺ حين نزلت هذه الآية ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام﴾ قال: (إذا دخل النور القلب انفسح وانشرح) قالوا: فهل لذلك من أمارة يعرف بها؟ قال: (الإنابة إلى دار الخلود، والتنحي عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل الموت).

(٥) وأصلهما: يتصعد ويتصاعد، ومعناهما: يتكلف الصعود بمشقة فلا يستطيعه.

(٦) أي ﴿يَصْعَدُ﴾ وهي قراءة من قرأ ﴿ضَيْقاً﴾ بالتخفيف، وقرأ ﴿حرَجاً﴾ بالفتح.

(٧) والمعنى: أشير إلى صراط ربك حال كونه مستقيماً.

سبب نزول الآية [١٢٢]: قال ابن عباس رضي الله عنهما: يريد حمزة بن عبد المطلب وأبا جهل، وذلك أن أبا جهل رمى رسول الله ﷺ بفرث وحمزة لم يؤمن بعد، فأخبر حمزة بما فعل أبو جهل، وهو راجع من قنصه وبيده قوس، فأقبل غضبان حتى علا أبا جهل بالقوس، وهو يتضرع إليه ويقول: يا أبا يعلى، أما ترى ما جاء به؟ سفه عقولنا، وسب آلهتنا، وخالف آباءنا. قال حمزة: ومن أسفه منكم؟ تعبدون الحجارة من دون الله، أشهد أنْ لا إله إلا الله لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله. فأنزل الله تعالى هذه الآية. [بفرث: ما يكون في الكرش، أي بكرش وما فيه. قَنْصه: صيده. علا..: أي رأسه. يتضرع: يتوسل ويطلب الترفق. سفه..: نسبها إلى السفه وهو الطيش وسوء التصرف، ضد الحلم].

وعن زيد بن أسلم رضي الله عنه، في قوله عزّ وجلّ: ﴿ أو من كان ميتاً فأحييناه وجَعَلْنا لهُ نوراً يمشي بِهِ في الناس ﴾ قال: عمر بن الخطاب رضي الله عنه ﴿كَمَنْ مَثَلُهُ في الظُّلماتِ ليس بخارجٍ منها﴾ قال: أبو جهل بن هشام. [الواحدي، السيوطي].

﴿ قد فصلنا ﴾ بينا ﴿ الآيات لقوم يذكرون ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الذال، أي يتعظون، وخصوا بالذكر لأنهم المنتفعون به.

١٢٧ ﴿ لهم دار السلام ﴾ أي السلامة، وهي الجنة ﴿ عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون ﴾.

١٢٨ ﴿ و ﴾ اذكر ﴿ يوم يحشرهم ﴾ بالنون والياء، أي الله الخلق ﴿ جميعاً ﴾ ويقال لهم ﴿يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس ﴾ بإغوائكم ﴿ وقال أولياؤهم ﴾ الذين أطاعوهم ﴿ من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض ﴾ انتفع الإنس بتزيين الجن لهم الشهوات، والجن بطاعة الإنس لهم ﴿ وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا ﴾ وهو يوم القيامة، وهذا تحسر منهم ﴿ قال ﴾ تعالى لهم على لسان الملائكة ﴿ النار مثواكم ﴾ مأواكم ﴿ خالدين فيها إلا ما شاء الله ﴾ من الأوقات التي يخرجون فيها لشرب الحميم⁽¹⁾، فإنه خارجها، كما قال: «ثم إن مرجعهم لإلى الجحيم» /الصافات: ٦٨/ وعن ابن عباس: أنه فيمن علم الله أنهم يؤمنون⁽²⁾. فما بمعنى من ﴿ إن ربك حكيم ﴾ في صنعه ﴿ عليم ﴾ بخلقه.

١٢٩ ﴿ وكذلك ﴾ كما متعنا عصاة الإنس والجن بعضهم ببعض ﴿ نولي ﴾ من الولاية ﴿ بعض الظالمين بعضاً ﴾ أي على بعض ﴿ بما كانوا يكسبون ﴾ من المعاصي.

١٣٠ ﴿ يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم ﴾ أي من مجموعكم، أي بعضكم الصادق بالإنس، أو: رسل الجن نذرهم⁽³⁾ الذين يستمعون كلام الرسل فيبلغون قومهم ﴿ يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا ﴾ أن قد بَلغنا، قال تعالى: ﴿ وغرتهم الحياة الدنيا ﴾ فلم يؤمنوا ﴿ وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين ﴾.

١٣١ ﴿ ذلك ﴾ أي إرسال الرسل ﴿ أن ﴾ اللام مقدرة، وهي مخففة، أي لأنه ﴿ لم يكن ربك مهلك القرى بظلم ﴾ منها ﴿ وأهلها غافلون ﴾ لم يرسل إليهم رسول يبين لهم.

١٣٢ ﴿ ولكل ﴾ من العاملين ﴿ درجات ﴾ جزاء

(الجـــزء الثـــامن) ١٨٤

قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ * لَهُمْ دَارُ
ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾
وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ
ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا
بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ
خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾
وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾
يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ
عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا
عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ
أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ
ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ

---

(١) وهو الماء الذي بلغ النهاية في شدة الحرارة.

(٢) أي إن قوله ﴿إلا ما شاء الله﴾ فيمن مات على الإيمان وهو مصر على المعصية، ونفذ فيه الوعيد بالعذاب، ولكنه لا يخلد فيه.

(٣) جمع نذير. قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: وهذا أيضاً مما يقرع الله به سبحانه وتعالى كافري الجن والإنس يوم القيامة، حيث يسألهم ـ وهو أعلم ـ: هل بلغتهم الرسل رسالاته ؟ وهذا استفهام تقرير: ﴿يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم﴾ أي: من جملتكم. والرسل من الإنس فقط، وليس من الجن رسل، كما نص على ذلك مجاهد، وابن جرير وغير واحد من الأئمة، من السلف والخلف. وقال ابن عباس: الرسل من بني آدم، ومن الجن نُذُر. وحكى ابن جرير، عن الضحاك بن مزاحم: أنه زعم أن في الجن رسلاً، واحتج بهذه الآية الكريمة، وفي الاستدلال بها على ذلك نظر، لأنها محتملة وليست بصريحة، وهي ـ والله أعلم ـ كقوله: ﴿مرج البحرين يلتقيان. بينهما برزخ لا يبغيان﴾ إلى أن قال: ﴿يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان﴾ [الرحمن: ١٩ـ٢٢]. ومعلوم أن اللؤلؤ والمرجان إنما يستخرج من المالح لا من الحلو، وهذا واضح ولله الحمد. وقد نص على هذا الجواب بعينه ابن جرير. والدليل على أن الرسل إنما هم من الإنس قوله تعالى: ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده﴾ إلى أن قال: ﴿رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة﴾ [النساء: ١٦٣ـ١٦٥] وقال تعالى عن إبراهيم: ﴿وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب﴾ [العنكبوت: ٢٧] فحصر النبوة والكتاب بعد إبراهيم في ذريته، ولم يقل أحد من الناس: إن النبوة كانت في الجن قبل إبراهيم الخليل ثم انقطعت عنهم ببعثته. وقال تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق﴾ [الفرقان: ٢٠] وقال: ﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم من أهل القرى﴾ [يوسف: ١٠٧] ومعلوم أن الجن تبع للإنس في هذا الباب، ولهذا قال تعالى إخباراً عنهم: ﴿وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضي ولوا إلى قومهم منذرين. قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى صراط مستقيم. يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم. ومن لا يجب داعي الله فليس

﴿ مما عملوا ﴾ من خير وشر ﴿ وما ربك بغافل عما يعملون ﴾ بالياء والتاء.

١٣٣ ﴿ وربك الغني ﴾ عن خلقه وعبادتهم ﴿ ذو الرحمة إن يشأ يذهبكم ﴾ يا أهل مكة بالإهلاك ﴿ ويستخلف من بعدكم ما يشاء ﴾ من الخلق ﴿ كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين ﴾ أذهبهم، ولكنه أبقاكم رحمة لكم.

١٣٤ ﴿ إن ما توعدون ﴾ من الساعة والعذاب ﴿ لآت ﴾ لا محالة ﴿ وما أنتم بمعجزين ﴾ فائتين عذابنا(١).

١٣٥ ﴿ قل ﴾ لهم ﴿ يا قوم اعملوا على مكانتكم ﴾ حالتكم ﴿ إني عامل ﴾ على حالتي ﴿ فسوف تعلمون من ﴾ موصولة مفعول العلم(٢) ﴿ تكون له عاقبة الدار ﴾ أي العاقبة المحمودة في الدار الآخرة، أنحن أم أنتم؟ ﴿ إنه لا يفلح ﴾ يسعد ﴿ الظالمون ﴾ الكافرون.

١٣٦ ﴿ وجعلوا ﴾ أي كفار مكة ﴿ لله مما ذرأ ﴾ خلق ﴿ من الحرث ﴾ الزرع ﴿ والأنعام نصيباً ﴾ يصرفونه إلى الضيفان والمساكين، ولشركائهم(٣) نصيباً يصرفونه إلى سدنتها(٤) ﴿ فقالوا هذا لله بزعمهم ﴾ بالفتح والضم(٥) ﴿ وهذا لشركائنا ﴾ فكانوا إذا سقط في نصيب الله شيء من نصيبها التقطوه، أو في نصيبها شيء من نصيبه تركوه، وقالوا: إن الله غني عن هذا، كما قال تعالى: ﴿ فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله ﴾ أي لجهته(٦) ﴿ وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم(٧) ساء ﴾ بئس ﴿ ما يحكمون ﴾ حكمهم هذا.

١٣٧ ﴿ وكذلك ﴾ كما زين لهم ما ذكر ﴿زَيَّنَ لكثير من المشركين قتلَ أولادهم ﴾ بالوأد(٨) ﴿ شركاؤهم ﴾ من الجن، بالرفع فاعل زين، وفي قراءة ببنائه للمفعول(٩)، ورفع قتلُ، ونصب الأولاد به(١٠)، وجر شركائهم بإضافته(١١)، وفيه الفصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول ولا يضر، وإضافة القتل إلى الشركاء لأمرهم به ﴿ ليردوهم ﴾ يهلكوهم ﴿ وليلبسوا ﴾ يخلطوا ﴿ عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه(١٢) فذرهم وما يفترون ﴾(١٣).

مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ وَرَبُّكَ
ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم
مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنَّ
مَا تُوعَدُونَ لَءَاتٍ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ
ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن
تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾
وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟
هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ
فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ
سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ
قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ
دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾

بمعجز في الأرض وليس له من دونه أولياء أولئك في ضلال مبين﴾ [الأحقاف: ٢٩ـ٣٢].

وقد جاء في الحديث الذي رواه الترمذي: [أبواب التفسير، باب: ومن سورة الرحمن]: أن رسول الله ﷺ تلا عليهم سورة الرحمن، وفيها قوله تعالى: ﴿سنفرغ لكم أيها الثقلان. فبأي آلاء ربكما تكذبان وقال تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا﴾ أي: أقررنا أن الرسل قد بلغونا رسالاتك، وأنذرونا لقاءك، وأن هذا اليوم كائن لا محالة. قال تعالى: ﴿وغرتهم الحياة الدنيا﴾ أي: وقد فرطوا في حياتهم الدنيا وهلكوا بتكذيبهم الرسل، ومخالفتهم للمعجزات، لما اغتروا به من زخرف الحياة الدنيا وزينتها وشهواتها ﴿وشهدوا على أنفسهم﴾ أي: يوم القيامة ﴿أنهم كانوا كافرين﴾ أي: في الدنيا، بما جاءتهم به الرسل، صلوات الله وسلامه عليهم.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «يا بني آدم، إن كنتم تعقلون فعدوا أنفسكم من الموتى، والذي نفسي بيده إنما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين». [أخرجه ابن كثير من طريق ابن أبي حاتم].

فائدة: قال ابن كثير في تفسير الآية [١٣٦]: قال علي بن أبي طلحة والعوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه قال في تفسير هذه الآية: إن أعداء الله

---

(١) هاربين منه، بل هو مدرككم لا محالة. يقال: أعجزني فلان أي فاتني فلم أقدر عليه.
عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «يا بني آدم، إن كنتم تعقلون فعدوا أنفسكم من الموتى، والذي نفسي بيده إنما توعدون لآت، وما أنتم بمعجزين» [ابن كثير].

(٢) أي ﴿من﴾ اسم موصول في محل نصب مفعول به لتعلمون.

(٣) أصنامهم. (٤) خدمتها. (٥) للزاي.

(٦) أي لا ينفقونها لجهات الخير كالفقراء والمساكين والضيفان.

(٧) بإنفاقهم منه على سدنتها إذا نفد ما جعلوه لها.

(٨) الدفن حال الحياة، وخاصة الإناث. (٩) أي ﴿زُيِّن﴾.

(١٠) بالمصدر ﴿قتل﴾. (١١) أي بإضافة المصدر ﴿قتل﴾ إليه.

(١٢) أي لو أراد الله تعالى منعهم من ذلك الفعل القبيح ومنعهم لما استطاعوا فعله، ولكنه سبحانه تركهم وشأنهم، ليظهر سوء حالهم. (١٣) اتركهم وما يختلقون من الأباطيل والضلالات، فسوف يعود وبالها عليهم وحدهم.

١٣٨ ﴿ وقالوا هذه أنعام وحرث(١) حجر ﴾ حرام(٢) ﴿ لا يطعمها إلا من نشاء ﴾ من خَدَمَة الأوثان وغيرهم ﴿ بزعمهم ﴾(٣) أي لا حجة لهم فيه ﴿ وأنعام حرمت ظهورها ﴾ فلا تركب، كالسوائب والحوامي(٤) ﴿ وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها ﴾ عند ذبحها، بل يذكرون اسم أصنامهم، ونسبوا ذلك إلى الله(٥) ﴿ افتراء عليه(٦) سيجزيهم بما كانوا يفترون ﴾ عليه.

١٣٩ ﴿ وقالوا ما في بطون هذه الأنعام ﴾ المحرمة، وهي السوائب والبحائر ﴿ خالصة ﴾ حلال ﴿ لذكورنا ومحرم على أزواجنا ﴾ أي النساء ﴿ وإن يكن ميتة ﴾ بالرفع والنصب، مع تأنيث الفعل وتذكيره ﴿ فهم فيه شركاء(٧) سيجزيهم ﴾ الله ﴿ وصفهم ﴾ ذلك بالتحليل والتحريم، أي جزاءه ﴿ إنه حكيم ﴾ في صنعه ﴿ عليم ﴾ بخلقه.

١٤٠ ﴿ قد خسر الذين قتلوا ﴾ بالتخفيف والتشديد(٨) ﴿ أولادهم ﴾ بالوأد ﴿ سفهاً ﴾ جهلاً ﴿ بغير علم وحرموا ما رزقهم الله ﴾ مما ذكر ﴿ افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين ﴾(٩).

١٤١ ﴿ وهو الذي أنشأ ﴾ خلق ﴿ جنات ﴾ بساتين ﴿ معروشات ﴾ مبسوطات على الأرض كالبطيخ ﴿ وغير معروشات ﴾ بأن ارتفعت على ساق كالنخل(١٠) ﴿ و ﴾ أنشأ ﴿ النخل والزرع مختلفاً أكله ﴾ ثمره وحبه، في الهيئة والطعم ﴿ والزيتون والرمان متشابهاً ﴾ ورقهما، حال(١١) ﴿ وغير متشابه ﴾ طعمهما ﴿ كلوا من ثمره إذا أثمر ﴾ قبل النضج ﴿ وآتوا حقه ﴾ زكاته ﴿ يوم حَصاده ﴾(١٢) بالفتح والكسر، من العشر أو نصفه ﴿ ولا تسرفوا ﴾ بإعطاء كله، فلا يبقى لعيالكم شيء ﴿ إنه لا يحب المسرفين ﴾ المتجاوزين ما حد لهم.

١٤٢ ﴿ و ﴾ أنشأ ﴿ من الأنعام

وَقَالُوا۟ هَـٰذِهِۦٓ أَنْعَـٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ
بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَـٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَـٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ
ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾
وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَـٰذِهِ ٱلْأَنْعَـٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ
عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ
وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟
أَوْلَـٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا۟ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً
عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّوا۟ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ
أَنشَأَ جَنَّـٰتٍ مَّعْرُوشَـٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَـٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ
مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَـٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَـٰبِهٍ ۚ
كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ
وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ وَمِنَ ٱلْأَنْعَـٰمِ

---

(١) زرع. (٢) محجورة، ممنوعة من أن يأكلها أحد إلا من ذكر.

(٣) بفتح الزاي وضمها، كما مر في الآية: ١٣٦.

(٤) انظر/ المائدة: ١٠٤/.

(٥) ادعوا أن هذا التقسيم ـ على ما ذكر ـ أمرهم به تعالى.

(٦) ادعوا ذلك كذباً واختلاقاً على الله عز وجل.

(٧) أي ذكورهم وإناثهم يشتركون في الأكل منه.

(٨) للتاء المفتوحة، وخسرانهم: تضييعهم نعمة الله تعالى عليهم بالولد، واستحقاقهم للذم على ذلك في الدنيا. واستحقاقهم العذاب الأليم في الآخرة، لظلمهم وقتلهم النفس البريئة بغير حق.

(٩) روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين والمائة من سورة الأنعام ﴿قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهاً بغير علم ـ إلى قوله ـ قد ضلوا وما كانوا مهتدين﴾. [البخاري: المناقب، باب: قصة زمزم وجهل العرب].

(١٠) وقيل: المعروشات ما يرفع عن الأرض ويجعل له عريش، وغير المعروشات ما يترك على وجه الأرض ولا يعرش.

(١١) أي قوله ﴿متشابهاً﴾ منصوب على الحال من ﴿الزيتون والرمان﴾.

(١٢) أي زمن قطعه وتحصيله وتيسر الإخراج منه. عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ أمر من كل جاد عشرة أوسق من التمر بقنو، يعلق في المسجد للمساكين. [مسند أحمد: ٣/ ٣٥٩. سنن أبي داود: كتاب الزكاة، باب في حقوق المال، رقم: ١٦٦٢]. [جاد: بمعنى المجدود، أي نخل يجد، أي يقطع منه ما يبلغ عشرة أوسق. والقنو: عنقود النخل]

كانوا إذا حرثوا حرثاً، أو كانت لهم ثمرة، جعلوا لله منه جزءاً، وللوثن جزءاً، فما كان من حرث أو ثمرة أو شيء من نصيب الأوثان حفظوه وأحصوه، وإن سقط منه شيء فيما سمي للصمد ردوه إلى ما جعلوه للوثن، وإن سبقهم الماء الذي جعلوه للوثن، فسقى شيئاً جعلوه لله، جعلوا ذلك للوثن. وإن سقط شيء من الحرث والثمرة التي جعلوا لله فاختلط بالذي جعلوه للوثن قالوا: هذا فقير، ولم يردوه إلى ما جعلوه لله. وإن سبقهم الماء الذي جعلوه لله فسقى ما سُمّي للوثن تركوه للوثن. وكانوا يحرمون من أموالهم البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، فيجعلونه للأوثان، ويزعمون أنهم يحرمونه لله، فقال الله عز وجل: ﴿وجعلوا لله مما ذرأ من﴾ [انظر تفسير الآية: ١٠٣ من سورة المائدة].

سبب نزول الآية [١٤١]: أخرج ابن جرير عن أبي العالية قال: كانوا يعطون يوم الحصاد شيئاً سوى الزكاة، ثم تباروا فيه وأسرفوا، فقال الله: ﴿ولا تسرفوا..﴾. وأخرج عن ابن جريج قال: نزلت في ثابت بن قيس بن شماس، جدّ نخلاً، فقال: لا يأتين اليوم أحد إلا أطعمته، فأطعم حتى

حمولة ﴾ صالحة للحمل عليها، كالإبل الكبار **﴿ وفرشاً ﴾** لا تصلح له كالإبل الصغار والغنم، سميت فرشاً لأنها كالفرش للأرض لدنوها منها(١) **﴿ كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان ﴾** طرائقه من التحريم والتحليل **﴿ إنه لكم عدو مبين ﴾** بين العداوة.

١٤٣ **﴿ ثمانية أزواج ﴾** أصناف، بدل من حمولة وفرشاً **﴿ من الضأن ﴾** زوجين **﴿ اثنين ﴾** ذكر وأنثى **﴿ ومن المعز ﴾** بالفتح والسكون(٢) **﴿ اثنين قل ﴾** يا محمد، لمن حرم ذكور الأنعام تارة وإناثها أخرى، ونسب ذلك إلى الله **﴿ آلذكرين ﴾** من الضأن والمعز **﴿ حرم ﴾** الله عليكم **﴿ أم الأنثيين ﴾** منهما **﴿ أمّا اشتملت عليه أرحام الأنثيين ﴾** ذكراً كان أو أنثى **﴿ نبئوني بعلم ﴾** عن كيفية تحريم ذلك **﴿ إن كنتم صادقين ﴾** فيه، المعنى: من أين جاء التحريم؟ فإن كان من قبل الذكورة فجميع الذكور حرام، أو الأنوثة فجميع الإناث، أو اشتمال الرحم فالزوجان، فمن أين التخصيص؟ والاستفهام للإنكار.

١٤٤ **﴿ ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم أم الأنثيين أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين أم ﴾** بل **﴿ كنتم شهداء ﴾** حضوراً **﴿ إذ وصاكم الله بهذا ﴾** التحريم فاعتمدتم ذلك؟ لا(٣)، بل أنتم كاذبون فيه **﴿ فمن ﴾** أي لا أحد **﴿ أظلم ممن افترى على الله كذباً ﴾** بذلك **﴿ ليضل الناس بغير علم إن الله لا يهدي القوم الظالمين ﴾**.

١٤٥ **﴿ قل لا أجد فيما أوحي إليّ ﴾** شيئاً **﴿ محرماً على طاعم يطعمه إلا أن يكون ﴾** بالياء والتاء **﴿ ميتة ﴾** بالنصب، وفي قراءة بالرفع مع التحتانية(٤) **﴿ أو دماً مسفوحاً ﴾** سائلاً، بخلاف غيره كالكبد والطحال(٥) **﴿ أو لحم خنزير فإنه رجس ﴾**(٦) حرام **﴿ أو ﴾** إلا أن يكون **﴿ فسقاً أهل لغير الله به ﴾** أي ذبح على اسم غيره(٧) **﴿ فمن اضطر ﴾** إلى شيء مما ذكر فأكله **﴿ غير باغٍ ولا عادٍ(٨) فإن ربك**

حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ
ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ مِّنَ
ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ
ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ نَبِّـُٔونِى
بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ
ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ
أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا
فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ
عِلْمٍ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾ قُل لَّآ أَجِدُ
فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ
مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا
أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ

---

(١) أو المراد بالفرش ما يفرش للذبح كالغنم ونحوها.

(٢) للعين.

(٣) لم تكونوا حاضرين.

(٤) صوابه: مع الفوقانية، والمعنى: إلا وجود ميتة أو دماً.. [الجمل على الجلالين].

(٥) فإنهما حلالان، لقوله ﷺ: (أحلت لنا ميتتان ودمان: فأما الميتتان فالحوت والجراد، وأما الدمان فالكبد والطحال). اخرجه أحمد في مسنده [٢/٩٧].

(٦) نجس مادي ومعنوي، لما يسببه من أمراض مستعصية، ولاستقذار النفوس السليمة له.

(٧) سمي فسقاً مبالغة في شدة الخروج عن الطاعة بفعله.

(٨) غير قاصد معصية، ولا متجاوز قدر حاجته. وانظر/ البقرة: ١٧٣/. قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: يقول تعالى آمراً عبده ورسوله محمداً صلوات الله وسلامه عليه: قل لهؤلاء الذين حرموا ما رزقهم الله افتراء على الله: ﴿لا أجد فيما أوحي إلي محرماً على طاعم يطعمه﴾ أي: آكل يأكله. قيل: معناه: لا أجد شيئاً مما حرمتم حراماً سوى هذه. وقيل: معناه: لا أجد من الحيوانات شيئاً حراماً سوى هذه. فعلى هذا يكون ما ورد من التحريمات بعد هذا في سورة (المائدة) وفي الأحاديث الواردة، رافعاً لمفهوم هذه الآية. ومن الناس من يسمي ذلك نسخاً. والأكثرون من المتأخرين لا يسمونه نسخاً، لأنه من باب رفع مباح الأصل، والله أعلم.

ثم أورد آثاراً مختلفة فيما هو محرم وفي غيرها، ثم قال: والمقصود من سياق هذه الآية الكريمة الرد على المشركين الذين ابتدعوا ما ابتدعوه من تحريم المحرمات على أنفسهم بآرائهم الفاسدة، من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ونحو ذلك [المائدة: ١٠٣] فأمر رسوله أن يخبرهم أنه لا يجد فيما أوحاه الله إليه أن ذلك محرم، وإنما حرم ما ذكر في الآية، من الميتة والدم المسفوح ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به، وما عدا ذلك فلم يحرم، وإنما هو عفو مسكوت عنه، فكيف تزعمون أنه حرام، ومن أين حرمتموه ولم يحرمه؟ وعلى هذا فلا ينبغي تحريم أشياء أخر فيما بعد هذا، كما جاء النهي عن لحوم الحمر ولحوم السباع وكل ذي مخلب من الطير، على المشهور من مذاهب العلماء.

لمسى وليست له ثمرة، فقال الله: ﴿ولا تسرفوا..﴾. [جد: قطع وجمع ثمره].

غفور ﴾ له ما أكل ﴿ رحيم ﴾ به، ويلحق بما ذكر بالسنة: كل ذي ناب من السباع، ومخلب من الطير⁽¹⁾.

١٤٦ ﴿ وعلى الذين هادوا ﴾ أي اليهود ﴿ حرمنا كل ذي ظفر ﴾ وهو ما لم تفرق أصابعه كالإبل والنعام ﴿ ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما ﴾ الثروب⁽²⁾ وشحم الكلى⁽³⁾ ﴿ إلا ما حملت ظهورهما ﴾ أي ما علق بها منه ﴿ أو ﴾ حملته ﴿ الحوايا ﴾ الأمعاء⁽⁴⁾، جمع حاوياء أو حاوية ﴿ أو ما اختلط بعظم ﴾ منه، وهو شحم الألية، فإنه أحل لهم ﴿ ذلك ﴾ التحريم ﴿ جزيناهم ﴾ به ﴿ ببغيهم ﴾ بسبب ظلمهم بما سبق في سورة النساء/ ١٥٣ ـ ١٦١/ ﴿ وإنا لصادقون ﴾ في أخبارنا ومواعيدنا.

١٤٧ ﴿ فإن كذبوك ﴾ فيما جئت به ﴿ فقل ﴾ لهم ﴿ ربكم ذو رحمة واسعة ﴾ حيث لم يعاجلكم بالعقوبة، وفيه تلطف بدعائهم إلى الإيمان ﴿ ولا يرد بأسه ﴾ عذابه إذا جاء ﴿ عن القوم المجرمين ﴾.

١٤٨ ﴿ سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ﴾ نحن ﴿ ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء ﴾ فإشراكنا وتحريمنا بمشيئته، فهو راض به. قال تعالى: ﴿ كذلك ﴾ كما كذب هؤلاء ﴿ كذب الذين من قبلهم ﴾ رسلهم ﴿ حتى ذاقوا بأسنا ﴾ عذابنا ﴿ قل هل عندكم من علم ﴾ بأن الله راض بذلك ﴿ فتخرجوه لنا ﴾ أي لا علم عندكم ﴿ إن ﴾ ما ﴿ تتبعون ﴾ في ذلك ﴿ إلا الظن وإن ﴾ ما ﴿ أنتم إلا تخرصون ﴾ تكذبون فيه.

١٤٩ ﴿ قل ﴾ إن لم يكن لكم حجة ﴿ فلله الحجة البالغة ﴾ التامة⁽⁵⁾ ﴿ فلو شاء ﴾ هدايتكم ﴿ لهداكم أجمعين ﴾.

١٥٠ ﴿ قل هلم ﴾ أحضروا ﴿ شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا ﴾ الذي حرمتموه ﴿ فإن شهدوا فلا تشهد معهم⁽⁶⁾ ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا

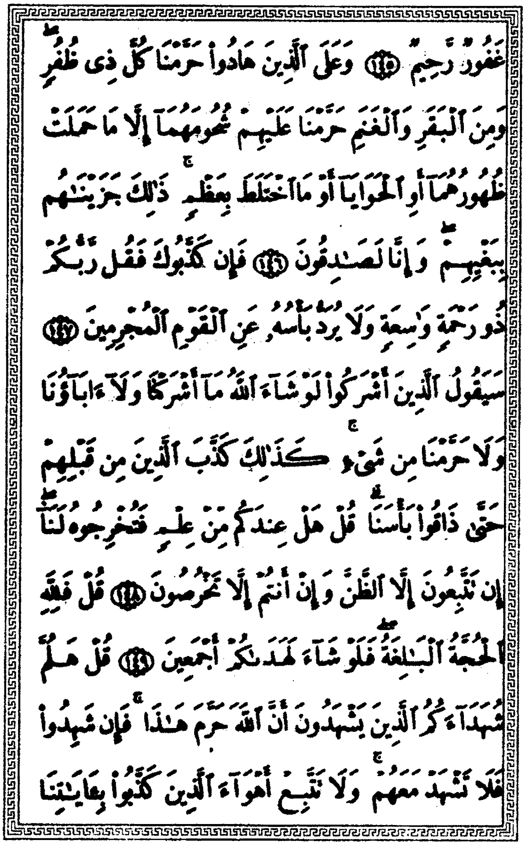
غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٤٥) وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ
وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ
ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم
بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ (١٤٦) فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ
ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ (١٤٧)
سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا
وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ
حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ
إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ (١٤٨) قُلْ فَلِلَّهِ
ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ (١٤٩) قُلْ هَلُمَّ
شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا فَإِن شَهِدُوا۟
فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا

---

(١) أخرج مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: نهى النبي ﷺ عن كل ذي ناب من السباع، وكل ذي مخلب من الطير. والمخلب من الطير كالظفر من الإنسان. [الحديث أخرجه مسلم في الصيد والذبائح، باب: تحريم أكل كل ذي ناب من السباع. . ، رقم: ١٩٣٤].

(٢) جمع ثَرْب، وهو شحم رقيق يغطي الكرش ونحوه.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول عام الفتح، وهو بمكة: «إن الله ورسوله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام». فقيل: يارسول الله، أرأيت شحوم الميتة، فإنها يطلى بها السفن، ويدهن بها الجلود، ويستصبح بها الناس ؟ فقال: «لا، هو حرام». ثم قال رسول الله ﷺ عند ذلك: «قاتل الله اليهود، إن الله لما حرم شحومها جملوه، ثم باعوه، فأكلوا ثمنه». [البخاري: البيوع، باب: بيع الميتة والأصنام، رقم: ٢١٢١. مسلم: المساقاة، باب: تحريم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام، رقم: ١٥٨١] [يطلى: يدهن. يستصبح بها الناس: يجعلونها في مصابيحهم يستضيئون بها. شحومها: شحوم الميتة، أو شحوم البقر والغنم، كما أخبر تعالى بقوله: ﴿ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما﴾ /الأنعام: ١٤٦/. جملوه: أذابوه واستخرجوا دهنه].

(٣) جمع كُلْوَة أو كُلْيَة.

(٤) الدقيقة والغليظة، وهي المصارين.

(٥) في إرساله الرسل إليكم وإنزاله الكتب عليهم، وفيها بيان ما أحل وما حرم، وما وجب عليكم اعتقاده وفعله.

(٦) فلا تصدقهم فيما يقولون، بل بين لهم فساده وبطلانه.

فائدة:

قال ابن كثير في مطلع تفسير الآيات [١٤٨ـ١٥٠]: هذه مناظرة ذكرها الله تعالى وشبهة تشبث بها المشركون في شركهم وتحريم ما حرموا، فإن الله مطلع على ما هم فيه من الشرك والتحريم لما حرموه، وهو قادر على تغييره، فدل على أنه بمشيئته وإرادته ورضاه منا ذلك، ولهذا قال: ﴿لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء﴾ كما في قوله: ﴿وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم﴾ الآية [الزخرف: ٢٠] وكذلك الآية التي في النحل [٣٥] مثل هذا سواء، قال الله تعالى: ﴿كذلك كذب النين من قبلهم﴾ أي: بهذه الشبهة ضل من ضل قبل هؤلاء، وهي حجة داحضة باطلة، لأنها لو كانت صحيحة لما أذاقهم الله بأسه، ودمر عليهم، وأدال رسله الكرام، وأذاق المشركين من أليم الانتقام.

والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون ﴾ يشركون(١).

١٥١ ﴿ قل تعالوا أتل ﴾ أقرأ ﴿ ما حرم ربكم عليكم أ ﴾ ن مفسرة ﴿ لا تشركوا به شيئاً و ﴾ أحسنوا ﴿ بالوالدين إحساناً ولا تقتلوا أولادكم ﴾ بالوأد ﴿ من ﴾ أجل ﴿ إملاق ﴾ فقر تخافونه ﴿ نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ﴾ الكبائر(٢) كالزنا ﴿ ما ظهر منها وما بطن ﴾ أي علانيتها وسرها ﴿ ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ﴾ كالقود(٣) وحد الردة ورجم المحصن(٤) ﴿ ذلكم ﴾ المذكور ﴿ وصاكم به لعلكم تعقلون ﴾ تتدبرون.

١٥٢ ﴿ ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي ﴾ أي بالخصلة التي ﴿ هي أحسن ﴾ وهي ما فيه صلاحه ﴿ حتى يبلغ أشده ﴾ بأن يحتلم(٥) ﴿ وأوفوا الكيل والميزان بالقسط ﴾ بالعدل وترك البخس(٦) ﴿ لا نكلف نفساً إلا وسعها ﴾ طاقتها في ذلك، فإن أخطأ في الكيل والوزن، والله يعلم صحة نيته فلا مؤاخذة عليه(٧)، كما ورد في حديث(٨) ﴿ وإذا قلتم ﴾ في حكم أو غيره ﴿ فاعدلوا ﴾ بالصدق ﴿ ولو كان ﴾ المقول له أو عليه ﴿ ذا قربى ﴾ قرابة ﴿ وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون ﴾ تتعظون، بالتشديد والسكون(٩).

١٥٣ ﴿ وأن ﴾ بالفتح على تقدير اللام، والكسر استئنافاً ﴿ هذا ﴾ الذي وصيتكم به ﴿ صراطي مستقيماً ﴾ حال ﴿ فاتبعوه ولا تتبعوا السبل ﴾ الطرق المخالفة له ﴿ فتفرق ﴾ فيه حذف إحدى التاءين، تميل ﴿ بكم عن سبيله ﴾ دينه ﴿ ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ﴾(١٠).

وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾
۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ
شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ
نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا
وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ
ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ
ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟
ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ
وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ
ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا
صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ
عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾

---

(١) بجعلهم عديلاً له سبحانه، أي مساوياً، ولا عديل له ولا نظير.

(٢) الذنوب الكبيرة المستقبحة، والتي يستحق فاعلها دخول النار إن لم يتب منها.

(٣) القصاص، وهو قتل من قتل عمداً.

(٤) رمي الزاني المتزوج بالحجارة حتى الموت. أخرج البخاري ومسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا يحل دم امرىء مسلم، يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة).
[البخاري: الديات، باب: قول الله تعالى: ﴿أن النفس بالنفس..﴾ رقم: ٦٤٨٤. مسلم: القسامة، باب: ما يباح به دم المسلم، رقم: ١٦٧٦].

(٥) يبلغ، بنزول المني من الذكر، وحيض الأنثى. أو ببلوغ كل منهما خمسة عشر عاماً عند الشافعي رحمه الله تعالى.

(٦) النقص في الكيل أو الوزن.

(٧) أي لا يأثم، وإن كان يضمن ما أخطأ فيه من حقوق الناس.

(٨) (إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه) أخرجه ابن ماجه في الطلاق، باب: طلاق المكره والناسي، رقم: ٢٠٤٥.

(٩) صوابه: والتخفيف، أي بتشديد الذال المفتوحة وعدم تشديدها، ولم يقرأ بسكونها، وأصله: تتذكرون.

(١٠) أخرج الترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: من سره أن ينظر إلى الصحيفة التي عليها خاتم محمد ﷺ فليقرأ هؤلاء الآيات ﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم - إلى قوله - لعلكم تتقون﴾.
[الترمذي: تفسير القرآن، باب: ومن سورة الأنعام، رقم: ٣٠٧٢].

الصحيفة...: أي وصيته لأمته التي أكدها وكررها عليهم، فصارت كأنها صحيفة مكتوبة ممهورة بخاتمه ﷺ، والله تعالى أعلم.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: خط رسول الله ﷺ خطاً بيده، ثم قال: «هذا سبيل الله مستقيماً». وخط عن يمينه وشماله، ثم قال: «هذه السبل، ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه». ثم قرأ: ﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾. [أخرجه أحمد في مسنده: ١/ ٤٦٥. والحاكم في مستدركه: التفسير، تفسير سورة الأنعام: ٢/ ٣١٨، وقال: صحيح].

فائدة: عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت النبي ﷺ: أي الذنب أعظم عند الله ؟ قال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك». قلت: إن ذلك لعظيم، قلت: ثم أي ؟ قال: «وأن تقتل ولدك تخاف أن يطعم معك». قلت: ثم أي ؟ قال: «أن تزاني=

١٥٤ ﴿ ثم آتينا موسى الكتاب ﴾ التوراة، وثم لترتيب الأخبار[1] ﴿ تماماً ﴾ للنعمة ﴿ على الذي أحسن ﴾ بالقيام به ﴿ وتفصيلاً ﴾ بياناً ﴿ لكل شيء ﴾ يحتاج إليه في الدين ﴿ وهدى ورحمة لعلهم ﴾ أي بني إسرائيل ﴿ بلقاء ربهم ﴾ بالبعث ﴿ يؤمنون ﴾.

١٥٥ ﴿ وهذا ﴾ القرآن ﴿ كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه ﴾ يا أهل مكة بالعمل بما فيه ﴿ واتقوا ﴾ الكفر ﴿ لعلكم ترحمون ﴾.

١٥٦ أنزلناه لـ ﴿ أن ﴾ لا ﴿ تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين ﴾ اليهود والنصارى ﴿ من قبلنا وإن ﴾ مخففة واسمها محذوف، أي إنا ﴿ كنا عن دراستهم ﴾ قراءتهم ﴿ لغافلين ﴾ لعدم معرفتنا لها، إذ ليست بلغتنا.

١٥٧ ﴿ أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم ﴾ لجودة أذهاننا ﴿ فقد جاءكم بينة ﴾ بيان ﴿ من ربكم وهدى ورحمة ﴾ لمن اتبعه ﴿ فمن ﴾ أي لا أحد ﴿ أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف ﴾ أعرض ﴿ عنها سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب ﴾ أي أشده ﴿ بما كانوا يصدفون ﴾.

١٥٨ ﴿ هل ينظرون ﴾ ما ينتظر المكذبون ﴿ إلا أن تأتيهم ﴾ بالتاء والياء ﴿ الملائكة ﴾ لقبض أرواحهم ﴿ أو يأتي ربك ﴾ أي أمره، بمعنى عذابه ﴿ أو يأتي بعض آيات ربك ﴾ أي علاماته الدالة على الساعة ﴿ يوم يأتي بعض آيات ربك ﴾ وهي طلوع الشمس من مغربها، كما جاء في حديث الصحيحين[2] ﴿ لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت

ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ
وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ
يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟
لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ
طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾
أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ
فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ
أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِى
ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟
يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ
أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى
بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ

حليلة جارك». [البخاري: التفسير، باب: قوله تعالى: ﴿فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون﴾ / البقرة: ٢٢/ رقم: ٤٢٠٧. مسلم: الإيمان، باب: كون الشرك أقبح الذنوب وبيان أعظمها بعده، رقم: ٨٦] [أعظم: أكثر إثماً وعقاباً. نداً: شريكاً، والند المثل والنظير. أن يطعم معك: أن يأكل معك، وهذا عنوان شدة البخل المتنافي مع الإيمان، إلى جانب الإخلال باعتقاد أن الله تعالى هو الرزاق، مع فظاعة قتل النفس بغير حق، وكلها آثام تستحق العقاب الشديد. تزاني: تزني فيها برضاها، وهذا يدل على أنه سلك معها مسالك الخداع حتى أغراها به، وأفسد على زوجها فراشه واستقراره. حليلة: زوجة، سميت بذلك لأنها تحل له].

وعنه رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «لا أحد أغير من الله، ولذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن. ولا شيء أحب إليه المدح من الله، ولذلك مدح نفسه». [البخاري: التفسير، باب: ﴿ولا تقربوا الفواحش..﴾ / الأنعام: ١٥١/ رقم: ٤٣٥٨. مسلم: التوبة، باب: غيرة الله تعالى وتحريم الفواحش، رقم: ٢٧٦٠] [أغير: من الغيرة، وهي الأنفة والحمية، وغار على أهله حماهن ومنع أن يدخل عليهن أحد من غير المحارم، وغيرة الله تعالى بغضه أن يأتي العبد الفواحش. أحب إليه: أرضى عنده وأكثر قبولاً وثواباً. المدح: الثناء الجميل بذكر نعمه وفضائله].

[1] في الذكر لا في الزمان.

[2] روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا رآها الناس آمن من عليها) وفي رواية (فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون، فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً).
[البخاري: التفسير/الأنعام، باب: ﴿لا ينفع نفساً إيمانها﴾. مسلم: الإيمان، باب: بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان].

عن حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه قال: أشرف علينا رسول الله ﷺ من غرفة، ونحن نتذاكر الساعة، فقال: (لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات: طلوع الشمس من مغربها، والدخان، والدابة، وخروج يأجوج ومأجوج، وخروج عيسى بن مريم، والدجال، وثلاثة خسوف: خسف بالمغرب، وخسف بالمشرق، وخسف بجزيرة العرب. ونار تخرج من قعر عدن تسوق - أو تحشر - الناس، تبيت معهم حيث باتوا، وتقيل معهم حيث قالوا) [مسند أحمد: ٤/٧. مسلم: الفتن، باب: في الآيات التي تكون قبل الساعة].

من قبل ﴾ الجملة(١) صفة النفس ﴿ أو ﴾ نفساً لم تكن ﴿ كسبت في إيمانها خيراً ﴾ طاعة، أي لا تنفعها توبتها، كما في الحديث(٢). ﴿ قل انتظروا ﴾ أحد هذه الأشياء ﴿ إنا منتظرون ﴾ ذلك.

١٥٩ ﴿ إن الذين فرقوا دينهم ﴾ باختلافهم فيه، فأخذوا بعضه وتركوا بعضه ﴿ وكانوا شيعاً ﴾ فرقاً في ذلك، وفي قراءة «فارقوا» أي تركوا دينهم الذي أمروا به، وهم اليهود والنصارى ﴿ لست منهم في شيء ﴾ أي فلا تتعرض لهم ﴿ إنما أمرهم إلى الله ﴾ يتولاه ﴿ ثم ينبئهم ﴾ في الآخرة ﴿ بما كانوا يفعلون ﴾ فيجازيهم به، وهذا منسوخ بآية السيف(٣) /التوبة: ٢٩/.

١٦٠ ﴿ من جاء بالحسنة ﴾ أي لا إله إلا الله ﴿ فله عشر أمثالها ﴾ أي جزاء عشر حسنات ﴿ ومن جاء بالسيئة(٤) فلا يجزى إلا مثلها ﴾ أي جزاءه ﴿ وهم لا يظلمون ﴾ ينقصون من جزائهم شيئاً.

١٦١ ﴿ قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم ﴾ ويبدل من محله(٥) ﴿ ديناً قيماً ﴾ مستقيماً ﴿ ملة إبراهيم حنيفاً(٦) وما كان من المشركين ﴾.

١٦٢ ﴿ قل إن صلاتي ونسكي ﴾ عبادتي من حج وغيره ﴿ ومحياي ﴾ حياتي ﴿ ومماتي ﴾ موتي ﴿ لله رب العالمين لا شريك له ﴾ في ذلك ﴿ وبذلك ﴾ أي التوحيد ﴿ أمرت وأنا أول المسلمين ﴾ من هذه الأمة.

١٦٣ ﴿ قل أغير الله أبغي رباً ﴾ إلهاً، أي لا أطلب غيره ﴿ وهو رب ﴾ مالك ﴿ كل شيء ولا تكسب كل نفس ﴾ ذنباً ﴿ إلا عليها ولا تزر ﴾ تحمل نفس ﴿ وازرة ﴾ آثمة ﴿ وزر ﴾ نفس ﴿ أخرى ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون ﴾.

مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا
مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ
مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟
يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن
جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾
قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ
إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ
صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾
لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾
قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ
كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ
رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾

---

(١) جملة ﴿لم تكن. . ﴾ صفة لقوله ﴿نفساً. . ﴾ أي لا ينفع في ذلك الوقت نفساً غير مؤمنة من قبل إيمانها عند مشاهدتها لما يقع.

(٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه) [مسلم: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: استحباب الاستغفار والاستكثار منه، رقم: ١٧٠٣].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها) [مسلم: التوبة، باب: قبول التوبة من الذنوب. . ، رقم: ٢٧٥٩].

(٣) أي عدم التعرض لأهل الكتاب منسوخ بالآية التي تأمر بدعوتهم إلى الإسلام وقتالهم حتى يسلموا أو يصالحوا المسلمين. والحقيقة أنه لا نسخ في هذا، لأن المراد عدم التعرض لما بينهم من اختلاف في عقائدهم ومذاهبهم، وعدم التدخل بينهم في هذا الشأن، والله أعلم.

(٤) أي الشرك، أو: المراد بالحسنة كل ما أمر الله تعالى به، وبالسيئة كل ما نهى الله تعالى عنه.

(٥) أي يبدل من محل قوله ﴿صراط مستقيم﴾ قوله ﴿ديناً قيماً﴾ لأن محله النصب، والتقدير: هداني ربي صراطاً مستقيماً، ثم أبدل منه ﴿ديناً قيماً﴾. والمعنى: أن الطريق المستقيم الذي هداني الله تعالى إليه هو هذا الدين القويم، الذي يقود من التزمه إلى السلامة والنجاة.

(٦) طريقته وشريعته حال كونه مائلاً عن الضلال إلى الاستقامة.

فائدة: عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ - فيما يروي عن ربه عز وجل - قال: «إن الله كتب الحسنات والسيئات، ثم بين ذلك: فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، فإن هو هم بها وعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات، إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة. ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو هم بها فعملها كتبها الله له سيئة واحدة».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «يقول الله: إذا أراد عبدي أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها، فإن عملها فاكتبوها بمثلها، وإن تركها من أجلي فاكتبوها له حسنة، وإذا أراد أن يعمل حسنة فلم يعملها فاكتبوها له حسنة، فإن عملها فاكتبوها له بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف». [البخاري: الرقاق، باب: من هم بحسنة أو سيئة، رقم: ٦١٢٦. التوحيد: باب: قول الله تعالى: ﴿يريدون أن يبدلوا كلام الله﴾ [الفتح: ١٥] رقم:

١٦٤ ﴿ وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ﴾ جمع خليفة، أي يخلف بعضكم بعضاً فيها ﴿ ورفع بعضكم فوق بعض درجات ﴾ بالمال والجاه وغير ذلك ﴿ ليبلوكم ﴾ ليختبركم ﴿ فيما آتاكم ﴾ أعطاكم، ليظهر المطيع منكم والعاصي ﴿ إن ربكَ سريع العقاب ﴾ لمن عصاه ﴿ وإنه لغفور ﴾ للمؤمنين ﴿ رحيم ﴾ بهم.

(سورة الأعراف)

مكية إلا من آية ١٦٣ إلى غاية ١٧٠ فمدنية، وآياتها ٢٠٥ أو ٢٠٦ نزلت بعد ﴿ صٓ ﴾
بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿ المص ﴾ الله أعلم بمراده بذلك⁽¹⁾. ٢ هذا ﴿ كتاب أنزل إليك ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿ فلا يكن في صدرك حرج ﴾ ضيق ﴿ منه ﴾ أن تبلغه مخافة أن تكذب ﴿ لتنذر ﴾ متعلق بأنزل، أي للإنذار ﴿ به وذكرى ﴾ تذكرة ﴿ للمؤمنين ﴾ به.
٣ قل لهم ﴿ اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ﴾ أي القرآن ﴿ ولا تتبعوا ﴾ تتخذوا ﴿ من دونه ﴾ أي الله، أي غيره ﴿ أولياء ﴾ تطيعونهم في معصيته تعالى ﴿ قليلاً ما تذُّكرون ﴾ بالتاء - والياء⁽²⁾ - تتعظون، وفيه إدغام التاء في الأصل في الذال، وفي قراءة بسكونها⁽³⁾، وما زائدة لتأكيد القلة.
٤ ﴿ وكم ﴾ خبرية⁽⁴⁾ مفعول ﴿ من قرية ﴾ أريد أهلها ﴿ أهلكناها ﴾ أردنا إهلاكها ﴿ فجاءها بأسنا ﴾ عذابنا ﴿ بياتاً ﴾ ليلاً ﴿ أو هم قائلون ﴾ نائمون بالظهيرة، والقيلولة: استراحة نصف النهار وإن لم يكن معها نوم، أي: مرة جاءها ليلاً، ومرة جاءها نهاراً.
٥ ﴿ فما كان دعواهم ﴾ قولهم⁽⁵⁾.

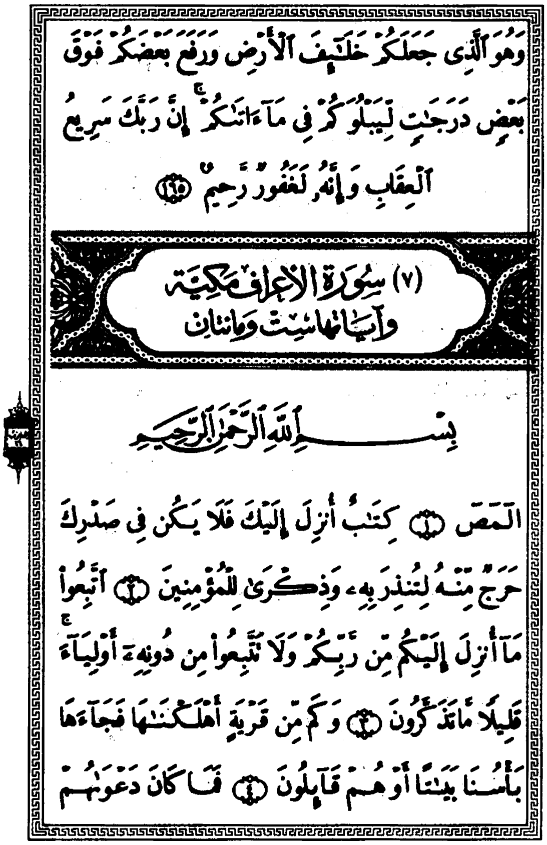

(الجـزء الثامن) ١٩٢

وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ
بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ
ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾

(٧) سُورَةُ الأعرافِ مكيّة
وآياتها ستّ ومائتان

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓصٓ ﴿١﴾ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ
حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱتَّبِعُوا۟
مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ
قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا
بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ﴿٤﴾ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ

---

(١) انظر تفسير: [البقرة: ١].

(٢) ظاهر كلامه أنه توجد قراءة «يذَّكرون» بالياء وتشديد الذال، وذكر أصحاب الحواشي أنه لا وجود لهذه القراءة في السبع، وقالوا: لعل المراد بها قراءة ﴿يتذكرون﴾ بالياء قبل التاء. والذي قاله أصحاب الحواشي هو الذي ذكره صاحب النشر. فلعل في الجملة تقديماً وتأخيراً، وصوابها: بالياء والتاء، والمراد القراءة المذكورة.

(٣) الصحيح بتخفيفها، أي الذال المفتوحة ﴿تذَكرون﴾. وقوله [فيه إدغام التاء..] أي على قراءة ﴿تذَّكرون﴾ فالأصل في اللفظ: تتذكرون، بتاءين. والحاصل أن القراءات المتواترة ثلاث: ﴿يَتَذَكَّرون﴾ ﴿تَذَّكَّرون﴾ ﴿تَذَكَّرون﴾. [النشر].

(٤) بمعنى: كثيراً، وهي مفعول لفعل مقدر بعدها، والتقدير: كثيراً من القرى أهلكنا..

(٥) أي دعاؤهم واستغاثتهم، أو ادعاؤهم.

=٧٠٦٢. مسلم: الإيمان، باب: إذا هم العبد بحسنة كتبت..، رقم: ١٣١]. [كتب: قدر. بين ذلك: وضحها وكشف اللبس عنها وفصل حكمها. هم: حدث نفسه وقصد. من أجلي: امتثالاً لحكمي وخوفاً من عقابي ورغبة في ثوابي].

فائدة: قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿ليبلوكم فيما آتاكم..﴾ أي: ليختبركم في الذي أنعم به عليكم وامتحنكم به، ليختبر الغني في غناه ويسأله عن شكره، والفقير في فقره ويسأله عن صبره. وقوله: ﴿إن ربك لسريع العقاب وإنه لغفور رحيم﴾ ترهيب وترغيب: أن حسابه وعقابه سريع ممن عصاه وخالف رسله. ﴿وإنه لغفور رحيم﴾ لمن والاه واتبع رسله فيما جاؤوا به من خبر وطلب. قال: وكثيراً ما يقرن تعالى في القرآن بين هاتين الصفتين، كما قال، وقوله: ﴿نبيء عبادي أني أنا الغفور الرحيم. وأن عذابي هو العذاب الأليم﴾ [الحجر: ٤٩] ﴿وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب﴾ [الرعد: ٦] وغير ذلك من الآيات المشتملة على الترغيب والترهيب، فتارة يدعو عباده إليه بالرغبة وصفة الجنة والترغيب فيما لديه، وتارة يدعوهم إليه بالرهبة وذكر النار وأنكالها وعذابها والقيامة وأهوالها، وتارة بهذا وبهذا لينجع في كل بحسبه، جعلنا الله ممن أطاعه فيما أمر، وترك ما نهى عنه وزجر، وصدقه فيما أخبر، إنه قريب مجيب سميع الدعاء، جواد كريم وهاب. انتهى.

أخرج أحمد في مسنده [٢/ ٤٨٤]: عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بالجنة أحد. ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من الجنة أحد. خلق الله مائة رحمة، فوضع واحدة بين خلقه يتراحمون بها، وعند الله تسعة وتسعون».

وأخرج مسلم [الرقاق، باب: أكثر أهل الجنة الفقراء..]: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها لينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء».

﴿ إذ جاءهم بأسنا إلا أن قالوا إنا كنا ظالمين ﴾(١).
٦ ﴿فلنسألن الذين أرسل إليهم﴾ أي الأمم، عن إجابتهم الرسل وعملهم فيما بلغهم ﴿ولنسألن المرسلين﴾ عن الإبلاغ.
٧ ﴿ فلنقصن عليهم بعلم ﴾ لنخبرنهم عن علم بما فعلوه ﴿ وما كنا غائبين ﴾ عن إبلاغ الرسل، والأمم الخالية فيما عملوا.
٨ ﴿والوزن﴾ للأعمال أو لصحائفها، بميزان له لسان وكفتان ـ كما ورد في حديث(٢) ـ كائن ﴿يومئذ﴾ أي يوم السؤال المذكور، وهو يوم القيامة ﴿ الحق ﴾ العدل، صفة الوزن ﴿ فمن ثقلت موازينه ﴾ بالحسنات ﴿ فأولئك هم المفلحون ﴾ الفائزون. ٩ ﴿ ومن خفت موازينه ﴾ بالسيئات ﴿ فأولئك الذين خسروا أنفسهم ﴾ بتصييرها إلى النار ﴿ بما كانوا بآياتنا يظلمون ﴾ يجحدون. ١٠ ﴿ ولقد مكناكم ﴾ يا بني آدم ﴿ في الأرض وجعلنا لكم فيها معايش ﴾ بالياء، أسباباً تعيشون بها، جمع معيشة ﴿ قليلاً ما ﴾ لتأكيد القلة(٣) ﴿ تشكرون ﴾ على ذلك.
١١ ﴿ ولقد خلقناكم ﴾ أي أباكم آدم ﴿ ثم صورناكم ﴾ أي صورناه وأنتم في ظهره ﴿ ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ﴾ سجود تحية بالانحناء ﴿ فسجدوا إلا إبليس ﴾ أبا الجن، كان بين الملائكة ﴿ لم يكن من الساجدين ﴾.
١٢ ﴿ قال ﴾ تعالى ﴿ ما منعك أ ﴾ ن ﴿ لا ﴾ زائدة(٤) ﴿ تسجد إذ ﴾ حين ﴿ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ﴾.
١٣ ﴿ قال فاهبط منها ﴾ أي من الجنة، وقيل من السماوات ﴿ فما يكون ﴾ ينبغي ﴿ لك أن تتكبر فيها=

إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٥﴾
فَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرۡسِلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٦﴾
فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيۡهِم بِعِلۡمٖۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾ وَٱلۡوَزۡنُ يَوۡمَئِذٍ
ٱلۡحَقُّۚ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٨﴾
وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم
بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظۡلِمُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ
وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ فِيهَا مَعَٰيِشَۗ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ﴿١٠﴾
وَلَقَدۡ خَلَقۡنَٰكُمۡ ثُمَّ صَوَّرۡنَٰكُمۡ ثُمَّ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ
لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ لَمۡ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾
قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَۖ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ
خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهۡبِطۡ
مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ

---

(١) أي لم يستطيعوا أن يدفعوا العذاب عنهم، ولم يكن منهم إلا الاعتراف بجنايتهم، تحسراً وندامة، وطمعاً في الخلاص والعفو عنهم.
عن عبد الملك بن ميسرة الزراد قال: قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «ما هلك قوم حتى يعذروا من أنفسهم». قال: قلت لعبد الملك: كيف يكون ذلك؟ قال: فقرأ هذه الآية: ﴿فما كان دعواهم إذ جاءهم بأسنا إلا أن قالوا إنا كنا ظالمين﴾ [الطبري في تفسيره. وانظر: مسند أحمد ٤/ ٢٦٠، وسنن أبي داود: الملاحم، باب: الأمر والنهي، رقم: ٤٣٤٧].

(٢) انظر في هذا تفسير ابن جرير الطبري للآية.

(٣) أي ما زائدة لتأكيد معنى القلة.

(٤) لتأكيد معنى النفي في منعك، أي: ما الحامل لك على عدم السجود وانتفائه منك.

فائدة: أخرج ابن كثير في تفسير الآية [٦] من طريق ابن=

قال ابن كثير في تفسيره: فصل: والذي يوضع في الميزان يوم القيامة قيل: الأعمال وإن كانت أعراضاً، إلا أن الله تعالى يقلبها يوم القيامة أجساماً. قال البغوي: يروى هذا عن ابن عباس، كما جاء في الصحيح من أن «البقرة» و «آل عمران» يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان ـ أو: غيايتان ـ أو فرقان من طير صواف. [انظر فضل سورة البقرة]. ومن ذلك في الصحيح: قصة القرآن، وأنه يأتي صاحبه في صورة شاب شاحب اللون، فيقول: «من أنت؟ فيقول: أنا القرآن الذي أسهرت ليلك وأظمأت نهارك» [ابن ماجه: الأدب، باب: ثواب القرآن. الدارمي: فضائل القرآن، باب: في فضل سورة البقرة وآل عمران. مسند أحمد: ٥/ ٣٤٨]. وفي حديث البراء رضي الله عنه في قصة سؤال القبر: «فيأتي المؤمن شاب حسن اللون طيب الريح، فيقول: من أنت؟ فيقول: أنا عملك الصالح». وذكر عكسه في شأن الكافر والمنافق [مسند أحمد: ٢/ ٢٨٧]. وقيل: يوزن كتاب الأعمال، كما جاء في حديث البطاقة، في الرجل الذي يؤتى به ويوضع له في كفه تسعة وتسعون سجلاً كل سجل مد البصر، ثم يؤتى بتلك البطاقة فيها: «لا إله إلا الله» فيقول: يا رب، وما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقول الله تعالى: إنك لا تظلم، فتوضع تلك البطاقة في كفة الميزان. قال رسول الله ﷺ: «فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة» رواه الترمذي بنحو من هذا، وصححه [أبواب الإيمان، باب: فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله]. وقيل: يوزن صاحب العمل، كما في الحديث: «يؤتى يوم القيامة بالرجل السمين، فلا يزن عند الله جناح بعوضة» [البخاري: تفسير سورة الكهف. مسلم: كتاب صفة المنافقين]. ثم قرأ: ﴿فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا﴾ [الكهف: ١٠٥]. وفي مناقب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «أتعجبون من دقة ساقيه، فوالذي نفسي بيده لهما في الميزان أثقل من أحد» [مسند أحمد: ١/ ٤٢]. وقد يمكن الجمع بين هذه الآثار بأن يكون ذلك كله صحيحاً، فتارة توزن الأعمال، وتارة توزن محالها، وتارة يوزن فاعلها، والله أعلم.

فاخرج ﴾ منها ﴿ إنك من الصاغرين ﴾ الذليلين.

١٤ ﴿ قال أنظرني ﴾ أخرني ﴿ إلى يوم يبعثون ﴾ أي الناس.

١٥ ﴿ قال إنك من المنظرين ﴾ وفي آية أخرى «إلى يوم الوقت المعلوم» /ص: ٨١/ أي يوم النفخة الأولى.

١٦ ﴿ قال فبما أغويتني ﴾ أي بإغوائك لي، والباء للقسم، وجوابه ﴿ لأقعدن لهم ﴾ أي لبني آدم ﴿ صراطك المستقيم ﴾ أي على الطريق الموصل إليك(١).

١٧ ﴿ ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ﴾ أي من كل جهة، فأمنعهم من سلوكه. قال ابن عباس: ولا يستطيع أن يأتي من فوقهم، لئلا يحول بين العبد وبين رحمة الله تعالى. ﴿ ولا تجد أكثرهم شاكرين ﴾ مؤمنين. ١٨ ﴿ قال اخرج منها مذؤوماً ﴾ بالهمزة، معيباً أو ممقوتاً ﴿ مدحوراً ﴾ مبعداً عن الرحمة ﴿ لمن تبعك منهم ﴾ من الناس، واللام للابتداء، أو موطئة للقسم، وهو ﴿لأملأن جهنم منكم أجمعين ﴾ أي منك بذريتك ومن الناس، وفيه تغليب الحاضر على الغائب، وفي الجملة معنى جزاء من الشرطية، أي من تبعك أعذبه.

١٩ ﴿ و ﴾ قال ﴿ يا آدم اسكن أنت ﴾ تأكيد للضمير في اسكن ليعطف عليه ﴿ وزوجك ﴾ حواء، بالمد ﴿ الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة ﴾ بالأكل منها، وهي الحنطة ﴿ فتكونا من الظالمين ﴾.

٢٠ ﴿ فوسوس لهما الشيطان ﴾ إبليس ﴿ ليبدي ﴾ يظهر ﴿ لهما ما وُوري ﴾ فوعل، من المواراة(٢) ﴿ عنهما من سوآتهما(٣) وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا ﴾ كراهة ﴿ أن تكونا ملكين ﴾ وقرئ بكسر اللام ﴿ أو تكونا من الخالدين ﴾ أي وذلك لازم عن الأكل منها، كما في آية أخرى: «هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى» / طه: ١٢٠/. ٢١ ﴿ وقاسمهما ﴾ أي أقسم لهما بالله ﴿ إني لكما لمن الناصحين ﴾ في ذلك. ٢٢ ﴿ فدلاهما ﴾ حطهما عن منزلتهما ﴿ بغرور ﴾(٤) منه ﴿ فلما ذاقا

مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿١٤﴾
قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ
لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ
وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ
أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا مَّدۡحُورٗاۖ
لَّمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿١٨﴾
وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ
شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾
فَوَسۡوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ لِيُبۡدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنۡهُمَا مِن
سَوۡءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنۡ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن
تَكُونَا مَلَكَيۡنِ أَوۡ تَكُونَا مِنَ ٱلۡخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ
إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٖۚ فَلَمَّا ذَاقَا

---

(١) أخرج النسائي عن سبرة بن أبي الفاكه رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن الشيطان قعد لابنَ آدم بأطرقة: قعد له في طريق الإسلام، فقال: تسلم وتذر دين آبائك وآباء آبائك، فعصاه، فهاجر. وقعد له بطريق الجهاد فقال: تجاهد، فهو جهد النفس والمال، فتقاتل فتقتل، فتنكح المرأة ويقسم المال. فعصاه وجاهد. قال: فمن فعل ذلك كان حقاً على الله أن يدخله الجنة، وإن غرق كان حقاً على الله أن يدخله الجنة، أو وقصته دابته كان حقاً على الله أن يدخله الجنة). [وقصته: وطأت عنقه][النسائي: الجهاد، باب: ما لمن أسلم وهاجر وجاهد: ٦/٢١].

قال ابن كثير: ولهذا ورد في الحديث الاستعاذة من تسلط الشيطان على الإنسان من جهاته كلها. انتهى.

وهذا الحديث هو ما رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: لم يكن رسول الله ﷺ يدع هؤلاء الدعوات حين يصبح وحين يمسي: «اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة. اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي. اللهم استر عوراتي، وآمن روعاتي. اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي، وعن يميني وعن شمالي، ومن فوقي. وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي» قال: يعني الخسف. [مسند أحمد: ٢/٢٥. أبو داود: الأدب، باب: ما يقول إذا أصبح، رقم: ٥٠٧٤. ابن ماجه: الدعاء، باب: ما يدعو به الرجل إذا أصبح وإذا أمسى، رقم: ٣٨٧١. النسائي: الاستعاذة، باب: الاستعاذة من الخسف].

(٢) الستر والتغطية. (٣) عوراتهما، وكانت مستورة بثياب الجنة.

(٤) هو تصوير الباطل بصورة الحق.

= مردويه: عن ليث، عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام يسأل عن الرجل، والرجل يسأل عن أهله، والمرأة تسأل عن بيت زوجها، والعبد يسأل عن مال سيده». قال الليث: وحدثني ابن طاوس مثله، ثم قرأ: ﴿فلنسألن الذي أرسل إليهم ولنسألن المرسلين﴾. قال ابن كثير: وهذا الحديث مخرج في الصحيحين بدون هذه الزيادة.

أقول: ولفظه فيهما: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته: الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها،=

الشجرة ﴾ أي أكلا منها ﴿ بدت لهما سوآتهما ﴾ أي ظهر لكل منهما قبله وقبل الآخر ودبره، وسمي كل منهما سوأة لأن انكشافه يسوء صاحبه(١) ﴿ وطفقا يخصفان ﴾ أخذا يلزقان ﴿ عليهما من ورق الجنة ﴾ ليستترا به ﴿ وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين ﴾ بين العداوة، والاستفهام للتقرير.

٢٣ ﴿ قالا ربنا ظلمنا أنفسنا ﴾ بمعصيتنا(٢) ﴿ وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ﴾.

٢٤ ﴿ قال اهبطوا ﴾ أي آدم وحواء، بما اشتملتما عليه من ذريتكما ﴿ بعضكم ﴾ بعض الذرية ﴿ لبعض عدو ﴾ من ظلم بعضهم بعضاً ﴿ ولكم في الأرض مستقر ﴾ مكان استقرار ﴿ ومتاع ﴾ تمتع ﴿ إلى حين ﴾ تنقضي فيه آجالكم.

٢٥ ﴿ قال فيها ﴾ أي الأرض ﴿ تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون ﴾ بالبعث، بالبناء للفاعل والمفعول(٣).

٢٦ ﴿ يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً ﴾ أي خلقناه لكم ﴿ يواري ﴾ يستر ﴿ سوآتكم وريشاً ﴾ هو ما يتجمل به من الثياب ﴿ ولباس التقوى ﴾ العمل الصالح والسمت الحسن، بالنصب عطف على لباساً، والرفع مبتدأ خبره جملة ﴿ ذلك خير ذلك من آيات الله ﴾ دلائل قدرته ﴿ لعلهم يذكرون ﴾ فيؤمنوا، فيه التفات عن الخطاب(٤).

٢٧ ﴿ يا بني آدم لا يفتننكم ﴾ يضلنكم ﴿ الشيطان ﴾ أي لا تتبعوه فتفتنوا ﴿ كما أخرج أبويكم ﴾ بفتنته ﴿ من الجنة ينزع ﴾ حال(٥) ﴿ عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما إنه ﴾ أي الشيطان ﴿ يراكم هو وقبيله ﴾ جنوده(٦) ﴿ من حيث لا ترونهم ﴾ للطافة أجسادهم أو عدم ألوانهم ﴿ إنا جعلنا الشياطين

ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا
مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا
ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾
قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ
مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ
وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا
تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ
أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ
ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾
يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ
ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ
هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ

---

(١) ذا الشرف والمروءة والطبع السليم.

(٢) وهذا لا يقدح بعصمة آدم عليه السلام، لأنه كان عن نسيان، قال تعالى: ﴿ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي﴾ /طه: ١١٥/ ومثله ليس بمعصية في حق عامة الناس، فهو من باب: حسنات الأبرار سيئات المقربين.

(٣) أي ﴿ تَخْرُجُون ﴾ و﴿ تُخْرَجُون ﴾.

(٤) أي في قوله ﴿يذكرون﴾ التفات عن الخطاب في قوله ﴿يا بني آدم..﴾ إلى الغيبة إذ قال ﴿يذكرون﴾. وهو تلوين في الكلام يثير انتباه السامع والقارىء، فيكون أدعى إلى التدبر والفهم.

(٥) أي جملة ينزع حال من أبويكم، أو من ضمير أخرج العائد على الشيطان.

(٦) القبيل: ثلاثة فصاعداً من أخلاط شتى، والقبيلة بنو أب واحد. وقيل غير ذلك.

=والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في مال أبيه ومسؤول عن رعيته، وكلكم راع ومسؤول عن رعيته» [البخاري: الجمعة، باب: الجمعة في القرى والمدن، رقم: ٨٥٣، وهذا لفظه. مسلم: الإمارة، باب: فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر، رقم: ١٨٢٩].

فائدة: عن أبي العلاء الشامي قال: لبس أبو أمامة رضي الله عنه ثوباً جديداً، فلما بلغ ترقوته قال: الحمد لله الذي كساني ما أواري به عورتي، وأتجمل به في حياتي. ثم قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ: «من استجد ثوباً فلبسه، فقال حين يبلغ ترقوته: الحمد لله الذي كساني ما أواري به عورتي، وأتجمل به في حياتي، ثم عمد إلى الثوب الذي خلق فتصدق به، كان في ذمة الله، وفي جوار الله، وفي كنف الله حياً وميتاً» [مسند أحمد: ١/ ٤٤].

وعن أبي مطر: أنه رأى علياً رضي الله عنه أتى غلاماً حدثاً، فاشترى منه قميصاً بثلاثة دراهم، ولبسه إلى ما بين الرسغين إلى الكعبين، يقول ولبسه: الحمد لله الذي رزقني من الرياش ما أتجمل به في الناس، وأواري به عورتي. فقيل: هذا شيء ترويه عن نفسك أو عن نبي الله ﷺ؟ قال: هذا شيء سمعته من رسول الله ﷺ، يقول عند الكسوة: «الحمد لله الذي رزقني من الرياش ما أتجمل به في الناس، وأواري به عورتي» [مسند أحمد: ١/ ١٥٧] [يقول ولبسه: هكذا العبارة في كل النسخ المطبوعة، ولعلها: يقول وهو يلبسه، أو: ولبسه وهو يقول، والله أعلم. الرياش: هو ما ظهر من اللباس].

عن الحسن قال: رأيت عثمان بن عفان رضي الله عنه على منبر رسول الله ﷺ عليه قميص قُوهِيّ محلول الزر، وسمعته يأمر بقتل الكلاب، وينهى عن اللعب بالحمام، ثم قال: يا أيها الناس، اتقوا الله في هذه السرائر، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: =

أولياء ﴾ أعواناً وقرناء ﴿ للذين لا يؤمنون ﴾.

٢٨ ﴿ وإذا فعلوا فاحشة ﴾[1] كالشرك، وطوافهم بالبيت عراة، قائلين: لا نطوف في ثياب عصينا الله فيها، فنهوا عنها ﴿ قالوا وجدنا عليها آباءنا ﴾ فاقتدينا بهم ﴿ والله أمرنا بها ﴾ أيضاً ﴿ قل ﴾ لهم ﴿إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون ﴾ أنه قاله؟ استفهام إنكار.

٢٩ ﴿ قل أمر ربي بالقسط ﴾ العدل ﴿ وأقيموا ﴾ معطوف على معنى بالقسط، أي قال: أقسطوا وأقيموا، أو: قبله فاقبلوا مقدراً[2] ﴿ وجوهكم ﴾ لله ﴿ عند كل مسجد ﴾ أي أخلصوا له سجودكم ﴿ وادعوه ﴾ اعبدوه ﴿ مخلصين له الدين ﴾ من الشرك ﴿ كما بدأكم ﴾ خلقكم ولم تكونوا شيئاً ﴿ تعودون ﴾ أي يعيدكم أحياء يوم القيامة.

٣٠﴿ فريقاً ﴾ منكم﴿هدى وفريقاً حق عليهم الضلالة إنهم اتخذوا الشياطين أولياء[3] من دون الله﴾أي غيره ﴿ويحسبون أنهم مهتدون﴾.

٣١ ﴿ يا بني آدم خذوا زينتكم ﴾ ما يستر عورتكم ﴿ عند كل مسجد ﴾ عند الصلاة والطواف ﴿ وكلوا واشربوا ﴾ ما شئتم ﴿ ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين ﴾[4].

٣٢ ﴿ قل ﴾ إنكاراً عليهم ﴿ من حرم زينة الله التي أخرج لعباده ﴾ من اللباس ﴿ والطيبات ﴾ المستلذات ﴿ من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا ﴾ بالاستحقاق، وإن شاركهم فيها غيرهم ﴿ خالصة ﴾ خاصة بهم، بالرفع[5]، والنصب حال ﴿ يوم القيامة كذلك نفصل الآيات ﴾ نبينها مثل ذلك التفصيل ﴿ لقوم

أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟
وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ
بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ
رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ
مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ
وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ۗ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ
أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾
* يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟
وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾
قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ
مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا
خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ

فائدة: قال ابن كثير في تفسير الآية [٣١]: ولهذه الآية، وما ورد في معناها من السنة، يستحب التجمل عند الصلاة، ولا سيما يوم الجمعة ويوم العيد، والطيب لأنه من الزينة، والسواك لأنه من تمام ذلك، ومن أفضل الثياب البياض.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «البسوا من ثيابكم البياض، فإنها من خير ثيابكم، وكفنوا فيها موتاكم. وإن من خير أكحالكم الإثمد، فإنه يجلو البصر، وينبت الشعر». [مسند أحمد: ١/٢٤٧. أبو داود: اللباس، باب: في البياض، رقم: ٤٠٦١. الترمذي: الجنائز، باب: ما يستحب من الأكفان، رقم: ٩٩٤، وفي الطب، باب: ما جاء في السعوط وغيره، رقم: ٢٠٤٩، وغيرهم].

وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عليكم بالثياب البياض فالبسوها، فإنها أطهر وأطيب، وكفنوا فيها موتاكم». [مسند أحمد: ٥/١٣. ابن ماجه: اللباس، باب: البياض من الثياب، رقم: ٣٥٦٧. النسائي: الزينة، باب: الأمر بلبس البيض من الثياب].

سبب نزول الآيتين [٣١-٣٢]: أخرج الواحدي بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان ناس من الأعراب يطوفون بالبيت عراة، حتى إن كانت المرأة لتطوف بالبيت وهي عريانة، فتعلق على سفلاها سيوراً مثل هذه السيور التي تكون على وجوه الحمر من الذباب، وهي تقول:

=(والذي نفس محمد بيده، ما عمل أحد قط سراً إلا ألبسه الله رداء علانية، إن خيراً فخيراً وإن شراً فشراً). ثم تلا هذه الآية: ﴿ وريشاً ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله﴾. [ابن جرير الطبري]. (قوهي: أبيض)

[1] فعلة تستقبحها النفوس ذات الطباع السليمة والعقول القويمة غاية الاستقباح.

[2] التقدير: قل أمر ربي بالقسط، فاقبلوا وأقيموا.

[3] جعلوهم أعواناً لهم ونصراء، يطيعونهم فيما يوسوسون لهم به من المعصية والكفر.

[4] أخرج مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانت المرأة تطوف بالبيت وهي عريانة، فتقول: من يعيرني تطوافاً؟ تجعله على فرجها وهي تقول: اليوم يبدو بعضه أو كله وما بدا منه فلا أحله. فنزلت هذه الآية ﴿ خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾. [مسلم: التفسير، باب: ﴿خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾ رقم: ٣٠٢٨] تطوافاً: خرقة تجعلها على فرجها.

[5] خبر ثانٍ للمبتدأ هي، أو خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هي خالصة.

يعلمون ﴾ يتدبرون، فإنهم المنتفعون بها.

٣٣ ﴿ قل إنما حرم ربي الفواحش ﴾ الكبائر كالزنا ﴿ ما ظهر منها وما بطن ﴾ أي جهرها وسرها ﴿ والإثم ﴾ المعصية ﴿ والبغي ﴾ على الناس ﴿ بغير الحق ﴾ وهو الظلم ﴿ وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به ﴾ بإشراكه ﴿ سلطاناً ﴾ حجة ﴿ وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ﴾ من تحريم ما لم يحرم وغيره(١).

٣٤ ﴿ ولكل أمة أجل ﴾ مدة ﴿ فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ﴾ عنه ﴿ ساعة ولا يستقدمون ﴾ عليه.

٣٥ ﴿ يا بني آدم إما ﴾ فيه إدغام نون إن الشرطية في ما المزيدة ﴿ يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى ﴾ الشرك ﴿وأصلح ﴾ عمله ﴿ فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون ﴾ في الآخرة.

٣٦ ﴿ والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا ﴾ تكبروا ﴿ عنها ﴾ فلم يؤمنوا بها ﴿ أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾.

٣٧ ﴿ فمن ﴾ أي لا أحد ﴿ أظلم ممن افترى(٢) على الله كذباً ﴾ بنسبة الشريك والولد إليه ﴿ أو كذب بآياته ﴾ القرآن ﴿ أولئك ينالهم ﴾ يصيبهم ﴿ نصيبهم ﴾ حظهم ﴿ من الكتاب ﴾ مما كتب لهم في اللوح المحفوظ، من الرزق والأجل وغير ذلك ﴿ حتى إذا جاءتهم رسلنا ﴾ أي الملائكة ﴿ يتوفونهم قالوا ﴾ لهم تبكيتاً(٣) ﴿ أين ما كنتم تدعون ﴾ تعبدون ﴿ من دون الله قالوا ضلوا ﴾ غابوا ﴿ عنا ﴾ فلم نرهم ﴿ وشهدوا على أنفسهم ﴾ عند الموت ﴿ أنهم كانوا كافرين ﴾.

٣٨ ﴿ قال ﴾ تعالى لهم يوم القيامة: ﴿ ادخلوا في ﴾ جملة ﴿ أمم قد خلت(٤) من قبلكم من الجن والإنس في النار ﴾ متعلق بادخلوا ﴿ كلما دخلت أمة ﴾ النار ﴿ لعنت أختها ﴾ التي قبلها لضلالها بها ﴿ حتى إذا اداركوا ﴾ تلاحقوا ﴿ فيها جميعاً قالت أخراهم ﴾ وهم الأتباع ﴿لأولاهم﴾ أي لأجلهم(٥)، وهم المتبوعون ﴿ ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذاباً ضعفاً ﴾ مضعفاً(٦) ﴿ من النار قال ﴾ تعالى: ﴿ لكل ﴾ منكم ومنهم ﴿ ضعف ﴾ عذاب مضعف ﴿ ولكن لا تعلمون ﴾ بالياء والتاء، ما لكل فريق.

١٩٧ (سـورة الأعراف)

يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا
وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ
يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾
وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ
وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ
يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى ۙ فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟
عَنْهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٦﴾ فَمَنْ
أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ
أُو۟لَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ
رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓا۟ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ
ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟

---

(١) روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (لا أحد أغير من الله، من اجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن. ولا أحد أحب إليه المدح من الله، من أجل ذلك مدح نفسه).
[البخاري: التفسير/الأنعام، باب: قوله ﴿ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن﴾ رقم: ٤٣٥٨. مسلم: التوبة، باب: غيرة الله تعالى وتحريم الفواحش، رقم: ٢٧٦٠].

(٢) اختلق.

(٣) توبيخاً وتقريعاً، لا سؤال استعلام.

(٤) سبقت ومضت.

(٥) أي قال الأتباع هذا القول ـ مخاطبين الله عز وجل ـ من أجل متبوعيهم، ليؤاخذوا على إضلالهم لهم.

(٦) أضعافاً لا نهاية لها.

اليوم يبدو بعضه أو كله ... وما بدا منه فلا أحله

فأنزل الله تعالى على نبيه ﷺ: ﴿يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾ فأمروا بلبس الثياب.

[سيور: جمع سَيْر، وهو قطعة جلد ضيقة وطويلة. الحُمُر: جمع حمار. من الذباب: أي كي لا يقع الذباب على فرجها فيؤذيها. يبدو: يظهر. بعضه: أي بعض فرجها. فلا أحله: أي لا أحل لأحد أن ينظر إليه].

وأخرج بسنده أيضاً عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: كانوا إذا حجوا فأفاضوا من منى، لا يصلح لأحد منهم ـ في دينهم الذي أشرعوا ـ أن يطوف في ثوبيه، فأيهم طاف ألقاهما حتى يقضي طوافه وكان عارياً، فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾ إلى قوله تعالى: ﴿يعلمون﴾. أنزلت في شأن الذين يطوفون بالبيت عراة. [فأفاضوا: دفعوا جماعاتٍ كثيرة منها. أشرعوا: ابتدعوه لأنفسهم].

وقال: قال الكلبي: كان أهل الجاهلية لا يأكلون من الطعام إلا قوتاً، ولا يأكلون دسماً في أيام حجهم، يعظمون بذلك حجهم، فقال المسلمون: يا رسول الله، نحن أحق بذلك. فأنزل الله تعالى: ﴿وكلوا﴾ أي اللحم والدسم ﴿واشربوا﴾.

٣٩ ﴿ وقالت أولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل ﴾ لأنكم لم تكفروا بسببنا(١)، فنحن وأنتم سواء. قال تعالى لهم: ﴿ فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون ﴾.

٤٠ ﴿ إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا ﴾ تكبروا ﴿ عنها ﴾ فلم يؤمنوا بها ﴿ لا تفتح لهم أبواب السماء ﴾ إذا عرج بأرواحهم إليها بعد الموت، فيهبط بها إلى سجين(٢)، بخلاف المؤمن: فتفتح له ويصعد بروحه إلى السماء السابعة، كما ورد في حديث(٣) ﴿ ولا يدخلون الجنة حتى يلج ﴾ يدخل ﴿ الجمل في سم الخياط ﴾ ثقب الإبرة، وهو غير ممكن، فكذا دخولهم ﴿ وكذلك ﴾ الجزاء ﴿ نجزي المجرمين ﴾ بالكفر.

٤١ ﴿ لهم من جهنم مهاد ﴾ فراش ﴿ ومن فوقهم غواش ﴾ أغطية من النار، جمع غاشية، وتنوينه عوض من الياء المحذوفة ﴿ وكذلك نجزي الظالمين ﴾.

٤٢ ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ مبتدأ، وقوله: ﴿ لا نكلف نفساً إلا وسعها ﴾ طاقتها من العمل، اعتراض بينه وبين خبره، وهو ﴿ أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ﴾.

كَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾ قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم
مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ
حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ رَبَّنَا
هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلّٖ
ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتۡ أُولَىٰهُمۡ لِأُخۡرَىٰهُمۡ
فَمَا كَانَ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلٖ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ
تَكۡسِبُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا
لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ
ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٤٠﴾
لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٞ وَمِن فَوۡقِهِمۡ غَوَاشٖۚ وَكَذَٰلِكَ
نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ

---

(١) بسبب إكراهنا لكم على الكفر، وإنما كفرتم باختياركم، لأن الكفر يتعلق بالقلب، ولا يمكن فيه الإكراه.

(٢) وادٍ في جهنم تسجن فيه أرواح الكفار.

(٣) أخرج أحمد في مسنده [٢٨٧/٤] عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: خرجنا مع النبي ﷺ في جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولمّا يلحد، فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله وكأن على رؤوسنا الطير، وفي يده عود ينكت في الأرض، فرفع رأسه فقال: (استعيذوا بالله من عذاب القبر) مرتين أو ثلاثاً، ثم قال: (إن العبد المؤمن - إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة - نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه، كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة، حتى يجلسوا منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت عليه السلام حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان. قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء، فيأخذها، فإذا أخذها لم يَدَعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض، قال: فيصعدون بها، فلا يمرون - يعني - بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان بن فلان، بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح لهم، فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها، حتى يُنتهى به إلى السماء السابعة، فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتاب عبدي في عليين، وأعيدوه إلى الأرض، فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى. قال: فتعاد روحه في جسده، فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله ﷺ، فيقولان له: وما عملك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت. فينادي منادٍ في السماء: أن صدق عبدي، فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة. قال: فيأتيه من رَوْحها وطيبها، ويفسح له في قبره مد بصره. قال: ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرك، هذا يومك الذي كنت توعد. فيقول له: من أنت، فوجهك الوجه يجيء بالخير؟ فيقول: أنا عملك الصالح، فيقول: رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي. قال: وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه، معهم المسوح، فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الخبيثة، اخرجي إلى سخط من الله وغضب. قال: فتفرق في جسده، فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها، فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ =

٤٣ ﴿ ونزعنا ما في صدورهم من غل ﴾ حقد كان بينهم في الدنيا ﴿ تجري من تحتهم ﴾ تحت قصورهم ﴿ الأنهار وقالوا ﴾ عند الاستقرار في منازلهم ﴿ الحمد لله الذي هدانا لهذا ﴾ العمل الذي هذا جزاؤه ﴿ وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ﴾ حذف جواب لولا لدلالة ما قبله عليه ﴿ لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا أن ﴾ مخففة أي أنه، أو مفسرة في المواضع الخمسة(١) ﴿ تلكم الجنة أورثتموها(٢) بما كنتم تعملون ﴾.

٤٤ ﴿ ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار ﴾ تقريراً وتبكيتاً(٣) ﴿ أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا ﴾ من الثواب ﴿ حقاً فهل وجدتم ما وعد ﴾ كم ﴿ ربكم ﴾ من العذاب ﴿ حقاً قالوا نعم فأذن مؤذن ﴾ نادى منادٍ ﴿ بينهم ﴾ بين الفريقين، أسمعهم ﴿ أن لعنة الله على الظالمين ﴾.

٤٥ ﴿ الذين يصدون ﴾ الناس ﴿ عن سبيل الله ﴾ دينه ﴿ ويبغونها ﴾ أي يطلبون السبيل ﴿ عوجاً ﴾ معوجة(٤) ﴿ وهم بالآخرة كافرون ﴾.

٤٦ ﴿ وبينهما ﴾ أي أصحاب الجنة والنار ﴿ حجاب ﴾ حاجز(٥)، قيل: هو سور الأعراف ﴿ وعلى الأعراف ﴾(٦) وهو سور الجنة ﴿ رجال ﴾ استوت حسناتهم وسيئاتهم، =

هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ
تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا
لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ
رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا
كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ
أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ
رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا۟ نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ
ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ
وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيْنَهُمَا
حِجَابٌ ۚ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ ۚ
وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا
وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ * وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ

= فيقولون: فلان بن فلان، بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا، حتى ينتهى به إلى السماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿ لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سَم الخياط ﴾. فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى. فتطرح روحه طرحاً، ثم قرأ: ﴿ ومن يشرك بالله فكأنما خرَّ من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق ﴾ [الحج: ٣١] فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه، لا أدري. فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه، لا أدري. فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه، لا أدري. فينادي مناد من السماء: أن كذب، فافرشوا له من النار وافتحوا له باباً إلى النار، فيأتيه من حرها وسَمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه. ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح، فيقول: أبشر بالذي يسوؤك، هذا يومك الذي كنت توعد. فيقول: من أنت، فوجهك الوجه يجيء بالشر؟ فيقول: أنا عملك الخبيث. فيقول: رب لا تقم الساعة).

[يلحد: يحفر، ويشق شق في جانبه. حنوط: ما يجعل على الميت من أنواع الطيب. من في السقاء: من فم وعاء الماء الذي يشرب منه. فيشيعه: يخرج معه لتوديعه. المسوح: جمع مِسح، وهو الثوب الأسود الخشن من الشعر ونحوه. السَّفود: حديدة يشوى بها. يلج: يدخل. سم الخياط: ثقب الإبرة التي يخاط بها. سحيق: عميق بعيد القعر. سمومها: السموم الريح الحارة في النهار].

(١) من هنا وإلى قوله: ﴿أن أفيضوا علينا من الماء﴾.

(٢) أعطيتموها، وأكثرها كالميراث من الكفار، لأنهم كانوا يستحقون أجزاء منها لو آمنوا.

روى مسلم [الجنة وصفة نعيمها، باب: في دوام نعيم أهل الجنة. . ، رقم: ٢٨٣٧] عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما: عن النبي ﷺ قال: (إذا دخل أهل الجنة الجنة ينادي منادٍ: إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً، فذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿ ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون ﴾).

وروى ابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (ما منكم من أحد إلا له منزلان: منزل في الجنة ومنزل في النار، فإذا مات فدخل النار ورث أهل الجنة منزله، فذلك قوله تعالى: ﴿ أولئك هم الوارثون ﴾ /المؤمنون: ١٠/).

[ابن ماجه: الزهد، باب: صفة الجنة، رقم: ٤٣٤١].

(٣) أي ليحملوهم على الإقرار مع التقريع والتوبيخ لهم.

(٤) مائلة عن الحق، بتغييرهم دين الله عز وجل وما شرعه لعباده.

(٥) هو المذكور بقوله تعالى: ﴿فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب﴾/الحديد: ١٣/.

(٦) جمع عُرْف وهو كل مرتفع مشرف.

كما في الحديث⁽¹⁾ ﴿ يعرفون كلاً ﴾ من أهل الجنة والنار ﴿ بسيماهم ﴾ بعلامتهم، وهي: بياض الوجوه للمؤمنين، وسوادها للكافرين، لرؤيتهم لهم، إذ موضعهم عالٍ ﴿ ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم ﴾ قال تعالى: ﴿ لم يدخلوها ﴾ أي أصحاب الأعراف، الجنةَ ﴿ وهم يطمعون ﴾ في دخولها، قال الحسن: لم يطمعهم إلا لكرامة يريدها ربك فقال: قوموا ادخلوا الجنة، فقد غفرت لكم⁽²⁾.

٤٧ ﴿ وإذا صرفت أبصارهم ﴾ أي أصحاب الأعراف ﴿ تلقاء ﴾ جهة ﴿ أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا ﴾ في النار ﴿ مع القوم الظالمين ﴾.

٤٨ ﴿ ونادى أصحاب الأعراف رجالاً ﴾ من أصحاب النار ﴿ يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم ﴾ من النار ﴿ جمعكم ﴾ المال أو كثرتكم ﴿ وما كنتم تستكبرون ﴾ أي واستكباركم عن الإيمان. ويقولون لهم، مشيرين إلى ضعفاء المسلمين:

٤٩ ﴿ أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة ﴾ قد قيل لهم ﴿ ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون ﴾ وقرىء «أدخلوا» بالبناء للمفعول، و «دخلوا». فجملة النفي ⁽³⁾ حال، أي مقولاً لهم ذلك.

٥٠ ﴿ ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا⁽⁴⁾ علينا من الماء أو مما رزقكم الله ﴾ من الطعام ﴿ قالوا إن الله حرمهما ﴾ منعهما ﴿ على الكافرين ﴾.

٥١ ﴿ الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً وغرتهم الحياة الدنيا⁽⁵⁾ فاليوم ننساهم ﴾ نتركهم في النار ﴿ كما نسوا لقاء يومهم هذا ﴾ بتركهم العمل له ﴿ وما كانوا بآياتنا يجحدون ﴾ أي وكما جحدوا.

٥٢ ﴿ ولقد جئناهم ﴾ أي أهل مكة ﴿ بكتاب ﴾ قرآن ﴿ فصلناه ﴾ بيناه بالأخبار والوعد والوعيد ﴿ على علم ﴾ حال، أي عالمين بما فصل فيه ﴿ هدى ﴾ حال من الهاء ﴿ ورحمة لقوم يؤمنون ﴾ به.

٥٣ ﴿ هل ينظرون ﴾ ما ينتظرون ﴿ إلا تأويله ﴾ عاقبة ما فيه⁽⁶⁾ ﴿ يوم يأتي تأويله ﴾ هو يوم القيامة ﴿ يقول الذين نسوه من

أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾
وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمۡ
قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٨﴾
أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ
لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ
ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا
رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾
ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ
فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ
بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴿٥١﴾ وَلَقَدۡ جِئۡنَٰهُم بِكِتَٰبٖ فَصَّلۡنَٰهُ
عَلَىٰ عِلۡمٍ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلۡ يَنظُرُونَ
إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن

---

(١) روي عن حذيفة رضي الله عنه: أنه سئل عن أصحاب الأعراف فقال: هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم، فقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة، وتخلفت بهم حسناتهم عن النار، فوقفوا هنالك على السور حتى يقضي الله تعالى فيهم. [انظر تفسير الطبري].

وذكر ابن كثير في تفسيره حديثاً رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سئل رسول الله ﷺ عمن استوت حسناته وسيئاته، فقال: «أولئك أصحاب الأعراف، لم يدخلوها وهم يطمعون». وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه.

(٢) المستدرك: التفسير/تفسير سورة الأعراف [٢/ ٣٢٠].

(٣) وهي: لا خوف..

(٤) صبوا وألقوا. عن أبي موسى الصفار قال: سألت ابن عباس رضي الله عنه: أي الصدقة أفضل؟ فقال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل الصدقة الماء، ألم تسمع إلى أهل النار لما استغاثوا بأهل الجنة قالوا: أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله». [ابن كثير عن ابن أبي حاتم].

(٥) خدعهم ما فيها من عاجل المتاع، وشغلهم عما يعنيهم من أمر دينهم. أو : تلاعبوا بما شرع لهم ولهوا عنه ، وخدعوا بما هم فيه. جاء في الحديث الصحيح: «فيلقى العبد فيقول: ألم أكرمك واسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل، وأذرك ترأس وتربع؟ فيقول: بلى، قال: فيقول: أفظننت أنك ملاقي؟ فيقول: لا، فيقول: فإني أنساك كما نسيتني». [مسلم: الزهد والرقائق، حديث: ٢٩٦٨] [تربع: تأخذ الرباع، وهو ربع الغنيمة كانت تأخذه الملوك في الجاهلية].

(٦) وما يؤول إليه من بيان صدقه، وتحقق ما وعد به من الثواب للمؤمنين، والعذاب للكافرين والفاسقين.

قبل ﴾ تركوا الإيمان به ﴿ قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو ﴾ هل ﴿ نرد ﴾ إلى الدنيا ﴿ فنعمل غير الذي كنا نعمل ﴾ نوحد الله ونترك الشرك؟ فيقال لهم: لا، قال تعالى: ﴿ قد خسروا أنفسهم ﴾ إذ صاروا إلى الهلاك ﴿ وضل ﴾ ذهب ﴿ عنهم ما كانوا يفترون ﴾ من دعوى الشريك(١).

٥٤ ﴿ إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ﴾ من أيام الدنيا، أي في قدرها، لأنه لم يكن ثَمَّ شمس، ولو شاء خلقهن في لمحة، والعدول عنه لتعليم خلقه التثبت ﴿ ثم استوى على العرش ﴾ هو في اللغة سرير الملك، استواءً يليق به ﴿يغشّي الليل النهار﴾ مخففاً ومشدداً(٢)، أي يغطي كلاً منهما بالآخر ﴿يطلبه﴾ يطلب كل منهما الآخر طلباً ﴿ حثيثاً ﴾ سريعاً ﴿ والشمس والقمر والنجوم ﴾ بالنصب عطفاً على السماوات، والرفع مبتدأ خبره ﴿ مسخرات ﴾ مذللات ﴿ بأمره ﴾ بقدرته ﴿ ألا له الخلق ﴾ جميعاً ﴿ والأمر ﴾ كله ﴿ تبارك ﴾ تعاظم ﴿ الله رب ﴾ مالك ﴿ العالمين ﴾.

٥٥ ﴿ ادعوا ربكم تضرعاً ﴾ حال، تذللاً ﴿ وخفية ﴾ سراً(٣) ﴿ إنه لا يحب المعتدين ﴾ في الدعاء، بالتشدق(٤) ورفع الصوت.

قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن
شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ
قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾
إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ
أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ
حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ
أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾
ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾
وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا
وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَهُوَ
ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ
إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ

٥٦ ﴿ ولا تفسدوا في الأرض ﴾ بالشرك والمعاصي ﴿ بعد إصلاحها ﴾ ببعث الرسل ﴿ وادعوه خوفاً ﴾ من عقابه ﴿ وطمعاً ﴾ في رحمته ﴿ إن رحمت الله قريب من المحسنين ﴾ المطيعين، وتذكير قريب المخبر به عن رحمة لإضافتها إلى الله تعالى.

٥٧ ﴿ وهو الذي يرسل الرياح نُشُراً بين يدي رحمته ﴾ أي متفرقة قدام المطر، وفي قراءة بسكون الشين تخفيفاً، وفي أخرى بسكونها وفتح النون مصدراً(٥)، وفي أخرى بسكونها وضم الموحدة بدل النون، أي مبشراً(٦). ومفرد الأولى نَشور كرسول، والأخيرة بشير ﴿ حتى إذا أقلت ﴾ حملت الرياح ﴿ سحاباً ثقالاً ﴾ بالمطر ﴿ سقناه ﴾ أي السحاب، وفيه التفات عن الغيبة ﴿ لبلد ميت ﴾ لا نبات به، أي لإحيائه ﴿ فأنزلنا به ﴾ بالبلد

---

(١) يختلقون ويكذبون بدعواهم أن الأصنام تنفعهم.

(٢) اي ﴿ يُغْشِي ﴾ و﴿ يُغَشِّي ﴾.

(٣) روى البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ فجعل الناس يجهرون بالتكبير، فقال رسول الله ﷺ: (أيها الناس، اربعوا على انفسكم إنكم لا تدعون اصم ولا غائباً، إنكم تدعون سميعاً بصيراً وهو معكم، والذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته) قال أبو موسى: وأنا خلفه أقول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم في نفسي، فقال: (يا عبد الله بن قيس، الا أدلك على كنز من كنوز الجنة) قلت: بلى يا رسول الله، قال: (لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم). [اربعوا على انفسكم: ارفقوا بها].

[البخاري: المغازي، باب: غزوة خيبر، رقم: ٣٩٦٨. مسلم: الذكر والدعاء والتوبة، باب: استحباب خفض الصوت بالذكر، رقم: ٢٧٠٤].

(٤) التشدق: كثرة الكلام مع تمطيطه والتفصح به من غير حضور في القلب. عن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه أنه سمع ابنه يقول: اللهم إني أسألك القصر الأبيض عن يمين الجنة إذا دخلتها، قال: أي بني، سل الله الجنة وتعوذ به من النار، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إنه سيكون في هذه الأمة قوم يعتدون في الطهور والدعاء) أخرجه ابو داود: [الطهارة، باب: الإسراف في الماء، رقم: ٩٦] والاعتداء مجاوزة الحد في كل شيء، والزيادة أو النقص عما جاء به الشرع.

(٥) بمعنى اسم الفاعل، اي ناشرة للسحاب الذي فيه المطر.

(٦) بنزول الأمطار. فالقراءات أربعة: ﴿نُشُراً﴾ ﴿نُشْراً﴾ ﴿نَشْراً﴾ ﴿بُشْراً﴾. [النشر].

فائدة: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال: «خلق الله عز وجل التربة يوم السبت، وخلق فيها=

﴿ الماء فأخرجنا به ﴾ بالماء ﴿ من كل الثمرات كذلك ﴾ الإخراج ﴿ نخرج الموتى ﴾ من قبورهم بالإحياء ﴿ لعلكم تذكرون ﴾ فتؤمنوا.

٥٨ ﴿ والبلد الطيب ﴾ العذب التراب(١) ﴿ يخرج نباته ﴾ حسناً ﴿ بإذن ربه ﴾ هذا مثل للمؤمن يسمع الموعظة فينتفع بها ﴿ والذي خبث ﴾ ترابه ﴿ لا يخرج ﴾ نباته ﴿ إلا نكداً ﴾ عسراً بمشقة(٢)، وهذا مثل للكافر(٣) ﴿ كذلك ﴾ كما بينا ما ذكر ﴿ نصرف ﴾ نبين ﴿ الآيات لقوم يشكرون ﴾ الله فيؤمنون.

٥٩ ﴿ لقد ﴾ جواب قسم محذوف ﴿ أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره ﴾ بالجر صفة لإله، وبالرفع بدل من محله(٤) ﴿ إني أخاف عليكم ﴾ إن عبدتم غيره ﴿ عذاب يوم عظيم ﴾ هو يوم القيامة.

٦٠ ﴿ قال الملأ ﴾ الأشراف(٥) ﴿ من قومه إنا لنراك في ضلال مبين ﴾ بيِّن.

٦١ ﴿ قال يا قوم ليس بي ضلالة ﴾ هي أعم من الضلال، فنفيها أبلغ من نفيه ﴿ ولكني رسول من رب العالمين ﴾.

٦٢ ﴿أبلِغكم﴾ بالتخفيف والتشديد(٦) ﴿رسالات ربي وأنصح﴾أريد﴿لكم﴾الخير ﴿وأعلم من الله ما لا تعلمون﴾.

٦٣ ﴿ أ ﴾ كذبتم ﴿ وعجبتم أن جاءكم ذكر ﴾ موعظة ﴿ من ربكم على ﴾ لسان ﴿ رجل منكم لينذركم ﴾ العذاب إن لم تؤمنوا ﴿ ولتتقوا ﴾ الله ﴿ ولعلكم ترحمون ﴾ بها.

٦٤ ﴿ فكذبوه فأنجيناه والذين معه ﴾ من الغرق ﴿ في الفلك ﴾ السفينة ﴿ وأغرقنا الذين

ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ
ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ
بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ
نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ
قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ
إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ
مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ
لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾
أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا
تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ
رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾
فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ

---

(١) أي تربته سهلة سمحة تقبل الماء وتنبت العشب والزرع.

(٢) أي لا ينبت، وإذا نبت كان لا خير فيه ولا نفع.

(٣) أخرج البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إن مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً، فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله تعالى بها الناس، فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأً، فذلك مثل من فقه في دين الله عزّ وجلّ ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم، ومن لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله تعالى الذي أرسلت به).

[البخاري: العلم، باب: فضل من علم وعلم، رقم: ٧٩. مسلم: الفضائل، باب: بيان مثل ما بعث به النبي ﷺ من الهدى والعلم، رقم: ٢٢٨٢].

(٤) لأنه مجرور لفظاً بحرف الجر الزائد من، مرفوع محلاً على انه مبتدأ.

(٥) سموا بذلك لأنهم يملؤون المجالس بأجسامهم والعيون بأبهتهم.

(٦) أي ﴿أبلِغكم﴾ بتخفيف اللام المكسورة، و﴿أبلِّغكم﴾ بتشديدها.

= الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الاثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم ـ عليه السلام ـ بعد العصر من يوم الجمعة، في آخر ساعة من ساعات الجمعة، فيما بين العصر إلى الليل».

[مسلم: صفات المنافقين وأحكامهم، باب: ابتداء الخلق وخلق آدم عليه السلام، رقم: ٢٧٨٩].

وعن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: دخلت على النبي ﷺ وعقلت ناقتي بالباب، فأتاه ناس من بني تميم فقال: «اقبلوا البشرى يا بني تميم». قالوا: قد بشرتنا فأعطنا، مرتين. ثم دخل عليه ناس من أهل اليمن، فقال: «اقبلوا البشرى يا أهل اليمن، إذ لم يقبلها بنو تميم». قالوا: قد قبلنا يارسول الله، قالوا: = جئناك نسألك عن هذا الأمر؟ قال: «كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، خلق السماوات والأرض». فنادى مناد: ذهبت ناقتك يا ابن الحصين، فانطلقت فإذا هي يقطع دونها السراب، فوالله لوددت أني كنت تركتها.

[البخاري: بدء الخلق، باب: ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده﴾ /الروم: ٢٧/، رقم: ٣٠١٩]

[عقلت: ثنى إحدى قوائمها وربطها بحبل. البشرى: بما يكون لكم من حسن العاقبة عند الله تعالى بعد الإيمان. الأمر: الحاضر الوجود وعن أحوال العالم. الذكر: اللوح المحفوظ. يقطع: يحول بيني وبينها، والسراب ما يرى نصف النهار كأنه ماء، والمراد بعدها عنه].

وعن عبد العزيز الشامي، عن أبيه ـ وكانت له صحبة ـ قال: =

كذبوا بآياتنا ﴾ بالطوفان ﴿ إنهم كانوا قوماً عمين ﴾(١) عن الحق.

٦٥ ﴿ و ﴾ أرسلنا ﴿ إلى عاد ﴾ الأولى(٢) ﴿ أخاهم(٣) هوداً قال يا قوم اعبدوا الله ﴾ وحده ﴿ ما لكم من إله غيره أفلا تتقون ﴾ تخافونه فتؤمنوا.

٦٦ ﴿ قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنراك في سفاهة ﴾ جهالة ﴿ وإنا لنظنك من الكاذبين ﴾ في رسالتك.

٦٧ ﴿ قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين ﴾.

٦٨ ﴿ أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح(٤) أمين ﴾ مأمون على الرسالة.

٦٨ ﴿ أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على ﴾ لسان ﴿ رجل منكم لينذركم واذكروا إذ جعلكم خلفاء ﴾ في الأرض ﴿ من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة ﴾ قوة وطولاً، وكان طويلهم مائة ذراع، وقصيرهم ستين ﴿ فاذكروا آلاء الله ﴾ نعمه ﴿ لعلكم تفلحون ﴾ تفوزون.

٧٠ ﴿ قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ﴾ نترك ﴿ ما كان يعبد آباؤنا فأتنا بما تعدنا ﴾ به من العذاب ﴿ إن كنت من الصادقين ﴾ في قولك.

٧١ ﴿ قال قد وقع ﴾ وجب ﴿ عليكم من ربكم

كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ
أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ
أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا
لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾
قَالَ يَـٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَـٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ
ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ
أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ
مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ
قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ
ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ
وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ
مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ

قال رسول الله ﷺ: «من لم يحمد الله على ما عمل من عمل صالح، وحمد نفسه، فقد كفر وحبط عمله. ومن زعم أن الله جعل للعباد من الأمر شيئاً فقد كفر بما أنزل الله على أنبيائه، لقوله: ﴿ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين﴾» [ابن جرير في تفسيره]. كفر: أي جحد بنعمة الله تعالى عليه. حبط: بطل وذهب ثوابه.

(١) أصله عميين، جمع عَمِي وهو أعمى البصيرة، حذفت الياء الأولى تخفيفاً.

قال ابن كثير: وهذه سنة الله في عباده في الدنيا والآخرة: أن العاقبة للمتقين والظفر والغلب لهم، كما أهلك قوم نوح بالغرق ونجى نوحاً وأصحابه المؤمنين.

(٢) احتراز عن عاد الثانية، وهم قوم صالح.

(٣) واحداً منهم. قال ابن كثير في تفسيره: قلت: وهؤلاء هم عاد الأولى الذين ذكرهم الله، وهم أولاد عاد بن إرم الذين كانوا يأوون إلى العَمَد في البر، كما قال تعالى: ﴿ألم تر كيف فعل ربك بعاد. إرم ذات العماد. التي لم يخلق مثلها في البلاد﴾ [الفجر: ٦ـ٨] وذلك لشدة بأسهم وقوتهم، كما قال تعالى: ﴿فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون﴾ [فصلت: ١٥]. وقد كانت مساكنهم باليمن بالأحقاف، وهي جبال الرمل.

قال محمد بن إسحاق، عن محمد بن عبد الله بن أبي سعيد الخزاعي، عن أبي الطفيل عامر بن واثلة، سمعت علي بن أبي طالب يقول لرجل من حضرموت: هل رأيت كثيباً أحمر، تخالطه مدرة حمراء، ذا أراك وسدر كثير، بناحية كذا وكذا من أرض حضرموت، هل رأيته؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، والله إنك لتنعته نعت رجل قد رآه. قال: لا، ولكن قد حدثت عنه. فقال الحضرمي: وما شأنه يا أمير المؤمنين؟ قال: فيه قبر هود عليه السلام. رواه ابن جرير. قال ابن كثير: وهذا فيه فائدة أن مساكنهم كانت باليمن، وأن هوداً عليه السلام دفن هناك، وقد كان من أشرف قومه نسباً، لأن الرسل إنما يبعثهم الله من أفضل القبائل وأشرفهم، ولكن كان قومه كما شدد خلقهم شدد على قلوبهم، وكانوا من أشد الأمم تكذيباً للحق، ولهذا دعاهم هود عليه السلام إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وإلى طاعته وتقواه. [كثيباً: رملاً مجتمعاً. مدرة: واحدة المدر، وهو الطين المتلبد. أراك وسدر: نوعان من شجر البوادي].

(٤) المعنى: أبلغكم جميع تكاليف الله وشرائعه، وأرشدكم إلى الوجه الأصلح والأصوب لكم، وأدعوكم إلى ما دعاني إليه، وأحب لكم ما أحب لنفسي. قيل: الفرق بين إبلاغ الرسالة وبين النصيحة هو: أن تبليغ الرسالة أن يعرفهم جميع أوامر الله تعالى ونواهيه وجميع أنواع التكاليف التي أوجبها الله تعالى عليهم، وأما النصيحة فهو أن يرغبهم في قبول تلك الأوامر والنواهي والعبادات ويحذرهم عقابه إن عصوه.

جاء في حديث مسلم الطويل في [الحج، باب: حجة النبي ﷺ، رقم: ١٢١٨]: فأجاز رسول الله ﷺ حتى أتى عرفة، فوجد القبة قد ضربت له بنمرة، فنزل بها، حتى إذا زاغت الشمس أمر بالقصواء فرحلت له، فأتى بطن الوادي فخطب الناس وقال:

رجس﴾عذاب﴿ وغضب أتجادلونني في أسماء سميتموها ﴾ أي سميتم بها ﴿ أنتم وآباؤكم ﴾ أصناماً تعبدونها ﴿ ما نزل الله بها ﴾ أي بعبادتها ﴿ من سلطان ﴾ حجة وبرهان ﴿ فانتظروا ﴾ العذاب ﴿إني معكم من المنتظرين ﴾ ذلكم بتكذيبكم لي، فأرسلت عليهم الريح العقيم(١).

٧٢ ﴿ فأنجيناه ﴾ أي هوداً ﴿ والذين معه ﴾ من المؤمنين ﴿ برحمة منا وقطعنا دابر ﴾ القوم ﴿ الذين كذبوا بآياتنا ﴾ أي استأصلناهم(٢) ﴿ وما كانوا مؤمنين ﴾ عطف على كذبوا.

٧٣ ﴿ و ﴾ أرسلنا ﴿ إلى ثمود ﴾ بترك الصرف مراداً به القبيلة(٣) ﴿ أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة ﴾ معجزة ﴿ من ربكم ﴾ على صدقي ﴿ هذه ناقة الله(٤) لكم آية ﴾ حال عاملها معنى الإشارة(٥)، وكانوا سألوه أن يخرجها لهم من صخرة عينوها ﴿ فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء ﴾ بعقر أو ضرب(٦) ﴿ فيأخذكم عذاب أليم ﴾.

٧٤ ﴿ واذكروا إذ جعلكم خلفاء ﴾ في الأرض ﴿ من بعد عاد وبوأكم ﴾ أسكنكم ﴿ في الأرض تتخذون(٧) من سهولها قصوراً ﴾ تسكنونها في الصيف ﴿ وتنحتون الجبال بيوتاً ﴾ تسكنونها في الشتاء، ونصبه على الحال المقدرة(٨) ﴿ فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين ﴾(٩).

٧٥ ﴿ قال الملأ الذين استكبروا من قومه ﴾ تكبروا عن الإيمان به ﴿ للذين استضعفوا

رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ
وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم
مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا
وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾
وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم
مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِۦ
نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِيٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا
تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ وَٱذْكُرُوٓاْ
إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ
تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا
فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾
قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ

«إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم، كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا. ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع، ودماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث، كان مسترضعاً في بني سعد فقتلته هذيل. وربا الجاهلية موضوع، وأول ربا أضع ربانا ـ ربا عباس بن عبد المطلب ـ فإنه موضوع كله. فاتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمان الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرح، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف. وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به: كتاب الله. وأنتم تسألون عني، فما أنتم قائلون». قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت. فقال بأصبعه السبابة، يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس: «اللهم اشهد، اللهم اشهد» ثلاث مرات. [القبة: الخيمة. نمرة: موضع قرب عرفة وليس منها. زاغت: مالت عن وسط السماء. بأمان الله: أي هن أمانة عندكم. بكلمة الله: هي العقد الذي شرعه الله تعالى سبباً لحل استمتاع الزوجين. مبرح: شديد شاق. فقال: أشار. ينكتها: يقلبها ويردها].

(١) وهي التي لا خير فيها، لأنها لا تحمل المطر ولا تلقح الشجر، وإنما تحمل العذاب والدمار. انظر/ الذاريات: ٤١ ـ ٤٢/.

(٢) فلم نبق منهم أحداً، والدابر الآخر، فإذا قطع فقد قطع ما قبله، وحصل الاستئصال وهو الاستيعاب بالقطع.

(٣) أي فيجتمع فيه العلمية والتأنيث، فيمنع من الصرف.

(٤) أضيفت إلى الله تعالى تشريفاً وتعظيماً لحقها، لأنها جاءت من جهته بلدون واسطة معتادة، فكانت معجزة عظيمة.

(٥) أي قوله ﴿آية﴾ منصوبة على أنها حال من ﴿ناقة الله﴾ والعامل فيها النصب ما في الإشارة بقوله ﴿هذه﴾ من معنى الفعل، والمعنى: أشير إلى ناقة الله، حالَ كونها خارقة لما ألفتموه من أمثالها، دالةً بحالها على صدق نبوتي.

(٦) أو غيرهما، كالمنع من الرعي أو الشرب. والعقر في الأصل: قطع قوائم البعير أو الناقة لتقع فتنحر، والمراد هنا النحر، وهو الذبح.

(٧) تعملون وتصنعون.

(٨) أي مقدرين أنها ستكون قصوراً وبيوتاً، لأنها لا تصير كذلك إلا بعد صنعها ونحتها.

(٩) لا تسيروا في الأرض ناشرين فيها الفساد، والعُتُوّ أشد الفساد.

فائدة: قال ابن كثير في تفسيره: قال علماء التفسير والنسب: ثمود بن عاثر بن إرم بن سام بن نوح، وهو أخو جَديس بن عاثر، وكذلك قبيلة طسْم، كل هؤلاء كانوا أحياء من العرب العاربة قبل إبراهيم الخليل عليه السلام. وكانت ثمود بعد عاد، ومساكنهم=

لمن آمن منهم ﴾ أي من قومه، بدل مما قبله بإعادة الجار ﴿ أتعلمون أن صالحاً مرسل من ربه ﴾ إليكم ﴿ قالوا ﴾ نعم ﴿ إنا بما أرسل به مؤمنون ﴾.

٧٦ ﴿ قال الذين استكبروا إنا بالذي آمنتم به كافرون ﴾.

٧٧ وكانت الناقة لها يوم في الماء ولهم يوم، فملوا ذلك ﴿فعقروا الناقة﴾(١) عقرها قدار بأمرهم، بأن قتلها بالسيف ﴿ وعتوا عن أمر ربهم(٢) وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ﴾ به من العذاب على قتلها ﴿ إن كنت من المرسلين ﴾.

٧٨ ﴿ فأخذتهم الرجفة ﴾ الزلزلة الشديدة من الأرض، والصيحة من السماء ﴿ فأصبحوا في دارهم جاثمين ﴾ باركين على الركب ميتين(٣).

٧٩ ﴿ فتولى ﴾ أعرض صالح ﴿ عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين ﴾(٤).

٨٠ ﴿ و ﴾ اذكر ﴿ لوطاً ﴾ ويبدل منه ﴿ إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ﴾ أي أدبار الرجال ﴿ ما سبقكم بها من أحد من العالمين ﴾ الإنس والجن.

٨١ ﴿ إنكم ﴾ وفي قراءة «أئنكم» بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية، وإدخال الألف بينهما على الوجهين ﴿ لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون ﴾ متجاوزون الحلال إلى الحرام.

٨٢ ﴿ وما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم ﴾ أي لوطاً وأتباعه ﴿ من قريتكم إنهم أناس يتطهرون ﴾(٥) من أدبار الرجال.

٨٣ ﴿ فأنجيناه وأهله إلا امرأته

لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَـٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ
قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟
إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَـٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟
عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَـٰصَـٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ
مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ
جَـٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَـٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ
رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَـٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾
وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا
مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً
مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ
جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ
إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ

---

(١) ذبحوها نحراً، وهو الذبح في أسفل العنق.

(٢) خالفوه وتولوا عنه واستكبروا. والعتو الغلو في الباطل والتكبر عن الحق.

(٣) وجثم أيضاً: لزم مكانه ولم يبرح، أو وقع على صدره.

(٤) وهذا الإعراض والقول: يحتمل أنه قبل هلاكهم، ففي الآيات تقديم وتأخير. ويحتمل أنه بعد موتهم، خاطبهم به توبيخاً كما خاطب رسول الله ﷺ قتلى المشركين يوم بدر، فجعل يناديهم بأسمائهم، فقال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله، كيف يسمعوا وأنى يجيبوا وقد جيفوا؟ فقال: (والذي نفسي بيده، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكن لا يقدرون أن يجيبوا) أخرجه مسلم في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه، رقم: ٢٨٧٤.

وقوله [يسمعوا ويجيبوا] هكذا الرواية بدون نون، ولم يسبقهما جازم أو ناصب، وهي لغة صحيحة، وإن كانت قليلة الاستعمال. وقوله [جيفوا] أي صاروا جيفاً، أي جثثاً لا حياة فيها بدأت تنتن وتَفْسُد.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما مر رسول الله ﷺ بوادي عسفان حين حج قال: «يا أبا بكر، أي واد هذا ؟». قال: هذا وادي عسفان. قال: «لقد مر به هود وصالح عليهما السلام على بكرات حُمرٍ خُطُمها الليف، أُزُرُهم العباء، وأرديتهم النمار، يلبون، يحجون البيت العتيق». [مسند أحمد: ١/ ٢٣٢] [بكرات: جمع بكرة، مؤنث بكر، وهو الفتي من الإبل. الخطم: جمع خطام، وهو الحبل الذي يقاد به البعير. النمار: جمع نمرة، وهي شملة مخططة].

(٥) يتنزهون ويترفعون عن فعلكم وغيره من المعاصي.

=مشهورة فيما بين الحجاز والشام إلى وادي القرى وما حوله، وقد مر رسول الله ﷺ على قراهم ومساكنهم، وهو ذاهب إلى تبوك سنة تسع.

أخرج أحمد في مسنده [٢/ ١١٧]: عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لما نزل رسول الله ﷺ بالناس عام تبوك، نزل بهم الحجر عند بيوت ثمود، فاستقى الناس من الآبار التي كانت تشرب منها ثمود، فعجنوا منها ونصبوا منها القدور باللحم، فأمرهم النبي ﷺ فأهراقوا القدور، وعلفوا العجين الإبل، ثم ارتحل بهم حتى نزل بهم على البئر التي كانت تشرب منها الناقة، ونهاهم أن يدخلوا على القوم الذين عذبوا وقال: «إني أخشى أن يصيبكم مثل ما أصابهم، فلا تدخلوا عليهم».

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ==

كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ
كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ
شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ
قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ
وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ
بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾
وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ
ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا
فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾
وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ
وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ فَٱصْبِرُوا۟ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ
خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾ ۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟

كانت من الغابرين ﴾ الباقين في العذاب.

٨٤ ﴿ وأمطرنا عليهم مطراً ﴾ هو حجارة السجيل(١) فأهلكتهم ﴿ فانظر كيف كان عاقبة المجرمين ﴾.

٨٥ ﴿ و ﴾ أرسلنا ﴿ إلى مدين أخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة ﴾ معجزة ﴿ من ربكم ﴾ على صدقي ﴿ فأوفوا ﴾ أتموا ﴿ الكيل والميزان ولا تبخسوا ﴾ تنقصوا ﴿ الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض ﴾ بالكفر والمعاصي ﴿ بعد إصلاحها ﴾ ببعث الرسل ﴿ ذلكم ﴾ المذكور ﴿ خير لكم إن كنتم مؤمنين ﴾ مريدي الإيمان فبادروا إليه.

٨٦ ﴿ ولا تقعدوا بكل صراط ﴾ طريق ﴿ توعدون ﴾ تخوفون الناس بأخذ ثيابهم أو المكس منهم(٢) ﴿ وتصدون ﴾ تصرفون ﴿ عن سبيل الله ﴾ دينه ﴿ من آمن به ﴾ بتوعدكم إياه بالقتل ﴿ وتبغونها ﴾ تطلبون الطريق ﴿ عوجاً ﴾ معوجة ﴿ واذكروا إذ كنتم قليلاً فكثركم(٣) وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين ﴾ قبلكم بتكذيبهم رسلهم، أي آخر أمرهم من الهلاك.

٨٧ ﴿ وإن كان طائفة منكم آمنوا بالذي أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا ﴾ به ﴿ فاصبروا ﴾ انتظروا ﴿ حتى يحكم الله بيننا ﴾ وبينكم، بإنجاء المحق وإهلاك المبطل ﴿ وهو خير الحاكمين ﴾ أعدلهم.

٨٨ ﴿ قال الملأ(٤) الذين استكبروا

---

(١) الأجر، وهو الطين المحروق.

(٢) وكانوا قطاع طرق ومكاسين، والمكس: الجباية، ويطلق على المأخوذ، وغلب استعماله فيما يأخذه ذوو النفوذ ظلماً عند البيع والشراء، وهو المراد هنا.

(٣) قيل: كثر عددكم وأغناكم بعد الفقر وقواكم بعد ضعف، إذ الفقراء الضعفاء قلة ولو كثر عددهم. والمراد بذكر ذلك: أن يشكروا الله المنعم على هذه النعم، بأن يؤمنوا به، ويلتزموا أمره ويجتنبوا نهيه.

(٤) الملأ: الجماعة من القوم، ويغلب أن يطلق على كبرائهم وسادتهم، سُمُّوا بذلك لملاءتهم بما يلتمس عندهم من المعروف وجودة الرأي، أو: لأنهم يملؤون العيون أبهةً والصدور هيبة.

= وهو بالحجر: «لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم، لا يصيبكم ما أصابهم». [البخاري: الصلاة، باب: الصلاة في مواضع الخسف. مسلم: الزهد، باب: لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا. مسند أحمد ٢/ ٧٤].

وعن أبي كبشة عامر بن سعد الأنماري رضي الله عنه قال: لما كان في غزوة تبوك تسارع الناس إلى أهل الحجر، يدخلون عليهم، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فنادى في الناس: «الصلاة جامعة». قال: فأتيت رسول الله ﷺ وهو ممسك بعنزة وهو يقول: «ما تدخلون على قوم غضب الله عليهم». فناداه رجل منهم: نعجب منهم يارسول الله. قال: «أفلا أنبئكم بأعجب من ذلك: رجل من أنفسكم ينبئكم بما كان قبلكم، وبما هو كائن بعدكم، فاستقيموا وسددوا. فإن الله لا يعبأ بعذابكم شيئاً، وسيأتي قوم لا يدفعون عن أنفسهم شيئاً». [مسند أحمد: ٤/ ٢٣١] [عنزة: حربة قصيرة عريضة النصل].

وعن جابر رضي الله عنه قال: لما مر رسول الله ﷺ بالحجر قال: «لا تسألوا الآيات، فقد سألها قوم صالح - يعني الناقة - ترد من هذا الفَجّ، وتصدر من هذا الفج، فعتوا عن أمر ربهم فعقروها، وكانت تشرب ماءهم يوماً ويشربون لبنها يوماً، فعقروها، فأخذتهم صيحة أهمد الله من تحت أديم السماء منهم، إلا رجلاً واحداً كان في حرم الله». فقالوا: من هو يارسول الله ؟ قال: «أبو رغال، فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه» [مسند أحمد: ٣/ ٢٩٦] الفج: الطريق.

فائدة: في بيان حكم عمل قوم لوط. وهو أن يأتي الذكر الذكر في دبره، فهو من الكبائر، والفواحش المنكرة التي يمقتها الله تعالى ويمقت فاعلها. وقد اختلف العلماء في الحكم الدنيوي الذي يعامل به هذا الفاعل:

فقال الشافعية: هو زان، فإن كان محصناً رجم، وإن كان غير محصن جلد وغرب. وحجتهم حديث رسول الله ﷺ: «إذا جاء الرجل الرجل فهما زانيان، وإذا أتت المرأة المرأة فهما زانيتان». [البيهقي: الحدود، باب: ما جاء في حد اللوطي: ٨/ ٢٣٣] =

من قومه ﴾ عن الإيمان ﴿ لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن ﴾ ترجعن ﴿ في ملتنا ﴾ ديننا، وغلبوا في الخطاب الجمع على الواحد لأن شعيباً لم يكن في ملتهم قط(١)، وعلى نحوه أجاب(٢) ﴿ قال أ ﴾ نعود فيها ﴿ ولو كنا كارهين ﴾ لها، استفهام إنكار.

٨٩ ﴿ قد افترينا على الله كذباً إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها وما يكون ﴾ ينبغي ﴿ لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا ﴾ ذلك فيخذلنا ﴿ وسع ربنا كل شيء علماً ﴾ أي وسع علمه كل شيء، ومنه حالي وحالكم ﴿ على الله توكلنا ربنا افتح ﴾ احكم ﴿ بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين ﴾ الحاكمين.

٩٠ ﴿ وقال الملأ الذين كفروا من قومه ﴾ أي قال بعضهم لبعض ﴿ لئن ﴾ لام قسم ﴿ اتبعتم شعيباً إنكم إذاً لخاسرون ﴾.

٩١ ﴿ فأخذتهم الرجفة ﴾ الزلزلة الشديدة ﴿ فأصبحوا في دارهم جاثمين ﴾ باركين على الركب ميتين.

٩٢ ﴿ الذين كذبوا شعيباً ﴾ مبتدأ خبره ﴿ كأن ﴾ مخففة واسمها محذوف، أي كأنهم ﴿ لم يغنوا ﴾ يقيموا(٣) ﴿ فيها ﴾ في ديارهم ﴿ الذين كذبوا شعيباً كانوا هم الخاسرين ﴾(٤) التأكيد بإعادة الموصول وخبره للرد عليهم في قولهم السابق.

٩٣ ﴿ فتولى ﴾ أعرض ﴿ عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم ﴾ فلم تؤمنوا ﴿ فكيف آسى ﴾ أحزن

مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن
قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾
قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ
نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ
أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا عَلَى
ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ
وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾
فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾
ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا
كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ
أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ

= وقالت المالكية والحنابلة: عقوبته الرجم مطلقاً. وحجتهم: قوله ﷺ: «من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول»[أبو داود: الحدود، باب: فيمن عمل عمل قوم لوط]

وقال الحنفية: يعزر، أي يعاقب عقوبة يراها الحاكم زاجرة له عن مثل هذا الفعل، لأنه ليس بزنا، إذ لا يترتب عليه اختلاط أنساب.

(١) أي خاطبوا في طلب العود من آمن بشعيب فقالوا: لتعودُنَّ، ولم يخاطبوا شعيباً ويقولوا: لتعودَنَّ، لأنه لم يسبق له أن كان في ملتهم حتى تصح نسبة العود إليه.

قال ابن كثير في تفسيره: هذا إخبار من الله عما واجهت به الكفار نبي الله شعيباً ومن معه من المؤمنين في توعدهم إياه ومن معه بالنفي من القرية، أو الإكراه على الرجوع في ملتهم والدخول معهم فيما هم فيه، وهذا خطاب مع الرسول، والمراد أتباعه الذين كانوا معهم على الملة.

(٢) أي أجابهم بصيغة الجمع على نحو خطابهم.

(٣) في المصباح المنير: غني بالمكان أقام به.

(٤) حيث إنهم عوقبوا بأشد مما هددوا به، فقد هددوا بالإخراج فعوقبوا بالاستئصال بالمرة.

قال ابن كثير في تفسيره: يخبر الله تعالى عن شدة كفر قوم شعيب وتمردهم وعتوهم، وما هم فيه من الضلال، وما جبلت عليه قلوبهم من المخالفة للحق، ولهذا أقسموا وقالوا: ﴿لئن اتبعتم شعيباً إنكم إذاً لخاسرون﴾. فلهذا عقب ذلك بقوله: ﴿فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين﴾ أخبر تعالى هاهنا أنهم أخذتهم الرجفة كما أرجفوا شعيباً وأصحابه وتوعدوهم بالجلاء، كما أخبر عنهم في سورة هود [٩٤] فقال: ﴿ولما جاء أمرنا نجينا شعيباً والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين﴾. والمناسبة في ذلك ـ والله أعلم ـ أنهم لما تهكموا بنبي الله شعيب في قولهم: ﴿أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء إنك لأنت الحليم الرشيد﴾ [هود: ٨٧] فجاءت الصيحة أسكتتهم. وقال تعالى إخباراً عنهم في سورة الشعراء [١٨٩]: ﴿فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم﴾ وما ذاك إلا لأنهم قالوا له في سياق القصة: ﴿فأسقط علينا كسفاً من السماء﴾... الآية [الشعراء: ١٨٧] فأخبر أنه أصابهم عذاب يوم الظلة، وقد اجتمع عليهم ذلك كله: أصابهم عذاب يوم الظلة، وهي سحابة أظلتهم فيها شرر من نار ولهب ووهج عظيم، ثم جاءتهم صيحة من السماء ورجفة من الأرض شديدة من أسفل منهم، فزهقت الأرواح، وفاضت النفوس وخمدت الأجساد ﴿فأصبحوا في دارهم جاثمين﴾. ثم قال تعالى: ﴿كأن لم يغنوا فيها﴾ أي: كأنهم لما أصابتهم النقمة لم يقيموا بديارهم التي أرادوا إجلاء الرسول وصحبه منها. ثم قال مقابلاً لقيلهم: ﴿الذين كذبوا شعيباً كانوا هم الخاسرين﴾.

﴿ على قوم كافرين ﴾ استفهام بمعنى النفي.

٩٤ ﴿ وما أرسلنا في قرية من نبي ﴾ فكذبوه ﴿ إلا أخذنا ﴾ عاقبنا ﴿ أهلها بالبأساء ﴾ شدة الفقر ﴿ والضراء ﴾ المرض ﴿ لعلهم يضرعون ﴾ يتذللون فيؤمنوا.

٩٥ ﴿ ثم بدلنا ﴾ أعطيناهم ﴿ مكان السيئة ﴾ العذاب ﴿ الحسنة ﴾ الغنى والصحة ﴿ حتى عفوا ﴾ كثروا(١) ﴿ وقالوا ﴾ كفراً للنعمة ﴿ قد مس آباءنا الضراء والسراء ﴾ كما مسنا، وهذه عادة الدهر وليست بعقوبة من الله، فكونوا على ما أنتم عليه. قال تعالى: ﴿فأخذناهم ﴾ بالعذاب ﴿ بغتة ﴾ فجأة ﴿ وهم لا يشعرون ﴾ بوقت مجيئه قبله.

٩٦ ﴿ ولو أن أهل القرى ﴾ المكذبين ﴿ آمنوا ﴾ بالله ورسلهم ﴿ واتقوا ﴾ الكفر والمعاصي ﴿ لفتحنا ﴾ بالتخفيف والتشديد(٢) ﴿عليهم بركات(٣) من السماء﴾ بالمطر ﴿والأرض﴾ بالنبات ﴿ولكن كذبوا﴾ الرسل ﴿فأخذناهم﴾ عاقبناهم ﴿ بما كانوا يكسبون ﴾.

٩٧ ﴿ أفأمن أهل القرى ﴾ المكذبون ﴿ أن يأتيهم بأسنا ﴾ عذابنا ﴿ بياتاً ﴾ ليلاً ﴿ وهم نائمون ﴾ غافلون عنه.

٩٨ ﴿ أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى ﴾ نهاراً ﴿ وهم يلعبون ﴾.

٩٩ ﴿ أفأمنوا مكر الله ﴾ استدراجه إياهم بالنعمة(٤) وأخذهم بغتة ﴿ فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ﴾.

١٠٠ ﴿ أو لم يهد ﴾ يتبين ﴿ للذين يرثون الأرض ﴾ بالسكنى ﴿ من بعد ﴾ هلاك ﴿ أهلها أن ﴾ فاعل(٥)، مخففة واسمها محذوف، أي أنه ﴿ لو نشاء أصبناهم ﴾ بالعذاب ﴿ بذنوبهم ﴾ كما أصبنا من قبلهم، والهمزة في المواضع الأربعة(٦) للتوبيخ، والفاء والواو الداخلة عليها للعطف، وفي قراءة بسكون الواو في الموضع الأول(٧) عطفاً بأو ﴿ و ﴾ نحن ﴿ نطبع ﴾ نختم

عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ
أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾
ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا۟ وَّقَالُوا۟ قَدْ
مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ
لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟
لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن
كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ
ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾
أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ
يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا
ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ
مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ

---

(١) من عفا النبات إذا كثر وتكاثف، وفي المصباح المنير: عفا الشيء كثر.

(٢) أي ﴿لفَتَحْنا﴾ بتخفيف التاء، و﴿لفَتَّحْنا﴾ بتشديدها.

(٣) جمع بركة، وهي النماء وثبوت الخير الإلهي في الشيء. وقيل: هي المواظبة على الشيء، فيكون المعنى: لتابعنا عليهم المطر من السماء والنبات من الأرض، ورفعنا عنهم القحط والجدب.

(٤) الاستدراج: أن يولي الله تعالى العبد النعم على تقصيره، ولا يعجل له بالمؤاخذة، فتلهيه النعمة ويتمادى في العصيان، فيأخذه الله تعالى بشديد العقاب.

(٥) أي أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر فاعل ليهد، والمعنى: أو لم يتبين إصابتنا لهم بالعذاب لو شئنا الإصابة.

(٦) وهي: أفأمن، أو أمن، أفأمنوا، أو لم يهد. فالاستفهام فيها للتوبيخ والتقريع.

(٧) من موضعي الواو، وهو: ﴿أو أمن أهل القرى﴾.

فائدة: قال ابن كثير في تفسير الآيتين [٩٤، ٩٥]: يقول تعالى مخبراً عما اختبر به الأمم الماضية، الذين أرسل إليهم الأنبياء، بالبأساء والضراء، يعني ﴿بالبأساء﴾ ما يصيبهم في أبدانهم من أمراض وأسقام. ﴿والضراء﴾ ما يصيبهم من فقر وحاجة ونحو ذلك ﴿لعلهم يضرعون﴾ أي: يدعون ويخشعون ويبتهلون إلى الله تعالى في كشف ما نزل بهم. وتقدير الكلام: أنه ابتلاهم بالشدة ليتضرعوا، فما فعلوا شيئاً من الذي أراد الله منهم، فقلب الحال إلى الرخاء ليختبرهم فيه، ولهذا قال: ﴿ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة﴾ أي: حولنا الحال من شدة إلى رخاء، ومن مرض وسقم إلى صحة وعافية، ومن فقر إلى غنى، ليشكروا على ذلك، فما فعلوا. وقوله: ﴿حتى عفوا﴾ أي: كثروا وكثرت أموالهم وأولادهم، يقال: عفا الشيء إذا كثر ﴿وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون﴾ يقول تعالى: ابتلاهم بهذا وهذا ليتضرعوا وينيبوا إلى الله، فما نجع فيهم لا هذا ولا هذا، ولا انتهوا بهذا ولا بهذا، بل قالوا: قد مسنا من البأساء والضراء، ثم بعده من الرخاء مثل ما أصاب آباءنا في قديم الدهر، وإنما هو الدهر تارات وتارات، ولم يتفطنوا لأمر الله فيهم، ولا استشعروا ابتلاء الله لهم من الحالين. وهذا بخلاف حال المؤمنين الذين يشكرون الله على السراء، ويصبرون على الضراء، كما ثبت في الصحيح: «عجباً للمؤمن: لا يقضي الله له قضاء إلا كان خيراً =

﴿ على قلوبهم فهم لا يسمعون ﴾ الموعظة سماع تدبر.

١٠١ ﴿ تلك القرى ﴾ التي مر ذكرها ﴿ نقص عليك ﴾ يا محمد ﴿ من أنبائها ﴾ أخبار أهلها ﴿ ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات ﴾ المعجزات الظاهرات ﴿ فما كانوا ليؤمنوا ﴾ عند مجيئهم ﴿ بما كذبوا ﴾ كفروا به ﴿ من قبل ﴾ قبل مجيئهم، بل استمروا على الكفر ﴿ كذلك ﴾ الطبع ﴿ يطبع الله على قلوب الكافرين ﴾.

١٠٢ ﴿ وما وجدنا لأكثرهم ﴾ أي الناس ﴿ من عهد ﴾ أي وفاءً بعهدهم يوم أخذ الميثاق(١) ﴿ وإن ﴾ مخففة ﴿ وجدنا أكثرهم لفاسقين ﴾.

١٠٣ ﴿ ثم بعثنا من بعدهم ﴾ أي الرسل المذكورين ﴿ موسى بآياتنا ﴾ التسع(٢) ﴿ إلى فرعون وملئه ﴾ قومه ﴿ فظلموا ﴾ كفروا ﴿ بها فانظر كيف كان عاقبة المفسدين ﴾ بالكفر، من إهلاكهم.

١٠٤ ﴿ وقال موسى يا فرعون إني رسول من رب العالمين ﴾ إليك، فكذبه، فقال:

١٠٥ أنا ﴿ حقيق ﴾ جدير ﴿ على أن ﴾ أي بأن ﴿ لا أقول على الله إلا الحق ﴾ وفي قراءة بتشديد الياء(٣)، فحقيق مبتدأ خبره أن وما بعدها ﴿ قد جئتكم ببينة(٤) من ربكم فأرسل معي ﴾ إلى الشام ﴿ بني إسرائيل ﴾(٥) وكان استعبدهم.

١٠٦ ﴿ قال ﴾ فرعون له ﴿ إن كنت جئت بآية ﴾ على دعواك ﴿ فأت بها إن كنت من الصادقين ﴾ فيها.

١٠٧ ﴿ فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين ﴾ حية عظيمة.

١٠٨ ﴿ ونزع يده ﴾ أخرجها من جيبه ﴿ فإذا

عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ
عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا
كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ
عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ
عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ
بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ
فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ
يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ
أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن
رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ
جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾
فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا

---

(١) المأخوذ على بني آدم قبل أن يوجدوا، كما قال تعالى: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى﴾/الأعراف: ١٧٢/.

(٢) وهي: العصا، واليد البيضاء، والسنون المُجْدِبَة، والدم، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والطمس. والثمانية منها مذكورة في هذه السورة في الآيات: ١٠٧، ١٠٨، ١٣٠، ١٣٣. والتاسعة في سورة يونس، الآية: ٨٨.

(٣) أي: ﴿حقيق عليَّ﴾. وعلى هذه القراءة يكون قوله ﴿ حقيق ﴾ مبتدأ، و﴿ عليّ ﴾ جار ومجرور متعلق به، وقوله ﴿أن لا أقول..﴾ في تأويل مصدر خبر للمبتدأ، والمعنى: محقوق عليّ قول الحق لا غيره، والله أعلم.

(٤) برهان على صدقي فيما أدعيه.

(٥) خلهم يذهبوا معي، وأطلقهم من أسرك واستعبادك.

=له، وإن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له» [مسلم: الزهد، باب: المؤمن أمره كله خير. الدارمي: الرقاق، باب: المؤمن يؤجر في كل شيء. مسند أحمد: ٥/ ٢٤]. فالمؤمن من يتفطن لما ابتلاه الله به من السراء والضراء، ولهذا جاء في الحديث: «لا يزال البلاء بالمؤمن حتى يخرج نقياً من ذنوبه، والمنافق مثله كمثل الحمار لا يدري فيم ربطه أهله ولا فيم أرسلوه» أو كما قال. ولهذا عقب هذه الصفة بقوله: ﴿فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون﴾ أي: أخذناهم بالعقوبة بغتة، أي: على بغتة منهم، وعدم شعور منهم، أي: أخذناهم فجأة كما جاء في الحديث: «موت الفجأة رحمة للمؤمن، وأخذة أسف للكافر»[أبو داود: الجنائز، باب: موت الفجأة. مسند أحمد: ٣/ ٤٢٤].

فائدة: قال ابن كثير في تفسير الآيتين [١٠١، ١٠٢]: لما قص الله تعالى على نبيه ﷺ خبر قوم نوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب، وما كان من إهلاكه الكافرين وإنجائه المؤمنين، وأنه تعالى أعذر إليهم بأن بين لهم الحق بالحجج على ألسنة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، قال تعالى: ﴿تلك القرى نقص عليك﴾ أي: يا محمد ﴿من أنبائها﴾ أي: من أخبارها، ﴿ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات﴾ أي: بالحجج على صدقهم فيما أخبروهم به، كما قال تعالى: ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً﴾ [الإسراء: ١٥] وقال تعالى: ﴿ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد. وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم﴾ [هود: ١٠١، ١٠٢]. وقوله تعالى: ﴿فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل﴾ الباء سببية، أي: فما كانوا ليؤمنوا بما جاءتهم به الرسل بسبب تكذيبهم بالحق أول ما ورد عليهم. حكاه ابن عطية رحمه الله، وهو متجه حسن، كقوله: ﴿وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون. ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة﴾ الآية [الأنعام: ١١٠، ١١١]. ولهذا قال هنا: ﴿كذلك يطبع الله=

هي بيضاء ﴾ ذات شعاع ﴿ للناظرين ﴾ خلاف ما كانت عليه من الأدمة(١).

١٠٩ ﴿ قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم ﴾ فائق في علم السحر، وفي الشعراء/ الآية: ٣٤/ أنه من قول فرعون نفسه، فكأنهم قالوه معه على سبيل التشاور.

١١٠ ﴿ يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون ﴾.

١١١ ﴿ قالوا أرجه وأخاه ﴾ أخر أمرهما ﴿ وأرسل في المدائن حاشرين ﴾ جامعين.

١١٢ ﴿ يأتوك بكل ساحر ﴾ وفي قراءة «سحّار» ﴿ عليم ﴾ يفضل موسى في علم السحر، فجمعوا.

١١٣ ﴿ وجاء السحرة فرعون قالوا أإن ﴾ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين ﴿ لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين ﴾. ١١٤ ﴿ قال نعم وإنكم لمن المقربين ﴾.

١١٥ ﴿ قالوا يا موسى إما أن تلقي ﴾ عصاك ﴿ وإما أن نكون نحن الملقين ﴾ ما معنا.

١١٦ ﴿ قال ألقوا ﴾ أمر للإذن بتقديم إلقائهم، توصلاً به إلى إظهار الحق ﴿ فلما ألقوا ﴾ حبالهم وعصيهم ﴿ سحروا أعين الناس ﴾ صرفوها عن إدراك حقيقتها ﴿ واسترهبوهم ﴾ خوفوهم، حيث خيلوها حيات تسعى ﴿ وجاؤوا بسحر عظيم ﴾.

١١٧ ﴿ وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هي تلقف ﴾ بحذف إحدى التاءين في الأصل(٢)، تبتلع ﴿ ما يأفكون ﴾ يقلبون بتمويههم(٣).

١١٨ ﴿ فوقع الحق ﴾ ثبت وظهر ﴿ وبطل ما كانوا يعملون ﴾ من السحر.

١١٩ ﴿ فغلبوا ﴾ أي فرعون وقومه ﴿ هنالك وانقلبوا صاغرين ﴾ صاروا ذليلين.

١٢٠ ﴿ وألقي السحرة ساجدين ﴾(٤). ١٢١ ﴿ قالوا آمنا

هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ
هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ
فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ
حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ
فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾
قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ
أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا۟
فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو
بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ * وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ
عَصَاكَ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ
وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟
صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا

---

(١) السمرة. (٢) أي أصلها: تتلقف.

(٣) وأصل الإفك قلب الشيء عن غير وجهه، ومنه قيل للكذاب أفاك، لأنه يقلب الكلام عن وجهه الصحيح إلى الباطل.

(٤) خروا على وجوههم سجداً لله عزّ وجلّ، بشدة وسرعة وكأن ملقياً ألقاهم، معلنين إيمانهم بما يدعو إليه موسى عليه السلام، لما رأوا من عظيم قدرة الله تعالى ما أدركوا أنه ليس من صنع البشر.

= على قلوب الكافرين. وما وجدنا لأكثرهم﴾ أي لأكثر الأمم الماضية ﴿من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين﴾ أي: ولقد وجدنا أكثرهم فاسقين خارجين عن الطاعة والامتثال. والعهد الذي أخذه هو ما جبلهم عليه وفطرهم عليه، وأخذ عليهم في الأصلاب أنه ربهم ومليكهم، وأنه لا إله إلا هو، فأقروا بذلك، وشهدوا على أنفسهم به، فخالفوه وتركوه وراء ظهورهم، وعبدوا مع الله غيره بلا دليل ولا حجة، لا من عقل ولا شرع، وفي الفطر السليمة خلاف ذلك، وجاءت الرسل الكرام من أولهم إلى آخرهم بالنهي عن ذلك، كما جاء في صحيح مسلم [الجنة وصفة نعيمها، باب: الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار]: «يقول الله تعالى: إني خلقت عبادي حنفاء، فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم» [حنفاء: مسلمين موحدين. فاجتالتهم: استخفتهم وأزالتهم عما كانوا عليه]. وفي الصحيحين: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه»... الحديث [البخاري: الجنائز، باب: إذا أسلم الصبي فمات...، رقم: ١٢٩٢. مسلم: القدر، باب: معنى كل مولود يولد على الفطرة...، رقم: ٢٦٥٨]. وقال تعالى في كتابه العزيز: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾ [الأنبياء: ٢٥]. وقال تعالى: ﴿واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون﴾ [الزخرف: ٤٥]. وقال تعالى: ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾ [النحل: ٣٦] إلى غير ذلك من الآيات. وقد قيل في تفسير قوله تعالى: ﴿فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل﴾ ما روى أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن أبي بن كعب في قوله: ﴿فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل﴾ قال: كان في علمه تعالى يوم أقروا له بالميثاق، أي: فما كانوا ليؤمنوا لعلم الله منهم ذلك. وكذا قال الربيع بن أنس، واختاره ابن جرير. وقال السدي: ﴿فما كانوا ليؤمنوا بما=

بربّ العالمين ﴾.

١٢٢ ﴿ رب موسى وهارون ﴾ لعلمهم بأن ما شاهدوه من العصا لا يتأتى بالسحر.

١٢٣ ﴿ قال فرعون آمنتم ﴾ بتحقيق الهمزتين، وإبدال الثانية ألفاً ﴿ به ﴾ بموسى ﴿ قبل أن آذن ﴾ أنا ﴿ لكم إن هذا ﴾ الذي صنعتموه ﴿ لمكر(١) مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها(٢) فسوف تعلمون ﴾ ما ينالكم مني.

١٢٤ ﴿ لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ﴾(٣) أي يد كل واحد اليمنى ورجله اليسرى ﴿ ثم لأصلبنكم(٤) أجمعين ﴾.

١٢٥ ﴿ قالوا إنا إلى ربنا ﴾ بعد موتنا بأي وجه كان ﴿ منقلبون ﴾ راجعون في الآخرة.

١٢٦ ﴿ وما تنقم ﴾ تنكر ﴿ منا إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا أفرغ علينا صبراً ﴾(٥) عند فعل ما توعدنا به، لئلا نرجع كفاراً ﴿ وتوفنا مسلمين ﴾.

١٢٧ ﴿ وقال الملأ من قوم فرعون ﴾ له ﴿ أتذر ﴾ تترك ﴿ موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ﴾ بالدعاء إلى مخالفتك ﴿ ويذرك وآلهتك ﴾ وكان صنع لهم أصناماً صغاراً يعبدونها، وقال: أنا ربكم وربها، ولذا قال: أنا ربكم الأعلى ﴿ قال سنُقتّل ﴾ بالتشديد والتخفيف(٦) ﴿ أبناءهم ﴾ المولودين ﴿ ونستحيي ﴾ نستبقي ﴿ نساءهم ﴾ كفعلنا بهم من قبل ﴿ وإنا فوقهم قاهرون ﴾ قادرون. ففعلوا بهم ذلك، فشكا بنو إسرائيل(٧).

١٢٨ ﴿ قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ﴾ على أذاهم ﴿ إن الأرض لله يورثها ﴾ يعطيها ﴿ من يشاء من عباده والعاقبة ﴾ المحمودة ﴿ للمتقين ﴾ الله.

١٢٩ ﴿ قالوا أوذينا

٢١١ (سـورة الأعراف)

بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرۡعَوۡنُ
ءَامَنتُم بِهِۦ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكۡرٞ مَّكَرۡتُمُوهُ
فِي ٱلۡمَدِينَةِ لِتُخۡرِجُواْ مِنۡهَآ أَهۡلَهَاۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴿١٢٣﴾
لَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمۡ
أَجۡمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا
تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتۡنَاۚ رَبَّنَآ
أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن
قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ
وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَنَسۡتَحۡيِۦ
نِسَآءَهُمۡ وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ
ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ
مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓاْ أُوذِينَا

---

(١) حيلة وخديعة تواطأتم عليها مع موسى، عليه السلام.

(٢) قال هذا ليثير عليهم عوام الناس، لشدة الخروج من الوطن على النفوس.

(٣) أي يخالف بينها في القطع.

(٤) من التصليب، وهو الربط بشدة وعنف على خشبة.

(٥) افرغ: اصبب صباً ذريعاً، أي هب لنا صبراً واسعاً تاماً. فكانوا أول النهار سحرة كافرين، وآخره شهداء مؤمنين.

(٦) أي ﴿سنُقتّل﴾ و﴿سنَقتُل﴾. [النشر].

(٧) إلى موسى عليه السلام.

= كذبوا من قبل﴾ قال: ذلك يوم أخذ منهم الميثاق فآمنوا كرهاً. وقال مجاهد في قوله: ﴿فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل﴾ هذا كقوله: ﴿ولو ردوا لعادوا﴾ الآية [الأنعام: ٢٨].

فائدة: عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات». قالوا: يارسول الله، وما هن؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات». [البخاري: الوصايا، باب: قول الله تعالى: ﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى﴾ /النساء: ١٠/، رقم: ٢٦١٥. مسلم: الإيمان، باب: بيان الكبائر وأكبرها، رقم: ٨٩] [اجتنبوا: ابتعدوا. الموبقات: المهلكات. السحر: هو في اللغة: عبارة عما لطف وخفي سببه، وبمعنى: صرف الشيء عن وجهه، ويستعمل بمعنى الخداع، والمراد هنا: ما يفعله المشعوذون من تخييلات وتمويه تأخذ بأبصار المشاهدين، وتوهمهم الإتيان بحقيقة أو تغييرها. بالحق: كالقتل قصاصاً. التولي يوم الزحف: الفرار من القتال يوم ملاقاة الكفار، والزحف في الأصل الجماعة الذين يزحفون إلى العدو، أي يمشون إليهم بمشقة، مأخوذ من زحف الصبي إذا مشى على مقعدته. قذف: القذف هو الاتهام والرمي بالزنا. المحصنات: جمع محصنة، وهي العفيفة التي حفظت فرجها، وصانها الله من الزنا. الغافلات: البريئات اللواتي لا يفطن إلى ما رمين به من الفجور].

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من تصبح كل يوم سبع تمرات عجوة لم يضره في ذلك اليوم سم ولا سحر» [البخاري: الأطعمة، باب: العجوة، رقم: ٥١٣٠. مسلم: الأشربة، باب: فضل تمر المدينة، رقم: ٢٠٤٧] [تصبح: أكل صباحاً قبل أن يأكل شيئاً. لم يضره: لم يؤثر عليه].

من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض(١) فينظر كيف تعملون ﴾ فيها.

١٣٠ ﴿ ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ﴾(٢) بالقحط ﴿ ونقص من الثمرات(٣) لعلهم يذكرون ﴾ يتعظون فيؤمنوا.

١٣١ ﴿ فإذا جاءتهم الحسنة ﴾ الخصب والغنى ﴿ قالوا لنا هذه ﴾ أي نستحقها، ولم يشكروا عليها ﴿ وإن تصبهم سيئة ﴾ جدب وبلاء ﴿ يطيروا ﴾ يتشاءموا ﴿ بموسى ومن معه ﴾ من المؤمنين ﴿ ألا إنما طائرهم ﴾ شؤمهم ﴿ عند الله ﴾ يأتيهم به(٤) ﴿ ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾ أن ما يصيبهم من عنده.

١٣٢ ﴿ وقالوا ﴾ لموسى ﴿ مهما تأتنا به من آية(٥) لتسحرنا بها(٦) فما نحن لك بمؤمنين ﴾ فدعا عليهم.

١٣٣ ﴿ فأرسلنا عليهم الطوفان ﴾ وهو ماء دخل بيوتهم ووصل إلى حلوق الجالسين سبعة أيام(٧) ﴿ والجراد ﴾ فأكل زرعهم وثمارهم كذلك ﴿ والقمل ﴾ السوس، أو نوع من القراد(٨)، فتتبع ما تركه الجراد ﴿ والضفادع ﴾ فملأت بيوتهم وطعامهم ﴿ والدم ﴾ في مياههم ﴿ آيات مفصلات ﴾ مبينات ﴿ فاستكبروا ﴾ عن الإيمان بها ﴿ وكانوا قوما مجرمين ﴾.

١٣٤ ﴿ ولما وقع عليهم الرجز ﴾ العذاب(٩) ﴿ قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك ﴾ من كشف العذاب عنا إن آمنا ﴿ لئن ﴾ لام قسم ﴿ كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل ﴾.

مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن
يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ
تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ
مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ
قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ
وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا
بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ
وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ
فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ
قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ لَئِن كَشَفْتَ
عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾

---

(١) يجعلكم تخلفونهم في أرضهم بعد هلاكهم.

(٢) جمع سنة، أي عاقبناهم باحتباس المطر في سنين متتابعة.

(٣) بإصابة الغلات بالآفات.

(٤) أي سبب ما يصيبهم من شر يتشاءمون به أعمالهم السيئة المكتوبة عنده، وهو سبحانه وتعالى يعاقبهم بها.

(٥) معجزة خارقة للعادة.

(٦) لتصرفنا بها عما نحن فيه. قال ابن كثير في تفسيره: هذا إخبار من الله عز وجل عن تمرد قوم فرعون وعتوهم، وعنادهم للحق وإصرارهم على الباطل في قولهم: ﴿مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين﴾ يقولون: أي آية جئتنا بها ودلالة وحجة أقمتها رددناها فلا نقبلها منك، ولا نؤمن بك ولا بما جئت به.

(٧) أخرج ابن جرير عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «الطوفان الموت» قال ابن كثير: وهو حديث غريب.

(٨) هو نوع من الجراد أصغر منه.

(٩) روى البخاري ومسلم عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (الطاعون رجز أرسل على طائفة من بني إسرائيل - أو: على من كان قبلكم - فإذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه).

[البخاري: الأنبياء، باب: ﴿أم حسبت أن أصحاب الكهف..﴾ رقم: ٣٢٨٦. مسلم: السلام، باب: الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها، رقم: ٢٢١٨].

الطاعون: مرض عام يصيب الكثير من الناس في زمن واحد أو متقارب. رجز: وفي رواية البخاري (رجس) أي عذاب، كما جاء بيانه في رواية أخرى: (رجز أو عذاب، عذب به بعض الأمم، ثم بقي منه بقية، فيذهب المرة ويأتي الأخرى..) [البخاري: الحيل، باب: ما يكره من الاحتيال في الفرار من الطاعون، رقم: ٦٥٧٣]. طائفة: فئة وجماعة.

والحديث فيه معجزة لرسول الله ﷺ، لأنه ذكر فيه أدق وأعمق ما توصل إليه العقل البشري - نتيجة الدراسات والأبحاث - من قواعد الحجر الصحي، التي لم تعرف إلا من زمن قريب، فلا يدخل السليم البلد الموبوء كي لا يتعرض للإصابة بالمرض، كما أنه لا يخرج من البلد الموبوء أحد إلى بلد غير موبوء، خشية أن يكون حاملاً جرثوم المرض، فينقله إلى غيره، ويكون سبباً بنشره والإصابه به.

فائدة: الجراد معروف مشهور، وهو مأكول.

عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه قال: غزونا مع رسول الله ﷺ سبع غزوات نأكل الجراد. [البخاري: الذبائح والصيد، باب: أكل الجراد، رقم: ٥١٧٦. مسلم: الصيد والذبائح، باب: إباحة الجراد، رقم: ١٩٥٢]. =

فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ

١٣٥ ﴿ **فلما كشفنا** ﴾ بدعاء موسى ﴿ **عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه**(١) **إذا هم ينكثون** ﴾ ينقضون عهدهم ويصرون على كفرهم.

١٣٦ ﴿ **فانتقمنا منهم**(٢) **فأغرقناهم في اليم** ﴾ البحر الملح(٣) ﴿ **بأنهم** ﴾ بسبب أنهم ﴿ **كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين** ﴾ لا يتدبرونها.

١٣٧ ﴿ **وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون** ﴾ بالاستعباد، وهم بنو إسرائيل ﴿ **مشارق الأرض ومغاربها**(٤) **التي باركنا فيها** ﴾ بالماء والشجر، صفة للأرض، وهي الشام(٥) ﴿ **وتمت كلمت ربك الحسنى** ﴾ وهي قوله: «ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض» إلى آخره/ القصص: ٥، ٦/ ﴿ **على بني إسرائيل بما صبروا** ﴾ على أذى عدوهم ﴿ **ودمرنا** ﴾ أهلكنا ﴿ **ما كان يصنع فرعون وقومه** ﴾ من العمارة ﴿ **وما كانوا يعرشون** ﴾ بكسر الراء وضمها، يرفعون من البنيان(٦).

١٣٨ ﴿ **وجاوزنا** ﴾ عبرنا ﴿ **ببني إسرائيل البحر فأتوا** ﴾ فمروا ﴿ **على قوم يعكفون** ﴾ بضم الكاف وكسرها ﴿ **على أصنام لهم** ﴾ يقيمون على عبادتها ﴿ **قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً** ﴾ صنماً نعبده ﴿ **كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون** ﴾ حيث قابلتم نعمة الله عليكم بما قلتموه.

١٣٩ ﴿ **إن هؤلاء متبر** ﴾ هالك ﴿ **ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون** ﴾(٧).

١٤٠ ﴿ **قال أغير الله أبغيكم إلهاً** ﴾ معبوداً، وأصله أبغي لكم ﴿ **وهو فضلكم على العالمين** ﴾ في زمانكم، بما ذكره في قوله:

١٤١ ﴿ **و** ﴾ اذكروا ﴿ **إذ أنجيناكم** ﴾ وفي قراءة «أنجاكم» ﴿ **من آل فرعون يسومونكم** ﴾ يكلفونكم ويذيقونكم

---

(١) حد من الزمان إذا بلغوه هلكوا بعده.

(٢) قابلناهم بالعقوبة على سوء صنيعهم، والانتقام في اللغة: سلب النعمة بالعذاب.

(٣) المالح.

(٤) جهاتها ونواحيها المجاورة لها.

(٥) وقيل: مصر والشام، وقيل: بيت المقدس.

(٦) ويسقفونه، وقيل: بساتينهم وما كانوا يعرشونه فيها من الثمار والأعناب.

(٧) لا يعود عليهم بنفع، بل فيه الضلال في الدنيا والخسران في الآخرة.

عن أبي واقد الليثي رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ قبل حنين، فمررنا بسدرة، فقلت: يا نبي الله، اجعل لنا هذه ذات أنواط، كما للكفار ذات أنواط. وكان الكفار ينوطون سلاحهم بسدرة، ويعكفون حولها، فقال النبي ﷺ: «الله أكبر، هذا كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة﴾. إنكم تركبون سنن من قبلكم» [مسند أحمد: ٥/٢١٨].

ينوطون: يعلقون.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «أحلت لنا ميتتان ودمان: الحوت والجراد، والكبد والطحال».

[مسند أحمد: ٢/٩٧]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في حج ـ أو عمرة ـ فاستقبلنا رِجْلُ جراد، فجعلنا نضربهن بعصينا وسياطنا فنقتلهن، فأسقط في أيدينا، فقلنا: ما نصنع ونحن محرمون؟ فسألنا رسول الله ﷺ، فقال: (لا بأس بصيد البحر) [الترمذي: الحج، باب: ما جاء في صيد البحر للمحرم. ابن ماجه: الصيد، باب: صيد الحيتان والجراد].

وعن جابر وأنس بن مالك رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ كان إذا دعا على الجراد قال (اللهم أهلك كباره، واقتل صغاره، وأفسد بيضه، واقطع دابره، وخذ بأفواهه عن معايشنا وأرزاقنا، إنك سميع الدعاء). فقال رجل: يا رسول الله، كيف تدعو على جند من أجناد الله بقطع دابره؟ فقال: (إن الجراد نثرة الحوت في البحر). قال أحد رواة الحديث: فحدثني من رأى الحوت ينثره. [ابن ماجه: الصيد، باب: صيد الحيتان والجراد].

﴿ سوء العذاب ﴾ أشده، وهو ﴿ يقتلون أبناءكم(١) ويستحيون ﴾ يستبقون ﴿ نساءكم(٢) وفي ذلكم ﴾ الإنجاء، أو العذاب ﴿ بلاء ﴾ إنعام، أو ابتلاء ﴿ من ربكم عظيم ﴾ أفلا تتعظون فتنتهوا عما قلتم.

١٤٢ ﴿ وواعدنا ﴾ بألف ودونها ﴿ موسى ثلاثين ليلة ﴾ نكلمه عند انتهائها، بأن يصومها، وهي: ذو القعدة، فصامها، فلما تمت أنكر خلوف فمه، فاستاك(٣)، فأمره الله بعشرة أخرى ليكلمه بخلوف فمه(٤)، كما قال تعالى: ﴿ وأتممناها بعشر ﴾ من ذي الحجة ﴿ فتم ميقات ربه ﴾ وقت وعده بكلامه إياه ﴿ أربعين ﴾ حال ﴿ ليلة ﴾ تمييز ﴿ وقال موسى لأخيه هارون ﴾ عند ذهابه إلى الجبل للمناجاة ﴿ اخلفني ﴾ كن خليفتي ﴿ في قومي وأصلح ﴾ أمرهم ﴿ ولا تتبع سبيل المفسدين ﴾ بموافقتهم على المعاصي.

١٤٣ ﴿ ولما جاء موسى لميقاتنا ﴾ أي للوقت الذي وعدناه للكلام فيه ﴿ وكلمه ربه ﴾ بلا واسطة، كلاماً سمعه من كل جهة ﴿قال رب أرني﴾ نفسك ﴿أنظر إليك قال لن تراني﴾ أي لا تقدر على رؤيتي، والتعبير به دون لن أُرى يفيد إمكان رؤيته تعالى ﴿ ولكن انظر إلى الجبل ﴾ الذي هو أقوى منك ﴿ فإن استقر ﴾ ثبت ﴿ مكانه فسوف تراني ﴾ أي تثبت لرؤيتي، وإلا فلا طاقة لك ﴿ فلما تجلى ربه ﴾ أي ظهر من نوره قدر نصف أنملة الخنصر(٥)، كما في حديث صححه الحاكم(٦) ﴿ للجبل جعله دكاً ﴾ بالقصر والمد(٧)، أي مدكوكاً مستوياً بالأرض ﴿ وخر موسى صعقاً ﴾ مغشياً عليه لهول ما رأى ﴿ فلما أفاق قال سبحانك ﴾ تنزيهاً لك ﴿ تبت إليك ﴾ من سؤال ما لم اؤمر به ﴿ وأنا أول المؤمنين ﴾ في زماني.

١٤٤ ﴿ قال ﴾ تعالى له ﴿ يا موسى إني اصطفيتك ﴾ اخترتك ﴿ على الناس ﴾ أهل زمانك ﴿ برسالاتي ﴾ بالجمع والإفراد(٨) ﴿ وبكلامي ﴾ أي تكليمي إياك ﴿ فخذ ما آتيتك ﴾ من الفضل ﴿ وكن من الشاكرين ﴾ لأنعمي.

١٤٥ ﴿ وكتبنا له في الألواح ﴾ أي ألواح التوراة، وكانت من سدر الجنة أو زبرجد أو زمرد(٩)، سبعة أو عشرة ﴿ من كل شيء ﴾ يحتاج إليه في الدين ﴿موعظة وتفصيلاً﴾ تبييناً ﴿لكل شيء﴾ بدل من الجار والمجرور قبله ﴿ فخذها ﴾ قبله [قلنا] مقدراً(١٠) ﴿ بقوة ﴾ بجد واجتهاد ﴿ وأمر قومك يأخذوا بأحسنها سأريكم دار الفاسقين ﴾ فرعون وأتباعه، وهي مصر، لتعتبروا بهم.

سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ
وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾ * وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ
ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ
لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ
وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ
لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ
لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ
فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا
وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ
وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ
عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ
ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ

فائدة: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بينما رسول الله ﷺ جالس جاء يهودي، فقال: يا أبا القاسم، ضرب وجهي رجل من أصحابك. فقال: «من». قال: رجل من الأنصار. قال: «ادعوه». فقال: «أضربته». قال: سمعته بالسوق يحلف: والذي اصطفى موسى على البشر، قلت: أي خبيث، على محمد ﷺ ؟ فأخذتني غضبة ضربت وجهه. فقال النبي ﷺ: «لا تخيروا بين الأنبياء، فإن الناس يصعقون يوم القيامة، فأكون أول من تنشق عنه الأرض، فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري: أكان فيمن صعق، أم حوسب بصعقة الأولى». [البخاري: الخصومات، باب: ما يذكر في الأشخاص والملازمة والخصومة. . ، رقم: ٢٢٨١. مسلم: الفضائل، باب:

---

(١) الذكور. (٢) إناثكم، ليكنّ خدماً لهم.

(٣) كره تغير رائحته من أثر الصوم، فدلكها بعود لتذهب الرائحة.

(٤) الذي يشم منه الملأ الأعلى الرائحة الطيبة الزكية، قال ﷺ: «لخلوف فم الصائم أطيب عند الله تعالى من ريح المسك» [البخاري: الصوم، باب: فضل الصوم، رقم: ١٧٩٥. مسلم: الصيام، باب: حفظ اللسان للصائم، رقم: ١١٥١].

(٥) هو أصغر الأصابع، والأنملة عظم المفصل الأخير منه.

(٦) المستدرك: التفسير/ تفسير سورة الأعراف [٢/ ٣٢٠].

(٧) أي ﴿دكًّا﴾ و﴿دكّاءَ﴾ قراءتان متواترتان. [النشر].

(٨) أي ﴿برسالاتي﴾ بالجمع، و﴿برسالتي﴾ بالإفراد، قراءتان متواترتان. [النشر].

(٩) المراد بالسدر هنا نوع من شجر الجنة، والزبرجد نوع من الجواهر النفيسة، والزمرد هو الزبرجد أو نوع آخر من الجواهر النفيسة.

(١٠) أي التقدير: قلنا فخذها.

١٤٦ ﴿ سأصرف عن آياتي ﴾(١) دلائل قدرتي من المصنوعات وغيرها ﴿ الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق ﴾ بأن أخذلهم، فلا يتفكرون فيها ﴿ وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل ﴾ طريق ﴿ الرشد ﴾ الهدى الذي جاء من عند الله ﴿ لا يتخذوه سبيلاً ﴾ يسلكوه ﴿ وإن يروا سبيل الغي ﴾ الضلال ﴿ يتخذوه سبيلا ذلك ﴾ الصرف ﴿ بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين ﴾ تقدم مثله(٢).

١٤٧ ﴿ والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة ﴾ البعث وغيره ﴿ حبطت ﴾ بطلت ﴿ أعمالهم ﴾ ما عملوه في الدنيا من خير، كصلة رحم وصدقة، فلا ثواب لهم لعدم شرطه(٣) ﴿ هل ﴾ ما ﴿ يجزون إلا ﴾ جزاء ﴿ ما كانوا يعملون ﴾ من التكذيب والمعاصي.

١٤٨ ﴿ واتخذ قوم موسى من بعده ﴾ أي بعد ذهابه إلى المناجاة ﴿ من حليهم ﴾(٤) الذي استعاروه من قوم فرعون بعلة(٥) عرس فبقي عندهم ﴿ عجلاً ﴾ صاغه لهم منه السامري ﴿ جسداً ﴾ بدل(٦)، لحماً ودماً ﴿ له خوار ﴾ أي صوت يسمع(٧)، انقلب كذلك بوضع التراب الذي أخذه من حافر فرس جبريل في فمه، فإن أثره الحياة فيما يوضع فيه(٨). ومفعول اتخذ الثاني محذوف، أي إلهاً ﴿ ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلاً ﴾ فكيف يتخذ إلهاً ﴿ اتخذوه ﴾ إلهاً ﴿ وكانوا ظالمين ﴾ باتخاذه.

١٤٩ ﴿ ولما سقط في أيديهم ﴾ أي ندموا على عبادته ﴿ ورأوا ﴾ علموا ﴿ أنهم قد ضلوا ﴾ بها، وذلك بعد رجوع موسى ﴿ قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا ﴾ بالياء والتاء فيهما(٩) ﴿ لنكونن من الخاسرين ﴾.

مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ
يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ سَأُوْرِيكُمۡ دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾
سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ
ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ
ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ
سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾
وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡۚ
هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٤٧﴾ وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ
بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌۚ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ
لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًاۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾
وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ وَرَأَوۡاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ
يَرۡحَمۡنَا رَبُّنَا وَيَغۡفِرۡ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾

من فضائل موسى عليه السلام، رقم: [٢٣٧٤] [حوسب بصعقة الأولى: أي عدت عليه الصعقة التي صعقها في الدنيا، عندما طلب من الله تعالى أن ينظر إليه وتجلى سبحانه للجبل، لأن كل مكلف يصعق مرتين فقط].

(١) أطمس قلوبهم وعقولهم عن فهمها والاتعاظ بها.

(٢) في الآية: ١٣٥. (٣) وهو الإيمان.

(٤) الحلي: ما يتزين به من خاتم وسوار وقلادة ونحو ذلك.

(٥) بسبب. (٦) أي من قوله ﴿عجلاً﴾. (٧) والخوار صوت البقر.

(٨) أخرجه ابن جرير عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما هجم فرعون على البحر هو وأصحابه، وكان فرعون على فرس أدهم ذنوب حصان، فلما هجم على البحر هاب الحصان أن يقتحم في البحر، فتمثل له جبريل على فرس أنثى وديق، فلما رآها الحصان تقتحم خلفها، قال: وعرف السامري جبريل، لأن أمه حين خافت أن يذبح خلفته في غار وأطبقت عليه، فكان جبريل يأتيه فيغذوه بأصابعه، فيجد في بعض أصابعه لبناً وفي الأخرى عسلاً وفي الأخرى سمناً، فلم يزل يغذوه حتى نشأ، فلما عاينه في البحر عرفه، فقبض قبضة من أثر فرسه، قال: أخذ من تحت الحافر قبضة، . . . وألقي في روع السامري: إنك لا تلقيها على شيء فتقول كن كذا وكذا إلا كان. فلم تزل القبضة معه في يده حتى جاوز البحر، فلما جاوز موسى وبنوا إسرائيل البحر، وأغرق الله آل فرعون، قال موسى لأخيه هارون: اخلفني في قومي وأصلح، ومضى موسى لموعد ربه، قال: وكان مع بني إسرائيل، حلي من حلي آل فرعون قد تعوّروه فكأنهم تأثموا منه، فأخرجوه لتنزل النار فتأكله، فلما جمعوه قال السامري بالقبضة التي كانت في يده هكذا فقذفها فيه ـ وأومأ ابن إسحاق بيده هكذا ـ وقال: كن عجلاً جسداً له خوار، فصار عجلاً جسداً له خوار، وكان يدخل الريح في دبره ويخرج من فيه يسمع له صوت، فقال: هذا إلهكم وإله موسى، فعكفوا على العجل يعبدونه فقال هارون: ياقوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري. قالوا: لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى. وعن السدي قال: إنه فرس الحياة. [أدهم: أسود. وديق: هي التي تشتهي الفحل وتحرص على طلبه. قال السامري: أي ألقى بما في يده، فالقول هنا بمعنى الفعل. ابن إسحاق: أحد رواة الحديث].

(٩) أي في ﴿يرحمنا﴾ و ﴿يغفر لنا﴾ وعلى قراءة التاء يكون لفظ ﴿ربنا﴾ منصوباً على النداء. والمعنى: لئن لم ترحمنا ـ يا ربَّنا ـ وتغفر لنا لنهلكن.

١٥٠ ﴿ ولما رجع موسى إلى قومه غضبان ﴾ من جهتهم(١) ﴿ أسفاً ﴾ شديد الحزن ﴿ قال ﴾ لهم ﴿ بئسما ﴾ أي بئس خلافة ﴿ خلفتموني ﴾ بها ﴿ من بعدي ﴾ خلافتكم هذه، حيث أشركتم ﴿ أعجلتم أمر ربكم(٢) وألقى الألواح ﴾ ألواح التوراة، غضباً لربه، فتكسرت ﴿ وأخذ برأس أخيه ﴾ أي بشعره بيمينه، ولحيته بشماله ﴿ يجره إليه ﴾ غضباً ﴿ قال ﴾ يا ﴿ ابن أم ﴾ بكسر الميم وفتحها، أراد: أمي، وذكرها أعطف لقلبه ﴿ إن القوم استضعفوني وكادوا ﴾ قاربوا ﴿ يقتلونني فلا تشمت ﴾ تفرح ﴿ بي الأعداء ﴾ بإهانتك إياي ﴿ ولا تجعلني مع القوم الظالمين ﴾ بعبادة العجل، في المؤاخذة. ١٥١ ﴿ قال رب اغفر لي ﴾ ما صنعت بأخي ﴿ ولأخي ﴾ أشركه في الدعاء إرضاءً له، ودفعاً للشماتة به(٣) ﴿ وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين ﴾.

١٥٢ قال تعالى: ﴿ إن الذين اتخذوا العجل ﴾ إلهاً ﴿ سينالهم غضب ﴾ عذاب ﴿ من ربهم وذلة في الحياة الدنيا ﴾ فعذبوا بالأمر بقتل أنفسهم، وضربت عليهم الذلة إلى يوم القيامة ﴿ وكذلك ﴾ كما جزيناهم ﴿ نجزي المفترين ﴾ على الله بالإشراك وغيره. ١٥٣ ﴿ والذين عملوا السيئات ثم تابوا ﴾ رجعوا عنها ﴿ من بعدها وآمنوا ﴾ بالله ﴿ إن ربك من بعدها ﴾ أي التوبة ﴿ لغفور ﴾ لهم ﴿ رحيم ﴾ بهم(٤)

١٥٤ ﴿ ولما سكت ﴾ سكن ﴿ عن موسى الغضب أخذ الألواح ﴾ التي ألقاها ﴿ وفي نسختها ﴾ أي ما نسخ فيها، أي كتب ﴿ هدى ﴾ من الضلالة ﴿ ورحمة للذين هم لربهم يرهبون ﴾ يخافون، وأدخل اللام على المفعول لتقدمه.

١٥٥ ﴿ واختار موسى قومه ﴾ أي من قومه(٥)

وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا
خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ
وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ
ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ
وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى
وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ
وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾
وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ
رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَن
مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ
لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ

---

(١) لما فعلوه من عبادة العجل، وقد أخبره الله تعالى بذلك بقوله: ﴿فإنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري﴾ /طه: ٨٥/.

(٢) استعجلتم إتياني لكم بالتوراة التي فيها أوامر الله تعالى، فلم تصبروا حتى أجيء، فعبدتم العجل. أو المراد: استعجلتم لأنفسكم بسخط الله عزّ وجلّ.

(٣) أو المراد: اغفر له إن كان وقع منه تقصير في حسن خلافتي، وفي الإنكار على القوم عبادتهم للعجل.

أخرج أحمد في مسنده [١/ ٢١٥، ٢٧١]: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس الخبر كالمعاينة، إن الله عز وجل أخبر موسى بما صنع قومه في العجل، فلم يلق الألواح، فلما عاين ما صنعوا ألقى الألواح، فانكسرت».

(٤) أخرج ابن أبي حاتم: عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أنه سئل عن ذلك ـ يعني عن الرجل يزني بالمرأة ثم يتزوجها ـ فتلا هذه الآية: ﴿والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم﴾ فتلاها عبد الله عشر مرات، فلم يأمرهم بها ولم ينههم عنها. [تفسير ابن كثير]

(٥) قال علي بن أبي طلحة ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما ـ في تفسير هذه الآية: كان الله أمره أن يختار من قومه سبعين رجلاً، فاختار سبعين رجلاً، فبرز بهم ليدعوا ربهم، فكان فيما دعوا الله قالوا: اللهم أعطنا ما لم تعطه أحداً قبلنا، ولا تعطه أحداً بعدنا. فكره الله ذلك من دعائهم، فأخذتهم الرجفة، قال موسى: ﴿رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي﴾ الآية. وقال السدي: إن الله أمر موسى أن يأتيه في ناس من بني إسرائيل، يعتذرون إليه من عبادة العجل، ووعدهم موعداً، فاختار موسى قومه سبعين رجلاً على عينه، ثم ذهب بهم ليعتذروا، فلما أتوا ذلك المكان قالوا: لن نؤمن لك يا موسى حتى نرى الله جهرة، فإنك قد كلمته، فأرناه. فأخذتهم الصاعقة فماتوا، فقام موسى يبكي ويدعو الله ويقول: رب ماذا أقول لبني إسرائيل إذا لقيتهم وقد أهلكت خيارهم؟ ﴿رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي﴾ [ابن كثير وابن جرير الطبري].

فائدة: عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (لله أفرح بتوبة العبد من رجل نزل منزلاً وبه مهلكة، ومعه راحلته، عليها طعامه وشرابه، فوضع رأسه فنام نومة، فاستيقظ وقد ذهبت راحلته، حتى اشتد عليه الحر والعطش أو ماشاء الله، قال: أرجع إلى مكاني، فرجع فنام نومة، ثم رفع رأسه، فإذا راحلته عنده) [البخاري: الدعوات، باب: التوبة، رقم: ٥٩٤٩. مسلم: التوبة، باب: في الحض على التوبة والفرح بها، رقم: ٢٧٤٤] [أفرح: أكثر رضاً وقبولاً. منزلاً: مكاناً. مهلكة: أسباب الهلاك، من فقد الطعام والشراب مع بعد المسافة. أرجع إلى مكاني: أي و قديئس واستسلم للمهالك]

﴿ سبعين رجلاً ﴾ ممن لم يعبدوا العجل، بأمره تعالى ﴿ لميقاتنا ﴾ أي للوقت الذي وعدناه بإتيانهم فيه ليعتذروا من عبادة أصحابهم العجل، فخرج بهم ﴿ فلما أخذتهم الرجفة ﴾ الزلزلة الشديدة، قال ابن عباس: لأنهم لم يزايلوا قومهم(1) حين عبدوا العجل، قال: وهم غير الذين سألوا الرؤية وأخذتهم الصاعقة(2) ﴿ قال ﴾ موسى ﴿ رب لو شئت أهلكتهم من قبل ﴾ أي قبل خروجي بهم، ليعاين بنو إسرائيل ذلك ولا يتهموني ﴿ وإياي أتهلكنا بما فعل السفهاء منا ﴾ استفهام استعطاف، أي لا تعذبنا بذنب غيرنا ﴿ إن ﴾ ما ﴿ هي ﴾ أي الفتنة التي وقع فيها السفهاء ﴿ إلا فتنتك ﴾ ابتلاؤك ﴿ تضل بها من تشاء ﴾ إضلاله(3) ﴿ وتهدي من تشاء ﴾ هدايته ﴿ أنت ولينا ﴾ متولي أمورنا ﴿ فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين ﴾.

١٥٦ ﴿ واكتب ﴾ أوجب ﴿ لنا في هذه الدنيا حسنة(4) وفي الآخرة ﴾ حسنة(5) ﴿ إنا هدنا ﴾ تبنا ﴿ إليك قال ﴾ تعالى: ﴿ عذابي أصيب به من أشاء ﴾ تعذيبه(6) ﴿ ورحمتي وسعت ﴾ عمت ﴿ كل شيء ﴾ في الدنيا ﴿ فسأكتبها ﴾ في الآخرة ﴿ للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون ﴾.

سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ
لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ
ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ
وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ
خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ * وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا
حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ
مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ
يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾
ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا
عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ
عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ
وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ

١٥٧ ﴿ الذين يتبعون الرسول النبي الأمي(7) ﴾ محمداً ﷺ ﴿ الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل ﴾ باسمه وصفته(*) ﴿ يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ﴾ مما حرم في شرعهم ﴿ ويحرم عليهم الخبائث ﴾ من الميتة ونحوها ﴿ ويضع عنهم إصرهم ﴾ ثقلهم ﴿ والأغلال ﴾ الشدائد ﴿ التي كانت عليهم ﴾ كقتل النفس في التوبة(8)، وقطع أثر النجاسة(9)

---

(1) لم يفارقوهم ويقاطعوهم، ولا بد من مفارقة فاعل المنكر إذا لم ينته عنه بعد نهيه، حتى يسلم من أنكر عليه من المؤاخذة ويبرأ من المسؤولية.

(2) وقال غير ابن عباس رضي الله عنهما: هم أنفسهم، وسياق الآيات في البقرة/ ٥٤، ٥٥/ يرجح هذا.

(3) لعلمك باختياره الضلالة على الهدى، وأنت قادر على منعه من اختياره.

(4) ما تحمد عاقبته من التوفيق للطاعة والعمل الصالح، والعافية والحياة الطيبة.

(5) مغفرة للذنوب وثواباً للأعمال، وتفضلاً بدخول الجنة ونيل الرضوان، في زمرة السابقين الأولين من المقربين والأبرار.

(6) من خلقي، وليس لأحد أن يعترض عليّ، لأن الجميع ملكي، والمالك يتصرف في ملكه كيف يشاء. ولكن حكمة الله تعالى وعدله اقتضيا: أن لا يعذب الله تعالى أحداً إلا بذنب جنته يداه.

(7) هو الذي لا يقرأ ولا يكتب، نسبة إلى الأم، أي كأنه باقٍ على الحالة التي ولدته أمه عليها.

(8) انظر/ البقرة: ٥٤/.

(9) انظر/ البقرة: ٢٨٦/.

(*) روى البخاري عن عطاء بن يسار قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص، فقلت: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة، فقال: أجل، والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً، وحرزاً للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويفتح به أعيناً عمياً، وآذاناً صماً، وقلوباً غلفاً.

[البخاري: البيوع، باب: كراهية السخب في السوق، رقم: ٢٠١٨].

[أجل: حرف جواب، مثل نعم. شاهداً: لأمتك بتصديقهم، وعلى الكافرين بتكذيبهم. مبشراً: للمؤمنين بالفلاح والنجاة. نذيراً: للكافرين بالخسارة والهلاك. وهذه الأوصاف جاءت في سورة الأحزاب، الآية [٤٥]. حرزاً. . . حصناً حافظاً للعرب. المتوكل: المعتمد على الله تعالى. بفظ: بسيء الخلق. غليظ: شديد في القول. =

﴿ فالذين آمنوا به ﴾ منهم ﴿ وعزروه ﴾ ووقروه⁽١⁾ ﴿ ونصروه⁽٢⁾ واتبعوا النور الذي أنزل معه ﴾ أي القرآن ﴿ أولئك هم المفلحون ﴾.

١٥٨ ﴿ قل ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿ يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً⁽٣⁾ الذي له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته ﴾ القرآن ﴿ واتبعوه لعلكم تهتدون ﴾ ترشدون.

١٥٩ ﴿ ومن قوم موسى أمة ﴾ جماعة ﴿ يهدون ﴾ الناس ﴿ بالحق وبه يعدلون ﴾ في الحكم ⁽٤⁾.

١٦٠ ﴿ وقطعناهم ﴾ فرقنا بني إسرائيل ﴿اثنتي عشرة ﴾ حال ﴿ أسباطاً ﴾ بدل منه، أي قبائل ﴿ أمماً ﴾⁽٥⁾ بدل مما قبله ﴿ وأوحينا إلى موسى إذ استسقاه قومه ﴾ في التيه ﴿ أن اضرب بعصاك الحجر ﴾ فضربه ﴿ فانبجست ﴾ انفجرت ﴿ منه اثنتا عشرة عيناً ﴾ بعدد الأسباط ﴿ قد علم كل أناس ﴾ سبط منهم ﴿ مشربهم⁽٦⁾ وظللنا عليهم الغمام ﴾⁽٧⁾ في التيه⁽٨⁾ من حر الشمس ﴿ وأنزلنا عليهم المن والسلوى ﴾ هما الترنجبين⁽٩⁾ والطير السُّمَانى، بتخفيف الميم والقصر، وقلنا لهم ﴿ كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾.

١٦١ ﴿ و ﴾ اذكر ﴿ إذ قيل

فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُولَٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّى رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِى لَهُۥ مُلْكُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِىِّ الْأُمِّىِّ الَّذِى يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾ وَقَطَّعْنَٰهُمُ اثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ اسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانۢبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ وَإِذْ قِيلَ

= سخاب: يرفع صوته على الناس. يقيم. . : يقوم الدين من الاعوجاج، فينفي الشرك ويثبت التوحيد. عمياً: لا تبصر الحق، جمع عمياء وأعمى. صماً: لا تسمع دعوة الخير، جمع أصم. غلفاً: مغلفة، غطتها ظلمة الشرك والضلال، جمع أغلف].

(١) عظموه وحموه من أن يصل إليه مكروه من الناس.

(٢) بالقتال معه لنصرة دينه.

(٣) روى البخاري ومسلم عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي: كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى كل أحمر وأسود، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وجعلت لي الأرض طيبة طهوراً ومسجداً، فأيما رجل أدركته الصلاة صلى حيث كان، ونصرت بالرعب بين يدي مسيرة شهر، وأعطيت الشفاعة).

[البخاري: أوائل كتاب التيمم، رقم: ٣٢٨. مسلم: أوائل كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم: ٥٢١]

كل أحمر وأسود: أي جميع الناس.

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: كانت بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما محاورة، فأغضب أبو بكر عمر، فانصرف عنه عمر مغضباً، فأتبعه أبو بكر يسأله أن يستغفر له فلم يفعل، حتى أغلق بابه في وجهه، فأقبل أبو بكر إلى رسول الله ﷺ. فقال أبو الدرداء: ونحن عنده، فقال رسول الله ﷺ: «أما صاحبكم هذا فقد غامر». قال: وندم عمر على ما كان منه، فأقبل حتى سلم وجلس إلى النَّبي ﷺ، وقص على رسول الله ﷺ الخبر. قال أبو الدرداء: وغضب رسول الله ﷺ، وجعل أبو بكر يقول: والله يارسول الله، لأنا كنت أظلم. فقال رسول الله ﷺ: «هل أنتم تاركون لي صاحبي، هل أنتم تاركون لي صاحبي، إني قلت: يا أيها الناس، إني رسول الله إليكم جميعاً، فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدقت». [البخاري: التفسير، باب: ﴿قل يا أيها الناس. . ﴾ (الأعراف:١٥٨) رقم: ٤٣٦٤] [محاورة: مجادلة ومحاوبة. غامر: سبق بالخير وزاحم فيه وخاصم من أجله].

(٤) وهم الذين أسلموا، أو الذين بقوا على ما جاء به موسى عليه السلام، ولم يحرفوا أو يبدلوا، وماتوا على ذلك.

(٥) أي جماعات كبيرة كالقبائل في التفرق والتعدد، وكل جماعة تؤم - أي تقصد - ما لا تؤمه الأخرى. والأسباط جمع سبط، وهي في بني إسرائيل كالقبيلة في العرب.

(٦) عينهم الخاصة بهم.

(٧) السحاب.

(٨) التيه: الصحراء الواسعة التي لا علامة فيها يهتدي بها.

(٩) تفسير للمن، وهو شيء حلو يأتيهم بدون عناء منهم. عن سعيد بن زيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (الكمأة من المن، وماؤها شفاء للعين) [البخاري: التفسير/البقرة، باب: وقوله تعالى: ﴿وظللنا عليكم الغمام =

لهم اسكنوا هذه القرية ﴾ بيت المقدس ﴿ وكلوا منها حيث شئتم وقولوا ﴾ أمرُنا ﴿ حطة(١) وادخلوا الباب ﴾ أي باب القرية ﴿ سجداً ﴾ سجود انحناء ﴿ نغفر ﴾ بالنون، والتاء مبنياً للمفعول ﴿ لكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين ﴾ بالطاعة ثواباً.

١٦٢ ﴿ فبدل الذين ظلموا منهم قولاً غير الذي قيل لهم ﴾ فقالوا: حبة في شعرة(٢)، ودخلوا يزحفون على أستاههم(٣) ﴿ فأرسلنا عليهم رجزاً ﴾ عذاباً ﴿ من السماء(٤) بما كانوا يظلمون ﴾.

١٦٣ ﴿ واسألهم ﴾ يا محمد توبيخاً(٥) ﴿ عن القرية التي كانت حاضرة البحر ﴾ مجاورة بحر القلزم(٦)، وهي أيلة، ما وقع بأهلها ﴿ إذ يعدون ﴾ يعتدون ﴿ في السبت ﴾ بصيد السمك المأمورين بتركه فيه ﴿ إذ ﴾ ظرف ليعدون ﴿ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعاً ﴾ ظاهرة على الماء(٧) ﴿ ويوم لا يسبتون ﴾ لا يعظمون السبت، أي سائر الأيام(٨) ﴿ لا تأتيهم ﴾ ابتلاء من الله ﴿ كذلك نبلوهم(٩) بما كانوا يفسقون ﴾. ولما صادوا السمك افترقت القرية أثلاثاً: ثلث صادوا معهم، وثلث نهوهم، وثلث أمسكوا عن الصيد والنهي:

١٦٤ ﴿ وإذ ﴾ عطف على إذ قبله ﴿ قالت أمة منهم ﴾ لم تصد ولم تنه، لمن نهى ﴿ لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً قالوا ﴾ موعظتنا ﴿ معذرة ﴾ نعتذر بها ﴿ إلى ربكم ﴾ لئلا ننسب إلى التقصيرفي ترك النهي ﴿ ولعلهم يتقون ﴾ الصيد(١٠).

١٦٥ ﴿ فلما نسوا ﴾ تركوا ﴿ ما ذكروا ﴾ وعظوا ﴿ به ﴾ فلم يرجعوا ﴿ أنجينا الذين ينهون عن السوء(١١) وأخذنا الذين ظلموا ﴾ بالاعتداء ﴿ بعذاب بئيس ﴾ شديد ﴿ بما كانوا يفسقون ﴾.

١٦٦ ﴿ فلما

٢١٩ (سورة الأعراف)

لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟
حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٔـٰتِكُمْ
سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا
غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ
بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ
حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ
يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ
نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ
لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا
قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟
مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا
ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا

= وأنزلنا عليكم المن والسلوى..﴾ رقم: ٤٢٠٨. مسلم: الأشربة، باب: فضل الكمأة ومداواة العين بها، رقم: ٢٠٤٩].

الكمأة: نوع من الدرنيات والجذور التي لا ورق لها ولا ساق، تخرج في الأرض بدون زرع، وتكثر أيام الخصب وكثرة المطر والرعد. من المن: أي من نوع ما أنزل على بني إسرائيل من حيث المعنى، فإنها مما يمن الله تعالى به على عباده بدون جهد منهم. شفاء للعين: هذا من طبه ﷺ، ونحن نؤمن بذلك إيمان اليقين، ولكن ينبغي الرجوع في ذلك إلى ذوي الاختصاص المؤمنين حين التداوي، ليقرروا: هل يناسب استعمالها للحالة المصاب بها أو لا؟ وهل تناسب مزاج هذا المريض أو لا؟ إذ من المعروف طباً أنه ليس لأحد أن يستعمل دواءً وصف لغيره وإن كان مصاباً بنفس المرض وتظهر عليه نفس الأعراض. بل لابد للمريض نفسه من مراجعة الطبيب، ليقرر له هل يستعمل الوصفة ثانية أم لا، والله تعالى أعلم.

(١) طلبنا أن تحط عنا ذنوبنا وتغفرها لنا.

(٢) أي طلبنا قمح في ركائب من شَعَر، أي إبل محملة بحنطة موضوعة في أوعية منسوجة من شعر. ويحتمل أنه كلام لا معنى له، قالوه عناداً وإغاظة لموسى عليه السلام.

(٣) جمع است وسَته، وهو الدبر والمقعدة.

(٤) قيل أصابهم الطاعون، فمات منهم في وقت واحد سبعون ألفاً.

(٥) اسأل اليهود الذين يجاورونك في المدينة سؤال إنكار وتوبيخ وتقريع، لا سؤال استفهام واستعلام.

(٦) البحر الأحمر.

(٧) متتابعة قريبة من الساحل.

(٨) أي باقي الأيام التي لا يطالبون فيها بالانقطاع عن الصيد والعمل.

(٩) نختبرهم اختباراً شديداً.

(١٠) أي ولطمعنا أن ينتفعوا بموعظتنا، فيخافوا الله عزّ وجلّ، ويتركوا الصيد حيث نهوا عنه.

(١١) المخالفة والمعصية.

عتوا ﴾ تكبروا ﴿ عن ﴾ ترك ﴿ ما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين ﴾ صاغرين، فكانوها. وهذا تفصيل لما قبله(١)، قال ابن عباس: ما أدري ما فعل بالفرقة الساكتة. وقال عكرمة: لم تهلك، لأنها كرهت ما فعلوه وقالت: لم تعظون.. الخ.. وروى الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه رجع إليه وأعجبه(٢).

١٦٧ ﴿ وإذ تأذن ﴾ أعلم ﴿ ربك ليبعثن(٣) عليهم ﴾ أي اليهود ﴿ إلى يوم القيامة من يسومهم(٤) سوء العذاب ﴾ بالذل وأخذ الجزية، فبعث عليهم سليمان، وبعده بختنصر فقتلهم وسباهم(٥)، وضرب عليهم الجزية، فكانوا يؤدونها إلى المجوس إلى بعث نبينا ﷺ فضربها عليهم ﴿ إن ربك لسريع العقاب ﴾ لمن عصاه ﴿ وإنه لغفور ﴾ لأهل طاعته ﴿ رحيم ﴾ بهم.

١٦٨ ﴿ وقطعناهم ﴾ فرقناهم ﴿ في الأرض أمماً ﴾ فرقاً ﴿ منهم الصالحون ومنهم ﴾ ناس ﴿ دون ذلك ﴾ الكفار والفاسقون ﴿ وبلوناهم(٦) بالحسنات ﴾ بالنعم ﴿ والسيئات ﴾ النقم ﴿ لعلهم يرجعون ﴾ عن فسقهم. ١٦٩ ﴿ فخلف من بعدهم خلف(٧) ورثوا الكتاب ﴾ التوراة عن آبائهم ﴿ يأخذون عرض هذا الأدنى ﴾ أي حطام هذا الشيء الدنيء - أي الدنيا - من حلال وحرام ﴿ ويقولون سيغفر لنا ﴾ ما فعلنا ﴿ وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه ﴾ الجملة حال، أي يرجون المغفرة وهم عائدون إلى ما فعلوه مصرون عليه، وليس في التوراة وعد المغفرة مع الإصرار ﴿ ألم يؤخذ ﴾ استفهام تقرير ﴿ عليهم ميثاق الكتاب ﴾ الإضافة بمعنى في(٨) ﴿ أن لا يقولوا على الله إلا الحق ودرسوا ﴾ عطف على يؤخذ، قرؤوا ﴿ ما فيه ﴾ فلِمَ كذبوا عليه بنسبة المغفرة مع الإصرار؟ ﴿ والدار الآخرة خير للذين يتقون ﴾ الحرام ﴿ أفلا يعقلون ﴾ بالياء والتاء، أنها خير، فيؤثروها على الدنيا؟.

١٧٠ ﴿ والذين يمسكون ﴾ بالتشديد (٩) والتخفيف(١٠) ﴿ بالكتاب ﴾ منهم ﴿ وأقاموا الصلاة ﴾ كعبد الله بن سلام وأصحابه ﴿ إنا لا نضيع أجر المصلحين ﴾ الجملة خبر الذين، وفيه وضع الظاهر موضع المضمر، أي أجرهم.

١٧١ ﴿ و ﴾ اذكر ﴿ إذ نتقنا

عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾
وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن
يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ
وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ
مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ
وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ
خَلْفٌ وَرِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ
وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ۚ
أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا
ٱلْحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِ ۗ وَٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ
أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ
ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ * وَإِذْ نَتَقْنَا

---

(١) أي قوله ﴿فلما عتو..﴾ بيان لقوله ﴿وأخذنا الذين ظلموا..﴾.

(٢) ذكر في المستدرك [التفسير/تفسير سورة الأعراف: ٣٢٣/٢] قال ابن عباس رضي الله عنهما: فلا أدري ما فعلت الفرقة الثالثة... قال عكرمة: فقلت: ما ترى - جعلني الله فداك - أنهم أنكروا وكرهوا حين قالوا: ﴿ لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً﴾؟ فأعجبه قولي ذلك، وأمر لي ببردين غليظين، فكسانيهما. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وأقره الذهبي على تصحيحه. [بردين: مثنى برد، وهو ثوب أسود مربع فيه صغر].

(٣) ليسلطن.

(٤) يذيقهم.

(٥) جعل نساءهم وصغارهم عبيداً.

(٦) اختبرناهم.

(٧) هو الجيل الذي يأتي بعد جيل ويخلفه، ويستعمل بسكون اللام لمن خلف في الشر ويفتحها لمن خلف في الخير. والمراد بهم هنا من كان زمن نبينا ﷺ.
وقال السدى قوله: ﴿فخلف من بعدهم خلف﴾ إلى قوله: ﴿ودرسوا ما فيه﴾ قال: كانت بنو إسرائيل لا يستقضون قاضياً إلا ارتشى في الحكم، وإن خيارهم اجتمعوا، فأخذ بعضهم على بعض العهود أن لا يفعلوا ولا يرتشوا، فجعل الرجل منهم إذا استقضى ارتشى، فيقال له: ما شأنك ترتشي في الحكم ؟ فيقول: سيغفر لي. فيطعن عليه البقية الآخرون من بني إسرائيل فيما صنع، فإذا مات أو نزع، وجعل مكانه رجل ممن كان يطعن عليه، فيرتشي، يقول: وإن يأت الآخرين عرض الدنيا يأخذوه. [تفسير ابن كثير].

(٨) والمعنى: أخذ عليهم عهد في التوراة.

(٩) يمسكون غيرهم بالكتاب ويدلونه على طريق الهدى.

(١٠) يُمْسكون بالكتاب ويهتدون به في أنفسهم.

الجبل ﴾ رفعناه من أصله(١) ﴿ فوقهم كأنه ظلة(٢) وظنوا ﴾ أيقنوا ﴿ انه واقع بهم ﴾ ساقط عليهم، بوعد الله إياهم بوقوعه إن لم يقبلوا أحكام التوراة، وكانوا أبوها لثقلها(٣)، فقبلوا. وقلنا لهم ﴿ خذوا ما آتيناكم بقوة ﴾ بجد واجتهاد ﴿ واذكروا ما فيه ﴾ بالعمل به ﴿ لعلكم تتقون ﴾.

١٧٢ ﴿ و ﴾ اذكر ﴿ إذ ﴾ حين ﴿ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ﴾ بدل اشتمال مما قبله بإعادة الجار ﴿ ذريتهم ﴾ بأن أخرج بعضهم من صلب بعض من صلب آدم، نسلاً بعد نسل، كنحو ما يتوالدون، كالذر(٤)، بنعمان(٥)، يوم عرفة، ونصب لهم دلائل على ربوبيته، وركب فيهم عقلاً(٦) ﴿ وأشهدهم على أنفسهم ﴾ قال: ﴿ ألست بربكم قالوا بلى ﴾ أنت ربنا ﴿ شهدنا ﴾ بذلك، والإشهاد لـ ﴿ أن ﴾ لا ﴿ تقولوا ﴾ بالياء والتاء في الموضعين(٧)، أي الكفار ﴿ يوم القيامة إنا كنا عن هذا ﴾ التوحيد ﴿ غافلين ﴾ لا نعرفه.

١٧٣ ﴿ أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل ﴾ أي قبلنا ﴿ وكنا ذرية من بعدهم ﴾ فاقتدينا بهم ﴿ أفتهلكنا ﴾ تعذبنا ﴿ بما فعل المبطلون ﴾ من آبائنا بتأسيس الشرك، المعنى: لا يمكنهم الاحتجاج بذلك مع إشهادهم على أنفسهم بالتوحيد، والتذكير به على لسان صاحب المعجزة قائم مقام ذكره في النفوس.

١٧٤ ﴿ وكذلك نفصل الآيات ﴾ نبينها مثل ما بينا الميثاق ليتدبروها ﴿ ولعلهم يرجعون ﴾ عن كفرهم.

١٧٥ ﴿ واتل ﴾ يا محمد ﴿ عليهم ﴾ أي اليهود ﴿ نبأ ﴾ خبر ﴿ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها ﴾ خرج بكفره كما تخرج الحية من جلدها، وهو بلعم بن باعوراء من علماء بني إسرائيل، سئل أن يدعو على موسى، وأهدي إليه شيء، فدعا، فانقلب عليه، واندلع لسانه على صدره ﴿ فأتبعه الشيطان ﴾ فأدركه فصار قرينه ﴿ فكان من الغاوين ﴾(٨).

١٧٦ ﴿ ولو شئنا لرفعناه ﴾ إلى منازل العلماء ﴿ بها ﴾ بأن نوفقه للعمل ﴿ ولكنه أخلد ﴾ سكن ﴿ إلى الأرض ﴾ أي الدنيا، ومال إليها(٩) ﴿ واتبع هواه ﴾ في دعائه إليها، فوضعناه ﴿ فمثله ﴾ صفته ﴿ كمثل الكلب إن تحمل عليه ﴾ بالطرد والزجر ﴿ يلهث ﴾ يدلع لسانه ﴿ أو ﴾ إن ﴿ تتركه يلهث ﴾ وليس غيره من الحيوان كذلك، وجملتا الشرط حال، أي لاهثاً ذليلاً بكل حال. والقصد التشبيه في الوضع والخسة، بقرينة الفاء المشعرة بترتيب ما بعدها على ما قبلها من الميل إلى الدنيا واتباع الهوى، وبقرينة قوله ﴿ ذلك ﴾ المثل ﴿ مثل القوم الذين

ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا۟
مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾
وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ
وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ
أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾
أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ
بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ
ٱلْءَايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ
ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ
ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى
ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ
عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ

---

(١) والنتق القلع من الأصل والرفع.

(٢) هي كل ما أظلك من سقف وغيره.

(٣) لشدة ما فيها من التكاليف.

(٤) بحجم صغار النمل، أو على هيئة الهباء الذي يرى في ضوء الشمس الداخل من النافذة. (٥) مكان بجانب عرفة.

(٦) عن مسلم بن يسار الجهني: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سئل عن قوله سبحانه وتعالى ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم﴾ الآية، قال: سئل عنها رسول الله ﷺ فقال: (إن الله تبارك وتعالى خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية فقال: خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال: خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون) فقال رجل: يا رسول الله، ففيم العمل؟ فقال رسول الله ﷺ (إن الله سبحانه وتعالى إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله الجنة، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله النار). أخرجه الترمذي [التفسير، باب: ومن سورة الأعراف] وقال: حديث حسن.

(٧) هنا وفي قوله ﴿أو تقولوا﴾ الآتي. (٨) الضالين الهالكين.

(٩) عن كعب بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه) أخرجه الترمذي في الزهد، باب: حرص المرء على المال والشرف. . ، رقم ٢٣٧٧.

كذبوا بآياتنا فاقصص القصص ﴾ على اليهود ﴿ لعلهم يتفكرون ﴾ يتدبرون فيها فيؤمنوا.

١٧٧ ﴿ ساء ﴾ بئس ﴿ مثلاً القوم ﴾ أي مثل القوم ﴿ الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون ﴾ بالتكذيب.

١٧٨ ﴿من يهدي الله فهو المهتدي ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون﴾.

١٧٩ ﴿ ولقد ذرأنا ﴾ خلقنا ﴿ لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ﴾ الحق ﴿ ولهم أعين لا يبصرون بها ﴾ دلائل قدرة الله بصرَ اعتبار ﴿ ولهم آذان لا يسمعون بها ﴾ الآيات والمواعظ سماعَ تدبر واتعاظ ﴿ أولئك كالأنعام ﴾ في عدم الفقه والبصر والاستماع ﴿ بل هم أضل ﴾ من الأنعام، لأنها تطلب منافعها وتهرب من مضارها، وهؤلاء يقدمون على النار معاندة ﴿ أولئك هم الغافلون ﴾(١).

١٨٠ ﴿ ولله الأسماء الحسنى ﴾ التسعة والتسعون، الوارد بها الحديث(٢)، والحسنى مؤنث الأحسن ﴿ فادعوه ﴾ سموه ﴿ بها وذروا ﴾ اتركوا ﴿ الذين يلحدون ﴾ من ألحد ولحد، يميلون عن الحق ﴿ في أسمائه ﴾ حيث اشتقوا منها أسماء لآلهتهم: كاللات من الله، والعزى من العزيز، ومناة من المنان ﴿ سيجزون ﴾ في الآخرة جزاء ﴿ ما كانوا يعملون ﴾ وهذا قبل الأمر في القتال(٣).

١٨١ ﴿ وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون ﴾ هم أمة محمد ﷺ، كما في الحديث(٤).

١٨٢ ﴿ والذين كذبوا بآياتنا ﴾ القرآن من أهل مكة ﴿ سنستدرجهم ﴾ نأخذهم قليلاً قليلاً ﴿ من حيث لا يعلمون ﴾. ١٨٣ ﴿ وأملي لهم ﴾ أمهلهم ﴿ إن كيدي(٥) متين ﴾ شديد لا يطاق.

كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ١٧٦
سَآءَ مَثَلًا ٱلۡقَوۡمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمۡ كَانُواْ
يَظۡلِمُونَ ١٧٧ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِيۖ وَمَن يُضۡلِلۡ
فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ١٧٨ وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا
مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ
لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ
كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ١٧٩
وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ
يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠
وَمِمَّنۡ خَلَقۡنَآ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ ١٨١
وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ
لَا يَعۡلَمُونَ ١٨٢ وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ ١٨٣

---

(١) المفرطون في الغفلة عما ينفعهم أو يضرهم. والأنعام: هي الإبل والبقر والغنم، ومنها المعز.

(٢) روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إن لله تسعة وتسعين اسماً، من حفظها دخل الجنة، وإن الله وتر يحب الوتر) أي واحد فرد، فيحب الإيتار في الأعمال.

[البخاري: الدعوات، باب: لله مائة اسم غير واحدة، رقم: ٦٠٤٧. مسلم: الذكر والدعاء والتوبة، باب: في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها، رقم: ٢٦٧٧]. وأخرج الترمذي [الدعوات، باب: أسماء الله الحسنى بالتفصيل، رقم: ٣٥٠٢] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إن لله تسعة وتسعين اسماً، مائة غير واحدة، من أحصاها دخل الجنة: هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارىء المصور الغفار القهار الوهاب الرزاق الفتاح العليم القابض الباسط الخافض الرافع المعز المذل السميع البصير الحكم العدل اللطيف الخبير الحليم العظيم الغفور الشكور العلي الحفيظ المقيت الحسيب الجليل الكريم الرقيب المجيب الواسع الحكيم الودود المجيد الباعث الشهيد الحق الوكيل القوي المتين الولي الحميد المحصي المبدىء المعيد المحيي المميت الحي القيوم الواجد الماجد الواحد الصمد القادر المقتدر المقدم المؤخر الأول الأخر الظاهر الباطن الوالي المتعالي البر التواب المنتقم العفو الرؤوف مالك الملك ذو الجلال والإكرام المقسط الجامع الغني المغني المانع الضار النافع النور الهادي البديع الباقي الوارث الرشيد الصبور).

(٣) أي تركهم وعدم التعرض لهم، وأما بعده: فيدعون إلى الإسلام، فإذا لم يسلموا أو يدخلوا في عهد صلح مع المسلمين قوتلوا.

(٤) روى البخاري ومسلم عن معاوية رضي الله عنه قال وهو يخطب: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك).

[البخاري: المناقب، باب: سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية...، رقم: ٣٤٤١. مسلم: الإمارة، باب: قوله ﷺ (لا تزال طائفة..) رقم: ١٩٢١].

(٥) أخذي للكافر بعد إنعامي عليه، وسمي كيداً ـ وهو في الأصل المكر والخديعة ـ من حيث إنه إحسان في الظاهر وخذلان في الحقيقة.

١٨٤ ﴿ أو لم يتفكروا ﴾ فيعلموا ﴿ ما بصاحبهم ﴾ محمد ﷺ ﴿ من جنة ﴾ جنون(*) ﴿ إن ﴾ ما ﴿ هو إلا نذير مبين ﴾ بين الإنذار.

١٨٥ ﴿ أو لم ينظروا في ملكوت ﴾ ملك ﴿ السماوات والأرض و ﴾ في ﴿ ما خلق الله من شيء ﴾ بيان لما، فيستدلوا به على قدرة صانعه ووحدانيته ﴿ و ﴾ في ﴿ أن ﴾ أي أنه ﴿ عسى أن يكون قد اقترب ﴾ قرب ﴿ أجلهم ﴾ فيموتوا كفاراً فيصيروا إلى النار، فيبادروا إلى الإيمان ﴿ فبأي حديث بعده ﴾ أي القرآن ﴿ يؤمنون ﴾.

١٨٦ ﴿ من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم ﴾ بالياء والنون، مع الرفع استئنافاً، والجزم عطفاً على محل ما بعد الفاء(١) ﴿ في طغيانهم يعمهون ﴾ يترددون تحيراً.

١٨٧ ﴿ يسألونك ﴾ أي أهل مكة ﴿ عن الساعة ﴾ القيامة ﴿ أيان ﴾ متى ﴿ مرساها(٢) ﴾ قل ﴿ لهم ﴿ إنما علمها ﴾ متى تكون ﴿ عند ربي لا يجليها ﴾ يظهرها ﴿ لوقتها ﴾ اللام بمعنى في ﴿ إلا هو ثقلت ﴾ عظمت ﴿ في السماوات والأرض ﴾ على أهلهما لهولها ﴿ لا تأتيكم إلا بغتة ﴾ فجأة(٣) ﴿ يسألونك كأنك حفي ﴾ مبالغ في السؤال ﴿ عنها ﴾ حتى علمتها ﴿ قل إنما علمها عند الله ﴾ تأكيد ﴿ ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ أن علمها عنده تعالى.

١٨٨ ﴿ قل لا أملك لنفسي نفعاً ﴾ أجلبه ﴿ ولا ضراً ﴾ أدفعه ﴿ إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب ﴾ ما غاب عني ﴿ لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ﴾ من فقر وغيره، لاحترازي عنه باجتناب المضار ﴿ إن ﴾ ما ﴿ أنا إلا نذير ﴾ بالنار للكافرين ﴿ وبشير ﴾ بالجنة ﴿ لقوم يؤمنون ﴾.

أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ ۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ
مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ
أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ
فَلَا هَادِىَ لَهُۥ ۚ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾
يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا
عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ
حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا
مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ
ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ

---

(١) أي جملة جواب الشرط وهي ﴿لا هادي له﴾ فهي في محل جزم جواب الشرط ﴿مَنْ يضلل﴾. والجزم على قراءة الياء لا غير.

(٢) وقوعها وثبوتها وانتهاء أمد الحياة إليها.

(٣) روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه. ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه، ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقي فيه، ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها). [البخاري: الرقاق، باب: طلوع الشمس من مغربها، رقم: ٦١٤١. مسلم: الفتن وأشراط الساعة، باب: قرب الساعة، رقم: ٢٩٥٤].

[لقحته: الناقة القريبة العهد بالولادة. يليط حوضه: يطينه ويصلحه. أكلته: لقمته. فلا يطعمها: فلا يأكلها، ويحول بينه وبين أكلها قيام الساعة بأسرع من دفع اللقمة إلى الفم. وكل ما ذكر كناية عن سرعة قيامها فجأة، دون سابق علم لأحد، ولذلك يكون الناس - حين تقوم - على أحوالهم التي ألفوها وأعمالهم التي يمارسونها].

(*) لقد أكثر المشركون من اتهام النبي ﷺ بالجنون، ولهذا كثرت الآيات في كتاب الله تعالى التي تنكر عليهم هذه التهمة. وهذا مسلك سلكه الأمم الماضية مع رسلهم، وما ذلك إلا لأن الرسل يبعثون لينقوا المجتمعات من العادات السيئة التي يعيشونها، ولتمكن هذه العادات في نفوس الناس - ولا سيما إذا توارثوها جيلاً بعد جيل - يصبح إنكارها لديهم خروجاً عن العقل والمنطق، وهذا ما نلمسه في مجتمعاتنا الإسلامية اليوم حين ينكر على الناس بعض ما ألفوه واعتادوه، ولذلك حث شرع الله تعالى على قمع ما يخالف الشرع أول ما يبدو.

سبب نزول الآية [١٨٤]: عن قتادة قال: ذكر لنا أن النبيّ ﷺ قام على الصفا فدعا قريشاً، فجعل يدعوهم فخذاً فخذاً: يا بني فلان، يا بني فلان، يحذِّرهم بأس الله ووقائعه، فقال قائلهم: إن صاحبكم هذا لمجنون، بات يهوت إلى الصباح، فأنزل الله: ﴿أو لم يتفكروا ما بصاحبهم من جِنَّة..﴾. [السيوطي]. [فخذاً: الفخذ من الناس دون القبيلة وفوق البطن. بأس الله: عذابه وشدته. يُهَوِّت: يصيح].

سبب نزول الآية [١٨٧]: أخرج ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال حمل بن أبي قشير وسموءل بن زيد لرسول الله ﷺ: أخبرنا متى الساعة إن كنت نبياً كما تقول، فإنا نعلم متى هي؟ فأنزل الله: ﴿ يسألونك عن الساعة أيان مرساها ﴾ الآية.

سبب نزول الآية [١٨٨]: قال الواحدي: قال الكلبي: إن أهل مكة قالوا: يا محمد لا يخبرك ربك بالسعر الرخيص قبل أن يغلو فتشتري فتربح، وبالأرض التي يريد أن تجدب فترحل عنها إلى ما قد أخصب؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية.

١٨٩ ﴿هو﴾ أي الله ﴿الذي خلقكم من نفس واحدة﴾ أي آدم ﴿وجعل﴾ خلق ﴿منها زوجها﴾ حواء ﴿ليسكن إليها﴾ ويألفها⁽¹⁾ ﴿فلما تغشاها﴾ جامعها ﴿حملت حملاً خفيفاً﴾ هو النطفة ﴿فمرت به﴾ ذهبت وجاءت، لخفته ﴿فلما أثقلت﴾ بكبر الولد في بطنها وأشفقا أن يكون بهيمة ﴿دعوا الله ربهما لئن آتيتنا﴾ ولداً ﴿صالحاً﴾ سوياً ﴿لنكونن من الشاكرين﴾ لك عليه.

١٩٠ ﴿فلما آتاهما﴾ ولداً ﴿صالحاً جعلا له شركاء﴾ وفي قراءة بكسر الشين والتنوين⁽²⁾، أي شريكاً ﴿فيما آتاهما﴾ بتسميته عبد الحارث، ولا ينبغي أن يكون عبداً إلا لله، وليس بإشراك في العبودية لعصمة آدم. وروى سمرة، عن النبي ﷺ قال: (لما ولدت حواء طاف بها إبليس، وكان لا يعيش لها ولد، فقال: سميه عبد الحارث، فإنه يعيش، فسمته فعاش، فكان ذلك من وحي الشيطان وأمره) رواه الحاكم وقال: صحيح، والترمذي وقال: حسن غريب⁽³⁾ ﴿فتعالى الله عما يشركون﴾ أي أهل مكة، به من الأصنام. والجملة مسببة عطف على خلقكم⁽⁴⁾، وما بينهما اعتراض.

١٩١ ﴿أيشركون﴾ به في العبادة ﴿ما لا يخلق شيئاً وهم يُخلقون﴾⁽⁵⁾.

١٩٢ ﴿ولا يستطيعون لهم﴾ أي لعابديهم ﴿نصراً ولا أنفسهم ينصرون﴾ بمنعها ممن أراد بهم سوءاً من كسر وغيره، والاستفهام للتوبيخ.

١٩٣ ﴿وإن تدعوهم﴾ الأصنام ﴿إلى الهدى لا يَتْبَعُوكم﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿سواء عليكم أدعوتموهم﴾ إليه ﴿أم أنتم صامتون﴾ عن دعائهم، لا يتبعوكم لعدم سماعهم.

١٩٤ ﴿إن الذين تدعون﴾ تعبدون ﴿من دون الله عباد﴾ مملوكة ﴿أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم﴾ دعاءكم ﴿إن كنتم صادقين﴾ في أنها آلهة. ثم بين غاية عجزهم، وفضل عابديهم عليهم، فقال:

١٩٥ ﴿ألهم أرجل يمشون بها أم﴾ بل أ ﴿لهم أيد﴾ جمع يد ﴿يبطشون بها أم﴾ بل أ ﴿لهم أعين يبصرون بها أم﴾ بل أ ﴿لهم

يُؤۡمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ * هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ
وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَاۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتۡ
حَمۡلًا خَفِيفٗا فَمَرَّتۡ بِهِۦۖ فَلَمَّآ أَثۡقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنۡ
ءَاتَيۡتَنَا صَٰلِحٗا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا
صَٰلِحٗا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا
يُشۡرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ﴿١٩١﴾
وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ لَهُمۡ نَصۡرٗا وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾
وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمۡۚ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡ
أَدَعَوۡتُمُوهُمۡ أَمۡ أَنتُمۡ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ
مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ
إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمۡ أَرۡجُلٞ يَمۡشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ
أَيۡدٖ يَبۡطِشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَعۡيُنٞ يُبۡصِرُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ

---

(1) ليطمئن ويأنس، لأن الجنس إلى الجنس أميل.

(2) أي ﴿شِرْكاً﴾ بدون مد.

(3) المستدرك للحاكم: كتاب التاريخ، باب: ذكر آدم عليه السلام [٢/٥٤٥]. سنن الترمذي: تفسير القرآن، باب: ومن سورة الأعراف، رقم: ٣٠٧٩.

(4) المعنى: هو الذي خلقكم من نفس واحدة فتعالى الله عما يشركون. فجملة ﴿فتعالى..﴾ معطوفة على جملة ﴿خلقكم﴾. وقوله [مسبّبة] أي لأن وصف الله تعالى بالتعالي والتعاظم عن الشرك مسبب عن كونه سبحانه وتعالى خالقاً. وما ذكر بين الجملتين اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه، جيء به لمناسبة ذكر خلق الزوج من النفس. والذي دل على أن جملة ﴿فتعالى..﴾ معطوفة على ﴿خلقكم﴾ ولا تعلق لها بما ذكر قبلها قوله ﴿يشركون﴾ فجاء بلفظ الجمع الموافق لقوله ﴿خلقكم﴾ على سبيل الالتفات من الخطاب إلى الغيبة. ولو كان لها تعلق بما قبلها من قصة آدم وحواء عليهما السلام لقال: يشركان، بالتثنية، والله أعلم.

(5) أي العابدون وما يعبدونه من دون الله تعالى، الجميع مخلوقون له سبحانه، فلا يستحق أحد منهم أن يعبد.

قال ابن كثير في تفسيره: كان معاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ ابن جبل رضي الله عنهما ـ وكانا شابين قد أسلما لما قدم رسول الله ﷺ المدينة ـ فكانا يعدوان في الليل على أصنام المشركين يكسرانها ويتلفانها ويتخذانها حطباً للأرامل، ليعتبر قومهما بذلك، ويرتؤوا لأنفسهم، فكان لعمرو بن الجموح ـ وكان سيداً في قومه ـ كان له صنم يعبده ويطيبه، فكانا يجيئان في الليل فينكسانه على رأسه، ويلطخانه بالعذرة، فيجيء عمرو بن الجموح فيرى ما صنع به فيغسله ويطيبه ويضع عنده سيفاً، ويقول له: انتصر. يعودان لمثل ذلك، ويعود إلى صنيعه أيضاً، حتى أخذاه مرة فقرنا معه جرو كلب ميت، ودلياه في حبل في بئر هناك، فلما جاء عمرو بن الجموح ورأى ذلك، نظر فعلم أن ما كان عليه من الدين باطل، وقال:

تالله لو كنت إلهاً مُسْتَدَنْ   لم تك والكلب جميعاً في قَرَنْ

ثم أسلم فحسن إسلامه، وقتل يوم أحد شهيداً، رضي الله عنه وأرضاه، وجعل جنة الفردوس مأواه. [العذرة: الغائط. مستدن: من السدانة، وهي خدمة بيت العبادة. قرن: حبل].

آذان يسمعون بها ﴾ استفهام إنكاري، أي ليس لهم شيء من ذلك مما هو لكم، فكيف تعبدونهم وأنتم أتم حالاً منهم؟ ﴿ قل ﴾ لهم يا محمد ﴿ ادعوا شركاءكم ﴾ إلى هلاكي ﴿ ثم كيدون(١) فلا تنظرون ﴾ تمهلون، فإني لا أبالي بكم.

١٩٦ ﴿ إن وليي الله ﴾ متولي أموري(٢) ﴿ الذي نزل الكتاب ﴾ القرآن ﴿ وهو يتولى الصالحين ﴾ بحفظه.

١٩٧ ﴿ والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون ﴾ فكيف أبالي بهم؟ لا.

١٩٨ ﴿ وإن تدعوهم ﴾ أي الأصنام ﴿ إلى الهدى لا يسمعوا وتراهم ﴾ أي الأصنام، يا محمد ﴿ ينظرون إليك ﴾ أي يقابلونك كالناظر ﴿ وهم لا يبصرون ﴾.

١٩٩ ﴿ خذ العفو ﴾ اليسر من أخلاق الناس(٣)، ولا تبحث عنها(٤) ﴿ وأمر بالعرف ﴾ المعروف(٥) ﴿ وأعرض عن الجاهلين ﴾ فلا تقابلهم بسفههم.

٢٠٠ ﴿ وإما ﴾ فيه إدغام نون إن الشرطية في ما المزيدة ﴿ ينزغنك من الشيطان نزغ ﴾ أي إن يصرفك عما أمرت به صارف(٦) ﴿ فاستعذ بالله ﴾ جواب الشرط، وجواب الأمر محذوف، أي يدفعه عنك ﴿ إنه سميع ﴾ للقول ﴿ عليم ﴾ بالفعل.

٢٠١ ﴿ إن الذين اتقوا إذا مسهم ﴾ أصابهم ﴿ طائف ﴾ وفي قراءة «طيف» أي شيء ألم بهم ﴿ من الشيطان(٧) تذكروا ﴾ عقاب الله وثوابه ﴿ فإذا هم مبصرون ﴾ الحق من غيره، فيرجعون.

٢٠٢ ﴿ وإخوانهم ﴾ أي إخوان الشياطين من الكفار ﴿ يمدونهم ﴾ أي الشياطين ﴿ في الغي(٨) ثم ﴾ هم ﴿ لا يقصرون ﴾ يكفون عنه بالتبصر كما تبصر المتقون.

٢٠٣ ﴿ وإذا لم تأتهم ﴾ أي أهل مكة ﴿ بآية ﴾(٩) مما اقترحوا ﴿ قالوا لولا ﴾ هلا ﴿ اجتبيتها ﴾ أنشأتها من قبل نفسك ﴿ قل ﴾ لهم ﴿ إنما أتبع ما يوحى إليّ من ربي ﴾ وليس لي أن آتي من عند نفسي بشيء ﴿ هذا ﴾ القرآن

ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ
فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ ۖ
وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ
لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِن
تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ ۖ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ
إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ
وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ
نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَـٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا
هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ
لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُوا۟ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا ۚ
قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى ۚ هَـٰذَا بَصَآئِرُ

---

(١) دبروا لي ما شئتم من الأذى والضرر. (٢) وناصري عليكم. (٣) وما سهل وجاء بلا كلفة. (٤) لا تفتش عما لم يظهر لك من اخلاقهم. (٥) الجميل من الأخلاق الذي يرتضيه العقل ويقره الشرع. روى البخاري عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال: ما نزلت ﴿خذ العفو وأمر بالعرف﴾ إلا في اخلاق الناس. وفي رواية قال: أمر الله نبيه ﷺ أن يأخذ العفو من أخلاق الناس. أي تحث على العفو والتسامح فيما يظهر من أخلاقهم.

[البخاري: التفسير/الأعراف، باب: ﴿خذ العفو..﴾].

(٦) أخرج مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة) قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: (وإياي، إلا أن الله أعانني عليه فأسلم، فلا يأمرني إلا بخير). [صفات المنافقين..، باب: تحريش الشيطان].

قال النووي رحمه الله تعالى في شرح صحيح مسلم: واعلم أن الأمة مجتمعة على عصمة النبي ﷺ من الشيطان في جسمه وظاهره ولسانه، وفي هذا الحديث إشارة إلى التحذير من فتنة القرين ووسوسته وإغوائه، فأعلمنا بأنه معنا لنحترز منه بحسب الإمكان. (٧) خطر لهم قليل من وسوسته. (٨) والكفار الذين هم إخوان الشياطين يكون الشياطين مدداً لهم في الباطل والضلال. (٩) معجزة وأمر خارق لما اعتادوه وألفوه.

فائدة: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدم عيينة بن حصن بن حذيفة، فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس، وكان من النفر الذين يدنيهم عمر، وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته، كهولاً كانوا أو شباناً. فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي، لك وجه عند هذا الأمير، فاستأذن لي عليه، قال: سأستأذن لك عليه. قال ابن عباس: فاستأذن الحر لعيينة، فأذن له عمر، فلما دخل عليه قال: هِيْ يا ابن الخطاب، فوالله ما تعطينا الجزل ولا تحكم بيننا بالعدل. فغضب عمر حتى هَمَّ به، فقال له الحر: يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: ﴿خُذِ العَفْوَ وأْمُرْ بالعُرْفِ وأَعْرِضْ عَنِ الجاهلينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] وإن هذا من الجاهلين. والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقافاً عند كتاب الله. [البخاري: التفسير، باب: ﴿خذ العفو وأمر بالعرف..﴾ رقم: ٤٣٦٦] [النفر: الأشخاص. يدنيهم: يقربهم إليه في مجلسه. القراء: الذين يقرؤون القرآن ويحفظونه ويفقهونه. مشاورته: الذين يشاورهم في الأمور. كهولاً: جمع كهل، وهو الذي علاه الشيب، وقيل: هو من جاوز الثلاثين. هم به: أن يعاقبه، وفي رواية: (هم أن يوقع به) أي العقوبة. خذ العفو: اليسير، وتلبس بالسهولة من غير تشديد. بالعرف: المستحسن من الأفعال. أعرض عن الجاهلين: لا تقابلهم بفعلهم. ما جاوزها: لم يتعد العمل بها. وقافاً: أي إذا سمع آياته التزم أحكامه ووقف عندها ولم يتعدها].

﴿ بصائر ﴾ حجج ﴿ من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴾.

٢٠٤ ﴿ وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا ﴾ عن الكلام ﴿ لعلكم ترحمون ﴾ نزلت في ترك الكلام في الخطبة(١)، وعبر عنها بالقرآن لاشتمالها عليه. وقيل: في قراءة القرآن مطلقاً.

٢٠٥ ﴿ واذكر ربك في نفسك ﴾ أي سراً ﴿ تضرعاً ﴾ تذللاً ﴿ وخيفة ﴾ خوفاً منه ﴿ و ﴾ فوق السر ﴿ دون الجهر من القول ﴾ أي قصداً(٢) بينهما ﴿ بالغدو والآصال ﴾(٣) أوائل النهار وأواخره(٤) ﴿ ولا تكن من الغافلين ﴾ عن ذكر الله.

٢٠٦ ﴿ إن الذين عند ربك ﴾ أي الملائكة ﴿ لا يستكبرون ﴾ يتكبرون ﴿ عن عبادته ويسبحونه ﴾ ينزهونه عما لا يليق به ﴿ وله يسجدون ﴾ أي يخصونه بالخضوع والعبادة، فكونوا مثلهم (٥).

(سورة الأنفال)(٦)

(مدنية، أو: إلا ﴿ وإذ يمكر بك.. ﴾

الآيات السبع [٣٠ - ٣٦] فمكية(٧). وآياتها ٧٥)

بسم الله الرحمن الرحيم

لما اختلف المسلمون في غنائم بدر، فقال الشبان: هي لنا لأننا باشرنا القتال، وقال الشيوخ: كنا ردءاً لكم تحت الرايات، ولو انكشفتم لفئتم إلينا، فلا تستأثروا بها(٨) عنا. فنزل:

١ ﴿ يسألونك ﴾ يا محمد ﴿ عن الأنفال ﴾ الغنائم، لمن هي؟ ﴿ قل ﴾ لهم ﴿ الأنفال لله ﴾ يجعلها حيث شاء ﴿ والرسول ﴾ يقسمها بأمر الله، فقسمها ﷺ بينهم على السواء. رواه الحاكم في المستدرك(٩) ﴿ فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم ﴾ أي حقيقة ما بينكم، بالمودة وترك النزاع ﴿ وأطيعوا الله ورسوله

مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٢٠٣) وَإِذَا قُرِئَ
الْقُرْءَانُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٢٠٤)
وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ
الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ (٢٠٥)
إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ
وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ (٢٠٦) ۩

(٨) سُورَةُ الأَنفَالِ مَدَنِيَّة
وَآيَاتُهَا خَمْسٌ وَسَبْعُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ
فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ

---

(١) خطبة الجمعة. (٢) توسطاً واعتدالاً.

(٣) جمع غدوة وهي من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، وجمع أصيل وهو: من العصر إلى الغروب.

(٤) والمراد إدامة الذكر وعدم الغفلة عن الله تعالى في جميع الأوقات ولو في الفكر.

(٥) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ كان يقرأ القرآن، فيقرأ سورة فيها سجدة فيسجد ونسجد معه، حتى ما يجد بعضنا موضعاً لمكان جبهته، في غير صلاة. [البخاري: سجود القرآن، باب: من سجد لسجود القارىء، رقم: ١٠٢٥. مسلم: المساجد ومواضع الصلاة، باب: سجود التلاوة، رقم: ٥٧٥]. وروى مسلم [الإيمان، باب: بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة، رقم: ٨١] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي، يقول: يا ويله، أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة، وأمرت بالسجود فأبيت فلي النار).

(٦) روى البخاري ومسلم عن سعيد بن جبير قال: سألت ابن عباس عن سورة الأنفال، قال: نزلت في بدر. [البخاري، التفسير، أوائل تفسير سورة الأنفال، رقم: ٤٣٦٨. مسلم: التفسير، باب: في سورة براءة والأنفال والحشر، رقم: ٣٠٣١].

(٧) الأصح أنها كلها مدنية، والآيات المذكورة نزلت في المدينة تذكر بواقعة حصلت في مكة.

(٨) ردءاً: عوناً. الرايات: جمع راية، وهي العلم الذي تحمله كل فرقة من الجيش، ليكون دليل اجتماعها. انكشفتم: انهزمتم. لفئتم إلينا: رجعتم. لا تستأثروا بها: لا تأخذوها وحدكم دون أن نشارككم فيها.

(٩) المستدرك: التفسير/تفسير سورة الأنفال [٢/٣٢٦].

سبب نزول الآية [٢٠٤]: قال الواحدي: قال سعيد بن جبير، ومجاهد، وعطاء، وعمرو بن دينار وجماعة: نزلت في الإنصات للإمام في الخطبة يوم الجمعة. وقال سعيد بن منصور في سننه: عن محمد بن كعب قال: كانوا يتلقفون من رسول الله ﷺ إذا قرأ شيئاً قرؤوا معه، حتى نزلت هذه الآية التي في الأعراف: ﴿وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا﴾.

سبب نزول الآيات الأولى من سورة الأنفال: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبيّ ﷺ: (من قتل قتيلاً فله كذا وكذا، ومن أسر أسيراً

إن كنتم مؤمنين ﴾ حقاً.

٢ ﴿ إنما المؤمنون ﴾ الكاملو الإيمان ﴿ الذين إذا ذكر الله ﴾ أي وعيده(١) ﴿ وجلت ﴾ خافت ﴿ قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً ﴾ تصديقاً ﴿ وعلى ربهم يتوكلون ﴾ به يثقون لا بغيره.

٣ ﴿ الذين يقيمون الصلاة ﴾ يأتون بها بحقوقها ﴿ ومما رزقناهم ﴾ أعطيناهم ﴿ ينفقون ﴾ في طاعة الله تعالى.

٤ ﴿ أولئك ﴾ الموصوفون بما ذكر ﴿ هم المؤمنون حقاً ﴾ صدقاً بلا شك ﴿ لهم درجات ﴾ منازل في الجنة(٢) ﴿ عند ربهم ومغفرة ورزق كريم ﴾ في الجنة.

٥ ﴿ كما أخرجك ربك من بيتك بالحق ﴾(٣) متعلق بأخرج ﴿ وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون ﴾ الخروج، والجملة حال من كاف أخرجك، وكما خبر مبتدأ محذوف، أي هذه الحال في كراهتهم لها مثل إخراجك في حال كراهتهم، وقد كان خيراً لهم، فكذلك أيضاً. وذلك: أن أبا سفيان قدم بعير(٤) من الشام، فخرج النبي ﷺ وأصحابه ليغنموها، فعلمت قريش فخرج أبو جهل ومقاتلو مكة ليذبوا(٥) عنها، وهم النفير، وأخذ أبو سفيان بالعير طريق الساحل، فنجت، فقيل لأبي جهل: ارجع، فأبى وسار إلى بدر، فشاور النبي ﷺ أصحابه وقال: (إن الله وعدني إحدى الطائفتين) فوافقوه على قتال النفير، وكره بعضهم ذلك وقالوا: لم نستعد له، كما قال تعالى:

٦ ﴿ يجادلونك في الحق ﴾ القتال ﴿ بعد ما تبين ﴾ ظهر لهم ﴿ كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون ﴾ إليه عياناً، في كراهتهم له.

٧ ﴿ و ﴾ اذكر ﴿ إذ يعدكم الله إحدى الطائفتين ﴾ العير أو النفير ﴿ أنها لكم وتودون ﴾ تريدون ﴿ أن غير ذات الشوكة ﴾ أي البأس والسلاح، وهي العير ﴿ تكون لكم ﴾ لقلة عددها وعُددها، بخلاف النفير ﴿ ويريد الله أن يحق الحق ﴾ يظهره ﴿ بكلماته ﴾ السابقة بظهور الإسلام ﴿ ويقطع دابر الكافرين ﴾ آخرهم، بالاستئصال، فأمرهم بقتال النفير.

٨ ﴿ ليحق الحق ويبطل ﴾ يمحق ﴿ الباطل ﴾ الكفر ﴿ ولو كره المجرمون ﴾ المشركون ذلك.

٩ اذكر ﴿ إذ تستغيثون

إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١) إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ
ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ
إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ
وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ (٣) أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا
لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤)
كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ
ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ (٥) يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَ
مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ (٦)
وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ
غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ
بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ (٧) لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ
وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ (٨) إِذْ تَسْتَغِيثُونَ

فله كذا وكذا). فأما المشيخة فثبتوا تحت الرايات، وأما الشبان فسارعوا إلى القتل والغنائم، فقالت المشيخة للشبان: أشركونا معكم فإنا كنا لكم ردءاً، ولو كان منكم شيء للجأتم إلينا. فاختصموا إلى النبيّ ﷺ، فنزلت: ﴿يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول﴾. [ردءاً: حفظاً وحماية وعوناً]. [أبو داود: الجهاد، باب: في النفل، رقم: ٢٧٣٧، ٢٧٣٨. الحاكم في المستدرك: التفسير/الأنفال: ٢/٣٢٦].

وروى أحمد [١/١٨٠] عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: لما كان يوم بدر قتل أخي عمير، فقتلت به سعيد بن العاص وأخذت سيفه، فأتيت به النبيّ ﷺ، فقال: (اذهب فاطرحه في القَبَض). فرجعت وبي ما لا يعلمه إلا الله من قتل أخي وأخذ سلبي، فما جاوزت إلا يسيراً حتى نزلت سورة الأنفال، فقال لي النبيّ ﷺ: (اذهب فخذ سيفك).[وانظر مسلم: فضائل الصحابة، فضل سعد رضي الله عنه].[القَبَض:قال في النهاية: بالتحريك بمعنى المقبوض، وهو ما جمع من الغنيمة قبل أن تقسم. سلبي: وهو ما يأخذه أحد القرنين ـ أي المتقاتلين ـ من الآخر في الحرب، مما يكون عليه ومعه من سلاح وثياب وغيرها]. وعن سعد رضي الله عنه ـ أيضاً ـ قال: لما كان يوم بدر جئت بسيف، فقلت: يا رسول الله، إن الله قد شفى صدري من المشركين، هب لي هذا السيف. فقال: (هذا ليس لي ولا لك). فقلت: عسى أن يعطى هذا من لا يُبلي بلائي. فجاءني الرسول ﷺ فقال: (إنك سألتني وليس لي، وإنه قد صار لي، وهو لك). قال: فنزلت: ﴿يسألونك عن الأنفال﴾ الآية. [الترمذي: تفسير القرآن، باب: ومن سورة الأنفال، رقم: ٣٠٨٠. أبو داود:الجهاد،باب: في النفل،رقم: ٢٧٤٠. وانظر مسلم: الجهاد والسير، باب: الأنفال، رقم: ١٧٤٨]

سبب نزول الآية [٥]: عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال: قال لنا رسول الله ﷺ ونحن بالمدينة، وبلغه أن عير أبي سفيان قد أقبلت:

---

(١) بالعذاب لمن عصاه.

(٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (في الجنة مائة درجة، ما بين كل درجتين مائة عام) أخرجه الترمذي في [أبواب صفة الجنة، باب: ما جاء في صفة درجات الجنة، رقم: ٢٥٣١].

(٣) كما أخرجك من المدينة إلى بدر، وكان خروجك عين الحكمة والصواب. (٤) إبل محملة بالتجارة. (٥) ليدفعوا.

رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ
مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ
قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ
حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم
مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ
ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾
إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟
فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ
شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ
شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ
عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ

ربكم ﴾ تطلبون منه الغوث بالنصر عليهم **﴿ فاستجاب لكم أني ﴾** أي بأني **﴿ ممدكم ﴾** معينكم **﴿ بألف من الملائكة مردفين ﴾** متتابعين، يردف بعضهم بعضاً، وعدهم بها أولاً، ثم صارت ثلاثة آلاف، ثم خمسة، كما في آل عمران /١٢٤ ـ ١٢٥/(١). وقرىء: «بآلُف»(٢) كأفلس، جمع.

١٠ **﴿ وما جعله الله ﴾** أي الإمداد **﴿ إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم ﴾**.

١١ اذكر **﴿ إذ يغشيكم النعاس**(٣) **أمنة ﴾** أمناً مما حصل لكم من الخوف **﴿ منه ﴾** تعالى **﴿ وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ﴾** من الأحداث والجنابات **﴿ ويذهب عنكم رجز الشيطان ﴾** وسوسته إليكم: بأنكم لو كنتم على الحق ما كنتم ظِمأى محدثين، والمشركون على الماء **﴿ وليربط ﴾** يحبس(٤) **﴿ على قلوبكم ﴾** باليقين والصبر **﴿ ويثبت به الأقدام ﴾** أن تسوخ في الرمل.

١٢ **﴿ إذ يوحي ربك إلى الملائكة ﴾** الذين أمد بهم المسلمين **﴿ أني ﴾** أي بأني **﴿ معكم ﴾** بالعون والنصر **﴿ فثبتوا الذين آمنوا ﴾** بالإعانة والتبشير **﴿ سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب ﴾** الخوف **﴿ فاضربوا فوق الأعناق ﴾** أي الرؤوس **﴿واضربوا منهم كل بنان ﴾** أي أطراف اليدين والرجلين، فكان الرجل يقصد ضرب رقبة الكافر فتسقط قبل أن يصل إليه سيفه. ورماهم ﷺ بقبضة من الحصى، فلم يبق مشرك إلا دخل في عينيه منها شيء، فانهزموا.

١٣ **﴿ ذلك ﴾** العذاب الواقع بهم **﴿ بأنهم شاقوا ﴾** خالفوا **﴿ الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب ﴾** له.

١٤ **﴿ ذلكم ﴾** العذاب **﴿ فذوقوه ﴾** أيها الكافرون في الدنيا **﴿ وأن للكافرين ﴾** في الآخرة **﴿ عذاب النار ﴾**.

١٥ **﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين**

---

(١) أخرج مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: حدثني عمر بن الخطاب قال: لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً، فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة ثم مد يده، فجعل يهتف بربه يقول: (اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آت ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض) فما زال يهتف بربه ماداً يديه حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال: يا نبي الله، كذاك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك. فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿إذ تستغيثون ربكم..﴾. فأمده الله بالملائكة:

[مسلم: الجهاد والسير، باب: الإمداد بالملائكة في غزوة بدر..، رقم: ١٧٦٣. والترمذي: تفسير القرآن، باب: من سورة الأنفال، رقم: ٣٠٨١].

[يهتف: يرفع صوته ويستغيث. العصابة: الجماعة. كذاك: في الترمذي وبعض روايات مسلم: كفاك].

وروى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال يوم بدر: (هذا جبريل آخذ برأس فرسه، عليه أداة الحرب) يعني آلة الحرب. [البخاري: المغازي، باب: شهود الملائكة بدراً، رقم: ٣٧٧٣].

(٢) أي أصلها: أألُف، فقلبت الهمزة الثانية ألفاً، وهي قراءة شاذة.

(٣) يلقي عليكم النوم الخفيف. قال ابن كثير: ثبت في الصحيح:

أن رسول الله ﷺ لما كان يوم بدر في العريش مع الصديق رضي الله عنه، وهما يدعوان، أخذت رسول الله ﷺ سنة من النوم، ثم استيقظ مبتسماً فقال: «أبشر يا أبا بكر، هذا جبريل على ثناياه النقع». ثم خرج من باب العريش وهو يتلو قوله تعالى: ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾ [دلائل النبوة للبيهقي].

(٤) الربط الشد، وكل من صبر على أمر فقد ربط نفسه عليه.

(ما ترون فيها؟ لعلّ الله يغنمناها ويسلمنا). فخرجنا، فسرنا يوماً أو يومين، فقال: (ما ترون فيهم). فقلنا: يا رسول الله، ما لنا طاقة بقتال القوم، إنما أخرجنا للعير. فقال المقداد: لا تقولوا كما قال قوم موسى: ﴿اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون﴾ [المائدة: ٢٤] فأنزل الله: ﴿كما أخرجك ربك من بيتك بالحقّ..﴾ [السيوطي].

كفروا زحفاً ﴾ أي مجتمعين، كأنهم لكثرتهم يزحفون ﴿ فلا تولوهم الأدبار ﴾(١) منهزمين.

١٦ ﴿ ومن يولهم يومئذٍ ﴾ أي يوم لقائهم ﴿دبره إلا متحرفاً ﴾ منعطفاً ﴿ لقتال ﴾ بأن يريهم الفَرة مكيدة، وهو يريد الكرة(٢) ﴿ أو متحيزاً ﴾ منضماً ﴿ إلى فئة ﴾ جماعة من المسلمين يستنجد بها ﴿ فقد باء ﴾ رجع ﴿ بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير ﴾ المرجع هي، وهذا مخصوص بما إذا لم يزد الكفار على الضعف.

١٧ ﴿ فلم تقتلوهم ﴾ ببدر بقوتكم ﴿ ولكن الله قتلهم ﴾ بنصره إياكم ﴿ وما رميت ﴾ يا محمد أعين القوم ﴿ إذ رميت ﴾ بالحصى، لأن كفاً من الحصى لا يملأ عيون الجيش الكثير برمية بشر ﴿ ولكن الله رمى ﴾ بإيصال ذلك إليهم، فعل ذلك ليقهر الكافرين ﴿ وليبلي المؤمنين منه بلاءً ﴾ عطاءً ﴿ حسناً ﴾ هو الغنيمة(٣) ﴿ إن الله سميع ﴾ لأقوالهم ﴿ عليم ﴾ بأحوالهم.

١٨ ﴿ ذلكم ﴾ الإبلاء حق ﴿ وأن الله موهن ﴾ مضعف ﴿ كيد الكافرين ﴾.

١٩ ﴿إن تستفتحوا ﴾ أيها الكفار إن تطلبوا الفتح، أي القضاء، حيث قال أبو جهل منكم: اللهم، أينا(٤) كان أقطع للرحم وآتانا بما لا نعرف فأحنه الغداة، أي أهلكه ﴿ فقد جاءكم الفتح ﴾ القضاء بهلاك من هو كذلك، وهو أبو جهل ومن قتل معه(٥)، دون النبي ﷺ والمؤمنين ﴿ وإن تنتهوا ﴾ عن الكفر والحرب ﴿ فهو خير لكم وإن تعودوا ﴾ لقتال النبي ﷺ ﴿ نعد ﴾ لنصره عليكم ﴿ ولن تغني ﴾ تدفع ﴿ عنكم فئتكم ﴾ جماعاتكم ﴿ شيئاً ولو كثرت وإن الله مع المؤمنين ﴾ بكسر إن استئنافاً، وفتحها على تقدير اللام.

٢٠ ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا ﴾ تعرضوا ﴿ عنه ﴾ بمخالفة أمره ﴿ وأنتم تسمعون ﴾ القرآن والمواعظ.

٢١ ﴿ ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون ﴾ سماع تدبر واتعاظ، وهم المنافقون، أو المشركون.

٢٢ ﴿ إن شر الدواب(٦) عند الله

٢٢٩ (سورة الأنفال)

كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ
دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ
بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٦﴾
فَلَمۡ تَقۡتُلُوهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمۡۚ وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ
وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰۚ وَلِيُبۡلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡهُ بَلَآءً حَسَنًاۚ إِنَّ
ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿١٧﴾ ذَٰلِكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيۡدِ
ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾ إِن تَسۡتَفۡتِحُواْ فَقَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡفَتۡحُۖ وَإِن
تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدۡ وَلَن تُغۡنِيَ عَنكُمۡ
فِئَتُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَوۡ كَثُرَتۡۚ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٩﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ
وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعۡنَا
وَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ﴿٢١﴾ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ

سبب نزول الآية [١٧]: عن سعيد بن المسيب عن أبيه رضي الله عنه قال: أقبل أبيّ بن خلف يوم أحد إلى النبيّ ﷺ بجريدة، فاعترض رجال من المؤمنين، فأمرهم رسول الله ﷺ فخلوا سبيله، فاستقبله مصعب بن عمير، أخو بني عبد الدار، ورأى رسول ﷺ ترقوة أبيّ من فرجة بين سابغة الدرع والبيضة، فطعنه بحربته، فسقط أبيّ عن فرسه، ولم يخرج من طعنته دم، فكسر ضلعاً من أضلاعه، فأتاه أصحابه وهو يخور خوار الثور، فقالوا: ما أعجزك إنما هو خدش، فذكر لهم قول رسول الله ﷺ: (بل أنا أقتل أبيّاً). ثم قال: والذي نفسي بيده لو كان هذا الذي بي بأهل ذي المجاز لماتوا أجمعين. فمات أبيّ ـ إلى النار، فسحقاً لأصحاب السعير ـ قبل أن يقدم مكة، فأنزل الله: ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ الآية. [المستدرك: التفسير/ الأنفال، باب: طعن رسول الله ﷺ أبي بن خلف بيده]. [ترقوة: هي العظم الذي في أعلى عظام الصدر. سابغة. . البيضة: زرد حديد الدرع، والبيضة هي الخوذة. يخور: يخرج صوتاً يشبه صوت الثور. بأهل ذي المجاز: سوق من أسواق العرب. فسحقاً: بعداً وهلاكاً]

قال الواحدي: وأكثر أهل التفسير أن الآية نزلت في رمي النبي عليه السلام القبضة من حصباء الوادي يوم بدر، حين قال للمشركين: (شاهت الوجوه). ورماهم بتلك القبضة، فلم يبق عين مشرك إلا دخلها منه شيء. [حصباء: هي الحصى الصغيرة أو الرمال. شاهت: قبحت وتغيرت صورتها]

سبب نزول الآية [١٩]: روى الحاكم عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير قال: كان المستفتح أبا جهل، فإنه قال حين التقى القوم: اللهمّ أينا كان أقطع للرحم وآتانا بما لا يعرف فأحنه الغداة. فكان ذلك استفتاحه، فأنزل الله: ﴿ إن تستفتحوا. . ﴾ [المستدرك: التفسير/ الأنفال، باب: شأن نزول

---

(١) لا تجعلوا ظهوركم من جهتهم وتفروا.

(٢) يظهر لهم الهرب خديعة، وهو يقصد الرجوع على الخصم.

(٣) ليختبرهم بالنعمة، فإن البلاء الاختبار، ويكون بالنعمة ليظهر الشكر، والنقمة ليظهر الصبر.

(٤) أي نحن، أو محمد ـ ﷺ ـ وأصحابه.

(٥) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من ينظر ما صنع أبو جهل). فانطلق ابن مسعود فوجده قد ضربه ابنا عفراء حتى برد، قال: فأخذ بلحيته فقال: أنت أبو جهل؟ فقال: وهل فوق رجل قتلتموه؟[البخاري: المغازي، باب: قتل أبي جهل، رقم: ٣٧٤٥: مسلم: الجهاد والسير، باب: قتل أبى جهل، رقم: ١٨٠٠].

(٦) كل ما دب على الأرض من بشر وغيره.

الصم ﴾ عن سماع الحق ﴿ البكم ﴾ عن النطق به ﴿ الذين لا يعقلونـ ﴾ ـه.

٢٣ ﴿ ولو علم الله فيهم خيراً ﴾ صلاحاً بسماع الحق ﴿ لأسمعهم ﴾ سماع تفهم ﴿ ولو أسمعهم ﴾ فرضاً، وقد علم أن لا خير فيهم ﴿ لتولوا ﴾ عنه ﴿ وهم معرضون ﴾ عن قبوله، عناداً وجحوداً.

٢٤ ﴿ يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول ﴾ بالطاعة ﴿ إذا دعاكم لما يحييكم ﴾ من أمر الدين، لأنه سبب الحياة الأبدية ﴿ واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه ﴾ فلا يستطيع أن يؤمن أو يكفر إلا بإرادته⁽١⁾ ﴿ وأنه إليه تحشرون ﴾ فيجازيكم بأعمالكم.

٢٥ ﴿ واتقوا فتنة ﴾⁽٢⁾ إن أصابتكم ﴿ لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ﴾ بل تعمهم وغيرهم، واتقاؤها بإنكار موجِبها من المنكَر ﴿ واعلموا أن الله شديد العقاب ﴾ لمن خالفه⁽٣⁾.

٢٦ ﴿ واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض ﴾ أرض مكة ﴿ تخافون أن يتخطفكم الناس ﴾ يأخذكم الكفار بسرعة ﴿ فآواكم ﴾ إلى المدينة ﴿ وأيدكم ﴾ قواكم ﴿ بنصره ﴾ يوم بدر بالملائكة ﴿ ورزقكم من الطيبات ﴾ الغنائم ﴿ لعلكم تشكرون ﴾ نعمه.

ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ
خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٢٣﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا
يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ
إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ
مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢٥﴾
وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ
أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ وَرَزَقَكُم
مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ
تَعۡلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ
وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿٢٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ

٢٧ ونزل في أبي لبابة مروان بن عبد المنذر ـ وقد بعثه ﷺ إلى بني قريظة لينزلوا على حكمه، فاستشاروه فأشار إليهم: أنه الذبح، لأن عياله وماله فيهم ـ ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول و ﴾ لا ﴿ تخونوا أماناتكم ﴾ ما ائتمنتم عليه من الدين وغيره ﴿ وأنتم تعلمون ﴾.

٢٨ ﴿ واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة ﴾ لكم صادة عن أمور الآخرة ﴿ وأن الله عنده أجر عظيم ﴾ فلا تفوتوه بمراعاة الأموال والأولاد والخيانة لأجلهم. ونزل في توبته:

٢٩ ﴿ يا أيها الذين آمنوا

---

(١) لا سيما إذا تمكن منه الكفر، أو تملكته المعصية، فعلى العاقل أن يسارع إلى الطاعة، ويضرع إلى الله عزّ وجلّ أن يرزقه الثبات عليها والاستقامة.

عن أبي سعيد بن المعلى رضي الله عنه قال: كنت أصلي في المسجد، فدعاني رسول الله ﷺ فلم أجبه، فقلت: يارسول الله، إني كنت أصلي. فقال: «ألم يقل الله: ﴿استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾». ثم قال لي: «لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن، قبل أن تخرج من المسجد». ثم أخذ بيدي، فلما أراد أن يخرج قلت له: ألم تقل: «لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن». قال: «﴿الحمد لله رب العالمين﴾: هي السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أوتيته». [البخاري: التفسير، باب: ما جاء في فاتحة الكتاب، رقم: ٤٢٠٤] [لما يحييكم: لما فيه حياتكم الحقيقية وهو شرائع الإسلام، لأن فيها حياة القلوب في الدنيا والنجاة في الآخرة. أعظم السور: من حيث كثرة الثواب لقارئها. السبع المثاني: فهي سبع آيات، وتثنى ـ أي تكرر ـ قراءتها في كل ركعة، من التثنية وهي التكرير].

(٢) مصيبة.

(٣) عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ما من رجل يكون في قوم يَعمل فيهم بالمعاصي يقدرون على أن يغيروا عليه، فلا يغيروا، إلا أصابهم الله بعذاب من قبل أن يموتوا) أخرجه أبو داود في كتاب الملاحم، باب: الأمر والنهي، رقم: ٤٣٣٩.

﴿إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح﴾: ٢/٣٢٨]. المستفتح: الذي طلب الفتح. فأحنه: أهلكه. الغداة: صبيحة اليوم التالي.

سبب نزول الآية [٢٧]: قال الواحدي: نزلت في أبي لبابة بن عبد المنذر الأنصاري، وذلك أن رسول الله ﷺ حاصر يهود قريظة إحدى وعشرين ليلة، فسألوا رسول الله ﷺ الصلح على ما صالح عليه إخوانهم من بني النضير، على أن يسيروا إلى إخوانهم بأذرعات وأريحا من أرض الشام، فأبى أن يعطيهم ذلك إلى أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ، فأبوا وقالوا: أرسل إلينا أبا لبابة. وكان مناصحاً لهم، لأن عياله وماله وولده كانت عندهم، فبعثه رسول الله ﷺ فأتاهم، فقالوا: يا أبا لبابة، ما ترى أننزل على حكم سعد بن معاذ؟ فأشار أبو لبابة بيده إلى حلقه ـ أنه الذبح ـ فلا تفعلوا. قال أبو لبابة: والله ما زالت قدماي حتى علمت أني قد خنت الله ورسوله. فنزلت فيه هذه الآية، فلما نزلت شد نفسه على سارية من سواري

﴿ إن تتقوا الله ﴾ بالإنابة وغيرها ﴿ يجعل لكم فرقاناً ﴾ بينكم وبين ما تخافون فتنجوا(١) ﴿ ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم ﴾ ذنوبكم ﴿ والله ذو الفضل العظيم ﴾.

٣٠ ﴿ و ﴾ اذكر يا محمد ﴿ إذ يمكر بك الذين كفروا ﴾ وقد اجتمعوا للمشاورة في شأنك بدار الندوة ﴿ ليثبتوك ﴾ يوثقوك ويحبسوك ﴿ أو يقتلوك ﴾ كلهم قتلة رجل واحد ﴿ أو يخرجوك ﴾ من مكة ﴿ ويمكرون ﴾ بك(٢) ﴿ ويمكر الله ﴾ بهم بتدبير أمرك، بأن أوحى إليك ما دبروه وأمرك بالخروج ﴿ والله خير الماكرين ﴾ أعلمهم به.

٣١ ﴿ وإذا تتلى عليهم آياتنا ﴾ القرآن ﴿ قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا ﴾ قاله النضر بن الحارث، لأنه كان يأتي الحيرة(٣) يتجر، فيشتري كتب أخبار الأعاجم(٤) ويحدث بها أهل مكة ﴿ إن ﴾ ما ﴿ هذا ﴾ القرآن ﴿ إلا أساطير ﴾ أكاذيب ﴿ الأولين ﴾.

٣٢ ﴿ وإذ قالوا اللهم إن كان هذا ﴾ الذي يقرؤه محمد ﴿ هو الحق ﴾ المنزل ﴿ من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ﴾ مؤلم على إنكاره، قاله النضر وغيره، استهزاءً وإيهاماً أنه على بصيرة وجزم ببطلانه.

إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ
وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ
ءَايَـٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَـٰذَآ ۙ إِنْ هَـٰذَآ
إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـٰذَا
هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا
بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ
وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا لَهُمْ
أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا
كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَـٰكِنَّ
أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا

٣٣ قال تعالى: ﴿وما كان الله ليعذبهم ﴾ بما سألوه ﴿ وأنت فيهم ﴾ لأن العذاب إذا نزل عم، ولم تعذب أمة إلا بعد خروج نبيها والمؤمنين منها ﴿ وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ﴾ حيث يقولون في طوافهم: غفرانك، غفرانك. وقيل: هم المؤمنون المستضعفون فيهم(٥)، كما قال تعالى: «لـو تزيلوا(٦) لعذبنا الذين كفروا منهم عذاباً اليمـاً» /الفتح: ٢٥/.

٣٤ ﴿ وما لهم أ ﴾ ن ﴿ لا يعذبهم الله ﴾ بالسيف، بعد خروجك والمستضعفين؟ وعلى القول الأول: هي ناسخة لما قبلها، وقد عذبهم الله ببدر وغيره ﴿ وهم يصدون ﴾ يمنعون النبي ﷺ والمسلمين ﴿ عن المسجد الحرام ﴾ أن يطوفوا به ﴿ وما كانوا أولياءه ﴾(٧) كما زعموا ﴿ إن ﴾ ما ﴿ أولياؤه إلا المتقون(٨) ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾ أن لا ولاية لهم عليه.

٣٥ ﴿ وما كان صلاتهم عند البيت إلا

---

(١) وقيل: يجعل لكم في قلوبكم نوراً تفرقون به بين الحق والباطل.

(٢) يحتالون ويدبرون لك ما يسوؤك.

(٣) بلد كانت بقرب الكوفة.

(٤) كالفرس والروم.

(٥) اي وفيهم من يستغفر من المؤمنين.

(٦) تميز المؤمنون عن الكافرين.

(٧) اصحاب الحق فيه، يأذنون بالدخول إليه لمن أرادوا، ويمنعون من أرادوا.

(٨) اصحاب الحق فيه المؤمنون المجتبون للشرك ومعصية الله عزّ وجلّ.

المسجد وقال: والله لا أذوق طعاماً ولا شراباً حتى أموت أو يتوب الله عليّ. فمكث سبعة أيام لا يذوق فيها طعاماً حتى خر مغشياً عليه، ثم تاب الله عليه، فقيل له: يا أبا لبابة، قد تيب عليك. فقال: لا والله لا أحل نفسي حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يحلّني. فجاءه فحله بيده، ثم قال أبو لبابة: إن من تمام توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب، وأن أنخلع من مالي. فقال رسول الله ﷺ: (يجزيك الثلث أن تتصدق به). ورواه سعيد بن منصور في سننه مختصراً وأخرجه ابن جرير في تفسيره أيضاً عن الزهري.

سبب نزول الآية [٣١]: أخرج ابن جرير، عن سعيد بن جبير قال: قتل النبيّ ﷺ يوم بدر صبراً عقبة بن أبي معيط وطعيمة بن عدي والنضر ابن الحارث، وكان المقداد أسر النضر، فلما أمر بقتله قال المقداد: يا رسول الله أسيري، فقال رسول الله ﷺ: (إنه كان يقول في كتاب الله ما يقول). فأمر النبي ﷺ بقتله، فقال المقداد: أسيري، فقال رسول الله ﷺ: (اللهم أغن المقداد من فضلك). فقال المقداد هذا الذي أردت. وفيه أنزلت هذه الآية ﴿ وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا﴾ الآية. [صبراً: حبس ثم قتل. وفيه: أي في النضر].

سبب نزول الآية [٣٣]: عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال أبو جهل: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم. فنزل: ﴿وما كانَ اللّهُ ليعذِّبَهم وأنْتَ فيهم﴾ الآية. [البخاري: التفسير/الأنفال، باب: ﴿وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق..﴾ رقم: ٤٣٧١. ومسلم: صفات المنافقين وأحكامهم، باب: ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم..﴾ رقم: ٢٧٩٦].

مكاء﴾ صفيراً ﴿وتصدية﴾ تصفيقاً، أي جعلوا ذلك موضع صلاتهم التي أمروا بها ﴿فذوقوا العذاب﴾ ببدر ﴿بما كنتم تكفرون﴾.

٣٦ ﴿إن الذين كفروا ينفقون أموالهم﴾ في حرب النبي ﷺ ﴿ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون﴾ في عاقبة الأمر ﴿عليهم حسرة﴾ ندامة، لفواتها وفوات ما قصدوه ﴿ثم يغلبون﴾ في الدنيا ﴿والذين كفروا﴾ منهم ﴿إلى جهنم﴾ في الآخرة ﴿يحشرون﴾ يساقون.

٣٧ ﴿ليميز﴾ متعلق بتكون، بالتخفيف والتشديد(١)، أي يفصل ﴿الله الخبيث﴾ الكافر ﴿من الطيب﴾ المؤمن ﴿ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعاً﴾ يجمعه متراكماً بعضه على بعض ﴿فيجعله في جهنم أولئك هم الخاسرون﴾.

٣٨ ﴿قل للذين كفروا﴾ كأبي سفيان وأصحابه ﴿إن ينتهوا﴾ عن الكفر وقتال النبي ﷺ ﴿يغفر لهم ما قد سلف﴾ من أعمالهم ﴿وإن يعودوا﴾ إلى قتاله ﴿فقد مضت سنت الأولين﴾(٢) أي سنتنا فيهم بالإهلاك، فكذا نفعل بهم.

٣٩ ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون﴾ توجد ﴿فتنة﴾ شرك ﴿ويكون الدين كله لله﴾ وحده، ولا يعبد غيره ﴿فإن انتهوا﴾ عن الكفر ﴿فإن الله بما يعملون بصير﴾ فيجازيهم به.

٤٠ ﴿وإن تولوا﴾ عن الإيمان ﴿فاعلموا أن الله مولاكم﴾ ناصركم ومتولي أموركم ﴿نعم المولى﴾ هو ﴿ونعم النصير﴾ أي الناصر لكم.

٤١ ﴿واعلموا أنما غنمتم﴾ أخذتم من الكفار قهراً ﴿من شيء فأن لله خمسه﴾ يأمر فيه بما يشاء ﴿وللرسول ولذي

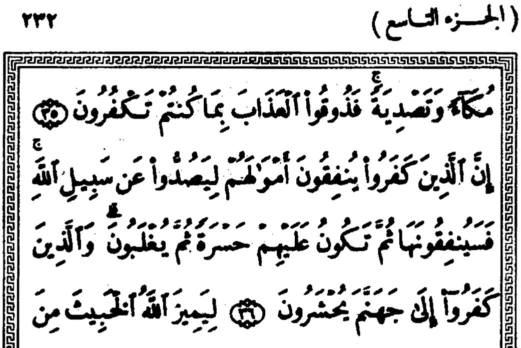
(الجـــزء التـاسع) ٢٣٢

مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ
فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ
كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ
ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ
جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾
قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن
يَعُودُوا۟ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ
لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ
ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ
مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾ * وَٱعْلَمُوٓا۟
أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى

---

(١) أي ﴿لِيَمِيزَ﴾ و﴿لِيُمَيِّزَ﴾. (٢) سبقت وعلمت طريقتنا في معاملة من كفر من الأمم السابقة.

عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من أحسن في الإسلام لم يؤاخذ بما عمل في الجاهلية، ومن أساء في الإسلام أخذ بالأول والآخر». [البخاري: استتابة المرتدين والمعاندين، باب: إثم من أشرك بالله وعقوبته في الدنيا والآخرة. مسلم: الإيمان، باب: هل يؤاخذ بأعمال الجاهلية].

وفي الصحيح أيضاً: أن رسول الله ﷺ قال: «الإسلام يجب ما قبله، والتوبة تجب ما كان قبلها» [مسند أحمد: ٤/١٩٩].

سبب نزول الآية [٣٦]: قال مقاتل والكلبي: نزلت في المطعمين يوم بدر، وكانوا اثني عشر رجلاً: أبو جهل بن هشام، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة، ونبيه ومنبه ابنا حجاج، وأبو البختري بن هشام، والنضر بن الحارث، وحكيم بن حزام، وأبي بن خلف، وزمعة بن الأسود، والحارث بن عامر ابن نوفل، والعباس بن عبد المطلب. وكلهم من قريش، وكان يطعم كل واحد منهم كل يوم عشرة جزور. [جزور: هو البعير المذبوح، وكان ينبغي أن يقال: (جُزُر) بالجمع].

وقال سعيد بن جبير وابن أبزى: نزلت في أبي سفيان بن حرب، استأجر يوم أحد ألفين من الأحابيش يقاتل بهم النبي ﷺ، سوى من استجاب له من العرب. وفيهم يقول كعب بن مالك: فجئنا إلى موج من البحر وسطه أحابيش منهم حاسر ومقنع
ثلاثة آلاف ونحن بقية ثلاث مئين إن كثرنا فأربع

[الأحابيش: قوم ينسبون إلى جبل بأسفل مكة يسمى (حُبْشِيّ). حاسر: ليس عليه ما يستره من زرد الحديد، لا درع ولا مغفر، وهو ما يستر الوجه. مقنع: من كان على وجهه قناع، وهو المغفر].

وقال الحكم بن عتبة: أنفق أبو سفيان على المشركين يوم أحد أربعين أوقية فنزلت فيه الآية. [أوقية: من الفضة، وتساوي أربعين درهماً].

وقال محمد بن إسحق: لما أصيبت قريش يوم بدر، فرجع فلهم إلى مكة، ورجع أبو سفيان بعيره، مشى عبد الله بن أبي ربيعة وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية في رجال من قريش، أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم ببدر، فكلموا أبا سفيان بن حرب ومن كانت له في تلك العير تجارة، فقالوا: يا معشر قريش، إن محمداً قد وتركم وقتل خياركم، فأعينونا بهذا المال الذي أفلت على حربه، لعلنا ندرك منه ثأراً بمن أصيب منا. ففعلوا، فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية. [الواحدي، السيوطي]. [فَلّهم: المنهزمون منهم. بعيره: العير هي الإبل المحملة بالتجارة. وتركم: جنى عليكم ونقصكم رجالكم].

القربى ﴾ قرابة النبي ﷺ من بني هاشم وبني المطلب ﴿ **واليتامى** ﴾ أطفال المسلمين الذين هلك آباؤهم وهم فقراء ﴿ **والمساكين**﴾ ذوي الحاجة من المسلمين ﴿ **وابن السبيل** ﴾ المنقطع في سفره من المسلمين، أي يستحقه النبي ﷺ والأصناف الأربعة على ما كان يقسمه، من أن لكل(١) خمس الخمس. والأخماس الأربعة الباقية للغانمين ﴿ **إن كنتم آمنتم بالله** ﴾ فاعلموا ذلك ﴿ **وما** ﴾ عطف على بالله ﴿ **أنزلنا على عبدنا** ﴾ محمد ﷺ من الملائكة والآيات ﴿ **يوم الفرقان** ﴾ أي يوم بدر الفارق بين الحق والباطل ﴿**يوم التقى الجمعان** ﴾ المسلمون والكفار ﴿ **والله على كل شيءٍ قدير** ﴾ ومنه نصركم مع قلتكم وكثرتهم.

٤٢ ﴿ **إذ** ﴾ بدل من يوم ﴿ **أنتم** ﴾ كائنون ﴿ **بالعدوة الدنيا** ﴾ القربى من المدينة، وهي ـ بضم العين وكسرها ـ جانب الوادي ﴿ **وهم بالعدوة القصوى** ﴾ البعدى منها ﴿ **والركب** ﴾ العير كائنون بمكان ﴿ **أسفل منكم** ﴾ مما يلي البحر ﴿**ولو تواعدتم** ﴾ أنتم والنفير للقتال ﴿ **لاختلفتم في الميعاد**(٢) **ولكن** ﴾ جمعكم بغير ميعاد ﴿ **ليقضي الله أمراً كان مفعولاً** ﴾ في علمه، وهو نصر الإسلام ومحق الكفر. فعل ذلك ﴿ **ليهلك** ﴾ يكفر ﴿ **من هلك عن بينة** ﴾ أي بعد حجة ظاهرة قامت عليه، وهي نصر المؤمنين مع قلتهم على الجيش الكثير ﴿ **ويحيى** ﴾ يؤمن ﴿ **من حيٍ عن بينة**(٣) **وإن الله لسميع عليم** ﴾.

٤٣ اذكر ﴿ **إذ يريكهم الله في منامك** ﴾ أي نومك ﴿ **قليلاً** ﴾ فأخبرت به أصحابك فسُرُّوا ﴿ **ولو أراكهم كثيراً لفشلتم** ﴾ جبنتم(٤) ﴿ **ولتنازعتم** ﴾ اختلفتم ﴿ **في الأمر** ﴾ أمر القتال ﴿ **ولكن الله سلم** ﴾ كم من الفشل والتنازع ﴿ **إنه عليم بذات الصدور** ﴾ بما في القلوب.

٤٤ ﴿ **وإذ يريكموهم** ﴾ أيها المؤمنون ﴿ **إذ التقيتم في أعينكم قليلاً** ﴾ نحو سبعين أو مائة، وهم ألف، لتقدموا عليهم ﴿ **ويقللكم في أعينهم** ﴾ ليقدموا ولا يرجعوا عن قتالكم، وهذا قبل التحام الحرب، فلما التحم أراهم إياكم مثليهم، كما في آل عمران/ ١٣/ ﴿ **ليقضي الله أمراً كان مفعولاً وإلى الله ترجع** ﴾ تصير ﴿ **الأمور** ﴾.

٤٥ ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة** ﴾ جماعة كافرة

ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ
ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى
ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ
ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ
وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ
أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ
حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ
فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ
فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾
وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ
فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ
تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً

فائدة: عن أبي جمرة قال: كنت أقعد مع ابن عباس رضي الله عنهما على سريره، فقال: أقم عندي حتى أجعل لك سهماً من مالي. فأقمت معه شهرين، ثم قال: إن وفد عبد القيس لما أتوا النبي ﷺ قال: «من القوم، أو: من الوفد ؟». قالوا: ربيعة. قال: «مرحباً بالقوم، أو: الوفد، غير خزايا ولا ندامى». فقالوا: يارسول الله، إنا لا نستطيع أن نأتيك إلا في شهر الحرام، وبيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر، فمرنا بأمر فصل، نخبر به من وراءنا، وندخل به الجنة. وسألوه عن الأشربة: فأمرهم بأربع ونهاهم عن أربع، أمرهم: بالإيمان بالله وحده، قال: «أتدرون ما الإيمان بالله وحده ؟». قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وأن تعطوا من المغنم الخمس». ونهاهم عن أربع: عن الحنتم والدباء والنقير والمزفت. وربما قال: «المقير». وقال: «احفظوهن وأخبروا بهن من وراءكم». [البخاري: الإيمان، باب: أداء الخمس من الإيمان، رقم: ٥٣. مسلم: الإيمان، باب: الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ وشرائع الدين، رقم: ١٧] [سهماً: نصيباً. الوفد: اسم جمع لوافد بمعنى قادم، والوفد الجماعة المختارة من قومهم لينوبوا عنهم في الأمور المهمات. غير خزايا ولا ندامى: غير أذلاء بمجيئكم، ولا نادمين على قدومكم. فصل: واضح بحيث ينفصل به المراد عن غيره. تعطوا من المغنم الخمس: تدفعوا خمس ما تغنمون في الجهاد للإمام ليصرفه في مصارفه الشرعية. الحنتم: جرار كانت تعمل من طين وشعر ودم. الدباء: اليقطين إذا يبس اتخذ وعاءً. النقير: أصل النخلة ينقر ويجوف فيتخذ منه وعاء. المزفت: ما طلي بالزفت. المقير: ما طلي بالقار، وهو نبت يحرق إذا يبس، وتطلى به الأوعية والسفن. والمراد بالنهي عن هذه الأوعية: النهي عن الانتباذ فيها، لأنها يسرع فيها الإسكار، فربما شرب ما انتبذ فيها دون أن يتنبه إليه فيقع في الحرام، ثم ثبتت الرخصة في الانتباذ في كل وعاء مع النهي عن شرب كل مسكر. ومعنى الانتباذ: أن يوضع الزبيب أو التمر في الماء، ويشرب نقيعه قبل أن يتخمر ويصبح مسكراً. من وراءكم: الذين بقوا في ديارهم من قومكم].

---

(١) أي لكل صنف من الأصناف الخمسة المذكورة.

(٢) أي لو كان بينكم وبين جيش المشركين اتفاق سابق على الخروج للقتال لأمكن أن يكون بينكم اختلاف في الخروج، ولما حصل هذا التوافق في اللقاء الذي كان بغير علم ولا موعد.

(٣) أو المراد: ليموت من مات عن بينة رآها وعبرة عاينها وحجة قامت عليه، ويعيش من عاش على ذلك.

(٤) وضعفتم، والفشل الجبن مع ضعف.

﴿ فاثبتوا ﴾ لقتالهم ولا تنهزموا ﴿ واذكروا الله كثيراً ﴾ ادعوه بالنصر ﴿ لعلكم تفلحون ﴾ تفوزون(١).

٤٦ ﴿ وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا ﴾ تختلفوا فيما بينكم ﴿ فتفشلوا ﴾ تجبنوا(٢) ﴿ وتذهب ريحكم ﴾ قوتكم ودولتكم ﴿ واصبروا إن الله مع الصابرين ﴾ بالنصر والعون.

٤٧ ﴿ ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم ﴾ ليمنعوا عيرهم ولم يرجعوا بعد نجاتها ﴿ بطراً ورئاء الناس ﴾(٣) حيث قالوا: لا نرجع حتى نشرب الخمور، وننحر الجزور، وتضرب علينا القيان ببدر، فيتسامع بذلك الناس(٤). ﴿ ويصدون ﴾ الناس ﴿ عن سبيل الله والله بما يعملون ﴾ بالياء والتاء ﴿ محيط ﴾ علماً، فيجازيهم به.

٤٨ ﴿ و ﴾ اذكر ﴿ إذ زين لهم الشيطان ﴾ إبليس ﴿ أعمالهم ﴾ بأن شجعهم على لقاء المسلمين لما خافوا الخروج من أعدائهم بني بكر ﴿وقال﴾ لهم ﴿لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم﴾ من كنانة(٥)، وكان أتاهم في صورة سراقة بن مالك سيد تلك الناحية ﴿فلما تراءت﴾ التقت ﴿الفئتان﴾ المسلمة والكافرة، ورأى الملائكة، وكان يده في يد الحارث بن هشام ﴿ نكص ﴾ رجع ﴿ على عقبيه ﴾ هارباً ﴿ وقال ﴾ لما قالوا له أتخذلنا على هذا الحال؟ ﴿ إني بريء منكم ﴾ من جواركم ﴿ إني أرى ما لا ترون ﴾ من الملائكة ﴿ إني أخاف الله ﴾ أن يهلكني ﴿ والله شديد العقاب ﴾.

٤٩ ﴿ إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ﴾ ضعف اعتقاد ﴿ غر هؤلاء ﴾ أي المسلمين ﴿ دينهم ﴾ إذ خرجوا مع قلتهم يقاتلون الجمع الكثير، توهماً أنهم ينصرون بسببه. قال تعالى في جوابهم: ﴿ ومن يتوكل على الله ﴾ يثق به يغلب ﴿ فإن الله عزيز ﴾ غالب على أمره ﴿ حكيم ﴾ في صنعه.

٥٠ ﴿ ولو ترى ﴾ يا محمد ﴿ إذ يتوفى ﴾ بالياء والتاء ﴿ الذين كفروا الملائكة ﴾ فاعل ﴿ يضربون ﴾ حال(٦)

فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا۟
ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ
وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ
خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن
سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيَّنَ
لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ
ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ
عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ
إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ إِذْ يَقُولُ
ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ۗ
وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ
إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ

---

(١) روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ في بعض أيامه التي لقي فيها العدو انتظر حتى مالت الشمس قام فيهم فقال: (أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف).

ثم قام النبي ﷺ وقال: (اللهم، منزل الكتاب، ومجري السحاب، وهازم الأحزاب، اهزمهم وانصرنا عليهم).

[البخاري: الجهاد، باب: كان النبي ﷺ إذا لم يقاتل أول النهار أخر القتال حتى تزول الشمس، رقم: ٢٨٠٤. مسلم: الجهاد والسير، باب: كراهة تمني لقاء العدو، رقم: ١٧٤٢].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تتمنوا لقاء العدو، واسألوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاثبتوا، واذكروا الله، فإن أجلبوا وضجوا فعليكم بالصمت) [الدارمي: السير، باب: لا تتمنوا لقاء العدو] [أجلبوا وضجوا: صرخوا وعلت أصواتهم].

وعن زيد بن أرقم رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (إن الله يحب الصمت عند ثلاث: عند تلاوة القرآن، وعند الزحف، وعند الجنازة) [الطبراني].

(٢) وتضعفوا.

(٣) كبراً وتفاخراً، واستعمالاً للنعمة في ما لا يرضي الله عزّ وجلّ.

(٤) أبى رؤوس الكفر فيهم، كأبي جهل، أن يرجعوا إلا أن يصلوا إلى بدر، فيشربوا فيها الخمور، ويأكلوا لحوم الإبل التي يذبحونها هناك، وتغني لهم المغنيات وتضرب عليهم بالدفوف، فرحاً بنيل مقصودهم - على زعمهم - وطرباً، فتنقل القبائل العربية خبرهم، فيظلوا يهابونهم دائماً وأبداً. هكذا زعموا، فأبدلهم ناصر الحق - جل جلاله - شرب الخمر بكأس المنون، ونحر الإبل بنحر رقابهم، وغناء المغنيات بنوح النائحات، وكان أن تسامع بذلك العرب فحسبوا لمحمد ﷺ وصحبه حساباً، وعرفوا في الإسلام الحق فجعلوا له لأنفسهم مساغاً، وفي قلوبهم مهابة.

(٥) أحميكم منهم وأجيركم من حربهم.

(٦) أي جملة ﴿يضربون﴾ حال من الملائكة، والتقدير: ضاربين.

سبب نزول الآية [٤٧]: أخرج ابن جرير عن محمد بن كعب القرظي قال: لما خرجت قريش من مكة إلى بدر خرجوا بالقيان والدفوف، فأنزل الله: ﴿ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً﴾ الآية. القيان: جمع قينة، وهي التي تمتهن الغناء.

﴿وجوههم وأدبارهم﴾(١) بمقامع(٢) من حديد ﴿و﴾ يقولون لهم ﴿ذوقوا عذاب الحريق﴾ أي النار. وجواب لو: لرأيت أمراً عظيماً.

٥١ ﴿ذلك﴾ التعذيب ﴿بما قدمت أيديكم﴾ عبر بها دون غيرها لأن أكثر الأفعال تزاول بها ﴿وأن الله ليس بظلام﴾ أي بذي ظلم ﴿للعبيد﴾ فيعذبهم بغير ذنب.

٥٢ دأب هؤلاء ﴿كدأب﴾ كعادة ﴿آل فرعون والذين من قبلهم كفروا بآيات الله فأخذهم الله﴾ بالعقاب ﴿بذنوبهم﴾ جملة كفروا وما بعدها مفسرة لما قبلها(٣) ﴿إن الله قوي﴾ على ما يريد ﴿شديد العقاب﴾.

٥٣ ﴿ذلك﴾ أي تعذيب الكفرة ﴿بأن﴾ أي بسبب أن ﴿الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم﴾ مبدلاً لها بالنقمة ﴿حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ يبدلوا نعمتهم كفراً، كتبديل كفار مكة إطعامهم من جوع، وأمنهم من خوف، وبعث النبي ﷺ إليهم، بالكفر، والصد عن سبيل الله، وقتال المؤمنين ﴿وأن الله سميع عليم﴾.

٥٤ ﴿كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون﴾ قومه معه ﴿وكل﴾ من الأمم المكذبة ﴿كانوا ظالمين﴾.

وَأَدۡبَٰرَهُمۡ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ
أَيۡدِيكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴿٥١﴾ كَدَأۡبِ ءَالِ
فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ
ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيّٞ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٥٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ
ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ
مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٥٣﴾ كَدَأۡبِ ءَالِ
فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ
فَأَهۡلَكۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡ وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَۚ وَكُلّٞ كَانُواْ
ظَٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٥﴾ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ ثُمَّ يَنقُضُونَ
عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ مَرَّةٖ وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِمَّا تَثۡقَفَنَّهُمۡ
فِي ٱلۡحَرۡبِ فَشَرِّدۡ بِهِم مَّنۡ خَلۡفَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾

٥٥ ونزل في قريظة ﴿إن شر الدواب(٤) عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون﴾.

٥٦ ﴿الذين عاهدت منهم﴾ أن لا يعينوا المشركين ﴿ثم ينقضون عهدهم في كل مرة﴾ عاهدوا فيها ﴿وهم لا يتقون﴾ الله في غدرهم.

٥٧ ﴿فإما﴾ فيه إدغام نون إن الشرطية في ما المزيدة ﴿تثقفنهم﴾ تجدنهم ﴿في الحرب فشرد﴾ فرق ﴿بهم من خلفهم﴾ من المحاربين(٥)، بالتنكيل بهم(٦) والعقوبة ﴿لعلهم﴾ أي الذين خلفهم ﴿يذكرون﴾ يتعظون بهم.

فائدة: في التحذير من الظلم والاعتداء على الحقوق.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: (اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة. واتقوا الشح، فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم) [الشح: أشد البخل].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: (المسلم أخو المسلم: لا يظلمه ولا يسلمه. من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة) [لا يسلمه: لا يتركه للظلم].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (أتدرون ما المفلس). قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال: (إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا. فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يُقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار) [قذف: اتهمه بالزنا] [أخرج هذه الأحاديث مسلم في صحيحه: كتاب البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظلم].

سبب نزول الآية [٥٥] وما بعدها: عن سعيد بن جبير قال: نزلت: ﴿إن شر الدواب عند الله الذين كفروا﴾ في ستة رهط من اليهود، فيهم ابن التابوت. [السيوطي].

---

(١) أمامهم وخلفهم.

(٢) جمع مِقْمَعة، وهي العصا من الحديد المحماة بالنار. أو: هي ما يضرب به الإنسان على رأسه ليذل ويهان.

جاء في صحيح مسلم [البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظلم، رقم: ٢٥٧٧] عن أبي ذر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: «يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً، فلا تظالموا».

(٣) وهو دأب من ذكر، والمعنى: عادة هؤلاء الملازمون لها أن يكفروا ويكذبوا الحق، فيأخذهم الله تعالى بذنوبهم ويهلكهم بالعذاب.

(٤) من يدب على الأرض من إنسان وغيره.

(٥) الذين يحدثون أنفسهم بقتالكم من الكفرة غير هؤلاء.

(٦) إنزال أقبح المصائب فيهم.

٥٨ ﴿ وإما تخافن من قوم ﴾ عاهدوك ﴿ خيانة ﴾ في العهد، بأمارة تلوح لك⁽¹⁾ ﴿ فانبذ ﴾ اطرح عهدهم ﴿ إليهم على سواء ﴾ حال، أي مستوياً أنت وهم في العلم بنقض العهد، بأن تعلمهم به لئلا يتهموك بالغدر ﴿ إن الله لا يحب الخائنين ﴾.

٥٩ ونزل فيمن أفلت يوم بدر ﴿ ولا تحسبن ﴾ يا محمد ﴿ الذين كفروا سبقوا ﴾ الله، أي فاتوه(٢) ﴿ إنهم لا يعجزون ﴾ لا يفوتونه، وفي قراءة بالتحتانية(٣)، فالمفعول الأول محذوف أي أنفسهم، وفي أخرى بفتح إنَّ على تقدير اللام(٤).

٦٠ ﴿ وأعدوا لهم ﴾ لقتالهم ﴿ ما استطعتم من قوة ﴾ قال ﷺ: (هي الرمي) رواه مسلم(٥) ﴿ ومن رباط الخيل ﴾ مصدر بمعنى حبسها في سبيل الله(٦) ﴿ ترهبون ﴾ تخوفون ﴿ به عدو الله وعدوكم ﴾ أي كفار مكة ﴿ وآخرين من دونهم ﴾ أي غيرهم، وهم المنافقون، أو اليهود ﴿ لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم ﴾ جزاؤه ﴿ وأنتم لا تظلمون ﴾ تنقصون منه شيئاً.

٦١ ﴿ وإن جنحوا ﴾ مالوا ﴿ للسلم ﴾ بكسر السين وفتحها، الصلح ﴿ فاجنح لها ﴾ وعاهدهم، قال ابن عباس: هذا منسوخ بآية السيف(٧)، وقال مجاهد: مخصوص بأهل الكتاب، إذ نزلت في بني قريظة ﴿ وتوكل على الله ﴾ ثق به ﴿ إنه هو السميع ﴾ للقول ﴿ العليم ﴾ بالفعل.

٦٢ ﴿ وإن يريدوا أن يخدعوك ﴾ بالصلح ليستعدوا لك ﴿ فإن حسبك ﴾ كافيك ﴿ الله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين ﴾.

٦٣ ﴿ وألف ﴾ جمع ﴿ بين قلوبهم ﴾ بعد الإحن(٨) ﴿ لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم ﴾ بقدرته ﴿ إنه عزيز ﴾ غالب على أمره ﴿ حكيم ﴾ لا يخرج شيء عن حكمته.

٦٤ ﴿ يا أيها النبي حسبك الله و ﴾ حسبك ﴿ من اتبعك من المؤمنين ﴾.

وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ
ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
سَبَقُوٓا۟ ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم
مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ
وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟
مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾
۞ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ
هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ
حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾
وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ
أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ
حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ

---

(١) بعلامة وقرينة على الغدر تظهر لك.

(٢) فروا من عذابه ونجوا.

(٣) أي ﴿ولا يحسبن﴾ والمعنى: لا يحسبن. الكافرون أنفسهم سابقين فائتين من عذابنا.

(٤) أي التي للتعليل، والمعنى على هذا: لأنهم لا يعجزون. وعلى هذا فالظاهر أن القراءات المتواترة أربعة: بالتاء والياء في ﴿يحسبن﴾ وبفتح الهمزة وكسرها في ﴿إنهم﴾ [انظر النشر].

(٥) ويمكن تعميم معناها، لتشمل كل ما يتقوى به في الحرب من سلاح وعتاد. والحديث رواه مسلم في الإمارة، باب: فضل الرمي والحث عليه وذم من علمه ثم نسيه، رقم: ١٩١٧.

(٦) روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (من احتبس فرساً في سبيل الله، إيماناً بالله وتصديقاً بوعده، فإن شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة) يعني حسنات. وروى البخاري ومسلم عن عروة بن الجعد البارقي رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة: الأجر والغنيمة).

[البخاري: الجهاد، باب: الجهاد ماض مع البر والفاجر، وباب: من احتبس فرساً، رقم: ٢٦٩٧، ٢٦٩٨. مسلم: الإمارة، باب: الخيل في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، رقم: ١٨٧٣].

[ريه: ما يرويه من الماء. روثه: فضلاته].

(٧) لأن المشركين لا يكون بيننا وبينهم سلم، إلا إذا أريد به الهدنة، أو الأمان المؤقت.

(٨) جمع إحنة، وهي العداوة والشحناء، وقد كان الأوس والخزرج قبل إسلامهم على حرب مستمرة وبغضاء متأصلة.

سبب نزول الآية [٥٨]: عن ابن شهاب قال: دخل جبريل على رسول الله ﷺ، فقال: قد وضعت السلاح وما زلت في طلب القوم؟ فاخرج فإن الله قد أذن لك في قريظة، وأنزل فيهم: ﴿وإما تخافنّ من قوم خيانة﴾ الآية. [السيوطي].

سبب نزول الآية [٦٤]: قال السيوطي: أخرج ابن أبي حاتم بسند صحيح، عن سعيد بن جبير قال: لما أسلم مع النبيّ ﷺ ثلاثة وثلاثون رجلاً وست نسوة، ثم أسلم عمر، نزلت: ﴿يا أيها النبيّ حسبك الله﴾ الآية.

٦٥ ﴿ يا أيها النبي حرض ﴾ حث ﴿ المؤمنين على القتال ﴾ للكفار ﴿ إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ﴾ منهم ﴿ وإن يكن ﴾ بالياء والتاء ﴿ منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم ﴾ أي بسبب أنهم ﴿ قوم لا يفقهون ﴾⁽¹⁾ وهذا خبر بمعنى الأمر، أي ليقاتل العشرون منكم المائتين، والمائة ألفاً، ويثبتوا لهم. ثم نسخ لما كثروا بقوله⁽²⁾:

٦٦ ﴿ الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً ﴾ بضم الضاد وفتحها، عن قتال عشرة أمثالكم ﴿ فإن يكن ﴾ بالياء والتاء ﴿ منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ﴾ منهم ﴿ وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله ﴾ بإرادته، وهو خبر بمعنى الأمر، أي لتقاتلوا مثليكم وتثبتوا لهم ﴿ والله مع الصابرين ﴾ بعونه.

٦٧ ونزل ـ لما أخذوا الفداء من أسرى بدر ـ ﴿ ما كان لنبي أن تكون ﴾ بالتاء والياء ﴿ له أسرى حتى يثخن في الأرض ﴾ يبالغ في قتل الكفار⁽³⁾ ﴿ تريدون ﴾ أيها المؤمنون ﴿ عرض الدنيا ﴾ حطامها بأخذ الفداء ﴿ والله يريد ﴾ لكم ﴿ الآخرة ﴾ أي ثوابها بقتلهم ﴿ والله عزيز حكيم ﴾ وهذا⁽⁴⁾ منسوخ بقوله: «فإما مناً بعد وإما فداءً»/ محمد: ٤/.

٦٨ ﴿لولا كتاب من الله سبق﴾⁽⁵⁾ بإحلال الغنائم والأسرى لكم ﴿لمسكم فيما أخذتم﴾ من الفداء ﴿عذاب عظيم﴾.

٦٩ ﴿ فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً⁽⁶⁾ واتقوا الله إن الله غفور رحيم ﴾.

٧٠ ﴿ يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسارى ﴾ وفي قراءة «الأسرى» ﴿ إن يعلم

ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ
إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن
يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ
لَّا يَفۡقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ
ضَعۡفٗاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ صَابِرَةٞ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ
وَإِن يَكُن مِّنكُمۡ أَلۡفٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفَيۡنِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ
ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ
يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ
ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٦٧﴾ لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ
سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٦٨﴾ فَكُلُواْ مِمَّا
غَنِمۡتُمۡ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٦٩﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ

---

(١) جهلة، فلا يقاتلون لطلب ثواب أو خوف عقاب، فليس في قلوبهم ما يحملهم على الصبر والثبات.

(٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت: ﴿إن يكن منكم عشرون..﴾ شق ذلك على المسلمين حين فرض عليهم أن لا يفر واحد من عشرة، فجاء التخفيف فقال: ﴿الآن خفف الله عنكم..﴾ قال: فلما خفف الله عنهم من العدة نقص من الصبر بقدر ما خفف عنهم. [البخاري: التفسير/الأنفال، باب: ﴿الآن خفف الله عنكم..﴾ رقم: ٤٣٧٦].

قال الخازن: فظاهر هذا أن قوله سبحانه وتعالى ﴿الآن خفف..﴾ ناسخ لما تقدم في الآية الأولى. وأقول: ليس هذا بنسخ، وإنما هو تخفيف وترخيص، فالأخذ بالآية الأولى عزيمة، فمن ثبت أمام عشرة فقتل كان شهيداً ومأجوراً، ولو كان حكمها منسوخاً كان آثماً لأنه ألقى بنفسه إلى التهلكة، ولكن لو فر ولم يثبت كان غير آثم لأنه أخذ بالرخصة، والله تعالى أعلم.

(٣) فيقع في قلوبهم الرعب، وتظهر شوكة الإيمان والإسلام.

(٤) أي تعين القتل وعدم أخذ الفداء منسوخ بالآية المذكورة التي تخير بين المنّ ـ وهو إطلاق سراحهم بلا مقابل ـ وبين الفداء. والحقيقة أنه لا نسخ في الأمر، وإنما كان تعين القتال لأمد، وهو ظهور المسلمين وتمكين دعائم دولتهم في الأرض، ثم كان بعد ذلك التخيير.

(٥) لولا قضاء سابق من الله عزّ وجلّ.

(٦) خالصاً لا شبهة فيه. عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (فلم تحل الغنائم لأحد قبلنا، ذلك بأن الله تبارك وتعالى رأى ضعفنا وعجزنا فطيبها لنا) [البخاري: الخمس، باب قول النبي ﷺ: (أحلت لكم الغنائم) رقم: ٢٩٥٦. مسلم: الجهاد، والسير، باب: تحليل الغنائم لهذه الأمة خاصة، رقم: ١٧٤٧]. =

سبب نزول الآيات [٦٧ ـ ٧٠]: أخرج الواحدي بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: حدثني عمر بن الخطاب قال: لما كان يوم بدر والتقوا، فهزم الله المشركين، وقتل منهم سبعون رجلاً وأسر سبعون رجلاً، استشار رسول الله ﷺ أبا بكر وعمر وعلياً، فقال أبو بكر: يا رسول الله، هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان، وإني أرى أن تأخذ منهم الفدية، فيكون ما أخذنا منهم قوة لنا على الكفار، وعسى أن يهديهم الله فيكونوا لنا عضداً. فقال رسول الله ﷺ: (ما ترى يا ابن الخطاب). قال: قلت: والله ما أرى ما رأى أبو بكر، ولكن أن تمكنني من فلان ـ قريب لعمر ـ فأضربَ عنقه، وتمكن علياً من عقيل فيضرب عنقه، وتمكن حمزة من فلان أخيه فيضرب عنقه، حتى يعلم الله عزّ وجلّ أنه ليس في قلوبنا موادة للمشركين، هؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم. فهوي رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر، ولم يهو ما قلت، فأخذ منهم الفداء، فلما كان من الغد قال عمر: غدوت إلى النبي ﷺ فإذا هو قاعد وأبو بكر الصديق، وإذا هما يبكيان، فقلت: يا رسول الله، أخبرني ماذا يبكيك أنت وصاحبك؟ فإن وجدت بكاء بكيت، وإن لم أجد بكاء تباكيت. فقال

الله في قلوبكم خيراً ﴾ إيماناً وإخلاصاً ﴿ يؤتكم خيراً مما أخذ منكم ﴾ من الفداء، بأن يضعِّفَه لكم في الدنيا ويثيبكم في الآخرة ﴿ ويغفر لكم ﴾ ذنوبكم ﴿ والله غفور رحيم ﴾(١).

٧١ ﴿ وإن يريدوا ﴾ أي الأسرى ﴿ خيانتك ﴾ بما أظهروا من القول ﴿ فقد خانوا الله من قبل ﴾ قبل بدر، بالكفر ﴿ فأمكن منهم ﴾ ببدر قتلاً وأسراً، فليتوقعوا مثل ذلك إن عادوا ﴿ والله عليم ﴾ بخلقه ﴿ حكيم ﴾ في صنعه.

٧٢ ﴿ إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ﴾ وهم المهاجرون ﴿ والذين آووا ﴾ النبي ﷺ ﴿ ونصروا ﴾ وهم الأنصار ﴿ أولئك بعضهم أولياء بعض ﴾ في النصرة والإرث ﴿ والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم ﴾ بكسر الواو وفتحها ﴿ من شيء ﴾ فلا إرث بينكم وبينهم، ولا نصيب لهم في الغنيمة ﴿ حتى يهاجروا ﴾ وهذا منسوخ بآخر السورة(٢) ﴿وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر﴾ لهم على الكفار ﴿إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق ﴾ عهد، فلا تنصروهم عليهم وتنقضوا عهدهم ﴿ والله بما تعملون بصير ﴾.

٧٣ ﴿ والذين كفروا بعضهم أولياء بعض ﴾ في النصرة والإرث، فلا إرث بينكم وبينهم ﴿ إلا تفعلوه ﴾ أي تولي المؤمنين وقطع الكفار ﴿ تكن فتنة في الأرض وفساد كبير ﴾ بقوة الكفر وضعف الإسلام.

٧٤ ﴿ والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقاً لهم مغفرة ورزق كريم ﴾ في الجنة.

ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ
لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾ وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ فَقَدْ
خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ
فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ
أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن
وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى
ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ۗ
وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ
أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ
كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ
ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ

وعنه ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: (لم تحلّ الغنائم لأحد سود الرؤوس من قبلكم، كانت تنزل نار من السماء فتأكلها). فلما كان يوم بدر وقعوا في الغنائم قبل أن تحلّ لهم فأنزل الله: ﴿ لولا كتاب من الله سبق.. ﴾ [الترمذي: تفسير القرآن، باب: ومن سورة الأنفال رقم: ٣٠٨٤].

(١) روى البخاري عن أنس رضي الله عنه: أتي النبي ﷺ بمال من البحرين فقال: (انثروه في المسجد). فكان أكثر مال أتي به رسول الله ﷺ، إذ جاءه العباس فقال: يا رسول الله أعطني، فإني فاديت نفسي وفاديت عقيلاً، فقال: (خذ) فحثا في ثوبه ثم ذهب يقله فلم يستطع، فقال: مُرْ بعضهم يرفعه إليّ، قال: (لا) قال: فارفعه أنت عليّ، قال: (لا) فنثر منه ثم ذهب يقله فلم يرفعه، فقال: فمر بعضهم يرفعه عليّ، قال: (لا) قال: فارفعه أنت عليّ، قال: (لا) فنثر منه ثم احتمله على كاهله، ثم انطلق، فما زال يتبعه بصره حتى خفي علينا، عجباً من حرصه، فما قام رسول الله ﷺ وثم منها درهم. [فحثا: أخذ بكفيه مجموعتين. يقله: يرفعه. كاهله: الكاهل مقدم أعلى الظهر مما يلي العنق].

[البخاري: الجزية، باب: ما أقطع النبي ﷺ من البحرين وما وعد من مال البحرين. . ، رقم: ٢٩٩٤].

(٢) أي عدم التوارث بين المسلم المهاجر والمسلم غير المهاجر نسخ بما جاء في آخر السورة من قوله تعالى: ﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض﴾.

النبي ﷺ: (أبكي للذي عرض عليّ أصحابك من الفداء، لقد عرض علي عذابكم أدنى من هذه الشجرة). لشجرة قريبة، وأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿ ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض ﴾ إلى قوله: ﴿ لولا كتابٌ من الله سبق لمسّكم فيما أخذتم ﴾ من الفداء ﴿ عذابٌ عظيمٌ ﴾.

وانظر مسلم: الجهاد والسير، باب: الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم، رقم: ١٧٦٣]. عضداً: عوناً وقوة. موادة: صلة مودة ومحبّة. صناديدهم: جمع صنديد، وهو السيد الشريف والشجاع. وجدت بكاءً: سبباً للبكاء.

وقال الواحدي: قال الكلبي: نزلت في العباس بن عبد المطلب وعقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث، وكان العباس أسر يوم بدر ومعه عشرون أوقية من الذهب، كان خرج بها معه إلى بدر ليطعم بها الناس، وكان أحد العشرة الذين ضمنوا إطعام أهل بدر، ولم يكن بلغته النوبة حتى أسر، فأخذت معه وأخذها رسول الله ﷺ منه، قال: فكلمت رسول الله ﷺ أن يجعل لي العشرين الأوقية الذهب التي أخذها مني من فدائي، فأبى عليّ وقال: (أما شيء خرجت تستعين به علينا فلا). وكفلني فداء ابن أخي عقيل بن أبي طالب عشرين أوقية من فضة، فقلت له: تركتني ـ والله ـ أسأل قريشاً بكفي والناسَ ما بقيت. قال: (فأين الذهب الذي دفعته إلى أم الفضل مخرجك إلى بدر، وقلت لها: إن حدث بي حدث في وجهي هذا

٧٥ ﴿ والذين آمنوا من بعد ﴾ أي بعد السابقين إلى الإيمان والهجرة ﴿ وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم ﴾ أيها المهاجرون والأنصار ﴿ وأولوا الأرحام ﴾ ذوو القرابات ﴿بعضهم أولى ببعض﴾ في الإرث من التوارث بالإيمان والهجرة المذكورة في الآية السابقة ﴿في كتاب الله﴾ اللوح المحفوظ ﴿إن الله بكل شيء عليم﴾ ومنه حكمة الميراث.

(سورة التوبة)

مدنية إلا الآيتين الأخيرتين فمكيتان، وآياتها ١٣٠

ولم تكتب فيها البسملة لأنه ﷺ لم يأمر بذلك(١)، كما يؤخذ من حديث رواه الحاكم، وأخرج في معناه عن علي: أن البسملة أمان، وهي نزلت لرفع الأمن بالسيف(٢). وعن حذيفة رضي الله عنه: إنكم تسمونها سورة التوبة، وهي سورة العذاب(٣). وروى البخاري عن البراء رضي الله عنه: أنها آخر سورة نزلت(٤).

١ هذه ﴿ براءة من الله ورسوله ﴾ واصلة ﴿ إلى الذين عاهدتم من المشركين ﴾ عهداً مطلقاً، أو دون أربعة أشهر أو فوقها،

٢ ونقض العهد بما يذكر في قوله: ﴿ فسيحوا ﴾ سيروا آمنين أيها المشركون ﴿ في الأرض أربعة أشهر ﴾ أولها شوال بدليل ما سيأتي، ولا أمان لكم بعدها ﴿ واعلموا أنكم غير معجزي الله ﴾ أي فائتي عذابه ﴿ وأن الله مخزي الكافرين ﴾ مذلهم في الدنيا بالقتل، والأخرى بالنار.

٣ ﴿ وأذان ﴾ إعلام ﴿ من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر ﴾ يوم النحر ﴿ أن ﴾ أي بأن ﴿ الله بريء من المشركين ﴾ وعهودهم ﴿ ورسوله ﴾ بريء أيضاً، وقد بعث النبي ﷺ علياً من السنة(٥)، وهي سنة تسع، فأذن يوم النحر بمنى بهذه الآيات، وأن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان. رواه البخاري(٦) ﴿ فإن تبتم ﴾ من الكفر ﴿ فهو

٢٣٩ (سورة الأنفال)

لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٧٤) وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَٰهَدُوا مَعَكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنكُمْ ۚ وَأُو۟لُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ (٧٥)

(٩) سورة التوبة مدنية
وآياتها تسع وعشرون ومائة

بَرَآءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى الَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ (١) فَسِيحُوا فِى الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوٓا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى اللَّهِ ۙ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِى الْكَٰفِرِينَ (٢) وَأَذَٰنٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ

---

(١) ولا مدخل في هذا لرأي احد في الترك أو الإثبات، وإنما المتبع فيه الوحي والبيان من رسول الله ﷺ، وحيث ترك ذلك دل على تعين ترك التسمية هنا.

(٢) روى الحاكم في تفسير سورة التوبة: عن علي بن عبد الله ابن عباس قال سمعت أبي يقول: سألت علي بن أبي طالب رضي الله عنه: لم لم تكتب في براءة بسم الله الرحمن الرحيم؟ قال: لأن بسم الله الرحمن الرحيم أمان، وبراءة نزلت بالسيف ليس فيها أمان. [المستدرك: التفسير، باب: تفسير سورة التوبة: ٢/٣٣٠].

(٣) وتسمى الفاضحة، لأنها فضحت المنافقين وكشفت عن احوالهم. روى البخاري عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: سورة التوبة، فقال: التوبة؟ هي الفاضحة، ما زالت تنزل: ومنهم ومنهم، حتى ظنوا أنها لن تبقي أحداً منهم إلا ذكر فيها.

(٤) البخاري: التفسير/التوبة، باب: ﴿براءة من الله ورسوله..﴾ رقم: ٤٣٧٧. (٥) في السنة التي نزلت فيها.

(٦) أخرج البخاري [الصلاة في الثياب، باب: ما يستر من العورة، رقم: ٣٦٢]: عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف: أن أبا

فهو لك ولعبد الله والفضل وقثم). قال: قلت: وما يدريك؟ قال: (أخبرني الله بذلك). قال: أشهد إنك لصادق، وإني قد دفعت إليها ذهباً ولم يطلع عليها أحد إلا الله، فأنا أشهد أنّ لا إله إلا الله، وأنك رسول الله. قال العباس: فأعطاني الله خيراً مما أخذ مني كما قال: عشرين عبداً، كلهم يضرب بمال كبير، مكان العشرين أوقية، وأنا أرجو المغفرة من ربي. [النوبة: أي اليوم الذي ينوب فيه بإطعام القوم. قال: أي العباس رضي الله عنه بعد إسلامه. كما قال: أي في قوله تعالى في الآية المذكورة: ﴿إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ في قلوبكم خيراً يُؤْتِكم خيراً مما أُخِذَ منكم﴾. يضرب بمال: أي يتاجر به لحساب سيده العباس رضي الله عنه. أرجو المغفرة: أي التي وعدني به في قوله في تتمة الآية: ﴿ويَغْفِرْ لكم واللَّهُ غفورٌ رحيمٌ﴾.

سبب نزول الآية [٧٥]: أخرج ابن جرير عن ابن الزبير رضي الله عنهما قال: كان الرجل يعاقد الرجل ترثني وأرثك، فنزلت: ﴿وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض﴾ الآية. وأخرج ابن سعد من طريق هشام بن عروة عن أبيه قال: آخى رسول الله ﷺ بين الزبير بن العوام وبين كعب بن مالك، قال الزبير: لقد رأيت كعباً أصابته الجراحة بأحد، فقلت: لو مات فانقطع عن الدنيا وأهلها لورثته، فنزلت هذه الآية: ﴿وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله﴾. فصارت المواريث بعد للأرحام والقرابات، وانقطعت تلك المواريث في المؤاخاة. [أبيه: عروة بن الزبير رضي الله عنه].

خير لكم وإن توليتم ﴾ عن الإيمان ﴿ فاعلموا أنكم غير معجزي الله وبشر ﴾ أخبر ﴿ الذين كفروا بعذاب أليم ﴾ مؤلم، وهو القتل والأسر في الدنيا، والنار في الآخرة.

٤ ﴿ إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً ﴾ من شروط العهد ﴿ ولم يظاهروا ﴾ يعاونوا ﴿ عليكم أحداً ﴾ من الكفار ﴿ فأتموا إليهم عهدهم إلى ﴾ انقضاء ﴿ مدتهم ﴾ التي عاهدتم عليها ﴿ إن الله يحب المتقين ﴾ بإتمام العهود.

٥ ﴿ فإذا انسلخ ﴾ خرج ﴿ الأشهر الحرم ﴾ وهي آخر مدة التأجيل ﴿ فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ﴾ في حل أو حرم ﴿ وخذوهم ﴾ بالأسر ﴿ واحصروهم ﴾ في القلاع والحصون حتى يضطروا[١] إلى القتل أو الإسلام ﴿ واقعدوا لهم كل مرصد ﴾ طريق يسلكونه، ونصب«كل»على نزع الخافض﴿ فإن تابوا ﴾ من الكفر ﴿ وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ﴾ ولا تتعرضوا لهم ﴿ إن الله غفور رحيم ﴾ لمن تاب(*).

٦ ﴿ وإن أحد من المشركين ﴾ مرفوع بفعل يفسره ﴿ استجارك ﴾ استأمنك من القتل ﴿ فأجره ﴾ أمّنه ﴿ حتى يسمع كلام الله ﴾ القرآن ﴿ ثم أبلغه مأمنه ﴾[٢] أي موضع أمنه، وهو دار قومه، إن لم يؤمن، لينظر في أمره ﴿ ذلك ﴾ المذكور ﴿ بأنهم قوم لا يعلمون ﴾ دين الله، فلا بد لهم من سماع القرآن ليعلموا.

٧ ﴿ كيف ﴾ أي لا ﴿ يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله ﴾ وهم كافرون بالله ورسوله، غادرون ﴿ إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام ﴾ يوم الحديبية، وهم قريش[٣] المستثنون من قبل ﴿ فما استقاموا لكم ﴾ أقاموا على العهد ولم ينقضوه ﴿ فاستقيموا لهم ﴾ على الوفاء به، وما شرطية ﴿ إن الله يحب المتقين ﴾ وقد استقام النبي ﷺ على عهدهم حتى نقضوا بإعانة بني بكر على خزاعة.

٢٤٠ (الجـزء العاشر)

خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ
وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم
مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُواْ
عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ
يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُواْ
ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ
وَٱقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ
وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾
وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ
كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾
كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ
إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ فَمَا ٱسْتَقَٰمُواْ

هريرة رضي الله عنه قال: بعثني أبو بكر في تلك الحجة، في مؤذنين يوم النحر، نؤذن بمنى: ألا لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان. قال حميد بن عبد الرحمن: ثم أردف رسول الله ﷺ علياً، فأمره أن يؤذن بـ ﴿براءة﴾. قال أبو هريرة: فأذن معنا علي رضي الله عنه في أهل منى يوم النحر: لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان. [في تلك الحجة: أي التي أمر فيها رسول الله ﷺ أبا بكر على الحج، في السنة التاسعة، قبل حجة الوداع بسنة. أردف: أرسله وراء أبي بكر رضي الله عنه. يؤذن ببراءة: يقرؤها على الناس، وبراءة اسم لسورة التوبة، وسميت براءة لأنها تبدأ بقوله تعالى: ﴿براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين﴾].

(١) يلجؤوا.

(٢) أوصله إلى الموضع الذي يأمن فيه.

(٣) الصحيح أنها قبائل من بني بكر، وهم خزيمة وبنو مدلج، وكانوا قد دخلوا على عهد قريش يوم الحديبية، ولم ينقضوا العهد مع قريش فأمر بإتمام العهد لهم.

(*) قال ابن كثير في تفسير الآية: ولهذا اعتمد الصديق رضي الله عنه في قتال مانعي الزكاة على هذه الآية الكريمة وأمثالها، حيث حرمت قتالهم بشرط هذه الأفعال، وهي الدخول في الإسلام والقيام بأداء واجباته. ونبه بأعلاها على أدناها، فإن أشرف الأركان بعد الشهادة الصلاة، التي هي حق الله عز وجل، وبعدها أداء الزكاة التي هي نفع متعد إلى الفقراء والمحاويج، وهي أشرف الأفعال المتعلقة بالمخلوقين، ولهذا كثيراً ما يقرن الله بين الصلاة والزكاة، وقد جاء في الصحيحين: عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن رسول الله ﷺ أنه قال: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة)... الحديث. انتهى كلام ابن كثير.

وتتمة الحديث: (فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله) [البخاري: الإيمان، باب: ﴿فإن تابوا وأقاموا الصلاة..﴾ رقم: ٢٥. مسلم: الإيمان، باب: الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، رقم: ٢٢] [عصموا: حفظوا وحقنوا، والعصمة المنع والحفظ. بحق الإسلام: أي إذا فعلوا ما يستوجب عقوبة مالية أو بدنية في الإسلام، فإنهم يؤاخذون بذلك قصاصاً. وحسابهم على الله: فيما يتعلق بسرائرهم وما يضمرون].

٨ ﴿ كيف ﴾ يكون لهم عهد ﴿ وإن يظهروا عليكم ﴾ يظفروا بكم ﴿ لا يرقبوا ﴾ يراعوا ﴿ فيكم إلاًّ ﴾ قرابة ﴿ ولا ذمة ﴾ عهداً، بل يؤذوكم ما استطاعوا. وجملة الشرط حال⁽١⁾ ﴿يرضونكم بأفواههم﴾ بكلامهم الحسن ﴿وتأبى قلوبهم﴾ الوفاء به ﴿ وأكثرهم فاسقون ﴾ ناقضون للعهد.

٩ ﴿ اشتروا بآيات الله ﴾ القرآن ﴿ ثمناً قليلاً ﴾ من الدنيا، أي تركوا اتباعها للشهوات والهوى ﴿ فصدوا عن سبيله ﴾ دينه ﴿ إنهم ساء ﴾ بئس ﴿ ما كانوا يعملون ﴾ ـه عملهم هذا.

١٠ ﴿ لا يرقبون في مؤمن إلاًّ ولا ذمة وأولئك هم المعتدون ﴾.

١١ ﴿ فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم ﴾ أي فهم إخوانكم ﴿ في الدين⁽٢⁾ ونفصل ﴾ نبين ﴿ الآيات لقوم يعلمون ﴾ يتدبرون.

١٢ ﴿ وإن نكثوا ﴾ نقضوا ﴿ أيمانهم ﴾ مواثيقهم ﴿ من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم ﴾ عابوه ﴿ فقاتلوا أئمة الكفر ﴾ رؤساءه، فيه وضع الظاهر موضع المضمر ﴿ إنهم لا أيمان ﴾ عهود ﴿ لهم ﴾ وفي قراءة بالكسر⁽٣⁾ ﴿ لعلهم ينتهون ﴾ عن الكفر.

١٣ ﴿ ألا ﴾ للتحضيض⁽٤⁾ ﴿ تقاتلون قوماً نكثوا ﴾ نقضوا ﴿ أيمانهم ﴾ عهودهم ﴿ وهموا بإخراج الرسول ﴾ من مكة، لما تشاوروا فيه بدار الندوة⁽٥⁾ ﴿ وهم بدؤوكم ﴾ بالقتال ﴿ أول مرة ﴾ حيث قاتلوا خزاعة حلفاءكم مع بني بكر، فما يمنعكم أن تقاتلوهم ﴿ أتخشونهم ﴾ أتخافونهم؟ ﴿ فالله أحق أن تخشوه ﴾ في ترك قتالهم ﴿ إن كنتم مؤمنين ﴾.

لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ كَيْفَ
وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ
يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨﴾
ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ ۚ
إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا
وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟
ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ
ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَإِن نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ
بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ
إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا
نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ
مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾

---

(١) أي جملة ﴿وإن يظهروا عليكم..﴾ في محل نصب على الحال من المشركين من قوله ﴿كيف يكون للمشركين عهد..﴾ والمعنى: كيف تعاهدونهم ولا تقاتلونهم وحالهم هكذا؟ فهو زيادة تأكيد لاستبعاد أن يبقى لهم عهد، طالما أن هذه صفتهم وطويتهم.

(٢) فإن تابوا من كفرهم وآمنوا والتزموا شرائع الإسلام صاروا منكم، لهم مالكم وعليهم ما عليكم.

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما توفي النبي ﷺ واستخلف أبو بكر وكفر من كفر من العرب، قال عمر بن الخطاب لأبي بكر: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم مني ما له ونفسه إلا بحقه، وحسابه على الله عزّ وجلّ) فقال أبو بكر: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقاً كانوا يؤدونها ـ وفي رواية: عقالاً كانوا يؤدونه ـ إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها. فقال عمر: فوالله ما هو إلا أن رأيت أن الله شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق. [البخاري: الزكاة، باب: وجوب الزكاة، رقم: ١٣٣٥. مسلم: الإيمان، باب: الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله..، رقم: ٢٠].

(٣) أي ﴿لا إيمان﴾ ويحتمل: أنه ضد الكفر أي لا إسلام، وأنه مصدر آمنته أعطيته الأمان، والمعنى: لا يعطون أماناً بعد نكثهم وطعنهم.

(٤) وهو الطلب بحث وتهييج. (٥) انظر /الأنفال: ٣٠/.

فائدة: عن زيد بن وهب قال: كنا عند حذيفة رضي الله عنه فقال: ما بقي من أصحاب هذه الآية إلا ثلاثة، ولا من المنافقين إلا أربعة. فقال أعرابي: إنكم أصحاب محمد ﷺ تخبروننا ولا ندري، فما بال هؤلاء الذين يبقرون بيوتنا، ويسرقون أعلاقنا؟ قال: أولئك الفساق، أجل، لم يبق منهم إلا أربعة، أحدهم شيخ كبير، لو شرب الماء البارد لما وجد برده. [البخاري: التفسير، التوبة، باب: ﴿فقاتلوا أئمة الكفر..﴾] [أصحاب هذه الآية: أي =

سبب نزول الآية [١٢]: قال الواحدي: قال ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت في أبي سفيان بن حرب، والحارث بن هشام، وسهيل بن عمرو، وعكرمة بن أبي جهل، وسائر رؤساء قريش، الذين نقضوا العهد، وهم الذين هموا بإخراج الرسول، ﷺ.

أقول: وهؤلاء المذكورون قد أسلموا جميعاً وحسن إسلامهم، فرضي الله تعالى عنهم وأرضاهم. والحارث بن هشام هذا أخو أبي جهل عمرو بن هشام، وهكذا فريق في الجنة وفريق في السعير.

١٤ ﴿ قاتلوهم يعذبهم الله ﴾ يقتلهم ﴿ بأيديكم ويخزهم ﴾ يذلهم بالأسر والقهر ﴿ وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ﴾ مما فعل بهم بنو خزاعة.

١٥ ﴿ ويذهب غيظ قلوبهم ﴾ كربها ﴿ ويتوب الله على من يشاء ﴾ بالرجوع إلى الإسلام، كأبي سفيان ﴿ والله عليم حكيم ﴾.

١٦ ﴿ أم ﴾ بمعنى همزة الإنكار ﴿ حسبتم أن تتركوا ولما ﴾ لم ﴿ يعلم الله ﴾ علم ظهور(١) ﴿ الذين جاهدوا منكم ﴾ بإخلاص ﴿ ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة ﴾ بطانة وأولياء، المعنى: ولم يظهر المخلصون، وهم الموصوفون بما ذكر، من غيرهم ﴿ والله خبير بما تعملون ﴾.

١٧ ﴿ ما كان للمشركين أن يعمروا مسجد الله ﴾ بالإفراد(٢) والجمع، بدخوله والقعود فيه ﴿ شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت ﴾ بطلت ﴿ أعمالهم ﴾ لعدم شرطها(٣) ﴿ وفي النار هم خالدون ﴾.

١٨ ﴿ إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش ﴾ أحداً ﴿ إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين ﴾(٤).

١٩ ﴿ أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام ﴾ أي أهل ذلك ﴿ كمن آمن بالله

قَـٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ
وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ (١٤) وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ
وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٥) أَمْ
حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ مِنكُمْ
وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ
وَلِيجَةً وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٦) مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ
أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ شَـٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ
أُو۟لَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَـٰلِدُونَ (١٧)
إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ
وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ
أُو۟لَـٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ (١٨) * أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ
ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ

= الذين نزلت فيهم من زعماء المشركين وقت نزولها، والمراد الآية [١٢]. ثلاثة: قيل: منهم أبو سفيان وسهيل بن عمرو رضي الله عنهما. من المنافقين: أي الذين كانوا على عهده ﷺ. أربعة: لم يوقف على أسمائهم. أعرابي: هو من يسكن البادية، قال في الفتح: لم أقف على اسمه. تخبروننا: عن أشياء. فلا ندري: أي قد لا تتضح لنا. يبقرون: ينقبون ويفتحون. أعلاقنا: نفائس أموالنا، جمع عَلَق وهو الشيء النفيس، سمي بذلك لتعلق القلب به. أولئك الفساق: أي الذين تذكرهم ليسوا الكفار ولا المنافقين، وإنما هم الفساق. أجل: نعم. أحدهم: أي المنافقين الأربعة. لما وجد برده: لا يحس ببرودته، لذهاب شهوته وفساد ذوقه ومعدته، فأصبح لا يفرق بين الأشياء. قال العيني: وحاصل معنى هذا الحديث: أن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، كان صاحب سر رسول الله ﷺ في شأن المنافقين وكان يعرفهم، ولا يعرفهم غيره، وكان النبي ﷺ أسر إليه بأسماء عدة من المنافقين وأهل الكفر، والذين نزلت فيهم الآية، ولم يسر إليه بأسماء جميعهم].

(١) أي لم يظهر لكم ما في علمه سبحانه.

(٢) والمراد المسجد الحرام، أو جنس المسجد، فيعم كل مسجد.

(٣) وهو الإيمان.

(٤) روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: (من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له في الجنة نزلاً كلما غدا أو راح). [النزل: ما يهيأ للضيف من إكرام عند نزوله بالقوم]. وروى البخاري ومسلم عن عثمان ابن عفان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من بنى مسجداً لله تعالى يبتغي به وجه الله بنى الله له بيتاً في الجنة).
[البخاري: المساجد، باب: من بنى مسجداً، رقم: ٤٣٩. الجماعة والإمامة، باب: فضل من غدا إلى المسجد ومن راح، رقم: ٦٣١. مسلم: المساجد ومواضع الصلاة، باب: فضل بناء المساجد والحث عليها، رقم: ٥٣٣. وباب: المشي إلى الصلاة تمحى به الخطايا، رقم: ٦٦٩].

سبب نزول الآية [١٥]: عن قتادة قال: ذكر لنا أن هذه الآية نزلت في خزاعة، حين جعلوا يقتلون بني بكر بمكة. وعن عكرمة قال: نزلت هذه الآية في خزاعة. وعن السدّي: ﴿ويشف صدور قوم مؤمنين﴾ قال: هم خزاعة حلفاء النبي ﷺ، يشف صدورهم من بني بكر [السيوطي].

سبب نزول الآية [١٧]: قال الواحدي: قال المفسرون: لما أسر العباس يوم بدر أقبل عليه المسلمون، فعيروه بكفره بالله وقطيعة الرحم، وأغلظ علي له لقول، فقال العباس: ما لكم تذكرون مساوينا ولا تذكرون محاسننا؟ فقال له علي: ألكم محاسن؟ قال: نعم، إنا لنعمر المسجد الحرام، ونحجب الكعبة، ونسقي الحاج، ونفك العاني. فأنزل الله عزّ وجلّ رداً على العباس: ﴿ ما كان للمشركين أن يعمروا ﴾ الآية.

سبب نزول الآية [١٩]: عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال:

واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله ﴾ في الفضل ﴿ والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ الكافرين. نزلت رداً على من قال ذلك، وهو العباس أو غيره.

٢٠ ﴿ الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة ﴾ رتبة ﴿ عند الله ﴾ من غيرهم ﴿ وأولئك هم الفائزون ﴾ الظافرون بالخير.

٢١ ﴿ يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان[1] وجنات لهم فيها نعيم مقيم ﴾ دائم[2].

٢٢ ﴿ خالدين ﴾ حال مقدرة[3] ﴿ فيها أبداً إن الله عنده أجر عظيم ﴾.

٢٣ ونزل فيمن ترك الهجرة لأجل أهله وتجارته ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء[4] إن استحبوا ﴾ اختاروا ﴿ الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون ﴾.

٢٤ ﴿ قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم ﴾ أقرباؤكم، وفي قراءة «عشيراتكم» ﴿ وأموال اقترفتموها ﴾ اكتسبتموها ﴿ وتجارة تخشون كسادها ﴾ عدم نفادها ﴿ ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله

وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ
ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ
أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾
يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا
نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ
أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ
وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ
وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن
كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ
وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا
وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ

---

(١) هو نهاية الإحسان وغايته.

(٢) قال الجمل في حاشيته على الجلالين: قال أبو حيان: لما وصف الله المؤمنين بثلاث صفات: الإيمان والهجرة والجهاد بالنفس والمال قابلهم على ذلك بالتبشير بثلاث، وبدأ بالرحمة في مقابلة الإيمان لتوقفها عليه، وثنى بالرضوان - الذي هو نهاية الإحسان - في مقابلة الجهاد الذي فيه بذل الأنفس والأموال، ثم ثلث بالجنات في مقابلة الهجرة وترك الأوطان، إشارةً إلى أنهم لما آثروا تركها بدَّلهم داراً عظيمة دائمة، وهي الجنات. [أبو حيان: هو النَّحْوي والمفسر والمحدث والمقرىء محمد بن يوسف الغرناطي، المتوفى سنة ٧٤٥ هجرية].

(٣) أي إن لفظ ﴿خالدين﴾ منصوب على أنه حال من وجودهم في الجنة بعد دخولها، والتقدير: يدخلونها فيخلدون فيها. وليست حالاً منهم وقت البشارة أو الدخول.

(٤) أعواناً وأصدقاء ونصراء، تفشون إليهم أسراركم وتؤثرون المقام معهم، وتوالونهم وتوادونهم.

فائدة: عن أنس رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين) [البخاري: الإيمان، باب: حب الرسول ﷺ من الإيمان، رقم: ١٥. مسلم: الإيمان، باب: وجوب محبة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل والولد والوالد، رقم: ٤٤].

وعن عبد الله بن هشام رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ، وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب، فقال له عمر: يا رسول الله، لأنت أحب إليّ من كل شيء إلا من نفسي. فقال النبي ﷺ: (لا، والذي نفسي بيده، حتى أكون أحب إليك من نفسك). فقال له عمر: فإنه الآن، والله، لأنت أحب إلي من نفسي. فقال النبي ﷺ: (الآن يا عمر). [البخاري: الأيمان والنذور، باب: كيف كانت يمين النبي ﷺ، رقم: ٦٢٥٧] [لا: أي لايكمل إيمانك بهذا. الآن: كمل إيمانك].

كنت عند منبر رسول الله ﷺ فقال رجل: ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد الإسلام إلا أن أسقي الحاج. وقال آخر: ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد الإسلام إلا أن أعمر المسجد الحرام. وقال آخر: الجهاد في سبيل الله أفضل مما قلتم. فزجرهم عمر وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله ﷺ - وهو يوم الجمعة - ولكن إذا صليت الجمعة دخلت فاستفتيته فيما اختلفتم فيه. فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿ أجعلتم سقاية الحاج ﴾ إلى قوله ﴿ لا يهدي القوم الظالمين ﴾. [أخرجه مسلم في الإمارة، باب: فضل الشهادة في سبيل الله تعالى، رقم: ١٨٧٩].

سبب نزول الآية [٢٣ - ٢٤]: قال الواحدي: قال الكلبي: لما أمر رسول الله ﷺ بالهجرة إلى المدينة جعل الرجل يقول لأبيه وأخيه وامرأته: إنا قد أمرنا بالهجرة. فمنهم من يسرع إلى ذلك ويعجبه، ومنهم من يتعلق به زوجته وعياله وولده فيقولون: نشدناك الله أن تدعنا إلى غير شيء فنضيع. فيرق فيجلس معهم ويدع الهجرة، فنزلت يعاتبهم: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم﴾ الآية.

ونزلت في الذين تخلفوا بمكة ولم يهاجروا قوله تعالى: ﴿قُلْ إنْ كانَ آباؤكم وأبناؤكم﴾ إلى قوله: ﴿فتربَّصُوا حتى يأتي اللّهُ بأمْرِه﴾ يعني القتال وفتح مكة.

وجهاد في سبيله ﴾ فقعدتم لأجله(١) عن الهجرة والجهاد ﴿ فتربصوا ﴾ انتظروا ﴿ حتى يأتي الله بأمره ﴾(٢) تهديد لهم ﴿ والله لا يهدي القوم الفاسقين ﴾.

٢٥ ﴿ لقد نصركم الله في مواطن ﴾ للحرب ﴿ كثيرة ﴾ كبدر وقريظة والنضير ﴿ و ﴾ اذكر ﴿ يوم حنين ﴾ وادٍ بين مكة والطائف، أي يوم قتالكم فيه هوازن، وذلك في شوال سنة ثمان ﴿ إذ ﴾ بدل من يوم ﴿ أعجبتكم كثرتكم ﴾ فقلتم: لن نغلب اليوم من قلة، وكانوا اثني عشر ألفاً، والكفار أربعة آلاف ﴿ فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ﴾ ما مصدرية، أي مع رحبها أي سعتها، فلم تجدوا مكاناً تطمئنون إليه، لشدة ما لحقكم من الخوف ﴿ ثم وليتم مدبرين ﴾ منهزمين، وثبت النبي ﷺ على بغلته البيضاء، وليس معه غير العباس، وأبو سفيان آخذ بركابه(٣).

٢٦ ﴿ ثم أنزل الله سكينته ﴾ طمأنينته ﴿ على رسوله وعلى المؤمنين ﴾ فردوا إلى النبي ﷺ، لما ناداهم العباس بإذنه، وقاتلوا ﴿ وأنزل جنوداً لم تروها ﴾ ملائكة ﴿ وعذب الذين كفروا ﴾ بالقتل والأسر ﴿ وذلك جزاء الكافرين ﴾.

٢٧ ﴿ ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء ﴾ منهم بالإسلام ﴿ والله غفور رحيم ﴾.

٢٨ ﴿ يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس ﴾ قذر، لخبث بواطنهم ﴿ فلا يقربوا المسجد الحرام ﴾ أي لا يدخلوا الحرم ﴿ بعد عامهم هذا ﴾ عام تسع من الهجرة ﴿ وإن خفتم عيلة ﴾ فقراً بانقطاع تجارتهم عنكم ﴿ فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء ﴾ وقد أغناهم بالفتوح والجزية ﴿ إن الله عليم حكيم ﴾.

٢٩ ﴿ قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ﴾ وإلا(٤) لآمنوا بالنبي ﷺ ﴿ ولا يحرمون

وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ
لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ
كَثِيرَةٖ وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍۙ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ
شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم
مُّدۡبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى
ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ
وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ
ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ
بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ
مِن فَضۡلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٢٨﴾ قَٰتِلُواْ
ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ

---

(١) لأجل ما سبق ذكره.

(٢) بقضائه فيكم: من عذاب عاجل أو عقاب آجل.

(٣) أي يمسك بدابته التي يركبها، وأبو سفيان هو ابن الحارث ابن عبد المطلب، ابن عمه ﷺ، ورضي الله عنه.

روى البخاري ومسلم: جاء رجل إلى البراء بن عازب رضي الله عليه فقال: أكنتم وليتم يوم حنين يا أبا عمارة؟ فقال: أشهد على نبي الله ﷺ ما ولى، ولكنه انطلق أخِفَّاءُ من الناس وحُسَّرٌ إلى هذا الحي من هوازن، وهم قوم رماة، فرموهم برِشق من نبلٍ كأنها رجل من جراد، فانكشفوا، فأقبل القوم إلى رسول الله ﷺ، وأبو سفيان بن الحارث يقود به بغلته، فنزل ودعا واستنصر وهو يقول: (أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب، اللهم نزِّل نصرك) ثم صف أصحابه. [البخاري: الجهاد، باب: من صف أصحابه عند الهزيمة. . ، رقم: ٢٧٧٢. مسلم: الجهاد والسير، باب: في غزوة حنين، رقم ١٧٧٦] [الأخفاء: جمع خفيف، وهم المسرعون من الناس الذين ليس معهم ما يعوقهم. حسراً: جمع حاسر، وهو الذي لا درع عليه. رجل من جراد: قطعة كبيرة من الجراد لكثرتها]. وفي رواية لمسلم عن العباس رضي الله عنه قال: فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين، فطفق رسول الله ﷺ يركض بغلته قبل الكفار، قال العباس: وأنا آخذ بلجام بغلة رسول الله ﷺ أكفها إرادة أن لا تسرع، وأبو سفيان آخذ بركاب رسول الله ﷺ.

(٤) أي لو كانوا يؤمنون بالله تعالى واليوم الآخر حقاً لآمنوا بالنبي ﷺ، ولكن دعواهم ذلك باطلة.

سبب نزول الآية [٢٥]: عن الربيع بن أنس رضي الله عنه: أن رجلاً قال يوم حنين: لن نُغلب من قلة. وكانوا اثني عشر ألفاً، فشقّ ذلك على رسول الله ﷺ، فأنزل الله: ﴿ ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم ﴾ الآية. [السيوطي].

سبب نزول الآية [٢٨]: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان المشركون يجيئون إلى البيت، ويجيئون معهم بالطعام يتجرون فيه، فلما نهوا عن أن يأتوا البيت، قال المسلمون: من أين لنا الطعام؟ فأنزل الله: ﴿وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله﴾. [السيوطي].

وأخرج ابن جرير عن سعيد بن جبير قال: لما نزلت: ﴿إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا﴾ شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، وقالوا: من يأتينا بطعامنا، ومن يأتينا بالمتاع؟ فنزلت: ﴿وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله﴾.

ما حرم الله ورسوله ﴾ كالخمر ﴿ ولا يدينون دين الحق ﴾ الثابت الناسخ لغيره من الأديان، وهو دين الإسلام(١) ﴿ من الذين ﴾ بيان للذين(٢) ﴿ أوتوا الكتاب ﴾ أي اليهود والنصارى ﴿ حتى يعطوا الجزية ﴾ الخراج المضروب عليهم كل عام(٣) ﴿ عن يد ﴾ حال، أي منقادين، أو: بأيديهم لا يوكلون بها ﴿ وهم صاغرون ﴾ أذلاء منقادون لحكم الإسلام.

٣٠ ﴿ وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ﴾ عيسى ﴿ ابن الله ذلك قولهم بأفواههم ﴾ لا مستند لهم عليه، بل ﴿ يضاهئون ﴾ يشابهون به ﴿ قول الذين كفروا من قبل ﴾ من آبائهم، تقليداً لهم ﴿ قاتلهم ﴾ لعنهم ﴿ الله أنى ﴾ كيف ﴿ يؤفكون ﴾ يصرفون عن الحق مع قيام الدليل.

٣١ ﴿ اتخذوا أحبارهم ﴾ علماء اليهود ﴿ ورهبانهم ﴾ عبَّاد النصارى ﴿ أرباباً من دون الله ﴾ حيث اتبعوهم في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل(٤) ﴿ والمسيح ابن مريم وما أمروا ﴾ في التوراة والإنجيل ﴿ إلا ليعبدوا ﴾ أي بأن يعبدوا ﴿ إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه ﴾ تنزيهاً له ﴿ عما يشركون ﴾.

٣٢ ﴿ يريدون أن يطفؤوا نور الله ﴾ شرعه وبراهينه(٥) ﴿ بأفواههم ﴾ بأقوالهم فيه ﴿ ويأبى الله إلا أن يتم ﴾ يظهر ﴿ نوره ولو كره الكافرون ﴾ ذلك.

٣٣ ﴿ هو الذي أرسل رسوله ﴾ محمداً ﷺ ﴿ بالهدى ودين الحق ليظهره ﴾ يعليه ﴿ على الدين كله ﴾ جميع الأديان المخالفة له ﴿ ولو كره المشركون ﴾ ذلك(٦).

٣٤ ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن

مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ
أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ
صَـٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ
ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ
يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ
يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن
دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟
إِلَـٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾
يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن
يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ
رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ
وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ

---

(١) أي لا يعتقدون صحته، ولا يتبعون شرائعه.

(٢) في قوله ﴿ قاتلوا الذين ﴾.

(٣) الجزء المعين من المال، يجعله الحاكم المسلم على ذكورهم البالغين الموسرين. وسمي جزية لأنه جزاء لكف القتال عنهم وتأمينهم وحمايتهم.

(٤) أخرج الترمذي عن عدي بن حاتم قال: أتيت النبي ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب، فقال: (يا عدي اطرح عنك هذا الوثن). وسمعته يقرأ في سورة براءة: ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ﴾ قال: (أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه، وإذا حرموا عليهم شيئاً حرموه).

[الترمذي: أبواب تفسير القرآن، باب: ومن سورة التوبة، رقم: ٣٠٩٤].

(٥) الدالة على صدق محمد ﷺ، وهي ما جاء به من دعوة التوحيد والانقياد إلى الله عزّ وجلّ، ونهيه عن تعظيم ما سواه، والتبري من كل معبود عداه. مع ما ظهر على يديه من المعجزات وخوارق العادات، وأبرزها المعجزة القرآنية، إذ تحدى فصحاء العرب وبلغاءهم: أن يأتوا بسورة من مثله، فعجزوا عن ذلك، ولجؤوا إلى القتال بالسيف والسنان، بدل أن يقارعوا بالحجة والبرهان.

(٦) روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى) فقلت: يا رسول الله، إني كنت لأظن حين أنزل الله تعالى ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله﴾ أن ذلك تامًّا؟ قال: (إنه سيكون ذلك ما شاء الله، ثم يبعث الله ريحاً طيبة فَتَوَفّى كل من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، فيبقى من لا خير فيه، فيرجعون إلى دين آبائهم). [مسلم: الفتن وأشراط الساعة، باب: لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ذا الخلصة، رقم: ٢٩٠٧].

[قوله: تاماً، هكذا منصوبة في الرواية، والتقدير: أن ذلك الظهور سيكون تاماً، بأن يبقى إلى يوم القيامة].

سبب نزول الآية [٣٠]: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أتى رسول الله ﷺ سلام بن مشكم ونعمان بن أوفى ومحمد بن دحية وشاس بن قيس ومالك بن الصيف، فقالوا: كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا وأنت لا تزعم أن عزيراً ابن الله؟ فأنزل الله في ذلك: ﴿وقالت اليهود﴾ الآية [السيوطي].

كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون ﴾ ليأخذون ﴿ أموال الناس بالباطل ﴾ كالرشا في الحكم ﴿ ويصدون ﴾ الناس ﴿ عن سبيل الله ﴾ دينه ﴿ والذين ﴾ مبتدأ ﴿ يكنزون الذهب والفضة[1] ولا ينفقونها ﴾ أي الكنوز ﴿ في سبيل الله ﴾ أي لا يؤدون منها حقه من الزكاة، والخبر ﴿ فبشرهم ﴾ أخبرهم ﴿ بعذاب أليم ﴾ مؤلم.

٣٥ ﴿ يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى ﴾ تحرق ﴿ بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ﴾ وتوسع جلودهم حتى توضع عليها كلها، ويقال لهم ﴿ هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون ﴾ أي جزاءه[2].

٣٦ ﴿ إن عدة الشهور ﴾ المعتد بها للسنة ﴿ عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله ﴾ اللوح المحفوظ ﴿ يوم خلق السماوات والأرض منها ﴾ أي الشهور ﴿ أربعة حرم ﴾ محرمة: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب ﴿ ذلك ﴾ أي تحريمها ﴿ الدين القيم ﴾ المستقيم ﴿ فلا تظلموا فيهن ﴾ أي الأشهر الحرم ﴿ أنفسكم ﴾ بالمعاصي، فإنها فيها أعظم وزراً، وقيل: في الأشهر كلها ﴿ وقاتلوا المشركين كافة ﴾ جميعاً، في كل الشهور ﴿ كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين ﴾ بالعون والنصر.

٣٧ ﴿ إنما النسيء ﴾ أي التأخير لحرمة شهر إلى آخر، كما كانت الجاهلية تفعله من تأخير حرمة المحرم - إذا هَلّ وهم في القتال - إلى صفر ﴿ زيادة في الكفر ﴾ لكفرهم بحكم الله فيه ﴿ يضل ﴾ بضم الياء[3] وفتحها ﴿ به الذين كفروا يحلونه ﴾ أي النسيء ﴿ عاماً ويحرمونه عاماً ليواطئوا ﴾ يوافقوا بتحليل شهر وتحريم آخر بدله ﴿ عدة ﴾ عدد ﴿ ما حرم الله ﴾ من الأشهر، فلا يزيدوا على تحريم أربعة ولا ينقصوا، ولا ينظروا إلى أعيانها

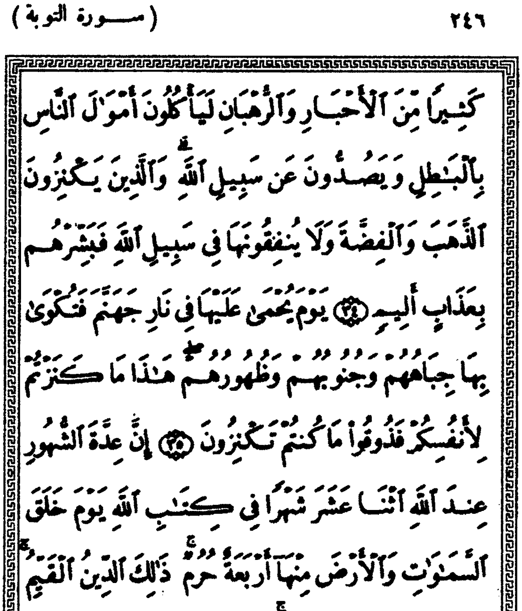

٢٤٦ (سـورة التوبة)

كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ
بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ
ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم
بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ
بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ
لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ
عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ
فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا
يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾
إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ

---

(١) يجمعون بعضها إلى بعض ويحفظونها.

(٢) أخرج البخاري عن زيد بن وهب قال: مررت بالربذة، فإذا أنا بأبي ذر، فقلت: ماأنزلك هذا المنزل؟ قال: كنت في الشام، فاختلفت أنا ومعاوية في هذه الآية: ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله﴾ فقال معاوية: نزلت في أهل الكتاب، فقلت: نزلت فينا وفيهم، فكان بيني وبينه في ذلك كلام، فكتب إلى عثمان يشكوني، فكتب إليّ عثمان أن أقدم المدينة، فقدمتها، فكثر عليّ الناس حتى كأنهم لم يروني قبل ذلك، فذكرت ذلك لعثمان، فقال: إن شئت تنحيت فكنت قريباً، فذاك الذي أنزلني هذا المنزل، ولو أمر عليّ عبد حبشي لسمعت وأطعت. وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته مثل له ماله شجاعاً أقرع له زبيبتان، يطوقه يوم القيامة، ثم يأخذ بلهزمتيه - يعني شدقيه - ثم يقول: أنا مالك، أنا كنزك) ثم تلا قوله سبحانه وتعالى ﴿ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم﴾ الآية/آل عمران: ١٨٠/. [البخاري: الزكاة، باب: إثم مانع الزكاة، رقم: ١٣٣٨، وباب: ما أدي زكاته فليس بكنز، رقم: ١٣٤١] [الربذة: موضع قريب من المدينة، فيه قبر أبي ذر رضي الله عنه الآن. شجاعاً أقرع: ثعباناً تمزق شعره من طول العمر. زبيبتان: نقطتان سوداوان فوق عيني الثعبان، والذي يكون فيه ذلك يكون من أخبث الحيات].

وأخرج الواحدي بسنده في كتابه [أسباب النزول]: عن ثوبان رضي الله عنه قال: لما نزلت: ﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة ﴾ قال رسول الله ﷺ: (تباً للذهب والفضة). قالوا: يا رسول الله، فأي المال نكتنز؟ قال: (قلباً شاكراً، ولساناً ذاكراً، وزوجة صالحة).

(٣) مع فتح الضاد ﴿يُضَل﴾ ومع كسرها ﴿يُضِل﴾. ويفتح الياء وكسر الضاد ﴿يَضِل﴾.

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: هذا مما ذم الله تعالى به المشركين من تصرفهم في شرع الله بآرائهم الفاسدة، وتغييرهم أحكام الله بأهوائهم الباردة، وتحليلهم ما حرم الله وتحريمهم ما أحل الله، فإنهم كان فيهم من القوة الغضبية والشهامة والحمية ما استطالوا به مدة الأشهر الثلاثة في التحريم المانع لهم من قضاء أوطارهم من قتال أعدائهم، فكانوا قد أحدثوا قبل الإسلام بمدة تحليل المحرم وتأخيره إلى صفر، فيحلون الشهر الحرام، ويحرمون الشهر الحلال، ليواطئوا عدة الأشهر الأربعة.

﴿ فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم ﴾ فظنوه حسناً ﴿ والله لا يهدي القوم الكافرين ﴾.

٣٨ ونزل ـ لما دعا ﷺ الناس إلى غزوة تبوك، وكانوا في عسرة⁽¹⁾ وشدة حر، فشق عليهم⁽²⁾ ـ ﴿يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم ﴾ بإدغام التاء في الأصل⁽³⁾ في المثلثة واجتلاب همزة الوصل، أي تباطأتم وملتم عن الجهاد ﴿إلى الأرض﴾ والقعود فيها، والاستفهام للتوبيخ ﴿ أرضيتم بالحياة الدنيا ﴾ ولذاتها ﴿ من الآخرة ﴾ أي بدل نعيمها ﴿ فما متاع الحياة الدنيا في ﴾ جنب متاع ﴿ الآخرة إلا قليل ﴾ حقير.

٣٩ ﴿ إلا ﴾ بإدغام لا في نون إن الشرطية في الموضعين⁽⁴⁾ ﴿ تنفروا ﴾ تخرجوا مع النبي ﷺ للجهاد ﴿ يعذبكم عذاباً أليماً ﴾ مؤلماً ﴿ ويستبدل قوماً غيركم ﴾ أي يأتِ بهم بدلكم ﴿ ولا تضروه ﴾ أي الله، أو النبي ﷺ ﴿ شيئاً ﴾ بترك نصره، فإن الله ناصر دينه ﴿ والله على كل شيء قدير ﴾ ومنه نصر دينه ونبيه.

٤٠ ﴿ إلا تنصروه ﴾ أي النبي ﷺ ﴿ فقد نصره الله إذ ﴾ حين ﴿ أخرجه الذين كفروا ﴾ من مكة، أي ألجؤوه إلى الخروج، لما أرادوا قتله أو حبسه أو نفيه، بدار الندوة⁽⁵⁾ ﴿ ثاني اثنين ﴾ حال، أي أحد اثنين، والآخر أبو بكر. المعنى: نصره الله في مثل تلك الحالة، فلا يخذله في غيرها ﴿ إذ ﴾ بدل من إذ قبله ﴿ هما في الغار ﴾ نقب في ثور⁽⁶⁾ ﴿ إذ ﴾ بدل ثانٍ ﴿ يقول لصاحبه ﴾ أبي بكر، وقد قال له لما رأى أقدام المشركين: لو نظر أحدهم تحت قدميه لأبصرنا⁽⁷⁾ ﴿ لا تحزن إن الله معنا ﴾ بنصره ﴿ فأنزل الله سكينته ﴾ طمأنينته ﴿ عليه ﴾ قيل: على النبي ﷺ، وقيل: على أبي بكر ﴿ وأيده ﴾ أي النبي ﷺ ﴿ بجنود لم تروها ﴾ ملائكة، في الغار ومواطن قتاله ﴿ وجعل كلمة الذين كفروا ﴾ أي دعوة الشرك ﴿ السفلى ﴾ المغلوبة ﴿ وكلمة الله ﴾ أي كلمة الشهادة ﴿ هي العليا ﴾ الظاهرة الغالبة ﴿ والله عزيز ﴾ في ملكه ﴿ حكيم ﴾ في صنعه.

٤١ ﴿ انفروا خفافاً وثقالاً ﴾ نشاطاً وغير نشاط⁽⁸⁾، وقيل: أقوياء وضعفاء، أو أغنياء وفقراء، وهي منسوخة⁽⁹⁾ بآية «ليس على الضعفاء»/ التوبة: ٩١/ ﴿ وجاهدوا بأموالكم

٢٤٧ (سورة التوبة)

فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى
ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ
إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ
أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ
عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ
وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ
إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ
إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ
سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ
حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ

---

(١) ضيق عيش.

(٢) أي الخروج إلى الجهاد، وكان الوقت وقت جني الثمار.

(٣) اصله: تثاقلتم. (٤) هنا وفي قوله ﴿إلا تنصروه﴾ الآتي.

(٥) اي اجتمعوا فيها، انظر/ الأنفال: ٣٠/ . (٦) اسم لجبل خارج مكة.

(٧) روى البخاري ومسلم عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: نظرت إلى أقدام المشركين ونحن في الغار، وهم على رؤوسنا، فقلت: يا رسول الله، لو أن أحدهم نظر إلى قدميه ابصرنا تحت قدميه؟ فقال: (يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما). أي بالنصر والمعونة والحفظ والتسديد.
[البخاري: فضائل الصحابة، باب: مناقب المهاجرين وفضلهم، رقم: ٣٤٥٣. مسلم: فضائل الصحابة، باب: من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، رقم: ٢٣٨١].

(٨) جمع نشيط.

(٩) على القولين الأخيرين. وعلى القول الأول غير منسوخة.
أخرج الواحدي بسنده: عن أنس قال: قرأ أبو طلحة: ﴿انفروا خفافاً وثقالاً﴾ فقال: ما اسمع الله عذر احداً. فخرج مجاهداً إلى الشام حتى مات.

فائدة: أخرج البخاري [التفسير، باب: قوله: ﴿ثاني اثنين إذ هما في الغار..﴾ رقم: ٤٣٨٨]: عن ابن أبي مليكة قال: غدوت

أسباب نزول الآيات [٣٨ ـ ٤٢]: قال الواحدي: نزلت في الحث على غزوة تبوك، وذلك أن رسول الله ﷺ لما رجع من الطائف وغزوة حنين أمر بالجهاد لغزو الروم، وذلك في زمان عسرة من البأس وجدب من البلاد وشدة من الحر، حين أخرفت النخل وطابت الثمار، فعظم على الناس غزو الروم، وأحبوا الظلال والمقام في المساكن والمال، وشق عليهم الخروج الى القتال، فلما علم الله تثاقل الناس أنزل هذه الآية.

وذكر السيوطي عن نجدة بن نفيع قال: سألت ابن عباس عن هذه الآية، فقال: استنفر رسول الله ﷺ أحياءً من العرب فتثاقلوا عنه، فأنزل الله: ﴿إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً﴾ فامسك عنهم المطر، فكان عذابهم.

وأخرج ابن جرير عن مجاهد في هذه الآية قال: هذا حين أمروا بغزوة تبوك بعد الفتح، وحين أمرهم بالنفير في الصيف حين طابت الثمار

وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾ أنه خير لكم فلا تتثاقلوا. ونزل في المنافقين الذين تخلفوا:
٤٢ ﴿ لو كان ﴾ ما دعوتهم إليه ﴿ عرضاً ﴾ متاعاً من الدنيا ﴿ قريباً ﴾ سهل المأخذ ﴿ وسفراً قاصداً ﴾ وسطاً ﴿ لاتبعوك ﴾ طلباً للغنيمة ﴿ ولكن بعدت عليهم الشقة ﴾ المسافة فتخلفوا ﴿ وسيحلفون بالله ﴾ إذا رجعتم إليهم ﴿ لو استطعنا ﴾ الخروج ﴿ لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم ﴾ بالحلف الكاذب ﴿ والله يعلم إنهم لكاذبون ﴾ في قولهم ذلك.
٤٣ وكان ﷺ أذن لجماعة في التخلف باجتهاد منه، فنزل عتاباً له ـ وقدم العفو تطميناً لقلبه ـ ﴿ عفا الله عنك لم أذنت لهم ﴾ في التخلف، وهلا تركتهم ﴿ حتى يتبين لك الذين صدقوا ﴾ في العذر ﴿ وتعلم الكاذبين ﴾ فيه؟.
٤٤ ﴿ لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ﴾ في التخلف عن ﴿ أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين ﴾. ٤٥ ﴿ إنما يستأذنك ﴾ في التخلف ﴿ الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت ﴾ شكت ﴿ قلوبهم ﴾ في الدين ﴿ فهم في ريبهم يترددون ﴾ يتحيرون. ٤٦ ﴿ ولو أرادوا الخروج ﴾ معك ﴿ لأعدوا له عدة ﴾ أهبة من الآلة والزاد ﴿ ولكن كره الله انبعاثهم ﴾ أي لم يرد خروجهم ﴿ فثبطهم ﴾ كسلهم ﴿ وقيل ﴾ لهم ﴿ اقعدوا مع القاعدين ﴾ المرضى والنساء والصبيان، أي قدر الله تعالى ذلك.

وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ
تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا
لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ
لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ
إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ
حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾
لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن
يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾
إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ
وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾
۞ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ
ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾

على ابن عباس، فقلت: أتريد أن تقاتل ابن الزبير، فتحل حرم الله ؟ فقال: معاذ الله، إن الله كتب ابن الزبير وبني أمية مُحِلِّين، وإني والله لا أحله أبداً. قال: قال الناس: بايع لابن الزبير، فقلت: وأين بهذا الأمر عنه، أما أبوه: فحواريّ النبي ﷺ، يريد الزبير. وأما جده: فصاحب الغار، يريد أبا بكر. وأما أمه: فذات النطاق، يريد أسماء. وأما خالته: فأم المؤمنين، يريد عائشة. وأما عمته: فزوج النبي ﷺ، يريد خديجة. وأما عمة النبي ﷺ فجدته، يريد صفية. ثم عفيف في الإسلام، قارىء للقرآن. والله وإن وصلوني وصلوني من قريب، وإن ربوني ربَّني أكْفَاءُ كرام، فآثر التويتات والأسامات والحميدات، يريد أبطناً من بني أسد: بني تويت وبني أسامة وبني أسد. إن ابن أبي العاص برز يمشي القُدْمِيَّة، يعني عبد الملك بن مروان، وإن لوَّى ذنبه، يعني ابن الزبير. [فتحل حرم الله: تذهب حرمته بالقتال فيه. كتب: قدر. محلين: مبيحين للقتال في الحرم. وأين بهذا الأمر عنه: أي إنه أجدر الناس بالخلافة وليست بعيدة عنه، لما له من المكارم والمزايا. فصاحب الغار: أي الذي صحب النبي ﷺ في الهجرة واختبأ معه في الغار. ذات النطاق: سميت بذلك لأنها شقت نطاقها وربطت به وعاء زاد النبي ﷺ وسقاءه عند الهجرة. عمته: أي عمة أبيه، فهي أخت العوام بن خويلد، وأطلق عليها عمته تجوزاً. عفيف: متنزه عن الأشياء المشينة ومبتعد عن الحرام وسؤال الناس. وصلوني: من صلة الرحم، وهي البر بالأقارب، وأراد بهم بني أمية، وهو يعتب بذلك على ابن الزبير رضي الله عنهما، حيث إنه آثره عليهم، وهو مع ذلك فقد جفاه. من قريب: من أجل قرابتي لهم، لأن بني أمية من بني عبد مناف وهو من بني هاشم بن عبد مناف. ربوني: سادوني. أكفاء: جمع كفء من الكفاءة، وهو في الأصل النظير والمساوي. كرام: جمع كريم وهو الجامع لأنواع الخير والشرف والفضائل. فآثر: اختارهم عليّ=

واشتهوا الظلال، وشقّ عليهم المخرج، فأنزل الله: ﴿انفروا خفافاً وثقالاً﴾.

وقال الواحدي: قال السدي: جاء المقداد ابن الأسود إلى رسول الله ﷺ، وكان عظيماً سميناً، فشكا إليه وسأله أن يأذن له، فنزلت فيه: ﴿انفروا خفافاً وثقالاً﴾ فلما نزلت هذه الآية اشتد شأنها على الناس، فنسخها الله تعالى، وأنزل: ﴿لَيْسَ على الضُّعَفَاءِ ولا على المَرْضى﴾ الآية [٩١].

ثم أنزل في المتخلفين عن غزوة تبوك من المنافقين قوله تعالى: ﴿لَوْ كانَ عرضاً قَرِيباً﴾ الآية [٤٢]. وقوله تعالى: ﴿لو خَرَجُوا فيكُمْ ما زادُوكم إلَّا خَبالًا﴾ [٤٧]. وذلك أن رسول الله ﷺ لما خرج ضرب عسكره على ثنية الوداع، وضرب عبد الله بن أبيّ عسكره على ذي حدة، أسفل من ثنية الوداع، ولم يكن بأقل العسكرين، فلما سار رسول الله ﷺ تخلف عنه عبد الله بن أبيّ بمن تخلف من المنافقين وأهل الريب، فأنزل الله تعالى يعزي نبيه: ﴿لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً﴾ الآية.

[البأس: الشدة. جدب: قحط وقلة أمطار. أخرفت: صار وقت جني ثمارها. ثنية الوداع: الثنية هي العقبة والطريق في الجبل، كانوا يخرجون إليها عند الوداع، فسميت بذلك. ذي حدة: اسم موضع. الريب: الشك والنفاق. يعزي: يواسي].

سبب نزول الآية [٤٣]: أخرج ابن جرير عن عمرو بن ميمون الأزدي قال: اثنتان فعلهما رسول الله ﷺ لم يؤمر فيهما بشيء: إذنه للمنافقين، وأخذه الفداء من الأسارى، فأنزل الله: ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم﴾.

٤٧ ﴿ لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً ﴾ فساداً بتخذيل المؤمنين ﴿ ولأوضعوا خلالكم ﴾ أي أسرعوا بالمشي بينكم بالنميمة(١) ﴿ يبغونكم ﴾ يطلبون لكم ﴿ الفتنة ﴾ بإلقاء العداوة(٢) ﴿ وفيكم سماعون لهم ﴾ ما يقولون سماع قبول ﴿ والله عليم بالظالمين ﴾.

٤٨ ﴿ لقد ابتغوا ﴾ لك ﴿ الفتنة من قبل ﴾ أول ما قدمت المدينة ﴿ وقلبوا لك الأمور ﴾ أي أجالوا الفكر في كيدك وإبطال دينك ﴿ حتى جاء الحق ﴾ النصر ﴿ وظهر ﴾ عز ﴿ أمر الله ﴾ دينه ﴿ وهم كارهون ﴾ له، فدخلوا فيه ظاهراً.

٤٩ ﴿ ومنهم من يقول ائذن لي ﴾ في التخلف ﴿ ولا تفتني ﴾ وهو الجد بن قيس، قال له النبي ﷺ: (هل لك في جلاد بني الأصفر)(٣) فقال: إني مغرم بالنساء، وأخشى إن رأيت نساء بني الأصفر أن لا أصبر عنهن، فأفتتن. قال تعالى: ﴿ألا في الفتنة سقطوا﴾ بالتخلف، وقرىء: سقط(٤) ﴿وإن جهنم لمحيطة بالكافرين﴾ لا محيص لهم عنها(٥).

٥٠ ﴿ إن تصبك حسنة ﴾ كنصر وغنيمة ﴿ تسؤهم وإن تصبك مصيبة ﴾ شدة ﴿ يقولوا قد أخذنا أمرنا ﴾ بالحزم حين تخلفنا ﴿ من قبل ﴾ قبل هذه المصيبة ﴿ ويتولوا وهم فرحون ﴾ بما أصابك.

٥١ ﴿ قل ﴾ لهم ﴿ لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا ﴾ إصابته ﴿ هو مولانا ﴾ ناصرنا ومتولي أمورنا ﴿ وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾.

٥٢ ﴿ قل هل تربصون ﴾ فيه حذف إحدى التاءين من الأصل(٦)، أي تنتظرون أن يقع ﴿ بنا إلا إحدى ﴾ العاقبتين ﴿ الحسنيين ﴾ تثنية حسنى تأنيث أحسن، النصر أو الشهادة(٧) ﴿ ونحن نتربص ﴾ ننتظر ﴿ بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده ﴾ بقارعة(٨) من السماء ﴿ أو بأيديناً ﴾ بأن يؤذن لنا في قتالكم ﴿ فتربصوا ﴾ بنا ذلك ﴿ إنا معكم متربصون ﴾ عاقبتكم.

٥٣ ﴿ قل أنفقوا ﴾ في طاعة الله ﴿ طوعاً

لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَـٰلَكُمْ
يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّـٰعُونَ لَهُمْ ۖ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ
بِٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ
ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَـٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾
وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۖ
وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ
تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن
قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ
ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾
قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ
بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ
فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّآ مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا

ورضي بهم. برز: ظهر. القدمية: التبختر، وأراد: أنه يركب معالي الأمور، ويسعى لتحقيق ما يهدف إليه، ويعمل من أجله، وهو في تقدم ملموس. لوى ذنبه: ثناه، أراد: أنه واقف على حالة لم يتقدم في أمره إن لم يتأخر].

سبب نزول الآيات [٤٩ ـ ٥٠]: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما أراد النبي ﷺ أن يخرج إلى غزوة تبوك قال للجدّ بن قيس: (يا جدّ بن قيس، ما تقول في مجاهدة بني الأصفر). فقال: يا رسول الله، إني امرؤ صاحب نساء، ومتى أرى نساء بني الأصفر أفتتن، فائذن لي ولا تفتني. فأنزل الله: ﴿ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني﴾ الآية. [السيوطي].

سبب نزول الآية [٥٠]: عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: جعل المنافقون الذين تخلفوا بالمدينة يخبرون عن النبي ﷺ أخبار السوء، يقولون: إن محمداً وأصحابه قد جهدوا في سفرهم وهلكوا، فبلغهم تكذيب حديثهم وعافية النبي ﷺ وأصحابه فساءهم ذلك، فأنزل الله: ﴿ إن تصبك حسنة تسؤهم ﴾ الآية. [السيوطي].

سبب نزول الآية [٥٣]: أخرج ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال الجد بن قيس: إني إذا رأيت النساء لم أصبر حتى أفتتن، ولكن أعينك بمالي. قال: ففيه نزلت: ﴿ أنفقوا طوعاً أو كرهاً لن يتقبل منكم ﴾ قال لقوله: أعينك بمالي.

---

(١) والأحاديث الكاذبة عن العدو وغيره.

(٢) وما يضعف عزيمتكم عن القتال.

(٣) مقاتلة الروم وضربهم بالسيوف، وسموا بذلك لصفرة بشرتهم، وقيل: نسبة إلى أحد أجدادهم. والحديث أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره.

(٤) وهي قراءة شاذة.

(٥) لا يستطيعون أن يحيدوا عنها ولا يجدون مهرباً ولا مفراً منها.

(٦) أي أصل الكلمة [تتربصون] فحذفت أحدى التاءين تخفيفاً.

(٧) أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: (تكفل الله لمن خرج في سبيله، لا يخرجه إلا جهاداً في سبيلي وإيماناً بي وتصديقاً برسلي، فهو علي ضامن أن أدخله الجنة، أو أرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه، نائلاً ما نال من أجر أو غنيمة). [البخاري: الإيمان، باب: الجهاد من الإيمان، رقم: ٣٦. مسلم: الجهاد، باب: فضل الجهاد والخروج في سبيل الله، رقم: ١٨٧٦].

(٨) صاعقة، أو مصيبة وداهية شديدة.

أو كرهاً(١) لن يتقبل منكم ﴾ ما أنفقتموه ﴿ إنكم كنتم قوماً فاسقين ﴾ والأمر هنا بمعنى الخبر(٢).

٥٤ ﴿ وما منعهم أن تقبل ﴾ بالياء والتاء ﴿ منهم نفقاتهم إلا أنهم ﴾ فاعل، وأن تقبل مفعول(٣) ﴿ كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ﴾ متثاقلون ﴿ ولا ينفقون إلا وهم كارهون ﴾ النفقة، لأنهم يعدونها مغرماً.

٥٥ ﴿ فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم ﴾ أي لا تستحسن نعمنا عليهم، فهي استدراج ﴿ إنما يريد الله ليعذبهم ﴾ أي أن يعذبهم ﴿ بها في الحياة الدنيا ﴾ بما يلقون في جمعها من المشقة، وفيها من المصائب ﴿ وتزهق ﴾ تخرج ﴿ أنفسهم وهم كافرون ﴾ فيعذبهم في الآخرة أشد العذاب.

٥٦ ﴿ ويحلفون بالله إنهم لمنكم ﴾ أي مؤمنون ﴿ وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون ﴾ يخافون أن تفعلوا بهم كالمشركين فيحلفون تقية.

٥٧ ﴿ لو يجدون ملجأً ﴾ يلجؤون إليه ﴿ أو مغارات ﴾ سراديب(٤) ﴿ أو مدخلاً ﴾ موضعاً يدخلونه ﴿ لوَلَّوْا إليه وهم يجمحون ﴾ يسرعون في دخوله والانصراف عنكم إسراعاً لا يرده شيء، كالفرس الجموح(٥).

٥٨ ﴿ ومنهم من يلمزك ﴾ يعيبك ﴿ في ﴾ قسم ﴿ الصدقات فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يُعطوا منها إذا هم يسخطون ﴾.

٥٩ ﴿ ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله ﴾ من الغنائم ونحوها ﴿ وقالوا حسبنا ﴾ كافينا ﴿ الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله ﴾ من غنيمة أخرى ما يكفينا ﴿ إنا إلى الله راغبون ﴾ أن يغنينا، وجواب لو: لكان خيراً لهم.

٢٥٠ (الجـــزء العـاشر)

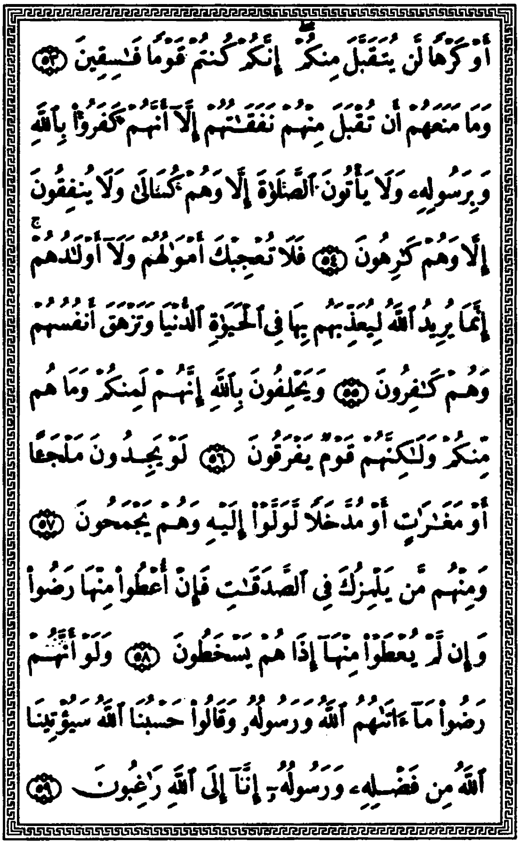

أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾
وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ
وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ
إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ
إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ
وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم
مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا
أَوْ مَغَٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾
وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟
وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ
رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا
ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾

---

(١) طائعين من غير إلزام، أو مكرهين بإلزام.

(٢) المعنى: نفقتكم طوعاً أو كرهاً غير مقبولة.

(٣) المعنى: ما منعهم قبولَ نفقاتهم إلا كفرُهم وتثاقلهم وكرههم.

(٤) أماكن ضيقة مظلمة، والمعنى: لو قدروا على الهروب منكم ولو في أسوأ الأمكنة وأخسها لفعلوا لشدة بغضهم لكم.

(٥) صعب الانقياد.

فائدة: في الصلاة حال النشاط والإنفاق عن طيب نفس.

عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ قال: «إذا نعس أحدكم وهو يصلي فليرقد، حتى يذهب عنه النوم، فإن أحدكم إذا صلى وهو ناعس، لا يدري لعله يستغفر فيسب نفسه».

وعن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إذا نعس أحدكم في الصلاة فلينم، حتى يعلم ما يقرأ». [البخاري: الوضوء، باب: الوضوء من النوم. .، رقم: ٢٠٩، ٢١٠. مسلم: صلاة المسافرين وقصرها، باب: أمر من نعس في صلاته. .، رقم: ٧٨٦] [نعس: هجم عليه النوم. فليرقد: فلينم. لعله يستغفر: يريد أن يستغفر. فيسب نفسه: يدعو عليها].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: دخل النَّبي ﷺ فإذا حبل ممدود بين الساريتين، فقال: «ما هذا الحبل». قالوا: هذا حبل لزينب، فإذا فترت تعلقت. فقال النَّبي ﷺ: «لا، حلوه، ليصل أحدكم نشاطه، فإذا فتر فليقعد». [البخاري: التهجد، باب: ما يكره من التشديد في العبادة، رقم: ١٠٩٩. مسلم: صلاة المسافرين وقصرها، باب: أمر من نعس في صلاته أو. . .، رقم: ٧٨٤] [الساريتين: مثنى سارية، وهي الأسطوانة والدعامة التي يقوم عليها السقف. ما هذا الحبل: أي لماذا هو ممدود ومشدود هكذا. لزينب: بنت جحش، إحدى زوجاته ﷺ ورضي الله عنها. فإذا فترت: كسلت عن القيام. تعلقت به: حتى تتابع قيامها ولا تنام. نشاطه: حال نشاطه ووقته].

سبب نزول الآية [٥٨]: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بينا النبيّ ﷺ يقسم جاء عبد الله بن ذي الخويصرة التميمي، النبيّ فقال: اعدل يا رسول الله. فقال: (ويحك، ومن يعدل إذا لم أعدل). قال: فنزلت فيه: ﴿ومنهم من يَلْمِزُك في الصَّدقَاتِ﴾ الآية.

[البخاري: استتابة المرتدين والمعاندين، باب: من ترك قتال الخوارج للتألف ولئلا ينفر الناس عنه، رقم: ٦٥٣٤].

٦٠ ﴿ إنما الصدقات ﴾ الزكوات مصروفة ﴿ للفقراء ﴾ الذين لا يجدون ما يقع موقعاً من كفايتهم ﴿ والمساكين ﴾ الذين لا يجدون ما يكفيهم ﴿ والعاملين عليها ﴾ أي الصدقات، من جاب وقاسم وكاتب وحاشر(*) ﴿ والمؤلفة قلوبهم ﴾(١) ليسلموا، أو يثبت إسلامهم(٢)، أو يسلم نظراؤهم، أو يذبوا عن المسلمين(٣)، أقسام، والأول والأخير لا يعطيان اليوم عند الشافعي رضي الله تعالى عنه، لعز الإسلام، بخلاف الآخرين فيعطيان على الأصح ﴿ وفي ﴾ فك ﴿ الرقاب ﴾ أي المكاتبين ﴿ والغارمين ﴾ أهل الدين إن استدانوا لغير معصية أو تابوا، وليس لهم وفاء، أو لإصلاح ذات البين ولو أغنياء ﴿ وفي سبيل الله ﴾ أي القائمين بالجهاد ممن لا فيء(٤) لهم ولو أغنياء ﴿ وابن السبيل ﴾ المنقطع في سفره ﴿ فريضة ﴾ نصب بفعله المقدر(*) ﴿ من الله والله عليم ﴾ بخلقه ﴿ حكيم ﴾ في صنعه. فلا يجوز صرفها لغير هؤلاء، ولا منع صنف منهم إذا وجد، فيقسمها الإمام عليهم على السواء، وله تفضيل بعض آحاد الصنف على بعض. وأفادت اللام وجوب استغراق أفراده، لكن لا يجب على صاحب المال إذا قسم لعسره، بل يكفي إعطاء ثلاثة من كل صنف، ولا يكفي دونها كما أفادته صيغة الجمع، وبينت السنة أن شروط المعطى منها: الإسلام، وأن لا يكون هاشمياً ولا مطلبياً(٦).

* إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا
وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ
وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾
وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ
لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾
يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن
يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ
ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ
ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ
تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ
مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ

٦١ ﴿ ومنهم ﴾ اي المنافقين ﴿ الذين يؤذون النبي ﴾ بعيبه وبنقل حديثه ﴿ ويقولون ﴾ إذا نهوا عن ذلك لئلا يبلغه ﴿ هو أذن ﴾ أي يسمع كل قيل ويقبله، فإذا حلفنا له أنا لم نقل صدقنا ﴿ قل ﴾ هو ﴿ أذن ﴾ مستمع ﴿ خير لكم ﴾ لا مستمع شر ﴿ يؤمن بالله ويؤمن ﴾ يصدق ﴿ للمؤمنين ﴾ فيما أخبروه به لا لغيرهم، واللام زائدة للفرق بين إيمان التسليم وغيره ﴿ ورحمة ﴾ بالرفع عطفاً على أذن، والجر عطفاً على خير ﴿ للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم ﴾.

٦٢ ﴿ يحلفون بالله لكم ﴾ أيها المؤمنون، فيما بلغكم عنهم من أذى الرسول، أنهم ما أتوه ﴿ ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه ﴾ بالطاعة ﴿ إن كانوا مؤمنين ﴾ حقاً، وتوحيد الضمير لتلازم الرضاءين(٧)، أو خبر الله أو رسوله محذوف(٨).

٦٣ ﴿ ألم يعلموا أنه ﴾ أي الشأن ﴿ من يحادد ﴾ يشاقق ﴿ الله ورسوله فأن له نار جهنم ﴾ جزاء ﴿ خالداً فيها ذلك الخزي العظيم ﴾(٩).

٦٤ ﴿ يحذر ﴾ يخاف ﴿ المنافقون أن تنزل عليهم ﴾ أي المؤمنين ﴿ سورة تنبئهم بما في قلوبهم ﴾ من النفاق، وهم مع ذلك يستهزئون ﴿قل استهزئوا﴾ أمر تهديد ﴿إن الله مخرج﴾ مظهر ﴿ما تحذرون﴾ إخراجه من نفاقكم.

٦٥ ﴿ ولئن ﴾ لام قسم ﴿ سألتهم ﴾ عن استهزائهم بك =

(*) الذي يجمع أصحاب الأموال ليأخذ منهم الجابي الزكاة.

(١) الذين يرغبون في الإسلام. (٢) يتمكن في نفوسهم.

(٣) يدفعوا عنهم الأذى. (٤) اي لا نصيب لهم من الغنيمة.

(*) أي فرض الله تعالى لك فريضة.

(٦) لأن الهاشمي والمطلبي من آل بيت النبي ﷺ، بدليل قوله ﷺ (إنما بنو المطلب وبنو هاشم شيء واحد). وقد قال ﷺ: (إن هذه الصدقات إنما هي أوساخ الناس، وإنها لا تحل لمحمد ولا لآل محمد). وشرط الإسلام: دل عليه قوله ﷺ: (صدقة تؤخذ من أغنيائهم وترد في فقرائهم). فكما أنها تؤخذ من أغنياء المسلمين تدفع لفقرائهم. [البخاري: الزكاة، باب: وجوب الزكاة. الخمس، باب: ومن الدليل على أن الخمس للإمام. مسلم: الإيمان، باب: الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام. الزكاة، باب: ترك استعمال آل النبي ﷺ على الصدقة].

(٧) لأن رضا الرسول ﷺ تابع لرضا الله تعالى ولازم له.

(٨) فتكون جملة ﴿أحق﴾ خبراً لأحدهما، دالاً على الخبر المحذوف لثانيهما.

(٩) خلودهم في النار فضيحة كبرى لهم ولما كانوا عليه في

سبب نزول الآيات [٦١ - ٦٦]: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان نبتل بن الحارث يأتي رسول الله ﷺ فيجلس إليه فيسمع منه، وينقل حديثه إلى المنافقين. فأنزل الله: ﴿ومنهم الذين يؤذون النبي﴾ الآية. وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رجل في غزوة تبوك في مجلس

والقرآن، وهم سائرون معك إلى تبوك ﴿ ليقولن ﴾ معتذرين ﴿ إنما كنا نخوض ونلعب ﴾ في الحديث لنقطع به الطريق، ولم نقصد ذلك ﴿ قل ﴾ لهم ﴿ أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون ﴾.

٦٦ ﴿ لا تعتذروا ﴾ عنه ﴿ قد كفرتم بعد إيمانكم ﴾ أي ظهر كفركم بعد إظهار الإيمان ﴿ إن يُعْفَ ﴾ بالياء مبنياً للمفعول، والنون مبنياً للفاعل ﴿ عن طائفة[1] منكم ﴾ بإخلاصها وتوبتها كمخشيّ بن حمير ﴿ تُعَذَّب ﴾ بالتاء والنون ﴿ طائفة بأنهم كانوا مجرمين ﴾ مصرين على النفاق والاستهزاء.

٦٧ ﴿ المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض ﴾ أي متشابهون في الدين كأبعاض الشيء الواحد ﴿ يأمرون بالمنكر ﴾ الكفر والمعاصي ﴿ وينهون عن المعروف ﴾ الإيمان والطاعة ﴿ ويقبضون أيديهم ﴾ عن الإنفاق في الطاعة ﴿ نسوا الله ﴾ تركوا طاعته ﴿ فنسيهم ﴾ تركهم من لطفه ﴿ إن المنافقين هم الفاسقون ﴾.

٦٨ ﴿ وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ﴾[2] جزاءاً وعقاباً ﴿ ولعنهم الله ﴾ أبعدهم عن رحمته ﴿ ولهم عذاب مقيم ﴾ دائم.

٦٩ أنتم أيها المنافقون ﴿ كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالاً وأولاداً فاستمتعوا ﴾ تمتعوا ﴿ بخلاقهم ﴾ نصيبهم من الدنيا[3] ﴿ فاستمتعتم ﴾ أيها المنافقون ﴿ بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم ﴾ في الباطل والطعن في النبي ﷺ ﴿ كالذي خاضوا ﴾ أي كخوضهم ﴿ أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة[4] وأولئك هم الخاسرون ﴾[5].

وَنَلۡعَبُۚ قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٦٥﴾
لَا تَعۡتَذِرُواْۖ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۖ إِن نَّعۡفُ عَن طَآئِفَةٖ
مِّنكُمۡ نُعَذِّبۡ طَآئِفَةَۢ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ
وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمُنكَرِ
وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَقۡبِضُونَ أَيۡدِيَهُمۡۚ نَسُواْ ٱللَّهَ
فَنَسِيَهُمۡۚ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ
ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ
فِيهَاۚ هِيَ حَسۡبُهُمۡۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ﴿٦٨﴾
كَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمۡ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرَ أَمۡوَٰلٗا
وَأَوۡلَٰدٗا فَٱسۡتَمۡتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمۡ فَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِخَلَٰقِكُمۡ كَمَا
ٱسۡتَمۡتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُم بِخَلَٰقِهِمۡ وَخُضۡتُمۡ كَٱلَّذِي
خَاضُوٓاْۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ

الدنيا من النفاق. قال رسول الله ﷺ: (في أمتي اثنا عشر منافقاً لا يدخلون الجنة ولا يجدون ريحها حتى يلج الجمل في سم الخياط، ثمانية منهم تكفيهم الدبيلة: سراج من النار يظهر في أكتافهم حتى ينجم من صدورهم) أخرجه مسلم في أوائل كتاب صفات المنافقين وأحكامهم: ٢٧٧٦.

[حتى يلج الجمل في سم الخياط: هو كناية عن عدم دخولهم الجنة مطلقاً، كما يستحيل على الجمل أن يدخل في سم الخياط وهو ثقب الإبرة. ينجم: يظهر ويعلو].

(١) الطائفة: الجماعة من الناس، وتطلق على الواحد والاثنين والجمع. (٢) كافيتهم.

(٣) اتبعوا شهواتهم، وتلذذوا بمتع الدنيا، ورضوا بها ولم يلتفتوا إلى غيرها.

(٤) بطلت أعمالهم، ولم ينتفعوا بها في الدنيا وسيعاقبون عليها في الآخرة.

(٥) في الآية تحذير من اتباع مناهج الأمم التي أعرضت عن دين الله عزّ وجلّ، وانحرفت عن شرعه القويم. روى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جُحْر ضب لا تبعتموهم) قلنا: =

يوماً: ما رأينا مثل قرآن هؤلاء، ولا أرغب بطوناً، ولا أكذب ألسنة، ولا أجبن عند اللقاء منهم. فقال له رجل: كذبت، ولكنك منافق، لأخبرنْ رسول الله ﷺ. فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ونزل القرآن، قال ابن عمر: فأنا رأيته متعلقاً بحَقَب رسول الله ﷺ والحجارة تنكبه وهو يقول: يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب، ورسول الله ﷺ يقول: ﴿أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون﴾.

وعن كعب بن مالك رضي الله عنه: قال مخشي بن حمير: لوددت أني أقاضي على أن يضرب كل رجل منكم مائة مائة، على أن ننجو من أن ينزل فينا قرآن، فبلغ النبيّ ﷺ، فجاؤوا يعتذرون، فأنزل الله: ﴿لا تعتذروا﴾ الآية، فكان الذي عفا الله عنه مخشي بن حمير، فتسمى: عبد الرحمن، وسأل الله أن يقتل شهيداً لا يعلم بمقتله، فقتل يوم اليمامة، لا يعلم مقتله ولا من قتله. [السيوطي، الواحدي]

[مثل قرآن: أي قراءتهم. بحقب: الحبل المشدود على مؤخرة الناقة. تنكبه: تصيبه].

وأخرج ابن جرير عن قتادة: أن ناساً من المنافقين قالوا في غزوة تبوك: يرجو هذا الرجل أن يفتح قصور الشام وحصونها؟ هيهات هيهات. فأطلع الله نبيه ﷺ على ذلك، فأتاهم فقال: (قلتم كذا وكذا). قالوا: إنما كنا نخوض ونلعب، فنزلت.

٧٠ ﴿ ألم يأتهم نبأ ﴾ خبر ﴿ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد ﴾ قوم هود ﴿ وثمود ﴾ قوم صالح ﴿ وقوم إبراهيم وأصحاب مدين ﴾ قوم شعيب ﴿ والمؤتفكات ﴾ قرى قوم لوط، أي أهلها ﴿ أتتهم رسلهم بالبينات ﴾ بالمعجزات، فكذبوهم فأهلكوا ﴿ فما كان الله ليظلمهم ﴾ بأن يعذبهم بغير ذنب ﴿ ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ بارتكاب الذنب.

٧١ ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض(١) يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز ﴾ لا يعجزه شيء عن إنجاز وعده ووعيده(٢) ﴿ حكيم ﴾ لا يضع شيئاً إلا في محله.

٧٢ ﴿ وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة(٣) في جنات عدن ﴾ إقامة(٤) ﴿ ورضوان من الله أكبر ﴾ أعظم من ذلك كله(٥) ﴿ ذلك هو الفوز العظيم ﴾.

٧٣ ﴿ يا أيها النبي جاهد الكفار ﴾ بالسيف ﴿ والمنافقين ﴾ باللسان والحجة ﴿ واغلظ عليهم ﴾ بالانتهار والمقت(٦) ﴿ ومأواهم جهنم وبئس المصير ﴾ المرجع هي.

وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمۡ يَأۡتِهِمۡ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن
قَبۡلِهِمۡ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَقَوۡمِ إِبۡرَٰهِيمَ وَأَصۡحَٰبِ مَدۡيَنَ
وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتِۚ أَتَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ
لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٧٠﴾ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ
وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ
وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ
وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ
عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ
جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ
طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ
هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ
وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ

- يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: (فمن).

[البخاري: الأنبياء، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل، رقم: ٣٢٦٩. مسلم: العلم، باب: اتباع سنن اليهود والنصارى، رقم: ٢٦٦٩]. [سنن: طرق ومذاهب. جحر ضب: الثقب الذي يتخذه هذا الحيوان مسكناً في الأرض، وهو كناية عن ضيق المسلك وتفاهته].

(١) في التعاون والتناصر والتراحم، واتفاق الكلمة، والتناصح في أمور الدنيا والدين.

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إن المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشد بعضه بعضاً». وشبك أصابعه. [البخاري: المساجد، باب: تشبيك الأصابع في المسجد وغيره، رقم: ٤٦٧. مسلم: البر والصلة والآداب، باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، رقم: ٢٥٨٥] [المؤمن للمؤمن: أي حال المؤمن في تعاونه مع المؤمن].

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ترى المؤمنين: في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى عضواً تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى». [البخاري: الأدب، باب: رحمة الناس والبهائم، رقم: ٥٦٦٥. مسلم: البر والصلة والآداب، باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، رقم: ٢٥٨٦] [تراحمهم: رحمة بعضهم بعضاً. توادهم: تحابهم. تعاطفهم: تعاونهم. الجسد: الجسم الواحد بالنسبة إلى جميع أعضائه. اشتكى عضواً: لمرض أصابه. تداعى: شاركه فيما هو فيه. السهر: عدم النوم بسبب الألم. الحمى: حرارة البدن وألمه].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة». [البخاري: المظالم، باب: لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه، رقم: ٢٣١٠. مسلم: البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظلم، رقم: ٢٥٨٠] [لا يسلمه: يتركه إلى الظلم. كان في حاجة أخيه: سعى في قضائها. كان الله في حاجته: أعانه الله تعالى وسهل له قضاء حاجته. كربة: مصيبة من مصائب الدنيا، توقعه في الغم وتأخذ بنفسه].

(٢) الوعد في الخير كالأجر والثواب، والوعيد في غيره كالعذاب والعقاب.

(٣) يطيب فيها العيش ويلذ فيها المقام. (٤) لا تزول ولا تحول.

(٥) روى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (إن الله تبارك وتعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك والخير كله في يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك؟ فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً). [البخاري: التوحيد، باب: كلام الرب مع أهل الجنة، رقم: ٧٠٨٠. مسلم: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: إحلال الرضوان على أهل الجنة فلا يسخط عليهم أبداً، رقم: ٢٨٢٩].

(٦) الإهانة والزجر.

٧٤ ﴿ يحلفون ﴾ أي المنافقون ﴿ بالله ما قالوا ﴾ ما بلغك عنهم من السب ﴿ ولقد قالوا كلمة الكفر(١) وكفروا بعد إسلامهم ﴾ أظهروا الكفر بعد إظهار الإسلام ﴿ وهموا بما لم ينالوا ﴾ من الفتك بالنبي(٢) ليلة العقبة عند عوده من تبوك، وهم بضعة عشر رجلاً، فضرب عمار بن ياسر وجوه الرواحل(٣) لما غشوه(٤)، فردوا ﴿ وما نقموا ﴾ أنكروا(٥) ﴿ إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله ﴾ بالغنائم بعد شدة حاجتهم، والمعنى: لم ينلهم منه إلا هذا، وليس مما ينقم(٦) ﴿ فإن يتوبوا ﴾ عن النفاق ويؤمنوا بك ﴿ يك خيراً لهم وإن يتولوا ﴾ عن الإيمان ﴿ يعذبهم الله عذاباً أليماً في الدنيا ﴾ بالقتل ﴿ والآخرة ﴾ بالنار ﴿ وما لهم في الأرض من ولي ﴾ يحفظهم منه ﴿ ولا نصير ﴾ يمنعهم.

٧٥ ﴿ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الصاد(٧) ﴿ولنكونن من الصالحين ﴾ وهو ثعلبة بن حاطب، سأل النبي ﷺ: أن يدعو له أن يرزقه الله مالاً، ويؤدي منه كل ذي حق حقه. فدعا له، فوسع عليه، فانقطع عن الجمعة والجماعة، ومنع الزكاة، كما قال تعالى:

٧٦ ﴿ فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا ﴾ عن طاعة الله ﴿ وهم معرضون ﴾.

٧٧ ﴿ فأعقبهم ﴾ أي فصير عاقبتهم ﴿ نفاقاً ﴾ ثابتاً ﴿ في قلوبهم إلى يوم يلقونه ﴾ أي الله، وهو يوم القيامة ﴿ بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون ﴾ فيه، فجاء بعد ذلك إلى النبي ﷺ بزكاته فقال: (إن الله منعني أن أقبل منك). فجعل يحثو التراب على رأسه، ثم جاء بها إلى أبي بكر فلم يقبلها، ثم إلى عمر فلم يقبلها، ثم إلى عثمان فلم يقبلها، ومات في زمانه(٨).

٧٨ ﴿ ألم يعلموا ﴾ أي المنافقون ﴿ أن الله يعلم سرهم ﴾ ما أسروه في أنفسهم ﴿ ونجواهم ﴾ ما تناجوا به بينهم ﴿ وأن الله علام الغيوب ﴾ ما غاب عن العيان.

٧٩ ولما نزلت آية الصدقة(٩) جاء رجل فتصدق بشيء كثير، فقال المنافقون: مراء، وجاء رجل فتصدق بصاع، فقالوا: إن الله غني عن صدقة هذا، فنزل ﴿ الذين ﴾ مبتدأ ﴿ يلمزون ﴾ يعيبون ﴿ المطوعين ﴾ المتنفلين ﴿ من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون

ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ
وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟
إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ
خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا
وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾
۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ
وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ
بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا
فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ
وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ
وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ
ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ

---

(١) الكلام الذي يقوله الكفار.

(٢) عزموا وشرعوا في تنفيذ ما لم يتحقق لهم، مما اتفقوا عليه من قتل النبي ﷺ على حين غفلة منه.

(٣) الإبل التي كان يركبها هؤلاء المنافقون.

(٤) أتوا النبي ﷺ وازدحموا عليه لينفذوا جريمتهم.

(٥) كرهوا وعابوا.

(٦) أي عملوا بخلاف الواجب عليهم، إذ قابلوا النعمة بالنقمة والإنكار.

(٧) أصلها: لنتصدقن.

(٨) أخرج هذا السبب الواحدي في كتابه أسباب النزول، عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه. وهو مردود سنداً ومعنى، فإنه لم يثبت عند المحدثين من طريق مقبول، ويتعارض مع ما يقرر شرع الله تعالى ـ كتاباً وسنة ـ من أن باب التوبة مفتوح لكل من رجع عن معصيته مهما كبرت، ولذا رده أكثر المفسرين، والله تعالى أعلم.

(٩) أي الآيات التي تحث على الصدقة وتبين فضلها.

سبب نزول الآية [٧٤]: وأخرج ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ جالساً في ظلّ شجرة، فقال: (إنه سيأتيكم إنسان ينظر بعيني شيطان). فطلع رجل أزرق، فدعاه رسول الله ﷺ فقال: (علام تشتمني أنت وأصحابك). فانطلق الرجل فجاء بأصحابه، فحلفوا بالله ما قالوا، حتى تجاوز عنهم، فأنزل الله تعالى: ﴿يحلفون بالله ما قالوا﴾ الآية.

وأخرج ـ أيضاً ـ عن عكرمة: أن مولى بني عدي بن كعب قتل رجلاً من الأنصار، فقضى النبيّ ﷺ بالدية اثني عشر ألفاً، وفيه نزلت: ﴿ وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله﴾.

سبب نزول الآية [٧٩]: عن أبي مسعود رضي الله عنه قال: لما نزلت آية الصدقة كنا نحامل، فجاء رجل فتصدّق بشي كثير، فقالوا: مراءٍ، وجاء رجل فتصدّق بصاع، فقالوا: إن الله لغنيّ عن صاع هذا، فنزل: ﴿الذين يلمزون المطوّعين﴾ الآية. [البخاري: الزكاة، باب: اتقوا النار ولو بشق تمرة. . .، رقم: ١٣٤٩. مسلم: الزكاة، باب: الحمل أجرة يتصدق بها. .، رقم: ١٠١٨].

إلا جهدهم ﴾ طاقتهم فيأتون به ﴿ فيسخرون منهم ﴾ والخبر ﴿ سخر الله منهم ﴾ جازاهم على سخريتهم ﴿ ولهم عذاب أليم ﴾.

٨٠ ﴿ استغفر ﴾ يا محمد ﴿ لهم أو لا تستغفر لهم ﴾ تخيير له في الاستغفار وتركه، قال ﷺ: (إني خيرت فاخترت) يعني الاستغفار. رواه البخاري(١) ﴿إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم﴾ قيل: المراد بالسبعين المبالغة في كثرة الاستغفار، وفي البخاري حديث: (لو أعلم أني لو زدت على السبعين غفر لزدت عليها). وقيل: المراد العدد المخصوص، لحديثه أيضاً: (وسأزيد على السبعين)(١) فبين له حسم المغفرة(٢) بآية «سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم» /المنافقون: ٦/ ﴿ ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين ﴾.

٨١ ﴿ فرح المخلفون ﴾ عن تبوك ﴿ بمقعدهم ﴾ أي بقعودهم ﴿ خلاف ﴾ أي بعد ﴿ رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا ﴾ أي قال بعضهم لبعض ﴿ لا تنفروا ﴾ تخرجوا إلى الجهاد ﴿ في الحر قل نار جهنم أشد حراً ﴾ من تبوك، فالأولى أن يتقوها بترك التخلف ﴿ لو كانوا يفقهون ﴾ يعلمون ذلك ما تخلفوا.

٨٢ ﴿ فليضحكوا قليلاً ﴾ في الدنيا ﴿ وليبكوا ﴾ في الأخرة ﴿ كثيراً(٣) جزاءً بما كانوا يكسبون ﴾ خبر عن حالهم بصيغة الأمر.

٨٣ ﴿ فإن رجعك ﴾ ردك ﴿ الله ﴾ من تبوك ﴿ إلى طائفة منهم ﴾ ممن تخلف بالمدينة من المنافقين ﴿ فاستأذنوك للخروج ﴾ معك إلى غزوة أخرى ﴿ فقل ﴾ لهم ﴿ لن تخرجوا معي أبداً ولن تقاتلوا معي عدواً إنكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين ﴾ المتخلفين عن الغزو، من النساء والصبيان وغيرهم.

٨٤ ولما صلى النبي ﷺ على ابن أُبَيّ(٤) نزل ﴿ ولا تصلِ على أحد منهم

إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ
لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟
بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾
فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟
أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا
تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا۟
يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ
بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ
مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا
وَلَن تُقَٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ
فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم

---

(١) البخاري: التفسير/التوبة، باب: ﴿استغفر لهم أوْ لا تستغفر لهم..﴾ رقم: ٤٣٩٣، ٤٣٩٤. مسلم: فضائل الصحابة، باب: من فضائل عمر رضي الله عنه، رقم: ٢٤٠٠].

(٢) قطع طمعه فيها.

(٣) على ما فاتهم من النعيم الدائم، ولما يلقونه من العذاب الأليم المقيم.

(٤) أي عبد الله بن أبي ابن سلول، رئيس المنافقين.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع، من حيث أتتها الريح كفأتها، فإذا اعتدلت تكفأ بالبلاء. والفاجر كالأرزة، صماء معتدلة، حتى يقصمها الله إذا شاء». [البخاري: المرضى، باب: ما جاء في كفارة المرض، رقم: ٥٣٢٠. مسلم: صفات المنافقين وأحكامهم، باب: مثل المؤمن كالزرع ومثل الكافر....، رقم:

سبب نزول الآية [٨١]: أخرج ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أمر رسول الله ﷺ الناس أن ينبعثوا معه، وذلك في الصيف، فقال رجال: يا رسول الله، الحرّ شديد، ولا نستطيع الخروج، فلا تنفر في الحرّ. فأنزل الله: ﴿قل نار جهنم أشدّ حرّاً﴾ الآية. فأمره الله بالخروج.

وأخرج عن محمد بن كعب القرظي رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ في حرّ شديد إلى تبوك، فقال رجل من بني سَلِمة: لا تنفروا في الحرّ، فأنزل الله: ﴿قل نار جهنم أشدّ حرّاً﴾ الآية.

سبب نزول الآية [٨٤]: عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لما توفي عبد الله بن أبيّ جاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله ﷺ، وقال: أعطني قميصك حتى أكفنه فيه، وصل عليه واستغفر له. فأعطاه قميصه، ثم قال: (آذني حتى أصلي عليه). فآذنه، فلما أراد أن يصلي عليه جذبه عمر ابن الخطاب رضي الله عنه وقال: أليس قد نهاك الله أن تصلي على المنافقين؟ فقال: (أنا بين خيرتين: ﴿ استغفِر لهم أوْ لا تستغفر﴾). فصلى عليه، ثم نزلت عليه هذه الآية: ﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تَقُمْ على قَبْرِه﴾ فترك الصلاة عليهم.

البخاري الجنائز، باب: الكفن في القميص الذي يكف..، رقم: ١٢١٠. ومسلم: أوائل صفات المنافقين وأحكامهم، رقم: ٢٧٧٤.

وأخرج الواحدي بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: لما توفي عبد الله بن أبي دعي رسول الله ﷺ للصلاة عليه، فقام إليه، فلما وقف عليه يريد الصلاة عليه تحولت حتى قمت في صدره، فقلت: يا رسول الله، أعلى عدو الله عبد الله

مات أبداً ولا تقم على قبره ﴾ لدفن أو زيارة ﴿ إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون ﴾ كافرون.

٨٥ ﴿ ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وتزهق ﴾ تخرج ﴿ أنفسهم وهم كافرون ﴾(١).

٨٦ ﴿ وإذا أنزلت سورة ﴾ أي طائفة من القرآن ﴿ أن ﴾ أي بأن ﴿ آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولوا الطول ﴾ ذوو الغنى ﴿ منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين ﴾(٢).

٨٧ ﴿ رضوا بأن يكونوا مع الخوالف ﴾ جمع خالفة، أي النساء اللاتي تخلفن في البيوت ﴿ وطبع على قلوبهم(٣) فهم لا يفقهون ﴾ الخير(٤).

٨٨ ﴿ لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات ﴾ في الدنيا والآخرة ﴿ وأولئك هم المفلحون ﴾ أي الفائزون.

٨٩ ﴿ أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم ﴾.

٩٠ ﴿ وجاء المعذرون ﴾ بإدغام التاء في الأصل في الذال، أي المعتذرون بمعنى المعذورين، وقرىء به(٥) ﴿ من الأعراب ﴾ إلى النبي ﷺ ﴿ ليؤذن لهم ﴾ في القعود لعذرهم، فأذن لهم ﴿ وقعد الذين كذبوا الله ورسوله ﴾ في ادعاء الإيمان، من منافقي الأعراب، عن المجيء للاعتذار ﴿ سيصيب

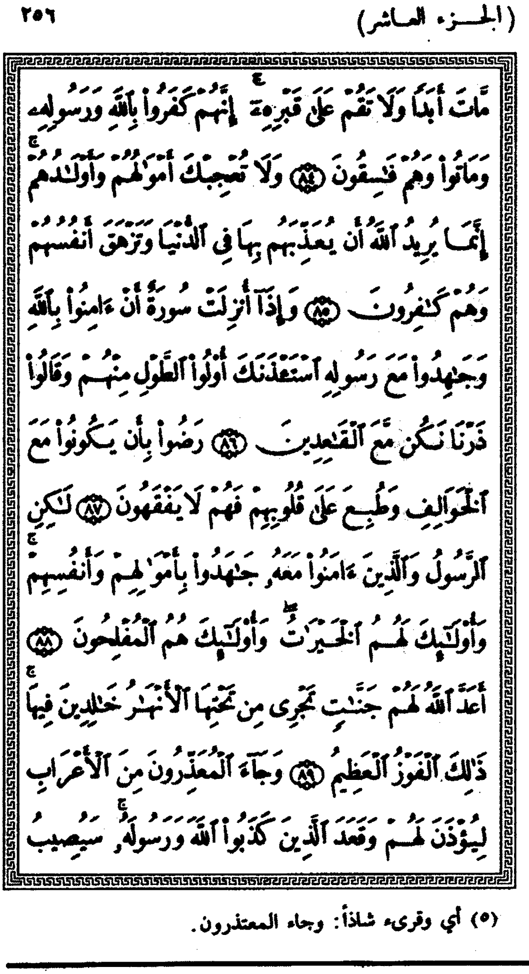

(الجـزء العاشر) ٢٥٦

مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ
وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَـٰدُهُمْ ۚ
إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ
وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ
وَجَـٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا۟
ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَـٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ
ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَـٰكِنِ
ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ
وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾
أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ
ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ
لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ سَيُصِيبُ

٢٨٠٩] [كفأتها: أمالتها. تكفأ بالبلاء: تقلب بالمصيبة، أي المؤمن إذا أصابه بلاء رضي بقدر الله تعالى، فإذا زال عنه قام واعتدل بشكر الله تعالى، فانقلب البلاء خيراً ورحمة. صماء: صلبة شديدة. يقصمها: من القصم، وهو الكسر مع الإبانة، أي فصل الأجزاء عن بعضها].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: أن النَّبي ﷺ قال: «أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا اؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر». [البخاري: الإيمان، باب: علامة المنافق، رقم: ٣٤. مسلم: الإيمان، باب: بيان خصال المنافق، رقم: ٥٨] [منافقاً خالصاً: قد استجمع صفات النفاق. خصلة: صفة. يدعها: يتركها ويخلص نفسه منها. غدر: ترك الوفاء بالعهد. خاصم: نازع وجادل. فجر: مال عن الحق واحتال في رده].

(١) انظر الآية: / ٥٥/ من السورة.

(٢) اتركنا في زمرة النساء والصبيان، والمرضى ونحوهم.

(٣) ختم عليها، ومنعت من أن يدخلها إيمان أو تؤثر فيها موعظة، لاختيارهم الضلالة على الهدى.

(٤) لا يفهمون ما ينفعهم، وأن في الإيمان بالله تعالى والجهاد مع رسوله ﷺ خير الدنيا ونجاة الآخرة.

(٥) أي وقرىء شاذاً: وجاء المعتذرون.

ابن أبي؟ القائل يوم كذا وكذا وكذا؟، أعدد أيامه، ورسول الله ﷺ يبتسم، حتى إذا أكثرت عليه قال: (أخر عني يا عمر، إني خيرت فاخترت، قد قيل لي ﴿ استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ﴾ لو علمت أني إن زدت على السبعين غفر له لزدت). قال: ثم صلى ﷺ ومشى معه، فقام على قبره حتى فرغ منه، قال: فعجبت لي وجراءتي على رسول الله ﷺ، والله ورسوله أعلم. قال: فوالله ما كان إلا يسيراً حتى نزل: ﴿ ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره ﴾ الآية فما صلى رسول الله ﷺ بعده على منافق ولا قام على قبره حتى قبضه الله تعالى. [أخرجه البخاري في الجنائز، باب: ما يكره من الصلاة على المنافقين. . ، رقم: ١٣٠٠، مع اختلاف في بعض الألفاظ].

سبب نزول الآية [٩١]: عن زيد بن ثابت، رضي الله عنه قال: كنت أكتب لرسول الله ﷺ، فكنت أكتب براءة، فإني لواضع القلم على أذني إذ أمرنا بالقتال، فجعل رسول الله ﷺ ينظر ما ينزل عليه إذ جاءه أعمى، فقال: كيف بي يا رسول الله وأنا أعمى؟ فنزلت: ﴿ليس على الضعفاء﴾ الآية. [السيوطي].

الذين كفروا منهم عذاب أليم ﴾.

٩١ ﴿ ليس على الضعفاء ﴾ كالشيوخ ﴿ ولا على المرضى ﴾ كالعمي والزمنى[1] ﴿ ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون ﴾ في الجهاد ﴿ حرج ﴾ إثم في التخلف عنه ﴿ إذا نصحوا لله ورسوله ﴾ في حال قعودهم، بعدم الإرجاف والتثبيط[2]، وبالطاعة ﴿ ما على المحسنين ﴾ بذلك ﴿ من سبيل ﴾ طريق بالمؤاخذة ﴿ والله غفور ﴾ لهم ﴿ رحيم ﴾ بهم في التوسعة في ذلك.

٩٢ ﴿ ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم ﴾ معك إلى الغزو، وهم سبعة من الأنصار، وقيل: بنو مقرن ﴿ قلت لا أجد ما أحملكم عليه ﴾ حال[3] ﴿تولوا﴾ جواب إذا، أي انصرفوا ﴿وأعينهم تفيض﴾ تسيل ﴿من﴾ للبيان ﴿الدمع حزناً ﴾ لأجل ﴿ ألا يجدوا ما ينفقون ﴾ في الجهاد[4].

٩٣ ﴿ إنما السبيل على الذين يستأذنونك ﴾ في التخلف ﴿ وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون ﴾ تقدم مثله/ الآية: ٨٨/.

٩٤ ﴿ يعتذرون إليكم ﴾ في التخلف ﴿ إذا رجعتم إليهم ﴾ من الغزو ﴿ قل ﴾ لهم ﴿ لا تعتذروا لن نؤمن لكم ﴾ نصدقكم ﴿ قد نبأنا الله من أخباركم ﴾ أي أخبرنا بأحوالكم ﴿ وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون ﴾ بالبعث ﴿ إلى عالم الغيب والشهادة ﴾[5] أي الله سبحانه وتعالى ﴿ فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾ فيجازيكم عليه. ٩٥ ﴿ سيحلفون

ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ
وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ
إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ
وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ
لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ
تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾
۞ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ
رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ
فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ۚ
قُل لَّا تَعْتَذِرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ۚ
وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ
وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحْلِفُونَ

---

[1] المصابين بآفات وأمراض مزمنة تقعدهم عن القيام بأعباء الجهاد ونحوه.

[2] الإرجاف: نشر الأخبار السيئة والكذب فيها حتى يضطرب أمر الناس. والتثبيط: التخذيل والتكسيل لمن يريد الخروج للجهاد بما يقعده عنه.

قال ابن كثير في تفسيره الآية [٩١]: ثم بين الله تعالى الأعذار التي لا حرج على من قعد فيها عن القتال، فذكر منها ما هو لازم للشخص لا ينفك عنه، وهو الضعف في التركيب الذي لا يستطيع معه الجلاد في الجهاد، ومنه العمى والعرج ونحوهما، ولهذا بدأ به. وما هو عارض بسبب مرض عن له في بدنه شغله عن الخروج في سبيل الله، أو بسبب فقره لا يقدر على التجهيز للحرب، فليس على هؤلاء حرج إذا قعدوا ونصحوا في حال قعودهم، ولم يرجفوا بالناس، ولم يثبطوهم، وهم محسنون في حالهم هذا، ولهذا قال: ﴿ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم﴾.

[3] أي جملة ﴿قلت لا أجد ما أحملكم عليه﴾ حال من الكاف في قوله ﴿أتوك﴾ والمعنى: أتوك حال كونك قائلاً لهم ذلك، والله تعالى أعلم.

[4] بكوا بكاءً شديداً لأنهم لم يجدوا ما ينفقونه ويتأهبون به للخروج إلى الجهاد.

[5] السر والعلن، وما غاب وما حضر.

سبب نزول الآية [٩٢]: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أمر رسول الله ﷺ الناس أن ينبعثوا غازين معه، فجاءت عصابة من أصحابه: فيهم عبد الله بن معقل المزني، فقال: يا رسول الله، احملنا؟ فقال: (والله لا أجد ما أحملكم عليه). فولوا ولهم بكاء، وعزّ عليهم أن يحبسوا عن الجهاد ولا يجدون نفقة ولا محملاً، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم..﴾ الآية. [السيوطي].

قال الواحدي: نزلت في البكائين، وكانوا سبعة: معقل بن يسار، وصخر بن خنيس، وعبد الله بن كعب الأنصاري، وسالم بن عمير، وثعلبة بن غنمة، وعبد الله بن مغفل، أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا نبي الله، إن الله عزّ وجلّ قد ندبنا للخروج معك، فاحملنا على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة، نغزو معك. فقال: (لا أجد ما أحملكم عليه) فتولوا وهم يبكون.

وقال مجاهد: نزلت في بني مقرن: معقل وسويد والنعمان. [السيوطي]. [البكائين: سموا بذلك لبكائهم حين لم يتمكنوا من الخروج إلى الجهاد. الخفاف: جمع خُفّ، وهو ما يلبس بالرجل كالحذاء، ولكنه غالباً يكون ساتراً للكعبين. المخصوفة: المخروز بعضها إلى بعض، من الخَصْف وهو ضم الشيء إلى الشيء، والمراد البالية ونحوها].

بالله لكم إذا انقلبتم ﴾ رجعتم ﴿ إليهم ﴾ من تبوك: أنهم معذورون في التخلف ﴿ لتعرضوا عنهم ﴾ بترك المعاتبة ﴿ فأعرضوا عنهم إنهم رجس ﴾ قذر لخبث بواطنهم ﴿ ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون ﴾.

٩٦ ﴿ يحلفون لكم لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين ﴾ أي عنهم(١)، ولا ينفع رضاكم مع سخط الله.

٩٧ ﴿ الأعراب ﴾ أهل البدو ﴿ أشد كفراً ونفاقاً ﴾ من أهل المدن لجفائهم، وغلظ طباعهم، وبعدهم عن سماع القرآن ﴿وأجدر﴾ أولى ﴿أ﴾ ن، أي بأن ﴿لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله﴾ من الأحكام والشرائع ﴿والله عليم﴾ بخلقه ﴿حكيم﴾ في صنعه بهم.

٩٨ ﴿ ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق ﴾ في سبيل الله(٢) ﴿ مغرماً ﴾ غرامة وخسراناً، لأنه لا يرجو ثوابه، بل ينفقه خوفاً، وهم بنو أسد وغطفان ﴿ويتربص﴾ ينتظر ﴿بكم الدوائر﴾ دوائر الزمان أن تنقلب عليكم(٣) فيتخلص(٤) ﴿عليهم دائرة السُّوء ﴾ بالضم والفتح، أي يدور العذاب والهلاك عليهم لا عليكم ﴿ والله سميع ﴾ لأقوال عباده ﴿ عليم ﴾ بأفعالهم.

٩٩ ﴿ ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ﴾ كجهينة ومزينة ﴿ ويتخذ ما ينفق ﴾ في سبيل الله ﴿ قربات ﴾ تقربه ﴿ عند الله و ﴾ وسيلة إلى ﴿ صلوات ﴾ دعوات ﴿ الرسول ﴾ له ﴿ ألا إنها ﴾ أي نفقتهم ﴿ قربة ﴾ بضم الراء وسكونها ﴿ لهم ﴾ عنده(٥) ﴿ سيدخلهم الله في رحمته ﴾ جنته ﴿ إن الله غفور ﴾ لأهل طاعته ﴿ رحيم ﴾ بهم(٦).

١٠٠ ﴿ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ﴾ وهم من شهد بدراً، أو جميع الصحابة ﴿ والذين اتبعوهم ﴾ إلى يوم القيامة ﴿ بإحسان ﴾ في العمل ﴿رضي الله عنهم﴾ بإطاعتهم ﴿ ورضوا عنه ﴾ بثوابه ﴿ وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار ﴾ وفي قراءة بزيادة «من» ﴿ خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم ﴾(٧).

بِٱللَّهِ لَكُمۡ إِذَا ٱنقَلَبۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ لِتُعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ فَأَعۡرِضُواْ
عَنۡهُمۡۖ إِنَّهُمۡ رِجۡسٞۖ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ
يَكۡسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحۡلِفُونَ لَكُمۡ لِتَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡۖ فَإِن تَرۡضَوۡاْ
عَنۡهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرۡضَىٰ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾
ٱلۡأَعۡرَابُ أَشَدُّ كُفۡرٗا وَنِفَاقٗا وَأَجۡدَرُ أَلَّا يَعۡلَمُواْ حُدُودَ
مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٩٧﴾
وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغۡرَمٗا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ
ٱلدَّوَآئِرَۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ
ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ
قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرۡبَةٞ لَّهُمۡۚ
سَيُدۡخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٩٩﴾
وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ

---

(١) أي عن المتخلفين المذكورين، ووضع الاسم الظاهر موضع الضمير ليصفهم بالفسق زيادة في التشنيع عليهم.

(٢) يعتقد ويعتبر ما ينفقه مغرماً..

(٣) بهزيمتكم وغلبة المشركين عليكم واستئصالكم.

(٤) أي من الإنفاق الذي كان يطلب منه.

(٥) مقبولة، يجازيهم عليها أعظم المثوبة، وتقربهم من رضوانه سبحانه.

(٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (أرأيتم إن كان جهينة ومزينة وغفار خيراً من بني تميم وبني أسد وبني عبد الله بن غطفان ومن بني عامر بن صعصعة) فقال رجل: خابوا وخسروا، قال: (نعم، هم خير من بني تميم وبني أسد وبني عبد الله بن غطفان ومن بني عامر بن صعصعة) متفق عليه. وفي رواية: أن الأقرع بن حابس قال للنبي ﷺ: إنما بايعك سراق الحجيج من أسلم وغفار ومزينة - وأحسبه قال: وجهينة - .فقال النبي ﷺ: (أرأيت إن كان أسلم وغفار ومزينة - أحسبه قال: وجهينة - خيراً من بني تميم وبني عامر وأسد وغطفان، خابوا وخسروا). قال: نعم. قال: (والذي نفسي بيده إنهم لخير منهم). وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: (أسلم سالمها الله، وغفار غفر الله لها) زاد مسلم في رواية له: (أما إني لم أقلها، لكن الله قالها). وعند البخاري ومسلم - أيضاً - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (قريش والأنصار وجهينة ومزينة وأسلم وأشجع وغفار مواليَّ، ليس لهم مولى دون الله ورسوله).

[البخاري: المناقب، باب: ذكر أسلم وغفار ومزينة وجهينة وأشجع، رقم: ٣٣٢١، ٣٣٢٣- ٣٣٢٥. مسلم: فضائل الصحابة، باب: دعاء النبي ﷺ لغفار وأسلم، وباب: من فضائل غفار وأسلم وجهينة..، رقم: ٢٥١٤، ٢٥٢٠، ٢٥٢٢]. [خابوا وخسروا: أي أولئك المخير عليهم. مولى: أي ناصر لهم ومتولي لأمورهم].

(٧) روى البخاري ومسلم عن عمران بن حصين، رضي الله

١٠١ ﴿ وممن حولكم ﴾ يا أهل المدينة ﴿ من الأعراب منافقون ﴾ كأسلم وأشجع وغفار(١) ﴿ ومن أهل المدينة ﴾ منافقون أيضاً ﴿ مردوا على النفاق ﴾ لجوا فيه(٢) واستمروا ﴿ لا تعلمهم ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿ نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ﴾ بالفضيحة أو القتل في الدنيا، وعذاب القبر ﴿ ثم يردون ﴾ في الآخرة ﴿ إلى عذاب عظيم ﴾ هو النار.

١٠٢ ﴿ و ﴾ قوم ﴿ آخرون ﴾ مبتدأ ﴿ اعترفوا بذنوبهم ﴾ من التخلف، نعته(٣)، والخبر ﴿ خلطوا عملاً صالحاً ﴾ وهو جهادهم قبل ذلك، واعترافهم بذنوبهم، أو غير ذلك ﴿ وآخر سيئاً ﴾ وهو تخلفهم ﴿ عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم ﴾ نزلت في أبي لبابة وجماعة، أوثقوا أنفسهم في سواري المسجد، لما بلغهم ما نزل في المتخلفين، وحلفوا لا يحلهم إلا النبي ﷺ، فحلهم لما نزلت.

١٠٣ ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها﴾ من ذنوبهم(٤)، فأخذ ثلث أموالهم وتصدق بها ﴿وصل عليهم﴾ أي ادع لهم ﴿ إن صلاتك سكن ﴾ رحمة ﴿ لهم ﴾ وقيل: طمأنينة بقبول توبتهم ﴿ والله سميع عليم ﴾.

١٠٤ ﴿ ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ ﴾ يقبل ﴿ الصدقات(٥) وأن الله هو التواب ﴾ على عباده بقبول توبتهم ﴿ الرحيم ﴾ بهم؟ والاستفهام للتقرير، والقصد به تهييجهم(٦) إلى التوبة والصدقة.

١٠٥ ﴿ وقل ﴾ لهم أو للناس ﴿ اعملوا ﴾ ما شئتم ﴿ فسيرى الله عملكم ورسوله

ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ

عنهما: أن النبي ﷺ قال: (إن خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم). قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة. [البخاري: الشهادات، باب: لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد، رقم: ٢٥٠٨. مسلم: فضائل الصحابة، باب: فضل الصحابة ثم الذين يلونهم، رقم: ٢٥٣٥].

(١) أي بعض أفراد هذه القبائل لا جميعها، وقيل: هو عام في كل المنافقين من جميع القبائل. (٢) اعتادوه وتمرنوا عليه.

(٣) أي جملة اعترفوا صفة للمبتدأ آخرون.

(٤) أي تكون هذه الصدقة تكفيراً لما فرط منهم من ذنوب، وطهرة لأموالهم من الشبهات، وسبباً لنموها وازديادها.

(٥) روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (ما تصدق أحد بصدقة من كسب طيب ـ ولا يقبل الله إلا الطيب ـ إلا أخذها الرحمن بيمينه وإن كانت تمرة، فتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل، كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله) [البخاري: الزكاة، باب: لا يقبل الله صدقة من غلول. . ، رقم: ١٣٤٤. مسلم: الزكاة، باب: قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، رقم: ١٠١٤]. [الفلو: ولد الفرس أول ما يولد، والفصيل: ولد الناقة إلى أن ينفصل عنها. ويمين الرحمن وكفه: من المتشابه الذي نؤمن به على وجه يليق به سبحانه وتعالى، ونفوض علمه على حقيقته إلى الله عز وجل، ونفهم من ذكرهما حسن القبول وتمام الرضا منه سبحانه وتعالى لهذا المتصدق، والله تعالى أعلم].

(٦) حثهم وترغيبهم.

سبب نزول الآية [١٠٢]: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: غزا رسول الله ﷺ، فتخلف أبو لبابة وخمسة معه، ثم إن أبا لبابة ورجلين معه تفكروا وندموا وأيقنوا بالهلاك، وقالوا: نحن في الظلال والطمأنينة مع النساء ورسول الله ﷺ والمؤمنون معه في الجهاد، والله لنوثقن أنفسنا بالسواري، فلا نطلقها حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يطلقها. ففعلوا، وبقي ثلاثة لم يوثقوا أنفسهم، فرجع رسول الله ﷺ من غزوته فقال: (من هؤلاء الموثقون بالسواري). فقال رجل: هذا أبو لبابة وأصحاب له تخلفوا، فعاهدوا الله أن لا يطلقوا أنفسهم حتى تكون أنت الذي تطلقهم. فقال: (لا أطلقهم حتى أومر بإطلاقهم). فأنزل الله: ﴿وآخرون اعترفوا بذنوبهم﴾ الآية، فلما نزلت أطلقهم وعذرهم، وبقي الثلاثة الذين لم يوثقوا أنفسهم لم يذكروا بشيء، وهم الذين قال الله فيهم: ﴿ وآخرون مرجون لأمر الله﴾ الآية [١٠٦]. فجعل أناس يقولون: هلكوا إذ لم ينزل عذرهم، وآخرون يقولون: ﴿عسى الله أن يتوب عليهم﴾ [١٠٦] حتى نزلت: ﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا﴾ [١١٨] [السيوطي]. [لنوثقن: لنربطن ربطاً شديداً السواري: جمع سارية، وهي الدعامة التي يرفع عليها السقف].

وأخرج ابن جرير، من طريق عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما نحوه، وزاد: فجاء أبو لبابة بأموالهم حين أطلقوا، فقالوا: يا رسول الله، هذه أموالنا فتصدّق بها عنا واستغفر لنا. فقال: (ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئاً). فأنزل الله: ﴿ خذ من أموالهم صدقة ﴾الآية.

والمؤمنون وستردون ﴾ بالبعث ﴿ إلى عالم الغيب والشهادة ﴾ أي الله ﴿ فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾ فيجازيكم به.

١٠٦ ﴿ وآخرون ﴾ من المتخلفين ﴿ مرجون ﴾ بالهمز(١) وتركه، مؤخرون عن التوبة ﴿ لأمر الله ﴾ فيهم بما شاء ﴿ إما يعذبهم ﴾ بأن يميتهم بلا توبة ﴿ وإما يتوب عليهم والله عليم ﴾ بخلقه ﴿ حكيم ﴾ في صنعه بهم، وهم الثلاثة الآتون بعد(٢): مرارة بن الربيع، وكعب بن مالك، وهلال بن أمية، تخلفوا كسلاً وميلاً إلى الدعة(٣)، لا نفاقاً. ولم يعتذروا إلى النبي ﷺ كغيرهم، فوقف أمرهم خمسين ليلة، وهجرهم الناس، حتى نزلت توبتهم بعد.

١٠٧ ﴿ و ﴾ منهم ﴿ الذين اتخذوا مسجداً ﴾ وهم اثنا عشر من المنافقين ﴿ ضراراً ﴾ مضارة لأهل مسجد قباء ﴿ وكفراً ﴾(٤) لأنهم بنوه بأمر أبي عامر الراهب، ليكون معقلاً له يقدم فيه(٥) من يأتي من عنده، وكان ذهب ليأتي بجنود من قيصر لقتال النبي ﷺ ﴿ وتفريقاً بين المؤمنين ﴾ الذين يصلون بقباء، بصلاة بعضهم في مسجدهم(٦) ﴿ وإرصاداً ﴾ ترقباً ﴿ لمن حارب الله ورسوله من قبل ﴾ أي قبل بنائه، وهو أبو عامر المذكور ﴿ وليحلفن إن ﴾ ما ﴿ أردنا ﴾ ببنائه ﴿ إلا ﴾ الفعلة ﴿ الحسنى ﴾ من الرفق بالمسكين في المطر والحر، والتوسعة على المسلمين ﴿ والله يشهد إنهم لكاذبون ﴾ في ذلك.

١٠٨ وكانوا سألوا النبي ﷺ أن يصلي فيه، فنزل: ﴿ لا تقم ﴾ تصل ﴿ فيه أبداً ﴾ فأرسل جماعة هدموه وحرقوه، وجعلوا مكانه كناسة(٧) تلقى فيها الجيف ﴿ لمسجد أسس ﴾ بنيت قواعده ﴿ على التقوى من أول يوم ﴾ وضع يوم حللتَ بدار الهجرة، وهو مسجد قباء، كما في البخاري(٨) ﴿ أحق ﴾ منه ﴿ أن ﴾ أي بأن ﴿ تقوم ﴾ تصلي ﴿ فيه فيه رجال ﴾ هم الأنصار ﴿ يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين ﴾ أي يثيبهم، وفيه إدغام التاء في الأصل في الطاء. روى ابن خزيمة في صحيحه عن عويم(٩) بن ساعدة: أنه ﷺ أتاهم في مسجد قباء فقال: (إن الله تعالى قد أحسن عليكم الثناء في الطهور في قصة مسجدكم، فما هذا الطهور الذي تطهرون به). قالوا: والله يا رسول الله، ما نعلم شيئاً إلا أنه كان لنا جيران من اليهود، وكانوا يغسلون أدبارهم من الغائط، فغسلنا كما غسلوا. وفي حديث رواه البزار: فقالوا: نتبع الحجارة بالماء(١٠)، فقال: (هو ذاك، فعليكموه(١١)).

١٠٩ ﴿ أفمن أسس بنيانه على تقوى ﴾ مخافة ﴿ من الله ﴾ رجاء ﴿ ورضوان ﴾ منه ﴿ خير أم من أسس بنيانه على شفا ﴾ طرف ﴿ جرف ﴾ بضم الراء وسكونها، جانب ﴿ هار ﴾ مشرف على السقوط ﴿ فانهار به ﴾ سقط مع بانيه ﴿ في نار جهنم ﴾ خير تمثيل للبناء على ضد التقوى بما يؤول إليه، والاستفهام للتقرير، أي: الأول خير وهو مثال مسجد قباء، والثاني مثال مسجد الضرار ﴿ والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾.

وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ
فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ
لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ
حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا
وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ
مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ
إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ
عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ
يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾
أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ
أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ
فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾

---

(١) ﴿مرجؤون﴾.

(٢) أي الآتي الكلام عنهم في الآية: ١١٨. (٣) الراحة.

(٤) ليجتمع فيه من يكفر بالله تعالى ورسوله ﷺ، من الكفار والمنافقين، ويقولوا ما فيه الكفر. (٥) ملجأ ومأوى ينزل فيه.

(٦) أي يحصل التفريق بصلاة بعض من كان يصلي في مسجد قباء في المسجد الذي بني قريباً منهم.

(٧) مكان كناسة وهي القمامة.

(٨) في فضائل الصحابة، باب: هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، رقم: ٣٦٩٤.

(٩) في النسخ المطبوعة: عويمر، والصحيح: عويم، كما في الإصابة والطبري.

(١٠) نغسل أثر النجاسة بالماء، بعد أن نزيلها بالحجارة.

(١١) أي لهذا أثنى الله تعالى عليكم، فالزموه.

سبب نزول الآيات [١٠٧ ـ ١١٠]: عن ابن إسحق قال: ذكر ابن شهاب الزهري، عن ابن أكيمة الليثي، عن ابن أخي أبي رهم الغفاري: أنه سمع أبا رهم، وكان ممن بايع تحت الشجرة، يقول: أتى من بنى مسجد الضرار رسول الله ﷺ وهو متجهز إلى تبوك، فقالوا: يا رسول الله، إنا بنينا مسجداً لذي العلة والحاجة، والليلة الشاتية والليلة المطيرة، وإنا نحبّ أن تأتينا فتصلي لنا فيه. قال: إني على جناح سفر، ولو قدمنا إن شاء الله أتيناكم فصلينا لكم فيه). فلما رجع نزل بذي أوان على ساعة من المدينة، فأنزل الله في المسجد: ﴿والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً﴾ إلى آخر =

١١٠ ﴿ لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة ﴾ شكاً ﴿ في قلوبهم إلا أن تقطع ﴾ تنفصل ﴿ قلوبهم ﴾ بأن يموتوا ﴿ والله عليم ﴾ بخلقه ﴿ حكيم ﴾ في صنعه بهم.

١١١ ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم ﴾ بأن يبذلوها في طاعته كالجهاد ﴿ بأن لهم الجنة(١) يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون ﴾ جملة استئناف بيان للشراء(٢)، وفي قراءة بتقديم المبني للمفعول(٣)، أي فيقتل بعضهم ويقاتل الباقي ﴿ وعداً عليه حقاً ﴾ مصدران منصوبان بفعلهما المحذوف(٤) ﴿ في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله ﴾ أي لا أحد أوفى منه ﴿ فاستبشروا ﴾ فيه التفات عن الغيبة(٥) ﴿ ببيعكم الذي بايعتم به وذلك ﴾ البيع ﴿ هو الفوز العظيم ﴾ المنيل غاية المطلوب.

١١٢ ﴿ التائبون ﴾ رفع على المدح بتقدير مبتدأ(٦)، من الشرك والنفاق ﴿ العابدون ﴾ المخلصون العبادة لله ﴿ الحامدون ﴾ له على كل حال ﴿ السائحون ﴾ الصائمون(٧) ﴿ الراكعون الساجدون ﴾ أي المصلون ﴿ الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله ﴾ لأحكامه، بالعمل بها ﴿ وبشر المؤمنين ﴾ بالجنة.

١١٣ ونزل في استغفاره ﷺ لعمه أبي طالب، واستغفار بعض الصحابة لأبويه المشركين ﴿ ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى ﴾ ذوي قرابة ﴿ من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم ﴾ النار، بأن ماتوا على الكفر.

١١٤ ﴿ وما كان استغفار إبراهيم لأبيه

لَا يَزَالُ بُنْيَـٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلْعَـٰبِدُونَ ٱلْحَـٰمِدُونَ ٱلسَّـٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّـٰجِدُونَ ٱلْـَٔامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ

---

(١) جزاء وبدلاً لبذلهم النفوس والأموال طاعة لله عز وجل.

(٢) أي جملة ﴿يقاتلون في سبيل الله..﴾ بيان للبيع الذي يستلزم الشراء، كأنه قيل: كيف يبيعون أنفسهم بالجنة؟ فقيل. يقاتلون..

(٣) أي ﴿فيُقتَلون ويَقتُلون﴾ وهي قراءة متواترة.

(٤) أي: وعد هذا وعداً وحق عليه حقاً.

(٥) أي كان الكلام عن هؤلاء المؤمنين على سبيل الغيبة، فالتفت إلى خطابهم بقوله ﴿فاستبشروا..﴾ زيادة في تشريفهم وتكريمهم، وليزداد سرورهم.

(٦) أي المؤمنون المذكورون هم التائبون..

(٧) من السياحة وهي الذهاب في الأرض للعبادة، سمي الصائم بذلك، لأنه يترك الطعام والشراب والملذات، فشأنه كالسائح الذي لا زاد معه ولا شراب. قال ﷺ: (سياحة أمتي الصيام). [وقيل: المراد بهم الغزاة في سبيل الله تعالى. وقيل: طلبة العلم، لأنهم ينتقلون من بلد إلى بلد، خدمة لدين الله عزّ وجلّ].

= القصة، فدعا مالك بن الدخشن ومعن بن عدي أو أخاه عاصم بن عدي، فقال: (انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه وأحرقاه) ففعلا.

وأخرج ابن مردويه من طريق عليّ بن أبي طلحة عن ابن العباس رضي الله عنهما قال: إن أناساً من الأنصار ابتنوا مسجداً، فقال لهم أبو عامر: ابتنوا مسجدكم، واستمدّوا بما استطعتم من قوّة وسلاح، فإني ذاهب إلى قيصر ملك الروم، فآتي بجند من الروم فأخرج محمداً وأصحابه. فلما فرغوا من مسجدهم أتوا النبي ﷺ، فقالوا له: لقد فرغنا من بناء مسجدنا، فنحبّ أن تصلي فيه. فأنزل الله: ﴿لا تقم فيه أبداً﴾. [السيوطي].

وأخرج الواحدي بسنده عن سعد بن أبي وقاص قال: إن المنافقين عرضوا بمسجد يبنونه، يضاهون به مسجد قباء، وهو قريب منه، لأبي عامر الراهب يرصدونه إذا قدم، ليكون إمامهم فيه، فلما فرغوا من بنائه أتوا رسول الله ﷺ، فقالوا: إنا بنينا مسجداً، فصلّ فيه حتى نتخذه مصلى. فنزلت هذه الآية: ﴿لا تقم فيه أبداً﴾. وأخرج الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: نزلت هذه الآية في أهل قباء: ﴿فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين﴾. قال: كانوا يستنجون بالماء، فنزلت فيهم. [الترمذي: تفسير القرآن، باب: ومن سورة التوبة، رقم: ٣٠٩٩].

سبب نزول الآية [١١١]: أخرج ابن جرير عن محمد بن كعب القرظي قال: قال عبد الله بن رواحة لرسول الله ﷺ: اشترط لربك ولنفسك ما شئت؟ قال: (أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم). قالوا: فإذا فعلنا ذلك فماذا لنا؟ قال: (الجنة). قالوا: ربح البيع، لا نقيل ولا نستقيل. فنزلت: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم﴾.

[لا نقيل: من الإقالة. وهي طلب فسخ البيع بعد إبرامه. والمراد: لا نتراجع عن هذا العهد، ولا نطلب التراجع عنه].

سبب نزول الآية [١١٣]: أخرج البخاري [التفسير/التوبة، باب: ﴿ما كان للنبيّ والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين﴾ رقم: ٤٣٩٨] ومسلم

إلا عن موعدة وعدها إياه ﴾ بقوله: «سأستغفر لك ربي»/ مريم: ٤٧/ رجاء أن يسلم ﴿ فلما تبين له أنه عدو لله ﴾ بموته على الكفر ﴿ تبرأ منه ﴾ وترك الاستغفار له ﴿ إن إبراهيم لأواه ﴾ كثير التضرع والدعاء ﴿ حليم ﴾ صبور على الأذى.

١١٥ ﴿ وما كان الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم ﴾ للإسلام ﴿ حتى يبين لهم ما يتقون ﴾ من العمل، فلا يتقوه، فيستحقوا الإضلال ﴿ إن الله بكل شيء عليم ﴾ ومنه مستحق الإضلال والهداية.

١١٦ ﴿ إن الله له ملك السماوات والأرض يحيي ويميت وما لكم ﴾ أيها الناس ﴿ من دون الله ﴾ أي غيره ﴿ من ولي ﴾ يحفظكم منه ﴿ ولا نصير ﴾ يمنعكم من ضرره.

١١٧ ﴿ لقد تاب الله ﴾ أي أدام توبته ﴿ على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة ﴾ أي وقتها، وهي حالهم في غزوة تبوك، كان الرجلان يقتسمان تمرة، والعشرة يعتقبون البعير الواحد، واشتد الحر حتى شربوا الفرث[1] ﴿ من بعد ما كاد يزيغ ﴾ بالياء والتاء، تميل ﴿ قلوب فريق منهم ﴾ عن اتباعه إلى التخلف، لما هم فيه من الشدة ﴿ ثم تاب عليهم ﴾ بالثبات ﴿ إنه بهم رؤوف رحيم ﴾.

١١٨ ﴿ و ﴾ تاب ﴿ على الثلاثة[2] الذين خلفوا ﴾ عن التوبة عليهم[3]، بقرينة ﴿ حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ﴾ أي مع رحبها، أي سعتها، فلا يجدون مكاناً يطمئنون إليه ﴿ وضاقت عليهم أنفسهم ﴾ قلوبهم، للغمّ والوحشة بتأخير توبتهم، فلا يسعها سرور ولا أنس ﴿ وظنوا ﴾ أيقنوا ﴿ أن ﴾ مخففة ﴿ لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ﴾ وفقهم للتوبة ﴿ ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم ﴾.

١١٩ ﴿ يا أيها الذين

إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ
تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ (١١٤) وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ
قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ إِنَّ ٱللَّهَ
بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ (١١٥) إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ
وَلَا نَصِيرٍ (١١٦) لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ
وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ
يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ
رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١١٧) وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ
إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ
أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ
لِيَتُوبُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ (١١٨) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

---

(١) هو ما في كرش البعير، يعصرونه ويشربون ما يعتصر منه.

(٢) وهم كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع، رضي الله عنهم، وحديثهم رواه بطوله البخاري في المغازي، باب: حديث كعب بن مالك. . ، رقم: ٤١٥٦. ومسلم في التوبة، باب: حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه، رقم: ٢٧٦٩. وجاء فيه عن كعب بن مالك رضي الله عنه قال: لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها إلا في غزوة تبوك. . فذكر الحديث بطوله، وفيه وأنزل الله على رسوله ﷺ ﴿ لقد تاب الله على النبيّ والمهاجرين ـ إلى قوله ـ وكونوا مع الصادقين ﴾.

(٣) أي أخروا عن غيرهم في قبول عذرهم والعفو عنهم، كما جاء على لسان كعب رضي الله عنه إذ قال في حديثه الطويل: وأرجأ رسول الله ﷺ أمرنا حتى قضى الله فيه، فبذلك قال الله: ﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا﴾ وليس الذي ذكر الله مما خُلِّفنا عن الغزو، وإنما تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا عمن حلف له واعتذر إليه فقبل منه.

[الإيمان، باب: الدليل على صحة إسلام من حضره الموت. . ، رقم: ٢٤] من طريق ابن المسيب عن أبيه رضي الله عنه قال: لما حضر أبا طالب الوفاة دخل عليه رسول الله ﷺ وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية، فقال: (أي عم، قل لا إله إلا الله، أحاجّ لك بها عند الله). فقال أبو جهل وعبد الله: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزالا يكلمانه حتى قال آخر شيء كلمهم به: هو على ملة عبد المطلب، فقال النبيّ ﷺ: (لأستغفرنّ لك ما لم أنه عنك). فنزلت: ﴿ما كان للنبيّ والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين﴾ الآية، وأنزل في أبي طالب: ﴿إنك لا تهدي من أحببت﴾ الآية [القصص: ٥٦]. قال السيوطي: وظاهر هذا أن الآية نزلت بمكة.

وعن عليّ رضي الله عنه قال: سمعت رجلاً يستغفر لأبويه وهما مشركان، فقلت له: أتستغفر لأبويك وهما مشركان؟ فقال: استغفر إبراهيم لأبيه وهو مشرك، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ، فنزلت: ﴿وماكان للنبيّ والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين﴾. [أخرجه الترمذي في تفسير القرآن، باب: ومن سورة التوبة، رقم: ٣١٠٠، وقال: هذا حديث حسن].

آمنوا اتقوا الله ﴾ بترك معاصيه ﴿ وكونوا مع الصادقين ﴾ في الإيمان والعهود، بأن تلزموا الصدق(١).

١٢٠ ﴿ ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ﴾ إذا غزا ﴿ ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ﴾ بأن يصونوها عما رضيه لنفسه من الشدائد، وهو نهي بلفظ الخبر(٢) ﴿ ذلك ﴾ أي النهي عن التخلف ﴿ بأنهم ﴾ بسبب أنهم ﴿ لا يصيبهم ظمأ ﴾ عطش ﴿ ولا نصب ﴾ تعب ﴿ ولا مخمصة ﴾ جوع ﴿ في سبيل الله ولا يطؤون موطئاً ﴾ مصدر بمعنى وَطْأً ﴿ يغيظ ﴾ يغضب ﴿ الكفار ولا ينالون من عدو ﴾ لله ﴿ نيلاً ﴾ قتلاً أو أسراً أو نهباً(٣) ﴿ إلا كتب لهم به عمل صالح ﴾ ليجازوا عليه ﴿ إن الله لا يضيع أجر المحسنين ﴾ أي أجرهم(٤)، بل يثيبهم.

١٢١ ﴿ ولا ينفقون ﴾ فيه ﴿ نفقة صغيرة ﴾ ولو تمرة ﴿ ولا كبيرة ولا يقطعون وادياً ﴾ بالسير ﴿ إلا كتب لهم ﴾ ذلك ﴿ ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون ﴾ أي جزاءه(٥).

١٢٢ ولما وبخوا على التخلف، وأرسل النبي ﷺ سرية(٦)، نفروا جميعاً، فنزل ﴿ وما كان المؤمنون لينفروا ﴾ إلى الغزو ﴿ كافة فلولا ﴾ فهلا ﴿ نفر من كل فرقة ﴾ قبيلة ﴿ منهم طائفة ﴾ جماعة، ومكث الباقون ﴿ ليتفقهوا ﴾ أي الماكثون ﴿ في الدين ولينذروا قومهم(٧) إذا رجعوا إليهم ﴾ من الغزو، بتعليمهم ما تعلموه من الأحكام ﴿ لعلهم يحذرون ﴾ عقاب الله بامتثال أمره ونهيه. قال ابن عباس: فهذه مخصوصة بالسرايا، والتي قبلها بالنهي عن تخلف أحد فيما إذا خرج النبي ﷺ(٨).

١٢٣ ﴿ يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار ﴾ أي الأقرب فالأقرب منهم

ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ مَا كَانَ لِأَهْلِ
ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن
رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ
لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ
وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ
نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ
ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً
وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ
مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ * وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ
فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ
وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ

---

(١) جاء في حديث كعب بن مالك رضي الله عنه الذي رواه البخاري ومسلم: قلت: يا رسول الله، إن الله إنما أنجاني بالصدق، وإن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقاً ما بقيت. قال: فوالله ما علمت أن أحداً من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ أحسن مما أبلاني الله، ووالله ما تعمدت كذبة منذ قلت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا، وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقي. [انظر الحاشية (٢) في الصحيفة السابقة]

(٢) أي قوله ﴿ وما كان. . ﴾ صورته خبر ومعناه النهي، أي لا تفعلوا ذلك، وعدل إلى الخبر مبالغة في المعنى، فكأنه يقول: ليس هذا من شأنهم ولا من صفتهم، فيكون أدعى إلى الامتثال.

(٣) غنيمة، سميت نهباً لأنها تؤخذ بالغلبة والقهر.

(٤) أشار إلى أن المناسب هنا أن يقال: أجرهم، ووضع لفظ المحسنين بدل الضمير لمدحهم على صنيعهم.

(٥) روى البخاري ومسلم عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها، والروحة يروحها العبد في سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها) [البخاري: الجهاد، باب: فضل رباط يوم في سبيل الله، رقم: ٢٧٣٥. مسلم: الإمارة، باب: فضل الغدوة والروحة في سبيل الله، رقم ١٨٨١].

(٦) جيشاً لم يكن فيهم رسول الله ﷺ.

(٧) يعظوهم ويرشدوهم، والفقه في الدين فهمه وعلم أحكامه وحفظ شرائعه.

(٨) المراد بقول ابن عباس رضي الله عنهما: أن النهي في هذه الآية عن خروج الجميع مخصوص بالسرايا التي لا يكون فيها رسول الله ﷺ، والنهي في التي قبلها عن التخلف مطلقاً مخصوص بحال خروج النبي ﷺ معهم، لأن من يُتَعَلَّمُ منه حينئذٍ مصاحب لهم وهو النبي ﷺ.

سبب نزول الآية [١٢٢]: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما أنزل الله تعالى عيوب المنافقين لتخلفهم عن الجهاد قال المؤمنون: والله لا نتخلف عن غزوة يغزوها رسول الله ﷺ ولا سرية أبداً. فلما أمر رسول الله ﷺ بالسرايا إلى العدو نفر المسلمون جميعاً، وتركوا رسول الله ﷺ وحده بالمدينة، فأنزل الله تعالى هذه الآية. [الواحدي].

وعن عكرمة قال: لما نزلت: ﴿إلا تنفروا يعذّبكم عذاباً أليماً﴾ وقد كان تخلف عنه ناس في البدو يفقهون قومهم، فقال المنافقون: قد بقي

﴿ وليجدوا فيكم غلظة ﴾ شدة، أي أغلظوا عليهم ﴿ واعلموا أن الله مع المتقين ﴾ بالعون والنصر.

١٢٤ ﴿ وإذا ما أنزلت سورة ﴾ من القرآن ﴿ فمنهم ﴾ أي من المنافقين ﴿ من يقول ﴾ لأصحابه استهزاءً ﴿ أيكم زادته هذه إيماناً ﴾ تصديقاً، قال تعالى: ﴿ فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً ﴾ لتصديقهم بها ﴿ وهم يستبشرون ﴾ يفرحون بها(١).

١٢٥ ﴿ وأما الذين في قلوبهم مرض ﴾ ضعف اعتقاد ﴿ فزادتهم رجساً إلى رجسهم ﴾ كفراً إلى كفرهم(٢)، لكفرهم بها ﴿ وماتوا وهم كافرون ﴾.

١٢٦ ﴿أو لا يرون﴾ بالياء: أي المنافقون، والتاء: أيها المؤمنون ﴿أنهم يفتنون﴾ يبتلون ﴿في كل عام مرة أو مرتين﴾ بالقحط والأمراض ﴿ ثم لا يتوبون ﴾ من نفاقهم ﴿ ولا هم يذكرون ﴾ يتعظون.

١٢٧ ﴿ وإذا ما أنزلت سورة ﴾ فيها ذكرهم، وقرأها النبي ﷺ ﴿ نظر بعضهم إلى بعض ﴾ يريدون الهرب، يقولون ﴿ هل يراكم من أحد ﴾ إذا قمتم؟ فإن لم يرهم أحد قاموا وإلا ثبتوا ﴿ ثم انصرفوا ﴾ على كفرهم ﴿ صرف الله قلوبهم ﴾ عن الهدى ﴿ بأنهم قوم لا يفقهون ﴾ الحق، لعدم تدبرهم.

١٢٨ ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم ﴾ أي منكم محمد ﷺ(٣) ﴿ عزيز ﴾ شديد ﴿ عليه ما عنتم ﴾ أي عنتكم، أي مشقتكم ولقاؤكم المكروه ﴿ حريص عليكم ﴾ أن تهتدوا ﴿ بالمؤمنين رؤوف ﴾ شديد الرحمة ﴿ رحيم ﴾ يريد لهم الخير(٤).

١٢٩ ﴿ فإن تولوا ﴾ عن الإيمان بك ﴿ فقل حسبي ﴾ كافيَّ ﴿ الله لا إله إلا هو عليه توكلت ﴾ به وثقت لا بغيره ﴿ وهو رب العرش ﴾ الكرسي(٥) ﴿ العظيم ﴾ خصه بالذكر لأنه أعظم المخلوقات. وروى الحاكم في [المستدرك] عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: آخر آية نزلت «لقد جاءكم رسول» إلى آخر السورة(٦).

وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾

---

(١) لما فيها من مزيد العمل في الدنيا، والذي يترتب عليه مزيد الأجر في الآخرة.

(٢) سمي الكفر رجساً لقبحه، والرجس هو الشيء المستقذر، ويطلق على العذاب والذنب، وعلى الشيء النجس.

(٣) تعرفون نسبه وحسبه، وخلقه وسيرته، جاء في حديث هرقل مع أبي سفيان: كيف نسبه فيكم؟ فقال: هو فينا ذو نسب.

[البخاري: بدء الوحي، رقم: ٧. مسلم: الجهاد، باب: كتاب النبي ﷺ إلى هرقل، رقم: ١٧٧٣].

(٤) روى البخاري ومسلم عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لي خمسة أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحوا الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب) والعاقب الذي ليس بعده نبي، وقد سماه الله رؤوفاً رحيماً.

[البخاري: المناقب، باب: ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ، رقم: ٣٣٣٩. مسلم: الفضائل، باب: في أسمائه ﷺ، رقم: ٢٣٥٤].

(٥) الصحيح: أن العرش غير الكرسي وأعظم منه.

(٦) المستدرك [التفسير/تفسير سورة يونس: ٢/٢٣٨] واللفظ فيه: آخر ما نزل من القرآن..، ولعل المراد أنها من آخر ما نزل، وليس آخر ما نزل على الإطلاق، فالمشهور أن آخر ما نزل مطلقاً آية البقرة [٢٨١]: ﴿واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله..﴾.

فائدة: في جمع القرآن الكريم. عن زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه، وكان ممن يكتب الوحي، قال: أرسل إليَّ أبو بكر مقتل أهل اليمامة وعنده عمر، فقال أبو بكر: إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحر يوم اليمامة بالناس، وإني أخشى أن يستحر=

ناس في البوادي، هلك أصحاب البوادي، فنزلت: ﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة﴾.

وعن عبد الله بن عبيد بن عمير قال: كان المؤمنون لحرصهم على الجهاد إذا بعث رسول الله ﷺ سرية خرجوا فيها، وتركوا النبيَّ ﷺ بالمدينة في رقة من الناس، فنزلت. [السيوطي].

(سورة يونس)

(مكية إلا الآيات ٤٠ و ٩٤ و ٩٥ و ٩٦ فمدنية وآياتها ١٠٩)

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿ الۤر ﴾ الله أعلم بمراده بذلك[١] ﴿ تلك ﴾ أي هذه الآيات ﴿ آيات الكتاب ﴾ القرآن، والإضافة بمعنى من[٢] ﴿ الحكيم ﴾ المحكم[٣].

٢ ﴿ أكان للناس ﴾ أي أهل مكة، استفهام إنكار، والجار والمجرور حال من قوله: ﴿ عجباً ﴾ بالنصب خبر كان، وبالرفع اسمها[٤] والخبر ـ وهو اسمها على الأولى ـ ﴿ أن أوحينا ﴾ أي إيحاؤنا ﴿ إلى رجل منهم ﴾ محمد ﷺ ﴿ أن ﴾ مفسرة ﴿ أنذر ﴾ خوف ﴿ الناس ﴾ الكافرين بالعذاب ﴿ وبشر الذين آمنوا أن ﴾ أي بأن ﴿ لهم قدم ﴾ سلف[٥] ﴿ صدق عند ربهم ﴾ أي أجراً حسناً بما قدموه من الأعمال ﴿ قال الكافرون إن هذا ﴾ النبي ﷺ ﴿ لساحر مبين ﴾ بين، وفي قراءة «لسحر» والمشار إليه القرآن المشتمل على ذلك.

٣ ﴿ إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ﴾ من أيام الدنيا، أي في قدرها، لأنه لم يكن ثَمَّ شمس ولا قمر، ولو شاء لخلقهن في لمحة، والعدول عنه لتعليم خلقه التثبت[٦] ﴿ ثم استوى على العرش ﴾ استواءً يليق به[٧] ﴿ يدبر الأمر ﴾ بين الخلائق ﴿ ما من ﴾ صلة[٨] ﴿ شفيع ﴾ يشفع لأحد ﴿ إلا من بعد إذنه ﴾ رد لقولهم: إن الأصنام تشفع لهم ﴿ ذلكم ﴾ الخالق المدبر ﴿ الله ربكم فاعبدوه ﴾ وحِّدوه ﴿ أفلا تذكرون ﴾ بإدغام التاء في الأصل في الذال[٩].

٤ ﴿ إليه ﴾ تعالى ﴿ مرجعكم جميعاً وعد الله حقاً ﴾ مصدران منصوبان بفعلهما المقدر[١٠]

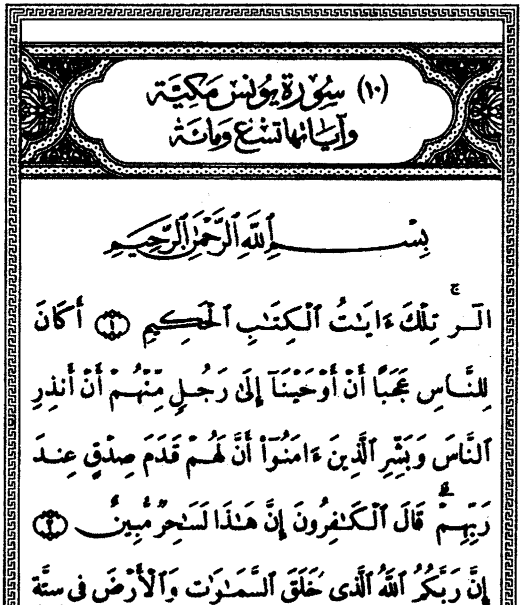

(١٠) سورة يونس مكية وآياتها تسع ومائة

بسم الله الرحمن الرحيم

الۤر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا

---

[١] انظر/ البقرة: ١/.

[٢] التقدير: آيات من الكتاب.

[٣] الذي لا يتطرق إليه تغيير أو تبديل، ولا يعتريه باطل أو فساد، ولا ينزل بعده كتابٌ من الله تعالى ينسخه.

[٤] أي [أكان للناس عجبٌ] وهي قراءة شاذة. وقوله [الجار والمجرور] أي ﴿للناس﴾ متعلق بحال محذوف من قوله ﴿ عجباً ﴾ أي كائناً للناس. وقوله ﴿ أن أوحينا ﴾ مؤول بمصدر، هو اسم كان على نصب عجباً، وخبرها على رفعه.

[٥] كل سابق في خير أو شر يقال له عند العرب قدم.

[٦] التأني والتمهل في الأمور.

[٧] من غير تحيز في مكان، أو انحصار في جهة، أو كيفية ما.

[٨] أي من زائدة إعراباً، وتفيد تأكيد النفي في المعنى.

[٩] وأصله: تتذكرون، وهذا على قراءة تشديد الذال، وفي قراءة بدون تشديد على حذف التاء الأولى.

[١٠] التقدير: وعدكم وعدَ الله وحقَّه حقّاً.

= القتل بالقراء في المواطن، فيذهب كثير من القرآن، إلا أن تجمعوه، وإني لأرى أن تجمع القرآن. قال أبو بكر: قلت لعمر: كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ فقال عمر: هو والله خير. فلم يزل عمر يراجعني فيه حتى شرح الله لذلك صدري، ورأيت الذي رأى عمر. قال زيد بن ثابت: وعمر عنده جالس لا يتكلم، فقال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك، كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ، فتتبع القرآن واجمعه. فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليَّ مما أمرني به من جمع القرآن. قلت: كيف تفعلان شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ فقال أبو بكر: هو والله خير، فلم أزل أراجعه حتى شرح الله صدري للذي شرح الله له صدر أبي بكر وعمر، فقمت فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والأكتاف والعُسُب وصدور الرجال، حتى وجدت من سورة=

سبب نزول الآية [٢]: أخرج ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما بعث الله محمداً رسولاً أنكرت العرب ذلك، أو: من أنكر منهم، فقالوا: الله أعظم من ان يكون رسوله بشراً مثل محمد. فأنزل الله تعالى: ﴿أكان للناس عجباً﴾ الآية، وأنزل: ﴿ وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً﴾ الآية. [يوسف: ١٠٩].

﴿ إنه ﴾ بالكسر استئنافاً، والفتح على تقدير اللام(١) ﴿ يبدؤ الخلق ﴾ أي بدأه بالإنشاء ﴿ ثم يعيده ﴾ بالبعث ﴿ ليجزي﴾ يثيب ﴿ الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط(٢) والذين كفروا لهم شراب من حميم ﴾ ماء بالغ نهاية الحرارة ﴿ وعذاب أليم ﴾ مؤلم ﴿ بما كانوا يكفرون ﴾ أي بسبب كفرهم.

٥ ﴿ هو الذي جعل الشمس ضياء ﴾ ذات ضياء، أي نور ﴿ والقمر نوراً (٣) وقدره ﴾ من حيث سيره ﴿ منازل ﴾ ثمانية وعشرين منزلاً في ثمان وعشرين ليلة من كل شهر، ويستتر ليلتين إن كان الشهر ثلاثين يوماً، أو ليلة إن كان تسعة وعشرين يوماً ﴿ لتعلموا ﴾ بذلك ﴿ عدد السنين والحساب(٤) ما خلق الله ذلك ﴾ المذكور ﴿ إلا بالحق ﴾ لا عبثاً، تعالى عن ذلك ﴿ يفصل ﴾ بالياء والنون، يبين ﴿ الآيات لقوم يعلمون ﴾ يتدبرون.

٦ ﴿ إن في اختلاف الليل والنهار ﴾ بالذهاب والمجيء، والزيادة والنقصان ﴿ وما خلق الله في السماوات ﴾ من ملائكة، وشمس وقمر ونجوم، وغير ذلك ﴿ و ﴾ في ﴿ الأرض ﴾ من حيوان، وجبال وبحار وأنهار، وأشجار وغيرها ﴿ لآيات ﴾ دلالات على قدرته تعالى ﴿ لقوم يتقونـ ﴾ ـه فيؤمنون، خصهم بالذكر لأنهم المنتفعون بها.

٧ ﴿ إن الذين لا يرجون لقاءنا ﴾ بالبعث(٥) ﴿ ورضوا بالحياة الدنيا ﴾ بدل الآخرة بإنكارهم لها ﴿ واطمأنوا بها ﴾ سكنوا إليها ﴿ والذين هم عن آياتنا ﴾ دلائل وحدانيتنا ﴿ غافلون ﴾ تاركون للنظر فيها.

٨ ﴿ أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون ﴾ من الشرك والمعاصي.

٩ ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ﴾ يرشدهم ﴿ ربهم بإيمانهم ﴾ به(٦)، بأن يجعل لهم نوراً يهتدون به يوم القيامة ﴿ تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم ﴾.

١٠ ﴿ دعواهم

إِنَّهُۥ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ
حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ هُوَ ٱلَّذِى
جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ
عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ
يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ
وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ
لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ
بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا
غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ۖ
تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَىٰهُمْ

---

(١) وهي قراءة شاذة، والتقدير [لأنه..].

(٢) أي جزاءً عادلاً، يليق بصدق إيمانهم وصالح أعمالهم، فضلاً منه سبحانه.

(٣) والنور أقل من الضياء.

(٤) حساب الشهور والأيام والساعات، وزياداتها ونقصانها.

(٥) لا يتوقعونه، فلا يطمعون في ثوابنا ولا يخافون من عقابنا.

(٦) أي بسبب تصديقهم بالله تعالى وتوحيده وعبادته، وتصديقهم برسل الله عليهم الصلاة والسلام وعملهم بما جاؤوا به من شرائع.

=التوبة آيتين مع خزيمة الأنصاري، لم أجدهما مع أحد غيره: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم﴾ إلى آخرهما، وكانت الصحف التي جمع فيها القرآن عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حتى توفاه الله، ثم عند حفصة بنت عمر. [البخاري: التفسير، باب: قوله: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم..﴾ / التوبة: ١٢٨/، رقم: ٤٤٠٢] [مقتل أهل اليمامة: أيام قتل من قتل من المسلمين في المعركة التي كانت بينهم وبين مسيلمة الكذاب، واليمامة معدودة من نجد. استحر: اشتد وكثر. بالقراء: أي حفظة القرآن. المواطن: المواضع التي سيغزو فيها المسلمون، والمعارك التي تكون بينهم وبين أعدائهم. لا نتهمك: لا نشك في أمانتك وحفظك وإتقانك لكتاب الله تعالى. فتتبع القرآن: أي ابحث عن الرقاع ونحوها، مما كتب عليه القرآن أيام النبي ﷺ. والرقاع جمع رقعة، وهي القطعة من ورق أو جلد أو نحو ذلك. الأكتاف: جمع كتف، وهو عظم عريض يكون على أعلى الظهر. العسب: جمع عسيب، وهو جريد النخل العريض. لم أجدهما: مكتوبتين. من أنفسكم: منكم. عزيز: شديد. ما عنتم: مشقتكم ولقاؤكم المكروه. حريص عليكم: على هدايتكم ونجاتكم].

فائدة: قال ابن كثير في تفسير الآية [٥]:
يخبر تعالى عما خلق من الآيات الدالة على كمال قدرته وعظيم سلطانه، وأنه جعل الشعاع الصادر عن جرم الشمس ضياءً وشعاع القمر نوراً، هذا فن وهذا فن آخر، ففاوت بينهما لئلا يشتبها، وجعل سلطان الشمس بالنهار وسلطان القمر بالليل، وقدر القمر منازل، فأول ما يبدو صغيراً، ثم يتزايد نوره وجرمه حتى يستوسق ويكمل إبداره، ثم يشرع في النقص حتى يرجع إلى حاله الأول في تمام شهر، كما قال تعالى: ﴿والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم. لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون﴾ [يس:=

فيها ﴾ طلبهم لما يشتهونه في الجنة أن يقولوا ﴿ سبحانك اللهم ﴾ أي يا الله، فإذا ما طلبوه وجدوه بين أيديهم ﴿ وتحيتهم ﴾ فيما بينهم ﴿ فيها سلام وآخر دعواهم أن ﴾ مفسرة ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾(١).

١١ ونزل لما استعجل المشركون العذاب ﴿ ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم ﴾ أي كاستعجالهم ﴿ بالخير لقضي ﴾ بالبناء للمفعول وللفاعل(٢) ﴿ إليهم أجلهم ﴾ بالرفع والنصب(٣)، بأن يهلكهم، ولكن يمهلهم ﴿ فنذر ﴾ نترك ﴿ الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم(٤) يعمهون ﴾ يترددون متحيرين.

١٢ ﴿ وإذا مس الإنسان ﴾ الكافر ﴿ الضر ﴾ المرض والفقر ﴿ دعانا لجنبه ﴾ أي مضطجعاً ﴿ أو قاعداً أو قائماً ﴾ أي في كل حال ﴿ فلما كشفنا عنه ضره مر ﴾ على كفره(٥) ﴿ كأن ﴾ مخففة واسمها محذوف، أي كأنه ﴿ لم يدعنا إلى ضر مسه كذلك ﴾ كما زين له الدعاء عند الضر والإعراض عند الرخاء ﴿ زين للمسرفين ﴾ المشركين ﴿ ما كانوا يعملون ﴾.

١٣ ﴿ ولقد أهلكنا القرون ﴾ الأمم ﴿ من قبلكم ﴾ يا أهل مكة ﴿ لما ظلموا ﴾ بالشرك ﴿ و ﴾ قد ﴿ جاءتهم رسلهم بالبينات ﴾ الدالات على صدقهم ﴿ وما كانوا ليؤمنوا ﴾ عطف على ظلموا ﴿ كذلك ﴾ كما أهلكنا أولئك ﴿ نجزي القوم المجرمين ﴾ الكافرين.

١٤ ﴿ ثم جعلناكم ﴾ يا أهل مكة ﴿ خلائف ﴾ جمع خليفة ﴿ في الأرض من بعدهم(٦) لننظر كيف تعملون ﴾ فيها، وهل تعتبرون بهم فتصدقوا رسلنا(٧)؟.

١٥ ﴿ وإذا تتلى عليهم آياتنا ﴾ القرآن ﴿ بينات ﴾ ظاهرات، حال ﴿ قال الذين لا يرجون لقاءنا ﴾ لا يخافون البعث(٨) ﴿ ائت بقرآن

فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ
أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ ۞ وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ
لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسۡتِعۡجَالَهُم بِٱلۡخَيۡرِ لَقُضِيَ إِلَيۡهِمۡ أَجَلُهُمۡۖ
فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿١١﴾
وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوۡ قَاعِدًا أَوۡ قَآئِمٗا
فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمۡ يَدۡعُنَآ إِلَىٰ ضُرّٖ
مَّسَّهُۥۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡمُسۡرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٢﴾
وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَآءَتۡهُمۡ
رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي
ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلۡنَٰكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ
مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لِنَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ
ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ

---

(١) أخرج مسلم عن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون، ولا يتفلون ولا يبولون، ولا يتغوطون ولا يمتخطون) قالوا: فما بال الطعام؟ قال: (جشاء ورشح كرشح المسك، يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس) [جشاء ورشح: أي تخرج فضلات الطعام والشراب جشاءً وعرقاً].

[مسلم: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: في صفات الجنة وأهلها. . ، رقم: ٢٨٣٥].

(٢) اي ﴿ لَقُضِيَ ﴾ و﴿ لَقَضَى ﴾.

(٣) بالرفع نائب فاعل على قراءة المبني للمفعول، أي المبني للمجهول. وبالنصب مفعول به على قراءة المبني للفاعل، أي المبني للمعلوم.

(٤) تمردهم وعنادهم. (٥) استمر عليه.

(٦) تخلفون من سبقكم من الأمم في وراثة الأرض، والانتفاع بنعم الله عزّ وجلّ.

(٧) أخرج مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون. فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء).

[مسلم: الذكر والدعاء والتوبة. . ، باب: أكثر أهل الجنة الفقراء. . ، رقم: ٢٧٤٢] فاتقوا. . : احذروا الافتتان بما في الدنيا من ملذات وشهوات، واحذروا الافتتان بالنساء، فيصدكم ذلكم عن العمل بطاعة الله عز وجل.

(٨) أي لأنهم لا يؤمنون بالبعث يوم القيامة ولا يتوقعونه فلا يخافون مما سيكون فيه من سوء العاقبة لهم على قولهم وكفرهم.

=٤٠ـ٤١]. وقال: ﴿والشمس والقمر حسباناً ذلك تقدير العزيز العليم﴾ [الأنعام: ٩٦]. وقال في هذه الآية الكريمة: ﴿وقدره﴾ أي القمر ﴿منازل لتعلموا عدد السنين والحساب﴾ فبالشمس تعرف الآيام، وبسير القمر تعرف الشهور والأعوام.

سبب نزول الآية [١٥]: قال مجاهد: نزلت في مشركي مكة.

قال مقاتل: وهم خمسة نفر: عبد الله بن أبي أمية المخزومي، والوليد بن المغيرة، ومكرز بن حفص، وعمرو بن عبد الله بن أبي قيس العامري، والعاص بن عامر. قالوا للنبي ﷺ: ائت بقرآن ليس فيه ترك عبادة اللات والعزى.

وقال الكلبي: نزلت في المستهزئين، قالوا يا محمد: ائت بقرآن غير هذا، فيه ما نسألك. [الواحدي].

غير هذا ﴾ ليس فيه عيب آلهتنا ﴿ أو بدله ﴾ من تلقاء نفسك ﴿ قل ﴾ لهم ﴿ ما يكون ﴾ ينبغي ﴿ لي أن أبدله من تلقاء ﴾ قِبل ﴿ نفسي إن ﴾ ما ﴿ أتبع إلا ما يوحى إليّ إني أخاف إن عصيت ربي ﴾ بتبديله ﴿ عذاب يوم عظيم ﴾ هو يوم القيامة.

١٦ ﴿ قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم ﴾ أعلمكم ﴿ به ﴾ ولا نافية عطف على ما قبله، وفي قراءة بلام(١) جواب لو، أي لأعلمكم به على لسان غيري ﴿فقد لبثت﴾ مكثت ﴿فيكم عمراً﴾ سنين أربعين(٢) ﴿من قبله﴾ لا أحدثكم بشيء ﴿ أفلا تعقلون ﴾ أنه ليس من قِبَلي.

١٧ ﴿ فمن ﴾ أي لا أحد ﴿ أظلم ممن افترى على الله كذباً ﴾ بنسبة الشريك إليه(٣) ﴿ أو كذب بآياته ﴾ القرآن ﴿ إنه ﴾ أي الشأن ﴿ لا يفلح ﴾ يسعد ﴿ المجرمون ﴾ المشركون(٤).

١٨ ﴿ ويعبدون من دون الله ﴾ أي غيره ﴿ ما لا يضرهم ﴾ إن لم يعبدوه ﴿ ولا ينفعهم ﴾ إن عبدوه، وهو الأصنام ﴿ ويقولون ﴾ عنها ﴿ هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل ﴾ لهم ﴿ أتنبئون الله ﴾ تخبرونه ﴿ بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض ﴾ استفهام إنكار، إذ لو كان له شريك لعلمه، إذ لا يخفى عليه شيء ﴿ سبحانه ﴾ تنزيهاً له ﴿ وتعالى عما يشركون ﴾ ـه معه.

١٩ ﴿ وما كان الناس إلا أمة واحدة ﴾ على دين واحد وهو الإسلام(٥)، من لدن آدم إلى نوح(٦)، وقيل: من عهد إبراهيم إلى عمرو بن لحي(٧) ﴿ فاختلفوا ﴾ بأن ثبت بعض وكفر بعض ﴿ ولولا كلمة سبقت من ربك ﴾ بتأخير الجزاء إلى يوم القيامة ﴿ لقضي بينهم ﴾ أي الناس في الدنيا ﴿ فيما فيه يختلفون ﴾ من الدين، بتعذيب الكافرين.

٢٠ ﴿ ويقولون ﴾ أي أهل مكة ﴿ لولا ﴾ هلا ﴿ أنزل

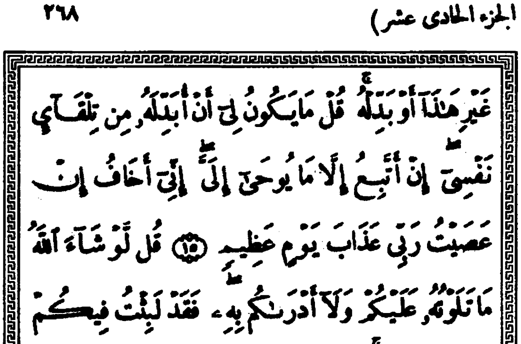
(الجزء الحادى عشر) ٢٦٨

غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ
نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ
عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ
مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ
عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ
ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ
ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ
وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ
أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ
سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ
إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ
لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ

---

(١) أي ﴿ ولأدراكم ﴾ وهي قراءة متواترة.

(٢) روى البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أنزل على رسول الله ﷺ وهو ابن أربعين سنة، فمكث ثلاث عشرة سنة ـ في رواية: يوحى إليه ـ ثم أمر بالهجرة، فهاجر إلى المدينة، فمكث بها عشر سنين، ثم توفي ﷺ. [البخاري: فضائل الصحابة، باب: مبعث النبي ﷺ، رقم: ٣٦٣٨. مسلم: الفضائل، باب: كم أقام النبي ﷺ بمكة والمدينة، رقم: ٢٣٥١].

(٣) أو بادعاء أنه أوحي إليه ولم يوح إليه شيء، أو غير وبدل من تلقاء نفسه.

(٤) والمفترون والمكذبون والمحرفون.

(٥) وهو المقصود بقوله ﷺ: (كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه) [البخاري: الجنائز، باب: ما قيل في أولاد المشركين، رقم: ١٣١٩. مسلم: القدر، باب: معنى كل مولود يولد على الفطرة...، رقم: ٢٦٥٨].

(٦) حيث ظهر في أمته من يعبد غير الله تعالى، كما قص علينا في القرآن، انظر: /نوح: ٢٣/.

(٧) فهو الذي أدخل الوثنية والشرك إلى بلاد العرب. أخرج البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: (رأيت جهنم يحطم بعضها بعضاً، ورأيت عمراً يجر قصبه، وهو أول من سيب السوائب). [البخاري: العمل في الصلاة، باب: إذا انفلتت الدابة في الصلاة، رقم: ١١٥٤. مسلم: الكسوف، باب: صلاة الكسوف، رقم: ٩٠١]

[يحطم...: يحرق...، وهو كناية عن عظيم شدتها. قصبه: أمعاءه وأحشاءه. سيب السوائب: جمع سائبة وهي الناقة أو غيرها من الأنعام تترك وترسل، فلا تمنع من ماء ولا تصد عن مرعى، ولا تحلب ولا تركب، يفعلون ذلك تقرباً من الأصنام التي زعموها آلهة، والذي أدخل هذا المعتقد عليهم هو عمرو بن لحي، ولذا كان عقابه شديداً في جهنم].

عليه﴾ على محمد ﷺ ﴿آية(١) من ربه﴾ كما كان للأنبياء، من الناقة والعصا واليد ﴿فقل﴾ لهم ﴿إنما الغيب﴾ ما غاب عن العباد، أي أمره ﴿لله﴾ ومنه الآيات، فلا يأتي بها إلا هو، وإنما عليَّ التبليغ ﴿فانتظروا﴾ العذاب إن لم تؤمنوا ﴿إني معكم من المنتظرين﴾.

٢١ ﴿وإذا أذقنا الناس﴾ أي كفار مكة ﴿رحمة﴾ مطراً وخصباً ﴿من بعد ضراء﴾ بؤس وجدب(٢) ﴿مستهم إذا لهم مكر في آياتنا﴾ بالاستهزاء والتكذيب(٣) ﴿قل﴾ لهم ﴿الله أسرع مكراً﴾ مجازاة(٤) ﴿إن رسلنا﴾ الحفظة ﴿يكتبون ما تمكرون﴾ بالتاء والياء.

٢٢ ﴿هو الذي يسيركم﴾ وفي قراءة «يَنْشُرُكُمْ»(٥) ﴿في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك﴾ السفن ﴿وجرين بهم﴾ فيه التفات عن الخطاب ﴿بريح طيبة﴾ لينة ﴿وفرحوا بها(٦) جاءتها ريح عاصف﴾ شديدة الهبوب تكسر كل شيء ﴿وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم﴾ أي أهلكوا ﴿دعوا الله مخلصين له الدين﴾ الدعاء(٧) ﴿لئن﴾ لام قسم ﴿أنجيتنا من هذه﴾ الأهوال ﴿لنكونن من الشاكرين﴾ الموحدين.

عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ فَقُلۡ إِنَّمَا ٱلۡغَيۡبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي
مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ (٢٠) وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ مِّنۢ
بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُمۡ إِذَا لَهُم مَّكۡرٞ فِيٓ ءَايَاتِنَاۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسۡرَعُ
مَكۡرًاۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكۡتُبُونَ مَا تَمۡكُرُونَ (٢١) هُوَ ٱلَّذِي
يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ
وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ
وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ
دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ
لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ (٢٢) فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ
فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ
أَنفُسِكُمۖ مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُكُمۡ فَنُنَبِّئُكُم
بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ (٢٣) إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ

٢٣ ﴿فلما أنجاهم إذا هم يبغون(٨) في الأرض بغير الحق﴾ بالشرك ﴿يا أيها الناس إنما بغيكم﴾ ظلمكم ﴿على أنفسكم﴾ لأن إثمه عليها، هو ﴿متاع الحياة الدنيا﴾ تمتعون فيها قليلاً ﴿ثم إلينا مرجعكم﴾ بعد الموت ﴿فننبئكم بما كنتم تعملون﴾ فنجازيكم عليه، وفي قراءة بنصب متاع، أي تتمتعون(٩).

٢٤ ﴿إنما مثل﴾ صفة ﴿الحياة الدنيا كماء﴾ مطر

---

(١) معجزة، وهي الأمر الخارق لعادة الناس ومألوفهم.

(٢) شدة حاجة وفقر وبلاء، وقلة مطر وعشب، والجدب ضد الخصب.

(٣) سمي هذا مكراً ـ وهو صرف الشيء عن وجهه الظاهر بنوع من الحيلة والخداع ـ لما فيه من التضليل والتشويه.

(٤) أي إنه سبحانه أقدر على عقوبتكم، وعذابه في هلاككم أسرع إليكم مما يأتي منكم في تشويه الحق وإنكاره.

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية [٢١]: يخبر تعالى أنه إذا أذاق الناس رحمة من بعد ضراء مستهم، كالرخاء بعد الشدة، والخصب بعد الجدب، والمطر بعد القحط، ونحو ذلك ﴿إذا لهم مكر في آياتنا﴾ قال مجاهد: استهزاء وتكذيب. كما قال: ﴿وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضر مسه﴾ [يونس: ١٢]. وفي الصحيح: أن رسول الله ﷺ صلى بهم الصبح على أثر سماء ـ مطر ـ أصابهم من الليل، ثم قال: «هل تدرون ماذا قال ربكم الليلة». قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذاك كافر بي مؤمن بالكوكب». [البخاري: الاستسقاء، باب: قوله تعالى: ﴿وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون﴾ /الواقعة: ٨٢/. مسلم: الإيمان، باب: بيان كفر من قال: مطرنا بالنوء] والنوء: الكوكب.

وقوله: ﴿قل الله أسرع مكراً﴾ أي: أشد استدراجاً وإمهالاً، حتى يظن الظان من المجرمين أنه ليس بمعذب، وإنما هو في مهلة، ثم يؤخذ على غرة منه، والكاتبون الكرام يكتبون عليه جميع ما يفعله، ويحصونه عليه، ثم يعرضونه على عالم الغيب والشهادة، فيجازيه على الحقير والجليل، والنقير والقطمير. [النقير: الثقب الصغير الذي يكون خلف نواة التمرة. والقطمير: هو قشرة النواة، والمراد: يحاسب على كل شيء مهما صغر].

(٥) من النُّشْر، وهي قراءة متواترة، قرأ بها أبو جعفر وابن عامر من القراء العشر. [النشر في القراءات العشر].

(٦) لأنها توافق رغبتهم وتحقق لهم مقصودهم بلطف.

(٧) فلا يشركون به أحداً في الدعاء وطلب النجاة.

(٨) يفسدون ويعتدون.

(٩) أي متاع منصوب بفعل تقديره: تتمتعون.

قال ابن كثير في تفسيره هذه الآية [٢٣]: ثم قال الله تعالى: ﴿يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم﴾ أي: إنما يذوق وبال هذا البغي أنتم أنفسكم ولا تضرون به أحداً غيركم، كما جاء في الحديث: «ما من ذنب أجدر أن يعجل الله عقوبته في الدنيا ـ مع ما

﴿ أنزلناه من السماء فاختلط به ﴾ بسببه ﴿ نبات الأرض ﴾ واشتبك بعضه ببعض ﴿ مما يأكل الناس ﴾ من البر والشعير وغيرهما ﴿ والأنعام ﴾ من الكلأ ﴿ حتى إذا أخذت الأرض زخرفها ﴾ بهجتها من النبات ﴿ وازينت ﴾ بالزهر، وأصله تزينت، أبدلت التاء زاياً وأدغمت في الزاي ﴿ وظن أهلها أنهم قادرون عليها ﴾ متمكنون من تحصيل ثمارها ﴿ أتاها أمرنا ﴾ قضاؤنا، أو عذابنا ﴿ ليلاً أو نهاراً فجعلناها ﴾ أي زرعها ﴿ حصيداً ﴾ كالمحصود بالمناجل(١) ﴿ كأن ﴾ مخففة، أي كأنها ﴿ لم تغن ﴾ تكن(٢) ﴿ بالأمس كذلك نفصل ﴾ نبين ﴿ الآيات لقوم يتفكرون ﴾ .

٢٥ ﴿ والله يدعو إلى دار السلام ﴾ أي السلامة، وهي الجنة، بالدعاء إلى الإيمان ﴿ ويهدي من يشاء ﴾ هدايته ﴿ إلى صراط مستقيم ﴾ دين الإسلام(٣).

٢٦ ﴿ للذين أحسنوا ﴾ بالإيمان ﴿ الحسنى ﴾ الجنة ﴿ وزيادة ﴾ هي النظر إليه تعالى، كما في حديث مسلم(٤) ﴿ ولا يرهق ﴾ يغشى ﴿ وجوههم قتر ﴾ سواد(٥) ﴿ ولا ذلة ﴾ كآبة ﴿ أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ﴾ .

٢٧ ﴿ والذين ﴾ عطف على الذين أحسنوا، أي وللذين ﴿ كسبوا السيئات ﴾ عملوا الشرك(٦) ﴿ جزاء سيئة بمثلها(٧) وترهقهم ذلة ما لهم من الله من ﴾ زائدة ﴿ عاصم ﴾ مانع ﴿ كأنما أغشيت ﴾ ألبست ﴿ وجوههم قطعاً ﴾ بفتح الطاء جمع قطعة، وإسكانها أي جزءاً ﴿ من الليل مظلماً أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ .

٢٨ ﴿ و ﴾ اذكر ﴿ يوم نحشرهم ﴾ أي الخلق ﴿ جميعاً

(الجزء الحادى عشر) ٢٧٠

أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا
يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ
زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ
أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ
بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾
وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ
صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾ * لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ
وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ
هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ
سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ
كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ
أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا

يدخر الله لصاحبه في الآخرة - من البغي وقطيعة الرحم». [الترمذي: صفة القيامة، باب: انظروا إلى من هو أسفل منكم، رقم: ٢٥١٣. أبو داود: الأدب، باب: في النهي عن البغي، رقم: ٤٩٠٢. ابن ماجه: الزهد، باب: البغي، رقم: ٤٢١١].

وقوله: ﴿متاع الحياة الدنيا﴾ أي: إنما لكم متاع الحياة الدنيا الدنيئة الحقيرة ﴿ثم إلينا مرجعكم﴾ أي: مصيركم ومآلكم ﴿فننبئكم﴾ أي: فنخبركم بجميع أعمالكم، ونوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه.

(١) المقطوع بها، والمناجل جمع مِنْجل، وهو حديدة معقوفة محددة يقطع بها الزرع.

(٢) قائمة، من غني بالمكان إذا أقام به.

(٣) أخرج البخاري عن جابر رضي الله عنه قال: جاءت ملائكة إلى النبي ﷺ وهو نائم، فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إنّ العين نائمة والقلب يقظان، فقالوا: إن لصاحبكم مثلاً، فاضربوا له مثلاً. فقال بعضهم: إنّه نائم، وقال بعضهم: إنّ العين نائمة والقلب يقظان. فقالوا: مثله كمثل رجل بنى داراً وجعل فيها مأدبة، وبعث داعياً، فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة، ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة. فقالوا: أولوها له يفقهها، فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إنّ العين نائمة والقلب يقظان. فقالوا: الدار الجنة، والداعي محمد - ﷺ - فمن أطاع محمداً ﷺ فقد أطاع الله، ومن عصى محمداً ﷺ فقد عصى الله، ومحمد ﷺ فرق بين الناس. [البخاري: الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، رقم: ٦٨٥٢] [المأدبة: هي الطعام الذي يصنع ويدعى إليه الناس. فرق بين الناس: أي ميز بين مؤمنهم وكافرهم].

(٤) الذي رواه عن صهيب رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى: أتريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم تبارك وتعالى). زاد في رواية: ثم تلا هذه الآية ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ [مسلم: الإيمان، باب: إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى، رقم: ١٨١]. وعن ابن جرير من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: (فالحسنى الجنة، والزيادة النظر إلى وجه الرحمن عز وجل).

(٥) وهو ما يعلو وجوه الكفار يومئذ من شحوب الوجه، لشدة أهوال الموقف، وخوفهم مما سيلقونه من العذاب.

(٦) والكبائر من الذنوب.

(٧) ما يقابلها ويترتب عليها من العقاب دون مضاعفة.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «يؤتى

ثم نقول للذين أشركوا مكانكم ﴾ نصب بالزموا مقدراً ﴿ أنتم ﴾ تأكيد للضمير المستتر في الفعل المقدر، ليعطف عليه ﴿ وشركاؤكم ﴾ أي الأصنام ﴿ فزيلنا ﴾ ميزنا ﴿ بينهم ﴾ وبين المؤمنين، كما في آية «وامتازوا اليوم أيها المجرمون» /يس: ٥٩/﴿ وقال﴾ لهم ﴿ شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون ﴾ ما نافية، وقدم المفعول للفاصلة(١).

٢٩ ﴿ فكفى بالله شهيداً بيننا وبينكم إن ﴾ مخففة، أي إنا ﴿ كنا عن عبادتكم لغافلين ﴾(٢).

٣٠ ﴿ هنالك ﴾ أي ذلك اليوم ﴿ تبلوا ﴾ من البلوى(٣)، وفي قراءة بتاءين من التلاوة(٤) ﴿ كل نفس ما أسلفت ﴾ قدمت من العمل ﴿ وردوا إلى الله مولاهم الحق ﴾ الثابت الدائم ﴿ وضل ﴾ غاب ﴿ عنهم ما كانوا يفترون ﴾ عليه من الشركاء.

٣١ ﴿ قل ﴾ لهم ﴿ من يرزقكم من السماء ﴾ بالمطر ﴿ والأرض ﴾ بالنبات ﴿ أمن يملك السمع ﴾ بمعنى الأسماع، أي خلقها ﴿ والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر ﴾ بين الخلائق ﴿ فسيقولون ﴾ هو ﴿ الله فقل ﴾ لهم ﴿ أفلا تتقونـ ﴾ ـه فتؤمنوا.

٣٢ ﴿ فذلكم ﴾ الفعَّال لهذه الأشياء ﴿ الله ربكم الحق ﴾ الثابت ﴿ فماذا بعد الحق إلا الضلال ﴾ استفهام تقرير، أي ليس بعده غيره، فمن أخطأ الحق ـ وهو عبادة الله ـ وقع في الضلال ﴿ فأنى ﴾ كيف ﴿ تصرفون ﴾ عن الإيمان مع قيام البرهان.

٣٣ ﴿ كذلك ﴾ كما صرف هؤلاء عن الإيمان ﴿ حقت(٥) كلمت ربك على الذين فسقوا ﴾ كفروا، وهي(٦) «لأملأن جهنم» الآية/ السجدة: ١٣/ أو هي ﴿ أنهم لا يؤمنون ﴾.

٣٤ ﴿ قل هل من شركائكم(٧) من يبدؤ الخلق(٨) ثم يعيده(٩)

٢٧١ (سورة يونس)

ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ ۚ فَزَيَّلْنَا
بَيْنَهُمْ ۖ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾
فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ
لَغَٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوٓا۟
إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾
قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ
ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ
ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ
أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ
ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ
كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾
قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ

يوم القيامة بأنعم أهل الدنيا من الكفار، فيقال: اغمسوه في النار غمسة. فيغمس فيها ثم يقال له: أي فلان، هل أصابك نعيم قط ؟ فيقول: لا، ما أصابني نعيم قط. ويؤتى بأشد المؤمنين ضراً فيقال: اغمسوه غمسة في الجنة. فيغمس فيها غمسة، فيقال له: أي فلان هل أصابك ضر قط أو بلاء ؟ فيقول: ما أصابني قط ضر ولا بلاء». [ابن ماجه: الزهد، باب: صفة النار، رقم: ٤٣٢١].

(١) أي لتناسب رأس الآية مع التي قبلها، وإلا فأصل الكلام: تعبدوننا.

(٢) لا نعلم أنكم تعبدوننا ولا نشعر بذلك، ولو علمنا أو شعرنا لم نرض به. قال ابن كثير: وفي هذا تبكيت عظيم للمشركين الذين عبدوا مع الله غيره، ممن لا يسمع ولا يبصر، ولا يغني عنهم شيئاً، ولم يأمرهم بذلك ولا رضي به ولا أراده، بل تبرأ منهم في وقت أحوج ما يكونون إليه، وقد تركوا عبادة الحي القيوم، السميع البصير، القادر على كل شيء، العليم بكل شيء، وقد أرسل رسله وأنزل كتبه، آمراً بعبادته وحده لا شريك له، ناهياً عن عبادة ما سواه، كما قال تعالى: ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة﴾ [النحل: ٣٦]. وقال تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾ [الأنبياء: ٢٥]. وقال: ﴿واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون﴾ [الزخرف: ٤٥]. والمشركون أنواع وأقسام كثيرون، قد ذكرهم الله في كتابه، وبين أحوالهم وأقوالهم، ورد عليهم فيما هم فيه أتم رد.

(٣) اي تختبر وتعلم.

(٤) أي ﴿تتلوا﴾ بمعنى تقرأ. قال ابن كثير: وفسرها بعضهم بمعنى تتبع ما قدمته من خير وشر. وفسرها بعضهم بحديث: «تتبع كل أمة ما كانت تعبد، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت. . . » الحديث.

(٥) وجبت. (٦) أي كلمة ربك.

(٧) من تخضعون له، أو تعظمونه تعظيم عبادة وتقديس، من إنسان أو حيوان أو شجر أو حجر.

(٨) يستطيع أن ينشئه لأول مرة على غير مثال سبق.

(٩) بعد موته و فنائه، على صورته وهيئته كما كان أول مرة.

فائدة: الحديث الذي ذكر ابن كثير جزءاً منه في تفسير الآية [٣٠]: هو بتمامه ما أخرجه البخاري [التوحيد، باب: قول الله

قل الله يبدؤ الخلق ثم يعيده فأنىٰ تؤفكون ﴾ تصرفون عن عبادته مع قيام الدليل.

٣٥ ﴿ **قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحق** ﴾ بنصب الحجج وخلق الاهتداء ﴿ **قل الله يهدي للحق أفمن يهدي إلى الحق** ﴾ وهو الله ﴿ **أحق أن يتبع أمن لا يهدِّي** ﴾ يهتدي ﴿ **إلا أن يهدى** ﴾[1] أحق أن يتبع؟ استفهام تقرير وتوبيخ، أي الأول أحق ﴿ **فمالكم كيف تحكمون** ﴾ هذا الحكم الفاسد من اتباع ما لا يحق اتباعه.

٣٦ ﴿ **وما يتبع أكثرهم** ﴾ في عبادة الأصنام ﴿ **إلا ظناً** ﴾[2] حيث قلدوا فيه آباءهم ﴿ **إن الظن لا يغني من الحق شيئاً** ﴾ فيما المطلوب منه العلم ﴿ **إن الله عليم بما يفعلون** ﴾ فيجازيهم عليه.

٣٧ ﴿ **وما كان هذا القرآن أن يفترى** ﴾ أي افتراء[3] ﴿ **من دون الله** ﴾ أي غيره ﴿ **ولكن** ﴾ أنزل ﴿ **تصديق الذي بين يديه** ﴾[4] من الكتب ﴿ **وتفصيل الكتاب** ﴾ تبيين ما كتبه الله من الأحكام وغيرها ﴿ **لا ريب** ﴾ شك ﴿ **فيه من رب العالمين** ﴾ متعلق بتصديق، أو بأنزل المحذوف، وقرىء برفع تصديق وتفصيل بتقدير هو[5].

٣٨ ﴿ **أم** ﴾ بل أ ﴿ **يقولون افتراه** ﴾ اختلقه محمد ﴿ **قل فأتوا بسورة مثله** ﴾ في الفصاحة والبلاغة على وجه الافتراء، فإنكم عربيون فصحاء مثلي ﴿ **وادعوا** ﴾ للإعانة عليه ﴿ **من استطعتم من دون الله** ﴾ أي غيره ﴿ **إن كنتم صادقين** ﴾ في أنه افتراء، فلم يقدروا على ذلك. قال تعالى وتنزه:

٣٩ ﴿ **بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه** ﴾ أي بالقرآن ولم يتدبروه ﴿ **ولما** ﴾ لم ﴿ **يأتهم تأويله** ﴾ عاقبة ما فيه من الوعيد ﴿ **كذلك** ﴾ التكذيب ﴿ **كذب الذين من قبلهم** ﴾ رسلهم ﴿ **فانظر كيف**

قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ

---

[1] أي لا يهتدي بحال من الأحوال إلا أن يهديه غيره، هذا إن كان من العقلاء، وإن كان من غيرها كالأصنام فهو أعجز، لأنها لا تتحرك إلا بتحريك غيرها.

[2] وهماً لا علم لهم بحقيقته، ولا برهان لديهم على صحته.

[3] يختلق ويدعى.

[4] تقدمه وأتى قبله.

[5] والتقدير: [ولكن هو تصديقُ.. وتفصيلُ..] وهي قراءة شاذة.

تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة. إلى ربها ناظرة﴾ / القيامة: ٢٢-٢٣/، رقم: ٧٠٠٠] ومسلم [الإيمان، باب: معرفة طريق الرؤية، رقم: ١٨٢]: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الناس قالوا: يارسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «هل تضارون في القمر ليلة البدر». قالوا: لا يارسول الله، قال: «فهل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب». قالوا: لا يارسول الله. قال: «فإنكم ترونه كذلك، يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبعه، فيتبع من يعبد الشمس الشمس، ويتبع من يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها شافعوها، أو منافقوها، فيأتيهم الله فيقول: أنا ربكم، فيقولون: هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه. فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا، فيتبعونه، ويضرب الصراط بين ظهري جهنم، فأكون أنا وأمتي أول من يجيزها، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل، ودعوى الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان، هل رأيتم السعدان» قالوا: نعم يارسول الله، قال: «فإنها مثل شوك السعدان، غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله، تخطف الناس بأعمالهم، فمنهم المؤمن يبقى بعمله، أو الموبق بعمله، أو الموثق بعمله، ومنهم المخردل، أو المجازى، أو نحوه، ثم يتجلى، حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد، وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار، أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئاً، ممن أراد الله أن يرحمه، ممن يشهد أن لا إله إلا الله، فيعرفونهم في النار بأثر السجود، تأكل النار ابن آدم إلا أثر السجود، حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود، فيخرجون من النار قد امتحشوا، فيصب عليهم ماء الحياة، فينبتون تحته كما تنبت الحبة في حميل السيل، ثم يفرغ الله من القضاء بين العباد، ويبقى رجل مقبل بوجهه على النار، هو آخر أهل النار دخولاً الجنة، فيقول: أي رب، اصرف وجهي عن النار، فإنه قد قشبني ريحها، وأحرقني ذكاؤها، فيدعو الله بما شاء أن يدعوه، ثم يقول الله: هل عسيت إن أعطيت ذلك أن تسألني غيره؟ فيقول: لا وعزتك

كان عاقبة الظالمين ﴾ بتكذيب الرسل، أي آخر أمرهم من الهلاك، فكذلك نهلك هؤلاء.

٤٠ ﴿ ومنهم ﴾ أي أهل مكة ﴿ من يؤمن به ﴾ لعلم الله ذلك منهم ﴿ ومنهم من لا يؤمن به ﴾ أبداً ﴿ وربك أعلم بالمفسدين ﴾ تهديد لهم.

٤١ ﴿ وإن كذبوك فقل ﴾ لهم ﴿ لي عملي ولكم عملكم ﴾ أي لكل جزاء عمله ﴿ أنتم بريئون مما أعمل(١) وأنا بريء مما تعملون ﴾(٢) وهذا (٣) منسوخ بآية السيف.

٤٢ ﴿ ومنهم من يستمعون إليك ﴾ إذا قرأت القرآن ﴿ أفأنت تسمع الصم ﴾ شبههم بهم في عدم الانتفاع بما يتلى عليهم ﴿ ولو كانوا ﴾ مع الصمم ﴿ لا يعقلون ﴾ يتدبرون.

٤٣ ﴿ ومنهم من ينظر إليك(٤) أفأنت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون ﴾ شبههم بهم في عدم الاهتداء(٥)، بل أعظم(٦) «فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور»/الحج: ٤٦/.

٤٤ ﴿ إن الله لا يظلم الناس شيئاً(٧) ولكن الناس أنفسهم يظلمون ﴾(٨).

٤٥ ﴿ ويوم نحشرهم(٩) كأن ﴾ أي كأنهم ﴿ لم يلبثوا ﴾ في الدنيا أو القبور ﴿ إلا ساعة من النهار ﴾ لهول ما رأوا، وجملة التشبيه حال من الضمير ﴿ يتعارفون بينهم ﴾ يعرف بعضهم بعضاً إذا بعثوا، ثم ينقطع التعارف لشدة الأحوال والأهوال، والجملة حال مقدرة، أو متعلق الظرف(١٠) ﴿ قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله ﴾ بالبعث ﴿ وما كانوا مهتدين ﴾.

٤٦ ﴿ وإما ﴾ فيه إدغام نون إن الشرطية في ما المزيدة ﴿ نرينك بعض الذي نعدهم ﴾ به من العذاب في حياتك، وجواب الشرط محذوف أي فذاك ﴿ أو نتوفينك ﴾ قبل تعذيبهم ﴿ فإلينا مرجعهم ثم الله شهيد ﴾ مطلع ﴿ على ما يفعلون ﴾ من تكذيبهم وكفرهم، فيعذبهم أشد العذاب. ٤٧ ﴿ ولكل

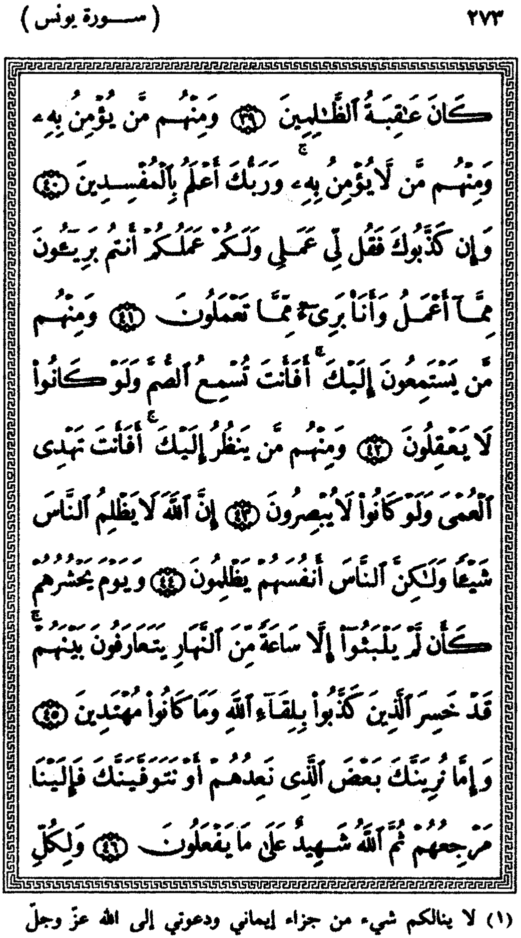
٢٧٣ (سورة يونس)

كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾ وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ
وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾
وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ
مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ وَمِنْهُم
مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟
لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تَهْدِى
ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ
شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ
كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ
قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾
وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا
مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَلِكُلِّ

---

(١) لا ينالكم شيء من جزاء إيماني ودعوتي إلى الله عزّ وجلّ وعبادتي له وحده.

(٢) لا يصيبني شيء من عقاب كفركم واستمراركم على باطلكم.

(٣) أي ما يقتضيه النص من المسامحة وعدم التعرض لهم، وأما أخذ كل بعمله فهو من المحكم الذي لا يقبل النسخ. وآية السيف هي الآيات التي تأمر بقتال الكفار إذا لم يذعنوا للحق.

(٤) يعاينون الأدلة الناطقة بصدقك وأنك نبي مرسل.

(٥) أي شبههم بمن عميت أبصارهم في عدم الاهتداء إلى ما ينفعهم.

(٦) أي أشد ممن عميت أبصارهم في عدم الاهتداء إلى مقصدهم، لأنهم عميت بصائرهم، فلا يدركون ما ينفعهم.

(٧) بإجبارهم على مسالك الضلال.

(٨) باختيارهم سبيل الكفر والفسوق والعصيان.

(٩) ونجمعهم للحساب.

(١٠) أي نحشرهم مقدرين التعارف، أو يتعارفون وقت حشرهم.

=لا أسألك غيره، ويعطي ربه من عهود ومواثيق ما شاء، فيصرف الله وجهه عن النار، فإذا أقبل على الجنة ورآها سكت ما شاء الله أن يسكت، ثم يقول: أي رب، قدمني إلى باب الجنة، فيقول الله له: ألست قد أعطيت عهودك ومواثيقك أن لا تسألني غير الذي أعطيت أبداً ؟ ويلك يا ابن آدم ما أغدرك، فيقول: أي رب، ويدعو الله حتى يقول: هل عسيت إذا أعطيت ذلك أن تسأل غيره ؟ فيقول: لا وعزتك، لا أسألك غيره. ويعطي ما شاء من عهود ومواثيق، فيقدمه إلى باب الجنة، فإذا قام إلى باب الجنة انفهقت له الجنة، فرأى ما فيها من الحبرة والسرور، فيسكت ما شاء الله أن يسكت، ثم يقول: أي رب، أدخلني الجنة، فيقول الله: ألست قد أعطيت عهودك ومواثيقك أن لا تسأل غير ما أعطيت ؟ فيقول: ويلك يا ابن آدم ما أغدرك، فيقول: أي رب، لا أكونن أشقى خلقك، فلا يزال يدعو حتى يضحك الله منه، فإذا ضحك منه قال له: ادخل الجنة، فإذا دخلها قال الله له: تمنه، فسأل ربه وتمنى، حتى إن الله ليذكره، يقول: كذا وكذا، حتى انقطعت به الأماني، قال الله: ذلك لك ومثله معه».

قال أبو هريرة: فذلك الرجل آخر أهل الجنة دخولاً الجنة.

فائدة: في إعجاز القرآن. قال ابن كثير في تفسير الآيات [٣٧-٤٠] من سورة يونس: هذا بيان لإعجاز القرآن، وأنه لا يستطيع البشر أن يأتوا بمثله، ولا بعشر سور، ولا بسورة من=

أمة ﴾ من الأمم ﴿ رسول فإذا جاء رسولهم ﴾ إليهم فكذبوه ﴿ قضي بينهم بالقسط ﴾ بالعدل، فيعذبون وينجى الرسول ومن صدقه ﴿ وهم لا يظلمون ﴾ بتعذيبهم بغير جرم، فكذلك نفعل بهؤلاء.

٤٨ ﴿ ويقولون متى هذا الوعد ﴾ بالعذاب ﴿ إن كنتم صادقين ﴾ فيه.

٤٩ ﴿ قل لا أملك لنفسي ضراً ﴾ أدفعه ﴿ ولا نفعاً ﴾ أجلبه ﴿ إلا ما شاء الله ﴾ أن يقدرني عليه، فكيف أملك لكم حلول العذاب؟ ﴿ لكل أمة أجل ﴾ مدة معلومة لهلاكهم ﴿ إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ﴾ يتأخرون عنه ﴿ ساعة ولا يستقدمون ﴾ يتقدمون عليه.

٥٠ ﴿ قل أرأيتم ﴾ أخبروني ﴿ إن أتاكم عذابه ﴾ أي الله ﴿ بياتاً ﴾ ليلاً ﴿ أو نهاراً ماذا ﴾ أي شيء ﴿ يستعجل منه ﴾ أي العذاب ﴿ المجرمون ﴾ المشركون؟ فيه وضع الظاهر موضع المضمر⁽¹⁾، وجملة الاستفهام جواب الشرط، كقولك: إن أتيتك ماذا تعطيني؟ والمراد به التهويل، أي ما أعظم ما استعجلوه.

٥١ ﴿ أثم إذا ما وقع ﴾ حل بكم ﴿ آمنتم به ﴾ أي الله، أو العذاب عند نزوله، والهمزة لإنكار التأخير، فلا يقبل منكم، ويقال لكم ﴿ آلآن ﴾ تؤمنون ﴿ وقد كنتم به تستعجلون ﴾ استهزاءً.

٥٢ ﴿ ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد ﴾ أي الذي تخلدون فيه ﴿ هل ﴾ ما ﴿ تجزون إلا ﴾ جزاء ﴿ بما كنتم تكسبون ﴾.

٥٣ ﴿ ويستنبئونك ﴾ يستخبرونك ﴿ أحق هو ﴾ أي ما وعدتنا به من العذاب والبعث ﴿ قل إي ﴾ نعم ﴿ وربي إنه لحق وما أنتم بمعجزين ﴾ بفائتين العذاب⁽²⁾.

٥٤ ﴿ ولو أن لكل نفس ظلمت ﴾ كفرت ﴿ ما في الأرض ﴾ جميعاً من الأموال ﴿ لافتدت به ﴾ من العذاب يوم القيامة ﴿ وأسروا الندامة ﴾ على ترك الإيمان ﴿ لما رأوا

أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ
وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن
كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا
نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ
فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ
إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ
ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ
كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟
عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾
* وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ
وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ
مَا فِى ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟

---

(١) وكان تقدير الكلام: ماذا يستعجلون منه.

(٢) هاربين منه وسابقونه، بل هو مدرككم لا محالة.

= مثله، لأنه بفصاحته وبلاغته ووجازته وحلاوته، واشتماله على المعاني العزيزة، النافعة في الدنيا والآخرة، لا يكون إلا من عند الله الذي لا يشبهه شيء في ذاته ولا صفاته، ولا في أفعاله وأقواله، فكلامه لا يشبه كلام المخلوقين، ولهذا قال تعالى: ﴿وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله﴾ أي: مثل هذا القرآن لا يكون إلا من عند الله، ولا يشبه هذا كلام البشر ﴿ولكن تصديق الذي بين يديه﴾ أي من الكتب المتقدمة، ومهيمناً عليها، ومبيناً لما وقع فيها من التحريف والتأويل والتبديل. وقوله: ﴿وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين﴾ أي: وبيان الأحكام والحلال والحرام، بياناً شافياً كافياً حقاً لا مرية فيه، من الله رب العالمين، كما تقدم في حديث الحارث الأعور، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه [مسند أحمد: ١/ ٩١]: «فيه خبر ما قبلكم، ونبأ ما بعدكم، وفصل ما بينكم» أي: خبرٌ عما سلف وعما سيأتي، وحَكَم فيما بين الناس بالشرع الذي يحبه الله ويرضاه. وقوله: ﴿أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين﴾ أي: إن ادعيتم وافتريتم وشككتم في أن هذا من عند الله، وقلتم كذباً ومَيْناً: إن هذا من عند محمد، فمحمد بشر مثلكم، وقد جاء فيما زعمتم بهذا القرآن، فأتوا أنتم بسورة مثله، أي: من جنس القرآن، واستعينوا على ذلك بكل ما قدرتم عليه من إنس وجان. وهذا هو المقام الثالث في التحدي، فإنه تعالى تحداهم ودعاهم إن كانوا صادقين في دعواهم - أنه من عند محمد - فلتعارضوه بنظير ما جاء به وحده، واستعينوا بمن شئتم. وأخبر أنهم لا يقدرون على ذلك، ولا سبيل لهم إليه، فقال تعالى: ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾ [الإسراء: ٨٨]. ثم تقاصر معهم إلى عشر سور منه، فقال في أول سورة هود [١٣]: ﴿أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين﴾. ثم تنازل إلى سورة، فقال في هذه السورة: ﴿أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين﴾ وكذا في سورة البقرة - وهي مدنية - تحداهم بسورة منه، وأخبر أنهم لا يستطيعون ذلك أبداً، فقال: ﴿فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار. . .﴾ الآية [٢٤]. هذا وقد كانت الفصاحة من سجاياهم، وأشعارهم ومعلقاتهم إليها المنتهى في هذا =

العذاب ﴾ أخفاها رؤساؤهم عن الضعفاء الذين أضلوهم، مخافة التعيير(١) ﴿ وقضي بينهم ﴾ بين الخلائق ﴿ بالقسط ﴾ بالعدل ﴿ وهم لا يظلمون ﴾ شيئاً.

٥٥ ﴿ ألا إن لله ما في السموات والأرض(٢) ألا إن وعد الله ﴾ بالبعث والجزاء ﴿ حق ﴾ ثابت ﴿ ولكن أكثرهم ﴾ أي الناس ﴿ لا يعلمون ﴾ ذلك.

٥٦ ﴿ هو يحيي ويميت وإليه ترجعون ﴾ في الآخرة، فيجازيكم بأعمالكم.

٥٧ ﴿ يا أيها الناس ﴾ أي أهل مكة ﴿ قد جاءتكم موعظة من ربكم ﴾ كتاب فيه ما لكم وما عليكم(٣)، وهو القرآن ﴿ وشفاء ﴾ دواء ﴿ لما في الصدور ﴾ من العقائد الفاسدة والشكوك ﴿ وهدى ﴾ من الضلال ﴿ ورحمة للمؤمنين ﴾ به.

٥٨ ﴿ قل بفضل الله ﴾ الإسلام ﴿ وبرحمته ﴾ القرآن ﴿ فبذلك ﴾ الفضل والرحمة ﴿ فليفرحوا هو خير مما يجمعون ﴾ من الدنيا(٤)، بالياء والتاء. ٥٩ ﴿ قل أرأيتم ﴾ أخبروني ﴿ ما أنزل الله ﴾ خلق ﴿ لكم من رزق فجعلتم منه حراماً وحلالاً ﴾ كالبحيرة والسائبة والميتة(٥) ﴿ قل آلله أذن لكم ﴾ في ذلك التحليل والتحريم؟ لا ﴿ أم ﴾ بل ﴿ على الله تفترون ﴾ تكذبون بنسبة ذلك إليه.

٦٠ ﴿ وما ظن الذين يفترون على الله الكذب ﴾ أي أيّ شيء ظنهم به ﴿ يوم القيامة ﴾ أيحسبون أنه لا يعاقبهم؟ لا ﴿ إن الله لذو فضل على الناس ﴾ بإمهالهم والإنعام عليهم(٦) ﴿ ولكن أكثرهم لا يشكرون ﴾.

٦١ ﴿ وما تكون ﴾ يا محمد ﴿ في شأن ﴾ أمر ﴿ وما تتلو منه ﴾ أي من الشأن، أو الله ﴿ من قرآن ﴾ أنزله عليك ﴿ ولا تعملون ﴾ خاطبه وأمته ﴿ من عمل إلا كنا

ٱلْعَذَابَ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾
أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ
حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ
وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ
مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ
لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟
هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم
مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ
أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى
ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ
وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ
وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا

---

(١) أي خشية أن يوبخهم أتباعهم في الدنيا، وقيل: أسروا بمعنى أظهروا، قال تعالى في شأنهم: ﴿أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين﴾/الزمر: ٥٦/ أي المستهزئين بما جاء به الرسل. والندامة والحسرة بمعنى واحد.

(٢) أي كل ما في الكون مملوك لله تعالى، فلا يملك أحد سواه منه شيئاً، ليفتدي به نفسه من العذاب.

(٣) وفيه تذكير وإرشاد لكم لما فيه نفعكم من محاسن الأعمال، وزجر وردع عما يضرها من قبائح الفعال.

(٤) في الحديث: (من هداه الله للإسلام وعلمه القرآن، ثم شكا الفاقة، كتب الله الفقر بين عينيه إلى يوم القيامة) وقرأ الآية. وقوله [بالياء والتاء] أي: ﴿يجمعون﴾ و ﴿تجمعون﴾ قراءتان متواترتان.

(٥) حيث حرموا البحيرة والسائبة وهما حلال طيب، وأحلوا الميتة وهي حرام خبيث. انظر/ المائدة: ١٠٣/.

(٦) وإرسال الرسل إليهم يبينون الحلال والحرام.

= الباب، ولكن جاءهم من الله ما لا قبل لأحد به، ولهذا آمن من آمن منهم بما عرف من بلاغة هذا الكلام وحلاوته، وجزالته وطلاوته، وإفادته وبراعته، فكانوا أعلم الناس به، وأفهمهم له، وأتبعهم له، وأشدهم له انقياداً، كما عرف السحرة ـ لعلمهم بفنون سحرهم ـ أن هذا الذي فعله موسى عليه السلام لا يصدر إلا عن مؤيد مسدد مرسل من الله، وأن هذا لا يستطاع لبشر إلا بإذن الله. وكذلك عيسى عليه السلام بعث في زمان علماء الطب ومعالجة المرضى، فكان يبرىء الأكمه والأبرص، ويحيي الموتى بإذن الله، ومثل هذا لا مدخل للعلاج والدواء فيه، فعرف من عرف منهم أنه عبد الله ورسوله. ولهذا جاء في الصحيح: عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما من نبي من الأنبياء إلا وقد أوتي من الآيات ما آمن على مثله البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً=

=أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً». [البخاري: فضائل القرآن، باب: كيف نزول الوحي وأول ما نزل، رقم: ٤٦٩٦. مسلم: الإيمان، باب: وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ، رقم: ١٥٢]. وقوله: ﴿بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله﴾ يقول: بل كذب هؤلاء بالقرآن، ولم يفهموه ولا عرفوه=

فائدة: أخرج أحمد في مسنده [٣/ ٤٧٣] عن مالك بن نضلة رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ وأنا قَشِفُ الهيئة، فقال: «هل لك مال». قال: قلت: نعم. قال: «من أي المال». قال: قلت: من كل المال، من الإبل والرقيق والخيل والغنم. فقال: «إذا آتاك الله مالاً فليُرَ عليك». وقال: «هل تنتج إبل قومك صحاحاً آذانها، فتعمد إلى موسى فتقطع آذانها، فتقول: هذه بُحُر، وتشقها أو تشق جلودها وتقول: هذه صُرُم، وتحرمها عليك وعلى أهلك». قال: نعم. قال: «فإن ما آتاك الله لك حل، وساعد الله=

عليكم شهوداً ﴾ رقباء ﴿ إذ تفيضون ﴾ تأخذون ﴿ فيه ﴾ أي العمل(١) ﴿ وما يعزب ﴾ يغيب ﴿ عن ربك من مثقال ﴾ وزن ﴿ ذرة ﴾ أصغر نملة ﴿ في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين ﴾ بين، هو اللوح المحفوظ. ٦٢ ﴿ ألا إن أولياء الله(٢) لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ في الآخرة.

٦٣ هم ﴿ الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ الله بامتثال أمره ونهيه(٣).

٦٤ ﴿ لهم البشرى في الحياة الدنيا ﴾ فسرت في حديث ـ صححه الحاكم ـ بالرؤيا الصالحة يراها الرجل أو تُرى له(٤) ﴿ وفي الآخرة ﴾ الجنة والثواب ﴿ لا تبديل لكلمات الله ﴾ لا خلف لمواعيده ﴿ ذلك ﴾ المذكور ﴿ هو الفوز العظيم ﴾. ٦٥ ﴿ ولا يحزنك قولهم ﴾ لك: لست مرسلاً وغيره ﴿ إن ﴾ استئناف ﴿ العزة ﴾ القوة ﴿ لله جميعاً هو السميع ﴾ للقول ﴿ العليم ﴾ بالفعل فيجازيهم وينصرك. ٦٦ ﴿ ألا إن لله من في السموات ومن في الأرض ﴾ عبيداً وملكاً وخلقاً ﴿ وما يتبع الذين يدعون ﴾ يعبدون ﴿ من دون الله ﴾ أي غيره أصناماً ﴿ شركاء ﴾ له على الحقيقة، تعالى عن ذلك ﴿ إن ﴾ ما ﴿ يتبعون ﴾ في ذلك ﴿ إلا الظن ﴾ أي ظنهم أنها آلهة تشفع لهم ﴿ وإن ﴾ ما ﴿ هم إلا يخرصون ﴾ يكذبون في ذلك.

٦٧ ﴿ هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً ﴾(٥) إسناد الإبصار إليه مجاز لأنه يبصر فيه ﴿ إن

عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ
مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ
مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ أَلَا إِنَّ
أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾
الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ
الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ
جَمِيعًا ۚ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَن
فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ ۗ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ
مِن دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ
هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ
لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ

---

(١) من أفاض في الأمر إذا اندفع فيه وخاض.

(٢) الذين يتولاهم بنصرته، ويعلي من شأنهم بعزته.

(٣) ويتحابون في الله تعالى، أخرج أبو داود عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إن من عباد الله لأناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله) قالوا: يا رسول الله، تخبرنا من هم؟ قال: (هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها، فوالله إن وجوههم لنور، وإنهم على نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس) وقرأ هذه الآية: ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ [أبو داود: البيوع والإجارات، باب: في الرهن، رقم: ٣٥٢٧]. يغبطهم: من الغبْطة، وهي تمني مثل حال ذي النعمة، من غير أن تزول عنه.

(٤) وأخرج الترمذي عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿لهم البشرى في الحياة الدنيا﴾ قال: (هي الرؤيا الصالحة، يراها المؤمن أو ترى له). وأخرج مثله عن أبي الدرداء رضي الله عنه. [أبواب الرؤيا، باب: قوله: ﴿لهم البشرى في الحياة الدنيا﴾]

وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (لم يبق من النبوة إلا المبشرات). قالوا: وما المبشرات؟ قال: (الرؤيا الصالحة). [البخاري: التعبير، باب: المبشرات، رقم: ٦٥٨٩].(٥) أي جعل لكم الليل مظلماً لتنقطعوا فيه عن الحركة والعمل، وتحصل لكم الراحة ويزول عنكم التعب. وجعل النهار مضيئاً لتبصروا فيه حوائجكم، وتتحركوا لكسب معايشكم.

= أشد من ساعدك، وموسى الله أحد من موساك». قال ابن كثير في تفسيره: وهذا حديث جيد قوي الإسناد. وقد أنكر الله تعالى على من حرم ما أحل الله، أو أحل ما حرم الله، بمجرد الآراء والأهواء، التي لا مستند لها ولا دليل عليها. ثم توعدهم على ذلك يوم القيامة، فقال: ﴿وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة﴾ أي: ما ظنهم أن يصنع بهم يوم مرجعهم إلينا يوم القيامة. [قشف: تارك للتنظيف والغسل والتجمل. بحر: جمع بحيرة، وهي مشقوقة الأذن. صرم: جمع صريم، وهي التي قطعت أذنها].

=﴿ولما يأتهم تأويله﴾ أي: ولم يحصلوا ما فيه من الهدى ودين الحق إلى حين تكذيبهم به جهلاً وسفهاً ﴿كذلك كذب الذين من قبلهم﴾ أي: من الأمم السالفة ﴿فانظر كيف كان عاقبة الظالمين﴾ أي: فانظر كيف أهلكناهم بتكذيبهم رسلنا ظلماً وعلواً، وكفراً وعناداً وجهلاً، فاحذروا أيها المكذبون أن يصيبكم ما أصابهم. وقوله: = ﴿ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربك أعلم بالمفسدين﴾ أي: ومن هؤلاء الذين بعثت إليهم يا محمد ﷺ من يؤمن بهذا القرآن، ويتبعك وينتفع بما أرسلت به ﴿ومنهم من لا يؤمن به﴾ بل يموت على ذلك ويبعث عليه ﴿وربك أعلم بالمفسدين﴾ أي: وهو أعلم بمن يستحق الهداية فيهديه، ومن =

في ذلك لآيات ﴾ دلالات على وحدانيته تعالى ﴿ لقوم يسمعون ﴾ سماع تدبر واتعاظ.

٦٨ ﴿ قالوا ﴾ أي اليهود والنصارى ومن زعم أن الملائكة بنات الله ﴿ اتخذ الله ولداً ﴾ قال تعالى لهم: ﴿ سبحانه ﴾ تنزيهاً له عن الولد ﴿ هو الغني ﴾ عن كل أحد، وإنما يطلب الولد من يحتاج إليه ﴿ له ما في السموات وما في الأرض ﴾ ملكاً وخلقاً وعبيداً ﴿ إن ﴾ ما ﴿ عندكم من سلطان ﴾ حجة ﴿ بهذا ﴾ الذي تقولونه ﴿ أتقولون على الله ما لا تعلمون ﴾ استفهام توبيخ.

٦٩ ﴿ قل إن الذين يفترون[1] على الله الكذب ﴾ بنسبة الولد إليه ﴿ لا يفلحون ﴾ لا يسعدون.

٧٠ لهم ﴿ متاع ﴾ قليل ﴿ في الدنيا ﴾ يتمتعون به مدة حياتهم ﴿ ثم إلينا مرجعهم ﴾ بالموت ﴿ ثم نذيقهم العذاب الشديد ﴾ بعد الموت ﴿ بما كانوا يكفرون ﴾.

٧١ ﴿ واتل ﴾ يا محمد ﴿ عليهم ﴾ أي كفار مكة ﴿ نبأ ﴾ خبر ﴿ نوح ﴾ ويبدل منه ﴿ إذ قال لقومه يا قوم إن كان كبر ﴾ شق ﴿ عليكم مقامي ﴾ لبثي فيكم ﴿ وتذكيري ﴾ وعظي إياكم ﴿ بآيات الله فعلى الله توكلت[2] فأجمعوا أمركم ﴾ اعزموا على أمر تفعلونه بي ﴿ وشركاءكم ﴾ الواو بمعنى مع[3] ﴿ ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ﴾ مستوراً، بل أظهروه وجاهروني به ﴿ ثم اقضوا إليّ ﴾ امضوا فيما أردتموه ﴿ ولا تنظرون ﴾ تمهلون، فإني لست مبالياً بكم.

٧٢ ﴿ فإن توليتم ﴾[4] عن تذكيري ﴿ فما سألتكم من أجر ﴾ ثواب عليه، فتولوا ﴿ إن ﴾ ما ﴿ أجري ﴾ ثوابي ﴿ إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين ﴾[5]

٧٣ ﴿ فكذبوه فنجيناه ومن معه في الفلك ﴾ السفينة

يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ
لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنْ عِندَكُم مِّن
سُلْطَٰنٍۭ بِهَٰذَآ ۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ
إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾
مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ
ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ * وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ
نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى
وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ
وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟
إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ
أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ
ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ

=يستحق الضلالة فيضله، وهو العادل الذي لا يجور، بل يعطي كُلاًّ ما يستحقه، تبارك وتعالى وتقدس وتنزه، لا إله إلا هو.

[1] يختلقون، والافتراء أسوء الكذب.

[2] فوضت أمري إليه واعتمدت عليه وحده، لا على أحد من خلقه.

[3] أي مع دعوتكم أصنامكم التي تزعمونها آلهة، لتعينكم على تدبيركم.

[4] أعرضتم، وأبيتم قبول الحق الذي جئتكم به.

[5] المنقادين الراضين بقضاء الله تعالى الممتثلين لأمره المجتنبين لنهيه، ماضياً في الدعوة للإسلام دين التوحيد، غير تارك له ولا ملتفت إلى سواه.
قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: أي وأنا ممتثل ما أمرت به من الإسلام لله عز وجل. والإسلام هو دين الأنبياء من أولهم إلى آخرهم، وإن تنوعت شرائعهم وتعددت مناهجهم، كما قال تعالى: ﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً﴾ [المائدة: ٤٨]. قال ابن عباس: سبيلاً وسنة. فهذا نوح يقول: ﴿وأمرت أن أكون من المسلمين﴾ [النمل: ٩١]. وقال تعالى عن إبراهيم الخليل: ﴿إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين. ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ [البقرة: ١٣١، ١٣٢]. وقال يوسف: ﴿رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السماوات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلماً وألحقني بالصالحين﴾ [يوسف: ١٠١]. وقال موسى: ﴿يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين﴾ [يونس: ٨٤]. وقالت السحرة: ﴿ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين﴾ [الأعراف: ١٢٦]. وقالت بلقيس: ﴿رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين﴾ [النمل: ٤٤]. وقال تعالى: ﴿إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا﴾ [المائدة: ٤٤]. وقال تعالى: ﴿وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأنا مسلمون﴾ [المائدة: ١١١]. وقال خاتم الرسل وسيد البشر: ﴿إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين. لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣] أي: من هذه الأمة، ولهذا قال في الحديث الثابت عنه: «نحن معاشر الأنبياء أولاد علات، ديننا واحد» [البخاري: الأنبياء، باب: ﴿واذكر في الكتاب مريم...﴾ / مريم: ١٦/ رقم: ٣٢٥٨. مسلم: الفضائل، باب: فضائل عيسى عليه السلام، رقم: ٢٣٦٥]. أي وهو عبادة الله وحده لا شريك له، وإن تنوعت شرائعنا، وذلك معنى قوله: «أولاد علات» وهم الإخوة من أمهات شتى والأب واحد.

﴿ وجعلناهم ﴾ أي من معه ﴿ خلائف ﴾ في الأرض ﴿ وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا ﴾ بالطوفان ﴿ فانظر كيف كان عاقبة المنذرين ﴾ من إهلاكهم، فكذلك نفعل بمن كذبك.

٧٤ ﴿ ثم بعثنا من بعده ﴾ أي نوح ﴿ رسلاً إلى قومهم ﴾ كإبراهيم وهود وصالح ﴿ فجاؤوهم بالبينات ﴾ المعجزات ﴿ فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل ﴾ أي قبل بعث الرسل إليهم ﴿ كذلك نطبع ﴾ نختم ﴿ على قلوب المعتدين ﴾ فلا تقبل الإيمان، كما طبعنا على قلوب أولئك.

٧٥ ﴿ ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون إلى فرعون وملئه ﴾ قومه ﴿ بآياتنا ﴾ التسع(١) ﴿ فاستكبروا ﴾ عن الإيمان بها ﴿ وكانوا قوماً مجرمين ﴾.

٧٦ ﴿ فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا إن هذا لسحر مبين ﴾ بين ظاهر.

٧٧ ﴿ قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم ﴾ إنه لسحر؟ ﴿ أسحر هذا ﴾ وقد أفلح من أتى به وأبطل سحر السحرة ﴿ ولا يفلح الساحرون ﴾(٢)؟ والاستفهام في الموضعين للإنكار.

٧٨ ﴿ قالوا أجئتنا لتلفتنا ﴾ لتردنا ﴿ عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما(٣) الكبرياء ﴾ الملك(٤) ﴿ في الأرض ﴾ أرض مصر ﴿ وما نحن لكما بمؤمنين ﴾ مصدقين.

٧٩ ﴿ وقال فرعون ائتوني بكل ساحر عليم ﴾ فائق في علم السحر.

٨٠ ﴿ فلما جاء السحرة قال لهم موسى ﴾ بعد ما قالوا له: «إما أنْ تُلقيَ وإما أنْ نكونَ نحنُ الملقينَ» / الأعراف: ١١٥/.

وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ
كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا
إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟
بِهِۦ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾
ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ
وَمَلَإِي۟هِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾
فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ
مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ ۖ أَسِحْرٌ
هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا
وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ
وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ
سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ

---

(١) أي مصحوبَيْن بآياتنا التسع، كما ذكر في قوله تعالى: ﴿ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات..﴾/الإسراء: ١٠١/. وهذه الآيات التسع ذكر منها اثنتان في قوله تعالى: ﴿فألقى عصاه.. ونزع يده..﴾ وواحدة في قوله تعالى ﴿ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين..﴾ وخمسة في قوله تعالى: ﴿فأرسلنا عليهم الطوفان..﴾/الأعراف: ١٠٧، ١٠٨، ١٣٠، ١٣٣/. وواحدة في قوله تعالى: ﴿ربنا اطمس على أموالهم..﴾/يونس: ٨٨/.

(٢) لا يفوزون بمطلوبهم ولا يصلون إلى غرضهم.

(٣) الخطاب لموسى وهارون عليهما السلام.

(٤) الحكم والسلطان، سمي بذلك لأنه أكبر ما يطلب من أعراض الدنيا، ولأنه يورث الكبر والترفع.

فائدة: قال ابن كثير في تفسير الآيات [٧٥ وما بعدها]: وكثيراً ما يذكر الله تعالى قصة موسى عليه السلام مع فرعون في كتابه العزيز، لأنها من أعجب القصص، فإن فرعون حَذِرَ من موسى كل الحذر فسخره القدر أن ربى هذا الذي يحذر منه على فراشه ومائدته بمنزلة الولد، ثم ترعرع وعقد الله له سبباً أخرجه من بين أظهرهم، ورزقه النبوة والرسالة والتكليم، وبعثه إليه ليدعوه إلى الله تعالى ليعبده ويرجع إليه، هذا مع ما كان عليه فرعون من عظمة المملكة والسلطان، فجاءه برسالة الله، وليس له وزير سوى أخيه هارون عليه السلام، فتمرد فرعون واستكبر وأخذته الحمية، والنفس الخبيثة الأبية، وقوي رأسه وتولى بركنه وادعى ما ليس له وتجهرم على الله، وعتا وبغى وأهان حزب الإيمان من بني إسرائيل، والله تعالى يحفظ رسوله موسى وأخاه هارون، ويحوطهما بعنايته ويحرسهما بعينه التي لا تنام، ولم تزل المحاجة والمجادلة والآيات تقوم على يدي موسى شيئاً بعد شيء، ومرة بعد مرة، مما يبهر العقول ويدهش الألباب، مما لا يقوم له شيء ولا يأتي به إلا من هو مؤيد من الله: ﴿وما نريهم من آية إلا هي أكبر من أختها﴾ [الزخرف: ٤٨]. وصمم فرعون وملؤه - قبحهم الله - على التكذيب بذلك كله، والجحد والعناد والمكابرة، حتى أحل الله بهم بأسه الذي لا يرد، وأغرقهم في صيحة واحدة أجمعين: ﴿فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين﴾ [الأنعام: ٤٥]. وذكر تعالى قصة السحرة مع موسى عليه السلام في سورة الأعراف، وفي هذه السورة، وفي سورة ﴿طه﴾ وفي الشعراء، وذلك أن فرعون لعنه الله أراد أن يتهرج على الناس، ويعارض ما جاء به موسى عليه السلام من الحق المبين بزخارف السحرة والمشعبذين، فانعكس عليه النظام، ولم يحصل له ذلك المرام، وظهرت البراهين الإلهية في ذلك المحفل العام: ﴿وألقي السحرة ساجدين. قالوا آمنا برب العالمين. رب موسى وهارون﴾ [الشعراء: ٤٦-٤٨] فظن فرعون أن

﴿ ألقوا ما أنتم ملقون ﴾.

٨١ ﴿ فلما ألقوا ﴾ حبالهم وعصيهم ﴿ قال موسى ما ﴾ استفهامية مبتدأ، خبره ﴿ جئتم به آلسحر ﴾ بدل(١)، وفي قراءة بهمزة واحدة، إخبار(٢)، فما اسم موصول مبتدأ ﴿ إن الله سيبطله ﴾ أي سيمحقه(٣) ﴿ إن الله لا يصلح عمل المفسدين ﴾(٤).

٨٢ ﴿ ويحق ﴾ يثبت ويظهر ﴿ الله الحق بكلماته ﴾ بمواعيده ﴿ ولو كره المجرمون ﴾.

٨٣ ﴿ فما آمن لموسى إلا ذرية ﴾ طائفة(٥) ﴿ من ﴾ أولاد ﴿ قومه ﴾ أي فرعون(٦) ﴿ على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم ﴾ يصرفهم عن دينهم بتعذيبه ﴿ وإن فرعون لعالٍ ﴾ متكبر ﴿ في الأرض ﴾ أرض مصر ﴿ وإنه لمن المسرفين ﴾ المتجاوزين الحد بادعاء الربوبية.

٨٤ ﴿ وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين ﴾.

٨٥ ﴿ فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ﴾ أي لا تظهرهم علينا، فيظنوا أنهم على الحق، فيفتتنوا بنا(٧).

٨٦ ﴿ ونجنا برحمتك من القوم الكافرين ﴾.

٨٧ ﴿ وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا ﴾ اتخذا ﴿ لقومكما بمصر بيوتاً واجعلوا بيوتكم قبلة ﴾ مصلى تصلون فيه لتأمنوا من الخوف، وكان فرعون منعهم من الصلاة ﴿ وأقيموا الصلاة ﴾ أتموها ﴿ وبشر المؤمنين ﴾ بالنصر والجنة.

٨٨ ﴿ وقال موسى ربنا إنك آتيت

٢٧٩ (سـورة يونس)

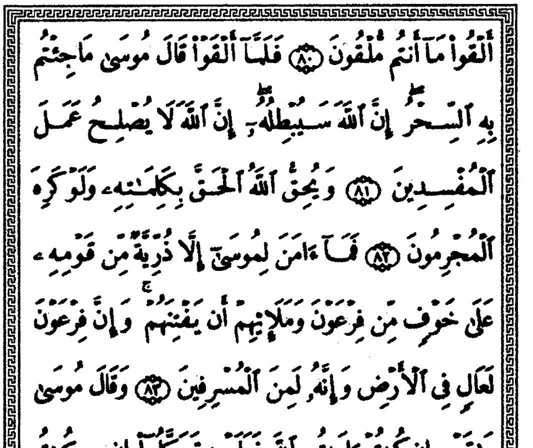

أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ

---

(١) من ما الاستفهامية، والمعنى: أي شيء جئتم به؟ أهو السحر.

(٢) أي بهمزة الوصل ﴿السحر﴾ دون همزة استفهام، والمعنى: الذي جئتم به هو السحر.

(٣) يذهبه فلا يبقى له أثر، ويفضح كذب فاعله.

(٤) لا يكمله ولا يبقيه بل يدمره.

(٥) أي عدد قليل.

(٦) وقيل: من قوم موسى عليه السلام.

(٧) فتكون سبب فتنتهم، لأنهم يزدادون فيما هم فيه من الباطل، ظناً أنه الحق.

يستنصر بالسحار على رسول عالم الأسرار، وخاب وخسر الجنة، واستوجب النار.

فائدة: عن ليث بن أبي سليم قال: بلغني أن هؤلاء الآيات شفاء من السحر بإذن الله تعالى، تقرأ في إناء فيه ماء، ثم يصب على رأس المسحور: الآية التي من سورة يونس: ﴿فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر إن الله سيبطله إن الله لا يصلح عمل المفسدين. ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون﴾. والآية الأخرى: ﴿فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون﴾ إلى آخر أربع آيات.. وقوله: ﴿إن ما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى﴾. [ابن كثير عن ابن أبي حاتم وابن جرير].

قال ابن كثير في تفسير الآيات [٨٣-٨٦]: يخبر تعالى أنه لم يؤمن بموسى عليه السلام - مع ما جاء به من الآيات البينات والحجج القاطعات والبراهين الساطعات - قليل من قوم فرعون من الذرية - وهم الشباب - على وجل وخوف منه ومن ملئه أن يردوهم إلى ما كانوا عليه من الكفر، لأن فرعون كان جباراً عنيداً مسرفاً في التمرد والعتو، وكانت له سطوة ومهابة تخاف رعيته منه خوفاً شديداً. قال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم﴾ قال: فإن الذرية التي آمنت لموسى من أناس غير بني إسرائيل من قوم فرعون يسير، منهم: امرأة فرعون، ومؤمن آل فرعون، وخازن فرعون، وامرأة خازنه.

وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله: ﴿فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه﴾ يقول: بني إسرائيل.

وقال مجاهد في قوله: ﴿إلا ذرية من قومه﴾ قال: هم أولاد الذين أرسل إليهم موسى من طول الزمان ومات آباؤهم.

واختار ابن جرير قول مجاهد في الذرية أنها من بني إسرائيل لا من قوم فرعون، لعود الضمير على أقرب المذكورين. وفي هذا نظر، لأنه أراد بالذرية الأحداث والشباب، وأنهم من بني إسرائيل، فالمعروف أن بني إسرائيل كلهم آمنوا بموسى عليه=

فرعون وملأه زينة(١) وأموالاً في الحياة الدنيا ربنا ﴾ آتيتهم ذلك ﴿ ليضلوا ﴾ في عاقبته ﴿ عن سبيلك ﴾ دينك ﴿ ربنا اطمس على أموالهم ﴾ امسخها(٢) ﴿ واشدد على قلوبهم ﴾ اطبع عليها واستوثق ﴿ فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم ﴾ (٣) المؤلم، دعا عليهم، وأمَّن هارون على دعائه.

٨٩ ﴿ قال ﴾ تعالى: ﴿ قد أجيبت دعوتكما ﴾(٤) فمسخت أموالهم حجارة، ولم يؤمن فرعون حتى أدركه الغرق ﴿ فاستقيما ﴾ على الرسالة والدعوة إلى أن يأتيهم العذاب ﴿ ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون ﴾ في استعجال قضائي، روي: أنه مكث بعدها أربعين سنة(٥).

٩٠ ﴿ وجاوزنا ببني إسرائيل البحر(٦) فأتبعهم ﴾ لحقهم ﴿ فرعون وجنوده بغياً وعدواً ﴾ مفعول له ﴿ حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه ﴾ أي بأنه، وفي قراءة بالكسر استئنافاً ﴿ لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين ﴾ كرره(٧) ليقبل منه فلم يقبل، ودس جبريل في فيه من حمأة البحر(٨) مخافة أن تناله الرحمة، وقال له:

٩١ ﴿ آلآن ﴾ تؤمن ﴿ وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ﴾ بضلالك وإضلالك عن الإيمان.

٩٢ ﴿ فاليوم ننجيك ﴾ نخرجك من البحر ﴿ ببدنك ﴾ جسدك الذي لا روح فيه ﴿ لتكون لمن خلفك ﴾ بعدك ﴿ آية ﴾ عبرة، فيعرفوا عبوديتك(٩) ولا يقدموا على مثل فعلك. وعن ابن عباس: أن بعض بني إسرائيل شكوا فيه موته، فأخرج لهم ليروه(١٠). ﴿ وإن كثيراً من الناس ﴾ أي أهل مكة ﴿ عن آياتنا لغافلون ﴾ لا يعتبرون بها.

٩٣ ﴿ ولقد بوأنا ﴾ أنزلنا ﴿ بني إسرائيل مبوأ صدق ﴾ منزل كرامة، وهو الشام ومصر ﴿ ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا ﴾ بأن آمن بعض وكفر بعض ﴿ حتى

(الجزء الحادى عشر) ٢٨٠

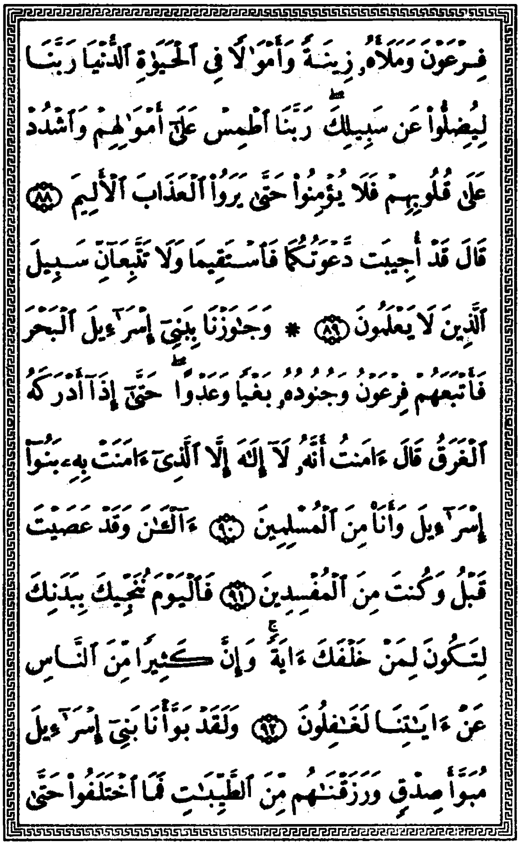

فِرۡعَوۡنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمۡوَٰلًا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا رَبَّنَا
لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَۖ رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ وَٱشۡدُدۡ
عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴿٨٨﴾
قَالَ قَدۡ أُجِيبَت دَّعۡوَتُكُمَا فَٱسۡتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ
ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٨٩﴾ * وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ
فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيٗا وَعَدۡوًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ
ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ
إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ
قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ
لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ
عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَقَدۡ بَوَّأۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ
مُبَوَّأَ صِدۡقٖ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخۡتَلَفُواْ حَتَّىٰ

---

(١) ما يتزين به كاللباس والأثاث وغير ذلك.

(٢) غيرها عن صورها وهيئتها، أو أهلكها. والطمس إزالة الأثر.

(٣) اجعل قلوبهم قاسية مغلقة لا يدخلها الإيمان إلا بعد أن تشاهد العذاب، وحينئذٍ لا ينفعها إيمان ولا توبة.

(٤) الخطاب لموسى وهارون عليهما السلام، لأن هارون بتأمينه على الدعاء صار داعياً.

(٥) أي تأخر نزول العذاب بهم أربعين سنة بعد الدعاء عليهم.

(٦) عبرناهم إياه حتى جاوزوه.

(٧) أي الإقرار بالإيمان والإسلام لله تعالى.

(٨) جعل في فمه شيئاً من الطين الأسود.

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: (لما أغرق الله فرعون قال: آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل. قال جبريل: يا محمد، فلو رأيتني وأنا آخذ من حال البحر فأدسه في فيه، مخافة ان تدركه الرحمة) أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن. [الترمذي: تفسير القرآن، باب: ومن سورة يونس، رقم: ٣١٠٦].[حال البحر: طينه الذي استحال حتى صار أسود].

(٩) يعلموا أنك عبد ويبطلوا دعوى ألوهيتك.

(١٠) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره للآية.

السلام واستبشروا به، وقد كانوا يعرفون نعته وصفته والبشارة به من كتبهم المتقدمة، وأن الله تعالى سينقذهم به من أسر فرعون ويظهرهم عليه، ولهذا لما بلغ هذا فرعون حذر كل الحذر، فلم يجد عنه شيئاً. ولما جاء موسى آذاهم فرعون أشد الأذى و: ﴿قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون﴾ [الأعراف: ١٢٩]. وإذا تقرر هذا فكيف يكون المراد إلا ذرية من قوم موسى وهم بنو إسرائيل؟. ﴿على خوف من فرعون وملئهم﴾ أي: وأشراف قومهم أن يفتنهم، ولم يكن في بني إسرائيل من يخاف منه=

=أن يفتن عن الإيمان سوى قارون، فإنه كان من قوم موسى فبغى عليهم، لكنه كان طاوياً إلى فرعون متصلاً به، متعلقاً بحباله. ومن قال: إن الضمير في قوله: ﴿وملئهم﴾ عائد إلى فرعون، وعظم الملك من أجل أتباعه ـ أو بحذف «آل» فرعون وإقامة المضاف إليه مقامه ـ فقد أبعد، وإن كان ابن جرير قد حكاهما عن بعض النحاة. ومما يدل على أنه لم يكن في بني إسرائيل إلا مؤمن قوله تعالى: ﴿يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين﴾ أي: فإن الله كاف من توكل عليه ﴿أليس الله بكاف عبده﴾ [الزمر: ٣٦] ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾ [الطلاق:=

جاءهم العلم(١) إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ﴾ من أمر الدين، بإنجاء المؤمنين وتعذيب الكافرين.

٩٤ ﴿ فإن كنت ﴾ يا محمد ﴿ في شك مما أنزلنا إليك ﴾ من القصص، فرضاً ﴿ فاسأل الذين يقرؤون الكتاب ﴾ التوراة ﴿من قبلك﴾ فإنه ثابت عندهم، يخبروك بصدقه. قال ﷺ: (لا أشك ولا أسأل)(٢) ﴿لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين﴾ الشاكين فيه.

٩٥ ﴿ ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين ﴾(٣).

٩٦ ﴿ إن الذين حقت ﴾ وجبت ﴿ عليهم كلمت ربك ﴾(٤) بالعذاب ﴿ لا يؤمنون ﴾.

٩٧ ﴿ ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم ﴾ فلا ينفعهم حينئذٍ.

٩٨ ﴿ فلولا ﴾ فهلا ﴿ كانت قرية ﴾ أريد أهلها(٥) ﴿ آمنت ﴾ قبل نزول العذاب بها ﴿ فنفعها إيمانها إلا ﴾ لكن ﴿ قوم يونس لما آمنوا ﴾ عند رؤية أمارة العذاب(٦)، ولم يؤخروا إلى حلوله ﴿ كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين ﴾ انقضاء آجالهم.

٩٩ ﴿ ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس ﴾ بما لم يشأه الله منهم ﴿ حتى يكونوا مؤمنين ﴾؟ لا.

١٠٠ ﴿ وما كان لنفس أن تؤمن

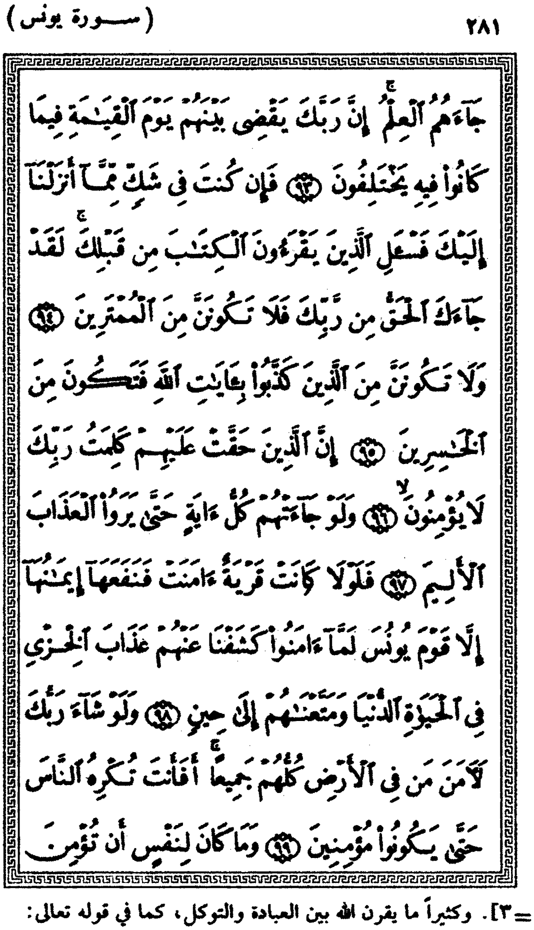

٢٨١ (سـورة يونس)

جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا
كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ
إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ
جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾
وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ
ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ
ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ
إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ
فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ
لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ
حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ

=٣]. وكثيراً ما يقرن الله بين العبادة والتوكل، كما في قوله تعالى: ﴿فاعبده وتوكل عليه﴾ [هود: ١٢٣]. ﴿قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا﴾ [الملك: ٢٩]. ﴿رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلاً﴾ [المزمل: ٩٠]. وأمر الله تعالى المؤمنين أن يقولوا في كل صلواتهم مرات متعددة: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾. وقد امتثل بنو إسرائيل ذلك فقالوا: ﴿على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين﴾ أي: لا تظفرهم بنا وتسلطهم علينا، فيظنوا أنهم إنما سلطوا لأنهم على الحق ونحن على الباطل، فيمتنوا بذلك. هكذا روي عن أبي مجلز وأبي الضحى. وقال ابن أبي نجيح وغير واحد عن مجاهد: لا تعذبنا بأيدي قوم فرعون ولا بعذاب من عندك، فيقول قوم فرعون: لو كانوا على حق ما عذبوا، ولا سلطنا عليهم فيفتنوا بنا. [ابن كثير نقلاً عن ابن جرير].

(١) نزل القرآن بما كانوا يعلمونه من بعثة محمد ﷺ.

(٢) أخرج ذلك ابن جرير في تفسيره عن قتادة رحمه الله تعالى.

(٣) في هذا تحذير للأمة من الشك أو التكذيب من باب أولى.

(٤) قضاؤه وحكمه.

(٥) أي المراد: أهل قرية.

(٦) علامته، وكانوا صادقين في إيمانهم.

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: والغرض أنه لم توجد قرية آمنت بكمالها بنبيهم ممن سلف من القرى، إلا قوم يونس، وهم أهل نينوى، وما كان إيمانهم إلا خوفاً من وصول العذاب الذي أنذرهم به رسولهم، بعد ما عاينوا أسبابه، وخرج رسولهم من بين أظهرهم، فعندها جأروا إلى الله واستغاثوا به وتضرعوا لديه واستكانوا، وأحضروا أطفالهم ودوابهم ومواشيهم، وسألوا الله تعالى أن يرفع عنهم العذاب الذي أنذرهم به نبيهم، فعندها رحمهم الله وكشف عنهم العذاب وأخروا، كما قال تعالى: ﴿إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين﴾. واختلف المفسرون: هل كشف عنهم العذاب الأخروي مع الدنيوي؟ أو إنما كشف عنهم في الدنيا فقط؟ على قولين، أحدهما: إنما كان ذلك في الحياة الدنيا، كما هو مقيد في هذه الآية. والقول الثاني: فيهما، لقوله تعالى: ﴿وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون. فآمنوا فمتعناهم إلى حين﴾ [الصافات: ١٤٨ـ١٧٤]. فأطلق عليهم الإيمان، والإيمان منقذ من العذاب الأخروي، وهذا هو الظاهر، والله أعلم.

وقال قتادة في تفسير هذه الآية: لم ينفع قرية كفرت ثم آمنت حين حضرها العذاب فتركت إلا قوم يونس، لما فقدوا نبيهم وظنوا أن العذاب قد دنا منهم، قذف الله في قلوبهم التوبة، ولبسوا المسوح، وفرَّقوا بين كل بهيمة وولدها، ثم عجُّوا إلى الله أربعين ليلة، فلما علم الله منهم الصدق من قلوبهم، والتوبة والندامة على ما مضى منهم، كشف الله عنهم العذاب بعد أن تدلى عليهم. قال قتادة: وذكر أن قوم يونس كانوا بنينوى أرض الموصل. [انظر تفسير الطبري] [المسوح: جمع مِسْح، وهو الثوب الغليظ من الشعر، ولبسه عنوان الزهد في الدنيا. عجوا: رفعوا أصواتهم بالدعاء].

إلا بإذن الله ﴾ بإرادته ﴿ **ويجعل الرجس** ﴾ العذاب ﴿ **على الذين لا يعقلون** ﴾ يتدبرون آيات الله⁽¹⁾.

١٠١ ﴿ **قل** ﴾ لكفار مكة ﴿ **انظروا ماذا** ﴾ أي الذي ﴿ **في السماوات والأرض** ﴾ من الآيات الدالة على وحدانية الله تعالى ﴿ **وما تغني الآيات والنذر** ﴾ جمع نذير، أي الرسل ﴿ **عن قوم لا يؤمنون** ﴾ في علم الله، أي ما تنفعهم⁽²⁾.

١٠٢ ﴿ **فهل** ﴾ فما ﴿ **ينتظرون** ﴾ بتكذيبك ﴿ **إلا مثل أيام الذين خلوا⁽³⁾ من قبلهم** ﴾ من الأمم، أي مثل وقائعهم من العذاب ﴿ **قل فانتظروا** ﴾ ذلك ﴿ **إني معكم من المنتظرين** ﴾⁽⁴⁾.

١٠٣ ﴿ **ثم ننجي** ﴾ المضارع لحكاية الحال الماضية ﴿ **رسلنا والذين آمنوا** ﴾ من العذاب ﴿ **كذلك** ﴾ الإنجاء ﴿ **حقاً علينا ننج المؤمنين** ﴾ النبي ﷺ وأصحابه حين تعذيب المشركين.

١٠٤ ﴿ **قل يا أيها الناس** ﴾ أي يا أهل مكة ﴿ **إن كنتم في شك من ديني** ﴾ أنه حق ﴿ **فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله** ﴾ أي غيره، وهو الأصنام، لشككم فيه⁽⁵⁾ ﴿ **ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم** ﴾ يقبض أرواحكم⁽⁶⁾ ﴿ **وأمرت أن** ﴾ أي بأن ﴿ **أكون من المؤمنين** ﴾.

١٠٥ ﴿ **و** ﴾ قيل لي ﴿ **أن أقم وجهك للدين حنيفاً** ﴾ مائلاً إليه⁽⁷⁾ ﴿ **ولا تكونن من المشركين** ﴾.

١٠٦ ﴿ **ولا تدع** ﴾ تعبد ﴿ **من دون الله ما لا ينفعك** ﴾ إن عبدته ﴿ **ولا يضرك** ﴾ إن لم تعبده ﴿ **فإن فعلت** ﴾ ذلك فرضاً ﴿ **فإنك إذاً من الظالمين** ﴾.

١٠٧ ﴿ **وإن يمسسك** ﴾ يصبك ﴿ **الله بضر** ﴾ كفقر ومرض ﴿ **فلا كاشف** ﴾ رافع

إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ قُلْ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ

---

(١) ويؤخذ من الآيتين: أن الله سبحانه وتعالى لم يجبر الناس على الإيمان، كما أنه لم يجبرهم على الكفر، مع قدرته على ذلك لو شاء، ولكنه سبحانه نصب الأدلة الداعية إلى الإيمان ودعاهم إليه، فمنهم من آمن بمحض اختياره، ومنهم من كفر، واستحق كُلٌّ جزاءه.

(٢) قال ابن كثير في تفسير هذه الآية [١٠١]: يرشد تعالى عباده إلى التفكر في آلائه وما خلق في السماوات والأرض من الآيات الباهرة لذوي الألباب، مما في السماوات من كواكب نيرات، ثوابت وسيارات، والشمس والقمر، والليل والنهار، واختلافهما وإيلاج أحدهما في الآخر، حتى يطول هذا ويقصر هذا، ثم يقصر هذا ويطول هذا. وارتفاع السماء واتساعها، وحسنها وزينتها، وما أنزل الله منها من مطر فأحيا به الأرض بعد موتها، وأخرج فيها من أفانين الثمار والزروع والأزاهير، وصنوف النبات، وما ذرأ فيها من دوابَّ مختلفة الأشكال والألوان والمنافع، وما فيها من جبال وسهول وقفار وعمران وخراب، وما في البحر من العجائب والأمواج، وهو مع هذا مذلل للسالكين، يحمل سفنهم، ويجري بها برفق بتسخير القدير له، لا إله إلا هو، ولا رب سواه.

وقوله: ﴿وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون﴾ أي: وأي شيء تجدي الآيات السماوية والأرضية، والرسل بآياتها وحججها وبراهينها الدالة على صدقها، عن قوم لا يؤمنون، كما قال: ﴿إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون. ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم﴾ [يونس: ٩٦-٩٧]

[وإيلاج: إدخال. أفانين: جمع فن، وهو الصنف والنوع. ذرأ: خلق ونشر. قفار: جمع قفر، وهو الأرض الواسعة التي لا نبات فيها ولا ماء].

(٣) مضوا وسبقوا. (٤) لعذابكم وما يقع بكم.

(٥) أي إن كان الحامل لكم على عبادة غير الله تعالى شككم فيما أدعوكم إليه، فأنا لست على شك منه حتى أعبد غيره سبحانه. بل أنا على يقين من أحقية ما أدعو إليه وبطلان ما تدعون إليه، والأدلة قاطعة على ذلك، فالذي يعبد بحق هو القادر على الإحياء والإماتة، وهو الله سبحانه وتعالى وحده.

وقال ابن كثير في تفسيرها: يقول تعالى لرسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه: قل يا أيها الناس، إن كنتم في شك من صحة ما جئتكم به من الدين الحنيف، الذي أوحاه الله إليَّ، فها أنا لا أعبد الذين تعبدون من دون الله، ولكن أعبد الله وحده لا شريك له، وهو الذي يتوفاكم كما أحياكم، ثم إليه مرجعكم، فإن كانت آلهتكم التي تدعون من دون الله حقاً فأنا لا أعبدها، فادعوها فلتضرني، فإنها لا تضر ولا تنفع، وإنما الذي بيده الضر والنفع هو الله وحده لا شريك له، وأمرت أن أكون من المؤمنين.

(٦) أي وهو الذي خلقكم، ثم يبعثكم بعد موتكم يوم القيامة.

(٧) عن كل ما سواه، مخلصاً في عبادتك لله تعالى وحده.

﴿ له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد ﴾ دافع ﴿ لفضله ﴾ الذي أرادك به ﴿ يصيب به ﴾ أي بالخير ﴿ من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم ﴾(١).

١٠٨ ﴿ قل يا أيها الناس ﴾ أي أهل مكة ﴿ قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ﴾ لأن ثواب اهتدائه له ﴿ ومن ضل فإنما يضل عليها ﴾ لأن وبال ضلاله عليها ﴿ وما أنا عليكم بوكيل ﴾(٢) فاجبركم على الهدى(٣).

١٠٩ ﴿ واتبع ما يوحى إليك ﴾ من ربك ﴿ واصبر ﴾ على الدعوة وأذاهم ﴿ حتى يحكم الله ﴾ فيهم بأمره ﴿ وهو خير الحاكمين ﴾ أعدلهم، وقد صبر حتى حكم على المشركين بالقتال، وأهل الكتاب بالجزية.

(سورة هود)(*)

«مكية إلا الآيات ١٢ و ١٧ و ١١٥ فمدنية وآياتها ١٢٣»
بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿ الر ﴾ الله أعلم بمراده بذلك(٤)، هذا ﴿ كتاب أحكمت(٥) آياته ﴾ بعجيب النظم وبديع المعاني ﴿ ثم فصلت ﴾ بُيِّنَت بالأحكام والقصص والمواعظ ﴿ من لدن حكيم خبير ﴾ أي الله.

٢ ﴿ أن ﴾ أي بأن ﴿ لا تعبدوا إلا الله إنني لكم منه

لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٖ فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦۚ يُصِيبُ
بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ١٠٧ قُلۡ
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ
فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۖ
وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ ١٠٨ وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ
وَٱصۡبِرۡ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ١٠٩

(١١) سُورَةُ هُودٍ مَكِّيَّة
وَآيَاتُهَا ثَلَاثٌ وَعِشْرُونَ وَمِائَة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ
حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ

---

(١) عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف النبي ﷺ يوماً، فقال: (يا غلام، إني أعلمك كلماتٍ: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك. إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف). رواه الترمذي [في صفة القيامة والرقائق، باب: ولكن يا حنظلة ساعة وساعة، رقم: ٢٥١٦] وقال: حديث حسن صحيح.

وفي رواية: (احفظ الله تجده أمامك، تعرّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً). ذكر هذه الرواية النووي رحمه الله تعالى في أربعينه، وذكر شراحها أنه أخرجه عبد بن حميد في مسنده].

[خلف النبي ﷺ: أي راكباً خلفه على دابته. يا غلام: وهو الصبي من حين يفطم إلى تسع سنين، وكان سنه إذ ذاك نحو عشر سنين. كلمات: أي جُمَلاً تحتوي على نصائح ينفعك الله بها. احفظ الله: اعرف حدوده وقف عندها، والتزم فرائضه، ولازم تقواه بفعل ما أمر به وترك ما نهى عنه. يحفظك: يَصُنْك ويَحْمِك في نفسك وأهلك، ودينك ودنياك. تجاهك: أمامك، أي تجده معك بالحفظ والتأييد، والنصرة والمعونة حيثما كنت. سألت: أردت أن تطلب شيئاً من شؤون الدنيا أو الدين. استعنت: طلبت الإعانة على أمر من أمور الدنيا أو الآخرة. الأمة: المراد سائر المخلوقين من العقلاء. رفعت الأقلام: تركت الكتابة بها، والمراد أنه قد قدّر كل شيء في علم الله تعالى وانتهى. جفت الصحف: المراد بالصحف ما كتب فيه مقادير المخلوقات كاللوح المحفوظ، وجفافها: انتهاء الأمر واستقراره، فلا تبديل فيها ولا تغيير. الرخاء: سعة العيش والأمن والراحة والصحة والقوة ونحو ذلك].

(٢) بحفيظ موكول إليّ أمركم، وأحفظ عليكم أعمالكم.

(٣) وإنما أنا بشير ونذير مبلغ عن الله عزّ وجلّ. جاء في الحديث القدسي: (يا عبادي، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أُوَفِّيكُم إيَّاها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يَلُومَنَّ إلا نفسه). [أخرجه مسلم في البر والصلة..، باب: تحريم الظلم، رقم: ٢٥٧٧].

(٤) وانظر/ البقرة: ١/.

(٥) من الإحكام وهو الإتقان، أو بمعنى: أنها لا ينسخها كتاب غيره.

(*) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله، قد شبت؟ قال: (شيَّبني هود، والواقعة، والمرسلات، و﴿عم يتساءلون﴾ و﴿إذا الشمس كورت﴾) [الترمذي: تفسير القرآن، باب: ومن سورة الواقعة، رقم: ٣٢٩٣].

قال العلماء: سبب شيبه ﷺ من هذه السور المذكورة في

نذير ﴾ بالعذاب إن كفرتم ﴿ وبشير ﴾ بالثواب إن آمنتم.

٣ ﴿ وأن استغفروا ربكم ﴾ من الشرك ﴿ ثم توبوا ﴾ ارجعوا ﴿ إليه ﴾ بالطاعة ﴿ يمتعكم ﴾ في الدنيا ﴿ متاعاً حسناً ﴾ بطيب عيش وسعة رزق ﴿ إلى أجل مسمى ﴾(١) هو الموت ﴿ويؤت﴾ في الآخرة ﴿كل ذي فضل ﴾ في العمل ﴿ فضله ﴾ جزاءه ﴿ وإن تولوا ﴾ فيه حذف إحدى التاءين(٢)، أي تعرضوا ﴿ فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير ﴾ هو يوم القيامة.

٤ ﴿ إلى الله مرجعكم وهو على كل شيء قدير ﴾ ومنه الثواب والعذاب.

٥ ونزل ـ كما رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما ـ فيمن كان يستحي أن يتخلى أو يجامع فيفضي إلى السماء(٣). وقيل في المنافقين ﴿ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه﴾ أي الله ﴿ألا حين يستغشون ثيابهم﴾ يتغطون بها ﴿يعلم﴾ تعالى: ﴿ما يسرون وما يعلنون﴾ فلا يغني استخفاؤهم ﴿إنه عليم بذات الصدور﴾ أي بما في القلوب.

٦ ﴿ وما من ﴾ زائدة ﴿ دابة في الأرض ﴾ هي ما دب عليها ﴿ إلا على الله رزقها ﴾ تكفل به فضلاً منه تعالى ﴿ ويعلم مستقرها ﴾ مسكنها في الدنيا، أو الصلب ﴿ ومستودعها ﴾ بعد الموت، أو الرحم ﴿ كل ﴾ مما ذكر ﴿ في كتاب مبين ﴾ بين، هو اللوح المحفوظ.

٧ ﴿ وهو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ﴾ أولها الأحد وآخرها الجمعة ﴿ وكان عرشه ﴾ قبل خلقهما ﴿ على الماء ﴾ وهو على متن الريح(٤) ﴿ ليبلوكم ﴾ متعلق بخلق، أي خلقهما وما فيهما من منافع لكم ومصالح ليختبركم ﴿ أيكم أحسن عملاً ﴾ أي أطوع لله ﴿ ولئن قلت ﴾ يا محمد لهم ﴿ إنكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا إن ﴾ ما ﴿ هذا ﴾ القرآن الناطق بالبعث، أو الذي تقوله ﴿ إلا سحر مبين ﴾ بين، وفي قراءة «ساحر» والمشار إليه(٥) النبي ﷺ.

(الجزء الحادى عشر) ٢٨٤

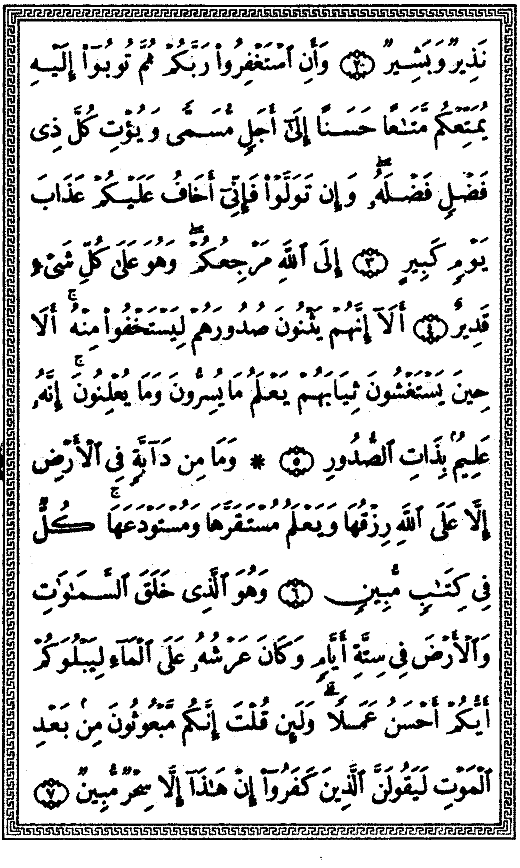

نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ
يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى
فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ
يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ
قَدِيرٌ ﴿٤﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ۚ أَلَا
حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ
عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٥﴾ * وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ
إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ
فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ
أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ
ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾

الحديث لما فيها من ذكر القيامة والبعث والحساب والجنة والنار، والله تعالى أعلم. هذا وقد ثبت أنه ﷺ توفي وليس في شعره من الشيب إلا القليل، فقد قال أنس بن مالك رضي الله عنه في وصفه ﷺ: فتوفاه الله وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء.

[البخاري: المناقب، باب: صفة النبي ﷺ، رقم: ٣٣٥٥. مسلم: الفضائل، باب: في صفة النبي ﷺ ومبعثه وسنه، رقم: ٢٣٤٧].

(١) معين ومحدد. (٢) وأصله: تتولوا.

(٣) يتخلى: يقضي حاجته من بول أو غائط. يجامع: زوجته. فيفضي: تنكشف عورته باتجاه السماء. [البخاري: التفسير/هود، باب ﴿ألا إنهم يثنون صدورهم..﴾ رقم: ٤٤٠٤ ـ ٤٤٠٦].

(٤) أخرج البخاري عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: دخلت على النبي ﷺ وعقلت ناقتي بالباب، فأتى ناس من بني تميم، فقال: (اقبلوا البشرى يا بني تميم) فقالوا: بشرتنا فأعطنا، مرتين. فتغير وجهه، ثم دخل عليه ناس من أهل اليمن، فقال: (اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم) قالوا: قبلنا يا رسول الله، ثم قالوا: جئنا لنتفقه في الدين، ولنسألك عن أول هذا الأمر ما كان؟ قال: (كان الله سبحانه وتعالى ولم يكن معه شيء قبله، وكان عرشه على الماء، ثم خلق السماوات والأرض، وكتب في الذكر كل شيء) ثم أتاني رجل فقال: يا عمران، أدرك ناقتك فقد ذهبت. فانطلقت أطلبها فإذا السراب يقطع دونها، وأيم الله لوددت أنها ذهبت ولم أقم. [انظر البخاري: بدء الخلق، باب: ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده..﴾ رقم: ٣٠١٨، ٣٠١٩. والتوحيد، باب: ﴿وكان عرشه على الماء﴾ رقم: ٦٩٨٢].

البشرى: أراد بها ما يجازى به المسلمون وما تصير إليه عاقبة أمرهم من النصر في الدنيا والفوز بالجنة في الآخرة. أهل اليمن: وهم الأشعريون قوم أبي موسى رضي الله عنه وعنهم. هذا الأمر: خلق الكون. وأيم الله: يمين الله، وهي صيغة من صيغ القسم واليمين.

(٥) أي في قوله ﴿إن هذا..﴾ وذلك على قراءة: ﴿ساحر﴾.

سبب نزول الآية [٥]: عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿ألا إنهم يثنون صدورهم﴾. قال: أناس كانوا يستحيون أن يتخلوا فيفضوا

٨ ﴿ ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى ﴾ مجيء ﴿ أمة ﴾ أوقات(١) ﴿ معدودة ليقولن ﴾ استهزاء ﴿ ما يحبسه ﴾ ما يمنعه من النزول؟ قال تعالى: ﴿ ألا يوم يأتيهم ليس مصروفاً ﴾ مدفوعاً ﴿ عنهم وحاق ﴾ نزل ﴿ بهم ما كانوا به يستهزئون ﴾ من العذاب(٢).

٩ ﴿ ولئن أذقنا الإنسان ﴾ الكافر ﴿ منا رحمة ﴾ غنى وصحة ﴿ ثم نزعناها منه إنه ليؤوس ﴾ قنوط من رحمة الله ﴿ كفور ﴾ شديد الكفر به.

١٠ ﴿ ولئن أذقناه نعماء(٣) بعد ضراء ﴾ فقر وشدة ﴿ مسته ليقولن ذهب السيئات ﴾ المصائب ﴿ عني ﴾ ولم يتوقع زوالها، ولا شكر عليها ﴿ إنه لفرح ﴾ بطر ﴿ فخور ﴾ على الناس بما أوتي.

١١ ﴿ إلا ﴾ لكن ﴿ الذين صبروا ﴾ على الضراء ﴿ وعملوا الصالحات ﴾ في النعماء ﴿ أولئك لهم مغفرة وأجر كبير ﴾ هو الجنة.

١٢ ﴿ فلعلك ﴾ يا محمد ﴿ تارك بعض ما يوحى إليك ﴾ فلا تبلغهم إياه لتهاونهم به ﴿ وضائق به صدرك ﴾ بتلاوته عليهم، لأجل ﴿ أن يقولوا لولا ﴾ هلا ﴿ أنزل عليه كنز(٤) أو جاء معه ملك ﴾ يصدقه كما اقترحنا ﴿ إنما أنت نذير ﴾ فما عليك إلا البلاغ، لا الإتيان بما اقترحوه ﴿ والله على كل شيءٍ وكيل ﴾ حفيظ، فيجازيهم(●).

١٣ ﴿ أم ﴾ بل أ ﴿ يقولون افتراه ﴾(٥) أي القرآن ﴿ قل فأتوا بعشر سور مثله ﴾ في الفصاحة والبلاغة ﴿ مفتريات ﴾ فإنكم عربيون فصحاء مثلي، تحداهم بها أولاً(٦)، ثم بسورة(٧) ﴿ وادعوا ﴾ للمعاونة على ذلك ﴿ من استطعتم من دون الله ﴾ أي غيره ﴿ إن كنتم صادقين ﴾ في أنه افتراء.

٢٨٥ (سورة هود)

وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ
مَا يَحْبِسُهُۥٓ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ
بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ
مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَـٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾
وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ
ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟
وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾
فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ
أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَآ
أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ
ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَـٰتٍ وَٱدْعُوا۟
مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٣﴾

---

(١) طائفة من الأزمنة والأوقات، وأصل الأمة في اللغة الجماعة من الناس، فكأنه قيل: إلى انقراض أمة ومجيء أمة أخرى.

(٢) أي وبال ما كانوا يستعجلون به من العذاب استهزاءً.

(٣) سعة في النعمة.

(٤) مال كثير يستغني به عن العمل ونحوه، وينفقه على الناس. [انظر: الإسراء: ٩٠ـ٩٣. الفرقان: ٧ـ٩].

(٥) اختلقه وأتى به من عند نفسه.

(٦) بعد أن تحداهم أن يأتوا بمثل جميع القرآن، كما في/ الإسراء: ٨٨/ و/ الطور: ٣٤/.

(٧) كما في/ البقرة: ٢٣/ و/ يونس: ٣٨/.

(●) قال الخازن عند تفسيره للآية: أجمع المسلمون على أنه ﷺ فيما كان طريقه البلاغ فإنه معصوم فيه من الإخبار عن شيء منه بخلاف ما هو به، لا خطأً ولا عمداً ولا سهواً ولا غلطاً، وأنه ﷺ بلغ جميع ما أنزل الله عليه إلىٰ أمته ولم يكتم منه شيئاً. وأجمعوا على أنه لا يجوز علىٰ رسول الله ﷺ خيانة في الوحي والإنذار، ولا يترك بعض ما أوحي إليه لقول أحد، لأن تجويز ذلك يؤدي إلى الشك في أداء الشرائع والتكاليف. لأن المقصود في إرسال الرسول التبليغ إلىٰ من أرسل إليه، فإذا لم يحصل ذلك فقد فاتت فائدة الرسالة والنبي ﷺ معصوم من ذلك كله. وإذا ثبت هذا وجب أن يكون المراد بقوله تعالى: ﴿فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك﴾ أن الكفار كانوا يستهزئون بالقرآن ويضحكون

إلى السماء، وأن يجامعوا نساءهم، فيفضوا إلى السماء، فنزل ذلك فيهم. [انظر حاشية: ٣].

وأخرج ابن جرير عن عبد الله بن شدّاد قال: كان أحدهم إذا مرّ بالنبيّ ﷺ ثنى صدره وتغشى بثوبه كي لا يراه النبي ﷺ.

وقال الواحدي: نزلت في الأخنس بن شريق، وكان رجلاً حلو الكلام حلو المنظر، يلقى رسول الله ﷺ بما يحب، ويطوي بقلبه ما يكره.

وقال: قال الكلبي: كان يجالس النبي ﷺ يظهر له أمراً يسره، ويضمر في قلبه خلاف ما يظهر، فأنزل الله تعالى: ﴿ ألا إنهم يثنون صدورهم ﴾ يقول: يكمنون ما في صدورهم من العداوة لمحمد ﷺ.

سبب نزول الآية [٨]: عن قتادة قال: لما نزل: ﴿اقترب للناس حسابهم﴾ [الأنبياء: ١] قال ناس: إن الساعة قد اقتربت فتناهوا، فتناهى القوم قليلا ثم عادوا إلى مكرهم مكر السوء، فأنزل الله: ﴿ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمّة معدودة﴾ الآية. [السيوطي].

١٤ ﴿ فإِلَّم ﴾ ن ﴿ لم يستجيبوا لكم ﴾ أي من دعوتموه للمعاونة ﴿ فاعلموا ﴾ خطاب للمشركين ﴿ أنما أنزل ﴾ متلبساً ﴿ بعلم الله ﴾ وليس افتراءً عليه ﴿ وأن ﴾ مخففة، أي أنه ﴿ لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون ﴾ بعد هذه الحجة القاطعة؟ أي أسلموا.

١٥ ﴿ من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها ﴾(١) بأن أصر على الشرك(٢)، وقيل: هي في المرائين(٣) ﴿ نوف إليهم أعمالهم ﴾ أي جزاء ما عملوه من خير، كصدقة وصلة رحم ﴿ فيها ﴾ بأن نوسع عليهم رزقهم ﴿ وهم فيها ﴾ أي الدنيا ﴿ لا يبخسون ﴾ ينقصون شيئاً.

١٦ ﴿ أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ﴾ بطل ﴿ ما صنعوا ﴾ ه ﴿ فيها ﴾ أي الآخرة، فلا ثواب له ﴿ وباطل ما كانوا يعملون ﴾(٤).

١٧ ﴿ أفمن كان على بينة ﴾ بيان ﴿ من ربه ﴾ وهو النبي ﷺ، أو المؤمنون، وهي القرآن ﴿ ويتلوه ﴾ يتبعه ﴿ شاهد ﴾ له بصدقه ﴿ منه ﴾ أي من الله، وهو جبريل ﴿ ومن قبله ﴾ أي القرآن ﴿ كتاب موسى ﴾ التوراة، شاهد له أيضاً ﴿ إماماً ورحمة ﴾(٥) حال، كمن ليس كذلك؟ لا ﴿ أولئك ﴾ أي من كان على بينة من ربه ﴿ يؤمنون به ﴾ أي بالقرآن، فلهم الجنة ﴿ ومن يكفر به من الأحزاب ﴾ جميع الكفار(٦) ﴿ فالنار موعده فلا تك في مرية ﴾ شك ﴿ منه ﴾ من القرآن ﴿ إنه الحق من ربك ولكن أكثر الناس ﴾ أي أهل مكة ﴿ لا يؤمنون ﴾.

١٨ ﴿ ومن ﴾ أي لا أحد ﴿ أظلم ممن افترى على الله كذباً ﴾ بنسبة الشريك والولد إليه ﴿ أولئك يعرضون على ربهم ﴾ يوم القيامة في جملة الخلق ﴿ ويقول الأشهاد ﴾ جمع شاهد، وهم الملائكة، يشهدون للرسل بالبلاغ، وعلى الكفار بالتكذيب ﴿ هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين ﴾ المشركين.

فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾

منه ويتهاونون به، وكان رسول الله ﷺ يضيق صدره لذلك، وأن يلقي إليهم ما لا يقبلونه ويستهزئون به، فأمره الله سبحانه وتعالى بتبليغ ما أوحي إليه، وأن لا يلتفت إلى استهزائهم، وأن تَحَمُّل هذا الضرر أهون من كتم شيء من الوحي. والمقصود من هذا الكلام التنبيه على هذه الدقيقة، لأن الإنسان إذا علم أن كل واحد من طرفي الفعل والترك مشتمل على ضرر عظيم، ثم علم أن الضرر في باب الترك أعظم، سهل عليه الإقدام على الفعل. انتهى.

وهذا الكلام الذي قاله رحمه الله تعالى ونقله عن العلماء يوضح لنا معنى الآية، والأسلوب العربي في البيان، وأنه - أبداً - يستحيل أن يراد ظاهر المعنى، وأنه يمكن أن يتطرق إلى ذهن النبي ﷺ شيء من ذلك.

(١) ما يتزين به فيها، من اللباس والأثاث والأموال، والزعامة والرياسة، ونحو ذلك. (٢) لأنها لم تحصل له إلا به.

(٣) الذين يعملون العمل لغرض دنيوي، ويظهرون أنهم يعملونه امتثالاً لأمر الله تعالى.

(٤) أي كان عملهم باطلاً في نفسه، لأنهم لم يعملوه ابتغاء مرضاة الله تعالى ورجاء ثوابه. أو لأنهم لم يخلصوا فيه لله عزّ وجلّ، فلم يستحقوا الأجر عليه في الحالين. أخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه). [مسلم: الزهد والرقائق، باب: من أشرك في عمله غير الله عز وجل، رقم: ٢٩٨٥] تركته وشركه: أي لم أقبل منه ذلك العمل، وكان عمله باطلاً لا ثواب فيه، بل يأثم على قصده.

(٥) يقتدى به، وهو إحسان ولطف لمن أنزل إليهم فآمنوا به وعملوا بمقتضاه.

(٦) روى البغوي بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (والذي نفسي بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة، ولا يهودي ولا نصراني، ومات ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار). قال سعيد بن جبير: ما بلغني حديث عن رسول الله ﷺ على وجهه إلا وجدت مصداقه في كتاب الله عزّ وجلّ، حتى بلغني هذا الحديث: (لا يسمع بي أحد من هذه الأمة...) قال

١٩ ﴿ الذين يصدون عن سبيل الله ﴾ دين الإسلام القيم ﴿ ويبغونها ﴾ يطلبون السبيل ﴿ عوجاً ﴾ معوجة ﴿ وهم بالآخرة هم ﴾ تأكيد ﴿ كافرون ﴾.

٢٠ ﴿ أولئك لم يكونوا معجزين ﴾ الله[1] ﴿ في الأرض وما كان لهم من دون الله ﴾ أي غيره ﴿ من أولياء ﴾ أنصار يمنعونهم من عذابه ﴿ يضاعف لهم العذاب ﴾ بإضلالهم غيرهم ﴿ ما كانوا يستطيعون السمع ﴾ للحق ﴿ وما كانوا يبصرونـ ﴾ ـه، أي لفرط كراهتهم له كأنهم لم يستطيعوا ذلك.

٢١ ﴿ أولئك الذين خسروا أنفسهم ﴾ لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم ﴿ وضل ﴾ غاب ﴿ عنهم ما كانوا يفترون ﴾ على الله تعالى من دعوى الشريك.

٢٢ ﴿ لا جرم ﴾ حقاً ﴿ أنهم في الآخرة هم الأخسرون ﴾.

٢٣ ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا ﴾ سكنوا واطمأنوا، أو أنابوا ﴿ إلى ربهم أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ﴾.

ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم
بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُوا۟ مُعْجِزِينَ
فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ
يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا
كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ
وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ
هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
وَأَخْبَتُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا
خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾ * مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ
وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾
أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ

٢٤ ﴿ مثل ﴾ صفة ﴿ الفريقين ﴾ الكفار والمؤمنين ﴿ كالأعمى والأصم ﴾ هذا مثل الكافر ﴿ والبصير والسميع ﴾ هذا مثل المؤمن ﴿ هل يستويان مثلاً ﴾؟ لا ﴿ أفلا تذكرون ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الذال[2]، تتعظون (*).

٢٥ ﴿ ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه أني ﴾ أي بأني، وفي قراءة بالكسر على حذف القول[3] ﴿ لكم نذير مبين ﴾ بين الإنذار.

٢٦ ﴿ أن ﴾ أي بأن ﴿ لا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم ﴾ إن عبدتم غيره ﴿ عذاب يوم

سعيد: فقلت: أين هذا في كتاب الله؟ حتى أتيت على هذه الآية ﴿ ومن قبله كتاب موسى - إلى قوله - ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده ﴾ قال: فالأحزاب أهل الملل كلها.

[انظر تفسير الآية في تفسير البغوي وفي تفسير الطبري].

هذه الأمة: أي أمة الدعوة، وهي كل الناس الذين كانوا أيام بعثته ﷺ، والذين يكونون من بعدها إلى يوم القيامة.

على وجهه: أي يثبت لدي بسند صحيح.

(*) عن أبي موسى رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال:
(مثل ما بعثني الله به من الهدىٰ والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً، فكان منها نَقِيَّةٌ، قبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير. وكانت منها أجادِبُ، أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس، فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصابت منها طائفة أخرى، إنما هي قيعان، لا تمسك ماءً ولا تنبت كلأً. فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فَعَلِمَ وعَلَّمَ. ومثل من لم يرفع بذلك رأساً، ولم يقبل هدىٰ الله الذي أرسلت به).

[البخاري: العلم، باب: فضل من علم وعلم، رقم: ٧٩. مسلم: الفضائل، باب: بيان مثل ما بعث به النبي ﷺ من الهدى والعلم، رقم: ٢٢٨٢].

[الغيث: المطر الذي فيه النفع، والذي يأتي عند احتياج الناس إليه. نقية: طيبة. الكلأ: نبات الأرض، رطباً كان أم يابساً. العشب: النبات الرطب. أجادب: جمع أجدُب، وأجدُب جمع جَدْب، وهي الأرض التي لا تشرب الماء ولا تنبت. قيعان: جمع قاع، وهي الأرض المستوية الملساء. من لم يرفع بذلك رأساً: كناية عن شدة الكبر والأنفة ورفض الحق].

فالحديث يضرب المثل لأصناف الناس وموقفهم من الحق، وكيف أن منهم من يهتدي إليه، فينتفع به لنفسه ويكون سبب هداية غيره ونفعه. ومنهم من يهتدي به لنفسه دون أن ينفع غيره. ومنهم من لا يهتدي إليه، فلا يكون منه انتفاع لنفسه، ولا نفع لغيره من باب أولى.

وعن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (العبد إذا وضع في قبره وتُوُلِّيَ وذهب أصحابه، حتى إنه ليسمع قرع

[1] سابقين لعذابه وفارين منه.

[2] وأصله: تتذكرون، وهذا على قراءة تشديد الذال، وفي قراءة ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ بدون تشديد الذال، على حذف إحدى التائين.

[3] أي: ﴿إني لكم..﴾ وهي قراءة حفص، والتقدير: فقال إني.

أليم ﴾ مؤلم في الدنيا والآخرة.

٢٧ **﴿ فقال الملأ الذين كفروا من قومه ﴾** وهم الأشراف **﴿ ما نراك إلا بشراً مثلنا ﴾** ولا فضل لك علينا **﴿ وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا ﴾** أسافلنا كالحاكة والأساكفة(١) **﴿ بادىء الرأي ﴾** بالهمز وتركه(٢)، أي ابتداء من غير تفكر فيك، ونصبه على الظرف، أي وقت حدوث أول رأيهم **﴿ وما نرى لكم علينا من فضل ﴾** فتستحقوا به الاتباع منا **﴿ بل نظنكم كاذبين ﴾** في دعوى الرسالة، أدرجوا قومه معه في الخطاب.

٢٨ **﴿ قال يا قوم أرأيتم ﴾** أخبروني **﴿ إن كنت على بينة ﴾** بيان **﴿ من ربي وآتاني رحمة ﴾** نبوة(٣) **﴿ من عنده فعَمِيَتْ ﴾** خفيت **﴿ عليكم ﴾** وفي قراءة بتشديد الميم والبناء للمفعول(٤) **﴿ أنلزمكموها ﴾** أنجبركم على قبولها **﴿ وأنتم لها كارهون ﴾**؟ لا نقدر على ذلك(٥).

٢٩ **﴿ ويا قوم لا أسألكم عليه ﴾** على تبليغ الرسالة **﴿ مالاً ﴾** تعطونيه **﴿ إن ﴾** ما **﴿ أجري ﴾** ثوابي **﴿ إلا على الله وما أنا بطارد الذين آمنوا ﴾** كما أمرتموني(*) **﴿ إنهم ملاقوا ربهم ﴾** بالبعث، فيجازيهم، ويأخذ لهم ممن ظلمهم وطردهم **﴿ ولكني أراكم قوماً تجهلون ﴾** عاقبة أمركم.

٣٠ **﴿ ويا قوم من ينصرني ﴾** يمنعني **﴿ من الله ﴾** أي من عذابه **﴿ إن طردتهم ﴾** أي لا ناصر لي **﴿ أفلا ﴾** فهلا **﴿ تذَّكرون ﴾** بإدغام التاء الثانية في الأصل في الذال(٦)، تتعظون.

٣١ **﴿ ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا ﴾** إني **﴿ أعلم الغيب ولا أقول إني ملك ﴾** بل أنا بشر مثلكم **﴿ ولا أقول للذين تزدري ﴾** تحتقر **﴿ أعينكم لن يؤتيهم الله خيراً الله أعلم بما في أنفسهم ﴾** قلوبهم **﴿ إني إذاً ﴾** إن قلت ذلك **﴿ لمن الظالمين ﴾**.

أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ
إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا
بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ
كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن
رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا
وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ
إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم
مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوْمِ
مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾
وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ
أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن
يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ

نعالهم، أتاه ملكان فأقعداه، فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل محمد ﷺ؟ فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال: انظر إلى مقعدك من النار، أبدلك الله به مقعداً في الجنة). قال النبي ﷺ: (فيراهما جميعاً، وأما الكافر، أو المنافق فيقول: لا أدري، كنت أقول ما يقول الناس. فيقال: لا دريت ولا تليت، ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربةً بين أذنيه، فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين. [البخاري: الجنائز، باب: الميت يسمع خفق النعال، رقم: ١٢٧٣. مسلم: الجنة وصفة نعيمهاوأهلها، باب: عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه: ٢٨٧٠].

وهكذا يثبت الله تعالى الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء.

(١) جمع حائك وهو النساج، وإسكاف وهو صانع النعال ومصلحها. وهذه سنة الله تعالى في خلقه: لا يتبع الأنبياء والدعاة إلى الله تعالى أول الأمر إلا ضعفاء الناس، لأنهم ليس في نفوسهم من التعالي والكبر ما يمنعهم من الانقياد للحق.

(٢) أي قراءتان: ﴿ بادِىءَ ﴾ بالهمز، و﴿ بادِيَ ﴾ بتركه.

(٣) فيها الهداية والمعرفة.

(٤) أي ﴿فعُمِّيَت﴾. وهي رواية حفص عن عاصم الموجودة في المصاحف المشرقية من العالم الإسلامي، وقراءة التخفيف هي رواية ورش عن نافع، والموجودة في المصاحف المغربية.

(٥) لأن الإيمان في القلب، ولا يكون إلا بالرضا والتسليم الباطني، والإجبار والإلزام يكون في الأعمال الظاهرة.

(٦) أي أصل الكلمة: تَتَذَكَّرون، فأدغمت التاء في الذال، فشددت وصارت ﴿تذَّكَّرون﴾ وفي قراءة ﴿تذَكَّرون﴾ دون تشديد للذال، على حذف التاء الأولى من الأصل تخفيفاً.

(*) وقد طلبوا أن يطرد الضعفاء من أتباعه إن أحب أن يتبعه الكبراء. وهذه هي نفسية المتعالين والطغاة المتألهين من بني البشر، في كل زمان ومكان، يريدون أن تكون لهم امتيازات على غيرهم، كي يتسنى لهم استعبادهم والاستبداد بهم، فما طلب من نوح عليه السلام طلب من غيره، وهو نفس ما طلب من محمد ﷺ، [انظر الأنعام: ٥٢/ و/ الكهف: ٢٨/] ولكن دعوة الله عزّ وجلّ تأبى إلا أن يكون التفضيل بصدق الإيمان وصالح العمل. وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول في خطبة من خطبه في حجة الوداع: =

٣٢ ﴿ قالوا يا نوح قد جادلتنا ﴾ خاصمتنا ﴿ فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا ﴾ به من العذاب ﴿ إن كنت من الصادقين ﴾ فيه.

٣٣ ﴿ قال إنما يأتيكم به الله إن شاء ﴾ تعجيله لكم، فإن أمره إليه لا إليّ ﴿ وما أنتم بمعجزين ﴾ بفائتين الله(١).

٣٤ ﴿ ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم ﴾ أي إغواءكم(٢)، وجواب الشرط دل عليه: ولا ينفعكم نصحي ﴿ هو ربكم(٣) وإليه ترجعون ﴾.

٣٥ قال تعالى: ﴿ أم ﴾ بل أ ﴿ يقولون ﴾ أي كفار مكة ﴿ افتراه ﴾ اختلق محمد القرآن(٤) ﴿ قل إن افتريته فعليّ إجرامي ﴾ إثمي، أي عقوبته ﴿ وأنا بريء مما تجرمون ﴾ من إجرامكم في نسبة الافتراء إليّ.

٣٦ ﴿ وأوحي إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا تبتئس ﴾ تحزن ﴿ بما كانوا يفعلون ﴾ من الشرك، فدعا عليهم بقوله: «رب لا تذر على الأرض» الخ /نوح: ٢٦/ فأجاب الله دعاءه(٥). وقال:

٣٧ ﴿ واصنع الفلك ﴾ السفينة ﴿ بأعيننا ﴾ بمرأى منا وحفظنا ﴿ ووحينا ﴾ أمرنا ﴿ ولا تخاطبني في الذين ظلموا ﴾ كفروا، بترك إهلاكهم ﴿ إنهم مغرقون ﴾.

٣٨ ﴿ ويصنع الفلك ﴾ حكاية حال ماضية ﴿ وكلما مر عليه ملأ ﴾ جماعة ﴿ من قومه سخروا منه ﴾ استهزؤوا به ﴿ قال إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون ﴾ إذا نجونا وغرقتم. ٣٩ ﴿ فسوف تعلمون

ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ
جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾
قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾
وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِيٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ
ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾
أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا۠
بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾ وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن
قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾
وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِي فِي ٱلَّذِينَ
ظَلَمُوٓاْ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا
مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُواْ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا
فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ

=﴿يا أيها الناس، ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد. ألا، لا فضلَ لعربي على أعجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمرَ على أسودَ، ولا أسودَ على أحمرَ، إلا بالتقوى). [مسند أحمد: ٥/٤١١].

وصدق إذ قال: (إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم - وفي رواية - وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم - وفي رواية - وأعمالكم).

وقال ﷺ: (المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يَخْذُلُه ولا يَحْقِرُه، التقوى ها هنا - ويشير إلى صدره ثلاث مرات - بِحَسْبِ امرئٍ من الشر أن يحقر أخاه المسلم. كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه). [مسلم: البر والصلة والآداب، باب: تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله، رقم: ٢٥٦٤]. [لا ينظر..: أي المجازاة حسب العمل والصدق والإخلاص فيه. لا يخذله: لا يترك إعانته ونصرته إذا قدر على ذلك. لا يحقره: لا يستصغره ويستقل شأنه. بحسب..: كافيه].

(١) مفلتين من عذابه أو هاربين منه

(٢) إضلالكم بسبب إصراركم على الكفر والعصيان، أو المعنى: يهلككم بسبب ضلالكم.

(٣) المالك لكم، فلا تستطيعون الخروج من سلطانه.

(٤) وأكثر المفسرين على أن هذا من محاورة نوح عليه السلام مع قومه، ويكون الضمير عائداً على الوحي الذي جاء به.

(٥) قال البغوي في تفسيره، عند تفسير ﴿ما كان لنبي أن يكون له أسرى﴾ [الأنفال: ٦٧]: روىٰ الأعمش، عن عمرو بن مرة بن أبي عبيدة، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لما كان يوم بدر وجيء بالأسرىٰ فقال النبي ﷺ: (ما تقولون في هؤلاء). فقال أبو بكر: يا رسول الله، قومك وأهلك، فاستبقهم واستأن بهم، لعل الله أن يتوب عليهم، وخذ منهم فدية تكون لنا قوة على الكفار. وقال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله، كذبوك وأخرجوك، قدمهم نضرب أعناقهم، مكن علياً من عقيل فيضرب عنقه، ومكني من فلان نسيب لعمر - فأضرب عنقه، فإن هؤلاء أئمة الكفر. وقال عبد الله بن رواحة: يا رسول الله، انظر وادياً كثير الحطب فأدخلهم فيه، ثم أضرم عليهم ناراً. فقال له العباس: قطعت رحمك. فسكت رسول الله ﷺ فلم يجبهم، ثم دخل. قال ناس: يأخذ بقول أبي بكر، وقال ناس: يأخذ بقول عمر، وقال ناس: يأخذ بقول ابن رواحة. ثم خرج رسول الله ﷺ فقال: (إن الله تعالى لَيُلَيِّنُ قلوبَ رجال حتى تكون ألين من اللبن، ويشدد قلوب رجال حتى تكون أشد من الحجارة. وإن مثلك يا أبا بكر مثل إبراهيم، قال: ﴿فمَنْ تبعَني فإنَّهُ منِّي ومن عصاني فإنَّك غفورٌ رحيم﴾ [إبراهيم: ٣٦]. ومثلك يا أبا بكر مثل عيسى، قال: ﴿إنْ تعذِّبْهم فإنَّهم عِبَادُك وإنْ تَغْفِرْ لهم فإنَّك أنتَ العزيزُ الحكيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]. وإن مثلك يا عمر مثل نوح، قال: ﴿ربِّ لا تذر على الأرض من الكافرين ديَّاراً﴾ [نوح: =

من ﴾ موصولة مفعول العلم ﴿ يأتيه عذاب يخزيه ويحل ﴾ ينزل ﴿ عليه عذاب مقيم ﴾ دائم.

٤٠ ﴿ حتى ﴾ غاية للصنع(١) ﴿ إذا جاء أمرنا ﴾ بإهلاكهم ﴿ وفار التنور ﴾ للخباز بالماء، وكان ذلك علامة لنوح ﴿ قلنا احمل فيها ﴾ في السفينة ﴿من كل زوجين﴾ أي ذكر وأنثى، أي من كل أنواعهما ﴿ اثنين ﴾ ذكراً وأنثى، وهو مفعول، وفي القصة: أن الله حشر(٢) لنوح السباع والطير وغيرهما، فجعل يضرب بيديه في كل نوع، فتقع يده اليمنى على الذكر واليسرى على الأنثى، فيحملهما في السفينة. ﴿ وأهلك ﴾ أي زوجته وأولاده(٣) ﴿ إلا من سبق عليه القول ﴾ أي منهم بالإهلاك، وهو ولده كنعان وزوجته، بخلاف سام وحام ويافث فحملهم وزوجاتهم الثلاثة ﴿ ومن آمن وما آمن معه إلا قليل ﴾ قيل: كانوا ستة رجال ونساءهم، وقيل: جميع من كان في السفينة ثمانون، نصفهم رجال ونصفهم نساء.

٤١ ﴿ وقال ﴾ نوح ﴿ اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها ﴾ بفتح الميمين وضمهما(٤) مصدران، أي جريها ورسوها، أي منتهى سيرها ﴿ إن ربي لغفور رحيم ﴾ حيث لم يهلكنا. ٤٢ ﴿ وهي تجري بهم في موج كالجبال ﴾ في الارتفاع والعظم ﴿ ونادى نوح ابنه ﴾ كنعان ﴿ وكان في معزل ﴾ عن السفينة ﴿ يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين ﴾.

٤٣ ﴿ قال سآوي(٥) إلى جبل يعصمني ﴾ يمنعني(٦) ﴿ من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله ﴾ عذابه ﴿ إلا ﴾ لكن ﴿ من رحم ﴾ الله فهو المعصوم، قال تعالى: ﴿ وحال بينهما الموج فكان من المغرقين ﴾.

٤٤ ﴿ وقيل يا أرض ابلعي ماءك ﴾ الذي نبع منك، فشربته دون ما نزل من السماء، فصار أنهاراً وبحاراً ﴿ ويا سماء أقلعي ﴾ أمسكي عن المطر، فأمسكت ﴿ وغيض ﴾ نقص ﴿ الماء وقضي الأمر ﴾ تم أمر هلاك قوم نوح ﴿ واستوت ﴾ وقفت السفينة ﴿ على الجودي ﴾ جبل بالجزيرة بقرب الموصل ﴿ وقيل بعداً ﴾ هلاكاً ﴿ للقوم الظالمين ﴾ الكافرين.

مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾
حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ
زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ
وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا
بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾
وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ
فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾
قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ
ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ
فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ
وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ
عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾

---

(١) في قوله ﴿ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ ﴾.   (٢) جمع.

(٣) الذين آمنوا به، فالمراد زوجته المؤمنة، وأما التي لم تؤمن به فلم يحملها.

(٤) القراءات المتواترة في اللفظين: ﴿مُجراها ومُرساها﴾ بضم الميمين. ﴿مَجراها ومُرساها﴾ بفتح الأولى وضم الثانية. وفتح الميم الثانية أي [مَرساها] قراءة شاذة.   (٥) ألتجيء.

(٦) ويحفظني.

=٢٦]. ومثلك ياعبد الله بن رواحة مثل موسى، قال: ﴿ربَّنا اطْمِسْ على أموالِهم واشدُدْ على قلوبهم﴾ الآية [يونس: ٨٨]. ثم قال رسول الله ﷺ: أنتم اليوم عالة، فلا يُفْلِتَنَّ منهم أحدٌ إلَّا بفداءٍ أو ضرب عنق. قال عبد الله بن مسعود: إلا سهيل بن بيضاء، فإني سمعته يذكر الإسلام. فسكت رسول الله ﷺ، فما رأيتني في يوم أخوف من أن تقع عليَّ الحجارة من السماءِ من ذلك اليوم، حتى قال رسول الله ﷺ: (إلا سهيل بن بيضاء). قال ابن عباس: قال عمر بن الخطاب: فهوىٰ رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت، فلما كان من الغَدِ جئتُ فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر قاعدَيْنِ يبكيان، قلت: يا رسول الله، أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك، فإن وجدت بكاء بكيت، وإن لم أجد تباكيت لبكائكما؟ فقال النبي ﷺ: (أبكي للذي عرض عليَّ أصحابك من أخذهم الفداء، لقد عرض عليَّ عذابهم أدنى من هذه الشجرة). لشجرة قريبة من النبي ﷺ، وأنزل الله تعالى: ﴿ما كان لنبيٍّ أنْ يكونَ لهُ أسرىٰ حتى يُثْخِنَ في الأرضِ - إلى قوله - فكلُوا مما غنمتُم حلالاً طيباً﴾ فأحل الله الغنيمة لهم. =

= [استأن: انتظر وتمهل. أضرم: أشعل. دياراً: أحداً يدور على الأرض ويتحرك، أي كائناً حياً. اطمس...: أهلكها. اشدد...: اطبع واختم. عالة: فقراء ذوو حاجة].

وأخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتي رسول الله ﷺ بلحم فرفع إليه الذراع، وكانت تعجبه، فنهس منها نهسة ثم قال: (أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون مم ذلك؟ يجمع الله الناس الأولين والآخرين في صعيد واحد، يسمعهم الداعي وينفذهم البصر، وتدنو الشمس، فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون، فيقول الناس: ألا ترون ما قد بلغكم، ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض=

٤٥ ﴿ ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني ﴾ كنعان ﴿ من أهلي ﴾ وقد وعدتني بنجاتهم ﴿ وإن وعدك الحق ﴾ الذي لا خلف فيه ﴿ وأنت أحكم الحاكمين ﴾ أعلمهم وأعدلهم.

٤٦ ﴿ قال ﴾ تعالى: ﴿ يا نوح إنه ليس من أهلك ﴾ الناجين، أو من أهل دينك ﴿ إنه ﴾ أي سؤالك إياي بنجاته ﴿ عمل غير صالح ﴾(١) فإنه كافر، ولا نجاة للكافرين(٢). وفي قراءة بكسر ميم عمل ونصب غير، فالضمير(٣) لابنه ﴿ فلا تسألن ﴾ بالتشديد والتخفيف(٤) ﴿ ما ليس لك به علم ﴾ من إنجاء ابنك ﴿ إني أعظك أن تكون من الجاهلين ﴾ بسؤالك ما لم تعلم(٥). ٤٧ ﴿ قال رب إني أعوذ بك ﴾ من ﴿ أن أسألك ما ليس لي به علم وإلا تغفر لي ﴾ ما فرط مني(٦) ﴿ وترحمني أكن من الخاسرين ﴾. ٤٨ ﴿ قيل يا نوح اهبط ﴾ انزل من السفينة ﴿ بسلام ﴾ بسلامة، أو بتحية ﴿ منا وبركات ﴾ خيرات ﴿ عليك وعلى أمم ممن معك ﴾ في السفينة، أي من أولادهم وذرياتهم، وهم المؤمنون ﴿ وأمم ﴾ بالرفع ممن معك ﴿ سنمتعهم ﴾ في الدنيا﴿ ثم يمسهم منا عذاب أليم﴾ في الآخرة،وهم الكفار.

وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾

٤٩ ﴿ تلك ﴾ أي هذه الآيات المتضمنة قصة نوح ﴿ من أنباء الغيب ﴾ أخبار ما غاب عنك ﴿ نوحيها إليك ﴾ يا محمد ﴿ ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا ﴾ القرآن ﴿ فاصبر ﴾ على التبليغ وأذى قومك كما صبر نوح ﴿ إن العاقبة ﴾ المحمودة ﴿ للمتقين ﴾.

٥٠ ﴿ و ﴾ أرسلنا ﴿ إلى عاد أخاهم ﴾ من القبيلة(٧) ﴿ هوداً قال يا قوم اعبدوا الله ﴾ وحدوه ﴿ مالكم من ﴾ زائدة ﴿ إله غيره إن ﴾ ما ﴿ أنتم ﴾ في عبادتكم الأوثان ﴿ إلا مفترون ﴾ كاذبون على الله.

---

(١) خلاف ما ينبغي أن يكون منك وما يليق بمقامك.

(٢) فلا تقبل الشفاعة فيهم.

(٣) في ﴿إنه﴾ فالقراءة: ﴿إنه عمِلَ غير صالح﴾: أي بعدم إيمانه بك واستجابته لندائك حين دعوته للركوب معك. وعلى قراءة ﴿عمَلٌ غيرُ﴾ الضمير في أنه يعود على السؤال.

(٤) للنون المكسورة، وتسكن اللام مع التخفيف، وتفتح مع التشديد. أي ﴿تسْأَلَنِّ﴾ و ﴿تسْأَلْنِ﴾.

(٥) هل هو صواب أو خطأ. (٦) ما أقدمت عليه من سؤال ما لم أعلم وجه الصواب فيه. (٧) أي واحد من قبيلتهم.

= الناس لبعض: عليكم بآدم، فيأتون آدم عليه السلام فيقولون له: أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه، ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح. فيأتون نوحاً فيقولون: يا نوح، إنك أنت أول الرسل إلى أهل الأرض. قد سماك الله عبداً شكوراً، اشفع لنا إلي ربك، إلا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول: إن ربي عزّوجلّ قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد= كانت لي دعوة دعوتها على قومي، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى إبراهيم. فيأتون إبراهيم فيقولون: يا إبراهيم، أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول لهم: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قد كنت كذبت ثلاث كذبات، . . . نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى. فيأتون موسى فيقولون يا موسى، أنت رسول الله، فضلك الله برسالته وبكلامه على الناس، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قد قتلت نفساً لم أومر بقتلها، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى عيسى. فيأتون عيسى فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وكلمت الناس في المهد صبياً، اشفع لنا، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول عيسى: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله قط، ولن يغضب بعده مثله ـ ولم يذكر ذنباً ـ نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد ﷺ. فيأتون محمداً ﷺ فيقولون: يا محمد أنت رسول الله، وخاتم الأنبياء، وقد غفر الله لك ما تقدم من=

٥١ و﴿ يا قوم لا أسألكم عليه ﴾على التوحيد(١)﴿ أجراً إن ﴾ما﴿ أجري إلا على الذي فطرني ﴾خلقني﴿ أفلا تعقلون ﴾.

٥٢ ﴿ ويا قوم استغفروا ربكم ﴾من الشرك﴿ ثم توبوا ﴾ارجعوا﴿ إليه ﴾بالطاعة﴿ يرسل السماء ﴾المطر، وكانوا قد مُنِعوه ﴿ عليكم مدراراً ﴾كثير الدرور(٢)﴿ ويزدكم قوة إلى ﴾مع﴿ قوتكم ﴾بالمال والولد﴿ ولا تتولوا(٣) مجرمين ﴾ مشركين.

٥٣ ﴿ قالوا يا هود ما جئتنا ببينة ﴾ببرهان على قولك﴿ وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك ﴾أي لقولك﴿ وما نحن لك بمؤمنين ﴾.

٥٤ ﴿ إن ﴾ ما ﴿ نقول ﴾ في شأنك. ﴿ إلا اعتراك ﴾ أصابك ﴿ بعض آلهتنا بسوء ﴾ فخبلك(٤)، لسبك إياها(٥)، فأنت تهذي(٦) ﴿ قال إني أشهد الله ﴾ عليّ ﴿ واشهدوا أني بريء مما تشركونـ ﴾ ـه به.

٥٥ ﴿ من دونه فكيدوني ﴾ احتالوا في هلاكي ﴿ جميعاً ﴾ أنتم وأوثانكم ﴿ ثم لا تنظرون ﴾ تمهلون.

٥٦ ﴿ إني توكلت على الله(٧) ربي وربكم ما من ﴾ صلة ﴿ دابة ﴾ نسمة تدب(٨) على الأرض ﴿ إلا هو آخذ بناصيتها ﴾(٩) أي مالكها وقاهرها، فلا نفع ولا ضرر إلا بإذنه. وخص الناصية بالذكر لأن من أُخِذ بناصيته يكون في غاية الذل ﴿ إن ربي على صراط مستقيم ﴾ أي طريق الحق والعدل. ٥٧ ﴿ فإن تولوا ﴾ فيه حذف إحدى التاءين، أي تعرضوا ﴿ فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم ويستخلف ربي قوماً غيركم(١٠) ولا تضرونه شيئاً ﴾ بإشراككم ﴿ إن ربي على كل شيء حفيظ ﴾ رقيب.

يَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِي
فَطَرَنِيٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ
تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً
إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا
بِبَيِّنَةٖ وَمَا نَحۡنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوۡلِكَ وَمَا نَحۡنُ لَكَ
بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعۡتَرَىٰكَ بَعۡضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٖۗ
قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿٥٤﴾
مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي
تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ
بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٦﴾ فَإِن
تَوَلَّوۡاْ فَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَيَسۡتَخۡلِفُ
رَبِّي قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ

---

(١) أي على دعوتي إلى التوحيد وتبليغي إليكم رسالة ربي.

(٢) النزول والتتابع. (٣) تعرضوا عن الحق الذي جئتكم به وهو التوحيد. (٤) بأذى، فأفسد عقلك.

(٥) بقولك: إنها ليست بآلهة. (٦) تتكلم كلاماً لا معنى له.

(٧) اعتمدت عليه وفوضت أمري إليه.

(٨) نفس ذات روح تتحرك. (٩) هي مقدم الرأس، وتطلق على الشعر الذي يكون عليه. (١٠) بعد إهلاككم.

=ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك، الا ترى إلى ما نحن فيه؟ فأنطلق فاتي تحت العرش، فأقع ساجداً لربي عزّ وجلّ، ثم يفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحد قبلي، ثم يقال: يا محمد ارفع رأسك. سل تعطه، واشفع تشفع. فأرفع رأسي فأقول: أمتي يا رب أمتي يا رب، فيقال: يا محمد، أدخل من أمتك من لاحساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، ثم قال: والذي نفسي بيده، إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وحمير، أو: كما بين مكة وبصرى).

[البخاري: التفسير/الإسراء، باب: (ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبداً شكوراً﴾ رقم: ٤٤٣٥. مسلم: الإيمان، باب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها، رقم: ١٩٤].

فائدة: في فضل الاستغفار.

عن الأغر المزني، وكانت له صحبة، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: (إنه ليُغانُ على قلبي، وإني لأستغفر الله في كل يوم مائة مرة).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: إن كنا لَنَعُدُّ لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة: (رب اغفر لي وتب عليّ إنّك أنت التواب الرحيم).

وعن بلال بن يسار بن زيد، مولى النبي ﷺ، قال: سمعت أبي يحدثنيه عن جدي: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (من قال: أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحيُّ القيّوم وأتوب إليه، غفر له وإن كان قد فرّ من الزحف). وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ (من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجاً، ومن كل هم فرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب).

وعن علي رضي الله عنه قال: كنت رجلاً إذ سمعت من رسول الله ﷺ حديثاً نفعني الله منه بما شاء أن ينفعني، وإذا حدّثني أحد من أصحابه استحلفته، فإذا حلف لي صدقته، قال: وحدّثني أبو بكر، وصدق أبو بكر رضي الله عنه إنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ما من عبد يذنب ذنباً فيحسن الطهور، ثم يقوم فيصلي ركعتين، ثم يستغفر الله إلا غفر له). ثم قرأ هذه الآية ﴿والذين إذا فعلُوا فاحشَةً أو ظلموا أنفسهم ذكرُوا الله﴾ إلى آخر الآية [آل عمران: ١٣٥] [مسلم: الذكر والدعاء، باب: استحباب الاستغفار، رقم: ٢٧٠٢. سنن أبي داود: الصلاة، باب: في الاستغفار، رقم: ١٥١٥ - ١٥١٨، ١٥٢١. الترمذي التفسير، باب: ومن سورة آل عمران، رقم: ٣٠٠٩. الدعوات، باب: ما يقول إذا قام من مجلسه، رقم: ٣٤٣٠، وباب: في دعاء الضيف، رقم: ٣٥٧٢]. [ليغان: يغطي ويحصل له شيء من الكرب. آخر الآية: وتتمتها: ﴿فاستغفروا لذنوبهم ومَنْ يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون﴾].

٥٨ ﴿ ولما جاء أمرنا ﴾ عذابنا ﴿ نجينا هوداً والذين آمنوا معه برحمة ﴾ هداية⁽¹⁾ ﴿ منا ونجيناهم من عذاب غليظ ﴾ شديد.

٥٩ ﴿ وتلك عاد ﴾ إشارة إلى آثارهم، أي فسيحوا في الأرض وانظروا إليها. ثم وصف أحوالهم فقال: ﴿ جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله ﴾ جمع لأن من عصى رسولاً عصى جميع الرسل، لاشتراكهم في أصل ما جاؤوا به وهو التوحيد ﴿ واتبعوا ﴾ أي السفلة ﴿ أمر كل جبار عنيد ﴾ معاند للحق من رؤسائهم.

٦٠ ﴿ وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة ﴾ من الناس ﴿ ويوم القيامة ﴾ لعنة على رؤوس الخلائق ﴿ ألا إن عاداً كفروا ﴾ جحدوا ﴿ ربهم ألا بعداً ﴾ من رحمة الله ﴿ لعاد قوم هود ﴾.

٦١ ﴿ و ﴾ أرسلنا ﴿ إلى ثمود أخاهم ﴾⁽²⁾ من القبيلة ﴿ صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله ﴾ وحدوه ﴿ مالكم من إله غيره هو أنشأكم ﴾ ابتدأ خلقكم ﴿ من الأرض ﴾ بخلق أبيكم آدم منها ﴿ واستعمركم فيها ﴾ جعلكم عماراً تسكنون بها ﴿ فاستغفروه ﴾ من الشرك ﴿ ثم توبوا ﴾ ارجعوا ﴿ إليه ﴾ بالطاعة ﴿ إن ربي قريب ﴾ من خلقه بعلمه ﴿ مجيب ﴾ لمن سأله.

٦٢ ﴿ قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوًّا ﴾ نرجو أن تكون سيداً ﴿ قبل هذا ﴾ الذي صدر منك ﴿ أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا ﴾ من الأوثان ﴿ وإننا لفي شك مما تدعونا إليه ﴾ من التوحيد ﴿ مريب ﴾ موقع في الريب⁽³⁾.

٦٣ ﴿ قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة ﴾ بيان ﴿ من ربي وآتاني منه رحمة ﴾ نبوة⁽⁴⁾ ﴿ فمن ينصرني ﴾ يمنعني⁽⁵⁾

٢٩٣ (سورة هود)

شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾
وَتِلْكَ عَادٌ ۖ جَحَدُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓا۟
أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً
وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ
قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾ * وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ
ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ
ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ
إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا
مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا
لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ
إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى

---

(١) وتفضل. (٢) واحداً منهم.

(٣) الشك الدائم، والقلق والاضطراب.

(٤) وما فيها من الهداية والمعرفة. (٥) ويحفظني.

فائدة: قال علماء التفسير والنسب: ثمود بن عاثر بن إرم بن سام بن نوح، وهو أخو جديس بن عاثر، وكذلك قبيلة طَسْم، كل هؤلاء كانوا أحياء من العرب العاربة قبل إبراهيم الخليل عليه السلام. وكانت ثمود بعد عاد، ومساكنهم مشهورة فيمابين الحجاز والشام إلى وادي القرى وما حوله، وقد مر رسول الله ﷺ على قراهم ومساكنهم وهو ذاهب إلى تبوك سنة تسع.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لما نزل رسول الله ﷺ بالناس عام تبوك نزل بهم الحجر عند بيوت ثمود، فاستسقى الناس من الآبار التي كانت تشرب منها ثمود، فعجنوا منها ونصبوا منها القدور باللحم. فأمرهم رسول الله ﷺ فأهرقوا القدور، وعلفوا العجين الإبلَ، ثم ارتحل بهم حتى نزل بهم على البئر التي كانت تشرب منها الناقة، ونهاهم أن يدخلوا على القوم الذين عذبوا، قال: (إني أخشى أن يصيبكم مثل ما أصابهم، فلا تدخلوا عليهم).

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ وهو بالحجر: (لا تدخلوا على هؤلاء القوم المعذبين إلا أن تكونوا باكين، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم، أن يصيبكم مثل ما أصابهم).

وعن أبي كبشة الأنماري رضي الله عنه، قال: لما كان في غزوة تبوك تسارع الناس إلى أهل الحجر يدخلون عليهم، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فنادى في الناس: (الصلاة جامعة). قال: فأتيت رسول الله ﷺ وهو ممسك بعيره، وهو يقول: (ما تدخلون على قوم غضب الله عليهم). فناداه رجل منهم: نعجبُ منهم يا رسول الله. قال: (أفلا أنذركم بأعجب من ذلك: رجل من أنفسكم ينبئكم بما كان قبلكم، وبما هو كائن بعدكم، فاستقيموا وسددوا، فإن الله لا يعبأ بعذابكم شيئاً، وسيأتي قوم لا يدفعون عن أنفسهم بشيء).

وعن جابر رضي الله عنه قال: لما مر رسول الله ﷺ بالحجر قال: (لا تسألوا الآيات، فقد سألها قوم صالح فكانت - يعني الناقة - ترد من هذا الفج، وتصدر من هذا الفج، فعتوا عن أمر ربهم فعقروها، وكانت تشرب ماءهم يوماً ويشربون لبنها يوماً، فعقروها، فأخذتهم صيحة أخمد الله عزَّ وجلَّ مَنْ تحت أديم السماء منهم، إلا رجلاً واحداً كان في حرم الله عزَّ وجلَّ). قيل: من هو يا رسول الله؟ قال: (أبو رِغال، فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه).

[مسند أحمد: ٢/٧٤، ١١٧، ٣/٢٩٦، ٤/٢٣١. البخاري: المساجد، باب: الصلاة في مواضع الخسف والعذاب، رقم: ٤٢٣. مسلم: الزهد والرقائق، باب: لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم، رقم: ٢٩٨٠. تفسير ابن كثير: عند تفسير الآيات من سورة الإسراء [٧٣ - ٧٨]: ﴿وإلى ثمود..﴾] [الآيات: الأمور الخارقة للعادة، أي المعجزات].

﴿ من الله ﴾ أي عذابه ﴿ إن عصيته فما تزيدونني ﴾ بأمركم لي بذلك ﴿ غير تخسير ﴾ تضليل.

٦٤ ﴿ ويا قوم هذه ناقة الله(١) لكم آية ﴾(٢) حال عامله الإشارة(٣) ﴿ فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء ﴾ عقر(٤) ﴿ فيأخذكم عذاب قريب ﴾ إن عقرتموها.

٦٥ ﴿ فعقروها ﴾ عقرها قدار بأمرهم ﴿ فقال ﴾ صالح ﴿ تمتعوا ﴾ عيشوا ﴿ في داركم ثلاثة أيام ﴾ ثم تهلكون ﴿ ذلك وعد غير مكذوب ﴾ فيه.

٦٦ ﴿ فلما جاء أمرنا ﴾ بإهلاكهم ﴿ نجينا صالحاً والذين آمنوا معه ﴾ وهم أربعة آلاف ﴿ برحمة منا و ﴾ نجيناهم ﴿من خزي يومئذٍ﴾ بكسر الميم إعراباً، وفتحها بناءً لإضافته إلى مبني، وهو الأكثر(٥) ﴿إن ربك هو القوي العزيز﴾ الغالب.

٦٧ ﴿ وأخذ الذين ظلموا الصيحة(٦) فأصبحوا في ديارهم جاثمين ﴾ باركين على الركب ميتين.

٦٨ ﴿ كأن ﴾ مخففة واسمها محذوف، أي كأنهم ﴿ لم يغنوا ﴾ يقيموا ﴿ فيها ﴾ في دارهم ﴿ ألا إن ثموداً كفروا ربهم ألا بعداً لثمود ﴾ بالصرف وتركه، على معنى الحي والقبيلة(٧).

٦٩ ﴿ ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى ﴾(٨) بإسحاق ويعقوب بعده ﴿ قالوا سلاماً ﴾ مصدر ﴿ قال سلام ﴾ عليكم ﴿ فما لبث أن جاء بعجل حنيذٍ ﴾ مشوي.

٧٠ ﴿ فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم ﴾ بمعنى أنكرهم (٩) ﴿ وأوجس ﴾ أضمر في نفسه ﴿ منهم خيفة ﴾ خوفاً ﴿ قالوا لا تخف

مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾
وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ
ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾
فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ
غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ
هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ
فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ
أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾ وَلَقَدْ
جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ
فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ
لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ

---

(١) أضيفت إلى الله تعالى إضافة تشريف، ولأنه تعالى خلقها مباشرة وبدون واسطة.

(٢) معجزة دالة على صدقي فيما أدعو إليه.

(٣) أي لفظ آية منصوب على أنه حال من ناقة، والعامل فيه ما في الإشارة من معنى الفعل وهو أشير.

(٤) أو غيره من أنواع الأذى، والعقر: قطع قوائم الناقة أو البعير ليقع على الأرض فيذبح، والمراد هنا الذبح.

(٥) أي في الاستعمال اللغوي، وأما من حيث القراءة: فهما مستويتان، لأنهما متواترتان. وقوله [بناءً..] أي بالبناء على الفتح لإضافته إلى مبني وهو [إذ] فهو مبني على السكون في محل جر بالإضافة، والتنوين فيه عوض عن المضاف إليه المحذوف، لأن التقدير: يوم هلاك قومهم بالصيحة. وإنما كان الأكثر في الظرف - إذا أضيف لمبني - البناء لأن ذلك من أسباب البناء.

(٦) الصوت الشديد مع الزلزلة.

(٧) أي يصرف على معنى الحي، ويمنع من الصرف على معنى القبيلة للعلمية والتأنيث.

(٨) وهي الخبر السار.

(٩) استغرب حالهم.

قصة ناقة صالح - عليه السلام - وعقرها: قال ابن كثير رحمه الله تعالى عند تفسيره: ﴿قد جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية﴾ [الأعراف: ٧٣]: أي: قد جاءكم حجة من الله على صدق ما جئتكم به، وكانوا هم الذين سألوا صالحاً أن يأتيهم بآية، واقترحوا عليه أن تخرج لهم من صخرة صماء عينوها بأنفسهم، وهي صخرة منفردة في ناحية الحِجْر، يقال لها: الكاتبة، فطلبوا منه أن يخرج لهم منها ناقة عشراء تمخض، فأخذ عليهم صالح العهود والمواثيق: لئن أجابهم الله إلى سؤالهم، وأجيبوا إلى طلبتهم ليؤمنن به وليتبعنه، فلما أعطوه على ذلك عهودهم ومواثيقهم قام صالح عليه السلام إلى صلاته ودعا الله عزّ وجلّ، فتحركت تلك الصخرة، ثم انصدعت عن ناقة جوفاء وبراء، يتحرك جنينها بين جنبيها كما سألوا، فعند ذلك آمن رئيس القوم وهو: جُنْدَع بن عمرو ومن كان معه على أمره، وأراد بقية أشراف ثمود أن يؤمنوا فصدهم ذؤاب بن عمرو بن لبيد، والحباب صاحب أوثانهم، ورباب بن صمعر بن جلهس، وكان لجندع بن عمرو ابن عم يقال له: شهاب بن خليفة بن مخلاة بن لبيد بن جواس، وكان من أشراف ثمود وأفاضلها، فأراد أن يسلم أيضاً فنهاه اولئك الرهط، فأطاعهم. فقال في ذلك رجل من مؤمني ثمود يقال له: مهوس بن عظمة بن الدميل رحمه الله:

وكانت عصبة من آل عمرو إلى دين النبي دعوا شهاباً=

إنا أرسلنا إلى قوم لوط ﴾ لنهلكهم.

٧١ ﴿ وامرأته ﴾ أي امرأة إبراهيم سارة ﴿ قائمة ﴾ تخدمهم ﴿ فضحكت ﴾ استبشاراً بهلاكهم ﴿ فبشرناها بإسحاق ومن وراء ﴾ بعد ﴿إسحاق يعقوب ﴾ ولده، تعيش إلى أن تراه.

٧٢ ﴿ قالت يا ويلتى ﴾ كلمة تقال عند أمر عظيم، والألف مبدلة من ياء الإضافة ﴿ ءألد وأنا عجوز ﴾ لي تسع وتسعون سنة ﴿ وهذا بعلي شيخاً ﴾(١) له مائة ـ أو ـ وعشرون سنة، ونصبه على الحال، والعامل فيه ما في ذا من الإشارة ﴿ إن هذا لشيء عجيب ﴾ أن يولد ولد لهرمين.

٧٣ ﴿ قالوا أتعجبين من أمر الله ﴾ قدرته ﴿ رحمت الله وبركاته عليكم ﴾ يا ﴿ أهل البيت ﴾ بيت إبراهيم ﴿ إنه حميد ﴾ محمود ﴿ مجيد ﴾ كريم.

٧٤ ﴿ فلما ذهب عن إبراهيم الروع ﴾ الخوف ﴿ وجاءته البشرى ﴾ بالولد، أخذ ﴿ يجادلنا ﴾ يجادل رسلنا ﴿ في ﴾ شأن ﴿ قوم لوط ﴾.

٧٥ ﴿ إن إبراهيم لحليم ﴾ كثير الأناة(٢) ﴿ أواه منيب ﴾ رجاع(٣)، فقال لهم: أتهلكون قرية فيها ثلثمائة مؤمن؟ قالوا: لا، قال: أفتهلكون قرية فيها مائتا مؤمن؟ قالوا: لا، قال: أفتهلكون قرية فيها أربعون مؤمناً؟ قالوا: لا، قال: أفتهلكون قرية فيها أربعة عشر مؤمناً ؟ قالوا: لا، قال: أفرأيتم إن كان فيها مؤمن واحد؟ قالوا: لا، قال: «إن فيها لوطاً قالوا نحن أعلم بمن فيها» الخ / العنكبوت: ٣٢/.

٧٦ فلما أطال مجادلتهم قالوا: ﴿ يا إبراهيم أعرض عن هذا ﴾ الجدال ﴿ إنه قد جاء أمر ربك ﴾ بهلاكهم ﴿ وإنهم آتيهم عذاب غير مردود ﴾(٤).

٧٧ ﴿ ولما جاءت رسلنا لوطاً سيء بهم ﴾ حزن بسببهم ﴿ وضاق بهم ذرعاً ﴾ صدراً، لأنهم حسان الوجوه، في صورة أضياف، فخاف عليهم قومه(٥) ﴿ وقال هذا يوم عصيب ﴾ شديد.

٧٨ ﴿ وجاءه قومه ﴾ لما علموا بهم ﴿ يهرعون ﴾ يسرعون ﴿ إليه ومن قبل ﴾ قبل مجيئهم ﴿ كانوا يعملون السيئات ﴾ وهي إتيان الرجال في الأدبار(٦) ﴿ قال ﴾ لوط ﴿ يا قوم هؤلاء بناتي ﴾ فتزوجوهن ﴿ هن

٢٩٥ (سورة هود)

إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٖ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتْ
فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ
يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًاۖ إِنَّ هَٰذَا
لَشَيْءٌ عَجِيبٞ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓاْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِۖ رَحْمَتُ
ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ﴿٧٣﴾
فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا
فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٞ مُّنِيبٞ ﴿٧٥﴾
يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآۖ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَۖ
وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٖ ﴿٧٦﴾ وَلَمَّا جَآءَتْ
رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعٗا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ
عَصِيبٞ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ
كَانُواْ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ

---

(١) زوجي، وحاله أنه في سن الشيخوخة والهرم.

(٢) عدم العجلة في الأمور.

(٣) كثير التأوه خوفاً من الله تعالى، وهذا يدل على الشفقة ورقة القلب، ولكنه على كل حال يرجع إلى الله تعالى في كل شأن، ويفوض الأمر إليه، ويرضى بقضائه وحكمه.

(٤) لا يصرف عنهم ولا يدفع.

(٥) أن ينالوهم بسوء، لما يعلم منهم من فعل الفاحشة.

(٦) أي ارتكاب الفاحشة بهم.

=عزيز ثمود كلهم جميعاً   فهمّ بأن يجيب فلو أجابا
لأصبح صالح فينا عزيزاً   وما عدلوا بصاحبهم ذؤابا
ولكن الغُواة من آل حُجر   تولَّوْا بعد رُشْدهم ذئابا

فأقامت الناقة وفصيلها بعد ما وضعته بين أظهرهم مدة، تشرب ماء بئرها يوماً وتدعه لهم يوماً، وكانوا يشربون لبنها يوم شربها، يحتلبونها فيملؤون ما شاؤوا من أوعيتهم وأوانيهم، كما قال في الآية الأخرىٰ: ﴿ونبّئهم أنّ الماءَ قسمةٌ بينهم كل شرب محتضر﴾ [القمر: ٢٨] وقال تعالىٰ: ﴿هذه ناقة لها شِرْبٌ ولكم شِرْبُ يوم معلوم﴾[الشعراء: ١٥٥]. وكانت تسرح في بعض تلك الأودية، ترد من فج وتصدر من غيره ليسعها، لأنها كانت تتضلع من الماء، =وكانت ـ على ما ذكر ـ خلقاً هائلاً ومنظراً رائعاً، إذا مرت بأنعامهم نفرت منها. فلما طال عليهم ذلك واشتد تكذيبهم لصالح النبي عليه السلام، عزموا على قتلها، ليستأثروا بالماء كل يوم، فيقال: إنهم اتفقوا كلهم على قتلها.

قال قتادة: بلغني أن الذي قتل الناقة طاف عليهم كلهم: أنهم راضون بقتلها، حتى على النساء في خدورهن وعلى الصبيان.

قلت: وهذا هو الظاهر، لأن الله تعالى يقول: ﴿فكذّبوه فعقَروها فدَمْدَم عليهم ربُّهم بذنبهم فسَوَّاها﴾ [الشمس:=

أطهر لكم(١) فاتقوا الله ولا تخزون ﴾ تفضحون ﴿ في ضيفي ﴾ أضيافي ﴿ أليس منكم رجل رشيد ﴾ يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

٧٩ ﴿ قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق ﴾ حاجة ﴿ وإنك لتعلم ما نريد ﴾ من إتيان الرجال.

٨٠ ﴿ قال لو أن لي بكم قوة ﴾ طاقة ﴿ أو آوي(٢) إلى ركن شديد ﴾ عشيرة تنصرني، لبطشت بكم.

٨١ فلما رأت الملائكة ذلك ﴿ قالوا يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك ﴾ بسوء ﴿ فأسر(٣) بأهلك بقطع ﴾ طائفة(٤) ﴿ من الليل ولا يلتفت منكم أحد ﴾ لئلا يرى عظيم ما ينزل بهم ﴿ إلا امرأتك ﴾ بالرفع بدل من أحد، وفي قراءة بالنصب استثناء من الأهل، أي فلا تسر بها ﴿ إنه مصيبها ما أصابهم ﴾ فقيل: لم يخرج بها، وقيل: خرجت والتفتت فقالت: واقوماه، فجاءها حجر فقتلها. وسألهم عن وقت هلاكهم فقالوا: ﴿ إن موعدهم الصبح ﴾ فقال: أريد أعجل من ذلك، قالوا: ﴿ أليس الصبح بقريب ﴾.

٨٢ ﴿ فلما جاء أمرنا ﴾ بإهلاكهم ﴿ جعلنا عاليها ﴾ أي قراهم ﴿ سافلها ﴾ أي بأن رفعها جبريل إلى السماء، وأسقطها مقلوبة إلى الأرض ﴿ وأمطرنا عليها حجارة من سجيل ﴾ طين طبخ بالنار ﴿ منضود ﴾ متتابع.

٨٣ ﴿ مسومة ﴾ معلمة، عليها اسم من يرمى بها ﴿ عند ربك ﴾ ظرف لها ﴿ وما هي ﴾ الحجارة، أو بلادهم ﴿ من الظالمين ﴾ أي أهل مكة ﴿ ببعيد ﴾.

٨٤ ﴿ و ﴾ أرسلنا ﴿ إلى مدين أخاهم(٥) شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله ﴾ وحدوه ﴿ ما لكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان إني أراكم بخير ﴾ نعمة تغنيكم عن التطفيف(٦) ﴿ وإني أخاف عليكم ﴾ إن لم تؤمنوا

أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ أَلَيْسَ
مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ
مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً
أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا۟ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ
رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا
يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ
إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ فَلَمَّا
جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً
مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِىَ مِنَ
ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ * وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا
قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ وَلَا تَنقُصُوا۟
ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ

---

(١) أي فزواجكم بهن حلال وطهر لكم.

(٢) ألجأ وأنضم. روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (يرحم الله لوطاً، لقد كان يأوي إلى ركن شديد. ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف، ثم أتاني الداعي لأجبته). قال النووي رحمه الله تعالى: المراد بالركن الشديد هو الله عز وجل، فإنه أشد الأركان وأقواها وأمنعها. [البخاري: الأنبياء، باب: قول الله تعالى ﴿لقد كان في يوسف.﴾ رقم: ٣٢٠٧. مسلم: الإيمان، باب: زيادة طمأنينة القلب بتظاهر الأدلة، رقم: ١٥١].

(٣) فأسر: من الإسراء، وهو المشي في الليل. (٤) طائفة: جزء.

(٥) واحداً منهم. (٦) هو أن ينقص الكيل أو الوزن إذا وفى غيره، ويزيد فيهما إذا استوفى من غيره.

=١٤]. وقال: ﴿وآتينا ثمودَ الناقةَ مُبْصِرَةً فظلَمُوا بها﴾ [الإسراء: ٥٩]. وقال: ﴿فعَقَرُوا الناقة﴾ [الأعراف: ٧٧]. فأسند ذلك إلى مجموع القبيلة، فدل على رضا جميعهم بذلك، والله أعلم.

[عشراء: أتى على حملها عشرة أشهر. تمخض: قرب ولادها. جوفاء وبراء: ضخمة الجوف وكثيرة الوَبَر. أولئك الرهط: أولئك الجماعة من الرجال الكفرة. شرب: اسم للماء الذي يشرب ونحوه. محتضر: يحضره صاحبه في نَوْبَتِه. ترد: تأتي. فج: طريق. تصدر: ترجع. تتضلع: تمتلىء رِيًّا. خدورهن: الخدور جمع خِدر، وهو الموضع الذي تجلس فيه المرأة وراء ستر، كعادة العرب].

قال ابن كثير: وذكر الإمام أبو جعفر بن جرير رحمه الله وغيره من علماء التفسير في سبب قتل الناقة أن امرأة منهم يقال لها: عنيزة ابنة غنم بن مجلز، وتكنى أم غنم، كانت عجوزاً كافرة، وكانت من أشد الناس عداوة لصالح عليه السلام، وكانت لها بنات حسان ومال جزيل، وكان زوجها ذؤاب بن عمرو أحد رؤساء ثمود، وامرأة أخرى يقال لها: صدوف ابنة المحيا بن دهر بن المحيا، ذات حسب ومال وجمال، وكانت تحت رجل مسلم من ثمود، ففارقته، فكانتا تجعلان لمن التزم لهما بقتل الناقة، فدعت صدوف رجلاً يقال له: الحباب، وعرضت عليه نفسها إن هو عقر الناقة، فأبى عليها، فدعت ابن عم لها يقال له مصدع بن مهرج بن المحيا، فأجابها إلى ذلك. ودعت عنيزة بنت غنم قُدار بن سالف بن جُنْدَع ـ وكان رجلاً أحمر أزرق قصيراً، يزعمون أنه كان ولد زنية، وأنه لم يكن من أبيه الذي ينسب إليه وهو سالف، وإنما هو من رجل يقال له: صهياد، ولكن ولد على فراش سالف ـ وقالت له: أعطيك أي بناتي شئت على أن=

﴿ عذاب يوم محيط ﴾ بكم يهلككم، ووصف اليوم به مجاز لوقوعه فيه.

٨٤ ﴿ ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ﴾ أتموهما بالعدل ﴿ ولا تبخسوا الناس أشياءهم ﴾ لا تنقصوهم من حقهم شيئاً ﴿ ولا تعثوا في الأرض مفسدين ﴾ بالقتل وغيره، من عثي - بكسر المثلثة - أفسد، ومفسدين حال مؤكدة لمعنى عاملها تعثوا.

٨٥ ﴿ بقيت الله ﴾ رزقه الباقي لكم بعد إيفاء الكيل والوزن ﴿ خير لكم ﴾ من البخس ﴿ إن كنتم مؤمنين ﴾.

٨٦ ﴿ وما أنا عليكم بحفيظ ﴾ رقيب أجازيكم بأعمالكم، إنما بعثت نذيراً.

٨٧ ﴿ قالوا ﴾ له استهزاءً ﴿ يا شعيب أصلاتك تأمرك ﴾ بتكليف⁽¹⁾ ﴿ أن نترك ما يعبد آباؤنا ﴾ من الأصنام ﴿ أو ﴾ نترك ﴿ أن نفعل في أموالنا ما نشاء ﴾ المعنى: هذا أمر باطل، لا يدعو إليه داعٍ بخير. ﴿ إنك لأنت الحليم الرشيد ﴾ قالوا ذلك استهزاءً⁽²⁾.

٨٨ ﴿ قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي⁽³⁾ ورزقني منه رزقاً حسناً ﴾ حلالاً، أفأشوبه بالحرام من البخس والتطفيف؟ ﴿ وما أريد أن أخالفكم ﴾ وأذهب ﴿ إلى ما أنهاكم عنه ﴾⁽*⁾ فأرتكبه ﴿ إن ﴾ ما ﴿ أريد إلا الإصلاح ﴾ لكم بالعدل ﴿ ما استطعت وما توفيقي ﴾ قدرتي على ذلك وغيره من الطاعات ﴿ إلا بالله عليه توكلت⁽⁴⁾ وإليه أنيب ﴾ أرجع.

٨٩ ﴿ ويا قوم لا يجرمنكم ﴾ يكسبنكم ﴿ شقاقي ﴾ خلافي، فاعل يجرم، والضمير مفعول أول، والثاني ﴿ أن يصيبكم⁽⁵⁾ مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح ﴾ من العذاب ﴿ وما قوم لوط ﴾ أي منازلهم، أو زمن إهلاكهم ﴿ منكم ببعيد ﴾ فاعتبروا.

عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾

---

(1) أي تأمرك بتكليفك لنا بذلك.

(2) وقيل: أرادوا به خلاف معناه، وهو: السفيه الضال.

(3) بصيرة وهداية وبيان، إذ آتاني النبوة.

(4) اعتمدت وفوضت أموري. عن أبي سليمان العتبي رحمه الله تعالى قال: كانت تجيئنا كتب عمر بن عبد العزيز فيها الأمر والنهي، فيكتب في آخرها: وما كانت من ذلك إلا كما قال العبد الصالح: ﴿وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب﴾ [تفسير ابن كثير].

(5) لا تحملنكم عداوتكم لي على الاستمرار في مخالفتي، حتى ينزل بكم العذاب العاجل، بسبب تلك المخالفة.

(*) أخرج أحمد في مسنده [٤/٤٤٧، ٥/٢] عن معاوية بن حيدة رضي الله عنه: أن أخاه مالكاً قال: يا معاوية، إن محمداً أخذ جيراني، فانطلق إليه، فإنه قد كلمك وعرفك. فانطلقت معه، فقال: دع لي جيراني، فقد كانوا أسلموا. فأعرض عنه، فقام مُتَمَعِّطاً، فقال: أما والله لئن فعلت إن الناس يزعمون أنك تأمر بالأمر وتخالف إلى غيره. وجعلت أجره وهو يتكلم، فقال رسول الله ﷺ: «ما تقول». فقال: إنك والله إن فعلت ذلك إن الناس ليزعمون أنك لتأمر الأمر وتخالف إلى غيره. فقال: (أوقد قالوها ؟ لئن فعلت ذلك ما ذاك إلا عليَّ، وما عليهم من ذلك في شيء، أرسلوا له جيرانه).

وفي رواية عنه - رضي الله عنه - قال: أخذ النبي ﷺ ناساً من قومي في تهمة فحبسهم، فجاء رجل من قومي إلى رسول الله ﷺ وهو يخطب، فقال: يا محمد، علام تحبس جيرتي؟ فصمت رسول الله ﷺ عنه، فقال: إن ناساً ليقولون: إنك تنهى عن الشيء وتستخلي به. فقال النبي ﷺ: (ما يقول). قال: فجعلت أعرض بينهما الكلام مخافة أن يسمعها، فيدعو على قومي دعوة لا يفلحون بعدها أبداً، فلم يزل رسول الله ﷺ به حتى فهمها، فقال: (أوقد قالوها، أو: قائلها منهم، والله لو فعلت لكان عليَّ وما كان عليهم، خلوا له عن جيرانه). [أعرض بينهما. . : أي أقول كلاماً حتى لا يسمع النبي ﷺ ما يقول].

وأخرج أحمد - أيضاً - في مسنده [٥/٤٢٥] عن أبي حميد وأبي أسيد الساعديين رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: (إذا سمعتم الحديث عني: تعرفه قلوبكم، وتلين له أشعاركم وأبشاركم، وترون أنه منكم قريب، فأنا أولاكم به. وإذ سمعتم الحديث عني: تنكره قلوبكم، وتنفر منه أشعاركم وأبشاركم، وترون أنه منكم بعيد، فأنا أبعدكم منه).

قال ابن كثير في تفسيره: هذا إسناد صحيح، ومعناه -

= تعقر الناقة. فعند ذلك انطلق قدار بن سالف ومصدع بن = مهرج، فاستغزا غواة من ثمود، فاتبعهما سبعة نفر، فصاروا =

٩٠ ﴿ واستغفروا ربكم(١) ثم توبوا إليه(٢) إن ربي رحيم ﴾ بالمؤمنين ﴿ ودود ﴾ محب لهم.

٩١ ﴿ قالوا ﴾ إيذاناً بقلة المبالاة ﴿ يا شعيب ما نفقه ﴾ نفهم ﴿ كثيراً مما تقول وإنا لنراك فينا ضعيفاً ﴾ ذليلاً ﴿ ولولا رهطك ﴾ عشيرتك ﴿ لرجمناك ﴾ بالحجارة ﴿ وما أنت علينا بعزيز ﴾ كريم عن الرجم، وإنما رهطك هم الأعزة.

٩٢ ﴿ قال يا قوم أرهطي أعز(٣) عليكم من الله ﴾ فتتركوا قتلي لأجلهم ولا تحفظوني لله ﴿ واتخذتموه ﴾ أي الله ﴿ وراءكم ظهرياً ﴾ منبوذاً خلف ظهوركم لا تراقبونه(٤) ﴿ إن ربي بما تعملون محيط ﴾ علماً، فيجازيكم.

٩٣ ﴿ ويا قوم اعملوا على مكانتكم ﴾ حالتكم ﴿ إني عامل ﴾ على حالتي ﴿ سوف تعلمون ﴾.

﴿ من ﴾ موصولة مفعول العلم ﴿ يأتيه عذاب يخزيه(٥) ومن هو كاذب وارتقبوا ﴾ انتظروا عاقبة أمركم ﴿ إني معكم رقيب ﴾ منتظر(٦).

٩٤ ﴿ ولما جاء أمرنا ﴾ بإهلاكهم ﴿ نجينا شعيباً والذين آمنوا معه برحمة منا(٧) وأخذت الذين ظلموا الصيحة ﴾ صاح بهم جبريل(٨) ﴿ فأصبحوا في ديارهم جاثمين ﴾ باركين على الركب ميتين.

٩٥ ﴿ كأن ﴾ مخففة، أي كأنهم ﴿ لم يغنوا ﴾ يقيموا ﴿ فيها ألا بعداً (٩) لمدين كما بعدت ثمود ﴾.

٩٦ ﴿ ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين ﴾ برهان بين ظاهر.

٢٩٨ (الجزء الثانى عشر)

وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ
وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا
لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًاۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ
عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ
وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّاۖ إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ
مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌۖ
سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌۖ
وَٱرْتَقِبُوٓاْ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا
شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ
ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن
لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾

والله أعلم - مهما بلغكم عني من خير فأنا أولاكم به ومهما يكن من مكروه فأنا أبعدكم عنه: ﴿وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم﴾.

وأخرج ابن كثير في تفسيره عن مسروق: أن امرأة جاءت ابن مسعود - رضي الله عنه - قالت: أتنهى عن الواصلة؟ قال: نعم. فقالت: فلعله في بعض نسائك؟ فقال: ما حفظت إذاً وصية العبد الصالح: ﴿وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه﴾. [الواصلة: التي تصل شعر المرأة بشعر غيرها].

(١) اطلبوا منه المغفرة لما سبق منكم من ذنوب بعد أن تؤمنوا.

(٢) ارجعوا إليه بفعل الطاعة. (٣) أهيب وأمنع.

(٤) أي نبذتم أمره وتركتموه كالشيء الملقى وراء الظهر لا يلتفت إليه. (٥) يفضحه في الدنيا ويثبت أنه الشقي بسوء عمله.

(٦) ما يصيبكم ويحل بكم. (٧) بفضل منا، بسبب هدايتنا لهم للإيمان، وتوفيقنا إياهم للطاعة.

(٨) فزلزلوا ورجفت بهم الأرض (٩) هلاكاً.

قال ابن كثير - رحمه الله تعالى - في تفسيره: ذكر ها هنا أنهم أتتهم صيحة، وفي الأعراف: [٩١] رجفة، وفي الشعراء عذاب يوم الظلة، وهم أمة واحدة، اجتمع عليهم يوم عذابهم هذه النقم كلها، وإنما ذكر في كل سياق ما يناسبه، ففي الأعراف لما قالوا: ﴿لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا﴾ ناسب أن يذكر هناك الرجفة، فرجفت بهم الأرض التي ظلموا بها، وأرادوا إخراج نبيهم منها، وها هنا لما أساؤوا الأدب في مقالتهم على نبيهم ناسب ذكر الصيحة التي أسكتتهم وأخمدتهم، وفي الشعراء لما قالوا: ﴿فأسقط علينا كسفاً من السماء إن كنت من الصادقين﴾ [١٨٧]. قال: ﴿فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم﴾ [١٨٩]. وهذا من الأسرار الغريبة الدقيقة، ولله الحمد والمنة كثيراً دائماً.

أقول: والذي ذكره ابن كثير رحمه الله تعالى طريف وجميل، وعذاب الظلة ذكر في شأن أصحاب الأيكة، وهم من قوم شعيب عليه السلام.

= تسعة رهط، وهم الذين قال الله تعالى: ﴿وكان في المدينة تسعةُ رَهْطٍ يفسدُونَ في الأرض ولا يُصْلِحُون﴾ [النمل: ٤٨]. وكانوا رؤساء في قومهم، فاستمالوا القبيلة الكافرة بكمالها، فطاوعتهم على ذلك فانطلقوا فرصدوا الناقة حين صدرت عن الماء، وقد كمن لها قدار في أصل صخرة على = طريقها، وكمن لها مصدع في أصل أخرى، فمرت على مصدع، فرماها بسهم فانتظم به عضلة ساقها، وخرجت أم غنم عنيزة وأمرت ابنتها، وكانت من أحسن الناس وجهاً، فسفرت عن وجهها لقُدار وذمَّرته، فشد على الناقة بالسيف فكسف عرقوبها، فخرت ساقطة إلى الأرض، ورغت رغاة

إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ
بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ
وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَـٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ
ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ
نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَـٰهُمْ
وَلَـٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ
ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ
وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ
أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَـٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾
إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ
مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا
لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ

٩٧ ﴿ إلى فرعون وملئه فاتبعوا أمر فرعون (١) وما أمر فرعون برشيد ﴾ سديد (٢).

٩٨ ﴿ يقدم ﴾ يتقدم ﴿ قومه يوم القيامة ﴾ فيتبعونه كما اتبعوه في الدنيا ﴿ فأوردهم ﴾ أدخلهم ﴿ النار وبئس الورد المورود ﴾ هي (٣).

٩٩ ﴿ وأتبعوا في هذه ﴾ أي الدنيا ﴿ لعنة ويوم القيامة ﴾ لعنة ﴿ بئس الرفد ﴾ العون ﴿ المرفود ﴾ رفدهم (٤).

١٠٠ ﴿ ذلك ﴾ المذكور، مبتدأ خبره ﴿ من أنباء القرى نقصه عليك ﴾ يا محمد ﴿ منها ﴾ أي القرى ﴿ قائم ﴾ هلك أهله دونه ﴿ و ﴾ منها ﴿ حصيد ﴾ هلك بأهله فلا أثر له، كالزرع المحصود بالمناجل (٥).

١٠١ ﴿ وما ظلمناهم ﴾ بإهلاكهم بغير ذنب ﴿ ولكن ظلموا أنفسهم ﴾ بالشرك ﴿ فما أغنت ﴾ دفعت ﴿ عنهم آلهتهم (٦) التي يدعون ﴾ يعبدون ﴿ من دون الله ﴾ أي غيره ﴿ من ﴾ صلة (٧) ﴿ شيء لما جاء أمر ربك ﴾ عذابه ﴿ وما زادوهم ﴾ بعبادتهم لها ﴿ غير تتبيب ﴾ تخسير.

١٠٢ ﴿ وكذلك ﴾ مثل ذلك الأخذ ﴿ أخذ ربك إذا أخذ القرى ﴾ أريد: أهلها ﴿ وهي ظالمة ﴾ بالذنوب، أي فلا يغني عنهم من أخذهم شيء ﴿ إن أخذه أليم شديد ﴾. روى الشيخان عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله ليملي (٨) للظالم، حتى إذا أخذه لم يفلته) ثم قرأ رسول الله ﷺ: «وكذلك أخذ ربك» الآية (٩).

١٠٣ ﴿ إن في ذلك ﴾ المذكور من القصص ﴿ لآية ﴾ لعبرة ﴿ لمن خاف عذاب الآخرة ذلك ﴾ أي يوم القيامة ﴿ يوم مجموع له ﴾ فيه ﴿ الناس وذلك يوم مشهود ﴾ يشهده جميع الخلائق.

١٠٤ ﴿ وما نؤخره إلا لأجل معدود ﴾ لوقت معلوم عند الله.

١٠٥ ﴿ يوم يأتِ ﴾ ذلك اليوم ﴿ لا تكلم ﴾ فيه حذف إحدى التاءين ﴿ نفس إلا بإذنه ﴾ تعالى

---

(١) ما كان عليه من الكفر والتكذيب لما جاء به موسى عليه السلام.

(٢) صائب محمود العاقبة.

(٣) أي بئس المدخل المدخول فيه جهنم، وأصل الورود المرور على الماء للاستقاء منه وإرواء الظمأ، واستعمل في دخول النار تهكماً بهم.

(٤) بئس العون المعان به عونهم، وبئس العطاء المعطى عطاؤهم هذه اللعنات المتتالية.

(٥) المقطوع بها، جمع مِنجل وهو حديدة معقوفة محددة يقطع بها الزرع.

(٦) أصنامهم التي زعموها آلهة.

(٧) زائدة إعراباً، وتفيد تأكيد النفي وعمومه معنى.

(٨) يمده بالنعمة والسلطان ونحوهما.

(٩) البخاري: التفسير/هود، باب: قوله: ﴿وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى..﴾ رقم: ٤٤٠٩. مسلم: البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظلم، رقم: ٢٥٨٣.

=واحدة تحذر سقبها، ثم طعن في لبتها فنحرها. وانطلق سقبها - وهو فصيلها - حتى أتى جبلاً منيعاً، فصعد أعلى صخرة فيه ورغا، فروى عبد الرزاق عن معمر عمن سمع الحسن البصري أنه قال: يا رب، أين أمي؟ ويقال: إنه رغا ثلاث مرات، وإنه دخل في صخرة فغاب فيها، ويقال: بل اتبعوه فعقروه مع أمه، فالله أعلم. فلما فعلوا ذلك وفرغوا من عقر الناقة بلغ الخبر صالحاً عليه السلام، فجاءهم وهم مجتمعون، فلما رأى الناقة بكى وقال: ﴿تمتَّعوا في داركم ثلاثة أيام﴾ الآية [هود: ٦٥]. وكان قتلهم الناقة يوم الأربعاء، فلما أمسى أولئك التسعة عزموا على مثل صالح، وقالوا: إن كان صادقاً عجلناه قبلنا، وإن كان كاذباً ألحقناه بناقته. ﴿وقالوا تقاسموا بالله لنبيتنّه وأهله ثم لنقولن لوليه ما=

=شهدنا مهلك أهله وإنا لصادقون. ومكروا مكراً ومكرنا مكراً وهم لا يشعرون. فانظر كيف كان عاقبة مكرهم﴾ [النمل: ٤٩ - ٥١]. فلما عزموا على ذلك وتواطؤوا عليه، وجاؤوا من الليل ليفتكوا نبي الله صالح، أرسل الله - سبحانه وتعالى، وله العزة ولرسوله - عليهم حجارة فرضختهم سلفاً وتعجيلاً قبل قومهم، وأصبح ثمود يوم الخميس، وهو اليوم الأول من أيام النظرة، ووجوههم مصفرة كما وعدهم صالح عليه السلام وأصبحوا في اليوم الثاني من أيام التأجيل وهو يوم الجمعة، ووجوههم محمرة، وأصبحوا في اليوم الثالث من أيام المتاع، وهو يوم السبت، ووجوههم مسودة، فلما أصبحوا من يوم الأحد وقد تحنطوا وقعدوا ينتظرون نقمة الله وعذابه، عياذاً بالله من ذلك، لا يدرون ماذا يفعل بهم، ولا كيف يأتيهم العذاب، وأشرقت الشمس، جاءتهم صيحة من السماء ورجفة شديدة من أسفل منهم، ففاضت الأرواح=

﴿ فمنهم ﴾ أي الخلق ﴿ شقي و ﴾ منهم ﴿ سعيد ﴾ كتب كل في الأزل(١).

١٠٦ ﴿ فأما الذين شقوا ﴾ في علمه تعالى ﴿ ففي النار لهم فيها زفير ﴾ صوت شديد ﴿ وشهيق ﴾ صوت ضعيف.

١٠٧ ﴿ خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض ﴾ أي مدة دوامهما في الدنيا ﴿ إلا ﴾ غير ﴿ ما شاء ربك ﴾ من الزيادة على مدتهما، مما لا منتهى له. والمعنى: خالدين فيها أبداً ﴿ إن ربك فعّال لما يريد ﴾.

١٠٨ ﴿ وأما الذين سعدوا ﴾ بفتح السين وضمها ﴿ ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ﴾ غير ﴿ ما شاء ربك ﴾ كما تقدم، ودل عليه فيهم قوله: ﴿ عطاء غير مجذوذ ﴾ مقطوع، وما تقدم من التأويل هو الذي ظهر، وهو خالٍ من التكلف، والله أعلم بمراده.

١٠٩ ﴿ فلا تك ﴾ يا محمد ﴿ في مرية ﴾ شك ﴿ مما يعبد هؤلاء ﴾ من الأصنام أنا نعذبهم كما عذبنا من قبلهم، وهذا تسلية للنبي ﷺ ﴿ ما يعبدون إلا كما يعبد آباؤهم ﴾ أي كعبادتهم ﴿ من قبل ﴾ وقد عذبناهم ﴿ وإنا لموفوهم ﴾ مثلهم ﴿ نصيبهم ﴾ حظهم من العذاب ﴿ غير منقوص ﴾ أي تاماً. ١١٠ ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب ﴾ التوراة ﴿ فاختلف فيه ﴾ بالتصديق والتكذيب كالقرآن ﴿ ولولا كلمة سبقت من ربك ﴾(٢) بتأخير الحساب والجزاء للخلائق إلى يوم القيامة ﴿ لقضي بينهم ﴾ في الدنيا فيما اختلفوا فيه(٣) ﴿ وإنهم ﴾ أي المكذبين به ﴿ لفي شك منه مريب ﴾ موقع في الريبة(٤).

١١١ ﴿ وإن ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿ كلًا ﴾ أي كل الخلائق ﴿ لَمَا ﴾ ما زائدة، واللام موطئة لقسم مقدر أو فارقة(٥)، وفي قراءة بتشديد لمَّا بمعنى إلا، فإن نافية ﴿ ليوفينهم ربك أعمالهم ﴾ أي جزاءها ﴿ إنه بما يعملون خبير ﴾ عالم ببواطنه كظواهره.

١١٢ ﴿ فاستقم ﴾ على العمل بأمر ربك والدعاء إليه ﴿ كما أمرت و ﴾ ليستقم ﴿ من تاب ﴾ آمن ﴿ معك ولا تطغوا ﴾ تجاوزوا حدود الله ﴿ إنه بما تعملون

فَمِنۡهُمۡ شَقِيّٞ وَسَعِيدٞ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمۡ
فِيهَا زَفِيرٞ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ
وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾
۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ
ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ عَطَآءً غَيۡرَ
مَجۡذُوذٖ ﴿١٠٨﴾ فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ مِّمَّا يَعۡبُدُ هَٰٓؤُلَآءِۚ مَا يَعۡبُدُونَ
إِلَّا كَمَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبۡلُۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمۡ
نَصِيبَهُمۡ غَيۡرَ مَنقُوصٖ ﴿١٠٩﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ
فَٱخۡتُلِفَ فِيهِۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ
وَإِنَّهُمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ﴿١١٠﴾ وَإِنَّ كُلّٗا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمۡ
رَبُّكَ أَعۡمَٰلَهُمۡۚ إِنَّهُۥ بِمَا يَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿١١١﴾ فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ
أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ

---

(١) بحسب علم الله تعالى بما يكون منه من إيمان أو كفر، وظهر هذا المكتوب في النهاية. روى البخاري ومسلم عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كنا في جنازة في بقيع الغرقد، فأتانا رسول الله ﷺ فقعد وقعدنا حوله، ومعه مخصرة، فنكس وجعل ينكت بمخصرته، ثم قال: (ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من الجنة ومقعده من النار) فقالوا: يا رسول الله، أفلا نتكل على كتابنا؟ فقال: (اعملوا، فكل ميسر لما خلق له: أما من كان من أهل السعادة فسيصير لعمل أهل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاوة فسيصير لعمل أهل الشقاوة) ثم قرأ ﴿فأما من أعطى واتقى. وصدق بالحسنى. فسنيسره لليسرى﴾ الآية. [بقيع الغرقد: هو مقبرة أهل المدينة، والغرقد نوع من الشجر يكثر في ذاك المكان. المخصرة: كالعصا والسوط مما يمسكه الإنسان بيده. ينكت: يضرب الأرض حتى يؤثر فيها. الآية: أي الآيات /٥ ـ ١٠/ من سورة الليل]. [البخاري: التفسير/الليل، باب: قوله ﴿وكذب بالحسنى﴾ وباب: ﴿فسنيسره للعسرى﴾ رقم: ٤٦٦٥، ٤٦٦٦. مسلم: القدر، باب: كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه، رقم: ٢٦٤٧]

(٢) قضاء حكم به في الأزل.

(٣) لفصل بينهم: فجوزي المحسن على إحسانه، والمسيء على إساءته في الدنيا قبل الآخرة.

(٤) الحيرة والتردد.

(٥) بين إن المخففة من إنَّ المشددة، وإنْ النافية. وقوله [ما زائدة] أي زيدت كي لا يتكرر لفظ اللام في كلمة ليوفينهم، إذ لو حذفت لقيل: لَليوفينهم. وقوله [موطئة لقسم..] التقدير: إن كلًا لخلق أو لفريق والله ليوفينهم.

=وزهقت النفوس في ساعة واحدة: ﴿فأصبحوا في دارهم جاثمين﴾. أي: صرعى لا أرواح فيهم، ولم يفلت منهم أحد، لا صغير ولا كبير، لا ذكر ولا أنثى ـ قالوا ـ إلا جارية كانت مقعدة ـ واسمها: كلبة ابنة السلق، ويقال لها: الزريقة، وكانت كافرة شديدة العداوة لصالح عليه السلام،= فلما رأت ما رأت من العذاب، أطلقت رجلاها، فقامت تسعى كأسرع شيء، فأتت حياً من الأحياء فأخبرتهم بما رأت وما حل بقومها، ثم استسقتهم من الماء، فلما شربت ماتت. قال علماء التفسير: ولم يبق من ذرية ثمود أحد، سوى=

بصير ﴾ فيجازيكم(١).

١١٣ ﴿ ولا تركنوا ﴾ تميلوا ﴿ إلى الذين ظلموا ﴾ بموادة أو مداهنة أو رضا بأعمالهم ﴿ فتمسكم ﴾ تصيبكم ﴿ النار وما لكم من دون الله ﴾ أي غيره ﴿ من ﴾ زائدة ﴿ أولياء ﴾ يحفظونكم منه ﴿ ثم لا تنصرون ﴾ تمنعون من عذابه.

١١٤ ﴿ وأقم الصلاة طرفي النهار ﴾ الغداة والعشي، أي الصبح، والظهر والعصر ﴿ وزلفاً ﴾ جمع زُلفة أي طائفة ﴿ من الليل ﴾ المغرب والعشاء ﴿ إن الحسنات ﴾ كالصلوات الخمس ﴿ يذهبن السيئات ﴾ الذنوب الصغائر(٢)، نزلت فيمن قبّل أجنبية، فأخبره ﷺ، فقال: أليَ هذا؟ فقال: (لجميع أمتي كلهم) رواه الشيخان(٣) ﴿ ذلك ذكرى للذاكرين ﴾ عظة للمتعظين.

١١٥ ﴿ واصبر ﴾ يا محمد على أذى قومك، أو على الصلاة ﴿ فإن الله لا يضيع أجر المحسنين ﴾ بالصبر على الطاعة.

١١٦ ﴿ فلولا ﴾ فهلا ﴿ كان من القرون ﴾ الأمم الماضية ﴿ من قبلكم أولو بقية ﴾ أصحاب دين وفضل ﴿ ينهون عن الفساد في الأرض ﴾ المراد به النفي، أي ما كان فيهم ذلك ﴿ إلا ﴾ لكن ﴿ قليلاً ممن أنجينا منهم ﴾ نهوا فنجوا، ومن للبيان ﴿ واتبع الذين ظلموا ﴾ بالفساد وترك النهي ﴿ ما أترفوا ﴾ نعموا ﴿ فيه وكانوا مجرمين ﴾(٤).

١١٧ ﴿ وما كان ربك ليهلك القرى بظلم ﴾ منه لها ﴿ وأهلها مصلحون ﴾ مؤمنون.

١١٨ ﴿ ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ﴾ أهل دين واحد(٥) ﴿ ولا يزالون مختلفين ﴾ في الدين

١١٩ ﴿ إلا من رحم ربك ﴾ أراد لهم الخير، فلا يختلفون فيه ﴿ ولذلك خلقهم ﴾ أي أهل الاختلاف له، وأهل الرحمة لها(٦) ﴿ وتمت كلمة ربك ﴾(٧) وهي ﴿ لأملأن جهنم من الجنة ﴾ الجن ﴿ والناس أجمعين ﴾.

١٢٠ ﴿ وكلاً ﴾ نصب بنقص، وتنوينه عوض عن المضاف إليه، أي كل ما يحتاج إليه ﴿ نقص عليك

٣٠١ (سورة هود)

بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُو۟لُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۙ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ

=صالح عليه السلام ومن اتبعه رضي الله عنهم، إلا أن رجلاً كان يقال له: أبو رغال، كان لما وقعت النقمة بقومه مقيماً في الحرم، فلم يصبه شيء، فلما خرج في بعض الأيام إلى الحل جاءه حجر من السماء فقتله.

(١) أخرج مسلم عن سفيان بن عبد الله الثقفي رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولاً لا أسال عنه أحداً بعدك؟ قال: (قل آمنت بالله، ثم استقم) [مسلم: الإيمان، باب: جامع أوصاف الإسلام، رقم: ٣٨].

(٢) أخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارات لما بينهن ما لم تغش الكبائر) أي تفعل وتؤتى. [مسلم: الطهارة، باب: الصلوات الخمس والجمعة...، رقم: ٢٣٣].

(٣) انظر سبب نزول الآية أسفل.

(٤) لاشتغالهم بنعيم الدنيا عن الآخرة، وانغماسهم في الشهوات التي تغضب الله عزّ وجلّ.

(٥) وشريعة واحدة.

(٦) حسب علمه تعالى في الأزل بالطريق الذي سيختاره كل فريق.

(٧) ثبت مقتضاها وتحقق.

قال ابن كثير في تفسيره:

يخبر تعالى أنه قد سبق في قضائه وقدره ـ لعلمه التام وحكمته النافذة ـ أن ممن خلقه من يستحق الجنة، ومنهم من يستحق النار، وأنه لا بد أن يملأ جهنم من هذين

سبب نزول الآية [١١٤]: عن ابن مسعود رضي الله عنه: أن رجلاً أصاب من امرأة قبلة، فأتى النبيّ ﷺ فأخبره، فأنزل الله: ﴿وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل إنّ الحسنات يذهبن السيئات ﴾ فقال الرجل: يا رسول الله، ألي هذا؟ قال: (لجميع أمتي كلهم). [البخاري: مواقيت الصلاة، باب: الصلاة كفارة، رقم: ٥٠٣. مسلم: التوبة، باب: قوله تعالى: ﴿ إن الحسنات.. ﴾ رقم: ٢٧٦٣].

وعن أبي اليسر رضي الله عنه قال: أتتني امرأة تبتاع تمراً، فقلت: إنّ في البيت تمراً أطيب منه، فدخلت معي في البيت، فاهويت إليها فقبلتها، فأتيت أبا بكر فذكرت ذلك له، فقال: استر على نفسك وتب، ولا تخبر أحداً. فلم أصبر، فأتيت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له، فقال: (أخلفت

من أنباء الرسل ما ﴾ بدل من كلاً ﴿ نثبت ﴾ نطمئن ﴿ به فؤادك ﴾ قلبك(١) ﴿ وجاءك في هذه ﴾ الأنباء، أو الآيات ﴿ الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين ﴾. خصوا بالذكرى لانتفاعهم بها في الإيمان، بخلاف الكفار.

١٢١ ﴿ وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم ﴾ حالتكم ﴿ إنا عاملون ﴾ على حالتنا(٢)، تهديد لهم منه.

١٢٢ ﴿ وانتظروا ﴾ عاقبة أمركم ﴿ إنا منتظرون ﴾ ذلك.

١٢٣ ﴿ ولله غيب السماوات والأرض ﴾ أي علم ما غاب فيهما ﴿ وإليه يرجع ﴾ بالبناء للفاعل يعود، وللمفعول يرد(٣) ﴿ الأمر كله ﴾ فينتقم ممن عصى ﴿ فاعبده ﴾ وحده ﴿ وتوكل عليه ﴾ ثق به، فإنه كافيك ﴿ وما ربك بغافل عما يعملون ﴾ وإنما يؤخرهم لوقتهم، وفي قرأءة بالفوقانية(٤).

(سورة يوسف)

(مكية إلا الآيات ١ و ٢ و ٣ و ٧ فمدنية)(وآياتها ١١١)

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿ الٓر ﴾ الله أعلم بمراده بذلك(٥) ﴿ تلك ﴾ هذه الآيات ﴿ آيات الكتاب ﴾ القرآن، والإضافة بمعنى من ﴿ المبين ﴾ المظهر للحق من الباطل.

٢ ﴿ إنا أنزلناه قرآناً عربياً ﴾ بلغة العرب ﴿ لعلكم ﴾ يا أهل مكة ﴿ تعقلون ﴾ تفقهون معانيه(٦).

٣ ﴿ نحن نقص عليك

مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ
ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا
يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓا۟
إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِۚ وَمَا رَبُّكَ
بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾

(١٢) سُورَةُ يُوسُفَ مَكِّيَّة
وَآيَاتُهَا إِحْدَى عَشْرَةَ وَمِائَة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ
قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ

الثقلين: الجن والإنس، وله الحجة البالغة والحكمة التامة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: (تحاجَّت الجنة والنار، فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة: مالي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم. قال الله تبارك وتعالى للجنة: أنت رحمتي ارحم بك من أشاء من عبادي، وقال للنار: إنما أنت عذابي اعذب بك من أشاء من عبادي، ولكل واحدة منهما مِلْؤها، فأما النار: فلا تمتلىء حتى يضع رجله فتقول: قط قط قط، فهنالك تمتلىء ويُزْوى بعضها الى بعض، ولا يظلم الله عزَّوجلَّ من خلقه أحداً، وأما الجنة: فإن الله عزَّوجلَّ ينشىء لها خلقاً). [البخاري: التفسير/ق، باب: قوله ﴿وتقول هل من مزيد﴾ رقم: ٤٥٦٩. مسلم: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: النار يدخلها الجبارون ...، رقم: ٢٨٤٦]. [تحاجت: تخاصمت، والله تعالى أعلم بذلك التخاصم. أوثرت: اختصصت. المتجبرين: جمع متجبر، وهو المتعاظم بما ليس فيه، والذي لا يُكْتَرث بأمره. سقطهم: الساقطون من أعين الناس والمحتقرون لديهم، لفقرهم وضعفهم وقلة منزلتهم. من أشاء: ممن استحق العقوبة واكتسب أسبابها].

(١) صار المعنى: نقص عليك من أنباء الرسل كل ما يحتاج إليه لتثبيت قلبك. (٢) من القيام بما أمرنا به ربنا.

(٣) بالبناء للفاعل «يَرْجِعُ» وبالبناء للمفعول «يُرْجَعُ».

(٤) أي «تعملون» فيجازيكم به. (٥) انظر/ البقرة: ١/.

(٦) قال ابن كثير في تفسيره: وذلك لأن لغة العرب أفصح اللغات وأبينها وأوسعها، وأكثرها تأدية للمعاني التي تقوم بالنفوس، فلهذا أنزل أشرف الكتب بأشرف اللغات، على أشرف الرسل، بسفارة أشرف الملائكة، وكان ذلك في أشرف بقاع الأرض، وابتدىء إنزاله في أشرف شهور السنة وهو رمضان، فكمل من كل الوجوه، ولهذا قال تعالى: ﴿ نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن﴾ بسبب إيحائنا إليك هذا القرآن. وقال: ومما يناسب ذكره عند هذه الآية الكريمة، المشتملة على مدح القرآن، =

غازياً في سبيل الله في أهله بمثل هذا)... واطرق طويلاً حتى أوحى الله إليه: ﴿وأقم الصلاة طرفي النهار ـ إلى قوله ـ للذاكرين﴾ [الترمذي: تفسير القرآن، باب: ومن سورة هود، رقم: ٣١١٤].

سبب نزول الآية [٣] من سورة يوسف: عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه في قوله عزّ وجلّ: ﴿ نحن نقص عليك أحسن القصص ﴾ قال: أنزل القرآن على رسول الله ﷺ، فتلاه عليهم زماناً، فقالوا: يا رسول الله، لو قصصت. فأنزل الله تعالى: ﴿آلر تلك آياتُ الكتاب المبين﴾ إلى قوله: ﴿ نحن نقص عليك أحسن القصص ﴾ الآية، فتلاه عليهم زماناً، فقالوا: يا رسول الله، لو حدثتنا.. فأنزل الله تعالى: ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الحديثِ كتاباً مُتَشَابِهاً﴾ [الزمر: ٢٣]. قال: كل ذلك ليؤمنوا بالقرآن. [أخرجه الحاكم في المستدرك: التفسير/ تفسير سورة يوسف: ٢/٣٤٥].

أحسن القصص بما أوحينا ﴾ بإيحائنا ﴿ إليك هذا القرآن وإن ﴾ مخففة، أي وإنه ﴿ كنت من قبله لمن الغافلين ﴾(١).

٤ اذكر ﴿ إذ قال يوسف لأبيه ﴾ يعقوب(٢) ﴿ يا أبت ﴾ بالكسر دلالة على ياء الإضافة المحذوفة، والفتح دلالة على ألف محذوفة قلبت عن الياء ﴿ إني رأيت ﴾ في المنام ﴿ أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم ﴾ تأكيد(٣) ﴿ لي ساجدين ﴾ جمع بالياء والنون للوصف بالسجود الذي هو من صفات العقلاء.

٥ ﴿ قال يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً ﴾أي يحتالوافي هلاكك حسداً، لعلمهم بتأويلها(٤): من أنهم الكواكب، والشمس أمك، والقمر أبوك(٥) ﴿ إن الشيطان للإنسان عدو مبين ﴾ ظاهر العداوة(٦).

٦ ﴿ وكذلك ﴾ كما رأيت ﴿ يجتبيك ﴾ يختارك ﴿ ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ﴾ تعبير الرؤيا(٧) ﴿ ويتم نعمته عليك ﴾ بالنبوة ﴿ وعلى آل يعقوب ﴾ أولاده ﴿ كما أتمها ﴾ بالنبوة ﴿ على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق إن ربك عليم ﴾ بخلقه ﴿ حكيم ﴾ في صنعه بهم.

٧ ﴿ لقد كان في ﴾ خبر ﴿ يوسف وإخوته ﴾ وهم أحد عشر ﴿ آيات ﴾ عبر ﴿ للسائلين ﴾ عن خبرهم.

أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن
كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ إِذۡ قَالَ يُوسُفُ
لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا وَٱلشَّمۡسَ
وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ
رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ
لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ
مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ
يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ ع
إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٦﴾ * لَّقَدۡ كَانَ فِي يُوسُفَ
وَإِخۡوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٞ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ إِذۡ قَالُواْ لَيُوسُفُ
وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي
ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ

٨ اذكر ﴿ إذ قالوا ﴾ أي بعض إخوة يوسف لبعضهم ﴿ ليوسف ﴾ مبتدأ ﴿ وأخوه ﴾ شقيقه بنيامين ﴿ أحب ﴾ خبر ﴿ إلى أبينا منا ونحن عصبة ﴾ جماعة ﴿ إن أبانا لفي ضلال ﴾ خطأ ﴿ مبين ﴾ بين، بإيثارهما علينا(٨).

٩ ﴿ اقتلوا يوسف أو اطرحوه(٩) أرضاً ﴾ أي بأرض بعيدة ﴿ يخل

---

(١) عن القصص الذي نقصه عليك: لم يخطر لك ببال، ولم يقرع لك سمعاً.

(٢) أخرج البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم). [الأنبياء، باب: ﴿أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت﴾].

(٣) أي لفظ ﴿رأيتهم﴾ المكرر. (٤) بتفسيرها وما تشير إليه.

(٥) أي ويفهموا من ذلك أنك ستفضل عليهم. روى البخاري ومسلم عن أبي قتادة رضي الله عنه قال: كنت أرى الرؤيا تمرضني، حتى سمعت رسول الله ﷺ يقول: (الرؤيا الصالحة من الله، والرؤيا السوء من الشيطان، فإذا رأى أحدكم ما يحب فلا يحدث بها إلا من يحب. وإذا رأى أحدكم ما يكره فليتفل عن يساره ثلاثاً، وليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم وشرها، فإنها لن تضره). [البخاري: التعبير، باب: إذا رأى ما يكره. .، رقم: ٦٦٣٧. مسلم: أوائل كتاب الرؤيا، رقم: ٢٢٦١].

(٦) أي ويحتمل أن يوسوس لهم بأن يكيدوا لك.

(٧) تفسيرها وما يؤول إليه أمرها في اليقظة.

(٨) مع أننا أكثر نفعاً له، فنحن الذين نقوم بمصالحه من أمور دنياه. (٩) غربوه إليها وألقوه فيها واتركوه.

= وأنه كاف عن كل ما سواه من الكتب ما قال الإمام أحمد:

حدثنا سريج بن النعمان: أخبرنا هشيم: أنبانا مجالد، عن الشعبي، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب، فقرأه على النبي ﷺ، فغضب وقال: (أَمُتَهَوِّكُونَ فيها يا بن الخطاب؟ والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبونه، أو بباطل فتصدقونه. والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حياً لما وسعه إلا أن يتبعني).

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق: أخبرنا سفيان، عن جابر، عن الشعبي، عن عبد الله بن ثابت رضي الله عنه قال: جاء عمر - رضي الله عنه - إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إني مررت بأخ لي من قريظة، فكتب لي جوامع من التوراة، ألا أعرضها عليك؟ قال: فتغير وجه رسول الله ﷺ، قال عبد الله بن ثابت: فقلت له: ألا ترى ما بوجه رسول الله ﷺ؟ فقال عمر: رضينا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً. قال: فَسُرِّيَ عن النبي ﷺ وقال: (والذي نفس محمد بيده، لو أصبح فيكم موسى ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم، إنكم حظي من الأمم، وأنا حظكم من النبيين). [انظر مسند أحمد: ٣٨٧/٣، ٣٦٥/٤].

متهوكون: متحيرون.

فائدة: أخرج ابن جرير الطبري في تفسيره عن جابر رضي الله عنه قال: أتى النبي ﷺ رجل من يهود يقال له: بستانة اليهودي، فقال له: =

لكم وجه أبيكم ﴾ بأن يقبل عليكم ولا يلتفت لغيركم ﴿ وتكونوا من بعده ﴾ أي بعد قتل يوسف أو طرحه ﴿ قوماً صالحين ﴾ بأن تتوبوا.

١٠ ﴿ قال قائل منهم ﴾ هو يهوذا ﴿ لا تقتلوا يوسف وألقوه ﴾ اطرحوه ﴿ في غيابت الجب ﴾ مظلم البئر(١)، وفي قراءة بالجمع(٢) ﴿ يلتقطه بعض السيارة ﴾ المسافرين ﴿ إن كنتم فاعلين ﴾ ما أردتم من التفريق فاكتفوا بذلك.

١١ ﴿ قالوا يا أبانا مالك لا تأمنا على يوسف وإنا له لناصحون ﴾ لقائمون بمصالحه.

١٢ ﴿ أرسله معنا غداً ﴾ إلى الصحراء ﴿ نرتع ونلعب ﴾ بالنون والياء فيهما، ينشط ويتسع(٣) ﴿ وإنا له لحافظون ﴾.

١٣ ﴿ قال إني ليحزنني(٤) أن تذهبوا ﴾ أي ذهابكم ﴿ به ﴾ لفراقه ﴿ وأخاف أن يأكله الذئب ﴾ المراد به الجنس(٥)، وكانت أرضهم كثيرة الذئاب ﴿ وأنتم عنه غافلون ﴾ مشغولون.

١٤ ﴿ قالوا لئن ﴾ لام قسم ﴿ أكله الذئب ونحن عصبة ﴾ جماعة ﴿ إنا إذاً لخاسرون ﴾ عاجزون، فأرسله معهم.

١٥ ﴿ فلما ذهبوا به وأجمعوا ﴾ عزموا ﴿ أن يجعلوه في غيابت الجب ﴾ وجواب لما محذوف، أي فعلوا ذلك: بأن نزعوا قميصه، بعد ضربه وإهانته وإرادة قتله، وأدلوه، فلما وصل إلى نصف البئر فلتوه ليموت، فسقط في الماء، ثم أوى إلى صخرة(٦)، فنادوه فأجابهم يظن رحمتهم، فأرادوا رضخه(٧) بصخرة، فمنعهم يهوذا ﴿ وأوحينا إليه ﴾ في الجب وحي حقيقة(٨)، وله سبع عشرة سنة أو دونها، تطميناً لقلبه(٩) ﴿ لتنبئنهم ﴾ بعد اليوم ﴿ بأمرهم ﴾ بصنيعهم ﴿ هذا وهم لا يشعرون ﴾ بك حال الإنباء.

١٦ ﴿ وجاؤوا أباهم عشاء ﴾ وقت المساء ﴿ يبكون ﴾.

١٧ ﴿ قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق ﴾ نرمي(١٠) ﴿ وتركنا يوسف عند متاعنا ﴾ ثيابنا ﴿ فأكله الذئب وما أنت بمؤمن ﴾ بمصدق ﴿ لنا

لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾
قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ
ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾
قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ
لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ
لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّى لَيَحْزُنُنِىٓ أَن تَذْهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَخَافُ
أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا۟ لَئِنْ أَكَلَهُ
ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾ فَلَمَّا ذَهَبُوا۟
بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ
لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ
عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا
يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا

---

(١) أي ما أظلم منه وغاب عن عين الناظر فيه.

(٢) أي «غيابات»، وهي قراءة متواترة. [النشر]

(٣) في المآكل والمشارب ونحوها.

(٤) والحزن ألم القلب بفراق المحبوب.

(٥) أي ذئب ما، لا ذئب معين.

(٦) التجأ إليها في قعر البئر.

(٧) ضرب رأسه.

(٨) أي بنزول جبريل عليه السلام.

(٩) أي كان الوحي للتطمين، وليس للنبوة والإرسال والتكليف بالأحكام.

(١٠) نتبارى بالرمي.

=يا محمد، أخبرني عن الكواكب التي رآها يوسف أنها ساجدة له، ما أسماؤها؟ قال: فسكت النبي ﷺ ساعة فلم يجبه بشيء، ونزل عليه جبريل عليه السلام فأخبره بأسمائها، قال: فبعث رسول الله ﷺ إليه فقال: (هل أنت مؤمن إذا أخبرتك بأسمائها). قال: نعم، قال: (جربان، والطارق، والذيال، وذو الكتفين، وقابس، ووثاب، وعمودان، والفليق، والمصبح، والضروح، وذو الفرع ، والضياء، والنور). فقال اليهودي: إي والله إنها لأسماؤها.

فائدة: قال ابن كثير في تفسيره: قال محمد بن إسحاق بن يسار: لقد اجتمعوا على أمر عظيم، من قطيعة الرحم، وعقوق الوالد، وقلة الرأفة بالصغير الضَّرَع الذي لا ذنب له، وبالكبير الفاني ذي الحق والحرمة والفضل، وخطره عند الله، مع حق الوالد على ولده، ليفرقوا بينه وبين ابنه وحبيبه، على كبر سنه، ورقة عظمه، مع مكانه من الله فيمن أحبه طفلاً صغيراً، وبين ابنه على ضعف قوته وصغر سنه، وحاجته إلى لطف والده وسكونه إليه، يغفر الله لهم وهو أرحم الراحمين، فقد احتملوا أمراً عظيماً. [الضرع: الضعيف]. وقال: واعلم أنه لم يقم دليل على نبوة إخوة يوسف، وظاهر هذا السياق يدل على خلاف ذلك، ومن الناس من يزعم أنهم أوحي إليهم بعد ذلك، وفي هذا نظر، ويحتاج مدعي ذلك إلى دليل، ولم يذكروا سوى قوله تعالى: ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط﴾ [البقرة: ١٣٦] وهذا فيه احتمال، لأن بطون بني إسرائيل يقال لهم: الأسباط، كما يقال للعرب: قبائل، وللعجم: شعوب، يذكر تعالى أنه أوحى إلى الأنبياء من أسباط بني إسرائيل، فذكرهم إجمالاً لأنهم كثيرون، ولكن كل سبط من نسل رجل من إخوة يوسف، ولم يقم دليل على أعيان هؤلاء أنهم أوحي إليهم، والله أعلم.

٣٠٥ (سـورة يوسف)

وَلَوْ كُنَّا صَـٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ
قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ
وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ
فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَـٰبُشْرَىٰ هَـٰذَا غُلَـٰمٌ ۚ
وَأَسَرُّوهُ بِضَـٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ
بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾
وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ
عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ
فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ
عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا
بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَـٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى
ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ

ولو كنا صادقين ﴾ عندك لاتهمتنا في هذه القصة لمحبة يوسف، فكيف وأنت تسيء الظن بنا؟.

١٨ ﴿ وجاؤوا على قميصه ﴾ محله نصب على الظرفية، أي فوقه ﴿ بدم كذب ﴾ أي ذي كذب، بأن ذبحوا سخلة(١) ولطخوه بدمها، وذهلوا عن شقه، وقالوا: إنه دمه ﴿ قال ﴾ يعقوب، لما رآه صحيحاً وعلم كذبهم(٢) ﴿ بل سولت ﴾ زينت ﴿ لكم أنفسكم أمراً ﴾ ففعلتموه به ﴿ فصبر جميل ﴾ لا جزع فيه(٣)، وهو خبر مبتدأ محذوف، أي أمري ﴿ والله المستعان ﴾ المطلوب منه العون ﴿ على ما تصفون ﴾ تذكرون من أمر يوسف.

١٩ ﴿ وجاءت سيارة ﴾ مسافرون من مدين إلى مصر، فنزلوا قريباً من جب يوسف ﴿ فأرسلوا واردهم ﴾ الذي يرد الماء ليستقي منه ﴿ فأدلى ﴾ أرسل ﴿ دلوه ﴾ في البئر، فتعلق بها يوسف، فأخرجه، فلما رآه ﴿ قال يا بشراي ﴾ وفي قراءة «بشرى» ونداؤها مجاز، أي احضري فهذا وقتك ﴿ هذا غلام ﴾ فعلم به إخوته فأتوهم ﴿ وأسروه ﴾ أي أخفوا أمره جاعليه ﴿ بضاعة ﴾ بأن قالوا: هذا عبدنا أبق(٤)، وسكت يوسف خوفاً من أن يقتلوه (٥) ﴿ والله عليم بما يعملون ﴾.

٢٠ ﴿ وشروه ﴾ باعوه منهم ﴿ بثمن بخس ﴾ ناقص ﴿ دراهم معدودة ﴾ عشرين أو اثنين وعشرين ﴿ وكانوا ﴾ أي إخوته ﴿ فيه من الزاهدين ﴾ فجاءت بـه السيارة إلى مصر، فباعه الذي اشتراه بعشرين ديناراً، وزوجي نعل، وثوبين.

٢١ ﴿ وقال الذي اشتراه من مصر ﴾ وهو قطفير العزيز ﴿ لامرأته ﴾ زليخا ﴿ أكرمي مثواه ﴾ مقامه عندنا ﴿ عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً ﴾ وكان حصوراً(٦) ﴿ وكذلك ﴾ كما نجيناه من القتل والجب، وعطفنا عليه قلب العزيز ﴿ مكنا ليوسف في الأرض ﴾ أرض مصر، حتى بلغ ما بلغ ﴿ ولنعلمه من تأويل الأحاديث ﴾ تعبير الرؤيا (٧)، عطف على مقدر متعلق بمكنا أي لنملكه، أو الواو زائدة ﴿ والله غالب على أمره ﴾ تعالى، لا يعجزه شيء ﴿ ولكن أكثر الناس ﴾ وهم الكفار ﴿ لا يعلمون ﴾ ذلك.

٢٢ ﴿ ولما بلغ أشده ﴾ وهو ثلاثون سنة أو وثلاث ﴿ آتيناه حكماً ﴾ حكمة ﴿ وعلماً ﴾ فقهاً في الدين، قبل أن يبعث نبياً ﴿ وكذلك ﴾ كما جزيناه ﴿ نجزي المحسنين ﴾ لأنفسهم.

٢٣ ﴿ وراودته التي هو في بيتها ﴾ هي زليخا ﴿ عن نفسه ﴾ أي طلبت منه أن يواقعها(٨)

---

(١) هي الصغيرة من الغنم. (٢) إذ لو أكله الذئب لمزق قميصه.
(٣) ولا شكوى لغير الله تعالى. (٤) هرب.

(٥) الأصح أن الذين وجدوه أخفوا أمره عن أصحابهم، وادعوا أنهم اشتروه للتجارة به. والبضاعة ما قطع من المال للتجارة به.

(٦) أي كان العزيز لا يستطيع إتيان النساء عن عجز.

(٧) تفسيرها.

(٨) أي يجامعها، وراود من المراودة، وهي في الأصل: الذهاب والمجيء لطلب الشيء، وفي استعماله إشارة إلى ترددها في تغليق الأبواب، وتهيئة نفسها، ومحاولتها خداعه لتصل إلى غرضها.

فائدة في فضل الصبر: عن أبي مالك الحارث بن عاصم الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (الطُهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن ـ أو تملأ ـ ما بين السموات والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك. كل الناس يغدو، فبائع نفسه فمعتقها، أو موبقها). [رواه مسلم في الطهارة، باب: فضل الوضوء، رقم: ٢٢٣]

[الطهور: الوضوء ونحوه. شطر: نصف. برهان: حجة على إيمان معطيها. ضياء: ينير للإنسان طريق الفوز. موبقها: مهلكها].

ـ وعن أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدري رضي الله عنهما: أن ناساً من الأنصار سألوا رسول الله ﷺ فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم، حتى نَفِد ما عنده، فقال لهم حين أنفق كل شيءٍ بيده: (ما يكن عندي من خير فلن أدخره عنكم، ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله، ومن يتصبر يصبره الله. وما أعطي أحد عطاءً خيراً وأوسع من الصبر). [البخاري: الزكاة، باب: الاستعفاف عن المسألة، رقم: ١٤٠٠. مسلم: الزكاة، باب: فضل التعفف والصبر، رقم: ١٠٥٣]. [فلن أدخره: لن أحبسه وأمنعه منكم. يستعفف: يظهر العفة ويكف عن السؤال].

وعن أبي يحيى صهيب بن سنان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحدٍ إلا للمؤمن: إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له). [مسلم: الزهد والرقائق، باب: المؤمن أمره كله له خير، رقم: ٢٩٩٩].

﴿ وغلقت الأبواب ﴾ للبيت ﴿ وقالت ﴾ له ﴿ هيت لك ﴾ أي هلم، واللام للتبيين(١)، وفي قراءة بكسر الهاء، وأخرى بضم التاء(٢) ﴿قال معاذ الله﴾ أعوذ بالله من ذلك ﴿إنه﴾ الذي اشتراني ﴿ربي﴾ سيدي(٣) ﴿أحسن مثواي﴾ مقامي، فلا أخونه في أهله ﴿ إنه ﴾ أي الشأن ﴿ لا يفلح الظالمون ﴾ الزناة.

٢٤ ﴿ ولقد همت به ﴾ قصدت منه الجماع(٤) ﴿ وهم بها ﴾ قصد ذلك(٥) ﴿ لولا أن رأى برهان ربه ﴾ قال ابن عباس: مثل له يعقوب، فضرب صدره، فخرجت شهوته من أنامله(٦). وجواب لولا: لجامعها ﴿ كذلك ﴾ أريناه البرهان ﴿ لنصرف عنه السوء ﴾ الخيانة ﴿ والفحشاء ﴾ الزنا ﴿ إنه من عبادنا المخلِصين ﴾ في الطاعة، وفي قراءة بفتح اللام، أي المختارين.

٢٥ ﴿ واستبقا الباب ﴾ بادر إليه يوسف للفرار وهي للتشبث فيه، فأمسكت ثوبه وجذبته إليها ﴿ وقدت ﴾ شقت ﴿ قميصه من دبر(٧) وألفيا ﴾ وجدا ﴿ سيدها ﴾ زوجها ﴿ لدى الباب ﴾ فنزهت نفسها ثم ﴿ قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءً﴾ زناً ﴿ إلا أن يسجن ﴾ يحبس، اي سجن ﴿ أو عذاب أليم ﴾ مؤلم، بأن يضرب.

٢٦ ﴿ قال ﴾ يوسف متبرئاً ﴿ هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من أهلها ﴾ ابن عمها، روي أنه كان في المهد(٨)، فقال ﴿ إن كان قميصه قُدَّ من قُبل ﴾ قدام ﴿ فصدقت وهو مِنَ الكاذبين ﴾.

٢٧ ﴿ وإن كان قميصه قد من دبر ﴾ خلف ﴿ فكذبت وهو من الصادقين ﴾.

٢٨ ﴿ فلما رأى ﴾ زوجها ﴿ قميصه قد من دبر قال إنه ﴾ أي قولك: ما جزاء من أراد إلخ ﴿ من كيدكن(٩) إن كيدكن ﴾ أيها النساء ﴿ عظيم ﴾.

٢٩ ثم قال يا ﴿ يوسف أعرض عن هذا ﴾ الأمر ولا تذكره، لئلا يشيع(١٠)

وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ
إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾
وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ
كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا
ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ
وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ
سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى
عَن نَّفْسِى ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ
مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ
قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾
فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ
إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ

---

(١) تبيين المخاطب، كأنها تقول: الخطاب لك.

(٢) فالقراءات المتواترة في لفظ [هيت] هي: ﴿هَيْتَ﴾ ﴿هِيتَ﴾ ﴿هَيْتُ﴾ ﴿هِئْتَ﴾ ﴿هِئْتُ﴾ والمعنى: هلم، أي أقبل وتعال.

(٣) والأظهر أن الضمير يعود على الله عزّ وجلّ، فهو يذكر فضل الله تعالى عليه إذ نجاه وأنزل عليه الوحي، فليس من شأنه أن يعصي الله تعالى.

(٤) بعزم وتصميم، ومحاولة إجبار على الفعل.

(٥) مال إليه بنفسه، بمقتضى الطبع البشري، من غير رضا ولا تصميم. وقيل: هم بها يزجرها ويعظها.

(٦) أو: هو ما انبعث في نفسه من هيبة الله عزّ وجلّ وفظاعة معصيته وما جبل عليه هو وآباؤه من الطهر والترفع عن الرذيلة.

(٧) من خلف.

(٨) وقيل: كان كبيراً حكيماً يجالس الملك، فقال ذلك على سبيل الفتوى والحكم.

(٩) حيلكن وتدبيركن، لتصلن إلى ما تردْنَ ولو كذبْتُنَّ.

(١٠) أي: حتى لا يفشو وينتشر بين الناس.

فائدة: في الذين تكلموا في المهد:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة: عيسى. وكان في بني إسرائيل رجل يقال له جريج، كان يصلي، جاءته أمه فدعته، فقال: أجيبها أو أصلي، فقالت: اللهم لا تمته حتى تريه وجوه المومسات، وكان جريج في صومعته، فتعرضت له امرأة وكلمته فأبى، فأتت راعياً فأمكنته من نفسها، فولدت غلاماً، فقالت: من جريج، فأتوه فكسروا صومعته وأنزلوه وسبوه، فتوضأ ثم أتى الغلام، فقال: من أبوك يا غلام؟ قال: الراعي، قالوا: نبني صومعتك من ذهب؟ قال: لا، إلا من طين. وكانت امرأة ترضع ابناً لها من بني إسرائيل، فمر بها رجل راكب ذو شارة، فقالت: اللهم اجعل ابني مثله، فترك ثديها وأقبل على الراكب، فقال: اللهم لا تجعلني مثله، ثم أقبل على ثديها يمصه - قال أبو هريرة: كأني أنظر إلى النبي ﷺ يمص إصبعه - ثم مُرّ بأمَةٍ، فقالت: اللهم لا تجعل ابني مثل هذه، فترك ثديها، فقال: اللهم اجعلني مثلها، فقالت: لم ذاك؟ فقال: الراكب جبار من الجبابرة، وهذه الأمة يقولون: سرقتِ، زنيت، ولم تفعل. [البخاري: الأنبياء، باب: ﴿واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها رقم: ٣٢٥٣. مسلم: البر والصلة والآداب، باب: تقديم بر الوالدين على التطوع بالصلاة، رقم: ٢٥٥٠].

[المهد: الفراش الذي يهيأ للصبي ليضجع فيه وينام، والمراد هنا: حال الصغر قبل أوان الكلام. ذو شارة: ذو حسن وجمال، وقيل صاحب=

﴿ واستغفري ﴾ يا زليخا ﴿ لذنبك إنك كنت من الخاطئين ﴾ الآثمين.

٣٠ واشتهر الخبر وشاع ﴿ وقال نسوة في المدينة ﴾ مدينة مصر ﴿ امرأة العزيز تراود فتاها ﴾ عبدها ﴿ عن نفسه قد شغفها حباً ﴾ تمييز، أي دخل حبه شغاف قلبها، أي غلافه ﴿ إنا لنراها في ضلال ﴾ أي في خطإ ﴿ مبين ﴾ بين، بحبها إياه.

٣١ ﴿ فلما سمعت بمكرهن ﴾ غيبتهن لها(١) ﴿ أرسلت إليهن وأعتدت ﴾ أعدت ﴿ لهن متكأ ﴾ طعاماً يقطع بالسكين، للاتكاء عنده(٢)، وهو الأترج(٣) ﴿ وآتت ﴾ أعطت ﴿ كل واحدة منهن سكيناً وقالت ﴾ ليوسف ﴿ اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه ﴾ أعظمنه ﴿ وقطعن أيديهن ﴾ بالسكاكين، ولم يشعرن بالألم لشغل قلوبهن بيوسف ﴿ وقلن حاش لله ﴾ تنزيهاً له ﴿ ما هذا ﴾ أي يوسف ﴿ بشراً إن ﴾ ما ﴿ هذا إلا ملك كريم ﴾ لما حواه من الحسن الذي لا يكون عادة في النسمة البشرية، وفي الحديث أنه: (أعطي شطرالحسن)(٤).

٣٢ ﴿ قالت ﴾ امرأة العزيز، لما رأت ما حل بهن ﴿ فذلكن ﴾ فهذا هو ﴿ الذي لمتنني فيه ﴾ في حبه، بيان لعذرها ﴿ ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ﴾ امتنع ﴿ ولئن لم يفعل ما آمره ﴾ به ﴿ ليسجنن وليكوناً من الصاغرين ﴾ الذليلين، فقلن له: أطع مولاتك.

٣٣ ﴿ قال رب السجن أحب إليّ مما يدعونني إليه وإلا تصرف عني كيدهن(٥) أصب ﴾ أمل ﴿ إليهن وأكن ﴾ أصِر ﴿ من الجاهلين ﴾ المذنبين، والقصد بذلك(٦) الدعاء، فلذا قال تعالى: ٣٤ ﴿ فاستجاب له ربه ﴾ دعاءه

وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾
۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن
نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾
فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ
مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ
عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ
حَـٰشَ لِلَّهِ مَا هَـٰذَا بَشَرًا إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾
قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن
نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ
وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّـٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ
إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ
إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ

---

(١) وسميت الغيبة مكراً لأنها تخفى عن المغتاب كما يخفى المكر. وقيل: لأنهن طلبن بذلك رؤية يوسف عليه السلام، لما وصف به من الحسن والجمال، وتعلق قلوبهن به.

(٢) أي سمي متكأ للاتكاء عنده. عن أبي جحيفة وهب بن عبد الله السوائي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا آكل مُتَّكِئاً) [البخاري: الأطعمة، باب: الأكل متكئاً، رقم: ٥٠٨٣] والمعنى: لا آكل حال كوني معتمداً بشقي على شيء مائلاً. وقيل: جالساً جلسة المستريح على وطاء ونحوه يستكثر من الطعام. (٣) نوع من الحمضيات يشبه البرتقال.

(٤) نصفه، أخرجه مسلم في حديث الإسراء والمعراج: [كتاب الإيمان، باب: الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات رقم: ١٦٢].

(٥) ما يحتلن به علي وإغراءهن لي بفعل ما أردن مني.

(٦) بقوله ﴿وإلا تصرف..﴾ فكأنه قال: اللهم اصرف عني كيدهن حتى لا أصير. قال ابن كثير في تفسيره: أي: إن وكلتني إلى نفسي، فليس لي من نفسي قدرة، ولا أملك لها ضراً ولا نفعاً إلا بحولك وقوتك، أنت المستعان وعليك التكلان، فلا تكلني إلى نفسي. وقال: وذلك أن يوسف عليه السلام عَصَمه الله عصمة عظيمة وحماه، فامتنع منها أشد الامتناع، واختار السجن على ذلك، وهذا في غاية مقامات الكمال: أنه مع شبابه وجماله وكماله تدعوه سيدته، وهي امرأة عزيز مصر، وهي مع هذا في غاية الجمال والمال والرياسة، ويمتنع من ذلك، ويختار السجن على ذلك، خوفاً من الله ورجاء ثوابه.

ولهذا ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظِلَّ إلا ظلُّه: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق بالمسجد، إذا خرج منه حتى يعود إليه. ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وافترقا عليه، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه، ورجل دعته امرأة ذات جمال ومنصب، فقال: إني أخاف الله). انتهى كلام ابن كثير. [والحديث في البخاري:

=هيئة وملبس حسن، يتعجب منه ويشار إليه. أمة: امرأة مملوكة. لم ذاك: أي سألته عن سبب دعائه أن يكون مثل الأمة ولا يكون مثل الرجل. ولم تفعل: والحال أنها بريئة، لم تسرق ولم تزن، وتلتجىء إلى الله تعالى أن يجيرها وأن ينيبها].

وأخرج ابن جرير في تفسيره للآية [٢٦] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: تكلم أربعة في المهد وهم صغار: ابن ماشطة بنت فرعون، وشاهد يوسف، وصاحب جريج، وعيسى بن مريم عليهما السلام.

﴿ فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع ﴾ للقول ﴿ العليم ﴾ بالفعل.

٣٥ ﴿ ثم بدا ﴾ ظهر ﴿ لهم من بعد ما رأوا الآيات ﴾ الدلالات على براءة يوسف، أن يسجنوه، دل على هذا ﴿ ليسجننه حتى ﴾ إلى ﴿ حين ﴾ ينقطع فيه كلام الناس، فسجن.

٣٦ ﴿ودخل معه السجن فتيان﴾ غلامان للملك: أحدهما ساقيه والآخر صاحب طعامه(١)، فرأياه يعبر الرؤيا(٢)، فقالا: لنختبرنه ﴿ قال أحدهما ﴾ وهو الساقي ﴿ إني أراني أعصر خمراً ﴾ أي عنباً(٣) ﴿ وقال الآخر ﴾ وهو صاحب الطعام ﴿ إني أراني أحمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه نبئنا ﴾ خبرنا ﴿ بتأويله ﴾ بتعبيره ﴿ إنا نراك من المحسنين﴾(٤).

٣٧ ﴿ قال ﴾ لهما، مخبراً أنه عالم بتعبير الرؤيا ﴿ لا يأتيكما طعام ترزقانه ﴾ في منامكما (٥) ﴿ إلا نبأتكما بتأويله ﴾ في اليقظة ﴿ قبل أن يأتيكما ﴾ تأويله (٦) ﴿ ذلكما مما علمني ربي ﴾ فيه حث على إيمانهما، ثم قواه بقوله: ﴿ إني تركت ملة ﴾ دين ﴿ قوم (٧) لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم ﴾ تأكيد ﴿ كافرون ﴾.

٣٨ ﴿ واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب ما كان ﴾ ينبغي ﴿ لنا أن نشرك بالله من ﴾ زائدة ﴿ شيء ﴾ لعصمتنا ﴿ ذلك ﴾ التوحيد ﴿ من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس ﴾ وهم الكفار ﴿ لا يشكرون ﴾ الله فيشركون. ثم صرح بدعائهما إلى الإيمان فقال:

٣٩ ﴿ يا صاحبي ﴾ ساكني ﴿ السجن ءأرباب

فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾
ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْـَٔايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ
حِينٍ ﴿٣٥﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ
إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْـَٔاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ
فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ
إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ
تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ
ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ
وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ
إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ
مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَىٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ

الأذان، باب: من جلس في المسجد ينتظر الصلاة. . ، رقم: ٦٢٩. مسلم :الزكاة، باب :فضل إخفاء الصدقة، رقم :١٠٣١].

(١)، الذي يهيء له الطعام.

(٢) يفسر ما يرى في المنام.

(٣) ليكون خمراً.

(٤) إلى أهل السجن: تواسي فقيرهم وتعود مريضهم ونحو ذلك، فأحسن إلينا بتعبير رؤيانا. أو المراد الصالحين، لأنه كان يقوم الليل ويصوم النهار. وقيل: العالمين بتعبير الرؤيا.

(٥) وقيل: في اليقظة، من عند أهلكما أو غيرهم.

(٦) تفسيره بالوقوع والوجود في اليقظة.

(٧) أي لم اتبعها أصلاً، والمراد ما كان عليه أهل مصر.

قال ابن كثير: يقول: هجرت طريق الكفر والشرك، وسلكت طريق هؤلاء المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وهكذا يكون حال من سلك طريق الهدى واتبع المرسلين، وأعرض عن طريق الظالمين. فإنه يهدي قلبه ويعلمه ما لم يكن يعلمه، ويجعله إماماً يقتدى به في الخير، وداعياً إلى سبيل الرشاد. أقول: ويؤيد هذا قوله تعالى: ﴿واتقوا الله ويعلمكم الله﴾ [البقرة: ٢٨٢] وقوله سبحانه: ﴿ومن يؤمن بالله يهدِ قلبه﴾ [التغابن: ١١].

فائدة: في الرؤيا وتأويلها: عن أبي قتادة رضي الله عنه قال: كنت أرى الرؤيا تمرضني، حتى سمعت النبي ﷺ يقول: (الرؤيا الحسنة من الله، فإذا رأى أحدكم ما يحب فلا يحدث به إلا من يحب، وإذا رأى ما يكره فليتعوذ بالله من شرها، ومن شر الشيطان، ولْيَتْفُلْ ثلاثاً، ولا يحدث بها أحداً، فإنها لن تضره).

وفي رواية قال: قال النبي ﷺ: (الرؤيا الصالحة من الله، والحُلُم من الشيطان، فإذا حَلَم أحدكم حُلُماً يخافه فليبصق عن يساره، وليتعوذ بالله من شرها، فإنها لا تضره). [البخاري: بدء الخلق، باب: صفة إبليس وجنوده، رقم: ٣١١٨. التعبير، باب: إذا رأى ما يكره فلا يخبر بها ولا يذكرها، رقم: ٦٦٣٧. مسلم: أول كتاب الرؤيا، رقم: ٢٢٦١]. [الرؤيا: اسم لما يتخيله النائم ويراه في منامه. الصالحة والحسنة: هي السالمة من التخليط، وربما جاءت في اليقظة كما رآها في المنام. الحلم: ما يراه النائم من أخلاط وتخيلات سيئة تحزنه وتدخل عليه الغم. يخافه: يخاف ما رأى فيه من شر وسوء].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (الرؤيا الحسنة، من الرجل الصالح، جزء من ستةٍ وأربعين جُزءاً من النبوة). [البخاري: التعبير، باب: رؤيا الصالحين، رقم ٦٥٨٢. مسلم: أوائل كتاب الرؤيا، رقم: ٢٢٦٤]. [الرجل: أي الإنسان، رجلاً كان أم امرأة. من النبوة: لأن الأنبياء يخبرون بما سيكون والرؤيا تدل على ما يكون].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لم يبق من النبوة إلّا المبشّراتُ). قالوا: وما المبشراتُ؟ قال: (الرؤيا=

متفرقون(١) خير أم الله الواحد القهار ﴾(٢) خير؟ استفهام تقرير.

٤٠ ﴿ ما تعبدون من دونه ﴾ أي غيره ﴿ إلا أسماء سميتموها ﴾ سميتم بها أصناماً ﴿ أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها ﴾ بعبادتها ﴿ من سلطان ﴾ حجة وبرهان ﴿ إن ﴾ ما ﴿ الحكم ﴾ القضاء ﴿ إلا لله ﴾ وحده ﴿ أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك ﴾ التوحيد ﴿ الدين القيِّم ﴾ المستقيم ﴿ ولكن أكثر الناس ﴾ وهم الكفار ﴿ لا يعلمون ﴾ ما يصيرون إليه من العذاب فيشركون.

٤١ ﴿ يا صاحبي السجن أما أحدكما ﴾ أي الساقي فيخرج بعد ثلاث ﴿ فيسقي ربه ﴾ سيده ﴿ خمراً ﴾ على عادته ﴿ وأما الآخر ﴾ فيخرج بعد ثلاث ﴿ فيصلب فتأكل الطير من رأسه ﴾ هذا تأويل رؤياكما، فقالا: ما رأينا شيئاً، فقال: ﴿ قضي ﴾ تم ﴿ الأمر الذي فيه تستفتيان ﴾ سألتما عنه، صدقتما أم كذبتما(٣).

٤٢ ﴿ وقال للذي ظن ﴾ أيقن ﴿ أنه ناجٍ منهما ﴾ وهو الساقي ﴿ اذكرني عند ربك ﴾ سيدك، فقل له: إن في السجن غلاماً محبوساً ظلماً، فخرج ﴿ فأنساه ﴾ أي الساقي ﴿ الشيطان ذكر ﴾ يوسف عند ﴿ ربه فلبث ﴾ مكث يوسف ﴿ في السجن بضع سنين ﴾ قيل: سبعاً، وقيل: اثنتي عشرة.

٤٣ ﴿ وقال الملك ﴾ ملك مصر الريان بن الوليد ﴿ إني أرى ﴾ أي رأيت ﴿ سبع بقرات سمان يأكلهن ﴾ يبتلعهن ﴿ سبع ﴾ من البقر ﴿ عجاف ﴾ جمع عجفاء(٤) ﴿ وسبع سنبلات خضر وأخر ﴾ أي سبع سنبلات ﴿ يابسات ﴾ قد التوت على الخضر وعلت عليها ﴿ يا أيها الملأ(٥) أفتوني في رؤياي ﴾ بينوا لي تعبيرها(٦) ﴿ إن كنتم للرؤيا تعبرون ﴾ فاعبروها.

٤٤ ﴿ قالوا ﴾ هذه ﴿ أضغاث ﴾ أخلاط ﴿ أحلام(٧) وما نحن

مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن
دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ
بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ
إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾
يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ
وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ۚ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ
ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا
ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ
فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ
بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ
وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ
لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ۖ وَمَا نَحْنُ

---

(١) متعددون مختلفون في التركيب، من ذهب وحديد وحجارة وغير ذلك.

(٢) الذي قهر كل شيء وذلله، فاستسلم لأمره وانقاد لتدبيره. والمعنى: أن الأصنام التي تعبدونها مقهورة مغلوبة فلا يليق بها أن تعبد، والله تعالى هو وحده المستحق للعبادة، لأنه القاهر الغالب.

(٣) الكذب في الرؤيا أن يدعي أنه رأى شيئاً ما، وهو لم يره. وهو من الذنوب الكبيرة، لأن الرؤيا نوع من الوحي، فكأنه يكذب على الله عز وجل. وقد ورد في ذلك وعيد شديد ونهي أكيد: عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: (من تحلم بحلم لم يره كلف أن يعقد بين شعيرتين، ولن يفعل). [تحلم: ادعى أنه رأى حلماً. وتكليفه بعقد الشعيرتين كناية عن شدة عذابه يوم القيامة].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: (إن من أفرى الفرى أن يُرِيَ عينَه ما لم ترَ). الفرى: أشد الكذب وأسوؤه. أخرج الحديثين البخاري في صحيحه [التعبير، باب: من كذب في حلمه، رقم: ٦٦٣٥، ٦٦٣٦]

(٤) شديدة الهزال.

(٥) الناس من الكهنة والسحرة والمعبرين.

(٦) تفسيرها.

(٧) جمع ضِغْث، وهو في الأصل الحزمة المختلطة من أنواع النبات، استعير لما يراه النائم في منامه ويختلط عليه. وأحلام جمع حُلُم، وهو ما يراه النائم مما يسيء غالباً، ولا يقع تأويل له في اليقظة.

= الصالحة). [البخاري: التعبير، باب: المبشرات، رقم: ٦٥٨٩]. والمبشرات: جمع مُبَشِّرَة من التبشير، وهو الإخبار بما يدخل السرور والفرح على المخبر. والمراد: أن الوحي ينقطع بموته ﷺ، ولا يبقى ما يعلم منه ما سيكون إلا الرؤيا الصالحة. وعن قيس بن عبادٍ قال: كنت جالساً في مسجد المدينة، فدخل رجل على وجهه أثرُ الخشوع، فقالوا: هَذا رجلٌ من أهل الجنة. فصلَّى ركعتين تجوَّز فيهما، ثم خرج، وتبعته فقلت: إنك حين دخلت المسجد قالوا: هذا رجلٌ من أهل الجنة. قال: والله ما ينبغي لأحدٍ أن يقول ما لا يعلم، وسأُحدِّثُك لم ذاك: رأيت رؤيا على عهد النبي ﷺ فقصصتها عليه، ورأيت كأني في روضةٍ ـ ذكر من سعتها وخضرتها ـ وسطها عمود من حديد، أسفله في الأرض وأعلاه في السماء، في أعلاه عُروةٌ، فقيل لي: ارْقَهْ، قلت: لا أستطيع، فأتاني مِنْصَفٌ، فرفع ثيابي من خلفي، فرَقِيت حتى كنت في أعلاها، فأخذت بالعُرْوَةِ، فقيل لي: استمسك. فاستيقظت وإنها لفي يدي، فقصصتها على النبي ﷺ، قال: (تلك الروضةُ الإسلام، وذلك العمودُ عمودُ الإسلام؛ وتلك العُرْوة عروة الوثقى، فأنت على الإسلام حتى تموت). وذلك الرجل عبد الله بن سلام. [البخاري: فضائل الصحابة، باب: مناقب عبد الله بن سلام رضي الله عنه، رقم:

بتأويل الأحلام بعالمين ﴾(١).

٤٥ ﴿ وقال الذي نجا منهما ﴾ أي من الفتيين، وهو الساقي **﴿ وادكر ﴾** فيه إبدال التاء في الأصل دالاً وإدغامها في الذال(٢)، أي تذكر يوسف **﴿بعد أمة﴾** حين(٣)، قال **﴿أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون﴾** فأرسلوه، فأتى يوسف فقال: **٤٦** يا **﴿ يوسف أيها الصديق ﴾** الكثير الصدق **﴿ أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلي أرجع إلى الناس ﴾** أي الملك وأصحابه **﴿ لعلهم يعلمون ﴾** تعبيرها.

٤٧ ﴿ قال تزرعون ﴾ أي ازرعوا **﴿ سبع سنين دأباً ﴾** متتابعة، وهي تأويل السبع السمان **﴿ فما حصدتم(٤) فذروه ﴾** أي اتركوه **﴿ في سنبله ﴾** لئلا يفسد **﴿ إلا قليلاً مما تأكلون ﴾** فادرسوه(٥).

٤٨ ﴿ ثم يأتي من بعد ذلك ﴾ أي السبع المخصبات **﴿ سبع شداد ﴾** مجدبات(٦) صعاب، وهي تأويل السبع العجاف **﴿ يأكلن ما قدمتم لهن ﴾** من الحب المزروع في السنين المخصبات، أي تأكلونه فيهن **﴿ إلا قليلاً مما تحصنون ﴾**(٧).

٤٩ ﴿ ثم يأتي من بعد ذلك ﴾ أي السبع المجدبات **﴿ عام فيه يغاث الناس ﴾** بالمطر **﴿ وفيه يعصرون ﴾** الأعناب وغيرها، لخصبه.

بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا
وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾
يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ
سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ
أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ
سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا
مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ
يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِى
مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾
وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ
إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ
إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ

٥٠ ﴿ وقال الملك ﴾ لما جاءه الرسول وأخبره بتأويلها **﴿ ائتوني به ﴾** أي الذي عبرها **﴿ فلما جاءه ﴾** أي يوسف **﴿ الرسول ﴾** وطلبه للخروج **﴿ قال ﴾** قاصداً إظهار براءته **﴿ ارجع إلى ربك فاسأله ﴾**(٨) أن يسأل **﴿ ما بال ﴾** حال **﴿ النسوة اللاتي قطعن أيديهن إن ربي ﴾** سيدي(٩) **﴿ بكيدهن عليم ﴾** فرجع، فأخبر الملك، فجمعهن.

٥١ ﴿ قال ما خطبكن ﴾ شأنكن **﴿ إذ راودتن**

---

(١) قالوا ذلك لعجزهم عن تفسيرها.

(٢) أي أصل ﴿ادكر﴾ اذتكر، من الذكر، فقلبت دالاً، فاجتمع متقاربان الذال والدال، لأنها صارت: اذْدكر، فقلبت الذال دالاً أيضاً وأدغمت في الدال الثانية المنقلبة عن التاء. فكان ينبغي أن يقال: وأدغمت فيها الدال، أي الأولى المنقلبة عن الذال. وفي بعض النسخ [وإدغامها في الذال]. والمراد بعد قلبها دالاً، فالمعنى واحد.

(٣) طويل من الزمن. (٤) قطعتم من الزرع وقت حصاده.

(٥) ازيلوا قشره. (٦) قليلات الأمطار، وبالتالي قليلات الزرع.

(٧) تحفظونه للبذر.

(٨) اطلب منه بيان الجواب. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لو لبثت في السجن طول لبث يوسف لأجبت الداعي). [البخاري: الأنبياء، باب: قوله عز وجل: ﴿ونبئهم عن ضيف إبراهيم. .، رقم: ٣١٩٢. ومسلم: الإيمان، باب: زيادة طمأنينة القلب بتظاهر الأدلة رقم: ١٥١].

(٩) الأقرب عود الضمير على الله عزّ وجلّ، والمعنى: إن الله سبحانه وتعالى - الذي هو ربي وإليه أفوض أموري - عالم بما صنعته وما احتلن به عليّ حتى كان ما كان.

=٣٦٠٢. مسلم: فضائل الصحابة، باب: من فضائل عبد الله بن سلام رضي الله عنه، رقم: ٢٤٨٤].

وعن نافع مولى ابن عمر: أن ابن عمر رضي الله عنهما قال: إن رجالاً من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يرونَ الرُّؤيا على عهد رسول الله ﷺ، فيقصونها على رسول الله ﷺ، فيقول رسول الله ﷺ ما شاء الله، وأنا غلامٌ حديثُ السنّ، وبيتي المسجد قبل أن أنكِحَ، فقلت في نفسي: لو كان فيك خيرٌ لرأيت مثل ما يرى هؤلاء. فلما اضطجعتُ ليلة قلت: اللهمَّ إن كنت تعلم فيَّ خيراً فأرني رؤيا، فبينما أنا كذلك إذ جاءني ملكان، في يد كُلِّ واحدٍ منهما مِقْمَعَةٌ من حديد، يُقبلان بي إلى جهنّم، وأنا بينهما أدعو الله: اللهم أعوذ بك من جهنّم، ثم أُراني لقيني مَلَكٌ في يده مِقمعةٌ من حديد، فقال: لم تُرَعْ، نِعْمَ الرجل أنتَ، لو تكثر الصلاة. فانطلقوا بي حتى وقفوا بي على شفير جهنّم، فإذا هي مطويةٌ كطيِّ البئر، لها قرونٌ كقرونِ البئر، بين كل قرنين ملك بيده مقمعةٌ من حديدٍ، وأرى فيها رجالاً مُعلّقين بالسلاسل، رؤوسهم أسفلهم، عرفت فيهم رجالاً من قريش، فانصرفوا بي عن ذاتِ اليمين. فقصصتها على حفصة، فقصّتها حفصةُ على رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: (إن عبدَ الله رجلٌ صالح). فقال نافع: لم يزل بعد ذلك يكثر الصَّلاة. وفي رواية: (نعم الرجل عبد الله، لو كان يصلي من الليل). فكان بعد لا ينام من الليل إلا قليلاً. [البخاري: التهجد، باب: فضل قيام الليل، رقم: ١٠٧٠. التعبير، باب: الأمن وذهاب الروع في المنام، رقم: ٦٦٢٥. مسلم: فضائل الصحابة، باب: من فضائل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، رقم: ٢٤٧٩] [مقمعة: عصى معوجة الرأس. مطوية: مبنية الجوانب. قرنان: جانبان. لم ترع: لا خوف عليك].

يوسف عن نفسه ﴾ هل وجدتن منه ميلا إليكن؟ ﴿ قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصحص ﴾ وضح ﴿ الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين ﴾ في قوله: «هي راودتني عن نفسي» فأخبر يوسف بذلك فقال:

٥٢ ﴿ ذلك ﴾ أي طلب البراءة ﴿ ليعلم ﴾ العزيز ﴿ أني لم أخنه ﴾ في أهله ﴿ بالغيب ﴾ حال ﴿ وأن الله لا يهدي كيد الخائنين ﴾. ثم تواضع لله فقال:

٥٣ ﴿ وما أبرىء نفسي ﴾ من الزلل ﴿ إن النفس ﴾ الجنس(١) ﴿ لأمارة ﴾ كثيرة الأمر ﴿ بالسوء إلا ما ﴾ بمعنى من ﴿ رحم ربي ﴾ فعصمه ﴿ إن ربي غفور رحيم ﴾.

٥٤ ﴿ وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي ﴾ أجعله خالصاً لي دون شريك، فجاءه الرسول وقال: أجب الملك، فقام وودع أهل السجن ودعا لهم، ثم اغتسل ولبس ثياباً حسنة ودخل عليه ﴿ فلما كلمه قال ﴾ له ﴿ إنك اليوم لدينا مكين أمين ﴾ ذو مكانة وأمانة على أمرنا، فماذا ترى أن نفعل؟ قال: اجمع الطعام(٢) وازرع زرعاً كثيراً في هذه السنين المخصبة، وادخر الطعام في سنبله، فتأتي إليك الخلق ليمتاروا منك(٣). فقال: ومن لي بهذا؟.

٥٥ ﴿ قال ﴾ يوسف ﴿ اجعلني على خزائن الأرض ﴾ أرض مصر ﴿ إني حفيظ عليم ﴾ ذو حفظ وعلم بأمرها، وقيل: كاتب حاسب.

٥٦ ﴿ وكذلك ﴾ كإنعامنا عليه بالخلاص من السجن ﴿ مكنا ليوسف في الأرض ﴾ أرض مصر ﴿ يتبوأ ﴾ ينزل ﴿ منها حيث يشاء ﴾ بعد الضيق والحبس. وفي القصة: أن الملك توجه وختمه(٤)، وولاه مكان العزيز وعزله، ومات بعد، فزوجه امرأته، فوجدها عذراء(٥)، وولدت له ولدين، وأقام العدل بمصر، ودانت له الرقاب(٦). ﴿ نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين ﴾.

٥٧ ﴿ ولأجر الآخرة خير ﴾ من أجر الدنيا ﴿ للذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾.

٥٨ ودخلت سنو القحط، وأصاب أرض كنعان(٧) والشام ﴿ وجاء إخوة يوسف ﴾ إلا بنيامين ليمتاروا، لما بلغهم أن عزيز مصر يعطي الطعام بثمنه

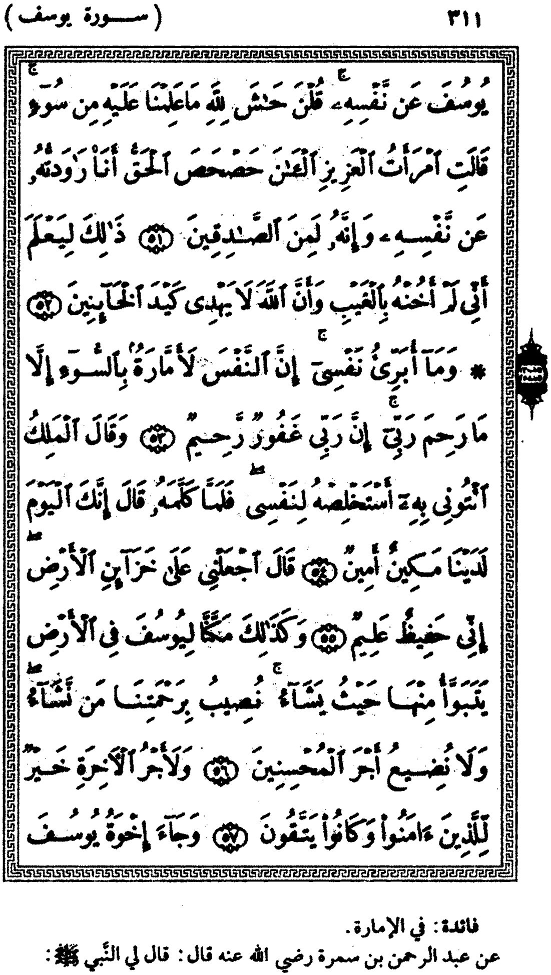

٣١١ (سورة يوسف)

يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍۚ
قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ
عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ
أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾
۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا
مَا رَحِمَ رَبِّىٓۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ
ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِىۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ
لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِۖ
إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ
يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ
وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجْرُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ
لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ

---

(١) أي جنس النفس.
(٢) الحب الذي يصنع طعاماً.
(٣) ليأخذوا الميرة، وهي: الطعام المجلوب من بلد لبلد.
(٤) ألبسه تاجه وحلاه بخاتمه.
(٥) غير مدخول فيها، لأن زوجها كان لا يقدر على إتيان النساء.
(٦) خضع له الناس وانقادوا لحكمه.
(٧) في القاموس المحيط: والكنعانيون أمة تكلمت بلغة تضارع العربية، أولاد كنعان بن سام بن نوح عليه الصلاة والسلام.

فائدة: في الإمارة.

عن عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه قال: قال لي النبي ﷺ: «يا عبد الرحمن بن سمرة، لا تسأل الإمارة، فإنك إن أوتيتها عن مسألة وكلت إليها، وإن أوتيتها من غير مسألة أعنت عليها، وإذا حلفت على يمين، فرأيت غيرها خيراً منها، فكفر عن يمينك وأت الذي هو خير» [البخاري: أوائل الأيمان والنذور، رقم: ٦٢٤٨. مسلم: الأيمان، باب: ندب من حلف يميناً فرأى غيرها خيراً منها أن يأتي الذي هو خير، رقم: ١٦٥٢] [لا تسأل الإمارة: لا تطلب أن تكون والياً أو حاكماً. وكلت إليها: تركك الله تعالى لتدبير نفسك. أعنت عليها: هيأ الله تعالى لك أعوان خير ينصحون لك ويسددون خطاك بتوفيق من الله عز وجل. حلفت على يمين: أقسمت على شيء، والأصل: حلفت يميناً، فعلى مقحمة تأكيداً للمعنى. فكفر: أخرج الكفارة المشروعة].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إنكم ستحرصون على الإمارة، وستكون ندامة يوم القيامة، فنعم المرضعة وبئست الفاطمة» [البخاري: الأحكام، باب: ما يكره من الحرص على الإمارة، رقم: ٦٧٢٩] [ندامة: لمن لم يعمل فيها بما ينبغي عليه].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: أقبلت إلى النبي ﷺ ومعي رجلان من الأشعريين، أحدهما عن يميني والآخر =

﴿ فدخلوا عليه فعرفهم ﴾ أنهم إخوته ﴿ وهم له منكرون ﴾ لا يعرفونه لبعد عهدهم به، وظنهم هلاكه، فكلموه بالعبرانية، فقال كالمنكر عليهم: ما أقدمكم بلادي؟ فقالوا: للميرة، فقال: لعلكم عيون⁽¹⁾؟ قالوا: معاذ الله، قال: فمن أين أنتم؟ قالوا: من بلاد كنعان، وأبونا يعقوب نبي الله، قال: وله أولاد غيركم؟ قالوا: نعم، كنا اثني عشر، فذهب أصغرنا هلك في البرية، وكان أحبنا إليه، وبقي شقيقه، فاحتبسه ليتسلى به عنه. فأمر بإنزالهم وإكرامهم.

٥٩ ﴿ ولما جهزهم بجهازهم ﴾ وفّى لهم كيلهم ﴿ قال ائتوني بأخ لكم من أبيكم ﴾ أي بنيامين، لأعلم صدقكم فيما قلتم ﴿ ألا ترون أني أوفي الكيل ﴾ أتمه من غير بخس ﴿ وأنا خير المنزلين ﴾.

٦٠ ﴿ فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ﴾ أي ميرة ﴿ ولا تقربون ﴾ نهي، أو عطف على محل فلا كيل، أي تحرموا ولا تقربوا.

٦١ ﴿ قالوا سنراود عنه أباه ﴾ سنجتهد في طلبه منه ﴿ وإنا لفاعلون ﴾ ذلك.

٦٢ ﴿ وقال لفتيته ﴾ وفي قراءة «لفتيانه» غلمانه ﴿ اجعلوا بضاعتهم ﴾ التي أتوا بها ثمن الميرة، وكانت دراهم ﴿ في رحالهم ﴾ أوعيتهم ﴿ لعلهم يعرفونها إذا انقلبوا إلى أهلهم ﴾ وفرغوا أوعيتهم ﴿ لعلهم يرجعون ﴾ إلينا، لأنهم لا يستحلون إمساكها.

٦٣ ﴿ فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا يا أبانا منع منا الكيل ﴾⁽²⁾ إن لم ترسل أخانا إليه ﴿ فأرسل معنا أخانا نكتل ﴾ بالنون والياء ﴿ وإنا له لحافظون ﴾.

٦٤ ﴿ قال هل ﴾ ما ﴿ آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه ﴾ يوسف ﴿ من قبل ﴾ وقد فعلتم به ما فعلتم ﴿ فالله خير حفظاً ﴾ وفي قراءة «حافظاً» تمييز⁽³⁾، كقولهم لله دره فارساً ﴿ وهو أرحم الراحمين ﴾ فأرجو أن يمن بحفظه.

٦٥ ﴿ ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم قالوا يا أبانا ما نبغي ﴾ ما استفهامية، أي أيُّ شيء تطلب من إكرام الملك أعظم من هذا؟ وقرىء بالفوقانية⁽⁴⁾ خطاباً ليعقوب، وكانوا ذكروا له إكرامه لهم ﴿ هذه بضاعتنا ردت إلينا ونمير أهلنا ﴾ نأتي بالميرة لهم، وهي الطعام ﴿ ونحفظ أخانا

فَدَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم
بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ
أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِى بِهِۦ
فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ
أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ
فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ
يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا رَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا
ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾
قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ ۖ
فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا۟
مَتَٰعَهُمْ وَجَدُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ۖ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى ۖ
هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا

---

(1) جواسيس.

(2) بعد هذه المرة.

(3) أي على القراءتين.

(4) أي: ﴿ما تبغي﴾.

= عن يساري، ورسول الله ﷺ يستاك، فكلاهما سأل، فقال: «يا أبا موسى، أو: يا عبد الله بن قيس». قال: قلت: والذي بعثك بالحق ما أطلعاني على ما في أنفسهما، وما شعرت أنهما يطلبان العمل. فكأني أنظر إلى سواكه تحت شفته قلصت، فقال: «لن ـ أو: لا ـ نستعمل على عملنا من أراده، ولكن اذهب أنت يا أبا موسى ـ أو: يا عبد الله بن قيس ـ إلى اليمن». ثم أتبعه معاذ بن جبل، فلما قدم عليه ألقى له وسادة، قال: انزل، وإذا رجل عنده موثق، قال: ما هذا؟ قال: كان يهودياً فأسلم ثم تهود، قال: اجلس، قال: لا أجلس حتى يقتل، قضاء الله ورسوله، ثلاث مرات. فأمر به فقتل، ثم تذاكرا قيام الليل، فقال أحدهما: أما أنا فأقوم وأنام، وأرجو من نومتي ما أرجو في قومتي. [البخاري: استتابة المرتدين، باب: حكم المرتد والمرتدة واستتابتهم، رقم: ٦٥٢٥. مسلم: الإمارة، باب: النهي عن طلب الإمارة والحرص عليها، رقم: ١٧٣٣] [يستاك: يدلك أسنانه بالسواك. سأل: طلب الولاية. يا أبا موسى: أي ما تقول؟ وما هذا الطلب. قلصت: انزوت وارتفعت. موثق: مربوط بقيد. في نومتي: بسبب نومي. ما أرجو في قومتي: مثل ما أرجو في قيامي في الليل من الأجر].

فائدة: في الوفاء بالكيل.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما قدم نبي الله ﷺ المدينة كانوا من أخبث الناس كيلاً، فأنزل الله: ﴿ويل للمطففين﴾ فحسنوا الكيل بعد ذلك. [ابن ماجه: التجارات، باب: التوقي في الكيل والوزن، رقم: ٢٢٢٣].

وأخرج ابن أبي حاتم عن هلال بن طلق قال: بينا أنا أسير مع ابن عمر فقلت: من أحسن الناس هيئة وأوفاه كيلاً؟ أهل مكة أو المدينة؟ قال: حق لهم، أما سمعت الله يقول: ﴿ويل للمطففين﴾. [ابن كثير].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال له رجل: يا

وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ (٦٥) قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَن يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ (٦٦) وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (٦٧) وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٦٨) وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٦٩) فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ

ونزداد كيل بعير ﴾[1] لأخينا ﴿ ذلك كيل يسير ﴾ سهل على الملك لسخائه.

٦٦ ﴿ قال لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقاً ﴾ عهداً ﴿ من الله ﴾ بأن تحلفوا ﴿ لتأتنني به إلا أن يحاط بكم ﴾ بأن تموتوا أو تغلبوا، فلا تطيقوا الإتيان به. فأجابوه إلى ذلك ﴿ فلما آتوه موثقهم ﴾ بذلك ﴿ قال الله على ما نقول ﴾ نحن وأنتم ﴿ وكيل ﴾ شهيد، وأرسله معهم.

٦٧ ﴿ وقال يا بني لا تدخلوا ﴾ مصر ﴿ من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة ﴾ لئلا تصيبكم العين[2] ﴿ وما أغني﴾ أدفع ﴿عنكم﴾ بقولي ذلك ﴿من الله من﴾ صلة[3] ﴿شيء﴾ قدَّره عليكم، وإنما ذلك شفقة ﴿إن﴾ ما ﴿ الحكم إلا لله ﴾ وحده ﴿ عليه توكلت ﴾ به وثقت ﴿ وعليه فليتوكل المتوكلون ﴾.

٦٨ قال تعالى: ﴿ ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ﴾ أي متفرقين ﴿ ما كان يغني عنهم من الله ﴾ أي قضائه ﴿ من ﴾ صلة[3] ﴿ شيء إلا ﴾ لكن ﴿ حاجة في نفس يعقوب قضاها ﴾ وهي إرادة دفع العين شفقة ﴿ وإنه لذو علم لما علمناه ﴾ لتعليمنا إياه ﴿ ولكن أكثر الناس ﴾ وهم الكفار ﴿ لا يعلمون ﴾ إلهام الله لأصفيائه.

٦٩ ﴿ ولما دخلوا على يوسف آوى ﴾ ضم ﴿ إليه أخاه قال إني أنا أخوك فلا تبتئس ﴾ تحزن ﴿ بما كانوا يعملون ﴾ من الحسد لنا، وأمره أن لا يخبرهم، وتواطأ معه على أنه سيحتال على أن يبقيه عنده.

٧٠ ﴿ فلما جهزهم بجهازهم[4] جعل السقاية ﴾ هي صاع[5] من ذهب مرصع بالجوهر ﴿ في رحل أخيه ﴾ بنيامين

أبا عبد الرحمن، إن أهل المدينة ليوفون الكيل. قال: وما يمنعهم أن يوفوا الكيل وقد قال الله عز وجل: ﴿ويل للمطففين﴾ حتى بلغ ﴿يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾ [ابن جرير].

قال ابن كثير: فالمراد بالتطفيف ها هنا: البخس في المكيال والميزان، إما بالازدياد إن اقتضى من الناس، وإما بالنقصان إن قضاهم، ولهذا فسر تعالى المطففين الذين وعدهم بالخسار والهلاك ـ وهو الويل ـ بقوله: ﴿الذين إذا اكتالوا على الناس﴾ أي: من الناس ﴿يستوفون﴾ أي: يأخذون حقهم بالوافي والزائد ﴿وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون﴾ أي: ينقصون.

---

[1] حمل بعير، والظاهر أنه كان معلوم القدر لديهم.

[2] وهي سبب عادي للضرر كغيرها من الأسباب التي يتسبب الضرر عند وجودها. أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (إن العين حق). وأخرج مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: (العين حق، ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين، وإذا استغسلتم فاغتسلوا). وأخرج أبو داود عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان يؤمر العائن فيتوضأ، ثم يغتسل منه المعين. قال النووي رحمه الله تعالى في شرح مسلم: قال الإمام أبو عبد الله المازري: أخذ جماهير العلماء بظاهر هذا الحديث وقالوا: العين حق، وأنكره طوائف من المبتدعة، والدليل على فساد قولهم: أن كل معنى ليس مخالفاً في نفسه، ولا يؤدي إلى قلب حقيقة ولا إفساد دليل، فإنه من مجوزات العقول، إذا أخبر الشرع بوقوعه وجب اعتقاده ولا يجوز تكذيبه، وهل من فرق بين تكذيبهم بهذا وتكذيبهم بما يخبر به من أمور الآخرة.

[البخاري: الطب، باب: العين حق، رقم: ٥٤٠٨. مسلم: السلام، باب: الطب والمرض والرقى، رقم: ٢١٨٧، ٢١٨٨. أبو داود: الطب، باب: ما جاء في العين، رقم: ٣٨٨٠. شرح مسلم للنووي: ١٤/١٧١].

[3] زائدة إعراباً، وتفيد تأكيد عموم النفي معنًى.

[4] هيأ لهم متاعهم وطعامهم.

[5] وعاء كان يشرب به الملك فسمي سقاية، ثم أصبح يكال به فسمي صاعاً، لأن الصاع آلة الكيل.

فائدة: عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (اللهم بارك لهم في مكيالهم، وبارك لهم في صاعهم ومدهم) يعني أهل المدينة. [البخاري: البيوع، باب: بركة صاع النبي ﷺ ومدهم] [الصاع: أربعة أمداد، والمد يتسع لما يزن (٦٠٠) غرام تقريباً].

﴿ ثم أذن مؤذن ﴾ نادى منادٍ بعد انفصالهم عن مجلس يوسف ﴿ أيتها العير ﴾ القافلة(١) ﴿ إنكم لسارقون ﴾.

٧١ ﴿ قالوا و ﴾ قد ﴿ أقبلوا عليهم ماذا ﴾ ما الذي ﴿ تفقدونـ ﴾ ـه.

٧٢ ﴿ قالوا نفقد صواع ﴾ صاع ﴿ الملك ولمن جاء به حمل بعير ﴾ من الطعام ﴿ وأنا به ﴾ بالحمل ﴿ زعيم ﴾ كفيل.

٧٣ ﴿ قالوا تالله ﴾ قسم فيه معنى التعجب ﴿ لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين ﴾ ما سرقنا قط.

٧٤ ﴿ قالوا ﴾ أي المؤذن وأصحابه ﴿ فما جزاؤه ﴾ أي السارق ﴿ إن كنتم كاذبين ﴾ في قولكم: ما كنا سارقين، ووجد فيكم؟.

٧٥ ﴿ قالوا جزاؤه ﴾ مبتدأ خبره ﴿ من وجد في رحله ﴾ يسترق(٢)، ثم أكد بقوله: ﴿ فهو ﴾ أي السارق ﴿ جزاؤه ﴾ أي المسروق لا غير، وكانت سنة آل يعقوب(٣) ﴿ كذلك ﴾ الجزاء ﴿ نجزي الظالمين ﴾ بالسرقة.

٧٦ فصرفوا ليوسف(٤) لتفتيش أوعيتهم ﴿ فبدأ بأوعيتهم ﴾ ففتشها ﴿ قبل وعاء أخيه ﴾ لئلا يتهم ﴿ ثم استخرجها ﴾ أي السقاية ﴿ من وعاء أخيه ﴾ قال تعالى: ﴿ كذلك ﴾ الكيد ﴿ كدنا ليوسف ﴾ علمناه الاحتيال في أخذ أخيه ﴿ ما كان ﴾ يوسف ﴿ ليأخذ أخاه ﴾ رقيقاً عن السرقة ﴿ في دين الملك ﴾ حكم مصر، لأن جزاءه عنده الضرب وتغريم مثلي المسروق، لا الاسترقاق ﴿ إلا أن يشاء الله ﴾ أخذه بحكم أبيه، أي لم يتمكن من أخذه إلا بمشيئة الله، بإلهامه سؤال إخوته وجوابهم بسنتهم ﴿ نرفع درجات من نشاء ﴾ بالإضافة والتنوين(٥)، في العلم كيوسف ﴿ وفوق كل ذي علم ﴾ من المخلوقين ﴿ عليم ﴾ أعلم منه، حتى ينتهي إلى الله تعالى(٦).

٧٧ ﴿ قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل ﴾ أي يوسف، وكان سرق لأبي أمه صنماً من ذهب فكسره لئلا يعبده(٧) ﴿ فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها ﴾ يظهرها ﴿ لهم ﴾ والضمير للكلمة التي في قوله: ﴿ قال ﴾ في نفسه ﴿ أنتم شر مكاناً ﴾ من يوسف وأخيه، لسرقتكم أخاكم من أبيكم وظلمكم له ﴿ والله أعلم ﴾ عالم ﴿ بما تصفون ﴾ تذكرون من أمره.

ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ (٧٠) قَالُواْ وَأَقْبَلُواْ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ (٧١) قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ (٧٢) قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ (٧٣) قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ (٧٤) قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ (٧٥) فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ ۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ (٧٦) ۞ قَالُوٓاْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ ۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ (٧٧)

---

(١) وهي الإبل ونحوها، المحملة بالطعام ونحوه، والمقصود بالنداء هنا أصحابها.

(٢) يصير رقيقاً أي عبداً مملوكاً.

(٣) شريعتهم استرقاق السارق.

(٤) أي أرجعوا إليه من المكان الذي لحقهم فيه جماعة الملك.

(٥) أي في قوله تعالى: ﴿درجات من﴾ قراءتان متواترتان: ﴿درجاتِ مَنْ﴾ بالإضافة من غير تنوين، و ﴿درجاتٍ من﴾ بالتنوين من غير إضافة.

(٦) أي ينتهي العلم إليه سبحانه، فهو العليم الذي أحاط بكل شيء علماً، ولا يحيط المخلوقون بشيء من علمه.

(٧) ذكر ذلك ابن كثير عن سعيد بن جبير عن قتادة. وقيل: هي تهمة ألصقوها به. وقال ابن كثير في تفسيره: وقال محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن أبي نجيح، عن مجاهد قال: كان أول ما دخل على يوسف من البلاء، فيما بلغني - أن عمته ابنة إسحاق، وكانت أكبر ولد إسحاق، وكانت إليها منطقة إسحاق، وكانوا يتوارثونها بالكبر، فكان من اختبأها ممن وليها كان له سَلَماً لا ينازع فيه، يضع فيه ما يشاء، وكان يعقوب حين وُلد له يوسف قد حضنته عمته، فكان منها وإليها فلم يُحِب أحدٌ شيئاً من الأشياء حبها إياه، حتى إذا ترعرع وبلغ سنوات وقعت نفس يعقوب عليه فأتاها، فقال: يا أخيَّة، سلّمي إليَّ يوسف، فوالله ما أقدر على أن يغيب عني ساعة. قالت: فوالله ما أنا بتاركته. ثم قالت: فدعه عندي أياماً أنظر إليه وأسكن عنه، لعل ذلك يسليني عنه. أو كما قالت. فلما خرج من عندها يعقوب عمدت إلى منطقة إسحاق، فحزمتها على يوسف من تحت ثيابه، ثم قالت: فقدت منطقة إسحاق عليه السلام، فانظروا من أخذها ومن أصابها؟ فالتمست. ثم قالت: اكشفوا أهل البيت. فكشفوهم، فوجدوها مع يوسف. فقالت: والله إنه لي لَسَلمٌ أصنع فيه ما شئت. فأتاها يعقوب فأخبرته الخبر، فقال لها: أنت وذاك، إن كان فعل ذلك فهو سَلَم لك ما أستطيع غير ذلك. فأمسكته فما قدر عليه يعقوب حتى ماتت. قال: فهو الذي يقول إخوة يوسف حين صنع بأخيه

٧٨ ﴿ قالوا يا أيها العزيز إن له أباً شيخاً كبيراً ﴾ يحبه أكثر منا، ويتسلى به عن ولده الهالك، ويحزنه فراقه ﴿ فخذ أحدنا ﴾ استعبده ﴿ مكانه ﴾ بدلاً منه ﴿ إنا نراك من المحسنين ﴾ في أفعالك.

٧٩ ﴿ قال معاذ الله ﴾ نصب على المصدر، حذف فعله وأضيف إلى المفعول، أي نعوذ بالله من ﴿ أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده ﴾ لم يقل: من سرق، تحرزاً من الكذب ﴿ إنا إذاً ﴾ إن أخذنا غيره ﴿ لظالمون ﴾.

٨٠ ﴿ فلما استيئسوا ﴾ يئسوا ﴿ منه خلصوا ﴾ اعتزلوا ﴿ نجياً ﴾ مصدر يصلح للواحد وغيره، أي يناجي بعضهم بعضاً(١) ﴿ قال كبيرهم ﴾ سناً روبيل، أو رأياً يهوذا ﴿ ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقاً ﴾ عهداً ﴿ من الله ﴾ في أخيكم ﴿ ومن قبل ما ﴾ زائدة ﴿ فرطتم في يوسف ﴾ وقيل: ما مصدرية مبتدأ(٢)، خبره من قبل ﴿ فلن أبرح ﴾ أفارق ﴿ الأرض ﴾ أرض مصر ﴿ حتى يأذن لي أبي ﴾ بالعودة إليه ﴿ أو يحكم الله لي ﴾ بخلاص أخي ﴿ وهو خير الحاكمين ﴾ أعدلهم.

٨١ ﴿ ارجعوا إلى أبيكم فقولوا يا أبانا إن ابنك سرق وما شهدنا ﴾ عليه ﴿ إلا بما علمنا ﴾ تيقنا من مشاهدة الصاع في رحله ﴿ وما كنا للغيب ﴾ لما غاب عنا حين إعطاء الموثق ﴿ حافظين ﴾ ولو علمنا أنه يسرق لم نأخذه.

٨٢ ﴿ واسأل القرية التي كنا فيها ﴾ هي مصر، أي أرسل إلى أهلها فاسألهم ﴿ والعير ﴾ أي أصحاب العير ﴿ التي أقبلنا فيها ﴾ وهم قوم من كنعان ﴿ وإنا لصادقون ﴾ في قولنا، فرجعوا إليه وقالوا له ذلك.

٨٣ ﴿ قال بل سولت ﴾ زينت ﴿ لكم أنفسكم أمراً ﴾ ففعلتموه، اتهمهم لما سبق منهم من أمر يوسف ﴿ فصبر جميل ﴾(٣) صبري ﴿ عسى الله أن يأتيني بهم ﴾ بيوسف وأخويه ﴿ جميعاً إنه هو العليم ﴾ بحالي ﴿ الحكيم ﴾ في صنعه.

٣١٥ (سـورة يوسف)

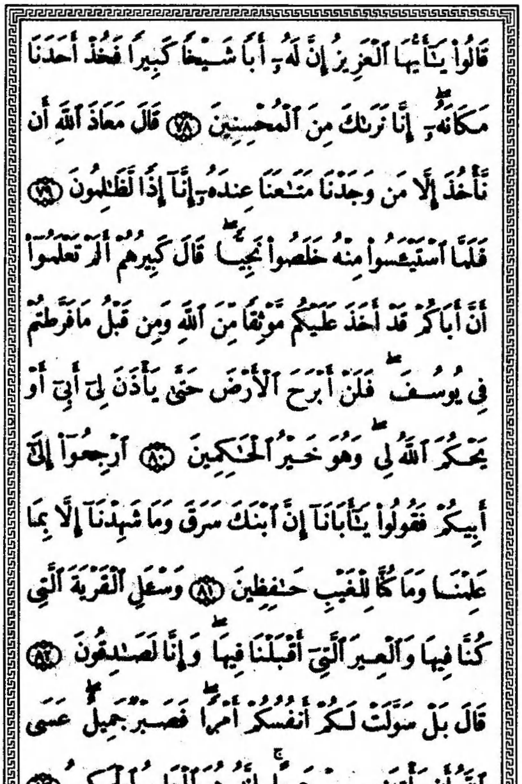

قَالُوا يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا
مَكَانَهُۥٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن
نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾
فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟
أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ
فِى يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ
يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰٓ
أَبِيكُمْ فَقُولُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا
عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى
كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾
قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى
ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾

ما صنع حين أخذه: ﴿إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل﴾.

وقال أيضاً: وكان يوسف عليه السلام قد اشتهر في السجن بالجود والأمانة وصدق الحديث، وحسن السمت وكثرة العبادة، صلوات الله عليه وسلامه، ومعرفة التعبير، والإحسان إلى أهل السجن وعيادة مرضاهم والقيام بحقوقهم، ولما دخل هذان الفتيان إلى السجن، تآلفا به وأحباه حباً شديداً، وقالا له: والله لقد أحببناك حباً زائداً. قال: بارك الله فيكما، إنه ما أحبني أحد إلا دخل عليّ من محبته ضرر، احبتني عمتي فدخل عليّ الضرر بسببها، وأحبني أبي فلوذيت بسببه، وأحبتني امرأة العزيز فكذلك. فقالا: والله ما نستطيع إلا ذلك. ثم إنهما رأيا مناماً، فرأى الساقي أنه يعصر خمراً، يعني عنباً... [انظر أيضاً في هذا تفسير ابن جرير الطبري].

(١) يتحدثون فيما بينهم ويتشاورون.

(٢) أي هي وما بعدها في تأويل مصدر يكون مبتدأ، والتقدير: وتفريطكم من قبل، أي تقصيركم في شأنه حتى ضيعتموه.

(٣) لا جزع فيه ولا شكوى لغير الله تعالى.

فائدة: في فضل الصبر والشكر.

عن أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدري رضي الله عنهما: أن ناساً من الأنصار سألوا رسول الله ﷺ فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم، حتى نفد ما عنده، فقال لهم حين أنفق كل شيء بيده: (ما يكون عندي من خير فلن أدخره عنكم، ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله، ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطي أحد عطاءً خيراً وأوسع من الصبر) [البخاري: الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة، رقم: ١٤٠٠. مسلم: الزكاة، باب: فضل التعفف والصبر، رقم: ١٠٥٣].

وعن أبي يحيى صهيب بن سنان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن: إذا أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له) [مسلم: الزهد والرقائق، باب: المؤمن أمره كله خير، رقم: ٢٩٩٩].

وعن عائشة رضي الله عنها: أنها سألت رسول الله ﷺ عن الطاعون. فأخبرها: (أنه كان عذاباً يبعثه الله تعالى على من يشاء فجعله الله تعالى رحمة للمؤمنين، فليس من عبد يقع الطاعون، فيمكث في بلده صابراً محتسباً، يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له، إلا كان له مثل أجر

وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ
مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ
حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ
إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا
تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ
وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن
رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ
قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ
مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ
يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ
وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓا۟ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ
قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّهُۥ مَن

٨٤ ﴿ وتولى عنهم ﴾ تاركاً خطابهم ﴿ وقال يا أسفى ﴾ الألف بدل من ياء الإضافة، أي يا حزني ﴿ على يوسف وابيضت عيناه ﴾ انمحق سوادهما وبدل بياضاً من بكائه ﴿ من الحزن ﴾ عليه ﴿ فهو كظيم ﴾ مغموم مكروب، لا يظهر كربه.

٨٥ ﴿ قالوا تالله ﴾ لا ﴿ تفتؤ ﴾ تزال ﴿ تذكر يوسف حتى تكون حرضاً ﴾ مشرفاً على الهلاك لطول مرضك، وهو مصدر يستوي فيه الواحد وغيره ﴿ أو تكون من الهالكين ﴾ الموتى.

٨٦ ﴿ قال ﴾ لهم ﴿ إنما أشكو بثي ﴾ هو عظيم الحزن الذي لا يصبر عليه حتى يبث إلى الناس ﴿ وحزني إلى الله ﴾ لا إلى غيره، فهو الذي تنفع الشكوى إليه(١) ﴿ وأعلم من الله ما لا تعلمون ﴾ من أن رؤيا يوسف صدق، وهو حي. ثم قال:

٨٧ ﴿ يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ﴾ اطلبوا خبرهما(٢) ﴿ ولا تيئسوا ﴾ تقنطوا ﴿ من روح الله ﴾ رحمته ﴿ إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون ﴾(٣) فانطلقوا نحو مصر ليوسف.

٨٨ ﴿ فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر ﴾ الجوع ﴿ وجئنا ببضاعة مزجاة ﴾ مدفوعة(٤)، يدفعها كل من رآها لرداءتها، وكانت دراهم زيوفاً(٥)، أو غيرها ﴿ فأوف ﴾ أتم ﴿ لنا الكيل وتصدق علينا ﴾ بالمسامحة عن رداءة بضاعتنا ﴿ إن الله يجزي المتصدقين ﴾ يثيبهم، فرق لهم وأدركته الرحمة، ورفع الحجاب بينه وبينهم.

٨٩ ثم ﴿ قال ﴾ لهم توبيخاً ﴿ هل علمتم ما فعلتم بيوسف ﴾ من الضرب والبيع وغير ذلك ﴿ وأخيه ﴾ من هضمكم له(٦) بعد فراق أخيه ﴿ إذ أنتم جاهلون ﴾ ما يؤول إليه أمر يوسف.

٩٠ ﴿ قالوا ﴾ بعد أن عرفوه، لما ظهر من شمائله، مستثبتين ﴿ أئنك ﴾ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية، وإدخال ألف بينهما على الوجهين ﴿ لأنت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخي قد منّ ﴾ أنعم ﴿ الله علينا ﴾ بالاجتماع ﴿ إنه من يتق ﴾ يخف الله ﴿ ويصبر ﴾ على ما يناله ﴿ فإن الله لا يضيع أجر المحسنين ﴾ فيه وضع الظاهر موضع المضمر(٧).

---

(١) أخرج الحاكم في المستدرك عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (كان ليعقوب النبي عليه السلام أخ مواخياً في الله، فقال ذات يوم: يا يعقوب ما الذي أذهب بصرك وما الذي قوس ظهرك؟ فقال: أما الذي أذهب بصري فالبكاء على يوسف، وأما الذي قوس ظهري فالحزن على ابني يامين. قال: فأتاه جبريل عليه السلام فقال: يا يعقوب، إن الله يقرئك السلام ويقول لك: أما تستحي تشكوني إلى غيري؟ قال: فقال يعقوب: إنما أشكو بثي وحزني إلى الله). [المستدرك: التفسير/علة ذهاب بصر يعقوب عليه السلام ومصائبه: ٢/٣٤٨].

(٢) من التحسس، وهو طلب الخبر بالحاسة.

(٣) وأما المؤمن فإنه يصبر وينتظر الفرج والرحمة من الله تعالى فينال بذلك خيراً.

(٤) من الإزجاء وهو دفع الشيء قليلاً قليلاً.

(٥) معيبة.

(٦) بالظلم والإيذاء.

(٧) أي لم يقل: لا يضيع أجرهم، وعبر بما ذكر لبيان مزيد فضل الأتقياء الصابرين بوصفهم بالإحسان.

الشهيد) [البخاري: الطب، باب: أجر الصابر في الطاعون، رقم: ٥٤٠٢].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (إذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته: قبضتم ولد عبدي ؟ فيقولون: نعم. فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده ؟ فيقولون: نعم. فيقول: فماذا قال عبدي ؟ فيقولون حمدك واسترجع. فيقول الله تعالى: ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة، وسموه بيت الحمد) رواه الترمذي وقال حديث حسن. وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله ليرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها، ويشرب الشربة فيحمده عليها) [مسلم: الذكر والدعاء والتوبة، باب: استحباب حمد الله تعالى بعد الأكل والشرب، رقم: ٢٧٣٤].

يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾
قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَـٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾
قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ
أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَـٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ
وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾
وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۖ
لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَـٰلِكَ
ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ
فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ
مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا
كُنَّا خَـٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ
هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ

٩١ ﴿قالوا تالله لقد آثرك﴾ فضلك ﴿ الله علينا ﴾ بالملك وغيره ﴿ وإن ﴾ مخففة، أي إنا ﴿ كنا لخاطئين ﴾ آثمين في أمرك، فأذلنا لك.

٩٢ ﴿ قال لا تثريب ﴾ عتب ﴿ عليكم اليوم ﴾ خصه بالذكر لأنه مظنة التثريب، فغيره أولى(١) ﴿ يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ﴾(٢).

٩٣ وسألهم عن أبيه، فقالوا: ذهبت عيناه، فقال: ﴿ اذهبوا بقميصي هذا ﴾ وهو قميص إبراهيم الذي لبسه حين ألقي في النار، كان في عنقه في الجب، وهو من الجنة، أمره جبريل بإرساله، وقال: إن فيه ريحها، ولا يلقى على مبتلى إلا عوفي. ﴿ فالقوه على وجه أبي يأت ﴾ يصر ﴿ بصيراً وأتوني بأهلكم أجمعين ﴾.

٩٤ ﴿ ولما فصلت العير ﴾ خرجت من عريش مصر ﴿ قال أبوهم ﴾ لمن حضر من بنيه وأولادهم ﴿ إني لأجد ريح يوسف ﴾ أوصلته إليه الصبا(٣) بإذنه تعالى من مسيرة ثلاثة أيام، أو ثمانية، او أكثر ﴿ لولا أن تفندون ﴾ تسفهون لصدقتموني(٤).

٩٥ ﴿ قالوا ﴾ له ﴿ تالله إنك لفي ضلالك ﴾ خطئك ﴿ القديم ﴾ من إفراطك في محبته، ورجاء لقائه على بعد العهد.

٩٦ ﴿ فلما أن ﴾ زائدة ﴿ جاء البشير ﴾ يهوذا بالقميص، وكان قد حمل قميص الدم، فأحب أن يفرحه كما أحزنه ﴿ ألقاه ﴾ طرح القميص ﴿ على وجهه فارتد ﴾ رجع ﴿ بصيراً قال ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون ﴾(٥).

٩٧ ﴿ قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين ﴾.

٩٨ ﴿ قال سوف أستغفر لكم ربي إنه هو الغفور الرحيم ﴾ أخر ذلك إلى السحر، ليكون أقرب إلى الإجابة، أو إلى ليلة الجمعة(٦). ثم توجهوا إلى مصر، وخرج يوسف والأكابر لتلقيهم.

٩٩ ﴿ فلما دخلوا على يوسف ﴾ في مضربه(٧) ﴿ آوى ﴾ ضم

---

(١) بعدم اللوم والعتاب.

(٢) يقبل التوبة ويعفو عن المذنبين، فاستغفروه وتوبوا إليه.

(٣) هي الريح التي تهب من مطلع الشمس.

(٤) والتفنيد والتسفيه تضعيف الرأي.

(٥) من الأمور التي رمزت إليها رؤيا يوسف عليه السلام، والتي تستلزم أن يعيش حتى تتحقق.

(٦) قال ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى في تفسيره للآيتين [٩٧، ٩٨]: يقول تعالى ذكره: قال ولد يعقوب الذين كانوا فرقوا بينه وبين يوسف: يا أبانا، سل لنا ربك يعف عنا ويستر علينا ذنوبنا التي أذنبناها فيك وفي يوسف، فلا يعاقبنا بها في القيامة، إنا كنا خاطئين فيما فعلنا به، فقد اعترفنا بذنوبنا. قال: ﴿سوف أستغفر لكم، ربي﴾ يقول جلّ ثناؤه: قال يعقوب: سوف أسأل ربي أن يعفو عنكم ذنوبكم التي أذنبتموها فيّ وفي يوسف. ثم اختلف أهل التأويل في الوقت الذي أخر الدعاء إليه يعقوب لولده بالاستغفار لهم من ذنبهم، فقال بعضهم: أخر ذلك إلى السحر، عن محارب بن دثار رضي الله عنه قال: كان عم لي يأتي المسجد فسمع إنساناً يقول: اللهم دعوتني فأجبت، وأمرتني فأطعت، وهذا سحر فاغفر لي. قال: فاستمع الصوت فإذا هو من دار عبد الله بن مسعود، فسأل عبد الله عن ذلك فقال: إن يعقوب أخر بنيه إلى السحر بقوله: ﴿سوف أستغفر لكم ربي﴾. وقال آخرون: أخر ذلك إلى ليلة الجمعة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن رسول الله ﷺ: ﴿سوف أستغفر لكم ربي﴾ يقول: (حتى تأتي ليلة الجمعة، وهو قول أخي يعقوب لبنيه).

(٧) خيمته التي نصبت له.

فائدة: في فضيلة وقت السحر والصلاة والدعاء فيه: عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول: ـ وفي رواية عند مسلم: حين يمضي ثلث الليل الأول، فيقول: أنا الملك أنا الملك ـ من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له. وفي رواية: فلا يزال كذلك حتى يضيء الفجر).

وعن الأسود قال: سألت عائشة رضي الله عنها: كيف صلاة النبي ﷺ بالليل؟ قالت: كان ينام أوله، ويقوم آخره، فيصلي ثم يرجع إلى فراشه،

﴿ إليه أبويه ﴾ أباه وأمه، أو خالته ﴿ وقال ﴾ لهم ﴿ ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين ﴾(١) فدخلوا، وجلس يوسف على سريره.

١٠٠ ﴿ ورفع أبويه ﴾ أجلسهما معه ﴿على العرش ﴾ السرير ﴿ وخروا ﴾ أي أبواه وإخوته ﴿ له سجداً ﴾ سجود انحناء لا وضع جبهة، وكان تحيتهم في ذلك الزمان(*) ﴿ وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل(٢) قد جعلها ربي حقاً وقد أحسن بي ﴾ إليّ ﴿ إذ أخرجني من السجن ﴾ لم يقل من الجب تكرماً، لئلا يخجل إخوته ﴿ وجاء بكم من البدو ﴾ البادية ﴿ من بعد أن نزغ ﴾ أفسد ﴿ الشيطان بيني وبين إخوتي إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم ﴾ بخلقه ﴿ الحكيم ﴾ في صنعه. وأقام عنده أبوه أربعاً وعشرين سنة، أو سبع عشرة سنة، وكانت مدة فراقه ثماني عشرة، أو أربعين، أو ثمانين سنة. وحضره الموت، فوصى يوسف أن يحمله ويدفنه عند أبيه، فمضى بنفسه ودفنه ثَمَّةَ، ثم عاد إلى مصر، وأقام بعده ثلاثاً وعشرين سنة. ولما تم أمره(٣)، وعلم أنه لا يدوم، تاقت نفسه إلى الملك الدائم(٤) فقال:

١٠١ ﴿ رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث ﴾ تعبير الرؤيا(٥) ﴿ فاطر ﴾ خالق ﴿ السماوات والأرض أنت وليي ﴾ متولي صالحي ﴿ في الدنيا والآخرة توفني مسلماً وألحقني بالصالحين ﴾ من آبائي، فعاش بعد ذلك أسبوعاً أو أكثر، ومات وله مائة وعشرون سنة، وتشاح المصريون في قبره(٦)، فجعلوه في صندوق من مرمر(٧)، ودفنوه في أعلى النيل(٨)، لتعم البركة جانبيه، فسبحان من لا انقضاء لملكه.

١٠٢ ﴿ ذلك ﴾ المذكور من أمر يوسف ﴿ من أنباء ﴾ أخبار ﴿ الغيب ﴾ ما غاب عنك يا محمد ﴿ نوحيه إليك وما كنت لديهم ﴾ لدى إخوة يوسف ﴿ إذ أجمعوا أمرهم ﴾ في كيده، أي عزموا عليه ﴿ وهم يمكرون ﴾ به(٩)، أي لم تحضرهم فتعرف قصتهم فتخبر بها، وإنما حصل لك علمها من جهة الوحي.

١٠٣ ﴿ وما أكثر الناس ﴾ أي أهل مكة ﴿ ولو حرصت ﴾ على إيمانهم ﴿ بمؤمنين ﴾.

١٠٤ ﴿ وما تسألهم عليه ﴾ أي القرآن ﴿ من أجر ﴾ تأخذه ﴿ إن ﴾ ما ﴿ هو ﴾ أي القرآن ﴿ إلا ذكر ﴾ عظة

إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾
وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ
هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ
أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ
ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ
رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾
۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ
ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا
وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكَ
مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟
أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ
بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ

---

(١) من كل خوف أو مكروه.

(٢) تفسير رؤياي التي رأيتها من قبل وقصصتها عليك.

(٣) في الملك. (٤) وهو نعيم الآخرة. (٥) تفسيرها.

(٦) اختلفوا في أي مكان يدفنونه. (٧) نوع من الرخام الجيد.

(٨) أقصاه من جهة الصعيد. (٩) يحتالون فيما دبروه له.

(*) هذا وقد فسره بعضهم بالسجود المعروف، قال ابن كثير في تفسيره: وقد كان هذا سائغاً في شرائعهم إذا سلموا على الكبير يسجدون له، ولم يزل هذا جائزاً من لدن آدم إلى شريعة عيسى عليه السلام، فحرم هذا في هذه الملة، وجعل السجود مختصاً بجناب الرب سبحانه وتعالى. هذا مضمون قول قتادة وغيره. وفي الحديث أن معاذاً قدم الشام، فوجدهم يسجدون لأساقفتهم، فلما رجع سجد لرسول الله ﷺ، فقال: (ما هذا يا معاذ). فقال: إني رأيتهم يسجدون لأساقفتهم، وأنت أحق أن يسجد لك يا رسول الله. فقال: (لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت الزوجة أن تسجد لزوجها، من عظم حقه عليها). وفي حديث آخر: أن سلمان لقي النبي ﷺ في بعض طُرُق المدينة، وكان سلمان حديث عهد بالإسلام، فسجد للنبي ﷺ، فقال: (لا تسجد لي يا سلمان، واسجد للحي الذي لا يموت). [انظر مسند أحمد: ٣٨١/٤].

= فإذا أذن المؤذن وثب، فإن كان به حاجة اغتسل، وإلا توضأ وخرج. [البخاري: التهجد، باب: الدعاء والصلاة من آخر الليل، وباب: من نام أول الليل وأحيا آخره، رقم: ١٠٩٤، ١٠٩٥. مسلم: صلاة المسافرين وقصرها، باب: الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل، وباب: صلاة الليل وعدد ركعات النبي ﷺ، رقم: ٧٥٨، ٧٣٩]. وعن جابر رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: (إنْ في الليل لساعة، لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه، وذلك كل ليلة). [مسلم: صلاة المسافرين وقصرها، باب: في الليل ساعة مستجاب فيها الدعاء، رقم: ٧٥٧]. [ينزل ربنا: هذا النزول من المتشابه الذي يفوض علم حقيقته إلى الله تعالى، =

﴿ للعالمين ﴾.

١٠٥ ﴿ وكأين ﴾ وكم ﴿ من آية ﴾ دالة على وحدانية الله ﴿ في السماوات والأرض يمرون عليها ﴾ يشاهدونها ﴿ وهم عنها معرضون ﴾ لا يتفكرون فيها. ١٠٦ ﴿ وما يؤمن أكثرهم بالله ﴾ حيث يقرون بأنه الخالق الرازق ﴿ إلا وهم مشركون ﴾ به بعبادة الأصنام، ولذا كانوا يقولون في تلبيتهم: - لبيك لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك - يعنونها⁽¹⁾.

١٠٧ ﴿ أفأمنوا أن تأتيهم غاشية ﴾ نقمة تغشاهم⁽²⁾ ﴿ من عذاب الله أو تأتيهم الساعة بغتة ﴾ فجأة ﴿ وهم لا يشعرون ﴾ بوقت إتيانها. ١٠٨ ﴿ قل ﴾ لهم ﴿ هذه سبيلي ﴾⁽3⁾ وفسرها بقوله: ﴿ أدعو إلى ﴾ دين ﴿ الله على بصيرة ﴾ حجة واضحة ﴿ أنا ومن اتبعني ﴾ آمن بي، عطف على أنا المبتدأ المخبر عنه بما قبله ﴿ وسبحان الله ﴾ تنزيهاً له عن الشركاء ﴿ وما أنا من المشركين ﴾ من جملة سبيله أيضاً. ١٠٩ ﴿ وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً يوحى ﴾ وفي قراءة بالنون وكسر الحاء ﴿ إليهم ﴾ لا ملائكة ﴿ من أهل القرى ﴾ الأمصار، لأنهم أعلم وأحلم، بخلاف أهل البوادي، لجفائهم وجهلهم ﴿ أفلم يسيروا ﴾ أهل مكة ﴿ في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ﴾ أي آخر أمرهم، من إهلاكهم بتكذيبهم رسلهم ﴿ ولدار الآخرة ﴾ أي الجنة ﴿ خير للذين اتقوا ﴾ الله ﴿ أفلا يعقلون ﴾ بالياء والتاء، يا أهل مكة هذا فتؤمنوا.

١١٠ ﴿ حتى ﴾ غاية لما دل عليه «وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً» أي فتراخى نصرهم حتى ﴿ إذا استيأس ﴾ يئس ﴿ الرسل وظنوا ﴾ أيقن الرسلُ ﴿ أنهم قد كذبوا ﴾ بالتشديد: تكذيباً لا إيمان بعده، والتخفيف: أي ظن الأمم أن الرسل أُخْلِفُوا ما وعدوا به من النصر ﴿ جاءهم نصرنا فنجي ﴾ بنونين مشدداً ومخففاً، وبنون مشدداً ماضٍ⁽4⁾ ﴿ من نشاء ولا يرد بأسنا ﴾ عذابنا ﴿ عن القوم المجرمين ﴾ المشركين⁽5⁾.

١١١ ﴿ لقد كان في قصصهم ﴾ أي الرسل⁽6⁾

لِلْعَٰلَمِينَ (١٠٤) وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ (١٠٥) وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم
بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ (١٠٦) أَفَأَمِنُوٓا۟ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ
عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٠٧)
قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ
ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ (١٠٨) وَمَآ
أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ
ٱلْقُرَىٰٓ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ
عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ۚ
أَفَلَا تَعْقِلُونَ (١٠٩) حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ
قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا
عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ (١١٠) لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ

---

(١) أي الأصنام. (٢) عقوبة تعمهم وتحيط بهم. (٣) منهجي وشريعتي. (٤) فالقراءات ثلاث: ﴿فَنُنَجِّي﴾ ﴿فَنُنْجِي﴾ ﴿فَنُجِّيَ﴾.

(٥) أخرج البخاري عن عروة بن الزبير أنه سأل عائشة رضي الله عنها عن قوله تعالى ﴿حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا﴾ أو ﴿كُذِبوا﴾ قالت: بل كذبهم قومهم، فقلت: والله لقد استيقنوا أن قومهم كذبوهم، وما هو بالظن؟ فقالت: يا عروة، أجل لقد استيقنوا بذلك. فقلت: لعلها ﴿قد كُذِبوا﴾؟ فقالت: معاذ الله، لم تكن الرسل تظن ذلك بربها. قلت: فما هذه الآية؟ قالت: هم أتباع الرسل الذين آمنوا بربهم وصدقوهم، فطال عليهم البلاء واستأخر عنهم النصر، حتى إذا استيأس الرسل ممن كذبهم من قومهم، وظنوا أن أتباعهم كذبوهم، جاءهم نصر الله عند ذلك.

[البخاري: الأنبياء، باب: قول الله تعالى: ﴿لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين﴾ رقم: ٣٢٠٩. التفسير/يوسف، باب: قوله: ﴿حتى إذا استيأس الرسل﴾ رقم: ٤٤١٨].

(٦) أو يوسف وإخوته عليهم السلام.

فائدة: قال ابن كثير في تفسير الآية [١٠٩]: يخبر الله تعالى أنه إنما أرسل رسله من الرجال لا من النساء، وهذا قول جمهور العلماء، كما دل عليه سياق هذه الآية الكريمة: إن الله تعالى لم يوح إلى امرأة من بنات بني آدم وَحْيَ تشريع. وزعم بعضهم أن سارة امرأة الخليل وأم موسى ومريم أم عيسى نبيات، واحتجوا بأن الملائكة بشرت سارة بإسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب، وبقوله: ﴿وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه﴾ الآية [القصص: ٧]. وبأن الملك جاء إلى مريم فبشرها بعيسى عليه السلام، وبقوله تعالى: ﴿إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين. يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين﴾ [آل عمران: ٤٢-٤٣]. وهذا القدر حاصل لهن، ولكن لا يلزم من هذا أن يكن نبيات بذلك. فإن أراد القائل بنبوتهن هذا القدر من التشريف فهذا لا شك فيه، ويبقى الكلام معه في أن هذا: هل يكفي في الانتظام في سلك النبوة بمجرده أم لا؟ الذي عليه أهل السنة والجماعة، وهو الذي نقله الشيخ أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري عنهم: أنه ليس في النساء نبية،=

=مع اعتقاد تنزيهه سبحانه عن مشابهة صفات المخلوقين. وثب: نهض. حاجة: أي الاغتسال من جنابة].

﴿ عبرة لأولي الألباب ﴾ أصحاب العقول ﴿ ما كان ﴾ هذا القرآن ﴿ حديثاً يفترى ﴾ يختلق ﴿ ولكن ﴾ كان ﴿ تصديق الذي بين يديه ﴾ قبله من الكتب ﴿ وتفصيل ﴾ تبيين ﴿ كل شيء ﴾ يحتاج إليه في الدين ﴿ وهدى ﴾ من الضلالة ﴿ ورحمة لقوم يؤمنون ﴾ خصوا بالذكر لانتفاعهم به دون غيرهم⁽¹⁾.

(سورة الرعد)

(مكية إلا «ولا يزال الذين كفروا» الآية /٣١/ «ويقول الذين كفروا لست مرسلاً»
الآية /٤٣/. أو مدنية إلا «ولو أن قرآناً..» الآيتين/ ٣١، ٣٢/. وهي:
٤٣ أو ٤٤ أو ٤٥ أو ٤٦ آية)

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿ المر ﴾ الله أعلم بمراده بذلك[2] ﴿ تلك ﴾ هذه الآيات ﴿ آيات الكتاب ﴾ القرآن، والإضافة بمعنى من ﴿ والذي أنزل إليك من ربك ﴾ أي القرآن، مبتدأ خبره ﴿ الحق ﴾ لا شك فيه ﴿ ولكن أكثر الناس ﴾ أي أهل مكة ﴿ لا يؤمنون ﴾ بأنه من عنده تعالى.

٢ ﴿ الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها ﴾ أي العمد جمع عِماد، وهو الأسطوانة[3]، وهو صادق بأن لا عمد أصلاً[4] ﴿ ثم استوى على العرش ﴾ استواء يليق به[5] ﴿ وسخر ﴾ ذلل ﴿ الشمس والقمر كل ﴾ منهما ﴿ يجري ﴾ في فلكه ﴿ لأجل مسمى ﴾ يوم القيامة ﴿ يدبر الأمر ﴾ يقضي أمر ملكه ﴿ يفصل ﴾ يبين ﴿ الآيات ﴾ دلالات قدرته ﴿ لعلكم ﴾ يا أهل مكة ﴿ بلقاء

عِبْرَةٌ لِأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾

(١٣) سُورَةُ الرَّعْدِ مَدَنِيَّة
وَآيَاتُهَا ثَلَاثٌ وَأَرْبَعُونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ

---

(١) قال الخازن ـ رحمه الله تعالى ـ في تفسيره لهذه الآية: ومعنى الاعتبار والعبرة الحالة التي يتوصل بها الإنسان من معرفة المشاهد إلى ما ليس بمشاهد، والمراد منه التأمل والتفكر، ووجه الاعتبار بهذه القصة: أن الذي قدر على إخراج يوسف من الجب بعد إلقائه فيه، وإخراجه من السجن، وتمليكه مصر بعد العبودية، وجمع شمله بأبيه وإخوته بعد المدة الطويلة واليأس من الاجتماع، لقادر على إعزاز محمد ﷺ وإعلاء كلمته وإظهار دينه، وأن الإخبار بهذه القصة العجيبة جار مجرى الإخبار عن الغيوب، فكانت معجزة لسيدنا محمد ﷺ. وقيل: إن الله تعالى قال في أول هذه السورة: ﴿نحن نقص عليك أحسن القصص﴾ وقال في آخرها: ﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب﴾ فدل على أن هذه القصة من أحسن القصص، وأن فيها عبرة لمن اعتبرها. ﴿ ما كان حديثاً يفترى ﴾ يعني ما كان هذا القرآن حديثاً يفترى ويختلق، لأن الذي جاء به من عند الله ـ وهو محمد ﷺ ـ لا يصح منه أن يفتريه أو يختلقه، لأنه لم يقرأ الكتب ولم يخالط العلماء، ثم إنه جاء بهذا القرآن المعجز، فدل ذلك على صدقه وأنه ليس بمفتر ﴿ولكن تصديق الذي بين يديه﴾ يعني: ولكن كان تصديق الذي بين يديه من الكتب الإلهية المنزلة من السماء من التوراة والإنجيل. وفيه إشارة إلى أن هذه القصة وردت على الوجه الموافق لما في التوراة من ذكر قصة يوسف ﴿وتفصيل كل شيء﴾ يعني أن في هذا القرآن المنزل عليك تفصيل كل شيء تحتاج إليه، من الحلال والحرام والحدود والأحكام والقصص والمواعظ والأمثال، وغير ذلك مما يحتاج إليه العباد في أمر دينهم ودنياهم ﴿وهدى﴾ يعني إلى كل خير ﴿ورحمة﴾ يعني أنزلناه رحمة ﴿لقوم يؤمنون﴾ لأنهم هم الذين ينتفعون به، والله أعلم بمراده وأسرار كتابه. (٢) انظر/ البقرة: ١/. (٣) وهي الدعامة التي يرفع عليها السقف ونحوه. (٤) وهو المطلوب. أو الضمير في ترونها يعود على السماوات، أي هي ظاهرة لكم وترونها قائمة بغير عمد. (٥) منزهاً عن الكيفية والتجسيم. واستواؤه سبحانه وتعالى عليه يعني أنه تحت سلطانه وقهره، وإذا كان العرش ـ رغم كبره

=وإنما فيهن صديقات، كما قال تعالى مخبراً عن أشرفهن مريم بنت عمران حيث قال: ﴿ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام﴾ [المائدة: ٧٥] فوصفها في أشرف مقاماتها بالصديقة، فلو كانت نبية لذكر ذلك في مقام التشريف والإعظام، فهي صديقة بنص القرآن.

ربكم ﴾ بالبعث ﴿ توقنون ﴾.

٣ ﴿ وهو الذي مد ﴾ بسط ﴿ الأرض(١) وجعل ﴾ خلق ﴿ فيها رواسي﴾ جبالاً ثوابت ﴿ وأنهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين(٢) اثنين ﴾ من كل نوع ﴿ يغشي ﴾ يغطي ﴿ الليل ﴾ بظلمته ﴿ النهار إن في ذلك ﴾ المذكور ﴿ لآيات ﴾ دلالات على وحدانيته تعالى ﴿ لقوم يتفكرون ﴾ في صنع الله.

٤ ﴿ وفي الأرض قطع ﴾ بقاع مختلفة ﴿ متجاورات ﴾ متلاصقاتٍ، فمنها طيب وسبخ(٣)، وقليل الريع وكثيره، وهو من دلائل قدرته تعالى ﴿ وجنات ﴾ بساتين ﴿ من أعناب وزرع ﴾ بالرفع عطفاً على جنات، والجر على أعناب، وكذا قوله: ﴿ ونخيل صنوان ﴾ جمع صنو، وهي النخلات يجمعها أصل واحد وتتشعب فروعها ﴿ وغير صنوان ﴾ منفردة ﴿ تسقى ﴾ بالتاء أي الجنات وما فيها، والياء أي المذكور ﴿ بماء واحد ونفضل ﴾ بالنون والياء ﴿ بعضها على بعض في الأكل ﴾(٤) بضم الكاف وسكونها، فمن ذلك حلو وحامض، وهو من دلائل قدرته تعالى ﴿ إن في ذلك ﴾ المذكور ﴿ لآيات لقوم يعقلون ﴾ يتدبرون.

رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا
رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ
ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ
يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ
مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ
وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ
لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ * وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ
قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ
أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٥﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ
بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ ۗ
وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ

٥ ﴿ وإن تعجب ﴾ يا محمد من تكذيب الكفار لك ﴿ فعجب ﴾ حقيق بالعجب ﴿ قولهم ﴾ منكرين للبعث ﴿ ءإذا كنا تراباً ءإنا لفي خلق جديد ﴾ لأن القادر على إنشاء الخلق وما تقدم على غير مثال قادر على إعادتهم. وفي الهمزتين في الموضعين: التحقيق، وتحقيق الأولى وتسهيل الثانية، وإدخال ألف بينهما على الوجهين وتركها، وفي قراءة بالاستفهام في الأول والخبر في الثاني، وأخرى عكسه(٥) ﴿ أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال (٦) في أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾.

٦ ونزل في استعجالهم العذاب استهزاءً ﴿ ويستعجلونك بالسيئة ﴾ العذاب ﴿ قبل الحسنة ﴾ الرحمة ﴿ وقد خلت من قبلهم المثلات ﴾ جمع المثلة بوزن السَّمُرَة، أي عقوبات أمثالهم من المكذبين، أفلا يعتبرون بها ﴿ وإن ربك لذو مغفرة للناس على ﴾ مع ﴿ ظلمهم ﴾ وإلا لم يترك على ظهرها دابة ﴿ وإن ربك لشديد العقاب ﴾ لمن عصاه.

وعِظَمه - تحت سلطان الله تعالى وقهره، وخاضعاً لأمره وتدبيره، فغيره من المخلوقات أولى بهذا الخضوع وذلك الانقياد، والله أعلم. قال ابن كثير - رحمه الله تعالى - في تفسيره لهذه الآية: يخبر تعالى عن كمال قدرته وعظيم سلطانه: أنه الذي بإذنه وأمره رفع السموات بغير عمد بل بإذنه وأمره وتسخيره رفعها عن الأرض بعداً لا تنال ولا يدرك مداها، فالسماء الدنيا محيطة بجميع الأرض وما حولها من الماء والهواء، من جميع نواحيها وجهاتها وأرجائها، مرتفعة عليها من كل جانب على السواء. وقال: وفي الحديث: (ما السموات السبع وما فيهن وما بينهن في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، والكرسي في العرش كتلك الحلقة في تلك الفلاة). وفي رواية: (والعرش لا يقدر قدره إلا الله عزَّ وجلَّ). أخرجه محمد بن أبي شيبة في كتاب [العرش] عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه.

(١) جعلها ممهدة صالحة للعيش عليها والسكنى فيها.

(٢) صنفين. (٣) لا ينبت. (٤) الطعم.

(٥) أي الأولى: ﴿إذا كنا تراباً إنا..﴾ والثانية: ﴿إذا كنا تراباً ءإنا..﴾ وهي قراءات متواترة.

(٦) جمع غِل وهو الطوق من الحديد يجعل في العنق وغيرها.

فائدة: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بعث رسول الله ﷺ عمر رضي الله عنه على الصدقة، فقيل: منع ابن جميل وخالد بن الوليد والعباس عم رسول الله ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: «ما ينقم ابن جميل إلا أنه كان فقيراً فأغناه الله. وأما خالد: فإنكم تظلمون خالداً، قد احتبس أدراعه وأعتاده في سبيل الله. وأما العباس: فهي عليَّ ومثلُها معها». ثم قال: «يا عمر، أما شعرت أن عم الرجل صنو أبيه». [مسلم: الزكاة، باب: في تقديم الزكاة ومنعها، رقم: ٩٨٣] [منع: أي دفع الزكاة. احتبس: أوقفها، وقد ظنوا أنه يتاجر بها. فهي علي: أي تسلفت منه زكاة عامين. صنو أبيه: مثله ونظيره، فهما من أصل واحد، والمعنى: لا تسيء إليه، فحتى لو لم يدفع فأنا أدفع عنه براً به].

٧ ﴿ ويقول الذين كفروا لولا ﴾ هلا ﴿ أنزل عليه ﴾ على محمد ﴿ آية من ربه ﴾(١) كالعصا واليد والناقة، قال تعالى: ﴿ إنما أنت منذر ﴾ مخوف الكافرين، وليس عليك إتيان الآيات ﴿ ولكل قوم هادٍ ﴾ نبي يدعوهم إلى ربهم بما يعطيه من الآيات، لا بما يقترحون.

٨ ﴿ الله يعلم ما تحمل كل أنثى ﴾ من ذكر وأنثى، وواحد ومتعدد، وغير ذلك ﴿ وما تغيض ﴾ تنقص ﴿ الأرحام ﴾ من مدة الحمل ﴿ وما تزداد ﴾ منه ﴿ وكل شيء عنده بمقدار ﴾ بقدر واحد لا يتجاوزه.

٩ ﴿ عالم الغيب والشهادة ﴾ ما غاب وما شوهد ﴿ الكبير ﴾ العظيم ﴿ المتعال ﴾ على خلقه بالقهر، بياء ودونها.

١٠ ﴿ سواء منكم ﴾ في علمه تعالى ﴿ من أسر القول ومن جهر به(٢) ومن هو مستخف ﴾ مستتر ﴿ بالليل ﴾ بظلامه ﴿ وسارب ﴾ ظاهر بذهابه في سربه، أي طريقه ﴿ بالنهار ﴾.

١١ ﴿ له ﴾ للإنسان ﴿ معقبات ﴾ ملائكة تتعقبه ﴿ من بين يديه ﴾ قدامه ﴿ ومن خلفه ﴾ ورائه ﴿ يحفظونه من أمر الله ﴾ أي بأمره، من الجن وغيرهم(٣) ﴿ إن الله لا يغير ما بقوم ﴾ لا يسلبهم نعمته ﴿ حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ من الحالة الجميلة بالمعصية ﴿ وإذا أراد الله بقوم سوءاً ﴾ عذاباً ﴿ فلا مرد له ﴾ من المعقبات ولا غيرها ﴿ وما لهم ﴾ لمن أراد الله بهم سوءاً ﴿ من دونه ﴾ أي غير الله ﴿ من ﴾ زائدة ﴿ وال ﴾(٤) يمنعه عنهم.

١٢ ﴿ هو الذي يريكم البرق خوفاً ﴾ للمسافرين من الصواعق ﴿ وطمعاً ﴾ للمقيم في المطر(٥) ﴿ وينشىء ﴾ يخلق ﴿ السحاب الثقال ﴾ بالمطر(٦).

١٣ ﴿ ويسبح الرعد ﴾ هو ملك موكل بالسحاب(٧)، يسوقه متلبساً ﴿ بحمده ﴾ أي يقول سبحان الله وبحمده ﴿ و ﴾ يسبح ﴿ الملائكة من خيفته ﴾(٨) أي الله ﴿ ويرسل الصواعق ﴾ وهي نار تخرج من السحاب ﴿ فيصيب بها من يشاء ﴾ فتحرقه، نزل في رجل بعث إليه

لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٦﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ
ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾
ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ
وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ
ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن
جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾
لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ
أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ
وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن
دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا
وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ
وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا

---

(١) معجزة تكون معه دائماً دليلاً على صدقه.

(٢) يستوي في علمه تعالى ما أضمرته القلوب وما نطقت به الألسنة.

(٣) أي يحفظونه من المكروه الذي قد يعرض له مهما اختلف منشؤه، كما يحفظون عليه أعماله. أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم، فيسألهم وهو أعلم بهم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون). [البخاري: مواقيت الصلاة، باب: فضل صلاة العصر، رقم: ٥٣٠. مسلم: المساجد ومواضع الصلاة، باب: فضل صلاتي الصبح والعصر، رقم: ٦٣٢].

(٤) ناصر.

(٥) لا داعي للتقييد بالسفر أو الإقامة، فالمعنى الظاهر: أن الناس حين يرون البرق يخافون من نزول الصواعق، كما يطمعون في نزول المطر.

(٦) أي التي تحمل الغيث والمطر، فهي مثقلة به.

(٧) أخرج الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أقبلت يهود إلى رسول الله ﷺ فقالوا: أخبرنا عن الرعد ما هو؟ قال: (ملك من الملائكة موكل بالسحاب، معه مخاريق من نار يسوقه بها حيث يشاء الله) قالوا: فما هذا الصوت الذي يسمع؟ قال: (زجره السحاب حتى تنتهي حيث أمرت) قالوا: صدقت. [الترمذي: تفسير القرآن، باب: ومن سورة الرعد، رقم: ٣١١٦] [مخاريق: جمع مخراق، وهو - في الأصل - ثوب يلف ويضرب به الصبيان بعضهم بعضاً، وأريد به هنا آلة يزجر بها الملك السحاب ويسوقه] وهذا لا يتعارض مع ما يقوله العلم، لأن العلم يصف الحوادث الظاهرة، والوحي يبين السر الكامن وراءها. وإذا ثبت الدليل بذلك فقد وجب الإيمان، وعلى كل فصوت الرعد تسبيح له سبحانه، لدلالته على وجود خالق قادر، وهذا تنزيه عن النقص وتقديس، وهو معنى التسبيح.

(٨) هيبته وجلاله.

سبب نزول الآيات [٨ - ١٣]: عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن أربد بن قيس وعامر بن الطفيل قدما المدينة على رسول الله ﷺ، فقال عامر: يا محمد ما تجعل لي إن أسلمت؟ قال: (لك ما للمسلمين، وعليك ما عليهم). قال: أتجعل لي الأمر من بعدك؟ قال: (ليس ذلك لك ولا

النبي ﷺ من يدعوه، فقال: من رسول الله؟وما الله؟أمن ذهب هو، أو من فضة، أم نحاس؟ فنزلت به صاعقة فذهبت بقحف رأسه(١) ﴿ وهم ﴾ أي الكفار﴿ يجادلون ﴾ يخاصمون النبي ﷺ ﴿ في الله وهو شديد المحال ﴾ القوة، أو الأخذ. ١٤ ﴿ له ﴾ تعالى ﴿ دعوة الحق ﴾ أي كلمته وهي: لا إله إلا الله ﴿ والذين يدعون ﴾ بالياء، والتاء(٢)، يعبدون ﴿ من دونه ﴾ أي غيره، وهم الأصنام ﴿ لا يستجيبون لهم بشيء ﴾ مما يطلبونه ﴿ إلا ﴾ استجابة ﴿ كباسط ﴾ أي كاستجابة باسط ﴿كفيه إلى الماء ﴾ على شفير البئر(٣) يدعوه ﴿ ليبلغ فاه ﴾ بارتفاعه من البئر إليه ﴿ وما هو ببالغه ﴾ أي فاه أبداً، فكذلك ما هم بمستجيبين لهم﴿ وما دعاء الكافرين ﴾عبادتهم الأصنام، أو حقيقة الدعاء﴿ إلا في ضلال ﴾ ضياع. ١٥ ﴿ ولله يسجد من في السموات والأرض طوعاً ﴾ كالمؤمنين ﴿ وكرهاً ﴾ كالمنافقين ومن أكره بالسيف ﴿ و ﴾ يسجد ﴿ ظلالهم بالغدو ﴾ البُكَر ﴿ والآصال ﴾ العشايا(٤). ١٦ ﴿ قل ﴾ يا محمد لقومك ﴿ من رب السموات والأرض قل الله ﴾ إن لم يقولوه، لا جواب غيره ﴿ قل ﴾ لهم ﴿ أفاتخذتم من دونه ﴾ أي غيره ﴿ أولياء ﴾ أصناماً تعبدونها ﴿ لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً ﴾ وتركتم مالكهما؟ استفهام توبيخ ﴿ قل هل يستوي الأعمى والبصير ﴾ الكافر والمؤمن ﴿ أم هل تستوي الظلمات ﴾ الكفر ﴿ والنور ﴾ الإيمان؟ لا ﴿ أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق ﴾ أي خلق الشركاء بخلق الله ﴿ عليهم ﴾ فاعتقدوا استحقاق عبادتهم بخلقه؟ استفهام إنكار، أي ليس الأمر كذلك، ولا يستحق العبادة إلا الخالق﴿ قل الله خالق كل شيء ﴾ لا شريك له فيه، فلا شريك له في العبادة ﴿ وهو الواحد(٥) القهّار ﴾ لعباده(٦).

١٧ ثم ضرب مثلاً للحق والباطل فقال: ﴿ أنزل ﴾ تعالى ﴿ من السماء ماءً ﴾ مطراً ﴿ فسالت أودية بقدرها ﴾ بمقدار ملئها﴿ فاحتمل السيل زبداً رابياً ﴾ عالياً عليه، هو ما على وجهه من قذر ونحوه ﴿ ومما توقدون ﴾ بالتاء والياء ﴿ عليه في النار ﴾ من جواهر الأرض كالذهب والفضة والنحاس ﴿ ابتغاء ﴾ طلب ﴿ حلية ﴾ زينة ﴿ أو متاع ﴾ ينتفع به كالأواني، إذا أذيبت(١) ﴿ زبد مثله ﴾ أي مثل زبد السيل، وهو خبثه والذي ينفيه الكير(٢)﴿ كذلك ﴾ المذكور ﴿ يضرب الله الحق والباطل ﴾ أي مثلهما﴿ فأما الزبد ﴾ من السيل وما أوقد عليه من الجواهر ﴿ فيذهب جفاءً ﴾ باطلاً مرمياً به ﴿ وأما ما ينفع الناس﴾ من الماء والجواهر ﴿ فيمكث ﴾يبقى﴿ في الأرض ﴾زماناً طويلاً، كذلك: الباطل يضمحل وينمحق(٣)، وإن علا على الحق في بعض الأوقات، والحق ثابت باقٍ ﴿ كذلك ﴾ المذكور ﴿ يضرب ﴾ يبين ﴿ الله الأمثال ﴾.

مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَـٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾
لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ
لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَـٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ
بِبَـٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ ﴿١٤﴾
وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا
وَظِلَـٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ۩ ﴿١٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ
لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى
ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَـٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ
أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَـٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ
قُلِ ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّـٰرُ ﴿١٦﴾ أَنزَلَ مِنَ
ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا

---

(١) عظمه الذي فوق الدماغ.

(٢) وهي قراءة شاذة، لم يقرأ بها في السبع ولا في العشر.

(٣) حرفه وحافته.

(٤) الغدو: من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، والبكر جمع بكرة وهي أول النهار، والآصال جمع أصيل وهو من العصر حتى الغروب، والعشايا جمع عشية وهي بمعنى الأصيل. والأظهر أن المراد بالسجود هنا الانقياد والخضوع.

(٥) المنفرد بالإيجاد والإعدام وتدبير الخلق.

(٦) المختار في أفعاله، فلا يقهره أحد، ولا يسأل عما يفعل.

تنظر حواشي تفسير الآية (١٧) في الصحيفة التالية.

لقومك). فخرجا، فقال عامر لأربد: إني أشغل عنك وجه محمد بالحديث فاضربه بالسيف. فرجعا، فقال عامر: يا محمد قم معي أكلمك، فقام معه ووقف يكلمه وسلّ أربد السيف، فلما وضع يده على قائم السيف يبست، والتفت رسول الله ﷺ، فرآه، فانصرف عنهما، فخرجا حتى إذا كانا بالرقم أرسل الله على أربد صاعقة فقتلته، فأنزل الله: ﴿الله يعلم ما تحمل كل أنثى - إلى قوله - شديد المحال﴾ [السيوطي][الرقم: اسم موضع في المدينة]

وأخرج النسائي والبزار عن أنس رضي الله عنه قال: بعث رسول الله ﷺ رجلاً من أصحابه إلى رجل من عظماء الجاهلية يدعوه إلى الله، فقال: ايش ربك الذي تدعوني إليه، أمن حديد، أو من نحاس، أو من فضة أو ذهب؟ فأتى النبيّ ﷺ فأخبره، فأعاد الثانية والثالثة، فأرسل الله عليه صاعقة فأحرقته، ونزلت هذه الآية: ﴿ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء﴾ إلى آخرها. [لباب النقول للسيوطي، وانظر أسباب النزول للواحدي].

١٨ ﴿ للذين استجابوا لربهم ﴾ أجابوه بالطاعة ﴿ الحسنى ﴾ الجنة ﴿ والذين لم يستجيبوا له ﴾ وهم الكفار ﴿ لو أن لهم ما في الأرض جميعاً ومثله معه لافتدوا به ﴾ من العذاب(٤) ﴿ أولئك لهم سوء الحساب ﴾ وهو المؤاخذة بكل ما عملوه، لا يغفر منه شيء ﴿ ومأواهم(٥) جهنم وبئس المهاد﴾ الفراش هي.

١٩ ونزل في حمزة وأبي جهل ﴿ أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق ﴾فآمن به﴿ كمن هو أعمى ﴾ لا يعلمه ولا يؤمن به؟ لا ﴿ إنما يتذكر ﴾ يتعظ ﴿ أولوا الألباب ﴾ أصحاب العقول.

٢٠ ﴿ الذين يوفون بعهد الله ﴾ المأخوذ عليهم وهم في عالم الذر(٦)، أو كل عهد ﴿ ولا ينقضون الميثاق ﴾(٧) بترك الإيمان أو الفرائض.

٢١ ﴿ والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ﴾ من الإيمان(٨)، والرحم(٩)، وغير ذلك ﴿ ويخشون ربهم ﴾ أي وعيده ﴿ ويخافون سوء الحساب ﴾ تقدم مثله(١٠).

٢٢ ﴿ والذين صبروا ﴾ على الطاعة والبلاء وعن المعصية ﴿ ابتغاء ﴾ طلب ﴿ وجه ربهم ﴾ لا غيره من أعراض الدنيا ﴿ وأقاموا

رَابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ
مِثْلُهُ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ ۚ فَأَمَّا الزَّبَدُ
فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ۚ
كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا
لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُم
مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ ۚ أُولَٰئِكَ
لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٨﴾
* أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ
أَعْمَىٰ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ يُوفُونَ
بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ
مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ
الْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا

---

(١) أي المعادن المذكورة.

(٢) أي شوائب المعدن الذي يتخلص منه بواسطة النار. والكير منفاخ الحداد.

(٣) يذهب ويتلاشى حتى يفنى ولا يبقى له أثر.

(٤) ولما قبل منهم، فكيف وهم لا يملكونه؟.

(٥) مسكنهم في الآخرة، يختصون بالخلود فيه.

(٦) انظر/ الأعراف: ١٧٢/. (٧) العهد المؤكد.

(٨) بجميع الكتب والرسل، يصل بينهم بالإيمان بكل من أتى منهم وبما جاء به، ولا يفرق بين أحد منهم.

(٩) القرابة، أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: (من سره أن يبسط له في رزقه، وأن ينسأ له في أثره، فليصل رحمه). أي فليبر بأقاربه وليحسن إليهم. وينسأ له في أثره: يؤخر له في أجله، والمراد ببسط الرزق هنا وتأخير الأجل: إما الحقيقة وهي توسيع الرزق وإطالة العمر كماً، والله يفعل ما يشاء. وإما المجاز وهو البركة فيهما والتمتع بهما على وجه يحقق السعادة والشعور بهناءة العيش. [الحديث في البخاري: كتاب الأدب، باب: من بسط له في الرزق بصلة الرحم، رقم: ٥٦٣٩. وهو مروي عن أنس رضي الله عنه في نفس الباب، برقم: ٥٦٤٠].

(١٠) أي مثل هذا اللفظ ﴿سوء الحساب﴾ في الاية/١٨/من هذه السورة.

فائدة: في فضيلة الإخلاص في العمل لله عزَّ وجلَّ:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم، حتى أووا المبيت إلى غار فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار، فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم. فقال رجل منهم: اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أغْبُق قبلهما أهلاً ولا مالاً، فناء بي في طلب شيء يوماً، فلم أُرِح عليهما حتى ناما، فحلبت لهما غَبُوقَهما فوجدتهما نائمين، وكرهت أن أغْبُق قبلهما أهلاً أو مالاً، فلبثت والقدح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى بَرَق الفجر، فاستيقظا فشربا غبوقهما، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرجت شيئاً لا يستطيعون الخروج. قال النبي ﷺ: وقال الآخر: اللهم كانت لي بنت عم كانت أحبَّ الناس إليَّ، فأردتها عن نفسها فامتنعت مني، حتى ألَمَّتْ بها سَنَةٌ من السنين، فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها، ففعلت، حتى إذا قدرت عليها قالت: لا أُحِلُّ لك أنْ تَفُضَّ الخاتم إلا بحقه. فتحرجت من الوقوع عليها، فانصرفت عنها وهي أحب الناس إليَّ، وتركت الذهب الذي أعطيتها، اللهم إن كنت فعلت ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة، غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها. قال النبي ﷺ: وقال الثالث: اللهم إني استأجرت أجراء فأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب، فثمَّرْتُ أجره حتى كثرت منه الأموال، فجاءني بعد حين فقال: يا عبد الله، أدِّ إليَّ أجري، فقلت له: كل ما ترى من أجرك، من الإبل والبقر والغنم والرقيق، فقال: يا عبد الله لا تستهزىء بي، فقلت: إني لا أستهزىء بك، فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئاً، اللهم فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون). [البخاري: الإجارة، باب: من استأجر أجيراً فترك أجره فعمل فيه المستأجر فزاد..، رقم: ٢١٥٢. مسلم: الذكر والدعاء..، باب: قصة أصحاب الغار الثلاثة..، رقم: ٢٧٤٣]. [رهط: ما دون العشرة من الرجال، ولا يكون فيهم امرأة، ولا واحد له من لفظه. أووا المبيت: التجؤوا إلى موضع ليبيتوا فيه. أغبق: من الغَبُوق وهو شرب العشي. فناء بي: بَعُد. أُرِح: أرجع. برق الفجر: ظهر الضياء.=

الصلاة وأنفقوا ﴾ في الطاعة ﴿ مما رزقناهم سراً وعلانية ويدرؤون ﴾ يدفعون ﴿ بالحسنة السيئة ﴾ كالجهل بالحلم، والأذى بالصبر(١)﴿ أولئك لهم عقبى الدار ﴾ أي العاقبة المحمودة في الدار الآخرة، هي: ٢٣ ﴿ جنات عدن ﴾ إقامة ﴿ يدخلونها ﴾ هم ﴿ ومن صلح ﴾ آمن ﴿ من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم ﴾وإن لم يعملوا بعملهم،يكونون في درجاتهم تكرمة لهم ﴿ والملائكة يدخلون عليهم من كل باب ﴾ من أبواب الجنة أو القصور، أول دخولهم، للتهنئة.

٢٤ يقولون ﴿ سلام عليكم ﴾ هذا الثواب ﴿ بما صبرتم ﴾ بصبركم في الدنيا ﴿ فنعم عقبى الدار ﴾ عقباكم.

٢٥ ﴿ والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه(٢) ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض ﴾ بالكفر والمعاصي﴿ أولئك لهم اللعنة ﴾البعد من رحمة الله تعالى﴿ ولهم سوء الدار ﴾العاقبة السيئة في الدار الآخرة، وهي جهنم.

٢٦ ﴿ الله يبسط الرزق ﴾ يوسعه ﴿ لمن يشاء ويقدر ﴾ يضيقه لمن يشاء ﴿ وفرحوا ﴾ أي أهل مكة فرح بطر(٣) ﴿ بالحياة الدنيا ﴾ أي بما نالوه فيها ﴿ وما الحياة الدنيافي﴾ جنب حياة ﴿ الآخرة إلا متاع ﴾ شيء قليل يتمتع به ويذهب.

٢٧ ﴿ ويقول الذين كفروا ﴾ من أهل مكة ﴿ لولا ﴾ هلا ﴿ أنزل عليه ﴾ على محمد ﴿ آية من ربه ﴾(٤) كالعصا واليد والناقة ﴿ قل ﴾ لهم ﴿ إن الله يضل من يشاء ﴾ إضلاله، فلا تغني عنه الآيات شيئاً ﴿ ويهدي ﴾ يرشد ﴿ إليه ﴾ إلى دينه ﴿ من أناب ﴾ رجع إليه، ويبدل مِن مَن:

٢٨ ﴿ الذين آمنوا وتطمئن ﴾ تسكن ﴿ قلوبهم بذكر الله ﴾ أي وعده(٥).

٣٢٥ (ســورة الرعــد)

ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ وَيَدۡرَءُونَ
بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ
يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ
وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم
بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ
عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن
يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ
سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ
وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ
إِلَّا مَتَٰعٞ ﴿٢٦﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ
مِّن رَّبِّهِۦۚ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ
مَنۡ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ

=فاردتها عن نفسها: كناية عن طلب الجماع. ألمت بها سنة: نزلت بها سنة من سني القحط فأحوجتها. أن تفض الخاتم: كناية عن جماعها وإزالة بكارتها. بحقه: بطريق مشروع وهو الزواج. الرقيق: المملوك، يطلق على الواحد والجمع، والذكر والأنثى].

(١) أخرج أحمد في مسنده [١٤٨/٤] عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: لقيت رسول الله ﷺ فابتدأته، فأخذت بيده فقلت: يا رسول الله، أخبرني بفواضل الأعمال؟ فقال: (يا عقبة، صل من قطعك، وأعط من حرمك، وأعرض عمن ظلمك).

(٢) يبطلونه ولا يفون به.(٣) تعالٍ وكبر، لا فرح سرور وشكر.

(٤) معجزة ملازمة له تؤيد صدق ما جاء به.

(٥) بالخير والثواب، والأولى إطلاق المراد بذكر الله تعالى.

فائدة: في أول من يدخل الجنة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين على إثرهم كأشد كوكب إضاءة، قلوبهم على قلب رجل واحد، لا اختلاف بينهم ولا تباغض، ولكل امرىء منهم زوجتان : كل واحدة منهما يرى مسخ ساقها من وراء لحمها من الحسن، يسبحون الله بكرةً وعشياً، لا يسقمون، ولا يمتخطون ولا يبصقون آنيتهم الذهب والفضة، وأمشاطهم الذهب، وقود مجامرهم الألوة، ورشحهم المسك). [البخاري: بدء الخلق، باب: ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، رقم: ٣٠٧٤. مسلم: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، رقم: ٢٨٣٤]. [زمرة: جماعة. على صورة القمر: أي في الإضاءة. البدر: اسم للقمر حين يكتمل. قلب. . واحد: أي كقلب رجل واحد. مخ ساقها: ما في داخل العظم من الساق. بكرةً وعشياً: أي في غالب أوقاتهم يتلذذون بما يلهمهم الله تعالى من ذكره. آنيتهم: أوعيتهم. مجامرهم: جمع مجمرة، وهي المبخرة، سميت بذلك لأنها يوضع فيها الجمر ليفوح بما يوضع فيها من البخور. الألوة: العود الهندي الذي يتبخر به. رشحهم: عرقهم كالمسك في طيب رائحته].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: (هل تدرون أول من يدخل الجنة من خلق الله). قالوا: الله ورسوله أعلم. قال:(أول من يدخل الجنة من خلق الله الفقراء والمهاجرون، الذين تسد بهم الثغور، ويتقى بهم المكاره، دعوة أحدهم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاءً، فيقول الله عزَّ وجلَّ لمن يشاء من ملائكته: ائتوهم فحيوهم، فتقول الملائكة: نحن سكان سمائك، وخيرتك من خلقك، أفتأمرنا أن نأتي هؤلاء فنسلم عليهم؟ قال: إنهم كانوا عباداً يعبدوني لا يشركون بي شيئاً، وتسد بهم الثغور، ويتقى بهم المكاره، ويموت أحدهم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاءً. قال: فتأتيهم الملائكة عند ذلك فيدخلون عليهم من كل باب: ﴿سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار﴾) [مسند أحمد: ١٦٨/٢]. [الثغور: الأماكن التي يمكن أن يأتي منها العدو لمهاجمة بلاد المسلمين].

﴿ ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾ أي قلوب المؤمنين.

٢٩ ﴿ الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ مبتدأ خبره ﴿ طوبى ﴾ مصدر من الطيب(١)، أو شجرة في الجنة، يسير الراكب في ظلها مائة عام ما يقطعها(٢) ﴿ لهم وحسن مآب ﴾ مرجع.

٣٠ ﴿ كذلك ﴾ كما أرسلنا الأنبياء قبلك ﴿ أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أمم لتتلو ﴾ تقرأ ﴿ عليهم الذي أوحينا إليك ﴾ أي القرآن ﴿ وهم يكفرون بالرحمن ﴾ حيث قالوا لما أمروا بالسجود له: «وما الرحمن» /الفرقان: ٦٠/ ﴿ قل ﴾ لهم يا محمد ﴿ هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب ﴾(٣).

٣١ ونزل ـ لما قالوا له: إن كنت نبياً فسير عنا جبال مكة، واجعل لنا فيها أنهاراً وعيوناً لنغرس ونزرع، وابعث لنا آباءنا الموتى يكلموننا أنك نبي ـ ﴿ ولو أن قرآناً سيرت به الجبال ﴾ نقلت عن أماكنها ﴿ أو قطعت ﴾ شققت ﴿ به الأرض أو كلم به الموتى ﴾ بأن يحيوا، لما آمنوا ﴿ بل لله الأمر جميعاً ﴾ لا لغيره، فلا يؤمن إلا من شاء إيمانه دون غيره، وإن أوتوا ما اقترحوا. ونزل ـ لما أراد الصحابة إظهار ما اقترحوا(٤) طمعاً في إيمانهم ـ ﴿ أفلم ييأس ﴾ يعلم ﴿ الذين آمنوا أن ﴾ مخففة، أي أنه ﴿ لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً ﴾ إلى الإيمان من غير آية(٥) ﴿ ولا يزال الذين كفروا ﴾ من أهل مكة ﴿ تصيبهم بما صنعوا ﴾ بصنعهم، أي كفرهم ﴿ قارعة ﴾ داهية تقرعهم(٦) بصنوف البلاء، من القتل والأسر والحرب والجدب ﴿ أو تحل ﴾ يا محمد بجيشك ﴿ قريباً من دارهم ﴾ مكة ﴿ حتى يأتي وعد الله ﴾ بالنصر عليهم ﴿ إن الله لا يخلف الميعاد ﴾ وقد حل بالحديبية حتى أتى فتح مكة.

٣٢ ﴿ ولقد استهزىء برسل من قبلك ﴾ كما استهزىء بك، وهذه تسلية للنبي ﷺ ﴿ فأمليت ﴾ أمهلت ﴿ للذين كفروا ثم أخذتهم ﴾ بالعقوبة ﴿ فكيف كان عقاب ﴾ أي هو واقع موقعه(٧)، فكذلك أفعل بمن استهزأ بك.

٣٣ ﴿ أفمن هو قائم ﴾ رقيب

أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَا۟يْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ

---

(١) أي عيشة راضية: تفرح بها القلوب، وتسر بها العيون، وتستطيبها النفوس.

(٢) روى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: (إن في الجنة شجرة، يسير الراكب الجواد المضمر السريع في ظلها مائة عام ما يقطعها).
[البخاري: الرقاق، باب: صفة الجنة والنار، رقم: ٦١٨٦. مسلم: الجنة وصفة نعيمها، باب: إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها، رقم: ٢٨٢٧، ٢٨٢٨].
[المضمر: قال في النهاية: تضمير الخيل هو أن يظاهر عليها بالعلف حتى تسمن، ثم لا تعلف إلا قوتاً لتخف. وقيل: تشد عليها سروجها وتجلل بالأجلة حتى تعرق تحتها، فيذهب رهلها ويشتد لحمها].

(٣) الرحمن الذي أنكرتموه هو خالقي ومتولي شاني، فعليه أعتمد وإليه أفوض أمري وأتوب من ذنبي، فالمرجع إليه سبحانه.

(٤) أي رغبوا أن يدعو النبي ﷺ بتحقيق ذلك.

(٥) معجزة.

(٦) نازلة شديدة من نوازل الدهر.

(٧) أي وقوعه فيهم عدل لأنهم يستحقونه.

سبب نزول الآية [٣١]: أخرج الواحدي بسنده عن عبد الله بن عطاء، عن جدته أم عطاء مولاة الزبير، قالت: سمعت الزبير بن العوام رضي الله عنه يقول: قالت قريش للنبي ﷺ: تزعم أنك نبي يوحى إليك، وإن سليمان سخر له الريح، وإن موسى سخر له البحر، وإن عيسى كان يحيي الموتى، فادع الله تعالى أن يسير عنا هذه الجبال، ويفجر لنا الأرض أنهاراً، فنتخذها محارث ومزارع ونأكل، وإلا فادع أن يحيي لنا موتانا فنكلمهم ويكلمونا، وإلا فادع الله تعالى أن يصير هذه الصخرة التي تحتك ذهباً فننحت منها، وتغنينا عن رحلة الشتاء والصيف، فإنك تزعم أنك كهيئتهم. فبينا نحن حوله إذ نزل عليه الوحي، فلما سري عنه قال: (والذي نفسي بيده، لقد أعطاني ما سألتم، ولو شئت لكان، ولكنه خيرني بين أن تدخلوا في باب الرحمة فيؤمن مؤمنكم، وبين أن يكلكم إلى ما اخترتم لأنفسكم، فتضلوا عن باب الرحمة، فاخترت باب الرحمة. وأخبرني إن أعطاكم ذلك ثم كفرتم أنه معذبكم عذاباً لا يعذبه أحداً من العالمين). فنزلت: ﴿وما مَنَعَنا أنْ نُرْسِلَ بالآياتِ إلَّا أنْ كَذَّبَ بها الأوَّلُونَ﴾ [الإسراء: ٥٩]. ونزلت: ﴿ولو أن قرآناً سيرت به الجبال﴾ الآية. [كهيئتهم: حالك كحالهم. سري عنه: ذهب عنه الوحي وما كان يناله بسبب ذلك من الشدة].

﴿ على كل نفس بما كسبت ﴾ عملت من خير وشر، وهو الله، كمن ليس كذلك من الأصنام؟ لا، دل على هذا. ﴿ وجعلوا لله شركاء قل سموهم ﴾ له، من هم؟ ﴿ أم ﴾ بل أ ﴿ تنبئونه ﴾ تخبرون الله ﴿ بما ﴾ أي بشريك ﴿ لا يعلم ﴾ ـه ﴿ في الأرض ﴾ استفهام إنكار، أي لا شريك له، إذ لو كان لعلمه، تعالى عن ذلك ﴿ أم ﴾ بل تسمونهم شركاء ﴿ بظاهر من القول ﴾ بظن باطل لا حقيقة له في الباطن ﴿ بل زين للذين كفروا مكرهم ﴾ كفرهم(١) ﴿ وصدوا عن السبيل ﴾ طريق الهدى ﴿ ومن يضلل الله فما له من هاد ﴾.

٣٤ ﴿ لهم عذاب في الحياة الدنيا ﴾ بالقتل والأسر ﴿ ولعذاب الآخرة أشق ﴾ أشد منه ﴿ وما لهم من الله ﴾ أي من عذابه ﴿ من واقٍ ﴾ مانع.

٣٥ ﴿ مثل ﴾ صفة ﴿ الجنة التي وعد المتقون ﴾ مبتدأ خبره محذوف، أي(٢) فيما نقص عليكم ﴿ تجري من تحتها الأنهار أكلها ﴾ ما يؤكل فيها ﴿ دائم ﴾ لا يفنى ﴿ وظلها ﴾ دائم، لا تنسخه شمس، لعدمها فيها ﴿ تلك ﴾ أي الجنة ﴿ عقبى ﴾ عاقبة ﴿ الذين اتقوا ﴾ الشرك(٣) ﴿ وعقبى الكافرين النار ﴾.

عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ
أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ
بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ
وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ (٣٣) لَّهُمْ عَذَابٌ فِى
ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ
مِن وَاقٍ (٣٤) * مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى
مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ
ٱتَّقَوا۟ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ (٣٥) وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ
ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن
يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ۚ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ
إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ (٣٦) وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا
عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ

٣٦ ﴿ والذين آتيناهم الكتاب ﴾ كعبد الله بن سلام وغيره من مؤمني اليهود ﴿ يفرحون بما أنزل إليك ﴾ لموافقته ما عندهم ﴿ ومن الأحزاب ﴾ الذين تحزبوا عليك بالمعاداة من المشركين واليهود ﴿ من ينكر بعضه ﴾ كذكر الرحمن، وما عدا القصص ﴿ قل إنما أمرت ﴾ فيما أنزل إليّ ﴿ أن ﴾ أي بأن ﴿ أعبد الله ولا أشرك به إليه أدعو وإليه مآب ﴾ مرجعي.

٣٧ ﴿ وكذلك ﴾ الإنزال ﴿ أنزلناه ﴾ أي القرآن ﴿ حكماً عربياً ﴾ بلغة العرب، تحكم به بين الناس ﴿ ولئن اتبعت أهواءهم ﴾ أي الكفار، فيما يدعونك إليه من ملتهم، فرضاً ﴿ بعد ما جاءك من العلم ﴾ بالتوحيد

فائدة: في بعض نعيم أهل الجنة:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: (إن الله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، والخير في يديك. فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب وقد اعطيتنا ما لم تعط احداً من خلقك. فيقول: الا اعطيكم افضل من ذلك؟ فيقولون: يا رب، وأي شيء افضل من ذلك؟فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده ابداً).

وعنه رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري،الغابرَ من الأفق من المشرق أو المغرب، لتفاضل ما بينهم). قالوا: يا رسول الله، تلك منازل الأنبياء، لا يبلغها غيرهم؟ قال: (بلى والذي نفسي بيده، رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (إن في الجنة لسوقاً، يأتونها كلَّ جمعة، فتهب ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم، فيزدادون حسناً وجمالاً، فيرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حسناً وجمالاً، فيقول لهم أهلوهم: والله لقد ازددتم حسناً وجمالاً. فيقولون: وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً).

وعن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: (ينادي منادٍ: إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً، وإن لكم أن تَشِبُّوا فلا تهرموا أبداً، وإن لكم أن تَنْعَمُوا فلا تبأسوا أبداً). فذلك قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون﴾ [الأعراف: ٤٣]. وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (إن في الجنة شجرةً، يسير الراكبُ الجواد المضمَّر السَّريع مائة عامٍ ما يقطعها).

هذه الأحاديث أخرجها مسلم في صحيحه، في كتاب الجنة وصفة نعيمها. . ، ومواضعها حسب ورودها هنا: باب: إحلال الرضوان على أهل الجنة. . ، رقم: ٢٨٢٩. وباب: ترائي أهل الجنة الغرف. . ، رقم: ٢٨٣١. وباب: في سوق الجنة. . ، رقم: ٢٨٣٣. وباب: في دوام نعيم أهل الجنة. . ، رقم: ٢٨٣٧. وباب: إن في الجنة شجرة. . ، رقم: ٢٨٢٨. وأخرج البخاري الأول منها والأخير في: الرقاق، باب: صفة الجنة والنار، رقم: ٦١٨٣، ٦١٨٦. والثاني في: بدء الخلق، باب: ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، رقم: ٣٠٨٣]. [الدري: العظيم الرفيع الشديد الضياء. الغابر: الماشي. لسوقاً: مكاناً يجتمعون فيه كما يجتمع الناس في الدنيا في السوق. كل جمعة: مقدار كل أسبوع من أيام الدنيا. ريح =

---

(١) بتدبيرهم ضد الإسلام.

(٢) تقديره: كائن فيما. .

(٣) والمعاصي، وفعلوا ما أمروا به من الطاعات.

﴿ مالك من الله من ﴾ زائدة ﴿ ولي ﴾ ناصر ﴿ ولا واقٍ ﴾ مانع من عذابه.

٣٨ ونزل ـ لما عيروه بكثرة النساء ـ ﴿ ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرية ﴾ أولاداً، وأنت مثلهم ﴿وما كان لرسول ﴾ منهم ﴿أن يأتي بآية إلا بإذن الله﴾ لأنهم عبيد مربوبون(١) ﴿لكل أجل﴾ مدة ﴿كتاب﴾ مكتوب فيه تحديده.

٣٩ ﴿يمحوا الله﴾ منه ﴿ما يشاء ويثبت﴾ بالتخفيف والتشديد(٢): فيه ما يشاء من الأحكام وغيرها ﴿وعنده أم الكتاب﴾ أصله الذي لا يتغير منه شيء، وهو ما كتبه في الأزل.

٤٠ ﴿ وإما ﴾ فيه إدغام نون إن الشرطية في ما المزيدة ﴿ نرينك بعض الذي نعدهم ﴾ به من العذاب في حياتك، وجواب الشرط محذوف، أي فذاك ﴿ أو نتوفينك ﴾ قبل تعذيبهم ﴿ فإنما عليك البلاغ ﴾ ما عليك إلا التبليغ ﴿ وعلينا الحساب ﴾ إذا صاروا إلينا فنجازيهم.

٤١ ﴿ أو لم يروا ﴾ أي أهل مكة ﴿ أنا نأتي الأرض ﴾ نقصد أرضهم ﴿ ننقصها من أطرافها ﴾ بالفتح على النبي ﷺ(٣) ﴿ والله يحكم ﴾ في خلقه بما يشاء ﴿ لا معقب ﴾ لا راد ﴿ لحكمه وهو سريع الحساب ﴾.

٤٢ ﴿ وقد مكر الذين من قبلهم ﴾ من الأمم بأنبيائهم كما مكروا بك(٤) ﴿ فلله المكر جميعاً ﴾(٥) وليس مكرهم كمكره، لأنه تعالى ﴿ يعلم ما تكسب كل نفس ﴾ فَيُعِدُّ لها جزاءه، وهذا هو المكر كله، لأنه يأتيهم به من حيث لا يشعرون ﴿ وسيعلم الكافر ﴾ المراد به الجنس وفي قراءة «الكفار» ﴿ لمن عقبى الدار ﴾ أي العاقبة المحمودة في الدار الآخرة، ألهم أم للنبي ﷺ وأصحابه؟.

٤٣ ﴿ ويقول الذين كفروا ﴾ لك ﴿ لست مرسلاً قل ﴾ لهم ﴿ كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ﴾ على صدقي(٦) ﴿ ومن عنده علم الكتاب ﴾ من مؤمني اليهود والنصارى.

مَالَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا
مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ
أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾
يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾
وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا
عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى
ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ
لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾ وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ
مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ۗ
وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ
وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾

---

(١) خاضعون لتدبير ربهم وتصرفه فيهم.

(٢) أي ﴿يُثْبِتُ﴾ و ﴿يُثَبِّتُ﴾ قراءتان.

(٣) أي فننقص سلطانهم عليها.

(٤) احتالوا في إيذائهم والصد عن دعوتهم.

(٥) هو سبحانه المدبر العليم الذي ينفذ تدبيره دون سواه.

(٦) فهو الذي يؤيدني بالمعجزات وإظهار ديني ونشر دعوتي، ويبطل ما أنتم عليه بخذلانكم ونزول العذاب بكم.

=الشمال: ريح كريح الشمال في الدنيا التي فيها الخير والغيث والنفع. تيأسوا: من البؤس وهو الشدة والفقر. المضمر: هو النحيل البطن القوي القوائم الخفيف في جريه].

وعن جابر رضي الله عنه قال: بينما نحن في صلاة الظهر إذ تقدم رسول الله ﷺ فتقدمنا، ثم تناول شيئاً ليأخذه ثم تأخر، فلما قضى الصلاة قال له أبي بن كعب: يا رسول الله، صنعت اليوم في الصلاة شيئاً ما رأيناك كنت تصنعه. فقال: (إني عرضت على الجنة وما فيها من الزهرة والنضرة، فتناولت منها قطفاً من عنب لآتيكم به فحيل بيني وبينه، ولو أتيتكم به لأكل منه من بين السماء والأرض لا ينقصونه) أخرجه أبو يعلى.

وعن عتبة بن عبد السلمي رضي الله عنه: أن أعرابياً سأل النبي ﷺ عن الجنة، فقال: فيها عنب؟ قال: (نعم). قال: فما عظم العنقود؟ قال: (مسيرة شهر للغراب الأبقع، ولا يفتر) رواه أحمد. [الأبقع: جمع لونه ما بين السواد والبياض].

وعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الرجل إذا نزع ثمرة من الجنة عادت مكانها أخرى) أخرجه الطبراني.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: (إنك لتنظر إلى الطير في الجنة، فيخر بين يديك مشوياً) رواه الحسن بن عرفة. [تفسير ابن كثير].

سبب نزول الآية [٣٨]: قال الواحدي: قال الكلبي: عيرت اليهود رسول الله ﷺ وقالت: ما نرى لهذا الرجل مهمة إلا النساء والنكاح، ولو كان نبياً كما زعم لشغله أمر النبوة عن النساء. فأنزل الله تعالى هذه الآية.

سبب نزول الآية [٣٩]: عن مجاهد قال: قالت قريش حين أنزل: ﴿وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله﴾: ما نراك يا محمد تملك من شيء، لقد فرغ من الأمر. فأنزل الله: ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت﴾. [السيوطي].

(سورة إبراهيم)

(مكية الا: ﴿ألم تر إلى الذين بدلوا..﴾ الآيتين ٢٨ و ٢٩ فمدنيتان، وآياتها: إحدى أو ثنتان
أو أربع أو خمس وخمسون آية)

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿ الٓر ﴾ الله أعلم بمراده بذلك⁽¹⁾، هذا القرآن ﴿ كتاب أنزلناه إليك ﴾ يا محمد ﴿ لتخرج الناس من الظلمات ﴾ الكفر ﴿ إلى النور ﴾ الإيمان⁽²⁾ ﴿ بإذن ﴾ بأمر ﴿ ربهم ﴾ ويبدل من «إلى النور» ﴿ إلى صراط ﴾ طريق ﴿ العزيز ﴾ الغالب ﴿ الحميد ﴾ المحمود⁽³⁾.

٢ ﴿الله﴾ بالجر بدل أو عطف بيان، وما بعده صفة. والرفع، مبتدأ خبره⁽⁴⁾ ﴿الذي له ما في السموات وما في الأرض﴾ ملكاً وخلقاً وعبيداً ﴿ وويل⁽⁵⁾ للكافرين من عذاب شديد ﴾.

٣ ﴿ الذين ﴾ نعت⁽⁶⁾ ﴿ يستحبون ﴾ يختارون ﴿ الحياة الدنيا على الآخرة ويصدون ﴾⁽⁷⁾ الناس ﴿ عن سبيل الله ﴾ دين الإسلام ﴿ ويبغونها ﴾ أي السبيل ﴿ عوجاً ﴾ معوجة ﴿ أولئك في ضلال بعيد ﴾ عن الحق.

٤ ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان ﴾ بلغة ﴿ قومه ليبين لهم ﴾ ليفهمهم ما أتى به ﴿ فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء⁽⁸⁾ وهو العزيز ﴾ في ملكه ﴿ الحكيم ﴾ في صنعه.

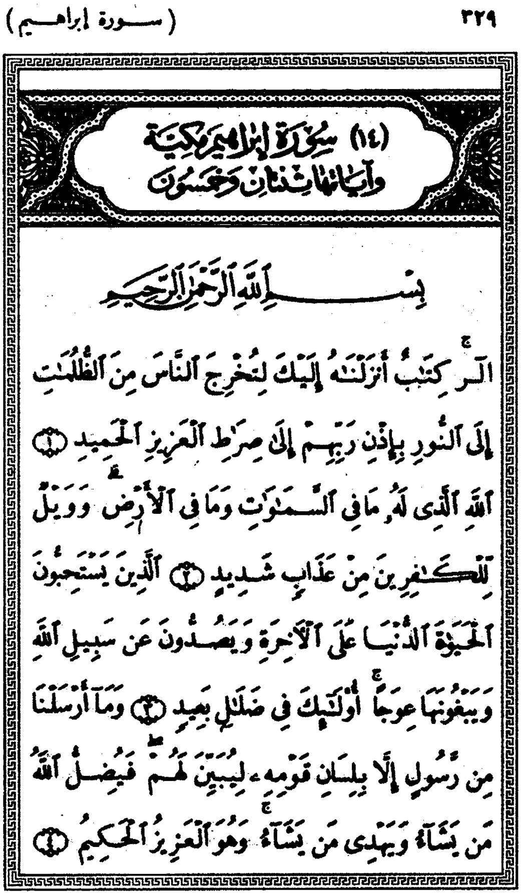

٣٢٩ (سورة إبراهيم)

(١٤) سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ مَكِّيَّة
وَآيَاتُهَا ثِنْتَانِ وَخَمْسُونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾

---

(١) انظر/ البقرة: ١/.

(٢) وذكر الظلمات بلفظ الجمع إشارة إلى أن طرق الباطل والكفر والضلال متعددة ومتشعبة. وذكر النور بلفظ المفرد إشارة إلى أن طريق الحق واحد، وهو منهج الأنبياء والمرسلين الموحى به من رب العالمين.

(٣) أي الطريق الموصل إلى رضوانه ودار سعادته، وهو الإسلام، دين الله عزّ وجلّ الذي ارتضاه لأنبيائه المرسلين، وأوليائه المخلصين، وعباده المؤمنين المتقين.

(٤) أي في لفظ الجلالة ﴿الله﴾ قراءتان متواترتان:

الأولى: ﴿اللهِ﴾ بالجر، على أنها بدل من قوله: ﴿العزيز﴾ أو عطف بيان له، وأصل الكلام: إلى صراط الله العزيز الحميد الذي له..، فالموصوف هو لفظ الجلالة، وما بعده صفات له. فتقدمت صفتان على الموصوف وهما: ﴿العزيز الحميد﴾ وتأخرت الصفة الثالثة وهي: ﴿الذي له..﴾. والقاعدة النحوية: أنه إذا تقدمت صفة المعرفة عليها أعربت الصفة بحسب العوامل الداخلة عليها، وأعربت المعرفة الموصوفة بدلاً من الصفة أو عطف بيان. وقوله: [وما بعده صفة] أي ما بعد لفظ الجلالة، وهو قوله: ﴿الذي له..﴾ صفة للفظ الجلالة.

والقراءة الثانية: ﴿اللهُ الذي له..﴾ بالرفع على أن لفظ الجلالة مبتدأ، وخبره قوله: ﴿الذي له..﴾ والله أعلم.

(٥) دمار وهلاك كائن من عذاب شديد ثابت ومتحقق للكافرين. وورد أن الويل اسم لواد في جهنم. عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (الويل واد في جهنم، يهوي فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره). [الترمذي: تفسير القرآن، باب: ومن سورة الأنبياء عليهم السلام، رقم: ٣١٦٤].

(٦) صفة للكافرين. (٧) يمنعون.

(٨) يهيىء أسباب الضلال لمن علم منه الكفر والعصيان، كما ينصب أعلام الهداية لمن علم منه الإيمان والإذعان.

فائدة: عن أبي ذر الغفاريِّ رضي الله عنه، عن النبي ﷺ - فيما يرويه عن ربه عزَّ وجلَّ - أنه قال: (يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً، فلا تظالموا. يا عبادي كلكم ضالٌّ إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم. يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته، فاستطعموني أطعمكم. يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته، فاستكسوني أكسكم. يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعاً، فاستغفروني أغفر لكم. يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني. يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً. يا عبادي لو أن أوّلكم وآخركم وإنسكم وجنُّكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً. يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنُّكم قاموا في صعيدٍ واحدٍ، فسألوني، فأعطيت كل واحد مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر. يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا=

وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنۡ أَخۡرِجۡ قَوۡمَكَ مِنَ
ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرۡهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ﴿٥﴾ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ
ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ أَنجَىٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ
يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ
نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ﴿٦﴾
وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ
عَذَابِي لَشَدِيدٞ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكۡفُرُوٓاْ أَنتُمۡ وَمَن
فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ
نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ
بَعۡدِهِمۡ لَا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا ٱللَّهُۚ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ
فَرَدُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فِيٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرۡنَا بِمَآ

٥ ﴿ ولقد أرسلنا موسى بآياتنا ﴾ التسع(١)، وقلنا له ﴿ أن أخرج قومك ﴾ بني إسرائيل ﴿ من الظلمات ﴾ الكفر ﴿ إلى النور ﴾ الإيمان ﴿ وذكرهم بأيام الله ﴾ بنعمه(٢) ﴿ إن في ذلك ﴾ التذكير ﴿ لآيات لكل صبار ﴾(٣) على الطاعة ﴿ شكور ﴾(٤) للنعم.

٦ ﴿ و ﴾ اذكر ﴿ إذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب(٥) ويذبحون أبناءكم ﴾ المولودين ﴿ ويستحيون ﴾ يستبقون ﴿ نساءكم ﴾ لقول بعض الكهنة: إن مولوداً يولد في بني إسرائيل، يكون سبب ذهاب ملك فرعون ﴿ وفي ذلكم ﴾ الإنجاء أو العذاب ﴿ بلاء ﴾ إنعام أو ابتلاء(٦) ﴿ من ربكم عظيم ﴾.

٧ ﴿ وإذ تأذن ﴾ أعلم ﴿ ربكم لئن شكرتم ﴾ نعمتي بالتوحيد والطاعة ﴿ لأزيدنكم(٧) ولئن كفرتم ﴾ جحدتم النعمة بالكفر والمعصية لأعذبنكم، دل عليه(٨) ﴿ إن عذابي لشديد ﴾.

٨ ﴿ وقال موسى ﴾ لقومه ﴿ إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً فإن الله لغني ﴾ عن خلقه ﴿ حميد ﴾ محمود في صنعه بهم(٩).

٩ ﴿ ألم يأتكم ﴾ استفهام تقرير ﴿ نبأ ﴾ خبر ﴿ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد ﴾ قوم هود ﴿ وثمود ﴾ قوم صالح ﴿ والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله ﴾ لكثرتهم ﴿ جاءتهم رسلهم بالبينات ﴾ بالحجج الواضحة على صدقهم ﴿ فردوا ﴾ أي الأمم ﴿ أيديهم في أفواههم ﴾ أي إليها، ليعضوا عليها من شدة الغيظ(١٠) ﴿ وقالوا إنا

= يلومن إلا نفسه). [مسلم: البر والصلة. . ، باب: تحريم الظلم، رقم: ٢٥٧٧]. [حرمت الظلم على نفسي: أي فلا يقع مني، بل تعاليت عنه وتقدست، والله أعلم. هديته: أرشدته إلى ما جاء به الرسل ووفقته إليه. صعيد: أرض. المخيط: الإبرة ونحوها].

(١) انظر/ الإسراء: ١٠١/ و/ النمل: ١٢/.

(٢) أيام النعمة والرخاء. (٣) كثير الصبر. (٤) كثير الشكر.

(٥) يذيقونكم العذاب الشديد الذي يسوؤكم أكثر من غيره.

(٦) أي إن البلاء معناه الاختبار، ويكون في الخير ليكون الشكر كما يكون في الشر ليكون الصبر.

(٧) من خيري الدنيا والآخرة. (٨) أي على قوله: لأعذبنكم.

(٩) أي مستحق للحمد، اعترف بذلك الخلق أم لا.

(١٠) أو ليشيروا إلى الرسل: أن اسكتوا، أو هزءاً وسخرية كما يفعل من غلبه الضحك. وقيل: وضعوا أيديهم على أفواه الرسل يسكتونهم.

فائدة: في الشكر.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ يدعو يقول: (رب أعني ولا تُعن عليّ، وانصرني ولا تنصر عليّ، وامكر لي ولا تمكر عليّ، واهدني ويسر الهدى لي، وانصرني على من بغى عليّ، رب اجعلني لك شكاراً، لك ذكاراً، لك رهاباً، لك مطواعاً، لك مخبتاً، إليك أواهاً منيباً، رب تقبل توبتي، واغسل حوبتي، وأجب دعوتي، وثبت حجتي وسدد لساني، واهد قلبي، واسلل سخيمة صدري). [الترمذي: الدعوات، باب: من أدعية النبي ﷺ، رقم: ٣٥٤٦ وقال: حديث حسن صحيح. أبو داود: الصلاة، باب: ما يقول الرجل إذا سلم، رقم: ١٥١٠]. [وامكر لي: دبر لي أمري وأوقع البلاء في أعدائي. شكاراً: كثير الشكر، وهكذا صيغ المبالغة بعدها. مخبتاً: خاضعاً خاشعاً. أواها منيباً: كثير الرجوع إليك بالشكوى والتوجع. حوبتي: ذنبي وظلمي وإثمي. سخيمة صدري: ما فيه من حقد وضغينة].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: دعاء حفظته من رسول الله ﷺ، لا أدعه: (اللهم اجعلني أعظم شكرك، وأُكثر ذكرك، وأتبع نصيحتك، وأحفظ وصيتك). [الترمذي: الدعوات، باب: من أدعية النبي ﷺ، رقم: ٣٦٠١].

وعن أبي أمامة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (عرض عليّ ربي - عزّ وجلّ - ليجعل لي بطحاء مكة ذهباً، فقلت: لا يا رب، ولكن أشبع يوماً وأجوع يوماً - أو نحو ذلك - فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك، وإذا شبعت حمدتك وشكرتك) [مسند أحمد: ٥/٢٥٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (إن للطاعم الشاكر من الأجر مثلَ ما للصائم الصابر). [المستدرك للحاكم: ٤/١٣٦] وعند الترمذي [صفة القيامة، باب: الطاعم. . ، رقم: ٢٤٨٨] بلفظ: (الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر).

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت أبا القاسم ﷺ يقول: (إن الله عزّ وجلّ يقول: يا عيسى، إني باعث من بعدك أمة: إن أصابهم ما =

كفرنا بما أرسلتم به ﴾ في زعمكم(١) ﴿ وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب ﴾ موقع في الريبة(٢).

١٠ ﴿ قالت رسلهم أفي الله شك ﴾ استفهام إنكار، أي لا شك في توحيده، للدلائل الظاهرة عليه ﴿ فاطر ﴾ خالق ﴿ السماوات والأرض يدعوكم ﴾ إلى طاعته ﴿ ليغفر لكم من ذنوبكم ﴾ من صلة(٣)، فإن الإسلام يغفر به ما قبله، أو تبعيضية لإخراج حقوق العباد(٤) ﴿ ويؤخركم ﴾ بلا عذاب ﴿ إلى أجل مسمى ﴾ أجل الموت ﴿ قالوا إن ﴾ ما ﴿ أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا ﴾ من الأصنام ﴿ فأتونا بسلطان مبين ﴾ حجة ظاهرة(٥) على صدقكم.

١١ ﴿ قالت لهم رسلهم إن ﴾ ما ﴿ نحن إلا بشر مثلكم ﴾ كما قلتم ﴿ ولكن الله يمن(٦) على من يشاء من عباده ﴾ بالنبوة ﴿ وما كان ﴾ ما ينبغي ﴿ لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله ﴾ بأمره، لأنا عبيد مربوبون(٧) ﴿ وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ يثقوا به(٨).

١٢ ﴿ وما لنا أ ﴾ ن ﴿ لا نتوكل على الله ﴾ أي لا مانع لنا من ذلك ﴿ وقد هدانا سبلنا(٩) ولنصبرن على ما آذيتمونا ﴾ على أذاكم ﴿ وعلى الله فليتوكل المتوكلون ﴾.

١٣ ﴿ وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن ﴾ لتصيرن ﴿ في ملتنا ﴾ ديننا(١٠) ﴿ فأوحى إليهم ربهم لنهلكن

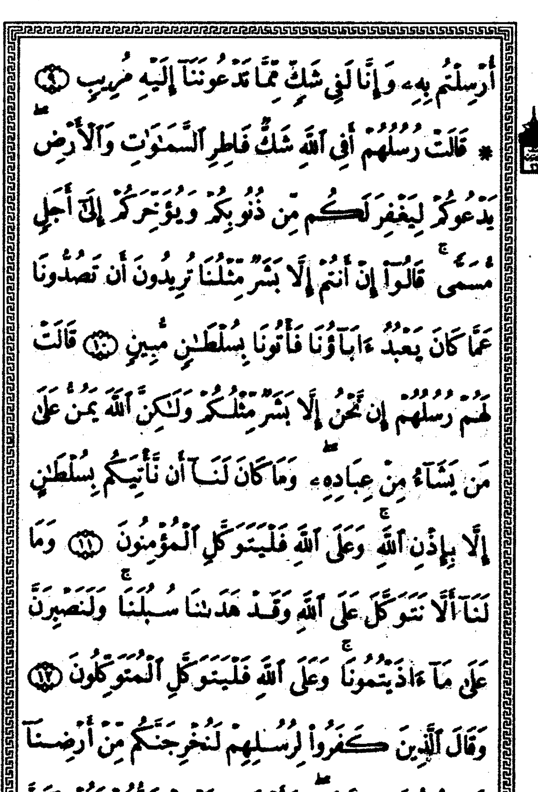

٣٣١ (سورة إبراهيم)

أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾
۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ
مُّسَمًّى قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا
عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ
لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ
مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ
إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا
لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ
عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾
وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ
أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ

---

(١) أنكم مرسلون. (٢) الحيرة والتردد والاضطراب.

(٣) أي زائدة لفظاً وإعراباً، مفيدة للتأكيد معنى.

(٤) أي بعض ذنوبكم، لتخرج حقوق العباد، فإنها لا تغفر إلا بأدائها أو إبراء أصحابها. (٥) أي معجزة.

(٦) من المن وهو العطاء بدون جهد ولا استحقاق.

(٧) منقادون لأمر ربنا سبحانه، وخاضعون لتدبيره.

(٨) ويعتمدوا عليه ويفوضوا أمورهم إليه.

(٩) أرشدنا إلى الطرق الموصلة لسعادتنا في الدنيا وفوزنا في الآخرة.

(١٠) وهكذا في كل زمان ومكان، تلجأ شرذمة الباطل والشر إلى التهديد والإرجاف، حين تعوزها الحجة والبرهان، لتكره الناس على مسلك الانحراف، ويغيب عن ذهنها: أن الحق إذا تمكن في القلب تحطمت أمامه كل قوى الطغيان، وعجزت أن تميله عن الاستقامة قِيدَ شعرة.

= يحبون حمدوا الله وشكروا، وإن أصابهم ما يكرهون احتسبوا وصبروا، ولا حلم ولا علم. قال: يا رب، كيف هذا لهم ولا حلم ولا علم؟ قال: أعطيهم من حلمي وعلمي) [مسند أحمد: ٦/٤٥٠].

وعن ثوبان رضي الله عنه قال: لما نزلت: ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة﴾ [التوبة: ٣٤]. قال: كنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، فقال بعض أصحابه: أنزلت في الذهب والفضة، ولو علمنا أي المال خير فتتخذه؟ فقال: (أفضله: لسان ذاكر، وقلب شاكر، وزوجة مؤمنة تعينه على إيمانه).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (خصلتان من كانتا فيه كتبه الله شاكراً صابراً، ومن لم تكونا فيه لم يكتبه الله شاكراً ولا صابراً: من نظر في دينه إلى من هو فوقه فاقتدى به، ونظر في دنياه إلى من هو دونه فحمد الله على ما فضله به عليه، كتبه الله شاكراً صابراً. ومن نظر في دينه إلى من هو دونه، ونظر في دنياه إلى من هو فوقه، فأسف على ما فاته منه، لم يكتبه الله شاكراً ولا صابراً). [الترمذي: صفة القيامة، باب: النظر في الدين لمن هو أعلى، رقم: ٢٥١٤].

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ على هذه الأعواد، أو على هذا المنبر: (من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله، والتحدث بنعمة الله شكر، وتركها كفر، والجماعة رحمة، والفرقة عذاب) [مسند أحمد: ٤/٢٧٨].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: (من أعطي عطاءً فوجد فلْيَجْزِ به، فإن لم يجد فَلْيُثْنِ به، فمن أثنى به فقد شكره، ومن كتمه فقد كفره).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (لا يشكر الله من لا يشكر الناس). [أبو داود: الأدب، باب: في شكر المعروف، رقم: ٤٨١١، ٤٨١٣. الترمذي: البر والصلة، باب: ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، رقم: ١٩٥٥].

فائدة: في التوكل على الله تعالى. عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: (عرضت عَلَيَّ الأممُ، فأجد النبي يمر معه الأمّة، والنبي يمر معه النَّفر، والنبي يمر معه العشرة، والنبي يمر معه الخمسة، والنبي يمر وحده، فنظرت فإذا سواد كثير، قلت: يا جبريل، هؤلاء أمتي؟

﴿الظالمين﴾ الكافرين.

١٤ ﴿ولنسكننكم الأرض﴾ أرضهم ﴿من بعدهم﴾ بعد هلاكهم ﴿ذلك﴾ النصر وإيراث الأرض ﴿لمن خاف مقامي﴾ أي مقامه بين يدي ﴿وخاف وعيد﴾ بالعذاب.

١٥ ﴿واستفتحوا﴾ استنصر الرسل بالله على قومهم ﴿وخاب﴾ وخسر ﴿كل جبار﴾ متكبر عن طاعة الله ﴿عنيد﴾ معاند للحق.

١٦ ﴿من ورائه﴾ أي أمامه ﴿جهنم﴾ يدخلها ﴿ويسقى﴾ فيها ﴿من ماء صديد﴾ هو ما يسيل من جوف أهل النار، مختلطاً بالقيح والدم.

١٧ ﴿يتجرعه﴾ يبتلعه مرة بعد مرة لمرارته ﴿ولا يكاد يسيغه﴾ يزدرده(١) لقبحه وكراهته ﴿ويأتيه الموت﴾ أي أسبابه المقتضية له من أنواع العذاب ﴿من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه﴾ بعد ذلك العذاب ﴿عذاب غليظ﴾ قوي متصل.

١٨ ﴿مثل﴾ صفة ﴿الذين كفروا بربهم﴾ مبتدأ، ويبدل منه ﴿أعمالهم﴾ الصالحات، كصلاة وصدقة، في عدم الانتفاع بها ﴿كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف﴾ شديد هبوب الريح، فجعلته هباءً منثورا(٢) لا يقدر عليه، والجار والمجرور خبر المبتدأ ﴿لا يقدرون﴾ أي الكفار ﴿مما كسبوا﴾ عملوا في الدنيا ﴿على شيء﴾ أي لا يجدون له ثواباً، لعدم شرطه(٣) ﴿ذلك هو الضلال﴾ الهلاك ﴿البعيد﴾.

١٩ ﴿ألم ترَ﴾ تنظر يا مخاطب، استفهام تقرير ﴿أن الله خلق السموات والأرض بالحق﴾ متعلق بخلق ﴿إن يشأ يذهبكم﴾ أيها الناس ﴿ويأت بخلق جديد﴾ بدلكم. ٢٠ ﴿وما ذلك على الله بعزيز﴾ شديد(٤).

٢١ ﴿وبرزوا﴾(٥) أي الخلائق، والتعبير فيه وفيما بعده بالماضي لتحقق وقوعه ﴿لله جميعاً فقال الضعفاء﴾ الأتباع ﴿للذين استكبروا﴾ المتبوعين ﴿إنا كنا لكم تبعاً﴾ جمع تابع ﴿فهل أنتم مغنون﴾ دافعون ﴿عنا من عذاب الله من شيء﴾ من الأولى للتبيين، والثانية للتبعيض(٦) ﴿قالوا﴾ المتبوعون ﴿لو هدانا الله

ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسۡكِنَنَّكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ ذَٰلِكَ
لِمَنۡ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَٱسۡتَفۡتَحُواْ وَخَابَ
كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسۡقَىٰ مِن مَّآءٖ
صَدِيدٖ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأۡتِيهِ ٱلۡمَوۡتُ مِن
كُلِّ مَكَانٖ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٖۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٞ ﴿١٧﴾
مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ
فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ
هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ﴿١٨﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ ﴿١٩﴾
وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ ﴿٢٠﴾ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعٗا فَقَالَ
ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا فَهَلۡ أَنتُم
مُّغۡنُونَ عَنَّا مِنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ قَالُواْ لَوۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ

---

(١) يتبلعه، ويقال: زردَ اللقمةَ وازدردها، أي بَلِعها.

(٢) متفرقاً، والهباء ما يرى في شعاع الشمس الداخل من نافذة. (٣) وهو الإيمان والتوحيد.

(٤) يمتنع عليه سبحانه، بل كل شيء سهل عليه وفي مقدوره.

(٥) خرجوا من قبورهم وصاروا في البرَاز، وهو الفضاء، والبُروز الظهور. (٦) أي هل أنتم دافعون عنا بعض الشيء الذي هو عذاب الله تعالى.

=قال: لا، ولكن انظر إلى الأفق، فنظرت فإذا سواد كثير، قال: هؤلاء أمتك، وهؤلاء سبعون ألفاً قدامهم لا حساب عليهم ولا عذاب. قلت: ولم؟ قال: كانوا لا يكتوون، ولا يسترقون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون). فقام إليه عكاشة بن محصن فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، قال: (اللهم اجعله منهم). ثم قام إليه رجل آخر قال: ادع الله أن يجعلني منهم، قال: (سبقك بها عكاشة). [البخاري: الرقاق، باب: يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب، رقم: ٦١٧٥. مسلم: الإيمان، باب: الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب، رقم: ٢٢٠]. [عرضت علي: الظاهر أن ذلك كان في رؤيا، ورؤيا الأنبياء حق كما هو معلوم. النفر: ما دون العشرة من الرجال. سواد: كناية عن الجماعة الكثيرة. الأفق: نواحي الأرض المتصلة بالسماء عند النظر. لا يسترقون: لا يفعلون الرقية، اعتماداً بالكلية على الله تعالى. يتطيرون: يتشاءمون].

عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿حسبنا الله ونعم الوكيل﴾ قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا: ﴿إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل﴾ [آل عمران: ١٧٣]. وعنه رضي الله تعالى عنه قال: كان آخر قول إبراهيم حين ألقي في النار: حسبي الله ونعم الوكيل. [البخاري: التفسير/آل عمران، باب: ﴿إن الناس قد جمعوا لكم..﴾ رقم: ٤٢٨٧، ٤٢٨٨].

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: أن رسول الله ﷺ كان يقول: (اللهمَّ لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت. اللهمَّ إني أعوذ بعزَّتك ـ لا إله إلا أنت ـ أن تضلَّني. أنت الحي الذي لا يموت، والجنُّ والإنس يموتون). [مسلم: الذكر والدعاء..،=

لهديناكم ﴾(١) لدعوناكم إلى الهدى ﴿سواء علينا أجزعنا(٢) أم صبرنا مالنا من ﴾ زائدة ﴿ محيص ﴾ ملجأ.

٢٢ ﴿ وقال الشيطان ﴾ إبليس ﴿ لما قضي الأمر ﴾(٣) وأدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، واجتمعوا عليه ﴿ إن الله وعدكم وعد الحق ﴾ بالبعث والجزاء فصدقكم ﴿ ووعدتكم ﴾ أنه غير كائن ﴿ فأخلفتكم وما كان لي عليكم من ﴾ زائدة ﴿ سلطان ﴾ قوة وقدرة أقهركم على متابعتي ﴿ إلا ﴾ لكن ﴿ أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ﴾ على إجابتي ﴿ ما أنا بمصرخكم ﴾ بمغيثكم ﴿ وما أنتم بمصرخي ﴾ بفتح الياء وكسرها ﴿ إني كفرت بما أشركتمون ﴾ بإشراككم إياي مع الله ﴿ من قبل ﴾ في الدنيا، قال تعالى: ﴿ إن الظالمين ﴾ الكافرين ﴿ لهم عذاب أليم ﴾ مؤلم.

٢٣ ﴿ وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين ﴾ حال مقدرة(٤) ﴿ فيها بإذن ربهم تحيتهم فيها ﴾ من الله، ومن الملائكة، وفيما بينهم ﴿ سلام ﴾.

٢٤ ﴿ ألم ترَ ﴾ تنظر ﴿ كيف ضرب الله مثلاً ﴾ ويبدل منه ﴿ كلمة طيبة ﴾ أي لا إله إلا الله ﴿ كشجرة طيبة ﴾ هي النخلة ﴿ أصلها ثابت ﴾ في الأرض ﴿ وفرعها ﴾ غصنها ﴿ في السماء ﴾(٥).

٢٥ ﴿ تؤتي ﴾ تعطي ﴿ أكلها ﴾ ثمرها ﴿ كل حين بإذن ربها ﴾ بإرادته، كذلك كلمة الإيمان ثابتة في قلب المؤمن، وعمله يصعد إلى السماء، ويناله بركته وثوابه في كل وقت ﴿ ويضرب ﴾ يبين ﴿ الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون ﴾ يتعظون فيؤمنوا.

٢٦ ﴿ ومثل كلمة خبيثة ﴾ هي كلمة الكفر ﴿ كشجرة خبيثة ﴾ هي الحنظل(٦)

٣٣٣ (سورة إبراهيم)

لَهَدَيۡنَٰكُمۡۖ سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَجَزِعۡنَآ أَمۡ صَبَرۡنَا مَا لَنَا مِن
مَّحِيصٖ ﴿٢١﴾ وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ
وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم
مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي
وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّۖ إِنِّي
كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ
أَلِيمٞ ﴿٢٢﴾ وَأُدۡخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ
تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡۖ تَحِيَّتُهُمۡ
فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ
كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤۡتِيٓ
أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذۡنِ رَبِّهَاۗ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ لِلنَّاسِ
لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٖ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ

---

(١) لو وفقنا الله تعالى للهداية لأرشدناكم إليها، ولكن كتب علينا الشقاوة، لعلمه باختيارنا طريق الضلال، فدعوناكم إليها.

(٢) من الجزع وهو القلق وعدم تحمل الشدائد.

(٣) نفذ قضاء الله عزّ وجلّ.

(٤) مقدرين الخلود فيها عند دخولهم، وهذا من تمام النعيم.

(٥) أخرج البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا عند رسول الله ﷺ، فقال: (أخبروني عن شجرة شبه الرجل ـ أو قال: كالرجل ـ المسلم لا يتحات ورقها، تؤتي أكلها كل حين) قال ابن عمر: فوقع في نفسي أنها النخلة، ورأيت أبا بكر وعمر لا يتكلمان فكرهت أن أتكلم، فلما لم يقولوا شيئاً قال رسول الله ﷺ: (هي النخلة) قال: فلما قمنا قلت لعمر: يا أبتاه، والله لقد كان وقع في نفسي أنها النخلة. فقال: ما منعك أن تتكلم؟ فقلت: لم أركم تتكلمون، فكرهت أن أتكلم أو أقول شيئاً، فقال عمر: لأن تكون قلتها أحب إليّ من كذا وكذا. [البخاري: التفسير/إبراهيم، باب: قوله: ﴿كشجرة طيبة أصلها ثابت..﴾ رقم: ٤٤٢١. مسلم: صفات المنافقين وأحكامهم، باب: مثل المؤمن مثل النخلة، رقم: ٢٨١١].

(٦) نبت ثمرته في حجم البرتقالة ولونها، فيها لب شديد المرارة.

= باب: التعوذ من شر ما عمل..، رقم: ٢٧١٧] [أسلمت: انقدت. توكلت: فوضت أمري. وبك خاصمت: حاججت ودافعت وقاتلت من أجلك].

وعن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: (إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن، ثم قل: اللهم أسلمت وجهي إليك وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك. اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت، ونبيك الذي أرسلت. فإن مُتَّ من ليلتك فأنت على الفطرة، واجعلهُنَّ آخر ما تتكلم به). قال: فردَّدتها على النبيِّ ﷺ، فلما بلغت: اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت، قلت: ورسولك، قال: (لا، ونبيك الذي أرسلت). [البخاري: الوضوء، باب: فضل من بات على الوضوء، رقم: ٢٤٤. مسلم: الذكر والدعاء..، باب: ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، رقم: ٢٧١٠]. [مضجعك: فراشك ومكان نومك. فوضت أمري: وكلتك فيه واعتمدت عليك. ألجأت: أسندت. رغبة: طمعاً في ثوابك. رهبة: خوفاً من عقابك. منجا: مخلص. الفطرة: الدين القويم، وهو الإسلام الذي يولد عليه كل مولود. لا ونبيك: أي لا تقل ورسولك، بل قل ونبيك كما علمتك، وفيه إشارة إلى التزام الألفاظ الواردة في الأدعية والأذكار].

وعن عمر رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصاً =

﴿ اجتثت ﴾ استؤصلت ﴿ من فوق الأرض ما لها من قرار ﴾ مستقر وثبات، كذلك كلمة الكفر، لا ثبات لها ولا فرع ولا بركة.

٢٧ ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ﴾ هو كلمة التوحيد ﴿ في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾ أي القبر، لما يسألهم الملكان عن ربهم ودينهم ونبيهم، فيجيبون بالصواب، كما في حديث الشيخين(١) ﴿ ويضل الله الظالمين ﴾ الكفار، فلا يهتدون للجواب بالصواب، بل يقولون: لا ندري، كما في الحديث(٢) ﴿ ويفعل الله ما يشاء ﴾.

٢٨ ﴿ ألم ترَ ﴾ تنظر ﴿ إلى الذين بدلوا نعمت الله ﴾ أي شكرها ﴿ كفراً ﴾ هم كفار قريش ﴿ وأحلوا ﴾ أنزلوا ﴿ قومهم ﴾ بإضلالهم إياهم ﴿ دار البوار ﴾ الهلاك(٣).

٢٩ ﴿ جهنم ﴾ عطف بيان ﴿ يصلونها ﴾ يدخلونها ﴿ وبئس القرار ﴾ المقر هي.

٣٠ ﴿ وجعلوا لله أنداداً ﴾ شركاء(٤) ﴿ ليضلوا ﴾ بفتح الياء وضمها ﴿ عن سبيله ﴾ دين الإسلام ﴿ قل ﴾ لهم ﴿ تمتعوا ﴾ بدنياكم قليلاً ﴿ فإن مصيركم ﴾ مرجعكم ﴿ إلى النار ﴾.

٣١ ﴿ قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية من قبل أن يأتي يوم لا بيع ﴾ فداء(٥) ﴿ فيه ولا خلال ﴾ مخالة أي صداقة تنفع، هو يوم القيامة.

٣٢ ﴿ الله الذي خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم وسخر لكم الفلك ﴾ السفن ﴿ لتجري في البحر ﴾ بالركوب والحمل ﴿ بأمره ﴾ بإذنه ﴿ وسخر لكم الأنهار ﴾.

٣٣ ﴿ وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ﴾ جاريين في فلكهما لا يفتران(٦)

(الجزء الثالث عشر) ٣٣٤

اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ
اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي
الْآخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٢٧﴾
۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ
دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴿٢٩﴾
وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا عَن سَبِيلِهِ ۗ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ
مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴿٣٠﴾ قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا
الصَّلَاةَ وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ
يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ﴿٣١﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ
رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ۖ
وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ ۖ

(١، ٢) روى البخاري ومسلم عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (المسلم إذا سئل في القبر يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فذلك قوله ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾) قال: نزلت في عذاب القبر. وعندهما عن أنس رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وإنه ليسمع قرع نعالهم إذا انصرفوا، أتاه ملكان، فيقعدانه فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل محمد؟ فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار، أبدلك الله به مقعداً من الجنة. قال النبي ﷺ: فيراهما جميعاً. وأما المنافق ـ أو الكافر ـ فيقول: لا أدري، كنت أقول ما يقول الناس فيه، فيقال: لادريت ولا تليت، ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه، فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين). [البخاري: الجنائز، باب: ما جاء في عذاب القبر. والتفسير/إبراهيم، باب: ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت﴾. مسلم: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه].

(٣) أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله ﴿ألم ترَ إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً﴾ قال: هم كفار أهل مكة. وفي رواية قال: هم والله كفار قريش. [البخاري: المغازي، باب: قتل أبي جهل. والتفسير/إبراهيم، باب: ﴿ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً﴾].

(٤) جمع ند، وهو المثل والنظير.

(٥) أي: لا يكون فيه بيع وشراء، فيكسب ويفتدي بما كسبه.

(٦) لا ينقطعان، والدأب العادة المستمرة دائماً على حالة واحدة.

= وتروح بطاناً) رواه الترمذي [الزهد، باب: في التوكل على الله، رقم: ٢٣٤٥] وقال حديث حسن. ومعناه: تذهب أول النهار خماصاً: أي ضامرة البطون من الجوع، وترجع آخر النهار بطاناً، أي: ممتلئة البطون. وعن أم المؤمنين أم سلمة هند بنت أبي أمية المخزومية، رضي الله عنها: أن النبي ﷺ كان إذا خرج من بيته قال: (بسم الله، توكلت على الله، اللهم إني أعوذ بك أن أَضِلَّ أو أُضَلَّ، أو أَزِلَّ أو أُزَلَّ، أو أَظلِمَ أو أُظلَمَ، أو أجهل =

سبب نزول الآية [٢٨]: أخرج ابن جرير عن عطاء بن يسار قال: نزلت هذه الآية في الذين قتلوا من قريش يوم بدر: ﴿ألم تر إلى الذين بدّلوا نعمة الله كفراً﴾ الآية. [البخاري: التفسير/ إبراهيم، باب: ﴿ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً﴾ رقم: ٤٤٢٣].

﴿ وسخر لكم الليل ﴾ لتسكنوا فيه(١) ﴿ والنهار ﴾ لتبتغوا فيه من فضله(٢).

٣٤ ﴿ وآتاكم من كل ما سألتموه ﴾ على حسب مصالحكم ﴿ وإن تعدوا نعمت الله ﴾ بمعنى إنعامه ﴿ لا تحصوها ﴾ لا تطيقوا عدها ﴿ إن الإنسان ﴾ الكافر ﴿ لظلوم كفار ﴾ كثير الظلم لنفسه بالمعصية، والكفر لنعمة ربه.

٣٥ ﴿ و ﴾ اذكر ﴿ إذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد ﴾ مكة ﴿ آمناً ﴾ ذا أمن، وقد أجاب الله دعاءه، فجعله حرماً لا يسفك فيه دم إنسان، ولا يظلم فيه أحد، ولا يصاد صيده، ولا يختلى خلاه ولا يعضد شجره(٣). ﴿ واجنبني ﴾ بعدني ﴿ وبنيَّ ﴾ عن ﴿ أن نعبد الأصنام ﴾.

٣٦ ﴿ رب إنهن ﴾ أي الأصنام ﴿ أضللن كثيراً من الناس ﴾ بعبادتهم لها(٤) ﴿ فمن تبعني ﴾ على التوحيد ﴿ فإنه مني ﴾ من أهل ديني ﴿ ومن عصاني فإنك غفور رحيم ﴾ هذا قبل علمه أنه تعالى لا يغفر الشرك(٥).

٣٧ ﴿ ربنا إني أسكنت من ذريتي ﴾ أي بعضها، وهو إسماعيل مع أمه هاجر ﴿ بوادٍ غير ذي زرع ﴾ هو مكة ﴿ عند بيتك المحرم ﴾ الذي كان قبل الطوفان(٦) ﴿ ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة ﴾ قلوباً ﴿ من الناس تهوي ﴾ تميل وتحن ﴿ إليهم ﴾ قال ابن عباس: لو قال أفئدة الناس لحنت إليه فارس والروم، والناس كلهم. ﴿ وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ﴾ وقد فعل بنقل الطائف إليه(٧).

٣٨ ﴿ ربنا إنك تعلم ما نخفي ﴾ نسر ﴿ وما نعلن وما يخفى على الله من ﴾ زائدة ﴿ شيء في الأرض ولا في السماء ﴾ يحتمل أن يكون من كلامه تعالى، أو كلام إبراهيم.

٣٩ ﴿ الحمد لله الذي وهب لي ﴾ أعطاني ﴿ على ﴾ مع ﴿ الكبر إسماعيل ﴾ ولد وله تسع وتسعون سنة ﴿ وإسحاق ﴾ ولد وله مائة واثنتا عشرة سنة ﴿ إن ربي لسميع الدعاء ﴾.

وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ
وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ
كَفَّارٞ ﴿٣٤﴾ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا
وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ
كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنۡ عَصَانِي
فَإِنَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ
غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ
فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ
ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ
مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ
وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى
ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾

---

(١) تطمئنوا وتستريحوا من تعب النهار.

(٢) تطلبوا الرزق والمعاش من فضل الله تعالى بالعمل والتجارة ونحوهما.

(٣) لا يقطع ما نبت فيه بنفسه من العشب ونحوه. أخرج البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال يوم فتح مكة: (إن هذا البلد حرام بحرمة الله، لا يعضد شجره، ولا ينفر صيده، ولا تلتقط لقطته إلا من عرفها، ولا يختلى خلاه) قال العباس: يا رسول الله، إلا الإذخر، فإنه لقينهم وبيوتهم. قال: (إلا الإذخر) [يعضد: يقطع. ينفر: يثار ليصاد، أو معناه يصاد. الإذخر: نبت معروف لدى أهل مكة. لقينهم: حدادهم يوقد به النار] وعندهما من حديث أبي شريح العدوي رضي الله عنه: (فلا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دماً..).
[البخاري: الإحصار وجزاء الصيد، باب: لا يعضد شجر الحرم، وباب: لا يحل القتال بمكة، رقم: ١٧٣٥، ١٧٣٧. مسلم: الحج، باب: تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرها ولقطتها، رقم: ١٣٥٣، ١٣٥٤].

(٤) أي كانت عبادتهم لها سبب ضلالهم.

(٥) أي لأن الله تعالى لا يغفر الشرك، فكيف يطلب المغفرة لمن خالفه في التوحيد. وقيل: من عصاني ثم تاب وآمن، أو من عصاني في غير التوحيد.

(٦) أو أنه سبحانه أعلمه ببيت يكون هناك، يعمره ويكون ذا حرمة وتعظيم، فقال هذا القول باعتبار ما سيكون.

(٧) أي بجعل بقعتها ذات أشجار وثمار وعيون وأنهار. أو المراد: جلب الأرزاق إليه من كل بلد.

= أو يُجهل عليّ) حديث صحيح رواه أبو داود، والترمذي، وغيرهما بأسانيد صحيحة. قال الترمذي: حديث حسن صحيح. وهذا لفظ أبي داود.

وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من قال ـ يعني إذا خرج من بيته ـ: بسم الله، توكلت على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، يقال له: هديت وكفيت ووقيت، وتنحى عنه الشيطان). رواه أبو داود والترمذي، والنسائي وغيرهم. وقال الترمذي: حديث حسن. زاد أبو داود: (فيقول: ـ يعني الشيطان ـ لشيطان آخر: كيف لك برجل قد هدي وكفي ووقي). [أبو داود: الأدب، باب: ما يقول إذا خرج من بيته، رقم: ٥٠٩٤، ٥٠٩٥. الترمذي: الدعوات، باب ماجاء ما يقول إذا خرج من بيته، رقم: ٣٤٢٢، ٣٤٢٣].

٤٠ ﴿ رب اجعلني مقيم الصلاة و ﴾ اجعل ﴿ من ذريتي ﴾ من يقيمها، وأتى بمن لإعلام الله تعالى له أن منهم كفاراً ﴿ ربنا وتقبل دعاء ﴾ المذكور.

٤١ ﴿ ربنا اغفر لي ولوالدي ﴾ هذا قبل أن يتبين له عداوتهما لله عزّ وجلّ، وقيل: أسلمت أمه، وقرىء: والِدِي، مفرداً، و: وَلَدَيَّ[1] ﴿وللمؤمنين يوم يقوم﴾ يثبت ﴿الحساب﴾. قال تعالى:

٤٢ ﴿ ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون ﴾ الكافرون من أهل مكة ﴿ إنما يؤخرهم ﴾ بلا عذاب ﴿ ليوم تشخص فيه الأبصار ﴾ لهول ما ترى، يقال: شخص بصر فلان، أي فتحه فلم يغمضه.

٤٣ ﴿ مهطعين ﴾ مسرعين، حال ﴿ مقنعي ﴾ رافعي ﴿ رؤوسهم ﴾ إلى السماء ﴿ لا يرتد إليهم طرفهم ﴾ بصرهم[2] ﴿ وأفئدتهم ﴾ قلوبهم ﴿ هواء ﴾ خالية من العقل[3]، لفزعهم.

٤٤ ﴿ وأنذر ﴾ خوف يا محمد ﴿ الناس ﴾ الكفار ﴿ يوم يأتيهم العذاب ﴾ هو يوم القيامة ﴿ فيقول الذين ظلموا ﴾ كفروا ﴿ ربنا أخرنا ﴾ بأن تردنا إلى الدنيا ﴿ إلى أجل قريب نجب دعوتك ﴾ بالتوحيد ﴿ ونتبع الرسل﴾ فيقال لهم توبيخاً ﴿ أو لم تكونوا أقسمتم ﴾ حلفتم ﴿ من قبل ﴾ في الدنيا ﴿ ما لكم من ﴾ زائدة ﴿ زوال ﴾ عنها إلى الآخرة.

٤٥ ﴿ وسكنتم ﴾ فيها ﴿ في مساكن الذين ظلموا أنفسهم ﴾[4] بالكفر من الأمم السابقة ﴿ وتبين لكم كيف فعلنا بهم ﴾ من العقوبة، فلم تنزجروا ﴿ وضربنا ﴾ بينا ﴿ لكم الأمثال ﴾ في القرآن، فلم تعتبروا.

٤٦ ﴿ وقد مكروا ﴾[5] بالنبي ﷺ ﴿ مكرهم ﴾ حيث أرادوا قتله أو تقييده أو إخراجه ﴿ وعند الله مكرهم ﴾ أي علمه، أو جزاؤه ﴿ وإن ﴾ ما ﴿ كان مكرهم ﴾ وإن عظم ﴿ لتزول منه الجبال﴾ المعنى: لا يعبأ به ولا يضر إلا أنفسهم. والمراد بالجبال هنا قيل: حقيقتها، وقيل: شرائع الإسلام المشبهة بها في القرار والثبات. وفي قراءة بفتح لام «لَتَزُولُ» ورفع الفعل، فإن مخففة، والمراد: تعظيم مكرهم. وقيل: المراد بالمكر كفرهم، ويناسبه على الثانية[6] «تكاد السموات يتفطرن منه[7] وتنشق الأرض وتخر[8] الجبال هداً»/ مريم: ٩٠/ وعلى الأول ما قرىء: وما كان[9].

٤٧ ﴿ فلا تحسبن الله

رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ
دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ
ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ
إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾
مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ
هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ
ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ
وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم
مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟
أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ
ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ
وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ

---

[1] وقرى ايضاً: وُلْدِي، ورسم الشارح يحتملها، والقراءات الثلاثة المذكورة شاذة.

[2] أي أبصارهم شاخصة لا ينطبق لهم جفن، لعظم الموقف وشدة هوله.

[3] الفهم والإدراك.

[4] أي في دار الدنيا وعلى الأرض التي عاشوا عليها، لا خصوص منازلهم.

[5] دبروا بحيلة وخداع.

[6] أي القراءة الثانية، والمناسبة: أن في كل من الآيتين إثبات زوال الجبال من شدة الكفر.

[7] يتشققن من فظاعة قولهم ﴿ اتخذ الرحمن ولداً ﴾/ مريم: ٨٨/.

[8] تسقط وتزول.

[9] أي يناسب القول الأول ـ وهو تفسير المكر بتدبيرهم قتل الرسول ﷺ أو غيره ـ القراءة الشاذة: وما كان مكرهم..

فائدة: قال ابن كثير في تفسير الآية [٤٤]: يقول تعالى مخبراً عن قيل الذين ظلموا أنفسهم، عند معاينة العذاب: ﴿ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل﴾ كما قال تعالى: ﴿حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون. لعلي أعمل صالحاً فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون﴾ [المؤمنون: ٩٩ـ١٠٠]. وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون. وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين﴾ [المنافقون: ٩ـ١٠]. وقال تعالى مخبراً عنهم في حال محشرهم: ﴿ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحاً إنا موقنون﴾ [السجدة: ١٢]. وقال تعالى: ﴿ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين. بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون﴾ [الأنعام: ٢٧ـ٢٨]. وقال تعالى: ﴿وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير﴾ [فاطر: ٣٧].

مخلف وعده رسله ﴾ بالنصر ﴿ إن الله عزيز ﴾ غالب لا يعجزه شيء ﴿ ذو انتقام ﴾ ممن عصاه(١).

٤٨ اذكر ﴿ يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات ﴾ هو يوم القيامة، فيحشر الناس على أرض بيضاء نقية، كما في حديث الصحيحين(٢). وروى مسلم حديث: سئل النبي ﷺ: أين الناس يومئذٍ؟ قال: (على الصراط)(٣) ﴿وبرزوا﴾ خرجوا من القبور ﴿لله الواحد القهّار﴾(٤).

٤٩ ﴿ وترى ﴾ يا محمد تبصر ﴿ المجرمين ﴾ الكافرين ﴿ يومئذٍ مقرنين ﴾ مشدودين مع شياطينهم ﴿ في الأصفاد ﴾ القيود أو الأغلال(٥).

٥٠ ﴿ سرابيلهم ﴾ قمصهم ﴿ من قطران ﴾ لأنه أبلغ لاشتعال النار ﴿ وتغشى ﴾ تعلو ﴿ وجوههم النار ﴾.

٥١ ﴿ليجزي﴾ متعلق ببرزوا ﴿ الله كل نفس ما كسبت ﴾ من خير وشر ﴿ إن الله سريع الحساب ﴾ يحاسب جميع الخلق في قدر نصف نهار من أيام الدنيا، لحديث بذلك(٦).

٥٢ ﴿ هذا ﴾ القرآن ﴿ بلاغ للناس ﴾ أي أنزل لتبليغهم ﴿ ولينذروا به وليعلموا ﴾ بما فيه من الحجج ﴿أنما هو﴾ أي الله ﴿ إله واحد وليذكر ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الذال(٧)، يتعظ ﴿ أولو الألباب ﴾ أصحاب العقول.

(سورة الحجر)
مكية وآياتها ٩٩

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿ الر ﴾ الله أعلم بمراده بذلك(٨) ﴿ تلك ﴾ هذه الآيات ﴿ آيات الكتاب ﴾ القرآن، والإضافة بمعنى من ﴿ وقرآن مبين ﴾ مظهر للحق من الباطل، عطف بزيادة صفة.

٢ ﴿ ربما ﴾ بالتشديد والتخفيف(٩)

مُخۡلِفَ وَعۡدِهِۦ رُسُلَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٖ ﴿٤٧﴾
يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ وَبَرَزُواْ
لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ مُّقَرَّنِينَ
فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٖ وَتَغۡشَىٰ وُجُوهَهُمُ
ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجۡزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ
ٱلۡحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ
أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٥٢﴾

(١٥) سُورَةُ الحِجْرِ مَكِّيَّة
وَآيَاتُهَا تِسْعٌ وَتِسْعُونَ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ ﴿١﴾ رُّبَمَا

---

(١) والمراد بانتقامه سبحانه إنزال العذاب الشديد بهم وإهلاكهم.

(٢) وهو ما أخرجاه عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء، كقُرْصَة نَقِيٍّ، ليس فيها مَعْلَم لأحد). [البخاري: الرقاق، باب: يقبض الله الأرض يوم القيامة، رقم: ٦١٥٦. مسلم: صفات المنافقين وأحكامهم، باب: في البعث والنشور وصفة الأرض يوم القيامة، رقم: ٢٧٩٠].

[عفراء: بيضاء مشوبة بحمرة. كقرصة نقي: كرغيف مصنوع من دقيق خالص من الغش والنخالة. معلم: علامة يستدل بها، أي مستوية لا حدب فيها ولا بناء عليها ولا شيء سواه].

(٣) عن عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله ﷺ عن قوله عز وجل: ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات﴾ فأين يكون الناس يومئذ يا رسول الله؟ فقال: (على الصراط). [مسلم: صفات المنافقين وأحكامهم، باب: في البعث والنشور وصفة الأرض يوم القيامة، رقم: ٢٧٩١].

(٤) الذي يحكم ما يريد ويفعل ما يشاء.

(٥) وهي سلاسل الحديد تجعل في الأيدي والأرجل أو الأعناق.

(٦) انظر المستدرك للحاكم: أول تفسير سورة الفرقان: ٢/ ٤٠٢، الزهد لابن المبارك: ١٣١٣، ١٣١٤

(٧) أصلها: ليتذكر، فقلبت التاء ذالاً وأدغمت في الذال الأخرى.

(٨) انظر/ البقرة: ١/.

(٩) أي ﴿رُبَمَا﴾ و ﴿رُبَّمَا﴾.

فائدة: عن ثوبان رضي الله عنه ـ مولى رسول الله ﷺ ـ قال: كنت قائماً عند رسول الله ﷺ، فجاء حبر من أحبار اليهود فقال: السلام عليك يا محمد. فدفعته دفعة كاد يصرع منها، فقال: لم تدفعني؟ فقلت: ألا تقول: يارسول الله؟ فقال اليهودي: إنما ندعوه باسمه الذي سماه به أهله. فقال رسول الله ﷺ: «إنما اسمي محمد الذي سماني به أهلي». فقال اليهودي: جئت أسألك. فقال له رسول الله ﷺ: «أينفعك شيء إن حدثتك». قال: أسمع بأذني. فنكت رسول الله ﷺ بعود معه، فقال: «سل». فقال اليهودي: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات؟ فقال رسول الله ﷺ: =

﴿ يود ﴾ يتمنى ﴿ الذين كفروا ﴾ يوم القيامة، إذا عاينوا حالهم وحال المسلمين ﴿ لو كانوا مسلمين ﴾ ورب للتكثير، فإنه يكثر منهم تمني ذلك، وقيل: للتقليل، فإن الأهوال تدهشهم، فلا يفيقون حتى يتمنوا ذلك إلا في أحيان قليلة(*).

٣ ﴿ ذرهم ﴾ اترك الكفار يا محمد ﴿ يأكلوا ويتمتعوا ﴾ بدنياهم ﴿ ويلههم ﴾ يشغلهم ﴿ الأمل ﴾ بطول العمر وغيره عن الإيمان ﴿ فسوف يعلمون ﴾ عاقبة أمرهم، وهذا قبل الأمر بالقتال(١).

٤ ﴿ وما أهلكنا من ﴾ زائدة ﴿ قرية ﴾ أريد أهلها ﴿ إلا ولها كتاب ﴾ أجل ﴿ معلوم ﴾ محدود لإهلاكها.

٥ ﴿ ما تسبق من ﴾ زائدة ﴿ أمة أجلها وما يستأخرون ﴾ يتأخرون عنه(٢).

٦ ﴿ وقالوا ﴾ أي كفار مكة للنبي ﷺ ﴿ يا أيها الذي نزل عليه الذكر ﴾ القرآن في زعمه(٣) ﴿ إنك لمجنون ﴾.

٧ ﴿ لو ما ﴾ هلا ﴿ تأتينا بالملائكة(٤) إن كنت من الصادقين ﴾ في قولك: إنك نبي، وإن هذا القرآن من عند الله.

٨ قال تعالى: ﴿ ما تَنَزَّل ﴾ فيه حذف إحدى التاءين(٥) ﴿ الملائكة إلا بالحق ﴾ بالعذاب(٦) ﴿ وما كانوا إذاً ﴾ أي حين نزول الملائكة بالعذاب ﴿ منظرين ﴾ مؤخرين. ٩ ﴿ إنا نحن ﴾ تأكيد لاسم إن أو فصل ﴿ نزلنا الذكر ﴾ القرآن ﴿ وإنا له لحافظون ﴾ من التبديل والتحريف، والزيادة والنقص.

١٠ ﴿ ولقد أرسلنا من قبلك ﴾ رسلاً ﴿ في شيع ﴾ فرق ﴿ الأولين ﴾.

١١ ﴿ وما ﴾ كان ﴿ يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون ﴾ كاستهزاء قومك بك، وهذا تسلية له ﷺ.

١٢ ﴿ كذلك نسلكه ﴾ أي مثل إدخالنا التكذيب في قلوب أولئك ندخله ﴿ في قلوب المجرمين ﴾ أي كفار مكة.

١٣ ﴿ لا يؤمنون به ﴾ بالنبي ﷺ ﴿ وقد خلت سنة الأولين ﴾ أي سنة الله فيهم من تعذيبهم بتكذيبهم أنبياءهم، وهؤلاء مثلهم.

١٤ ﴿ ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه ﴾ في الباب ﴿ يعرجون ﴾ يصعدون.

يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ
وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٣﴾ وَمَآ
أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٞ مَّعۡلُومٞ ﴿٤﴾ مَّا تَسۡبِقُ
مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ ﴿٥﴾ وَقَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي
نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ ﴿٦﴾ لَّوۡ مَا تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَـٰٓئِكَةِ
إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٧﴾ مَا نُنَزِّلُ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةَ إِلَّا
بِٱلۡحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذٗا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ
وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي شِيَعِ
ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ
يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿١١﴾ كَذَٰلِكَ نَسۡلُكُهُۥ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١٢﴾
لَا يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَقَدۡ خَلَتۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَلَوۡ فَتَحۡنَا
عَلَيۡهِم بَابٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعۡرُجُونَ ﴿١٤﴾

---

(١) أي أما بعده فلا يتركون، وإنما يقاتلون إذا لم يسلموا.

(٢) أي إن العذاب المقدر لكل أمة، أو الموت، لا يتأخر مجيئه عن وقته المحدد له في علم الله تعالى ولا يتقدم عنه.

(٣) أي إن قولهم: نزل عليه الذكر، استهزاء وتهكم، لا إقرار منهم بنزول القرآن، والمعنى: الذي تزعم أنك نزل عليك قرآن من الله تعالى.

(٤) فتخبرنا بصدقك.

(٥) الأصل: تتنزل، وفي قراءة متواترة سبعية ﴿نُنَزِّل﴾.

(٦) أي إن الله تعالى لا يظهر الملائكة عياناً إلا عند نزولهم بالعذاب والهلاك لمن استحقوه.

«هم في الظلمة دون الجسر». قال: فمن أول الناس إجازة ؟ قال: «فقراء المهاجرين». قال اليهودي: فما تحفتهم حين يدخلون الجنة ؟ قال: «زيادة كبد النون». قال: فما غذاؤهم على إثرها ؟ قال: «ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها». قال: فما شرابهم عليه ؟ قال: «من عين فيها تسمى سلسبيلاً». قال: صدقت. قال: وجئت أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبي أو رجل أو رجلان. قال: «ينفعك إن حدثتك». قال: أسمع بأذني. قال: جئت أسألك عن الولد ؟ قال: «ماء الرجل أبيض، وماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعا فعلا مني الرجل مني المرأة أذكرا بإذن الله، وإذا علا مني المرأة مني الرجل آنثا بإذن الله». قال اليهودي: لقد صدقت، وإنك لنبي. ثم انصرف فذهب، فقال رسول الله ﷺ: «لقد سألني هذا عن الذي سألني عنه، وما لي علم بشيء منه، حتى أتاني الله به». [مسلم: الحيض، باب: بيان صفة مني الرجل والمرأة. . ، رقم: ٣١٥] [فنكت: أخذ يخط في الأرض شأن المفكر في أمر. تحفتهم: هي الشيء الطريف اللطيف المستحسن والمستظرف. النون: الحوت. أذكرا: كان الولد ذكراً. آنثا: كان الولد أنثى].

(*)عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا اجتمع أهل النار في النار، ومعهم من شاء الله من أهل القبلة، قال الكفار للمسلمين: ألم تكونوا مسلمين ؟ قالوا: بلى. قالوا: فما أغنى عنكم الإسلام! فقد صرتم معنا في النار. قالوا: كانت لنا ذنوب فأخذنا بها. فسمع الله ما قالوا، فأمر بمن كان في النار من أهل القبلة فأخرجوا، فلما رأى ذلك من بقي من الكفار قالوا: يا ليتنا كنا مسلمين فنخرج كما خرجوا. قال: ثم قرأ رسول الله ﷺ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿الٓر. تلك آيات الكتاب وقرآن مبين. ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين﴾) [الطبراني].

١٥ ﴿ لقالوا إنما سكرت ﴾ سدت ﴿ أبصارنا بل نحن قوم مسحورون ﴾ يخيل إلينا ذلك(١).

١٦ ﴿ ولقد جعلنا في السماء بروجاً ﴾ اثني عشر: الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت، وهي منازل الكواكب السبعة السيارة: المريخ وله الحمل والعقرب، والزهرة ولها الثور والميزان، وعطارد وله الجوزاء والسنبلة، والقمر وله السرطان، والشمس ولها الأسد، والمشتري وله القوس والحوت، وزحل وله الجدي والدلو. ﴿ وزيناها ﴾ بالكواكب ﴿ للناظرين ﴾.

١٧ ﴿ وحفظناها ﴾ بالشهب(٢) ﴿ من كل شيطان رجيم ﴾ مرجوم.

١٨ ﴿ إلا ﴾ لكن ﴿ من استرق السمع ﴾ خطفه ﴿ فأتبعه شهاب مبين ﴾ كوكب(٣) مضيء ، يحرقه أو يثقبه، أو يخبله.

١٩ ﴿ والأرض مددناها ﴾ بسطناها(٤) ﴿ وألقينا فيها رواسي ﴾ جبالاً ثوابت، لئلا تتحرك بأهلها ﴿ وأنبتنا فيها من كل شيء موزون ﴾ معلوم مقدر.

لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾
وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾
وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ
ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا
وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾
وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾
وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ
مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ
مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ
نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ
مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ
يَحْشُرُهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ

٢٠ ﴿ وجعلنا لكم فيها معايش ﴾ بالياء، من الثمار والحبوب ﴿ و ﴾ جعلنا لكم ﴿ من لستم له برازقين ﴾ من العبيد والدواب والأنعام، فإنما يرزقهم الله.

٢١ ﴿ وإن ﴾ ما ﴿ من ﴾ زائدة ﴿ شيء إلا عندنا خزائنه ﴾ مفاتيح خزائنه ﴿ وما ننزله إلا بقدر معلوم ﴾ على حسب المصالح.

٢٢ ﴿ وأرسلنا الرياح لواقح ﴾ تلقح السحاب فيمتلىء ماء ﴿ فأنزلنا من السماء ﴾ السحاب(٥) ﴿ ماء ﴾ مطراً ﴿ فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين ﴾ أي ليست خزائنه بأيديكم(٦).

٢٣ ﴿ وإنا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون ﴾ الباقون، نرث جميع الخلق.

٢٤ ﴿ ولقد علمنا المستقدمين منكم ﴾ أي من تقدم من الخلق من لدن آدم ﴿ ولقد علمنا المستأخرين ﴾ المتأخرين إلى يوم القيامة.

٢٥ ﴿ وإن ربك هو يحشرهم إنه حكيم ﴾ في صنعه ﴿ عليم ﴾ بخلقه.

٢٦ ﴿ ولقد خلقنا الإنسان ﴾ آدم

---

(١) والمراد: أنهم متعنتون في مطالبهم، ولا يريدون البرهان ليهتدوا به.

(٢) جمع شهاب وهو شعلة من نار ساطع، التي ترسل من الكواكب لتطرد مردة الجن من استراق أخبار السماء. أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: (إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله، كأنه سلسلة على صفوان، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال: الحق، وهو العلي الكبير. فيسمعها مسترقوا السمع هكذا بعضهم فوق بعض، فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن، فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها وربما ألقاها قبل أن يدركه، فيكذب معها مائة كذبة، فيقال: أليس قد قال لنا كذا وكذا، فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء).
[الصفوان: الحجر الصلب الأملس].
[البخاري: التفسير/سبأ، باب: ﴿حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق..﴾ رقم: ٤٥٢٢].

(٣) الصحيح أنه شعلة. يخبله: يفسد أعضاءه ويصيبه بالجنون.

(٤) جعلنا سطحها واسعاً ممهداً لتصلح للعيش عليها.

(٥) الذي في جهة السماء.

(٦) أخرج مسلم [صلاة الاستسقاء، باب: التعوذ عند رؤية=

سبب نزول الآية [٢٤]: روى الترمذي [تفسير القرآن، باب: ومن سورة الحجر، رقم: ٢١٢١] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانت امرأة تصلي خلف رسول الله ﷺ حسناء من أحسن الناس، فكان بعض القوم يتقدّم حتى يكون في الصفّ الأوّل لئلا يراها، ويستأخر بعضهم حتى يكون في الصفّ المؤخر، فإذا ركع نظر من تحت إبطيه. فأنزل الله تعالى: ﴿ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين﴾.

وقال الواحدي: قال الربيع بن أنس: حرض رسول الله ﷺ على الصف الأول في الصلاة، فازدحم الناس عليه، وكان بنو عذرة دورهم قاصية عن المسجد فقالوا: نبيع دورنا ونشتري دوراً قريبة من المسجد. فأنزل الله تعالى هذه الآية. قاصية: بعيدة.

﴿ من صلصال ﴾ طين يابس يسمع له صلصلة، أي صوت إذا نقر ﴿ من حمأ ﴾ طين أسود ﴿ مسنون ﴾ متغير.

٢٧ ﴿ والجان ﴾ أبا الجن، وهو إبليس ﴿ خلقناه من قبل ﴾ خلق آدم ﴿ من نار السموم ﴾ هي نار لا دخان لها، تنفذ من المسام. ٢٨ ﴿ و ﴾ اذكر ﴿ إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من صلصال من حمأ مسنون ﴾.

٢٩ ﴿ فإذا سويته ﴾ أتممته ﴿ ونفخت ﴾ أجريت ﴿ فيه من روحي ﴾ فصار حياً، وإضافة الروح إليه تشريف لآدم ﴿ فقعوا له ساجدين ﴾ سجود تحية بالانحناء. ٣٠ ﴿ فسجد الملائكة كلهم أجمعون ﴾ فيه تأكيدان(١).

٣١ ﴿ إلا إبليس ﴾ هو أبو الجن، كان بين الملائكة ﴿ أبى ﴾ امتنع من ﴿ أن يكون مع الساجدين ﴾.

٣٢ ﴿ قال ﴾ تعالى: ﴿ يا إبليس مالك ﴾ ما منعك ﴿ أ ﴾ ن ﴿ لا ﴾ زائدة(٢) ﴿تكون مع الساجدين﴾.

٣٣ ﴿ قال لم أكن لأسجد ﴾ لا ينبغي لي أن أسجد ﴿ لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون ﴾.

٣٤ ﴿ قال فاخرج منها ﴾ أي من الجنة، وقيل: من السماوات ﴿ فإنك رجيم ﴾ مطرود.

٣٥ ﴿ وإن عليك اللعنة(٣) إلى يوم الدين ﴾ الجزاء. ٣٦ ﴿ قال رب فأنظرني(٤) إلى يوم يبعثون ﴾ أي الناس.

٣٧ ﴿ قال فإنك من المنظرين ﴾.

٣٨ ﴿ إلى يوم الوقت المعلوم ﴾ وقت النفخة الأولى.

٣٩ ﴿ قال رب بما أغويتني ﴾ أي بإغوائك لي(٥)، والباء للقسم، وجوابه ﴿ لأزينن لهم في الأرض ﴾ المعاصي ﴿ ولأغوينهم

مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ (٢٦) وَٱلۡجَآنَّ خَلَقۡنَٰهُ
مِن قَبۡلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ (٢٧) وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ
إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ (٢٨) فَإِذَا
سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ (٢٩)
فَسَجَدَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمۡ أَجۡمَعُونَ (٣٠) إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰٓ
أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ (٣١) قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ
أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ (٣٢) قَالَ لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٍ
خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ (٣٣) قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا
فَإِنَّكَ رَجِيمٞ (٣٤) وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ (٣٥)
قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ (٣٦) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ
ٱلۡمُنظَرِينَ (٣٧) إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ (٣٨) قَالَ
رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ

فائدة: في السجود وفضله.

عن معدان بن أبي طلحة اليعمري قال: لقيت ثوبان مولى رسول الله ﷺ، فقلت: أخبرني بعمل أعمله يدخلني الله به الجنة، أو قال: قلت: بأحب الأعمال إلى الله. فسكت، ثم سألته فسكت، ثم سألته الثالثة فقال: سألت عن ذلك رسول الله ﷺ، فقال: (عليك بكثرة السجود لله، فإنك لا تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة، وحط عنك بها خطيئة). قال معدان: ثم لقيت أبا الدرداء فسألته، فقال لي مثل ما قال لي ثوبان.

وعن ربيعة بن كعب الأسلمي رضي الله عنه قال: كنت أبيت مع رسول الله ﷺ، فأتيته بوضوئه وحاجته، فقال لي: (سل). فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة. قال: (أو غير ذلك)؟ قلت: هو ذاك. قال: (فأعني على نفسك بكثرة السجود). [مسلم: الصلاة، باب: فضل السجود والحث عليه].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (وأما السجود فأكثروا فيه من الدعاء، فَقَمِنٌ أن يستجاب لكم) [مسلم: الصلاة، باب: النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود] [فقمن: حقيق وجدير].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (أقرب ما يكو ن العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء) [مسلم: الصلاة، باب: ما يقال في الركوع والسجود].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا قرأ ابن آدم السجدة، فسجد، اعتزل الشيطان يبكي، يقول: يا ويله ـ وفي رواية: يا ويلي ـ أمر ابن آدم بالسجود فسجد، فله الجنة. وأمرت بالسجود فأبيت فلي النار) [مسلم: الإيمان، باب: بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة]. [يا ويله: يا هلاكه، وهذا من أدب الكلام، فيما إذا نقل كلاماً عن غيره بسوء أن يذكره بضمير الغائب، لا بضمير المتكلم أو المخاطب، كي لا ينسب السوء إلى نفسه أو إلى من يخاطبه].

الريح والغيم. . ، رقم: ٨٩٩] عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ كان إذا عصفت الريح قال: (اللهم إني أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به).

(١) الأول ﴿كلهم﴾ والثاني ﴿أجمعون﴾.

(٢) أي من حيث اللفظ، بدليل قوله تعالى في [ص: ٧٥]: ﴿ما منعك أن تسجد﴾ وهي تفيد تأكيد المعنى. والأكثرون على أنها غير زائدة هنا، على تقدير حرف الجر [في] المحذوفة، والمعنى: أي غرض لك في أن لا تكون من الساجدين، والله أعلم.

(٣) أي يلعنه أهل السماوات والأرض.

(٤) أخرني وأبقني حياً.

(٥) بحكمك عليّ بعاقبة الغواية، وهي الطرد من الرحمة واستحقاق العقاب الأليم الخالد.

أجمعين ﴾(١). ٤٠ ﴿ إلا عبادك منهم المخلصين ﴾أي المؤمنين. ٤١ ﴿ قال ﴾ تعالى: ﴿ هذا صراط عليّ مستقيم ﴾(٢).
٤٢ وهو ﴿ إن عبادي ﴾ أي المؤمنين ﴿ ليس لك عليهم سلطان ﴾ قوة ﴿ إلا ﴾ لكن ﴿ من اتبعك من الغاوين ﴾ الكافرين. ٤٣ ﴿ وإن جهنم لموعدهم أجمعين ﴾ أي من اتبعك معك.
٤٤ ﴿ لها سبعة أبواب ﴾ أطباق(٣) ﴿ لكل باب ﴾ منها ﴿ منهم جزء ﴾ نصيب ﴿ مقسوم ﴾.
٤٥ ﴿ إن المتقين في جنات ﴾ بساتين ﴿ وعيون ﴾ تجري فيها.
٤٦ ويقال لهم ﴿ ادخلوها بسلام ﴾ أي سالمين من كل مخوف، أو مع سلام، أي سلموا وادخلوا ﴿ آمنين ﴾ من كل فزع. ٤٧ ﴿ ونزعنا ما في صدورهم من غل ﴾ حقد ﴿ إخواناً ﴾ حال منهم ﴿ على سرر متقابلين ﴾ حال أيضاً، أي لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض، لدوران الأسرة بهم(٤). ٤٨ ﴿ لا يمسهم فيها نصب ﴾ تعب ﴿ وما هم منها بمخرجين ﴾ أبداً. ٤٩ ﴿ نبىء ﴾ خبّر يا محمد ﴿ عبادي أني أنا الغفور ﴾ للمؤمنين ﴿ الرحيم ﴾ بهم.
٥٠ ﴿ وأن عذابي ﴾ للعصاة ﴿ هو العذاب الأليم ﴾ المؤلم(٥). ٥١ ﴿ ونبئهم عن ضيف إبراهيم ﴾ هم ملائكة، اثنا عشر، أو عشرة، أو ثلاثة، منهم جبريل.

٥٢ ﴿ إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً ﴾ أي هذا اللفظ ﴿ قال ﴾ إبراهيم - لما عرض عليهم الأكل فلم يأكلوا - ﴿ إنا منكم وجلون ﴾ خائفون. ٥٣ ﴿ قالوا لا توجل ﴾ لا تخف ﴿ إنا ﴾ رسل ربك ﴿ نبشرك بغلام عليم ﴾ ذي علم كثير، هو إسحاق، كما ذكر في سورة هود/٧١.
٥٤ ﴿ قال أبشرتموني ﴾ بالولد ﴿ على أن مسني

أَجْمَعِينَ ۙ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا
صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ
سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ
لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ
جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾
ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ
غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ
وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ ۞ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا
الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾
وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا
سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا
نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَنْ مَسَّنِيَ

---

(١) بالوسوسة في قلوبهم، حتى أحملهم على أسباب الغواية، ليستحقوا العقاب مثله.

(٢) أي هذه سنة من سنتي، أخذت على نفسي أن أحفظها من أي اعوجاج أو خلل.

(٣) طبقات، أو دركات. ويحتمل أن تكون أبواباً على أسوارها، يختص كل منها بدخول نوع من أصحاب جهنم. روى ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: (لجهنم سبعة أبواب، باب منها لمن سل السيف على أمتي) أخرجه الترمذي [في أبواب تفسير القرآن، باب: ومن سورة الحجر، رقم: ٣١٢٢].

(٤) بحيث تبقى وجوههم متقابلة. عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يخلص المؤمنون من النار، فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة. فوالذي نفس محمد بيده، لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا». [البخاري: الرقاق، باب: القصاص يوم القيامة، رقم: ١٦٧٠] [حبسوا: أوقفوا. بقنطرة: كل شيء ينصب على طرفي واد أو جانبي نهر ونحوه. فيتقاصون: من القصاص، والمعنى: يتراضون فيما بينهم ويتسامحون عما كان لبعضهم من تبعات على بعض. نقوا وهذبوا: خلصوا من جميع الآثام، ولم يبق على أحدهم أية تبعة، من التنقية وهي تمييز الجيد من الرديء، والتهذيب وهو التخليص. أدل: أكثر دلالة وأعرف].

(٥) أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن الله سبحانه وتعالى خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة، فأمسك عنده تسعاً وتسعين رحمة، وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة. فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة، ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار). [الرقاق: باب: الرجاء مع الخوف، رقم: ٦١٠٤].

فائدة: عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قلنا للنبي ﷺ: إنك تبعثنا، فننزل بقوم لا يقروننا، فما ترى فيه؟ فقال لنا: «إن نزلتم بقوم، فأمر لكم بما ينبغي للضيف فاقبلوا، فإن لم يفعلوا فخذوا منهم حق الضيف». [البخاري: المظالم، باب: قصاص المظلوم إذا وجد مال ظالمه، رقم: ٢٣٢٩. مسلم: اللقطة، باب: الضيافة ونحوها، رقم: ١٣٢٧] [لا يقروننا: لا يقدمون لنا ضيافة. بما ينبغي: بما يقدم عادة. فخذوا منهم: ما كان ينبغي أن يقدم قهراً عنهم، وذلك في حق الضيف المضطر إلى ضيافة، كما لو كان في مكان لا تباع فيه الأشياء، أو كان منقطعاً، وأما غير المضطر فضيافته سنة مؤكدة].

أسباب نزول الآيات [٤٥، ٤٧، ٤٩، ٥٠]: عن سلمان الفارسي رضي الله عنه: لما سمع قوله تعالى: ﴿وإن جهنم لموعدهم أجمعين﴾. فر ثلاثة أيام هرباً من الخوف لا يعقل، فجيء به للنبيّ ﷺ، فسأله فقال: يا رسول الله أنزلت هذه الآية: ﴿وإنّ جهنم لموعدهم أجمعين﴾ فوالذي بعثك

﴿الكبر﴾ حال، أي مع مسه إياي ﴿فبم﴾ فبأي شيء ﴿تبشرون﴾ استفهام تعجب.

٥٥ ﴿قالوا بشرناك بالحق﴾ بالصدق ﴿فلا تكن من القانطين﴾ الآيسين.

٥٦ ﴿قال ومن﴾ أي لا ﴿يقنط﴾ بكسر النون وفتحها(١) ﴿من رحمة ربه إلا الضالون﴾ الكافرون.

٥٧ ﴿قال فما خطبكم﴾ شأنكم(٢) ﴿أيها المرسلون﴾.

٥٨ ﴿قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين﴾ كافرين، أي قوم لوط، لإهلاكهم.

٥٩ ﴿إلا آل لوط إنا لمنجوهم أجمعين﴾ لإيمانهم.

٦٠ ﴿إلا امرأته قدرنا(٣) إنها لمن الغابرين﴾ الباقين في العذاب، لكفرها.

٦١ ﴿فلما جاء آل لوط﴾ أي لوطاً ﴿المرسلون﴾.

٦٢ ﴿قال﴾ لهم ﴿إنكم قوم منكرون﴾ لا أعرفكم.

٦٣ ﴿قالوا بل جئناك بما كانوا﴾ أي قومك ﴿فيه يمترون﴾ يشكون، وهو العذاب.

٦٤ ﴿وأتيناك بالحق وإنا لصادقون﴾ في قولنا.

٦٥ ﴿فأسر بأهلك بقطع من الليل(٤) واتبع أدبارهم﴾ امش خلفهم(٥) ﴿ولا يلتفت منكم أحد﴾ لئلا يرى عظيم ما ينزل بهم ﴿وامضوا حيث تؤمرون﴾ وهو الشام.

٦٦ ﴿وقضينا﴾ أوحينا ﴿إليه ذلك الأمر﴾ وهو ﴿أن دابر هؤلاء(٦) مقطوع مصبحين﴾ حال، أي يتم استئصالهم في الصباح.

٦٧ ﴿وجاء أهل المدينة﴾ مدينة سدوم، وهم قوم لوط، لما أخبروا: أن في بيت لوط مرداً(٧) حساناً، وهم الملائكة ﴿يستبشرون﴾ حال، طمعاً في فعل الفاحشة بهم.

٦٨ ﴿قال﴾ لوط ﴿إن هؤلاء

ٱلۡكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُواْ بَشَّرۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ فَلَا تَكُن
مِّنَ ٱلۡقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا
ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطۡبُكُمۡ أَيُّهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٥٧﴾
قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمٖ مُّجۡرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ
إِنَّا لَمُنَجُّوهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ قَدَّرۡنَآ إِنَّهَا لَمِنَ
ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ
إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُواْ بَلۡ جِئۡنَٰكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ
يَمۡتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسۡرِ
بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَٱتَّبِعۡ أَدۡبَٰرَهُمۡ وَلَا يَلۡتَفِتۡ
مِنكُمۡ أَحَدٞ وَٱمۡضُواْ حَيۡثُ تُؤۡمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيۡنَآ إِلَيۡهِ
ذَٰلِكَ ٱلۡأَمۡرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقۡطُوعٞ مُّصۡبِحِينَ ﴿٦٦﴾
وَجَآءَ أَهۡلُ ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ

---

(١) قراءتان متواترتان: ﴿يَقنِط﴾ و﴿يقنَط﴾.

(٢) الذي أرسلتم لأجله سوى البشارة.

(٣) قضى الله تعالى بذلك، ونحن ننفذ قضاءه.

(٤) جزء منه وهو آخره، وأسرى من الإسراء وهو المشي في الليل.

(٥) أي خلف أهلك حتى تطمئن على نجاتهم.

(٦) آخرهم، وقطعه كناية عن استئصالهم.

(٧) جمع أمرد، وهو الغلام الذي لم تنبت لحيته. وسدوم: في بعض النسخ [سذوم] بالذال، والصواب بالذال، كما صوبه صاحب حاشية الجمل على الجلالين، ونقله في معجم البلدان عن الأزهري وغيره.

بالحقّ لقد قطعت قلبي، فأنزل الله: ﴿إنّ المتقين في جنات وعيون﴾. [السيوطي].

وعن عليّ بن الحسين رضي الله عنهما: أن هذه الآية نزلت في أبي بكر وعمر: ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غلّ﴾. قيل: وأي غلّ؟ قال: غلّ الجاهلية، إن بني تيم، وبني عدي، وبني هاشم كان بينهم في الجاهلية عداوة، فلما أسلم هؤلاء القوم تحابوا، فأخذت أبا بكر الخاصرة، فجعل عليّ يسخن يده فيكمد بها خاصرة أبي بكر، فنزلت هذه الآية. [السيوطي] الخاصرة: وجع في خاصرته. فيكمد: من الكمادة، وهي خرقة تسخن وتوضع على الموجوع، يشتفي بها من الريح ووجع البطن.

وعن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال: مرّ رسول الله ﷺ بنفر من أصحابه يضحكون، فقال: (أتضحكون وذكر الجنة والنار بين أيديكم). فنزلت هذه الآية: ﴿نبّيء عبادي أني أنا الغفور الرحيم. وأن عذابي هو العذاب الأليم﴾ [السيوطي].

وقال الواحدي: روى ابن المبارك بإسناده، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ أنه قال: طلع علينا رسول الله ﷺ من الباب الذي يدخل منه بنو شيبة، ونحن نضحك، فقال: (لا أراكم تضحكون). ثم أدبر حتى إذا كان عند الحجر رجع إلينا القهقرى فقال: (إني لما خرجت جاء جبريل عليه السلام، فقال: يا محمد، يقول الله تعالى عزّ وجلّ: لم تقنط عبادي؟ ﴿نبيء عبادي أني أنا الغفور الرحيم﴾).[وانظر السيوطي أيضاً]. [الحجر: هو حجر إسماعيل عليه السلام. وهو المكان المسور بجدار قصير إلى جانب بناء الكعبة، وهو من أصل الكعبة. القهقرى: المشي إلى الخلف].

ضيفي فلا تفضحون ﴾.

٦٩ ﴿ واتقوا الله ولا تخزون ﴾ بقصدكم إياهم بفعل الفاحشة بهم.

٧٠ ﴿ قالوا أو لم ننهك عن العالمين ﴾ عن إضافتهم(١).

٧١ ﴿ قال هؤلاء بناتي إن كنتم فاعلين ﴾ ما تريدون من قضاء الشهوة فتزوجوهن. قال تعالى:

٧٢ ﴿ لعمرك ﴾ خطاب للنبي ﷺ، أي وحياتك(٢) ﴿ إنهم لفي سكرتهم(٣) يعمهون ﴾ يترددون.

٧٣ ﴿ فأخذتهم الصيحة ﴾ صيحة جبريل ﴿ مشرقين ﴾ وقت شروق الشمس.

٧٤ ﴿ فجعلنا عاليها ﴾ أي قراهم ﴿ سافلها ﴾ بأن رفعها جبريل إلى السماء وأسقطها مقلوبة إلى الأرض ﴿ وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل ﴾ طين طبخ بالنار.

٧٥ ﴿ إن في ذلك ﴾ المذكور ﴿ لآيات ﴾ دلالات على وحدانية الله ﴿ للمتوسمين ﴾ للناظرين المعتبرين(*).

٧٦ ﴿ وإنها ﴾ أي قرى قوم لوط ﴿لبسبيل مقيم ﴾ طريق قريش إلى الشام، لم تندرس(٤)، أفلا يعتبرون بهم.

٧٧ ﴿ إن في ذلك لآية ﴾ لعبرة ﴿ للمؤمنين ﴾.

٧٨ ﴿ وإن ﴾ مخففة، أي إنه ﴿ كان أصحاب الأيكة ﴾ هي غيضة شجر(٥) بقرب مدين، وهم قوم شعيب ﴿ لظالمين ﴾ بتكذيبهم شعيباً.

٧٩ ﴿ فانتقمنا منهم ﴾ بأن أهلكناهم بشدة الحر ﴿ وإنهما ﴾ أي قرى قوم لوط والأيكة ﴿ لبإمام ﴾ طريق(٦) ﴿ مبين ﴾ واضح، أفلا تعتبرون بهم يا أهل مكة؟

٨٠ ﴿ ولقد كذب أصحاب الحجر ﴾ وادٍ بين المدينة والشام، وهم ثمود ﴿ المرسلين ﴾ بتكذيبهم صالحاً، لأنه تكذيب لباقي الرسل، لاشتراكهم في المجيء بالتوحيد.

٨١ ﴿ وآتيناهم آياتنا ﴾ في الناقة ﴿ فكانوا عنها معرضين ﴾ لا يتفكرون فيها.

٨٢ ﴿ وكانوا ينحتون من الجبال بيوتاً آمنين ﴾(٧).

٨٣ ﴿ فأخذتهم الصيحة مصبحين ﴾ وقت الصباح.

٨٤ ﴿ فما أغنى ﴾ دفع ﴿ عنهم ﴾ العذاب ﴿ ما كانوا يكسبون ﴾ من بناء الحصون وجمع الأموال(٨).

٨٥ ﴿ وما خلقنا

ضَيۡفِي فَلَا تَفۡضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ ﴿٦٩﴾
قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ نَنۡهَكَ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ إِن
كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿٧٢﴾
فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ مُشۡرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا
وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ
لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٖ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ
لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِن كَانَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾
فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٖ مُّبِينٖ ﴿٧٩﴾ وَلَقَدۡ كَذَّبَ
أَصۡحَٰبُ ٱلۡحِجۡرِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيۡنَٰهُمۡ ءَايَٰتِنَا
فَكَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُواْ يَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ
بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ مُصۡبِحِينَ ﴿٨٣﴾
فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَا خَلَقۡنَا

---

(١) والمراد بالعالمين الغرباء عنهم، خشية أن يتقوى بهم عليهم.

(٢) والله تعالى يقسم بما أراد، وليس للخلق أن يقسموا بغيره سبحانه.

(٣) ضلالتهم التي أذهبت عقولهم وتمييزهم بين الخطأ والصواب. ويعمهون من العَمَه، وهو التردد في الضلال والتحير وعدم معرفة الحُجَّة.

أخرج ابن جرير الطبري في تفسيره: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفساً أكرم عليه من محمد ﷺ، وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره، قال الله تعالى: ﴿لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون﴾.

(*) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اتقوا فراسة المؤمن، فإنه ينظر بنور الله». ثم قرأ النبي ﷺ: ﴿إن في ذلك لآية للمتوسمين﴾ [الترمذي: التفسير/ تفسير سورة الحجر]

(٤) بل ما زالت آثارها قائمة واضحة.

(٥) مكان ذو شجر كثير.

(٦) سمي الطريق إماماً لأنه يؤم، أي يقصد ويتبع ليوصل إلى الموضع المراد.

(٧) يأمنون فيها من وصول اللصوص إليهم، أو مداهمة الأعداء وتخريبهم لبيوتهم، لشدة إتقانها وتحصينها.

(٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما مر رسول الله ﷺ بالحجر قال: (لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم، أن يصيبكم ما أصابهم، إلا أن تكونوا باكين) ثم قنع رأسه وأسرع السير حتى أجاز الوادي. [البخاري: المغازي، باب: نزول النبي ﷺ الحجر، رقم: ٤١٥٧]. قنع رأسه: غطاه. أجاز الوادي: قطعه وجاوزه.

السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق وإن الساعة لآتية ﴾ لا محالة، فيجازى كل أحد بعمله ﴿ فاصفح ﴾ يا محمد عن قومك ﴿ الصفح الجميل ﴾ أعرض عنهم إعراضاً لا جزع فيه، وهذا منسوخ بآية السيف(١).

٨٦ ﴿ إن ربك هو الخلاق ﴾ لكل شيء ﴿ العليم ﴾ بكل شيء.

٨٧ ﴿ ولقد آتيناك سبعاً من المثاني ﴾ قال ﷺ: (هي الفاتحة) رواه الشيخان(٢)، لأنها تثنى في كل ركعة ﴿ والقرآن العظيم ﴾. ٨٨ ﴿ لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً ﴾ أصنافاً ﴿ منهم ولا تحزن عليهم ﴾ إن لم يؤمنوا ﴿ واخفض جناحك ﴾ ألن جانبك ﴿ للمؤمنين ﴾. ٨٩ ﴿ وقل إني أنا النذير ﴾ من عذاب الله أن ينزل عليكم ﴿ المبين ﴾ البين الإنذار.

٩٠ ﴿ كما أنزلنا ﴾ العذاب ﴿ على المقتسمين ﴾ اليهود والنصارى.

٩١ ﴿ الذين جعلوا القرآن ﴾ أي كتبهم المنزلة عليهم ﴿ عضين ﴾ أجزاء، حيث آمنوا ببعض وكفروا ببعض(٣). وقيل: المراد بهم الذين اقتسموا طرق مكة، يصدون الناس عن الإسلام، وقال بعضهم في القرآن: سحر، وبعضهم: كهانة، وبعضهم: شعر. ٩٢ ﴿ فوربك لنسألنهم أجمعين ﴾ سؤال توبيخ. ٩٣ ﴿ عما كانوا يعملون ﴾.

٩٤ ﴿ فاصدع ﴾ يا محمد ﴿ بما تؤمر ﴾ به، أي اجهر به وأمضه(٤) ﴿ وأعرض عن المشركين ﴾ هذا قبل الأمر بالجهاد(٥).

٩٥ ﴿ إنا كفيناك المستهزئين ﴾ بك، بإهلاكنا كلاً منهم بآفة، وهم: الوليد بن المغيرة، والعاصي بن وائل، وعدي بن قيس، والأسود بن عبد المطلب، والأسود بن عبد يغوث.

٩٦ ﴿ الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر ﴾ صفة(٦)، وقيل مبتدأ، ولتضمنه معنى الشرط دخلت الفاء في خبره وهو ﴿ فسوف يعلمون ﴾ عاقبة أمرهم.

٩٧ ﴿ ولقد ﴾ للتحقيق ﴿ نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون ﴾ من الاستهزاء والتكذيب.

٩٨ ﴿ فسبح ﴾ متلبساً ﴿ بحمد

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ
ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ (٨٥) إِنَّ رَبَّكَ
هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ (٨٦) وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ
ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ (٨٧) لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ
مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ
جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ (٨٨) وَقُلْ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ (٨٩)
كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ (٩٠) ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ
عِضِينَ (٩١) فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا۟
يَعْمَلُونَ (٩٣) فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ
ٱلْمُشْرِكِينَ (٩٤) إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ (٩٥) ٱلَّذِينَ
يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٩٦) وَلَقَدْ
نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ (٩٧) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ

---

(١) أي الصفح عن المشركين خاصة منسوخ بالآيات التي تأمر بقتالهم.

(٢) أخرج البخاري [التفسير، باب: ما جاء في فاتحة الكتاب، رقم: ٤٢٠٤] عن أبي سعيد بن المعلى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (﴿الحمد لله رب العالمين﴾ هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته). والمراد بقوله ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ أي السورة التي تبدأ بهذه الجملة.

(٣) أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى ﴿الذين جعلوا القرآن عضين﴾ قال: هم اليهود والنصارى، جزؤوه أجزاء، آمنوا ببعض وكفروا ببعض. [التفسير/الحجر، باب: قوله ﴿الذين جعلوا القرآن عضين﴾ رقم: ٤٤٢٨، ٤٤٢٩].

(٤) نفذه، وأصل الصدع الشق والفرق، أي افرق بما جاءك بين الحق والباطل.

(٥) أما بعد الأمر بالجهاد فلا يعرض عنهم، فإما أن يسلموا وإما أن يقاتلوا.

(٦) أي جملة الموصول ﴿الذين..﴾ وصلته صفة للمستهزئين.

سبب نزول الآية [٨٧]: قال الواحدي: قال الحسين بن الفضل: إن سبع قوافل وافت من بصرى وأذرعات ليهود قريظة والنضير في يوم واحد، فيها أنواع من البز وأوعية الطيب والجواهر وأمتعة البحر، فقال المسلمون: لو كان هذه الأموال لنا لتقوينا بها، فأنفقناها في سبيل الله. فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال: لقد أعطيتكم سبع آيات هي خير لكم من هذه السبع القوافل. ويدل على صحة هذا قوله على إثرها: ﴿ لا تَمُدَّنَّ عينَيْكَ ﴾ الآية [٨٨]. البز: الثياب.

سبب نزول الآية [٩٥]: عن أنس بن مالك رضي الله عنهما قال: مرّ النبيّ ﷺ على أناس بمكة، فجعلوا يغمزون في قفاه ويقولون: هذا الذي يزعم أنه نبيّ - ومعه جبريل - فغمز جبريل بأصبعه فوقع مثل الظفر في أجسادهم، فصارت قروحاً حتى نتنوا، فلم يستطع أحد أن يدنو منهم، فأنزل الله: ﴿إنا كفيناك المستهزئين﴾. [السيوطي]. قروحاً: جروحاً متقيحة. نتنوا: خرجت لهم روائح كريهة.

ربك ﴾ أي قل: سبحان الله وبحمده ﴿ وكن من الساجدين ﴾ المصلين.

٩٩ ﴿ واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ﴾ الموت(١)، والله أعلم.

(سورة النحل)

مكية الا الآيات الثلاث الأخيرة: ﴿وإن عاقبتم..﴾ إلى آخرها
فمدنية (وآياتها مائة وثمان وعشرون آية)

بسم الله الرحمن الرحيم

١ لما استبطأ المشركون العذاب نزل ﴿ أتى أمر الله ﴾ أي الساعة، وأتى بصيغة الماضي لتحقق وقوعه، أي قرب(٢) ﴿ فلا تستعجلوه ﴾ تطلبوه قبل مجيئه، فإنه واقع لا محالة ﴿ سبحانه ﴾ تنزيهاً له ﴿ وتعالى عما يشركون ﴾ به غيره.

٢ ﴿ ينزل الملائكة ﴾ أي جبريل ﴿ بالروح ﴾ بالوحي ﴿ من أمره ﴾ بإرادته ﴿ على من يشاء من عباده ﴾ وهم الأنبياء ﴿ أن ﴾ مفسرة ﴿ أنذروا ﴾ خوفوا الكافرين بالعذاب، وأعلموهم ﴿ أنه لا إله إلا أنا فاتقون ﴾ خافون.

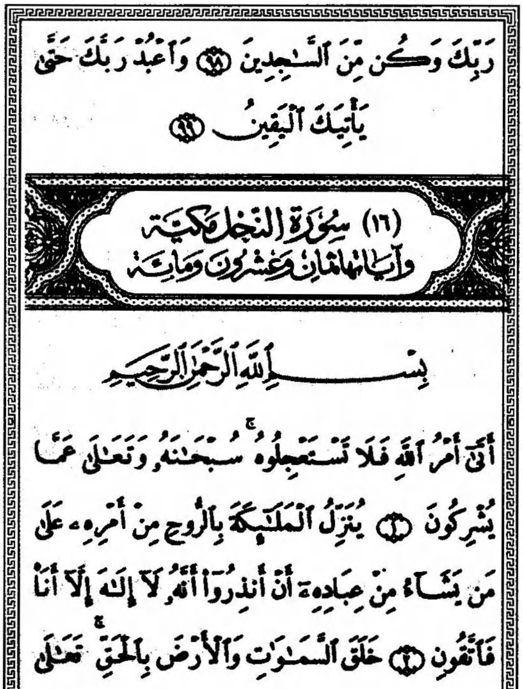

رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ
يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴿٩٩﴾

(١٦) سُورَةُ النَّحۡلِ مَكِّيَّة
وَآيَاتُهَا ثَمَانٍ وَعِشۡرُونَ وَمِائَة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا
يُشۡرِكُونَ ﴿١﴾ يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ
مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠
فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ تَعَٰلَىٰ
عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ
خَصِيمٞ مُّبِينٞ ﴿٤﴾ وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۖ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ

٣ ﴿ خلق السماوات والأرض بالحق ﴾ أي محقاً ﴿ تعالى عما يشركون ﴾ به من الأصنام.

٤ ﴿ خلق الإنسان من نطفة ﴾ مني، إلى أن صيره قوياً شديداً ﴿ فإذا هو خصيم ﴾ شديد الخصومة ﴿ مبين ﴾ بيِّنها في نفي البعث، قائلاً: «من يحيي العظام وهي رميم» / يس: ٧٨/.

٥ ﴿ والأنعام ﴾ الإبل والبقر والغنم، ونصبه بفعل مقدر يفسره ﴿ خلقها لكم ﴾(٣) في جملة الناس ﴿ فيها دفء ﴾ ما تستدفئون به من الأكسية والأردية من أشعارها وأصوافها

سبب نزول الآية [١]: قال الواحدي: قال ابن عباس رضي الله عنه: لما أنزل الله تعالى: ﴿ اقْتَرَبَتِ الساعةُ وانْشَقَّ القَمَرُ ﴾ قال الكفار بعضهم لبعض: إن هذا يزعم أن القيامة قد قربت، فأمسكوا عن بعض ما كنتم تعملون حتى ننظر ما هو كائن. فلما رأوا أنه لا ينزل شيء قالوا: ما نرى شيئاً. فأنزل الله تعالى: ﴿ اقْتَرَبَ للنَّاسِ حسابُهُمْ وهُمْ في غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ ﴾ [الأنبياء: ١]. فأشفقوا وانتظروا قرب الساعة، فلما امتدت الأيام قالوا: يا محمد، ما نرى شيئاً مما تخوفنا به. فأنزل الله تعالى: ﴿أتى أمر الله﴾ فوثب النبي ﷺ ورفع الناس رؤوسهم، فنزل: ﴿فلا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ فاطمأنوا، فلما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ: (بعثت أنا والساعة كهاتين ـ وأشار بأصبعه ـ إن كادت لتسبقني).

وقال الآخرون: الأمر ها هنا العذاب بالسيف، وهذا جواب للنضر بن الحارث حين قال: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء، يستعجل العذاب، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

أقول: ونزل هذا القول قرآناً على لسانه، انظر الآية [٣٢] من سورة الأنفال.

سبب نزول الآية [٤]: قال الواحدي: نزلت الآية في أُبيّ بن خلف الجمحي، حين جاء بعظم رميم إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا محمد أترى الله يحيي هذا بعد ما قد رم؟ نظيرة هذه الآية قوله تعالى في سورة يس: ﴿أولَمْ يَرَ الإنْسانُ أنَّا خَلَقْناهُ مِنْ نُطْفَةٍ فإذا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ [٧٧] إلى آخر السورة، نازلة في هذه القصة.

---

(١) الذي لا يشك فيه أحد، فهو موقن به لدى الجميع. أخرج البغوي بسنده عن جبير بن نفير رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (ما أوحى الله إليّ أنْ أجمع المال وأكون من التاجرين، ولكن أوحى إلي أن: ﴿سبح بحمد ربك وكن من الساجدين * واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾).

(٢) أخرج البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (بعثت أنا والساعة كهاتين) كفضل إحداهما على الأخرى، وضم السبابة إلى الوسطى. [البخاري: الرقاق، باب: التواضع، رقم: ٦١٣٩. مسلم: الفتن وأشراط الساعة، باب: قرب الساعة، رقم: ٢٩٥١] وفي رواية (بعثت في نفس الساعة فسبقتها، كما سبقت هذه هذه) لأصبعيه السبابة والوسطى. [الترمذي: الفتن، باب: ما جاء في قول النبي ﷺ: (بعثت أنا والساعة كهاتين..) رقم: ٢٢١٤].

(٣) يا معشر قريش.

﴿ ومنافع ﴾ من النسل والدر والركوب ﴿ ومنها تأكلون ﴾ قدم الظرف للفاصلة(١).

٦ ﴿ ولكم فيها جمال ﴾ زينة ﴿ حين تريحون ﴾ تردونها إلى مراحها(٢) بالعشي ﴿ وحين تسرحون ﴾ تخرجونها إلى المرعى بالغداة(٣).

٧ ﴿ وتحمل أثقالكم ﴾ أحمالكم ﴿ إلى بلد لم تكونوا بالغيه ﴾ واصلين إليه على غير الإبل ﴿ إلا بشق الأنفس ﴾ بجهدها ﴿ إن ربكم لرؤوف رحيم ﴾ بكم، حيث خلقها لكم.

٨ ﴿ و ﴾ خلق ﴿ الخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ﴾ مفعول له، والتعليل بهما(٤) لتعريف النعم لا ينافي خلقها لغير ذلك، كالأكل في الخيل، الثابت بحديث الصحيحين(٥) ﴿ ويخلق ما لا تعلمون ﴾ من الأشياء العجيبة الغريبة(٦).

٩ ﴿ وعلى الله قصد السبيل ﴾ أي بيان الطريق المستقيم(٧) ﴿ ومنها ﴾ أي السبيل ﴿ جائر ﴾ حائد عن الاستقامة ﴿ ولو شاء ﴾ هدايتكم ﴿ لهداكم ﴾ إلى قصد السبيل ﴿ أجمعين ﴾ فتهتدون إليه باختيار منكم.

١٠ ﴿ هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ﴾ تشربونه ﴿ ومنه شجر ﴾ ينبت بسببه ﴿ فيه تسيمون ﴾ ترعون دوابكم.

١١ ﴿ ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك ﴾ المذكور ﴿ لآية ﴾ دالة على وحدانيته تعالى ﴿ لقوم يتفكرون ﴾ في صنعه فيؤمنون.

١٢ ﴿ وسخر لكم الليل والنهار والشمس ﴾ بالنصب عطفاً على ما قبله، والرفع مبتدأ ﴿ والقمر والنجوم ﴾ بالوجهين ﴿ مسخرات ﴾ بالنصب حال، وبالرفع خبر ﴿ بأمره ﴾ بإرادته ﴿ إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴾ يتدبرون.

١٣ ﴿ و ﴾ سخر لكم ﴿ ما ذرأ ﴾ خلق ﴿ لكم في الأرض ﴾ من الحيوان والنبات وغير ذلك ﴿ مختلفاً ألوانه ﴾ كأحمر وأصفر وأخضر وغيرها(٨) ﴿ إن في ذلك لآية لقوم يذكرون ﴾ يتعظون.

وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ
وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟
بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾
وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا
تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ وَلَوْ شَآءَ
لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ
لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ
ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ
إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ
وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ
إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ
فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ

---

(١) أي مراعاة لرؤوس الآي قبلها وبعدها. (٢) مأواها في الليل.

(٣) وقت الصباح. (٤) أي بالركوب والزينة.

(٥) أخرج البخاري ومسلم عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما أنها قالت: نحرنا على عهد رسول الله ﷺ فرساً فأكلناه. وأخرجا عن جابر رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ نهى عن لحوم الحمر الأهلية وأذن في الخيل. [البخاري: الذبائح والصيد، باب: لحوم الخيل، رقم: ٥٢٠٠، ٥٢٠١. مسلم: الصيد والذبائح، باب: في أكل لحوم الخيل، رقم: ١٩٤١، ١٩٤٢].

(٦) كالسيارات والطيارات ومراكب الفضاء وغير ذلك. وفي هذه الآية معجزة كبرى لرسولنا عليه الصلاة والسلام، إذ أخبرت أنه ستوجد وسائل ركوب تجهلها البشرية في ذلك الحين، وقد تحقق ذلك.

(٧) طريق الهدى والحق، بإرسال الرسل وإنزال الكتب.

(٨) كأشكاله وطعومه.

فائدة:

عن أبي موسى رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (ليس أحد ـ أو: ليس شيء ـ أصبر على أذى سمعه من الله، إنهم ليدعون له ولداً، وإنه ليعافيهم ويرزقهم) [البخاري: الأدب، باب: الصبر على الأذى، رقم: ٥٧٤٨. مسلم: صفات المنافقين وأحكامهم، باب: لا أحد أصبر على أذى من الله عزَّ وجلَّ، رقم: ٢٨٠٤]. [أصبر: أحلم وأبعد عن الانتقام، وأكثر تأخيراً عن العقوبة. أذى: شيء يكرهه من قول أو فعل. ليدعون: ينسبون، ليعافيهم في أبدانهم]

وعن الحارث الأشعري رضي الله عنه: أن نبي الله ﷺ قال: (إن الله عزَّ وجلَّ أمر يحيى بن زكريا عليهما السلام بخمس كلمات: أن تعمل بهن، وأن يأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن، وكاد أن يبطىء، فقال له عيسى: إنك قد أمرت بخمس كلمات أن تعمل بهن وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن، فإما أن تبلغهن وإما أن أبلغهن. فقال: يا أخي، إني أخشى إن سبقتني أن أعذب أو يخسف بي. قال: فجمع يحيى بني إسرائيل في بيت المقدس حتى امتلأ المسجد، فقعد على الشرف، فحمد الله وأثنى عليه، ثم

١٤ ﴿ وهو الذي سخر البحر ﴾ ذلله لركوبه والغوص فيه ﴿ لتأكلوا منه لحماً طرياً ﴾ هو السمك ﴿ وتستخرجوا منه حلية تلبسونها ﴾ هي اللؤلؤ والمرجان ﴿ وترى ﴾ تبصر ﴿ الفلك ﴾ السفن ﴿ مواخر فيه ﴾ تمخر الماء، أي تشقه بجريها فيه مقبلة ومدبرة بريح واحدة ﴿ ولتبتغوا ﴾ عطف على لتأكلوا، أي تطلبوا﴿ من فضله ﴾ تعالى[1] بالتجارة ﴿ ولعلكم تشكرون ﴾ الله على ذلك.

١٥ ﴿ وألقى في الأرض رواسي ﴾ جبالاً ثوابت لـ ﴿ أن ﴾ لا ﴿ تميد ﴾ تتحرك ﴿ بكم و ﴾ جعل فيها ﴿ أنهاراً ﴾ كالنيل ﴿ وسبلاً ﴾ طرقاً ﴿ لعلكم تهتدون ﴾ إلى مقاصدكم.

١٦ ﴿ وعلامات ﴾ تستدلون بها على الطرق كالجبال بالنهار ﴿ وبالنجم ﴾ بمعنى النجوم ﴿ هم يهتدون ﴾ إلى الطرق والقبلة بالليل.

١٧ ﴿ أفمن يخلق ﴾ وهو الله ﴿ كمن لا يخلق ﴾ وهو الأصنام، حيث تشركونها معه في العبادة؟ لا[2] ﴿ أفلا تذكرون ﴾ هذا فتؤمنوا.

١٨ ﴿ وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ﴾ تضبطوها، فضلاً عن أن تطيقوا شكرها ﴿ إن الله لغفور رحيم ﴾ حيث ينعم عليكم مع تقصيركم وعصيانكم.

١٩ ﴿ والله يعلم ما تسرون وما تعلنون ﴾[3].

٢٠ ﴿ والذين تدعون ﴾ بالتاء والياء، تعبدون ﴿ من دون الله ﴾ وهم الأصنام ﴿ لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون ﴾ يصورون من الحجارة وغيرها.

٢١ ﴿ أموات ﴾ لا روح فيهم، خبر ثانٍ ﴿ غير أحياء ﴾ تأكيد ﴿ وما يشعرون ﴾ أي الأصنام ﴿ أيان ﴾ وقت ﴿ يبعثون ﴾ أي الخلق، فكيف يُعْبَدون؟ إذ لا يكون إلهاً إلا الخالق الحي العالم بالغيب.

٢٢ ﴿ إلهكم ﴾ المستحق للعبادة منكم ﴿ إله واحد ﴾ لا نظير له في ذاته ولا في صفاته، وهو الله تعالى ﴿ فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة ﴾ جاحدة للوحدانية ﴿ وهم مستكبرون ﴾ متكبرون عن الإيمان بها.

٢٣ ﴿ لا جرم ﴾ حقاً ﴿ أن الله يعلم ما يسرون وما =

يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا
طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ
مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾
وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا
لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾
أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا۟
نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ
يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن
دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ
أَحْيَآءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ
وَٰحِدٌ ۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم
مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ

قال: إن الله عزّ وجلّ امرني بخمس كلمات أن أعمل بهن، وآمركم ان تعملوا بهن، اولهن: أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، فإن مثل ذلك مثل رجل اشترى عبداً من خالص ماله، بوَرق أو ذهب، فجعل يعمل ويؤدي غلته إلى غير سيده، فأيكم سره أن يكون عبده كذلك؟ وإن الله عزّ وجلّ خلقكم ورزقكم، فاعبدوه ولا تشركوا به شيئاً. وآمركم بالصلاة، فإن الله عزّ وجلّ ينصب وجهه لوجه عبده ما لم يلتفت، فإذا صليتم فلا تلتفتوا. وآمركم بالصيام، فإن مثل ذلك كمثل رجل معه صرة من مسك في عصابة، كلهم يجد ريح المسك، وإن خلوف فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك. وآمركم بالصدقة، فإن مثل ذلك كمثل رجل أسره العدو فشدوا يديه إلى عنقه، وقدموه ليضربوا عنقه، فقال: هل لكم أن أفتدي نفسي منكم، فجعل يفتدي نفسه منهم بالقليل والكثير حتى فك نفسه. وآمركم بذكر الله عزّ وجلّ كثيراً، وإن مثل ذلك كمثل رجل طلبه العدو سراعاً في أثره، فأتى حصناً حصيناً فتحصن فيه، وإن العبد أحصن ما يكون من الشيطان إذا كان في ذكر الله عزّ وجلّ). قال: فقال رسول الله ﷺ: وأنا آمركم بخمس، الله أمرني بهن: بالجماعة، والسمع والطاعة، والهجرة، والجهاد في سبيل الله، فإنه من خرج من الجماعة قِيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلا أن يرجع، ومن دعا بدعوى الجاهلية فهو من جثاء جهنم، قالوا: يا رسول الله، وإن صام وصلى؟ قال: (وإن صام وصلى، وزعم أنه مسلم. فادعوا المسلمين بأسمائهم بما سماهم الله عزّ وجلّ: المسلمين المؤمنين عباد الله عزّ وجلّ). [أخرجه أحمد في مسنده: ٤/ ١٣٠].

[الشرف: مكان مرتفع. بورق: فضة. غلته: ثمرته ونتيجة عمله. عصابة: خرقة معصوبة أي مربوطة. خلوف: رائحة تغير فمه. سراعاً: مسرعين وراءه. قِيد: قدر. ربقة الإسلام: عهده، والربقة العروة].

(١) أي الأرباح والرزق.

(٢) أي لا يستوي الخالق لهذه النعم الجليلة والآيات العظيمة، مع ما لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً، فكيف تسوون بينهما؟.

(٣) من العقائد والأعمال.

يعلمون ﴾ فيجازيهم بذلك﴿ إنه لا يحب المستكبرين ﴾ بمعنى أنه يعاقبهم(١).

٢٤ ونزل في النضر بن الحارث ﴿ وإذا قيل لهم ما ﴾ استفهامية ﴿ ذا ﴾ موصولة ﴿ أنزل ربكم ﴾ على محمد ﴿ قالوا ﴾ هو ﴿ أساطير ﴾ أكاذيب ﴿ الأولين ﴾ إضلالاً للناس.

٢٥ ﴿ ليحملوا ﴾ في عاقبة الأمر ﴿ أوزارهم ﴾(٢) ذنوبهم ﴿ كاملة ﴾ لم يكفَّر منها شيء ﴿ يوم القيامة ومن ﴾ بعض ﴿ أوزار الذين يضلونهم بغير علم ﴾ لأنهم دعوهم إلى الضلال فاتبعوهم، فاشتركوا في الإثم(٣) ﴿ ألا ساء ﴾ بئس ﴿ ما يزرون ﴾ يحملونه حملهم هذا.

٢٦ ﴿ قد مكر الذين من قبلهم ﴾(٤) وهو نمروذ، بنى صرحاً(٥) طويلاً ليصعد منه إلى السماء ليقاتل أهلها ﴿ فأتى الله ﴾ قصد ﴿ بنيانهم من القواعد ﴾ الأساس، فأرسل عليه الريح والزلزلة فهدمته ﴿ فخر(٦) عليهم السقف من فوقهم ﴾ أي وهم تحته ﴿ وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون ﴾ من جهة لا تخطر ببالهم. وقيل: هذا تمثيل لإفساد ما أبرموه(٧) من المكر بالرسل.

٢٧ ﴿ ثم يوم القيامة يخزيهم ﴾ يذلهم ﴿ ويقول ﴾ الله لهم على لسان الملائكة توبيخاً ﴿ أين شركائي ﴾ بزعمكم ﴿ الذين كنتم تشاقون ﴾ تخالفون المؤمنين ﴿ فيهم ﴾ في شأنهم ﴿ قال ﴾ أي يقول ﴿ الذين أوتوا العلم ﴾ من الأنبياء والمؤمنين ﴿ إن الخزي اليوم والسوء على الكافرين ﴾ يقولونه شماتة بهم.

٢٨ ﴿ الذين تتوفاهم ﴾ بالتاء والياء ﴿ الملائكة ظالمي أنفسهم ﴾ بالكفر ﴿ فألقوا السلم ﴾ انقادوا واستسلموا عند الموت(٨) قائلين ﴿ ما كنا نعمل من سوء ﴾ شرك، فتقول الملائكة ﴿ بلى إن الله عليم بما كنتم تعملون ﴾ فيجازيكم به.

٢٩ ويقال لهم ﴿ فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى ﴾ مأوى ﴿ المتكبرين ﴾(٩).

إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡتَكۡبِرِينَ ٢٣ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ
رَبُّكُمۡ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٢٤ لِيَحۡمِلُوٓاْ أَوۡزَارَهُمۡ
كَامِلَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَمِنۡ أَوۡزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيۡرِ
عِلۡمٍۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ٢٥ قَدۡ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ
فَأَتَى ٱللَّهُ بُنۡيَٰنَهُم مِّنَ ٱلۡقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّقۡفُ مِن
فَوۡقِهِمۡ وَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ٢٦
ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُخۡزِيهِمۡ وَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ
تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمۡۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ إِنَّ ٱلۡخِزۡيَ ٱلۡيَوۡمَ
وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٧ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ
ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ فَأَلۡقَوُاْ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعۡمَلُ مِن سُوٓءِۭۚ
بَلَىٰٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٢٨ فَٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ
جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَلَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ٢٩

---

(١) أخرج مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر) فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً؟ قال: (إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس) أي عدم قبول الحق وانتقاص الناس. [الإيمان، باب: تحريم الكبر وبيانه، رقم: ٩١].

(٢) سميت الذنوب أوزاراً ـ جمع وزر وهو الحمل الثقيل ـ لثقل عقابها على النفوس.

(٣) أخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً. ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً) [العلم، باب: من سن سنة حسنة أو سيئة، ومن دعا إلى هدى أو ضلالة، رقم: ٢٦٧٤].

(٤) دبروا ما فيه إبطال الحق ودعوة الرسل بزعمهم.

(٥) هو البناء الضخم الطويل المنفرد. (٦) سقط.

(٧) اتفقوا عليه وعزموا على تنفيذه. (٨) أو بعد البعث.

(٩) عن حارثة بن وهب الخزاعي قال: سمعت النبي ﷺ يقول: (ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف مُتَضَعِّف، لو أقسم على الله لأبرَّه. ألا أخبركم بأهل النار: كل عُتُلٍّ، جَوّاظٍ، مستكبر). [البخاري: التفسير/ تفسير سورة ﴿ن﴾ باب: ﴿عتل بعد ذلك زنيم﴾ رقم: ٤٦٣٤. مسلم: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: النار يدخلها الجبارون، رقم: ٢٨٥٣]. [متضعف: بكسر العين، متواضع لين هين، وروي بفتح العين، أي يستضعفه الناس ويحتقرونه. أقسم: حلف يميناً طمعاً في كرم الله تعالى. لأبره: لحقق له ما أقسم عليه، ولأجاب طلبه و دعاءه. جواظ: شديد الصوت في الشر، متكبر مختال في مشيته، وقيل: الأكول السمين].

عن عياض بن حمار المجاشعي، رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: (ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني، يومي هذا). وقال فيه: (وأهل النار خمسة: الضعيف الذي لا زبر له، الذين هم فيكم تبعاً، لا يتبعون أهلاً ولا مالاً. والخائن الذي لا يخفى له طمع وإن دق إلا خانه. ورجل لا يصبح ولا يمسي إلا

٣٠ ﴿**وقيل للذين اتقوا**﴾ الشرك ﴿**ماذا أنزل ربكم قالوا خيراً**(١)﴾ **للذين أحسنوا**﴾ بالإيمان ﴿**في هذه الدنيا حسنة**﴾ حياة طيبة ﴿ **ولدار الآخرة** ﴾ أي الجنة ﴿ **خير** ﴾ من الدنيا وما فيها، قال تعالى فيها(٢) ﴿ **ولنعم دار المتقين** ﴾ هي.

٣١ ﴿ **جنات عدن** ﴾ إقامة، مبتدأ خبره ﴿ **يدخلونها تجري من تحتها الأنهار لهم فيها ما يشاؤون كذلك** ﴾ الجزاء ﴿ **يجزي الله المتقين** ﴾.

٣٢ ﴿ **الذين** ﴾ نعت(٣) ﴿ **تتوفاهم الملائكة طيبين** ﴾ طاهرين من الكفر ﴿ **يقولون** ﴾ لهم عند الموت(٤) ﴿ **سلام عليكم** ﴾ ويقال لهم في الآخرة ﴿ **ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون** ﴾.

٣٣ ﴿ **هل** ﴾ ما ﴿ **ينظرون** ﴾ ينتظر الكفار ﴿ **إلا أن تأتيهم** ﴾ بالتاء والياء ﴿ **الملائكة** ﴾ لقبض أرواحهم ﴿ **أو يأتي أمر ربك** ﴾ العذاب، أو القيامة المشتملة عليه ﴿ **كذلك** ﴾ كما فعل هؤلاء ﴿**فعل الذين من قبلهم**﴾ من الأمم، كذبوا رسلهم فأهلكوا ﴿ **وما ظلمهم الله** ﴾ بإهلاكهم بغير ذنب ﴿ **ولكن كانوا أنفسهم يظلمون** ﴾ بالكفر.

٣٤ ﴿ **فأصابهم سيئات ما عملوا** ﴾ أي جزاؤها(٥) ﴿ **وحاق**﴾ نزل ﴿ **بهم ما كانوا به يستهزئون**﴾ أي العذاب(٦).

٣٥ ﴿ **وقال الذين أشركوا** ﴾ من أهل مكة ﴿ **لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء** ﴾ من البحائر والسوائب(٧)، فإشراكنا وتحريمنا بمشيئته، فهو راض به. قال تعالى: ﴿ **كذلك فعل**

۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡۚ قَالُواْ خَيۡرٗاۗ
لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۚ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞۚ
وَلَنِعۡمَ دَارُ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا تَجۡرِي
مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ لَهُمۡ فِيهَا مَا يَشَآءُونَۚ كَذَٰلِكَ يَجۡزِي ٱللَّهُ
ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ
سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٣٢﴾ هَلۡ
يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ أَمۡرُ رَبِّكَۚ
كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن
كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ
وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ
أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ نَّحۡنُ
وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ

وهو يخادعك عن أهلك ومالك). وذكر البخل أو الكذب (والشِّنظير الفَحّاش). [مسلم: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: في صفة يوم القيامة أعاننا الله على أهوالها، رقم: ٢٨٦٥]. [لا زبر له: لا عقل له يمنعه مما لا ينبغي أن يفعله. لا يخفى له..: أي لا يظهر له ما يطمع فيه. الشنظير: السيء الخلق].

(١) وبينوا هذا الخير بقولهم: للذين.. فكأنهم قالوا: أنزل ربنا أنه من أحسن في هذه الدنيا بالإيمان والطاعة فله حياة طيبة في الدنيا، ونعيم مقيم في الآخرة.

(٢) أي في الجنة.

(٣) صفة للمتقين.

(٤) أو بعد البعث.

(٥) جزاء أعمالهم السيئة.

(٦) جزاء على استهزائهم بالرسل وبالمؤمنين.

(٧) جمع بحيرة وسائبة، وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حامٍ ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون﴾ [المائدة: ١٠٣].

أخرج البخاري [في التفسير/المائدة، باب: ﴿ما جعل الله من بحيرة..﴾ رقم: ٤٣٤٧] ومسلم [في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، رقم: ٢٨٥٦]: عن سعيد بن المسيب قال: البحيرة التي يمنع درها للطواغيت، فلا يحلبها أحد من الناس. والسائبة: كانوا يسيبونها لآلهتهم لا يحمل عليها شيء. والوصيلة: الناقة البِكر، تُبكِّر في أول نِتَاج الإبل، ثم تثني بعد بأنثى، وكانوا يسيبونها لطواغيتهم إن وصلت إحداهما بالأخرى ليس بينهما ذكر. والحام: فحل الإبل يضرب الضِّرابَ المعدودَ، فإذا قضى ضرابه ودَعُوه للطواغيت وأعفوه من الحمل، فلم يحمل عليه شيء، وسمَّوْه الحامي.

قال ابن المسيب: وقال أبو هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: (رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار، كان أول من سيَّب السوائب). [البحيرة: من البحر، وهو الشق، وقد كانوا يشقون أذنها علامة على ذلك. الطواغيت: الأصنام التي يعبدونها. يسيبونها: يتركونها طليقة. نتاج: ما تلده الإبل. الضراب: هو من الحيوان كالجماع من الإنسان. قصبه: أمعاءه وأحشاءه].

الذين من قبلهم ﴾ أي كذبوا رسلهم فيما جاؤوا به ﴿ فهل ﴾ فما ﴿ على الرسل إلا البلاغ المبين ﴾ الإبلاغ البين، وليس عليهم الهداية(١).

٣٦ ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً ﴾ كما بعثناك في هؤلاء ﴿ أن ﴾ أي بأن ﴿ اعبدوا الله ﴾ وحدوه ﴿ واجتنبوا الطاغوت ﴾ الأوثان أن تعبدوها ﴿ فمنهم من هدى الله ﴾ فآمن ﴿ ومنهم من حقت ﴾ وجبت ﴿ عليه الضلالة ﴾ في علم الله، فلم يؤمن ﴿ فسيروا ﴾ يا كفار مكة ﴿ في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ﴾ رسلهم من الهلاك.

٣٧ ﴿ إن تحرص ﴾ يا محمد ﴿ على هداهم ﴾ وقد أضلهم الله، لا تقدر على ذلك ﴿ فإن الله لا يُهدَى ﴾ بالبناء للمفعول وللفاعل(٢) ﴿ من يضل ﴾ من يريد إضلاله ﴿ وما لهم من ناصرين ﴾ مانعين من عذاب الله.

٣٨ ﴿ وأقسموا بالله جهد أيمانهم ﴾ أي غاية اجتهادهم فيها ﴿ لا يبعث الله من يموت ﴾ قال تعالى ﴿ بلى ﴾ يبعثهم ﴿ وعداً عليه حقاً ﴾ مصدران مؤكدان منصوبان بفعلهما المقدر، أي وعد ذلك وحقه حقاً ﴿ ولكن أكثر الناس ﴾ أي أهل مكة ﴿ لا يعلمون ﴾ ذلك.

٣٩ ﴿ ليبين ﴾ متعلق بيبعثهم المقدر ﴿ لهم الذي يختلفون ﴾ مع المؤمنين ﴿ فيه ﴾ من أمر الدين، بتعذيبهم وإثابة المؤمنين ﴿ وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين ﴾ في إنكار البعث(٣).

٤٠ ﴿ إنما قولنا لشيء إذا أردناه ﴾ أي أردنا إيجاده، وقولنا مبتدأ خبره ﴿ أن نقول له كن فيكون ﴾ أي فهو يكون، وفي قراءة بالنصب عطفاً على نقول، والآية لتقرير القدرة على البعث.

٤١ ﴿ والذين هاجروا في الله ﴾ لإقامة دينه ﴿ من بعد ما ظلموا ﴾ بالأذى من أهل مكة، وهم النبي ﷺ وأصحابه ﴿ لنبوئنهم ﴾ ننزلهم ﴿ في الدنيا ﴾ داراً ﴿ حسنة ﴾ هي المدينة(٤) ﴿ ولأجر الآخرة ﴾ أي الجنة ﴿ أكبر ﴾ أعظم

(الجـزء الرابع عشر) ٣٥٠

ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٣٥﴾
وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ
ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ
ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ
عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِن تَحۡرِصۡ عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ
لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾ وَأَقۡسَمُواْ
بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَا يَبۡعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ بَلَىٰ وَعۡدًا
عَلَيۡهِ حَقّٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ
لَهُمُ ٱلَّذِي يَخۡتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ كَانُواْ
كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ
كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ
لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ

---

(١) الهداية نوعان: هداية موصلة إلى الغرض، بمعنى جعل الإيمان في القلب والتقوى في النفس، فيستقيم العمل. وهذا أمر لا يملكه إلا الله تعالى، وهو المراد بالنفي هنا، وبمثل قوله تعالى: ﴿إنك لا تهدي من أحببت﴾ [القصص: ٥٦] وقوله تعالى: ﴿وما أنت بهاد العمي عن ضلالتهم﴾ [الروم: ٥٣]. وهداية مرشدة إلى الغرض، بمعنى نصب الأدلة، وبيان الطرق الموصلة إلى الإيمان والتقوى، وإقامة الحجج على استقامتها، والحث على سلوكها وعدم الالتفات عنها. وهذا النوع من الهداية يملكه البشر، بل وهو وظيفة الأنبياء والمرسلين ومن تبعهم من الدعاة والمؤمنين، وهو المراد بمثل قوله تعالى: ﴿وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم﴾ [الشورى: ٥٢] والله تعالى أعلم.

(٢) فعلى البناء للمفعول يكون المعنى: من أراد الله تعالى إضلاله فلا تمكن هدايته، ولا تتيسر له سبلها. وعلى البناء للفاعل يكون المعنى: لا يهدي الله تعالى من أراد إضلاله.

(٣) أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (يقول الله تبارك وتعالى: يشتمني ابن آدم وما ينبغي له أن يشتمني. ويكذبني وما ينبغي له أن يكذبني: أما شتمه إياي فيقول إن لي ولداً، وأما تكذيبه إياي فقوله ليس يعيدني كما بدأني).
[بدء الخلق، باب: ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه﴾ رقم: ٣٠٢١. والتفسير/الإخلاص، باب: تفسير قوله ﴿قل هو الله أحد﴾ وباب: قوله: ﴿الله الصمد﴾ رقم: ٤٦٩٠، ٤٦٩١].

(٤) أو المراد: لنحسنن إليهم في الدنيا ونعطيهم من خيراتها، مع التوفيق والهداية لمرضاة الله عزّ وجلّ.

سبب نزول الآية [٣٨]: أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم، عن أبي العالية قال: كان لرجل من المسلمين على رجل من المشركين دين، فأتاه يتقاضاه، فكان فيما تكلم به: والذي أرجوه بعد الموت إنه كذا وكذا، فقال له المشرك: إنك لتزعم أنك تبعث من بعد الموت؟ فأقسم بالله جهد يمينه: لا يبعث الله من يموت، فنزلت الآية. [وانظر الواحدي].

سبب نزول الآية [٤١]: قال الواحدي: نزلت في أصحاب النبي ﷺ بمكة: بلال وصهيب وخباب وعامر وجندل بن صهيب، أخذهم المشركون بمكة، فعذبوهم وآذوهم، فبوأهم الله تعالى بعد ذلك المدينة. [فبوأهم: جعله لهم مباءة، أي منزلاً ومسكناً].

﴿ لو كانوا يعلمون ﴾ أي الكفار، أو المتخلفون عن الهجرة، ما للمهاجرين من الكرامة لوافقوهم.

٤٢ هم ﴿ الذين صبروا ﴾ على أذى المشركين والهجرة لإظهار الدين ﴿ وعلى ربهم يتوكلون ﴾ فيرزقهم من حيث لا يحتسبون.

٤٣ ﴿ وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم ﴾ لا ملائكة ﴿ فاسألوا أهل الذكر ﴾ العلماء بالتوراة والإنجيل ﴿ إن كنتم لا تعلمون ﴾ ذلك، فإنهم يعلمونه، وأنتم إلى تصديقهم أقرب من تصديق المؤمنين بمحمد ﷺ(١).

٤٤ ﴿ بالبينات ﴾ متعلق بمحذوف(٢) أي أرسلناهم بالحجج الواضحة ﴿ والزبر ﴾ الكتب ﴿ وأنزلنا إليك الذكر ﴾ القرآن ﴿ لتبين للناس ما نزل إليهم ﴾ فيه من الحلال والحرام ﴿ ولعلهم يتفكرون ﴾ في ذلك فيعتبروا.

٤٥ ﴿ أفأمن الذين مكروا ﴾ المكرات ﴿ السيئات ﴾ بالنبي ﷺ في دار الندوة، من تقييده أو قتله أو إخراجه، كما ذكر في الأنفال/ ٣٠/ ﴿ أن يخسف الله بهم الأرض ﴾ كقارون ﴿ أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون ﴾ أي من جهة لا تخطر ببالهم، وقد أهلكوا ببدر ولم يكونوا يقدرون ذلك.

٤٦ ﴿ أو يأخذهم في تقلبهم ﴾ في أسفارهم للتجارة ﴿ فما هم بمعجزين ﴾ بفائتين العذاب(٣).

٤٧ ﴿ أو يأخذهم على تخوف ﴾ تنقص شيئاً فشيئاً حتى يهلك الجميع، حال من الفاعل أو المفعول(٤) ﴿ فإن ربكم لرؤوف رحيم ﴾ حيث لم يعاجلهم بالعقوبة.

٤٨ ﴿ أو لم يروا إلى ما خلق الله من شيء ﴾ له ظل كشجرة وجبل ﴿ تتفيؤا ﴾(*) تتميل ﴿ ظلاله عن اليمين والشمائل ﴾ جمع شمال، أي عن جانبيهما، أول النهار وآخره ﴿ سجداً لله ﴾ حال، أي خاضعين له بما يراد منهم ﴿ وهم ﴾ أي الظلال ﴿ داخرون ﴾ صاغرون، نزلوا منزلة العقلاء(٥).

٤٩ ﴿ ولله يسجد ما في السماوات وما في الأرض من دابة ﴾ أي نسمة تدب عليها، أي تخضع له بما يراد منها، وغلب في الإتيان بما(٦) ما لا يعقل لكثرته ﴿ والملائكة ﴾ خصهم بالذكر تفضيلاً ﴿ وهم لا يستكبرون ﴾ يتكبرون عن عبادته(٧).

يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾
وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟
أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ
وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ
يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن
يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ
لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم
بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ
لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ
يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَـٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ
دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ
مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾

(*) وفي قراءة: ﴿يتفيؤا﴾ وهما متواتران.

(١) والآية رد على المشركين الذين ادعوا ـ كفراً وعناداً ـ أن الرسول ينبغي أن يكون مَلَكاً.

(٢) يقع جواباً لسؤال مقدر، فكأنه قيل: بم أرسلوا؟ فقيل: أرسلناهم. . وقيل: متعلق بقوله ﴿تعلمون﴾ والتقدير: إن كنتم لا علم لكم بالآيات والحجج والكتب فاسألوا العالمين بها.

(٣) أي بمفلتين منه، بل هو مدركهم لا محالة إن بقوا على كفرهم وعنادهم.

(٤) أي قوله ﴿على تخوف﴾ حال من الفاعل المستتر في قوله ﴿يأخذهم﴾ والمعنى: يأخذهم سبحانه مهلكاً لهم شيئاً فشيئاً أو حال من المفعول وهو الضمير المتصل: هم، والمعنى: يأخذهم سبحانه هالكين شيئاً فشيئاً. وقيل: التخوف على أصله من الخوف، والمعنى: يأخذهم سبحانه مخيفاً لهم أو حال كونهم خائفين، بإهلاك بعضهم قبل بعض، فيرون ما يقع فيهم فيصيبهم الخوف قبل أن يهلكوا، والله تعالى أعلم.

(٥) أي نزلت الظلال منزلة العقلاء، لاتصافها بالطاعة والانقياد، وهما من صفات العقلاء، فجمعت بالواو والنون.

(٦) في قوله ﴿يسجد ما في. .﴾.

(٧) عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون، أطت السماء، وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجداً لله، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً، وما تلذذتم بالنساء على الفرش، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله، قال أبو ذر: لوددت أني كنت شجرة تعضد. [أخرجه الترمذي في أبواب الزهد، باب: قول النبي ﷺ: لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً، رقم: ٢٣١٣]. أطت السماء: الأطيط هو الصوت الذي يخرج من احتكاك ما على البعير من أمتعة وأخشاب بعضهن ببعض، وصوت السقف أيضاً حين يمر عليه. وهو كناية عن كثرة الملائكة فيها حتى أثقلها ذلك فأطت. الصعدات: جمع صُعُد، وصعد جمع صعيد، وهو الطريق. وقيل جمع صُعْدة وهي فِناء باب الدار وممر الناس أمامه، والمعنى: لخرجتم من بيوتكم إلى فنائها أو إلى الطرقات، كما هو شأن المحزون الذي ضاق عليه الأمر.

سبب نزول الآية [٤٣]: قال الواحدي: نزلت في مشركي مكة، أنكروا نبوة محمد ﷺ وقالوا: والله أعظم من أن يكون رسوله بشراً، فهلا بعث إلينا ملكاً.

٥٠ ﴿ يخافون ﴾ أي الملائكة، حال من ضمير يستكبرون ﴿ ربهم من فوقهم ﴾ حال من هم، أي عالياً عليهم بالقهر ﴿ ويفعلون ما يؤمرون ﴾ به(١).

٥١ ﴿ وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين ﴾ تأكيد ﴿ إنما هو إله واحد ﴾ أتى به لإثبات الإلاهية والوحدانية ﴿ فإياي فارهبون ﴾ خافون دون غيري، وفيه التفات عن الغيبة(٢).

٥٢ ﴿ وله ما في السماوات والأرض ﴾ ملكاً وخلقاً وعبيداً ﴿ وله الدين ﴾ الطاعة ﴿ واصباً ﴾ دائماً، حال من الدين، والعامل فيه معنى الظرف ﴿ أفغير الله تتقون ﴾ وهو الإله الحق، ولا إله غيره؟ والاستفهام للإنكار والتوبيخ.

٥٣ ﴿ وما بكم من نعمة فمن الله ﴾ لا يأتي بها غيره، وما شرطية أو موصولة ﴿ ثم إذا مسكم ﴾ أصابكم ﴿ الضر ﴾ الفقر والمرض ﴿ فإليه تجأرون ﴾ ترفعون أصواتكم بالاستغاثة والدعاء، ولا تدعون غيره.

٥٤ ﴿ ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق منكم بربهم يشركون ﴾.

٥٥ ﴿ ليكفروا بما آتيناهم ﴾ من النعمة ﴿ فتمتعوا ﴾ باجتماعكم على عبادة الأصنام(٣)، أمر تهديد ﴿ فسوف تعلمون ﴾ عاقبة ذلك.

٥٦ ﴿ ويجعلون ﴾ أي المشركون ﴿ لما لا يعلمون ﴾ أنها لا تضر ولا تنفع، وهي الأصنام ﴿ نصيباً مما رزقناهم ﴾ من الحرث والأنعام، بقولهم: هذا لله وهذا لشركائنا(٤)، ﴿ تالله لتسألن ﴾ سؤل توبيخ، وفيه التفات عن الغيبة(٥) ﴿ عما كنتم تفترون ﴾ على الله من أنه أمركم بذلك.

٥٧ ﴿ ويجعلون لله البنات ﴾ بقولهم: الملائكة بنات الله ﴿ سبحانه ﴾ تنزيهاً له عما زعموا ﴿ ولهم ما يشتهون ﴾ ـه، أي البنون. والجملة في محل رفع، أو نصب بيجعلون، المعنى: يجعلون له البنات التي يكرهونها، وهو منزه عن الولد، ويجعلون لهم الأبناء الذين يختارونهم، فيختصون بالأسنى، كقوله: «فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون»/ الصافات: ١٤٩/.

٥٨ ﴿وإذا بشر(*) أحدهم بالأنثى﴾ تولد له ﴿ظل﴾ صار ﴿ وجهه مسوداً ﴾ متغيراً تغير مغتم ﴿ وهو كظيم ﴾ ممتلىء غماً، فكيف ينسب البنات إليه تعالى؟.

٥٩ ﴿ يتوارى ﴾ يختفي ﴿ من القوم ﴾ أي قومه ﴿ من سوء ما بشر به ﴾(٦) خوفاً من التعيير، متردداً فيما يفعل به ﴿ أيمسكه ﴾ يتركه بلا قتل ﴿ على

يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾ ۩
۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَـٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ
فَإِيَّـٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا ۚ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُم مِّن
نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾
ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ
يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَـٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ
تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا
رَزَقْنَـٰهُمْ ۗ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ
لِلَّهِ ٱلْبَنَـٰتِ سُبْحَـٰنَهُۥ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ
أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾
يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ

---

(١) قال العلماء: هنا سجدة من عزائم سجود القرآن، فيسن لمن قرأها أو سمعها أن يسجد عند جمهور العلماء، وعند أبي حنيفة رحمه الله تعالى السجود واجب.

عن ربيعة بن عبد الله بن الهدير التيمي، وقد حضر عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرأ يوم الجمعة على المنبر سورة النحل، حتى إذا جاء السجدة نزل فسجد، وسجد الناس، حتى إذا كانت الجمعة القابلة قرأ بها، حتى إذا جاء السجدة، قال: يا أيها الناس، إنما نمر بالسجود، فمن سجد فقد أصاب، ومن لم يسجد فلا إثم عليه. ولم يسجد عمر رضي الله عنه. وزاد نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما: إن الله لم يفرض السجود إلا أن نشاء. [البخاري: سجود القرآن، باب: من رأى أن الله عزّوجلّ لم يوجب السجود، رقم: ١٠٢٧].

(٢) وهي قوله تعالى: ﴿وقال الله..﴾ إلى الحضور وهو قوله تعالى: ﴿فإياي..﴾ لأنه أبلغ في الرهبة مما لو قيل: فإياه فارهبون.

(٣) أو: فعيشوا في ملذات الدنيا التي أنتم فيها، فسوف تنتهي وكأنها لم تكن، وتعقبها الحسرة والندامة.

(٤) انظر/ الأنعام: ١٣٦/.

(٥) المدلول عليها بقوله: ﴿ويجعلون..﴾ إلى الخطاب المدلول عليه بقوله: ﴿لتسألن..﴾ زيادة في توبيخهم، فإن توبيخ المخاطب أبلغ من توبيخ الغائب.

(٦) في زعمه أن الأنثى سوء.

(*) قال الخازن في تفسيره: البشارة عبارة عن الخبر السار الذي يظهر على بشرة الوجه أثر الفرح به، ولما كان ذلك الفرح

هون ﴾ هوان وذل ﴿ أم يدسه في التراب ﴾ بأن يئده(١) ﴿ ألا ساء ﴾ بئس ﴿ ما يحكمون ﴾ حكمهم هذا، حيث نسبوا لخالقهم البنات اللاتي هن عندهم بهذا المحل(٢).

٦٠ ﴿ للذين لا يؤمنون بالآخرة ﴾ أي الكفار ﴿ مثل السوء ﴾ أي الصفة السوآى، بمعنى القبيحة، وهي وأدهم البنات مع احتياجهم إليهن للنكاح ﴿ ولله المثل الأعلى ﴾ الصفة العليا، وهو أنه لا إله إلا هو ﴿ وهو العزيز ﴾ في ملكه ﴿ الحكيم ﴾ في خلقه.

٦١ ﴿ ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ﴾ بالمعاصي ﴿ ما ترك عليها ﴾ أي الأرض ﴿ من دابة ﴾ نسمة تدب عليها(*) ﴿ ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ﴾ عنه ﴿ ساعة ولا يستقدمون ﴾ عليه.

٦٢ ﴿ ويجعلون لله ما يكرهون ﴾ لأنفسهم من البنات، والشريك في الرياسة، وإهانة الرسل ﴿ وتصف ﴾ تقول ﴿ ألسنتهم ﴾ مع ذلك ﴿ الكذب ﴾ وهو ﴿ أن لهم الحسنى ﴾ عند الله، أي الجنة، لقوله: «ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى»/ فصلت: ٥٠/ قال تعالى: ﴿ لا جرم ﴾ حقاً ﴿ أن لهم النار وأنهم مفرطون ﴾ متروكون فيها، أو مقدمون إليها، وفي قراءة بكسر الراء(٣)، أي متجاوزون الحد.

هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾
لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ
وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم
مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ
فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾
وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ ۚ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ
لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾
تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ
أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَنزَلْنَا
عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى
وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً
فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ

٦٣ ﴿ تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك ﴾ رسلاً ﴿ فزين لهم الشيطان أعمالهم ﴾ السيئة فرأوها حسنة، فكذبوا الرسل ﴿ فهو وليهم ﴾ متولي أمورهم ﴿ اليوم ﴾ أي في الدنيا ﴿ ولهم عذاب أليم ﴾ مؤلم في الآخرة. وقيل: المراد باليوم يوم القيامة على حكاية الحالة الآتية، أي لا ولي لهم غيره، وهو عاجز عن نصر نفسه، فكيف ينصرهم؟.

٦٤ ﴿ وما أنزلنا عليك ﴾ يا محمد ﴿ الكتاب ﴾ القرآن ﴿ إلا لتبين لهم ﴾ للناس ﴿ الذي اختلفوا فيه ﴾ من أمر الدين ﴿ وهدى ﴾ عطف على لتبين ﴿ ورحمة لقوم يؤمنون ﴾ به.

٦٥ ﴿ والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض ﴾ بالنبات ﴿ بعد موتها ﴾ يبسها ﴿ إن في ذلك ﴾ المذكور ﴿ لآية ﴾ دالة على البعث ﴿ لقوم يسمعون ﴾ سماع تدبر.

والسرور يوجبان تغير بشرة الوجه كان كذلك الحزن والغم يظهر أثره على الوجه، وهو الكمودة التي تعلو الوجه عند حصول الحزن والغم، فثبت بهذا أن البشارة لفظ مشترك بين الخبر السار والخبر المحزن، فصح قوله: ﴿وإذا بشر احدهم بالأنثى﴾.

(١) من الوأد، وهو أن يدفنها حال الحياة.

قال الخازن في تفسيره: ﴿أم يدسه في التراب﴾ يعني أم يخفي ذلك الذي بشر به في التراب، والدس إخفاء الشيء في الشيء، قال أهل التفسير: إن مضر وخزاعة وتميماً كانوا يدفنون البنات أحياة، والسبب في ذلك: إما خوف الفقر وكثرة العيال ولزوم النفقة، أو الحمية، فيخافون عليهن من الأسر ونحوه، أو طمع غير الأكفاء فيهن، فكان الرجل من العرب في الجاهلية إذا ولدت له بنت وأراد أن يستحييها تركها، حتى إذا كبرت ألبسها جبة من صوف أو شعر، وجعلها ترعى الإبل والغنم في البادية، وإذا أراد أن يقتلها تركها حتى إذا صارت سداسية قال لأمها: زينيها حتى أذهب بها إلى أحمائها، ويكون قد حفر لها حفرة في الصحراء، فإذا بلغ بها تلك الحفرة قال لها: انظري إلى هذه البئر، فإذا نظرت إليها دفعها من خلفها في تلك البئر، ثم يهيل التراب على رأسها، وكان صعصعة عم الفرزدق إذا أحس بشيء من ذلك وجه بإبل إلى والد البنت حتى يحييها بذلك، فقال الفرزدق يفتخر بذلك:

وعمي الذي منع الوائدات   فأحيا الوئيد فلم يوأد.

(٢) أو: بئس ما يحكمون به في ولادة الأنثى وتصرفهم بها.

(٣) أي ﴿مفرِطون﴾ وفي قراءة ﴿مفرّطون﴾ بتشديد الراء، وكلها متواترة.

(*) النسمة: الإنسان، وقيل: المراد كل ذي روح. قال ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى في تفسيره: يقول تعالى ذكره: ﴿ولو يؤاخذ الله﴾ عصاة بني آدم بمعاصيهم ﴿ما ترك عليها﴾ يعني على الأرض ﴿من دابة﴾ تدب عليها ﴿ولكن يؤخرهم﴾ يقول: ولكن بحلمه يؤخرُ هؤلاء الظلمة، فلا يعاجلهم بالعقوبة ﴿إلى أجل مسمى﴾ يقول: إلى وقتهم=

٦٦ ﴿وإن لكم في الأنعام[١] لعبرة﴾ اعتباراً ﴿نسقيكم﴾ بيان للعبرة ﴿مما في بطونه﴾ أي الأنعام ﴿من﴾ للابتداء، متعلقة بنسقيكم ﴿بين فرث﴾ ثفل الكرش ﴿ودم لبناً خالصاً﴾ لا يشوبه شيء من الفرث والدم، من طعم أو ريح أو لون، وهو بينهما ﴿سائغاً للشاربين﴾ سهل المرور في حلقهم، لا يغص به.

٦٧ ﴿ومن ثمرات النخيل والأعناب﴾ ثمر ﴿تتخذون منه سكراً﴾ خمراً يسكر، سميت بالمصدر، وهذا قبل تحريمها[٢] ﴿ورزقاً حسناً﴾ كالتمر والزبيب والخل والدبس ﴿إن في ذلك﴾ المذكور ﴿لآية﴾ دالة على قدرته تعالى ﴿لقوم يعقلون﴾ يتدبرون.

٦٨ ﴿وأوحى ربك إلى النحل﴾ وحي إلهام ﴿أن﴾ مفسرة أو مصدرية ﴿اتخذي من الجبال بيوتاً﴾ تأوين إليها ﴿ومن الشجر﴾ بيوتاً ﴿ومما يعرشون﴾ أي الناس، يبنون لك من الأماكن، وإلا لم تأو إليها[٣].

٦٩ ﴿ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي﴾ ادخلي ﴿سبل ربك﴾ طرقه من طلب المرعى ﴿ذللا﴾ جمع ذلول، حال من السبل: أي مسخرة لك، فلا تعسر عليك وإن توعرت، ولا تضلي عن العود منها وإن بعدت. وقيل: من الضمير في «اسلكي» أي منقادة لما يراد منك ﴿يخرج من بطونها شراب﴾ هو العسل ﴿مختلف ألوانه فيه شفاء للناس﴾ من الأوجاع، قيل: لبعضها كما دل عليه تنكير شفاء، أو لكلها بضميمته إلى غيره. أقول: وبدونها بنيته[٤]، وقد أمر به ﷺ من استطلق عليه بطنه، رواه الشيخان[٥] ﴿إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون﴾ في صنعه تعالى.

٧٠ ﴿والله خلقكم﴾ ولم تكونوا شيئاً ﴿ثم يتوفاكم﴾ عند انقضاء آجالكم ﴿ومنكم من يرد إلى أرذل العمر﴾ أي أخسه، من الهرم والخرف ﴿لكي لا يعلم بعد علم شيئاً﴾[٦] قال عكرمة: من قرأ القرآن[٧] لم يصر بهذه الحالة ﴿إن الله عليم﴾ بتدبير خلقه ﴿قدير﴾ على ما يريده.

٧١ ﴿والله فضل بعضكم على بعض في الرزق﴾ فمنكم غني وفقير، ومالك ومملوك ﴿فما الذين فضلوا﴾ أي الموالي

يَسْمَعُونَ (٦٥) وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ (٦٦) وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٦٧) وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (٦٨) ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٦٩) وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (٧٠) وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ

---

[١] هي الإبل والبقر والغنم والمعز.

[٢] وقيل: السكر اسم للعصير ما دام حلواً. أو المراد بيان: أن الشيء الواحد يكون منه الحلال والحرام، وهذا من دلائل قدرته سبحانه ولطيف حكمته.

[٣] أي لولا إلهام الله تعالى لها لم تأو إلى تلك الأماكن، فيضيع عسلها ولا ينتفع به.

[٤] أي يحصل الشفاء به من كل الأمراض، ودون ضميمة الأدوية الأخرى، إذا نوى الشفاء بصدق ويقين.

[٥] روى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إن أخي استطلق بطنه؟ فقال: (اسقه عسلاً) فسقاه ثم جاءه فقال: إني سقيته عسلاً فلم يزده إلا استطلاقاً؟ فقال له ثلاث مرات، ثم جاء الرابعة فقال: (اسقه عسلاً) فقال: لقد سقيته فلم يزده إلا استطلاقاً؟ فقال رسول الله ﷺ: (صدق الله وكذب بطن أخيك) فسقاه، فبرأ. [البخاري: الطب، باب: دواء المبطون، رقم: ٥٣٨٦. مسلم: السلام، باب: التداوي بسقي العسل، رقم. ٢٢١٧].

[٦] روى البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقول: (اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والهرم والبخل، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات) وفي رواية أخرى عنه قال: كان رسول الله ﷺ يدعو بهذه الدعوات: (اللهم إني أعوذ بك من البخل والكسل وأرذل العمر، وعذاب القبر، وفتنة الدجال، وفتنة المحيا والممات).

[البخاري: الجهاد، باب: ما يتعوذ من الجبن، رقم: ٢٦٦٨، والتفسير/ الإسراء، باب: ﴿ومنكم من يرد إلى أرذل العمر﴾ رقم: ٤٤٣٠. مسلم: الذكر والدعاء والتوبة، باب: التعوذ من العجز والكسل وغيره، رقم: ٢٧٠٦].

[٧] أي وعمل به.

=الذي وقت لهم ﴿فإذا جاء أجلهم﴾ يقول: فإذا جاء الوقت الذي وقت لهلاكهم ﴿لا يستأخرون﴾ عن الهلاك ﴿ساعة﴾ فيمهلون ﴿ولا يستقدمون﴾ قبله حتى يستوفوا آجالهم.

وأخرج بسنده عن أبي الأحوص قال: كاد الجُعَل أن=

﴿ برادي رزقهم على ما ملكت أيمانهم ﴾ أي بجاعلي ما رزقناهم من الأموال وغيرها شركة بينهم وبين مماليكهم ﴿ فهم ﴾ أي المماليك والموالي ﴿ فيه سواء ﴾ شركاء، المعنى: ليس لهم شركاء من مماليكهم في أموالهم، فكيف يجعلون بعض مماليك الله شركاء له؟ ﴿ أفبنعمة الله يجحدون ﴾ يكفرون، حيث يجعلون له شركاء.

٧٢ ﴿والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً﴾ فخلق حواء من ضلع(*) آدم، وسائر النساء من نطف الرجال والنساء ﴿ وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ﴾ أولاد الأولاد ﴿ ورزقكم من الطيبات ﴾ من أنواع الثمار والحبوب والحيوان ﴿ أفبالباطل ﴾ الصنم ﴿ يؤمنون وبنعمت الله هم يكفرون ﴾ بإشراكهم.

٧٣ ﴿ ويعبدون من دون الله ﴾ أي غيره ﴿ ما لا يملك لهم رزقاً من السماوات ﴾ بالمطر ﴿ والأرض ﴾ بالنبات ﴿ شيئاً ﴾ بدل من رزقاً ﴿ ولا يستطيعون ﴾ يقدرون على شيء، وهم الأصنام.

٧٤ ﴿ فلا تضربوا لله الأمثال ﴾ لا تجعلوا لله أشباهاً تشركونهم به ﴿ إن الله يعلم ﴾ أن لا مثل له ﴿ وأنتم لا تعلمون ﴾ ذلك(١).

٧٥ ﴿ ضرب الله مثلاً ﴾ ويبدل منه ﴿ عبداً مملوكاً ﴾ صفة تميزه من الحر، فإنه عبد الله ﴿ لا يقدر على شيء ﴾ لعدم ملكه ﴿ ومن ﴾ نكرة موصوفة، أي حراً ﴿ رزقناه منا رزقاً حسناً فهو ينفق منه سراً وجهراً ﴾ أي يتصرف به كيف يشاء، والأول مثل الأصنام، والثاني مثله تعالى(٢) ﴿هل يستوون﴾ أي العبيد العجزة والحر المتصرف؟لا﴿ الحمد لله ﴾ وحده ﴿ بل أكثرهم ﴾ أي أهل مكة﴿ لا يعلمون ﴾ما يصيرون إليه من العذاب، فيشركون.

٧٦ ﴿ وضرب الله مثلاً ﴾ ويبدل منه ﴿ رجلين أحدهما أبكم ﴾ ولد أخرس(٣) ﴿ لا يقدر على شيء ﴾ لأنه لا يفهم ولا يُفهم ﴿ وهو كَلٌّ ﴾ ثقيل ﴿ على مولاه ﴾ ولي أمره ﴿ أينما يوجهه ﴾ يصرفه ﴿ لا يأت ﴾ منه ﴿ بخير ﴾ بنجح(٤)، وهذا مثل الكافر ﴿ هل يستوي هو ﴾ الأبكم المذكور ﴿ ومن يأمر بالعدل ﴾ أي ومن هو ناطق نافع للناس، حيث يأمر به ويحث عليه

عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ ۚ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ
يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ
لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ
أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾
وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ
ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ * ضَرَبَ
ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا
رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ
لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ
أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا
يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ

---

(١) أو: لا تعلمون خطر جعلكم مثيلاً له وفظاعته، وما يترتب عليه من إثم وعقاب.

(٢) قال الخازن في تفسيره: لما نهاهم الله سبحانه وتعالى عن ضرب الأمثال لقلة علمهم ضرب هو سبحانه وتعالى لنفسه مثلاً، فقال تعالى: مثلكم في إشراككم بالله الأوثان كمثل من سوى بين عبد مملوك عاجز عن التصرف وبين حر كريم مالك قادر، قد رزقه الله مالاً، فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف يشاء، فصريح العقل يشهد بأنه لا تجوز التسوية بينهما في التعظيم والإجلال، فلما لم تجز التسوية بينهما - مع استوائهما في الخلقة والصورة البشرية - فكيف يجوز للعاقل أن يسوي بين الله عزَّ وجلَّ الخالق القادر على الرزق والإفضال، وبين الأصنام التي لا تملك ولا تقدر على شيء البتة.

(٣) أو هو الذي لا يسمع ولا يبصر.

(٤) بشيء نافع.

(*) عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره. واستوصوا بالنساء خيراً، فإنَّهنَّ خلقن من ضلع، وإن أعوج شيء في الضِّلع أعلاه، فإذا ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا=

=يعذب بذنب بني آدم، وقرأ: ﴿ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة﴾.

وأخرج عن أبي سلمة قال: سمع أبو هريرة رضي الله عنه رجلاً وهو يقول: إن الظالم لا يضر إلا نفسه. قال: فالتفت إليه فقال: بلى والله، إن الحُبارى لتموت في وَكْرها هزالاً بظلم الظالم. وأخرج عن الزبير بن عدي قال: قال ابن مسعود: خطيئة ابن آدم قتلت الجعل. وعن أبي عبيدة قال: قال عبد الله: كاد الجعل أن يهلك في جُحره بخطيئة ابن آدم. [الجُعَل: دويبة صغيرة. الحبارى: طائر، يطلق على الذكر والأنثى منه. وَكْرها: الوكر عش الطائر].

سبب نزول الآيتين [٧٥ - ٧٦]: أخرج ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً﴾ قال: نزلت في

﴿ وهو على صراط ﴾ طريق ﴿ مستقيم ﴾ وهو الثاني المؤمن؟ لا. وقيل: هذا مثل لله، والأبكم للأصنام، والذي قبله مثل للكافر والمؤمن.

٧٧ ﴿ ولله غيب السماوات والأرض ﴾ أي علم ما غاب فيهما ﴿ وما أمر الساعة إلا كلمح البصر[١] أو هو أقرب ﴾ منه، لأنه بلفظ كن فيكون ﴿ إن الله على كل شيء قدير ﴾.

٧٨ ﴿ والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً ﴾ الجملة حال ﴿ وجعل لكم السمع ﴾ بمعنى الأسماع ﴿ والأبصار والأفئدة ﴾ القلوب(*) ﴿ لعلكم تشكرونـ ﴾ ـه على ذلك فتؤمنوا.

٧٩ ﴿ ألم يروا إلى الطير مسخرات ﴾ مذللات للطيران ﴿ في جو السماء ﴾ أي الهواء بين السماء والأرض ﴿ ما يمسكهن ﴾ عند قبض أجنحتهن أو بسطها أن يقعن ﴿ إلا الله ﴾ بقدرته ﴿ إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون ﴾ هي[٢]: خلقها بحيث يمكنها الطيران، وخلق الجو بحيث يمكن الطيران فيه، وإمساكها.

٨٠ ﴿ والله جعل لكم من بيوتكم سكناً ﴾ موضعاً تسكنون فيه ﴿ وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً ﴾ كالخيام والقباب[٣] ﴿ تستخفونها ﴾ للحمل[٤] ﴿ يوم ظعنكم ﴾ سفركم ﴿ ويوم إقامتكم ومن أصوافها ﴾ أي الغنم ﴿ وأوبارها ﴾ أي الإبل ﴿ وأشعارها ﴾ أي المعز ﴿ أثاثاً ﴾ متاعاً لبيوتكم، كبسط وأكسية ﴿ ومتاعاً ﴾ تتمتعون به[٥] ﴿ إلى حين ﴾ تبلى فيه.

٨١ ﴿ والله جعل لكم مما خلق ﴾ من البيوت والشجر والغمام[٦] ﴿ ظلالاً ﴾ جمع ظل، تقيكم حر الشمس ﴿ وجعل لكم من الجبال أكناناً ﴾ جمع كن، وهو ما يستكن فيه كالغار والسَّرَب[٧] ﴿ وجعل لكم سرابيل ﴾ قمصاً ﴿ تقيكم الحر ﴾ أي والبرد ﴿ وسرابيل تقيكم بأسكم ﴾ حربكم، أي الطعن والضرب فيها، كالدروع والجواشن[٨] ﴿ كذلك ﴾ كما خلق هذه الأشياء

وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ
أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ
وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ
مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ
لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ
سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا
يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا
وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم
مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ
لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ

=بالنساء خيراً).

وفي رواية عنه أن النبي ﷺ قال: (المرأة كالضلع، إن أقمتها كسرتها وإن استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج). [البخاري: النكاح، باب: المداراة مع النساء...، وباب: الوصاة بالنساء، رقم: ٤٨٨٩، ٤٨٩٠. مسلم: الرضاع، باب: الوصية بالنساء، رقم: ١٤٦٨]. [استوصوا بالنساء: تواصوا فيما بينكم بالإحسان إليهن. ضلع: أحد عظام الصدر، والمعنى: أن في خلقهن عوجاً من أصل الخلقة. أعوج شيء في الضلع أعلاه: أي وكذلك المرأة، عوجها الشديد في خلقها وفكرها. تقيمه: تجعله مستقيماً. كسرته: أي وكذلك المرأة، إن أردت منها الاستقامة في الخلق أدى الأمر إلى طلاقها. إن استمتعت بها: إن أحببت الاستمتاع بها وأن تنتفع من خيرها عليك أن تغض الطرف عما فيها من نقص].

[١] انطباق جفن العين أو فتحه.
[٢] أي الآيات.
[٣] التي تتخذ من الجلود، أو تنسج من الصوف والشعر الذي على الجلود. والقباب جمع قبة وهي دون الخيمة.
[٤] يخف عليكم حملها ولا تجدون ثقلاً في ذلك.
[٥] شيئاً تنتفعون به.
[٦] السحاب.
[٧] يتوقى فيه ويستتر من الحر أو البرد. والكن الغطاء والسترة، والسرب الوكر والبيت في الأرض لا منفذ له.
[٨] جمع جَوْشَن، وهي الدروع أيضاً.

(*) وهذه منافذ العلم والمعرفة.

قال الخازن في تفسيره: يعني أن الله سبحانه وتعالى إنما أعطاكم هذه الحواس لتنتقلوا بها من الجهل إلى العلم، فجعل لكم السمع لتسمعوا به نصوص الكتاب والسنة، وهي الدلائل السمعية، لتستدلوا بها على ما يصلحكم في أمر دينكم، وجعل لكم الأبصار لتبصروا بها عجائب مصنوعاته وغرائب مخلوقاته، فتستدلوا بها على وحدانيته، وجعل لكم الأفئدة لتعقلوا بها وتفهموا معاني الأشياء التي جعلها دلائل وحدانيته.

وقال ابن كثير في تفسيره: وإنما جعل تعالى هذه في=

رجل من قريش وعبده. وفي قوله: ﴿ أحدهما أبكم ﴾ قال: نزلت في عثمان ومولى له كان يكره الإسلام ويأباه، وينهاه عن الصدقة والمعروف، فنزلت فيهما.

﴿ يتم نعمته ﴾ في الدنيا ﴿ عليكم ﴾ بخلق ما تحتاجون إليه ﴿ لعلكم ﴾ يا أهل مكة ﴿ تسلمون ﴾ توحدونه.

٨٢ ﴿ فإن تولوا ﴾ أعرضوا عن الإسلام ﴿ فإنما عليك ﴾ يا محمد ﴿ البلاغ المبين ﴾ الإبلاغ البين، وهذا قبل الأمر بالقتال(*).

٨٣ ﴿ يعرفون نعمت الله ﴾ أي يقرون بأنها من عنده ﴿ ثم ينكرونها ﴾ بإشراكهم ﴿ وأكثرهم الكافرون ﴾.

٨٤ ﴿ و ﴾ اذكر ﴿ يوم نبعث من كل أمة شهيداً ﴾ وهو نبيها، يشهد لها وعليها، وهو يوم القيامة ﴿ ثم لا يؤذن للذين كفروا ﴾ في الاعتذار ﴿ ولا هم يستعتبون ﴾ لا يطلب منهم العتبى، أي الرجوع إلى ما يرضي الله تعالى.

٨٥ ﴿ وإذا رأى الذين ظلموا ﴾ كفروا ﴿ العذاب ﴾ النار ﴿ فلا يخفف عنهم ﴾ العذاب ﴿ ولا هم ينظرون ﴾ يمهلون عنه إذا رأوه.

٨٦ ﴿ وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم ﴾ من الشياطين وغيرها ﴿ قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا ﴾ نعبدهم ﴿ من دونك فألقوا إليهم القول ﴾ أي قالوا لهم ﴿ إنكم لكاذبون ﴾ في قولكم إنكم عبدتمونا، كما في آية أخرى: «ما كانوا إيانا يعبدون»/ القصص: ٦٣/ «سيكفرون بعبادتهم»/ مريم: ٨٢/.

يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا
عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا
وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا
ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا
رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ
يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ قَالُوا۟
رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ مِن دُونِكَ ۖ
فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلْقَوْا۟ إِلَى
ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا
فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى
كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا

٨٧ ﴿ وألقوا إلى الله يومئذ السلم ﴾ أي استسلموا لحكمه ﴿ وضل ﴾ غاب ﴿ عنهم ما كانوا يفترون ﴾[1] من أن آلهتهم تشفع لهم.

٨٨ ﴿ الذين كفروا وصدوا ﴾ الناس ﴿ عن سبيل الله ﴾ دينه ﴿ زدناهم عذاباً فوق العذاب ﴾ الذي استحقوه بكفرهم، قال ابن مسعود: عقارب، أنيابها كالنخل الطوال. ﴿ بما كانوا يفسدون ﴾ بصدهم الناس عن الإيمان.

٨٩ ﴿ و ﴾ اذكر ﴿ يوم نبعث في كل أمة شهيداً عليهم من أنفسهم ﴾ هو نبيهم ﴿ وجئنا بك ﴾ يا محمد ﴿ شهيداً

=الإنسان ليتمكن بها من عبادة ربه تعالى، فيستعين بكل جارحة وعضو وقوة على طاعة مولاه، كما جاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ أنه قال: (يقول تعالى: من عادى لي ولياً فقد بارزني بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أفضل من أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن دعاني لأجيبنه، ولئن استعاذ بي لأعيذنه، وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض نفس عبدي المؤمن: يكره الموت وأكره مساءته، ولا بد له منه) فمعنى الحديث: أن العبد إذا أخلص الطاعة صارت أفعاله كلها لله عزّ وجلّ، فلا يسمع إلا لله، ولا يبصر إلا لله، أي ما شرعه الله له، ولا يبطش ولا يمشي إلا في طاعة الله عزّ وجلّ، مستعيناً بالله في ذلك، ولهذا جاء في بعض رواية الحديث في غير الصحيح، بعد قوله: ورجله التي يمشي بها: (فبي يسمع، وبي يبطش، وبي يمشي). [انظر البخاري: الرقاق، باب: التواضع، رقم: ٦١٣٧].

[1] يختلقون ويقولون كذباً.

(*) أي أما بعده فإنهم يقاتلون بعد الإبلاغ إن أعرضوا.

عن بريدة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا أمَّر أميراً - على جيش أو سريةٍ - أوصاه في خاصته بتقوى الله، ومن معه من المسلمين خيراً. ثم قال: (اغزوا باسم الله، في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله. اغزوا ولا تغلُّوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليداً. وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصالٍ - أو: خلالٍ - فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم: ثم ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك فاقبل منهم وكفَّ عنهم: ثم ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك فاقبل منهم وكفَّ عنهم. ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم، إن فعلوا ذلك، فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين. فإن أبوا أن يتحولوا منها: فأخبرهم أنهم=

سبب نزول الآية [٨٣]: عن مجاهد: أن أعرابياً أتى النبيَّ ﷺ فسأله، فقرأ عليه: ﴿ والله جعل لكم من بيوتكم سكناً ﴾ قال الأعرابيّ: نعم، ثم قرأ عليه: ﴿وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم﴾ قال: نعم، ثم قرأ عليه، كلّ ذلك يقول نعم حتى بلغ: ﴿كذلك يتمّ نعمته عليكم لعلكم تسلمون﴾ [الآية: ٨٠ - ٨١] فولى الأعرابيّ، فأنزل الله: ﴿يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون﴾. [السيوطي].

على هؤلاء ﴾أي على قومك﴿ ونزلنا عليك الكتاب ﴾ القرآن ﴿ تبياناً ﴾ بياناً ﴿ لكل شيء ﴾ يحتاج إليه الناس من أمر الشريعة ﴿ وهدى ﴾ من الضلالة ﴿ ورحمة وبشرى ﴾ بالجنة ﴿ للمسلمين ﴾ الموحدين خاصة.

٩٠ ﴿ إن الله يأمر بالعدل ﴾ التوحيد، أو الإنصاف ﴿ والإحسان ﴾ أداء الفرائض، أو: (أن تعبد الله كأنك تراه) كما في الحديث⁽¹⁾ ﴿وإيتاء﴾ إعطاء ﴿ذي القربى﴾ القرابة، خصه بالذكر اهتماماً به ﴿وينهى عن الفحشاء﴾ الزنا ﴿ والمنكر ﴾ شرعاً، من الكفر والمعاصي ﴿ والبغي ﴾ الظلم للناس، خصه بالذكر اهتماماً، كما بدأ بالفحشاء كذلك ﴿يعظكم﴾ بالأمر والنهي ﴿لعلكم تذكرون﴾ تتعظون، فيه إدغام التاء في الأصل في الذال⁽²⁾، وفي المستدرك⁽³⁾ عن ابن مسعود: وهذه أجمع آية في القرآن للخير والشر.

٩١ ﴿ وأوفوا بعهد الله ﴾ من البيع والأيمان وغيرها ﴿ إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان⁽⁴⁾ بعد توكيدها ﴾ توثيقها ﴿ وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً ﴾ بالوفاء حيث حلفتم به، والجملة حال ﴿ إن الله يعلم ما تفعلون ﴾ تهديد لهم⁽⁵⁾.

٩٢ ﴿ ولا تكونوا كالتي نقضت ﴾ أفسدت ﴿ غزلها ﴾ ما غزلته ﴿ من بعد قوة ﴾ إحكام له وبرم ﴿ أنكاثاً ﴾ حال، جمع نِكْث وهو ما ينكث، أي يحل إحكامه، وهي امرأة حمقاء من مكة، كانت تغزل طول يومها ثم تنقضه ﴿ تتخذون ﴾ حال من ضمير تكونوا، أي لا تكونوا مثلها في اتخاذكم ﴿ أيمانكم دخلاً ﴾ هو ما يدخل في الشيء وليس منه، أي فساداً وخديعة ﴿ بينكم ﴾ بأن تنقضوها ﴿ أن ﴾ أي لأن ﴿ تكون أمة ﴾ جماعة ﴿ هي أربى ﴾ أكثر ﴿ من أمة ﴾ وكانوا يحالفون الحلفاء، فإذا وجدوا أكثر منهم وأعز نقضوا حلف أولئك وحالفوهم ﴿ إنما يبلوكم ﴾ يختبركم ﴿ الله به ﴾ أي بما أمر به من الوفاء بالعهد، لينظر المطيع منكم والعاصي، أو: بكون أمة أربى، لينظر أتفون أم لا؟ ﴿ وليبين لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون ﴾ في الدنيا من أمر العهد وغيره، بأن يعذب الناكث ويثيب الوافي.

٩٣ ﴿ ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ﴾ أهل دين واحد ﴿ ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء⁽⁶⁾ ولتسألن ﴾ يوم القيامة سؤال تبكيت⁽⁷⁾ ﴿ عما كنتم تعملون ﴾ لتجازوا عليه.

عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ
وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ
بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ
ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾
وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ
تَوۡكِيدِهَا وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ
مَا تَفۡعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا مِنۢ
بَعۡدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثٗا تَتَّخِذُونَ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ أَن
تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرۡبَىٰ مِنۡ أُمَّةٍۚ إِنَّمَا يَبۡلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦۚ
وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾
وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ
وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَلَتُسۡـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٩٣﴾

---

(1) وهو حديث جبريل عليه السلام المشهور الذي أخرجه البخاري في الإيمان، باب: سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة، رقم: ٥٠. ومسلم في الإيمان، باب: بيان الإيمان والإسلام والإحسان، رقم: ٩، ١٠. وقد جاء فيه على لسان جبريل عليه السلام: ما الإحسان؟ فقال ﷺ: (أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك). والمعنى: أن تكون حاضر الذهن فارغ النفس مستجمع القلب، كما لو كنت تشاهد الحضرة الإلهية.

(2) أي أصل ﴿تذَّكَّرون﴾ تتذكرون، فقلبت التاء الثانية ذالاً وأدغمت بالذال. وقراءة حفص: ﴿تذكرون﴾ بحذف إحدى التاءين، بدون تشديد.

(3) التفسير، باب: أجمع آية في القرآن للخير والشر [٣٥٦/٢].

(4) تتركوا الوفاء بما عاهدتم أو حلفتم عليه.

(5) فيما إذا لم يبروا بأيمانهم ويوفوا عهودهم، فإنه سبحانه مطلع عليهم ويعاقبهم على ذلك.

(6) يخذل من علم منه العزم على المعصية والاستعداد للشر، ويوفق من علم منه العزم على الطاعة والاستعداد للخير.

(7) أي سؤال تعيير وتوبيخ وتقبيح لما فعلتم، لا سؤال استفسار.

=يكونون كأعراب المسلمين، يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين، ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيءٌ، إلا أن يجاهدوا مع المسلمين. فإن هم أبوا فسلهم الجزية، فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكفَّ عنهم. فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم. وإذا حاصرت أهل حصنٍ، =فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه، فلا تجعل لهم ذمة الله ولا ذمة نبيه، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك. فإنكم، أن تخفروا ذممكم وذمم أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله. وإذا حاصرت أهل حصن، فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله، فلا تنزلهم على حكم=

سبب نزول الآية [٩٠ ـ ٩٢]: أخرج الواحدي بسنده عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: بينما رسول الله ﷺ بفناء بيته بمكة جالساً إذ مر به

٩٤ ﴿ ولا تتخذوا أيمانكم دخلاً بينكم ﴾ كرره تأكيداً ﴿ فتزل قدم ﴾ أي أقدامكم، عن محجة الإسلام[1] ﴿ بعد ثبوتها ﴾ استقامتها عليها ﴿ وتذوقوا السوء ﴾ أي العذاب ﴿ بما صددتم عن سبيل الله ﴾[2] أي بصدكم عن الوفاء بالعهد، أو بصدكم غيركم عنه، لأنه يستن بكم ﴿ ولكم عذاب عظيم ﴾ في الآخرة.

٩٥ ﴿ ولا تشتروا بعهد الله ثمناً قليلاً ﴾ من الدنيا، بأن تنقضوه لأجله ﴿ إنما عند الله ﴾ من الثواب ﴿ هو خير لكم ﴾ مما في الدنيا ﴿ إن كنتم تعلمون ﴾ ذلك فلا تنقضوا.

٩٦ ﴿ ما عندكم ﴾ من الدنيا ﴿ ينفد ﴾ يفنى ﴿ وما عند الله باقٍ ﴾ دائم ﴿ وليجزين ﴾ بالياء والنون ﴿ الذين صبروا ﴾ على الوفاء بالعهود ﴿ أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ أحسن بمعنى حسن[3].

٩٧ ﴿ من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ﴾ قيل: هي حياة الجنة، وقيل: في الدنيا، بالقناعة أو الرزق الحلال ﴿ ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾.

٩٨ ﴿ فإذا قرأت القرآن ﴾ أي أردت قراءته ﴿ فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ﴾ أي قل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

٩٩ ﴿ إنه ليس له سلطان ﴾ تسلط ﴿ على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ﴾.

١٠٠ ﴿ إنما سلطانه على الذين يتولونه ﴾[4] بطاعته ﴿ والذين هم به ﴾ أي الله[5] ﴿ مشركون ﴾.

١٠١ ﴿ وإذا بدلنا آية مكان آية ﴾ بنسخها وإنزال غيرها، لمصلحة العباد ﴿ والله أعلم بما ينزل قالوا ﴾ أي الكفار

وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلَكُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖۗ وَلَنَجۡزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٧﴾ فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَّلۡنَآ ءَايَةٗ مَّكَانَ ءَايَةٖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ

=الله، ولكن أنزلهم على حكمك، فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا). [مسلم: الجهاد، باب: جواز الإغارة على الكفار...، رقم: ١٧٣١]. [سرية: قطعة من الجيش. خاصته: في حق نفسه خصوصاً. تغلوا: من الغلول وهو الأخذ من الغنيمة دون إذن الإمام وقبل قسمتها. تمثلوا: تشوهوا القتلى. تخفروا: تنقضوا العهد].

(١) تنحرفون عن طريق الإسلام المستقيمة.

(٢) الطريق الموصلة لمرضاته، وهي الإسلام الذي ارتضاه ديناً للبشر.

(٣) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (من أحب دنياه أضر بآخرته، ومن أحب آخرته أضر بدنياه، فآثروا ما يبقى على ما يفنى) أي من آثر آخرته على دنياه ربما نقصه شيء من متاع الدنيا، وذلك لا خسارة فيه. وأما من تعلق بالدنيا فإنه ربما حمله ذلك على التقصير فيما يتعلق بالآخرة، فيكون في ذلك الخسران المبين.
والحديث أخرجه أحمد في مسنده [٤/٤١٢].

(٤) يجعلونه ولياً لهم.

(٥) ويصح عود الضمير على الشيطان، والمعنى: بسببه، وهو أولى.

عثمان بن مظعون، فكشر إليه النبي ﷺ: (ألا تجلس). فقال: بلى، فجلس إليه مستقبله، فبينما هو يحدثه إذ شخص بصره إلى السماء، فنظر ساعة، وأخذ يضع بصره حتى وضع على عتبة في الأرض، ثم تحرف عن جليسه عثمان إلى حيث وضع بصره، فأخذ ينغض رأسه كأنه يستنقه ما يقال له، ثم شخص بصره إلى السماء كما شخص أول مرة، فأتبعه بصره حتى توارى في السماء، وأقبل على عثمان كجلسته الأولى، فقال: يا محمد فيما كنت أجالسك وآتيك ما رأيتك تفعل فعلتك الغداة؟ قال: (ما رأيتني فعلتُ). قال: رأيتك شخص بصرك إلى السماء، ثم وضعته حتى وضعته على يمينك، فتحرفت إليه وتركتني، فأخذت تنغض رأسك كأنك تستنقه شيئاً يقال لك؟ قال: (أو فطنت إلى ذلك). قال عثمان: نعم. قال: (أتاني رسول الله جبريل عليه السلام وسلم آنفاً وأنت جالس). قال: فماذا قال لك؟ قال: (قال لي: ﴿ إنَّ الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القُرْبَى وينهى عن الفحْشَاءِ والمنْكَرِ والبَغْيِ يَعِظُكُم لعلَّكم تَذَكَّرونَ ﴾. فذاك حين استقر الإيمان في قلبي، وأحببت محمداً ﷺ. أخرج ابن جرير عن بريدة قال: نزلت هذه الآيـة في بيعة النبي ﷺ. عن أبي بكر بن أبي حفص قال: كانت سعيدة الأسدية مجنونة تجمع الشعر والليف، فنزلت هذه الآية: ﴿ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها﴾. [السيوطي]. [فَكَشَر: فضحك، من الكَشْر وهو ظهور الأسنان للضحك وغيره. شخص..: رفعه ينظر بجمود. يضع..: يخفضه. ينغض..: يحركه ويميله. يستنقه: يستفهم ويستفقه. الغداة: أول النهار. فطنت: انتبهت. آنفاً: الآن، وفي أي وقت يقرب مني].

سبب نزول الآية [١٠١]: قال الواحدي: نزلت حين قال المشركون: إن محمداً عليه السلام سخر بأصحابه، يأمرهم اليوم بأمر وينهاهم عنه

للنبي ﷺ ﴿ إنما أنت مفتر ﴾ كذاب، تقوله من عندك ﴿ بل أكثرهم لا يعلمون ﴾ حقيقة القرآن وفائدة النسخ.

١٠٢ ﴿ قل ﴾ لهم ﴿ نزَّله روح القدس ﴾ جبريل ﴿ من ربك بالحق ﴾ متعلق بنزل ﴿ ليثبت الذين آمنوا ﴾ بإيمانهم به ﴿ وهدى وبشرى للمسلمين ﴾.

١٠٣ ﴿ ولقد ﴾ للتحقيق ﴿ نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه ﴾ القرآن ﴿ بشر ﴾ وهو قين⁽¹⁾ نصراني، كان النبي ﷺ يدخل عليه، قال تعالى: ﴿ لسان ﴾ لغة ﴿ الذي يلحدون ﴾ يميلون ﴿ إليه ﴾ أنه يعلمه ﴿ أعجمي وهذا ﴾ القرآن ﴿ لسان عربي مبين ﴾ ذو بيان وفصاحة، فكيف يعلمه أعجمي؟.

١٠٤ ﴿ إن الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله⁽²⁾ ولهم عذاب أليم ﴾ مؤلم.

١٠٥ ﴿ إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله ﴾ القرآن، بقولهم: هذا من قول البشر ﴿ وأولئك هم الكاذبون ﴾ والتأكيد بالتكرار وإنَّ وغيرهما⁽³⁾ رد لقولهم: إنما أنت مفتر.

١٠٦ ﴿من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره﴾ على التلفظ بالكفر فتلفظ به ﴿وقلبه مطمئن بالإيمان﴾⁽⁴⁾ ومن مبتدأ أو شرطية، والخبر أو الجواب: لهم وعيد شديد، دل على هذا ﴿ ولكن من شرح بالكفر صدراً ﴾ له، أي فتحه ووسعه، بمعنى طابت به نفسه ﴿ فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ﴾.

١٠٧ ﴿ ذلك ﴾ الوعيد لهم ﴿ بأنهم استحبوا الحياة الدنيا ﴾ اختاروها ﴿ على الأخرة وأن الله لا يهدي القوم الكافرين ﴾.

إِنَّمَآ أَنتَ مُفۡتَرِۭۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلۡ نَزَّلَهُۥ
رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ
إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ
وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ
ٱللَّهِ لَا يَهۡدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفۡتَرِي
ٱلۡكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلۡكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا
مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ
بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ
عَظِيمٞ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى
ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾

---

(١) حداد رومي كان في مكة.

(٢) لا يوفقهم ولا ينصب لهم معالم الرشاد، ولذلك يضطربون ويتناقضون في أقوالهم وتصرفاتهم.

(٣) أي إن التأكيد بتكرار لفظ الكذب وبإنَّ وغير ذلك من المؤكدات، كضمير الفصل في ﴿وأولئك هم الكاذبون﴾ وكون الجملة اسمية، كل ذلك رد لقولهم...

(٤) أي فيرخص له أن يتلفظ بالكفر طالما أن قلبه موقن بما يعتقد، ولو رفض الإذعان لما طلب منه حتى أصابه مكروه كان مأجوراً، ولو قتل كان شهيداً. دل على ذلك: ما أخرجه الحاكم في مستدركه [كتاب التفسير/ تفسير سورة النحل، باب: حكاية أسارة عمار بن ياسر بيد الكفار: ٣٥٧/٢] أن رسول الله ﷺ قال لعمار رضي الله عنه: (إن عادوا فعد).

وروي أن مسيلمة الكذاب أخذ رجلين من أصحاب النبي ﷺ، فقال لأحدهما: ما تقول في محمد ؟ قال: رسول الله، قال: فما تقول فيَّ؟ قال: وأنت أيضاً، فخلّى سبيله. وقال للآخر: ما تقول في محمد؟ قال رسول الله، قال: فما تقول فيَّ؟ قال: أنا أصم لا أسمع. فأعاد عليه ثلاث مرات، فأعاد جوابه، فقتله، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: (أما الأول فقد أخذ برخصة الله تعالى، وأما الثاني فقد صدع بالحق، فهنيئاً له). [انظر تفسير القرطبي عند تفسيره لهذه الآية: المسألة الثامنة عشرة: ١٠/١٨٩].

غداً، أو يأتيهم بما هو أهون عليهم، وما هو إلا مفتر يقوله من تلقاء نفسه. فأنزل الله تعالى هذه الآية والتي بعدها.

سبب نزول الآية [١٠٣]: أخرج ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما: قال: كان رسول الله ﷺ يعلم قيناً بمكة اسمه بلعام، وكان أعجمي اللسان، فكان المشركون يرون رسول الله ﷺ حين يدخل عليه وحين يخرج من عنده، فقالوا: إنما يعلمه بلعام، فأنزل الله تعالى: ﴿ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر﴾ الآية. [قيناً: حداداً]. وأخرج الواحدي بسنده عن عبيد الله بن مسلم قال: كان لنا غلامان نصرانيان من أهل عين التمر، اسم أحدهما يسار والآخر خير، وكانا يقرآن كتباً لهم بلسانهم، وكان رسول الله ﷺ يمر بهما فيسمع قراءتهما ، وكان المشركون يقولون: يتعلم منهما، فأنزل الله تعالى فأكذبهم: ﴿لِسَانُ الذي يُلْحِدُون إليهِ أعْجَمِيٌّ وهذا لسانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾.. [عين التمر: قرية في العراق].

سبب نزول الآية [١٠٦]: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما أراد النبيّ ﷺ أن يهاجر إلى المدينة أخذ المشركون بلالاً وخباباً وعمار بن ياسر، فأما عمار فقال لهم كلمة أعجبتهم تقية، فلما رجع إلى رسول الله ﷺ حدّثه، فقال: (كيف كان قلبك حين قلت، أكان منشرحاً بالذي قلت). قال: لا، فأنزل الله: ﴿إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان﴾. عن مجاهد قال: نزلت هذه الآية في أناس من أهل مكة آمنوا، فكتب إليهم بعض الصحابة بالمدينة: أن هاجروا. فخرجوا يريدون المدينة، فأدركتهم قريش بالطريق ففتنوهم، فكفروا مكرهين، ففيهم نزلت هذه الآية. [السيوطي، الواحدي]

١٠٨ ﴿ أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم(١) وأولئك هم الغافلون ﴾ عما يراد بهم.

١٠٩ ﴿ لا جرم ﴾ حقاً ﴿ أنهم في الآخرة هم الخاسرون ﴾ لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم.

١١٠ ﴿ ثم إن ربك للذين هاجروا ﴾ إلى المدينة ﴿ من بعد ما فتنوا ﴾ عذبوا وتلفظوا بالكفر. وفي قراءة بالبناء للفاعل، أي كفروا أو فتنوا الناس عن الإيمان ﴿ ثم جاهدوا وصبروا ﴾ على الطاعة ﴿ إن ربك من بعدها ﴾ أي الفتنة ﴿ لغفور ﴾ لهم ﴿ رحيم ﴾ بهم، وخبر إن الأولى دل عليه خبر الثانية.

١١١ اذكر ﴿ يوم تأتي كل نفس تجادل ﴾ تحاج ﴿ عن نفسها ﴾ لا يهمها غيرها، وهو يوم القيامة ﴿ وتوفى كل نفس ﴾ جزاء ﴿ ما عملت وهم لا يظلمون ﴾ شيئاً.

١١٢ ﴿ وضرب الله مثلاً ﴾ ويبدل منه ﴿ قرية ﴾ هي مكة، والمراد أهلها ﴿ كانت آمنة ﴾ من الغارات، لا تهاج(٢) ﴿ مطمئنة ﴾ لا يحتاج إلى الانتقال عنها لضيق أو خوف ﴿ يأتيها رزقها رغداً ﴾ واسعاً ﴿ من كل مكان فكفرت بأنعم الله ﴾ بتكذيب النبي ﷺ ﴿فأذاقها الله لباس الجوع ﴾ فقحطوا سبع سنين(٣) ﴿والخوف﴾ بسرايا النبي ﷺ ﴿بما كانوا يصنعون ﴾(٤).

١١٣ ﴿ ولقد جاءهم رسول منهم ﴾ محمد ﷺ ﴿ فكذبوه فأخذهم العذاب ﴾ الجوع والخوف ﴿ وهم ظالمون ﴾.

١١٤ ﴿ فكلوا ﴾ أيها المؤمنون ﴿ مما رزقكم الله(٥) حلالاً طيباً(٦) واشكروا نعمت الله إن كنتم إياه تعبدون ﴾.

٣٦١ (سورة النحل)

أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ
وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ
هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَٰاجَرُواْ
مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ
بَعْدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١١٠﴾ * يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٖ
تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٖ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ
لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرْيَةٗ كَانَتْ ءَامِنَةٗ
مُّطْمَئِنَّةٗ يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتْ
بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا
كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٞ مِّنْهُمْ
فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾ فَكُلُواْ
مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَٱشْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ

---

(١) جعل عليها أغلفة معنوية بسبب عنادها وعزمها على الشر، فصارت لا تبصر الحق ولا تسمعه ولا تذعن له.

(٢) لا يأتيها ما يثيرها ويقلقها.

(٣) وذلك استجابة لدعوة رسول الله ﷺ إذ قال: (اللهم اشدد وطأتك على مُضَر، اللهم اجعلها سنين كسني يوسُفَ) أي في الشدة والقحط والبلاء. ومضر هي قريش، سميت بأحد أجدادها، والتعبير بلباس الجوع كناية عن أن ذلك اشتمل عليهم وأحاط بهم كما يحيط اللباس بلابسه ويشتمل عليه، ولقد اشتد عليهم الحال حتى أكلوا الجلود والميتة والجيف، وينظر أحدهم إلى السماء فيرى مثل الدخان من الجوع، فأتى أبو سفيان النبي ﷺ فقال: يا محمد، إنك تأمر بطاعة الله وصلة الرحم، وإن قومك قد هلكوا، فادع الله لهم. فدعا لهم الله ﷺ، ونزل في ذلك أوائل سورة الدخان، ومنها قوله تعالى: ﴿إنا كاشفوا العذاب قليلاً إنكم عائدون﴾ [انظر: البخاري: كتاب الاستسقاء، باب: دعاء النبي ﷺ: (اجعلها عليهم سنين كسني يوسف). ومسلم: أول كتاب صلاة الاستسقاء]. وهكذا ترى أهل الباطل يعترفون بالحق حين لا يجدون سبيلاً للتنصل، ولكنهم حين يعودون إلى باطلهم ويستولي عليهم عنادهم يعودون لطمس الحقيقة التي أقروا بها.

(٤) بسبب صنيعهم السيئ.

(٥) من الغنائم ونحوها.

(٦) كسباً مشروعاً سائغاً لكم.

سبب نزول الآية [١١٠]: قال الواحدي: قال قتادة: ذكر لنا أنه لما أنزل الله تعالى قبل هذه الآية: أن أهل مكة لا يقبل منهم إسلام حتى يهاجروا كتب بها أهل المدينة إلى أصحابهم من أهل مكة، فلما جاءهم ذلك خرجوا، فلحقهم المشركون فردوهم، فنزلت: ﴿الٓمٓ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ﴾[العنكبوت: ١ - ٢] فكتبوا بها إليهم فتبايعوا بينهم على أن يخرجوا، فإن لحقهم المشركون من أهل مكة قاتلوهم حتى ينجوا ويلحقوا بالله، فأدركهم المشركون فقاتلوهم، فمنهم من قتل ومنهم من نجا، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جَاهَدُوا وَصَبَرُوا ﴾.

وأخرج ابن سعد في الطبقات عن عمر بن الحكم قال: كان عمار بن ياسر يعذَّب حتى لا يدري ما يقول، وكان صهيب يعذَّب حتى لا يدري ما يقول، وكان أبو فكيهة يعذَّب حتى لا يدري ما يقول، وبلال وعامر بن فهيرة وقوم من المسلمين، وفيهم نزلت هذه الآية: ﴿ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا﴾ [السيوطي].

١١٥ ﴿ إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به(١) فمن اضطر غير باغ ولا عاد(٢) فإن الله غفور رحيم ﴾.

١١٦ ﴿ ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم ﴾ أي لوصف ألسنتكم ﴿ الكذب هذا حلال وهذا حرام ﴾ لما لم يحله الله ولم يحرمه ﴿ لتفتروا على الله الكذب ﴾ بنسبة ذلك إليه ﴿ إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون ﴾.

١١٧ لهم ﴿ متاع قليل ﴾ في الدنيا ﴿ ولهم ﴾ في الآخرة ﴿ عذاب أليم ﴾ مؤلم.

١١٨ ﴿ وعلى الذين هادوا ﴾ أي اليهود ﴿ حرمنا ما قصصنا عليك من قبل ﴾ في آية: «وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر»/ الأنعام: ١٤٦/. إلى آخرها ﴿ وما ظلمناهم ﴾ بتحريم ذلك ﴿ ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ بارتكاب المعاصي الموجبة لذلك.

١١٩ ﴿ ثم إن ربك للذين عملوا السوء ﴾ الشرك ﴿ بجهالة ثم تابوا ﴾ رجعوا ﴿ من بعد ذلك وأصلحوا ﴾ عملهم ﴿ إن ربك من بعدها ﴾ أي الجهالة أو التوبة ﴿ لغفور ﴾ لهم ﴿ رحيم ﴾ بهم.

١٢٠ ﴿ إن إبراهيم كان أمة ﴾ إماماً قدوة، جامعاً لخصال الخير ﴿ قانتاً ﴾ مطيعاً ﴿ لله حنيفاً ﴾ مائلاً إلى الدين القيم ﴿ ولم يك من المشركين ﴾.

١٢١ ﴿ شاكراً لأنعمه اجتباه ﴾ اصطفاه ﴿ وهداه إلى صراط مستقيم ﴾.

إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ
وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ اضْطُرَّ
غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَا
تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا
عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ
لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾
وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ ۖ
وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾ ثُمَّ
إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِ
ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾
إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ
الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ اجْتَبَٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ

---

(١) ما ذكر عليه عند ذبحه غير اسم الله تعالى، وأهل من الإهلال وهو رفع الصوت. وما ذبح على هذه الصورة في حكم الميتة، ولو كانت طريقة الذبح على الوجه المطلوب شرعاً.

وهذا حكم ما ذكر عليه غير اسم الله عز وجل، أما ما ذبح ولم يذكر عليه شيء، أي ولا اسم الله تعالى: فإن كان الذابح ترك ذلك نسياناً فلا ضرر، وتؤكل ذبيحته، للحديث ـ الآتي في الحاشية التالية ـ في وضع حكم النسيان عن الأمة.

وإن تركت التسمية عمداً: فلا تؤكل الذبيحة عند مالك وأبي حنيفة رحمهما الله تعالى، وهو الأصح عند أحمد رحمه الله تعالى. وحجتهم في ذلك قول الله تعالى: ﴿ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق﴾ [الأنعام: ١٢١]. وقال الشافعي رحمه الله تعالى: تؤكل، وهو رواية عن أحمد رحمه الله تعالى. واحتج لذلك بقوله ﷺ: (المسلم يذبح على اسم الله، سمى أو لم يسم).

[انظر: الدارقطني: باب: الصيد والذبائح. . . الأحاديث: ٩٤ـ٩٦]

(٢) غير قاصد للمخالفة والإثم، ولا متجاوز للقدر الذي يسد رمقه ويزيل اضطراره. وهذه رخصة من الله تعالى الخبير بعباده وضعفهم، الحكيم بما يشرعه لهم من تكاليف، الرحيم بهم. فإذا امتنع المكلف من الترخص، فلم يتعاط هذه المحرمات عند الاضطرار، وناله بسبب ذلك أذى كان مؤاخذاً، لأنه يلقي بنفسه إلى التهلكة، وقد نهى الله عز وجل عن ذلك إذ قال: ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين﴾ [البقرة: ١٩٥]. وتأكيداً لهذه الرخصة تكرر هذا المعنى في كتاب الله تعالى، ففي سورة البقرة [١٧٣]: ﴿فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم﴾ وفي سورة الأنعام [١٤٥]: ﴿فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن ربك غفور رحيم﴾ وفي سورة المائدة

[٣] بعد ذكر المحرمات يقول سبحانه: ﴿فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم﴾ والمخمصة المجاعة والشدة، ومتجانف مائل وراغب.

وفي حكم الاضطرار الإكراه على تناول هذه المحظورات، فإنها تباح بالإكراه عليها، ويأثم إذا ناله أذى بالامتناع عن تعاطيها، لقوله ﷺ: (إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه) [أخرجه ابن ماجه في الطلاق، باب: طلاق المكره والناسي] والمعنى: وضع عنهم حكم ذلك وما يترتب عليه، لا نفس هذه الأمور، لأنها واقعة بالفعل.

١٢٢ ﴿ وآتيناه ﴾ فيه التفات عن الغيبة⁽١⁾ ﴿ في الدنيا حسنة ﴾ هي الثناء الحسن في أهل الأديان ﴿ وإنه في الآخرة لمن الصالحين ﴾ الذين لهم الدرجات العلى.

١٢٣ ﴿ ثم أوحينا إليك ﴾ يا محمد ﴿ أن اتبع ملة ﴾ دين ﴿ إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين ﴾ كرر رداً على زعم اليهود والنصارى أنهم على دينه.

١٢٤ ﴿ إنما جعل السبت ﴾ فرض تعظيمه ﴿ على الذين اختلفوا فيه ﴾ على نبيهم، وهم اليهود، أمروا أن يتفرغوا للعبادة يوم الجمعة، فقالوا: لا نريده، اختاروا السبت⁽٢⁾، فشدد عليهم فيه ﴿ وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ﴾ من أمره، بأن يثيب الطائع ويعذب العاصي بانتهاك حرمته.

١٢٥ ﴿ ادع ﴾ الناس يا محمد ﴿ إلى سبيل ربك ﴾ دينه ﴿ بالحكمة ﴾ بالقرآن⁽٣⁾ ﴿ والموعظة الحسنة ﴾ مواعظه، أو القول الرقيق ﴿ وجادلهم بالتي ﴾ أي المجادلة التي ﴿ هي أحسن ﴾ كالدعاء إلى الله بآياته، والدعاء إلى حججه ﴿ إن ربك هو أعلم ﴾ أي عالم ﴿ بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ﴾ فيجازيهم، وهذا قبل الأمر بالقتال⁽٤⁾.

١٢٦ ونزل ـ لما قتل حمزة ومثل به، فقال ﷺ، وقد رآه: (لأمثلن بسبعين منهم مكانك) ـ ﴿ وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم ﴾ عن الانتقام ﴿ لهو ﴾ أي الصبر ﴿ خير للصابرين ﴾ فكف ﷺ وكفر عن يمينه. رواه البزار.

١٢٧ ﴿ واصبر وما صبرك إلا بالله ﴾ بتوفيقه ﴿ ولا تحزن عليهم ﴾ أي الكفار إن لم يؤمنوا، لحرصك على إيمانهم ﴿ ولا تك في ضيق مما يمكرون ﴾ أي لا تهتم بمكرهم، فأنا ناصرك عليهم.

١٢٨ ﴿ إن الله مع الذين اتقوا ﴾ الكفر والمعاصي ﴿ والذين هم محسنون ﴾ بالطاعة والصبر، بالعون والنصر.

صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ
فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ
ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾
إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَإِنَّ رَبَّكَ
لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾
ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ
وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن
ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ
فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ
لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ
عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ
ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾

---

(١) إلى التكلم، فقد قال: اجتباه، هداه، ثم قال: وآتيناه.

(٢) روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: (نحن الآخرون السابقون يوم القيامة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا فاختلفوا فيه، وأوتيناه من بعدهم، فهذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلفوا فيه، فهدانا الله له، فهم لنا فيه تبع، فغداً لليهود وبعد غد للنصارى). وفي رواية لمسلم قال: (أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا، فكان لليهود يوم السبت وللنصارى يوم الأحد، فجاء الله بنا فهدانا ليوم الجمعة، فجعل الجمعة والسبت والأحد، وكذلك هم لنا تبع يوم القيامة، نحن الآخرون في الدنيا، الأولون يوم القيامة، المقضي لهم قبل الخلائق). أي فندخل الجنة قبل غيرنا ونسبقهم في الفضل وإن كنا بعدهم وجوداً في زمان الدنيا.
[البخاري: الجمعة، باب: فرض الجمعة، رقم: ٨٣٦. مسلم: أول كتاب الجمعة، رقم: ٨٥٥، ٨٥٦].

(٣) سمي بذلك لأن فيه العلم النافع، أو المراد: ادعهم إلى الله تعالى بالقول المحكم الصحيح، الموضح للحق والمزيل للشبهة.

(٤) يريد: أن ما يفهم من الآية ـ من الاقتصار على دعوتهم وعدم التعرض لقتالهم ـ كان قبل الأمر بالقتال، وأما بعده فإنهم يقاتلون إن أعرضوا ولم يذعنوا.

سبب نزول الآية [١٢٦]: الحديث الذي ذكره المفسر في الأصل، والذي أخرجه البزار وأخرج الترمذي [التفسير، باب: ومن سورة النحل] [٣٥٩/٢] عن أبيّ بن كعب رضي الله عنه قال: لما كان يوم أحد أصيب من الأنصار أربعة وستون رجلاً، ومن المهاجرين ستة منهم حمزة، فمثلوا بهم، فقالت الأنصار: لئن أصبنا منهم يوماً مثل هذا لنُربينَّ عليهم، قال: فلما كان يوم فتح مكة أنزل الله تعالى: ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا﴾ الآية.

قال السيوطي في كتابه [اللباب النقول] بعد ذكره للحديثين: وظاهر هذا تأخر نزولها إلى الفتح، وفي الحديث الذي قبله نزولها بأحد، وجمع ابن الحصار: بأنها نزلت أوّلاً بمكة، ثم ثانياً بأحد، ثم ثالثاً يوم الفتح. تذكيراً من الله لعباده. [فمثلوا: قطعوا أعضاءهم. لنربين: لنضاعفن في التمثيل على ما فعلوه].

(سورة الإسراء)

مكية إلا ﴿وإن كادوا ليفتنونك﴾ الآيات الثمان ٧٣ إلى غاية ٨٠ فمدنية، وآياتها ١١٠ أو ١١١

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿سبحان﴾ أي تنزيه ﴿الذي أسرى بعبده﴾ محمد ﷺ ﴿ليلاً﴾ نصب على الظرف، والإسراء سير الليل، وفائدة ذكره(١) الإشارة بتنكيره إلى تقليل مدته ﴿من المسجد الحرام﴾ أي مكة ﴿ إلى المسجد الأقصى﴾ بيت المقدس، لبعده منه(٢) ﴿ الذي باركنا حوله ﴾ بالثمار والأنهار ﴿ لنريه من آياتنا ﴾ عجائب قدرتنا ﴿ إنه هو السميع البصير ﴾ أي العالم بأقوال النبي ﷺ وأفعاله، فأنعم عليه بالإسراء، المشتمل على اجتماعه بالأنبياء، وعروجه إلى السماء، ورؤية عجائب الملكوت، ومناجاته له تعالى، فإنه ﷺ قال: (أتيت بالبراق، وهو دابة أبيض، فوق الحمار ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه(٣)، فركبته، فسار بي حتى أتيت بيت المقدس، فربطت الدابة بالحلقة التي تربط فيها الأنبياء، ثم دخلت، فصليت فيه ركعتين، ثم خرجت، فجاءني جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن، فاخترت اللبن، قال جبريل: أصبت الفطرة(٤). قال: ثم عرج(٥) بي إلى السماء الدنيا، فاستفتح جبريل، قيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: قد أرسل إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بآدم، فرحب بي ودعا لي بخير. ثم عرج بي إلى السماء الثانية، فاستفتح جبريل، فقيل: من أنت؟ فقال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا بابني الخالة يحيى وعيسى، فرحبا بي ودعوا لي بخير. ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة، فاستفتح جبريل، فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، فقيل: ومن معك؟ قال: محمد، فقيل: وقد أرسل إليه؟ قال: قد أرسل إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بيوسف، وإذا هو قد أعطي شطر الحسن، فرحب بي ودعا لي بخير. ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة، فاستفتح جبريل، فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، فقيل: ومن معك؟ قال: محمد، فقيل: وقد أرسل إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بإدريس، فرحب بي ودعا لي بخير. ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة، فاستفتح جبريل، فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، فقيل: ومن معك؟ قال: محمد، فقيل: وقد أرسل إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بهارون، فرحب بي ودعا لي بخير. ثم عرج بنا إلى السماء السادسة، فاستفتح جبريل، فقيل: من أنت؟ فقال: جبريل، فقيل: ومن معك؟ قال: محمد، فقيل(٦): =

(١٧) سُورَةُ الإِسْرَاءِ مَكِّيَّة
وَآيَاتُهَا إِحْدَى عَشْرَةَ وَمِائَة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سُبْحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِي بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ① وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلًا ② ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ③ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِي ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ④ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ

٢ قال تعالى: ﴿ وآتينا موسى الكتاب ﴾ التوراة ﴿ وجعلناه هدىً لبني إسرائيل ﴾ لـ ﴿ ـأ ﴾ أن ﴿ لا يتخذوا من دوني وكيلاً ﴾ يفوضون إليه أمرهم، وفي قراءة «تتخذوا» بالفوقانية التفاتاً، فأن زائدة، والقول مضمر(٧).

٣ ﴿ ذرية من حملنا مع نوح ﴾ في السفينة ﴿ إنه كان عبداً شكوراً ﴾ كثير الشكر لنا، حامداً في جميع أحواله.

٤ ﴿ وقضينا ﴾ أوحينا ﴿ إلى بني إسرائيل في الكتاب ﴾ التوراة ﴿ لتفسدن في الأرض ﴾ أرض الشام بالمعاصي ﴿ مرتين ولتعلن علواً كبيراً ﴾ تبغون بغياً عظيماً. ٥ ﴿ فإذا جاء وعد أولاهما ﴾ أولى مرتي الفساد ﴿ بعثنا عليكم

---

(١) أي ذكر ﴿ليلاً﴾ مع أن ﴿اسرى﴾ يغني عنه.

(٢) أي سمي الأقصى لبعده من المسجد الحرام.

(٣) نهاية وقوع بصره ورؤيته، وهو عنوان سرعة سيره.

(٤) أصل الخلقة التي جبل عليها البشر من اختيار طريق الاستقامة والتوحيد، وهو الإسلام، واللبن علامة على ذلك، لأنه سهل طيب سليم العافية.

(٥) صعد.

(٦) تتمة الحديث في الصفحات التالية، وهو من أصل التفسير.

(٧) التقدير: وقلت لهم لا تتخذوا..

عباداً لنا أولي بأس شديد ﴾ أصحاب قوة في الحرب والبطش ﴿ فجاسوا ﴾ ترددوا لطلبكم ﴿ خلال الديار ﴾ وسط ديارکم ليقتلوكم ويَسْبُوكم(١) ﴿ وكان وعداً مفعولاً ﴾ وقد أفسدوا الأولى بقتل زكريا، فبعث عليهم جالوت وجنوده، فقتلوهم وسَبَوْا أولادهم، وخربوا بيت المقدس.

٦ ﴿ ثم رددنا لكم الكرة ﴾ الدولة والغلبة ﴿ عليهم ﴾ بعد مائة سنة، بقتل جالوت ﴿ وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً ﴾ عشيرة.

٧ وقلنا ﴿ إن أحسنتم ﴾ بالطاعة ﴿ أحسنتم لأنفسكم ﴾ لأن ثوابه لها ﴿ وإن أسأتم ﴾ بالفساد ﴿ فلها ﴾ إساءتكم ﴿ فإذا جاء وعد ﴾ المرة ﴿ الآخرة ﴾ بعثناهم ﴿ ليسوؤوا وجوهكم ﴾ يحزنوكم بالقتل والسبي حزناً يظهر في وجوهكم ﴿ وليدخلوا المسجد ﴾ بيت المقدس، فيخربوه ﴿ كما دخلوه ﴾ وخربوه ﴿ أول مرة وليتبروا ﴾ يهلكوا ﴿ ما علوا ﴾ غلبوا عليه ﴿ تتبيراً ﴾ هلاكاً، وقد أفسدوا ثانياً بقتل يحيى، فبعث عليهم بختنصر، فقتل منهم ألوفاً، وسبى ذريتهم، وخرب بيت المقدس.

٨ وقلنا في الكتاب ﴿ عسى ربكم أن يرحمكم ﴾ بعد المرة الثانية إن تبتم ﴿ وإن عدتم ﴾ إلى الفساد ﴿ عدنا ﴾ إلى العقوبة، وقد عادوا بتكذيب محمد ﷺ، فسلط عليهم: بقتل قريظة، ونفي بني النضير، وضرب الجزية عليهم ﴿ وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً ﴾ محبساً وسجناً.

٩ ﴿ إن هذا القرآن يهدي للتي ﴾ أي الطريقة التي ﴿ هي أقوم ﴾ أعدل وأصوب ﴿ ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً ﴾.

١٠ ﴿ و ﴾ يخبر ﴿ أن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا ﴾ أعددنا ﴿ لهم عذاباً أليماً ﴾ مؤلماً، هو النار.

١١ ﴿ ويدع الإنسان بالشر ﴾ على نفسه وأهله إذا ضجر ﴿ دعاءه ﴾ أي كدعائه له(٢) ﴿ بالخير وكان الإنسان ﴾ الجنس ﴿ عجولاً ﴾ بالدعاء على نفسه، وعدم النظر في عاقبته(٣).

١٢ ﴿ وجعلنا الليل والنهار آيتين ﴾(٤) دالتين على قدرتنا ﴿ فمحونا آية

٣٦٥ (سورة الإسراء)

شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾
ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ
وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ
وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟
وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ
وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ
وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾
إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ
ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ
ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾
وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ
عَجُولًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ

= وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بموسى، فرحب بي ودعا لي بخير. ثم عرج بنا إلى السماء السابعة، فاستفتح جبريل، فقيل: من أنت؟ فقال: جبريل، قيل: ومن معك؟ فقال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قيل: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بإبراهيم، فإذا هو مستند إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، ثم لا يعودون إليه. ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى، فإذا أوراقها كآذان الفيلة، وإذا ثمرها كالقلال(أ)، فلما غشيها من أمر الله ما غشيها(ب) تغيرت، فما أحد من خلق الله تعالى يستطيع أن يصفها من حسنها. قال: فأوحى الله إليّ ما أوحى، وفرض عليّ في كل يوم وليلة خمسين صلاة، فنزلت حتى انتهيت إلى موسى، فقال: ما فرض ربك على أمتك؟ قلت: خمسين صلاة في كل يوم وليلة، قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فإن أمتك لا تطيق ذلك، وإني قد بلوت بني =

---

(١) يأخذوكم أسرى، ويجعلوكم عبيداً لهم أنتم ونساؤكم وأولادكم.

(٢) أي لمن ذكر من نفسه وأهله، والمعنى: يلح بالدعاء لهؤلاء بالشر كما يلح بالدعاء لهم بالخير، ولكن من فضل الله تعالى على الناس أنه يستجيب لهم في الخير ولا يستجيب لهم في الشر.

(٣) وكذلك هو لا يتأمل في عاقبة ما يريد فعله، وإنما يقدم على فعل كل ما خطر بباله دون تروي.

(٤) علامتين.

(أ) جمع قلة وهي الجرة الكبيرة.

(ب) قام بها وغطاها من الحسن والبهاء.

الليل ﴾ طمسنا نورها بالظلام لتسكنوا فيه، والإضافة للبيان(١) ﴿ وجعلنا آية النهار مبصرة ﴾ أي مبصراً فيها بالضوء ﴿ لتبتغوا ﴾ فيه ﴿ فضلاً من ربكم ﴾ بالكسب ﴿ ولتعلموا ﴾ بهما ﴿ عدد السنين والحساب ﴾ للأوقات ﴿ وكل شيء ﴾ يحتاج إليه ﴿ فصلناه تفصيلاً ﴾ بيناه تبييناً.

١٣ ﴿ وكل إنسان ألزمناه طائره ﴾ عمله، يحمله ﴿ في عنقه ﴾ خص بالذكر لأن اللزوم فيه أشد، وقال مجاهد: ما من مولود يولد إلا وفي عنقه ورقة، مكتوب فيها شقي أو سعيد. ﴿ ونخرج له يوم القيامة كتاباً ﴾ مكتوباً فيه عمله ﴿ يلقاه منشوراً ﴾ صفتان لكتاباً.

١٤ ويقال له ﴿ اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً ﴾ محاسباً.

١٥ ﴿ من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ﴾ لأن ثواب اهتدائه له ﴿ ومن ضل فإنما يضل عليها ﴾ لأن إثمه عليها ﴿ ولا تزر ﴾ نفس ﴿ وازرة ﴾ آثمة، أي لا تحمل ﴿ وزر ﴾(٢) نفس ﴿ أخرى وما كنا معذبين ﴾ أحداً ﴿ حتى نبعث رسولاً ﴾ يبين له ما يجب عليه(٣).

١٦ ﴿ وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ﴾ منعميها، بمعنى رؤسائها، بالطاعة على لسان رسلنا ﴿ ففسقوا فيها ﴾ فخرجوا عن أمرنا ﴿ فحق عليها(٤) القول ﴾ بالعذاب ﴿ فدمرناها تدميراً ﴾ أهلكناها بإهلاك أهلها وتخريبها(٥).

١٧ ﴿ وكم ﴾ أي كثيراً ﴿ أهلكنا من القرون ﴾ الأمم ﴿ من بعد نوح وكفى بربك بذنوب عباده خبيراً بصيراً ﴾ عالماً ببواطنها وظواهرها، وبه(٦) يتعلق بذنوب.

١٨ ﴿ من كان يريد ﴾ بعمله ﴿ العاجلة ﴾ أي الدنيا ﴿ عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ﴾ التعجيل له، بدل من له بإعادة الجار ﴿ ثم جعلنا له ﴾ في الآخرة ﴿ جهنم

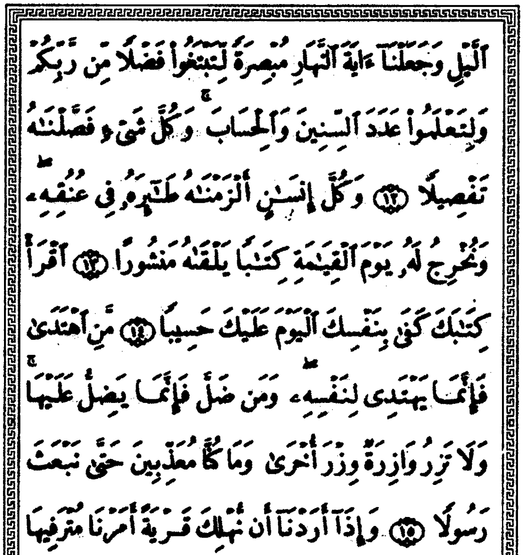

ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ
وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ
تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ
وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ
كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ
فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ
وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ
رَسُولًا ﴿١٥﴾ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا
فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾
وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ
عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿١٧﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا
لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا

---

(١) المعنى: آية هي الليل.

(٢) الوزر الحمل الثقيل، سمي به الذنب والإثم لثقل عاقبته على النفس.

(٣) روى البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سئل رسول الله ﷺ عن أولاد المشركين؟ فقال: (الله إذ خلقهم أعلم بما كانوا عاملين) أي فلا يؤاخذون بشرك آبائهم. [البخاري: الجنائز، باب: ما قيل في أولاد المشركين، رقم: ١٣١٧. مسلم: القدر، باب: معنى كل مولود يولد على الفطرة، رقم: ٢٦٦٠].

(٤) وجب واستحق.

(٥) روى البخاري ومسلم عن أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها: أن النبي ﷺ دخل عليها فزعاً يقول: (لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه) وحلق بأصبعيه الإبهام والتي تليها، قالت زينب: قلت: يا رسول الله، أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: (نعم، إذا كثر الخبث) أي الشر. [البخاري: الأنبياء، باب: قصة يأجوج ومأجوج، رقم: ٣١٦٨. مسلم: الفتن وأشراط الساعة، باب: اقتراب الفتن وفتح ردم يأجوج ومأجوج، رقم: ٢٨٨٠].

(٦) أي بقوله خبيراً بصيراً.

= إسرائيل وخبرتهم. قال: فرجعت إلى ربي فقلت: أي رب، خفف عن أمتي؟ فحط عني خمساً، فرجعت إلى موسى، قال: ما فعلت؟ فقلت: قد حط عني خمساً، قال: إن أمتك لا تطيق ذلك، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك، قال: فلم أزل أرجع بين ربي وبين موسى، ويحط عني خمساً خمساً، حتى قال: يا محمد، هي خمس صلوات في كل يوم وليلة، بكل صلاة عشر، فتلك خمسون صلاة، ومن همَّ بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشراً، ومن هم بسيئة ولم يعملها لم تكتب، فإن عملها كتبت له سيئة واحدة. فنزلت حتى انتهيت إلى

يصلاها ﴾ يدخلها ﴿ مذموماً ﴾ ملوماً ﴿ مدحوراً ﴾ مطروداً من الرحمة.

١٩ ﴿ ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها ﴾ عمل عملها اللائق بها ﴿ وهو مؤمن ﴾ حال ﴿ فأولئك كان سعيهم مشكوراً ﴾ عند الله، أي مقبولاً مثوباً عليه.

٢٠ ﴿ كلًّا ﴾ من الفريقين ﴿ نمد ﴾ نعطي ﴿ هؤلاء وهؤلاء ﴾ بدل⁽¹⁾ ﴿ من ﴾ متعلق بنمد ﴿ عطاء ربك ﴾ في الدنيا ﴿ وما كان عطاء ربك ﴾ فيها ﴿ محظوراً ﴾ ممنوعاً عن أحد.

٢١ ﴿ انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض ﴾ في الرزق والجاه ﴿ وللآخرة أكبر ﴾ أعظم ﴿ درجات وأكبر تفضيلاً ﴾ من الدنيا، فينبغي الاعتناء بها دونها.

٢٢ ﴿ لا تجعل مع الله إلهاً آخر فتقعد مذموماً مخذولاً ﴾ لا ناصر لك.

٢٣ ﴿ وقضى ﴾ أمر ﴿ ربك أ ﴾ ن، أي بأن ﴿ لا تعبدوا إلا إياه و ﴾ أن تحسنوا ﴿ بالوالدين إحساناً ﴾ بأن تبروهما ﴿ إما يبلغن عندك الكبر أحدهما ﴾ فاعل ﴿ أو كلاهما ﴾ وفي قراءة «يبلغانِّ»، فأحدهما بدل من ألفه(٢) ﴿ فلا تقل لهما أف ﴾ بفتح الفاء، وكسرها منوناً وغير منون، مصدر بمعنى تباً(٣) وقبحاً ﴿ ولا تنهرهما ﴾ تزجرهما ﴿ وقل لهما قولاً كريماً ﴾ جميلاً ليناً(٤).

٢٤ ﴿ واخفض لهما جناح الذل ﴾ ألن لهما جانبك الذليل(٥) ﴿ من الرحمة ﴾ أي لرقتك عليهما ﴿ وقل رب ارحمهما كما ﴾ رحماني حين ﴿ ربياني صغيراً ﴾.

٢٥ ﴿ ربكم أعلم بما في نفوسكم ﴾ من إضمار البر والعقوق ﴿ إن تكونوا صالحين ﴾ طائعين لله ﴿ فإنه كان للأوابين ﴾ الرجاعين إلى طاعته ﴿ غفوراً ﴾ لما صدر منهم في حق الوالدين من بادرة(٦)، وهم لا يضمرون عقوقاً.

مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا
سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾
كُلًّا نُّمِدُّ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ
عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ
عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾
لَّا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾
۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ
إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل
لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾
وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا
كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ۚ
إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾

---

(١) بدل من كلًّا، كأنه قيل: نمد هؤلاء وهؤلاء، الأول للفريق الأول، والثاني للفريق الثاني.

(٢) الذي هو فاعل يبلغ.

(٣) خسراناً وهلاكاً.

(٤) روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: (أمك، ثم أمك، ثم أباك، ثم أدناك فأدناك). وروى مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ: أي الأعمال أحب إلى الله تعالى؟ قال: (الصلاة لوقتها) قلت: ثم أي؟ قال: (بر الوالدين). قلت: ثم أي؟ قال: (الجهاد في سبيل الله). وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (الوالد أوسط أبواب الجنة، فإن شئت فاضع ذلك الباب أو احفظه) أخرجه الترمذي وقال: حديث صحيح. وواضح أن تضييعه بعقوقه، وحفظه ببره والإحسان إليه.

[البخاري: الأدب، باب: من أحق الناس بحسن الصحبة، رقم: ٥٦٢٦. مسلم: البر والصلة والآداب، باب: بر الوالدين وأنهما أحق به، رقم: ٢٥٤٨. الترمذي: البر والصلة باب: ما جاء من الفضل في رضا الوالدين، رقم: ١٩٠١].

(٥) تواضع لهما، ولا تتعال عليهما.

(٦) زلة تقع خطأ.

-موسى فأخبرته، فقال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك، فإن أمتك لا تطيق ذلك، فقلت: قد رجعت إلى ربي حتى استحييت) رواه الشيخان واللفظ لمسلم، وروى الحاكم في المستدرك عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: (رأيت ربي عزّ وجلّ). [انظر البخاري: التوحيد، باب: قوله ﴿ وكلم الله موسى تكليماً ﴾ رقم ٧٠٧٩. مسلم: الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات، رقم: ١٦٢. وانظر المستدرك: التفسير/ تفسير سورة بني إسرائيل (الإسراء): ٢/ ٣٦٢. وتفسير سورة النجم: ٢/ ٤٦٩]

٢٦ ﴿ وآت ﴾ أعط ﴿ ذا القربى ﴾ القرابة ﴿ حقه ﴾ من البر والصلة ﴿ والمسكين وابن السبيل(١) ولا تبذر تبذيراً ﴾ بالإنفاق في غير طاعة الله. ٢٧ ﴿ إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين ﴾ أي على طريقتهم ﴿ وكان الشيطان لربه كفوراً ﴾ شديد الكفر لنعمه، فكذلك أخوه المبذر.

٢٨ ﴿ وإما تعرضن عنهم ﴾ أي المذكورين من ذي القربى وما بعدهم، فلم تعطهم ﴿ ابتغاء رحمة من ربك ترجوها ﴾ أي لطلب رزق تنتظره، يأتيك فتعطيهم منه ﴿ فقل لهم قولاً ميسوراً ﴾ ليناً سهلاً، بأن تعدهم بالإعطاء عند مجيء الرزق. ٢٩ ﴿ ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ﴾ أي لا تمسكها عن الإنفاق كل المسك ﴿ ولا تبسطها ﴾ في الإنفاق ﴿ كل البسط فتقعد ملوماً ﴾ راجع للأول ﴿ محسوراً ﴾ منقطعاً لا شيء عندك، راجع للثاني.

٣٠ ﴿ إن ربك يبسط الرزق ﴾ يوسعه ﴿ لمن يشاء ويقدر ﴾ يضيقه لمن يشاء ﴿ إنه كان بعباده خبيراً بصيراً ﴾ عالماً ببواطنهم وظواهرهم، فيرزقهم على حسب مصالحهم. ٣١ ﴿ ولا تقتلوا أولادكم ﴾ بالوأد ﴿ خشية ﴾ مخافة ﴿ إملاق ﴾ فقر ﴿ نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطأ ﴾ إثماً ﴿ كبيراً ﴾ عظيماً.

٣٢ ﴿ ولا تقربوا الزنى ﴾ أبلغ من لا تأتوه ﴿ إنه كان فاحشة ﴾ قبيحاً ﴿ وساء ﴾ بئس ﴿ سبيلاً ﴾ طريقاً هو(٢).

٣٣ ﴿ ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق(٣) ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه ﴾ لوارثه ﴿ سلطاناً ﴾ تسلطاً على القاتل ﴿ فلا يسرف ﴾ يتجاوز الحد ﴿ في القتل ﴾ بأن يقتل غير قاتله أو بغير ما قتل به ﴿ إنه كان منصوراً ﴾(٤).

وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ
تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ
ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ
رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾
وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ
ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ
لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾
وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ
إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ
كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى
حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ
سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾

---

(١) المسافر الذي فقد النفقة التي تبلغه بلده.

(٢) لما ينتج عنه من اختلاط الأنساب، وفساد الأخلاق، ومرض الأجسام.

(٣) وقتل النفس بالحق هو ما يكون بسبب أحد أمور ثلاثة وردت في قوله ﷺ: (لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة) [البخاري: الديات، باب: قول الله تعالى ﴿أن النفس بالنفس والعين بالعين..﴾ رقم: ٦٤٨٤. مسلم: القسامة، باب: ما يباح به دم المسلم، رقم: ١٦٧٦].
[الثيب: هو المتزوج].

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت النبي ﷺ: أي الذنب أعظم عند الله ؟ قال: (أن تجعل لله نداً وهو خلقك). قلت: إن ذلك لعظيم. قلت: ثم أي ؟ قال: (وأن تقتل ولدك تخاف أن يطعم معك). قلت: ثم أي ؟ قال: (أن تزاني حليلة جارك) [البخاري: التفسير، باب: ﴿فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون﴾ / البقرة: ٢٢/ رقم: ٤٢٠٧. [مسلم: الإيمان. باب: كون الشرك أقبح الذنوب وبيان أعظمها بعده، رقم: ٨٦] [أعظم: أكثر إثماً وعقاباً. نداً: شريكاً، والند المثل والنظير. أن يطعم معك: أن يأكل معك، وهو عنوان شدة البخل المتنافي مع الإيمان، إلى جانب الإخلال باعتقاد أن الله تعالى هو الرزاق، مع فظاعة قتل النفس بغير حق، وكلها آثام تستحق العقاب الشديد. تزاني: تزني فيها برضاها، وهذا يدل على أنه سلك معها مسالك الخداع حتى أغراها به، وأفسد على زوجها فراشه واستقراره. حليلة: زوجة، سميت بذلك لأنها تحل له].

(٤) بمشروعية حق القصاص له.

سبب نزول الآية [٢٨]: أخرج سعيد بن منصور، عن عطاء الخراساني قال: جاء ناس من مزينة يستحملون رسول الله ﷺ، فقال: (لا أجد ما أحملكم عليه). فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً، ظنوا ذلك من غضب رسول الله ﷺ، فأنزل الله: ﴿وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة﴾ الآية.

وأخرج ابن جرير عن الضحاك قال: نزلت فيمن كان يسأل النبيّ ﷺ من المساكين.

سبب نزول الآية [٢٩]: أخرج الواحدي بسنده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: جاء غلام إلى رسول الله ﷺ فقال: إن أمي تسألك كذا وكذا، فقال: (ما عندنا اليوم شيء). قال: فتقول لك: اكسني قميصك. قال: فخلع قميصه فدفعه إليه، وجلس في البيت حاسراً، فأنزل الله سبحانه وتعالى: ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تَبْسُطْها كُلَّ البَسْطِ﴾ الآية. حاسراً: ليس عليه ثياب.

وأخرج سعيد بن منصور عن سيار أبي الحكم قال: أتى رسول الله ﷺ بُرّ، وكان معطياً كريماً، فقسمه بين الناس، فأتاه قوم فوجدوه قد فرغ منه، فأنزل الله: ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها﴾ الآية. [السيوطي]. بُرّ: قمح.

٣٤ ﴿ ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن(١) حتى يبلغ أشده وأوفوا بالعهد ﴾ إذا عاهدتم الله أو الناس ﴿ إن العهد كان مسؤولاً ﴾ عنه.

٣٥ ﴿ وأوفوا الكيل ﴾ أتموه ﴿ إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ﴾ الميزان السوي ﴿ ذلك خير وأحسن تأويلاً ﴾ مآلاً.

٣٦ ﴿ ولا تقف ﴾ تتبع ﴿ ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد ﴾ القلب ﴿ كل أولئك كان عنه مسؤولاً ﴾ صاحبه ماذا فعل به(٢).

٣٧ ﴿ ولا تمش في الأرض مرحاً ﴾ أي ذا مرح بالكبر والخيلاء ﴿ إنك لن تخرق الأرض ﴾ تثقبها حتى تبلغ آخرها بكبرك ﴿ ولن تبلغ الجبال طولاً ﴾ المعنى: أنك لا تبلغ هذا المبلغ، فكيف تختال(٣)؟.

٣٨ ﴿ كل ذلك ﴾ المذكور ﴿ كان سيئه(٤) عند ربك مكروهاً ﴾.

٣٩ ﴿ ذلك مما أوحى إليك ﴾ يا محمد ﴿ ربك من الحكمة ﴾ الموعظة ﴿ ولا تجعل مع الله إلهاً آخر فتلقى في جهنم ملوماً مدحوراً ﴾ مطروداً من رحمة الله تعالى.

٤٠ ﴿ أفأصفاكم ﴾ أخلصكم يا أهل مكة ﴿ ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثاً ﴾ بنات لنفسه بزعمكم ﴿ إنكم لتقولون ﴾ بذلك ﴿ قولاً عظيماً ﴾(٥).

٤١ ﴿ ولقد صرفنا ﴾ بينا ﴿ في هذا القرآن ﴾ من الأمثال والوعد والوعيد ﴿ليذكروا﴾ يتعظوا ﴿ وما يزيدهم ﴾

وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ
أَشُدَّهُۥۚ وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا ﴿٣٤﴾
وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ إِذَا كِلۡتُمۡ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِۚ ذَٰلِكَ
خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلٗا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ
عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ
مَسۡـُٔولٗا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ
ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ
سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكۡرُوهٗا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ
رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِۗ وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلۡقَىٰ
فِي جَهَنَّمَ مَلُومٗا مَّدۡحُورًا ﴿٣٩﴾ أَفَأَصۡفَىٰكُمۡ رَبُّكُم بِٱلۡبَنِينَ
وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًاۚ إِنَّكُمۡ لَتَقُولُونَ قَوۡلًا عَظِيمٗا ﴿٤٠﴾
وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِيَذَّكَّرُواْ وَمَا يَزِيدُهُمۡ

---

(١) بالطريقة الحسنة وهي ما فيه تنميته وحفظه.

(٢) عن شكل بن حميد رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ فقلت: يا نبي الله، علمني تعوذاً أتعوذ به، قال: فأخذ بيدي ثم قال: (قل أعوذ بك من شر سمعي، وشر بصري وشر فؤادي، وشر لساني، وشر قلبي، وشر منيي) قال: فحفظتها. أخرجه أبو داود في الصلاة، باب: في الاستعاذة، رقم: ١٥٥١. والنسائي في الاستعاذة، باب: الاستعاذة من شر السمع والبصر: ٢٥٥/٨. والترمذي في الدعوات، باب: الاستعاذة من شر السمع..، رقم: ٣٤٨٧، وقال: حديث حسن.
[شر منيي: كني بالمني عن الذكر].

(٣) أخرج الترمذي عن أبي هريرة رضي عنه قال: ما رأيت أحسن من رسول الله ﷺ، كأن الشمس تجري في وجهه، وما رأيت أحداً أسرع في مشيه من رسول الله ﷺ كأنما الأرض تطوى له، إنا لنجهد أنفسنا وإنه لغير مكترث. أي غير مبال بصعوبة الطريق. [أبواب المناقب، باب: سرعة مشيه ﷺ، رقم: ٣٦٥٠].

(٤) السيء منه.

(٥) مفرطاً في النكارة والبطلان، حيث نسبتم إليه تعالى ما لا يليق به ويستحيل عليه، من الولد ونحوه.

فائدة: في التحذير من الكبر والخيلاء. عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر). قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة؟ قال: (إن الله جميل يحب الجمال، الكبر: بطر الحق، وغمط الناس). [مسلم: الإيمان، باب: تحريم الكبر وبيانه، رقم: ٩١]. [بطر الحق: هو دفعه وإنكاره ترفعاً وتجبراً. غمط الناس: معناه احتقارهم].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (من جر ثوبه خيلاء، لم ينظر الله إليه يوم القيامة). فقال أبو بكر: إن أحد شقي يسترخي، إلا أن أتعاهد ذلك منه؟ فقال رسول الله ﷺ: (إنك لست تصنع ذلك خيلاء). [البخاري: فضائل الصحابة، باب: قول النبي ﷺ: (لو كنت متخذاً خليلاً) رقم: ٣٤٦٥]. [جر ثوبه خيلاء: أطال ثوبه حتى جره على الأرض كبراً. يسترخي: يميل إلى الأرض، وقيل سبب استرخائه نحالة جسمه. أتعاهد: أنتبه إليه وأرفعه].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ـ أو: قال أبو القاسم ـ ﷺ: (بينما رجل يمشي في حلة، تعجبه نفسه، مرجل جمته، إذ خسف الله به، فهو يتجلجل إلى يوم القيامة). [البخاري: اللباس، باب: من جر ثوبه من الخيلاء، رقم: ٥٤٥٢. مسلم: اللباس والزينة، باب: تحريم التبختر في المشي مع إعجابه بثيابه، رقم: ٢٠٨٨]. [رجل: من الأمم السابقة. حلة: ثوبان من نوع واحد. تعجبه نفسه: ينظر إليها بعين الكمال وينسى نعمة الله تعالى عليه، محتقراً لما سواه من الناس. مرجل جمته: مسرح رأسه، والجمة هي الشعر الذي إلى الكتفين أو هو مجمع شعر

إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ

ذلك ﴿ إلا نفوراً ﴾ عن الحق.

٤٢ ﴿ قل ﴾ لهم ﴿ لو كان معه ﴾ أي الله ﴿ آلهة كما تقولون[١] إذاً لابتغوا ﴾ طلبوا ﴿ إلى ذي العرش ﴾ أي الله ﴿ سبيلاً ﴾ طريقاً، ليقاتلوه[٢].

٤٣ ﴿ سبحانه ﴾ تنزيهاً له ﴿ وتعالى عما يقولون ﴾ من الشركاء ﴿ علواً كبيراً ﴾.

٤٤ ﴿ تسبح له ﴾ تنزهه ﴿ السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن ﴾ ما ﴿ من شيء ﴾ من المخلوقات ﴿ إلا يسبح ﴾ متلبساً ﴿ بحمده ﴾ أي يقول: سبحان الله وبحمده ﴿ ولكن لا تفقهون ﴾ تفهمون ﴿ تسبيحهم ﴾ لأنه ليس بلغتكم[٣] ﴿ إنه كان حليماً غفوراً ﴾ حيث لم يعاجلكم بالعقوبة.

٤٥ ﴿ وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً ﴾ أي ساتراً لك عنهم فلا يرونك، نزل فيمن أراد الفتك به ﷺ[٤].

٤٦ ﴿ وجعلنا على قلوبهم أكنة ﴾ أغطية ﴿ أن يفقهوه ﴾ من أن يفهموا القرآن، أي فلا يفهمونه ﴿ وفي آذانهم وقراً ﴾ ثقلاً فلا يسمعونه ﴿ وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده[٥] ولوا على أدبارهم نفوراً ﴾ عنه[٦].

٤٧ ﴿ نحن أعلم بما يستمعون به ﴾ بسببه، من الهزء ﴿ إذ يستمعون إليك ﴾ قراءتك ﴿ وإذ هم نجوى ﴾ يتناجون بينهم، أي يتحدثون ﴿ إذ ﴾ بدل من إذ قبله ﴿ يقول الظالمون ﴾ في تناجيهم ﴿ إن ﴾ ما ﴿ تتبعون إلا رجلاً مسحوراً ﴾ مخدوعاً مغلوباً على عقله. قال تعالى:

٤٨ ﴿ انظر كيف ضربوا لك الأمثال ﴾ بالمسحور والكاهن والشاعر ﴿ فضلوا ﴾ بذلك عن الهدى ﴿ فلا

---

(١) بالتاء والياء: ﴿تقولون﴾ و ﴿يقولون﴾ قراءتان متواترتان.

(٢) ويزيلوا ملكه، كما يفعل الملوك، بعضهم ببعض، حين يتعددون ويتنافسون.

(٣) أخرج البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنا نعد الآيات بركة وأنتم تعدونها تخويفاً، كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فقل الماء، فقال: (اطلبوا فضلة من ماء) فجاؤونا بإناء فيه ماء قليل، فأدخل يده ﷺ في الإناء، ثم قال: (حي على الطهور المبارك والبركة من الله) فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ، ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل. وأخرج مسلم عن جابر بن سمرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (إن بمكة حجراً كان يسلم علي ليالي بعثت، وإني لأعرفه الآن). [البخاري: المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام، رقم: ٣٣٨٦. مسلم: الفضائل، باب: فضل نسب النبي ﷺ وتسليم الحجر عليه قبل النبوة، رقم: ٢٢٧٧] الآيات: المعجزات، وهي الأمور الخارقة للعادة.

(٤) أخرج البزار عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت: ﴿تبت يدا أبي لهب﴾ جاءت امرأة أبي لهب ورسول الله ﷺ جالس ومعه أبو بكر، فقال له أبو بكر: لو تنحيت لا تؤذيك بشيء. فقال رسول الله ﷺ: (إنه سيحال بيني وبينها). فأقبلت حتى وقفت على أبي بكر فقالت: يا أبا بكر، هجانا صاحبك. فقال أبو بكر: لا ورب هذه البنية، ما نطق بالشعر ولا يتفوه به. فقالت: إنك لمصدق. فلما ولت قال أبو بكر رضي الله عنه: ما رأتك؟ قال: (لا، ما زال ملك يسترني حتى ولت). [هجانا: قال كلاماً يذمنا به. البنية: المراد الكعبة].

(٥) منفرداً بالألوهية. (٦) أعرضوا ولم يؤمنوا.

الرأس. خسف: غارت به الأرض وغيبه الله فيها. يتجلجل: يتحرك وينزل مضطرباً،وفي رواية يتجلل: تغطيه الأرض].

وعن حارثة بن وهب الخزاعي رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: (ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف مُتَضَعَّف، لو أقسم على الله لأبره. ألا أخبركم بأهل النار: كل عُتُلٍّ، جَوَّاظٍ، مستكبر). [البخاري: التفسير، باب: ﴿عتل بعد ذلك زنيم﴾ رقم: ٤٦٣٤. مسلم: الجنة وصفة نعيمها. . ، باب: النار يدخلها الجبارون، رقم: ٢٨٥٣]. [متضعف: بكسر العين، متواضع لين هين، وروي بفتح العين، أي يستضعفه الناس ويحتقرونه. أقسم: حلف يميناً طمعاً في كرم الله تعالى. لأبره: لحقق له ما أقسم عليه، ولأجاب طلبه ودعاءه. جواظ: شديد الصوت في الشر،متكبر مختال في مشيته، وقيل: الأكول السمين].

سبب نزول الآية [٤٥]: عن ابن شهاب قال: كان رسول الله ﷺ إذا تلا القرآن على مشركي قريش ودعاهم إلى الكتاب قالوا يهزؤ ون به:

يستطيعون سبيلاً ﴾ طريقاً إليه.

٤٩ ﴿ وقالوا ﴾ منكرين للبعث ﴿ ءإذا كنا عظاماً ورفاتاً(١) ءإنا لمبعوثون خلقاً جديداً ﴾(٢).

٥٠ ﴿ قل ﴾ لهم ﴿ كونوا حجارة أو حديداً ﴾(٣).

٥١ ﴿ أو خلقاً مما يكبر في صدوركم ﴾ يعظم عن قبول الحياة، فضلاً عن العظام والرفات، فلا بدمن إيجاد الروح فيكم ﴿ فسيقولون من يعيدنا ﴾ إلى الحياة ﴿ قل الذي فطركم ﴾ خلقكم ﴿ أول مرة ﴾ ولم تكونوا شيئاً، لأن القادر على البدء قادر على الإعادة، بل هي أهون ﴿ فسينغضون ﴾ يحركون ﴿ إليك رؤوسهم ﴾ تعجباً ﴿ ويقولون ﴾ استهزاء ﴿ متى هو ﴾ أي البعث ﴿قل عسى أن يكون قريباً ﴾.

٥٢ ﴿ يوم يدعوكم ﴾ يناديكم من القبور على لسان إسرافيل ﴿ فتستجيبون ﴾ فتجيبون دعوته من القبور ﴿ بحمده ﴾ بأمره، وقيل: وله الحمد ﴿ وتظنون إن ﴾ ما ﴿ لبثتم ﴾ في الدنيا ﴿ إلا قليلاً ﴾ لهول ما ترون.

٥٣ ﴿ وقل لعبادي ﴾ المؤمنين ﴿ يقولوا ﴾ للكفار الكلمة ﴿ التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ ﴾ يفسد ﴿ بينهم إن الشيطان كان للإنسان عدواً مبيناً ﴾ بين العداوة. والكلمة التي هي أحسن هي:

٥٤ ﴿ ربكم أعلم بكم إن يشأ يرحمكم ﴾ بالتوبة والإيمان ﴿ أو إن يشأ ﴾ تعذيبكم ﴿ يعذبكم ﴾ بالموت على الكفر ﴿ وما أرسلناك عليهم وكيلاً ﴾ فتجبرهم على الإيمان. وهذا قبل الأمر بالقتال(٤).

٥٥ ﴿ وربك أعلم بمن في السماوات والأرض ﴾ فيخصهم بما شاء على قدر أحوالهم ﴿ ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض ﴾ بتخصيص كل منهم بفضيلة: كموسى بالكلام، وإبراهيم بالخلة، ومحمد بالإسراء ﴿ وآتينا داود زبوراً ﴾(٥).

٥٦ ﴿ قل ﴾ لهم ﴿ ادعوا الذين

سَبِيلًا ﴿٤٨﴾ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ
خَلۡقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ * قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾
أَوۡ خَلۡقًا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ
قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖۚ فَسَيُنۡغِضُونَ إِلَيۡكَ رُءُوسَهُمۡ
وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾
يَوۡمَ يَدۡعُوكُمۡ فَتَسۡتَجِيبُونَ بِحَمۡدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا
قَلِيلًا ﴿٥٢﴾ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ
ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوًّا
مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِكُمۡۖ إِن يَشَأۡ يَرۡحَمۡكُمۡ أَوۡ إِن يَشَأۡ
يُعَذِّبۡكُمۡۚ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾ وَرَبُّكَ أَعۡلَمُ
بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَلَقَدۡ فَضَّلۡنَا بَعۡضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ
عَلَىٰ بَعۡضٖۖ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ

---

(١) تراباً، أو هو كل شيء دق وفتت حتى صار كالتراب.

(٢) مخلوقين مجدداً.

(٣) أي لو صرتم كذلك.

(٤) وأما بعده: فإنهم يقاتلون حتى يسلموا إن كانوا مشركين، وإن كانوا أهل كتاب: يقاتلون حتى يسلموا أو يدفعوا الجزية.

(٥) اسم للكتاب المنزل عليه. قال الخازن في تفسيره: وهو كتاب أنزله الله على داود يشتمل على مائة وخمسين سورة، كلها دعاء وثناء على الله تعالى وتحميد وتمجيد، ليس فيه حلال ولا حرام، ولا فرائض ولا حدود ولا أحكام. فإن قلت: لم خص داود في هذه الآية بالذكر دون غيره من الأنبياء؟ قلت: فيه وجوه، أحدها: أن الله تعالى ذكر أنه فضل بعض النبيين على بعض، ثم قال تعالى: ﴿وآتينا داود زبوراً﴾ وذلك أن داود أعطي مع النبوة الملك، فلم يذكره بالملك، وذكر ما آتاه من الكتاب تنبيهاً على أن الفضل المذكور في هذه الآية المراد به العلم، لا الملك والمال. الوجه الثاني: أن الله سبحانه وتعالى كتب له في الزبور: أن محمداً خاتم الأنبياء، وأن أمته خير الأمم، فلهذا خصه بالذكر. الوجه الثالث: أن اليهود زعمت أن لا نبي بعد موسى، ولا كتاب بعد التوراة، فكذبهم الله بقوله: ﴿آتينا داود زبوراً﴾ ومعنى الآية: إنكم لن تنكروا تفضيل النبيين، فكيف تنكرون تفضيل النبي ﷺ وإعطاءه القرآن، وأن الله آتى موسى التوراة وداود الزبور وعيسى الإنجيل، فلم يعد

﴿قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب﴾. [فصلت: ٥] . فأنزل الله في ذلك من قولهم: ﴿وإذا قرأت القرآن﴾ الآيات. [السيوطي].

سبب نزول الآية [٥٣]: قال الواحدي: نزلت في عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وذلك أن رجلاً من العرب شتمه فأمره الله تعالى بالعفو. وقال الكلبي: كان المشركون يؤذون أصحاب رسول الله ﷺ بالقول والفعل، فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

سبب نزول الآية [٥٦]: قال السيوطي: أخرج البخاري وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان ناس من الإنس يعبدون ناساً من الجنّ، فأسلم الجنّيون واستمسك الآخرون بعبادتهم، فأنزل الله تعالى: ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دونه..﴾ الآية. [انظر البخاري: التفسير/ الإسراء، باب: ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دونه..﴾ رقم: ٤٤٣٧].

﴿زعمتم﴾ أنهم آلهة ﴿من دونه﴾ كالملائكة وعيسى وعزير ﴿فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً﴾ له إلى غيركم.

٥٧ ﴿ أولئك الذين يدعون ﴾ ـهم آلهة ﴿ يبتغون ﴾ يطلبون ﴿ إلى ربهم الوسيلة ﴾ القربة بالطاعة ﴿ أيهم ﴾ بدل من واو يبتغون، أي يبتغيها الذي هو ﴿ أقرب ﴾ إليه، فكيف بغيره؟ ﴿ ويرجون رحمته ويخافون عذابه ﴾ كغيرهم، فكيف تدعونهم آلهة؟ ﴿ إن عذاب ربك كان محذوراً ﴾(١).

٥٨ ﴿ وإن ﴾ ما ﴿ من قرية ﴾ أريد أهلها(٢) ﴿ إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة ﴾ بالموت ﴿ أو معذبوها عذاباً شديداً ﴾ بالقتل وغيره ﴿ كان ذلك في الكتاب ﴾ اللوح المحفوظ ﴿ مسطوراً ﴾ مكتوباً.

٥٩ ﴿ وما منعنا أن نرسل بالآيات ﴾(٣) التي اقترحها أهل مكة ﴿ إلا أن كذب بها الأولون ﴾ لما أرسلناها، فأهلكناهم، ولو أرسلناها إلى هؤلاء لكذبوا بها واستحقوا الإهلاك، وقد حكمنا بإمهالهم لإتمام أمر محمد ﷺ ﴿ وآتينا ثمود الناقة ﴾ آية ﴿ مبصرة ﴾ بينة واضحة ﴿ فظلموا ﴾ كفروا ﴿ بها ﴾ فأهلكوا ﴿ وما نرسل بالآيات ﴾ المعجزات ﴿ إلا تخويفاً ﴾ للعباد فيؤمنوا.

زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا
تَحْوِيلًا (٥٦) أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ
ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ
إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا (٥٧) وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ
مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا
كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا (٥٨) وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ
بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ
مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا (٥٩)
وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا
ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ
فِى ٱلْقُرْءَانِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا (٦٠)
وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ

٦٠ ﴿ و ﴾ اذكر ﴿ إذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس ﴾ علماً وقدرة، فهم في قبضته، فبلغهم ولا تخف أحداً، فهو يعصمك منهم ﴿ وما جعلنا الرؤيا التي أريناك ﴾ عياناً ليلة الإسراء(٤) ﴿ إلا فتنة للناس ﴾(٥) أهل مكة، إذ كذبوا بها، وارتد بعضهم لما أخبرهم بها ﴿ والشجرة الملعونة في القرآن ﴾(٦) وهي الزقوم التي تنبت في أصل الجحيم(٧)، جعلناها فتنة لهم إذ قالوا: النار تحرق الشجر، فكيف تنبته؟ ﴿ ونخوفهم ﴾ بها ﴿ فما يزيدهم ﴾ تخويفنا ﴿ إلا طغياناً كبيراً ﴾(٨).

٦١ ﴿ و ﴾ اذكر ﴿ إذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ﴾ سجود تحية بالانحناء ﴿ فسجدوا إلا إبليس

أن يفضل محمد ﷺ على جميع الخلائق، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وهذا خطاب مع من يقر بتفضيل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

(١) حقيقاً بأن يحذره كل أحد، ولو كان ملكاً مقرباً أم نبياً مرسلاً، وغيرهم من الخلائق أولى بذلك.

(٢) أي المراد بالقرية أهلها.

(٣) المعجزات وخوارق العادات.

(٤) من العجائب والغرائب الدالة على عظيم قدرة الخالق سبحانه.

(٥) اختباراً لتصديقهم وتفكيرهم في قدرة الخالق.

(٦) أي التي ذكرها القرآن بالذم والأذى، وذم آكليها. انظر: /الصافات: ٦٢ ـ ٦٩/.

(٧) قعر جهنم. (٨) عناداً مفرطاً وتجاوزاً واضحاً للحدود.

سبب نزول الآية [٥٩ ـ ٦٠]: أخرج الحاكم والطبراني وغيرهما عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سأل أهل مكة النبيّ ﷺ أن يجعل لهم الصفَا ذهباً، وأن ينحي عنهم الجبال، فيزرعوا، فقيل له: إن شئت أن تستأني بهم، وإن شئت نؤتهم الذي سألوا، فإن كفروا أهلكوا كما أهلكت من قبلهم. قال: (بل أستأني بهم). فأنزل الله: ﴿ومامنعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون﴾ الآية. [انظر المستدرك: التفسير/ سورة بني إسرائيل: ٢/٣٦٢]

وأخرج أبو يعلى عن أمّ هانىء رضي الله عنها: أنه ﷺ لما أسري به أصبح يحدّث نفراً من قريش يستهزئون به، فطلبوا منه آية، فوصف لهم بيت المقدس، وذكر لهم قصة العير، فقال الوليد بن المغيرة: هذا ساحر، فأنزل الله: ﴿ وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس ﴾.

[آية: أمراً خارقاً للعادة يكون معجزة له ودليلاً على صدقه. قصة العير: الإبل المحملة بالطعام التي رآها في طريقه].

وعن الحسين بن عليّ رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ أصبح يوماً مهموماً فقيل له: مالك يا رسول الله، لا تهتمّ فإن رؤ ياك فتنة لهم. فأنزل الله: ﴿وماجعلنا الرؤ يا التي أريناك إلا فتنة للناس﴾.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ذكر الله الزقوم خوّف به هذا الحيّ من قريش. قال أبو جهل: هل تدرون ما هذا الزقوم الذي يخوّفكم به محمد؟ قالوا: لا، قال: الثريد بالزبد، أما لئن أمكننا منها لنَزْقَمَنَّها زقماً. فأنزل الله: ﴿ والشجرة الملعونة في القرآن. . ﴾ وأنزل: ﴿ إن شجرة الزقوم. طعام الأثيم ﴾ [الدخان: ٤٣، ٤٤]. [السيوطي]. [الثريد: هو الخبز المفتت والمبلل بالمرق ونحوه. لنزقمنها: من الزَّقم وهو اللَّقْم، والتزقم التلقُّم]

قال ءأسجد لمن خلقت طيناً ﴾ نصب بنزع الخافض، أي من طين.

٦٢ ﴿ **قال أرأيتك** ﴾ أي أخبرني ﴿ **هذا الذي كرمت** ﴾ فضلت ﴿ **علي** ﴾ بالأمر بالسجود له، وأنا خير منه، خلقتني من نار ﴿ **لئن** ﴾ لام قسم ﴿ **أخرتن إلى يوم القيامة لأحتنكن** ﴾ لأستأصلن ﴿ **ذريته** ﴾ بالإغواء ﴿ **إلا قليلاً** ﴾ منهم ممن عصمته.

٦٣ ﴿ **قال** ﴾ تعالى له ﴿ **اذهب** ﴾ منظراً(١) إلى وقت النفخة الأولى ﴿ **فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم** ﴾ أنت وهم ﴿ **جزاء موفوراً** ﴾ وافراً كاملاً.

٦٤ ﴿ **واستفزز** ﴾ استخف واستنزل ﴿ **من استطعت منهم بصوتك** ﴾ بدعائك بالغناء والمزامير وكل داعٍ إلى المعصية ﴿ **وأجلب** ﴾ صِحْ ﴿ **عليهم بخيلك ورجلك** ﴾ وهم الركاب والمشاة في المعاصي ﴿ **وشاركهم في الأموال** ﴾ المحرمة كالربا والغصب ﴿ **والأولاد** ﴾ من الزنى(٢) ﴿ **وعدهم** ﴾ بأن لا بعث ولا جزاء ﴿ **وما يعدهم الشيطان** ﴾ بذلك ﴿ **إلا غروراً** ﴾ باطلاً.

٦٥ ﴿ **إن عبادي** ﴾ المؤمنين ﴿ **ليس لك عليهم سلطان** ﴾ تسلط وقوة ﴿ **وكفى بربك وكيلاً** ﴾ حافظاً لهم منك(٣).

٦٦ ﴿ **ربكم الذي يزجي** ﴾ يجري ﴿ **لكم الفلك** ﴾ السفن ﴿ **في البحر لتبتغوا** ﴾ تطلبوا ﴿ **من فضله** ﴾ تعالى بالتجارة ﴿ **إنه كان بكم رحيماً** ﴾ في تسخيرها لكم.

٦٧ ﴿ **وإذا مسكم الضر** ﴾ الشدة ﴿ **في البحر** ﴾ خوف الغرق ﴿ **ضل** ﴾ غاب عنكم ﴿ **من تدعون** ﴾ تعبدون من الآلهة، فلا تدعونه ﴿ **إلا إياه** ﴾ تعالى فإنكم تدعونه وحده، لأنكم في شدة لا يكشفها إلا هو ﴿ **فلما نجاكم** ﴾ من الغرق وأوصلكم ﴿ **إلى البر أعرضتم** ﴾ عن التوحيد ﴿ **وكان الإنسان كفوراً** ﴾ جحوداً للنعم(٤).

٦٨ ﴿ **أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر** ﴾ أي الأرض(٥)، كقارون(٦) ﴿ **أو يرسل**

قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا
ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ
ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ
فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ
ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ
وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ
ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ
سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى
لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ
رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ
إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ
كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ

---

(١) مؤخراً وتبقى حياً.

(٢) وقد قال العلماء في هذه المشاركة أقوالاً أخرى، ذكرها ابن كثير في تفسيره، ثم قال: قال ابن جرير: وأولى الأقوال بالصواب أن يقال: كل مولود ولدته أنثى، عُصِي الله فيه: بتسميته بما يكرهه الله، أو بإدخاله في غير الدين الذي ارتضاه الله، أو بالزنا بأمه، أو بقتله أو وأده، أو غير ذلك من الأمور التي يعصي الله بفعله به أو فيه، فقد دخل في مشاركته إبليس فيه من وُلِد ذلك الولد له أو منه، لأن الله لم يخصص بقوله ﴿وشاركهم في الأموال والأولاد﴾ معنى الشركة فيه بمعنى دون معنى، فكل ما عُصِي الله فيه أو به، أو أطيع الشيطان فيه أو به، فهو مشاركة. قال ابن كثير: وهذا الذي قاله متجه، وكل من السلف رحمهم الله فسر بعض المشاركة، فقد ثبت في صحيح مسلم عن عياض بن حمار: أن رسول الله ﷺ قال: (يقول الله عزَّ وجل: إني خلقت عبادي حنفاء، فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم). وفي الصحيحين: أن رسول الله ﷺ قال: (لو أن أحدهم إذا أراد أن يأتي أهله قال: بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا. فإنه إن يقدر بينهما ولد في ذلك لم يضره الشيطان أبداً). [مسلم: الجنة وصفة نعيمها..، باب: الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة..، رقم: ٢٨٦٥. النكاح، باب: ما يستحب أن يقوله عند الجماع، رقم: ١٤٣٤. البخاري: الوضوء، باب: التسمية على كل حال وعند الوقاع، رقم: ١٤١].

(٣) وأخرج أحمد في مسنده [٢/ ٣٨٠]: عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «إن المؤمن لينضي شياطينه كما ينضي أحدكم بعيره في السفر». [لينضي: يهزله ويجعله نضواً، والنضو: الدابة التي أهزلتها الأسفار، والمعنى: يقهره ويتغلب عليه، والله تعالى أعلم].

(٤) لا يؤدي شكرها للمنعم بها سبحانه.

(٥) بأن يغيبكم فيها ويخفيكم في باطنها.

(٦) انظر [القصص: ٧٦].

عليكم حاصباً ﴾ أي يرميكم بالحصباء⁽¹⁾، كقوم لوط ﴿ ثم لا تجدوا لكم وكيلاً ﴾ حافظاً منه.

٦٩ ﴿ أم أمنتم أن يعيدكم فيه ﴾ أي البحر ﴿ تارة ﴾ مرة ﴿ أخرى فيرسل عليكم قاصفاً من الريح ﴾ أي ريحاً شديدة، لا تمر بشيء إلا قصفته، فتكسر فلككم ﴿ فيغرقكم بما كفرتم ﴾ بكفركم ﴿ ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعاً ﴾ ناصراً وتابعاً يطالبنا بما فعلنا بكم.

٧٠ ﴿ ولقد كرمنا ﴾ فضلنا ﴿ بني آدم ﴾ بالعلم والنطق واعتدال الخلق وغير ذلك، ومنه طهارتهم بعد الموت ﴿ وحملناهم في البر ﴾ على الدواب ﴿ والبحر ﴾ على السفن ﴿ ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا ﴾ كالبهائم والوحوش ﴿ تفضيلاً ﴾ فمن بمعنى ما، أو على بابها[2]، وتشمل الملائكة، والمراد تفضيل الجنس، ولا يلزم تفضيل أفراده[3]، إذ هم أفضل من البشر غير الأنبياء.

٧١ اذكر ﴿ يوم ندعو كل أناس بإمامهم ﴾ نبيهم، فيقال: يا أمة فلان، أو: بكتاب أعمالهم، فيقال: يا صاحب الخير، يا صاحب الشر، وهو يوم القيامة ﴿ فمن أوتي ﴾ منهم ﴿ كتابه بيمينه ﴾ وهم السعداء أولو البصائر في الدنيا ﴿ فأولئك يقرؤون كتابهم ولا يظلمون ﴾ ينقصون من أعمالهم ﴿ فتيلاً ﴾ قدر قشرة النواة.

٧٢ ﴿ ومن كان في هذه ﴾ أي الدنيا ﴿ أعمى ﴾ عن الحق ﴿ فهو في الآخرة أعمى ﴾ عن طريق النجاة وقراءة الكتاب[4] ﴿ وأضل سبيلاً ﴾ أبعد طريقاً عنه. ونزل في ثقيف، وقد سألوه ﷺ: أن يحرم واديهم[5]، وألحوا عليه:

٧٣ ﴿ وإن ﴾ مخففة ﴿ كادوا ﴾ قاربوا ﴿ ليفتنونك ﴾ ليستنزلونك ﴿ عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره وإذاً ﴾ لو فعلت ذلك ﴿ لاتخذوك خليلاً ﴾[6].

٧٤ ﴿ ولولا أن ثبتناك ﴾ على الحق بالعصمة ﴿ لقد كدت ﴾ قاربت ﴿ تركن ﴾ تميل ﴿ إليهم شيئاً ﴾ ركوناً ﴿ قليلاً ﴾ لشدة احتيالهم وإلحاحهم، وهو صريح في أنه ﷺ لم يركن ولا قارب.

٧٥ ﴿ إذاً ﴾ لو ركنت ﴿ لأذقناك ضعف ﴾ عذاب

عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗا ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمۡ وَكِيلًا (٦٨) أَمۡ أَمِنتُمۡ أَن
يُعِيدَكُمۡ فِيهِ تَارَةً أُخۡرَىٰ فَيُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ قَاصِفٗا مِّنَ ٱلرِّيحِ
فَيُغۡرِقَكُم بِمَا كَفَرۡتُمۡ ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمۡ عَلَيۡنَا بِهِۦ تَبِيعٗا (٦٩)
۞ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ
وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ
خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا (٧٠) يَوۡمَ نَدۡعُواْ كُلَّ أُنَاسِۭ بِإِمَٰمِهِمۡۖ
فَمَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقۡرَءُونَ كِتَٰبَهُمۡ
وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلٗا (٧١) وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ
فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا (٧٢) وَإِن كَادُواْ
لَيَفۡتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ لِتَفۡتَرِيَ عَلَيۡنَا غَيۡرَهُۥۖ
وَإِذٗا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلٗا (٧٣) وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ لَقَدۡ كِدتَّ
تَرۡكَنُ إِلَيۡهِمۡ شَيۡـٔٗا قَلِيلًا (٧٤) إِذٗا لَّأَذَقۡنَٰكَ ضِعۡفَ

سبب نزول الآيات [٧٣ ـ ٧٥]: قال السيوطي في كتابه [لباب النقول]: أخرج ابن مردويه وابن أبي حاتم، من طريق إسحق، عن محمد، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: خرج أمية بن خلف وأبو جهل بن هشام ورجال من قريش، فأتوا رسول الله ﷺ، فقالوا: يا محمد، تعال تمسح بآلهتنا وندخل معك في دينك، وكان يحبّ إسلام قومه، فرقّ لهم، فأنزل الله: ﴿وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك ـ إلى ـ نصيراً﴾. قلت: هذا أصح ما ورد في سبب نزولها، وهو إسناد جيد. وذكر عن جبير بن نفير: أن قريشاً أتوا النبيّ ﷺ، فقالوا: إن كنت أرسلت إلينا فاطرد الذين اتبعوك من سقاط الناس ومواليهم، فنكون نحن أصحابك. فركن إليهم، فنزلت. [فركن: مال ورغب].

أقول: الصحيح أنه ﷺ لم يركن إليهم، لأنه تعالى قال: ﴿ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن﴾ فهو صريح أنه ﷺ كاد أن يركن لولا تثبيت الله تعالى، وقد ثبته الله تعالى فلم يركن أصلاً، وكل ما هنالك أنه حديث نفس وخاطر قلب معفو عنه، يؤكد بشريته ﷺ، وأنه لا غنى له عن فضل الله تعالى في تثبيته على الحق وعصمته من الفتنة، ولو تخلى الله تعالى عنه في ذلك لكان منه الركون لمطالبهم، ولأعقب ذلك الخسران المبين. وفي هذه الآيات تنبيه للمؤمنين الداعين إلى الله تعالى على بصيرة: أن لا يتنازلوا ولو عن جانب ضئيل من جوانب الدعوة، لكسب ذوي السلطان والجاه والمال إلى صفها، لأن ذلك هزيمة روحية منهم، توحي بالاعتماد على هؤلاء في نصرة الحق، والله تعالى وحده هو الذي ينبغي أن يعتمد عليه المؤمنون في نصرة دينهم ودعوتهم، لأن الهزيمة الروحية إذا دبت في أعماق النفس لن تنقلب نصراً في يوم من الأيام.

---

(١) يمطر عليكم حجارة من السماء.

(٢) أي مستعملة في العقلاء، وغلبوا على غيرهم.

(٣) أي تفضيل جنس البشر على جنس الملائكة، ولا يلزم من ذلك أن يكون كل فرد من البشر أفضل من كل فرد من الملائكة، فإن الملائكة أفضل من البشر غير الأنبياء.

(٤) قراءة تطمئنه وتدخل عليه السرور، أي لا يكون له ذلك، بل يقرؤه قراءة تحصل له بها حسرة وندامة.

(٥) أي يجعل له حرمة كمكة.

(٦) لاتبعوك ووالوك وناصروك.

﴿ الحياة وضعف ﴾ عذاب ﴿ الممات ﴾ أي مثلي ما يعذب غيرك في الدنيا والآخرة ﴿ ثم لا تجد لك علينا نصيراً ﴾ مانعاً منه.

٧٦ ونزل ـ لما قال له اليهود: إن كنت نبياً فالحق بالشام، فإنها أرض الأنبياء ـ ﴿ وإن ﴾ مخففة ﴿ كادوا ليستفزونك(١) من الأرض ﴾ أرض المدينة ﴿ ليخرجوك منها وإذاً ﴾ لو أخرجوك ﴿ لا يلبثون خلافك ﴾(٢) فيها ﴿ إلا قليلاً ﴾ ثم يهلكون.

٧٧ ﴿ سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ﴾ أي كسنتنا فيهم من إهلاك من أخرجهم ﴿ ولا تجد لسنتنا تحويلاً ﴾ تبديلاً.

٧٨ ﴿ أقم الصلوة لدلوك الشمس ﴾ أي من وقت زوالها ﴿ إلى غسق الليل ﴾ إقبال ظلمته، أي الظهر والعصر، والمغرب والعشاء ﴿ وقرآن الفجر ﴾ صلاة الصبح ﴿ إن قرآن الفجر كان مشهوداً ﴾ تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار.

٧٩ ﴿ ومن الليل فتهجد ﴾ فصل(٣) ﴿ به ﴾ بالقرآن ﴿ نافلة لك ﴾ فريضة زائدة لك دون أمتك، أو فضيلة على الصلوات المفروضة ﴿ عسى أن يبعثك ﴾ يقيمك ﴿ ربك ﴾ في الآخرة ﴿ مقاماً محموداً ﴾ يحمدك فيه الأولون والآخرون، وهو مقام الشفاعة في فصل القضاء(٤).

٨٠ ونزل ـ لما أمر بالهجرة ـ ﴿ وقل رب أدخلني ﴾ المدينة ﴿ مدخل صدق ﴾ إدخالاً مرضياً لا أرى فيه ما أكره ﴿ وأخرجني ﴾ من مكة ﴿ مخرج صدق ﴾ إخراجاً لا ألتفت بقلبي إليها(٥) ﴿ واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً ﴾ قوة تنصرني بها على أعدائك.

٨١ ﴿ وقل ﴾ عند دخولك مكة ﴿ جاء الحق ﴾ الإسلام ﴿ وزهق الباطل ﴾ بطل الكفر ﴿ إن الباطل كان زهوقاً ﴾ مضمحلاً زائلاً، وقد دخلها ﷺ وحول البيت ثلثمائة وستون صنماً، فجعل يطعنها بعود في يده ويقول ذلك حتى سقطت. رواه الشيخان(٦).

٨٢ ﴿ وننزل من ﴾ للبيان ﴿ القرآن ما هو شفاء ﴾ من الضلالة ﴿ ورحمة للمؤمنين ﴾ به ﴿ ولا يزيد الظالمين ﴾ الكافرين ﴿ إلا خساراً ﴾ لكفرهم به.

٨٣ ﴿ وإذا أنعمنا على

ٱلۡحَيَوٰةِ وَضِعۡفَ ٱلۡمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيۡنَا نَصِيرٗا ﴿٧٥﴾
وَإِن كَادُواْ لَيَسۡتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ لِيُخۡرِجُوكَ مِنۡهَاۖ
وَإِذٗا لَّا يَلۡبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدۡ
أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِن رُّسُلِنَاۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحۡوِيلًا ﴿٧٧﴾
أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ
ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ
فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا
مَّحۡمُودٗا ﴿٧٩﴾ وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي
مُخۡرَجَ صِدۡقٖ وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا ﴿٨٠﴾
وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ
زَهُوقٗا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ
وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا ﴿٨٢﴾ وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى

---

(١) ليزعجونك ويثيرونك.

(٢) لا يقيمون ولا يبقون بعد اخراجك، وفي قراءة ﴿خَلْفَك﴾.

(٣) التهجد في الأصل ترك الهجود وهو النوم في الليل، واستعمل في الصلاة بعد الانتباه من النوم.

(٤) أخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع). [الفضائل، باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق، رقم ٢٢٧٨]. (٥) إلى مكة.

(٦) البخاري: المظالم، باب: هل تكسر الدنان التي فيها الخمر..، رقم: ٢٣٤٦. مسلم: الجهاد والسير، باب: إزالة الأصنام من حول الكعبة، رقم: ١٧٨١.

فائدة: في الدعاء والصلاة في الليل: عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يتهجد قال: (اللهم لك الحمد، أنت قيم السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد، =

سبب نزول الآيات [٧٦، ٨١]: عن عبد الرحمن بن غنم رضي الله عنه: أن اليهود أتوا النبيّ ﷺ، فقالوا: إن كنت نبياً فالحق بالشام، فإن الشام أرض المحشر وأرض الأنبياء، فصدّق رسول الله ﷺ ما قالوا، فغزا غزوة تبوك يريد الشام، فلما بلغ تبوك أنزل الله آيات من سورة بني إسرائيل بعد ما ختمت السورة: ﴿ وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها ﴾ وأمره بالرجوع إلى المدينة، وقال له جبريل: سل ربك، فإن لكل نبيّ مسألة. فقال: (ما تأمرني أن أسأل). قال: ﴿قل ربّ ادخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً﴾. فهؤلاء نزلن في رجعته من تبوك. [لباب النقول للسيوطي].

وأخرج الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبيّ ﷺ بمكة، ثم أمر بالهجرة، فنزلت عليه: ﴿وقلْ ربّ أدخلني مدخلَ صدق وأخرجني مُخرَج صدق واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً﴾. [تفسير القرآن، باب: ومن سورة بني إسرائيل، رقم: ٣١٣٨].

الإنسان ﴾ الكافر ﴿ أعرض ﴾ عن الشكر ﴿ ونأى بجانبه ﴾ ثنى عطفه متبختراً(١) ﴿ وإذا مسه الشر ﴾ الفقر والشدة ﴿ كان يؤوساً ﴾ قنوطاً من رحمة الله.

٨٤ ﴿ قل كل ﴾ منا ومنكم ﴿ يعمل على شاكلته ﴾ طريقته ﴿ فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلاً ﴾ طريقاً، فيثيبه.

٨٥ ﴿ ويسألونك ﴾ أي اليهود ﴿ عن الروح ﴾ الذي يحيا به البدن ﴿ قل ﴾ لهم ﴿ الروح من أمر ربي ﴾ أي علمه، لا تعلمونه ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ﴾ بالنسبة إلى علمه تعالى.

٨٦ ﴿ ولئن ﴾ لام قسم ﴿ شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك ﴾ أي القرآن، بأن نمحوه من الصدور والمصاحف ﴿ ثم لا تجد لك به علينا وكيلاً ﴾(٢).

٨٧ ﴿ إلا ﴾ لكن أبقيناه ﴿ رحمة من ربك إن فضله كان عليك كبيراً ﴾ عظيماً، حيث أنزله عليك، وأعطاك المقام المحمود، وغير ذلك من الفضائل.

٨٨ ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن ﴾ في الفصاحة والبلاغة(٣) ﴿ لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴾ معيناً، نزل رداً لقولهم: «لو نشاء لقلنا مثل هذا»/ الأنفال: ٣١/.

٨٩ ﴿ ولقد صرفنا ﴾ بينا ﴿ للناس في هذا القرآن من كل مثل ﴾ صفة لمحذوف، أي مثلاً من جنس كل مثل، ليتعظوا ﴿ فأبى أكثر الناس ﴾ أي أهل مكة ﴿ إلا كفوراً ﴾ جحوداً للحق.

٩٠ ﴿ وقالوا ﴾ عطف على أبى ﴿ لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً ﴾ عيناً ينبع منها الماء.

٩١ ﴿ أو تكون لك جنة ﴾ بستان ﴿ من نخيل وعنب فتفجر الأنهار

ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ
يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ
بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ
ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾
وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ
بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ
كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ
عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ
بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا
ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾
وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾
أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ

---

(١) تباعد عن الحق وتكبر، وعطفه جانبه.

(٢) من يتعهد ويلتزم باسترداده بعد رفعه.

(٣) وسمو التشريع، والإخبار عن المغيبات، وغير ذلك من وجوه الإعجاز.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ (ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة).

[البخاري: فضائل القرآن، باب: كيف نزول الوحي، وأول ما نزل، رقم: ٤٦٩٦. مسلم: الإيمان، باب: وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ، رقم: ١٥٢].

[أعطي ما مثله آمن عليه البشر: أجري على يديه من المعجزات الشيء الذي يقتضي إيمان من شاهدها بصدق دعواه، لأنها من خوارق العادات حسب زمانه ومكانه. أوتيته: المعجزة التي أعطيتها. وحياً: قرآناً موحى به من الله

=لك ملك السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد، أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد، أنت ملك السماوات=

أسباب نزول الآيات [٨٥، ٨٨، ٩٠]: عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنت مع النبيّ ﷺ في حرثٍ بالمدينة وهو يتوكأ على عسيب، فمرّ بنفر من اليهود، فقال بعضهم: سلوه عن الروح، وقال بعضهم لا تسألوه، لا يسمعكم ما تكرهون. فقاموا إليه فقالوا: يا أبا القاسم حدّثنا عن الروح، فقام ساعة ينظر، فعرفت أنه يوحى إليه فتأخرت عنه حتى صعد الوحي، ثم قال: ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي﴾ [البخاري. الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: ما يكره من كثرة السؤال وتكلف ما لا يعنيه، رقم: ٦٨٦٧].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قالت قريش لليهود: علمونا شيئاً نسأل هذا الرجل، فقالوا: سلوه عن الروح، فسألوه، فأنزل الله: ﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي ﴾ [الترمذي: تفسير القرآن، باب: ومن سورة بني إسرائيل، رقم: ٣١٣٩].

قال ابن كثير: يجمع بين الحديثين بتعدّد النزول، وكذا قال الحافظ ابن حجر، أو يحمل سكوته حين سؤال اليهود على توقع مزيد بيان في ذلك، وإلا فما في الصحيح أصح.

قال السيوطي: قلت: ويرجح ما في الصحيح بأن راويه حاضر القصة، بخلاف ابن عباس.

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أتى النبيّ ﷺ ابن مشكم في عامّة من يهود سماهم، فقالوا: كيف نتبعك وقد تركت

خلالها ﴾ وسطها ﴿ تفجيراً ﴾.

٩٢ ﴿ أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً ﴾ قطعاً ﴿ أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً ﴾ مقابلة وعياناً فنراهم.

٩٣ ﴿ أو يكون لك بيت من زخرف ﴾ ذهب ﴿ أو ترقى ﴾ تصعد ﴿ في السماء ﴾ على السلم ﴿ ولن نؤمن لرقيك ﴾ لو رقيت فيها ﴿ حتى تنزل علينا ﴾ منها ﴿ كتاباً ﴾ فيه تصديقك ﴿ نقرؤه قل ﴾ لهم ﴿ سبحان ربي ﴾ تعجب ﴿ هل ﴾ ما ﴿ كنت إلا بشراً رسولاً ﴾ كسائر الرسل، ولم يكونوا يأتون بآية⁽¹⁾ إلا بإذن الله.

٩٤ ﴿ وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا ﴾ أي قولهم منكرين ﴿ أبعث الله بشراً رسولاً ﴾ ولم يبعث ملكاً؟.

٩٥ ﴿قل﴾ لهم ﴿لو كان في الأرض﴾ بدل البشر ﴿ملائكة يمشون مطمئنين⁽²⁾ لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً ﴾ إذ لا يرسل إلى قوم رسول إلا من جنسهم، ليمكنهم مخاطبته والفهم عنه.

٩٦ ﴿ قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ﴾ على صدقي ﴿ إنه كان بعباده خبيراً بصيراً ﴾ عالماً ببواطنهم وظواهرهم.

٩٧ ﴿ ومن يهد الله فهو المهتدِ⁽³⁾ ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء ﴾ يهدونهم ﴿ من دونه⁽⁴⁾ ونحشرهم يوم القيامة ﴾ ماشين ﴿ على وجوههم عمياً وبكماً وصماً⁽⁵⁾ مأواهم⁽⁶⁾ جهنم كلما خبت ﴾ سكن لهيبها ﴿ زدناهم

خِلَٰلَهَا تَفۡجِيرًا (٩١) أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا
كِسَفًا أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا (٩٢) أَوۡ يَكُونَ لَكَ
بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ
حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥۗ قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ
كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا (٩٣) وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ
جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرٗا رَّسُولٗا (٩٤)
قُل لَّوۡ كَانَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَلَٰٓئِكَةٞ يَمۡشُونَ مُطۡمَئِنِّينَ لَنَزَّلۡنَا
عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكٗا رَّسُولٗا (٩٥) قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا
بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا (٩٦)
وَمَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُمۡ
أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِهِۦۖ وَنَحۡشُرُهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ
عُمۡيٗا وَبُكۡمٗا وَصُمّٗاۖ مَّأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ كُلَّمَا خَبَتۡ زِدۡنَٰهُمۡ

تعالى، يبقى إعجازه حجة على مر الأزمان، ولذلك يكثر المؤمنون به، ويوم القيامة يكون أتباعه العاملون بشريعته المنزلة أكثر من الأتباع العاملين بالشرع الحق لكل نبي].

(١) معجزة وأمر خارق للعادة والمألوف.

(٢) مستوطنين ساكنين.

(٣) من هيأ الله تعالى له أسباب الهداية ووفقه، لما علم فيه من الخير والاستعداد للاستقامة، فهو المهتدي الذي لا تقدر قوى الشر والطغيان جميعها أن تضله أو تنحرف به.

(٤) من حكم الله تعالى عليه بالشقاوة والضلالة، لما علم فيه من الشر والعزم على الانحراف، فلن يستطيع أحد أن يتولى نصرته وأمر هدايته، ويحميه مما أراده الله تعالى به.

(٥) نبعثهم ونجمعهم على تلك الحالة. أخرج البخاري [في التفسير/الفرقان، باب: قوله: ﴿الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم..﴾ رقم: ٤٤٨٢] ومسلم [صفات المنافقين وأحكامهم، باب: يحشر الكافر على وجهه، رقم: ٢٨٠٦] عن أنس رضي الله عنه: أن رجلاً قال: يا نبي الله، كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: (أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادراً على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة). قال قتادة حين بلغه: بلى وعزة ربنا.

(٦) مسكنهم.

= والأرض، ولك الحمد ، أنت الحق، ووعدك الحق ، ولقاؤك حق، وقولك حق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق ، ومحمد حق، والساعة حق، اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك انبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، انت المقدم وانت المؤخر، لا إله إلا انت. =

قبلتنا، وإن هذا الذي جئت به لا نراه متناسقاً كما تناسق التوراة، فأنزل علينا كتاباً نعرفه، وإلا جئناك بمثل ما تأتي به. فأنزل الله: ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجنّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله﴾ الآية. [السيوطي].

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن عتبة وشيبة ابني ربيعة، وأبا سفيان بن حرب، ورجلاً من بني عبد الدار، وأبا البختري، والأسود بن المطلب، وربيعة بن الأسود، والوليد بن المغيرة، وأبا جهل، وعبد الله بن أمية، وأمية بن خلف، والعاصي بن وائل، ونبيهاً ومنبهاً ابني الحجاج، اجتمعوا فقالوا: يا محمد، ما نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك، لقد سببت الأباء، وعبت الدين، وسفهت الأحلام، وشتمت الألهة، وفرّقت الجماعة، فما من قبيح إلا وقد جئته فيما بيننا وبينك، فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تريد مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثر مالاً، وإن كنت إنما تطلب الشرف فينا سوّدناك علينا، وإن كان هـذا الذي يأتيك بما يأتيك رئياً تراه قد غلب بذلنا أموالنا في طلب الطب حتى نبرئك منه، فقال رسول الله ﷺ: (ما بي ما تقولون، ولكن الله بعثني إليكم رسولاً، وأنزل عليّ كتاباً، وأمرني أ ن أكون لكم مبشراً ونذيراً). قالوا: فإن كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك، فقد علمت أنه ليس أحد من الناس أضيق بلاداً ولا أقلّ مالاً وأشدّ عيشاً منا. فلتسأل لنا ربك

سعيراً ﴾ تلهباً واشتعالاً.

٩٨ ﴿ ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا وقالوا ﴾ منكرين للبعث ﴿ ءإذا كنا عظاماً ورفاتاً(١) ءإنا لمبعوثون خلقاً جديداً ﴾.

٩٩ ﴿ أو لم يروا ﴾ يعلموا ﴿ أن الله الذي خلق السماوات والأرض ﴾ مع عظمهما ﴿ قادر على أن يخلق مثلهم ﴾ أي الأناسي، في الصغر ﴿ وجعل لهم أجلاً ﴾ للموت والبعث ﴿ لا ريب فيه فأبى الظالمون إلا كفوراً ﴾ جحوداً له.

١٠٠ ﴿ قل ﴾ لهم ﴿ لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي ﴾ من الرزق والمطر ﴿ إذاً لأمسكتم ﴾ لبخلتم ﴿ خشية الإنفاق ﴾ خوف نفادها بالإنفاق، فتقتروا ﴿ وكان الإنسان قتوراً ﴾ بخيلاً.

١٠١ ﴿ ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات ﴾ واضحات(٢) وهي: اليد والعصا والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس(٣) والسنين(٤) ونقص الثمرات(٥) ﴿ فاسأل ﴾ يا محمد ﴿ بني إسرائيل ﴾ عنه سؤال تقرير للمشركين على صدقك، أو: فقلنا له: اسأل، وفي قراءة بلفظ الماضي(٦) ﴿ إذ جاءهم فقال له فرعون إني لأظنك يا موسى مسحوراً ﴾ مخدوعاً مغلوباً على عقلك.

١٠٢ ﴿ قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء ﴾ الآيات ﴿ إلا رب السماوات والأرض بصائر ﴾ عبراً، ولكنك تعاند. وفي قراءة بضم التاء(٧) ﴿ وإني لأظنك يا فرعون مثبوراً ﴾ هالكاً، أو مصروفاً عن الخير.

١٠٣ ﴿ فأراد ﴾ فرعون ﴿ أن يستفزهم ﴾ يخرج موسى وقومه ﴿ من الأرض ﴾ أرض مصر ﴿ فأغرقناه ومن معه جميعاً ﴾.

١٠٤ ﴿ وقلنا

---

(١) هو كل شيء تجزأ وتفتت حتى صار كالتراب.

(٢) معجزات ودلائل واضحات على صدقه.

(٣) مسخ الأموال حجارة.

(٤) سنوات الجدب والقحط وقلة الغيث.

(٥) انظر/ الأعراف: ١٠٧، ١٠٨، ١٣٠، ١٣٣/.

(٦) وهي قراءة شاذة، فكان المناسب أن يقول: وقرىء.

(٧) في علمت، والمعنى: أيقنت وتحققت.

سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالُوٓا۟
أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾
۞ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ
قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ
فَأَبَى ٱلظَّـٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ
خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ
ٱلْإِنسَـٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَـٰتٍۭ
بَيِّنَـٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ
إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَـٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ
مَآ أَنزَلَ هَـٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ
وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَـٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم
مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَـٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا

= أو: لا إله غيرك).

وعن عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: (من تعارّ من الليل فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، الحمد لله، وسبحان الله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم يقول: اللهم اغفر لي، أو دعا، استجيب له، فإن توضأ وصلى قبلت صلاته).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (وأحب الصلاة إلى الله صلاة داود عليه السلام، وأحب الصيام إلى الله صيام داود، وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه، وينام سدسه، ويصوم يوماً ويفطر يوماً). [البخاري: التهجد، باب: التهجد بالليل..، وباب: من نام عند السحر، وباب: فضل من تعار من الليل فصلى، رقم: ١٠٦٩، ٢٠٧٩، ١١٠٣. مسلم: صلاة المسافرين وقصرها، باب: الدعاء في صلاة الليل وقيامه، رقم: ٧٦٩. الصيام، باب: النهي عن صوم الدهر..، رقم: ١١٥٩] تعار: انتبه وهو يسبح أو يستغفر أو يذكر الله تعالى بأي ذكر.

الذي بعثك فليسير عنا هذه الجبال التي ضيقت علينا، وليبسط لنا بلادنا، وليجر فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق، وليبعث لنا مَن قد مضى من آبائنا، فإن لم تفعل فسل ربك مَلَكاً يصدّقك بما تقول، وأن يجعل لنا جناناً وكنوزاً وقصوراً من ذهب وفضة، يغنيك بها عما نراك تبتغي، فإنك تقوم بالأسواق وتلتمس المعاش، فإن لم تفعل فأسقط السماء كما زعمت أن ربك إن شاء فعل، فإنا لن نؤمن لك إلا أن تفعل. فقام رسول الله ﷺ عنهم وقام معه عبد الله بن أبي أمية، فقال: يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم، ثم سألوك لأنفسهم أموراً ليعرفوا بها منزلتك من الله فلم تفعل ذلك، ثم سألوك أن تفعل ما تخوّفهم به من العذاب، فوالله لا أؤمن بك أبداً حتى تتخذ إلى السماء سلماً ثم ترقّي فيه وأنا أنظر، حتى تأتيها وتأتي معك بنسخة منشورة، ومعك أربعة من الملائكة، فيشهدوا لك أنك كما تقول. فانصرف رسول الله ﷺ حزيناً، فأنزل عليه ما قاله عبد الله بن أبي أمية: ﴿وقالوا لن نؤمن لك ـ إلى قوله ـ بشراً رسولاً﴾.

من بعده لبني إسرائيل اسكنوا الأرض فإذا جاء وعد الآخرة﴾ أي الساعة ﴿جئنا بكم لفيفاً﴾ جميعاً أنتم وهم.

١٠٥ ﴿ وبالحق أنزلناه ﴾ أي القرآن ﴿ وبالحق ﴾المشتمل عليه﴿ نزل ﴾ كما أنزل، لم يعتره تبديل ﴿ وما أرسلناك ﴾ يا محمد﴿ إلا مبشراً ﴾ من آمن بالجنة ﴿ ونذيراً ﴾ من كفر بالنار.

١٠٦ ﴿ وقرآناً ﴾ منصوب بفعل يفسره ﴿ فرقناه ﴾ نزلناه مفرقاً في عشرين سنة، أو: وثلاث(١)﴿ لتقرأه على الناس على مكث ﴾ مهل وتؤدة ليفهموه ﴿ ونزلناه تنزيلاً ﴾ شيئاً بعد شيء على حسب المصالح.

١٠٧ ﴿ قل ﴾ لكفار مكة ﴿ آمنوا به أو لا تؤمنوا ﴾ تهديد لهم ﴿ إن الذين أوتوا العلم من قبله ﴾ قبل نزوله، وهم مؤمنو أهل الكتاب ﴿ إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجداً ﴾.

١٠٨ ﴿ ويقولون سبحان ربنا ﴾ تنزيهاً له عن خلف الوعد ﴿ إن ﴾ مخففة ﴿ كان وعد ربنا ﴾ بنزوله وبعث النبي ﷺ ﴿ لمفعولاً ﴾.

١٠٩ ﴿ ويخرون للأذقان يبكون ﴾ عطف بزيادة صفة ﴿ ويزيدهم ﴾ القرآن ﴿ خشوعاً ﴾ تواضعاً لله تعالى. ١١٠ وكان ﷺ يقول: (يا الله، يا رحمن) فقالوا: ينهانا أن نعبد إلهين، وهو يدعو إلهاً آخر معه. فنزل ﴿ قل ﴾ لهم ﴿ ادعوا الله أو ادعوا الرحمن ﴾ أي سموه بأيهما، أو نادوه، بأن تقولوا: يا الله، يا رحمن ﴿ أياً ﴾ شرطية ﴿ ما ﴾ زائدة، أيْ أيّ هذين ﴿ تدعوا ﴾ فهو حسن، دل على هذا ﴿ فله ﴾ أي لمسماهما ﴿ الأسماء الحسنى ﴾ وهذان منها، فإنها كما في الحديث: (الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارىء المصور الغفار القهار الوهاب الرزاق الفتاح العليم القابض الباسط الخافض الرافع المعز المذل السميع البصير الحكم(٢) العدل اللطيف الخبير الحليم العظيم الغفور الشكور العلي الكبير الحفيظ المقيت الحسيب الجليل الكريم الرقيب المجيب الواسع الحكيم الودود المجيد الباعث الشهيد الحق الوكيل القوي المتين الولي الحميد المحصي المبدىء المعيد المحيي المميت الحي القيوم الواجد الماجد الواحد الأحد الصمد القادر المقتدر المقدم المؤخر الأول الآخر الظاهر الباطن الوالي المتعال البر التواب المنتقم العفو الرؤوف مالك الملك ذو الجلال والإكرام المقسط الجامع الغني المغني المانع الضار النافع النور الهادي البديع الباقي الوارث الرشيد الصبور). رواه الترمذي(٣). قال تعالى: ﴿ ولا تجهر بصلاتك ﴾ بقراءتك فيها، فيسمعك المشركون، فيسبوك ويسبوا القرآن ومن أنزله ﴿ ولا تخافت ﴾ تسر ﴿ بها ﴾ لينتفع أصحابك ﴿ وابتغ ﴾ اقصد ﴿ بين ذلك ﴾ الجهر والمخافتة ﴿ سبيلاً ﴾ طريقاً وسطاً.

مِنۢ بَعۡدِهِۦ لِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱسۡكُنُواْ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ
ٱلۡأٓخِرَةِ جِئۡنَا بِكُمۡ لَفِيفٗا ﴿١٠٤﴾ وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ وَبِٱلۡحَقِّ نَزَلَ
وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿١٠٥﴾ وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ
لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا ﴿١٠٦﴾
قُلۡ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوۡ لَا تُؤۡمِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ
إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِۤ سُجَّدٗا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبۡحَٰنَ
رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولٗا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ
يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعٗا۩ ﴿١٠٩﴾ ۞ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ
ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَلَا تَجۡهَرۡ
بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا ﴿١١٠﴾
وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ
فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا ﴿١١١﴾

١١١ ﴿ وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ﴾ في الألوهية ﴿ ولم يكن له ولي ﴾ ينصره ﴿ من ﴾ أجل ﴿ الذل ﴾ أي لم يذل فيحتاج إلى ناصر ﴿ وكبره تكبيراً ﴾ عظمه عظمة تامة عن اتخاذ الولد والشريك والذل وكل ما لا يليق به. وترتيب الحمد على ذلك للدلالة على أنه المستحق لجميع المحامد، لكمال ذاته وتفرده في صفاته. وروى الإمام أحمد في مسنده [٣/٤٣٩] عن معاذ الجهني، عن رسول الله ﷺ أنه كان يقول: (آية العز «الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك».. إلى آخر السورة) والله تعالى أعلم.

قال مؤلفه: هذا آخر ما كملت به تفسير القرآن الكريم، الذي ألفه الشيخ الإمام العالم العلامة المحقق جلال الدين(٤) -

---

(١) والصحيح أنها ثلاث وعشرون. (٢) ذو الحكم التام. (٣) في أبواب الدعوات، باب: أسماء الله الحسنى بالتفصيل، رقم: ٣٥٠٢، من طريق إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني. (٤) البقية في الصفحات التالية، وهي من أصل التفسير.

بسم الله الرحمن الرحيم

ويه نستعين، وصلى الله علي سيدنا محمد وآله وسلم

(سورة الكهف)

(مكية إلا الآية ٢٨ وآياتها ١١٠)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الحمد ﴾ وهو الوصف بالجميل، ثابت ﴿ لله ﴾ تعالى، وهل المراد الإعلام بذلك للإيمان به، أو الثناء به، أو هما؟ احتمالات، أفيدها الثالث ﴿ الذي أنزل على عبده ﴾ محمد ﴿ الكتاب ﴾ القرآن ﴿ ولم يجعل له ﴾ أي فيه ﴿ عوجاً ﴾ اختلافاً، أو تناقضاً. والجملة حال من الكتاب.

٢ ﴿ قيماً ﴾ مستقيماً، حال ثانية مؤكدة ﴿ لينذر ﴾ يخوف بالكتاب الكافرين ﴿ بأساً ﴾ عذاباً ﴿ شديداً من لدنه ﴾ من قبل الله ﴿ ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً ﴾. ٣ ﴿ ماكثين فيه أبداً ﴾ هو الجنة.

٤ ﴿ وينذر ﴾ من جملة الكافرين ﴿ الذين قالوا اتخذ الله ولداً ﴾.

٥ ﴿ما لهم به﴾ بهذا القول ﴿من علم[1] ولا لآبائهم﴾ من قبلهم القائلين له ﴿ كبرت ﴾ عظمت ﴿ كلمة تخرج من أفواههم﴾ كلمة تمييز مفسر للضمير المبهم[2]، والمخصوص بالذم محذوف[3]، أي مقالتهم المذكورة ﴿ إن ﴾ ما ﴿ يقولون ﴾ في ذلك ﴿ إلا ﴾ مقولاً ﴿ كذباً ﴾.

٦ ﴿ فلعلك باخع ﴾ مهلك ﴿ نفسك على آثارهم ﴾ بعدهم، أي بعد توليهم عنك ﴿ إن لم يؤمنوا بهذا الحديث ﴾ القرآن ﴿ أسفاً ﴾ غيظاً وحزناً منك، لحرصك على إيمانهم؟ ونصبه على المفعول له[4].

٧ ﴿ إنا جعلنا ما على الأرض ﴾ من الحيوان، والنبات، والشجر، والأنهار، وغير ذلك ﴿ زينة لها

(١٨) سورة الكهف مكية وآياتها عشر ومائة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتب ولم يجعل
له عوجا ﴿١﴾ قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر
المؤمنين الذين يعملون الصلحت أن لهم أجرا
حسنا ﴿٢﴾ مكثين فيه أبدا ﴿٣﴾ وينذر الذين قالوا اتخذ
الله ولدا ﴿٤﴾ ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت
كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا ﴿٥﴾
فلعلك بخع نفسك على ءاثرهم إن لم يؤمنوا بهذا
الحديث أسفا ﴿٦﴾ إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها

---

(١) لأنه يستحيل عقلاً على الله تعالى أن يتخذ ولداً.

(٢) أي المستتر والمقدر في قوله ﴿كبرت﴾ وتقديره: هي.

(٣) أي قوله ﴿كبرت﴾ فعل ماض لإنشاء الذم، والمخصوص بالذم محذوف، قدره المفسر بقوله: مقالتهم المذكورة، أي قولهم: اتخذ الله ـ تعالى ـ ولداً. فهي قولة مذمومة.

(٤) أي نصب قوله ﴿أسفاً﴾ على أنه مفعول لأجله.

فائدة: في فضل سورة الكهف.

عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنهما قال: قرأ رجل الكهف وفي الدّار الدابة، فجعلت تنفر،فسلم، فإذا ضبابة ـ أو سحابة ـ غشيته، فذكره للنبي ﷺ فقال:(اقرأ فلان، فإنها السكينة نزلت للقرآن.أو: تنزلت للقرآن). [البخاري: المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام، رقم:=

ـ المحلي الشافعي رضي الله عنه، وقد أفرغت فيه جهدي، وبذلت فكري فيه في نفائس ـ أراها ان شاء الله تعالى ـ تجدي. وألفته في مدة قدر ميعاد الكليم، وجعلته وسيلة للفوز بجنات النعيم، وهو في الحقيقة مستفاد من الكتاب المكمل، وعليه في الآي المتشابهة الاعتماد والمعول(*)،فرحم الله امرءاً نظر بعين الإنصاف إليه، ووقف فيه على خطأ فأطلعني عليه. وقد قلت:

حمدت الله ربي إذ هداني لما أبديت مع عجزي وضعفي
فمن لي بالخطأ فأرد عنه ومن لي بالقبول ولو بحرف

هذا، ولم يكن قط في خلدي أن أتعرض لذلك، لعلمي بالعجز عن الخوض في هذه المسالك، وعسى الله أن ينفع به نفعاً جماً، ويفتح به قلوباً غلفاً، وأعيناً عمياً، وآذاناً صماً، وكأني بمن اعتاد المطولات، وقد أضرب عن هذه التكملة وأصلها حسماً، وعدل إلى صريح العناد، ولم يوجه إلى دقائقها فهماً﴿ومن كان في هذه أعمى فهو الآخرة أعمى﴾ـ

(*) ميعاد الكليم: مدة تكليم الله تعالى لموسى عليه السلام أربعين يوماً. الكتاب المكمل: هو ما كتبه الجلال المحلي. المعول: المعتمد والمرجع.

لنبلوهم ﴾ لنختبر الناس، ناظرين إلى ذلك ﴿ أيهم أحسن عملاً ﴾ فيه، أي أزهد له.

٨ ﴿ وإنا لجاعلون ما عليها صعيداً ﴾ فتاتاً ﴿ جرزاً ﴾ يابساً لا ينبت(١).

٩ ﴿ أم حسبت ﴾ أي ظننت ﴿ أن أصحاب الكهف ﴾ الغار في الجبل ﴿ والرقيم ﴾ اللوح المكتوب فيه أسماؤهم وأنسابهم، وقد سئل ﷺ عن قصتهم ﴿ كانوا ﴾ في قصتهم ﴿ من ﴾ جملة ﴿ آياتنا عجباً ﴾ خبر كان، وما قبله حال، أي كانوا عجباً دون باقي الآيات؟ أو: أعجبها؟ ليس الأمر كذلك.

١٠ اذكر ﴿ إذ أوى الفتية إلى الكهف ﴾ جمع فتى، وهو الشاب الكامل، خائفين على إيمانهم من قومهم الكفار ﴿ فقالوا ربنا آتنا من لدنك ﴾ من قبلك ﴿ رحمة وهيىء ﴾ أصلح ﴿ لنا من أمرنا رشداً ﴾ هداية.

١١ ﴿ فضربنا على آذانهم ﴾ أي أنمناهم ﴿ في الكهف سنين عدداً ﴾ معدودة.

١٢ ﴿ ثم بعثناهم ﴾ أيقظناهم ﴿ لنعلم ﴾ علم مشاهدة(٢) ﴿ أي الحزبين ﴾ الفريقين المختلفين في مدة لبثهم ﴿ أحصى ﴾ أفعل بمعنى أضبط ﴿ لما لبثوا ﴾ للبثهم، متعلق بما بعده ﴿ أمداً ﴾ غاية.

لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيۡهَا
صَعِيدٗا جُرُزًا ﴿٨﴾ أَمۡ حَسِبۡتَ أَنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡكَهۡفِ
وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنۡ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذۡ أَوَى ٱلۡفِتۡيَةُ إِلَى
ٱلۡكَهۡفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةٗ وَهَيِّئۡ لَنَا
مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدٗا ﴿١٠﴾ فَضَرَبۡنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمۡ فِي ٱلۡكَهۡفِ
سِنِينَ عَدَدٗا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِنَعۡلَمَ أَيُّ ٱلۡحِزۡبَيۡنِ أَحۡصَىٰ
ع لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدٗا ﴿١٢﴾ نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ نَبَأَهُم بِٱلۡحَقِّۚ
إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى ﴿١٣﴾ وَرَبَطۡنَا عَلَىٰ
قُلُوبِهِمۡ إِذۡ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ
لَن نَّدۡعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهٗاۖ لَّقَدۡ قُلۡنَآ إِذٗا شَطَطًا ﴿١٤﴾
هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم
بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖۖ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ﴿١٥﴾

١٣ ﴿ نحن نقص ﴾ نقرأ ﴿ عليك نبأهم بالحق ﴾ بالصدق ﴿ إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى ﴾.

١٤ ﴿ وربطنا على قلوبهم ﴾ قويناهم على قول الحق ﴿ إذ قاموا ﴾ بين يدي ملكهم، وقد أمرهم بالسجود للأصنام ﴿ فقالوا ربنا رب السماوات والأرض لن ندعو من دونه ﴾ أي غيره ﴿ إلهاً لقد قلنا إذاً شططاً ﴾ أي قولاً ذا شطط، أي إفراط في الكفر، إن دعونا إلهاً غير الله، فرضاً.

١٥ ﴿ هؤلاء ﴾ مبتدأ ﴿ قومنا ﴾ عطف بيان ﴿ اتخذوا من دونه آلهة لولا ﴾ هلا ﴿ يأتون عليهم ﴾ على عبادتهم ﴿ بسلطان بين ﴾ بحجة ظاهرة ﴿ فمن أظلم ﴾ أي لا أحد أظلم ﴿ ممن افترى على الله كذباً ﴾ بنسبة الشريك إليه تعالى.

---

(١) صعيداً جرزاً: الصعيد وجه الأرض أو التراب، والجرز الأملس اليابس الذي لا ينبت فيه شيء. والمعنى: نعيدها خراباً بعد عمارتها.

(٢) أي ليظهر ويشاهد ما تعلق به علمنا الأزلي.

- ٣٤١٨. مسلم: صلاة المسافرين وقصرها، باب: نزول السكينة لقراءة = القرآن، رقم ٧٩٥. [رجل: هو أسيد بن حضير رضي الله تعالى عنه. فسلم: دعا بالسلامة. ضبابة: سحابة تغطي الأرض بالدخان. غشيته: أحاطت به. اقرأ فلان: أي كان ينبغي أن تستمر بالقراءة وتغتنم ماحصل لك من نزول الرحمة. السكينة: هي شيء من مخلوقات الله تعالى، فيه طمأنينة ورحمة، ومعه ملائكة يستمعون القرآن]. وعن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: (من حفظ عشر آياتٍ من أول سورة الكهف. وفي رواية: من أول الكهف - عُصِمَ - من الدَّجال).

[مسلم: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل سورة الكهف وآية =

- / الاسراء: ٧٢/ رزقنا الله به هداية إلى سبيل الحق، وتوفيقاً واطلاعاً على دقائق كلماته وتحقيقاً، وجعلنا به مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

وفرغ من تأليفه يوم الأحد عاشر شوّال سنة سبعين وثمانمائة، وكان الابتداء في يوم الأربعاء مستهل رمضان من السنة المذكورة، وفرغ من تبييضه يوم الأربعاء سادس صفر سنة إحدى وسبعين وثمانمائة والله أعلم. قال الشيخ شمس الدين محمد بن أبي بكر الخطيب الطوخي: أخبرني صديقي الشيخ كمال الدين المحلي، أخو شيخنا الشيخ جلال الدين المحلي رحمهما الله تعالى: أنه رأى أخاه الشيخ جلال الدين المذكور في النوم، وبين يديه صديقنا الشيخ العلاّمة المحقق جلال الدين السيوطي مصنف هذه التكملة، وقد أخذ الشيخ هذه التكلمة في يديه وتصفحها، ويقول لمصنفها المذكور: أيهما أحسن، وضعي أو وضعك؟ فقال: وضعي، فقال: انظر، وعرض عليه مواضع فيها، منها: أن الشيخ قال في سورة صٓ: والروح جسم لطيف يحيا به الإنسان بنفوذه فيه، وكنت تبعته أولاً، فذكرت هذا الحد في سورة =

١٦ قال بعض الفتية لبعض ﴿ وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيء لكم من أمركم مرفقاً ﴾ بكسر الميم وفتح الفاء وبالعكس، ما ترتفقون(١) به من غداء وعشاء.

١٧ ﴿ وترى الشمس إذا طلعت تزاور ﴾ بالتشديد والتخفيف(٢)، تميل ﴿ عن كهفهم ذات اليمين ﴾ ناحيته ﴿ وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال ﴾ تتركهم وتتجاوز عنهم، فلا تصيبهم ألبتة ﴿ وهم في فجوة منه ﴾ متسع من الكهف، ينالهم برد الريح ونسيمها ﴿ ذلك ﴾ المذكور ﴿ من آيات الله ﴾ دلائل قدرته ﴿ من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً ﴾(٣).

١٨ ﴿ وتحسبهم ﴾ لو رأيتهم ﴿ أيقاظاً ﴾ أي منتبهين، لأن أعينهم منفتحة، جمع يقظ، بكسر القاف ﴿ وهم رقود ﴾ نيام، جمع راقد ﴿ ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال ﴾ لئلا تأكل الأرض لحومهم ﴿ وكلبهم باسط ذراعيه ﴾ يديه ﴿ بالوصيد ﴾ بفِناء الكهف، وكانوا إذا انقلبوا انقلب هو مثلهم في النوم واليقظة ﴿ لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملئت ﴾ بالتشديد والتخفيف(٤) ﴿ منهم رعباً ﴾ بسكون العين وضمها، منعهم الله بالرعب من دخول أحد عليهم.

١٩ ـ ﴿ وكذلك ﴾ كما فعلنا بهم ما ذكرنا ﴿ بعثناهم ﴾ أيقظناهم ﴿ ليتساءلوا بينهم ﴾ عن حالهم ومدة لبثهم ﴿ قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم ﴾ لأنهم دخلوا الكهف عند طلوع الشمس، وبعثوا عند غروبها، فظنوا أنه غروب يوم الدخول. ثم ﴿ قالوا ﴾ متوقفين في ذلك ﴿ ربكم أعلم بما لبثتم فابعثوا أحدكم بورقكم ﴾ بسكون الراء وكسرها(٥)، بفضتكم ﴿ هذه إلى المدينة ﴾ يقال: إنها المسماة الآن طرسوس، بفتح الراء(٦)

وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ
يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم
مِّرۡفَقٗا ﴿١٦﴾ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن
كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ
ٱلشِّمَالِ وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ مِّنۡهُۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِۗ مَن
يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا
مُّرۡشِدٗا ﴿١٧﴾ وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا وَهُمۡ رُقُودٞۚ وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ
ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ وَكَلۡبُهُم بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ بِٱلۡوَصِيدِۚ
لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ فِرَارٗا وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ
رُعۡبٗا ﴿١٨﴾ وَكَذَٰلِكَ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيۡنَهُمۡۚ قَالَ قَآئِلٞ
مِّنۡهُمۡ كَمۡ لَبِثۡتُمۡۖ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۚ قَالُواْ رَبُّكُمۡ
أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثۡتُمۡ فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ

---

(١) تتنعمون.

(٢) للزاي، أي ﴿تَزَّاوَرُ﴾ و﴿تَزَاوَرُ﴾ قراءتان

(٣) من وفقه الله تعالى للهداية لما علمه فيه من الميل للحق، فهو المهتدي الذي لا يقدر أحد أن يضله. ومن كتب عليه الضلالة، لعلمه بعناده وميله للشر، فلن يوجد من يعينه على الهداية والرشاد.

(٤) للام، أي ﴿لَمُلِئْتَ﴾ و﴿لَمُلِّئْتَ﴾ قراءتان متواترتان.

(٥) أي ﴿بِوَرْقِكُم﴾ و﴿بِوَرِقِكُمْ﴾ قراءتان متواترتان.

(٦) أي: طَرَسُوس، وهي مدينة كانت بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم، قال صاحب معجم البلدان: وما زالت موطناً للصالحين والزهاد يقصدونها، لأنها من ثغور المسلمين، ثم لم تزل مع المسلمين في أحسن حال، وخرج منها جماعة من أهل الفضل.

= الكرسي، رقم: ٨٠٩] عصم: ومنع وحفظ من فتنته وشره.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: (من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين). وفي رواية موقوفة عليه رضي الله عنه: (ليلة الجمعة أضاء له من النور فيما بينه وبين البيت العتيق). [البيهقي: الجمعة، باب: ما يؤمر به في ليلة الجمعة ويومها. . : ٣/٢٤٩. الدارمي: فضائل القرآن، باب: في فضل سورة الكهف].

= الحجر، ثم ضربت عليه لقوله تعالى: ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي﴾ الآية. . فهيَ صريحَة ـ أو كالصريحة ـ في أن الروح من علم الله تعالى لا نعلمه، فالإمساك عن تعريفها أولى، ولذا قال الشيخ تاج الدين بن السبكي في جمع الجوامع: والروح لم يتكلم عليها محمد ﷺ، فنمسك عنها. ومنها: أن الشيخ قال في سورة الحج: الصابئون فرقة من اليهود، فذكرت ذلك في سورة البقرة، وزدت: أو النصارى، بياناً لقول ثانٍ، فإنه المعروف، خصوصاً عند أصحابنا الفقهاء، وفي المنهاج(*): وان خالفت السامرة اليهود، والصابئة النصارى، في أصل دينهم حَرُمْنَ. وفي شروحه: أن الشافعي رضي الله عنه نص على أن الصابئين فرقة من النصارى. ولا أستحضر الآن موضعاً ثالثاً، فكأن الشيخ رحمه الله تعالى يشير الى مثل هذا، والله أعلم بالصواب، واليه المرجع والمآب.

(*) كتاب في الفقه الشافعي للنووي رحمه الله تعالى. وقوله: حَرُمْنَ، أي حرم على المسلم نكاحهن.

﴿ فلينظر أيها أزكى طعاماً ﴾ أي: أيّ أطعمة المدينة أحل ﴿ فليأتكم برزق منه وليتلطف(١) ولا يشعرن بكم أحداً ﴾.

٢٠ ﴿ إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم ﴾ يقتلوكم بالرجم(٢) ﴿ أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا إذاً ﴾ أي إن عدتم في ملتهم ﴿ أبداً ﴾.

٢١ ﴿ وكذلك ﴾ كما بعثناهم ﴿ أعثرنا ﴾ أطلعنا ﴿ عليهم ﴾ قومهم والمؤمنين ﴿ ليعلموا ﴾ أي قومهم ﴿ أن وعد الله ﴾ بالبعث ﴿ حق ﴾ بطريق: أن القادر على إنامتهم المدة الطويلة، وإبقائهم على حالهم بلا غذاء، قادر على إحياء الموتى ﴿ وأن الساعة لا ريب ﴾ لا شك ﴿ فيها إذ ﴾ معمول لأعثرنا ﴿ يتنازعون ﴾ أي المؤمنون والكفار ﴿ بينهم أمرهم ﴾ أمر الفتية، في البناء حولهم ﴿ فقالوا ﴾ أي الكفار ﴿ ابنوا عليهم ﴾ أي حولهم ﴿ بنياناً ﴾ يسترهم ﴿ ربهم أعلم بهم قال الذين غلبوا على أمرهم ﴾ أمر الفتية، وهم المؤمنون ﴿ لنتخذن عليهم ﴾ حولهم ﴿ مسجداً ﴾ يصلى فيه. وفعل ذلك على باب الكهف.

٢٢ ﴿ سيقولون ﴾ أي المتنازعون في عدد الفتية في زمن النبي ﷺ، أي يقول بعضهم: هم ﴿ ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون ﴾ أي بعضهم ﴿ خمسة سادسهم كلبهم ﴾ والقولان لنصارى نجران ﴿ رجماً بالغيب ﴾ أي ظناً بالغيبة عنهم، وهو راجع إلى القولين معاً، ونصبه على المفعول له، أي لظنهم ذلك ﴿ ويقولون ﴾ أي المؤمنون ﴿ سبعة وثامنهم كلبهم ﴾ الجملة من المبتدأ وخبره صفة سبعة بزيادة الواو، وقيل: تأكيد ودلالة على لصوق الصفة بالموصوف، ووصف الأولين بالرجم دون الثالث دليل على أنه مرضي وصحيح ﴿ قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل ﴾(٣) قال ابن عباس: أنا من القليل، وذكرهم سبعة ﴿ فلا تمار ﴾ تجادل ﴿ فيهم إلا مراءً ظاهراً ﴾ بما أنزل عليك ﴿ ولا تستفت فيهم ﴾ تطلب الفتيا ﴿ منهم ﴾ من أهل الكتاب اليهود ﴿ أحداً ﴾.

٢٣ وسأله أهل مكة عن خبر أهل الكهف فقال: (أخبركم به غداً) ولم يقل إن شاء الله(٤)، فنزل: ﴿ولا تقولن لشيء ﴾ أي لأجل شيء ﴿ إني فاعل ذلك غدا ﴾ أي فيما يستقبل من الزمان.

٢٤ ﴿ إلا أن يشاء الله ﴾ أي إلا متلبساً بمشيئة الله تعالى، بأن تقول: إن شاء الله(٥).

٣٨٣ (سورة الكهف)

فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ
وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ
يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾
وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ
ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا۟
ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ
أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ
رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا
بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ
بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً
ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ
لِشَا۟ىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ

---

(١) ليترفق في الطريق والمدينة، وليكن في ستر وكتمان.

(٢) وهو الرمي بالحجارة حتى الموت.

(٣) كالنبي ﷺ وأصحابه الذين أخبرهم بخبرهم. أو المراد: القليل من أهل الكتاب.

(٤) قال ابن عباس رضي الله عنهما: فمكث رسول الله ﷺ خمس عشرة ليلة لا يُحْدِثُ الله إليه في ذلك وحياً، ولا يأتيه جبرائيل عليه السلام، حتى أرجف أهل مكة وقالوا: وعدنا محمد غداً، واليوم خمس عشرة قد أصبحنا فيها، لا يخبرنا بشيء مما سألناه عنه. وحتى أحزن رسول الله ﷺ مكث الوحي عنه، وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة، ثم جاءه جبرائيل عليه السلام من الله عزّوجلّ بسورة أصحاب الكهف، فيها: معاتبته إياه على حزنه عليهم، وخبر ما سألوه عنه من أمر الفتية والرجل الطوّاف. [ابن جرير الطبري في تفسيره].

[أرجف. . : خاضوا في الأقاويل الباطلة. الرجل الطواف: الكثير السير في الأرض، وهو ذو القرنين الذي ذكرت قصته في سورة الكهف].

(٥) قال ابن كثير في تفسيره: هذا إرشاد من الله لرسوله - صلوات الله وسلامه عليه - إلى الأدب فيما إذا عزم على شيء ليفعله في المستقبل: أن يرد ذلك إلى مشيئة الله عزّوجلّ، علام الغيوب، الذي يعلم ما كان وما يكون، وما لم يكن: لو كان كيف كان يكون، كما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: (قال سليمان بن داود عليهما السلام: لأطوفن الليلة على سبعين امرأة - وفي رواية: تسعين امرأة، وفي رواية: مائة امرأة - تلد كل امرأة منهن غلاماً يقاتل في سبيل الله. فقيل له - وفي رواية: فقال له الملك - قل: إن شاء الله. فلم يقل، فطاف بهن فلم تلد منهن إلا امرأة

﴿ واذكر ربك ﴾ أي مشيئته معلقاً بها ﴿ إذا نسيت ﴾ التعليق بها، ويكون ذكرها بعد النسيان كذكرها مع القول، قال الحسن وغيره: ما دام في المجلس ﴿ وقل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا ﴾ من خبر أهل الكهف في الدلالة على نبوتي ﴿ رشداً ﴾ هداية، وقد فعل الله ذلك.

٢٥ ﴿ ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة ﴾ بالتنوين ﴿ سنين ﴾ عطف بيان لثلثمائة، وهذه السنون الثلثمائة عند أهل الكتاب شمسية، وتزيد القمرية عليها عند العرب تسع سنين، وقد ذكرت في قوله ﴿ وازدادوا تسعاً ﴾ أي تسع سنين، فثلثمائة الشمسية ثلثمائة وتسع قمرية.

٢٦ ﴿ قل الله أعلم بما لبثوا ﴾ ممن اختلفوا فيه، وهو ما تقدم ذكره ﴿ له غيب السماوات والأرض ﴾ أي علمه ﴿ أبصر به ﴾ أي بالله، هي صيغة تعجب ﴿ وأسمع ﴾ به كذلك، بمعنى ما أبصره وما أسمعه، وهما على جهة المجاز، والمراد: أنه تعالى لا يغيب عن بصره وسمعه شيء ﴿ ما لهم ﴾ لأهل السماوات والأرض ﴿ من دونه من ولي ﴾ ناصر ﴿ ولا يشرك في حكمه أحداً ﴾ لأنه غني عن الشريك.

٢٧ ﴿ واتل ما أوحي إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته(١) ولن تجد من دونه ملتحداً ﴾ ملجأ.

٢٨ ﴿ واصبر نفسك ﴾ احبسها ﴿ مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي(٢) يريدون ﴾ بعبادتهم ﴿ وجهه ﴾ تعالى، لا شيئاً من أعراض الدنيا، وهم الفقراء ﴿ ولا تعد ﴾ تنصرف ﴿ عيناك عنهم ﴾ عبر بهما عن صاحبهما ﴿ تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا ﴾ أي القرآن، هو عيينة بن حصن وأصحابه(٣) ﴿ واتبع هواه ﴾ في الشرك ﴿ وكان أمره فرطاً ﴾ إسرافاً.

٢٩ ﴿ وقل ﴾ له ولأصحابه: هذا القرآن ﴿ الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ﴾ تهديد لهم ﴿ إنا أعتدنا للظالمين ﴾ أي الكافرين ﴿ ناراً أحاط بهم سرادقها ﴾ ما أحاط بها(٤)

وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ۚ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى
لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ
مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ۖ
لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم
مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾
وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ
وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ
يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ
عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ
أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾
وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ
فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ

واحدة نصف إنسان، قال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده، لو قال: إن شاء الله، لم يحنث، وكان دركاً لحاجته). وفي رواية: (ولقاتلوا في سبيل الله فرساناً أجمعون).

[الحديث أخرجه البخاري في عدة مواضع من صحيحه، منها: الإيمان، باب: الاستثناء في اليمين، رقم: ٦٣٤١، وبعض ألفاظه هنا في مواضع أخرى. مسلم: في الأيمان، باب: الاستثناء، رقم: ١٦٥٤].

[لأطوفن: المراد أن يدور عليهن ويجامعهن. لم يحنث: لم يتخلف ما حلف عليه ويسبب له الحنث، وهو مخالفة مقتضى اليمين. دركاً: تحقيقاً وبلوغاً لأمله وما رغب فيه].

(١) أي لا يقدر أحد على أن يغير شيئاً من القرآن أو يبدله أو يمحوه، إذ تكفل الله عزّ وجلّ بحفظه، قال تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾/الحجر: ٩/. وهذا من دلائل صدق نبوته ﷺ إذ أخبر بهذا عن الله تعالى في قرآنه، وتحقق ذلك في واقع الحال، فهذا القرآن ـ وقد مضى على نزوله أربعة عشر قرناً ـ ولم يتمكن أحد من خلق الله تعالى أن يغير فيه حرفاً واحداً، أو يعارضه بقليل أو كثير، رغم الهجمات الشرسة المتعددة والمتنوعة، التي يشنها الحاقدون على الإسلام وشرعته، والمحاولات العاتية لتشويه حقائقه وطمس معالمه.

(٢) أوائل النهار وأواخره، وأوائل الليل وأواخره، والمراد استغراق أوقاتهم في طاعة الله عزّ وجلّ.

(٣) إن صح هذا عنه فقد قاله قبل أن يسلم، ثم أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه.

(٤) أخرج الترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (لسُرادق النار أربعة جُدُر، كِثَفُ كل جدار مسيرة أربعين سنة). قال ابن عباس رضي الله عنهما: هو حائط من نار. كثف: سَمْك وغِلظ.

[الترمذي: أبواب صفة جهنم، باب: ما جاء في صفة شراب أهل النار، رقم: ٢٥٨٧].

سبب نزول الآية [٢٨]: أخرج الواحدي بسنده عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: جاءت المؤلفة القلوب إلى رسول الله ﷺ: عيينة بن

﴿ وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل ﴾ كعكر الزيت ﴿ يشوي الوجوه ﴾ من حره إذا قرب منها(١) ﴿ بئس الشراب ﴾ هو ﴿ وساءت ﴾ أي النار ﴿ مرتفقاً ﴾ تمييز منقول عن الفاعل، أي قبح مرتفقها، وهو مقابل لقوله الآتي في الجنة «وحسنت مرتفقاً» وإلا فأي ارتفاق في النار(٢)؟.

٣٠ ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً ﴾ الجملة(٣) خبر «إنَّ الذين» وفيها إقامة الظاهر مقام المضمر، والمعنى: أجرهم، أي نثيبهم بما تضمنه:

٣١ ﴿ أولئك لهم جنات عدن ﴾ إقامة ﴿ تجري من تحتهم الأنهار يحلون فيها من أساور ﴾ قيل من زائدة، وقيل للتبعيض، وهي جمع أسورة كأحمرة، جمع سوار ﴿ من ذهب ويلبسون ثياباً خضراً من سندس ﴾ ما رَقَّ من الديباج ﴿ وإستبرق ﴾ ما غلظ منه، وفي آية الرحمن/ ٥٤/ «بطائنها من إستبرق» ﴿ متكئين فيها على الأرائك ﴾ جمع أريكة، وهي السرير في الحجلة، وهي بيت يزين بالثياب والستور للعروس ﴿ نعم الثواب ﴾ الجزاء الجنة ﴿ وحسنت مرتفقاً ﴾.

وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ
بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾
أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَـٰرُ يُحَلَّوْنَ
فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن
سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ نِعْمَ
ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ * وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا
رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَـٰبٍ وَحَفَفْنَـٰهُمَا
بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا
وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا وَفَجَّرْنَا خِلَـٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ
ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَـٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا
وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ

٣٢ ﴿ واضرب ﴾ اجعل ﴿ لهم ﴾ للكفار مع المؤمنين ﴿ مثلاً رجلين ﴾ بدل، وهو وما بعده تفسير للمثل ﴿ جعلنا لأحدهما ﴾ الكافر ﴿ جنتين ﴾ بستانين ﴿ من أعناب وحففناهما بنخل(٤) وجعلنا بينهما زرعاً ﴾ يقتات به.

٣٣ ﴿ كلتا الجنتين ﴾ كلتا مفرد يدل على التثنية مبتدأ ﴿ آتت ﴾ خبره ﴿ أكلها ﴾ ثمرها ﴿ ولم تظلم ﴾ تنقص ﴿ منه شيئاً وفجرنا ﴾ أي شققنا ﴿ خلالهما نهراً ﴾ يجري بينهما.

٣٤ ﴿ وكان له ﴾ مع الجنتين ﴿ ثمر ﴾ بفتح الثاء والميم، وبضمهما، وبضم الأول وسكون الثاني(٥)، وهو جمع ثمرة، كشجرة وشجر، وخشبة وخُشُب، وبدنة وبُدْن(٦) ﴿ فقال لصاحبه ﴾ المؤمن ﴿ وهو يحاوره ﴾ يفاخره ﴿ أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً ﴾ عشيرة.

٣٥ ﴿ ودخل جنته ﴾ بصاحبه، يطوف به فيها، ويريه أثمارها(٧). ولم يقل جنتيه إرادة للروضة(٨)، وقيل: اكتفاءً بالواحد ﴿ وهو ظالم لنفسه ﴾ بالكفر ﴿ قال

---

(١) أخرج الترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال في قوله سبحانه ﴿بماء كالمهل﴾ قال: (كعكر الزيت، فإذا قرب إليه سقطت فروة وجهه فيه) أي جلدة وجهه. [أبواب صفة جهنم، باب: ما جاء في صفة شراب أهل النار، رقم: ٢٥٨٧].

(٢) أي قيل في شراب أهل النار مرتفق من باب المشاكلة، ليشابه في التسمية شراب أهل الجنة، وأما من حيث الحقيقة فهو ليس بمرتفق، لأن المرتفق هو ما ينتفع به، وأي نفع فيما ذكر.

(٣) أي جملة ﴿إنا لا نضيع..﴾ والمعنى: إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات غير ضائع أجر عملهم الصالح.

(٤) جعلنا النخل حولهما ومحيطاً بكل منهما.

(٥) فالقراءات ثلاثة: ﴿ثَمَر﴾ و﴿ثُمُر﴾ و﴿ثُمْر﴾.

(٦) والبدنة ما يقدم هدياً لبيت الله الحرام، من إبل وبقر.

(٧) في نسخة (آثارها) أي بهجتها وحسنها.

(٨) وهي الموضع المعجب بالزهور ونحوها، وقيل: كان للبستانين سور واحد، وقيل عنهما جنتان للنهر الجاري بينهما.

حصن والأقرع بن حابس وذووهم، فقالوا: يا رسول الله، إنك لو جلست في صدر المجلس، ونحيت عنا هؤلاء وأرواح جبابهم ـ يعنون سلمان وأبا ذر وفقراء المسلمين، وكانت عليهم جباب الصوف، لم يكن عليهم غيرها ـ جلسنا إليك وحادثناك وأخذنا عنك. فأنزل الله تعالى: ﴿واتْلُ ما أُوحِيَ إليكَ مِنْ كتابِ ربِّكَ لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحداً. واصْبِرْ نَفْسَكَ مع الذينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بالغَدَاةِ والعَشِيِّ يرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ حتى بلغ ﴿إنَّا أعْتَدْنَا للظَّالمينَ ناراً﴾ يتهددهم بالنار، فقام النبي ﷺ يتلمسهم، حتى إذا أصابهم في مؤخر المسجد يذكرون الله تعالى قال: (الحمد لله الذي لم يمتني

ما أظن أن تبيد ﴾ تنعدم ﴿ هذه أبداً ﴾.

٣٦ ﴿ وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي ﴾ في الآخرة، على زعمك ﴿ لأجدن خيراً منها منقلباً ﴾ مرجعاً.

٣٧ ﴿ قال له صاحبه وهو يحاوره ﴾ يجاوبه ﴿ أكفرت بالذي خلقك من تراب ﴾ لأن آدم خلق منه ﴿ ثم من نطفة ﴾ مني ﴿ ثم سواك ﴾ عدلك وصيرك ﴿ رجلاً ﴾.

٤٨ ﴿ لكنا ﴾ أصله: لكن أنا، نقلت حركة الهمزة إلى النون، أو حذفت الهمزة، ثم أدغمت النون في مثلها ﴿ هو ﴾ ضمير الشأن تفسره الجملة بعده، والمعنى: أنا أقول ﴿ الله ربي ولا أشرك بربي أحداً ﴾.

٣٩ ﴿ ولولا ﴾ هلا ﴿ إذ دخلت جنتك قلت ﴾ عند إعجابك بها: هذا ﴿ ما شاء الله لا قوة إلا بالله ﴾ وفي الحديث: (من أعطي خيراً من أهل أو مال، فيقول عند ذلك: ما شاء الله لا قوة إلا بالله، لم يرَ فيه مكروهاً)(١)﴿ إن ترن أنا ﴾ ضمير فصل بين المفعولين(٢) ﴿ أقل منك مالاً وولداً ﴾.

٤٠ ﴿ فعسى ربي أن يؤتين خيراً من جنتك ﴾ جواب الشرط ﴿ ويرسل عليها حسباناً ﴾ جمع حسبانة، أي صواعق ﴿ من السماء فتصبح صعيداً زلقاً ﴾ أرضاً ملساء لا يثبت عليها قدم.

٤١ ﴿ أو يصبح ماؤها غوراً ﴾ بمعنى غائراً، عطف على يرسل دون تصبح، لأن غور الماء لا يتسبب عن الصواعق(٣) ﴿ فلن تستطيع له طلباً ﴾ حيلة تدركه بها.

٤٢ ﴿ وأحيط بثمره ﴾ بأوجه الضبط السابقة(٤)، مع جنته بالهلاك فهلكت ﴿ فأصبح يقلب كفيه ﴾ ندماً وتحسراً ﴿ على ما أنفق فيها ﴾ في عمارة جنته ﴿ وهي خاوية ﴾ ساقطة ﴿ على عروشها ﴾ دعائمها للكرم(٥)، بأن سقطت، ثم سقط الكرم ﴿ ويقول يا ﴾ للتنبيه ﴿ ليتني لم أشرك بربي أحداً ﴾.

٤٣ ﴿ ولم تكن ﴾ بالتاء والياء ﴿ له فئة ﴾ جماعة ﴿ ينصرونه من دون الله ﴾ عند هلاكها ﴿ وما كان منتصراً ﴾ عند هلاكها بنفسه.

٤٤ ﴿ هنالك ﴾ أي يوم القيامة ﴿ الولاية ﴾ بفتح الواو

مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً
وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾
قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن
تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ
رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ
قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ
مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ
وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾
أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾
وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا
وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّيٓ
أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ

---

(١) أي لم يصب فيه بمصيبة أو أمر يكرهه. اخرج ابن كثير هذا الحديث في تفسيره بسنده عن أنس رضي الله عنه بلفظ: قال رسول الله ﷺ: (ما أنعم الله على عبد نعمة من أهل أو مال أو ولد، فيقول: ما شاء الله لا قوة إلا بالله، فيرى فيه آفة دون الموْت). وكان يتاول هذه الآية: ﴿ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله﴾. [آفة: مصيبة وأذى. يتاول: يفسرها بهذا]. وعن أبي بلج، عن عمرو بن ميمون قال: قال أبو هريرة رضي الله عنه: قال لي نبي الله ﷺ: (يا أبا هريرة، أدلك على كلمة، كنز من كنوز الجنة تحت العرش). قال: قلت: نعم، فداك أبي وأمي. قال: (أن تقول لا قوة إلا بالله ـ قال أبو بلج: وأحسب أنه قال ـ فإن الله عزّ وجلّ يقول: أسلم عبدي واستسلم). قال: فقلت لعمرو: قال أبو بلج: قال عمرو: قلت لأبي هريرة: لا حول ولا قوة إلا بالله؟ فقال: لا، إنها في سورة الكهف: ﴿ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله﴾. [مسند أحمد ٢/٣٣٥].

(٢) أي قوله ﴿أنا﴾ ضمير فصل بين مفعولي ترى، والمفعول الأول ياء المتكلم المحذوفة من ﴿ترن﴾ والأصل: ترني، والمفعول الثاني ﴿أقلّ﴾.

(٣) فيكون المعنى: ويرسل عليها صواعق.. أو يغور ماءها.

(٤) في لفظ ﴿ثمر﴾ الآية/ ٣٥/.

(٥) الكرم شجر العنب، والدعائم جمع دعامة، وهي ما ينصب من خشب ونحوه ليمد عليه الكرم.

حتى أمرني أن أصبر نفسي مع رجال من امتي، معكم المحيا ومعكم الممات).

كما أخرج بسنده ـ أيضاً ـ عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في قوله تعالى: ﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا﴾. قال: نزلت في أمية بن خلف الجمحي، وذلك أنه دعا النبي ﷺ إلى أمر كرهه من تحرد الفقراء عنه وتقريب صناديد أهل مكة، فانزل الله تعالى: ﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا﴾ يعني من ختمنا على قلبه عن التوحيد ﴿واتبع هواه﴾ يعني الشرك. [المؤلفة قلوبهم: أي الذين ما يزال الإيمان ضعيفاً في قلوبهم،

النصرة، وبكسرها المِلك ﴿ لله الحق ﴾ بالرفع صفة الولاية، وبالجر صفة الجلالة ﴿ هو خير ثواباً ﴾ من ثواب غيره لو كان يثيب ﴿ وخير عقباً ﴾ بضم القاف وسكونها، عاقبة المؤمنين، ونصبهما(١) على التمييز.

٤٥ ﴿ واضرب ﴾ صير ﴿ لهم ﴾ لقومك ﴿ مثل الحياة الدنيا ﴾ مفعول أول ﴿ كماء ﴾ مفعول ثانٍ ﴿ أنزلناه من السماء فاختلط به ﴾ تكاثف(٢) بسبب نزول الماء ﴿ نبات الأرض ﴾ أو امتزج الماء بالنبات فروي وحَسُن ﴿ فأصبح ﴾ صار النبات ﴿ هشيماً ﴾ يابساً متفرقة أجزاؤه ﴿ تذروه ﴾ تنثره وتفرقه ﴿ الرياح ﴾ فتذهب به، المعنى: شبه الدنيا بنبات، حَسُن، فيبس، فتكسر، ففرقته الرياح. وفي قراءة «الريح» ﴿ وكان الله على كل شيء مقتدراً ﴾ قادراً.

٤٦ ﴿ المال والبنون زينة الحياة الدنيا ﴾ يتجمل بهما فيها ﴿ والباقيات الصالحات ﴾ هي: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر(٣). زاد بعضهم: ولا حول ولا قوة إلا بالله ﴿ خير عند ربك ثواباً وخير أملاً ﴾ أي ما يأمله الإنسان ويرجوه عند الله تعالى.

٤٧ ﴿ و ﴾ اذكر ﴿ يوم تسير الجبال ﴾ يذهب بها عن وجه الأرض فتصير «هباءً منبثاً» وفي قراءة بالنون وكسر الياء ونصب الجبال ﴿ وترى الأرض بارزة ﴾ ظاهرة، ليس عليها شيء من جبل ولا غيره ﴿ وحشرناهم ﴾ المؤمنين والكافرين ﴿ فلم نغادر ﴾ نترك ﴿ منهم أحداً ﴾.

٤٨ ﴿ وعرضوا على ربك صفاً ﴾ حال، أي مصطفين، كل أمة صف، ويقال لهم: ﴿ لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة ﴾ أي فرادى، حفاة عراة غرلاً(٤)، ويقال لمنكري البعث ﴿ بل زعمتم أ ﴾ ن مخففة من الثقيلة، أي أنه ﴿ لن نجعل لكم موعداً ﴾ للبعث.

٤٩ ﴿ ووضع الكتاب ﴾ كتاب كل امرىء: في يمينه من المؤمنين، وفي شماله من الكافرين ﴿ فترى المجرمين ﴾ الكافرين ﴿ مشفقين ﴾ خائفين ﴿ مما فيه ويقولون ﴾ عند معاينتهم ما فيه من السيئات ﴿ يا ﴾ للتنبيه ﴿ ويلتنا ﴾ هلكتنا، وهو مصدر لا فعل له من لفظه ﴿ مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة ﴾ من ذنوبنا ﴿ إلا أحصاها ﴾ عدها وأثبتها(٥)، تعجبوا منه في ذلك ﴿ ووجدوا ما عملوا

وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ
ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا
كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ
فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ
مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْبَٰقِيَٰتُ
ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ وَيَوْمَ
نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ
نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ
جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ
لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ
مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ
لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟

---

(١) أي نصب ﴿ثواباً﴾ و﴿عقباً﴾.

(٢) كثر حتى خالط بعضه بعضاً والتف.

(٣) روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس).
[كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: فضل التهليل والتسبيح والدعاء، رقم: ٢٦٩٥].

(٤) جمع أغرل وهو غير المختون، والختان قطع الجلدة التي تكون على رأس ذكر الصبي عند الولادة.
أخرج البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قام فينا رسول الله ﷺ بموعظة فقال: (أيها الناس، إنكم تحشرون إلى الله حفاة عراة غرلاً ﴿كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين﴾ الأنبياء: ١٠٤/.).
[البخاري: الرقاق، باب: كيف الحشر، رقم: ٦١٥٩ـ ٦١٦١. مسلم: الجنة وصفة نعيمها، باب: فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، رقم: ٢٨٥٩].

(٥) عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إياكم ومحقرات الذنوب، فإنما مثل محقرات الذنوب مثل قوم نزلوا في بطن وادٍ، فجاء هذا بعود وجاء هذا بعود وجاء هذا بعود ، فأنضجوا خبزهم. وإن محقرات الذنوب لموبقات) أي إن الذنوب الصغيرة التافهة التي لا يؤبه بها تؤدي إلى الهلاك، كالأعواد: كل منها منفرداً لا يساوي شيئاً ولا يؤبه به، وحين اجتمعت كان لها أثر، فأنضجت الخبز.
[والحديث أخرجه أحمد في مسنده عن سعد رضي الله عنه: ٣٣١/٥. كما أخرجه عن ابن مسعود، رضي الله عنه: ٤٠٢/١].

ويحتاجون إلى شيء من التأليف والرعاية حتى يقوى يقينهم. أرواح: جمع ريح. جبابهم: جمع جُبّة، وهي ثوب معروف. تحرّد: تنحّي. صناديد: جمع صِنْديد، وهو السيد الشجاع].

حاضراً ﴾ مثبتاً في كتابهم ﴿ **ولا يظلم ربك أحداً** ﴾ لا يعاقبه بغير جرم، ولا ينقص من ثواب مؤمن.

٥٠ ﴿ **وإذ** ﴾ منصوب باذكر ﴿ **قلنا للملائكة اسجدوا لآدم** ﴾ سجود انحناء لا وضع جبهة، تحية له ﴿ **فسجدوا إلا إبليس كان من الجن** ﴾ قيل: هم نوع من الملائكة، فالاستثناء متصل، وقيل: هو منقطع(١)، وإبليس هو أبو الجن، فله ذرية ذكرت معه بعد، والملائكة لا ذرية لهم ﴿ **ففسق عن أمر ربه** ﴾ أي خرج عن طاعته بترك السجود ﴿ **أفتتخذونه وذريته** ﴾ الخطاب لآدم وذريته، والهاء في الموضعين لإبليس ﴿ **أولياء من دوني** ﴾ تطيعونهم ﴿ **وهم لكم عدو** ﴾ أي أعداء، حال ﴿ **بئس للظالمين بدلاً** ﴾ إبليس وذريته، في إطاعتهم بدل إطاعة الله(٢).

٥١ ﴿ **ما أشهدتهم** ﴾ أي إبليس وذريته ﴿ **خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم** ﴾ أي لم أحضر بعضهم خلق بعض ﴿ **وما كنت متخذ المضلين** ﴾ الشياطين ﴿ **عضداً** ﴾ أعواناً في الخلق، فكيف تطيعونهم؟.

٥٢ ﴿ **ويوم** ﴾ منصوب باذكر ﴿ **يقول** ﴾ بالياء والنون ﴿ **نادوا شركائي** ﴾ الأوثان ﴿ **الذين زعمتم** ﴾ ليشفعوا لكم بزعمكم ﴿ **فدعوهم فلم يستجيبوا لهم** ﴾ لم يجيبوهم ﴿ **وجعلنا بينهم** ﴾ بين الأوثان وعابديها ﴿ **موبقاً** ﴾ وادياً من أودية جهنم، يهلكون فيه جميعاً، وهو من وبَق - بـالفتح - هلك.

حَاضِرًاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ﴿٤٩﴾ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ
ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ
عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن
دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢۚ بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا ﴿٥٠﴾
۞ مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ
أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا ﴿٥١﴾ وَيَوۡمَ
يَقُولُ نَادُواْ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ فَدَعَوۡهُمۡ فَلَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ
لَهُمۡ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُم مَّوۡبِقٗا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ
ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمۡ يَجِدُواْ عَنۡهَا مَصۡرِفٗا ﴿٥٣﴾
وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٖۚ وَكَانَ
ٱلۡإِنسَٰنُ أَكۡثَرَ شَيۡءٖ جَدَلٗا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن
يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّهُمۡ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمۡ

٥٣ ﴿ **ورأى المجرمون النار فظنوا** ﴾ أي أيقنوا ﴿ **أنهم مواقعوها** ﴾ أي واقعون فيها ﴿ **ولم يجدوا عنها مصرفاً** ﴾ معدلاً.

٥٤ ﴿ **ولقد صرفنا** ﴾ بينا ﴿ **في هذا القرآن للناس من كل مثل** ﴾ صفة لمحذوف، أي مثلاً من جنس كل مثل، ليتعظوا ﴿ **وكان الإنسان** ﴾ أي الكافر ﴿ **أكثر شيء جدلاً** ﴾ خصومة في الباطل، وهو تمييز منقول من اسم كان، المعنى: وكان جدل الإنسان أكثر شيء فيه(٣).

٥٥ ﴿ **وما منع الناس** ﴾ أي كفار مكة ﴿ **أن يؤمنوا** ﴾ مفعول ثانٍ ﴿ **إذ جاءهم الهدى** ﴾ القرآن ﴿ **ويستغفروا ربهم إلا أن تأتيهم**

---

(١) الاستثناء المنقطع هو ما كان المستثنى فيه من غير جنس المستثنى منه، والمتصل ما كان المستثنى فيه من جنس المستثنى منه. فعلى القول إن إبليس من الملائكة يكون الاستثناء متصلاً، وعلى القول إنه ليس من الملائكة ـ وهو الأصح ـ فالاستثناء منقطع.

(٢) أخرج مسلم عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إن إبليس يضع عرشه على الماء، ثم يبعث سراياه، فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة، يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا، فيقول: ما صنعت شيئاً، ثم يجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته. قال: فيدنيه منه ويقول: نعم أنت).
[كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب: تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس. .، رقم: ٢٨١٣].

(٣) أخرج البخاري ومسلم عن علي رضي الله عنه: أن رسول الله

فائدة: في التحذير من الذنوب والحث على أداء الحقوق. عن سعد بن جنادة رضي الله عنه. قال: لما فرغ رسول الله ﷺ من غزوة حنين، نزلنا قفراً من الأرض، ليس فيه شيء، فقال النبي ﷺ: (اجمعوا، من وجد عوداً فليأت به، ومن وجد حطباً أو شيئاً فليأت به). قال: فما كان إلا ساعة حتى جعلناه رُكاماً، فقال النبي ﷺ: (أترون هذا؟ فكذلك تجمع الذنوب على الرجل منكم كما جمعتم هذا، فليتق الله رجل ولا يذنب صغيرة ولا كبيرة، فإنها محصاة عليه). [أخرجه الطبراني] [قفراً: مكاناً سهلاً صحراء. ركاما: كومة بعضها فوق بعض].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: بلغني حديث عن رجل سمعه من رسول الله ﷺ، فاشتريت بعيراً ثم شددت عليه رحلي، فسرت عليه شهراً، حتى قدمت عليه الشام، فإذا عبد الله بن أنس، فقلت للبواب: قل له: جابر على الباب. فقال: ابنَ عبدِ الله؟ فقلت: نعم. فخرج يطأ ثوبه فاعتنقني واعتنقته، فقلت: حديث بلغني عنك أنك سمعته من رسول الله ﷺ في القِصاص، فخشيت أن تموت أو أموت قبل أن أسمعه. فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (يحشر الله عزَّ وجلَّ الناس يوم القيامة ـ أو قال: العباد ـ عراة غُرْلاً بُهْماً ـ قلت: وما بهماً؟ قال: ليس معهم شيء ـ ثم يناديهم بصوت يسمعه من بعد، كما يسمعه من قرب: أنا الملك، أنا الديان، لا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار وله عند أحد من أهل الجنة حق، حتى أقصه منه. ولا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة، وله عند رجل من أهل النار حق، حتى أقصه منه، حتى اللطمة). قال: قلنا:

سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ
ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟
هُزُوًا ﴿٥٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ
عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً
أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ
فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ
لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم
مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ
أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾
وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ
أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا

سنة الأولين ﴾ فاعل، أي سنتنا فيهم، وهي الإهلاك المقدر عليهم ﴿ أو يأتيهم العذاب قِبَلاً ﴾ مقابلة وعياناً، وهو القتل يوم بدر، وفي قراءة بضمتين جمع قبيل، أي أنواعاً.

٥٦ ﴿ وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ﴾ للمؤمنين ﴿ ومنذرين ﴾ مخوفين للكافرين ﴿ ويجادل الذين كفروا بالباطل ﴾ بقولهم: «أبعث الله بشراً رسولاً» الإسراء: ٩٤/ - ونحوه ﴿ ليدحضوا به ﴾ ليبطلوا بجدالهم ﴿ الحق ﴾ القرآن ﴿ واتخذوا آياتي ﴾ أي القرآن ﴿ وما أنذروا ﴾ به من النار ﴿ هزواً ﴾ سخرية.

٥٧ ﴿ ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسي ما قدمت يداه ﴾ ما عمل من الكفر والمعاصي ﴿ إنا جعلنا على قلوبهم أكنة ﴾ أغطية ﴿ أن يفقهوه ﴾ أي من أن يفهموا القرآن، أي فلا يفهمونه ﴿ وفي آذانهم وقراً ﴾ ثقلاً، فلا يسمعونه ﴿ وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذاً ﴾ أي بالجعل المذكور ﴿ أبداً ﴾.

٥٨ ﴿ وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم ﴾ في الدنيا ﴿ بما كسبوا لعجل لهم العذاب ﴾ فيها[1] ﴿ بل لهم موعد ﴾ وهو يوم القيامة ﴿ لن يجدوا من دونه موئلاً ﴾ ملجأ.

٥٩ ﴿ وتلك القرى ﴾ أي أهلها، كعاد وثمود وغيرهما ﴿ أهلكناهم لما ظلموا ﴾ كفروا ﴿ وجعلنا لمُهْلَكهم ﴾ لإهلاكهم، وفي قراءة بفتح الميم[2]، أي لهلاكهم ﴿ موعداً ﴾.

٦٠ ﴿ و ﴾ اذكر ﴿ إذ قال موسى ﴾ هو ابن عمران ﴿ لفتاه ﴾ يوشع بن نون، كان يتبعه ويخدمه، ويأخذ عنه العلم ﴿ لا أبرح ﴾ لا أزال أسير ﴿ حتى أبلغ مجمع البحرين ﴾ ملتقى بحر الروم وبحر فارس مما يلي المشرق، أي المكان الجامع لذلك ﴿ أو أمضي حقباً ﴾ دهراً طويلاً في بلوغه إن بعد.

٦١ ﴿ فلما بلغا مجمع بينهما ﴾ بين البحرين ﴿ نسيا حوتهما ﴾ نسي يوشع حمله عند الرحيل، ونسي موسى تذكيره

ﷺ طرقه وفاطمة ليلاً ، فقال: (ألا تصليان) فقلت: يا رسول الله، أنفسنا بيد الله تعالى، فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا. فانصرف رسول الله ﷺ حين قلت ذلك ولم يرجع إلي شيئاً، ثم سمعته يقول وهو مول يضرب فخذه بيده: ﴿وكان الإنسان أكثر شيئاً جدلاً﴾.

[البخاري: التهجد، باب: تحريض النبي ﷺ على صلاة الليل والنوافل من غير إيجاب، رقم: ١٠٧٥. مسلم: صلاة المسافرين وقصرها، باب: استحباب صلاة الضحى، رقم: ٧١٨].

كيف، وإنما نأتي الله عزّ وجلّ عراة غرلاً بُهما؟ قال: (بالحسنات والسيئات). [مسند أحمد: ٣/٤٩٥] [غرلا: جمع أغرل وهو الذي لم يختن].

وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (إن الجماء لتقتص من القرناء يوم القيامة). [مسند أحمد: ١/١٢] الجماء: التي لا قرون لها.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (أتدرون ما المفلس). قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال: (إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا. فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته. فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه. ثم طرح في النار). [مسلم: البر والصلة. . ، باب: تحريم الظلم، رقم: ٢٥٨١] قذف: اتهمه بالزنا.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: (إذا خلص المؤمنون من النار حبسوا بقنطرة بين الجنة والنار، فيتقاصون مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا نقوا وهذبوا أذن لهم بدخول الجنة، فوالذي نفسي محمد - ﷺ - بيده، لأحدهم لمسكنه في الجنة أدل بمنزله كان في الدنيا). [البخاري: المظالم، باب: قصاص المظالم، رقم: ٢٣٠٨]. حبسوا: أوقفوا. بقنطرة: كل شيء ينصب على طرفي واد أو جانبي نهر ونحوه. فيتقاصون: من القصاص، والمعنى: يتراضون فيما بينهم ويتسامحون، عما كان لبعضهم من تبعات على بعض. نقوا وهذبوا: خلصوا من جميع الآثام، ولم يبق على أحدهم أية تبعة، من التنقية وهي تمييز الجيد من الرديء، والتهذيب وهو التخليص. أدل: أكثر دلالة وأعرف].

---

[1] فمن رحمته لا يعجل لهم العقوبة.

[2] القراءات المتواترة فيها ثلاث: ﴿لِمَهْلِكِهِم﴾ بفتح الميم وكسر اللام التي بعد الهاء، و﴿ لِمَهْلَكِهِم ﴾ بفتح الميم واللام، و﴿لِمُهْلَكِهِم﴾ بضم الميم وفتح اللام.

﴿ فاتخذ ﴾ الحوت ﴿ سبيله في البحر ﴾ أي جعله بجعل الله ﴿ سرباً ﴾ أي مثل السرب، وهو: الشق الطويل لا نفاد له، وذلك: أن الله تعالى أمسك عن الحوت جري الماء، فانجاب عنه⁽¹⁾، فبقي كالكوة لم يلتئم⁽²⁾ وجمد ما تحته منه.

٦٢ ﴿ فلما جاوزا ﴾ ذلك المكان، بالسير إلى وقت الغداء من ثاني يوم ﴿ قال ﴾ موسى ﴿ لفتاه آتنا غداءنا ﴾ هو ما يؤكل أول النهار ﴿ لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً ﴾ تعباً، وحصوله بعد المجاوزة.

٦٣ ﴿ قال أرأيت ﴾ أي تنبه ﴿ إذ أوينا إلى الصخرة ﴾ بذلك المكان ﴿ فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان ﴾ يبدل من الهاء ﴿ أن أذكره ﴾ بدل اشتمال، أي أنساني ذكره ﴿ واتخذ ﴾ الحوت ﴿ سبيله في البحر عجباً ﴾ مفعول ثانٍ، أي يتعجب منه موسى وفتاه، لما تقدم في بيانه.

٦٤ ﴿ قال ﴾ موسى ﴿ ذلك ﴾ أي فقدنا الحوت ﴿ ما ﴾ أي الذي ﴿ كنا نبغ ﴾ نطلبه، فإنه علامة لنا على وجود من نطلبه ﴿ فارتدا ﴾ رجعا ﴿ على آثارهما ﴾⁽³⁾ يقصانها ﴿ قصصاً ﴾ فأتيا الصخرة.

٦٥ ﴿ فوجدا عبداً من عبادنا ﴾ هو الخضر ﴿ آتيناه رحمة من عندنا ﴾ نبوة في قول، وولاية في آخر، وعليه أكثر العلماء ﴿ وعلمناه من لدنا ﴾ من قبلنا ﴿ علماً ﴾ مفعول ثانٍ، أي معلوماً من المغيبات. روى البخاري حديث: (أن موسى قام خطيباً في بني إسرائيل، فسئل: أي الناس أعلم؟ فقال: أنا، فعتب الله عليه، إذ لم يرد العلم إليه، فأوحى الله إليه: إن لي عبداً بمجمع البحرين، هو أعلم منك. قال موسى: يا رب، فكيف لي به؟ قال: تأخذ معك حوتاً فتجعله في مكتل⁽⁴⁾، فحيثما فقدت الحوت فهو ثَمَّ، فأخذ حوتاً فجعله في مكتل، ثم انطلق، وانطلق معه فتاه يوشع بن نون، حتى أتيا الصخرة ووضعا رأسيهما فناما، واضطرب الحوت في المكتل فخرج منه، فسقط في البحر، فاتخذ سبيله في البحر سرباً، وأمسك الله عن الحوت جرية الماء، فصار عليه مثل الطاق، فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت، فانطلقا بقية يومهما وليلتهما، حتى إذا كانا من الغداة، قال موسى لفتاه: آتنا غداءنا، إلى قوله: «واتخذ سبيله في البحر عجباً» قال: وكان للحوت سرباً، ولموسى ولفتاه عجباً) الخ⁽⁵⁾.

فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ سَرَبٗا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ
ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدۡ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبٗا ﴿٦٢﴾ قَالَ
أَرَءَيۡتَ إِذۡ أَوَيۡنَآ إِلَى ٱلصَّخۡرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلۡحُوتَ
وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ أَنۡ أَذۡكُرَهُۥۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ
فِي ٱلۡبَحۡرِ عَجَبٗا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبۡغِۚ فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ
ءَاثَارِهِمَا قَصَصٗا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ
رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ
هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا ﴿٦٦﴾ قَالَ
إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ﴿٦٧﴾ وَكَيۡفَ تَصۡبِرُ عَلَىٰ
مَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ خُبۡرٗا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ
صَابِرٗا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا
تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا ﴿٧٠﴾

٦٦ ﴿ قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رَشَداً ﴾ أي صواباً أرشد به، وفي قراءة بضم الراء وسكون الشين، وسأله ذلك لأن الزيادة في العلم مطلوبة.

٦٧ ﴿ قال إنك لن تستطيع معي صبراً ﴾. ٦٨ ﴿ وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً ﴾ في الحديث السابق، عقب هذه الآية: (ياموسى، إني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه، وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه). وقوله «خبراً» مصدر بمعنى لم تحط - أي لم تخبر - حقيقته. ٦٩ ﴿ قال ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي ﴾ أي وغير عاص ﴿ لك أمراً ﴾ تأمرني به، وقيد بالمشيئة لأنه لم يكن على ثقة من نفسه فيما التزم، وهذه عادة الأنبياء والأولياء: أن لا يثقوا بأنفسهم طرفة عين⁽⁶⁾.

---

(١) انقطع وانكشف.

(٢) يلتصق ويختلط، والكوة: الطاقة غير النافذة في الجدار.

(٣) يتتبعان آثار خطاهما في الطريق الذي جاءا منه تتبعاً.

(٤) وعاء مثل القفة.

(٥) البخاري: التفسير/الكهف، باب: ﴿وإذ قال موسى لفتاه..﴾ رقم: ٤٤٤٨.

(٦) أي إنهم يعتمدون على الله تعالى ويربطون كل أمر بمشيئته.

فائدة: أخرج ابن جرير الطبري في تفسير الآية [٦٨]: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سأل موسى ربه عز وجل فقال: ربِّ، أي عبادك أحب إليك؟ قال: الذي يذكرني ولا ينساني. قال: فأي عبادك أقضى؟ قال: الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى. قال: أي ربِّ، أي عبادك أعلم؟ قال: الذي يبتغي علم الناس إلى علم نفسه، عسى أن يصيب كلمة تهديه إلى هُدى أو ترده عن ردى.

٧٠ ﴿قال فإن اتبعتني فلا تسألني﴾ وفي قراءة بفتح اللام وتشديد النون ﴿عن شيء﴾ تنكره مني في علمك، واصبر ﴿حتى أحدث لك منه ذكراً﴾ أي أذكره لك بعلته، فقبل موسى شرطه، رعاية لأدب المتعلم مع العالم.

٧١ ﴿فانطلقا﴾ يمشيان على ساحل البحر ﴿حتى إذا ركبا في السفينة﴾ التي مرت بهما ﴿خرقها﴾ الخضر، بأن اقتلع لوحاً أو لوحين منها من جهة البحر بفأس، لما بلغت اللجج(١) ﴿قال﴾ له موسى ﴿أخرقتها لتغرق أهلها﴾ وفي قراءة بفتح التحتية والراء ورفع أهلها(٢) ﴿لقد جئت شيئاً إمراً﴾ أي عظيماً منكراً، روي: أن الماء لم يدخلها.

٧٢ ﴿قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبراً﴾.

٧٣ ﴿قال لا تؤاخذني بما نسيت﴾ أي غفلت عن التسليم لك، وترك الإنكار عليك ﴿ولا ترهقني﴾ تكلفني ﴿من أمري عسراً﴾ مشقة في صحبتي إياك، أي عاملني فيها بالعفو واليسر.

٧٤ ﴿فانطلقا﴾ بعد خروجهما من السفينة يمشيان ﴿حتى إذا لقيا غلاماً﴾ لم يبلغ الحنث(٣)، يلعب مع الصبيان، أحسنهم وجهاً ﴿فقتله﴾ الخضر، بأن ذبحه بالسكين مضطجعاً، أو اقتلع رأسه بيده، أو ضرب رأسه بالجدار، أقوال، وأتى هنا بالفاء العاطفة لأن القتل عقب اللقاء، وجواب إذا ﴿قال﴾ موسى ﴿أقتلت نفساً زاكية﴾ أي طاهرة لم تبلغ حد التكليف، وفي قراءة «زكية» بتشديد الياء بلا ألف ﴿بغير نفس﴾ أي لم تقتل نفساً ﴿لقد جئت شيئاً نكراً﴾ بسكون الكاف وضمها، أي منكراً.

٧٥ ﴿قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً﴾ زاد لك على ما قبله لعدم العذر هنا.

٧٦ ولهذا ﴿قال إن سألتك عن شيء بعدها﴾ أي بعد هذه المرة ﴿فلا تصاحبني﴾ لا تتركني أتبعك ﴿قد بلغت من لدني﴾ بالتشديد والتخفيف(٤)، من قبلي ﴿عذراً﴾ في مفارقتك لي(٥).

٧٧ ﴿فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية﴾ هي أنطاكية ﴿استطعما أهلها﴾ طلبا منهم الطعام ضيافة ﴿فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جداراً﴾ ارتفاعه مائة ذراع ﴿يريد أن ينقض﴾ أي يقرب أن يسقط لميلانه ﴿فأقامه﴾ الخضر بيده(٦) ﴿قال﴾ له موسى ﴿لو شئت لَتَخِذْتَ﴾ وفي قراءة «لاتَّخَذْتَ» ﴿عليه أجراً﴾ جُعْلاً، حيث لم يضيفونا مع حاجتنا إلى الطعام.

٧٨ ﴿قال﴾ له الخضر ﴿هذا فراق﴾ أي وقت فراق ﴿بيني وبينك﴾ فيه إضافة بين إلى غير متعدد، سوغها تكريرة بالعطف بالواو(٧) ﴿سأنبئك﴾ قبل فراقي لك ﴿بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً﴾.

فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا
لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ
إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا
نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ
إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ
لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ * قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ
لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍۭ
بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِي ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾
فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟
أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ
قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي
وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾

---

(١) جمع لجة وهي الماء الغزير.

(٢) أي ﴿لِيَغْرَقَ أهلُها﴾.

(٣) المعصية والذنب، أي لم يبلغ حد التكليف الذي يصبح به مسؤولاً عن ذلك.

(٤) أي ﴿لَدُنِّي﴾ و ﴿لَدُنِي﴾.

(٥) روى البخاري ومسلم عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (رحمة الله علينا وعلى موسى - وكان إذا ذكر أحداً من الأنبياء بدأ بنفسه - لولا أنه عجل لرأى العجب، ولكنه أخذته من صاحبه ذمامة، فقال: ﴿إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذراً﴾ فلو صبر لرأى العجب) [ذمامة: حياء وإشفاق من الذم واللوم].
[البخاري: العلم، باب: ما يستحب للعالم إذا سئل أي الناس أعلم؟ فيكل العلم إلى الله، رقم: ١٢٢. مسلم: الفضائل، باب: من فضائل الخضر عليه السلام، رقم: ٢٣٨٠].

(٦) في حديث كعب رضي الله عنه السابق: (فقال الخضر بيده هكذا فأقامه).

(٧) أي الأصل أن تضاف [بين] لمتعدد، كأن يقال: بيننا.. بينكم، فأضيفت هنا إلى غير متعدد، ولكن لما جيء بها متكررة معطوفة بالواو صارت كأنه قال: بيننا.

٧٩ ﴿ أما السفينة فكانت لمساكين ﴾ عشرة ﴿ يعملون في البحر ﴾ بها مؤاجرة لها، طلباً للكسب ﴿ فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ﴾ إذا رجعوا، أو أمامهم الآن ﴿ ملك ﴾ كافر ﴿ يأخذ كل سفينة ﴾ صالحة ﴿ غصباً ﴾ نصبه على المصدر المبين لنوع الأخذ.

٨٠ ﴿ وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغياناً وكفراً ﴾ فإنه، كما في حديث مسلم: (طبع كافراً[1])، ولو عاش لأرهقهما ذلك، لمحبتهما له يتبعانه في ذلك.

٨١ ﴿ فأردنا أن يبدلهما ﴾ بالتشديد والتخفيف[2] ﴿ ربهما خيراً منه زكاة ﴾ أي صلاحاً وتقى ﴿ وأقرب ﴾ منه ﴿ رحماً ﴾ بسكون الحاء وضمها، رحمة، وهي البر بوالديه، فأبدلهما تعالى جارية[3] تزوجت نبياً فولدت نبياً، فهدى الله تعالى به أمة.

٨٢ ﴿وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز﴾ مال مدفون من ذهب وفضة ﴿لهما وكان أبوهما صالحاً ﴾ فحفظا بصلاحه في أنفسهما ومالهما ﴿ فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ﴾ أي إيناس رشدهما ﴿ ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك ﴾ مفعول له، عامله أراد[4] ﴿ وما فعلته ﴾ أي ما ذكر من خرق السفينة، وقتل الغلام، وإقامة الجدار ﴿ عن أمري ﴾ أي اختياري، بل بأمر إلهام من الله ﴿ ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبراً ﴾ ويقال: اسطاع واستطاع بمعنى أطاق، ففي هذا وما قبله جمع بين اللغتين، ونوعت العبارة في فأردت، فأردنا، فأراد ربك[5].

٨٣ ﴿ ويسألونك ﴾ أي اليهود ﴿ عن ذي القرنين ﴾ اسمه الإسكندر، ولم يكن نبياً[6] ﴿ قل سأتلوا ﴾ سأقص ﴿ عليكم منه ﴾ من حاله ﴿ ذكراً ﴾ خبراً.

٨٤ ﴿ إنا مكنا له في الأرض ﴾ بتسهيل السير فيها ﴿ وآتيناه من كل شيء ﴾ يحتاج إليه ﴿ سبباً ﴾ طريقاً يوصله إلى مراده.

٨٥ ﴿ فأتبع سبباً ﴾ سلك طريقاً نحو الغرب.

٨٦ ﴿ حتى إذا بلغ مغرب الشمس ﴾ موضع غروبها[7] ﴿ وجدها تغرب في عين حمئة ﴾ ذات حماة، وهي الطين الأسود[8]، وغروبها في العين في رأي العين، وإلا فهي أعظم من الدنيا

أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ فَأَرَدتُّ
أَنۡ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبٗا ﴿٧٩﴾
وَأَمَّا ٱلۡغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤۡمِنَيۡنِ فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا
طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدۡنَآ أَن يُبۡدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيۡرٗا مِّنۡهُ
زَكَوٰةٗ وَأَقۡرَبَ رُحۡمٗا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ
يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا
صَٰلِحٗا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا
رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ
تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا ﴿٨٢﴾ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَن ذِي ٱلۡقَرۡنَيۡنِۖ
قُلۡ سَأَتۡلُواْ عَلَيۡكُم مِّنۡهُ ذِكۡرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ
وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبٗا ﴿٨٤﴾ فَأَتۡبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ
إِذَا بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَغۡرُبُ فِي عَيۡنٍ حَمِئَةٖ

---

(١) أي علم الله تعالى انه لو بقي حياً حتى يكبر لكان كافراً. [الحديث أخرجه مسلم: الفضائل، باب: من فضائل الخضر عليه السلام، رقم: ٢٣٨٠].

(٢) أي للدال: ﴿يبدِّلهما﴾ و ﴿يبدِلهما﴾ قراءتان متواترتان.

(٣) بنتاً.

(٤) أي قوله ﴿رحمةً﴾ منصوب على أنه مفعول لأجله، والذي عمل فيه النصب فعل ﴿فأراد﴾.

(٥) قال الصاوي في حاشيته: أي إن هذا التغاير تنويع في العبارة، وبعضهم أبدى حكمة في اختلاف التعبير، وهي: أن الأولى لما كان ظاهرها إفساداً محضاً أضافه لنفسه حيث قال: ﴿فأردت﴾ أدباً مع الله، وإن كان الكل منه. والثاني: لما كان فيه نوع إصلاح ونوع إفساد عبر فيه بقوله: ﴿فأردنا﴾. والثالث: لما كان إصلاحاً محضاً أضافه لله بقوله: ﴿فأراد ربك﴾.

(٦) والأصح الذي عليه الأكثرون: أنه كان ملكاً صالحاً عادلاً، ملك ما كان معموراً من الأرض في زمانه.

(٧) أي آخر المعمور من جهة الغرب، حتى وصل ساحل البحر.

(٨) أي هكذا بدا له البحر من بعد وكأنه عين ذات طين أسود. وفي قراءة متواترة: ﴿حَامِيَةٍ﴾. قال ابن كثير في تفسيره: ولا منافاة بين معنييهما، إذ قد تكون حارة لمجاورتها وهج الشمس عند غروبها، وملاقاتها الشعاع بلا حائل، وحمئة في ماء وطين أسود.

سبب نزول الآية [٨٤]: قال الواحدي: قال قتادة: إن اليهود سألوا نبي الله ﷺ عن ذي القرنين، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

﴿ ووجد عندها ﴾ أي العين(١) ﴿ قوماً ﴾ كافرين ﴿ قلنا يا ذا القرنين ﴾ بإلهام ﴿ إما أن تعذب ﴾ القوم بالقتل ﴿ وإما أن تتخذ فيهم حسناً ﴾ بالأسر.

٨٧ ﴿ قال أما من ظلم ﴾ بالشرك ﴿ فسوف نعذبه ﴾ نقتله ﴿ ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذاباً نكراً ﴾ بسكون الكاف وضمها: شديداً في النار.

٨٨ ﴿ وأما من آمن وعمل صالحاً فله جزاءُ الحسنى ﴾ أي الجنة، والإضافة للبيان، وفي قراءة بنصب جزاء وتنوينه(٢)، قال الفراء: ونصبه على التفسير، أي لجهة النسبة(٣) ﴿ وسنقول له من أمرنا يسراً ﴾ أي نأمره بما يسهل عليه.

٨٩ ﴿ ثم أتبع سبباً ﴾ نحو المشرق.

٩٠ ﴿ حتى إذا بلغ مطلع الشمس ﴾ موضع طلوعها(٤) ﴿ وجدها تطلع على قوم ﴾ هم الزنج ﴿ لم نجعل لهم من دونها ﴾ أي الشمس ﴿ ستراً ﴾ من لباس ولا سقف، لأن أرضهم لا تحمل بناء، ولهم سروب(٥) يغيبون فيها عند طلوع الشمس، ويظهرون عند ارتفاعها.

٩١ ﴿ كذلك ﴾ أي الأمر كما قلنا ﴿ وقد أحطنا بما لديه ﴾ أي عند ذي القرنين من الآلات والجند وغيرهما ﴿ خبراً ﴾ علماً.

٩٢ ﴿ ثم أتبع سبباً ﴾.

٩٣ ﴿ حتى إذا بلغ بين السدين ﴾ بفتح السين وضمها هنا وبعد(٦)، وهما جبلان بمنقطع بلاد الترك(٧)، سد الإسكندر ما بينهما، كما سيأتي ﴿ وجد من دونهما ﴾ أي أمامهما ﴿ قوماً لا يكادون يفقهون قولاً ﴾ أي لا يفهمونه إلا بعد بطء، وفي قراءة بضم الياء وكسر القاف(٨)

٩٤ ﴿ قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج ﴾ بالهمز وتركه(٩)، هما اسمان أعجميان لقبيلتين، فلم ينصرفا(١٠) ﴿ مفسدون في الأرض ﴾ بالنهب والبغي عند خروجهم إلينا ﴿ فهل نجعل لك خرجاً ﴾ جعلاً من المال، وفي قراءة «خراجاً» ﴿ على أن تجعل بيننا وبينهم سداً ﴾ حاجزاً، فلا يصلوا إلينا.

٩٥ ﴿ قال ما مكني ﴾ وفي قراءة بنونين من غير إدغام(١١) ﴿ فيه ربي ﴾ من المال وغيره ﴿ خير ﴾ من خرجكم الذي تجعلونه لي، فلا حاجة بي إليه، وأجعل لكم السد تبرعاً

٣٩٣ (سورة الكهف)

وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًاۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ
وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ
نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا
مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰۖ وَسَنَقُولُ
لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا
بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل
لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا
لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ
ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ
قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ
مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ
بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ

---

(١) أي على ساحل المحيط الذي وصل إليه.

(٢) أي ﴿جزاءً الحسنى﴾ وهي رواية حفص عن عاصم. وقوله [على التفسير] أي التميز.

(٣) المعنى: فالحسنى كائنة له من جهة الجزاء.

(٤) على المعنى الذي سبق في مغربها.

(٥) شقوق في الأرض ومخابىء.

(٦) أي في قوله ﴿سدًّا﴾.

(٧) آخرها.

(٨) أي ﴿يُفقِهون﴾ أي لا يفهمون غيرهم شيئاً، لشدة عجمتهم وكلامهم المغلق.

(٩) أي ﴿ياجوج وماجوج﴾ وهي قراءة متواترة.

(١٠) أي لم ينونا، فهما ممنوعان من الصرف، للعلمية والعجمة.

(١١) أي ﴿مكَّنَني﴾ وهي قراءة ابن كثير، وهي متواترة.

فائدة: يأجوج ومأجوج من سلالة آدم عليه السلام، وقد دل على ذلك ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: (يقول الله عزَّ وجلَّ يوم القيامة يا آدم، يقول: لبيك ربنا وسعديك، فينادى بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار، يقول: يا رب وما بعث النار؟ قال: من كل ألف ـ أراه قال ـ تسعمائةٍ وتسعةً وتسعين، فحينئذ تضع الحامل حملها، ويشيب الوليد، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد). فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم. فقال النبي ﷺ: (من يأجوج ومأجوج تسعمائةٍ وتسعة وتسعين ومنكم واحد، ثم أنتم في الناس كالشعرة السوداء في جنب الثور الأبيض، أو كالشعرة البيضاء في الثور الأسود، وإني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة). فكبرنا، ثم قال: (ثلث أهل الجنة). فكبرنا، ثم قال: (شطر أهل الجنة). فكبرنا. [البخاري: التفسير/الحج، باب: ﴿وترى الناس سكارى﴾ رقم: ٤٤٦٤. مسلم: الإيمان، باب: قوله: يقول الله لآدم أخرج بعث النار. . ، رقم: ٢٢٢]. [فحينئذ: أي هذا الوقت وقت الأهوال والشدائد المخيفة، التي من شأنها أن=

﴿ فأعينوني بقوة ﴾ لما اطلبه منكم ﴿ أجعل بينكم وبينهم ردماً ﴾ حاجزاً حصيناً.

٩٦ ﴿ آتوني زبر الحديد ﴾ قطعه، على قدر الحجارة التي يبنى بها، فبنى بها، وجعل بينها الحطب والفحم ﴿ حتى إذا ساوى بين الصدفين ﴾ بضم الحرفين⁽¹⁾ وفتحهما، وضم الأول وسكون الثاني، أي جانبي الجبلين، بالبناء، ووضع المنافخ والنار حول ذلك ﴿ قال انفخوا ﴾ فنفخوا ﴿ حتى إذا جعله ﴾ أي الحديد ﴿ ناراً ﴾ أي كالنار ﴿ قال آتوني أفرغ عليه قطراً ﴾ هو النحاس المذاب، تنازع فيه الفعلان⁽²⁾ وحذف من الأول لأعمال الثاني، فأفرغ النحاس المذاب على الحديد المحمى، فدخل بين زبره، فصار شيئاً واحداً.

٩٧ ﴿ فما اسطاعوا ﴾ أي يأجوج ومأجوج ﴿ أن يظهروه ﴾ يعلوا ظهره، لارتفاعه وملاسته ﴿ وما استطاعوا له نقباً ﴾ خرقاً، لصلابته وسمكه.

٩٨ ﴿ قال ﴾ ذو القرنين ﴿ هذا ﴾ أي السد، أي الإقدار عليه ﴿ رحمة من ربي ﴾ نعمة، لأنه مانع من خروجهم ﴿ فإذا جاء وعد ربي ﴾ بخروجهم القريب من البعث ﴿ جعله دكاء ﴾ مدكوكاً مبسوطاً ﴿ وكان وعد ربي ﴾ بخروجهم وغيره ﴿ حقاً ﴾كائناً⁽³⁾ .٩٩ قال تعالى :﴿ وتركنا بعضهم يومئذ ﴾ يوم خروجهم ﴿ يموج في بعض ﴾ يختلط به لكثرتهم ﴿ ونفخ في الصور ﴾ أي القرن للبعث ﴿ فجمعناهم ﴾ أي الخلائق، في مكان واحد يوم القيامة ﴿ جمعاً ﴾.

١٠٠ ﴿ وعرضنا ﴾ قربنا ﴿ جهنم يومئذ للكافرين عرضاً ﴾.

١٠١ ﴿ الذين كانت أعينهم ﴾ بدل من الكافرين ﴿ في غطاء عن ذكري ﴾ أي القرآن، فهم عمي لا يهتدون به ﴿ وكانوا لا يستطيعون سمعاً ﴾ أي لا يقدرون أن يسمعوا من النبي ما يتلو عليهم بغضاً له، فلا يؤمنون به.

١٠٢ ﴿ أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي ﴾ أي ملائكتي وعيسى وعزيراً ﴿ من دوني أولياء ﴾ أرباباً، مفعول ثانٍ ليتخذوا، والمفعول الثاني لحسب محذوف⁽⁴⁾، المعنى: أظنوا أن الاتخاذ المذكور لا يغضبني، ولا أعاقبهم عليه؟ كلا ﴿ إنا أعتدنا جهنم للكافرين ﴾ هؤلاء وغيرهم ﴿ نزلاً ﴾ أي هي معدة لهم كالمنزل المعد للضيف.

١٠٣ ﴿ قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً ﴾ تمييز طابق المميز⁽⁵⁾، وبيّنهم بقوله:

فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى
زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ
حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾
فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾
قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ
وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾ * وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ
يَمُوجُ فِى بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾
وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ ٱلَّذِينَ
كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ
سَمْعًا ﴿١٠١﴾ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن يَتَّخِذُوا۟ عِبَادِى
مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ
نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾

---

(١) الصاد والدال: ﴿الصُّدُفَيْنِ﴾ و﴿الصَّدَفَيْنِ﴾ و﴿الصُّدْفَيْنِ﴾.

(٢) آتوني وأفرغ.

(٣) أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه) وعقد بيده تسعين. أي جعل رأس أصبعه السبابة وسط الإبهام من باطنها شبه الحلقة، بحيث لا يتبين منها إلا فتحة يسيرة. وخروج يأجوج ومأجوج لا يعني انتهاء الحق والخير، فقد روى البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (ليحجن البيت وليعتمرن بعد خروج يأجوج ومأجوج).
[انظر البخاري: الأنبياء، باب: قصة يأجوج ومأجوج، رقم: ٣١٦٩، والحج، باب: قول الله تعالى: ﴿جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس..﴾ رقم: ١٥١٦. ومسلم: الفتن وأشراط الساعة، باب: اقتراب الفتن وفتح ردم يأجوج ومأجوج، رقم: ٢٨٨١].

(٤) فالمفعول الأول الاتخاذ المؤول من قوله ﴿أن يتخذوا﴾ وما بعده، والمحذوف تقديره: غيرَ مغضب لي.

(٥) أي في الجمع.

= تضع الحامل حملها لو وجدت، ويشيب الطفل من مثلها في الدنيا. وعندها يذهل الناس ويصبحون كالسكارى الذين أذهبت الخمرة عقولهم وإدراكهم، والله تعالى أعلم].

- عن زينب ابنة جحش رضي الله عنها: أن النبي ﷺ دخل عليها فزعاً يقول: (لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه). وحلق بإصبعه الإبهام والتي تليها، قالت زينب بنت جحش: فقلت: يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: (نعم،

١٠٤ ﴿ الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا ﴾ بطل عملهم ﴿ وهم يحسبون ﴾ يظنون ﴿ أنهم يحسنون صنعاً ﴾ عملاً يجازون عليه.

١٠٥ ﴿ أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ﴾ بدلائل توحيده من القرآن وغيره ﴿ولقائه ﴾ أي وبالبعث والحساب والثواب والعقاب ﴿ فحبطت أعمالهم ﴾ بطلت ﴿ فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً ﴾ أي لا نجعل لهم قدراً(١).

١٠٦ ﴿ ذلك ﴾ أي الأمر الذي ذكرت من حبوط أعمالهم وغيره، مبتدأ خبره ﴿ جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزواً ﴾ أي مهزوءاً بهما.

١٠٧ ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم ﴾ في علم الله ﴿ جنات الفردوس ﴾ هو وسط الجنة وأعلاها، والإضافة إليه للبيان(٢) ﴿نزلاً﴾ منزلاً.

١٠٨ ﴿ خالدين فيها لا يبغون ﴾ يطلبون ﴿ عنها حولاً ﴾ تحولاً إلى غيرها.

١٠٩ ﴿ قل لو كان البحر ﴾ أي ماؤه ﴿ مداداً ﴾ هو ما يكتب به ﴿ لكلمات ربي ﴾ الدالة على حكمه وعجائبه، بأن تكتب به ﴿ لنفد البحر ﴾ في كتابتها ﴿ قبل أن تنفد ﴾ بالتاء والياء، تفرغ ﴿ كلمات ربي ولو جئنا بمثله ﴾ أي البحر ﴿ مدداً ﴾ زيادة فيه لنفد، ولم تفرغ هي. ونصبه على التميز.

١١٠ ﴿ قل إنما أنا بشر ﴾ آدمي ﴿ مثلكم يوحى إليّ أنما إلهكم إله واحد ﴾ أن المكفوفة بما باقية على مصدريتها، والمعنى: يوحى إليّ وحدانية الإله ﴿ فمن كان يرجو ﴾ يأمل ﴿ لقاء ربه ﴾ بالبعث والجزاء ﴿ فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه ﴾ أي فيها، بأن يرائي ﴿ أحداً ﴾(٣).

ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ
يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ
وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ
وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟
ءَايَـٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾
خَـٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ قُل لَّوْ كَانَ
ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَـٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ
كَلِمَـٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠
بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن
كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ
بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا ﴿١١٠﴾

---

(١) أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: (إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة، لا يزن عند الله جناح بعوضة: وقال: اقرؤوا إن شئتم ﴿فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً﴾).
[البخاري: التفسير/الكهف، باب: ﴿أولئك الذين كفروا بآيات ربهم..﴾ رقم: ٤٤٥٢. مسلم: صفات المنافقين وأحكامهم، كتاب: صفة القيامة والجنة والنار، رقم: ٢٧٨٥].

(٢) أي أضيفت ﴿جنات﴾ إلى ﴿الفردوس﴾ لبيان ما هو، وأنه منزل من منازل الجنة العالية. وقوله [وسط]: إما بسكون السين، والمعنى: أنه متوسط بين الجنات. وإما بفتحها، والمعنى: أنه خير موضع في الجنة.

(٣) أخرج البخاري ومسلم عن جندب بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من سمع سمع الله به، ومن يرائي يرائي الله به) أي من عمل عملاً مراءاة للناس وليشتهر بينهم شهر الله به يوم القيامة وأسمعه ما يكره. روى مسلم عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف ـ وفي رواية: من آخرها ـ عصم من فتنة الدجال).
[البخاري: الرقاق، باب: الرياء والسمعة، رقم: ٦١٣٤. مسلم: الزهد والرقائق، باب: من أشرك في عمله غير الله (تحريم الرياء) رقم: ٢٩٨٦، وصلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل سورة الكهف وآية الكرسي، رقم: ٨٠٩].

إذا كثر الخبث). [البخاري: الأنبياء، باب: قصة يأجوج ومأجوج، رقم: ٣١٦٨. مسلم: الفتن وأشراط الساعة، باب: اقتراب الفتن وفتح ردم يأجوج ومأجوج، رقم: ٢٨٨١] [ردم: سد. وحلق: إشارة إلى أنه لم يبق لمجيء الشر إلا الزمن اليسير. الخبث: الفسوق والفجور والمعاصي].

فائدة: عن عبدة، عن زر بن حبيش قال: من قرأ آخر سورة الكهف لساعة يريد يقوم من الليل قامها. قال عبدة: فجربناه فوجدناه كذلك [الدارمي: فضائل القرآن، باب: في فضل سورة الكهف].

سبب نزول الآيات [١٠٩ ـ ١١٠]: أخرج الحاكم وغيره، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قالت قريش لليهود: أعطونا شيئاً نسأل عنه هذا الرجل: فقالوا: سلوه عن الروح، فسألوه، فنزلت: ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ [الإسراء: ٨٥]: وقال

سورة مريم

مكية إلا سجدتها فمدنية، أو إلا ﴿ فخلف من بعدهم خلف. . ﴾
[٥٩] الآيتين فمدنيتان، وهي ثمان أو تسع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿ كهيعص ﴾ الله أعلم بمراده بذلك(١).

٢ هذا ﴿ ذكر رحمة ربك عبده ﴾ مفعول رحمة ﴿زكريا﴾ بيان له(٢).

٣ ﴿ إذ ﴾ متعلق برحمة ﴿ نادى ربه نداءً ﴾ مشتملاً على دعاء ﴿ خفياً ﴾ سراً جوف الليل، لأنه أسرع للإجابة.

٤ ﴿ قال رب إني وهن ﴾ ضعف ﴿ العظم ﴾ جميعه ﴿ مني واشتعل الرأس ﴾ مني ﴿ شيباً ﴾ تمييز محول عن الفاعل، أي انتشر الشيب في شعره كما ينشر شعاع النار في الحطب، وإني أريد أن أدعوك ﴿ ولم أكن بدعائك ﴾ أي بدعائي إياك ﴿ رب شقياً ﴾ أي خائباً فيما مضى، فلا تخيبني فيما يأتي.

٥ ﴿ وإني خفت الموالي ﴾ أي الذين يلونني في النسب كبني العم ﴿ من ورائي ﴾ أي بعد موتي، على الدين أن يضيّعوه كما شاهدته في بني إسرائيل من تبديل الدين ﴿ وكانت امرأتي عاقراً ﴾ لا تلد ﴿ فهب لي من لدنك ﴾ من عندك ﴿ ولياً ﴾ ابناً.

٦ ﴿ يرثني ﴾ بالجزم جواب الأمر، وبالرفع صفة ولياً(٣) ﴿ ويرث ﴾ بالوجهين(٤) ﴿ من آل يعقوب ﴾ جدّي، العلم والنبوة(٥) ﴿واجعله رب رضياً﴾ أي مرضياً عندك. قال تعالى: في إجابة طلبه الابنَ الحاصل به رحمتُه:

٧ ﴿ يا زكريا إنا نُبشرك بغلام ﴾ يرث كما سألت ﴿ اسمه يحيىٰ لم نجعل له من قبل سمياً ﴾ أي مسمى بيحيى. ٨ ﴿ قال رب أنىٰ ﴾ كيف ﴿ يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقراً

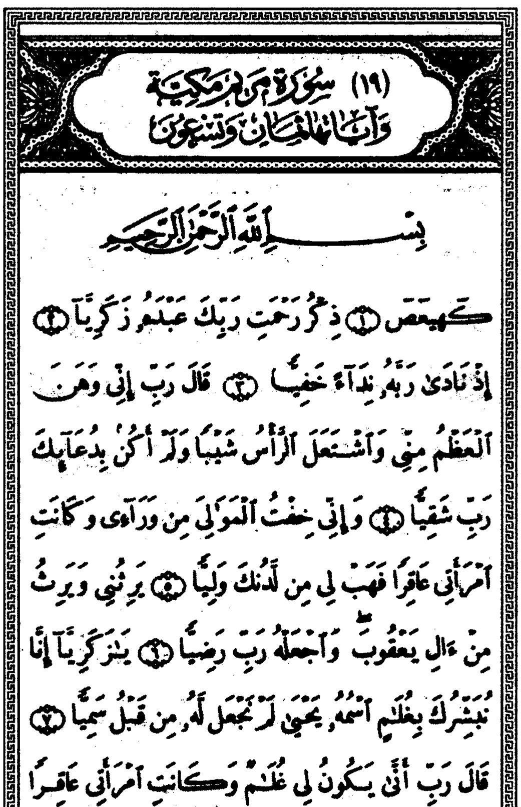

(١٩) سُورَةُ مَرْيَمَ مَكِّيَّة
وَآيَاتُهَا ثَمَانٍ وَتِسْعُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

كٓهيعٓصٓ ① ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ②
إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ③ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ
ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ
رَبِّ شَقِيًّا ④ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ
ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ⑤ يَرِثُنِي وَيَرِثُ
مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ⑥ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا
نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ⑦
قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا

---

(١) انظر/البقرة: ١/

(٢) أي قوله ﴿زكريا﴾ بيان للعبد المراد بقوله ﴿عبده﴾.

(٣) أي قرىء ﴿ يرثني ﴾ على أنه جواب الطلب ﴿ فهب لي ﴾. و﴿ يرثُني ﴾ بالرفع، على أن جملة الفعل المضارع وفاعله المستتر صفة لقوله ﴿ ولياً ﴾ أي وارثاً. وهما قراءتان سبعيتان متواترتان.

(٤) بالوجهين: أي بالجزم وبالرفع، كما في ﴿ يرثني ﴾.

(٥) قال ابن كثير في تفسيره : قد ثبت في الصحيحين من غير وجه: أن رسول الله ﷺ قال: «لا نورث، ما تركنا فهو صدقة». وفي رواية عند الترمذي بإسناد صحيح: «نحن معشر الأنبياء لا نورث». وعلى هذا فتعين حمل قوله: ﴿فهب لي من لدنك ولياً يرثني﴾ على ميراث النبوة، ولهذا قال: ﴿ويرث من آل يعقوب﴾ كما قال تعالى: ﴿وورث سليمان داود﴾ [النمل: ١٦] أي: في النبوة، إذ لو كان في المال لما خصه من بين إخوته بذلك، ولما كان في الإخبار بذلك كبير فائدة، إذ من المعلوم المستقر في جميع الشرائع والملل أن الولد يرث أباه، فلولا أنها وراثة خاصة لما أخبر بها. وكل هذا يقرره ويثبته ما صح في الحديث: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركنا فهو صدقة».
[انظر في الأحاديث المذكورة: البخاري: الخمس، باب:=

اليهود: أوتينا علماً كثيراً، أوتينا التوراة، ومن أوتي التوراة فقد أوتي خيراً كثيراً، فنزلت: ﴿قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي﴾ الآية. [المستدرك: التفسير/ تفسير سورة ﴿إنا أنزلناه﴾: ٢/٥٣١].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رجل: يا رسول الله إني أقف المواقف أبتغي وجه الله، وأحبّ أن يرى موطني. قال: فلم يردّ عليه رسول الله ﷺ حتى نزلت هذه الآية: ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً﴾. اخرجه الحاكم في [المستدرك] الرقاق، باب: إن الرياء الشرك الأصغر، ٤/٣٢٩.

وعن مجاهد: كان رجل من المسلمين يقاتل وهو يحبّ أن يرى مكانه، فأنزل الله: ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه﴾ الآية.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال جندب بن زهير: إذا صلى الرجل أو صام أو تصدّق، فذكر بخير، ارتاح له، فزاد في ذلك لمقالة الناس له، فنزلت في ذلك: ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه﴾ الآية. [السيوطي].

وقد بلغت من الكبر عتياً ﴾ من عتا: يبس، أي نهاية السن مائة وعشرين سنة، وبلغت امرأته ثمانياً وتسعين سنة. وأصل عِتِيّ: عُتُوو، كسرت التاء تخفيفاً، وقلبت الواو الأولى ياءاً لمناسبة الكسرة، والثانية ياءً لتدغم فيها الياء(١).

٩ ﴿ قال ﴾ الأمر ﴿ كذلك ﴾ من خلق غلام منكما ﴿ قال ربك هو عليَّ هين ﴾ أي بأن أرد عليك قوة الجماع، وأفتق رحم امرأتك بالعلوق ﴿ وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً ﴾ قبل خلقك. ولإظهار الله هذه القدرة العظيمة ألهمه السؤال ليجاب بما يدل عليها، ولما تاقت نفسه إلى سرعة المبشر به:

١٠ ﴿ قال رب اجعل لي آية ﴾ أي علامة على حمل امرأتي ﴿ قال آيتك ﴾ عليه ﴿ ألا تكلم الناس ﴾ أي تمتنع(٢) من كلامهم بخلاف ذكر الله(٣) ﴿ ثلاث ليال ﴾ أي بأيامها كما في آل عمران [٤١] «ثلاثة أيام» ﴿ سوياً ﴾ حال من فاعل « تكلم » أي بلا علة(٤).

١١ ﴿ فخرج على قومه من المحراب ﴾ أي المسجد، وكانوا ينتظرون فتحه ليصلوا فيه بأمره على العادة ﴿ فأوحىٰ ﴾ أشار ﴿ إليهم أن سبحوا ﴾ صلوا ﴿ بُكرة وعشياً ﴾ أوائل النهار وأواخره على العادة، فعلم بمنعه من كلامهم حملها بيحيى. وبعد ولادته بسنتين قال الله تعالى له:

١٢ ﴿ يا يحيى خذ الكتاب ﴾ أي التوراة ﴿ بقوة ﴾ بجد ﴿ وآتيناه الحكم ﴾ النبوة ﴿ صبياً ﴾ ابن ثلاث سنين(٥).

١٣ ﴿ وحناناً ﴾ رحمة للناس ﴿ من لدنا ﴾ من عندنا ﴿ وزكاة ﴾ صدقة عليهم ﴿ وكان تقياً ﴾ روي أنه لم يعمل خطيئة ولم يهم بها(٦).

١٤ ﴿ وبراً بوالديه ﴾ أي محسناً إليهما ﴿ ولم يكن جباراً ﴾ متكبراً ﴿عصياً ﴾ عاصياً لربه.

١٥ ﴿ وسلام ﴾ منا ﴿ عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً ﴾ أي في هذه الأيام المخوفة، التي يرى فيها ما لم يره قبلها، فهو آمن فيها.

١٦ ﴿ واذكر في الكتاب ﴾ القرآن ﴿ مريم ﴾ أي خبرها ﴿ إذ ﴾ حين ﴿ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً ﴾ أي اعتزلت في مكان نحو الشرق من الدار(٧).

١٧ ﴿ فاتخذت من دونهم حجاباً ﴾ أرسلت ستراً تستتر به، لتفلي رأسها أو ثيابها، أو تغتسل من حيضها ﴿ فأرسلنا إليها روحنا ﴾ جبريل ﴿ فتمثل لها ﴾ بعد لبسها ثيابها ﴿ بشراً سوياً ﴾ تام الخلق.

١٨ ﴿ قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً ﴾ فتنتهي عني بتعوذي.

٣٩٧ (سورة مريم)

وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ
هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴿٩﴾
قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ
ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ
فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ
ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن
لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن
جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ
يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ
مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ
حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾
قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾

= فرض الخمس، رقم: ٢٩٢٦، ٢٩٢٧. مسلم: الجهاد والسير، باب: قول النبي ﷺ: «لا نورث..» رقم: ١٧٥٩. الترمذي: السير، باب: ما جاء في تركة رسول الله ﷺ، رقم: ١٦١٠. مسند أحمد: ٢/ ٤٦٣].

(١) وهذا على قراءة ﴿ عُتيًا ﴾ بضم العين، وهي قراءة سبعية متواترة. وعلى قراءة حفص: ﴿ عِتيًا ﴾ بكسر العين أيضاً، إتباعاً لكسرة التاء، تكون الأعمال الصرفية فيها أربعة.

(٢) أي قهراً عنك لا بإرادتك، وفي نسخة (تُمنع).

(٣) أي فإنه لم يمنع منه.

(٤) أي تمنع من الكلام حال كونك سوياً - أي سليماً - لا لعلة فيك أو في لسانك. ويصح أن تكون ﴿ سويًا ﴾ صفة الليالي، أي كاملات.

(٥) قال الخازن في تفسيره: وذلك أن الله تعالى أحكم عقله وأوحى إليه. فإن قلت: كيف يصح حصول العقل والفطنة والنبوة حال الصبا؟ قلتُ: لأن أصل النبوة مبني على خرق العادات، إذا ثبت هذا فلا تمنع صيرورة الصبي نبياً. وقيل: أراد بالحكم فهم الكتاب، فقرأ التوراة وهو صغير.

وقال ابن كثير في تفسيره: أي الفهم والعلم والجد والفرح، والإقبال على الخير والإكباب عليه والاجتهاد فيه، وهو صغير حدث. قال عبد الله بن المبارك: قال معمر: قال الصبيان ليحيى بن زكريا: اذهب بنا نلعب، فقال: ما للعب خلقنا. [أخرج قول ابن المبارك ابن جرير الطبري في تفسيره]

(٦) أي لم تخطر بباله.

(٧) دار زوج خالتها. زكريا عليه السلام، الذي كان كافلاً لها والقيم عليها.

١٩ ﴿ قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً ﴾(١) بالنبوة.

٢٠ ﴿ قالت أنى(٢) يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ﴾ بتزوج ﴿ ولم أك بغياً ﴾ زانية.

٢١ ﴿ قال ﴾ الأمر ﴿ كذلك ﴾ من خلق غلام منك من غير أب ﴿ قال ربك هو علي هين ﴾ أي بأن ينفخ بأمري جبريل فيك فتحملي به، ولكون ما ذكر في معنى العلة(٣) عطف عليه ﴿ولنجعله آية للناس ﴾(٤) على قدرتنا ﴿ ورحمة منا ﴾ لمن آمن به ﴿ وكان ﴾ خلقه ﴿ أمراً مقضياً ﴾ به في علمي. فنفخ جبريل في جيب درعها(٥)، فأحست بالحمل في بطنها مصوراً(٦). ٢٢ ﴿ فحملته فانتبذت ﴾ تنحت ﴿ به مكاناً قصياً ﴾ بعيداً من أهلها.

٢٣ ﴿ فأجاءها ﴾ جاء بها(٧) ﴿المخاض ﴾ وجع الولادة ﴿ إلى جذع النخلة ﴾ لتعتمد عليه، فولدت، والحمل والتصوير والولادة في ساعة(٨) ﴿ قالت يا ﴾ للتنبيه ﴿ ليتني متُّ قبل هذا ﴾ الأمر ﴿ وكنت نسياً منسياً ﴾ شيئاً متروكاً، لا يعرف ولا يذكر. ٢٤ ﴿ فناداها من تحتها ﴾ أي جبريل، وكان أسفل منها ﴿ ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سرياً ﴾ نهر ماء كان قد انقطع. ٢٥ ﴿ وهزي إليك بجذع النخلة ﴾ كانت يابسة، والباء زائدة(٩) ﴿ تسَّاقط ﴾ أصله بتاءين قلبت الثانية سيناً وأدغمت في السين، وفي قراءة تركها(١٠) ﴿ عليك رطباً ﴾ تمييز ﴿ جنياً ﴾(١١) صفته.

٢٦ ﴿ فكلي ﴾ من الرطب ﴿ واشربي ﴾ من السري ﴿ وقري عيناً ﴾ بالولد، تمييز محول من الفاعل، أي لتقر عينك به، أي تسكن فلا تطمح إلى غيره ﴿ فإما ﴾ فيه إدغام نون إن الشرطية في ما الزائدة ﴿ ترين ﴾ حذفت منه لام الفعل وعينه، وألقيت حركتها على الراء، وكسرت ياء الضمير لالتقاء الساكنين(١٢) ﴿ من البشر أحداً ﴾ فيسألك عن ولدك ﴿ فقولي إني نذرت للرحمن صوماً ﴾ أي إمساكاً عن الكلام في شأنه وغيره مع الأناسي، بدليل ﴿ فلن أكلم اليوم إنسياً ﴾ أي بعد ذلك.

٢٧ ﴿ فأتت به قومها تحمله ﴾ حال، فرأوه ﴿ قالوا يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً ﴾ عظيماً، حيث أتيت بولد من غير أب.

قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾
قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ
بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ
ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾
۞ فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا
ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا
وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِي
قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ
ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَٱشْرَبِي
وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ
لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِۦ
قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ قَالُواْ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾

---

(١) صالحاً طاهراً من الذنوب. وفي قراءة متواترة: ﴿لِيَهَبَ﴾.

(٢) كيف.

(٣) أي كأنه قيل: الأمر كذلك لأنه علينا هين ولنجعله..

(٤) علامة لهم.

(٥) شق قميصها من ناحية العنق، فوصلت النفخة إلى فرجها، ودخلت في رحمها. (٦) تام الخلق والحياة. (٧) ألجاها.

(٨) والمشهور الذي عليه الجمهور: أنها حملت به تسعة أشهر، كما تحمل النساء عادةً بأولادهن. [انظر تفسير ابن كثير].

(٩) فتكون ﴿جذع﴾ مفعولاً ثانياً لهزي، والأول هو الجار والمجرور إليك. (١٠) أي ﴿تَسَاقَط﴾. وفي أخرى ﴿تُسَاقِط﴾.

(١١) تاماً نضجه صالحاً للاجتناء، أي القطف والأكل.

(١٢) أصل تَرْأَيِين، على وزن تَفْعَلِين، فحذفت عين الكلمة ولامها، فصارت تَرْيِن على وزن تَفْيِن، فألقيت حركة العين - وهي الفتحة - على الراء فصارت تَرَيْنَ، ثم أكدت بنون التوكيد فصارت تَرَيْنَنَّ، فحذفت نون الرفع لتوالي النونات فصارت تَرَيْنَّ؛ فكسرت الياء لالتقاء الساكنين فصارت تَرَيِنَّ.

فائدة: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: (كل بني آدم يَطْعُنُ الشيطان في جنبيه بإصبعه حين يولد، غير عيسى بن مريم، ذهب يطْعُن فطعن في الحجاب) [البخاري: بدء الخلق، باب: صفة إبليس وجنوده، رقم: ٣١١٢] [يطعن: يضرب. الحجاب: الجلدة التي فيها الجنين، وتسمى المشيمة. وقيل: الحجاب الثوب الذي يلف فيه المولود]

وفي رواية عنه رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ما من بني آدم مولود إلا يمسه الشيطان حين يولد، فيستهل صارخاً من مس الشيطان، غير مريم وابنها). ثم يقول أبو هريرة: ﴿وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم﴾ [آل عمران: ٣٦]. [البخاري: الأنبياء، باب: قول الله تعالى: ﴿واذكر في الكتاب مريم..﴾ / مريم: ١٦/ رقم: ٣٢٤٨. مسلم: الفضائل، باب: فضائل عيسى عليه السلام، رقم: ٢٣٦٦] [يمسه الشيطان: يناله بيده من غير حاجز. فيستهل: يصوت عند ولادته. أعيذها: أجيرها وأحصنها. الرجيم: الطريد من رحمة الله تعالى]

٢٨ ﴿ يا أخت هارون ﴾ هو رجل صالح، أي يا شبيهته في العفة[١] ﴿ ما كان أبوك امرأ سوء ﴾ أي زانياً ﴿ وما كانت أمك بغياً ﴾ أي زانية، فمن أين لك هذا الولد.

٢٩ ﴿ فأشارت ﴾ لهم ﴿ إليه ﴾ أن كلموه ﴿ قالوا كيف نكلم من كان ﴾ أي وجد ﴿ في المهد[٢] صبياً ﴾.

٣٠ ﴿ قال إني عبد الله آتاني الكتاب ﴾ أي الإنجيل ﴿ وجعلني نبياً ﴾.

٣١ ﴿ وجعلني مباركاً أينما كنت ﴾ أي نفاعاً للناس، إخبار بما كتب له ﴿ وأوصاني بالصلاة والزكاة ﴾ أمرني بهما ﴿ ما دمت حياً ﴾.

٣٢ ﴿ وبراً بوالدتي ﴾ منصوب بجعلني مقدراً ﴿ ولم يجعلني جباراً ﴾ متعاظماً ﴿ شقياً ﴾ عاصياً لربه.

٣٣ ﴿ والسلام ﴾ من الله ﴿ علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً ﴾ يقال فيه ما تقدم في السيد يحيى / الآية: ١٤/.

٣٤ ﴿ ذلك عيسى ابن مريم قول الحق ﴾ بالرفع خبر مبتدأ مقدر، أي قول ابن مريم، وبالنصب بتقدير قلت، والمعنى: القول الحق ﴿ الذي فيه يمترون ﴾ من المرية، أي يشكون، وهم النصارى قالوا: إن عيسى ابن الله، كذبوا:

٣٥ ﴿ ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه ﴾ تنزيهاً له عن ذلك ﴿ إذا قضى أمراً ﴾ أي أراد أن يحدثه ﴿ فإنما يقول له كن فيكون ﴾ بالرفع بتقدير هو، وبالنصب بتقدير أن[٣]، ومن ذلك خلق عيسى من غير أب.

٣٦ ﴿ وإن الله ربي وربكم فاعبدوه ﴾ بفتح أنَّ بتقدير اذكر، وبكسرها بتقدير قل، بدليل: «ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم»/ المائدة: ١١٧/ ﴿ هذا ﴾ المذكور ﴿ صراط ﴾ طريق ﴿ مستقيم ﴾ مؤد إلى الجنة.

٣٧ ﴿ فاختلف الأحزاب من بينهم ﴾ أي النصارى في عيسى: أهو ابن الله، أم إله معه، أو ثالث ثلاثة؟ ﴿ فويل ﴾ فشدة عذاب ﴿ للذين كفروا ﴾ بما ذكر وغيره ﴿ من مشهد يوم عظيم ﴾ أي حضور يوم القيامة وأهواله.

٣٨ ﴿ أسمع بهم وأبصر ﴾ بهم، صيغتا تعجب، بمعنى: ما أسمعهم وما أبصرهم ﴿ يوم يأتوننا ﴾ في الآخرة

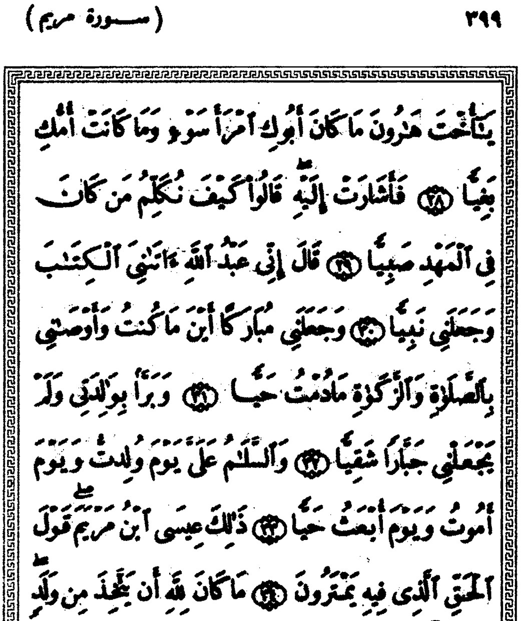
٣٩٩ (سورة مريم)

يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ
بَغِيّٗا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ
فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ
وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي
بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا ﴿٣١﴾ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ
يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيّٗا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ
أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ قَوۡلَ
ٱلۡحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمۡتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٖۖ
سُبۡحَٰنَهُۥٓۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾
وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٣٦﴾
فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن
مَّشۡهَدِ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ يَوۡمَ يَأۡتُونَنَا

---

[١] أخرج مسلم عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: لما قدمت خراسان سألوني فقالوا لي: إنكم تقرؤون ﴿يا أخت هارون﴾ وموسى قبل عيسى بكذا وكذا؟ فلما قدمت على رسول الله ﷺ سألته عن ذلك، فقال: (إنهم كانوا يسمون بأسماء أنبيائهم والصالحين قبلهم). [الآداب، باب: النهي عن التكني بأبي القاسم وبيان ما يستحب من الأسماء، رقم: ٢١٨٥].

[٢] هو ما يجعل للصبي حين يولد ليضجع فيه، والمراد هنا: من هو في أول العمر.

[٣] أي المضمرة وجوباً بعد الفاء السببية الواقعة بعد الأمر ﴿كن﴾.

فائدة: عيسى بن مريم عليهما السلام هو آخر الأنبياء والمرسلين قبل بعثة نبينا المصطفى صلوات الله وسلامه عليه. عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (أنا أولى النّاس بابن مريم، والأنبياء أولاد عَلَّاتٍ، ليس بيني وبينه نبي). [البخاري: الأنبياء، باب: ﴿واذكر في الكتاب مريم..﴾ رقم: ٣٢٥٨. مسلم: الفضائل، باب: فضائل عيسى عليه السلام، رقم: ٢٣٦٥]. [أولى الناس: أخص الناس به وأقربهم إليه، لأنه بَشَّر به، أو لأنه لا نبي بينهما، فكأنهما في زمن واحد. أولاد علات: هم الإخوة لأب واحد من أمهات مختلفة، والمعنى: أن شرائعهم متفقة من حيث الأصول وإن اختلفت من حيث الفروع، حسب الزمن وحسب العموم والخصوص. وقد جاء في رواية: (أمهاتهم شتى ودينهم واحد)].

وكانت فترة ما بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ستمائة سنة. عن سلمان قال: فترةٌ بين عيسى ومحمد ﷺ ستمائة سنة. [البخاري: فضائل الصحابة، باب: إسلام سلمان الفارسي رضي الله عنه، رقم: ٣٧٣٢] فترة: هي المدة التي لا يبعث فيها رسول من الله تعالى.

وسينزل عليه السلام عند اشتداد فساد الزمان ليقيم الحق والعدل. عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (والذي نفسي

﴿ لكن الظالمون ﴾ من إقامة الظاهر مقام المضمر ﴿ اليوم ﴾ أي في الدنيا ﴿ في ضلال مبين ﴾ أي بين، به صموا عن سماع الحق وعموا عن إبصاره، أي اعجب منهم يا مخاطب في سمعهم وإبصارهم في الآخرة، بعد أن كانوا في الدنيا صماً عمياً.

٣٩ ﴿ وأنذرهم ﴾ خوف يا محمد كفار مكة ﴿ يوم الحسرة ﴾ هو يوم القيامة، يتحسر فيه المسيء على ترك الإحسان في الدنيا ﴿ إذ قضي الأمر ﴾ لهم فيه. بالعذاب ﴿ وهم ﴾ في الدنيا ﴿ في غفلة ﴾ عنه ﴿ وهم لا يؤمنون ﴾ به⁽¹⁾.

٤٠ ﴿ إنا نحن ﴾ تأكيد ﴿ نرث الأرض ومن عليها ﴾ من العقلاء وغيرهم، بإهلاكهم ﴿ وإلينا يرجعون ﴾ فيه للجزاء.

٤١ ﴿ واذكر ﴾ لهم ﴿ في الكتاب إبراهيم ﴾ أي خبره ﴿ إنه كان صديقاً ﴾ مبالغاً في الصدق ﴿ نبياً ﴾. ويبدل من خبره:

٤٢ ﴿ إذ قال لأبيه ﴾ آزر ﴿ يا أبت ﴾ التاء عوض عن ياء الإضافة، ولا يجمع بينهما، وكان يعبد الأصنام ﴿ لِمَ تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك ﴾ لا يكفيك ﴿ شيئاً ﴾ من نفع أو ضر.

٤٣ ﴿ يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطاً ﴾ طريقاً ﴿ سوياً ﴾ مستقيماً.

٤٤ ﴿ يا أبت لا تعبد الشيطان ﴾ بطاعتك إياه في عبادة الأصنام ﴿ إن الشيطان كان للرحمن عصياً ﴾ كثير العصيان.

٤٥ ﴿ يا أبت إني أخاف أن يمسك⁽²⁾ عذاب من الرحمن ﴾ إن لم تتب ﴿ فتكون للشيطان ولياً ﴾ ناصراً أو قريناً في النار.

٤٦ ﴿ قال أراغب أنت عن آلهتي⁽³⁾ يا إبراهيم ﴾ فتعيبها ﴿ لئن لم تنته ﴾ عن التعرض لها ﴿ لأرجمنك ﴾⁽⁴⁾ بالحجارة، أو بالكلام القبيح، فاحذرني ﴿ واهجرني⁽⁵⁾ ملياً ﴾ دهراً طويلاً.

٤٧ ﴿ قال سلام عليك ﴾ مني، أي لا أصيبك بمكروه ﴿ سأستغفر لك ربي

لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلۡيَوۡمَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٣٨﴾ وَأَنذِرۡهُمۡ
يَوۡمَ ٱلۡحَسۡرَةِ إِذۡ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ وَهُمۡ
لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحۡنُ نَرِثُ ٱلۡأَرۡضَ وَمَنۡ عَلَيۡهَا
وَإِلَيۡنَا يُرۡجَعُونَ ﴿٤٠﴾ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ
إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ
مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ
إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا
سَوِيّٗا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ
كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ
عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴿٤٥﴾ قَالَ
أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ
وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ

---

(١) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح، فينادي منادٍ: يا أهل الجنة؟ فيشرفون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، وكلهم قد رآه، ثم ينادي منادٍ آخر: يا أهل النار؟ فيشرفون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، وكلهم قد رآه، فيذبح بين الجنة والنار، ثم يقول: يا أهل الجنة خلود بلا موت، ويا أهل النار خلود بلا موت) ثم قرأ: ﴿وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون﴾ وأشار بيده إلى الدنيا. [البخاري: التفسير/مريم، باب: ﴿وأنذرهم يوم الحسرة﴾ رقم: ٤٤٥٣. مسلم: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: النار يدخلها الجبارون. .، رقم: ٢٨٤٩].

(٢) يصيبنك.

(٣) أتاركها وتارك عبادتها؟.

(٤) لأضربنك ولأرمينك.

(٥) اتركني واعتزلني.

بيده، ليوشكنّ أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحدٌ، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها). ثم يقول أبو هريرة: واقرؤوا إن شئتم: ﴿وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً﴾ [النساء: ١٥٩]. [البخاري: الأنبياء، باب: نزول عيسى بن مريم عليهما السلام، رقم: ٣٢٦٤. مسلم: الإيمان. .، باب: نزول عيسى بن مريم حاكماً بشريعة نبينا محمد ﷺ]. [ليوشكن: ليقربن. ويضع الجزية: يرفعها، ولا يقبل من الناس إلا الإسلام. يفيض: يكثر].

ومما ورد من ذكره على لسانه ﷺ: ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (رأى عيسى بن مريم رجلاً يسرق، فقال له أسرقت؟ قال: كلا، والله الذي لا إله إلا هو. فقال عيسى: آمنت بالله وكذَّبت عيني). [البخاري: الأنبياء، باب: ﴿واذكر في الكتاب مريم. .﴾ رقم: ٣٢٦٠. مسلم: الفضائل، باب: فضائل عيسى عليه السلام، رقم: ٢٣٦٨]. [آمنت بالله: صدقت من حلف به. كذبت عيني: أي ما ظهر لي من كون المأخوذ سرقة، فإنه يحتمل أن يكون الرجل أخذ ما له فيه حق، أو ما أذن له صاحبه في أخذه، ونحو ذلك. وقيل: قاله عليه السلام مبالغة في تصديق الحالف بالله تعالى].

إنه كان بي حفياً ﴾ من حفي، أي باراً فيجيب دعائي، وقد وَفَّى بوعده بقوله المذكور في الشعراء/ ٨٦/ «واغفر لأبي» وهذا قبل أن يتبين له أنه عدو لله، كما ذكره في براءة /١١٤/.

٤٨ ﴿ وأعتزلكم وما تدعون ﴾ تعبدون ﴿ من دون الله وأدعو ﴾ أعبد ﴿ ربي عسى أ ﴾ ن ﴿ لا أكون بدعاء ربي ﴾ بعبادته ﴿ شقياً ﴾ كما شقيتم بعبادة الأصنام.

٤٩ ﴿ فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله ﴾ بأن ذهب إلى الأرض المقدسة ﴿ وهبنا له ﴾ ابنين(١) يأنس بهما ﴿ إسحق ويعقوب وكلاً ﴾ منهما ﴿ جعلنا نبياً ﴾.

٥٠ ﴿ ووهبنا لهم ﴾ للثلاثة ﴿ من رحمتنا ﴾ المال والولد﴿ وجعلنا لهم لسان صدق علياً ﴾ رفيعاً، هو الثناء الحسن في جميع أهل الأديان(٢).

٥١ ﴿ واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصاً ﴾ بكسر اللام وفتحها، من أخلص في عبادته(٣)، وأخلصه الله من الدنس(٤) ﴿ وكان رسولاً نبياً ﴾.

٥٢ ﴿ وناديناه ﴾ بقول: «يا موسى إني أنا الله» [القصص: ٣٠] ﴿ من جانب الطور ﴾ اسم الجبل ﴿ الأيمن ﴾ أي الذي يلي يمين موسى حين أقبل من مدين ﴿ وقربناه نجياً ﴾ مناجياً، بأن أسمعه الله تعالى كلامه.

٥٣ ﴿ ووهبنا له من رحمتنا ﴾ نعمتنا ﴿ أخاه هارون ﴾ بدل أو عطف بيان ﴿ نبياً ﴾ حال، هي المقصودة بالهبة، إجابة لسؤاله أن يرسل أخاه معه(٥)، وكان أسن منه.

٥٤ ﴿ واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد ﴾ لم يَعِد شيئاً إلا وفى به، وانتظر من وعده ثلاثة أيام، أو حولاً، حتى رجع إليه في مكانه ﴿ وكان رسولاً ﴾ إلى جرهم(٦) ﴿ نبياً ﴾.

٥٥ ﴿ وكان يأمر أهله ﴾ أي قومه ﴿ بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضياً ﴾(٧) أصله مرضووا، قلبت الواوان ياءين والضمة كسرة.

٥٦ ﴿ واذكر في الكتاب إدريس ﴾ هو جد أبي نوح ﴿ إنه كان صديقاً نبياً ﴾.

٥٧ ﴿ ورفعناه مكاناً علياً ﴾ هو حي في السماء الرابعة أو السادسة أو السابعة، أو في الجنة، أدخلها بعد أن أذيق الموت وأحيي، ولم يخرج منها(٨).

٥٨ ﴿ أولئك ﴾ مبتدأ ﴿ الذين أنعم الله

إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا (٤٧) وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ
ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا (٤٨)
فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ
وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا (٤٩) وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا
وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا (٥٠) وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ
مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا (٥١) وَنَٰدَيْنَٰهُ
مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا (٥٢) وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن
رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا (٥٣) وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ
إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا (٥٤) وَكَانَ يَأْمُرُ
أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا (٥٥)
وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا (٥٦)
وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا (٥٧) أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ

---

(١) أي ابناً وابن ابن. عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ أنه قال: «الكريم، ابن الكريم، ابن الكريم، ابن الكريم: يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام». [البخاري: الأنبياء، باب: ﴿أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت﴾ / البقرة: ١٣٣/ ، رقم: ٣٢٠٢].

(٢) أي جعلنا جميع أهل الأديان يثنون عليهم الثناء الحسن الرفيع.

(٣) أي لم يلتفت لأحد غير ربه سبحانه، وهذا راجع لقراءة الكسر ﴿مخلِصاً﴾.

(٤) صفاه ونقاه من السوء، وهذا راجع لقراءة الفتح ﴿مخلَصاً﴾.

(٥) انظر [طه: ٢٩_٣٥]. قال ابن كثير: قال بعض السلف: ما شفع أحد في أحد شفاعة في الدنيا أعظم من شفاعة موسى في هارون أن يكون نبياً، قال الله تعالى: ﴿ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيا﴾.

(٦) قبيلة من عرب اليمن، نزلوا على هاجر أم إسماعيل عليهما السلام بوادي مكة، فسكنوا معهما.

(٧) فائزاً في كل طاعة بأعلى الدرجات.

(٨) روى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن مالك بن صعصعة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: أنه رأى إدريس في السماء الرابعة ليلة المعراج.
[البخاري: بدء الخلق، باب: ذكر الملائكة، رقم: ٣٠٣٥. مسلم: الإيمان، باب: الإسراء برسول الله ﷺ...، رقم: ١٦٤].

فائدة: عن عمرو بن معد يكرب رضي الله عنه قال: لما قرب الله موسى نجياً بطور سيناء قال: (يا موسى، إذا خلقت لك

عليهم﴾ صفة له(١) ﴿من النبيين﴾ بيان له، وهو في معنى الصفة، وما بعده إلى جملة الشرط صفة للنبيين، فقوله ﴿من ذرية آدم ﴾ أي إدريس ﴿ وممن حملنا مع نوح ﴾ في السفينة، أي إبراهيم ابن ابنه سام ﴿ ومن ذرية إبراهيم ﴾ أي إسماعيل وإسحاق ويعقوب ﴿ و ﴾ من ذرية ﴿ إسرائيل ﴾ وهو يعقوب، أي موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى ﴿ وممن هدينا واجتبينا ﴾(٢) أي من جملتهم، وخبر أولئك ﴿ إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا(٣) سجداً وبكياً ﴾ جمع ساجد وباك، أي فكونوا مثلهم. وأصل بكي بكوي، قلبت الواو ياء والضمة كسرة.

٥٩ ﴿ فخلف من بعدهم خلف(٤) أضاعوا الصلاة ﴾ بتركها، كاليهود والنصارى ﴿ واتبعوا الشهوات ﴾ من المعاصي ﴿ فسوف يلقون غيّاً﴾ وهو وادٍ في جهنم، أي يقعون فيه(٥).

٦٠ ﴿ إلا ﴾ لكن ﴿ من تاب وآمن وعمل صالحاً فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون ﴾ ينقصون ﴿ شيئاً ﴾ من ثوابهم.

٦١ ﴿ جنات عدن ﴾ إقامة، بدل من الجنة ﴿ التي وعد الرحمن عباده بالغيب ﴾ حال، أي غائبين عنها ﴿ إنه كان وعده ﴾ أي موعوده ﴿مأتياً﴾ بمعنى آتياً، وأصله مأتوي(٦)، أو: موعوده هنا الجنة يأتيه أهله.

٦٢ ﴿ لا يسمعون فيها لغواً ﴾ من الكلام ﴿ إلا ﴾ لكن يسمعون ﴿ سلاماً ﴾ من الملائكة عليهم، أو من بعضهم على بعض ﴿ ولهم رزقهم فيها بكرة وعشياً ﴾ اي على قدرهما في الدنيا، وليس في الجنة نهار ولا ليل، بل ضوء ونور أبداً.

٦٣ ﴿ تلك الجنة التي نورث ﴾ نعطي وننزل ﴿ من عبادنا من كان تقياً ﴾ بطاعته.

٦٤ ونزل ـ لما تأخر الوحي أياماً، وقال النبي ﷺ لجبريل: (ما يمنعك أن تزورنا)(٧) ـ ﴿وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا ﴾ أي أمامنا من أمور الآخرة ﴿ وما خلفنا ﴾ من أمور الدنيا ﴿ وما بين ذلك ﴾ اي ما يكون في هذا الوقت إلى قيام الساعة، أي له علم ذلك جميعه ﴿ وما كان ربك نسياً ﴾ بمعنى ناسياً، أي تاركاً لك بتأخير الوحي عنك.

٦٥ هو ﴿ رب ﴾ مالك ﴿ السماوات والأرض

(الجزء السادس عشر) ٤٠٢

عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ
وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ
إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُ ٱلرَّحْمَـٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾
۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟
ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ
وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ
شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾ جَنَّـٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ
إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَـٰمًا
وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى
نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا
بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ
وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ

قلباً شاكراً، ولساناً ذاكراً، وزوجة تعين على الخير، فلم أخزن عنك من الخير شيئاً، ومن أخزن عنه هذا فلم أفتح له من الخير شيئاً). [ذكره ابن كثير من طريق ابن أبي حاتم].

(١) أي الاسم الموصول مع صلته صفة للمبتدأ ﴿أولئك﴾ والمعنى: أولئك الموصوفون بإنعام الله عليهم، ثم جاء بيانه أنهم موصوفون بالنبوة أيضاً.

(٢) اخترنا واصطفينا.

(٣) سقطوا على وجوههم إلى الأرض خاضعين خاشعين.

(٤) قوم سوء، والخلْف يكون في السوء، والخَلَف في الخير.

(٥) والغي الخسران والهلاك والعذاب.

(٦) أي أصل مَأْتِيّ مأتُوْي، فاجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون، فقلبت الواو ياءً وأدغمت بالياء، وكسر ما قبلها لتناسب الحركة الياء.

(٧) انظر الحديث كاملاً في سبب نزول الآية

سبب نزول الآية [٦٤]: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لجبريل: (ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا). فنزلت: ﴿ وما نتنزل إلا بأمر ربك ﴾. [البخاري: التفسير/ مريم، باب ﴿ وما نتنزل إلا بأمر ربك ﴾ رقم: ٤٤٥٤].

وعن أنس رضي الله عنه قال: سأل النبيّ ﷺ جبريل: (أي البقاع أحبّ إلى الله وأبغض إلى الله). فقال: ما أدري حتى أسأل. فنزل جبريل، وكان قد أبطأ عليه، فقال: (لقد أبطأت عليّ حتى ظننت أن ترى عليّ موجدة). فقال: ﴿وما نتنزل إلا بأمر ربك﴾ الآية. [السيوطي]. [مَوْجِدة: غضباً].

وأخرج ابن إسحق عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن قريشاً لما سألوا عن أصحاب الكهف مكث خمس عشرة ليلة، لا يحدث الله له في ذلك وحياً، فلما نزل جبريل قال له: (أبطأت) فذكره.

وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته ﴾ أي اصبر عليها ﴿ هل تعلم له سمياً ﴾ أي مسمى بذلك؟ لا.

٦٦ ﴿ ويقول الإنسان ﴾ المنكر للبعث، أبي بن خلف، أو الوليد بن المغيرة، النازل فيه الآية ﴿ ءإذا ﴾ بتحقيق الهمزة الثانية، وتسهيلها، وإدخال الألف بينهما بوجهيها وبين الأخرى ﴿ ما مت لسوف أخرج حياً ﴾ من القبر، كما يقول محمد؟ فالاستفهام بمعنى النفي، أي لا أحيا بعد الموت. وما زائدة للتأكيد، وكذا اللام. ورد عليه بقوله تعالى:

٦٧ ﴿ أولاَ يَذَّكر الإنسان ﴾ أصله يتذكر، أبدلت التاء ذالاً وأدغمت في الذال، وفي قراءة بتركها وسكون الذال وضم الكاف ﴿ أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً ﴾ فيستدل بالابتداء على الإعادة.

٦٨ ﴿ فوربك لنحشرنهم﴾ أي المنكرين للبعث ﴿ والشياطين ﴾ أي نجمع كلاً منهم وشيطانه في سلسلة ﴿ ثم لنحضرنهم حول جهنم ﴾ من خارجها ﴿ جثياً ﴾ على الركب، جمع جاث، وأصله جُثُوو، أو جُثُوي، من جثا يجثو أو يجثي، لغتان.

٦٩ ﴿ ثم لننزعن من كل شيعة ﴾ فرقة منهم ﴿ أيهم أشد على الرحمن عتياً ﴾ جراءة.

٧٠ ﴿ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها ﴾ أحق بجهنم، الأشد وغيره منهم ﴿ صلياً ﴾ دخولاً واحتراقاً، فنبدأ بهم، وأصله صُلُوي، من صلي بكسر اللام وفتحها.

٧١ ﴿ وإن ﴾ أي ما ﴿ منكم ﴾ أحد ﴿ إلا واردها ﴾ أي داخل جهنم ﴿ كان على ربك حتماً مقضياً ﴾ حتمه وقضى به لا يتركه(١).

٧٢ ﴿ثم ننجي﴾ مشدداً ومخففاً(٢) ﴿الذين اتقوا﴾ الشرك والكفر منها ﴿ ونذر الظالمين ﴾ بالشرك والكفر ﴿ فيها جثياً ﴾ على الركب(٣).

٧٣ ﴿ وإذا تتلى عليهم ﴾ أي المؤمنين والكافرين ﴿ آياتنا ﴾ من القرآن ﴿ بينات ﴾ واضحات، حال ﴿ قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين ﴾ نحن وأنتم ﴿ خير مقاماً ﴾ منزلاً ومسكناً، بالفتح من قام، وبالضم من أقام(٤) ﴿ وأحسن ندياً ﴾ بمعنى النادي، وهو مجتمع القوم يتحدثون فيه، يعنون: نحن، فنكون خيراً منكم. قال تعالى:

٧٤ ﴿ وكم ﴾ أي كثيراً ﴿ أهلكنا قبلهم من قرن ﴾ أي أمة من الأمم الماضية ﴿ هم أحسن أثاثاً ﴾ مالاً ومتاعاً ﴿ ورئيا ﴾ منظراً، من الرؤية، فكما أهلكناهم لكفرهم نهلك هؤلاء.

٧٥ ﴿ قل من كان في الضلالة ﴾ شرط، جوابه ﴿ فليمدد ﴾ بمعنى الخبر، أي يمد

وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ
سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ
حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ
وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ
لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ
شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ
بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ
عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ
ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ
قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا
وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ
أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾ قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ

---

(١) روى مسلم عن أم مبشر الأنصارية رضي الله عنها: أنها سمعت النبي ﷺ يقول عند حفصة: (لا يدخل النار - إن شاء الله تعالى - من أصحاب الشجرة أحد من الذين بايعوا تحتها) قالت: بلى يا رسول الله، فانتهرها، فقالت حفصة: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾؟ فقال النبي ﷺ: (قد قال الله تعالى: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً﴾). [فضائل الصحابة، باب: من فضائل أصحاب الشجرة. . ، رقم: ٢٤٩٦].

(٢) أي قراءتان متواترتان: ﴿نُنَجِّي﴾ و ﴿نُنْجِي﴾.

(٣) أخرج البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير) وفي رواية (من إيمان). [البخاري، الإيمان، باب: زيادة الإيمان ونقصانه، رقم: ٤٤. مسلم: الإيمان، باب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها، رقم: ١٩٣].

(٤) أي في اللفظ قراءتان: ﴿مَقاماً﴾ و ﴿مُقاماً﴾. [النشر].

سبب نزول الآية [٦٦]: قال الواحدي: قال الكلبي: نزلت في أبيّ بن خلف، حين أخذ عظاماً بالية يفتها بيده ويقول: زعم لكم محمد أنا نبعث بعد ما نموت.

﴿ له الرحمن مداً ﴾ في الدنيا، يستدرجه(١) ﴿ حتى إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب ﴾ كالقتل والأسر ﴿ وإما الساعة ﴾ المشتملة على جهنم، فيدخلونها ﴿ فسيعلمون من هو شر مكاناً وأضعف جنداً ﴾ أعواناً، أهم أم المؤمنون؟ وجندهم الشياطين، وجند المؤمنين عليهم الملائكة.

٧٦ ﴿ ويزيد الله الذين اهتدوا ﴾ بالإيمان ﴿ هدى ﴾ بما ينزل عليهم من الآيات ﴿ والباقيات الصالحات ﴾ هي الطاعات تبقى لصاحبها ﴿ خير عند ربك ثواباً وخير مرداً ﴾ أي ما يرد إليه ويرجع، بخلاف أعمال الكفار. والخيرية هنا في مقابلة قولهم: «أي الفريقين خير مقاماً»(٢).

٧٧ ﴿ أفرأيت الذي كفر بآياتنا ﴾ العاصي بن وائل ﴿ وقال ﴾ لخباب بن الأرت، القائل له: تبعث بعد الموت، والمطالب له بمال ﴿ لأوتين ﴾ على تقدير البعث ﴿ مالاً وولداً ﴾ فأقضيك. قال تعالى:

٧٨ ﴿ أطلع الغيب ﴾ أي أعلمه، وأن يؤتى ما قاله؟ واستغني بهمزة الاستفهام عن همزة الوصل فحذفت ﴿ أم اتخذ عند الرحمن عهداً ﴾ بأن يؤتى ما قاله. ٧٩ ﴿ كلا ﴾ أي لا يؤتى ذلك ﴿ سنكتب ﴾ نأمر بكتب ﴿ ما يقول ونمد له من العذاب مداً ﴾ نزيده بذلك عذاباً فوق عذاب كفره.

٨٠ ﴿ ونرثه(٣) ما يقول ﴾ من المال والولد ﴿ ويأتينا ﴾ يوم القيامة ﴿ فرداً ﴾ لا مال له ولا ولد.

٨١ ﴿ واتخذوا ﴾ أي كفار مكة ﴿ من دون الله ﴾ الأوثان ﴿ آلهة ﴾ يعبدونهم ﴿ ليكونوا لهم عزاً ﴾ شفعاء عند الله بأن لا يعذبوا.

٨٢ ﴿ كلا ﴾ أي لا مانع من عذابهم ﴿ سيكفرون ﴾ أي الآلهة ﴿ بعبادتهم ﴾ أي ينفونها، كما في آية أخرى: «ما كانوا إيانا يعبدون»/ القصص: ٦٣/ ﴿ ويكونون عليهم ضداً ﴾ أعواناً وأعداء.

٨٣ ﴿ ألم ترَ أنا أرسلنا الشياطين ﴾ سلطناهم ﴿ على الكافرين تؤزهم ﴾ تهيجهم إلى المعاصي ﴿ أزاً ﴾(٤).

٨٤ ﴿ فلا تعجل عليهم ﴾ بطلب العذاب ﴿ إنما نعد لهم ﴾ الأيام والليالي، أو الأنفاس ﴿ عداً ﴾ إلى وقت عذابهم. ٨٥ اذكر ﴿ يوم نحشر المتقين ﴾ بإيمانهم

لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَدًّاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلۡعَذَابَ
وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعۡلَمُونَ مَنۡ هُوَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضۡعَفُ
جُندٗا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ هُدٗىۗ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ
ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٞ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾
أَفَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالٗا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾
أَطَّلَعَ ٱلۡغَيۡبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا ﴿٧٨﴾ كَلَّاۚ
سَنَكۡتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلۡعَذَابِ مَدّٗا ﴿٧٩﴾
وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأۡتِينَا فَرۡدٗا ﴿٨٠﴾ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ
ءَالِهَةٗ لِّيَكُونُواْ لَهُمۡ عِزّٗا ﴿٨١﴾ كَلَّاۚ سَيَكۡفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمۡ
وَيَكُونُونَ عَلَيۡهِمۡ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّآ أَرۡسَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ
عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمۡ أَزّٗا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعۡجَلۡ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّمَا
نَعُدُّ لَهُمۡ عَدّٗا ﴿٨٤﴾ يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ

---

(١) يدعه في طغيانه ويمهله في كفره، ويطيل عمره، ويكثر ماله، ويعطيه من نعمه، حتى يستوجب شديد العذاب لنفسه، مقابل إنكاره عظيم الفضل وكثير النعم عليه.

قال ابن كثير في تفسيره للآية: وهذه مباهلة للمشركين الذين يزعمون أنهم على هدى فيما هم فيه، كما ذكر تعالى مباهلة اليهود في قوله: ﴿قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين﴾ [الجمعة: ٦] أي: ادعوا على المبطل منا ومنكم بالموت إن كنتم تدعون أنكم على الحق، فإنه لا يضركم الدعاء، فنكلوا عن ذلك. وكما ذكر تعالى المباهلة مع النصارى في سورة [آل عمران] حين صمموا على الكفر، واستمروا على الطغيان والغلو في دعواهم أن عيسى ولد الله، وقد ذكر الله حججه وبراهينه على عبودية عيسى عليه السلام، وأنه مخلوق كآدم، قال بعد ذلك: ﴿فمن حاجك فيه بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾ [آل عمران: ٦١] فنكلوا أيضاً عن ذلك [فنكلوا: أي امتنعوا].

(٢) أي ذكر أفعل التفضيل ﴿خير﴾ هنا في مقابلة قولهم ذلك، وإلا فأعمالهم لا خير فيها أصلاً، فلا مفاضلة بين منزلتهم ومنازل المؤمنين.

(٣) أي نسلبه منه ونخرجه من الدنيا خالياً من ذلك.

(٤) تغريهم وتحركهم تحريكاً شديداً إليها، بتزيين الشهوات لهم. والأز يطلق على الغليان، وعلى الحركة الشديدة، والتهيج والإزعاج. والمعنى: تحرضهم على المعاصي تحريضاً شديداً.

سبب نزول الآية [٧٧]: عن خباب بن الأرت رضي الله عنه قال: جئت العاصي بن وائل السهمي أتقاضاه حقاً لي عنده، فقال: لا أعطيك حتى تكفر بمحمد، فقلت: لا حتى تموت ثم تبعث. قال: وإني لميت ثم مبعوث؟ قلت: نعم، قال: إن لي هناك مالاً وولداً فأقضيكه، فنزلت هذه

﴿ إلى الرحمن وفداً ﴾ جمع وافد بمعنى راكب(١).

٨٦ ﴿ ونسوق المجرمين ﴾ بكفرهم ﴿ إلى جهنم ورداً ﴾ جمع وارد بمعنى ماشٍ عطشان(٢).

٨٧ ﴿ لا يملكون ﴾ أي الناس ﴿ الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً ﴾ أي شهادة أن لا إله إلا الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٨٨ ﴿ وقالوا ﴾ أي اليهود، والنصارى، ومن زعم أن الملائكة بنات الله(٣) ﴿ اتخذ الرحمن ولداً ﴾. قال تعالى لهم:

٨٩ ﴿ لقد جئتم شيئاً إداً ﴾ أي منكراً عظيماً.

٩٠ ﴿تكاد﴾ بالتاء والياء ﴿السماوات يَنْفَطِرْنَ﴾ بالنون، وفي قراءة بالتاء وتشديد الطاء(٤)، بالانشقاق ﴿منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً﴾ أي تنطبق عليهم، من أجل:

٩١ ﴿ أن دعوا للرحمن ولداً ﴾. قال تعالى: ٩٢ ﴿ وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً ﴾ أي مايليق به ذلك.

٩٣ ﴿ إن ﴾ أي ما ﴿ كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عَبداً ﴾ ذليلاً خاضعاً يوم القيامة، منهم عزير وعيسى

وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾
لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾
وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾
تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ
ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى
لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ
وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ
وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ
بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ
مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًۢا ﴿٩٨﴾

٩٥ ﴿ لقد أحصاهم وعدهم عداً ﴾ فلا يخفى عليه مبلغ جمعهم ولا واحد منهم.

٩٦ ﴿ وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً ﴾ بلا مال، ولا نصير يمنعه.

٩٦ ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً ﴾ فيما بينهم يتوادون ويتحابون، ويحبهم الله تعالى(٥).

٩٧ ﴿ فإنما يسرناه ﴾ أي القرآن ﴿ بلسانك ﴾ العربي ﴿ لتبشر به المتقين ﴾ الفائزين بالإيمان ﴿ وتنذر ﴾ تخوف ﴿ به قوماً لداً ﴾ جمع ألد، أي جَدِلٌ بالباطل، وهم كفار مكة.

٩٨ ﴿ وكم ﴾ أي كثيراً ﴿ أهلكنا قبلهم من قرن ﴾ أي أمة من الأمم الماضية، بتكذيبهم الرسل ﴿ هل تحس ﴾ تجد ﴿ منهم من أحد أو تسمع لهم ركزاً ﴾ صوتاً خفياً؟ لا، فكما أهلكنا أولئك نهلك هؤلاء.

---

(١) ذكر الحشر في جانب المتقين تكرمة لهم، والسوق في جانب المجرمين إهانةً وإذلالاً لهم.

(٢) أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (يحشر الناس يوم القيامة على ثلاث طرائق، راغبين راهبين، واثنان على بعير وثلاثة على بعير وأربعة على بعير وعشرة على بعير، وتحشر معهم النار تقيل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث باتوا وتصبح معهم حيث أصبحوا وتمسي معهم حيث أمسوا). [البخاري: الرقاق، باب: كيف الحشر، رقم: ٦١٥٧. مسلم: الجنة وصفة نعيمها، باب: فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، رقم: ٢٨٦١]. [طرائق: أصناف. تقيل: من القيلولة وهي النوم في النهار للراحة].

(٣) وهم مشركو العرب، قال تعالى عنهم: ﴿ويجعلون لله البنات﴾/ النحل: ٥٧/. واليهود قالوا: ﴿عزير ابن الله﴾ والنصارى قالوا: ﴿المسيح ابن الله﴾/ التوبة: ٣٠/.

(٤) أي ﴿يَتَفَطَّرنَ﴾ وهي قراءة حفص.

(٥) أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: (إذا أحب الله سبحانه وتعالى عبداً دعا جبريل عليه السلام: إن الله تعالى يحب فلاناً فأحبه. فيحبه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض). [البخاري، بدء الخلق، باب: ذكر الملائكة،

الآية: ﴿أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتينّ مالاً وولداً﴾.[البخاري: التفسير/ مريم، باب: ﴿أفرأيت الذي كفر بآياتنا..﴾ رقم: ٤٤٥٥. مسلم: صفات المنافقين وأحكامهم. باب: سؤال اليهود النبي ﷺ عن الروح، رقم: ٢٧٩٥] قيناً: حداداً. أتقاضاه: أطلب منه أن يقضيني ديني.

سبب نزول الآية [٩٦]: أخرج ابن جرير عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: لما هاجر إلى المدينة وجد في نفسه على فراق أصحابه بمكة، منهم: شيبة وعتبة ابنا ربيعة، وأمية بن خلف، فأنزل الله: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً﴾. قال: محبة في قلوب المؤمنين. [وجد: حزن].

(سورة طه)

(مكية وآياتها مائة وخمس وثلاثون آية، أو: وأربعون، أو: واثنتان)

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿ طه ﴾ الله أعلم بمراده بذلك(١).

٢ ﴿ ما أنزلنا عليك القرآن ﴾ يا محمد ﴿ لتشقى ﴾ لتتعب بما فعلت بعد نزوله من طول قيامك بصلاة الليل، أي خفف عن نفسك.

٣ ﴿ إلا ﴾ لكن أنزلناه ﴿ تذكرة ﴾ به ﴿ لمن يخشى ﴾ يخاف الله.

٤ ﴿ تنزيلاً ﴾ بدل من اللفظ بفعله الناصب له(٢) ﴿ ممن خلق الأرض والسماوات العلى﴾ جمع عليا، ككبرى وكبر.

٥ هو ﴿ الرحمن على العرش ﴾ وهو في اللغة سرير الملك ﴿ استوى ﴾ استواءً يليق به(٣).

٦ ﴿ له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما ﴾ من المخلوقات ﴿ وما تحت الثرى ﴾ هو التراب الندي، والمراد: الأرضون السبع، لأنها تحته.

٧ ﴿ وإن تجهر بالقول ﴾ في ذكر أو دعاء، فالله غني عن الجهر به ﴿ فإنه يعلم السر وأخفى ﴾ منه، أي ما حدثت به النفس، وما خطر ولم تحدث به، فلا تجهد نفسك بالجهر.

٨ ﴿ الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى ﴾ التسعة والتسعون الوارد بها الحديث(٤)، والحسنى مؤنث الأحسن.

٩ ﴿ وهل ﴾ قد ﴿ أتاك حديث موسى ﴾.

١٠ ﴿ إذ رأى ناراً فقال لأهله ﴾ لامرأته ﴿ امكثوا ﴾ هنا، وذلك في مسيره من مدين طالباً مصر ﴿ إني آنست ﴾ أبصرت ﴿ ناراً لعلي آتيكم منها بقبس ﴾ بشعلة في رأس فتيلة أو عود ﴿ أو أجد على النار

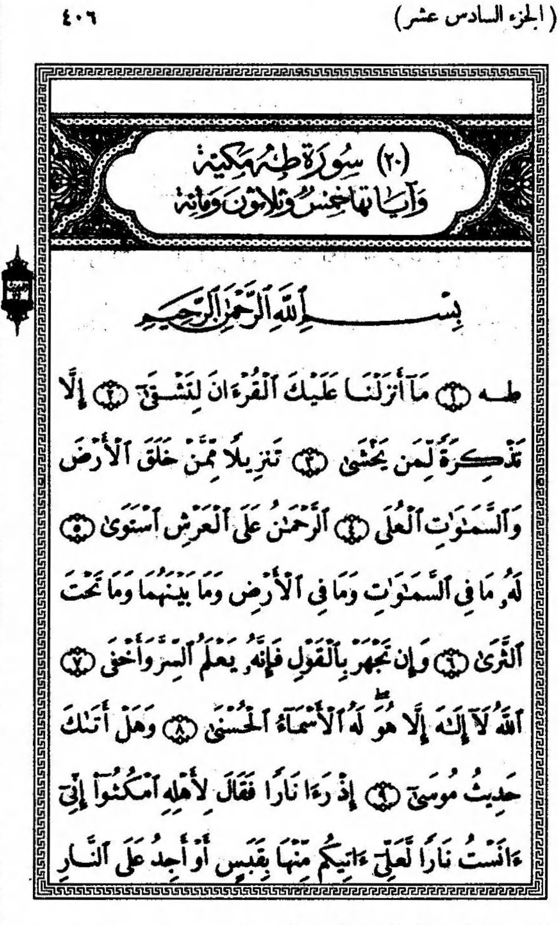

(الجزء السادس عشر) ٤٠٦

(٢٠) سُورَةُ طه مَكِّيَّة
وَآيَاتُهَا خَمْسٌ وَثَلَاثُونَ وَمِائَة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طه (١) مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ (٢) إِلَّا
تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ (٣) تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ
وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى (٤) ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ (٥)
لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ
ٱلثَّرَىٰ (٦) وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى (٧)
ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ (٨) وَهَلْ أَتَىٰكَ
حَدِيثُ مُوسَىٰٓ (٩) إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا إِنِّىٓ
ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ

رقم: ٣٠٣٧. مسلم: البر والصلة والآداب، باب: إذا أحب الله عبداً حببه إلى عباده، رقم: ٢٦٣٧].

(١) انظر/ البقرة: ١/.

(٢) عوض من التلفظ والنطق بفعله المقدر، والأصل: نزلناه تنزيلاً.

(٣) مع تنزيهنا له سبحانه عن مشابهة المخلوقات. والتعبير بالاستواء ـ ومن معانيه في اللغة الاستيلاء والقهر ـ يدل على أن جميع مخلوقاته جل وعلا ـ مهما عظمت ـ فهي تحت سلطانه وتصرفه وحده.

(٤) انظر/ الأعراف: ١٨٠/.

سبب نزول الايات الأولى من سورة ﴿طه﴾: عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبيّ ﷺ كان أوّل ما أنزل الله عليه الوحي يقوم على صدور قدميه إذا صلى، فأنزل الله: ﴿طه. ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى﴾.

وعن الربيع بن أنس قال: كان النبيّ ﷺ يراوح بين قدميه ليقوم على كلّ رجل، حتى نزلت: ﴿ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى﴾.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما ـ أيضاً ـ قال: قالوا لقد شقي هذا الرجل بربه، فأنزل الله: ﴿طه. ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى﴾. [السيوطي].

وذكر ابن كثير من أسباب نزول هذه الآيات ما قاله جويبر عن الضحاك: لما أنزل الله القرآن على رسوله ﷺ: قام به هو وأصحابه، فقال المشركون من قريش: ما أنزل هذا القرآن على محمد إلا ليشقى. فأنزل الله تعالى: ﴿طه. ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى. إلا تذكرة لمن يخشى﴾ فليس الأمر كما زعمه المبطلون، بل من آتاه الله العلم فقد أراد به خيراً كثيراً، كما ثبت في الصحيحين عن معاوية رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين). وما أحسن الحديث الذي رواه الحافظ أبو القاسم الطبراني في ذلك حيث قال: حدّثنا أحمد بن زهير: حدّثنا العلاء بن سالم: حدّثنا إبراهيم الطالقاني: حدّثنا ابن المبارك، عن سفيان، عن سماك بن حرب، عن ثعلبة بن الحكم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (يقول الله تعالى للعلماء يوم القيامة إذا قعد على كرسيه لقضاء عباده: إني لم أجعل علمي وحكمتي فيكم إلا وأنا أريد أن

هدى ﴾ أي هادياً يدلني على الطريق، وكان أخطأها لظلمة الليل، وقال «لعل» لعدم الجزم بوفاء الوعد.

١١ ﴿ فلما أتاها ﴾ وهي شجرة عوسج ﴿ نودي يا موسى ﴾.

١٢ ﴿ إني ﴾ بكسر الهمزة بتأويل نودي بقيل، وبفتحها بتقدير الباء ﴿ أنا ﴾ تأكيد لياء المتكلم ﴿ ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس ﴾ المطهر أو المبارك ﴿ طوى ﴾ بدل أو عطف بيان، بالتنوين وتركه، مصروف باعتبار المكان، وغير مصروف للتأنيث باعتبار البقعة مع العلمية.

١٣ ﴿ وأنا اخترتك ﴾ من قومك ﴿ فاستمع لما يوحى ﴾ إليك مني.

١٤ ﴿ إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري ﴾ فيها(١).

١٥ ﴿ إن الساعة آتية أكاد أخفيها ﴾ عن الناس، ويظهر لهم قربها بعلاماتها(٢) ﴿ لتجزى ﴾ فيها ﴿ كل نفس بما تسعى ﴾ به من خير أو شر.

١٦ ﴿ فلا يصدنك ﴾ يصرفنك ﴿ عنها ﴾ أي عن الإيمان بها ﴿من لا يؤمن بها واتبع هواه ﴾ في إنكارها ﴿ فتردى ﴾ أي فتهلك إن انصددت عنها.

١٧ ﴿ وما تلك ﴾ كائنة ﴿ بيمينك يا موسى ﴾ الاستفهام للتقرير، ليرتب عليه المعجزة فيها.

١٨ ﴿ قال هي عصاي أتوكأ ﴾ أعتمد ﴿ عليها ﴾ عند الوثوب(٣) والمشي ﴿ وأهش ﴾ أخبط ورق الشجر ﴿ بها ﴾ ليسقط ﴿ على غنمي ﴾ فتأكله ﴿ ولي فيها مآرب ﴾ جمع مأربة، مثلث الراء(٤)، أي حوائج ﴿ أخرى ﴾ كحمل الزاد، والسقاء، وطرد الهوام. وزاد في الجواب بيان حاجاته بها.

١٩ ﴿ قال ألقها يا موسى ﴾.

٢٠ ﴿ فألقاها فإذا هي حية ﴾ ثعبان عظيم ﴿ تسعى ﴾ تمشي على بطنها سريعاً كسرعة الثعبان الصغير، المسمى بالجان(٥)، المعبر به فيها في آية أخرى/ النمل: ١٠/و/ القصص: ٣١/.

٢١ ﴿ قال خذها ولا تخف ﴾ منها ﴿ سنعيدها سيرتها ﴾ منصوب بنزع الخافض، أي إلى حالتها ﴿ الأولى ﴾ فأدخل يده في فمها فعادت عصا، فتبين أن موضع الإدخال موضع مسكها بين شعبتيها(٦)، وأري ذلك السيد موسى لئلا يجزع إذا انقلبت حية لدى فرعون.

٢٢ ﴿ واضمم يدك ﴾ اليمنى، بمعنى الكف ﴿ إلى جناحك ﴾ أي جنبك الأيسر، تحت العضد إلى الإبط، وأخرجها ﴿ تخرج ﴾ خلاف ما كانت عليه من الأدمة(٧) ﴿ بيضاء من غير سوء ﴾ أي برص، تضيء كشعاع الشمس، تعشي البصر(٨) ﴿ آية أخرى ﴾ وهي وبيضاء حالان من ضمير تخرج.

٤٠٧ (سورة طه)

هُدًى (١٠) فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ (١١) إِنِّيٓ أَنَا۠
رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى (١٢)
وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ (١٣) إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ
لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ (١٤)
إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا
تَسۡعَىٰ (١٥) فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ
هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ (١٦) وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ (١٧) قَالَ هِيَ
عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيۡهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا
مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ (١٨) قَالَ أَلۡقِهَا يَٰمُوسَىٰ (١٩) فَأَلۡقَىٰهَا فَإِذَا
هِيَ حَيَّةٞ تَسۡعَىٰ (٢٠) قَالَ خُذۡهَا وَلَا تَخَفۡ ۖ سَنُعِيدُهَا
سِيرَتَهَا ٱلۡأُولَىٰ (٢١) وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخۡرُجۡ
بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخۡرَىٰ (٢٢) لِنُرِيَكَ مِنۡ

---

(١) لتذكرني فيها، لاشتمالها على كلامي وغيره من أنواع الذكر. أو: إذا ذكرتني فصل، روى البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من نسي صلاة فليصل إذا ذكرها، لا كفارة لها إلا ذلك) وتلا قتادة: ﴿وأقم الصلاة لذكري﴾. [البخاري: مواقيت الصلاة، باب: من نسي صلاة فليصل إذا ذكرها. .، رقم: ٥٧٢. مسلم: المساجد ومواضع الصلاة، باب: قضاء الصلاة الفائتة واستحباب تعجيل قضائها، رقم: ٦٨٤].

(٢) أي الأحداث العظيمة التي ورد في الأحاديث الصحيحة أن ظهورها يكون دليل قرب الساعة.

(٣) النهوض للقيام.

(٤) أي بفتحها وكسرها وضمها.

(٥) الثعبان الصغير.

(٦) أي علم، بعدما انقلبت عصا، أن الموضع الذي أدخل يده فيه هو موضع مسكها حين يعتمد عليها، لأنه وجد يده بين شعبتيها بعد انقلابها، ويده على حالها لم يتغير موضعها.

(٧) السمرة.

(٨) أي تضعفه.

أغفر لكم، على ما كان منكم، ولا أبالي) إسناده جيد. [وحديث معاوية رضي الله عنه أخرجه البخاري في العلم، باب: من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، رقم: ٧١. ومسلم في الزكاة، باب: النهي عن المسألة، رقم: ١٠٣٧].

٢٣ ﴿ لنريك ﴾ بها إذا فعلت ذلك لإظهارها ﴿ من آياتنا ﴾ الآية ﴿ الكبرى ﴾ أي العظمى على رسالتك، وإذا أراد عودها إلى حالتها الأولى ضمها إلى جناحه - كما تقدم - وأخرجها.

٢٤ ﴿ اذهب ﴾ رسولاً ﴿ إلى فرعون ﴾ ومن معه ﴿ إنه طغى ﴾ جاوز الحد في كفره إلى ادعاء الإلهية.

٢٥ ﴿ قال رب اشرح لي صدري ﴾ وسعه لتحمل الرسالة.

٢٦ ﴿ ويسر ﴾ سهل ﴿ لي أمري ﴾ لأبلغها.

٢٧ ﴿ واحلل عقدة(١) من لساني ﴾ حدثت من احتراقه بجمرة وضعها بفيه وهو صغير.

٢٨ ﴿ يفقهوا ﴾ يفهموا ﴿ قولي ﴾ عند تبليغ الرسالة.

٢٩ ﴿ واجعل لي وزيراً ﴾ معيناً عليها ﴿ من أهلي ﴾.

٣٠ ﴿ هارون ﴾ مفعول ثانٍ ﴿ أخي ﴾ عطف بيان.

٣١ ﴿ اشدد به أزري ﴾ ظهري.

٣٢ ﴿ وأشركه في أمري ﴾ أي الرسالة، والفعلان بصيغتي الأمر، والمضارع المجزوم(٢) وهو جواب الطلب.

٣٣ ﴿ كي نسبحك ﴾ تسبيحاً ﴿ كثيراً ﴾.

٣٤ ﴿ ونذكرك ﴾ ذكراً ﴿ كثيراً ﴾.

٣٥ ﴿ إنك كنت بنا بصيراً ﴾ عالماً، فأنعمت بالرسالة.

٣٦ ﴿ قال قد أوتيت سؤلك(٣) يا موسى ﴾ مَنًّا عليك.

٣٧ ﴿ ولقد مننا عليك مرة أخرى ﴾.

٣٨ ﴿ إذ ﴾ للتعليل ﴿ أوحينا إلى أمك ﴾ مناماً أو إلهاماً، لما ولدتك وخافت أن يقتلك فرعون في جملة من يولد ﴿ ما يوحى ﴾ في أمرك. ويبدل منه:

٣٩ ﴿ أن اقذفيه ﴾ ألقيه ﴿ في التابوت(٤) فاقذفيه ﴾ بالتابوت ﴿ في اليم ﴾ بحر النيل ﴿ فليلقه اليم بالساحل ﴾ أي شاطئه، والأمر بمعنى الخبر(٥) ﴿ يأخذه عدو لي وعدو له ﴾ وهو فرعون ﴿ وألقيت ﴾ بعد أن أخذك ﴿ عليك محبة مني ﴾ لتحب من الناس، فأحبك فرعون وكل من رآك ﴿ ولتصنع على عيني ﴾ تربى على رعايتي وحفظي لك.

٤٠ ﴿ إذ ﴾ للتعليل ﴿ تمشي أختك ﴾ مريم، لتتعرف من خبرك، وقد أحضروا مراضع، وأنت لا تقبل ثدي واحدة منهنّ ﴿ فتقول هل أدلكم على من يكفله ﴾(٦) فأجيبت، فجاءت بأمه فقبل ثديها ﴿ فرجعناك إلى أمك

ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾
قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾
وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾
وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ
بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ
كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾
قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ
مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾
أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ
بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً
مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ
هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ

---

(١) لكنة، وهي العي وثقل اللسان.

(٢) أي ﴿اشْدُد﴾ بهمزة الوصل، ﴿أَشْرِكْه﴾ بفتح همزة المضارع، فالفاعل هو الله تعالى. و﴿أَشْدُدْ﴾ بهمزة القطع المفتوحة، و﴿أُشْرِكْهُ﴾ بضم الهمزة، فالفاعل موسى عليه السلام.

(٣) أجبت لما طلبت.

(٤) هو الصندوق.

(٥) أي اقذفيه يلقه.

(٦) يتعهده ويرضعه.

فائدة: في فضل التسبيح والذكر. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم) متفق عليه.

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لأن أقول سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس) رواه مسلم. [البخاري: الدعوات، باب: فضل التسبيح، رقم: ٦٠٤٣. مسلم: الذكر والدعاء. . ، باب: فضل التهليل والتسبيح والدعاء، رقم: ٢٦٩٤، ٢٦٩٥] [خفيفتان: سهلتان. ثقيلتان: في وزن ثوابهما. حبيبتان: محبوبتان، أي إن تعالى يقبلهما ويوصل الخير لقائلهما ويكرمه].

وعنه رضي الله عنه: أن رسول الله قال: (يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم) متفق عليه. وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: (سبق المفردون) قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: (الذاكرون الله كثيراً والذاكرات) رواه مسلم. [البخاري: التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿ويحذركم الله نفسه﴾ [آل عمران: ٢٨] رقم: ٦٩٧٠. مسلم: الذكر والدعاء والتوبة، باب: الحث على ذكر الله تعالى، رقم: ٢٦٧٥، ٢٦٧٦].

كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ
ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ
جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ (٤٠) وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى (٤١)
ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى (٤٢)
ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ (٤٣) فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا
لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ (٤٤) قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن
يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ (٤٥) قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ
أَسْمَعُ وَأَرَىٰ (٤٦) فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ
مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن
رَّبِّكَ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ (٤٧) إِنَّا قَدْ أُوحِىَ
إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (٤٨) قَالَ فَمَن
رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ (٤٩) قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ

كي تقرعينها ﴾(١) بلقائك ﴿ ولا تحزن ﴾ حينئذٍ ﴿ وقتلت نفساً ﴾ هو القبطي بمصر، فاغتممت لقتله من جهة فرعون ﴿ فنجيناك من الغم وفتناك فتوناً ﴾ اختبرناك في الإيقاع في غير ذلك، وخلصناك منه ﴿ فلبثت سنين ﴾ عشراً ﴿ في أهل مدين ﴾ بعد مجيئك إليها من مصر، عند شعيب النبي، وتزوجك بابنته ﴿ ثم جئت على قدر ﴾ في علمي بالرسالة، وهو أربعون سنة من عمرك ﴿ يا موسى ﴾.

٤١ ﴿ واصطنعتك ﴾ اخترتك ﴿ لنفسي ﴾ بالرسالة.

٤٢ ﴿ اذهب أنت وأخوك ﴾ إلى الناس ﴿ بآياتي ﴾ التسع(٢) ﴿ ولا تنيا ﴾ تفترا(٣) ﴿ في ذكري ﴾ بتسبيح وغيره.

٤٣ ﴿ اذهبا إلى فرعون إنه طغى ﴾ بادعائه الربوبية.

٤٤ ﴿ فقولا له قولاً ليناً ﴾(٤) في رجوعه عن ذلك ﴿ لعله يتذكر ﴾ يتعظ ﴿ أو يخشى ﴾ الله فيرجع، والترجي بالنسبة إليهما، لعلمه تعالى بأنه لا يرجع.

٤٥ ﴿ قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا ﴾ أي يعجل بالعقوبة ﴿ أو أن يطغى ﴾ علينا، أي يتكبر(٥).

٤٦ ﴿ قال لا تخافا إنني معكما ﴾ بعوني ﴿ أسمع ﴾ ما يقول ﴿ وأرى ﴾ ما يفعل(٦).

٤٧ ﴿ فأتياه فقولا إنا رسولا ربك فأرسل معنا بني إسرائيل ﴾ إلى الشام ﴿ ولا تعذبهم ﴾ أي خل عنهم من استعمالك إياهم في أشغالك الشاقة، كالحفر والبناء وحمل الثقيل ﴿ قد جئناك بآية ﴾ بحجة ﴿ من ربك ﴾ على صدقنا بالرسالة ﴿ والسلام على من اتبع الهدى ﴾ أي السلامة له من العذاب.

٤٨ ﴿ إنا قد أوحي إلينا أن العذاب على من كذب ﴾ ما جئنا به ﴿ وتولى ﴾ أعرض عنه. فأتياه وقالا جميع ما ذكر.

٤٩ ﴿ قال فمن ربكما يا موسى ﴾ اقتصر عليه لأنه الأصل، ولإدلاله عليه بالتربية(٧).

٥٠ ﴿ قال ربنا الذي أعطى كل شيء ﴾ من الخلق

فائدة: في الرفق بالقول ونحوه. عن عائشة رضي الله تعالى عنها: أن يهود أتوا النبي ﷺ فقالوا: السام عليكم، فقالت عائشة: عليكم ولعنكم الله، وغضب الله عليكم. قال: (مهلاً يا عائشة، عليك بالرفق، وإياك والعنف والفحش). قالت: أولم تسمع ما قالوا؟ قال: (أولم تسمعي ما قلت؟ رددت عليهم، فيستجاب لي فيهم ولا يستجاب لهم فيَّ). [البخاري: الأدب، باب: لم يكن النبي ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً، رقم: ٥٦٨٣. مسلم: السلام، باب: النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف الرد عليهم، رقم: ٢١٦٥]. [السام: الموت. وإياك والعنف: احذري الشدة والقسوة وابتعدي عن ذلك. الفحش: التكلم بالقبيح].

وعن مالك بن الحويرث رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ في نفر من قومي، فأقمنا عنده عشرين ليلة، وكان رحيماً رفيقاً، فلما رأى شوقنا إلى أهالينا قال: (ارجعوا فكونوا فيهم، وعلموهم، وصلوا، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم، وليؤمكم أكبركم). [البخاري: الأذان، باب: من قال ليؤذن في السفر مؤذن واحد، رقم: ٦٠٢. مسلم: المساجد ومواضع الصلاة، باب: من أحق بالإمامة، رقم: ٦٧٤] [وليؤمكم: يصلي بكم إماماً. أكبركم: لأنهم متساوون بالعلم والفضل، لمكثهم نفس المدة عند النبي ﷺ].

وعن جرير رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (من يحرم الرِّفق يحرم الخير).

وعن عائشة زوج النبي ﷺ ورضي الله عنها، عن النبي ﷺ قال: (إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه).

وعنها رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ قال: (يا عائشة، إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي

---

(١) تسر وتبرد دمعة حزنها ويطمئن قلبها.

(٢) انظر/الإسراء:١٠١/و/النمل:١٢/. (٣) تنقطعا أو تقصرا.

(٤) سهلاً لطيفاً. وانظر في هذا القول اللين/النازعات: ١٨، ١٩/.

(٥) ويتجاوز الحد في الإساءة إلينا.

(٦) فاحفظكما وأمنع وصول أذاه إليكما، واستجيب دعاءكما إن دعوتماني، فأنزل فيه عقوبتي، وأجعل تدبيره عليه.

(٧) أي اقتصر فرعون في خطابه على موسى عليه السلام: لأنه هو الأصل في تبليغ الرسالة، وهارون عليه السلام معاون له. وظناً منه أن يستميله نحوه بتذكيره بتربيته له، كما جاء في/الشعراء: ١٨/.

﴿ خلقه ﴾(١) الذي هو عليه، متميز به عن غيره ﴿ ثم هدى ﴾ الحيوان منه إلى مطعمه ومشربه ومنكحه وغير ذلك(٢).

٥١ ﴿ قال ﴾ فرعون ﴿ فما بال ﴾ حال ﴿ القرون ﴾ الأمم ﴿ الأولى ﴾ كقوم نوح وهود ولوط وصالح، في عبادتهم الأوثان؟.

٥٢ ﴿ قال ﴾ موسى ﴿ علمها ﴾ أي علم حالهم محفوظ ﴿ عند ربي في كتاب ﴾ هو اللوح المحفوظ، يجازيهم عليها يوم القيامة ﴿ لا يضل ﴾ يغيب ﴿ ربي ﴾ عن شيء ﴿ ولا ينسى ﴾ ربي شيئاً.

٥٣ هو ﴿ الذي جعل لكم ﴾ في جملة الخلق ﴿ الأرض مهاداً ﴾ فراشاً(٣) ﴿ وسلك ﴾ سهل ﴿ لكم فيها سبلاً ﴾ طرقاً ﴿ وأنزل من السماء ماء ﴾ مطراً، قال تعالى - تتميماً لما وصفه به موسى، وخطاباً لأهل مكة - ﴿ فأخرجنا به أزواجاً ﴾ أصنافاً ﴿ من نبات شتى ﴾ صفة أزواجاً، أي مختلفة الألوان والطعوم وغيرهما. وشتى جمع شتيت كمريض ومرضى، من شت الأمر تفرق.

٥٤ ﴿ كلوا ﴾ منها ﴿ وارعوا أنعامكم ﴾ فيها، جمع نعم، وهي: الإبل والبقر والغنم، يقال: رعت الأنعام ورعيتها، والأمر للإباحة وتذكير النعمة، والجملة حال من ضمير أخرجنا، أي مبيحين لكم الأكل ورعي الأنعام ﴿ إن في ذلك ﴾ المذكور هنا ﴿ لآيات ﴾ لعبراً ﴿ لأولي النهى ﴾ لأصحاب العقول، جمع نهية كغرفة وغرف، سمي به العقل لأنه ينهى صاحبه عن ارتكاب القبائح.

٥٥ ﴿ منها ﴾ أي من الأرض ﴿ خلقناكم ﴾ بخلق أبيكم آدم منها ﴿ وفيها نعيدكم ﴾ مقبورين بعد الموت ﴿ ومنها نخرجكم ﴾ عند البعث ﴿ تارة ﴾ مرة ﴿ أخرى ﴾ كما أخرجناكم عند ابتداء خلقكم.

٥٦ ﴿ ولقد أريناه ﴾ أي أبصرنا فرعون ﴿ آياتنا كلها ﴾ التسع(٤) ﴿ فكذب ﴾ بها وزعم أنها سحر ﴿ وأبى ﴾ أن يوحد الله تعالى.

٥٧ ﴿ قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا ﴾ مصر، ويكون لك الملك فيها ﴿ بسحرك يا موسى ﴾.

٥٨ ﴿ فلنأتينك بسحر مثله ﴾ يعارضه ﴿ فاجعل بيننا وبينك موعداً ﴾ لذلك(٥) ﴿ لا نخلفه نحن ولا أنت مكاناً ﴾ منصوب بنزع الخافض (في). ﴿ سوى ﴾ بكسر أوله وضمه، أي وسطاً، تستوي إليه مسافة الجائي من الطرفين(٦).

٥٩ ﴿ قال ﴾ موسى ﴿ موعدكم يوم الزينة ﴾ يوم عيد لهم، يتزينون فيه ويجتمعون ﴿ وأن يحشر الناس ﴾ يجمع أهل مصر ﴿ ضحى ﴾ وقته، للنظر فيما يقع(٧).

٦٠ ﴿ فتولى فرعون ﴾ أدبر(٨) ﴿ فجمع كيده ﴾ أي ذوي كيده(٩) من السحرة ﴿ ثم أتى ﴾ بهم الموعد.

خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ
عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾
ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا
سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن
نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ
لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ * مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا
نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ
ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ
أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ
فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ
مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ
ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾

---

(١) صورته وشكله اللائق بما تعلق به من الخواص والمنافع.

(٢) ألهم ما فيه حياة من خلقه التصرف بما يحقق المنفعة منه.

(٣) ممهدة صالحة للعيش والارتفاق بها كالفراش. وفي قراءة ﴿مَهْداً﴾.

(٤) انظر /الإسراء: ١٠١/ و/ النمل: ١٢/.

(٥) لإتياننا بمثل ما جئت به، ومبارزتنا لك فيه.

(٦) أي طرفي المدينة.

(٧) أي وقت ارتفاع الشمس، والغرض: أن يجتمع العدد الأكبر من الناس، ويشاهدوا الحق جهاراً، لا شك فيه ولا ارتياب.

(٨) انصرف من المجلس.

(٩) خدعه وحيله.

على ما سواه). [مسلم: البر والصلة والآداب، باب: فضل الرفق، رقم: ٢٥٩٢ - ٢٥٩٤].

[زانه: زينه وحسنه وكمله. شانه: نقصه وعابه. يعطي على الرفق: يثيب عليه].

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إن هذا الدين متين، فأوغلوا فيه برفق). [مسند أحمد: ١٩٩/٣] [متين: قوي محكم. فأوغلوا: الوغول الدخول في الشيء، والمعنى: سيروا فيه برفق لتصلوا إلى غايتكم منه دون مشقة أو حرج].

عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: (إذا أراد الله عزّ وجلّ بأهل بيت خيراً أدخل عليهم الرفق). [مسند أحمد: ٧١/٦].

٦١ ﴿ قال لهم موسى ﴾ وهم اثنان وسبعون، مع كل واحد حبل وعصا ﴿ ويلكم ﴾ أي ألزمكم الله الويل(١) ﴿ لا تفتروا على الله كذباً ﴾ بإشراك أحد معه ﴿فيسحتكم﴾ بضم الياء وكسر الحاء وبفتحهما(٢)، أي يهلككم ﴿بعذاب﴾ من عنده ﴿ وقد خاب ﴾ خسر ﴿ من افترى ﴾ كذب على الله.

٦٢ ﴿ فتنازعوا أمرهم بينهم ﴾ في موسى وأخيه ﴿ وأسروا النجوى ﴾ أي الكلام بينهم فيهما.

٦٣ ﴿ قالوا ﴾ لأنفسهم ﴿ إنْ هذين ﴾ لأبي عمرو، ولغيره «هذان» وهو موافق للغة من يأتي في المثنى بالألف في أحواله الثلاث(٣) ﴿ لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى ﴾ مؤنث أمثل بمعنى أشرف، أي بأشرافكم، بميلهم إليهما لغلبتهما(٤).

٦٤ ﴿ فاجمعوا كيدكم ﴾ من السحر، بهمزة وصل وفتح الميم من جمع أي لمَّ، وبهمزة قطع وكسر الميم من أجمع أحكم ﴿ ثم ائتوا صفاً ﴾ حال، أي مصطفين ﴿ وقد أفلح ﴾ فاز ﴿ اليوم من استعلى ﴾ غلب.

٦٥ ﴿ قالوا يا موسى ﴾ اختر ﴿ إما أن تلقي ﴾ عصاك أولاً ﴿ وإما أن نكون أول من ألقى ﴾ عصاه(٥).

٦٦ ﴿ قال بل ألقوا ﴾ فألقوا ﴿ فإذا حبالهم وعصيهم ﴾ أصله عُصُوو، قلبت الواوان ياءين، وكسرت العين والصاد ﴿ يخيل إليه من سحرهم أنها ﴾ حيات ﴿ تسعى ﴾(٦) على بطونها.

٦٧ ﴿ فأوجس ﴾ أحس ﴿ في نفسه خيفة موسى ﴾ أي خاف ـ من جهة أن سحرهم من جنس معجزته ـ أن يلتبس أمره على الناس فلا يؤمنوا به.

٦٨ ﴿ قلنا ﴾ له ﴿ لا تخف إنك أنت الأعلى ﴾ عليهم بالغلبة.

٦٩ ﴿ وألق ما في يمينك ﴾ وهي عصاه ﴿ تلقف ﴾ تبتلع ﴿ ما صنعوا إنما صنعوا كيد(٧) ساحر ﴾ أي جنسه(٨) ﴿ ولا يفلح الساحر حيث أتى ﴾ بسحره، فألقى موسى عصاه فتلقفت كل ما صنعوه.

٧٠ ﴿ فألقي السحرة سجداً ﴾ خروا(٩) ساجدين لله تعالى ﴿ قالوا آمنا

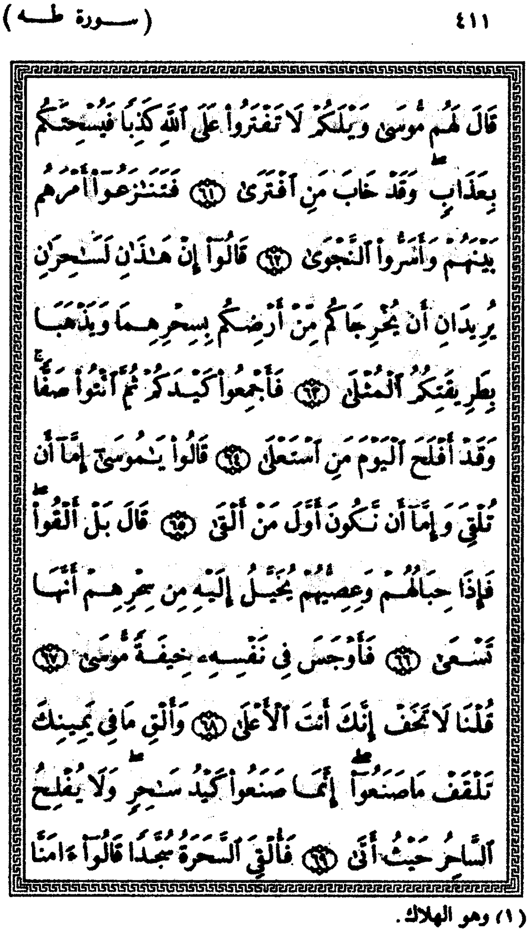

(ســورة طــه) ٤١١

قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم
بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ (٦١) فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم
بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ (٦٢) قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ
يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا
بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ (٦٣) فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ
وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ (٦٤) قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن
تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ (٦٥) قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ
فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا
تَسْعَىٰ (٦٦) فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ (٦٧)
قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ (٦٨) وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ
تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ
ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ (٦٩) فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا

---

(١) وهو الهلاك.

(٢) اي ﴿فَيُسْحِتَكُم﴾ و﴿فَيَسْحَتَكم﴾ من اسحت وسحت..

(٣) أي النصب والجر والرفع، وهذا على قراءة تشديد نون إنَّ، وفي قراءة تخفيفها ﴿إنْ هذان﴾ يكون اسمها ضمير الشأن، وهذان لساحران مبتدأ وخبر، والجملة خبر إن المخففة.

(٤) أو: يذهبا بدينكم وسنتكم.

(٥) وغيرها.

(٦) تتحرك وتمشي.

(٧) خداع وحيلة.

(٨) أي المراد بلفظ ساحر جنسه، لا واحد بعينه، فيشمل كل ساحر.

(٩) سقطوا إلى الأرض على وجوههم. قال الزمخشري صاحب الكشاف: سبحان الله، ما أعجب أمرهم! قد ألقوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود، ثم ألقوا رؤوسهم بعد ساعة للشكر والسجود، فما أعظم الفرق بين الإلقاءين.

فائدة: في تحريم السحر. عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (اجتنبوا السبع الموبقات). قالوا: يا رسول الله، وما هُنَّ؟ قال: (الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحقِّ، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات). [البخاري: الوصايا، باب: قول الله تعالى: ﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى..﴾ رقم: ٢٦١٥. مسلم: الإيمان، باب: بيان الكبائر وأكبرها، رقم: ٨٩].

[اجتنبوا: ابتعدوا. الموبقات: المهلكات. السحر: هو في اللغة: عبارة عما لطف وخفي سببه، وبمعنى: صرف الشيء عن وجهه، ويستعمل بمعنى الخداع. والمراد هنا: ما يفعله المشعوذون من تخيلات وتمويه، تأخذ بأبصار المشاهدين، وتوهمهم الإتيان بحقيقة أو تغييرها. بالحق: كالقتل قصاصاً. التولي يوم الزحف: الفرار عن القتال يوم ملاقاة الكفار، والزحف في الأصل الجماعة الذين يزحفون إلى العدو، أي يمشون إليهم بمشقة، مأخوذ من زحف الصبي إذا مشى على مقعدته. قذف: هو الاتهام والرمي بالزنا. المحصنات: جمع محصنة، وهي العفيفة التي حفظت فرجها، وصانها الله عن الزنا. الغافلات: البريئات اللواتي لا يفطن إلى ما مارمين به من الفجور].

وعن عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من تَصَبَّحَ كُلَّ يوم سبع تمرات عجوة، لم يضره في ذلك

برب هارون وموسى ﴾.

٧١ ﴿ قال ﴾ فرعون ﴿ أآمنتم ﴾ بتحقيق الهمزتين، وإبدال الثانية ألفاً(١) ﴿ له قبل أن آذن ﴾ أنا ﴿ لكم إنه لكبيركم ﴾ معلمكم ﴿ الذي علمكم السحر فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ﴾ حال بمعنى مختلفة، أي الأيدي اليمنى والأرجل اليسرى ﴿ولأصلبنكم في جذوع النخل ﴾ أي عليها ﴿ ولتعلمن أينا ﴾ يعني نفسه ورب موسى ﴿ أشد عذاباً وأبقى ﴾ أدوم على مخالفته(٢).

٧٢ ﴿ قالوا لن نؤثرك ﴾ نختارك ﴿ على ما جاءنا من البينات ﴾(٣) الدالة على صدق موسى ﴿ والذي فطرنا ﴾ خلقنا، قسم، أو عطف على ما ﴿ فاقض ما أنت قاض ﴾ أي اصنع ما قلته(٤) ﴿ إنما تقضي هذه الحياة الدنيا ﴾ النصب على الاتساع(٥)، أي فيها، وتجزى عليه في الآخرة.

٧٣ ﴿ إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا ﴾ من الإشراك وغيره ﴿ وما أكرهتنا عليه من السحر ﴾ تعلماً وعملاً، لمعارضة موسى ﴿ والله خير ﴾ منك ثواباً إذا أطيع ﴿ وأبقى ﴾ منك عذاباً إذا عصي.

٧٤ قال تعالى: ﴿ إنه من يأتِ ربه مجرماً ﴾ كافراً كفرعون ﴿ فإن له جهنم لا يموت فيها ﴾ فيستريح ﴿ ولا يحيى ﴾ حياة تنفعه.

٧٥ ﴿ ومن يأته مؤمناً قد عمل الصالحات ﴾ الفرائض والنوافل ﴿ فأولئك لهم الدرجات العلى ﴾(٦) جمع عليا، مؤنث أعلى.

٧٦ ﴿ جنات عدن ﴾ أي إقامة، بيان له ﴿ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى ﴾ تطهر من الذنوب.

رَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ
لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ
أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ
ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ لَن
نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ
مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾
إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ
مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ
مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾
وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ
ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا
ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾

---

(١) أي ﴿آمنتم﴾.

(٢) للآخر.

(٣) المعجزات الظاهرة.

(٤) وما أنت صانعه.

(٥) أي التسمح، لأن المراد: إن حكمك وسلطانك لا أثر له إلا في هذه الدنيا، وسيزول عن قريب، وليس المراد أنه يقضي الحياة الدنيا من حيث هي.

(٦) المنازل الرفيعة. أخرج الترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إن أهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما ترون النجم الطالع في أفق السماء، وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعما) أي إنهما احسنا العمل الذي يجعلهما أهلاً لهذه الدرجات، وزادا في الفضل والإحسان حتى بلغا الغاية والنهاية، وصارا ذَوَيْ نعمة في هذا. [الترمذي في المناقب، باب: مناقب أبي بكر الصديق رضي الله عنه، رقم: ٣٦٥٩]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: كانت السحرة سبعين رجلاً، أصبحوا سحرة وأمسوا شهداء. [تفسير ابن كثير].

اليوم سَمٌّ ولا سِحرٌ). [البخاري: الأطعمة، باب: العجوة، رقم: ٥١٣٠. مسلم: الأشربة، باب: فضل تمر المدينة، رقم: ٢٠٤٧] تصبح: أكل صباحاً قبل أن يأكل شيئاً.

وعن جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (حد الساحر ضربه بالسيف). قال الترمذي: هذا حديث لا نعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه، والصحيح عن جندب موقوف. والعمل على هذا الحديث عند بعض أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم، وهو قول مالك بن أنس، وقال الشافعي: إنما يقتل الساحر إذا كان يعمل في سحره ما يبلغ به الكفر، فإذا عمل عملاً دون الكفر فلم نر عليه قتلاً. [الترمذي: الحدود، باب: ما جاء في حد الساحر، رقم: ١٤٦٠].

قال النووي رحمه الله تعالى في شرح صحيح مسلم [كتاب السلام، باب: السحر: ١٧٦/١٤]: فعمل السحر حرام، وهو من الكبائر بالإجماع، وقد سبق في كتاب الإيمان أن رسول الله ﷺ عده من السبع الموبقات، وسبق هناك شرحه، ومختصر ذلك: أنه قد يكون كفراً، وقد لا يكون كفراً، بل معصية كبيرة: فإن كان فيه قول أو فعل يقتضي الكفر كفر وإلاّ فلا. وأما تعلمه وتعليمه فحرام، فإن تضمن ما يقتضي الكفر كفر، وإلا فلا، وإذا لم يكن فيه ما يقتضي الكفر عُزِّر واستتيب منه، ولا يقتل عندنا، فإن تاب قبلت توبته. وقال مالك: الساحر كافر، يقتل بالسحر، ولا يستتاب ولا تقبل توبته، بل يتحتم قتله. قال القاضي عياض: وبقول مالك قال أحمد بن حنبل، وهو مروي عن جماعة من الصحابة والتابعين. قال أصحابنا:

٧٧ ﴿ ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي ﴾ بهمزة قطع من أسرى، وبهمزة وصل وكسر النون من سرى، لغتان(١)، أي أسر(٢) بهم ليلاً من أرض مصر ﴿ فاضرب ﴾ اجعل ﴿لهم﴾ بالضرب بعصاك ﴿ طريقاً في البحر يبساً ﴾ أي يابساً، فامتثل ما أمر به، وأيبس الله الأرض فمروا فيها ﴿ لا تخاف دركاً ﴾ أي أن يدركك فرعون ﴿ ولا تخشى ﴾ غرقاً.

٧٨ ﴿ فأتبعهم فرعون بجنوده ﴾ وهو معهم ﴿ فغشيهم من اليم ﴾ أي البحر ﴿ما غشيهم ﴾ فأغرقهم.

٧٩ ﴿ وأضل فرعون قومه ﴾ بدعائهم إلى عبادته ﴿ وما هدى ﴾ بل أوقعهم في الهلاك، بخلاف قوله: «وما أهديكم إلا سبيل الرشاد»/ غافر: ٢٩/.

٨٠ ﴿ يا بني إسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم ﴾ فرعون بإغراقه ﴿ وواعدناكم جانب الطور الأيمن ﴾ فنؤتي موسى التوراة للعمل بها ﴿ ونزلنا عليكم المن والسلوى ﴾ هما الترنجبين(٣) والطير السمانى(٤)، بتخفيف الميم والقصر، والمنادى من وجد من اليهود زمن النبي ﷺ، وخوطبوا بما أنعم الله به على أجدادهم زمن النبي موسى توطئة لقوله تعالى لهم: ٨١ ﴿ كلوا من طيبات ما رزقناكم ﴾ أي المنعم به عليكم ﴿ ولا تطغوا فيه ﴾ بأن تكفروا النعمة به ﴿ فيحل عليكم غضبي ﴾ بكسر الحاء أي يجب، وبضمها أي ينزل ﴿ ومن يحلل عليه غضبي ﴾ بكسر اللام وضمها ﴿ فقد هوى ﴾ سقط في النار.

٨٢ ﴿ وإني لغفار لمن تاب ﴾ من الشرك ﴿ وآمن ﴾ وحد الله ﴿ وعمل صالحاً ﴾ يصدق بالفرض والنفل(٥) ﴿ ثم اهتدى ﴾ باستمراره على ما ذكر إلى موته.

٨٣ ﴿ وما أعجلك عن قومك ﴾(٦) لمجيء ميعاد أخذ التوراة ﴿ يا موسى ﴾.

٨٤ ﴿ قال هم أولاء ﴾ أي بالقرب مني، يأتون ﴿ على أثري(٧) وعجلت إليك رب لترضى ﴾ عني، أي زيادة على رضاك. وقبل الجواب أتى بالاعتذار بحسب ظنه(٨)، وتخلف المظنون لما(٩):

٨٥ ﴿ قال ﴾ تعالى ﴿ فإنا قد فتنا قومك(١٠) من بعدك ﴾ أي بعد فراقك لهم ﴿ وأضلهم السامري ﴾ فعبدوا العجل.

٨٦ ﴿ فرجع موسى إلى قومه

وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ
طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾
فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾
وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ
قَدْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ
وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ
مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَن
يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ
وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ * وَمَا أَعْجَلَكَ عَن
قَوْمِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ
إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن
بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ

---

(١) وهما قراءتان متواترتان. (٢) امش في الليل، وقوله بعده ﴿ليلاً﴾ تأكيد.

(٣) شيء حلو كان ينزل عليهم كالثلج. (٤) نوع من الطيور.

(٥) أي العمل الصالح يشمل ما هو فرض وما هو نفل.

(٦) أي شيء جعلك متعجلاً عنهم وسابقاً لهم.

(٧) عقبي دون أن يتأخروا.

(٨) أي اعتذر بأن قومه سيأتون عقبه، كما كان يظن، قبل أن يجيب عن السؤال ببيان الحامل له على العجلة.

(٩) أي ظهر لموسى عليه السلام أن ما ظنه من مجيء قومه عقبه لم يتحقق، حين أخبره الله عزّ وجلّ بما حصل منهم.

(١٠) اختبرناهم فلم يفلحوا.

فإذا قتل الساحر بسحره إنساناً، واعترف أنه مات بسحره، وأنه يقتل غالباً، لزمه القصاص. وإن قال: مات به، ولكنه قد يقتل وقد لا، فلا قصاص، وتجب الدية والكفارة، وتكون الدية في ماله لا على عاقلته، لأن العاقلة لا تحمل ما ثبت باعتراف الجاني. قال أصحابنا: ولا يتصور القتل بالسحر بالبينة، وإنما يتصور باعتراف الساحر، والله أعلم.

هذا، ولقد وجد في أزمنتنا أناس هم أسوأ من السحرة، إذ إنهم يدجلون على الناس، ويستغلون ضعاف العقول والتفكير، بل إنهم ليؤثرون على من يظن فيهم أنهم ذوو عقل ووعي، فيقنعونهم بأنهم مسحورون، وأنهم مكتوب لهم، وأنهم يفعل بهم ويفعل، ويدعون أنهم يستطيعون تخليصهم من ذلك، فيبتزون منهم المال مقابل شعوذات يقومون بها، وخرافات وأباطيل يعطونهم إياها، من طلاسم ورموز وأشياء، فيصبح هؤلاء الناس يعتقدون أن حياتهم وسلامتهم مرتبطة بها، والسوء كل السوء أن هؤلاء المشعوذين يفعلون ذلك باسم الدين، ويطلق عليهم لقب شيوخ، ويدعون الصلة بعالم الغيب من جن وغيرهم، وربما اعتقد الناس فيهم الولاية والكشف وعلم ما لا يعلمه إلا الله تعالى. والشر كل الشر أن هؤلاء يكثرون في كل البلاد الإسلامية، دون أن يزجروا أو يعاقبوا، وهم يعيشون في الأرض الفساد، ويفسدون على الناس حياتهم وعقولهم، بل وأجسادهم في كثير من الأحيان.

فائدة: في صوم يوم عاشوراء، وهو اليوم العاشر من ذي الحجة. عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدم النبي ﷺ المدينة، فرأى اليهود.

غضبان ﴾ من جهتهم ﴿ أسفاً ﴾ شديد الحزن ﴿ قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً ﴾ أي صدقاً، أنه يعطيكم التوراة ﴿ أفطال عليكم العهد ﴾ مدة مفارقتي إياكم ﴿ أم أردتم أن يحل ﴾ يجب ﴿ عليكم غضب من ربكم ﴾ بعبادتكم العجل ﴿ فأخلفتم موعدي ﴾ وتركتم المجيء بعدي.

٨٧ ﴿ قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا ﴾ مثلث الميم[١]، أي بقدرتنا أو أمرنا ﴿ ولكنا حَمَلْنا ﴾ بفتح الحاء مخففاً، وبضمها وكسر الميم مشدداً ﴿ أوزاراً ﴾ أثقالاً ﴿ من زينة القوم ﴾ أي حلي قوم فرعون، استعارها منهم بنو إسرائيل بعلة عرس[٢]، فبقيت عندهم ﴿ فقذفناها ﴾ طرحناها في النار بأمر السامري ﴿ فكذلك ﴾ كما ألقينا ﴿ ألقى السامري ﴾ ما معه من حليهم، ومن التراب الذي أخذه من أثر حافر فرس جبريل على الوجه الآتي:

٨٨ ﴿ فأخرج لهم عجلاً ﴾ صاغه من الحلي ﴿ جسداً ﴾ لحماً ودماً ﴿ له خوار ﴾ أي صوت يسمع، أي انقلب كذلك بسبب التراب الذي أثره الحياة فيما يوضع فيه، ووضعه بعد صوغه في فمه ﴿ فقالوا ﴾ أي السامري وأتباعه ﴿ هذا إلهكم وإله موسى فنسي ﴾ موسى ربه هنا وذهب يطلبه[٣]. قال تعالى:

٨٩ ﴿ أفلا يرون أ ﴾ ن مخففة من الثقيلة واسمها محذوف، أي أنه ﴿ لا يرجع ﴾ العجل ﴿ إليهم قولاً ﴾ أي لا يرد لهم جواباً ﴿ ولا يملك لهم ضراً ولا نفعاً ﴾ أي جلبه، أي فكيف يتخذ إلهاً؟.

٩٠ ﴿ ولقد قال لهم هارون من قبل ﴾ أي قبل أن يرجع موسى ﴿ يا قوم إنما فتنتم به[٤] وإن ربكم الرحمن فاتبعوني ﴾ في عبادته ﴿ وأطيعوا أمري ﴾ فيها.

٩١ ﴿ قالوا لن نبرح ﴾ نزال ﴿ عليه عاكفين ﴾ على عبادته مقيمين ﴿ حتى يرجع إلينا موسى ﴾.

٩٢ ﴿ قال ﴾ موسى بعد رجوعه ﴿ يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ﴾ بعبادته.

٩٣ ﴿ أ ﴾ ن ﴿ لا تتبعن ﴾ لا زائدة ﴿ أفعصيت أمري ﴾ بإقامتك بين من يعبد غير الله تعالى.

٩٤ ﴿ قال ﴾ هارون ﴿ يا ابن أم ﴾ بكسر الميم وفتحها، أراد أمي، وذكرها أعطف لقلبه[٥] ﴿ لا تأخذ

غَضْبَٰنَ أَسِفًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًاۚ
أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ
مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ
بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا
فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا
لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾
أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا
وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ
إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟
أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا
مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾
أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ

---

(١) أي بفتحها وكسرها وضمها.

(٢) بحجة لبسها في عرس، والأمر بخلاف ذلك.

قال ابن كثير في تفسيره: وحاصل ما اعتذر به هؤلاء الجهلة أنهم: تورعوا عن زينة القبط، فألقوها عنهم، وعبدوا العجل، فتورعوا عن الحقير وفعلوا الأمر الكبير، كما جاء في الحديث الصحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنه سأل رجل من أهل العراق عن دم البعوض إذا أصاب الثوب ـ يعني ـ هل يصلي فيه أم لا؟ فقال ابن عمر رضي الله عنهما: انظروا إلى أهل العراق، قتلوا ابن بنت رسول الله ﷺ ـ يعني الحسين ـ وهم يسألون عن دم البعوض. [البخاري: الأدب، باب: رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، رقم: ٥٦٤٨. وجاء في آخره: وسمعت رسول الله ﷺ يقول: (هما رَيْحانتايَ من الدنيا). مثنى ريحانة، والمعنى: يشمهما كما يشم الرياحين ويقبلهما، ويتمتع بذلك].

(٣) أي فترك موسى ربه ههنا فنسيه وذهب يبحث عنه في الطور ونحوه. وعلى هذا يكون قوله ﴿فنسي﴾ من كلام السامري يحكيه الله تعالى عنه. وقيل: ﴿فنسي﴾ كلام مستأنف من الله تعالى، يخبر به عن السامري: أنه نسي ربه وترك ما كان عليه من الإيمان الظاهر، أو: غاب عن ذهنه الاستدلال على أن الله تعالى لا يحل في الأجسام، وأنه سبحانه منزه عن الحدوث، كالعجل ونحوه من المخلوقات.

(٤) ابتليتم به، وكان سبب ضلالكم.

(٥) أي ذكر الأم دون الأب ـ مع أنه أخوه لأمه وأبيه ـ لأن ذكرها أكثر إثارة لعاطفته.

تصوم يوم عاشوراء، فقال ما هذا؟ قالوا: هذا يوم صالح، هذا يوم نجى الله بني إسرائيل من عدوهم، فصامه موسى. قال: (فأنا أحق بموسى منكم). فصامه وأمر بصيامه. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان يوم عاشوراء تصومه قريش في الجاهلية ـ وفي رواية: كان يوماً تستر فيه الكعبة ـ وكان رسول الله ﷺ يصومه، فلما قدم المدينة صامه وأمر بصيامه، فلما فرض رمضان ترك يوم عاشوراء، فمن شاء صامه ومن شاء تركه. وعن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما قال يوم عاشوراء ـ عام حج ـ على المنبر: يا أهل المدينة، أين علماؤكم؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول: (هذا يوم عاشوراء، =

بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ
بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ
يَٰسَٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ
قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي
نَفْسِي ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ
لَا مِسَاسَۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ
ٱلَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًاۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلْيَمِّ
نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَسِعَ
كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ
سَبَقَۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ
عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِۖ
وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ

بلحيتي ﴾ وكان أخذها بشماله ﴿ ولا برأسي ﴾ وكان أخذ شعره بيمينه غضباً ﴿ إني خشيت ﴾ لو اتبعتك، ولا بد أن يتبعني جمع ممن لم يعبدوا العجل ﴿ أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ﴾ وتغضب عليَّ ﴿ ولم ترقب ﴾ تنتظر ﴿ قولي ﴾ فيما رأيته في ذلك⁽¹⁾.

٩٥ ﴿ قال فما خطبك ﴾ شأنك الداعي إلى ما صنعت ﴿ يا سامري ﴾.

٩٦ ﴿ قال بصرت بما لم يبصروا به ﴾ بالياء والتاء، أي علمت بما لم يعلموه ﴿ فقبضت قبضة من ﴾ تراب ﴿ أثر ﴾ حافر فرس ﴿ الرسول ﴾ جبريل ﴿ فنبذتها ﴾ ألقيتها في صورة العجل المصوغ ﴿ وكذلك سولت ﴾ زينت ﴿ لي نفسي ﴾ وألقي فيها أن آخذ قبضة من تراب ما ذكر، وألقيها على ما لا روح له، يصير له روح، ورأيت قومك طلبوا منك أن تجعل لهم إلهاً⁽²⁾، فحدثتني نفسي أن يكون ذلك العجل إلههم.

٩٧ ﴿ قال ﴾ له موسى ﴿ فاذهب ﴾ من بيننا ﴿ فإن لك في الحياة ﴾ أي مدة حياتك ﴿ أن تقول ﴾ لمن رأيته ﴿ لا مساس ﴾ أي لا تقربني، فكان يهيم في البرية، وإذا مس أحداً أو مسه أحد حُمَّا جميعاً ﴿ وإن لك موعداً ﴾ لعذابك ﴿لن تُخْلِفَه ﴾بكسر اللام أي لن تغيب عنه، وبفتحها أي بل تبعث إليه ﴿ وانظر إلى إلهك الذي ظلت ﴾ أصله ظللت بلامين أولاهما مكسورة حذفت تخفيفاً، أي دمت ﴿ عليه عاكفاً ﴾ أي مقيماً تعبده ﴿ لنحرقنه ﴾ بالنار ﴿ ثم لننسفنه في اليم نسفاً ﴾ نذرينه في هواء البحر، وفعل موسى بعد ذبحه ما ذكره⁽³⁾.

٩٨ ﴿ إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو وسع كل شيء علماً ﴾ تمييز محول عن الفاعل، أي وسع علمه كل شيء.

٩٩ ﴿ كذلك ﴾ أي كما قصصنا عليك يا محمد هذه القصة ﴿ نقص عليك من أنباء ﴾ أخبار ﴿ ما قد سبق ﴾ من الأمم ﴿ وقد آتيناك ﴾ أعطيناك ﴿ من لدنا ﴾ من عندنا ﴿ ذكراً ﴾ قرآناً.

١٠٠ ﴿ من أعرض عنه ﴾ فلم يؤمن به ﴿ فإنه يحمل يوم القيامة وزراً ﴾ حملاً ثقيلاً من الإثم.

١٠١ ﴿ خالدين فيه ﴾ أي في عذاب الوزر ﴿ وساء لهم يوم القيامة حملاً ﴾ تمييز مفسر للضمير في ساء، والمخصوص بالذم محذوف تقديره: وزرهم، واللام للبيان⁽⁴⁾. ويبدل من يوم القيامة:

١٠٢ ﴿ يوم ينفخ في الصور ﴾ القرن⁽⁵⁾، النفخة الثانية

---

(1) أي خشيت أن لا تمهلني حتى تسمع عذري فيما يحصل من تفرقة. أو: خشيت أن تقول لي: لم تحفظ ما وصيتك به ولم تعمل به، وهو قوله له: ﴿اخلفني في قومي وأصلح﴾/الأعراف: ١٤٢/.

(2) كما جاء في قوله تعالى: ﴿وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة﴾/الأعراف: ١٣٨/.

(3) أي إن موسى عليه السلام فعل ما ذكره من الحرق والتذرية بعد ذبحه للعجل. وقيل: لما ذبحه سال منه الدم معجزة.

(4) أي اللام في ﴿لهم﴾ لبيان أن هذا الحمل الثقيل كائن لهم لا لغيرهم.

(5) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: ما الصور؟ قال (قرن ينفخ فيه).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (كيف أنعَمُ وصاحبُ القرن قد التقم القرن، واستمع الإذن حتى يؤمر بالنفخ، فينفخ). فكان ذلك ثقل على أصحاب النبي ﷺ، فقال لهم: (قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، على الله توكلنا). [الترمذي: صفة القيامة، باب: ما جاء في شأن الصور، رقم: ٢٤٣٢، ٢٤٣٣].

ولم يكتب عليكم صيامه، وأنا صائم، فمن شاء فليصم ومن شاء فليفطر). وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ما رأيت النبي ﷺ يتحرى صيام يوم فضله على غيره إلا هذا اليوم، يوم عاشوراء، وهذا الشهر، يعني شهر رمضان. [البخاري: الصوم، باب: أي يوم يصام في عاشوراء، رقم: ١٨٩٨ ـ ١٩٠٢. مسلم: الصيام، باب: صوم يوم عاشوراء، رقم: ١١٢٥، ١١٢٩ ـ ١١٣٢].

وعن أبي قتادة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ سئل عن صيام يوم عاشوراء، فقال: (يكفر السنة الماضية). وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال قال رسول الله ﷺ (لئن بقيت إلى قابل لأصومنّ التاسع). [مسلم: الصيام، باب: صوم يوم عاشوراء، وباب: استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر]

﴿ ونحشر المجرمين ﴾ الكافرين ﴿ يومئذ زرقاً ﴾ عيونهم مع سواد وجوههم.

١٠٣ ﴿ يتخافتون بينهم ﴾ يتسارون ﴿ إن ﴾ ما ﴿ لبثتم ﴾ في الدنيا ﴿ إلا عشراً ﴾ من الليالي بأيامها.

١٠٤ ﴿ نحن أعلم بما يقولون ﴾ في ذلك، أي ليس كما قالوا ﴿ إذ يقول أمثلهم ﴾ أعدلهم ﴿ طريقة ﴾ فيه ﴿ إن لبثتم إلا يوماً ﴾ يستقلون لبثهم في الدنيا جداً، لما يعاينونه في الآخرة من أهوالها.

١٠٥ ﴿ ويسألونك عن الجبال ﴾ كيف تكون يوم القيامة؟ ﴿ فقل ﴾ لهم ﴿ ينسفها ربي نسفاً ﴾ بأن يفتتها كالرمل السائل، ثم يطيرها بالرياح.

١٠٦ ﴿ فيذرها قاعاً ﴾ منبسطاً ﴿ صفصفاً ﴾ مستوياً(١).

١٠٧ ﴿ لا ترى فيها عوجاً ﴾ انخفاضاً ﴿ ولا أمتاً ﴾ ارتفاعاً.

١٠٨ ﴿ يومئذ ﴾ أي يوم إذ نسفت الجبال ﴿ يتبعون ﴾ أي الناس، بعد القيام من القبور ﴿ الداعي ﴾ إلى المحشر بصوته، وهو إسرافيل، يقول: هلموا إلى عرض الرحمن(٢) ﴿ لا عوج له ﴾ أي لاتباعهم، أي لا يقدرون أن لا يتبعوا ﴿ وخشعت ﴾ سكنت ﴿ الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همساً ﴾ صوت وطء الأقدام في نقلها إلى المحشر كصوت أخفاف الإبل في مشيها(٣).

١٠٩ ﴿ يومئذ لا تنفع الشفاعة ﴾ أحداً ﴿ إلا من أذن له الرحمن ﴾ أن يشفع له ﴿ ورضي له قولاً ﴾ بأن يقول: لا إله إلا الله(٤).

١١٠ ﴿ يعلم ما بين أيديهم ﴾(٥) من أمور الآخرة ﴿ وما خلفهم ﴾(٦) من أمور الدنيا ﴿ ولا يحيطون به علماً ﴾ لا يعلمون ذلك.

١١١ ﴿ وعنت الوجوه ﴾ خضعت ﴿ للحي القيوم ﴾ أي الله ﴿ وقد خاب ﴾ خسر ﴿ من حمل ظلماً ﴾ أي شركاً(٧).

١١٢ ﴿ ومن يعمل من الصالحات ﴾ الطاعات ﴿ وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ﴾ بزيادة في سيئاته ﴿ ولا هضماً ﴾ بنقص من حسناته.

وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن
لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ
أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ وَيَسْأَلُونَكَ
عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا
قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿١٠٧﴾
يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ
لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ
الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾
يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ
بِهِ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ * وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ
وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ
الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾

---

(١) يتركها أرضاً صلبة مستوية ملساء.

(٢) أي العرض على الله عزّ وجلّ للحساب.

(٣) الهمس يكون في الكلام والمشي، فالهمس في الكلام أن يخفيه حتى لا يكاد يفهم، أو يحرك شفتيه يريد الكلام ولا ينطق. والهمس في المشي أن يخفي خفق الأقدام ووقعها على الأرض.

(٤) أي من قال كلمة التوحيد في الدنيا، والمراد أنه مات على الإسلام. (٥) أي ما سيأتي. (٦) ما مضى.

(٧) أي تحمله وارتكبه. وفسر الظلم هنا بالشرك، لقوله تعالى: ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾ [لقمان: ١٣]. ويمكن حمله على مطلق الظلم.

وقد ورد في التحذير من الظلم أحاديث كثيرة، منها عن أبي ذر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ - فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: (يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً، فلا تظالموا).

[حرمت الظلم على نفسي: أي تقدست عنه وتعاليت وتنزهت. وأصل التحريم المنع، فسمى تقدسه عن الظلم تحريماً، لمشابهته للممنوع في أصل عدم الشيء].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: (اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة. واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم) [ظلمات: فلا يهتدي سبيلاً يسعى فيه المؤمنون الذين يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم، كما يحجب عن رحمة الله تعالى ورؤيته يوم القيامة. الشح: هو البخل مع الحرص].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الظلم ظلمات يوم القيامة) [أخرج الأحاديث الثلاث مسلم في البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظلم، رقم:=

سبب نزول الآية [١٠٥]: عن ابن جريج قال: قالت قريش: يا محمد، كيف يفعل ربك بهذه الجبال يوم القيامة؟ فنزلت: ﴿ويسألونك عن الجبال﴾ الآية. [السيوطي].

١١٣ ﴿ وكذلك ﴾ معطوف على «كذلك نقص» أي مثل إنزال ما ذكر ﴿ أنزلناه ﴾ أي القرآن ﴿ قرآناً عربياً وصرفنا ﴾ كررنا(١) ﴿فيه من الوعيد لعلهم يتقون ﴾ الشرك﴿ أو يحدث ﴾ القرآن﴿ لهم ذكراً ﴾ بهلاك من تقدمهم من الأمم، فيعتبروا.

١١٤ ﴿ فتعالى الله الملك الحق ﴾ عما يقول المشركون ﴿ ولا تعجل بالقرآن ﴾ أي بقراءته ﴿ من قبل أن يقضى إليك وحيه ﴾ أي يفرغ جبريل من إبلاغه ﴿ وقل رب زدني علماً ﴾ أي بالقرآن، فكلما أنزل عليه شيء منه زاد به علمه.

١١٥ ﴿ولقد عهدنا إلى آدم﴾ وصيناه أن لا يأكل من الشجرة ﴿من قبل﴾ أي قبل أكله منها ﴿فنسي﴾ ترك عهدنا(٢). ﴿ ولم نجد له عزماً ﴾ حزماً وصبراً عما نهيناه عنه.

١١٦ ﴿ و ﴾ اذكر ﴿ إذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس ﴾ وهو أبو الجن(٣)، كان يصحب الملائكة ويعبد الله معهم ﴿ أبى ﴾ عن السجود لآدم فقال «أنا خير منه»/ ص: ٧٦/.

١ ﴿ فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك ﴾ حواء، بالمد ﴿ فلا يخرجنكما(٤) من الجنة فتشقى ﴾ تتعب بالحرث والزرع والحصد والطحن والخبز وغير ذلك، واقتصر على شقائه(٥) لأن الرجل يسعى على زوجته.

وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ
لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ فَتَعَٰلَى
ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن
يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾
وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ
عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟
إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ
وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ
لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا
وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ
هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا
مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا

١١٨ ﴿ إن لك أ ﴾ ن ﴿ لا تجوع فيها ولا تعرى ﴾.

١١٩ ﴿ وأنك ﴾ بفتح الهمزة وكسرها، عطف على اسم إن وجملتها ﴿ لا تظمأ فيها ﴾ تعطش ﴿ ولا تضحى ﴾ لا يحصل لك حر شمس الضحى، لانتفاء الشمس في الجنة(٦).

١٢٠ ﴿ فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد ﴾ أي التي يخلد من يأكل منها ﴿ وملك لا يبلى ﴾ لا يفنى، وهو لازم الخلد(٧).

١٢١ ﴿ فأكلا ﴾ أي آدم وحواء ﴿ منها فبدت لهما سوآتهما ﴾ أي ظهر لكل منهما قُبُلُه، وقبل الآخر ودُبُرُه، وسمي كل منهما سوأة لأن انكشافه يسوء صاحبه ﴿ وطفقا يخصفان ﴾ أخذا يلزقان ﴿ عليهما

---

(١) والصرف رد الشيء من حال إلى حال، ويأتي باستعمالات كثيرة منها التنويع.

(٢) أي المراد بالنسيان هنا ما يلزم عنه وهو الترك، لا أنه فعل عن غير عمد، وإلا لما وصف بالعصيان فيما بعد.

(٣) انظر/ الكهف: ٥٠/.

(٤) لا يكن سبباً لإخراجكما بوسوسته وطاعتكما له.

(٥) أي لم يقل: فتشقيا.

(٦) والمراد بيان: أن الحياة في الجنة نعيم خالص من المكدرات التي تشوب نعيم الدنيا.

(٧) أي عدم الفناء يلزم عن كونه خالداً، لأن الخلد هو البقاء الدائم.

= ٢٥٧٧ - ٢٥٧٩. وأخرج الثالث البخاري في المظالم، باب: الظلم ظلمات يوم القيامة، رقم: ٢٣١٥].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ بعث معاذاً إلى اليمن، فقال: (اتق دعوة المظلوم، فإنها ليس بينها وبين الله حجاب) [البخاري: المظالم، باب: الاتقاء والحذر من دعوة المظلوم، رقم: ٢٣١٦. مسلم: الإيمان، باب: الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، رقم: ١٩] [حجاب: حاجز يحول دون وصولها واستجابتها].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول = الله ﷺ: (إن الله ليملي للظالم، حتى إذا أخذه لم يفلته). قال: ثم قرأ: ﴿وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد﴾ [هود: ١٠٢]. [البخاري: التفسير/ هود، باب: وكذلك أخذ ربك.. رقم: ٤٤٠٩. مسلم: البر والصلة..، باب: تحريم الظلم، رقم: ٢٥٨٣]. [ليملي: ليمهل. لم يفلته: لم يتركه حتى يستوفي عقابه].

وعن سعيد بن زيد رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من أخذ شبراً من الأرض ظلماً، فإنه يطوقه يوم القيامة من سبع أرضين) [البخاري: بدء الخلق، باب: ما جاء في سبع أرضين، رقم: ٣٠٢٦. مسلم: المساقاة، =

سبب نزول الآية [١١٤]: عن السدّي قال: كان النبيّ ﷺ إذا نزل عليه جبريل بالقرآن أتعب نفسه في حفظه حتى يشقّ على نفسه، فيخاف أن يصعد جبريل ولم يحفظه، فأنزل الله: ﴿ولا تعجل بالقرآن﴾ الآية. [السيوطي].

من ورق الجنة ﴾ ليسترا به ﴿ وعصى آدم ربه فغوى ﴾(١) بالأكل من الشجرة.

١٢٢ ﴿ ثم اجتباه ربه ﴾ قربه ﴿ فتاب عليه ﴾ قبل توبته ﴿ وهدى ﴾ أي هداه إلى المداومة على التوبة.

١٢٣ ﴿ قال اهبطا ﴾ أي آدم وحواء، بما اشتملتما عليه من ذريتكما ﴿ منها ﴾ من الجنة ﴿ جميعاً بعضكم ﴾ بعض الذرية ﴿ لبعض عدو ﴾ من ظلم بعضهم بعضاً ﴿ فإما ﴾ فيه إدغام نون إن الشرطية في ما المزيدة ﴿ يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي ﴾ أي القرآن(٢) ﴿ فلا يضل ﴾ في الدنيا ﴿ ولا يشقى ﴾ في الآخرة.

١٢٤ ﴿ ومن أعرض عن ذكري ﴾ أي القرآن(٢)، فلم يؤمن به ﴿ فإن له معيشة ضنكاً ﴾ بالتنوين مصدر بمعنى ضيقة، وفسرت في حديث بعذاب الكافر في قبره(٣) ﴿ونحشره﴾ أي المعرض عن القرآن(٤) ﴿يوم القيامة أعمى﴾ أعمى البصر.

١٢٥ ﴿ قال رب لِم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً ﴾ في الدنيا وعند البعث؟.

١٢٦ ﴿ قال ﴾ الأمر ﴿ كذلك أتتك آياتنا فنسيتها ﴾ تركتها ولم تؤمن بها ﴿ وكذلك ﴾ مثل نسيانك آياتنا ﴿ اليوم تنسى ﴾ تترك في النار. ١٢٧ ﴿ وكذلك ﴾ ومثل جزائنا من أعرض عن القرآن ﴿ نجزي من أسرف ﴾ أشرك ﴿ ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد ﴾ من عذاب الدنيا وعذاب القبر ﴿ وأبقى ﴾ أدوم.

مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ
رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ
بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ
ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ
عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ
بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ
ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ
يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾
أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ
فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾
وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ

١٢٨ ﴿ أفلم يهد ﴾ يتبين ﴿ لهم ﴾ لكفار مكة ﴿ كم ﴾ خبرية مفعول ﴿ أهلكنا ﴾ أي كثيراً، إهلاكنا ﴿ قبلهم من القرون ﴾ أي الأمم الماضية، لتكذيب الرسل ﴿ يمشون ﴾ حال من ضمير لهم ﴿ في مساكنهم ﴾ في سفرهم إلى الشام وغيرها، فيعتبروا. وما ذكر ـ من أخذ إهلاك من فعله الخالي عن حرف مصدري، لرعاية المعنى ـ لا مانع منه(٥). ﴿ إن في ذلك لآيات ﴾ لعبراً ﴿ لأولي النهى ﴾ لذوي العقول.

١٢٩ ﴿ ولولا كلمة سبقت من ربك ﴾(٦) لتأخير العذاب عنهم إلى الآخرة ﴿ لكان ﴾ الإهلاك ﴿ لزاماً ﴾ لازماً لهم في الدنيا ﴿ وأجل

---

(١) وقع في المخالفة.

(٢) أو ما نزل قبله من شرائع إلهية.

(٣) أخرج ذلك ابن أبي حاتم وغيره مرفوعاً وموقوفاً. [تفسير ابن كثير].

(٤) وكذلك من أعرض من الأمم قبل نزول القرآن عن الشرع المنزل إليه.

(٥) أي لا مانع من أن يسبك المصدر من الفعل بدون حرف مصدري يسبكه، إذا توقف المعنى عليه. وكذلك فعل هنا، إذ أخذ المصدر [إهلاك] من قوله ﴿أهلكنا﴾ مع أنه خالٍ عن الحرف المصدري، رعاية للمعنى، لأنه فاعل ﴿يهد﴾.

(٦) أي سبق ذلك في علمه سبحانه.

= باب: تحريم الظلم وغصب الأرض وغيرها، رقم: ١٦١٠] [يطوقه: يجعل في عنقه كالطوق سبعة أضعاف ما ظلم حتى يقضى بين الناس].

ومن واجب المسلم نصرة المظلوم بدفع الظلم عنه ورفعه عنه، كما يجب عليه أن ينصر الظالم بحجزه عن الظلم ومنعه منه.

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: (المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرَّج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة). [لا يسلمه: لا يتركه للظلم]

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً). قالوا: يا رسول الله، هذا ننصره مظلوماً، فكيف ننصره ظالماً؟ قال: (تأخذ فوق يديه). المعنى: تمنعه من الظلم.

وعن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: أمرنا النبي ﷺ بسبع ونهانا عن سبع، فذكر: (عيادة المريض، واتباع الجنائز، وتشميت العاطس، ورد السلام، ونصر المظلوم، وإجابة الداعي، وإبرار المقسم).

[تشميت: إبعاد الشماتة عنه بقولك: يرحمك الله. إجابة الداعي: تلبية دعوة وليمة الزواج ونحوها. إبرار..: تصديق من حلف عليك بفعل ما طلبه منك].

[أخرج الأحاديث الثلاثة البخاري في المظالم، باب: =

مسمى ﴾ مضروب لهم، معطوف على الضمير المستتر في كان(١)، وقام الفصل بخبرها مقام التأكيد.

١٣٠ ﴿ فاصبر على ما يقولون ﴾ منسوخ بآية القتال(٢) ﴿ وسبح ﴾ صل ﴿ بحمد ربك ﴾ حال، أي متلبساً به ﴿ قبل طلوع الشمس ﴾ صلاة الصبح ﴿ وقبل غروبها ﴾ صلاة العصر ﴿ ومن آناء الليل ﴾ ساعاته ﴿ فسبح ﴾ صل المغرب والعشاء ﴿وأطراف النهار﴾ عطف على محل «من آناء» المنصوب، أي صل الظهر، لأن وقتها يدخل بزوال الشمس، فهو طرف النصف الأول وطرف النصف الثاني ﴿ لعلك ترضى ﴾ بما تعطى من الثواب.

١٣١ ﴿ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً ﴾ أصنافاً ﴿ منهم زهرة الحياة الدنيا ﴾ زينتها وبهجتها ﴿ لنفتنهم فيه ﴾(٣) بأن يطغوا ﴿ ورزق ربك ﴾ في الجنة ﴿ خير ﴾ مما أوتوه في الدنيا ﴿ وأبقى ﴾ أدوم.

١٣٢ ﴿ وأمر أهلك بالصلاة واصطبر ﴾واصبر ﴿ عليها لا نسألك ﴾ نكلفك ﴿ رزقاً ﴾ لنفسك ولا لغيرك ﴿ نحن نرزقك والعاقبة ﴾ الجنة ﴿ للتقوى ﴾ لأهلها. ١٣٣ ﴿ وقالوا ﴾ أي المشركون ﴿ لولا ﴾ هلا ﴿ يأتينا ﴾محمد ﴿ بآية من ربه ﴾ ممايقترحونه(٤) ﴿أولم تأتهم﴾ بالتاء والياء ﴿بينة﴾ بيان ﴿مافي الصحف الأولى﴾ المشتمل عليه القرآن، من أنباء الأمم الماضية وإهلاكهم بتكذيب الرسل. ١٣٤ ﴿ ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله ﴾ قبل محمد الرسول ﴿ لقالوا ﴾ يوم القيامة ﴿ ربنا لولا ﴾ هلا ﴿ ارسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك ﴾ المرسل بها ﴿من قبل أن نذل ﴾ في القيامة ﴿ ونخزى ﴾ في جهنم ١٣٥ ﴿ قل ﴾ لهم ﴿ كل ﴾ منا ومنكم ﴿ متربص ﴾ منتظر ما يؤول إليه الأمر ﴿ فتربصوا فستعلمون ﴾ في القيامة ﴿ من أصحاب الصراط ﴾ الطريق ﴿ السوي ﴾ المستقيم ﴿ ومن اهتدى ﴾ من الضلالة، أنحن أم أنتم.

مُسَمًّى ﴿١٢٩﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ
قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ
فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ وَلَا تَمُدَّنَّ
عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾
وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ
نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ
مِّن رَّبِّهِۦٓ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾
وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ
أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ
وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا۟ ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ
أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِىِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾

---

(١) التقدير: لكان الإهلاك والأجل المعين له لازماً لهم. قال الصاوي: وأحسن مما قرره المفسر أن يجعل قوله ﴿وأجل مسمى﴾ معطوفاً على ﴿كلمة﴾. والمعنى: ولولا كلمة وأجل مسمى - وهو مدة معيشتهم في الدنيا التي قدرها الله لهم - لكان العذاب العام لازماً. قلت: وهذا هو المتبادر من الآية، والله أعلم.

(٢) أي الصبر عليهم، أو غير منسوخ، والمراد: لا تضطرب مما يؤذونك به.

(٣) نختبرهم، فيكون سبب طغيانهم.

(٤) من خوارق العادات والمعجزات.

فائدة:

روى البخاري ومسلم عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله ﷺ، فنظر إلى القمر ليلة البدر وقال: (إنكم سترون ربكم عياناً كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا عن صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا) .ثم قرأ ﴿وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب﴾. [لا تضامون - بدون تشديد الميم - من الضيم وهو الظلم، أي لا يظلم بعضكم

=لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه، وباب: أعن أخاك ظالماً أو مظلوماً، وباب: نصر المظلوم، رقم: ٢٣١٠ - ٢٣١٣. وأخرج مسلم الأول: في البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظلم، رقم: ٢٥٨٠، والثالث في اللباس والزينة. .، باب: تحريم استعمال إناء الذهب. .، رقم: ٢٠٦٦]. هذا، ومن أراد الله تعالى به خيراً من عباده بادر إلى إنصاف الناس من نفسه، وأدى لهم حقوقهم، واعتذر إليهم، وكفر بإحسانه إليهم عن ظلمه لهم.=

=عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من كانت له مظلمة لأحد من عرضه أو شيء فليتحلله منه اليوم، قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه). [البخاري: المظالم، باب: من كانت له مظلمة عند الرجل. .، رقم: ٢٣١٧]. [عرضه: جانبه الذي يصونه ويحميه من نفسه وجسده. فليتحلله: يطلب منه العفو والمسامحة أو يؤدي إليه مظلمته].

سبب نزول الآية [١٣١]: أخرج الواحدي بسنده عن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ: أن ضيفاً نزل برسول الله ﷺ فدعاني، فأرسلني إلى رجل من اليهود يبيع طعاماً: (يقول لك محمد - رسول الله ﷺ - نزل بنا ضيف، ولم يلق عندنا بعض الذي نصلحه، فبعني كذا وكذا من الدقيق - أو سلفني - إلى هلال رجب). فقال اليهودي: لا أبيعه ولا أسلفه إلا برهن. قال: فرجعت إليه فأخبرته، قال: (والله إني لأمين في السماء أمين في الأرض، ولو أسلفني أو باعني لأديت إليه، اذهب بدرعي). ونزلت هذه الآية تعزية له عن الدنيا: ﴿ ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم ﴾ الآية.

(سورة الأنبياء)

مكية وهي مائتان وإحدى أو اثنتا عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿ اقترب ﴾ قرب ﴿ للناس ﴾ أهل مكة منكري البعث ﴿ حسابهم ﴾ يوم القيامة ﴿ وهم في غفلة ﴾ عنه ﴿ معرضون ﴾ عن التأهب(١) له بالإيمان.

٢ ﴿ ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث ﴾ شيئاً فشيئاً، أي لفظ القرآن ﴿ إلا استمعوه وهم يلعبون ﴾ يستهزئون.

٣ ﴿ لاهية ﴾ غافلة ﴿ قلوبهم ﴾ عن معناه ﴿ وأسروا النجوى ﴾ أي الكلام(٢) ﴿ الذين ظلموا ﴾ بدل من واو «أسروا النجوى ﴿ هل هذا ﴾ أي محمد ﴿ إلا بشر مثلكم ﴾ فما يأتي به سحر ﴿ أفتأتون السحر ﴾ تتبعونه ﴿ وأنتم تبصرون ﴾ تعلمون أنه سحر.

٤ ﴿ قال ﴾ لهم ﴿ ربي يعلم القول ﴾ كائناً ﴿ في السماء والأرض وهو السميع ﴾ لما أسروه ﴿ العليم ﴾ به.

٥ ﴿ بل ﴾ للانتقال من غرض إلى آخر في المواضع الثلاثة(٣) ﴿ قالوا ﴾ فيما أتى به من القرآن: هو ﴿ أضغاث أحلام ﴾ أخلاط رآها في النوم ﴿ بل افتراه ﴾ اختلقه ﴿ بل هو شاعر ﴾ فما أتى به شعر ﴿ فليأتنا بآية كما أرسل الأولون ﴾ كالناقة والعصا واليد.

٦ قال تعالى: ﴿ ما آمنت قبلهم من قرية ﴾ أي أهلها ﴿ أهلكناها ﴾ بتكذيبها ما أتاها من الآيات ﴿ أفهم يؤمنون ﴾؟ لا.

(٢١) سُورَةُ الأَنبِيَاءِ مَكِّيَّة
وَآيَاتُهَا اثنَتَا عَشرَةَ وَمِائَة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ①
مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ
يَلْعَبُونَ ② لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ
ظَلَمُوا هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ
تُبْصِرُونَ ③ قَٰلَ رَبِّى يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ
وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ④ بَلْ قَالُوٓا أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ بَلِ
ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ⑤
مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ⑥

بعضاً في رؤيته لأنكم ترونه جميعاً على السواء. وبتشديد الميم من الانضمام وهو الازدحام، أي لا يزدحم ولا ينضم بعضكم إلى بعض كي يراه لظهوره للجميع. وقوله كما ترون هذا القمر: أي رؤية لا شك فيها ولا ارتياب].

[والحديث أخرجه البخاري في: مواقيت الصلاة، باب: فضل صلاة العصر. ومسلم في: المساجد ومواضع الصلاة، باب: فضل صلاتي الصبح والعصر].

(١) الاستعداد. روى ابن كثير في تفسيره عن الحافظ ابن عساكر في ترجمة عامر بن ربيعة رضي الله عنه: أنه نزل به رجل من العرب، فأكرم عامر مثواه، وكلّم فيه رسول الله ﷺ، فجاءه الرجل فقال: إني استقطعت من رسول الله ﷺ وادياً في العرب، وقد أردت أن أقطع لك منه قطعة تكون لك ولعقبك من بعدك. فقال عامر: لا حاجة لي في قطيعتك، نزلت اليوم سورة أذهلتنا عن الدنيا: ﴿اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون﴾.

(٢) أي بالغوا في إخفاء التكالم فيما بينهم.

(٣) الآتية في الآية نفسها.

فائدة: في المناجاة، أي التكالم سراً.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: قال النبي ﷺ: «إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى رجلان دون الآخر حتى تختلطوا بالناس، أجل أن يحزنه». [البخاري: الاستئذان، باب: إذا كانوا أكثر من ثلاثة فلا بأس بالمسارة والمناجاة، رقم: ٥٩٣٢. مسلم: السلام، باب: تحريم مناجاة الاثنين دون الثالث بغير رضاه، رقم: ٢١٨٤] [تختلطوا: تصبحوا أكثر من ثلاثة. أجل..: لأن هذه المناجاة تحزنه وتزعجه لعدم الاهتمام به، أو لظنه التواطؤ عليه أو الكلام عنه]

وقد أفاد الحديث أنه لا مانع من أن يكلم أحد الحضور غيره سراً إذا كانوا أكثر من ثلاثة، لأن المعنى الذي نهي عن التناجي بسببه لا يبقى عند الكثرة. عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قسم النبي ﷺ يوماً قسمة، فقال رجل من الأنصار: إن هذه لقسمة ما أريد بها وجه الله، قلت: أما والله لآتين النبي ﷺ، فأتيته وهو على ملأ فساررته، فغضب حتى احمر وجهه، ثم قال: «رحمة الله على موسى، أوذي بأكثر من هذا فصبر». [البخاري:

سبب نزول الآية [٦]: عن قتادة قال: قال أهل مكة للنبيّ ﷺ: إن كان ما تقول حقاً، ويسرّك أن نؤمن، فحول لنا الصفا ذهباً، فأتاه جبريل عليه السلام. فقال: إن شئت كان الذي سألك قومك، ولكنه إن كان ثم لم يؤمنوا لم يُنْظَرُوا، وإن شئت استأنيت بقومك، فأنزل الله: ﴿ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها أفهم يؤمنون﴾ [السيوطي] [ينظروا: لم يمهلوا من نزول العذاب بهم. استأنيت: تربصت وانتظرت وصبرت عليهم].

٧ ﴿ وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً يوحى ﴾ وفي قراءة بالنون وكسر الحاء ﴿ إليهم ﴾ لا ملائكة ﴿ فاسألوا أهل الذكر ﴾ العلماء بالتوراة والإنجيل ﴿إن كنتم لا تعلمون ﴾ ذلك فإنهم يعلمونه، وأنتم إلى تصديقهم أقرب من تصديق المؤمنين بمحمد.

٨ ﴿ وما جعلناهم ﴾ الرسل ﴿ جسداً ﴾ بمعنى أجساداً ﴿ لا يأكلون الطعام ﴾ بل يأكلونه ﴿ وما كانوا خالدين ﴾ في الدنيا. ٩ ﴿ ثم صدقناهم الوعد ﴾ بإنجائهم ﴿ فأنجيناهم ومن نشاء ﴾ أي المصدقين لهم ﴿ وأهلكنا المسرفين ﴾ المكذبين لهم(١). ١٠ ﴿ لقد أنزلنا إليكم ﴾ يا معشر قريش ﴿ كتاباً فيه ذكركم ﴾(٢) لأنه بلغتكم ﴿ أفلا تعقلون ﴾ فتؤمنوا به. ١١ ﴿ وكم قصمنا ﴾ أهلكنا ﴿ من قرية ﴾ أي أهلها ﴿كانت ظالمة ﴾ كافرة﴿ وأنشأنا بعدها قوماً آخرين ﴾.

١٢ ﴿ فلما أحسوا بأسنا ﴾ أي شعر أهل القرية بالإهلاك ﴿ إذا هم منها يركضون ﴾ يهربون مسرعين.

١٣ فقالت لهم الملائكة استهزاءً ﴿ لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم ﴾ نعمتم ﴿ فيه ومساكنكم لعلكم تسألون ﴾ شيئاً من دنياكم على العادة.

وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ
ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلۡنَٰهُمۡ جَسَدٗا
لَّا يَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقۡنَٰهُمُ
ٱلۡوَعۡدَ فَأَنجَيۡنَٰهُمۡ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهۡلَكۡنَا ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٩﴾
لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ كِتَٰبٗا فِيهِ ذِكۡرُكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿١٠﴾
وَكَمۡ قَصَمۡنَا مِن قَرۡيَةٖ كَانَتۡ ظَالِمَةٗ وَأَنشَأۡنَا بَعۡدَهَا
قَوۡمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأۡسَنَآ إِذَا هُم مِّنۡهَا
يَرۡكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرۡكُضُواْ وَٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتۡرِفۡتُمۡ فِيهِ
وَمَسَٰكِنِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡـَٔلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا
ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلۡكَ دَعۡوَىٰهُمۡ حَتَّىٰ جَعَلۡنَٰهُمۡ
حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ
وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوۡ أَرَدۡنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهۡوٗا لَّٱتَّخَذۡنَٰهُ

١٤ ﴿ قالوا يا ﴾ للتنبيه ﴿ ويلنا ﴾ هلاكنا ﴿ إنا كنا ظالمين ﴾ بالكفر.

١٥ ﴿ فما زالت تلك ﴾ الكلمات ﴿ دعواهم ﴾ يدعون بها ويرددونها ﴿ حتى جعلناهم حصيداً ﴾ أي كالزرع المحصود بالمناجل، بأن قتلوا بالسيف ﴿ خامدين ﴾ ميتين، كخمود النار إذا طفئت.

١٦ ﴿ وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين ﴾ عابثين، بل دالين على قدرتنا، ونافعين عبادنا.

١٧ ﴿ لو أردنا أن نتخذ لهواً ﴾ ما يلهى به من زوجة أو

الاستئذان، باب: إذا كانوا أكثر. .، رقم: ٥٩٣٣. مسلم: الزكاة، باب: إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام، رقم: ١٠٦٢] [رجل: قيل هو معتب بن قشير، وكان من المنافقين. ملأ: جماعة من الناس].

فائدة: في المبادرة إلى الأعمال الصالحة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا» [مسلم: الإيمان، باب: الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن، رقم: ١١٨].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «بادروا بالأعمال سبعاً: هل تنتظرون إلا فقراً مُنْسِياً، أو غنى مُطغياً، أو مرضاً مُفسِداً، أو هَرَماً مفنِداً، أو موتاً مُجهزاً، أو الدجال فشرُّ غائب يُنتظر، أو الساعة فالساعة أدهى وأمر» . رواه الترمذي في الزهد، باب: ما جاء في المبادرة بالعمل، رقم: ٢٣٠٧، وقال: حديث حسن. [منسياً: يهم الإنسان ويغمه فينسيه العمل. مطغياً: يطغيه فيقع في المحرمات. مفسداً: يفسد عليه جسمه فلا يستطيع فعل الطاعة. هرماً: كبراً وشيخوخة. مفنداً: يخرجه عن الصواب في قوله وفعله، من الفَنَد وهو كلام الخرف. مجهزاً: مسرعاً بانتهاء الحياة. الساعة: القيامة. أدهى وأمر: أعظم بلاءً وخطراً].

وقد روى الحاكم في صحيحه حديثاً مرفوعاً، عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يارسول الله، أي الصدقة أعظم أجراً؟ قال: «أن تصدَّق وأنت صحيح شحيح، تخشى الفقر وتأمل الغنى، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت: لفلان كذا ولفلان كذا، وقد كان لفلان». [البخاري: الزكاة، باب: أي الصدقة أفضل. .، رقم: ١٣٥٣. مسلم: الزكاة، باب: بيان أن أفضل الصدقة صدقة الصحيح الشحيح، رقم: ١٠٣٢] [صحيح: البدن. شحيح: من شأنك الشح والحرص على ما في يدك، لأنك تخاف من الفقر إن أنفقت، وترغب في الغنى بجمع المال وإمساكه. بلغت: أي الروح نهاية الحلق وكادت تخرج، وهو كناية عن قرب الموت ومرضه. قلت: أخذت توصي وتنفق. وقد كان: والحال أن المال أصبح لوارثك ولم يبق لك حق التصرف فيه].

---

(١) والمجاوزين الحد بالكفر ونحوه.

(٢) رفعتكم وعزكم وفخركم، وهو شرف لمن آمن به.

ولد ﴿ لاتخذناه من لدنا ﴾ من عندنا من الحور العين والملائكة ﴿ إن كنا فاعلين ﴾ ذلك، لكنا لم نفعله، فلم نرده.

١٨ ﴿ بل نقذف ﴾ نرمي ﴿ بالحق ﴾ الإيمان ﴿ على الباطل ﴾ الكفر ﴿ فيدمغه ﴾ يذهبه ﴿ فإذا هو زاهق ﴾ ذاهب، ودمغه في الأصل أصاب دماغه بالضرب، وهو مقتل ﴿ ولكم ﴾ يا كفار مكة ﴿ الويل ﴾ العذاب الشديد ﴿مما تصفون ﴾ الله به من الزوجة أو الولد.

١٩ ﴿ وله ﴾ تعالى ﴿ من في السموات والأرض ﴾ ملكاً ﴿ ومن عنده ﴾ أي الملائكة، مبتدأ خبره ﴿ لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون ﴾ لا يعيون(١).

٢٠ ﴿ يسبحون الليل والنهار لا يفترون ﴾ عنه(٢)، فهو منهم كالنفس منا، لا يشغلنا عنه شاغل.

٢١ ﴿ أم ﴾ بمعنى بل للانتقال، والهمزة للإنكار ﴿ اتخذوا آلهة ﴾ كائنة ﴿ من الأرض ﴾ كحجر وذهب وفضة ﴿ هم ﴾ أي الآلهة ﴿ ينشرون ﴾ أي يحيون الموتى؟ لا، ولا يكون إلهاً إلا من يحيي الموتى.

٢٢ ﴿لو كان فيهما﴾ أي السماوات والأرض ﴿آلهة إلا الله﴾ أي غيره ﴿لفسدتا﴾ خرجتا عن نظامهما المشاهد، لوجود التمانع بينهم، على وفق العادة عند تعدد الحاكم من التمانع في الشيء(٣)، وعدم الاتفاق عليه ﴿ فسبحان ﴾ تنزيه ﴿الله رب﴾ خالق ﴿العرش﴾ الكرسي(٤) ﴿ عما يصفون ﴾ الكفار، الله به من الشريك له وغيره.

٢٣ ﴿ لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ﴾ عن أفعالهم.

٢٤ ﴿ أم اتخذوا من دونه ﴾ تعالى، أي سواه ﴿ آلهة ﴾ فيه استفهام توبيخ ﴿ قل هاتوا برهانكم ﴾ على ذلك، ولا سبيل إليه ﴿ هذا ذكر من معي ﴾ أمتي، وهو القرآن ﴿ وذكر من قبلي ﴾ من الأمم، وهو التوراة والإنجيل وغيرهما من كتب الله، ليس في واحد منها أن مع الله إلهاً مما قالوا، تعالى عن ذلك ﴿بل أكثرهم لا يعلمون الحق ﴾ أي توحيد الله ﴿ فهم معرضون ﴾ عن النظر الموصل إليه.

٢٥ ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا يوحى ﴾ وفي قراءة بالنون وكسر الحاء ﴿ إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ أي وحدوني.(٥) ٢٦ ﴿ وقالوا

مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى
ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا
تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ
عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾
يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً
مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ
لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾
لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن
دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ ۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن
مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ
فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ
إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُوا۟

---

(١) لا يتعبون، ولا ينقطعون.

(٢) تسبيحهم دائم متصل، لا يضعفون عنه ولا يملون منه.

(٣) أي التخالف فيما بينهم.

(٤) قال ابن كثير في تفسيره آية الكرسي من سورة البقرة: والصحيح أن الكرسي غير العرش، والعرش أكبر منه، كما دلت على ذلك الآثار والأخبار. قال ذلك بعد سوقه آثاراً وأخباراً في هذا، منها: ما رواه أبو بكر بن مردويه، عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه: أنه سأل النبي ﷺ عن الكرسي، فقال رسول الله ﷺ: (والذي نفسي بيده، ما السماوات السبع والأرضون السبع عند الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وإن فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة).

(٥) أي وأنت على طريقتهم، تدعو الناس إلى التوحيد كما دعاهم من قبلك من الأنبياء والمرسلين، فلست مبتدعاً فيما تدعوهم إليه من الحق الذي تشهد له الفطرة، وما سواه باطل لا حجة عليه ولا برهان.

عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ بعث معاذاً إلى اليمن. وفي رواية قال: لما بعث النبي ﷺ معاذ بن جبل إلى نحو أهل اليمن، قال له: (إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى، فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا صلوا فأخبرهم أن الله افترض عليهم زكاة في أموالهم، تؤخذ من غنيهم فترد على فقيرهم، فإذا أقروا بذلك فخذ منهم، وتوق كرائم أموال الناس). [البخاري: التوحيد، باب: ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى، رقم: ٦٩٣٧. مسلم: الإيمان، باب: بيان الإيمان الذي يدخل به الجنة. . . رقم: ١٣] أي اجتنب ما هو نفيس عندهم فلا تأخذه. وعن معاذ رضي الله عنه قال: كنت ردف النبي ﷺ على حمار يقال له عُفَيْر، فقال: (يا معاذ، هل تدري حق الله على عباده، وما حق العباد على الله). قلت: الله ورسوله أعلم، قال: (فإن حق الله على العباد أن يعبدوه،

ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾
لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ
أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ
خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن
دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾
أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا
رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ
أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ
بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾
وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا
مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ
وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن

اتخذ الرحمن ولداً ﴾ من الملائكة **﴿ سبحانه بل ﴾** هم **﴿ عباد مكرمون ﴾** عنده، والعبودية تنافي الولادة.

٢٧ **﴿ لا يسبقونه بالقول ﴾** لا يأتون بقولهم إلا بعد قوله **﴿ وهم بأمره يعملون﴾** أي بعده.

٢٨ **﴿ يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ﴾** أي ما عملوا وما هم عاملون⁽¹⁾ **﴿ ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ﴾** تعالى أن يشفع له **﴿ وهم من خشيته ﴾** تعالى **﴿ مشفقون ﴾** خائفون.

٢٩ **﴿ ومن يقل منهم إني إله من دونه ﴾** الله، أي غيره، وهو إبليس، دعا إلى عبادة نفسه وأمر بطاعتها **﴿ فذلك نجزيه جهنم كذلك﴾** كما نجزيه **﴿ نجزي الظالمين ﴾** أي المشركين.

٣٠ **﴿ أو لم ﴾** بواو وتركها **﴿ يرَ ﴾** يعلم **﴿ الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقاً ﴾** أي سداً بمعنى مسدودة **﴿ ففتقناهما ﴾** جعلنا السماء سبعاً والأرض سبعاً⁽²⁾، أو فتق السماء أن كانت لا تمطر فأمطرت، وفتق الأرض أن كانت لا تنبت فأنبتت **﴿ وجعلنا من الماء ﴾** النازل من السماء والنابع من الأرض **﴿ كل شيء حي ﴾** من نبات وغيره، أي فالماء سبب لحياته **﴿ أفلا يؤمنون ﴾** بتوحيدي.

٣١ **﴿ وجعلنا في الأرض رواسي ﴾** جبالاً ثوابت **﴿ أن ﴾** لا **﴿ تميد ﴾** تتحرك **﴿ بهم وجعلنا فيها ﴾** في الرواسي **﴿ فجاجاً ﴾** مسالك⁽³⁾ **﴿ سبلاً ﴾** بدل، أي طرقاً نافذة واسعة **﴿ لعلهم يهتدون ﴾** إلى مقاصدهم في الأسفار.

٣٢ **﴿ وجعلنا السماء سقفاً ﴾** للأرض كالسقف للبيت **﴿ محفوظاً ﴾** عن الوقوع **﴿ وهم عن آياتها ﴾** من الشمس والقمر والنجوم **﴿ معرضون ﴾** لا يتفكرون فيها فيعلمون أن خالقها لا شريك له.

٣٣ **﴿ وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل ﴾** تنوينه عوض عن المضاف إليه من الشمس والقمر وتابعه وهو النجوم **﴿ في فلك ﴾** أي مستدير كالطاحونة، في السماء **﴿ يسبحون ﴾** يسيرون بسرعة كالسابح في الماء، وللتشبيه به أتى بضمير جمع من يعقل.

٣٤ ونزل ـ لما قال الكفار: إن محمداً سيموت ـ **﴿ وما جعلنا لبشر من**

ولا يشركوا به شيئاً. وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً). فقلت: يا رسول الله، أفلا أبشر به الناس؟ قال: (لا تبشرهم فيتكلوا) [البخاري: الجهاد، باب: اسم الفرس والحمار، رقم: ٢٧٠١. مسلم: الإيمان، باب: الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة، رقم: ٣٠] أي فيعتمدون على ذلك ولا يجتهدون في الخير والطاعة. وعن عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ بعث رجلاً على سرية، وكان يقرأ لأصحابه في صلاته فيختم بـ: ﴿قل هو الله أحد﴾، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ، فقال: (سلوه لأي شيء يصنع ذلك). فسألوه، فقال: لأنها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها. فقال النبي ﷺ: (أخبروه أن الله يحبه). [البخاري: التوحيد، باب: ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى، رقم: ٦٩٤٠. مسلم: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل قراءة ﴿قل هو الله أحد﴾ رقم: ٨١٣] سرية: قطعة من الجيش. صفة الرحمن: لأن فيها أسماءه سبحانه وصفاته، وأسماؤه مشتقة من صفاته.

(1) في مستقبل الزمن، ولذا فهم يراقبونه سبحانه في جميع أحوالهم، فلا يقدمون على قول أو فعل بغير مراده، لعلمهم أنه سبحانه محيط بهم.

(2) أي كانت السماء طبقة واحدة فجعلت سبع طباق، وكانت الأرض إقليماً واحداً فصارت أقاليم. وقيل غير هذا.

أخرج ابن أبي حاتم بسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رجلاً أتاه يسأله عن السماوات والأرض ﴿كانتا رتقاً ففتقناهما﴾؟ قال: اذهب إلى ذلك الشيخ فاسأله، ثم تعال فأخبرني ما قال لك. قال: فذهب إلى ابن عباس فسأله، فقال ابن عباس: نعم، كانت السماوات رتقاً لا تمطر، وكانت الأرض رتقاً لا تنبت، فلما خلق للأرض أهلاً فتق هذه بالمطر، وفتق هذه بالنبات. فرجع الرجل إلى ابن عمر فأخبره، فقال ابن عمر: الآن قد علمت أن ابن عباس قد أوتي في القرآن علماً، صدق، هكذا كانت. قال ابن عمر: =

(3) والفج الطريق الواسع بين الجبلين.

قبلك الخلد﴾ أي البقاء في الدنيا ﴿أفإن مت فهم الخالدون﴾ فيها؟ لا، فالجملة الأخيرة محل الاستفهام الإنكاري.

٣٥ ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ في الدنيا ﴿ونبلوكم﴾ نختبركم ﴿بالشر والخير﴾ كفقر وغنى، وسقم وصحة ﴿فتنة﴾(١) مفعول له، أي لننظر: أتصبرون وتشكرون أم لا؟ ﴿وإلينا ترجعون﴾ فنجازيكم.

٣٦ ﴿وإذا رآك الذين كفروا إن﴾ ما ﴿يتخذونك إلا هزواً﴾ أي مهزوءاً به، يقولون ﴿أهذا الذي يذكر آلهتكم﴾ أي يعيبها ﴿وهم بذكر الرحمن﴾ لهم ﴿هم﴾ تأكيد ﴿كافرون﴾ به، إذ قالوا: ما نعرفه(٢).

٣٧ ونزل في استعجالهم العذاب ﴿خلق الإنسان من عجل﴾ أي إنه لكثرة عجله في أحواله كأنه خلق منه ﴿سأريكم آياتي﴾ مواعيدي بالعذاب ﴿فلا تستعجلون﴾ فيه، فأراهم القتل ببدر.

٣٨ ﴿ويقولون متى هذا الوعد﴾ بالقيامة ﴿إن كنتم صادقين﴾ فيه.

٣٩ قال تعالى: ﴿لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون﴾ يدفعون ﴿عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون﴾ يمنعون منها في القيامة، وجواب لو: ما قالوا ذلك.

٤٠ ﴿بل تأتيهم﴾ القيامة ﴿بغتة(٣) فتبهتهم﴾ تحيرهم(٤) ﴿فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون﴾ يمهلون لتوبة أو معذرة.

٤١ ﴿ولقد استهزىء برسل من قبلك﴾ فيه تسلية للنبي ﷺ ﴿فحاق﴾ نزل ﴿بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون﴾ وهو العذاب(٥)، فكذا يحيق بمن استهزأ بك.

٤٢ ﴿قل﴾ لهم ﴿من يكلؤكم﴾ يحفظكم ﴿بالليل والنهار من الرحمن﴾ من عذابه إن نزل بكم؟ أي لا أحد يفعل ذلك، والمخاطبون لا يخافون عذاب الله لإنكارهم له

قَبۡلِكَ ٱلۡخُلۡدَۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلۡخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفۡسٖ
ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا
تُرۡجَعُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ
إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِي يَذۡكُرُ ءَالِهَتَكُمۡ وَهُم بِذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ
هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٖۚ سَأُوْرِيكُمۡ
ءَايَٰتِي فَلَا تَسۡتَعۡجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ
إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوۡ يَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ
لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمۡ
وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلۡ تَأۡتِيهِم بَغۡتَةٗ فَتَبۡهَتُهُمۡ فَلَا
يَسۡتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ
بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ
يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٤١﴾ قُلۡ مَن يَكۡلَؤُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحۡمَٰنِۚ

= قد كنت أقول: ما يعجبني جراءة ابن عباس على تفسير القرآن، فالآن قد علمت أنه قد أوتي في القرآن علماً. [تفسير ابن كثير].

وأخرج الإمام أحمد في مسنده [٢/٢٩٥] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، إني إذا رأيتك طابت نفسي، وقرت عيني، فأنبئني عن كل شيء. فقال: (كل شيء خلق من ماء). قال: قلت: أنبئني عن أمر إذا أخذت به دخلت الجنة. قال: (أفش السلام، وأطعم الطعام، وصل الأرحام، وقم بالليل والناس نيام، ثم ادخل الجنة بسلام). [أفش السلام: أكثر من التسليم على الناس. صل الأرحام: أحسن إلى أقاربك].

(١) ابتلاءً واختباراً. فالمؤمن يصبر عند البلاء ويشكر عند النعماء، وأما غيره: فإنه يضجر ويسخط عند النقمة ويبطر ويكفر عند النعمة. عن صهيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن: إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له. وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيراً له). [مسلم: الزهد والرقائق، باب: المؤمن أمره كله خير، رقم: ٢٩٩٩] سراء: نعمة تسره. ضراء: مصيبة تضر به وتسوؤه.

(٢) انظر/ الفرقان: ٦٠/. (٣) فجأة. (٤) وتجعلهم في دهشة.

(٥) عقوبة استحقوها بسبب استهزائهم.

فائدة: في ثمرة الصبر على البلاء والرضا بالقضاء.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان ابن لأبي طلحة رضي الله عنه يشتكي، فخرج أبو طلحة، فقبض الصبي، فلما رجع أبو طلحة قال: ما فعل بني؟ قالت أم سليم: هو أسكن ما كان. فقرَّبت إليه العشاء فتعشى، ثم أصاب منها، فلما فرغ قالت: وارِ الصَّبيَّ. فلما أصبح أبو طلحة أتى =

سبب نزول الآية [٣٦]: عن السدّي قال: مرّ النبيّ ﷺ على أبي جهل وأبي سفيان وهما يتحدّثان، فلما رآه أبو جهل ضحك، وقال لأبي سفيان: هذا نبيّ بني عبد مناف، فغضب أبو سفيان وقال: أتنكرون أن يكون لبني عبد مناف نبيّ؟ فسمعهما النبيّ ﷺ، فرجع إلى أبي جهل فوقع به وخوّفه، وقال: (ما أراك منتهياً حتى يصيبك ما أصاب من غيّر عهده). فنزلت: ﴿وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك إلا هزواً﴾. [السيوطي] [فوقع به: أي تكلم معه بكلام فيه تأنيب وتقريع وذم له].

بل هم عن ذكر ربهم﴾ أي القرآن ﴿ معرضون ﴾ لا يتفكرون فيه.

٤٣ ﴿ أم ﴾ فيها معنى الهمزة للإنكار، أي أ ﴿ لهم آلهة تمنعهم ﴾(١) مما يسوؤهم ﴿ من دوننا ﴾ أي ألهم من يمنعهم منه غيرنا؟ لا، ﴿ لا يستطيعون ﴾ أي الآلهة ﴿نصر أنفسهم ﴾ فلا ينصرونهم ﴿ ولا هم ﴾ أي الكفار ﴿ منا ﴾ من عذابنا ﴿ يصحبون ﴾ يجارون(٢)، يقال: صحبك الله أي حفظك وأجارك.

٤٤ ﴿ بل متعنا هؤلاء وآباءهم ﴾ بما أنعمنا عليهم ﴿ حتى طال عليهم العمر ﴾(٣) فاغتروا بذلك ﴿ أفلا يرون أنا نأتي الأرض ﴾ نقصد أرضهم ﴿ ننقصها من أطرافها ﴾ بالفتح على النبي ﴿ أفهم الغالبون ﴾؟ لا، بل النبي وأصحابه.

٤٥ ﴿ قل ﴾ لهم ﴿ إنما أنذركم بالوحي ﴾ من الله لا من قبل نفسي ﴿ ولا يسمع الصم الدعاء إذا ﴾ بتحقيق الهمزتين(٤) وتسهيل الثانية بينها وبين الياء ﴿ ما ينذرون ﴾ هم ـ لتركهم العمل بما سمعوه من الإنذار ـ كالصم.

٤٦ ﴿ ولئن مستهم نفحة ﴾ وقعة خفيفة ﴿ من عذاب ربك ليقولن يا ﴾ للتنبيه ﴿ ويلنا ﴾ هلاكنا ﴿ إنا كنا ظالمين ﴾ بالإشراك وتكذيب محمد.

٤٧ ﴿ ونضع الموازين القسط ﴾ ذوات العدل ﴿ ليوم القيامة ﴾ أي فيه ﴿ فلا تظلم نفس شيئاً ﴾ من نقص حسنة أو زيادة سيئة ﴿ وإن كان ﴾ العمل ﴿ مثقال ﴾ زنة ﴿ حبة من خردل(٥) أتينا بها ﴾ بموزونها ﴿ وكفى بنا حاسبين ﴾ محصين كل شيء(٦).

٤٨ ﴿ ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان ﴾ أي التوراة الفارقة بين الحق والباطل، والحلال والحرام ﴿ وضياء ﴾ بها ﴿ وذكراً ﴾ عظة بها ﴿ للمتقين ﴾.

٤٩ ﴿ الذين يخشون ربهم بالغيب ﴾ عن الناس، أي في الخلاء عنهم ﴿ وهم من الساعة ﴾ أي أهوالها ﴿ مشفقون ﴾ خائفون.

٥٠ ﴿ وهذا ﴾ أي القرآن ﴿ ذكر مبارك أنزلناه

بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ
تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَاۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا
يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ
عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ
أَطْرَافِهَآۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِۚ
وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ
نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾
وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ
شَيْـًٔاۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ
بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ
وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ
وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُۚ

---

(١) تحميهم.

(٢) يتقلون ويحمون.

(٣) امتد بهم الزمان وهم أحياء متنعمون.

(٤) همزة الدعاء وهمزه إذا.

(٥) نبت صغير الحب، يضرب المثل بحبه للقلة البالغة النهاية.

(٦) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة، يعطى بها في الدنيا ويجزى بها في الآخرة. وأما الكافر: فيطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم يكن له حسنات يجزى بها) [أفضى: صار إليها]. وفي رواية عنه رضي الله عنه: أنه حدَّث عن رسول الله ﷺ: (إن الكافر إذا عمل حسنة أطعم بها طعمة من الدنيا، وأما المؤمن: فإن الله يدّخر له حسناته في الآخرة، ويعقبه رزقاً في الدنيا على طاعته) [مسلم: صفات المنافقين وأحكامهم، باب: صبغ أنعم أهل الدنيا في النار وصبغ أشدهم بؤساً في الجنة،=

=رسول الله ﷺ فأخبره، فقال: «أعرستم الليلة ؟». قال: نعم، قال: «اللهم بارك لهما». فولدت غلاماً، قال لي أبو طلحة: احفظه حتى تأتي به النبي ﷺ، فأتى به النبي ﷺ وأرسلتْ معه بتمرات، فأخذه النبي ﷺ فقال: «أمعه شيء ؟». قالوا: نعم، تمرات. فأخذها النبي ﷺ فمضغها، ثم أخذ من فيه، فجعلها في في الصبيّ، وحنكه بها، وسماه عبد الله. وفي رواية: قال سفيان بن عيينة، راوي الحديث عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة: فقال رجل من الأنصار: فرأيت لهما تسعة أولاد، كلهم قد قرأ القرآن. [البخاري: العقيقة، باب: تسمية المولود غداة يولد. . ، رقم: ٥١٥٣. مسلم: الآداب، باب: استحباب تحنيك المولود عند ولادته، رقم: ٢١٤٤]. [رجل: هو عباية بن رفاعة بن رافع بن خديج رضي الله عنهما. لهما: لأبي طلحة وأم سليم، من ولدهما عبد الله ـ رضي الله عنهم ـ الذي حملت به تلك الليلة. قرأ القرآن: حفظه وختمه].

وفي رواية عند مسلم [فضائل الصحابة، باب: من فضائل أبي طلحة الأنصاري رضي الله عنه]: ثم تصنعت له أحسن ما كانت تصنع قبل ذلك، فوقع بها، فلما رأت أنه قد شبع وأصاب منها قالت: يا أبا طلحة، أرأيت لو أن قوماً أعاروا عاريتهم أهل بيت، فطلبوا عاريتهم، ألهم أن يمنعوهم ؟ قال: لا. قالت: فاحتسب ابنك. قال: فغضب وقال: تركتني حتى تلطخت ثم أخبرتني بابني ؟ فانطلق حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره بما كان، فقال رسول الله ﷺ: «بارك الله لكما في غابر ليلتكما». قال: فحملت. . .

[فاحتسب: اطلب الأجر من الله تعالى على المصيبة فيه. تلطخت: تلوثت بما فعلت، وهو كناية عن الجماع. غابر: ما مضى فيها].

أفأنتم له منكرون ﴾ الاستفهام فيه للتوبيخ.

٥١ ﴿ ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل ﴾ أي هداه قبل بلوغه(١) ﴿وكنا به عالمين ﴾ أي بأنه أهل لذلك.

٥٢ ﴿ إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل ﴾ الأصنام ﴿ التي أنتم لها عاكفون ﴾ أي على عبادتها مقيمون.

٥٣ ﴿ قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين ﴾ فاقتدينا بهم.

٥٤ ﴿ قال ﴾ لهم: ﴿لقد كنتم أنتم وآباؤكم ﴾ بعبادتها ﴿ في ضلال مبين ﴾ بين(٢).

٥٥ ﴿ قالوا أجئتنا بالحق ﴾ في قولك هذا ﴿ أم أنت من اللاعبين ﴾ فيه(٣):

٥٦ ﴿ قال بل ربكم ﴾ المستحق للعبادة ﴿ رب ﴾ مالك ﴿ السماوات والأرض الذي فطرهن ﴾ خلقهن على غير مثال سبق ﴿وأنا على ذلكم﴾ الذي قلته ﴿ من الشاهدين ﴾ به.

٥٧ ﴿ وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين ﴾(٤).

٥٨ ﴿ فجعلهم ﴾ بعد ذهابهم إلى مجتمعهم في يوم عيد لهم ﴿ جذاذاً ﴾ بضم الجيم وكسرها، فتاتاً، بفأس(٥) ﴿ إلا كبيراً لهم ﴾ علق الفأس في عنقه ﴿ لعلهم إليه ﴾ أي إلى الكبير ﴿ يرجعون ﴾ فيروا ما فُعِل بغيره(٦).

٥٩ ﴿ قالوا ﴾ بعد رجوعهم ورؤيتهم ما فعل ﴿ من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين ﴾ فيه.

٦٠ ﴿ قالوا ﴾ أي بعضهم لبعض ﴿ سمعنا فتى يذكرهم ﴾ أي يعيبهم ﴿ يقال له إبراهيم ﴾.

٦١ ﴿ قالوا فأتوا به على أعين الناس ﴾ أي ظاهراً ﴿ لعلهم يشهدون ﴾ عليه أنه الفاعل.

٦٢ ﴿ قالوا ﴾له بعدإتيانه ﴿ ءأنت ﴾ بتحقيق الهمزتين، وإبدال الثانية ألفاً وتسهيلها، وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه ﴿ فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم ﴾.

٦٣ ﴿ قال ﴾ ساكتاً عن فعله ﴿ بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ﴾ عن فاعله ﴿ إن كانوا ينطقون ﴾ فيه تقديم جواب الشرط(٧)، وفيما قبله تعريض لهم: بأن الصنم المعلوم عجزه عن الفعل لا يكون إلهاً(٨).

أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾ * وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ
مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ
مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ
ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ
فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ
ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾
وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾
فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾
قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾
قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟
بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ

---

(١) ألهمه ما فيه صلاح دينه ودنياه. أو المراد: آتيناه النبوة من قبل موسى وهارون عليهم السلام.

(٢) ظاهر.

(٣) أي أجاد أنت فيما تقول، أم تقوله على وجه اللعب؟.

(٤) لأدبرن لها أمراً أثبت به أنها باطل، بعد ذهابكم.

(٥) آلة يكسر بها الحجر ونحوه.

(٦) فيسألونه ـ على زعمهم ـ عمن كسرها، وكيف لم يدفع عنها وهو قائم يشاهدها، والفأس معه؟.

(٧) أي إن كانوا ينطقون فاسألوهم.

(٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات، اثنتين منهن في ذات الله: قوله ﴿إني سقيم﴾/ الصافات: ٨٩/ وقوله ﴿فعله كبيرهم هذا﴾ وقوله لسارة: هذه أختي) البخاري في الأنبياء، باب: قول الله تعالى: ﴿واتخذ الله إبراهيم خليلاً﴾ ومسلم في الفضائل، باب: من فضائل إبراهيم الخليل عليه السلام. [ثلاث كذبات: أي لم يتكلم كلاماً صورته الكذب وإن كان حقاً في الواقع إلا هذه الكلمات. سقيم: مريض وقصد أنه مغتم القلب لضلالتهم. أختي: أي في الدين]

=رقم: ٢٨٠٨].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله عزَّ وجلَّ يستخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً، كل سجل مد البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئاً؟ أظلمتك كتبتي الحافظون؟ قال: لا، يا رب. قال: أفلك عذر أو حسنة؟ قال: فيبهت الرجل، فيقول: لا، يا رب. فيقول: بلى، إن لك عندنا حسنة واحدة، لا ظلم اليوم عليك. فيخرج له بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدً عبده ورسوله. فيقول: أحضروه. فيقول يا رب، ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقول: إنك لا تظلم. قال: فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة، قال: فطاشت السجلات وثقلت البطاقة. قال: ولا يثقل شيء بسم الله الرحمن الرحيم) [مسند أحمد: ٢/٢١٣]=

٦٤ ﴿ فرجعوا إلى أنفسهم ﴾ بالتفكر ﴿ فقالوا ﴾ لأنفسهم ﴿إنكم أنتم الظالمون ﴾ أي بعبادتكم من لا ينطق.

٦٥ ﴿ ثم نكسوا ﴾ من الله ﴿ على رؤوسهم ﴾ أي ردوا إلى كفرهم⁽¹⁾، وقالوا: والله ﴿ لقد علمت ما هؤلاء ينطقون ﴾ أي فكيف تأمرنا بسؤالهم؟.

٦٦ ﴿قال أفتعبدون من دون الله﴾ أي بدله ﴿ما لا ينفعكم شيئاً﴾ من رزق وغيره ﴿ولا يضركم﴾ شيئاً إذا لم تعبدوه.

٦٧ ﴿ أف ﴾ بكسر الفاء وفتحها بمعنى مصدر، أي نتناً وقبحاً ﴿ لكم ولما تعبدون من دون الله ﴾ أي غيره ﴿ أفلا تعقلون ﴾ أن هذه الأصنام لا تستحق العبادة ولا تصلح لها، وإنما يستحقها الله تعالى.

٦٨ ﴿ قالوا حرقوه ﴾ أي إبراهيم ﴿ وانصروا آلهتكم ﴾ أي بتحريقه ﴿ إن كنتم فاعلين ﴾ نصرتها. فجمعوا له الحطب الكثير، وأضرموا النار في جميعه، وأوثقوا إبراهيم⁽²⁾، وجعلوه في منجنيق⁽³⁾ ورموه في النار، قال تعالى:

٦٩ ﴿ قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم ﴾ فلم تحرق منه غير وثاقه، وذهبت حرارتها، وبقيت إضاءتها، وبقوله:

«وسلاماً» سلم من الموت ببردها⁽⁴⁾.

فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ
كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾
فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ
نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾
قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا
يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا
تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ
فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾
وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ
وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا
لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾
وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ

٧٠ ﴿ وأرادوا به كيداً ﴾ وهو التحريق ﴿ فجعلناهم الأخسرين ﴾ في مرادهم.

٧١ ﴿ ونجيناه ولوطاً ﴾ ابن أخيه هاران من العراق ﴿ إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين ﴾ بكثرة الأنهار والأشجار، وهي الشام⁽⁵⁾، نزل إبراهيم بفلسطين، ولوط بالمؤتفكة، وبينهما يوم.

٧٢ ﴿ ووهبنا له ﴾ أي لإبراهيم، وكان سأل ولداً كما ذكر في الصافات/ ١٠٠/ ﴿ إسحاق ويعقوب نافلة ﴾ أي زيادة على المسؤول، أو هو ولد الولد ﴿ وكلاً ﴾ أي هو وولداه ﴿ جعلنا صالحين ﴾ أنبياء.

٧٣ ﴿ وجعلناهم أئمة ﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ياء، يقتدى بهم في الخير ﴿ يهدون ﴾ الناس ﴿ بأمرنا ﴾ إلى ديننا ﴿ وأوحينا إليهم ⁽⁶⁾ فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة﴾ أي أن تفعل وتقام وتؤتى منهم ومن أتباعهم، وحذف هاء إقامة تخفيف ⁽⁷⁾﴿وكانوا لنا عابدين﴾.

---

(١) وأصل النكس أن يقلب رأسه إلى أسفل، وأسفله إلى أعلى، وهو هنا كناية عن الارتداد والرجوع إلى الباطل.

(٢) ربطوه.

(٣) آلة ترمى بها الحجارة ونحوها.

(٤) أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى ﴿وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل﴾/آل عمران: ١٧٣/ قال: قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم. [التفسير/آل عمران، باب: ﴿إن الناس قد جمعوا لكم﴾]

(٥) أخرج البخاري ومسلم عن أبي قتادة رضي الله عنه: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لكعب: الا تتحول إلى المدينة؟ فيها مهاجر رسول الله ﷺ وقبره. فقال كعب: إني وجدت في كتاب الله المنزل يا أمير المؤمنين: أن الشام كنز الله من أرضه، وبها كنزه من عباده.

(٦) أنزلنا عليهم الوحي يأمرهم بذلك.

(٧) أي أصل ﴿إقام﴾ إقامة، فحذف الهاء تخفيفاً.

=[سجلاً: ما يكتب فيه. فطاشت: خفت وارتفعت. ولا يثقل: أي لا يوزن بها ولا يقابل ثقلها].

وعن عائشة رضي الله عنها: أن رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ جلس بين يديه، فقال: يا رسول الله، إن لي مملوكين يكذبونني ويخونونني ويعصونني، وأضربهم وأشتمهم، فكيف أنا منهم؟ فقال له رسول الله ﷺ: (يُحسب ما خانوك وعصوك وكذبوك وعقابك إياهم، إن كان عقابك إياهم دون ذنوبهم كان فضلاً لك عليهم، وإن كان عقابك إياهم بقدر ذنوبهم، كان كفافاً، لا لك ولا عليك، وإن كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم اقتص لهم منك الفضل الذي يبقى قِبَلك). فجعل الرجل يبكي بين يدي رسول الله ﷺ ويهتف، فقال رسول الله ﷺ: (ماله أما يقرأ كتاب الله؟ ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين﴾). فقال الرجل: يا رسول الله، ما أجد شيئاً خيراً من فراق هؤلاء - يعني عبيده - إني أشهدك أنهم أحرار=

٧٤ ﴿ ولوطاً آتيناه حكماً ﴾ فصلاً بين الخصوم ﴿ وعلماً ونجيناه من القرية التي كانت تعمل ﴾ أي أهلها، الأعمال ﴿ الخبائث ﴾ من اللواط[1]، والرمي بالبندق[2]، واللعب بالطيور وغير ذلك ﴿ إنهم كانوا قوم سوء ﴾ مصدر ساءه، نقيض سره ﴿ فاسقين ﴾

٧٥ ﴿ وأدخلناه في رحمتنا ﴾ بأن أنجيناه من قومه ﴿ إنه من الصالحين ﴾.

٧٦ ﴿ و ﴾ اذكر ﴿ نوحاً ﴾ وما بعده بدل منه ﴿ إذ نادى ﴾ دعا على قومه بقوله: «رب لا تذر» الخ/ نوح: ٢٦/ ﴿ من قبل ﴾ أي قبل إبراهيم ولوط ﴿فاستجبنا له فنجيناه وأهله ﴾ الذين في سفينته ﴿ من الكرب العظيم ﴾ أي الغرق وتكذيب قومه له.

٧٧ ﴿ ونصرناه ﴾ منعناه ﴿ من القوم الذين كذبوا بآياتنا ﴾ الدالة على رسالته، أن لا يصلوا إليه بسوء ﴿ إنهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين ﴾.

٧٨ ﴿ و ﴾ اذكر ﴿ داود وسليمان ﴾ أي قصتهما ويبدل منها ﴿ إذ يحكمان في الحرث ﴾ هو زرع أو كرم[3] ﴿ إذ نفشت فيه غنم القوم ﴾ أي رعته ليلاً بلا راعٍ، بأن انفلتت ﴿ وكنا لحكمهم شاهدين ﴾ فيه استعمال ضمير الجمع لاثنين، قال داود: لصاحب الحرث رقاب الغنم[4]، وقال سليمان: ينتفع بدرها[5] ونسلها وصوفها إلى أن يعود الحرث كما كان، بإصلاح صاحبها[6]، فيردها إليه.

٧٩ ﴿ ففهمناها ﴾ أي الحكومة[7] ﴿ سليمان ﴾ وحكمهما باجتهاد[8]، ورجع داود إلى سليمان، وقيل بوحي، والثاني ناسخ للأول[9] ﴿ وكلاً ﴾ منهما ﴿ آتينا ﴾ ﴿ حكماً ﴾ نبوة ﴿ وعلماً ﴾ بأمور الدين ﴿ وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير ﴾ كذلك سخر للتسبيح معه، لأمره به إذا وجد فترة[10]، لينشط له ﴿ وكنا فاعلين ﴾ تسخير تسبيحهما معه، وإن كان عجباً عندكم، أي مجاوبته للسيد داود.

٨٠ ﴿ وعلمناه صنعة لبوس ﴾ وهي الدرع لأنها تلبس، وهو أول من صنعها[11]، وكان قبلها صفائح[12] ﴿ لكم ﴾ في جملة الناس ﴿ لنحصنكم ﴾[13] بالنون لله، وبالتحتانية[14] لداود، وبالفوقانية[15] للبوس

ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا
عَٰبِدِينَ (٧٣) وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ
ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ
سَوْءٍ فَٰسِقِينَ (٧٤) وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ
ٱلصَّٰلِحِينَ (٧٥) وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ
فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ (٧٦) وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ
ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ
فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ (٧٧) وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ
فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ
شَٰهِدِينَ (٧٨) فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا
حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ
وَكُنَّا فَٰعِلِينَ (٧٩) وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم

---

(١) فعل الفاحشة مع الذكر.

(٢) قطع من الطين بقدر البندقة التي تؤكل، تعمل ويرمى بها.

(٣) هو شجر العنب.

(٤) أي يأخذها وتصير ملكاً له.

(٥) لبنها وما يؤخذ منه.

(٦) أي يقوم صاحب الغنم بإصلاح الزرع.

(٧) ألهمناه الحكم الصواب في هذه القضية.

(٨) أي لا عن وحي، ومن أخطأ في الحكم عن اجتهاد كان مأجوراً. أخرج البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر). [البخاري: الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ. مسلم: الأقضية، باب: بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ].

(٩) أي حكم سليمان ناسخ لحكم داود عليهما السلام، وذلك على القول بأن حكمهما كان بوحي.

(١٠) فتوراً وقلة نشاط. (١١) من حَلَق يدخل بعضها في بعض.

(١٢) يوصل بعضها ببعض.

(١٣) لنمنعكم ونحميكم، فضمير الفاعل لله تعالى.

(١٤) ﴿ليحصنكم﴾ ويكون الضمير لداود عليه السلام.

(١٥) ﴿لتحصنكم﴾ ويكون الضمير للدرع.

= كلهم. [مسند أحمد: ٢٨/٦] [الفضل: الزيادة. قبلك: عليك ونحوك].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: (من حوسب يوم القيامة عذب). فقلت: أليس قد قال الله = عزَّ وجلَّ: ﴿فسوف يحاسب حساباً يسيراً﴾ [الانشقاق: ٨] فقال: (ليس ذاك الحساب، إنما ذاك العرض، من نوقش الحساب يوم القيامة عذب﴾. [البخاري: العلم، باب: من سمع شيئاً فراجع حتى يعرفه، رقم: ١٠٣. مسلم: الجنة =

﴿ من بأسكم ﴾ حربكم مع أعدائكم ﴿ فهل أنتم ﴾ يا أهل مكة ﴿ شاكرون ﴾ نعمتي بتصديق الرسول؟ أي اشكروني بذلك.

٨١ ﴿ و ﴾ سخرنا ﴿ لسليمان الريح عاصفة ﴾ وفي آية أخرى «رُخاء»/ ص: ٣٦/ أي شديدة الهبوب وخفيفته، بحسب إرادته ﴿ تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها ﴾ وهي الشام ﴿ وكنا بكل شيء عالمين ﴾ من ذلك: علم الله تعالى بأن ما يعطيه سليمان يدعوه للخضوع لربه، ففعله تعالى على مقتضى علمه.

٨٢ ﴿ و ﴾ سخرنا ﴿ من الشياطين من يغوصون له ﴾ يدخلون في البحر، فيخرجون منه الجواهر لسليمان ﴿ ويعملون عملاً دون ذلك ﴾ أي سوى الغوص، من البناء وغيره ﴿ وكنا لهم حافظين ﴾ من أن يفسدوا ما عملوا، لأنهم كانوا إذا فرغوا من عمل قبل الليل أفسدوه إن لم يشتغلوا بغيره.

٨٣ ﴿ و ﴾ اذكر ﴿ أيوب ﴾ ويبدل منه ﴿ إذ نادى ربه ﴾ لما ابتلي بفقد جميع ماله وولده، وتمزيق جسده وهجر جميع الناس له إلا زوجته سنين ثلاثاً أو سبعاً أو ثماني عشرة(١)، وضيق عيشه ﴿ أني ﴾ بفتح الهمزة بتقدير الباء ﴿ مسني الضر ﴾ أي الشدة ﴿ وأنت أرحم الراحمين ﴾.

مِن بَأۡسِكُمۡۖ فَهَلۡ أَنتُمۡ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ
عَاصِفَةٗ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦٓ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۚ
وَكُنَّا بِكُلِّ شَيۡءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن
يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعۡمَلُونَ عَمَلٗا دُونَ ذَٰلِكَۖ وَكُنَّا لَهُمۡ
حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ
ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا
مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ
عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِدۡرِيسَ
وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ فِي
رَحۡمَتِنَآۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ
مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن
لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾

٨٤ ﴿ فاستجبنا له ﴾ نداءه ﴿ فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ﴾ أولاده الذكور والإناث، بأن أحيوا له(٢)، وكل من الصنفين ثلاث أو سبع ﴿ ومثلهم معهم ﴾ من زوجته، وزيد في شبابها، وكان له أندر(٣) للقمح وأندر للشعير، فبعث الله سحابتين: أفرغت إحداهما على أندر القمح الذهب، وأفرغت الأخرى على أندر الشعير الورق(٤) حتى فاض ﴿ رحمة ﴾ مفعول له ﴿ من عندنا ﴾ صفة(٥) ﴿ وذكرى للعابدين ﴾ ليصبروا فيثابوا.

٨٥ ﴿ و ﴾ اذكر ﴿ إسماعيل وإدريس وذا الكفل(٦) كل من الصابرين ﴾ على طاعة الله، وعن معاصيه.

٨٦ ﴿ وأدخلناهم في رحمتنا ﴾ من النبوة ﴿ إنهم من الصالحين ﴾ لها، وسمي ذا الكفل لأنه تكفل بصيام جميع نهاره وقيام جميع ليله، وأن يقضي بين الناس ولا يغضب، فوفى بذلك. وقيل: لم يكن نبياً(٧).

٨٧ ﴿ و ﴾ اذكر ﴿ ذا النون ﴾ صاحب الحوت، وهو يونس بن متى، ويبدل منه ﴿ إذ ذهب مغاضباً ﴾ لقومه، أي غضبان عليهم مما قاسى منهم، ولم يؤذن له في ذلك ﴿ فظن أن لن نقدر عليه ﴾ أي نقضي عليه ما قضيناه من حبسه في بطن الحوت، أو نضيق عليه بذلك ﴿ فنادى في الظلمات ﴾ ظلمة الليل، وظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت ﴿ أن ﴾ أي بأن ﴿ لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ﴾ في ذهابي من بين قومي بلا إذن.

---

(١) هذا ينافي ما قرره أهل السنة: من وجوب سلامة الرسل من الأمراض المنفرة، لأن ذلك يتنافى مع وظيفتهم الأساسية، وهي تبليغ ما بعثوا به، الذي يستدعي لقاءهم بالناس، وإلفتهم لهم. وهذا الذي ذكر عن أيوب عليه السلام لا سند له إلا الإسرائيليات التي لم تثبت بطريق صحيح. والصحيح أن الضر الذي مسه هو فقد الأهل من الزوجة والولد، كما يفهم من نص القرآن. (٢) أو عوض عنهم.

(٣) هو الموضع الذي تدرس فيه المحاصيل، ويسمى بيدراً.

(٤) الفضة. أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (بينما أيوب يغتسل عرياناً خر عليه جراد من ذهب، فجعل أيوب يحثي في ثوبه، فناداه ربه: يا أيوب ألم أكن أغنيتك عما ترى؟ قال: بلى يا رب، ولكني لا غنى لي عن بركتك) [يحثي في ثوبه: يهيله بكفه عليه، أو يقبضه بكفيه ويضمه في ثوبه]. [البخاري: الغسل، باب: من اغتسل عرياناً وحده في الخلوة..، رقم: ٢٧٥].

(٥) أي متعلق بصفة محذوفة لرحمة، تقديرها: كائنة من عندنا.

(٦) واسمه بشر، وهو ابن أيوب عليهما السلام. [حاشية الصاوي]. (٧) الصحيح أنه نبي، يدل على ذلك ذكره في سياق الأنبياء. [حاشية الجمل].

=وصفة نعيمها وأهلها، باب: إثبات الحساب، رقم: ٢٨٧٦] [حوسب: نوقش الحساب. ذلك: أي الحساب اليسير هو= =عرض الناس على الميزان. نوقش: استقصي معه الحساب].

٨٨ ﴿ فاستجبنا له ونجيناه من الغم ﴾ بتلك الكلمات ﴿ وكذلك ﴾ كما نجيناه ﴿ ننجي المؤمنين ﴾ من كربهم، إذا استغاثوا بنا داعين.

٨٩ ﴿ و ﴾ اذكر ﴿ زكريا ﴾ ويبدل منه ﴿ إذ نادى ربه ﴾ بقوله ﴿ رب لا تذرني فرداً ﴾ أي بلا ولد يرثني ﴿ وأنت خير الوارثين ﴾ الباقي بعد فناء خلقك.

٩٠ ﴿ فاستجبنا له ﴾ نداءه ﴿ ووهبنا له يحيى ﴾ ولداً ﴿ وأصلحنا له زوجه ﴾ فأتت بالولد بعد عقمها ﴿ إنهم ﴾ أي من ذكر من الأنبياء ﴿ كانوا يسارعون ﴾ يبادرون ﴿ في الخيرات ﴾ الطاعات ﴿ ويدعوننا رغباً ﴾ في رحمتنا ﴿ ورهباً ﴾ من عذابنا ﴿ وكانوا لنا خاشعين ﴾ متواضعين في عبادتهم.

٩١ ﴿ و ﴾ اذكر مريم ﴿ التي أحصنت فرجها ﴾ حفظته من أن ينال(١) ﴿ فنفخنا فيها من روحنا ﴾ أي جبريل(٢)، حيث نفخ في جيب درعها(٣)، فحملت بعيسى ﴿ وجعلناها وابنها آية(٤) للعالمين ﴾ الإنس والجن والملائكة، حيث ولدته من غير فحل.

٩٢ ﴿ إن هذه ﴾ أي ملة الإسلام ﴿ أمتكم ﴾ دينكم(٥) أيها المخاطبون، أي يجب أن تكونوا عليها ﴿ أمة واحدة ﴾ حال لازمة ﴿ وأنا ربكم فاعبدون ﴾ وحدون.

٩٣ ﴿ وتقطعوا ﴾ أي بعض المخاطبين ﴿ أمرهم بينهم ﴾ أي فرَّقوا أمر دينهم متخالفين فيه، وهم طوائف اليهود والنصارى، قال تعالى: ﴿ كل إلينا راجعون ﴾ أي فنجازيهم بعملهم(٦).

٩٤ ﴿ فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران ﴾ أي لا جحود ﴿ لسعيه وإنا له كاتبون ﴾ بأن نامر الحفظة بكتبه، فنجازيه عليه.

٩٥ ﴿ وحرام على قرية أهلكناها ﴾ أريد أهلها ﴿ أنهم لا ﴾ زائدة ﴿ يرجعون ﴾ أي ممتنع رجوعهم إلى الدنيا(٧).

٩٦ ﴿ حتى ﴾ غاية لامتناع رجوعهم ﴿ إذا فتحت ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿ يأجوج ومأجوج ﴾ بالهمز وتركه، اسمان أعجميان لقبيلتين، ويقدر قبله مضاف أي سدهما، وذلك قرب القيامة ﴿ وهم من كل حدب ﴾ مرتفع من الأرض ﴿ ينسلون ﴾ يسرعون(٨)

فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾
وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ
خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ
وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ
وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ وَٱلَّتِيٓ
أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا
وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ
وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ
كُلٌّ إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾ فَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا كُفۡرَانَ لِسَعۡيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾
وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآ أَنَّهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا
فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾

---

(١) يصل إليه أحد، لتتحقق المعجزة بولادتها دون اقترانها بذكَر.

(٢) نفخ فيها روحاً مخلوقة لنا، لتكون بشراً مخلوقاً بالمباشرة بدون واسطة أب.

(٣) شق قميصها من جهة الرأس.

(٤) علامة ودلالة واضحة على كمال قدرة الخالق سبحانه.

(٥) والأمة في الأصل الجماعة التي هي على مقصد واحد، وسميت الشريعة أمة لاجتماع أهلها على مقصد واحد.

(٦) عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أنه حدث عن رسول الله ﷺ: (إن الكافر إذا عمل حسنة أطعم بها طعمة من الدنيا، وأما المؤمن: فإن الله يدّخر له حسناته في الآخرة، ويعقبه رزقاً في الدنيا على طاعته).
[مسلم: صفات المنافقين وأحكامهم، باب: جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا والآخرة وتعجيل حسنات الكافر في الدنيا، رقم: ٢٨٠٨].

(٧) أو ممتنع أن لا يرجعوا إلينا بالبعث يوم القيامة بعد إهلاكهم في الدنيا.

(٨) أخرج مسلم عن حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه قال: اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر، فقال: (ما تذاكرون؟ قالوا: نذكر الساعة، قال: (إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات) فذكر الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى بن مريم، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب. وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم.
[الفتن وأشراط الساعة، باب: في الآيات التي تكون قبل الساعة، رقم: ٢٩٠١].

٩٧ ﴿ واقترب الوعد الحق ﴾ أي يوم القيامة ﴿ فإذا هي ﴾ أي القصة ﴿ شاخصة أبصار الذين كفروا ﴾ في ذلك اليوم لشدته، يقولون ﴿ يا ﴾ للتنبيه ﴿ ويلنا ﴾ هلاكنا ﴿ قد كنا ﴾ في الدنيا ﴿ في غفلة من هذا ﴾ اليوم ﴿ بل كنا ظالمين ﴾ أنفسنا بتكذيبنا الرسل.

٩٨ ﴿ إنكم ﴾ يا أهل مكة ﴿ وما تعبدون من دون الله ﴾ أي غيره من الأوثان ﴿ حصب جهنم ﴾ وقودها ﴿ أنتم لها واردون ﴾ داخلون فيها.

٩٩ ﴿ لو كان هؤلاء ﴾ الأوثان ﴿ آلهة ﴾ كما زعمتم ﴿ ما وردوها ﴾ دخلوها ﴿ وكل ﴾ من العابدين والمعبودين ﴿ فيها خالدون ﴾.

١٠٠ ﴿ لهم ﴾ للعابدين ﴿ فيها زفير(١) وهم فيها لا يسمعون ﴾ شيئاً لشدة غليانها.

١٠١ ونزل ـ لما قال ابن الزبعرى: عُبِد عزير والمسيح والملائكة، فهم في النار، على مقتضى ما تقدم ـ ﴿ إن الذين سبقت لهم منا ﴾ المنزلة ﴿ الحسنى ﴾ ومنهم من ذكر(٢) ﴿ أولئك عنها مبعدون ﴾.

١٠٢ ﴿ لا يسمعون حسيسها ﴾ صوتها(٣) ﴿ وهم في ما اشتهت أنفسهم ﴾ من النعيم ﴿ خالدون ﴾.

١٠٣ ﴿ لا يحزنهم الفزع الأكبر ﴾ وهو أن يؤمر بالعبد إلى النار(٤) ﴿ وتتلقاهم ﴾ تستقبلهم ﴿ الملائكة ﴾ عند خروجهم من القبور، يقولون لهم: ﴿ هذا يومكم الذي كنتم توعدون ﴾ في الدنيا.

١٠٤ ﴿ يوم ﴾ منصوب باذكر مقدراً قبله ﴿ نطوي السماء كطي السجل ﴾ اسم ملك ﴿ للكتاب ﴾ صحيفة ابن آدم عند موته، واللام زائدة. أو السجل الصحيفة، والكتاب بمعنى المكتوب، واللام بمعنى على. وفي قراءة «للكتب» جمعاً ﴿ كما بدأنا أول خلق ﴾ من عدم ﴿ نعيده ﴾ بعد إعدامه، فالكاف متعلقة بنعيد، وضميره عائد إلى أول، وما مصدرية ﴿ وعداً علينا ﴾ منصوب بوعدنا مقدراً قبله، وهو مؤكد لمضمون ما قبله ﴿ إنا كنا فاعلين ﴾ ما وعدنا(٥).

١٠٥ ﴿ ولقد كتبنا في الزبور ﴾ بمعنى الكتاب، أي كتب الله المنزلة ﴿ من بعد الذكر ﴾ بمعنى أم الكتاب الذي عند الله(٦) ﴿ أن الأرض ﴾ أرض الجنة ﴿ يرثها عبادي الصالحون ﴾ عام في كل صالح.

وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾
إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا
وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوۡ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةٗ مَّا وَرَدُوهَاۖ وَكُلّٞ فِيهَا
خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَهُمۡ فِيهَا لَا يَسۡمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ
ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ﴿١٠١﴾
لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ
خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ
هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ يَوۡمَ نَطۡوِي
ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلۡكُتُبِۚ كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ
وَعۡدًا عَلَيۡنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ
بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾

---

(١) تنفس شديد من شدة ما ينالهم من العذاب.

(٢) من الملائكة والأنبياء والصالحين.

(٣) وحركة تلهبها.

(٤) وقيل: هو جميع أهوال يوم القيامة، وقيل: حين يذبح الموت. وانظر حديثه عند تفسير الآية/٣٩/ من سورة مريم.

(٥) أخرج البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قام فينا رسول الله ﷺ بموعظة فقال: (أيها الناس، إنكم تحشرون إلى الله حفاة عراة غرلاً، ﴿كما بدأنا أول خلق نعيده﴾ [البخاري: الرقاق، باب: كيف الحشر، رقم: ٦١٥٩ ـ ٦١٦١. مسلم: الجنة وصفة نعيمها، باب: فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، رقم: ٢٨٦٠]. [غرلاً: جمع أغرل وهو الذي لم يختن].

(٦) انظر/ الرعد: ٣٩/.

سبب نزول الآية [١٠١]: أخرج الواحدي بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: آية، لا يسألني الناس عنها، لا أدري أعرفوها فلم يسألوا عنها، أو جهلوها فلا يسألون عنها؟ قال: وما هي؟ قال: لما نزلت: ﴿إِنَّكُمْ وما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أنتُم لها وارِدُونَ﴾ [٩٨] شق على قريش، فقالوا: أيشتم آلهتنا؟ فجاء ابن الزبعرى فقال: ما لكم؟ قالوا: يشتم آلهتنا . قال: فما قال؟ قالوا: قال: ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون﴾ قال: ادعوه لي، فلما دعي النبي ﷺ قال: يا محمد، هذا شيء لآلهتنا خاصة أو لكل من عبد من دون الله؟ قال: (بل لكل من عبد من دون الله). فقال ابن الزبعرى: خصمت ورب هذه البنية ـ يعني الكعبة ـ ألست تزعم أن الملائكة عباد صالحون، وأن عيسى عبد صالح؟ وهذه بنو مليح يعبدون الملائكة، وهذه النصارى يعبدون عيسى ـ عليه السلام ـ وهذه اليهود يعبدون عزيراً. قال: فصاح أهل مكة، فأنزل الله تعالى: ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى﴾ الملائكة وعيسى وعزير عليهم السلام ﴿أولئك عنها مبعدون﴾.

١٠٦ ﴿ إن في هذا ﴾ القرآن ﴿ لبلاغاً ﴾ كفاية في دخول الجنة ﴿ لقوم عابدين ﴾ عاملين به.

١٠٧ ﴿ وما أرسلناك ﴾ يا محمد ﴿ إلا رحمة ﴾ أي للرحمة ﴿ للعالمين ﴾ الإنس والجن، بك⁽¹⁾.

١٠٨ ﴿ قل إنما يوحى إليّ أنما إلهكم إله واحد ﴾ أي ما يوحى إليّ في أمر الإله إلا وحدانيته ﴿ فهل أنتم مسلمون ﴾ منقادون لما يوحى إليّ من وحدانية الإله؟ والاستفهام بمعنى الأمر.

١٠٩ ﴿ فإن تولوا ﴾ عن ذلك ﴿ فقل آذنتكم ﴾ بالحرب ﴿ على سواء ﴾ حال من الفاعل والمفعول، أي مستوين في علمه، لا أستبد به دونكم، لتتأهبوا ﴿ وإن ﴾ ما ﴿ أدري أقريب أم بعيد ما توعدون ﴾ من العذاب، أو القيامة المشتملة عليه، وإنما يعلمه الله. ١١٠ ﴿ إنه ﴾ تعالى ﴿ يعلم الجهر من القول ﴾ والفعل، منكم ومن غيركم ﴿ ويعلم ما تكتمون ﴾ أنتم وغيركم من السر. ١١١ ﴿ وإن ﴾ ما ﴿ أدري لعله ﴾ أي ما أعلمتكم به ولم يعلم وقته ﴿ فتنة ﴾ اختبار ﴿ لكم ﴾ ليرى كيف صنعكم ﴿ ومتاع ﴾ تمتع ﴿ إلى حين ﴾ أي انقضاء آجالكم، وهذا مقابل للأول المترجى بلعل، وليس الثاني محلاً للترجي⁽²⁾. ١١٢ ﴿ قل ﴾ وفي قراءة «قال» ﴿ رب احكم ﴾ بيني وبين مكذبي

﴿ بالحق ﴾ بالعذاب لهم، أو النصر عليهم. فعذبوا ببدر وأحد وحنين والأحزاب والخندق، ونصر عليهم ﴿ وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون ﴾ من كذبكم على الله في قولكم: اتخذ ولداً، وعليّ في قولكم: ساحر، وعلى القرآن في قولكم: شعر.

(سورة الحج)

مكية، إلا «ومن الناس من يعبد الله» الآيتين/ ١١، ١٢/ أو إلا «هذان خصمان» الست آيات/ ١٩ - ٢٤/ فمدنيات، وهي أربع أو خمس أو ست أو سبع أو ثمان وسبعون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿ يا أيها الناس ﴾ أي أهل مكة وغيرهم ﴿ اتقوا ربكم ﴾ أي عقابه، بأن تطيعوه ﴿ إن زلزلة الساعة ﴾ أي الحركة الشديدة للأرض⁽³⁾، التي يكون بعدها طلوع

إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا
رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ
وَٰحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ
عَلَىٰ سَوَآءٍ وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾
إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ
أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم
بِٱلْحَقِّ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾

(٢٢) سُورَةُ الحَجِّ مَدَنِيَّة
وَآيَاتُهَا ثَمَانٌ وَسَبْعُونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ

---

(١) أي رحمناهم ورفعنا عنهم عذاب الاستئصال بسببك.

(٢) أي ليس التمتع الى حين محلاً للترجي، لأنه متحقق الوقوع.

(٣) أخرج مسلم [كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: في الآيات التي تكون قبل الساعة، رقم: ٢٩٠١] عن حذيفة ابن أسيد رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ في غرفة ونحن أسفل منه، فاطلع إلينا فقال: (ما تذكرون). قلنا: الساعة. قال: (إن الساعة لا تكون حتى تكون عشر آيات: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف في جزيرة العرب، والدخان، والدجال، ودابة الأرض، ويأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها، ونار تخرج من قعرة عدن ترَحّل الناس). [آيات: أمور وظواهر كونية غريبة. خسف: زلازل وهزات أرضية يكون بسببها انهدام تغور فيه العباد والبلاد. الدخان: الذي يأخذ بأنفاس الكافر، ويأخذ المؤمن منه كهيئة الزكام. دابة الأرض: المذكورة في قوله تعالى: ﴿وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض﴾/النمل: ٨٢/. قعرة عدن: أقصاها. ترحل: تحملهم على الرحيل].

فائدة: في كونه ﷺ رحمة. عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله بعثني رحمة مهداة، بعثت برفع قوم وخفض آخرين». ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «إنما أنا رحمة مهداة» [ابن عساكر. انظر تفسير الآية (١٠٧) عند ابن كثير].

وعن عمرو بن أبي قرة الكندي قال: كان حذيفة بالمدائن، فكان يذكر أشياء قالها رسول الله ﷺ، فجاء حذيفة إلى سلمان، فقال سلمان: يا حذيفة، إن رسول الله ﷺ كان يغضب فيقول، ويرضى فيقول، لقد علمت أن رسول الله ﷺ خطب فقال: «أيما رجل من أمتي سببته سَبّة في غضبي أو لعنته لعنة، فإنما أنا رجل من ولد آدم، أغضب كما يغضبون، وإنما بعثني رحمة للعالمين، فاجعلها صلاة عليه يوم القيامة» [مسند أحمد: ٥/ ٤٣٧]. وقال ابن كثير: فإن قيل: فأي رحمة حصلت لمن كفر به ؟ فالجواب: ما رواه أبو جعفر بن جرير الطبري بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ قال: من آمن بالله واليوم الآخر، كتب له الرحمة في الدنيا والآخرة ومن لم

الشمس من مغربها، الذي هو قرب الساعة ﴿ شيءعظيم ﴾ في إزعاج الناس، الذي هو نوع من العقاب.

٢ ﴿يوم ترونها تذهل ﴾[1] بسببها ﴿ كل مرضعة ﴾ بالفعل ﴿ عما أرضعت ﴾ أي تنساه ﴿ وتضع كل ذات حمل ﴾ أي حبلى ﴿ حملها وترى الناس سكارى ﴾[2] من شدة الخوف ﴿ وما هم بسكارى ﴾ من الشراب ﴿ ولكن عذاب الله شديد ﴾ فهم يخافونه[3].

٣ ونزل في النضر بن الحارث وجماعته ﴿ ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ﴾ قالوا: الملائكة بنات الله، والقرآن أساطير الأولين، وأنكروا البعث، وإحياء من صار تراباً[4] ﴿ ويتبع ﴾ في جداله ﴿ كل شيطان مريد ﴾ أي متمرد.

٤ ﴿ كتب عليه ﴾ قضي على الشيطان ﴿ أنه من تولاه ﴾ أي اتبعه ﴿ فأنه يضله ويهديه ﴾ يدعوه ﴿ إلى عذاب السعير ﴾ أي النار.

٥ ﴿ يا أيها الناس ﴾ أي أهل مكة ﴿ إن كنتم في ريب ﴾ شك ﴿ من البعث فإنا خلقناكم ﴾ أي أصلكم آدم ﴿ من تراب ثم ﴾ خلقنا ذريته ﴿ من نطفة ﴾ مني ﴿ ثم من علقة ﴾ وهي الدم الجامد ﴿ ثم من مضغة ﴾ وهي لحمة قدر ما يمضغ ﴿ مخلقة ﴾ مصورة تامة الخلق ﴿ وغير مخلقة ﴾ أي غير تامة الخلق ﴿ لنبين لكم ﴾ كمال قدرتنا، لتستدلوا بها في ابتداء الخلق على إعادته ﴿ ونقر ﴾ مستأنف ﴿ في الأرحام ما نشاء[5] إلى أجل مسمى ﴾ وقت خروجه ﴿ ثم نخرجكم ﴾ من بطون أمهاتكم ﴿ طفلاً ﴾ بمعنى أطفالاً ﴿ ثم ﴾ نعمركم ﴿ لتبلغوا أشدكم ﴾ أي الكمال والقوة، وهو ما بين الثلاثين إلى الأربعين سنة ﴿ ومنكم من يتوفى ﴾ يموت قبل بلوغ الأشد ﴿ ومنكم من يرد إلى أرذل العمر ﴾ أخسه، من الهرم والخرف ﴿ لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً ﴾ قال عكرمة: من قرأ القرآن[6] لم يصر بهذه الحالة ﴿ وترى الأرض هامدة ﴾ يابسة ﴿ فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت ﴾ تحركت ﴿ وربت ﴾ ارتفعت وزادت ﴿ وأنبتت من ﴾ زائدة

عَظِيمٌ ① يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ
وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم
بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ② وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن
يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ③
كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ
ٱلسَّعِيرِ ④ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ
فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن
مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ
مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟
أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ
ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ
هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ

يؤمن بالله ورسوله عوفي مما أصاب الأمم من الخسف والقذف. أي بالحجارة من السماء ونحو ذلك مما كان يحصل للأمم السابقة، فرفع ذلك رحمة بالكافرين.

[1] تغفل وتشغل.

[2] حالهم كحال السكارى.

[3] ولذلك أصابهم من الذهول وفقدان التوازن ما أصابهم. وقيل: ذلك يكون عند البعث، ويؤيده: ما رواه البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (يقول الله سبحانه وتعالى يوم القيامة: يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك. فينادى بصوت: إن الله تعالى يأمرك أن تخرج من ذريتك بعث النار. قال: رب، وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون. فحينئذٍ تضع الحوامل حملها، ويشيب الوليد، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد).

[البخاري: الأنبياء، باب: قصة يأجوج ومأجوج. . ، رقم: ٣١٧٠. مسلم: الإيمان، باب: قوله يقول الله لآدم أخرج بعث النار. . ، رقم: ٢٢٢].

وعليه يكون قوله ﴿تذهل كل مرضعة. .﴾ مبالغة، أي إن شدة الأهوال في ذلك الموقف من شأنها أن يكون ما ذكر لو وجدت مرضعة أو ذات حمل.

[4] انظر/ الأنفال: ٣١/ و/ الإسراء: ٤٠، ٤٩/.

[5] نثبته ولا نسقطه.

[6] أي اعتاد قراءته، أو حفظه وعمل به.

فائدة: في أطوار خلق الإنسان.

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: حدثنا رسول الله ﷺ، وهو الصادق المصدوق، قال: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكاً فيؤمر بأربع كلمات، ويقال له: اكتب عمله، ورزقه، وأجله، وشقي أو سعيد. ثم ينفخ فيه الروح، فإن الرجل منكم ليعمل حتى ما يكون بينه وبين الجنة إلا ذراع، فيسبق عليه كتابه، فيعمل بعمل أهل النار. ويعمل حتى ما يكون بينه وبين النار إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة».[يجمع خلقه: يضم بعضه إلى بعض. علقة: على شكل دم غليظ جامد. مضغة: قدر قطعة لحم بقدر ما يمضغ. شقي أو

﴿ كل زوج ﴾ صنف ﴿ بهيج ﴾ حسن.

٦ ﴿ ذلك ﴾ المذكور من بدء خلق الإنسان إلى آخر إحياء الأرض ﴿ بأن ﴾ بسبب أن ﴿ الله هو الحق ﴾ الثابت الدائم ﴿ وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير ﴾.

٧ ﴿ وأن الساعة آتية لا ريب ﴾ شك ﴿ فيها وأن الله يبعث من في القبور ﴾.

٨ ونزل في أبي جهل: ﴿ ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ﴾ معه ﴿ ولا كتاب منير ﴾ له نور معه(١).

٩ ﴿ ثاني عطفه ﴾ حال، أي لاوي عنقه تكبراً عن الإيمان، والعطف الجانب عن يمين أو شمال ﴿ ليضل ﴾ بفتح الياء وضمها(٢) ﴿ عن سبيل الله ﴾ أي دينه ﴿ له في الدنيا خزي ﴾ عذاب، فقتل يوم بدر ﴿ ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ﴾ أي الإحراق بالنار.

١٠ ويقال له: ﴿ ذلك بما قدمت يداك ﴾ أي قدمته، عبر عنه بهما دون غيرهما لأن أكثر الأفعال تزاول بهما ﴿ وأن الله ليس بظلام ﴾ أي بذي ظلم ﴿ للعبيد ﴾ فيعذبهم بغير ذنب.

١١ ﴿ ومن الناس من يعبد الله على حرف ﴾ أي شك في عبادته، شبه بالحال على حرف جبل في عدم ثباته ﴿ فإن أصابه خير ﴾ صحة وسلامة في نفسه وماله ﴿ اطمأن به وإن أصابته فتنة ﴾ محنة(٣) وسقم(٤) في نفسه وماله ﴿ انقلب على وجهه ﴾ أي رجع إلى الكفر ﴿ خسر الدنيا ﴾ بفوات ما أمله منها ﴿ والآخرة ﴾ بالكفر ﴿ ذلك هو الخسران المبين ﴾ البين(٥).

١٢ ﴿ يدعو ﴾ يعبد ﴿ من دون الله ﴾ من الصنم ﴿ ما لا يضره ﴾ إن لم يعبده ﴿ ومالا ينفعه ﴾ إن عبده ﴿ ذلك ﴾ الدعاء ﴿ هو الضلال البعيد ﴾ عن الحق.

١٣ ﴿ يدعو لمن ﴾ اللام زائدة ﴿ ضره ﴾ بعبادته ﴿ أقرب

مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ
يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ
ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾
وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى
وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِيَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ
ٱللَّهِ لَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ
ٱلْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ
بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ
فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ
عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ
ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ
ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ

سعيد: حسب ما اقتضته حكمته سبحانه وسبقت به كلمته، وما علمه مما سيكون من هذا المكلف من أسباب السعادة أو الشقاوة. فيسبق عليه: يغلب عليه. كتابه: الذي كتبه الملك له وهو في بطن أمه].

وعن عامر بن واثلة: أنه سمع عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول: الشقي من شقي في بطن أمه، والسعيد من وعظ بغيره. فأتى رجل من أصحاب رسول الله ﷺ يُقال له حذيفة بن أسيد الغفاري، فحدثه بذلك من قول ابن مسعود، فقال: وكيف يشقى رجل بغير عمل؟ فقال له الرجل: أتعجب من ذلك؟ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكاً، فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها، ثم قال: يا رب، أذكر أو أنثى؟ فيقضي ربك ما شاء، ويكتب الملك. ثم يقول: يا رب أجله؟ فيقول ربك ما شاء، ويكتب الملك. ثم يقول: يا رب رزقه؟ فيقضي ربك ما شاء، ويكتب الملك. ثم يخرج الملك بالصحيفة في يده، فلا يزيد على ما أمر ولا ينقص». [البخاري: بدء الخلق، باب: ذكر الملائكة. مسلم: القدر، باب: كيفية خلق الآدمي في بطن أمه]

هذا ولا تعارض بين الحديثين، فإن تصوير الجنين ابتداءً يكون بعد ثنتين وأربعين ليلة، ولكن ذلك لا يكتمل ولا تكون الحياة الحقيقية إلا بعد الأربعينات الثلاث، والله تعالى أعلم.

(١) المراد: أنه يجادل من غير مستند أصلاً، إذ لا معرفة عنده ولا استدلال، ولم يتبع وحياً ينزل من عند الله عزّ وجلّ.

(٢) والمعنى على الفتح: ليقع في الضلال بنفسه، وعلى الضم: ليوقع غيره فيه.

(٣) اختبار بما يكرهه الطبع ويثقل على النفس.

(٤) مرض.

(٥) الظاهر والواضح.

سبب نزول الآية [١١]: أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان الرجل يقدم المدينة فيسلم، فإن ولدت امرأته غلاماً ونتجت خيله قال: هذا دين صالح، وإن لم تلد امرأته ولداً ذكراً ولم تنتج خيله قال: هذا دين سوء، فأنزل الله: ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف﴾ الآية. [البخاري: التفسير/ الحج، باب: ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف..﴾ رقم: ٤٤٦٥].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: أسلم رجل من اليهود، فذهب بصره وماله وولده، فتشاءم بالإسلام، فقال: لم أصب من ديني هذا خيراً، ذهب بصري ومالي ومات ولدي. فنزلت: ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف﴾ الآية [السيوطي].

من نفعه ﴾ إن نفع بتخيله ﴿ لبئس المولى ﴾ هو، أي الناصر ﴿ ولبئس العشير ﴾ الصاحب هو.

١٤ وعقب ذكر الشاك بالخسران بذكر المؤمنين بالثواب في: ﴿ إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ من الفروض والنوافل ﴿ جنات تجري من تحتها الأنهار إن الله يفعل ما يريد ﴾ من إكرام من يطيعه وإهانة من يعصيه.

١٥ ﴿ من كان يظن أن لن ينصره الله ﴾ أي محمداً نبيه ﴿ في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب ﴾ بحبل ﴿ إلى السماء ﴾ أي سقف بيته، يشده فيه وفي عنقه ﴿ ثم ليقطع ﴾ أي ليختنق به، بأن يقطع نفسه من الأرض، كما في الصحاح(١) ﴿ فلينظر هل يذهبن كيده ﴾ في عدم نصره النبي ﴿ ما يغيظ ﴾ منها، المعنى: فليختنق غيظاً منها، فلا بد منها.

١٦ ﴿ وكذلك ﴾ أي مثل إنزالنا الآية السابقة ﴿ أنزلناه ﴾ أي القرآن الباقي ﴿ آيات بينات ﴾ ظاهرات، حال ﴿ وأن الله يهدي من يريد ﴾ هداه، معطوف على هاء أنزلناه(٢).

١٧ ﴿ إن الذين آمنوا والذين هادوا ﴾ هم اليهود ﴿ والصابئين ﴾ طائفة منهم(٣) ﴿ والنصارى والمجوس والذين أشركوا(٤) إن الله يفصل بينهم يوم القيامة ﴾ بإدخال المؤمنين الجنة وإدخال غيرهم النار ﴿ إن الله على كل شيء ﴾ من عملهم ﴿ شهيد ﴾ عالم به علم مشاهدة.

١٨ ﴿ ألم ترَ ﴾ تعلم ﴿ أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب ﴾ أي يخضع له بما يراد منه ﴿ وكثير من الناس ﴾ وهم المؤمنون، بزيادة على الخضوع في سجود الصلاة(٥) ﴿ وكثير حق عليه العذاب ﴾ وهم الكافرون، لأنهم أبوا السجود المتوقف على الإيمان ﴿ ومن يهن

مِن نَّفۡعِهِۦۚ لَبِئۡسَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَلَبِئۡسَ ٱلۡعَشِيرُ ﴿١٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ
يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن
تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يَظُنُّ
أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ بِسَبَبٍ إِلَى
ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لۡيَقۡطَعۡ فَلۡيَنظُرۡ هَلۡ يُذۡهِبَنَّ كَيۡدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾
وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن
يُرِيدُ ﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ
وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلۡمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ
بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾
أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُۤ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ
وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ
وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ وَمَن يُهِنِ

جاء في حديث كسوف الشمس:

(إن الشمس والقمر خلقان من خلق الله تعالى، وإنهما لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، ولكن الله عزّ وجلّ إذا تجلى لشيء من خلقه خشع له) [مسند أحمد: ٤/٢٦٧].

هذا، ويشرع السجود عند الانتهاء من تلاوة هذه الآية عند جميع العلماء، وبعضهم قال بوجوبه، وبعضهم قال بندبه. وقد جاء في هذا أحاديث، منها: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي. يقول: يا ويله،وفي رواية: يا ويلي أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة، وأمرت بالسجود فأبيت فلي النار). [مسلم: الإيمان، باب: إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة، رقم: ٨١] يا ويله: يا هلاكه.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ يقرأ علينا السورة فيها السجدة، فيسجد ونسجد، حتى ما يجد أحدنا موضع جبهته. [البخاري: سجود القرآن، باب: من سجد لسجود القارىء، رقم: ١٠٢٥. مسلم: المساجد ومواضع الصلاة، باب: سجود التلاوة، رقم: ٥٧٥] وعمر بن الخطاب رضي الله عنه: قرأ يوم الجمعة على المنبر بسورة النحل، حتى إذا جاء السجدة نزل فسجد وسجد الناس، حتى إذا كانت الجمعة القابلة قرأ بها، حتى إذا جاء السجدة قال: يا أيها الناس، إنما نمر بالسجود، فمن سجد فقد أصاب، ومن لم يسجد فلا إثم عليه. ولم يسجد عمر رضي الله عنه. وفي رواية: إن الله لم يفرض السجود إلا أن نشاء. [البخاري: سجود القرآن، باب: من رأى أن الله عزّ وجلّ لم يوجب السجود، رقم: ١٠٢٧].

فائدة: عن عمرو بن العاص رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ أقرأه خمس عشرة سجدة في القرآن: منها ثلاثة في المفصل، وفي سورة الحج سجدتان. [أبو داود: الصلاة، باب: تفريع أبواب السجود وكم سجدة في القرآن، رقم: ١٤٠١] [المفصل: أي السور التي تكثر فواصلها، أي آياتها، وهي من الحجرات حتى آخر القرآن. سجدتان: سجدة هنا، وسجدة آخر السورة، يشار إليها عند موضعها].

---

(١) أي جاءت هذه المعاني في كتاب الصَّحاح، وهو كتاب في اللغة للإمام أبي النصر إسماعيل بن حماد الجوهري.

(٢) المعنى: أنزلنا أن الله يهدي من يريد.

(٣) وقيل: طائفة من النصارى، وانظر/ البقرة: ٦٢/ و/ المائدة: ٦٩/.

(٤) المجوس: عبدة النار، والذين أشركوا عبدة الأوثان.

(٥) أي إن سجود المؤمنين فيه زيادة على مطلق الخضوع، وهي وضع الجبهة على الأرض، كما في سجود الصلاة.

الله ﴾ يُشْقِه ﴿ فما له من مكرم ﴾ مسعد ﴿ إن الله يفعل ما يشاء ﴾ من الإهانة والإكرام(١).

١٩ ﴿ هذان خصمان ﴾ أي المؤمنون خصم والكفار الخمسة(٢) خصم، وهو يطلق على الواحد والجماعة ﴿ اختصموا في ربهم ﴾ أي في دينه ﴿ فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار ﴾ يلبسونها، يعني أحيطت بهم النار ﴿ يصب من فوق رؤوسهم الحميم ﴾ الماء البالغ نهاية الحرارة.

٢٠ ﴿ يصهر ﴾ يذاب ﴿ به ما في بطونهم ﴾ من شحوم وغيرها ﴿ و ﴾ تشوى به ﴿ الجلود ﴾(٣).

٢١ ﴿ ولهم مقامع(٤) من حديد ﴾ لضرب رؤوسهم.

٢٢ ﴿ كلما أرادوا أن يخرجوا منها ﴾ أي النار ﴿ من غم ﴾ يلحقهم بها(٥) ﴿ أعيدوا فيها ﴾ ردوا إليها بالمقامع ﴿ و ﴾ قيل لهم ﴿ ذوقوا عذاب الحريق ﴾ أي البالغ نهاية الإحراق.

٢٣ وقال في المؤمنين ﴿ إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ﴾ بالجر أي منهما، بأن يرصع اللؤلؤ بالذهب، وبالنصب عطفاً على محل من أساور(٦) ﴿ ولباسهم فيها حرير ﴾ هو المحرم لبسه على الرجال في الدنيا(٧).

٢٤ ﴿ وهدوا ﴾ في الدنيا ﴿ إلى الطيب من القول ﴾ وهو لا إله إلا الله ﴿ وهدوا إلى صراط الحميد ﴾ أي طريق الله المحمودة ودينه.

٢٥ ﴿ إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله ﴾ طاعته ﴿ و ﴾ عن ﴿ المسجد الحرام الذي جعلناه ﴾ منسكاً(٨) ومتعبداً ﴿ للناس سواء(٩) العاكف ﴾ المقيم ﴿ فيه والباد ﴾ الطارىء ﴿ ومن يرد فيه بإلحاد ﴾(١٠) الباء زائدة ﴿ بظلم ﴾ أي بسببه، بأن ارتكب منهياً ولو شتم الخادم ﴿ نذقه من عذاب أليم ﴾ مؤلم، أي بعضه. ومن هذا يؤخذ خبر إن(١١)، أي نذيقهم من عذاب أليم.

ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿١٨﴾ ۞
* هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ
ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾
وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟
مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾
إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ
تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ
وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ
ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ
لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ

---

(١) والإهانة بالكفر، والإكرام بالإيمان.

(٢) أي أصناف الكفار الخمسة وهم: اليهود والصابئة والنصارى والمجوس والمشركون.

(٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (إن الحميم لَيصب على رؤوسهم، فينفذ حتى يخلص الى جوف أحدهم، فيسلت ما في جوفه حتى يمرق من قدميه - وهو الصهر - ثم يعاد كما كان) أخرجه الترمذي [أبواب صفة جهنم، باب: ما جاء في صفة شراب أهل النار، رقم: ٢٥٨٥] وقال: حديث حسن صحيح غريب. وقوله [حسن صحيح] يعني أن بعض المحدثين حكم عليه بالحسن وبعضهم بالصحة، وقوله [غريب] أي جاء من طريق واحد وتفرد بروايته راو واحد.

(٤) سياط مختصة بهم.

(٥) من أجل الخلاص مما يلحقهم من ضيق وكرب يأخذ بأنفاسهم.

(٦) أي ﴿ولؤلؤاً﴾. ومحل ﴿من أساور﴾ النصب، لأن ﴿أساور﴾ مفعول ﴿يحلون﴾ فهو مجرور لفظاً بحرف الجر الزائد ﴿من﴾ منصوب محلاً.

(٧) عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: (من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة). [البخاري: اللباس، باب: لبس الحرير وافتراشه للرجال ... مسلم: اللباس والزينة، باب: تحريم استعمال إناء الذهب والفضة].

(٨) مكاناً تذبح فيه النسائك، وهي الذبائح التي تهدى للحرم، لتذبح فيه وتوزع على فقرائه ومساكينه.

(٩) يستوي في حق العبادة فيه والحرمة والأمن.

(١٠) ميل وعدول عن الاعتدال، وإلحاد مجرور لفظاً بحرف الجر الزائد وهو الباء، منصوب محلاً على أنه مفعول ﴿يرد﴾.

(١١) أي يؤخذ خبر ﴿إن الذين كفر﴾ من قوله ﴿نذقه...﴾ كما قدره.

سبب نزول الآية [١٩]: أخرج الشيخان وغيرهما، عن أبي ذرّ رضي الله عنه قال: نزلت هذه الآية: ﴿هذان خصمان اختصموا في ربهم﴾ في حمزة وعبيدة وعليّ بن أبي طالب، وعتبة وشيبة والوليد بن عتبة.[البخاري: المغازي، باب: قتل أبي جهل، رقم: ٣٧٤٨. مسلم: التفسير، باب: في قوله تعالى: هذان خصمان. . ، رقم: ٣٠٣٣]. وأخرج الحاكم عن عليّ رضي الله عنه قال: فينا نزلت هذه الآية وفي الذين بارزوا يوم بدر:

٢٦ ﴿ و ﴾ اذكر ﴿ إذ بوأنا ﴾ بينا ﴿ لإبراهيم مكان البيت ﴾ ليبنيه، وكان قد رفع⁽¹⁾ من زمن الطوفان، وأمرناه ﴿ أن لا تشرك بي شيئاً وطهر بيتي ﴾ من الأوثان ﴿ للطائفين والقائمين ﴾ المقيمين به ﴿ والركع السجود ﴾ جمع راكع وساجد، المصلين.

٢٧ ﴿ وأذن ﴾ ناد ﴿ في الناس بالحج ﴾ فنادى على جبل أبي قبيس: يا أيها الناس إن ربكم بنى لكم بيتاً، وأوجب عليكم الحج إليه، فأجيبوا ربكم. والتفت بوجهه يميناً وشمالاً، وشرقاً وغرباً، فأجابه كل من كتب له أن يحج من أصلاب الرجال وأرحام الأمهات: لبيك اللهم لبيك. وجواب الأمر ﴿ يأتوك رجالاً ﴾ مشاة، جمع راجل، كقائم وقيام ﴿ و ﴾ ركباناً ﴿ على كل ضامر ﴾ أي بعير مهزول⁽²⁾ وهو يطلق على الذكر والأنثى ﴿ يأتين ﴾ أي الضوامر، حملاً على المعنى⁽³⁾ ﴿ من كل فج عميق ﴾ طريق بعيد.

٢٨ ﴿ ليشهدوا ﴾ أي يحضروا ﴿ منافع لهم ﴾ في الدنيا بالتجارة، أو في الآخرة، أو فيهما، أقوال ﴿ ويذكروا اسم الله في أيام معلومات ﴾ أي في عشر ذي الحجة، أو يوم عرفة، أو يوم النحر إلى آخر أيام التشريق، أقوال ﴿ على ما رزقهم من بهيمة الأنعام ﴾ الإبل والبقر والغنم، التي تنحر في يوم العيد وما بعده، من الهدايا⁽⁴⁾ والضحايا ﴿ فكلوا منها ﴾ إذا كانت مستحبة⁽⁵⁾ ﴿ وأطعموا البائس الفقير ﴾ أي الشديد الفقر.

٢٩ ﴿ ثم ليقضوا تفثهم ﴾ أي يزيلوا أوساخهم وشعثهم كطول الظفر ﴿ وليوفوا ﴾ بالتخفيف والتشديد⁽⁶⁾ ﴿ نذورهم ﴾ من الهدايا والضحايا ﴿ وليطوفوا ﴾ طواف الإفاضة⁽⁷⁾ ﴿ بالبيت العتيق ﴾ أي القديم، لأنه أول بيت وضع للناس.

٣٠ ﴿ ذلك ﴾ خبر مبتدأ مقدر، أي الأمر، أو الشأن ذلك المذكور ﴿ ومن يعظم حرمات الله ﴾ هي ما لا يحل انتهاكه ﴿ فهو ﴾ أي تعظيمها ﴿ خير له عند ربه ﴾ في الآخرة ﴿ وأحلت لكم الأنعام ﴾ أكلاً بعد الذبح ﴿ إلا ما يتلى عليكم ﴾ تحريمه في «حرمت عليكم الميتة» الآية/ المائدة: ٣/ فالاستثناء منقطع⁽⁸⁾، ويجوز أن يكون متصلاً، والتحريم لما عرض من الموت ونحوه⁽⁹⁾ ﴿ فاجتنبوا الرجس من الأوثان ﴾ من للبيان، أي الذي هو الأوثان ﴿ واجتنبوا قول الزور ﴾ أي الشرك بالله في تلبيتكم، أو شهادة الزور⁽¹⁰⁾.

٣١ ﴿ حنفاء لله ﴾ مسلمين، عادلين عن كل دين سوى دينه ﴿ غير مشركين به ﴾ تأكيد لما قبله، وهما حالان من الواو⁽¹¹⁾ ﴿ ومن يشرك بالله فكأنما خر ﴾ سقط ﴿ من السماء فتخطفه الطير ﴾ أي تأخذه بسرعة

بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ

---

(١) تهدم وضاعت معالمه.

(٢) من بعد السفر وطول الركوب عليه والسير به. أخرج ابن جرير، عن مجاهد قال: كانوا لا يركبون، فأنزل الله: ﴿يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر﴾ فأمرهم بالزاد، ورخص لهم في الركوب والمتجر.

(٣) أي أنث الفعل حملاً على المعنى.

(٤) ما يهدي للحرم ليذبح فيه، جمع هدي.

(٥) وإن كانت واجبة ففي جواز الأكل منها خلاف وتفصيل يعرف من كتب الفقه.

(٦) للفاء، أي ﴿ وَلْيُوفُوا ﴾ و﴿ وَلْيُوَفُّوا ﴾.

(٧) وهو طواف الركن، ويكون بعد الرجوع من عرفة، ويسمى طواف الزيارة.

(٨) لأن في المحرمات ما ليس من جنس الأنعام.

(٩) فيفيد الاستثناء أن الحلال من الأنعام ما عدا ما ذكر في اية التحريم.

(١٠) وهي أن يشهد لما لا يعلم حقيقته، أو بما يعلم بطلانه. والزور الانحراف والكذب.

(١١) في قوله ﴿اجتنبوا﴾ وهي ضمير المخاطبين.

﴿هذان خصمان اختصموا في ربهم ـ إلى قوله ـ الحريق﴾. [المستدرك: التفسير، باب: تفسير سورة الحج: ٢/٣٨٦].

وأخرج ابن جرير، من طريق العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنها نزلت في أهل الكتاب، قالوا للمؤمنين: نحن أولى بالله منكم =

﴿ أو تهوي به الريح ﴾ أي تسقطه ﴿ في مكان سحيق ﴾ بعيد، أي فهو لا يرجى خلاصه.

٣٢ ﴿ ذلك ﴾ يقدر قبله: الأمر⁽١⁾، مبتدأ ﴿ ومن يعظم شعائر الله فإنها ﴾ أي فإن تعظيمها، وهي البدن⁽٢⁾ التي تهدى للحرم، بأن تستحسن وتستسمن ﴿ من تقوى القلوب ﴾ منهم، وسميت شعائر لإشعارها⁽٣⁾ بما تعرف به أنها هدي، كطعن حديدة بسنامها.

٣٣ ﴿ لكم فيها منافع ﴾ كركوبها والحمل عليها ما لا يضرها ﴿ إلى أجل مسمى ﴾ وقت نحرها ﴿ ثم محلها ﴾ أي مكان حل نحرها ﴿ إلى البيت العتيق ﴾⁽٤⁾ أي عنده، والمراد الحرم جميعه⁽٥⁾.

٣٤ ﴿ ولكل أمة ﴾ أي جماعة مؤمنة سلفت قبلكم ﴿ جعلنا منسكاً ﴾ بفتح السين مصدر، وبكسرها اسم مكان، أي ذبحاً قرباناً، أو مكانه ﴿ ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام ﴾ عند ذبحها ﴿ فإلهكم إله واحد فله أسلموا ﴾ انقادوا ﴿ وبشر المخبتين ﴾ المطيعين المتواضعين.

٣٥ ﴿ الذين إذا ذكر الله وجلت ﴾ خافت ﴿ قلوبهم والصابرين على ما أصابهم ﴾ من البلايا ﴿ والمقيمي الصلاة ﴾ في أوقاتها ﴿ ومما رزقناهم ينفقون ﴾ يتصدقون.

أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ ﴿٣١﴾ ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ
شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمۡ فِيهَا
مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ﴿٣٣﴾
وَلِكُلِّ أُمَّةٖ جَعَلۡنَا مَنسَكٗا لِّيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم
مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۗ فَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْۗ
وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ
وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمۡ وَٱلۡمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا
رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلۡبُدۡنَ جَعَلۡنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ
ٱللَّهِ لَكُمۡ فِيهَا خَيۡرٞۖ فَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا صَوَآفَّۖ
فَإِذَا وَجَبَتۡ جُنُوبُهَا فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡقَانِعَ
وَٱلۡمُعۡتَرَّۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرۡنَٰهَا لَكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن
يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡۚ

٣٦ ﴿ والبدن ﴾ جمع بدنة، وهي الإبل ﴿ جعلناها لكم من شعائر الله ﴾ أعلام دينه ﴿ لكم فيها خير ﴾ نفع في الدنيا كما تقدم⁽٦⁾، وأجر في العقبى ﴿ فاذكروا اسم الله عليها ﴾ عند نحرها ﴿ صواف ﴾ قائمة على ثلاث، معقولة اليد اليسرى⁽٧⁾ ﴿ فإذا وجبت جنوبها ﴾ سقطت إلى الأرض بعد النحر، وهو وقت الأكل منها ﴿ فكلوا منها ﴾ إن شئتم ﴿ وأطعموا القانع ﴾ الذي يقنع بما يعطى، ولا يسأل ولا يتعرض ﴿ والمعتر ﴾ السائل، أو المتعرض ﴿ كذلك ﴾ أي مثل ذلك التسخير ﴿ سخرناها لكم ﴾ بأن تنحر وتركب، وإلا لم تُطَقْ⁽٨⁾ ﴿ لعلكم تشكرون ﴾ إنعامي عليكم.

٣٧ ﴿ لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ﴾ أي لا يرفعان إليه ﴿ ولكن يناله التقوى منكم ﴾ أي يرفع إليه منكم

---

(١) أي الأمر ذلك. (٢) جمع بدنة، وهي ما يهدى للحرم من الإبل أو البقر، وقيل: من الإبل خاصة. (٣) تعليمها بعلامة. (٤) القديم.

(٥) أي المراد بالبيت هنا جميع ما يسمى الحرم، لا خصوص الكعبة. (٦) في الآية /٣٣/.

(٧) مربوطة، عن زياد بن جبير قال: رأيت ابن عمر أتى على رجل قد أناخ بدنة ينحرها، قال: ابعثها قياماً مقيدة، سنة محمد ﷺ. [البخاري: الحج، باب: نحر الإبل مقيدة. مسلم: الحج، باب: نحر البدن قياماً مقيدة].

(٨) أي وإن لم نذللها لكم لم يستطع أحد أن يركبها أو ينحرها.

عن البراء رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «إن أول ما نبدأ به في يومنا هذا أن نصلي، ثم نرجع فننحر، من فعله فقد أصاب سنتنا، ومن ذبح قبلُ فإنما هو لحم قدمه لأهله، ليس من النسك في شيء». فقال أبو بردة بن نيار، وقد ذبح، فقال: إن عندي جذعة. فقال: «اذبحها، ولن تجزي عن أحد بعدك». [البخاري: الأضاحي، باب: سنة الأضحية، رقم: ٥٢٢٢. مسلم: الأضاحي، باب: وقتها، رقم: ١٩٦١] [يومنا: يوم عيد الأضحى. فننحر: نذبح أضحيتنا. من فعله: أي صلى ثم ذبح. أصاب سنتنا: وافقَ طريقتنا وحصل له الأجر. النسك: الأضحية]

وعن أنس رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ انكفأ إلى كبشين أقرنين أملحين، فذبحهما بيده. [البخاري: الأضاحي، باب: في أضحية النبي ﷺ بكبشين أقرنين..، رقم: ٥٢٣٤. مسلم: الأضاحي، باب: استحباب الضحية وذبحها مباشرة بلا توكيل، رقم: ١٩٦٦] [انكفأ: انعطف ومال. كبشين: مثنى كبش، وهو ذكر الغنم. أقرنين: ذوي قرون. أملحين: تثنية أملح، وهو الذي فيه سواد وبياض].

= وأقدم كتاباً، ونبينا قبل نبيكم. فقال المؤمنون: نحن أحق بالله، آمنا بمحمد ﷺ ونبيكم، وبما أنزل الله من كتاب فأنتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم تركتموه وكفرتم به حسداً. وكان ذلك خصومتهم في ربهم.

سبب نزول الآية [٣٧]: عن ابن جريج قال: كان أهل الجاهلية يضمخون البيت بلحوم الإبل ودمائها، فقال أصحاب النبيّ ﷺ: فنحن أحقّ أن نضمخ، فأنزل الله ﴿لن ينال الله لحومها﴾ الآية. [السيوطي] يضمخون: يلطخون.

العمل الصالح الخالص له، مع الإيمان ﴿ كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم ﴾ أرشدكم لمعالم دينه ومناسك حجه ﴿ وبشر المحسنين ﴾ أي الموحدين.

٣٨ ﴿ إن الله يَدْفَع عن الذين آمنوا ﴾ غوائل المشركين(١) ﴿ إن الله لا يحب كل خوان ﴾ في أمانته ﴿ كفور ﴾ لنعمته، وهم المشركون، المعنى: أنه يعاقبهم.

٣٩ ﴿ أذن للذين يقاتلون ﴾ أي للمؤمنين، أن يقاتلوا، وهذه أول آية نزلت في الجهاد ﴿ بأنهم ﴾ أي بسبب أنهم ﴿ ظلموا ﴾ بظلم الكافرين إياهم ﴿ وإن الله على نصرهم لقدير ﴾.

٤٠ هم ﴿ الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق ﴾ في الإخراج، ما أخرجوا ﴿ إلا أن يقولوا ﴾ أي بقولهم ﴿ ربنا الله ﴾ وحده، وهذا القول حق، فالإخراج به إخراج بغير حق ﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ﴾ بدل بعض من الناس ﴿ ببعض لهدمت ﴾ بالتشديد للتكثير، وبالتخفيف ﴿ صوامع ﴾ للرهبان ﴿ وبيع ﴾ كنائس للنصارى ﴿ وصلوات ﴾ كنائس لليهود بالعبرانية ﴿ ومساجد ﴾ للمسلمين ﴿ يذكر فيها ﴾ أي المواضع المذكورة ﴿ اسم الله كثيراً ﴾ وتنقطع العبادات بخرابها(٢) ﴿ ولينصرن الله من ينصره ﴾ أي ينصر دينه ﴿ إن الله لقوي ﴾ على خلقه ﴿ عزيز ﴾ منيع في سلطانه وقدرته.

٤١ ﴿ الذين إن مكناهم في الأرض ﴾ بنصرهم على عدوهم ﴿ أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ﴾(٣) جواب الشرط، وهو وجوابه صلة الموصول، ويقدر قبله: هم، مبتدأ(٤) ﴿ ولله عاقبة الأمور ﴾ أي إليه مرجعها في الآخرة.

٤٢ ﴿ وإن يكذبوك ﴾ فيه تسلية للنبي ﷺ ﴿ فقد كذبت قبلهم قوم نوح ﴾ تأنيث قوم باعتبار المعنى(٥) ﴿ وعاد ﴾ قوم هود ﴿ وثمود ﴾ قوم صالح.

٤٣ ﴿ وقوم إبراهيم وقوم لوط ﴾.

٤٣٩ (سـورة الحج)

كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ
ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ * إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۗ
إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ
بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ
أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ
وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ
وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ
وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾
ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟
ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ
ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ
نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾

---

(١) أذاهم وما يدبرونه من مكروه ليلحقوه بالمؤمنين، جمع غائلة وهي الشر. ومناسبة هذه الآية لما قبلها: أن الله تعالى لما ذكر جملة من أفعال الحج والترغيب فيه، وذكر أن الكفار يصدون الناس عن المسجد الحرام أنزل الله تعالى هذه الآية بشارة للمؤمنين وأنهم سيدخلون المسجد الحرام، وأن مآلهم النصر والعزة والفوز، وإن امتحنوا بمزيد البلاء تكفيراً لسيئاتهم ورفعاً لدرجاتهم، فهم بخير على كل حال.

وقراءة حفص: ﴿يُدَافِعُ﴾ وهي المثبتة في النسخ المطبوعة كلها، والذي أثبته هو الذي يناسب كلام المفسر، وهي قراءة متواترة قرأ بها ابن كثير من القراء السبع.

(٢) المعنى: لو ترك الناس دون أن يشرع القتال لمحاربة الباطل لكثر الشر، واستطال الفساق، وقضوا على معالم الحق ومنابع الهداية والخير في كل زمان، والتي تتمثل في هذه المواضع المذكورة، كل منها في وقته، وفي زمن النبي ومدة بقاء شرعه، وقبل أن ينسخ بشرع نبي جاء بعده.

(٣) المعنى: إن الذين يستحقون النصر من الله عزّ وجلّ هم الذين يلتزمون شرع الله عزّ وجلّ، فيسخرون سلطانهم لتثبيت دعائم الفضيلة والأخلاق، واستئصال جذور الشر والفساد، بعد أن يحكموا الصلة بينهم وبين الله سبحانه، ويقيموا الحق والعدل، ويحققوا الإحسان والتعاون والود بين الخلق. أخرج ابن أبي حاتم بسنده عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: فينا نزلت: ﴿الذين إن مكنّاهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر﴾ فأخرجنا من ديارنا بغير حق إلا أن قلنا: ربنا الله، ثم مُكّنا في الأرض، فأقمنا الصلاة، وآتينا الزكاة، وأمرنا بالمعروف، ونهينا عن المنكر ﴿ولله عاقبة الأمور﴾ فهي لي ولأصحابي. [تفسير ابن كثير].

(٤) أي التقدير: هم الذين... (٥) لأن معناه أمة وقبيلة.

سبب نزول الآية [٣٩]: أخرج الترمذي [تفسير القرآن، باب: ومن سورة الحج، رقم: ٣١٧٠] وحسنه: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما أخرج النبي ﷺ من مكة قال أبو بكر رضي الله عنه: أخرجوا نبيهم؟ ليهلكن. فأنزل الله تعالى: ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير﴾. فقال أبو بكر رضي الله عنه: لقد علمت أنه سيكون قتال. وفي رواية عند أحمد [المسند: ٢١٦/١]: قال ابن عباس رضي الله عنهما: هي أول آية أنزلت في القتال.

٤٤ ﴿ وأصحاب مدين ﴾ قوم شعيب ﴿ وكذب موسى ﴾ كذبه القبط، لا قومه بنو إسرائيل، أي كذب هؤلاء رسلهم، فلك أسوة بهم ﴿ فأمليت للكافرين ﴾ أمهلتهم بتأخير العقاب لهم ﴿ ثم أخذتهم ﴾ بالعذاب ﴿ فكيف كان نكير ﴾ أي إنكاري عليهم بتكذيبهم بإهلاكهم؟ والاستفهام للتقرير، أي هو واقع موقعه.

٤٥ ﴿ فكأين ﴾ أي كم ﴿ من قرية أهلكتها ﴾ وفي قراءة «أهلكناها» ﴿ وهي ظالمة ﴾ أي أهلها، بكفرهم ﴿ فهي خاوية ﴾ ساقطة ﴿ على عروشها ﴾ سقوفها ﴿ و ﴾ كم من ﴿ بئر معطلة ﴾ متروكة بموت أهلها ﴿ وقصر مشيد ﴾ رفيع، خالي بموت أهله.

٤٦ ﴿ أفلم يسيروا ﴾ أي كفار مكة ﴿ في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها ﴾ ما نزل بالمكذبين قبلهم ﴿ أو آذان يسمعون بها ﴾ أخبارهم بالإهلاك وخراب الديار، فيعتبروا ﴿ فإنها ﴾ أي القصة ﴿ لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ﴾ تأكيد[1].

٤٧ ﴿ ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده ﴾ بإنزال العذاب، فأنجزه يوم بدر ﴿ وإن يوماً عند ربك ﴾ من أيام الآخرة، بسبب العذاب ﴿ كألف سنة مما تعدون ﴾ بالتاء والياء[2]، في الدنيا.

وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ ۖ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ
ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن
قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا
وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ
فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ
فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى
فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ
وَعْدَهُۥ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾
وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا
وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ
نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم
مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ

٤٨ ﴿ وكأين من قرية أمليت لها وهي ظالمة[3] ثم أخذتها ﴾ المراد أهلها ﴿ وإلي المصير ﴾ المرجع.

٤٩ ﴿ قل يا أيها الناس ﴾ أي أهل مكة ﴿ إنما أنا لكم نذير مبين ﴾ بين الإنذار، وأنا بشير للمؤمنين.

٥٠ ﴿ فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ﴾ من الذنوب ﴿ ورزق كريم ﴾ هو الجنة.

٥١ ﴿ والذين سعوا في آياتنا ﴾ القرآن، بإبطالها[4] ﴿ معجزين ﴾ من اتبع النبي، أي ينسبونهم إلى العجز ويثبطونهم عن الإيمان، أو مقدرين عجزنا عنهم. وفي قراءة «معاجزين» مسابقين لنا، أي يظنون أن يفوتونا بإنكارهم البعث والعقاب

---

(١) للقلوب، والمعنى: إن العمى الضار حقيقة هو عمى القلب، بالبعد عن الحق والغفلة عن الاتعاظ والتذكير، لا عمى البصر الذي يقتصر ضرره على فوات بعض المنافع الدنيوية.

(٢) أي ﴿تعدون﴾ و﴿يعدون﴾ قراءتان متواترتان.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم، وهو خمسمائة عام) [الترمذي: الزهد، باب: ما جاء أن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم، رقم: ٢٣٥٥، وقال: هذا حديث حسن صحيح].

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: (إني لأرجو أن لا تعجز أمتي عند ربها أن يؤخرهم نصف يوم). قيل لسعد: وكم نصف ذلك اليوم؟ قال: خمسمائة سنة.

[أبو داود: آخر كتاب الملاحم، باب: قيام الساعة، رقم: ٤٣٥٠].

والمعنى: أنه ﷺ يأمل أن يبادر أغنياء الأمة إلى العمل الصالح والبر والإحسان، والإنفاق على الفقراء، وعندها لا يعجزون عن اللحاق بهم ودخول الجنة معهم، دون أن يتأخروا عنهم.

عن أنس رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (اللّهم أحيني مسكيناً وأمتني مسكيناً، واحشرني في زمرة المساكين يوم القيامة). فقالت عائشة: لم يا رسول الله؟ قال: (إنهم يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفاً، يا عائشة لا تردي المسكين ولو بشقّ تمرة، يا عائشة أحبي المساكين وقربيهم، فإن الله يقربك يوم القيامة). [الترمذي: الزهد، باب: ما جاء أن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم، رقم: ٢٣٥٤] وقوله: بأربعين: أي أربعين سنة، وهذا لا يتعارض مع الروايات السابقة (خمسمائة عام) لأن الأقل لا ينفي الأكثر.

(٣) أمهلتها مع استمرار ظلمها.

(٤) عملوا جهدهم ليبطلوها، ويفسدوا على الناس أمرهم.

﴿ أولئك أصحاب الجحيم ﴾ النار.

٥٢ ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول ﴾ هو نبي أمر بالتبليغ ﴿ ولا نبي ﴾ أي لم يؤمر بالتبليغ ﴿ إلا إذا تمنى ﴾ قرأ ﴿ ألقى الشيطان في أمنيته ﴾ قراءته، ما ليس من القرآن مما يرضاه المرسل إليهم، وقد قرأ النبي ﷺ في سورة النجم بمجلس من قريش، بعد «أفرأيتم اللات والعزى. ومناة الثالثة الأخرى» /١٩، ٢٠/ بإلقاء الشيطان على لسانه، من غير علمه ﷺ: تلك الغرانيق العلا⁽¹⁾، وإن شفاعتهن لترتجى. ففرحوا بذلك، ثم أخبره جبريل بما ألقاه الشيطان على لسانه من ذلك فحزن، فسلي بهذه الآية ليطمئن ﴿ فينسخ الله ﴾ يبطل ﴿ ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته ﴾ يثبتها ﴿ والله عليم ﴾ بإلقاء الشيطان ما ذكر ﴿ حكيم ﴾ في تمكينه منه، يفعل ما يشاء.

٥٣ ﴿ ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة ﴾ محنة ﴿ للذين في قلوبهم مرض ﴾ شك ونفاق ﴿ والقاسية قلوبهم ﴾ أي المشركين، عن قبول الحق ﴿ وإن الظالمين ﴾ الكافرين ﴿ لفي شقاق بعيد ﴾ خلاف طويل مع النبي ﷺ والمؤمنين، حيث جرى على لسانه ذكر آلهتهم بما يرضيهم، ثم أبطل ذلك. ٥٤ ﴿ وليعلم الذين أوتوا العلم ﴾ التوحيد والقرآن

أُولَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ (٥١) وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن
رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ
فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ
عَلِيمٌ حَكِيمٞ (٥٢) لِّيَجۡعَلَ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ
فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ
لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ (٥٣) وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ
مِن رَّبِّكَ فَيُؤۡمِنُواْ بِهِۦ فَتُخۡبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ (٥٤) وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةً أَوۡ يَأۡتِيَهُمۡ
عَذَابُ يَوۡمٍ عَقِيمٍ (٥٥) ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡۚ
فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ (٥٦)
وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ

﴿ أنه ﴾ أي القرآن ﴿ الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت ﴾ تطمئن ﴿ له قلوبهم وإن الله لهاد الذين آمنوا إلى صراط ﴾ طريق ﴿ مستقيم ﴾ أي دين الإسلام.

٥٥ ﴿ ولا يزال الذين كفروا في مرية ﴾ شك ﴿ منه ﴾ أي القرآن، بما ألقاه الشيطان على لسان النبي، ثم أبطل ذلك ﴿ حتى تأتيهم الساعة بغتة ﴾ أي ساعة موتهم، أو القيامة، فجأة ﴿ أو يأتيهم عذاب يوم عقيم ﴾ هو يوم بدر، لا خير فيه للكفار، كالريح العقيم التي لا تأتي بخير، أو هو يوم القيامة لا ليل بعده.

٥٦ ﴿ الملك يومئذٍ ﴾ أي يوم القيامة ﴿ لله ﴾ وحده، وما تضمنه من الاستقرار ناصب للظرف⁽²⁾ ﴿ يحكم بينهم ﴾ بين المؤمنين والكافرين بما بين بعد ﴿ فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم ﴾ فضلاً من الله.

٥٧ ﴿ والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب

---

(١) جمع غرنوق وهو الذكر من طير الماء، سميت بها الأصنام تشبيهاً بالطيور التي تعلو في السماء وترتفع، لزعمهم أنها تقربهم من الله تعالى وتشفع لهم. وهذه القصة التي أوردها المفسر ردها العلماء وأبطلوها، لأنها لم تثبت من طريق صحيح، ولم يروها أحد من الثقات، وإنما جاءت بروايات مضطربة وأسانيد منقطعة، ذكرها المؤرخون المولعون بكل غريب، والناقلون لكل خبر، صحيحاً كان أم سقيماً.

والذي ثبت في الصحيح ليس فيه ذكر هذه الألفاظ. عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قرأ سورة ﴿النجم﴾ في مكة فسجد فيها، وسجد من كان معه غير شيخ، أخذ كفاً من حصى أو تراب، فرفعه إلى جبهته وقال: يكفيني هذا. قال عبد الله: فرأيته بعد ذلك قتل كافراً. [البخاري: سجود القرآن، ومسلم: المساجد ومواضع الصلاة، باب: سجود التلاوة] والمراد بمن كان معه المسلمون والمشركون، كما روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما، وإنما سجد المشركون لسماعهم أسماء آلهتهم.

وينبغي أن يتنبه إلى أن هذه القصة تمس العقيدة، وما كان كذلك فلا يقبل ولا يعول عليه إلا إذا ثبت بطريق صحيحة، متواترة، أو مشهورة على الأقل. وهذا الذي تطمئن إليه النفس، على أن القصة لو ثبتت فليس فيها مطعن في دين الله عز وجل، طالما أن الله تعالى قد عصم نبيه ﷺ وبين له الصواب وأذهب عنه رجس الشيطان، وأحكم شرعه ودينه.

ومعنى الآية مع التي بعدها - والله تعالى أعلم - أن الرسل يجهدون في بيان الحق للناس رغبة في هدايتهم، ويجهد الشيطان ليفسد عليهم جهدهم بوساوسه وتزيينه، ولكن العاقبة لدعوة الحق، إذ يندحر الباطل بمن وراءه من أبالسة الجن والإنس. ويسقط على الطريق، ويهوي في أحابيل الشيطان: أولئك الذين لا يصمدون أمام المحنة والاختبار، وهم مرضى القلوب وضعاف النفوس، وكذلك المتعنتون الذين أقفلوا قلوبهم عن الحقيقة أن تفقهها، وأعموا أبصارهم عن رؤية ضياء الحق.

(٢) أي نصب الظرف ﴿يومئذٍ﴾ ما تضمنه قوله ﴿لله﴾ من معنى

مهين ﴾ شديد، بسبب كفرهم.

٥٨ **﴿ والذين هاجروا في سبيل الله ﴾** أي طاعته، من مكة إلى المدينة **﴿ ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقاً حسناً ﴾** هو رزق الجنة **﴿ وإن الله لهو خير الرازقين ﴾** أفضل المعطين.

٥٩ **﴿ ليدخلنهم مدخلاً ﴾** بضم الميم وفتحها، أي إدخالاً، أو موضعاً(١) **﴿ يرضونه ﴾** وهو الجنة **﴿ وإن الله لعليم ﴾** بنياتهم **﴿ حليم ﴾** عن عقابهم(٢).

٦٠ الأمر **﴿ ذلك ﴾** الذي قصصناه عليك **﴿ ومن عاقب ﴾** جازى من المؤمنين **﴿ بمثل ما عوقب به ﴾** ظلماً من المشركين، أي قاتلهم كما قاتلوه في الشهر المحرم **﴿ ثم بغي عليه ﴾** منهم، أي ظلم بإخراجه من منزله **﴿ لينصرنه الله إن الله لعفو ﴾** عن المؤمنين **﴿ غفور ﴾** لهم عن قتالهم في الشهر الحرام.

٦١ **﴿ ذلك ﴾** النصر **﴿ بأن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ﴾** أي يدخل كلا منهما في الآخر، بأن يزيد به، ذلك من أثر قدرته تعالى التي بها النصر **﴿ وأن الله سميع ﴾** دعاء المؤمنين **﴿ بصير ﴾** بهم، حيث جعل فيهم الإيمان، فأجاب دعاءهم.

٦٢ **﴿ ذلك ﴾** النصر أيضاً **﴿ بأن الله هو الحق ﴾** الثابت **﴿ وأن ما يدعون ﴾** بالياء والتاء، يعبدون **﴿ من دونه ﴾** وهو الأصنام **﴿ هو الباطل ﴾** الزائل **﴿ وأن الله هو العلي ﴾** أي العالي على كل شيء بقدرته **﴿ الكبير ﴾** الذي يصغر كل شيء سواه.

٦٣ **﴿ ألم ترَ ﴾** تعلم **﴿ أن الله أنزل من السماء ماء ﴾** مطراً **﴿ فتصبح الأرض مخضرة ﴾** بالنبات، وهذا من أثر قدرته **﴿ إن الله لطيف ﴾** بعباده في إخراج النبات بالماء **﴿ خبير ﴾** بما في قلوبهم عند تأخير المطر.

٦٤ **﴿ له ما في السماوات وما في الأرض ﴾** على جهة الملك **﴿ وإن الله لهو الغني ﴾** عن عباده **﴿ الحميد ﴾** لأوليائه(٣).

٦٥ **﴿ ألم ترَ ﴾** تعلم **﴿ أن الله سخر لكم ما في**

مُهِينٌ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا
لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٥٨﴾
لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾
* ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ
لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ
يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ
سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ
مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ
مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ أَلَمْ
تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي

الاستقرار، والتقدير: الملك مستقر لله وحده يوم القيامة.

(١) أي فعلى قراءة ﴿مَدْخَلاً﴾ بفتح الميم: يكون اسم مكان بمعنى موضع. وعلى قراءة ﴿مُدْخلاً﴾ بضم الميم: يكون اسم مصدر بمعنى إدخال.

(٢) أخرج ابن أبي حاتم بسنده عن شرحبيل بن السمط قال: طال رباطنا وإقامتنا على حصن بأرض الروم، فمر بي سلمان - يعني الفارسي - رضي الله عنه، فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من مات مرابطاً أجرى الله عليه مثل ذلك الأجر، وأجرى عليه الرزق، وأمن من الفتّانين). واقرؤوا إن شئتم: ﴿والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقاً حسناً وإن الله لهو خير الرازقين. ليدخلنهم مدخلاً يرضونه وإن الله لعليم حليم﴾. [مرابطاً: حارساً على حدود البلاد مع العدو. مثل. . : مثل أجر لو قتل شهيداً. الفتانين: أي خطر الملكين اللذين يسألانه في القبر].

وأخرج أيضاً عن ربيعة بن سيف المعافري قال: كنا برودس، ومعنا فضالة بن عبيد الله الأنصاري صاحب رسول الله ﷺ، فمر بجنازتين: إحداهما قتيل والأخرى متوفى، فمال الناس على القتيل، فقال فضالة: مالي أرى الناس مالوا مع هذا وتركوا هذا؟ فقالوا: هذا القتيل في سبيل الله! فقال: والله ما أبالي من أي حفرتيهما بعثت، اسمعوا كتاب الله: ﴿والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا. .﴾.

وفي رواية قال: فما تبتغي أيها العبد إذا أدخلت مدخلاً ترضاه، ورزقت رزقاً حسناً. [تفسير ابن كثير] [رودس: بلد من بلاد الروم].

(٣) أي يحمد للمؤمنين الذين يوالونه صدقهم وإخلاصهم في أعمالهم الصالحة، بمعنى: أنه سبحانه يقبلها منهم ويكثر

سبب نزول الآية [٦٠]: عن مقاتل: أنها نزلت في سرية بعثها النبيّ ﷺ، فلقوا المشركين لليلتين بقيتا من المحرّم، فقال المشركون بعضهم لبعض: قاتلوا أصحاب محمد، فإنهم يحرّمون القتال في الشهر الحرام. فناشدهم الصحابة وذكروهم بالله أن لا يتعرضوا لقتالهم، فإنهم لا يستحلون القتال في الشهر الحرام، فأبى المشركون ذلك وقاتلوهم وبغوا عليهم، فقاتلهم المسلمون ونصروا عليهم، فنزلت هذه الآية. [السيوطي].

الأرض ﴾ من البهائم ﴿ والفلك ﴾ السفن ﴿ تجري في البحر ﴾ للركوب والحمل ﴿ بأمره ﴾ بإذنه ﴿ ويمسك السماء ﴾ من ﴿ أن ﴾ أو: لئلا ﴿ تقع على الأرض إلا بإذنه ﴾ فتهلكوا ﴿ إن الله بالناس لرؤوف رحيم ﴾ في التسخير والإمساك.

٦٦ ﴿ وهو الذي أحياكم ﴾ بالإنشاء ﴿ ثم يميتكم ﴾ عند انتهاء آجالكم ﴿ ثم يحييكم ﴾ عند البعث ﴿ إن الإنسان ﴾ المشرك ﴿ لكفور ﴾(١) لنعم الله، بتركه توحيده.

٦٧ ﴿ لكل أمة(٢) جعلنا منسكاً ﴾ بفتح السين، شريعة ﴿ هم ناسكوه ﴾ عاملون به(٣) ﴿ فلا ينازعنك ﴾ يراد به: لا تنازعهم(٤) ﴿ في الأمر ﴾ أي أمر الذبيحة، إذ قالوا: ما قتل الله(٥) أحق أن تأكلوه مما قتلتم ﴿ وادع إلى ربك ﴾ أي إلى دينه ﴿ إنك لعلى هدى ﴾ دين ﴿ مستقيم ﴾.

٦٨ ﴿ وإن جادلوك ﴾ في أمر الدين ﴿ فقل الله أعلم بما تعملون ﴾ فيجازيكم عليه، وهذا قبل الأمر بالقتال(٦).

٦٩ ﴿ الله يحكم بينكم ﴾ أيها المؤمنون والكافرون ﴿ يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون ﴾ بأن يقول كل من الفريقين خلاف قول الآخر.

٧٠ ﴿ ألم تعلم ﴾ الاستفهام فيه للتقرير ﴿ أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك ﴾ أي ما ذكر ﴿ في كتاب ﴾ هو اللوح المحفوظ ﴿ إن ذلك ﴾ علم ما ذكر ﴿ على الله يسير ﴾ سهل(٧).

٧١ ﴿ ويعبدون ﴾ أي المشركون ﴿ من دون الله ما لم ينزل به ﴾ هو الأصنام ﴿ سلطاناً ﴾ حجة ﴿ وما ليس لهم به علم ﴾ أنها آلهة ﴿ وما للظالمين ﴾ بالإشراك ﴿ من نصير ﴾ يمنع عنهم عذاب الله.

٧٢ ﴿ وإذا تتلى عليهم آياتنا ﴾ من القرآن ﴿ بينات ﴾ ظاهرات، حال ﴿ تعرف في وجوه الذين كفروا

فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦ وَيُمۡسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ
إِلَّا بِإِذۡنِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ
ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ
لَكَفُورٞ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ أُمَّةٖ جَعَلۡنَا مَنسَكًا هُمۡ نَاسِكُوهُۖ
فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِي ٱلۡأَمۡرِۚ وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ
هُدٗى مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٦٧﴾ وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا
تَعۡمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمۡ
فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ
وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٧٠﴾
وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَمَا لَيۡسَ
لَهُم بِهِۦ عِلۡمٞۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٖ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تُتۡلَىٰ
عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ

لهم الأجر والمثوبة عليها. أو المعنى: المستحق للحمد على نعمه، والمحمود بنعمته قبل ثناء من في السماوات ومن في الأرض.

(١) جحود منكر.

(٢) جماعة من الناس أرسل إليهم رسول.

(٣) وينتهي مشروعية العمل به ببعثة رسول بعده.

(٤) أي لا تلتفت إلى أقوالهم، ولا تمكنهم من مناظرتك، لأنهم جهال وأهل عناد، فلا تنفع فيهم المناظرة، وأمر دينك أظهر من أن يقبل النزاع.

(٥) أي ما مات حتف أنفه بدون ذبح.

(٦) وأما بعده فإنهم يقاتلون إذا لم يذعنوا للحق.

(٧) قال ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: يخبر تعالى عن كمال علمه بخلقه، وأنه محيط بما في السماوات وما في الأرض فلا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، وأنه تعالى علم الكائنات كلها قبل وجودها، وكتب ذلك في كتابه اللوح المحفوظ، كما ثبت في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو- رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله قدر مقادير الخلائق قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء). وفي السنن من حديث جماعةمن الصحابة: أن رسول الله ﷺ قال: (أول ما خلق الله القلم، قال له: اكتب، قال: وما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن. فجرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة). وقال ابن أبي حاتم: حدّثنا أبو زرعة: حدّثنا ابن بكير: حدّثني عطاء بن دينار: حدّثني سعيد بن جبير قال: قال ابن عباس- رضي الله عنهما-: خلق الله اللوح المحفوظ كمسيرة مائة عام، وقال للقلم قبل أن يخلق الخلق، وهو على العرش تبارك وتعالى: اكتب، فقال القلم: وما أكتب؟ قال: علمي في خلقي إلى يوم الساعة. فجرى القلم بما هو كائن في علم الله إلى يوم القيامة، فذلك قوله للنبي ﷺ: ﴿ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض﴾ وهذا من تمام علمه تعالى: أنه علم الأشياء قبل كونها، وقدرها وكتبها أيضاً، فما العباد عاملون قد علمه تعالى قبل ذلك، على الوجه الذي يفعلونه، فيعلم قبل الخلق: أن هذا يطيع باختياره، وهذا يعصي باختياره، وكتب ذلك عنده، وأحاط بكل شيء علماً، وهو سهل عليه يسير لديه، ولهذا قال تعالى: ﴿إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير﴾.

[حديث مسلم أخرجه في القدر، بـاب: حجاج آدم

المنكر ﴾ أي الإنكار لها، أي أثره من الكراهة والعبوس ﴿ يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا ﴾ أي يقعون فيهم بالبطش ﴿ قل أفأنبئكم بشر من ذلكم ﴾ بأكره إليكم من القرآن المتلو عليكم، هو ﴿ النار وعدها الله الذين كفروا ﴾ بأن مصيرهم إليها ﴿ وبئس المصير ﴾ هي.

٧٣ ﴿ يا أيها الناس ﴾ أي أهل مكة ﴿ ضرب مثل فاستمعوا له ﴾ وهو ﴿ إن الذين تدعون ﴾ تعبدون ﴿ من دون الله ﴾ أي غيره، وهم الأصنام ﴿ لن يخلقوا ذباباً ﴾ اسم جنس، واحده ذبابة، يقع على المذكر والمؤنث ﴿ ولو اجتمعوا له ﴾ لخلقه ﴿ وإن يسلبهم⁽١⁾ الذباب شيئاً ﴾ مما عليهم من الطيب والزعفران الملطخين به ﴿ لا يستنقذوه ﴾ لا يستردوه ﴿ منه ﴾ لعجزهم، فكيف يعبدون شركاء الله تعالى؟ هذا أمر مستغرب، عبر عنه بضرب المثل ﴿ ضعف الطالب ﴾ العابد ﴿ والمطلوب ﴾ المعبود.

٧٤ ﴿ ما قدروا الله ﴾ عظموه ﴿ حق قدره ﴾ عظمته، إذ أشركوا به ما لم يمتنع من الذباب ولا ينتصف منه ﴿ إن الله لقوي عزيز ﴾ غالب.

٧٥ ﴿ الله يصطفي⁽٢⁾ من الملائكة رسلاً⁽٣⁾ ومن الناس ﴾ رسلاً. نزل لما قال المشركون «ءأنزل عليه الذكر من بيننا» ص: ٨/ ﴿ إن الله سميع ﴾ لمقالتهم ﴿ بصير ﴾ بمن يتخذه رسولاً، كجبريل وميكائيل، وإبراهيم ومحمد وغيرهم، ﷺ.

٧٦ ﴿ يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ﴾ أي ما قدموا وما خلفوا، وما عملوا وما هم عاملون بعد ﴿ وإلى الله ترجع الأمور ﴾.

٧٧ ﴿ يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا ﴾ أي صلوا ﴿ واعبدوا ربكم ﴾ وحدوه ﴿ وافعلوا الخير ﴾ كصلة الرحم ومكارم الأخلاق ﴿ لعلكم تفلحون ﴾ تفوزون بالبقاء في الجنة⁽٤⁾.

٧٨ ﴿ وجاهدوا في الله ﴾ لإقامة دينه ﴿ حق جهاده ﴾ باستفراغ الطاقة فيه، ونصب حق على المصدر⁽٥⁾ ﴿ هو اجتباكم ﴾ اختاركم لدينه ﴿ وما جعل

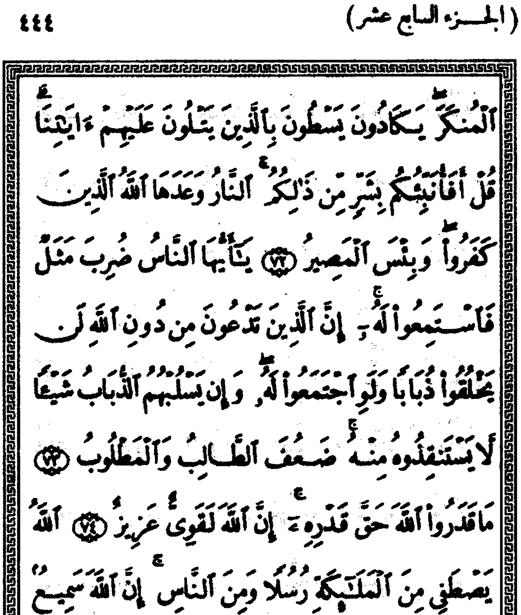

٤٤٤ (الجـزء السابع عشر)

ٱلْمُنكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا
قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ
فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن
يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا
لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾
مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ ٱللَّهُ
يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ
بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى ٱللَّهِ
تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٧٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟
وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾
وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ

وموسى عليهما السلام، رقم: ٢٦٥٣. وحديث السنن: أخرجه أبو داود في السنة، باب: في القدر، رقم: ٤٧٠٠. والترمذي: التفسير، باب: ومن سورة ﴿نٓ والقلم﴾ رقم: ٣٣١٦].

(١) يأخذ ويختطف بسرعة. عن أبي زرعة رحمه الله تعالى قال: دخلت مع أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ داراً بالمدينة، فرأى أعلاها مُصَوِّراً يُصَوِّر، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا حبّة، وليخلقوا ذرّة). [البخاري: اللباس، باب: نقض الصور، رقم: ٥٦٠٩. مسلم: اللباس والزينة، باب: تحريم تصوير صورة الحيوان. . ، رقم: ٢١١١] [يخلق. . : يصنع ويقدر كخلقي في الصورة. ذرة: نملة صغيرة].

(٢) يختار.

(٣) بينه وبين البشر.

(٤) مذهب الشافعي ـ والمشهور من مذهب أحمد ـ رحمهما الله تعالى أن في تلاوة هذه الآية سجدة من سجدات القرآن. روى عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، أفي الحج سجدتان؟ قال: (نعم، ومن لم يسجدهما فلا يقرأهما) أخرجه الترمذي وأبو داود. وأخرج مالك في الموطأ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قرأ سورة الحج فسجد فيها سجدتين وقال: إن هذه السورة فضلت بسجدتين.

[الترمذي: أبواب الصلاة، باب: ما جاء في السجدة في الحج، رقم: ٥٧٨. أبو داود: الصلاة، باب: تفريع أبواب السجود وكم سجدة في القرآن، رقم: ١٤٠٢. الموطأ: كتاب القرآن، باب: ما جاء في سجود القرآن، رقم: ١٣].

(٥) أي على أنه مفعول مطلق، والأصل فيه جهاداً حقاً، فأضيفت الصفة حقاً للموصوف جهاداً، فصارت: حق جهاده، مبالغة في معنى الجهاد.

عليكم في الدين من حرج ﴾ أي ضيق، بأن سهله عليكم عند الضرورات: كالقصر، والتيمم، وأكل الميتة، والفطر للمرض والسفر ﴿ ملة أبيكم ﴾ منصوب بنزع الخافض الكاف[1] ﴿ إبراهيم ﴾ عطف بيان ﴿ هو ﴾ أي الله ﴿ سماكم المسلمين من قبل ﴾ أي من قبل هذا الكتاب ﴿ وفي هذا ﴾ أي القرآن ﴿ ليكون الرسول شهيداً عليكم ﴾ يوم القيامة أنه بلغكم ﴿ وتكونوا ﴾ أنتم ﴿ شهداء على الناس ﴾ أن رسلهم بلغوهم[2] ﴿ فأقيموا الصلاة ﴾ داوموا عليها ﴿ وآتوا الزكوة واعتصموا بالله ﴾ ثقوا به ﴿ هو مولاكم ﴾ ناصركم ومتولي أموركم ﴿ فنعم المولى ﴾ هو ﴿ ونعم النصير ﴾ أي الناصر لكم.

﴿سورة المؤمنون﴾
مكية وآياتها مائة و ١٨ أو ١٩ آية

بسم الله الرحمن الرحيم

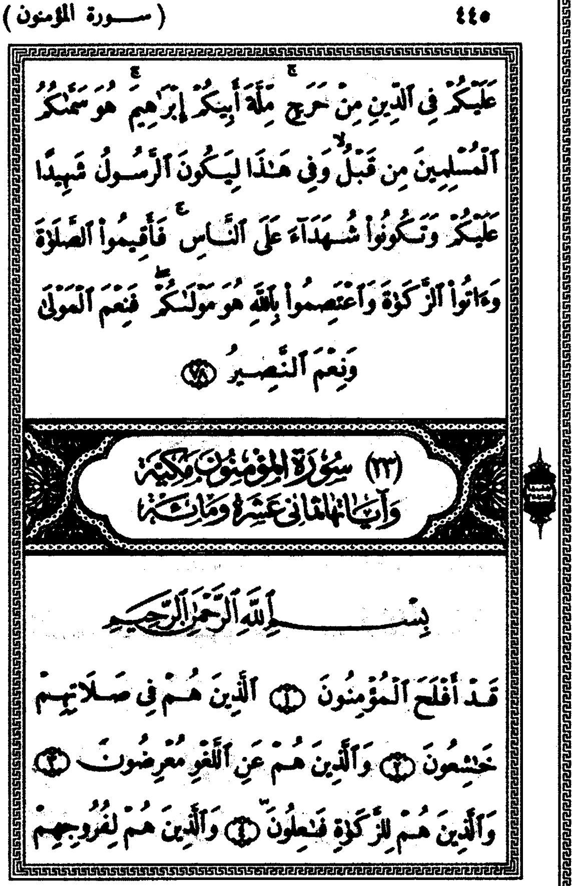

٤٤٥ (سورة المؤمنون)

عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ هُوَ سَمَّىٰكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾

(٢٣) سُورَةُ المُؤْمِنُونَ مَكِّيَّة
وَآيَاتُهَا ثَمَانِي عَشْرَةَ وَمِائَة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ

١ ﴿ قد ﴾ للتحقيق ﴿ أفلح ﴾ فاز ﴿ المؤمنون ﴾.

٢ ﴿ الذين هم في صلاتهم خاشعون ﴾ متواضعون[3].

٣ ﴿ والذين هم عن اللغو ﴾ من الكلام وغيره[4] ﴿ معرضون ﴾.

٤ ﴿ والذين هم للزكاة فاعلون ﴾ مؤدون.

٥ ﴿ والذين هم لفروجهم

---

[1] أي الحرف الجار، والأصل كملة أبيكم...

[2] أخرج البخاري [التفسير/البقرة، باب: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً..﴾ رقم: ٤٢١٧] عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (يدعى نوح يوم القيامة، فيقول: لبيك وسعديك يا رب، فيقول: هل بلغت؟ فيقول: نعم، فيقال لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير، فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته، فيشهدون أنه قد بلغ: ﴿ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾ فذلك قوله جل ذكره: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكونَ الرسول عليكم شهيداً﴾). والوسط العدل.

[3] ومن ذلك مراعاة آداب الصلاة، كعدم الالتفات والتثاؤب ونحو ذلك، أخرج البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله ﷺ عن الالتفات في الصلاة فقال: (هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد).

[البخاري: صفة الصلاة، باب: الالتفات في الصلاة، رقم: ٧١٨]. ورأس الخشوع حضور القلب، واستشعار هيبة الله عزّ وجلّ، وأنه واقف بين يديه يناجيه.

عن عبد الرحمٰن بن عبد القاري قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي سمع عند وجهه دوي كدوي النحل، فأنزل عليه يوماً، فمكثنا ساعة، فسُرِّيَ عنه، فاستقبل القبلة ورفع يديه فقال: (اللّهم زدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وارض عنا وأرضنا). ثم قال: (لقد أنزل عليّ عشر آيات، من أقامهن دخل الجنة). ثم قرأ: ﴿قد أفلح المؤمنون . الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾ وآيات، حتى ختم عشر آيات.

[المستدرك: التفسير، تفسير سورة المؤمنون: ٢/٣٩٢. الترمذي: التفسير، باب: ومن سورة المؤمنين، رقم: ٣١٧٢]. دوي: صوت غير عالٍ يسمع ولا يفهم.

[4] من قول أو فعل مما لا يعود على الإنسان منه نفع في الدنيا أو الآخرة، كالهزل، واللعب وضياع الأوقات فيما لا يفيد، والإفراط في الشهوات، والاشتغال بما لا يعنيه من شؤون الخلق.

سبب نزول الآيات الأولى من السورة: أخرج الحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ كان إذا صلى رفع بصره إلى السماء، فنزلت: ﴿الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾ فطأطأ رأسه. [المستدرك: التفسير، باب: تفسير سورة المؤمنون: ٢/ ٣٩٢].

حافظون ﴾ عن الحرام.

٦ ﴿ إلا على أزواجهم ﴾ أي من زوجاتهم ﴿ أو ما ملكت أيمانهم ﴾ أي السراري(١) ﴿ فإنهم غير ملومين ﴾ في إتيانهن.

٧ ﴿ فمن ابتغى وراء ذلك ﴾ من الزوجات والسراري، كالاستمناء بيده ﴿ فأولئك هم العادون ﴾ المتجاوزون إلى ما لا يحل لهم.

٨ ﴿ والذين هم لأماناتهم ﴾ جميعاً ومفرداً(٢) ﴿ وعهدهم ﴾ فيما بينهم، أو فيما بينهم وبين الله من صلاة وغيرها ﴿ راعون ﴾ حافظون.

٩ ﴿ والذين هم على صلواتهم ﴾ جمعاً ومفرداً(٣) ﴿ يحافظون ﴾ يقيمونها في أوقاتها.

١٠ ﴿ أولئك هم الوارثون ﴾ لا غيرهم.

١١ ﴿ الذين يرثون الفردوس ﴾ هو جنة أعلى الجنان ﴿ هم فيها خالدون ﴾ في ذلك إشارة إلى المعاد، ويناسبه ذكر المبدأ بعده.

حَـٰفِظُونَ ۙ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ
أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ
فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ
رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾
أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ
فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ
مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ
خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا
ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا
ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ
ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾
وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ

١٢ ﴿ و ﴾ الله ﴿ لقد خلقنا الإنسان ﴾ آدم ﴿ من سلالة ﴾ هي من سللت الشيء من الشيء أي استخرجته منه، وهو خلاصته ﴿ من طين ﴾ متعلق بسلالة.

١٣ ﴿ ثم جعلناه ﴾ أي الإنسان نسل آدم ﴿ نطفة ﴾ منياً ﴿ في قرار مكين ﴾(٤) هو الرحم.

١٤ ﴿ ثم خلقنا النطفة علقة ﴾ دماً جامداً ﴿ فخلقنا العلقة مضغة ﴾ لحمة قدر ما يمضغ ﴿ فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ﴾ وفي قراءة «عظماً» في الموضعين(٥)، وخلقنا في المواضع الثلاث بمعنى صيرنا ﴿ ثم أنشأناه خلقاً آخر ﴾ بنفخ الروح فيه ﴿ فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾ أي المقدرين، ومميز أحسن محذوف للعلم به، أي خلقاً.

١٥ ﴿ ثم إنكم بعد ذلك لميتون ﴾.

١٦ ﴿ ثم إنكم يوم القيامة تبعثون ﴾ للحساب والجزاء.

١٧ ﴿ ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق ﴾ أي سماوات، جمع طريقة، لأنها طرق الملائكة ﴿ وما كنا عن الخلق ﴾ تحتها

---

(١) النساء المملوكات.

(٢) أي ﴿لأمَانَاتِهِم﴾ بالجمع، و﴿لأمانَتِهِم﴾ بالمفرد، قراءتان يحتملهما الرسم العثماني، فهما قراءتان متواترتان.

(٣) أي ﴿صَلَوَاتِهِم﴾ بالجمع، و﴿صَلاتِهِم﴾ بالمفرد، قراءتان يحتملهما الرسم العثماني، فهما قراءتان متواترتان.

قال ابن كثير في تفسيره: وقد افتتح الله ذكر هذه الصفات الحميدة بالصلاة واختتمها بالصلاة، فدل على أفضليتها، كما قال رسول الله ﷺ: (استقيموا ولن تحصوا، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة، ولن يحافظ على الوضوء إلا مؤمن). [مسند أحمد: ٥/٢٧٦] [استقيموا: احملوا أنفسكم على الاستقامة وعدم الميل عن الحق. ولن تحصوا: لن تستطيعوا الاستقامة الكاملة].

(٤) مقر متمكن محفوظ لا يطرأ عليه خلل.

(٥) أي ﴿فخلَقْنا المُضْغَة عَظْماً فكسونا العَظْمَ لحماً﴾ وهي قراءة متواترة.

فائدة: في الوفاء بالعهد وإنجاز الوعد. عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا=

سبب نزول الآيات [١٢، ١٤]: روى الواحدي بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: وافقت ربي في أربع: قلت: يا رسول الله، لو صلينا خلف المقام؟ فأنزل الله تعالى: ﴿واتّخِذُوا من مَقَام إبراهيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥] وقلت: يا رسول الله، لو اتخذت على نسائك حجاباً؟ فإنه يدخل عليك البر والفاجر، فأنزل الله تعالى: ﴿وإذا سألتُمُوهُنَّ متاعاً فاسألوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣]. وقلت لأزواج النبي ﷺ: لتنتهن أو ليبدلنه الله سبحانه أزواجاً خيراً منكن، فأنزل الله: ﴿عسَى رَبُّهُ إنْ طَلَّقَكُنَّ أنْ يُبْدِلَهُ أزْواجاً خيراً منكن﴾ الآية [التحريم: ٥] ونزلت: ﴿ولقد خَلَقْنَا الإنسانَ من سُلَالَةٍ من طين﴾ [١٢] إلى قوله تعالى: ﴿ثم أنشأناه خلقاً آخر﴾ فقلت: ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾. [انظر البخاري: أبواب القبلة، باب: ما جاء في القبلة ومن لا يرى الإعادة إلا على من سها. . ، رقم: ٣٩٣].

﴿ غافلين ﴾ لئلا تسقط عليهم فتهلكهم، بل نمسكها، كآية «ويمسك السماء أن تقع على الأرض»/ الحج: ٦٥/.

١٨ ﴿ وأنزلنا من السماء ماء بقدر ﴾ من كفايتهم ﴿ فأسكناه في الأرض(١) وإنا على ذهاب به لقادرون ﴾ فيموتون مع دوابهم عطشاً.

١٩ ﴿ فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب ﴾ هما أكثر فواكه العرب ﴿ لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون ﴾ صيفاً وشتاءً.

٢٠ ﴿ و ﴾ أنشأنا ﴿ شجرة تخرج من طور سيناء ﴾ جبل، بكسر السين وفتحها، ومنع الصرف للعلمية والتأنيث للبقعة(٢) ﴿ تنبت ﴾ من الرباعي والثلاثي(٣) ﴿ بالدهن ﴾ الباء زائدة على الأول، ومعدية على الثاني(٤)، وهي شجرة الزيتون ﴿ وصبغ للآكلين ﴾ عطف على الدهن، أي إدام يصبغ اللقمة بغمسها فيه، وهو الزيت.

٢١ ﴿ وإن لكم في الأنعام ﴾ الإبل والبقر والغنم ﴿ لعبرة ﴾ عظة تعتبرون بها ﴿نسقيكم﴾ بفتح النون وضمها ﴿ مما في بطونها ﴾ أي اللبن ﴿ ولكم فيها منافع كثيرة ﴾ من الأصواف والأوبار والأشعار وغير ذلك ﴿ ومنها تأكلون ﴾.

٢٢ ﴿ وعليها ﴾ أي الإبل ﴿ وعلى الفلك ﴾ أي السفن ﴿ تحملون ﴾.

٢٣ ﴿ ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ﴾ أطيعوا الله ووحدوه ﴿ مالكم من إله غيره ﴾ وهو اسم ما، وما قبله الخبر، ومن زائدة(٥) ﴿ أفلا تتقون ﴾ تخافون عقوبته بعبادتكم غيره.

٢٤ ﴿ فقال الملأ الذين كفروا من قومه ﴾ لأتباعهم ﴿ ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل ﴾ يتشرف ﴿ عليكم ﴾ بأن يكون متبوعاً وأنتم أتباعه ﴿ ولو شاء الله ﴾ أن لا يعبد غيره ﴿ لأنزل ملائكة ﴾ بذلك لا بشراً ﴿ ما سمعنا بهذا ﴾ الذي دعا إليه نوح من التوحيد ﴿ في آبائنا الأولين ﴾ الأمم الماضية.

٢٥ ﴿ إن هو ﴾ ما نوح ﴿ إلا

غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٖ فَأَسۡكَنَّٰهُ
فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابِۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾
فَأَنشَأۡنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٖ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَٰبٖ لَّكُمۡ فِيهَا
فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٞ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةٗ تَخۡرُجُ مِن طُورِ
سَيۡنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ وَصِبۡغٖ لِّلۡأٓكِلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمۡ
فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمۡ فِيهَا
مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٞ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيۡهَا وَعَلَى ٱلۡفُلۡكِ
تُحۡمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ
ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾
فَقَالَ ٱلۡمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ
مِّثۡلُكُمۡ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيۡكُمۡ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ
مَلَٰٓئِكَةٗ مَّا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا

---

(١) جعلناه ثابتاً مستقراً في الأرض، بعضه على ظهرها وبعضه في بطنها.

(٢) في ﴿سيناء﴾ قراءتان: ﴿سَيْناء﴾ و﴿سِيناء﴾ وهي ممنوعة من الصرف ـ أي لا تنون ـ لأنها اسم علم، انضم إليه التانيث باعتبار المعنى وهو البقعة من الأرض.

(٣) أي ﴿تُنبِتُ﴾ من أنْبَت، و﴿تَنْبُتُ﴾ من نَبَت، قراءتان.

(٤) أي على قراءة ﴿تُنبِتُ﴾ تكون باء ﴿بالدهن﴾ زائدة، لأن الفعل الرباعي يتعدى بنفسه والتقدير: تُنبت الدهنَ، وزيدت الباء للتأكيد. وعلى قراءة ﴿تَنْبت﴾ الباء لتعدية الفعل إلى المفعول، لأن الثلاثي لا يتعدى بنفسه. ويمكن أن تكون الباء للملابسة، أي تنبت وتنمو مصاحبة وملابسة للدهن.

(٥) أي لفظ ﴿إله﴾ اسم ما، و﴿لكم﴾ متعلق بخبرها المقدر. والمعنى: ليس إله غير الله تعالى موجوداً لكم. وزيادة ﴿من﴾ لتأكيد النفي وتعميمه.

= اؤتمن خان».

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا اؤتمن خان، وإذا حدّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر». [البخاري: الإيمان، باب: علامة المنافق، رقم: ٣٣، ٣٤. مسلم: الإيمان، باب: خصال المنافق، رقم: ٥٨، ٥٩].

[آية: علامة. خالصاً: أي قد استجمع كل صفات النفاق. خصلة: صفة. فجر: مال عن الحق واحتال في رده].

وعن جابر رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «لو قد جاء مال البحرين قد أعطيتك هكذا وهكذا وهكذا». فلم يجيء مال البحرين حتى قبض النبي ﷺ. فلما جاء مال البحرين أمر أبو بكر فنادى: من كان له عند النبي ﷺ عدة أو دين فليأتنا. فقلت: إن النبي ﷺ قال لي كذا وكذا، فحثى لي حثية، فعددتها، فإذا هي خمسمائة، وقال: خذ مثليها. [البخاري: الكفالة، باب: من تكفل عن ميت ديناً. . ، رقم: ٢١٧٤. مسلم: الفضائل: باب: ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال لا، رقم: ٢٣١٤] [هكذا: أي ملء كفيه ثلاث مرات. عدة: وعد بعطاء. حثية: ملء الكفين].

رجل به جنة ﴾ حالة جنون ﴿ فتربصوا به ﴾ انتظروه ﴿ حتى حين ﴾ إلى زمن موته.

٢٦ ﴿ قال ﴾ نوح ﴿ رب انصرني ﴾ عليهم ﴿ بما كذبون ﴾ بسبب تكذيبهم إياي، بأن تهلكهم. قال تعالى، مجيباً دعاءه:

٢٧ ﴿ فأوحينا إليه أن اصنع الفلك ﴾ السفينة ﴿ بأعيننا ﴾ بمرأى منا وحفظنا ﴿ ووحينا ﴾ أمرنا ﴿ فإذا جاء أمرنا ﴾ بإهلاكهم ﴿ وفار التنور ﴾ للخباز بالماء، وكان ذلك علامة لنوح ﴿ فاسلك فيها ﴾ أدخل في السفينة ﴿ من كلٍّ زوجين ﴾ ذكر وأنثى، أي من كل أنواعهما(١) ﴿ اثنين ﴾ ذكراً وأنثى، وهو مفعول(٢)، ومن متعلقة باسلك، وفي القصة: أن الله تعالى حشر لنوح السباع والطير وغيرهما(٣)، فجعل يضرب بيديه في كل نوع، فتقع يده اليمنى على الذكر واليسرى على الأنثى، فيحملهما في السفينة. وفي قراءة «كل» بالتنوين، فزوجين مفعول، واثنين تأكيد له ﴿ وأهلك ﴾ زوجته(٤) وأولاده ﴿ إلا من سبق عليه القول منهم ﴾ بالإهلاك، وهو زوجته(٥) وولده كنعان، بخلاف سام وحام ويافث، فحملهم وزوجاتهم ثلاثة، وفي سورة هود «ومَنْ آمَنَ وما آمن معه إلا قليل» /٤٠/ قيل: كانوا ستة رجال ونساؤهم، وقيل: جميع من كان في السفينة ثمانية وسبعون، نصفهم رجال ونصفهم نساء ﴿ ولا تخاطبني في الذين ظلموا ﴾ كفروا، بترك إهلاكهم ﴿ إنهم مغرقون ﴾.

٢٨ ﴿ فإذا استويت ﴾ اعتدلت ﴿ أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين ﴾ الكافرين، وإهلاكهم(٦).

٢٩ ﴿ وقل ﴾ عند نزولك من الفلك ﴿ رب أنزلني منزلاً ﴾ بضم الميم وفتح الزاي مصدر واسم مكان، وبفتح الميم وكسر الزاي مكان النزول ﴿ مباركاً ﴾ ذلك الإنزال أو المكان ﴿ وأنت خير المنزلين ﴾ ما ذكر(٧).

٣٠ ﴿ إن في ذلك ﴾ المذكور من أمر نوح والسفينة وإهلاك الكفار ﴿ لآيات ﴾ دلالات على قدرة الله تعالى ﴿ وإن ﴾ مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن(٨) ﴿ كنا لمبتلين ﴾ مختبرين قوم نوح، بإرساله إليهم ووعظه.

٣١ ﴿ ثم أنشأنا من بعدهم قرناً ﴾ قوماً ﴿ آخرين ﴾ هم عاد.

٣٢ ﴿ فأرسلنا فيهم رسولاً منهم ﴾ هوداً ﴿ أن ﴾ بأن ﴿ اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون ﴾ عقابه فتؤمنوا.

٣٣ ﴿ وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة ﴾ بالمصير إليها ﴿ وأترفناهم ﴾ نعمناهم

٤٤٨ (الجـــزء الثامن عشر)

رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ
ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ
بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسْلُكْ فِيهَا
مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ
مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾
فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ
ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى
مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ
لَءَايَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ
قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟
ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ
مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ

---

(١) أي أنواع المخلوقات الحية التي فيها ذكر وأنثى.

(٢) أي مفعول ﴿فاسلك﴾.

(٣) من كل ما يلد أو يبيض.

(٤) المؤمنة.

(٥) الكافرة التي ورد ذكرها في قوله تعالى: ﴿ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح..﴾ [التحريم: ١٠].

(٦) أي ولم يهلكنا معهم، بل نجانا أيضاً منه.

(٧) أي خير من ينزل الإنزال المبارك، أو المكان المبارك.

(٨) التقدير: إنه، أي إنَّ الشأن والأمر كنا مختبرين.

فائدة: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يجيء نوح وأمته، فيقول الله تعالى: هل بلغت؟ فيقول: نعم أي رب. فيقول لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون: لا، ما جاءنا من نبي. فيقول لنوح: من يشهد لك؟ فيقول: محمد ﷺ وأمته. فنشهد أنه قد بلغ، وهو قوله جل ذكره: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس﴾ [البقرة: ١٤٣] والوسط العدل». [البخاري: الأنبياء، باب: قول الله تعالى: ﴿إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه..﴾ رقم: ٣١٦١] [بلغ: أي قومه ما أرسل به إليهم. وهو قوله: أي وهذا مصداق قوله تعالى في هذه الآية والمراد بها].

﴿ في الحياة الدنيا ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون ﴾.

٣٤ ﴿ و ﴾ الله ﴿ لئن أطعتم بشراً مثلكم ﴾ فيه قسم وشرط، والجواب لأولهما، وهو مغن عن جواب الثاني(١) ﴿ إنكم إذاً ﴾ أي إذا أطعتموه ﴿ لخاسرون ﴾ أي مغبونون.

٣٥ ﴿أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم تراباً وعظاماً أنكم مخرجون ﴾ هو خبر أنكم الأولى، وأنكم الثانية تأكيد لها لما طال الفصل.

٣٦ ﴿هيهات هيهات﴾ اسم فعل ماضٍ بمعنى مصدر، أي بعد بعد(٢) ﴿لما توعدون﴾ من الإخراج من القبور، واللام زائدة للبيان(٢).

٣٧ ﴿ إن هي ﴾ ما الحياة ﴿ إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ﴾ بحياة أبنائنا(٣) ﴿ وما نحن بمبعوثين﴾.

٣٨ ﴿ إن هو ﴾ ما الرسول ﴿ إلا رجل افترى على الله كذباً(٤) وما نحن له بمؤمنين ﴾ مصدقين بالبعث بعد الموت.

٣٩ ﴿ قال رب انصرني بما كذبون ﴾(٥).

فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يَأۡكُلُ مِمَّا
تَأۡكُلُونَ مِنۡهُ وَيَشۡرَبُ مِمَّا تَشۡرَبُونَ (٣٣) وَلَئِنۡ أَطَعۡتُم
بَشَرٗا مِّثۡلَكُمۡ إِنَّكُمۡ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ (٣٤) أَيَعِدُكُمۡ أَنَّكُمۡ
إِذَا مِتُّمۡ وَكُنتُمۡ تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخۡرَجُونَ (٣٥)
* هَيۡهَاتَ هَيۡهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ (٣٦) إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا
ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ (٣٧) إِنۡ هُوَ إِلَّا
رَجُلٌ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا وَمَا نَحۡنُ لَهُۥ بِمُؤۡمِنِينَ (٣٨)
قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ (٣٩) قَالَ عَمَّا قَلِيلٖ لَّيُصۡبِحُنَّ
نَٰدِمِينَ (٤٠) فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ بِٱلۡحَقِّ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ غُثَآءٗ ع
فَبُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ (٤١) ثُمَّ أَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قُرُونًا
ءَاخَرِينَ (٤٢) مَا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ (٤٣)
ثُمَّ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا تَتۡرَاۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةٗ رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُۖ

٤٠ ﴿ قال عما قليل ﴾ من الزمان، وما زائدة ﴿ ليصبحن ﴾ ليصيرن ﴿ نادمين ﴾ على كفرهم وتكذيبهم.

٤١ ﴿ فأخذتهم الصيحة ﴾ صيحة العذاب والهلاك، كائنة ﴿ بالحق ﴾ فماتوا ﴿ فجعلناهم غثاء ﴾ وهو نبت يبس، أي صيرناهم مثله في اليبس ﴿ فبعداً ﴾ من الرحمة ﴿ للقوم الظالمين ﴾ المكذبين.

٤٢ ﴿ ثم أنشأنا من بعدهم قروناً ﴾ أقواماً ﴿ آخرين ﴾.

٤٣ ﴿ ما تسبق من أمة أجلها ﴾ بأن تموت قبله ﴿ وما يستأخرون ﴾ عنه، ذكر الضمير بعد تأنيثه رعاية للمعنى(٦).

٤٤ ﴿ ثم أرسلنا رسلنا تتراً ﴾ بالتنوين وعدمه، متتابعين، بين كل اثنين زمان طويل ﴿ كلما جاء أمة ﴾ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية بينها وبين الواو(٧) ﴿ رسولها كذبوه فأتبعنا بعضهم بعضاً ﴾ في الهلاك ﴿ وجعلناهم أحاديث(٨) فبعداً لقوم لا يؤمنون ﴾.

---

(١) أي قوله تعالى: ﴿ولئن..﴾ فيه قسم دلت عليه اللام، وشرط وهو ﴿إن﴾ وكل منهما يحتاج إلى جواب، والجواب هو ﴿إنكم إذاً لخاسرون﴾ وهو جواب للقسم، لأنه لو كان جواباً للشرط لقرن بالفاء، وهو مغن عن جواب الشرط.

(٢) يصح أن يقرأ بلفظ الفعل [بَعُد بَعُد] فيكون تفسيراً للفعل الماضي، ويصح أن يقرأ بلفظ المصدر [بُعْدٌ بُعْدٌ] فيكون تفسيراً للمصدر، وهما قولان. وقوله ﴿لما توعدون﴾ على تفسيره بالفعل تكون اللام زائدة للتأكيد، وما اسم موصول هو فاعل بَعُد، دخلت عليه اللام للتأكيد، والتقدير: بَعُد الذي توعدون به وهو الإخراج من القبور. وعلى تفسيره بالمصدر يكون مبتدأ، وتكون اللام للبيان وليست بزائدة، وهي متعلقة بخبر محذوف للمبتدأ، والتقدير: بُعْدٌ حاصل للذي توعدون به من الإخراج..، فكان المناسب بالمفسر أن يقول: واللام زائدة أو للبيان.

(٣) أي نموت وتخلفنا أبناؤنا فتحيا بعد موتنا.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (قال الله: كذَّبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فقوله: لن يعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون عليَّ من إعادته. وأما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولداً، وأنا الأحد الصمد، لم ألد ولم أولد، ولم يكن لي كُفُواً أحَدٌ﴾.

[البخاري: التفسير/ الإخلاص، باب: تفسير قوله ﴿قُل هو الله أحد﴾ رقم: ٤٦٩٠]. شتمني: من الشتم وهو الوصف بما يقتضي النقص.

(٤) اختلق وأتى بما يقول من عند نفسه، وادعى أنه أوحي إليه به.

(٥) انصرني عليهم وأهلكهم بسبب تكذيبهم لي.

(٦) أي قال ﴿يستأخرون﴾ بالتذكير، بعد قوله ﴿تسبق﴾ بالتأنيث، رعاية لمعنى الأمة فإن الغالب فيه جمع الذكور.

(٧) أي ينطق بالهمزة بين الهمزة والواو.

(٨) يتحدث بها من بعدهم عجباً وتسلياً.

٤٥ ﴿ ثم أرسَلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا وسلطان مبين ﴾ حجة بينة، وهي: اليد والعصا وغيرهما من الآيات(١).

٤٦ ﴿ إلى فرعون وملئه فاستكبروا ﴾ عن الإيمان بها وبالله ﴿ وكانوا قوماً عالين ﴾ قاهرين لبني إسرائيل بالظلم.

٤٧ ﴿ فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون ﴾ مطيعون خاضعون.

٤٨ ﴿ فكذبوهما فكانوا من المهلكين ﴾.

٤٩ ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب ﴾ التوراة ﴿ لعلهم ﴾ قومه بني إسرائيل ﴿ يهتدون ﴾ به من الضلالة، وأوتيها بعد هلاك فرعون وقومه جملة واحدة.

٥٠ ﴿ وجعلنا ابن مريم ﴾ عيسى ﴿ وأمه آية ﴾ لم يقل آيتين لأن الآية فيهما واحدة: وهي ولادته من غير فحل(٢) ﴿ وآويناهما إلى ربوة ﴾ مكان مرتفع، وهو بيت المقدس، أو دمشق، أو فلسطين، أقوال ﴿ ذات قرار ﴾ أي مستوية، يستقر عليها ساكنوها ﴿ ومعين ﴾ ماء جار ظاهر تراه العيون.

٥١ ﴿ يا أيها الرسل كلوا من الطيبات ﴾ الحلالات ﴿ واعملوا صالحاً ﴾ من فرض ونفل ﴿ إني بما تعملون عليم ﴾ فأجازيكم عليه(٣).

فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ ۚ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ
لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا
وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟
قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا
لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾
وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا
ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ
وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ
إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً
وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ
زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ
حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ

٥٢ ﴿ و ﴾ اعلموا ﴿ أنَّ هذه ﴾ ملة الإسلام ﴿ أمتكم ﴾ دينكم أيها المخاطبون، فيجب أن تكونوا عليها ﴿ أمة واحدة ﴾ حال لازمة(٤)، وفي قراءة بتخفيف النون، وفي أخرى بكسرها مشددة(٥) استئنافاً ﴿ وأنا ربكم فاتقون ﴾ فاحذرون(٦).

٥٣ ﴿ فتقطعوا ﴾ أي الأتباع ﴿ أمرهم ﴾ دينهم ﴿ بينهم زبراً ﴾ حال من فاعل تقطعوا، أي أحزاباً متخالفين، كاليهود والنصارى وغيرهم ﴿ كل حزب بما لديهم ﴾ أي بما عندهم من الدين ﴿ فرحون ﴾ مسرورون(٧).

٥٤ ﴿ فذرهم ﴾ اترك كفار مكة ﴿ في غمرتهم ﴾ ضلالتهم ﴿ حتى حين ﴾ إلى حين موتهم.

٥٥ ﴿ أيحسبون أنما نمدهم به ﴾ نعطيهم ﴿ من مال

---

(١) المعجزات وخوارق العادات، كالطوفان والقمل والضفادع والدم. [انظر: الآيات: ١٠٧، ١٠٨، ١٣٠، ١٣٣ من سورة الأعراف].

(٢) ذكر.

(٣) أخرج مسلم في صحيحه [الزكاة، باب: قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، رقم: ١٠١٤] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (أيها الناس، إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال: ﴿يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم﴾. وقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾ [البقرة: ١٧٢]. ثم ذكر: (الرجلَ يطيل السفر، أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء، يا رب يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغُذِيَ بالحرام، فأنَّى يستجاب لذلك). [طيب: منزه عن النقائص. طيباً: حلالاً خالصاً. وأصل الطيب الطهارة من الخبث، والسلامة من الدنس. أشعث أغبر: منتفش الشعر تعلوه الغبرة، لقلة اهتمامه بنفسه وعدم التفاته لشؤون الدنيا من حيث الظاهر. فأنى: فكيف ومن أين].

(٤) أي قوله ﴿ أمة ﴾ منصوب على الحالية، وهي حال لازمة، و﴿ واحدة ﴾ صفة لها، وهي لازمة أيضاً. والمراد بالملة الواحدة: ما اتفقت عليه الشرائع من العقائد وأسس التشريع، مما لا يختلف باختلاف الأماكن والأزمان، وأساس ذلك التوحيد الذي أمر به كافة الرسل، وبلغ به كافة الأمم.

(٥) أي بكسر الهمزة وتشديد النون، فالقراءات ثلاث: ﴿أنَّ﴾ و﴿إنْ﴾ و﴿إنَّ﴾ وثلاثتها متواترة. وعلى قراءة ﴿أنْ﴾ تكون مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن، والتقدير: واعلموا أن الشأن والأمر هذه أمتكم.. فجملة ﴿هذه أمتكم﴾ خبرها.

(٦) أي فاحذروا عقابي بفعل ما أمرتكم به وترك ما نهيتكم عنه. وانظر/الأنبياء: ٩٢/.

(٧) معجبون ظانون أنهم على الحق.

وبنين ﴾ في الدنيا.
٥٦ ﴿ نسارع ﴾ نعجل ﴿ لهم في الخيرات ﴾ لا ﴿ بل لا يشعرون ﴾ أن ذلك استدراج لهم[1].
٥٧ ﴿ إن الذين هم من خشية ربهم ﴾ خوفهم منه ﴿ مشفقون ﴾ خائفون من عذابه.
٥٨ ﴿ والذين هم بآيات ربهم ﴾ القرآن ﴿ يؤمنون ﴾ يصدقون.
٥٩ ﴿ والذين هم بربهم لا يشركون ﴾ معه غيره.
٦٠ ﴿ والذين يؤتون ﴾ يعطون ﴿ ما آتوا ﴾ أعطوا من الصدقة والأعمال الصالحة ﴿ وقلوبهم وجلة ﴾ خائفة أن لا تقبل منهم ﴿ أنهم ﴾ يقدر قبله لام الجر[2] ﴿إلى ربهم راجعون﴾.
٦١ ﴿ أولئك يسارعون في الخيرات[3] وهم لها سابقون ﴾ في علم الله عز وجل.
٦٢ ﴿ ولا نكلف نفساً إلا وسعها ﴾ طاقتها، فمن لم يستطع أن يصلي قائماً فليصل جالساً، ومن لم يستطع أن يصوم فليأكل ﴿ ولدينا ﴾ عندنا ﴿ كتاب ينطق بالحق ﴾ بما عملته، وهو اللوح المحفوظ، تسطر فيه الأعمال ﴿ وهم ﴾ أي النفوس العاملة ﴿ لا يظلمون ﴾ شيئاً منها، فلا ينقص من ثواب أعمال الخيرات، ولا يزاد في السيئات.

٦٣ ﴿ بل قلوبهم ﴾ أي الكفار ﴿ في غمرة ﴾ جهالة ﴿ من هذا ﴾ القرآن ﴿ ولهم أعمال من دون ذلك ﴾ المذكور للمؤمنين ﴿ هم لها عاملون ﴾ فيعذبون عليها.

٦٤ ﴿ حتى ﴾ ابتدائية ﴿ إذا أخذنا مترفيهم ﴾ أغنياءهم ورؤساءهم ﴿ بالعذاب ﴾ أي بالسيف يوم بدر ﴿ إذا هم يجأرون ﴾ يضجون[4]. ويقال لهم: ٦٥ ﴿ لا تجأروا اليوم إنكم منا لا تنصرون ﴾ لا تمنعون.

٦٦ ﴿ قد كانت آياتي ﴾ من القرآن ﴿ تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون ﴾ ترجعون القهقرى.

٦٧ ﴿ مستكبرين ﴾ عن الإيمان ﴿ به ﴾ أي بالبيت، أو الحرم، بأنهم أهله في أمن، بخلاف سائر الناس في مواطنهم ﴿ سامراً ﴾ حال، أي جماعة يتحدثون في الليل

وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ
هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ
لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ
أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ
فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا
وُسْعَهَا ۚ وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾
بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ
ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم
بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّكُم
مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ
عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا

---

[1] استدراج الله تعالى للعبد: أن يعطيه من النعم ولا يعجل له بالمؤاخذة على التقصير في شكرها، فتلهيه النعمة ويتمادى في غيه، فيستحق شديد العقاب، فيهلكه الله تعالى وهو في غفلة عن حاله. ويستعمل الاستدراج في المكر والخديعة والإملاء قليلاً قليلاً إلى ما يهلك، وهو استفعال من الدرجة، بمعنى الاستصعاد أو الاستنزال درجة بعد درجة.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم، وإن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الدين إلا لمن أحب، فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه، والذي نفسي بيده، لا يُسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه، ولا يؤمن حتى يأمن جاره بوائقه). قالوا: وما بوائقه يا نبي الله؟ قال: (غشمه وظلمه). ولا يكسب عبد مالاً من حرام فينفق منه فيبارك له فيه، ولا يتصدق به فيقبل منه، ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار، إن الله لا يمحو السيء بالسيء، ولكن يمحو السيء بالحسن، إن الخبيث لا يمحو الخبيث). [مسند أحمد: ١/٣٨٧].

[2] التقدير: لأنهم. . والمعنى: يعملون الأعمال الصالحة وهم خائفون من عدم القبول، لأنهم مستيقنون من رجوعهم إلى الله عز وجل، وهم يرون أنفسهم مقصرين في شكر نعمائه، وأنهم ما قاموا بالأعمال الصالحة التي تقابل تلك النعم الجسام.

[3] يبادرون إلى الأعمال الصالحة.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية ﴿والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة﴾ قالت عائشة: أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: (لا يا بنت الصديق، ولكنهم الذين يصلون ويصومون ويتصدقون، وهم يخافون أن لا تقبل منهم، أولئك الذين يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون). [الترمذي: تفسير القرآن، باب: ومن سورة المؤمنين، رقم: ٣١٧٤].

[4] ويصرخون.

سبب نزول الآية [٦٨]: عن سعيد بن جبير قال: كانت قريش تسمر حول البيت ولا تطوف به، ويفتخرون به، فأنزل الله: ﴿مستكبرين به سامراً تهجرون﴾. [السيوطي]. [تسمر: من السَّمَر والمسامرة، وهو الحديث في الليل].

﴿ تهجرون ﴾ من الثلاثي(١) تتركون القرآن، ومن الرباعي(٢) أي تقولون غير الحق في النبي والقرآن. قال تعالى:

٦٨ ﴿ أفلم يدبروا ﴾ أصله يتدبروا، فأدغمت التاء في الدال ﴿ القول ﴾ أي القرآن الدال على صدق النبي ﷺ ﴿ أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين ﴾(٣).

٦٩ ﴿ أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون ﴾(٤).

٧٠ ﴿ أم يقولون به جنة ﴾ الاستفهام فيه للتقرير بالحق: من صدق النبي، ومجيء الرسل للأمم الماضية، ومعرفة رسولهم بالصدق والأمانة، وأن لا جنون به ﴿ بل ﴾ للانتقال ﴿ جاءهم بالحق ﴾ أي القرآن المشتمل على التوحيد وشرائع الإسلام ﴿ وأكثرهم للحق كارهون ﴾.

٧١ ﴿ ولو اتبع الحق ﴾ أي القرآن ﴿ أهواءهم ﴾ بأن جاء بما يهوونه من الشريك والولد لله، تعالى الله عن ذلك ﴿ لفسدت السموات والأرض ومن فيهن ﴾ خرجت عن نظامها المشاهد، لوجود التمانع في الشيء عادة عند تعدد الحاكم(٥) ﴿ بل أتيناهم بذكرهم ﴾ القرآن الذي فيه ذكرهم(٦) وشرفهم ﴿ فهم عن ذكرهم معرضون ﴾.

٧٢ ﴿ أم تسألهم خرجاً ﴾ أجراً على ما جئتهم به من الإيمان ﴿ فخراج ربك ﴾ أجره وثوابه ورزقه ﴿ خير ﴾ وفي قراءة «خرجاً» في الموضعين، وفي قراءة أخرى «خراجاً» فيهما ﴿ وهو خير الرازقين ﴾ أفضل من أعطى وآجر.

٧٣ ﴿ وإنك لتدعوهم إلى صراط ﴾ طريق ﴿ مستقيم ﴾ دين الإسلام.

٧٤ ﴿ وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة ﴾ بالبعث والثواب والعقاب ﴿ عن الصراط ﴾ الطريق ﴿ لناكبون ﴾ عادلون(٧)

٧٥ ﴿ ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر ﴾ جوع أصابهم بمكة سبع سنين ﴿ للجوا ﴾ تمادوا ﴿ في طغيانهم ﴾ ضلالتهم ﴿ يعمهون ﴾ يترددون.

٧٦ ﴿ ولقد أخذناهم بالعذاب ﴾ الجوع ﴿ فما استكانوا ﴾ تواضعوا ﴿ لربهم وما يتضرعون ﴾ يرغبون إلى الله عز وجل في الدعاء.

٧٧ ﴿ حتى ﴾ ابتدائية ﴿ إذا فتحنا عليهم باباً ذا ﴾ صاحب ﴿ عذاب شديد ﴾ هو يوم بدر، بالقتل ﴿ إذا هم فيه مبلسون ﴾ آيسون من كل خير.

تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ
ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ
مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ
وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَـٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ
لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَـٰهُم
بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ
خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ
لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِٱلْـَٔاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَـٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾ * وَلَوْ رَحِمْنَـٰهُمْ
وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ
أَخَذْنَـٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾
حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ

---

(١) من هجر هجراناً وهو الترك.

(٢) من أهجر إهجاراً وهو الفحش في الكلام.

(٣) أي فقد بعث رسل إلى الأمم قبلهم، فلم يستنكرون بعثته؟.

(٤) أي لقد عرفوا محمداً ﷺ وعرفوا فيه الصدق والأمانة، فلم ينكرون صدقه الآن فيما يدعوهم إليه؟.

(٥) أي سعي كل منهم لمنع غيره مما يرغب. (٦) فخرهم وعزهم.

(٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما:
أن رسول الله ﷺ: (أتاه - فيما يرى النائم - ملكان، فقعد أحدهما عند رجليه، والآخر عند رأسه، فقال الذي عند رجليه للذي عند رأسه: اضرب مثل هذا ومثل أمته. فقال: إن مثله ومثل أمته كمثل قوم سفر انتهوا إلى رأس مفازة، فلم يكن معهم من الزاد ما يقطعون به المفازة ولا ما يرجعون به، فبينما هم كذلك إذ أتاهم رجل في حلة حبرة، فقال: أرأيتم=

سبب نزول الآية [٧٧]: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء أبو سفيان إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، أنشدك الله والرحم، قد أكلنا العلهز، يعني الوبر بالدم، فأنزل الله عز وجل: ﴿ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون﴾. أخرجه الحاكم في مستدركه [التفسير، تفسير سورة المؤمنين: ٣٩٤/٢] وقال هذا حديث صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي على تصحيحه.

قال الواحدي: وقال ابن عباس رضي الله عنهما لما أتى ثمامة بن أثال الحنفي إلى رسول الله ﷺ فأسلم وهو أسير، فخلى سبيله، فلحق باليمامة، فحال بين أهل مكة وبين الميرة من يمامة، وأخذ الله تعالى قريشاً بسني الجدب حتى أكلوا العلهز، فجاء أبو سفيان إلى النبي ﷺ فقال: أنشدك الله والرحم، إنك تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين؟ قال: (بلى). فقال: قد قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

[الميرة: ما يجلب من الطعام ليأكله الناس. الجدب: القحط وقلة الغلال].

٧٨ ﴿وهو الذي أنشأ﴾ خلق ﴿لكم السمع﴾ بمعنى الأسماع ﴿والأبصار والأفئدة﴾ القلوب ﴿قليلاً ما﴾ تأكيد للقلة ﴿تشكرون﴾.

٧٩ ﴿وهو الذي ذرأكم﴾ خلقكم⁽¹⁾ ﴿في الأرض وإليه تحشرون﴾ تبعثون⁽²⁾.

٨٠ ﴿وهو الذي يحيي﴾ بنفخ الروح في المضغة ﴿ويميت وله اختلاف الليل والنهار﴾ بالسواد والبياض، والزيادة والنقصان ﴿أفلا تعقلون﴾ صنعه تعالىٰ فتعتبروا.

٨١ ﴿بل قالوا مثل ما قال الأولون﴾.

٨٢ ﴿قالوا﴾ الأولون ﴿ءإذا متنا وكنا تراباً وعظاماً ءإنا لمبعوثون﴾؟ لا، وفي الهمزتين في الموضعين التحقيق، وتسهيل الثانية، وإدخال ألف بينهما على الوجهين.

٨٣ ﴿لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا﴾ البعث بعد الموت ﴿من قبل إن﴾ ما ﴿هذا إلا أساطير﴾ أكاذيب ﴿الأولين﴾ كالأضاحيك والأعاجيب، جمع أسطورة، بالضم⁽³⁾.

٨٤ ﴿قل﴾ لهم ﴿لمن الأرض ومن فيها﴾ من الخلق ﴿إن كنتم تعلمون﴾ خالقها ومالكها.

٨٥ ﴿سيقولون لله قل﴾ لهم ﴿أفلا تذكرون﴾ بادغام التاء الثانية في الذال⁽⁴⁾، تتعظون، فتعلموا أن القادر على الخلق ابتداء قادر على الإحياء بعد الموت؟.

٨٦ ﴿قل من رب السموات السبع ورب العرش﴾ الكرسي⁽⁵⁾ ﴿العظيم﴾.

٨٧ ﴿سيقولون لله قل أفلا تتقون﴾ تحذرون عبادة غيره.

٨٨ ﴿قل من بيده ملكوت﴾ ملك ﴿كل شيء﴾ والتاء للمبالغة ﴿وهو يجير ولا يجار عليه﴾ يحمي ولا يحمى عليه ﴿إن كنتم تعلمون﴾.

٨٩ ﴿سيقولون الله﴾ وفي قراءة «لله» بلام الجر في الموضعين⁽⁶⁾ نظراً إلى أن المعنى: من له ما ذكر؟ ﴿قل

مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ
وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ
فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ
وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾
بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا
وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا
هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُل لِّمَنِ
ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ
قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ
ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾
قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ
عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ

---

(١) ويثكم وكثركم بالتناسل. (٢) وتجمعون. (٣) أي بضم الهمزة.

(٤) أصلها تتذكرون، وفي قراءة «تذكرون» بدون تشديد، على حذف التاء الثانية.

(٥) الصحيح أن العرش مخلوق آخر غير الكرسي.

(٦) في هذا والذي قبله في الآية [٨٧]. وأما الأول في الآية [٨٥] فباللام لا غير.

=(إني ممسك بحجزكم: هَلُمّ عن النار، هلم عن النار. وتغلبونني وتقاحَمُون فيها تقاحم الفراش والجنادب، فأوشك أن أرسل حجزكم، وأنا فرطكم على الحوض، فتردون علي معاً وأشتاتاً، أعرفكم بسيماكم وأسمائكم كما يعرف الرجل الغريب من الإبل في إبله، فيُذْهب بكم ذات اليمين وذات الشمال، فأناشد فيكم رب العالمين: أي رب، قومي، أي رب أمتي. فيقال: يا محمد، إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، إنهم كانوا يمشون بعدك القهقرى على أعقابهم، فلأعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل شاة لها ثغاء، ينادي: يا محمد، يا محمد. فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد بلغت. ولأعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل بعيراً له رغاء، ينادي: يا محمد، يا محمد. فأقول: لا أملك شيئاً، قد بلغت. ولأعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل فرساً له حمحمة، فينادي، ولأعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل سقاء من أدم، ينادي: يا محمد، يا محمد. فأقول: لا أملك لك شيئاً قد بلغت). [أخرجه أبو يعلى الموصلي، كما ذكر ابن كثير في تفسيره] [بحجزكم: جمع حُجْزَة وهو موضع انعقاد=

=إن وردت بكم رياض معشبة، وحياضاً رِوَاءً تتبعوني؟ فقالوا: نعم. قال: فانطلق بهم، فأوردهم رياضاً معشبة وحياضاً رِوَاءً، فأكلوا وشربوا وسمنوا. فقال لهم: ألم ألقكم على تلك الحال، فجعلتم لي إن وردت بكم رياضاً معشبة وحياضاً رواء أن تتبعوني؟ قالوا: بلى. قال: فإن بين أيديكم رياضاً أعشب من هذه، وحياضاً هي أروى من هذه، فاتبعوني. قال. فقالت طائفة: صدق والله، لنتبعنه. وقالت طائفة قد رضينا بهذا نقيم عليه). [مسند أحمد: ١/ ٢٦٧] [سفر: جمع لمسافر. مفازه: صحراء لا ماء فيها. حبرة: نوع من ثياب اليمن]. وعن ابن عباس رضي الله عنهما، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: =

فأنّى تسحرون ﴾ تخدعون وتصرفون عن الحق وعن عبادة الله وحده؟ أم أي كيف يخيل لكم أنه باطل؟.

٩٠ ﴿ **بل أتيناهم بالحق** ﴾ بالصدق ﴿ **وإنهم لكاذبون** ﴾ في نفيه، وهو[1]:

٩١ ﴿ **ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً** ﴾ لو كان معه إله ﴿ **لذهب كل إله بما خلق** ﴾ انفرد به، ومنع الآخر من الاستيلاء عليه ﴿**ولعلا بعضهم على بعض**﴾ مغالبة، كفعل ملوك الدنيا ﴿ **سبحان الله** ﴾ تنزيهاً له ﴿ **عما يصفون** ﴾ ـه به مما ذكر[2].

٩٢ ﴿ **عالم الغيب والشهادة** ﴾ ما غاب وما شوهد، بالجر صفة[3]، والرفع خبر هو مقدراً ﴿ **فتعالى** ﴾ تعظم ﴿ **عما يشركون** ﴾ ـه معه.

٩٣ ﴿ **قل رب إما** ﴾ فيه إدغام نون إن الشرطية في ما الزائدة ﴿**تريني مايوعدون**﴾ ـه من العذاب،هو صادق بالقتل ببدر

٩٤ ﴿ **رب فلا تجعلني في القوم الظالمين** ﴾ فأهلك بإهلاكهم. ٩٥ ﴿ **وإنا على أن نريك ما نعدهم لقادرون** ﴾.

٩٦ ﴿ **ادفع بالتي هي أحسن** ﴾ أي الخصلة، من الصفح والإعراض عنهم ﴿ **السيئة** ﴾ أذاهم إياك، وهذا قبل الأمر بالقتال[4] ﴿ **نحن أعلم بما يصفون** ﴾ يكذبون ويقولون فنجازيهم عليه.

٩٧ ﴿ **وقل رب أعوذ** ﴾ أعتصم ﴿ **بك من همزات الشياطين** ﴾ نزغاتهم[5] بما يوسوسون به.

٩٨ ﴿ **وأعوذ بك رب أن يحضرون** ﴾ في أموري، لأنهم إنما يحضرون بسوء.

٩٩ ﴿ **حتى** ﴾ ابتدائية ﴿ **إذا جاء أحدهم الموت** ﴾ ورأى مقعده من النار، ومقعده من الجنة لو آمن ﴿ **قال رب ارجعون** ﴾ الجمع للتعظيم[6].

١٠٠ ﴿ **لعلي أعمل صالحاً** ﴾ بأن أشهد أن لا إله إلا الله، يكون ﴿ **فيما تركت** ﴾ ضيعت من عمري، أي في مقابلته. قال تعالى ﴿ **كلا** ﴾ أي لا رجوع ﴿ **إنها** ﴾ أي «رب ارجعون» ﴿ **كلمة هو قائلها** ﴾ ولا فائدة له فيها ﴿ **ومن ورائهم** ﴾ أمامهم ﴿ **برزخ** ﴾ حاجز يصدهم عن الرجوع ﴿ **إلى يوم يبعثون** ﴾ ولا رجوع بعده.[7]

١٠١ ﴿ **فإذا نفخ**

تُسۡحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾
مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ
كُلُّ إِلَٰهِۢ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ
ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ
عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾
رَبِّ فَلَا تَجۡعَلۡنِي فِي ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن
نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمۡ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ
ٱلسَّيِّئَةَۚ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنۡ
هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحۡضُرُونِ ﴿٩٨﴾
حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ﴿٩٩﴾
لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ
وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ

=الثوب. هلم: تعالوا. تقاحمون: ترمون أنفسكم فيها من غير روية. الجنادب: جمع جندب وهو نوع من الجراد. فرطكم: هو الذي يتقدم الرفقة ليهيء لهم المنزل. أشتاتاً: متفرقين. القهقرى: إلى الوراء. ثغاء: اسم صوت الغنم. رغاء: اسم صوت البعير. حمحمة: اسم صوت الفرس].

(١) أي الحق الذي جاءهم. (٢) من اتخاذ الولد والشريك.

(٣) للفظ الجلالة في قوله ﴿سبحان الله﴾.

(٤) وأما بعده فيدفعون بالقتال.

(٥) إفساداتهم. أخرج أبو داود عن جبير بن مطعم رضي الله عنه: أنه رأى النبي ﷺ يصلي صلاة، قال عمرو: ولا أدري أي صلاة هي، قال: (الله أكبر كبيراً ـ ثلاثاً ـ والحمد لله كثيراً ـ ثلاثاً ـ وسبحان الله بكرة وأصيلاً ـ ثلاثاً ـ أعوذ بالله من الشيطان من نفخه ونفثه وهمزه) قال: نفثه الشعر ونفخه الكبر وهمزه المُوتة. والموتة الجنون لأن المجنون ينخسه الشيطان. قال عمرو: هو ابن مرة، أحد رواة الحديث.

[الحديث أخرجه أبو داود في سننه: كتاب الصلاة، باب: ما يستفتح به الصلاة من الدعاء، رقم: ٧٦٤].

(٦) أي عبر بضمير الجمع في ﴿ارجعون﴾ بدل الإفراد [ارجعني] تعظيماً.

(٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إذا وضع ـ يعني الكافر ـ في قبره، فيرى مقعده من النار،قال: فيقول: رب، ارجعون أتوب وأعمل صالحاً. قال: فيقال: قد عمرت ما كنت مُعَمَّراً. قال: فيضيق عليه قبره، فهو كالمنهوش، ينام ويفزع، تهوي إليه هوام الأرض وحياتها وعقاربها. [عمرت: عشت العمر الذي قدر لك أن تعيشه. كالمنهوش: كالذي لسعته عقربة أو عضته أفعى].

ـ وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: ويل لأهل المعاصي من أهل القبور، تدخل عليهم في قبورهم حيات سود ـ أو: دهم ـ حية عند رأسه، وحية عند رجليه يقرصانه حتى يلتقيا في وسطه، فذلك العذاب في البرزخ الذي قال

في الصور ﴾ القرن، النفخة الأولى أو الثانية ﴿ فلا أنساب بينهم يومئذٍ ﴾ يتفاخرون بها حينئذ ﴿ ولا يتساءلون ﴾عنها* بخلاف حالهم في دار الدنيا، لما يشغلهم من عظم ذلك الأمر عن ذلك في بعض مواطن القيامة، وفي بعضها يفيقون، وفي آية أخرى: «فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون» /الصافات: ٥٠/.

١٠٢ ﴿ فمن ثقلت موازينه ﴾ بالحسنات ﴿ فأولئك هم المفلحون ﴾ الفائزون.

١٠٣ ﴿ ومن خفت موازينه ﴾ بالسيئات ﴿ فأولئك الذين خسروا أنفسهم ﴾[1] فهم ﴿ في جهنم خالدون ﴾.

١٠٤ ﴿ تلفح وجوههم النار ﴾ تحرقها ﴿ وهم فيها كالحون ﴾ شمرت شفاههم العليا والسفلى عن أسنانهم.

١٠٥ ويقال لهم: ﴿ألم تكن آياتي﴾ من القرآن ﴿تتلى عليكم﴾ تخوفون بها ﴿فكنتم بها تكذبون﴾.

١٠٦ ﴿ قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا ﴾[2] وفي قراءة «شقاوتنا» بفتح أوله وألف، وهما مصدران بمعنى ﴿ وكنا قوماً ضالين ﴾ عن الهداية. ١٠٧ ﴿ ربنا أخرجنا منها فإن عدنا ﴾ إلى المخالفة ﴿ فإنا ظالمون ﴾. ١٠٨ ﴿ قال ﴾لهم بلسان مالك، من بعد مكثهم قدر الدنيا مرتين[3] ﴿ اخسؤوا فيها ﴾ابعدوا في النار أذلاء ﴿ولا تكلمون﴾ في رفع العذاب عنكم، فينقطع رجاؤهم. ١٠٩ ﴿ إنه كان فريق من عبادي ﴾ هم المهاجرون ﴿ يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين ﴾.

١١٠ ﴿ فاتخذتموهم سخرياً ﴾ بضم السين وكسرها، مصدر بمعنى الهزء، منهم: بلال، وصهيب، وعمار، وسلمان ﴿ حتى أنسوكم ذكري ﴾ فتركتموه لاشتغالكم بالاستهزاء بهم، فهم سبب الإنساء، فنسب إليهم ﴿ وكنتم منهم تضحكون ﴾.

١١١ ﴿ إني جزيتهم اليوم ﴾ النعيم المقيم ﴿ بما صبروا ﴾ على استهزائكم بهم وأذاكم إياهم ﴿ إنهم ﴾ بكسر الهمزة استئناف، وبفتحها مفعول ثانٍ لجزيتهم ﴿ هم الفائزون ﴾ بمطلوبهم.

١١٢ ﴿ قال ﴾ تعالى لهم بلسان مالك، وفي قراءة «قل» ﴿ كم لبثتم في الأرض ﴾ في أرض الدنيا، أو في قبوركم ﴿ عدد سنين ﴾ تمييز.

فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ (١٠١)
فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ (١٠٢)
وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ
فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ (١٠٣) تَلۡفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمۡ فِيهَا
كَٰلِحُونَ (١٠٤) أَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَكُنتُم بِهَا
تُكَذِّبُونَ (١٠٥) قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا وَكُنَّا قَوۡمٗا
ضَآلِّينَ (١٠٦) رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ (١٠٧)
قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ (١٠٨) إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡ
عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ
ٱلرَّٰحِمِينَ (١٠٩) فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي وَكُنتُم
مِّنۡهُمۡ تَضۡحَكُونَ (١١٠) إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ
هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ (١١١) قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ (١١٢)

الله تعالى: ﴿ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون﴾. [أخرج هذين الأثرين ابن أبي حاتم، كما ذكر ابن كثير في تفسيره] دهم: جمع أدهم وهو الأسود.

[1] غبنوها ونقصوها حقها.

[2] ملكتنا وسيطرت علينا أهواؤنا وشهواتنا. فشقينا بأعمالنا السيئة. والشقوة والشقاوة بمعنى واحد.

أخرج ابن أبي حاتم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (إن جهنم لما سيق لها أهلها يلقاهم لهبها، ثم تلفحهم لفحة، فلم يبق لهم لحم حتى سقط على العرقوب).

وأخرج ابن مردويه بسنده ـ أيضاً ـ عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ في قول الله: ﴿وتلفح وجوههم النار﴾. قال: (تلفحهم لفحة، فتسيل لحومهم على أعقابهم).

وروى الثوري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: ﴿وهم فيها كالحون﴾ قال: ألم تر إلى الراس المُشَيَّط، الذي قد بدا أسنانه وقلصت شفتاه. [المشيط: المحرق. قلصت: انشدت واجتمع بعضها إلى بعض] [ذكر هذا الأثر والخبزين قبله ابن كثير في تفسيره] وأخرج أحمد في مسنده [٨٨/٣] عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: ﴿وهم فيها كالحون﴾، قال: (تَشْويه النارُ، فتقلّصُ شفتُه العليا حتى تبلغ وسط رأسه، وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سُرّته).

[3] عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: أن أهل جهنم يدعون مالكاً خازن جهنم أربعين عاماً: يا مالك ليقض علينا ربك، فلا يجيبهم، ثم يقول: إنكم ماكثون. ثم ينادون ربهم: أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون، فيدعهم مثل عمر الدنيا مرتين، ثم يرد عليهم: اخسؤوا فيها ولا تكلمون. فما ينبس القوم بعد ذلك بكلمة، إن كان إلا الزفير والشهيق. ذكره البغوي بغير سند، وأخرجه الترمذي بمعناه عن أبي الدرداء رضي الله عنه [أبواب صفة جهنم، باب: ما جاء في صفة طعام أهل النار، رقم: ٢٥٨٩].

[فما ينبس. . : أي سكتوا ولم يتكلموا بكلمة أبداً].

* روى ابن أبي حاتم: أن ابن مسعود رضي الله عنه قال: إذا

١١٣ ﴿ قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم ﴾ شكوا في ذلك واستقصروه، لعظم ما هم فيه من العذاب ﴿فاسأل العادين﴾ الملائكة المحصين لأعمال الخلق.

١١٤ ﴿ قال ﴾ تعالى لهم بلسان مالك، وفي قراءة أيضاً «قل» لهم ﴿ إن ﴾ ما ﴿ لبثتم إلا قليلاً لو أنكم كنتم تعلمون ﴾ مقدار لبثكم من الطول، كان قليلاً بالنسبة إلى مقدار لبثكم في النار.

١١٥ ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً﴾ لا لحكمة ﴿وأنكم إلينا لا ترجعون﴾ بالبناء للفاعل وللمفعول(١)؟ لا، بل لنتعبدكم بالأمر والنهي، وترجعون إلينا، ونجازي على ذلك «وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون» /الذاريات: ٥٦/.

١١٦ ﴿ فتعالى الله ﴾ عن العبث وغيره مما لا يليق به ﴿الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش﴾ الكرسي(٢) ﴿ الكريم ﴾ الحسن.

١١٧ ﴿ ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به ﴾ صفة كاشفة لا مفهوم لها(٣) ﴿ فإنما حسابه ﴾ جزاؤه ﴿ عند ربه إنه لا يفلح الكافرون ﴾ لا يسعدون.

١١٨ ﴿ وقل رب اغفر وارحم ﴾ المؤمنين، في الرحمة زيادة عن المغفرة ﴿ وأنت خير الراحمين ﴾ أفضل من رحم.

(سورة النور)

(مدنية وآياتها ٦٢ أو ٦٤ آية)

قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن
لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا
خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ
ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾
وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا
حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾
وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾

(٢٤) سُورَةُ النُّورِ مَدَنِيَّة
وَآيَاتُهَا أَرْبَعٌ وَسِتُّونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ

بسم الله الرحمن الرحيم

١ هذه ﴿سورة أنزلناها وفرضناها﴾ مخففاً ومشدداً(٤)، لكثرة المفروض فيها ﴿ وأنزلنا فيها آيات بينات ﴾ واضحات الدلالة

كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين، ثم نادى مناد: ألا من كان له مظلمة فليجيء فليأخذ حقه. قال: فيفرح المرء أن يكون له الحق على والده أو ولده أو زوجته، وإن كان صغيراً. ومصداق ذلك في كتاب الله تعالى: ﴿فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون﴾ [تفسير ابن كثير].

وعن المسْوَر بن مخْرمة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (فاطمة بضعة مني، يقبضني ما يقبضها، ويبسطني ما يبسطها، وإن الأنساب تقطع يوم القيامة، غير نسبي وسببي وصهري) [مسند أحمد: ٤/٣٢٣] [نسبي: قرابتي بالولادة. سببي: قرابتي بالزواج والمصاهرة].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا على المنبر: (ما بال رجال يقولون: إن رحم رسول الله ﷺ لا تنفع قومه؟ بلى، والله إن رحمي موصولة في الدنيا والآخرة، وإني - أيها الناس - فَرَط لكم إذا جئتم، قال رجل: يا رسول الله، أنا فلان بن فلان، وقال أخوه: أنا فلان بن فلان. فأقول لهم: أما النسب فقد عرفتُ، ولكنكم أحدثتم بعدي وارتددتم القهقرى) [مسند أحمد: ٣/١٨] [فرط: هو الذي يسبق رفقته ليهيء لهم المنزل. أحدثتم: الأمور المبتدعة التي تخالف ما جئت به. القهقرى: رجعتم إلى الوراء عن الدين والشرع].

قال ابن كثير في تفسيره: وقد ذكرنا في مسند أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، من طرق متعددة: أنه لما تزوج أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب رضي الله عنهما قال: أما والله، ما بي إلا أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (كل سبب ونسب فإنه منقطع يوم القيامة، إلا سببي ونسبي). [ما بي: أي رغبة في الزواج، ولكني تزوجت بها لهذا المعنى الذي سمعته من رسول الله ﷺ].

---

(١) أي ﴿تَرْجِعُونَ﴾ و ﴿تُرْجَعُونَ﴾ قراءتان متواترتان.

(٢) التحقيق أن العرش غير الكرسي، وقد تكرر هذا مراراً.

(٣) أي قوله ﴿لا برهان له به﴾ لا يفهم منه أن هناك دعوى إله آخر لها برهان، وإنما هو لبيان الواقع وكشف الحقيقة: وهي أن كل دعوى إله آخر لا بد أن تكون بلا برهان، لأنها باطلة.

(٤) أي في قوله تعالى ﴿فَرَضناها﴾ قراءتان متواترتان، إحداهما بتخفيف الراء، أي بفتحها دون تشديد، والمعنى: أوجبنا ما فيها من الإحكام إيجاباً قطعياً مؤكداً تأكيداً لا يكاد يخفى. والثانية ﴿فرّضناها﴾ بتشديد الراء للمبالغة، وذلك لكثرة ما فرض فيها من أحكام، كحد الزنا وأحكامه، وكذلك القذف، واللعان، وآداب الاستئذان، وغض البصر. . وما إلى ذلك من أحكام له أثر كبير في حياة الفرد والجماعة، وفي قمة ذلك تبرئة بيت النبوة من اتهام المنافقين المفترين، وتوجيه الأمة إلى ضبط لسانها والحرص على سمو سمعة

﴿ لعلكم تذَّكَّرون ﴾ بإدغام التاء الثانية في الذال(١)، تتعظون.

٢ ﴿ الزانية والزاني ﴾ غير المحصنين، لرجمهما بالسنة(٢)، وأل فيما ذكر موصولة، وهو مبتدأ، ولشبهه بالشرط دخلت الفاء في خبره وهو ﴿ فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ﴾ ضربة، يقال: جلده ضرب جلده، ويزاد على ذلك بالسنة تغريب عام(٣)، والرقيق على النصف مما ذكر(٤) ﴿ ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ﴾ حكمه، بأن تتركوا شيئاً من حدهما ﴿ إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ﴾ يوم البعث، في هذا تحريض على ما قبل الشرط، وهو(٥) جوابه أو دال على جوابه ﴿ وليشهد عذابهما ﴾ الجلد ﴿ طائفة من المؤمنين ﴾ قيل: ثلاثة، وقيل: أربعة عدد شهود الزنا.

٣ ﴿ الزاني لا ينكح ﴾ يتزوج ﴿ إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زانٍ أو مشرك ﴾ أي المناسب لكل منهما ما ذكر ﴿ وحرم ذلك ﴾ أي نكاح الزواني ﴿ على المؤمنين ﴾ الأخيار، نزل ذلك لما هم فقراء المهاجرين أن يتزوجوا بغايا المشركين، وهن موسرات، لينفقن عليهم. فقيل: التحريم خاص بهم، وقيل: عام، ونسخ بقوله تعالى «وأنكحوا الأيامى(٦) منكم»/ النور: ٣٢/.

٤ ﴿ والذين يرمون المحصنات ﴾ العفيفات، بالزنا ﴿ ثم لم يأتوا بأربعة شهداء ﴾ على زناهن برؤيتهم ﴿ فاجلدوهم ﴾ كل واحد منهم ﴿ ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ﴾ في شيء ﴿ أبداً وأولئك هم الفاسقون ﴾ لإتيانهم كبيرة.

٥ ﴿ إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا ﴾ عملهم ﴿ فإن الله غفور ﴾ لهم قذفهم(٧) ﴿ رحيم ﴾ بهم بإلهامهم التوبة، فبها ينتهي فسقهم وتقبل شهادتهم، وقيل: لا تقبل، رجوعاً بالاستثناء إلى الجملة الأخيرة(٨).

٦ ﴿ والذين يرمون أزواجهم ﴾ بالزنا ﴿ ولم يكن لهم شهداء ﴾ عليه ﴿ إلا أنفسهم ﴾ وقع ذلك لجماعة من الصحابة ﴿ فشهادة أحدهم ﴾ مبتدأ ﴿ أربع شهادات ﴾ نصب على المصدر ﴿ بالله إنه لمن الصادقين ﴾ فيما رمى به زوجته من الزنى.

٧ ﴿ والخامسة أن لعنت الله عليه إن كان

لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ
مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن
كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ
مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً
وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى
ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟
بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ
شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ
تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾
وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ
أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ
ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ

بيوت أهل التقوى والدين.

(١) وهذا على قراءة تشديد الذال، وفي قراءة ﴿تَذَكُرون﴾ بتخفيف الذال، على حذف التاء الثانية.

(٢) اي لأنه ثبت بالسنة أن حكم حد المحصنين الرجم، أي الرمي بالحجارة حتى الموت. روى البخاري (٦٤٣٠) ومسلم (١٦٩١) أنه ﷺ قال للذي اعترف عنده بالزنا: (فهل أحصنت). قال: نعم، فقال النبي ﷺ: (اذهبوا به فارجموه). أحصنت: تزوجت.

[المحاربين، باب: لا يرجم المجنون والمجنونة. مسلم: الحدود، باب: رجم اليهود وأهل الذمة].

(٣) روى البخاري (٦٤٤٣) عن زيد بن خالد رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يأمر فيمن زنى ولم يحصن: جلد مائة وتغريب عام. [المحاربين، باب: البكران يجلدان وينفيان].

(٤) أي عقوبة الزاني المملوك خمسون جلدة وتغريب نصف عام، محصناً كان أم غيره. انظر/ النساء: ٢٥/.

(٥) اي ما قبل الشرط، وهو ﴿ولا تأخذكم..﴾.

(٦) جمع أيم، والأيم من لا زوج له من النساء أو الرجال، وهو يشمل الزناة وغيرهم، إلا أنه يكره تزويج الفاسق أو الزواج بالفاسقة.

(٧) اتهامهم العفيفات بالزنا. (٨) وهي ﴿وأولئك هم الفاسقون﴾.

سبب نزول الآية [٣]: عن عبد الله عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أن مرثد بن أبي مرثد الغنوي رضي الله عنه كان يحمل الأسارى من مكة حتى يأتي بهم المدينة، وكان بمكة بغي يقال لها عناق، وكانت صديقته، قال: جئت إلى النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله، أنكح عناق؟ قال: فسكت عني، فنزلت: ﴿الزاني لا ينكح إلا زانية..﴾ فدعاني وقرأها علي وقال: (لا تنكحها). [أبو داود: النكاح، باب: في قوله تعالى: ﴿الزاني لا ينكح إلا زانية﴾ رقم: ٢٠٥١. الترمذي: تفسير القرآن، باب: ومن سورة النور، رقم: ٣١٧٦].

سبب نزول الآيات [٤ - ٩]: عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي ﷺ بشريك بن سحماء، فقال له النبيّ ﷺ:

من الكاذبين ﴾ في ذلك، وخبر المبتدأ(١) محذوف، وهو: تدفع عنه حد القذف.

٨ ﴿ ويدرأ ﴾ يدفع ﴿ عنها العذاب ﴾ حد الزنا الذي ثبت بشهادته ﴿ أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين ﴾ فيما رماها به من الزنا.

٩ ﴿ والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين ﴾ في ذلك.

١٠ ﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته ﴾ بالستر في ذلك ﴿ وأن الله تواب ﴾ بقبوله التوبة في ذلك وغيره ﴿ حكيمٌ ﴾ فيما حكم به في ذلك وغيره، لبين الحق في ذلك، وعاجل بالعقوبة من يستحقها.

مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ
أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٨﴾ وَٱلْخَٰمِسَةَ
أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٩﴾
وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ
حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ
لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم
مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ
عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ
بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو
عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ
عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ
وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ

١١ ﴿ إن الذين جاؤوا بالإفك ﴾ أسوأ الكذب على عائشة رضي الله عنها أم المؤمنين، بقذفها ﴿ عصبة منكم ﴾ جماعة من المؤمنين، قالت: حسان بن ثابت وعبد الله بن أبي، ومسطح، وحمنة بنت جحش ﴿ لا تحسبوه ﴾ أيها المؤمنون غير العصبة ﴿ شراً لكم بل هو خير لكم ﴾ يأجركم الله به، ويظهر براءة عائشة ومن جاء معها منه، وهو صفوان، فإنها قالت: كنت مع النبي ﷺ في غزوة، بعدما أنزل الحجاب، ففرغ منها ورجع، ودنا من المدينة، وآذن بالرحيل ليلة، فمشيت وقضيت شأني، وأقبلت إلى الرحل، فإذا عقدي انقطع ـ هو بكسر المهملة: القلادة ـ فرجعت ألتمسه، وحملوا هودجي ـ هو ما يركب فيه ـ على بعيري يحسبونني فيه، وكانت النساء خفافاً، إنما يأكلن العلقة ـ هو بضم المهملة وسكون اللام ـ من الطعام ـ أي القليل ـ ووجدت عقدي، وجئت بعد ما ساروا، فجلست في المنزل الذي كنت فيه، وظننت أن القوم سيفقدونني فيرجعون إليّ، فغلبتني عيناي فنمت، وكان صفوان قد عرس من وراء الجيش، فادلج ـ هما بتشديد الراء والدال: أي نزل من آخر الليل للاستراحة ـ فسار منه فأصبح في منزله، فرأى سواد إنسان نائم ـ أي شخصه ـ فعرفني حين رآني، وكان يراني قبل الحجاب، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني ـ أي قوله: إنا لله وإنا إليه راجعون ـ فخمرت وجهي بجلبابي ـ أي غطيته بالملاءة ـ والله ما كلمني بكلمة، ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حين أناخ راحلته، ووطىء على يدها فركبتها، فانطلق يقود بي الراحلة، حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة ـ أي من أوغر ـ واقفين في مكان وعر من شدة الحر، فهلك من هلك فيَّ، وكان الذي تولى كبره منهم عبد الله بن أبي ابن سلول. انتهى قولها. رواه الشيخان(٢).
قال تعالى ﴿ لكل امرىء منهم ﴾ أي عليه ﴿ ما اكتسب من الإثم ﴾ في ذلك ﴿ والذي تولى كبره منهم ﴾ أي تحمل معظمه، فبدأ بالخوض فيه وأشاعه، وهو عبد الله ابن أبي ﴿ له عذاب عظيم ﴾ هو النار في الآخرة.

١٢ ﴿ لولا ﴾ هلا ﴿ إذ ﴾ حين ﴿ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم ﴾ ظن بعضهم ببعض ﴿ خيراً وقالوا هذا إفك مبين ﴾ كذب بين. فيه التفات عن الخطاب، أي ظننتم أيها العصبة وقلتم.

---

(١) وهو قوله: ﴿فشهادة أحدهم﴾.

(٢) رواه البخاري في الشهادات، باب: تعديل النساء بعضهن بعضاً، رقم: ٢٥١٨. ومسلم في التوبة، باب: في حديث الإفك وقبول توبة القاذف، رقم: ٢٧٧٠. وما بين المعترضات شرح من المفسر، وليس من أصل الحديث.

[آذن: أعلم وأمر. شأني: حاجتي من بول أو غائط. الرحل: مكان نزولي وبعيري الذي أركب عليه. ألتمسه: أطلبه وأفتش عنه. هما: أي الفعلان عرّس وادّلج. منزله: منزل الجيش. موغرين: داخلين في شدة الحر أول وقتها. فهلك.. فيَّ: بسببي، لتكلمه بما هو سبب هلاكه وعقوبته]

(البينة أو حدّ في ظهرك). فقال: يا رسول الله، إذا رأى أحدنا على امرأته رجلاً ينطلق يلتمس البينة؟ فجعل النبيّ ﷺ يقول: (البينة وإلا حدّ في ظهرك). فقال هلال: والذي بعثك بالحقّ إني لصادق، فلينزلنّ الله ما يبرىء ظهري من الحدّ. فنزل جبريل، وأنزل عليه: ﴿والذين يرمون أزواجهم﴾

١٣ ﴿لولا﴾ هلا ﴿جاؤوا﴾ أي العصبة ﴿عليه بأربعة شهداء﴾ شاهدوه ﴿فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله﴾ في حكمه ﴿هم الكاذبون﴾ فيه.

١٤ ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم(١) فيما أفضتم﴾ أيها العصبة، أي خضتم ﴿فيه عذاب عظيم﴾ في الآخرة.

١٥ ﴿إذ تلقونه بألسنتكم﴾ أي يرويه بعضكم عن بعض، وحذف من الفعل إحدى التاءين(٢)، وإذ منصوب بمسكم أو بأفضتم ﴿وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هيناً﴾ لا إثم فيه ﴿وهو عند الله عظيم﴾ في الإثم.

١٦ ﴿ولولا﴾ هلا ﴿إذ﴾ حين ﴿سمعتموه قلتم ما يكون﴾ ما ينبغي ﴿لنا أن نتكلم بهذا سبحانك﴾ هو للتعجب هنا ﴿هذا بهتان﴾ كذب ﴿عظيم﴾.

١٧ ﴿يعظكم الله﴾ ينهاكم ﴿أن تعودوا لمثله أبداً إن كنتم مؤمنين﴾ تتعظون بذلك.

١٨ ﴿ويبين الله لكم الآيات﴾ في الأمر والنهي ﴿والله عليم﴾ بما يأمر به وينهى عنه ﴿حكيم﴾ فيه.

عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ
بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ
ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن
نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ
ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ
ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾
وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ
رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ
ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ
بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ

١٩ ﴿إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة﴾ باللسان ﴿في الذين آمنوا﴾ بنسبتها إليهم، وهم العصبة ﴿لهم عذاب أليم في الدنيا﴾ بحد القذف ﴿والآخرة﴾ بالنار لحق الله ﴿والله يعلم﴾ انتفاءها عنهم ﴿وأنتم﴾ أيها العصبة، بما قلتم من الإفك ﴿لا تعلمون﴾ وجودها فيهم.

٢٠ ﴿ولولا فضل الله عليكم﴾ أيها العصبة ﴿ورحمته وأن الله رؤوف رحيم﴾ بكم لعاجلكم بالعقوبة.

٢١ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان﴾ طرق تزيينه ﴿ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه﴾ أي المتبَع ﴿يأمر بالفحشاء﴾ أي القبيح ﴿والمنكر﴾ شرعاً، باتباعها(٣) ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته

---

(١) لأصابكم.

(٢) فأصله: تتلقونه.

(٣) أي يأمر باتباع الفحشاء والمنكر.

فائدة: عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت ـ أو: وسوست ـ به أنفسها ما لم تعمل به أو تتكلم». [البخاري: الأيمان والنذور، باب: إذا حنث ناسياً في الأيمان، رقم: ٦٢٨٧. مسلم: الإيمان، باب: تجاوز الله عن حديث النفس والخواطر. . .، رقم: ١٢٧] [تجاوز: عفا ولم يؤاخذ. وسوست وحدثت: ما يخطر في البال من الشر].

وعن ثوبان رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «لا تؤذوا عباد الله ولا تعيروهم ولا تطلبوا عوراتهم، فإنه من طلب عورة أخيه المسلم طلب الله عورته، حتى يفضحه في بيته» [مسند أحمد: ٥/٢٧٩].

فقرأ حتى بلغ: ﴿إن كان من الصادقين﴾.

وعن سهل بن سعد الساعديّ رضي الله عنه: أنَّ عويمراً العجلاني جاء إلى عاصم بن عدي الأنصاري، فقال له: يا عاصم، أرأيت رجلاً وجد مع امرأته رجلاً، أيقتله فتقتلونه، أم كيف يفعل؟ سل لي يا عاصم عن ذلك رسول الله ﷺ، فسأل عاصم عن ذلك رسول الله ﷺ، فكره رسول الله ﷺ المسائل وعابها، حتى كبر على عاصم ما سمع من رسول الله ﷺ، فلما رجع عاصم إلى أهله جاء عويمر فقال: يا عاصم، ماذا قال لك رسول الله ﷺ؟ فقال عاصم: لم تأتني بخير، قد كره رسول الله ﷺ المسألة التي سألته عنها، قال عويمر: والله لا أنتهي حتى أسأله عنها. فأقبل عويمر حتى أتى رسول الله ﷺ وسط الناس فقال: يا رسول الله، أرأيت رجلاً وجد مع امرأته رجلاً، أيقتله فتقتلونه، أم كيف يفعل؟ فقال رسول الله ﷺ: (قد أنزل الله فيك وفي صاحبتك ، فاذهب فأت بها). فتلاعنا وأنا مع الناس عند رسول الله ﷺ، فلما فرغا قال عويمر: كذبت عليها يا رسول إن أمسكتها. فطلقها ثلاثاً قبل أن يأمره رسول الله ﷺ. قال ابن شهاب فكانت تلك سنة المتلاعنين. [فكانت: أي التفرقة الأبدية بين المتلاعنين هي الحكم الشرعي الثابت والمعمول به]. [البخاري: التفسير/النور، باب: ﴿ويدرأ عنها العذاب أن تشهد. . .، رقم ٤٤٧٠. الطلاق، باب: من أجاز طلاق الثلاث، رقم: ٤٩٥٩. مسلم: أول اللعان، رقم: ١٤٩٢. وانظر فتح الباري في الأبواب المذكورة لدى البخاري].

قال الحافظ ابن حجر: اختلف الأئمة في هذا الموضع، فمنهم من رجح أنها نزلت في شأن عويمر، ومنهم من رجح أنها نزلت في شأن هلال، ومنهم من جمع بينهما، بأن أوّل من وقع له ذلك هلال، وصادف مجيء عويمر أيضاً فنزلت في شأنهما معاً في وقت واحد، وقد جنح النووي إلى هذا

﴿ما زكى منكم﴾ أيها العصبة، بما قلتم من الإفك ﴿من أحد أبداً﴾ أي ما صلح وطهر من هذا الذنب بالتوبة منه ﴿ولكن الله يزكي﴾ يطهر ﴿من يشاء﴾ من الذنب بقبول توبته منه ﴿والله سميع﴾ بما قلتم ﴿عليم﴾ بما قصدتم.

٢٢ ﴿ولا يأتل﴾ يحلف ﴿أولو الفضل﴾ أصحاب الغنى ﴿منكم والسعة أن﴾ لا ﴿يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله﴾ نزلت في أبي بكر، حلف: أن لا ينفق على مسطح، وهو ابن خالته، مسكين مهاجر بدري، لما خاض في الإفك، بعد أن كان ينفق عليه. وناس من الصحابة، أقسموا: أن لا يتصدقوا على من تكلم بشيء من الإفك ﴿وليعفوا وليصفحوا﴾ عنهم في ذلك ﴿ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم﴾ للمؤمنين؟ قال أبو بكر: بلى، أنا أحب أن يغفر الله لي. ورجع إلى مسطح ما كان ينفقه عليه.

٢٣ ﴿إن الذين يرمون﴾ بالزنا ﴿المحصنات﴾ العفائف ﴿الغافلات﴾ عن الفواحش، بأن لا يقع في قلوبهن فعلها ﴿المؤمنات﴾ بالله ورسوله ﴿لعنوا في الدنيا والآخرة(١) ولهم عذاب عظيم﴾.

٢٤ ﴿يوم﴾ ناصبه الاستقرار الذي تعلق به لهم(٢) ﴿تشهد﴾ بالفوقانية والتحتانية(٣) ﴿عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون﴾ من قول وفعل، وهو يوم القيامة.

٢٥ ﴿يومئذٍ يوفيهم الله دينهم الحق﴾ يجازيهم جزاءهم الواجب عليهم ﴿ويعلمون أن الله هو الحق المبين﴾ حيث حقق لهم جزاءه الذي كانوا يشكون فيه، ومنهم عبد الله بن أبي. والمحصنات هنا أزواج النبي ﷺ، لم يذكر في قذفهن توبة، ومن ذكر في قذفهن أول السورة التوبة غيرهن(٤).

٢٦ ﴿الخبيثات﴾ من النساء ومن الكلمات ﴿للخبيثين﴾ من الناس ﴿والخبيثون﴾ من الناس ﴿للخبيثات﴾ مما ذكر ﴿والطيبات﴾ مما ذكر ﴿للطيبين﴾ من الناس ﴿والطيبون﴾ منهم ﴿للطيبات﴾ مما ذكر، أي اللائق بالخبيث مثله، ويالطيب مثله ﴿أولئك﴾ الطيبون من الرجال، والطيبات من النساء، ومنهم عائشة وصفوان ﴿مبرؤون مما يقولون﴾ أي الخبيثون والخبيثات من الرجال والنساء، فيهم ﴿لهم﴾ للطيبين والطيبات ﴿مغفرة ورزق كريم﴾ من الجنة، وقد افتخرت عائشة بأشياء، منها: أنها خلقت طيبة، ووعدت مغفرة ورزقاً كريماً(٥).

مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ
وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ (٢١) وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ
وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ
فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ
ٱللَّهُ لَكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ (٢٢) إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ
ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنْيَا
وَٱلْأٓخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٞ (٢٣) يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ
أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ (٢٤)
يَوْمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ
ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ (٢٥) ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ
لِلْخَبِيثَٰتِۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ
مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ لَهُم مَّغْفِرَةٞ وَرِزْقٞ كَرِيمٞ (٢٦)

---

(١) عذبوا في الدنيا بالحد، ويعدوا عن الثناء الحسن على لسان المؤمنين. وطردوا في الآخرة من رحمة الله تعالى، ودخلوا النار إن لم يتوبوا قبل موتهم.

(٢) أي الذي عمل النصب في الظرف ﴿يوم﴾ هو معنى الاستقرار المقدر الذي تعلق به ﴿لهم﴾ والذي هو خبر مقدم للمبتدأ ﴿عذاب عظيم﴾. والتقدير: عذاب عظيم مستقر لهم يوم..

(٣) الفوقانية التاء، أي ﴿تشهد﴾. والتحتانية الياء، أي ﴿يشهد﴾. والقراءتان متواترتان.

(٤) أي لم يذكر في قذف المحصنات هنا مثل ما ذكر أول السورة من قوله ﴿إلا الذين تابوا..﴾ وذلك لتهويل الافتراء على بيت النبوة وتعظيم شأنه، وإلا فهو معصية مثل غيرها من سائر المعاصي التي تمحى بالتوبة ممن وقع منه ذلك. وينبغي أن يعلم أن اتهام عائشة رضي الله عنها بذلك ـ بعد نزول الآيات ببراءتها ـ كفر، لمصادمته صريح القرآن العظيم، ولذلك صار اعتقاد براءتها في ذلك شرطاً في صحة إيمان المسلم.

(٥) لأن الآيات نزلت بسببها وبشأنها، وأنها من الطيبات، ووعدت المغفرة والرزق الكريم.

وسبقه الخطيب فقال: لعلهما اتفق كونهما جاءا في وقت واحد.

وقال: ويحتمل أن النزول سبق بسبب هلال، فلما جاء عويمر ـ ولم يكن علم بما وقع لهلال ـ أعلمه النبيّ ﷺ بالحكم، ولهذا قال في قصة هلال: (فنزل جبريل) وفي قصة عويمر: (قد أنزل الله فيك). فيؤوّل قوله: (قد أنزل الله فيك): أي وفيمن كان مثلك، وبهذا أجاب ابن الصباغ في الشامل، قال وجنح القرطبي إلى تجويز نزول الآية مرّتين.

٢٧ ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا** ﴾ تستأذنوا ﴿ **وتسلموا على أهلها** ﴾ فيقول الواحد: السلام عليكم، أأدخل؟ كما ورد في الحديث(١) ﴿ **ذلكم خير لكم** ﴾ من الدخول بغير استئذان ﴿ **لعلكم تذَّكرون** ﴾ بإدغام التاء الثانية في الذال(٢): خيريته فتعملوا به.

٢٨ ﴿ **فإن لم تجدوا فيها أحداً** ﴾ يأذن لكم ﴿ **فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم** ﴾ بعد الاستئذان ﴿ **ارجعوا فارجعوا هو** ﴾ الرجوع ﴿ **أزكى** ﴾ خير ﴿ **لكم** ﴾ من القعود على الباب(٣) ﴿ **والله بما تعملون** ﴾ من الدخول بإذن وغير إذن ﴿ **عليم** ﴾ فيجازيكم عليه.

٢٩ ﴿ **ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتاً غير مسكونة فيها متاع** ﴾ أي منفعة ﴿ **لكم** ﴾ باستكنان وغيره(٤)، كبيوت الربط والخانات المسبلة(٥) ﴿ **والله يعلم ما تبدون** ﴾ تظهرون ﴿ **وما تكتمون** ﴾ تخفون في دخول غير بيوتكم، من قصد صلاح أو غيره. وسيأتي أنهم إذا دخلوا بيوتهم يسلمون على أنفسهم /الآية: ٦١/.

٣٠ ﴿ **قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم** ﴾ عما لا يحل لهم نظره، ومن زائدة(٦) ﴿ **ويحفظوا فروجهم** ﴾ عما لا يحل لهم فعله بها ﴿ **ذلك أزكى** ﴾ أي خير ﴿ **لهم إن الله خبير بما يصنعون** ﴾ بالأبصار والفروج، فيجازيهم عليه.

٣١ ﴿ **وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن** ﴾ عما لا يحل لهن نظره ﴿ **ويحفظن فروجهن** ﴾ عما لا يحل لهن فعله بها ﴿ **ولا يبدين** ﴾ يظهرن ﴿ **زينتهن إلا ما ظهر منها** ﴾ وهو الوجه والكفان، فيجوز نظره لأجنبي إن لم يخف فتنة في أحد وجهين، والثاني يحرم، لأنه مظنة الفتنة، ورجح حسماً للباب(٧) ﴿ **وليضربن بخمرهن على جيوبهن** ﴾ أي يسترن الرؤوس والأعناق والصدور بالمقانع(٨) ﴿ **ولا يبدين زينتهن** ﴾ الخفية، وهي ما عدا الوجه والكفين ﴿ **إلا لبعولتهن** ﴾ جمع بعل، أي زوج ﴿ **أو آبائهن أو آباء بعولتهن**

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ
تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٌ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ
تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ
يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ
لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَّيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ
أَن تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ مَسۡكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ
مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ ﴿٢٩﴾ قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ
أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ
خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ
مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا
مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ وَلَا يُبۡدِينَ
زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوۡ ءَابَآئِهِنَّ أَوۡ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ

---

(١) عن كَلَدَة بن حنبل رضي الله عنه قال: دخلت على النبي ﷺ ولم أسلم ولم أستأذن، فقال النبي ﷺ: (ارجع فقل: السلام عليكم، أأدخل). [أبو داود: الأدب، باب: كيف الاستئذان. الترمذي: الاستئذان، باب: ما جاء في التسليم قبل الاستئذان].

(٢) وفي قراءة ﴿تَذَكْرُون﴾ بحذف التاء الثانية.

(٣) وأطهر، لما فيه من أمن الوقوع في الرذائل والمفاسد.

(٤) كالبيع والشراء، والاستكنان الالتجاء إلى مكان يستر من الحر أو البرد.

(٥) الربط جمع رباط، وهي البيوت التي تبنى ليأوي إليها الفقراء الذين لا مأوى لهم. والخانات جمع خان، وهي البيوت التي ينزل فيها المسافرون كالفنادق اليوم، والمسبلة: أي التي يبيت فيها النزلاء بدون أجرة.

(٦) أي لتأكيد معنى غض الأبصار، وهو خفضها عن النظر إلى المحرمات مطلقاً. وأصل الغض إطباق الجفن بحيث يمنع الرؤية. ويجوز أن تكون ﴿من﴾ للتبعيض، والمعنى واحد، أي يغضوا أبصارهم عن بعض المرئيات، وهي ما حرم الله النظر إليه.

(٧) إغلاقاً لباب الفساد، وهذا هو الصحيح الذي تؤيده الأدلة. أخرج مسلم عن جرير رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن نظرة الفجاءة؟ قال: (اصرف بصرك). وأخرج أبو داود والترمذي عن بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لعلي: (يا علي لا تتبع النظرة النظرة، فإن لك الأولى وليست لك الثانية).

(٨) المقانع جمع مقنعة وهي ما يستر الوجه، وقد تبدي المرأة منها إحدى عينيها أو عينيها. والخمر جمع خمار، وهو ما تغطي به المرأة رأسها. والجيوب جمع جيب، وهو شق الثوب من ناحية الرأس.

سبب نزول الآية [٢٧]: أخرج الواحدي بسنده، وابن جرير عن عدي بن ثابت قال: جاءت امرأة من الأنصار فقالت: يا رسول الله، إني أكون في بيتي على حال لا أحب أن يراني عليها أحد، لا والد ولا ولد، فيأتي الأب فيدخل عليّ، وإنه لا يزال يدخل عليّ رجل من أهلي وأنا على تلك الحال، فكيف أصنع؟ فنزلت هذه الآية: ﴿ لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنِسُوا وتُسلِّموا على أهْلِها ﴾ الآية.

وعن مقاتل بن حبان قال: لما نزلت آية الاستئذان في البيوت قال أبو بكر: يا رسول الله، فكيف بتجار قريش الذين يختلفون بين مكة والمدينة والشام، ولهم بيوت معلومة على الطريق، فكيف يستأذنون، يسلمون وليس فيها سكان؟ فنزلت: ﴿ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتاً غير مسكونة﴾

أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن ﴾ فيجوز لهم نظره إلا ما بين السرة والركبة، فيحرم نظره لغير الأزواج(١). وخرج بنسائهن الكافرات فلا يجوز للمسلمات التكشف لهن، وشمل ما ملكت أيمانهن العبيد ﴿ **أو التابعين** ﴾ في فضول الطعام(٢) ﴿ **غير** ﴾ بالجر صفة، والنصب استثناء ﴿ **أولي الإربة** ﴾ أصحاب الحاجة إلى النساء ﴿ **من الرجال** ﴾ بأن لم ينتشر ذكر كل منهم ﴿ **أو الطفل** ﴾ بمعنى الأطفال ﴿ **الذين لم يظهروا** ﴾ يطلعوا ﴿ **على عورات النساء** ﴾ للجماع(٣)، فيجوز أن يبدين لهم ما عدا بين السرة والركبة ﴿ **ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن** ﴾ من خلخال يتقعقع(٤) ﴿ **وتوبوا إلى الله جميعاً أيه المؤمنون** ﴾ مما وقع لكم من النظر الممنوع منه، ومن غيره ﴿ **لعلكم تفلحون** ﴾ تنجون من ذلك بقبول التوبة منه، وفي الآية تغليب الذكور على الإناث(٥).

٣٢ ﴿**وأنكحوا الأيامى منكم**﴾ جمع أيم، وهي من ليس لها زوج بكراً كانت أو ثيباً، ومن ليس له زوج، وهذا في الأحرار والحرائر ﴿ **والصالحين** ﴾ المؤمنين ﴿ **من عبادكم وإمائكم** ﴾(٦) وعباد من جموع عبد ﴿ **إن يكونوا** ﴾ الأحرار ﴿ **فقراء يغنهم الله** ﴾ بالتزوج ﴿ **من فضله والله واسع** ﴾ لخلقه ﴿ **عليم** ﴾ بهم.

٣٣ ﴿ **وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً** ﴾ ما ينكحون به من مهر ونفقة، عن الزنا وغيره ﴿ **حتى يغنيهم الله** ﴾ يوسع عليهم ﴿ **من فضله** ﴾ فينكحوا ﴿ **والذين يبتغون الكتاب** ﴾ بمعنى المكاتبة(٧) ﴿ **مما ملكت أيمانكم** ﴾ من العبيد والإماء ﴿ **فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيراً** ﴾ أي أمانة وقدرة على الكسب لأداء مال الكتابة، وصيغتها مثلاً: كاتبتك على ألفين في شهرين، كل شهر ألف، فإذا أديتهما فأنت حر، فيقول: قبلت ﴿ **وآتوهم** ﴾ أمر للسادة ﴿ **من مال الله الذي آتاكم** ﴾ ما يستعينون به في أداء ما التزموه لكم ، وفي معنى الإيتاء حط شيء مما التزموه ﴿ **ولا تكرهوا فتياتكم** ﴾ إماءكم ﴿ **على البغاء** ﴾ الزنا ﴿ **إن أردن تحصناً** ﴾ تعففاً عنه، وهذه الإرادة محل الإكراه، فلا مفهوم للشرط(٨)

أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ
أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ
ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ
لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ
لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ
ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ
وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ
يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَلْيَسْتَعْفِفِ
ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ
وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ
إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ
ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ

---

(١) أخرج مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل، ولا المرأة إلى عورة المرأة. ولا يفضي الرجل إلى الرجل في ثوب واحد، ولا تفضي المرأة إلى المرأة في الثوب الواحد).
[مسلم: الحيض، باب: تحريم النظر إلى العورات، رقم: ٣٣٨]. [يفضي: يصل إليه وتلامس بشرته بشرته].

(٢) أي ليس لهم غرض إلا اكتساب الأكل.

(٣) أي لم يبلغوا حداً يدركون فيه معنى العورة والجماع ويحكون ما رأوا.

(٤) يظهر له صوت.

(٥) أي غلب الذكور على الإناث في الخطاب بقوله ﴿توبوا..﴾ وإلا فالخطاب للجميع.

(٦) أي المملوكين من الرجال والنساء، وإمائكم جمع أَمَة وهي المرأة المملوكة.

(٧) وهي أن يتعاقد العبد مع سيده على مقدار من المال، إذا أداه أصبح حراً.

(٨) أي لا يتحقق معنى الإكراه إلا إذا كانت عندهن إرادة التحصن، أما إذا لم يكن عندهن ذلك، وكان لديهن ميل للزنا، فلا إكراه حينئذٍ، فقوله «إن أردن...» لبيان هذا المعنى، ولا يفهم منه جواز الإكراه عند عدم إرادة التحصن، فطلب الزنا منهن ممنوع مطلقاً، وكذلك فعلهن له.

أسباب نزول الآية [٣٣]: قوله ﴿والذين يبتغون الكتاب..﴾ قال الواحدي: نزلت في غلام لحويطب بن عبد العزى يقال له صبيح، سأل مولاه أن يكاتبه فأبى عليه، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وكاتبه حويطب على مائة دينار، ووهب له منها عشرين ديناراً، فأداها، وقتل يوم حنين في الحرب.

وقوله: ﴿ولا تكرهوا فتياتكم..﴾ أخرج مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كان عبد الله بن أبيّ يقول لجارية له: اذهبي فابغينا شيئاً، فأنزل الله عز وجل: ﴿ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء﴾ الآية.

وعنه أيضاً رضي الله عنه: أن جارية لعبد الله بن أبيّ يقال لها مسيكة، وأخرى يقال لها أميمة، فكان يكرههما على الزنا، فشكتا ذلك إلى النبيّ ﷺ، فأنزل الله: ﴿ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء﴾ الآية. [مسلم: التفسير، باب: في قوله تعالى: ﴿ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء﴾ رقم: ٣٠٢٩].

﴿ لتبتغوا ﴾ بالإكراه ﴿ عرض الحياة الدنيا ﴾ نزلت في عبد الله بن أبي، كان يكره جواري له على الكسب بالزنا ﴿ ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور ﴾ لهن ﴿ رحيم ﴾ بهن.

٣٤ ﴿ ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات ﴾ بفتح الياء وكسرها: في هذه السورة، بين فيها ما ذكر، أو: بَيِّنَة(١) ﴿ ومثلاً ﴾ خبراً عجيباً، وهو خبر عائشة ﴿ من الذين خلوا من قبلكم ﴾ أي من جنس أمثالهم، أي أخبارهم العجيبة كخبر يوسف(٢) ومريم ﴿ وموعظة للمتقين ﴾ في قوله تعالى «ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله» «لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون» الخ «ولولا إذ سمعتموه» الخ «يعظكم الله أن تعودوا» الخ، وتخصيصها بالمتقين لأنهم المنتفعون بها.

٣٥ ﴿ الله نور السماوات والأرض ﴾ أي منورهما بالشمس والقمر(٣) ﴿ مثل نوره ﴾ أي صفته في قلب المؤمن ﴿ كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة ﴾ هي القنديل، والمصباح السراج أي الفتيلة الموقودة، والمشكاة الطاقة غير النافذة، أي(٤) الأنبوبة في القنديل ﴿ الزجاجة كأنها ﴾ والنور فيها ﴿ كوكب دُرِّيٌّ ﴾ مضي، بكسر الدال وضمها، من الدرء بمعنى الدفع، لدفعه للظلام، وبضمها وتشديد الياء(٥) منسوب إلى الدر: وهو اللؤلؤ ﴿ تَوَقَّدَ ﴾ المصباح: بالماضي، وفي قراءة بمضارع أَوْقَدَ مبنياً للمفعول بالتحتانية، وفي أخرى «تُوقَدُ» بالفوقانية، أي الزجاجة ﴿ من ﴾ زيت ﴿ شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية ﴾ بل بينهما، فلا يتمكن منها حر ولا برد مضرين ﴿ يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ﴾ لصفائه ﴿ نور ﴾ به ﴿ على نور ﴾ بالنار، ونور الله - أي هداه للمؤمن - نور على نور الإيمان ﴿ يهدي الله لنوره ﴾ لدين الإسلام ﴿ من يشاء ويضرب ﴾ يبين ﴿ الله الأمثال للناس ﴾ تقريباً لأفهامهم ليعتبروا فيؤمنوا ﴿ والله بكل شيء عليم ﴾ ومنه ضرب الأمثال.

٣٦ ﴿ في بيوت ﴾ متعلق بيسبح الآتي ﴿ أذن الله أن ترفع ﴾ تعظم(٦) ﴿ ويذكر فيها اسمه ﴾ بتوحيده ﴿ يسبِّح ﴾ بفتح الموحدة وكسرها، أي يصلي ﴿ له فيها بالغدو ﴾ مصدر بمعنى الغدوات وهي البكور(٧) ﴿ والآصال ﴾ العشايا من بعد الزوال.

٣٧ ﴿ رجال ﴾ فاعل يسبح بكسر الباء، وعلى فتحها: نائب الفاعل «له»(٨)، ورجال فاعل فعل مقدر جواب سؤال مقدر، كأنه: قيل من يسبحه(٩)؟ ﴿ لا تلهيهم تجارة ﴾ شراء ﴿ ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة ﴾(١٠) حذف هاء إقامة تخفيف ﴿ وإيتاء الزكاة(١١)

تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ
فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ
إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ
وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾ * ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ
مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ
ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ
زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ
تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ
وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾
فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ
لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ
وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ

---

(١) وهذه راجعة إلى قراءة الكسر، والمعنى: واضحات، من بيّن بمعنى تبيّن.

(٢) يوسف النجار الذي اتهم اليهود به مريم عليه السلام.

(٣) أو المراد: أن دلائل وجود الله تعالى وقدرته وأسباب هدايته ساطعة باهرة، ظاهرة في عوالم السماوات والأرض كظهور الضياء الممثل به.

(٤) الأولى أن يقال: أو.

(٥) فالقراءات: ﴿ دِرِّيءٌ ﴾ و ﴿ دُرِّيءٌ ﴾ و ﴿ دُرِّيٌّ ﴾ والثلاثة متواترة.

(٦) حساً: ببنائها المتين كأبنية البلد، وحفظها من القذارات والنجاسات، ومعنًى: بالعبادة والعلم والذكر والأدب.

(٧) أوائل النهار.

(٨) أي الجار والمجرور ﴿له﴾ هو نائب الفاعل لِيُسَبَّح.

(٩) فأجيب: يسبحه رجال.

(١٠) أداؤها في أوقاتها، مع المحافظة على الإتيان بشروطها وأركانها وآدابها كاملة.

(١١) إعطاؤها لمستحقيها فور تحقق وجوبها والتمكن من توزيعها.

وأخرج سعيد بن منصور عن عكرمة: أن عبد الله بن أبيّ كانت له أمتان: مسيكة، ومعاذة، فكان يكرههما على الزنا، فقالت إحداهما: إن كان خيراً فقد استكثرت منه، وإن كان غير ذلك فإنه ينبغي أن أدعه، فأنزل الله: ﴿ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء﴾ الآية. [السيوطي].

وقال الواحدي: قال مقاتل: نزلت في ست جوار لعبد الله بن أبيّ، كان يكرههن على الزنا ويأخذ أجورهن، وهن: معاذة ومسيكة وأميمة وعمرة وأروى وقتيلة، فجاءت إحداهن ذات يوم بدينار وجاءت أخرى بدونه، فقال لهما: ارجعا فازنيا، فقالتا: والله لا نفعل، قد جاءنا الله بالإسلام وحرم الزنا. فأتيا رسول الله ﷺ وشكيتا إليه، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وأخرج الواحدي - أيضاً - بسنده عن الزهري: أن رجلاً من قريش أسر يوم بدر، وكان عند عبد الله بن أبيّ أسيراً، وكانت لعبد الله جارية يقال لها

يخافون يوماً تتقلب ﴾ تضطرب ﴿ فيه القلوب والأبصار ﴾ من الخوف: القلوب بين النجاة والهلاك، والأبصار بين ناحيتي اليمين والشمال، هو يوم القيامة.

٣٨ ﴿ ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ﴾ أي ثوابه، وأحسن بمعنى حسن(١) ﴿ ويزيدهم من فضله(٢) والله يرزق من يشاء بغير حساب ﴾ يقال: فلان ينفق بغير حساب، أي يوسع كأنه لا يحسب ما ينفقه.

٣٩ ﴿ والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة ﴾ جمع قاع أي فلاة، وهو(٣): شعاع يرى فيها نصف النهار في شدة الحر يشبه الماء الجاري ﴿ يحسبه ﴾ يظنه ﴿ الظمآن ﴾ أي العطشان ﴿ ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ﴾ مما حسبه، كذلك الكافر: يحسب أن عمله كصدقة ينفعه، حتى إذا مات وقدم على ربه لم يجد عمله، أي لم ينفعه ﴿ ووجد الله عنده ﴾ أي عند عمله ﴿ فوفاه حسابه﴾ أي جازاه عليه في الدنيا(٤) ﴿ والله سريع الحساب ﴾ أي المجازاة(٥).

٤٠ ﴿ أو ﴾ الذين كفروا أعمالهم السيئة ﴿ كظلمات في بحر لجي ﴾ عميق(٦) ﴿ يغشاه موج من فوقه ﴾ أي الموج ﴿ موج(٧) من فوقه ﴾ أي الموج الثاني ﴿ سحاب ﴾ غيم، هذه ﴿ ظلمات بعضها فوق بعض ﴾ ظلمة البحر، وظلمة الموج الأول، وظلمة الثاني، وظلمة السحاب ﴿ إذا أخرج ﴾ الناظر ﴿ يده ﴾ في هذه الظلمات ﴿ لم يكد يراها ﴾ أي لم يقرب من رؤيتها ﴿ ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور ﴾ أي من لم يهده الله لم يهتد.

٤١ ﴿ ألم ترَ أن الله يسبح لـه من في السموات والأرض ﴾ ومن التسبيح صلاة ﴿ والطير ﴾ جمع طائر بين السماء والأرض ﴿ صافات ﴾ حال، باسطات أجنحتهن ﴿ كل قد علم ﴾ الله ﴿ صلاته وتسبيحه(٨) والله عليم بما يفعلون ﴾ فيه تغليب العاقل.

٤٢ ﴿ ولله ملك السموات والأرض ﴾ خزائن المطر والرزق والنبات ﴿ وإلى الله المصير ﴾ المرجع.

يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ
ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ
مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ
كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ
يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ
ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ
مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ
بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ
لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن
فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ
صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾
وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾

---

(١) أي يجازون على كل عمل حسن بثواب أحسن منه.

(٢) عطاء لم يخطر في بالهم. (٣) أي السراب.

(٤) أي يتحقق أن الله تعالى قد أسلف له في الدنيا جزاء وافياً عن الأعمال التي صورتها كالأعمال الصالحة. أو المراد: عذبه عذاباً شديداً وافياً على كفره، وعدم تحقيقه الإيمان الذي يتوقف عليه قبول الأعمال الصالحة.

(٥) لا تشغله محاسبة أحد عن أحد. (٦) غزير المياه.

(٧) أي تعلو أمواجه ويتراكم بعضها فوق بعض.

(٨) او كـل من المخلوقات علم كيف يصلي لله تعالى ويسبحه.

فائدة: في بناء المساجد وآدابها.

عن عثمان رضي الله عنه قال، عند قول الناس فيه حين بنى مسجد الرسول ﷺ: إنكم أكثرتم، وإني سمعت النبي ﷺ يقول: «من بنى مسجداً يبتغي به وجه الله بنى الله له مثله في الجنة» [البخاري: المساجد، باب: من بنى مسجداً، رقم: ٤٣٩. مسلم: المساجد ومواضع الصلاة، باب: فضل بناء المساجد والحث عليها، رقم: ٥٣٣] [بنى مسجد الرسول: بالحجارة وغيرها. أكثرتم: الكلام في الإنكار على ما فعلته].

وعن أبي قتادة السلمي رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «إذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس» [البخاري: المساجد، باب: إذا دخل المسجد فليركع ركعتين، رقم: ٤٣٣. مسلم: صلاة المسافرين وقصرها، باب: استحباب تحية المسجد بركعتين، رقم: ٧١٤].

وعن أنس رضي الله عنه: أن النبي ﷺ رأى نخامة في القبلة، فشق ذلك عليه حتى رئي في وجهه، فقام فحكه بيده، فقال: «إن أحدكم إذا قام إلى صلاته فإنه يناجي ربه، أو: إن ربه بينه وبين القبلة، فلا يبزقن أحدكم قبل قبلته، ولكن عن يساره أو تحت قدميه». ثم أخذ طرف ردائه فبصق فيه، ثم رد بعضه على بعض، فقال: «أو يفعل هكذا». [البخاري: المساجد، باب: حك البزاق باليد من المسجد، رقم: ٣٩٧. مسلم: المساجد ومواضع الصلاة، باب: النهي عن البصاق في المسجد، رقم: ٥٥١] [نخامة: ما يخرج من الصدر، وقيل غير ذلك. رئي في وجهه: شوهد أثر=

معاذة، وكان القرشي الأسير يراودها عن نفسها، وكانت تمتنع منه لإسلامها، وكان ابن أبيّ يكرهها على ذلك ويضربها، لأجل أن تحمل من القرشي فيطلب فداء ولده، فقال الله تعالى: ﴿ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصناً﴾ إلى قوله ﴿غفور رحيم﴾ قال: أغفر لهن ما أكرهن عليه.

٤٣ ﴿ ألم ترَ أن الله يزجي سحاباً ﴾ يسوقه برفق ﴿ ثم يؤلف بينه ﴾ يضم بعضه إلى بعض، فيجعل القطع المتفرقة قطعة واحدة ﴿ ثم يجعله ركاماً ﴾ بعضه فوق بعض ﴿ فترى الودق ﴾ المطر ﴿ يخرج من خلاله ﴾ مخارجه[1] ﴿ وينزل من السماء من ﴾ صلة[2] ﴿ جبال فيها ﴾ في السماء، بدل بإعادة الجار[3] ﴿ من برد ﴾ أي بعضه ﴿ فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد ﴾ يقرب ﴿ سنا برقه ﴾ لمعانه ﴿ يذهب بالأبصار ﴾ الناظرة له، أي يخطفها.

٤٤ ﴿ يقلب الله الليل والنهار ﴾ أي يأتي بكل منهما بدل الآخر[4] ﴿ إن في ذلك ﴾ التقليب ﴿ لعبرة ﴾ دلالة ﴿ لأولي الأبصار ﴾ لأصحاب البصائر[5] على قدرة الله تعالى.

٤٥ ﴿ والله خلق كل دابة ﴾ حيوان ﴿ من ماء ﴾ نطفة[6] ﴿ فمنهم من يمشي على بطنه ﴾ كالحيات والهوام ﴿ ومنهم من يمشي على رجلين ﴾ كالإنسان والطير ﴿ ومنهم من يمشي على أربع ﴾ كالبهائم والأنعام[7] ﴿ يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيءٍ قدير ﴾.

٤٦ ﴿ لقد أنزلنا آيات مبينات ﴾ بينات، هي القرآن ﴿ والله يهدي من يشاء إلى صراط ﴾ طريق ﴿ مستقيم ﴾ دين الإسلام.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا
فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن
جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن
مَّن يَشَآءُ ؕ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ
ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾
وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ؕ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ
بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ
أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾
لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ
إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ
وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ
بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ

٤٧ ﴿ ويقولون ﴾ المنافقون ﴿ آمنا ﴾ صدقنا ﴿ بالله ﴾ بتوحيده ﴿ وبالرسول ﴾ محمد ﴿ وأطعنا ﴾ هما فيما حكما به ﴿ ثم يتولى ﴾ يعرض ﴿ فريق منهم من بعد ذلك ﴾ عنه ﴿ وما أولئك ﴾ المعرضون ﴿ بالمؤمنين ﴾ المعهودين، الموافق قلوبهم لألسنتهم.

٤٨ ﴿ وإذا دعوا إلى الله ورسوله ﴾ المبلغ عنه ﴿ ليحكم

---

(١) وسطه وفتوقه.

(٢) زائدة، والمعنى: ينزل من السماء جبالاً من برد، وقيل: تبعيضية، أي ينزل بعض جبالها الكائنة فيها من برد. وقيل: المعنى: ينزل من السماء مقدار جبال في الكثرة من البرد.

(٣) أي قوله ﴿من جبال﴾ بدل من قوله ﴿من السماء﴾ وهو بدل اشتمال، أي ينزل من جبال البرد ـ التي تشتمل عليها السماء ـ بعضها. وكان المناسب للمفسر رحمه الله تعالى ـ كما قال الصاوي في حاشيته ـ أن يقول: أو بدل، فيكون السياق: من صلة.. أو بدل..، فيكون قولاً ثانياً في معنى من، لأن البدلية لا تتأتى على كونها زائدة، بل على أنها ابتدائية.

(٤) ويقصر أحدهما ويطول الآخر، وبالعكس.

(٥) جمع بصيرة، وهي قوة الإدراك والفطنة، والعلم والخبرة والرأي، والحجة.

(٦) هي ما يخرج من ذكر الرجل ويلقح البويضة لدى المرأة فيكون الحمل.

(٧) هي الإبل والبقر والغنم والمعز، والبهائم جمع بهيمة.

=الغضب في وجهه. يناجي ربه: من المناجاة، وأصلها الكلام بين اثنين سراً، والمراد: أنه ينبغي التزام الأدب في هذه الحالة، لأن المصلي كالمناجي لله عز وجل. بينه وبين القبلة: أي متوجه إليه، مقبل عليه، يسمع دعاءه ويجيب سؤاله. قبل: جهة].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام أعرابي فبال في المسجد، فتناوله الناس، فقال لهم النبي ﷺ: «دعوه، وهريقوا على بوله= سجلاً من ماء، أو ذنوباً من ماء، فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين». [البخاري: الوضوء، باب: صب الماء على البول في المسجد، رقم: ٢١٧] [أعرابي: هو الأقرع بن حابس رضي الله عنه، وقيل غيره، والأعرابي هو من ينزل البادية من العرب. هريقوا: صبوا. سجلاً: الدلو الممتلئة ماءً. ذنوباً: الدلو الكبير الممتلىء ماءً. لم تبعثوا معسرين: من شأنكم عدم التعسير لما جاء به شرعكم من اليسر ورفع الحرج والتضييق].

سبب نزول الآية [٤٨]: قال الواحدي: قال المفسرون: هذه الآية والتي بعدها في بشر المنافق وخصمه اليهودي حين اختصما في أرض، فجعل اليهودي يجره إلى رسول الله ﷺ ليحكم بينهما، وجعل المنافق يجره إلى كعب بن الأشرف ويقول: إن محمداً يحيف علينا. وقد مضت هذه القصة عند قوله: ﴿يريدون أنْ يتحاكموا إلى الطاغوتِ﴾ في سورة النساء [الآية: ٦٠].

وعن الحسن قال: كان الرجل إذا كان بينه وبين الرجل منازعة، فدعي إلى النبيّ ﷺ وهو محق أذعن، وعلم أن النبيّ ﷺ سيقضي له بالحق، وإذا أراد أن يظلم فدعي إلى النبي ﷺ أعرض، فقال: انطلق إلى فلان، فأنزل الله: ﴿وإذا دعوا إلى الله ورسوله﴾ الآية. [السيوطي].

بينهم إذا فريق منهم معرضون ﴾ عن المجيء إليه.

٤٩ ﴿ وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين ﴾ مسرعين طائعين.

٥٠ ﴿ أفي قلوبهم مرض ﴾ كفر ونفاق ﴿ أم ارتابوا ﴾ أي شكوا في نبوته ﴿ أم يخافون أن يحيف(١) الله عليهم ورسوله ﴾ في الحكم، أي فيظلموا فيه؟ لا، ﴿ بل أولئك هم الظالمون ﴾ بالإعراض عنه.

٥١ ﴿ إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم ﴾ فالقول اللائق بهم ﴿ أن يقولوا سمعنا وأطعنا ﴾ بالإجابة ﴿ وأولئك ﴾ حينئذٍ ﴿ هم المفلحون ﴾ الناجون.

٥٢ ﴿ ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ﴾ يخافه ﴿ ويتقه ﴾ بسكون الهاء وكسرها، بأن يطيعه ﴿ فأولئك هم الفائزون ﴾ بالجنة.

٥٣ ﴿ وأقسموا بالله جهد أيمانهم ﴾ غايتها ﴿ لئن أمرتهم ﴾ بالجهاد ﴿ ليخرجن قل ﴾ لهم ﴿ لا تقسموا طاعة معروفة ﴾ للنبي خير من قسمكم الذي لا تصدقون فيه ﴿ إن الله خبير بما تعملون ﴾ من طاعتكم بالقول ومخالفتكم بالفعل. ٥٤ ﴿ قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا ﴾ عن طاعته، بحذف إحدى التاءين(٢)، خطاب لهم ﴿ فإنما عليه ما حمل ﴾ من التبليغ ﴿ وعليكم ما حملتم ﴾ من طاعته ﴿ وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين ﴾ أي التبليغ البين(٣).

٥٥ ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم

بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ
ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ
ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ
أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا
دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا
وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ
وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾
۞ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ۖ قُل
لَّا تُقْسِمُوا۟ ۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ قُلْ
أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ
وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ
إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ

---

(١) يجور ويظلم. (٢) أصله: تتولوا. (٣) الظاهر الواضح.

فائدة: عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، وكان شهد بدراً، وهو أحد النقباء ليلة العقبة: أن رسول الله ﷺ قال، وحوله عصابة من أصحابه: (بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره الله فهو إلى الله، إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه). فبايعناه على ذلك. البخاري: الإيمان، باب: علامة الإيمان حب الأنصار، رقم: ١٨. مسلم: الحدود، باب: الحدود كفارات لأهلها، رقم: ١٧٠٩]. [شهد بدراً: حضر غزوة بدر. النقباء: جمع نقيب، وهو عريف القوم وناظرهم، والمراد الذين اختارهم الأوس والخزرج نقباء عليهم، ويطلب من النبي ﷺ، وأقرهم على ذلك. ليلة العقبة: الليلة التي بايع فيها ﷺ الذين آمنوا من الأوس والخزرج على النصرة، وهي بيعة العقبة الثانية، وكان ذلك عند جمرة العقبة بمنى، والعقبة من الشيء: الموضع المرتفع منه. عصابة: الجماعة من الناس وهم ما بين العشرة إلى الأربعين. بايعوني: عاهدوني. بهتان: كذب فظيع يدهش سامعه. تفترونه: تختلقونه. بين أيديكم وأرجلكم: من عند أنفسكم. ولا تعصوا في معروف: لا تخالفوا في أمر لم ينه عنه الشرع. وفى: ثبت على العهد. أصاب من ذلك شيئاً: وقع في مخالفة مما ذكر. فعوقب: نفذت عليه عقوبته من حد أو غيره. ستره الله: لم يصل أمره إلى القضاء].

سبب نزول الآية [٥٥]: قال الواحدي: روى الربيع بن أنس، عن أبي العالية، في هذه الآية قال: مكث رسول الله ﷺ بمكة عشر سنين بعد ما أوحى الله إليه، خائفاً هو وأصحابه، يدعون إلى الله سبحانه سراً وعلانية، ثم أمر بالهجرة إلى المدينة، وكانوا بها خائفين، يصبحون في السلاح ويمسون في السلاح، فقال رجل من أصحابه: يا رسول الله، ما يأتي علينا يوم نأمن فيه، ونضع فيه السلاح؟ فقال رسول الله ﷺ: (لن تلبثوا إلا يسيراً حتى يجلس الرجل منكم في الملأ العظيم محبياً، وليست فيهم حديدة). وأنزل الله تعالى: ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات﴾ إلى آخر الآية، فأظهر الله تعالى نبيه على جزيرة العرب، فوضعوا السلاح وأمنوا، ثم قبض الله تعالى نبيه، فكانوا آمنين كذلك في إمارة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، حتى وقعوا فيما وقعوا فيه وكفروا النعمة، فأدخل الله عليهم الخوف، وغيروا فغير الله بهم. [الملأ: الجمع من الناس. محبياً: اسم فاعل من الحبوة، وهو أن يشد رجليه إلى ظهره برداء أو غيره، ويجلس على مقعدته. حديدة: أي شيء من سلاح. فيما وقعوا فيه: من الفتك].

وأخرج الواحدي - أيضاً - بسنده عن أبيّ بن كعب رضي الله عنه قال: لما قدم النبي عليه السلام وأصحابه المدينة، وآوتهم الأنصار، رمتهم العرب عن قوس واحد، فكانوا لا يبيتون إلا في السلاح، ولا يصبحون إلا في لأمتهم، فقالوا: ترون أنا نعيش حتى نبيت آمنين مطمئنين، لا نخاف إلا الله عزّ وجلّ؟ فأنزل الله تعالى لنبيه: ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات﴾ إلى قوله: ﴿ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾ يعني بالنعمة. [وأخرجه الحاكم - أيضاً - في المستدرك: التفسير/ سورة النور، باب: شأن نزول آية: ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم﴾ ٢/٤٠١] رمتهم العرب..: كناية عن اجتماعهم على حربهم. لأمتهم: السلاح ولباس الحرب.

وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض ﴾[1] بدلاً عن الكفار ﴿ كما استخلف ﴾ بالبناء للفاعل والمفعول[2] ﴿ الذين من قبلهم ﴾ من بني إسرائيل بدلاً عن الجبابرة ﴿ وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ﴾ وهو الإسلام، بأن يظهره على جميع الأديان، ويوسع لهم في البلاد فيملكوها ﴿ وَلَيُبَدِّلَنَّهم ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿ من بعد خوفهم ﴾ من الكفار ﴿ أمناً ﴾ وقد أنجز الله وعده لهم بما ذكر، وأثنى عليهم بقوله: ﴿ يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ﴾ هو مستأنف في حكم التعليل[3] ﴿ ومن كفر بعد ذلك ﴾ الإنعام، منهم به ﴿ فأولئك هم الفاسقون ﴾ وأول من كفر به قتلة عثمان رضي الله عنه، فصاروا يقتتلون بعد أن كانوا إخواناً.

٥٦ ﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون ﴾ رجاء الرحمة.

٥٧ ﴿ لا تحسبن ﴾ بالفوقانية والتحتانية، والفاعل الرسول ﴿ الذين كفروا معجزين ﴾ لنا ﴿ في الأرض ﴾ بأن يفوتونا[4] ﴿ ومأواهم ﴾ مرجعهم ﴿ النار ولبئس المصير ﴾ المرجع هي.

٥٨ ﴿ يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم ﴾ من العبيد والإماء[5] ﴿ والذين لم يبلغوا الحلم[6] منكم ﴾ من الأحرار، وعرفوا أمر النساء[7] ﴿ ثلاث مرات ﴾ في ثلاثة أوقات ﴿ من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ﴾[8] وقت الظهر ﴿ ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ﴾ بالرفع: خبر مبتدأ مقدر، بعده مضاف، وقام المضاف اليه مقامه، أي: هي أوقات[9]. وبالنصب بتقدير أوقات منصوباً بدلاً من محل ما قبله، قام المضاف إليه مقامه[10]، وهي - لإلقاء الثياب - تبدو فيها العورات ﴿ ليس عليكم ولا عليهم ﴾ المماليك والصبيان ﴿ جناح ﴾ في الدخول عليكم بغير استئذان ﴿ بعدهن ﴾ بعد الأوقات الثلاثة، هم ﴿ طوافون عليكم ﴾ للخدمة ﴿ بعضكم ﴾ طائف ﴿ على بعض ﴾ والجملة مؤكدة لما قبلها ﴿ كذلك ﴾ كما بين ما ذكر

وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ
ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ
وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى
شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾
وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ
تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ
وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟
ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ
تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ
ثَلَـٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ
طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ

---

[1] أخرج البخاري عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: بينا أنا عند النبي ﷺ إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة، ثم أتاه آخر فشكا إليه قطع السبيل. فقال: (يا عدي، هل رأيت الحيرة) قلت: لم أرها، ولقد أنبئت عنها. قال: (فإن طالت بك حياة فلترين الظعينة ترحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحداً إلا الله). قلت فيما بيني وبين نفسي: فأين دعار طيء الذين قد سعّروا البلاد. (ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى..) قال عدي: فرأيت الظعينة ترحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى. [الفاقة: الفقر. الظعينة: المرأة. دعار: جمع داعر وهو الشرس الخبيث المفسد. سعروا: أوقدوا نار الشر والفساد]. [المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام، رقم: ٣٤٠٠].

[2] أي ﴿اسْتَخْلَفَ﴾ و﴿اسْتُخْلِفَ﴾.

[3] فكأنه قيل: لأستخلفنهم... لأنهم يعبدونني.

[4] يفلتوا منا ويفروا من عذابنا.

[5] النساء المملوكات.

[6] لم يصيروا بالغين، والحلم والاحتلام البلوغ، وعلامته: عند الذكر خروج المني منه، وعند الأنثى سيلان دم الحيض، أو باستكمال كل منهما خمسة عشر عاماً قمرياً.

[7] أي صاروا مميزين، يدركون أحوال النساء، ويفرقون بين العورة وغيرها.

[8] أي حين تنزعون بعض ثيابكم لتستريحوا أو تناموا في هذا الوقت، وهو ما يسمى بالقيلولة.

[9] الأصل: هي أوقات ثلاث عورات لكم، فحذف المضاف أوقات، وأقيم المضاف إليه ﴿ثلاث﴾ مقامه.

[10] أي: في قراءة متواترة: ﴿ثلاثَ عورات..﴾ والتقدير: أوقات ثلاث..، على أنه بدل من محل ما قبله من الظروف الثلاثة - وهي: من قبل.. حين تضعون.. من بعد.. - ومحلها النصب، فحذف لفظ أوقات، وقام المضاف إليه -وهو ثلاث- مقامه.

سبب نزول الآية [٥٨]: قال الواحدي: قال ابن عباس رضي الله عنهما: وجه رسول الله ﷺ غلاماً من الأنصار يقال له مدلج بن عمرو إلى عمر ابن الخطاب رضي الله عنه وقت الظهيرة ليدعوه، فدخل فرأى عمر بحالة كره عمر رؤيته ذلك، فقال: يا رسول الله، وددت لو أن الله تعالى أمرنا ونهانا في حال الاستئذان. فأنزل الله تعالى هذه الآية. وقال: قال مقاتل: نزلت في أسماء بنت مرثد، كان لها غلام كبير، فدخل عليها في وقت كرهته، فأتت رسول الله ﷺ فقالت: إنّ خدمنا وغلماننا يدخلون علينا في حال نكرهها. فأنزل الله تبارك وتعالى هذه الآية.

﴿ يبين الله لكم الآيات ﴾ أي الأحكام ﴿ والله عليم ﴾ بأمور خلقه ﴿ حكيم ﴾ بما دبره لهم. وآية الاستئذان(١) قيل: منسوخة، وقيل: لا، ولكن تهاون الناس في ترك الاستئذان.

٥٩ ﴿ وإذا بلغ الأطفال منكم ﴾ أيها الأحرار ﴿ الحلم فليستأذنوا ﴾ في جميع الأوقات ﴿ كما استأذن الذين من قبلهم ﴾ أي الأحرار الكبار ﴿ كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم ﴾.

٦٠ ﴿ والقواعد من النساء ﴾ اللاتي قعدن عن الحيض والولد لكبرهن ﴿ اللاتي لا يرجون نكاحاً ﴾ لذلك(٢) ﴿ فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن ﴾ من الجلباب والرداء والقناع فوق الخمار(٣) ﴿ غير متبرجات ﴾ مستظهرات ﴿ بزينة ﴾ خفية كقلادة وسوار وخلخال(٤) ﴿ وأن يستعففن ﴾ بأن لا يضعنها ﴿ خير لهن والله سميع ﴾ لقولكم ﴿ عليم ﴾ بما في قلوبكم.

٦١ ﴿ ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ﴾ في مؤاكلة مقابليهم(٥) ﴿ ولا ﴾ حرج ﴿ على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم ﴾ بيوت أولادكم(٦) ﴿ أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت إخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتم مفاتحه ﴾ خزنتموه لغيركم(٧) ﴿ أو صديقكم ﴾ وهو من صدقكم في مودته، المعنى: يجوز الأكل من بيوت من ذكر، وإن لم يحضروا، إذا علم رضاهم به ﴿ ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً ﴾ مجتمعين ﴿ أو أشتاتاً ﴾ متفرقين، جمع شَتّ، نزل فيمن تحرج أن يأكل وحده، وإذا لم يجد من يؤاكله يترك الأكل ﴿ فإذا دخلتم

الْآيَاتِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ
الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ
يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَالْقَوَاعِدُ
مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ
أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ
خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ
وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰ
أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِن بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ
أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ
أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ
أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ
لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم

---

(١) أي استئذان الصبيان ونحوهم.

(٢) أي انقطع حيضهن ويئسن من الحمل لطعنهن في السن، فلا يطمعن في أن يتزوجن بسبب ما ذكر، ولذهاب ميلهن للرجال أو ضعفه، وعدم رغبة الرجال فيهن.

(٣) والجلباب: ما يغطي جميع البدن، والرداء: ما يستر أعالي البدن، والمراد بهما هنا ما يلبسان فوق الثياب. والخمار: ما يغطى به الرأس، والقناع: ما يلبس فوق الخمار لستر الوجه والعنق. اي لا إثم عليهن ولا حرج أن ينزعن بعض الثياب الظاهرة التي تستر ما تحتها، ويظهرن الوجه والكفين أمام الرجال الأجانب، بالشرط الآتي، لأمن الفتنة غالباً، فإذا خشيت الفتنة وجب الستر.

(٤) ما يوضع في الساق كالسوار في معصم اليد. والمراد: أنه لا حرج عليهن فيما سبق إذا لم يكن القصد إظهار الزينة من الثياب والمحاسن. والتبرج هو أن تظهر المرأة من محاسنها ما يجب عليها أن تستره.

(٥) وهم: البصير، والسويّ الذي لا عرج فيه، والصحيح.

(٦) ذكوراً كانوا أم إناثاً، لأن بيت الولد كبيت الوالد، قال ﷺ: (أنت ومالك لأبيك) وقال: (إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه، وإن ولده من كسبه).

[انظر ابن ماجه: التجارات، باب: الحث على المكاسب، وباب: ما للرجل من مال ولده، رقم: ٢١٣٧، ٢٢٩١، ٢٢٩٢. النسائي: البيوع، باب: الحث على الكسب: ٧/٢٤٠. الترمذي: الأحكام، باب: ما جاء أن الوالد يأخذ من مال ولده، رقم: ١٣٥٨].

(٧) وكنتم وكلاء عليه.

سبب نزول الآية [٦١]: قال ابن عباس: لما أنزل الله تبارك وتعالى: ﴿لا تأكُلُوا أموالَكُم بينَكُم بالبَاطِلِ﴾ [البقرة: ١٨٨] تحرج المسلمون عن مؤاكلة المرضى والزمنى والعرج، وقالوا: الطعام أفضل الأموال، وقد نهى الله تعالى عن أكل المال بالباطل، والأعمى لا يبصر موضع الطعام الطيب، والمريض لا يستوفي الطعام. فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقال مجاهد: نزلت هذه الآية ترخيصاً للمرضى والزمنى في الأكل من بيوت من سمى الله تعالى في هذه الآية، وذلك أن قوماً من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا إذا لم يكن عندهم ما يطعمونهم ذهبوا بهم إلى بيوت آبائهم وأمهاتهم، أو بعض من سمى الله تعالى في هذه الآية، وكان أهل الزمانة يتحرجون من أن يطعموا ذلك الطعام، لأنه أطعمهم غير مالكيه، ويقولون: إنما يذهبون بنا إلى بيوت غيرهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية. =

بيوتاً ﴾ لكم لا أهل بها ﴿ فسلموا على أنفسكم ﴾ قولوا: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، فإن الملائكة ترد عليكم، وإن كان بها أهل فسلموا عليهم ﴿ تحية ﴾ مصدر حيا ﴿ من عند الله(١) مباركة طيبة ﴾ يثاب عليها ﴿ كذلك يبين الله لكم الآيات ﴾ يفصل لكم معالم دينكم ﴿ لعلكم تعقلون ﴾ لكي تفهموا ذلك وتتدبروه.

٦٢ ﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه ﴾ مع الرسول ﴿ على أمر جامع ﴾(٢) كخطبة الجمعة ﴿ لم يذهبوا ﴾ لعروض عذر لهم ﴿ حتى يستأذنوه إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فإذا استأذنوك لبعض شأنهم ﴾ أمرهم ﴿ فأذن لمن شئت منهم ﴾ بالانصراف ﴿ واستغفر لهم الله إن الله غفور رحيم ﴾.

٦٣ ﴿ لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً ﴾(٣) بأن تقولوا: يا محمد، بل قولوا: يا نبي الله، يا رسول الله، في لين وتواضع وخفض صوت ﴿ قد يعلم الله الذين يتسللون(٤) منكم لواذاً ﴾ أي يخرجون من المسجد في الخطبة من غير استئذان خفية، مستترين بشيء. وقد للتحقيق(٥) ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره ﴾ أي أمر الله، أو الرسول ﴿ أن تصيبهم فتنة ﴾ بلاء ﴿ أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ في الآخرة.

بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ
كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾
إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟
مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ
يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا
ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ
لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ
بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ
مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ
فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ
فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٦٤﴾

٦٤ ﴿ ألا إن لله ما في السموات والأرض ﴾ ملكاً وخلقاً وعبيداً ﴿ قد يعلم ما أنتم ﴾ أيها المكلفون ﴿ عليه ﴾ من الإيمان والنفاق ﴿ و ﴾ يعلم ﴿ يوم يرجعون إليه ﴾ فيه التفات عن الخطاب(٦)، أي متى يكون ﴿ فينبئهم ﴾ فيه ﴿ بما عملوا ﴾ من الخير والشر ﴿ والله بكل شيء ﴾ من أعمالهم وغيرهم ﴿ عليم ﴾.

---

(١) أي ثابتة بأمره سبحانه.

(٢) يجتمع له المسلمون.

(٣) لا تنادوه باسمه كما ينادي بعضكم بعضاً.

(٤) يخرجون واحداً بعد واحد ولواذاً: يلوذ بعضهم ببعض ويستتر خلفه.

(٥) أي للدلالة على تحقق ما اقترنت به.

(٦) أي في قوله ﴿يرجعون﴾ التفات إلى الغيبة عن الخطاب في قوله ﴿ما أنتم عليه﴾ على أن الخطاب للمنافقين، وذلك إيذاناً بالإعراض عنهم وقلة شأنهم. ويحتمل أن يكون قوله ﴿ما أنتم عليه﴾ خطاباً للجميع، وقوله ﴿ يرجعون ﴾ خاص بالمنافقين، وعندها فلا التفات في الكلام، والله تعالى أعلم.

= وأخرج البزار بسند صحيح، عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان المسلمون يرغبون في النفر مع رسول الله ﷺ، فيدفعون مفاتحهم إلى زمناهم، ويقولون لهم: قد أحللنا لكم أن تأكلوا مما أحببتم، وكانوا يقولون: إنه لا يحلّ لنا، إنهم أذنوا عن غير طيب نفس، فأنزل الله: ﴿ليس عليكم جناح - إلى قوله - أو ما ملكتم مفاتحه﴾. وقال قتادة والضحاك: نزلت ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعاً أَوْ أَشْتَاتاً﴾ في حي من كنانة يقال لهم بنو ليث ابن عمرو، وكانوا يتحرجون أن يأكل الرجل الطعام وحده، فربما قعد الرجل والطعام بين يديه من الصبح إلى الرواح، والشول حفل، والأحوال منتظمة، تحرجاً من أن يأكل وحده، فإذا أمسى ولم يجد أحداً أكل، فأنزل الله تعالى هذه الآية. [الرواح: وقت المساء. الشَّوْل: هي الناقة التي لم يبق في ضرعها إلا بقية لبن. حُفَّل: جمع مُحَفَّلة وهي التي لم تحلب أياماً حتى تجمع اللبن في ضرعها]. وقال عكرمة: نزلت في قوم من الأنصار، كانوا لا يأكلون إذا نزل بهم ضيف إلا مع ضيفهم، فرخص لهم أن يأكلوا كيف شاؤوا، جميعاً متحلقين، أو أشتاتاً متفرقين.
[الواحدي، السيوطي، ابن جرير].

سبب نزول الآية [٦٢]: عن عروة ومحمد بن كعب القرظي وغيرهما قالوا: لما أقبلت قريش عام الأحزاب نزلوا بمجمع الأسيال من رومة - بئر بالمدينة - قائدها أبو سفيان، وأقبلت غطفان حتى نزلوا بنعمى إلى جانب أحد، وجاء رسول الله ﷺ الخبر، فضرب الخندق على المدينة وعمل فيه وعمل المسلمون فيه، وأبطأ رجال من المنافقين، وجعلوا يأتون بالضعيف من العمل، فيتسللون إلى أهليهم بغير علم من رسول الله ﷺ ولا إذن، وجعل الرجل من المسلمين إذا نابته النائبة من الحاجة التي لا بدّ منها يذكر ذلك لرسول الله ﷺ ويستأذنه في اللحوق لحاجته فيأذن له، وإذا قضى حاجته رجع، فأنزل الله في أولئك المؤمنين: ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع - إلى قوله - والله بكل شيء عليم﴾ [السيوطي].

سبب نزول الآية [٦٣]: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانوا يقولون: يا محمد، يا أبا القاسم، فأنزل الله: ﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً﴾ فقالوا: يا نبيّ الله، يا رسول الله. [السيوطي].

(سورة الفرقان)

(مكيّة إلا «والذين لا يدعون مع الله إلها آخر - إلى - رحيماً»
الآيات ٦٨ و ٦٩ و ٧٠ فمدنيّة)

(وآياتها ٧٧ آية)

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿ تبارك ﴾ تعالى ﴿ الذي نزل الفرقان ﴾ القرآن، لأنه فرق بين الحق والباطل ﴿ على عبده ﴾ محمد ﷺ ﴿ ليكون للعالمين ﴾ الإنس والجن دون الملائكة ﴿ نذيراً ﴾ مخوفاً من عذاب الله(١).

٢ ﴿ الذي له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء ﴾ من شأنه أن يخلق ﴿ فقدره تقديراً ﴾ سواه تسوية(٢).

٣ ﴿ واتخذوا ﴾ أي الكفار ﴿ من دونه ﴾ الله، أي غيره ﴿ آلهةً ﴾ هي الأصنام ﴿ لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضراً ﴾ أي دفعه ﴿ ولا نفعاً ﴾ أي جره ﴿ ولا يملكون موتاً ولا حياة ﴾ أي إماتة لأحد أو إحياءً لأحد ﴿ ولا نشوراً ﴾ بعثاً للأموات.

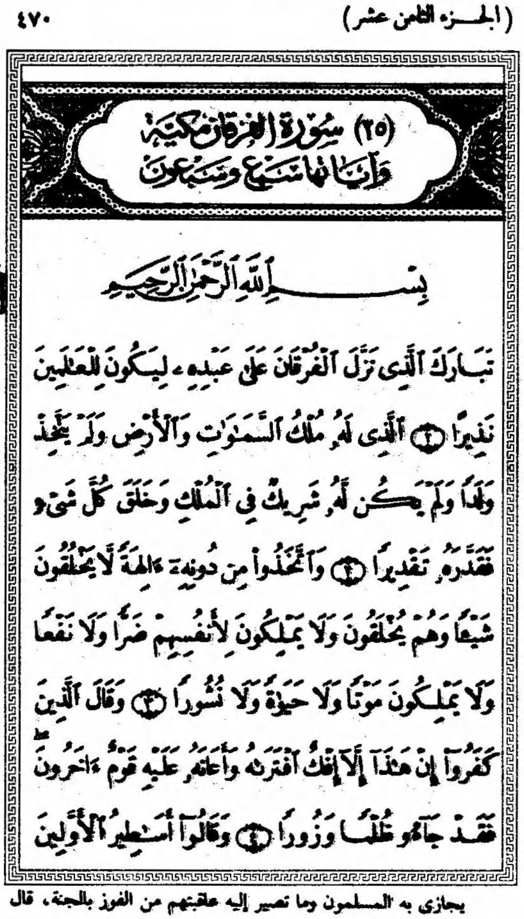
٤٧٠ (الجـــزء الثامن عشر)

(٢٥) سُورَةُ الفُرقانِ مَكيَّة
وآياتها سَبعٌ وسَبعُونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ
نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ
وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ
فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ
شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا
وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ
فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ

٤ ﴿ وقال الذين كفروا إن هذا ﴾ ما القرآن ﴿ إلا إفك ﴾ كذب ﴿ افتراه ﴾ محمد ﴿ وأعانه عليه قوم آخرون ﴾ وهم من أهل الكتاب، قال تعالى ﴿ فقد جاؤوا ظلماً وزوراً ﴾ كفراً وكذباً، أي بهما.

٥ ﴿ وقالوا ﴾ أيضاً هو ﴿ أساطير الأولين ﴾ أكاذيبهم، جمع أسطورة بالضم

---

(١) قال ابن كثير في تفسيره: إنما خصه بهذا الكتاب العظيم المبين، المفصل المحكم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، الذي جعله فرقاناً عظيماً، إنما خصّه به ليخصه بالرسالة إلى من يستظل بالخضراء، ويستقل على الغبراء. [الخضراء: السماء، والغبراء: الأرض، والمعنى: كل الناس].

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: (أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل. وأحلت لي المغانم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة). [البخاري: أوائل التيمم، رقم: ٣٢٨. مسلم: أول المساجد ومواضع الصلاة، رقم: ٥٢١]. [نصرت بالرعب: هو الخوف، يقذف في قلوب أعدائي. مسيرة شهر: أي وبيني وبينه مسيرة شهر. المغانم: جمع مغنم، وهو الغنيمة، وهو كل ما يحصل عليه المسلمون من الكفار قهراً].

(٢) عن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: دخلت على النبي ﷺ وعقلت ناقتي بالباب، فأتاه ناس من بني تميم، فقال: (اقبلوا البشرى يا بني تميم). قالوا: قد بشرتنا فأعطنا، مرتين، ثم دخل عليه ناس من أهل اليمن، فقال: (اقبلوا البشرى يا أهل اليمن، إذ لم يقبلها بنو تميم). قالوا: قد قبلنا يا رسول الله، قالوا: جئناك نسألك عن هذا الأمر، قال: (كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السموات والأرض). فنادى منادٍ: ذهبت ناقتك يا ابن الحصين، فانطلقت فإذا هي يقطع دونها السراب، فوالله لوددت أني كنت تركتها. [البخاري: بدء الخلق، باب: ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وهو الذي يبدأ الخلق..﴾ [الروم: ٢٧] رقم: ٣٠١٩] [عقلت: من العقل وهو أن تثني وظيفه مع ذراعه فتشدهما جميعاً في وسط الذراع بحبل، والوظيف من الحيوان ما فوق الرسغ إلى الساق. اقبلوا البشرى: أي ما بشرتكم به، مما يجازى به المسلمون وما تصير إليه عاقبتهم من الفوز بالجنة، قال لهم ذلك بعد أن عرفوا أصول العقائد وما يجب عليهم فعله وما يلزمهم تركه. قالوا: من القائلين الأقرع بن حابس. فأعطنا: من المال. أهل اليمن: وهم الأشعريون قوم أبي موسى رضي الله عنهم. هذا الأمر: الحاضر الوجود، قال العيني: وكأنهم سألوا عن أحوال هذا العالم. عرشه: مخلوق لله تعالى عظيم هو أعلم به سبحانه. على الماء: أي لم يكن تحته إلا الماء. الذكر: اللوح المحفوظ. يقطع دونها السراب: يحول بيني وبينها السراب، وهو ما يرى نصف النهار كأنه ماء وليس هناك شيء. لوددت..: أي ولم أقم من مجلس رسول الله ﷺ، إذ فاتني سماع ما تحدث به عن بدء الخلق والعرش].

﴿ اكتتبها ﴾ انتسخها من ذلك القوم بغيره(١) ﴿ فهي تملى ﴾ تقرأ ﴿ عليه ﴾ ليحفظها ﴿ بكرة وأصيلاً ﴾ غدوة وعشية(٢).

٦ قال تعالى رداً عليهم: ﴿ قل أنزله الذي يعلم السر ﴾ الغيب ﴿ في السماوات والأرض إنه كان غفوراً ﴾ للمؤمنين ﴿ رحيماً ﴾ بهم.

٧ ﴿ وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق(٣) لولا ﴾ هلا ﴿ أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً ﴾ يصدقه.

٨ ﴿ أو يلقى إليه كنز ﴾ من السماء فينفقه ولا يحتاج إلى المشي في الأسواق لطلب المعاش ﴿ أو تكون له جنة ﴾ بستان ﴿ يأكل منها ﴾ من أثمارها، فيكتفي بها. وفي قراءة «نأكل» بالنون، أي نحن، فيكون له مزية علينا بها. ﴿ وقال الظالمون ﴾ الكافرون للمؤمنين ﴿ إن ﴾ ما ﴿ تتبعون إلا رجلاً مسحوراً ﴾ مخدوعاً مغلوباً على عقله. قال تعالى:

٩ ﴿ انظر كيف ضربوا لك الأمثال ﴾ بالمسحور، والمحتاج إلى ما ينفقه، وإلى ملك يقوم معه بالأمر ﴿ فضلوا ﴾ بذلك عن الهدى ﴿ فلا يستطيعون سبيلاً ﴾ طريقاً إليه.

١٠ ﴿ تبارك ﴾ تكاثر خير ﴿ الذي إن شاء جعل لك خيراً من ذلك ﴾ الذي قالوه من الكنز والبستان ﴿ جنات تجري من تحتها الأنهار ﴾ في الدنيا، لأنه شاء أن يعطيه إياها في الآخرة ﴿ ويجعل ﴾ بالجزم ﴿ لك قصوراً ﴾(٤) أيضاً، وفي قراءة بالرفع استئنافاً(٥).

١١ ﴿ بل كذبوا بالساعة ﴾ القيامة ﴿ وأعتدنا(٦) لمن كذب بالساعة سعيراً ﴾ ناراً مسعرة، أي مشتدة.

١٢ ﴿ إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً ﴾ غلياناً، كالغضبان إذا غلى صدره من الغضب ﴿ وزفيراً ﴾ صوتاً شديداً، أو سماع التغيظ رؤيته وعلمه.

١٣ ﴿ وإذا ألقوا منها مكاناً ضيقاً ﴾ بالتشديد والتخفيف(٧)، بأن يضيق عليهم، ومنها حال من مكاناً، لأنه في الأصل صفة له(٨) ﴿ مقرنين ﴾ مصفدين، وقد قرنت أي جمعت أيديهم إلى أعناقهم في الأغلال، والتشديد للتكثير ﴿ دعوا هنالك ثبوراً ﴾ هلاكاً. فيقال لهم:

٤٧١ (سورة الفرقان)

ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا (٥) قُلۡ أَنزَلَهُ
ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا
رَّحِيمٗا (٦) وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ
وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ مَعَهُۥ
نَذِيرًا (٧) أَوۡ يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٞ يَأۡكُلُ
مِنۡهَاۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا (٨)
ٱنظُرۡ كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَٰلَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ
سَبِيلٗا (٩) تَبَارَكَ ٱلَّذِيٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيۡرٗا مِّن ذَٰلِكَ
جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَيَجۡعَل لَّكَ قُصُورَۢا (١٠)
بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلسَّاعَةِۖ وَأَعۡتَدۡنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا (١١)
إِذَا رَأَتۡهُم مِّن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظٗا وَزَفِيرٗا (١٢)
وَإِذَآ أُلۡقُواْ مِنۡهَا مَكَانٗا ضَيِّقٗا مُّقَرَّنِينَ دَعَوۡاْ هُنَالِكَ ثُبُورٗا (١٣)

---

(١) أي استعان بغيره وأمره أن ينقل هذا الكلام من كتب أولئك القوم.

(٢) أول النهار وآخره، والمراد كل الأوقات.

(٣) يطلب الرزق ويلتمس المعاش كغيره من الناس.

(٤) بيوتاً مشيدة عالية. ذكر البغوي بسنده: عن أبي أمامة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: (عرض علي ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهباً، قلت: لا يا رب، ولكن أشبع يوماً وأجوع يوماً - أو قال: ثلاثاً، أو نحو هذا - فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك، وإذا شبعت حمدتك وشكرتك). [تفسير البغوي].

(٥) أي برفع قوله ﴿ويجعلُ﴾ على أنه كلام مستأنف، وقراءة الجزم ﴿ويجعلْ﴾ عطفاً على محل ﴿ جعل﴾ فمحلها الجزم، لأنها جملة جواب الشرط ﴿إنْ﴾.

(٦) هيأنا.

(٧) أي بتشديد الياء المكسورة أو سكونها: ﴿ضَيِّقاً﴾ و ﴿ضَيْقاً﴾.

(٨) الأصل: مكاناً كائناً منها، وصفة النكرة إذا تقدمت عليها أعربت حالاً.

سبب نزول الآية [١٠]: أخرج ابن أبي شيبة في [المصنف] وابن جرير عن خيثمة قال: قيل للنبي ﷺ: إن شئت أعطيناك مفاتيح الأرض وخزائنها، لا ينقصك ذلك عندنا شيئاً في الآخرة، وإن شئت جمعتهما لك في الآخرة. قال: (بل اجمعهما لي في الآخرة). فنزلت: ﴿تبارك الذي إن شاء جعل لك خيراً من ذلك﴾ الآية.

لَّا تَدۡعُواْ ٱلۡيَوۡمَ ثُبُورٗا وَٰحِدٗا وَٱدۡعُواْ ثُبُورٗا كَثِيرٗا (١٤)
قُلۡ أَذَٰلِكَ خَيۡرٌ أَمۡ جَنَّةُ ٱلۡخُلۡدِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۚ كَانَتۡ
لَهُمۡ جَزَآءٗ وَمَصِيرٗا (١٥) لَّهُمۡ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَۚ كَانَ
عَلَىٰ رَبِّكَ وَعۡدٗا مَّسۡـُٔولٗا (١٦) وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ
مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمۡ أَضۡلَلۡتُمۡ عِبَادِي هَٰٓؤُلَآءِ أَمۡ هُمۡ
ضَلُّواْ ٱلسَّبِيلَ (١٧) قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِي لَنَآ أَن
نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعۡتَهُمۡ وَءَابَآءَهُمۡ حَتَّىٰ
نَسُواْ ٱلذِّكۡرَ وَكَانُواْ قَوۡمَۢا بُورٗا (١٨) فَقَدۡ كَذَّبُوكُم بِمَا
تَقُولُونَ فَمَا تَسۡتَطِيعُونَ صَرۡفٗا وَلَا نَصۡرٗاۚ وَمَن يَظۡلِم مِّنكُمۡ
نُذِقۡهُ عَذَابٗا كَبِيرٗا (١٩) وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ
إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ وَجَعَلۡنَا
بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً أَتَصۡبِرُونَۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرٗا (٢٠)

١٤ ﴿ لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبوراً كثيراً ﴾ كعذابكم.

١٥ ﴿ قل أذلك ﴾ المذكور من الوعيد وصفة النار ﴿ خير أم جنة الخلد التي وعد ﴾ ها ﴿ المتقون كانت لهم ﴾ في علمه تعالى ﴿ جزاء ﴾ ثواباً ﴿ ومصيراً ﴾ مرجعاً.

١٦ ﴿ لهم فيها ما يشاؤون خالدين ﴾ حال لازمة⁽¹⁾ ﴿ كان ﴾ وعدهم ما ذكر ﴿ على ربك وعداً مسؤولاً ﴾ يسأله من وعد به: «ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك»/ آل عمران: ١٩٤/. أو تسأله لهم الملائكة: «ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم»/ غافر: ٨ /.

١٧ ﴿ ويوم نحشرهم ﴾ بالنون والتحتانية⁽²⁾ ﴿ وما يعبدون من دون الله ﴾ أي غيره من الملائكة وعيسى وعزير والجن ﴿ فيقول ﴾ تعالى ـ بالتحتانية والنون ـ للمعبودين، إثباتاً للحجة على العابدين ﴿ ءأنتم ﴾ بتحقيق الهمزتين، وإبدال الثانية ألفاً وتسهيلها، وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه⁽³⁾ ﴿ أضللتم عبادي هؤلاء ﴾ أوقعتموهم في الضلال، بأمركم إياهم بعبادتكم ﴿ أم هم ضلوا السبيل ﴾ طريق الحق بأنفسهم؟.

١٨ ﴿ قالوا سبحانك ﴾ تنزيهاً لك عما لا يليق بك ﴿ ما كان ينبغي ﴾ يستقيم ﴿ لنا أن نتخذ من دونك ﴾ أي غيرك ﴿ من أولياء ﴾ مفعول أول، ومن زائدة لتأكيد النفي، وما قبله الثاني⁽⁴⁾، فكيف نأمر بعبادتنا؟ ﴿ ولكن متعتهم وآباءهم ﴾ من قبلهم، بإطالة العمر وسعة الرزق ﴿ حتى نسوا الذكر ﴾ تركوا الموعظة والإيمان بالقرآن ﴿ وكانوا قوماً بوراً ﴾ هلكى. قال تعالى:

١٩ ﴿ فقد كذبوكم ﴾ كذب المعبودون العابدين ﴿ بما تقولون ﴾ بالفوقانية، أنهم آلهة ﴿ فما يستطيعون ﴾ بالتحتانية والفوقانية، لا هم ولا أنتم ﴿ صرفاً ﴾ دفعاً للعذاب عنكم ﴿ ولا نصراً ﴾ منعاً لكم منه ﴿ ومن يظلم ﴾ يشرك ﴿ منكم نذقه عذاباً كبيراً ﴾ شديداً في الآخرة.

٢٠ ﴿ وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق ﴾ فأنت مثلهم في ذلك، وقد قيل لهم مثل ما قيل لك ﴿ وجعلنا بعضكم لبعض فتنة ﴾ بلية⁽⁵⁾، ابتلي الغني بالفقير، والصحيح بالمريض، والشريف بالوضيع، يقول الثاني في كل: مالي لا أكون كالأول⁽⁶⁾، فيقال لكل: ﴿ أتصبرون ﴾ على ما تسمعون ممن ابتليتم بهم؟ استفهام بمعنى الأمر، أي اصبروا ﴿ وكان ربك بصيراً ﴾ بمن يصبر وبمن يجزع⁽⁷⁾؟

---

(١) أي لازمة عن دخولهم الجنة، لأن من تمام النعيم أن يكون دائماً.

(٢) أي ﴿يحشرهم﴾ بالياء، والمعنى: نجمعهم، أو يجمعهم الله تعالى. والمراد ـ في كل ما يأتي ـ بالتحتانية الياء، وبالفوقانية التاء.

(٣) وصورة هذه القراءات والنطق بها لا تعرف إلا بالتلقي من أفواه القراء.

(٤) المفعول الثاني لنتخذ، وهو دونك بمعنى غيرك، والتقدير: ما يستقيم لنا نحن أن نتخذ أولياء غيرك. (٥) اختبار.

(٦) أي الفقير يقول: مالي لا أكون كالغني، والمريض يقول: ما لي لا أكون كالصحيح، والوضيع يقول: ما لي لا أكون كالشريف. أخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم). وأخرج البخاري ومسلم: (إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه في المال والخَلْق فلينظر إلى من هو أسفل منه). [البخاري: الرقاق، باب: لينظر إلى من هو أسفل منه ولا ينظر إلى من هو فوقه . مسلم: أوائل الزهد والرقائق].

(٧) ضعف وعجز عن التحمل ولم يصبر.

سبب نزول الآية [٢٠]: أخرج الواحدي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما عير المشركون رسول الله ﷺ بالفاقة قالوا: ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق؟ حزن رسول الله ﷺ، فنزل جبريل عليه السلام من عند ربه معزياً له، فقال: السلام عليك يا رسول الله، رب العزة يقرئك السلام، ويقول لك: ﴿وما أرسلْنا قبْلَك من المرسلين إلاّ إنّهم ليأْكُلونَ الطعامَ ويمشونَ في الأسواقِ﴾ أي يبتغون المعاش في الدنيا. [بالفاقة: بالفقر وشدة الحال وضيق العيش. معزياً: مواسياً ومسلياً].

٢١ ﴿ وقال الذين لا يرجون لقاءنا ﴾ لا يخافون البعث ﴿ لولا ﴾ هلاً ﴿ أنزل علينا الملائكة ﴾ فكانوا رسلاً إلينا ﴿ أو نرى ربنا ﴾فيخبرنا بأن محمداً رسوله؟ قال تعالى: ﴿ لقد استكبروا ﴾ تكبروا ﴿ في ﴾ شأن ﴿ أنفسهم(١) وعتوا ﴾ طغوا ﴿ عتواً كبيراً ﴾ بطلبهم رؤية الله تعالى في الدنيا. وعتوا بالواو على أصله، بخلاف عِتِيّ بالإبدال في مريم(٢).

٢٢ ﴿ يوم يرون الملائكة ﴾ في جملة الخلائق، هو يوم القيامة، ونصبه باذكر مقدراً ﴿ لا بشرى يومئذٍ للمجرمين ﴾ الكافرين ،بخلاف المؤمنين فلهم البشرى بالجنة وزيادة ﴿ ويقولون حجراً محجوراً ﴾ على عادتهم في الدنيا إذا نزلت بهم شدة(٣)، أي عوذاً معاذاً، يستعيذون من الملائكة. قال تعالى:

٢٣ ﴿ وقدمنا ﴾ عمدنا ﴿ إلى ما عملوا من عمل ﴾ من الخير: كصدقة، وصلة رحم، وقِرى ضيف(٤)، وإغاثة ملهوف في الدنيا ﴿ فجعلناه هباء منثوراً ﴾ هو ما يرى في الكُوَى(٥) التي عليها الشمس كالغبار المفرق، أي مثله في عدم النفع به، إذ لا ثواب فيه لعدم شرطه(٦)، ويجازون عليه في الدنيا(٧).

٢٤ ﴿ أصحاب الجنة يومئذٍ ﴾ يوم القيامة ﴿ خير مستقراً ﴾ من الكافرين في الدنيا ﴿ وأحسن مقيلاً ﴾ منهم، أي موضع قائلة فيها، وهي الاستراحة نصف النهار في الحر. وأخذ من ذلك انقضاء الحساب في نصف نهار، كما ورد في الحديث.(٨)

٢٥ ﴿ ويوم تشقق السماء ﴾ أي كل سماء ﴿ بالغمام ﴾ أي معه، وهو غيم أبيض ﴿ ونزل الملائكة ﴾ من كل سماء ﴿ تنزيلاً ﴾ هو يوم القيامة، ونصبه باذكر مقدراً، وفي قراءة بتشديد شين «تشَّقق» بإدغام التاء الثانية في الأصل فيها(٩)، وفي أخرى «ننْزِل» بنونين الثانية ساكنة، وضم اللام، ونصب الملائكة.

٢٦ ﴿ الملك يومئذٍ الحق للرحمن ﴾ لا يشركه فيه أحد ﴿وكان﴾ اليوم ﴿يوماً على الكافرين عسيراً﴾ بخلاف المؤمنين.

٢٧ ﴿ ويوم يعض الظالم ﴾ المشرك،وهو عقبة بن أبي معيط، كان نطق بالشهادتين، ثم رجع إرضاءً لأُبَيّ بن خلف ﴿ على يديه ﴾ ندماً وتحسراً في يوم القيامة ﴿ يقول يا ﴾ للتنبيه ﴿ ليتني اتخذت مع الرسول ﴾ محمد ﴿ سبيلاً ﴾ طريقاً إلى الهدى.

٢٨ ﴿ يا ويلتى ﴾ ألفه عوض عن ياء الإضافة، أي ويلتي، ومعناه: هلكتي ﴿ ليتني لم أتخذ فلاناً ﴾ أي أبياً ﴿ خليلاً ﴾(١٠).

٢٩ ﴿ لقد أضلني عن الذكر ﴾ القرآن ﴿ بعد إذ جاءني ﴾ بأن ردني عن الإيمان به، قال تعالى: ﴿ وكان الشيطان للإنسان ﴾ الكافر ﴿ خذولاً ﴾ بأن يتركه ويتبرأ منه عند البلاء.

٣٠ ﴿ وقال الرسول ﴾ محمد ﷺ ﴿ يا رب إن قومي ﴾ قريشاً ومن جاورها ﴿ اتخذوا هذا

* وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ
أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا
كَبِيرًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ
وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ
فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ
مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ
وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ
وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ
عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾
يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى
عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ
خَذُولًا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا

---

(١) حيث لم يرضوا بأن يكون رسولهم من البشر، بل طمعوا أن يكون من الملائكة.

(٢) في قوله تعالى: ﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾/٨/وقوله تعالى: ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمنِ عِتِيًّا﴾ /٦٩/. فانظرهما.

(٣) أي كان من عادة العرب هذا القول عند الشدة، من لقاء عدو ونحوه.

(٤) ما يقدم له من زاد وما يلاقى به من إحسان.

(٥) جمع كُوَّة، وهي الطاقة في الحائط.

(٦) أي عدم شرط الثواب على العمل، وهو الإيمان والإخلاص في العمل لله تعالى.

(٧) بإعطاء المال والولد ونحو ذلك. انظر: / هود: ١٥، ١٦/.

(٨) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: لا ينتصف النهار يوم القيامة حتى يقيل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار. [المستدرك: التفسير، تفسير سورة الفرقان: ٢/٤٠٢].

(٩) وأصلها: تتشقق، فعلى الأولى حذفت إحدى التاءين، وعلى الثانية قلبت شيناً وأدغمت.

(١٠) صاحباً وصديقاً أخلص له وأسعى في إرضائه.

سبب نزول الآية [٢٧]: قال الواحدي: إن أبيّ بن خلف وعقبة بن أبي معيط كانا متحالفين، وكان عقبة لا يقدم من سفر إلا صنع طعاماً فدعا

القرآن مهجوراً ﴾ متروكاً(٩). قال تعالى:

٣١ ﴿ وكذلك ﴾ كما جعلنا لك عدواً من مشركي قومك ﴿ جعلنا لكل نبي ﴾ قبلك ﴿ عدواً من المجرمين ﴾ المشركين، فاصبر كما صبروا ﴿ وكفى بربك هادياً ﴾ لك ﴿ ونصيراً ﴾ ناصراً لك على أعدائك.

٣٢ ﴿ وقال الذين كفروا لولا ﴾ هلّا ﴿ نزل عليه القرآن جملة واحدة ﴾(٢) كالتوراة والإنجيل والزبور؟ قال تعالى: نزلناه ﴿ كذلك ﴾ متفرقاً ﴿ لنثبت به فؤادك ﴾ نقوي به قلبك(٣) ﴿ ورتلناه ترتيلاً ﴾ أتينا به شيئاً بعد شيء بتمهل وتؤدة ليتيسر فهمه وحفظه.

٣٣ ﴿ ولا يأتونك بمثل ﴾ في إبطال أمرك(٤) ﴿ إلا جئناك بالحق ﴾ الدافع له ﴿ وأحسن تفسيراً ﴾ بياناً لهم.

٣٤ ﴿ الذين يحشرون على وجوههم ﴾ يساقون(٥) ﴿ إلى جهنم أولئك شر مكاناً ﴾ هو جهنم(٦) ﴿ وأضل سبيلاً ﴾ أخطأ طريقاً من غيرهم، وهو كفرهم(٧).

٣٥ ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب ﴾ التوراة ﴿ وجعلنا معه أخاه هارون وزيراً ﴾ معيناً(٨).

٣٦ ﴿ فقلنا اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا ﴾ القبط: فرعون وقومه، فذهبا إليهم بالرسالة، فكذبوهما ﴿ فدمرناهم تدميراً ﴾ أهلكناهم إهلاكاً.

٣٧ ﴿ و ﴾ اذكر ﴿ قوم نوح لما كذبوا الرسل ﴾ بتكذيبهم نوحاً، لطول لبثه فيهم فكأنه رسل، أو لأن تكذيبه تكذيب لباقي الرسل، لاشتراكهم في المجيء بالتوحيد ﴿ أغرقناهم ﴾ جواب لما ﴿ وجعلناهم للناس ﴾ بعدهم ﴿ آية ﴾ عبرة ﴿ وأعتدنا ﴾ في الآخرة ﴿ للظالمين ﴾ الكافرين ﴿ عذاباً أليماً ﴾ مؤلماً، سوى ما يحل بهم في الدنيا(٩).

٣٨ ﴿ و ﴾ اذكر ﴿ عاداً ﴾ قوم هود ﴿ وثمود ﴾ قوم صالح ﴿ وأصحاب الرس ﴾ اسم بئر، ونبيهم: قيل شعيب، وقيل غيره، كانوا قعوداً حولها، فانهارت بهم وبمنازلهم ﴿ وقروناً ﴾ أقواماً ﴿ بين ذلك كثيراً ﴾ بين عاد وأصحاب الرس.

٣٩ ﴿ وكلاً ضربنا له

(الجزء التاسع عشر) ٤٧٤

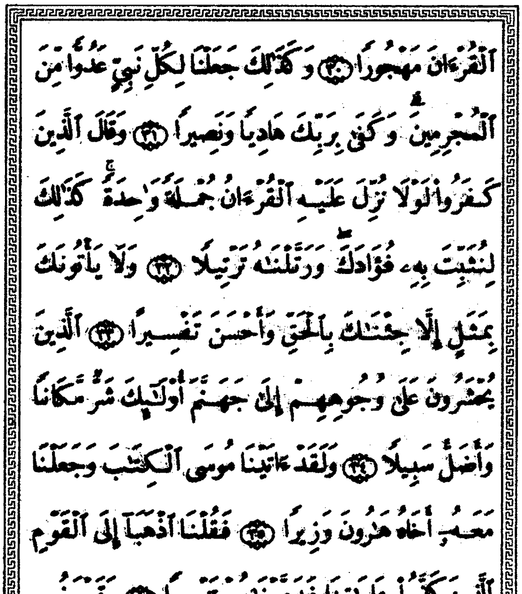

ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ
ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ
لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ
بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ٱلَّذِينَ
يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا
وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا
مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ
ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ
لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ۖ
وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَأَصْحَٰبَ
ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ

---

(١) فلم يؤمنوا به، وقد تكون هذه الشكوى ممن آمنوا به ولم يلتزموا أحكامه. (٢) دفعة واحدة دون تفريق.

(٣) بنزول الوحي والبلاغ من الله عزّ وجلّ حين تلقى ما تلقى من إعراض القوم. (٤) من سؤال عجيب ونحوه.

(٥) يسحبون ويجرون ورؤوسهم ووجوههم على الأرض، إهانة وإذلالاً. عن قتادة: حدّثنا أنس بن مالك رضي الله عنه: أنّ رجلاً قال: يا نبي الله، كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال: (أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادراً على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة). قال قتادة: بلى وعزّة ربنا. [البخاري: التفسير، باب: قوله: ﴿الذين يحشرون على وجوههم..﴾، رقم: ٤٤٨٢. مسلم: صفات المنافقين وأحكامهم، باب: يحشر الكافر على وجهه، رقم: ٢٨٠٦].

(٦) أي منزلهم المنزل السيء في ذلك اليوم وهو جهنم.

(٧) أي أخطؤوا الطريق حين سلكوا سبيل الكفر وتركوا منهج الإيمان. (٨) وكان رسولاً مثله في الدعوة إلى الإيمان والتوحيد.

(٩) ما ينزل بهم من كوارث وآلام ومصائب.

إليه أشراف قومه، وكان يكثر مجالسة النبي ﷺ، فقدم من سفره ذات يوم فصنع طعاماً، فدعا الناس ودعا رسول الله ﷺ إلى طعامه، فلما قرب الطعام قال رسول الله ﷺ: (ما أنا بآكل من طعامك حتى تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله). فقال عقبة: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. فأكل رسول الله ﷺ من طعامه، وكان أبي بن خلف غائباً، فلما أخبر بقصته قال: صبأت يا عقبة، فقال: والله ما صبأت، ولكن دخل عليّ رجل فأبى أن يطعم من طعامي إلا أن أشهد له، فاستحييت أن يخرج من بيتي ولم يطعم، فشهدت فطعم. فقال أبيّ: ما أنا بالذي رضي منك أبداً إلا أن تأتيه فتبزق في وجهه وتطأ عنقه. ففعل ذلك عقبة، فأخذ رحم دابة فألقاها بين كتفيه، فقال رسول الله ﷺ: (لا ألقاك خارجاً من مكة إلا علوت رأسك بالسيف). فقتل عقبة يوم بدر صبراً. وأما أبي بن خلف فقتله النبي ﷺ يوم أحد في المبارزة، فأنزل الله تعالى فيهما هذه الآية.

وقال الضحاك: لما بزق عقبة في وجه رسول الله ﷺ عاد بزاقه في وجهه فتشعب شعبتين، فأحرق خديه، وكان أثر ذلك فيه حتى الموت.

سبب نزول الآية [٣٢]: أخرج الحاكم وصححه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال المشركون: إن كان محمد كما يزعم نبياً فلم يعذبه

الأمثال﴾ في إقامة الحُجة عليهم، فلم نهلكهم إلا بعد الإنذار **﴿وكلاً تبرنا تتبيراً﴾** أهلكنا إهلاكاً، بتكذيبهم أنبياءهم.

٤٠ **﴿ولقد أتوا﴾** مر كفار مكة **﴿على القرية التي أمطرت مطر السوء﴾** مصدر ساء: بالحجارة، وهي عظمى قرى قوم لوط، فأهلك الله أهلها لفعلهم الفاحشة **﴿أفلم يكونوا يرونها﴾** في سفرهم إلى الشام(١) فيعتبروا، والاستفهام للتقرير(٢) **﴿بل كانوا لا يرجون﴾** يخافون **﴿نشوراً﴾** بعثاً، فلا يؤمنون.

٤١ **﴿وإذا رأوك إن﴾** ما **﴿يتخذونك إلا هزواً﴾** مهزوؤاً به، يقولون **﴿أهذا الذي بعث الله رسولاً﴾** في دعواه(٣)، محتقرين له عن الرسالة.

٤٢ **﴿إن﴾** مخففة من الثقيلة واسمها محذوف، أي إنه **﴿كاد ليضلنا﴾** يصرفنا **﴿عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها﴾**(٤) لصرفنا عنها. قال تعالى **﴿وسوف يعلمون حين يرون العذاب﴾** عياناً في الآخرة **﴿من أضل سبيلاً﴾** أخطأ طريقاً، أهم أم المؤمنون؟.

٤٣ **﴿أرأيت﴾** أخبرني **﴿من اتخذ إلهه هواه﴾** أي مهويّه، قدم المفعول الثاني لأنه أهم(٥)، وجملة من اتخذ مفعول أول لرأيت، ومفعوله الثاني **﴿أفأنت تكون عليه وكيلاً﴾** حافظاً تحفظه عن اتباع هواه؟ لا.

٤٤ **﴿أم تحسب أن أكثرهم يسمعون﴾** سماع تفهّم **﴿أو يعقلون﴾** ما تقول لهم **﴿إن﴾** ما **﴿هم إلا كالأنعام﴾**(٦) بل هم أضل سبيلاً **﴾** أخطأ طريقاً منها، لأنها تنقاد لمن يتعهدها وهم لا يطيعون مولاهم المنعم المتفضل عليهم(٧).

٤٥ **﴿ألم ترَ﴾** تنظر **﴿إلى﴾** فعل **﴿ربك كيف مد الظل﴾** من وقت الإسفار(٨) إلى وقت طلوع الشمس **﴿ولو شاء﴾** ربك **﴿لجعله ساكناً﴾** مقيماً لا يزول بطلوع الشمس **﴿ثم جعلنا الشمس عليه﴾** أي الظل **﴿دليلاً﴾** فلولا الشمس ما عرف الظل. قال تعالى:

٤٦ **﴿ثم قبضناه﴾** أي الظل الممدود **﴿إلينا قبضاً يسيراً﴾** خفياً، بطلوع الشمس(٩).

٤٧ **﴿وهو الذي جعل لكم الليل لباساً﴾** ساتراً كاللباس **﴿والنوم سباتاً﴾** راحة للأبدان بقطع الأعمال **﴿وجعل النهار نشوراً﴾** منشوراً فيه لابتغاء الرزق وغيره.

٤٨ **﴿وهو**

ٱلْأَمْثَٰلَ ۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ
ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ كَانُوا۟
لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا
أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ
ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ
ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ
هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ
أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ
هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ
شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾
ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ
ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ

---

(١) وقد كانت على طريقهم.

(٢) وهو حمل المخاطب على الإقرار بما يعرفه، أي كانوا يرونها، ولكنهم لا يتعظون بها.

(٣) أي: أهذا الذي يدعي أن الله تعالى بعثه رسولاً؟.

(٤) استمسكنا بعبادتها واستمررنا على تعظيمها.

(٥) الأصل: اتخذ هواه إلهه، أي جعله المسير له في تفكيره وسلوكه. قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان الرجل في الجاهلية يعبد الحجر الأبيض زماناً، فإذا رأى غيره أحسن منه عبد الثاني وترك الأول. [تفسير ابن كثير]

(٦) وهي الإبل والبقر والغنم والمعز.

(٧) وكذلك هي غير مكلفة لأنها لا عقل لها، وهؤلاء مكلفون لما أعطاهم الله تعالى من العقل الذي يدركون به الحق من الباطل، والذي يقتضي منهم أن يلتزموا شرع الله تعالى فيطيعوا أمره ويجتنبوا نهيه، وهم مع ذلك كله معرضون عن الحق، سالكون لطرق الباطل والضلال.

(٨) هو الوقت الذي تتعارف فيه الوجوه بعد سطوع ضوء الفجر، والجمهور: أن مد الظل في الآية من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، وقيل: المراد أنه تعالى أنشأ ظلاً لكل مُظِل كبناء وجبل وشجر وغيرها.

(٩) أي يذهب الظل المذكور شيئاً فشيئاً، بصورة لطيفة وخفيفة، بسبب ارتفاع الشمس شيئاً فشيئاً.

ربه؟ ألا ينزل عليه القرآن جملة واحدة، فينزل عليه الآية والآيتين؟ فأنزل الله: ﴿وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة﴾.

الذي أرسل الرياح ﴾ وفي قراءة «الرِّيحَ» ﴿ نُشُراً بين يدي رحمته ﴾ متفرقة قدام المطر، وفي قراءة بسكون الشين تخفيفاً، وفي أخرى بسكونها ونون مفتوحة مصدر، وفي أخرى بسكونها وضم الموحدة بدل النون(١): أي مبشرات، ومفرد الأولى نشور كرسول، والأخيرة بشير ﴿ وأنزلنا من السماء ماءً طهوراً ﴾ مطهراً.

٤٩ ﴿ لنحيي به بلدة ميتاً ﴾ بالتخفيف(٢)، يستوي فيه المذكر والمؤنث، ذكَّره باعتبار المكان ﴿ ونسقيه ﴾ أي الماء ﴿ مما خلقنا أنعاماً ﴾ إبلاً وبقراً وغنماً ﴿ وأناسي كثيراً ﴾ جمع إنسان، وأصله أناسين، فأبدلت النون ياءً وأدغمت فيها الياء، أو: جمع إنسي.

٥٠ ﴿ ولقد صرفناه ﴾(٣) أي الماء ﴿ بينهم ليذكروا ﴾ أصله يتذكروا(٤)، أدغمت التاء في الذال، وفي قراءة «لِيَذْكُرُوا» بسكون الذال وضم الكاف، أي نعمة الله به ﴿ فأبى أكثر الناس إلا كفوراً ﴾ جحوداً للنعمة، حيث قالوا: مطرنا بنوء كذا(٥).

٥١ ﴿ ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيراً ﴾ يخوف أهلها، ولكن بعثناك إلى أهل القرى كلها نذيراً ليعظم أجرك.

٥٢ ﴿ فلا تطع الكافرين ﴾ في هواهم ﴿ وجاهدهم به ﴾ أي القرآن(٦) ﴿ جهاداً كبيراً ﴾.

٥٣ ﴿ وهو الذي مرج البحرين ﴾ أرسلهما متجاورين(٧) ﴿ هذا عذب فرات ﴾ شديد العذوبة ﴿ وهذا ملح أجاج ﴾ شديد الملوحة ﴿ وجعل بينهما برزخاً ﴾ حاجزاً، لا يختلط أحدهما بالآخر ﴿ وحجراً محجوراً ﴾ ستراً ممنوعاً به اختلاطهما.

٥٤ ﴿ وهو الذي خلق من الماء بشراً ﴾ من المني إنساناً ﴿ فجعله نسباً ﴾ ذا نسب ﴿ وصهراً ﴾ ذا صهر: بأن يتزوج، ذكراً كان أو أنثى، طلباً للتناسل ﴿ وكان ربك قديراً ﴾ قادراً على ما يشاء.

٥٥ ﴿ ويعبدون ﴾ أي الكفار ﴿ من دون الله ما لا ينفعهم ﴾ بعبادته ﴿ ولا يضرهم ﴾ بتركها، وهو الأصنام ﴿ وكان الكافر على ربه ظهيراً ﴾ معيناً للشيطان بطاعته(٨).

٥٦ ﴿ وما أرسلناك إلا مبشراً ﴾ بالجنة ﴿ ونذيراً ﴾ مخوفاً من النار.

٥٧ ﴿ قل ما أسألكم عليه ﴾ أي على تبليغ ما أرسلت به ﴿ من أجر إلا ﴾ لكن ﴿ من شاء

ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ
ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ
مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ
بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ
شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ
وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ * وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ
ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ
بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ
ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾
وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ
ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا
وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ

---

(١) فصارت القراءات أربعاً: ﴿نُشُراً﴾ و﴿نُشْراً﴾ و﴿نَشْراً﴾ و﴿بُشْراً﴾ وكلها متواترة.

(٢) أي بتسكين الياء.

(٣) فرقناه في البلاد.

(٤) ليتعظوا ويعتبروا.

(٥) أي بسقوط النجم الفلاني من منزله في المغرب وطلوع رقيبه في ساعته من المشرق، وكانت العرب تضيف الأمطار ونحوها لذلك، فأبطل هذا الإسلام، وأسند الأمور إلى الله عزّ وجلّ، وقرر أن اعتقاد تأثير تلك الأشياء بالمصنوعات كفر.

أخرج البخاري [صفة الصلاة، باب: يستقبل الإمام الناس إذا سلم، رقم: ٨١٠] ومسلم [الإيمان، باب: بيان كفر من قال مطرنا بالنوء، رقم: ٧١] عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه أنه قال: صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية، على إثر سماء كانت من الليلة، فلما انصرف، أقبل على الناس فقال: (هل تدرون ماذا قال ربكم). قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: (أصبح من عبادي مؤمن وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب). [إثر سماء: بعد هطول أمطار. بنوء: بسبب الكوكب الفلاني، من ناء النجم إذا سقط أو طلع].

(٦) بإقامة حججه وبراهينه.

(٧) متلاصقين.

(٨) أي بطاعته للشيطان أعانه على معصية الله تعالى.

أن يتخذ إلى ربه سبيلاً ﴾ طريقاً من جملة الطرق الموصلة، بإنفاق ماله في مرضاته تعالى، فلا أمنعه من ذلك.

٥٨ ﴿ وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح ﴾ متلبساً ﴿ بحمده ﴾ أي قل: سبحان الله والحمد لله ﴿ وكفى به بذنوب عباده خبيراً ﴾ عالماً، تعلق به بذنوب(١).

٥٩ هو ﴿ الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ﴾ من أيام الدنيا، أي قدرها، لأنه لم يكن ثَمَّ شمس، ولو شاء لخلقهن في لمحة، والعدول عنه لتعليم خلقه التثبت(٢) ﴿ثم استوى على العرش﴾ هو في اللغة سرير الملك(٣) ﴿الرحمن﴾ بدل من ضمير استوى، أي استواءً يليق به ﴿فاسأل﴾ أيها الإنسان ﴿به﴾ بالرحمن ﴿خبيراً﴾ يخبرك بصفاته(٤).

٦٠ ﴿ وإذا قيل لهم ﴾ لكفار مكة ﴿ اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا ﴾ بالفوقانية والتحتانية(٥)، والآمر محمد، ولا نعرفه(٦)، لا ﴿ وزادهم ﴾ هذا القول ﴿ نفوراً ﴾ عن الإيمان بالله عز وجل.

٦١ قال تعالى: ﴿ تبارك ﴾ تعاظم ﴿ الذي جعل في السماء بروجاً ﴾ اثني عشر: الحَمَل(٧) والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت، وهي منازل الكواكب السبعة السيارة: المريخ وله الحمل والعقرب، والزهرة ولها الثور والميزان، وعطارد وله الجوزاء والسنبلة، والقمر وله السرطان، والشمس ولها الأسد، والمشتري وله القوس والحوت، وزحل وله الجدي والدلو ﴿ وجعل فيها ﴾ أيضاً ﴿ سراجاً ﴾ هو الشمس ﴿ وقمراً منيراً ﴾ وفي قراءة «سُرُجاً» بالجمع، أي نيرات، وخص القمر منها بالذكر لعظم قدره ولنوع فضيلته(٨).

٦٢ ﴿ وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة ﴾ أي يخلف كل منهما الآخر ﴿ لمن أراد أن يذكر ﴾ بالتشديد والتخفيف كما تقدم(٩): ما فاته في أحدهما من خير فيفعله في الآخر ﴿ أو أراد شكوراً ﴾ شكراً لنعمة ربه عليه فيهما.

٦٣ ﴿ وعباد الرحمن ﴾ مبتدأ، وما بعده صفات له إلى «أولئك يجزون» غير المعترض فيه(١٠) ﴿ الذين يمشون على الأرض هوناً ﴾ بسكينة ووقار وتواضع ﴿ وإذا خاطبهم الجاهلون ﴾ بما يكرهونه ﴿ قالوا سلاماً ﴾ أي قولاً يسلمون فيه من الإثم.

٦٤ ﴿ والذين يبيتون لربهم سجداً ﴾ جمع ساجد ﴿ وقياماً ﴾ بمعنى قائمين يصلون بالليل.

٦٥ ﴿ والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً ﴾ لازماً.

أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى
لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ
خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا
فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ
خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ
أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴿٦٠﴾ ۞ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ
فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾
وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ
أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى
ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾
وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ
رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾

---

(١) أي الجار والمجرور «بذنوب» تعلق باسم الفاعل «خبيراً».

(٢) التأني والتؤدة وعدم العجلة في الأمور.

(٣) ومنه ما ذكر في قوله تعالى: ﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا﴾ /النمل: ٣٨/. وأما المراد به هنا فهو جسم عظيم محيط بالكون فوق السماوات السبع.

(٤) أي اسأل عن الله تعالى من يخبرك بصفاته على الوجه الأتم، ولا خبير بصفاته على هذا الوجه إلا هو سبحانه، فينبغي الجزم والتسليم بما أخبرنا به على لسان نبيه ﷺ وفي كتابه.

(٥) أي ﴿تأمرنا﴾ و ﴿يأمرنا﴾ وهما متواترتان.

(٦) أي أنسجد للرحمن الذي تأمرنا بالسجود له ونحن لا نعرفه؟.

(٧) وهو في اللغة ولد الضأن في السنة الأولى.

(٨) لما يرتبط بمنازله من الفوائد الدينية والدنيوية.

(٩) في قوله ﴿ليذكروا﴾ الآية [٥٠].

(١٠) من غير الصفات، وهو ﴿ ومن يفعل ذلك... متاباً ﴾ الآتي.

٦٦ ﴿ إنها ساءت ﴾ بئست ﴿ مستقراً ومقاماً ﴾ هي، أي موضع استقرار وإقامة.

٦٧ ﴿ والذين إذا أنفقوا ﴾ على عيالهم ﴿ لم يسرفوا ولم يقتروا ﴾ بفتح أوله وضمه(١)، أي يضيقوا ﴿ وكان ﴾ إنفاقهم ﴿ بين ذلك ﴾ الإسراف والإقتار ﴿ قواماً ﴾ وسطاً.

٦٨ ﴿ والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله ﴾ قتلها ﴿ إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك ﴾ واحداً من الثلاثة(٢) ﴿يلق أثاماً﴾ عقوبة.

٦٩ ﴿ يضاعف ﴾ وفي قراءة «يُضَعَّفْ» بالتشديد ﴿ له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه ﴾ بجزم الفعلين بدلاً(٣)، وبرفعهما استئنافاً ﴿ مهاناً ﴾ حال(٤).

٧٠ ﴿ إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً ﴾ منهم(٥) ﴿ فأولئك يبدل الله سيئاتهم ﴾ المذكورة ﴿ حسنات ﴾ في الآخرة ﴿ وكان الله غفوراً رحيماً ﴾ لم يزل متصفاً بذلك.

٧١ ﴿ ومن تاب ﴾ من ذنوبه غير من ذكر ﴿ وعمل صالحاً فإنه يتوب إلى الله متاباً ﴾ يرجع إليه رجوعاً، فيجازيه خيراً.

٧٢ ﴿ والذين لا يشهدون الزور ﴾ الكذب والباطل(٦) ﴿ وإذا مروا باللغو ﴾ من الكلام القبيح وغيره ﴿ مروا كراماً ﴾ معرضين عنه(٧).

٧٣ ﴿ والذين إذا ذكروا ﴾ وعظوا ﴿ بآيات ربهم ﴾ القرآن ﴿ لم يخرّوا ﴾ يسقطوا ﴿ عليها صماً وعمياناً ﴾ بل خروا سامعين ناظرين منتفعين.

٧٤ ﴿ والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا ﴾ بالجمع والإفراد(٨) ﴿ قرة أعين ﴾ لنا(٩)، بأن نراهم مطيعين لك ﴿ واجعلنا للمتقين إماماً ﴾ في الخير.

إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا (٦٦) وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ
يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا (٦٧) وَٱلَّذِينَ
لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي
حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ
أَثَامٗا (٦٨) يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ
مُهَانًاۙ (٦٩) إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا
فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا
رَّحِيمٗا (٧٠) وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ
مَتَابٗا (٧١) وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ
مَرُّواْ كِرَامٗا (٧٢) وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَمۡ يَخِرُّواْ
عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا (٧٣) وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ
أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا (٧٤)

---

(١) القراءات ثلاث: ﴿يَقْتِرُوا﴾ ﴿يَقْتُرُوا﴾ ﴿يُقْتِرُوا﴾ وكلها متواترة.

(٢) لا يدعون. . : لا يشركون معه أحداً غيره في الألوهية.
واحداً من الثلاثة: وهي: عبادة غير الله تعالى معه، وقتل النفس المحرم قتلها، والزنا.

(٣) بدلاً من يلق، والفعلان: يضاعف ويخلد.

(٤) أي حال كونه ذليلاً محتقراً.

(٥) في الحين الذي تقبل فيه التوبة، وذلك في الحياة وقبل الغرغرة، وقبل أن تطلع الشمس من مغربها.
عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: (إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر) [الترمذي: الدعوات، باب: باب التوبة مفتوح قبل الغرغرة، رقم: ٣٥٣١]
والغرغرة في الأصل: أن يجعل المشروب في الفم ويردد إلى أصل الحلق ولا يبلع، والمراد هنا: ما لم تبلغ الروح الحلقوم، فتكون بمنزلة الشيء الذي يتغرغر به المريض.
وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون، وذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها) ثم قرأ الآية.
[البخاري: التفسير/الأنعام، باب: ﴿لا ينفع نفساً إيمانها﴾ رقم: ٤٣٦٠. مسلم: الإيمان، باب: بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان، رقم: ١٥٧] والآية المذكورة والتي قرأها هي الآية [١٥٨] من سورة الأنعام.

(٦) أخرج البخاري ومسلم عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر) قلنا: بلى يا رسول الله، قال: (الإشراك بالله، وعقوق الوالدين) وكان متكئاً فجلس فقال: (ألا وقول الزور وشهادة الزور) فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت. [البخاري: الشهادات، باب: ما قيل في شهادة الزور، رقم: ٢٥١١. مسلم: الإيمان، باب: بيان الكبائر وأكبرها، رقم: ٨٧]

(٧) مكرمين أنفسهم عن الخوض فيه.

(٨) أي ﴿وَذُرِّيَّتِنَا﴾ وهما متواترتان.

(٩) ما يحصل به سرورنا ولا سيما حين تراه أعيننا.

سبب نزول الآية [٦٨ - ٧٠]: عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سألت النبي ﷺ: أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: (أن تجعل لله نداً وهو خلقك). قلت: إن ذلك لعظيم، قلت: ثم أيّ؟ قال: (وأن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك). قلت: ثم أيّ؟ قال: (أن تزاني حليلة جارك). فأنزل الله تصديقها: ﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر. .﴾ [البخاري: التفسير/البقرة، باب: قوله تعالى: ﴿فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون﴾ رقم:

٧٥ ﴿ أولئك يجزون الغرفة ﴾ الدرجة العليا في الجنة ﴿ بما صبروا ﴾ على طاعة الله ﴿ ويلقون ﴾ بالتشديد، والتخفيف مع فتح الياء(١) ﴿ فيها ﴾ في الغرفة ﴿ تحية وسلاماً ﴾ من الملائكة.

٧٦ ﴿ خالدين فيها حسنت مستقراً ومقاماً ﴾ موضع إقامة لهم، وأولئك وما بعده خبر «عباد الرحمن» المبتدأ.

٧٧ ﴿ قل ﴾ يا محمد لأهل مكة: ﴿ ما ﴾ نافية ﴿ يعبأ ﴾ يكترث ﴿ بكم ربي لولا دعاؤكم ﴾ إياه في الشدائد فيكشفها ﴿ فقد ﴾ أي كيف يعبأ بكم وقد ﴿ كذبتم ﴾ الرسول والقرآن ﴿ فسوف يكون ﴾ العذاب ﴿ لزاماً ﴾ ملازماً لكم في الآخرة بعد ما يحل بكم في الدنيا، فقتل منهم يوم بدر سبعون، وأسر منهم مثلها. وجواب لولا دل عليه ما قبلها(٢).

(سورة الشعراء)

(مكية إلا آية ٢٢٤ ﴿والشعراء . . ﴾ إلى آخر السورة فمدنية، وآياتها مائتان وسبع وعشرون آية)

بسم الله الرحمن الرحيم

أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾ خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾

(٢٦) سورة الشعراء مكية وآياتها سبع وعشرون ومائتان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

طسم ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴿٤﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ

١ ﴿ طسم ﴾ الله أعلم بمراده بذلك(٣).

٢ ﴿ تلك ﴾ هذه الآيات ﴿ آيات الكتاب ﴾ القرآن، الإضافة بمعنى من ﴿ المبين ﴾ المظهر للحق من الباطل.

٣ ﴿ لعلك ﴾ يا محمد ﴿ باخع نفسك ﴾ قاتلها غماً من أجل ﴿ ألا يكونوا ﴾ أهل مكة ﴿ مؤمنين ﴾ ولعل هنا للإشفاق، أي أشفق على نفسك وارفق بها بتخفيف هذا الغم.

٤ ﴿ إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية(٤) فظلت ﴾ بمعنى المضارع أي تظل، تدوم ﴿ أعناقهم لها خاضعين ﴾ فيؤمنون، ولما وصفت الأعناق بالخضوع - الذي هو لأربابها(٥) - جمعت الصفة منه جمع العقلاء.

٥ ﴿ وما يأتيهم من ذكر ﴾ قرآن ﴿ من الرحمن محدث ﴾ صفة كاشفة(٦) ﴿ إلا كانوا عنه

---

(١) أي ﴿يُلْقَوْنَ﴾ وهما متواترتان.

(٢) وهو قوله: ﴿ما يعبأ . . ﴾ والتقدير: لولا طلبكم من الله تعالى رفع الشدائد لا يكترث بكم ولا يرفعها. وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه فسر اللزام بما أصابهم يوم بدر. [البخاري: التفسير باب: تفسير سورة ﴿الم غلبت الروم﴾ رقم: ٤٤٩٦].

(٣) وانظر لأوائل سورة البقرة.

(٤) حادثاً خارقاً للعادة يروعهم.

(٥) أي الخضوع لأصحاب الأعناق وليس للأعناق.

(٦) أي موضحة للفعل ﴿يأتيهم﴾ قبلها، فإنه يفيد الحدوث والتجدد، والمراد: محدث نزوله.

فائدة: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم، كما تتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق، من المشرق أو المغرب، لتفاضل ما بينهم). قالوا: يارسول الله، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم ؟ قال: (بلى، والذي نفسي بيده، رجالٌ آمنوا بالله وصدقوا المرسلين) [البخاري: بدء الخلق، باب: ما جاء في

٤٢٠٧. مسلم: الإيمان، باب: كون الشرك أقبح الذنوب وبيان أعظمها بعده، رقم: ٨٦] نداً: شريكاً، والند المثل والنظير. حليلة: زوجة، سميت حليلة لأنها تحل له.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن ناساً من أهل الشرك قتلوا فأكثروا، وزنوا فأكثروا، ثم أتوا محمداً ﷺ، فقالوا: إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن لو تخبرنا أنّ لما عملنا كفارة. فنزلت: ﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر - إلى قوله - غفوراً رحيماً﴾. ونزل: ﴿قل ياعبادي الذين أسرفوا﴾ الآية [الزمر: ٥٣]. [البخاري: التفسير/ الزمر، باب: ﴿يا عبادي الذين أسرفوا . . ﴾ رقم: ٤٥٣٢. مسلم: الإيمان، باب: كون الإسلام يهدم ما قبله . . ، رقم: ١٢٢]

وعن ابن عباس رضي الله عنهما - أيضاً - قال: لما أنزلت في الفرقان: ﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي﴾ الآية، قال مشركو أهل مكة: فقد قتلنا النفس التي حرم الله، ودعونا مع الله إلهاً آخر، وقد أتينا الفواحش، فأنزل الله: ﴿إلا من تاب﴾ الآية. [البخاري: فضائل الصحابة، باب: ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة، رقم: ٣٦٤٢. مسلم: التفسير، رقم: ٣٠٢٣].

معرضين ﴾.
٦ ﴿ فقد كذَّبوا ﴾ به ﴿ فسيأتيهم أنباء ﴾ عواقب ﴿ ما كانوا به يستهزئون ﴾.
٧ ﴿ أو لم يروا ﴾ ينظروا ﴿ إلى الأرض كم أنبتنا فيها ﴾ أي كثيراً ﴿ من كل زوج كريم ﴾ نوع حسن.
٨ ﴿ إن في ذلك لآية ﴾ دلالة على كمال قدرته تعالى ﴿ وما كان أكثرهم مؤمنين ﴾ في علم الله، وكان - قال سيبويه - زائدة⁽١⁾.
٩ ﴿ وإن ربك لهو العزيز ﴾ ذو العزة، ينتقم من الكافرين ﴿ الرحيم ﴾ يرحم المؤمنين.
١٠ ﴿ و ﴾ اذكر يا محمد لقومك ﴿ إذ نادى ربك موسى ﴾ ليلة رأى النار والشجرة ﴿ أن ﴾ أي بأن ﴿ ائت القوم الظالمين ﴾ رسولاً.
١١ ﴿ قوم فرعون ﴾ معه⁽٢⁾، ظلموا أنفسهم بالكفر بالله، وظلموا بني إسرائيل باستعبادهم ﴿ ألا ﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري ﴿ يتقون ﴾ الله بطاعته فيوحدوه. ١٢ ﴿ قال ﴾ موسى ﴿ رب إني أخاف أن يكذبون ﴾.
١٣ ﴿ ويضيق صدري ﴾ من تكذيبهم لي ﴿ ولا ينطلق لساني ﴾ بأداء الرسالة، للعقدة التي فيه⁽٣⁾ ﴿ فأرسل إلى ﴾ أخي ﴿ هارون ﴾ معي.
١٤ ﴿ ولهم عليّ ذنب ﴾ بقتل القبطي منهم⁽٤⁾ ﴿ فأخاف أن يقتلون ﴾ به.
١٥ ﴿ قال ﴾ تعالى ﴿ كلا ﴾ لا يقتلونك ﴿ فاذهبا ﴾ أنت وأخوك، ففيه تغليب الحاضر على الغائب⁽٥⁾ ﴿ بآياتنا إنا معكم مستمعون ﴾ ما تقولون وما يقال لكم، أجريا مجرى الجماعة⁽٦⁾.
١٦ ﴿ فأتيا فرعون فقولا إنا ﴾ كلًّا منا ﴿ رسول رب العالمين ﴾ إليك.
١٧ ﴿ أن ﴾ بأن ﴿ أرسل معنا ﴾ إلى الشام ﴿ بني إسرائيل ﴾ فَأَتَيَاه، فقالا له ما ذكر.
١٨ ﴿ قال ﴾ فرعون لموسى ﴿ ألم نربك فينا ﴾ في منازلنا ﴿ وليداً ﴾ صغيراً قريباً من الولادة بعد فطامه ﴿ ولبثت فينا من عمرك سنين ﴾ ثلاثين سنة، يلبس من ملابس فرعون، ويركب من مراكبه، وكان يسمى ابنه⁽٧⁾.
١٩ ﴿ وفعلت فعلتك التي فعلت ﴾ هي قتله القبطي

مُعۡرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدۡ كَذَّبُواْ فَسَيَأۡتِيهِمۡ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ
يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٦﴾ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَمۡ أَنۢبَتۡنَا فِيهَا
مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ
أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾
وَإِذۡ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئۡتِ ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾
قَوۡمَ فِرۡعَوۡنَۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن
يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدۡرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرۡسِلۡ
إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمۡ عَلَيَّ ذَنۢبٞ فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ ﴿١٤﴾
قَالَ كَلَّاۖ فَٱذۡهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأۡتِيَا
فِرۡعَوۡنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنۡ أَرۡسِلۡ
مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمۡ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدٗا وَلَبِثۡتَ
فِينَا مِنۡ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلۡتَ فَعۡلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلۡتَ

صفة الجنة وأنها مخلوقة، رقم: ٣٠٨٣. مسلم: الجنة وصفة نعيمها. . ، باب: يتراءى أهل الجنة أهل الغرف، رقم: ٢٨٣١] [يتراءون: يرون وينظرون ويتكلفون لذلك. أهل الغرف: أصحاب المنازل العالية، والغرف جمع غرفة وهي العِلّيّة. الغابر: الذاهب، أو الباقي بعد انتشار ضوء الفجر. الأفق: أطراف السماء. لتفاضل ما بينهم: لبعد منازل أهل الغرف وعلو درجاتهم عن باقي أهل الجنة.]

(١) وعلى تقدير زيادتها يصير المعنى: ولا يؤمن أكثرهم مع وضوح الدليل.

(٢) أي فرعون وقومه.

(٣) أي الثقل الذي حصل بسبب احتراق لسانه في صغره.

(٤) انظر/ القصص: ١٥ - ٢١/.

(٥) أي خوطب موسى عليه السلام بصيغة المثنى تغليباً له - وهو الحاضر في ذلك المكان - على الغائب عنه وهو هارون عليه السلام، لأنه كان إذ ذاك في مصر، والخطاب والإرسال المذكوران كانا في الطور. وأيضاً: الحضور والغياب بالنسبة لموسى عليه السلام، وإلا فهما حاضران بالنسبة لله تعالى، وإنما خوطب موسى عليه السلام من الله تعالى بلا واسطة، وخوطب هارون عليه السلام بواسطة جبريل عليه السلام، والله تعالى أعلم.

(٦) أي خوطبا بلفظ الجمع بقوله ﴿معكم﴾ وكأنهما جماعة تعظيماً لشأنهما. وقوله تعالى ﴿بآياتنا﴾ أي متلبسين بما جعلناه معكما من الدلائل والمعجزات على صدق دعواكما النبوة. وذكر الآيات بصيغة الجمع - مع أن الذي شاهده آيتان: العصا واليد - باعتبار ما اشتملت عليه العصا وظهر فيما بعد من الخوارق العديدة، كتفجير الماء من الحجر وفلق البحر وغير ذلك، والله أعلم.

(٧) انظر/ القصص: ٨ - ١٤/.

﴿ وأنت من الكافرين ﴾ الجاحدين لنعمتي عليك بالتربية وعدم الاستعباد.

٢٠ **﴿ قال ﴾** موسى **﴿ فعلتها إذاً ﴾** حينئذٍ **﴿ وأنا من الضالين ﴾**(١) عما آتاني الله من بعدها من العلم والرسالة.

٢١ **﴿ ففررت منكم لما خفتكم**(٢) **فوهب لي ربي حكماً ﴾**(٣) وعلماً **﴿ وجعلني من المرسلين ﴾**.

٢٢ **﴿ وتلك نعمة تمنها عليّ ﴾** أصله: تمن بها **﴿ أن عبدت بني إسرائيل ﴾** بيان لتلك، أي اتخذتهم عبيداً ولم تستعبدني، لا نعمة لك بذلك، لظلمك باستعبادهم. وقدر بعضهم أول الكلام همزة استفهام للإنكار(٤).

٢٣ **﴿ قال فرعون ﴾** لموسى **﴿ وما رب العالمين ﴾** الذي قلت: إنك رسوله، أي أيُّ شيء هو؟. ولما لم يكن سبيل للخلق إلى معرفة حقيقته تعالى، وإنما يعرفونه بصفاته وأسمائه، أجابه موسى عليه الصلاة والسلام ببعضها:

٢٤ **﴿ قال رب السماوات والأرض وما بينهما ﴾** أي خالق ذلك(٥) **﴿ إن كنتم موقنين ﴾** بأنه تعالى خلقه فآمنوا به وحده.

٢٥ **﴿ قال ﴾** فرعون **﴿ لمن حوله ﴾** من أشراف قومه **﴿ ألا تستمعون ﴾** جوابه الذي لم يطابق السؤال(٦).

٢٦ **﴿ قال ﴾** موسى **﴿ ربكم ورب آبائكم الأولين ﴾**(٧) وهذا، وإن كان داخلاً فيما قبله، لكنه يغيظ فرعون، ولذلك(٨):

٢٧ **﴿ قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون ﴾**(٩).

٢٨ **﴿ قال ﴾** موسى **﴿ رب المشرق والمغرب وما بينهما**(١٠) **إن كنتم تعقلون ﴾** أنه كذلك فآمنوا به وحده.

٢٩ **﴿ قال ﴾** فرعون لموسى حينئذ: **﴿ لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين ﴾**(١١) كان سجنه شديداً، يحبس الشخص في مكان ضيق حصر تحت الأرض وحده، لا يبصر ولا يسمع فيه أحداً.

٣٠ **﴿ قال ﴾** له موسى **﴿ أولو ﴾** أتفعل ذلك ولو **﴿ جئتك بشيء مبين ﴾** برهان بيِّن على رسالتي؟

٣١ **﴿ قال ﴾** فرعون له **﴿ فأت به إن كنت من الصادقين ﴾** فيه.

٣٢ **﴿ فألقى عصاه فإذا هي ثعبان**

٤٨١ (سورة الشعراء)

وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ (١٩) قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ
ٱلضَّآلِّينَ (٢٠) فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى
حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ (٢١) وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا
عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ (٢٢) قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ
ٱلْعَٰلَمِينَ (٢٣) قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ
إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ (٢٤) قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ (٢٥)
قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ (٢٦) قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ
ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (٢٧) قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ
وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ (٢٨) قَالَ لَئِنِ
ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ (٢٩)
قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ (٣٠) قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن
كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ (٣١) فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ

---

(١) أي غير المكلفين بما جاء من تشريع بعد، أو: المخطئين غير القاصدين للقتل.

(٢) خفت على نفسي القتل منكم، انظر/ القصص: ٢٠-٢١/.

(٣) نبوة.

(٤) أي أو تلك.. والمعنى: ليست هذه نعمة حتى تمنها عليّ.

(٥) قال ابن كثير: أي خالق جميع ذلك، ومالكه والمتصرف فيه، وإلهه لا شريك له، هو الذي خلق الأشياء كلها: العالم العلوي وما فيه من الكواكب الثوابت والسيارات النيرات، والعالم السفلي وما فيه من بحارٍ وقفارٍ وجبال وأشجارٍ وحيواناتٍ ونبات وثمار، وما بين ذلك من الهواء والطير وما يحتوي عليه الجو، الجميع عبيد له خاضعون ذليلون.

(٦) لأنه سأله بما، وهي يسأل بها عن الحقيقة، فأجابه بالصفة التي يسأل عنها بأي. وقد أنكر ابن كثير هذا المعنى وقال: ومن زعم من أهل المنطق وغيرهم أن هذا سؤال عن الماهية فقد غلط، فإنه لم يكن مقراً بالصانع حتى يسأل عن الماهية، بل كان جاحداً له بالكلية فيما يظهر، وإن كانت الحجج والبراهين قد قامت عليه.

(٧) أي خالقكم وخالق آبائكم الذين كانوا قبل فرعون وزمانه.

(٨) أي ولشدة غيظه قال: إن رسولكم.

(٩) لأني أسأله عن شيء ويجيبني عن شيء آخر، فهو لا يفهم السؤال ـ على زعمه ـ فضلاً عن أن يجيب عنه.

(١٠) قال ابن كثير: أي هو الذي جعل المشرق مشرقاً تطلع منه الكواكب، والمغرب مغرباً تغرب فيه الكواكب: ثوابتها وسياراتها، مع هذا النظام الذي سخرها فيه وقدرها، فإن كان هذا الذي يزعم أنه ربكم وإلهكم صادقاً فليعكس الأمر، وليجعل المشرق مغرباً والمغرب مشرقاً.

(١١) وهكذا حال أهل الباطل والطغاة وأعوانهم، حين يغلبهم أهل الحق بالبرهان والعقل والمنطق، ويعوزهم الدليل ليدافعوا عن باطلهم، ويسقط في أيديهم ويعلمون أنهم تافهون، وأن الحجة قائمة عليهم، يلجؤون إلى القوة والتهديد بما لديهم من وسائل همجية وقسوة وظلم، لإسكات الحق وقهره وإيقاف غلبته وظهوره، وهكذا فعل فرعون حين غلب وانقطعت حجته عدل إلى استعمال جاهه وقوة سلطانه، وظن أن ذلك نافع له ونافذ في موسى عليه

مبين ﴾ حية عظيمة جسيمة (١).

٣٣ ﴿ ونزع يده ﴾ أخرجها من جيبه ﴿ فإذا هي بيضاء ﴾ ذات شعاع ﴿ للناظرين ﴾ خلاف ما كانت عليه يده من الأدمة(٢).

٣٤ ﴿ قال ﴾ فرعون ﴿ للملأ حوله إن هذا لساحر عليم ﴾ فائق في علم السحر.

٣٥ ﴿ يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره(٣) فماذا تأمرون ﴾.

٣٦ ﴿ قالوا أرجه وأخاه ﴾ أخر أمرهما ﴿ وابعث في المدائن حاشرين ﴾ جامعين.

٣٧ ﴿ يأتوك بكل سحار عليم ﴾ يفضل موسى ومن معه في علم السحر والشعوذة وغيرهما.

٣٨ ﴿ فجمع السحرة لميقات يوم معلوم ﴾(٤) وهو وقت الضحى من يوم الزينة(٥).

٣٩ ﴿ وقيل للناس هل أنتم مجتمعون ﴾.

٤٠ ﴿ لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين ﴾ الاستفهام(٦) للحث على الاجتماع، والترجي(٧) على تقدير غلبتهم ليستمروا على دينهم فلا يتبعوا موسى ﷺ.

مُبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّـٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾
قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن
يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓا۟
أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَـٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ
بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَـٰتِ يَوْمٍ
مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا
نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَـٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ
قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَـٰلِبِينَ ﴿٤١﴾
قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ
أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟
بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ
عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ

٤١ ﴿ فلما جاء السحرة قالوا لفرعون «أإن» ﴾ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية، وإدخال ألف بينهما على الوجهين(٨) ﴿ لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين ﴾.

٤٢ ﴿ قال نعم وإنكم إذاً ﴾ حينئذٍ ﴿ لمن المقربين ﴾.

٤٣ ﴿ قال لهم موسى ﴾ بعد ما قالوا له: «إما أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين» / الأعراف: ١١٥/. ﴿ ألقوا ما أنتم ملقون ﴾ فالأمر فيه للإذن بتقديم إلقائهم، توسلاً به إلى إظهار الحق(٩).

٤٤ ﴿ فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون ﴾.

٤٥ ﴿ فألقى موسى عصاه فإذا هي تلقَّف ﴾ بحذف إحدى التاءين في الأصل(١٠)، تبتلع ﴿ ما يأفكون ﴾ يقلبونه بتمويههم(١١)، فيخيلون حبالهم وعصيهم أنها حيات تسعى.

٤٦ ﴿ فألقي السحرة ساجدين ﴾(١٢).

السلام، ولكن هيهات هيهات، فإن الله تعالى يأبى إلا يتم نوره ولو كره الكافرون.

(١) ظاهرة الثعبانية، وليست بتمويه أو تخييل كفعل السحرة.

(٢) أي السمرة، وقد كان موسى عليه السلام أسمر اللون. روى البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (رأيت ليلة أسري بي موسى، رجلاً آدم طوالاً جعداً، كأنه من رجال شنوءة) [طوالاً: طويلاً. جعداً: في شعره التواء وتقبُّض. شنوءة: قبيلة من قحطان كان رجالها بهذه الصفة].

[البخاري: بدء الخلق، باب: إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء. . ، رقم: ٣٠٦٧. مسلم: الإيمان، باب: الإسراء برسول الله ﷺ، رقم: ١٦٥].

(٣) وهكذا يتخبط الباطل حين تبهره حجة الحق، فيلجأ إلى اتهام خصمه بما يعرفه من نفسه من سوء، حتى ولو كان قوله حجة عليه، فكيف يُعجز ساحر ـ على زعمه ـ من يدعي الربوبية؟.

(٤) وقت محدد من يوم معين.

(٥) انظر/ طه: ٥٨ ـ ٥٩/.

(٦) في قوله: ﴿هل أنتم مجتمعون﴾.

(٧) في قوله: ﴿لعلنا نتبع السحرة﴾.

(٨) وهما: تحقيق الهمزتين، وتحقيق الأولى وتسهيل الثانية.

(٩) أي ليكون إلقاؤهم أولاً ممهداً لإبطاله من قِبَله.

(١٠) أي أصل الفعل (تتلقف).

(١١) يغيرونه صورة عن وجهه الصحيح.

(١٢) خروا على وجوههم ساقطين إلى الأرض خاضعين للحق، ساجدين للإله الذي دعا إليه موسى عليه السلام، ولم يتمالكوا أنفسهم حين رأوا المعجزة الباهرة حتى أذعنوا وأسلموا.

٤٧ ﴿ قالوا آمنا برب العالمين ﴾. ٤٨ ﴿ رب موسى وهارون ﴾ لعلمهم بأن ما شاهدوه من العصا لا يتأتى بالسحر.

٤٩ ﴿ قال ﴾ فرعون ﴿ آمنتم ﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفاً(١) ﴿ له ﴾ لموسى ﴿ قبل أن آذن ﴾ أنا ﴿ لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر ﴾ فعلمكم شيئاً منه وغلبكم بآخر ﴿ فلسوف تعلمون ﴾ ما ينالكم مني. ﴿ لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ﴾ أي يد كل واحد اليمنى ورجله اليسرى ﴿ ولأصلبنكم(٢) أجمعين ﴾.

٥٠ ﴿ قالوا لا ضير ﴾ لا ضرر علينا في ذلك ﴿ إنا إلى ربنا ﴾ بعد موتنا بأي وجه كان ﴿ منقلبون ﴾ راجعون في الآخرة.

٥١ ﴿ إنا نطمع ﴾ نرجو ﴿ أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا ﴾ أي بأن كنا ﴿ أول المؤمنين ﴾ في زماننا.

٥٢ ﴿ وأوحينا إلى موسى ﴾ بعد سنين أقامها بينهم يدعوهم بآيات الله إلى الحق، فلم يزيدوا إلا عتواً ﴿ أن أسر بعبادي ﴾ بني إسرائيل، وفي قراءة بكسر النون ووصل همزة أسر(٣)، من سرى لغة في أسرى: سر بهم ليلاً إلى البحر ﴿ إنكم متبعون ﴾ يتبعكم فرعون وجنوده، فيلجون وراءكم البحر(٤)، فأنجيكم وأغرقهم.

سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ
وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ
لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ
أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾
قَالُواْ لَا ضَيْرَ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ
أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾
۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾
فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ
لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ
حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾
وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ
إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ

٥٣ ﴿ فأرسل فرعون ﴾ حين أخبر بسيرهم ﴿ في المدائن ﴾ قيل: كان له ألف مدينة واثنا عشر ألف قرية ﴿ حاشرين ﴾ جامعين الجيش قائلاً:

٥٤ ﴿ إن هؤلاء لشرذمة ﴾ طائفة ﴿ قليلون ﴾ قيل: كانوا ستمائة ألف وسبعين ألفاً، ومقدمة جيشه سبعمائة ألف، فقللهم بالنظر إلى كثرة جيشه وعلو ملكه، وما أغنى شيء عنه. ٥٥ ﴿ وإنهم لنا لغائظون ﴾ فاعلون ما يغيظنا.

٥٦ ﴿ وإنا لجميع حَذِرُون ﴾ متيقظون، وفي قراءة «حَاذِرُونَ» مستعدون.

٥٧ قال تعالى: ﴿ فأخرجناهم ﴾ أي فرعون وجنوده وقومه من مصر، ليلحقوا موسى وقومه ﴿ من جنات ﴾ بساتين كانت على جانبي النيل ﴿ وعيون ﴾ أنهار جارية في الدور من النيل.

٥٨ ﴿ وكنوز ﴾ أموال ظاهرة من الذهب والفضة، وسميت كنوزاً لأنه لم يعط حق الله تعالى منها(٥) ﴿ ومقام كريم ﴾ مجلس حسن للأمراء والوزراء، يحفه أتباعهم(٦).

٥٩ ﴿ كذلك ﴾ إخراجنا كما وصفنا ﴿ وأورثناها بني إسرائيل ﴾ بعد إغراق فرعون وقومه.

٦٠ ﴿ فأتبعوهم ﴾ لحقوهم ﴿ مشرقين ﴾ وقت شروق الشمس.

٦١ ﴿ فلما تراء الجمعان ﴾ رأى كل منهما الآخر ﴿ قال أصحاب موسى إنا لمدركون ﴾ يدركنا جمع فرعون، ولا طاقة لنا به.

---

(١) الصواب: إبدال الثالثة لأنها هي المنقلبة ألفاً، لأن أصل الفعل: أأمن. وفي قراءة ﴿آمنتم﴾ بحذف الهمزة الأولى. [انظر حاشيتي الصاوي والجمل على الجلالين]

(٢) بأن يربطهم على جذوع النخل بعد قتلهم أو قبله، ليرعب بهم الناس ويزجرهم عن الاقتداء بهم.

(٣) وهي متواترة. (٤) يدخلونه خلفكم وعقبكم.

(٥) كالزكاة وغيرها من النفقات التي أوجبها الله تعالى في الأموال. أخرج البخاري [الزكاة، باب: ما أدي زكاته فليس بكنز، رقم: ١٣٣٩] عن خالد بن أسلم قال: خرجنا مع عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما، فقال أعرابي: أخبرني قول الله: ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله﴾ [التوبة: ٣٤]. قال ابن عمر رضي الله عنهما: من كنزها فلم يؤد زكاتها فويل له، إنما كان هذا قبل أن تنزل الزكاة، فلما أنزلت جعلها الله طُهراً للأموال. [فويل: هلاك وحزن ومشقة من العذاب. كان هذا: أي تحريم ادخارها مطلقاً. تنزل الزكاة: تفرض بمقاديرها المعينة المحدودة. طهراً: أي جعل الزكاة تطهيراً للمال علمة من الشبهات، ويصبح ما يفضل عن الزكاة حلالاً طيباً لمالكه، يتصرف به لشؤونه الخاصة بالأوجه المشروعة كما يريد].

(٦) أي يحيط بالأمراء والوزراء الجالسين في تلك المجالس أتباعهم، واقفين حولهم كالخدم متأدبين.

قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (٦١) قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِيَ
رَبِّي سَيَهْدِينِ (٦٢) فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ
ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ (٦٣)
وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْـَٔاخَرِينَ (٦٤) وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ
أَجْمَعِينَ (٦٥) ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ (٦٦) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ
وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (٦٧) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ
ٱلرَّحِيمُ (٦٨) وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ (٦٩) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ
وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ (٧٠) قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا
عَٰكِفِينَ (٧١) قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ (٧٢)
أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ (٧٣) قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا
كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ (٧٤) قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ (٧٥)
أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ (٧٦) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ

٦٢ ﴿ قال ﴾ موسى ﴿ كلا ﴾ أي لن يدركونا ﴿ إن معي ربي ﴾ بنصره ﴿ سيهدين ﴾ طريق النجاة.

٦٣ قال تعالى: ﴿ فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر ﴾ فضربه ﴿ فانفلق ﴾ فانشق اثني عشر فرقاً(١) ﴿ فكان كل فرق كالطود العظيم ﴾ الجبل الضخم، بينها مسالك سلكوها، لم يبتل منها سرج الراكب ولا لبده(٢).

٦٤ ﴿ وأزلفنا ﴾ قربنا ﴿ ثم ﴾ هناك ﴿ الآخرين ﴾ فرعون وقومه، حتى سلكوا مسالكهم.

٦٥ ﴿ وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ﴾ بإخراجهم من البحر على هيئته المذكورة.

٦٦ ﴿ ثم أغرقنا الآخرين ﴾ فرعون وقومه، بإطباق البحر عليهم، لما تم دخولهم في البحر وخروج بني إسرائيل منه.

٦٧ ﴿ إن في ذلك ﴾ إغراق فرعون وقومه ﴿ لآية ﴾ عبرة لمن بعدهم ﴿ وما كان أكثرهم مؤمنين ﴾ بالله، لم يؤمن منهم غير آسية امرأة فرعون، وحزقيل مؤمن آل فرعون، ومريم بنت ناموسى التي دلت على عظام يوسف عليه السلام(٣).

٦٨ ﴿ وإن ربك لهو العزيز ﴾ فانتقم من الكافرين بإغراقهم ﴿ الرحيم ﴾ بالمؤمنين، فأنجاهم من الغرق.

٧٠ ﴿ واتل عليهم ﴾ كفار مكة ﴿ نبأ ﴾ خبر ﴿ إبراهيم ﴾ ويبدل منه:

٦٩ ﴿ إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون ﴾.

٧١ ﴿ قالوا نعبد أصناماً ﴾ صرحوا بالفعل ليعطفوا عليه(٤) ﴿ فنظل لها عاكفين ﴾ نقيم نهاراً على عبادتها، زادوه في الجواب افتخاراً به(٥).

٧٢ ﴿ قال هل يسمعونكم إذ ﴾ حين ﴿ تدعون ﴾.

٧٣ ﴿ أو ينفعونكم ﴾ إن عبدتموهم ﴿ أو يضرون ﴾كم إن لم تعبدوهم.

٧٤ ﴿ قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون ﴾ مثل فعلنا.

٧٥ ﴿ قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون ﴾.

٧٦ ﴿ أنتم وآباؤكم الأقدمون ﴾.

٧٧ ﴿ فإنهم عدو لي ﴾ لا أعبدهم ﴿ إلا ﴾ لكن ﴿ رب العالمين ﴾ فإني أعبده.

---

(١) قطعة، بعدد قبائل بني إسرائيل الذين يسمون الأسباط.

(٢) اللُّبد ما يلصق بعضه ببعض ويلبد من صوف أو شعر ونحوهما.

(٣) فأخرجها موسى عليه السلام من قبره في البحر [الخازن]. وهذا على أن المراد بالمؤمنين مَنْ آمَنَ مِنْ قوم فرعون، والأرجح - والله أعلم - أن المراد المؤمنون من الناس عامة في كل زمان ومكان، حين يشاهدون الدلائل القاطعة على قدرة الخالق جل وعلا، والتي تستوجب الإيمان به والاستسلام لعظمته والعبودية المخلصة له سبحانه، فهم قليلون بالنسبة لعامة الناس. وهذا المعنى يرجحه تكرار هذه الجملة ﴿ إن في ذلك لآية.. لهو العزيز الرحيم ﴾ في هذه السورة بعد ذكر شيء من دلائل الكون، أو ذكر أحد من أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام وما جرى على أيديهم من معجزات. ولقد تكررت الجمل المذكورة في هذه السورة في ثمانية مواضع منها، هي: [٨- ٩، ٦٧- ٦٨، ١٠٣- ١٠٤، ١٢١- ١٢٢، ١٣٩- ١٤٠، ١٥٨- ١٥٩، ١٧٤- ١٧٥، ١٩٠- ١٩١].

(٤) أي كان يكفيهم جواباً على السؤال الموجه إليهم أن يقولوا: أصناماً، ولكنهم قالوا: نعبد.. ليعطفوا عليه قولهم: فنظل لها.. والعكوف هو اللبث والدوام على فعل الشيء، وخص هنا بالنهار لقولهم: نظل، فالأصل فيه فعل الشيء حيث يكون للأجسام ظل، وذلك في النهار، ويمكن أن يفسر بعبادتها دائماً، والله تعالى أعلم.

(٥) أي زادوا في الجواب إخبارهم بالعكوف على عبادة ما يعبدون - مع أنهم لم يسألوا عن ذلك، وإنما سئلوا عما يعبدون فحسب - افتخاراً منهم بعبادتها وتأكيداً على ملازمتها.

قال ابن كثير في أوائل تفسيره لآيات قصة إبراهيم عليه الصلاة والسلام: هذا إخبار من الله تعالى عن عبده ورسوله وخليله إبراهيم إمام الحنفاء، أمر الله رسوله محمداً صلوات الله وسلامه عليه أن يتلوه على أمته، ليقتدوا به في الإخلاص والتوكل، وعبادة الله وحده لا شريك له، والتبري من الشرك وأهله، فإن الله تعالى آتى إبراهيم رشده من قبل، أي من صغره إلى كبره، فإنه من وقت نشأ وشب أنكر على قومه عبادة الأصنام مع الله عز وجل.

٧٨ ﴿ الذي خلقني فهو يهدين ﴾ إلى الدين. ٧٩ ﴿ والذي هو يطعمني ويسقين ﴾. ٨٠ ﴿ وإذا مرضت فهو يشفين ﴾
٨١ ﴿ والذي يميتني ثم يحيين ﴾. ٨٢ ﴿ والذي أطمع ﴾ أرجو ﴿ أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين ﴾ أي يوم الجزاء(١).
٨٣ ﴿ رب هب لي حكماً ﴾ علماً ﴿ وألحقني بالصالحين ﴾ النبيين(٢).
٨٤ ﴿ واجعل لي لسان صدق ﴾ ثناءً حسناً ﴿ في الآخرين ﴾ الذين يأتون بعدي إلى يوم القيامة.
٨٥ ﴿ واجعلني من ورثة جنة النعيم ﴾ ممن يعطاها.
٨٦ ﴿ واغفر لأبي إنه كان من الضالين ﴾ بأن تتوب عليه فتغفر له، وهذا قبل أن يتبين له أنه عدو لله، كما ذكر في سورة براءة(٣).
٨٧ ﴿ ولا تخزني ﴾ تفضحني ﴿ يوم يبعثون ﴾ أي الناس. قال تعالى فيه(٤): ٨٨ ﴿ يوم لا ينفع مال ولا بنون ﴾ أحداً.
٨٩ ﴿ إلا ﴾ لكن ﴿ من أتى الله بقلب سليم ﴾ من الشرك والنفاق، وهو قلب المؤمن، فإنه ينفعه ذلك(٥).
٩٠ ﴿ وأزلفت الجنة ﴾ قربت ﴿ للمتقين ﴾ فيرونها(٦). ٩١ ﴿ وبرزت الجحيم ﴾ أظهرت ﴿ للغاوين ﴾ الكافرين(٧).
٩٢ ﴿ وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون ﴾.
٩٣ ﴿ من دون الله ﴾ أي غيره من الأصنام ﴿ هل ينصرونكم ﴾ بدفع العذاب عنكم ﴿ أو ينتصرون ﴾ بدفعه عن أنفسهم؟ لا. =

ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِي هُوَ
يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ﴿٨٠﴾
وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي
خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبۡ لِي حُكۡمٗا وَأَلۡحِقۡنِي
بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٨٤﴾
وَٱجۡعَلۡنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغۡفِرۡ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ
كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ ﴿٨٧﴾
يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ
سَلِيمٖ ﴿٨٩﴾ وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ
ٱلۡجَحِيمُ لِلۡغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ﴿٩٢﴾
مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلۡ يَنصُرُونَكُمۡ أَوۡ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبۡكِبُواْ
فِيهَا هُمۡ وَٱلۡغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبۡلِيسَ أَجۡمَعُونَ ﴿٩٥﴾

---

(١) وهذا تواضع وتعليم منه عليه الصلاة والسلام لعامة الناس أن يرجو المغفرة من الله عزّ وجلّ، وكذلك الأنبياء والمرسلون ـ على علو منزلتهم عند الله عزّ وجلّ ـ يرجون رحمته ويخافون عقابه، ويستغفرونه آناء الليل وأطراف النهار. أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة). [الدعوات، باب: استغفار النبي ﷺ في اليوم والليلة، رقم: ٥٩٤٨].
فجدير بالمؤمنين الصادقين أن يكونوا على قدم رسلهم، فينشطوا للعمل الصالح، وهم من خشية ربهم مشفقون، ولربهم يستغفرون، حتى ينالوا الفوز يوم القيامة. أخرج مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله، ابن جدعان، كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين، أكان ذلك نافعاً له؟ قال: (لا ينفعه، إنه لم يقل يوماً: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين). [الإيمان، باب: الدليل على أن من مات على الكفر لا ينفعه عمل، رقم: ٢١٤].

(٢) أي ألحقني بمن سلف قبلي من الأنبياء والمرسلين في علو المنزلة والدرجة العالية.

(٣) في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ﴾/التوبة: ١١٤/.

(٤) أي في اليوم الذي يبعث فيه الناس وهو يوم القيامة.

(٥) وهو سلامة قلبه، وصدق إيمانه، كما ينفعه ماله الذي أنفقه في وجوه الخير، وولده الصالح الذي دعا له، لما جاء في الحديث: (إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له) أخرجه مسلم وغيره. [مسلم: الوصية، باب: ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، رقم: ١٦٣١. أبو داود: الوصايا، باب: ما جاء في الصدقة عن الميت، رقم: ٢٨٨٠. الترمذي: الأحكام، باب: في الوقف، رقم: ١٣٧٦. النسائي: الوصايا، باب: فضل الصدقة عن الميت: ٦/٢٥١].

(٦) ويرون ما أعد لهم فيها من النعيم فتحصل لهم البهجة والاطمئنان والسرور.

(٧) والفاسقين والملحدين، فتجعل بارزة ظاهرة بحيث يشاهدون ما فيها من ألوان العذاب، فتحصل لهم المساءة، وتعلو وجوههم الكآبة، وتملأ نفوسهم الكروب والأحزان.

فائدة: عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: (يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة، وعلى وجه آزر قترة وغبرة، فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك لا تعصني؟ فيقول أبوه: فاليوم لا أعصيك، فيقول إبراهيم: يا رب إنك وعدتني أن لا تخزني يوم يبعثون، فأيُّ خِزْيٍ أخزى من أبي الأبعد؟ فيقول الله تعالى: إني حرمت الجنة على الكافرين، ثم يقال: يا إبراهيم، ما تحت رجليك؟ فينظر، فإذا هو بذيخ ملتطخ، فيؤخذ

٩٤ ﴿ فكبكبوا ﴾ ألقوا(١) ﴿ فيها هم والغاوون ﴾(٢).
٩٥ ﴿ وجنود إبليس ﴾ أتباعه ومن أطاعه من الجن والإنس ﴿ أجمعون ﴾.
٩٦ ﴿ قالوا ﴾ الغاوون ﴿ وهم فيها يختصمون ﴾ مع معبوديهم.
٩٧ ﴿ تالله إن ﴾ مخففة من الثقيلة واسمها محذوف، أي إنه ﴿ كنا لفي ضلال مبين ﴾ بين(٣).
٩٨ ﴿ إذ ﴾ حيث ﴿ نسويكم برب العالمين ﴾ في العبادة.
٩٩ ﴿ وما أضلنا ﴾ عن الهدى ﴿ إلا المجرمون ﴾ الشياطين، أو: أولونا الذين اقتدينا بهم.
١٠٠ ﴿ فما لنا من شافعين ﴾ كما للمؤمنين من الملائكة والنبيين والمؤمنين.
١٠١ ﴿ ولا صديق حميم ﴾(٤) يهمه أمرنا.
١٠٢ ﴿ فلو أن لنا كرة ﴾ رجعة إلى الدنيا ﴿ فنكون من المؤمنين ﴾ لو هنا للتمني، ونكون جوابه.
١٠٣ ﴿ إن في ذلك ﴾ المذكور من قصة إبراهيم وقومه ﴿ لآية(٥) وما كان أكثرهم مؤمنين ﴾.
١٠٤ ﴿ وإن ربك لهو العزيز الرحيم ﴾(٦).

١٠٥ ﴿ كذبت قوم نوح المرسلين ﴾ بتكذيبهم له، لاشتراكهم في المجيء بالتوحيد، أو: لأنه لطول لبثه فيهم كأنه رسُل، وتأنيث قوم(٧) باعتبار معناه(٨)، وتذكيره(٩) باعتبار لفظه.
١٠٦ ﴿ إذ قال لهم أخوهم ﴾ نسباً ﴿ نوح ألا تتقون ﴾ الله.
١٠٧ ﴿ إني لكم رسول أمين ﴾ على تبليغ ما أرسلت به.
١٠٨ ﴿ فاتقوا الله وأطيعون ﴾ فيما آمركم به من توحيد الله وإطاعته.
١٠٩ ﴿ وما أسألكم عليه ﴾ على تبليغه ﴿ من أجر إن ﴾ ما ﴿ أجري ﴾ ثوابي ﴿ إلا على رب العالمين ﴾.
١١٠ ﴿ فاتقوا الله وأطيعون ﴾ كرره تأكيداً.
١١١ ﴿ قالوا أنؤمن ﴾ نصدق ﴿ لك ﴾ لقولك ﴿ واتبعك ﴾ وفي قراءة «وأتباعك»(١٠) جمع تابع، مبتدأ(١١) ﴿ الأرذلون ﴾ السفلة(١٢) كالحاكة والأساكفة(١٣).
١١٢ ﴿ قال وما علمي ﴾ أيُّ علم لي ﴿ بما كانوا يعملون ﴾(١٤).
١١٣ ﴿ إن ﴾ ما ﴿ حسابهم إلا على ربي ﴾ فيجازيهم ﴿ لو تشعرون ﴾ تعلمون ذلك ما عبتموهم ولا انتقصتموهم.

قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ
مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا
ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ
حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾
إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾
وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ
ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾
إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾
وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ
ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ ۞ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ
لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟
يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى ۖ لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾

---

(١) على وجوههم مرة بعد أخرى حتى يستقروا في قعر جهنم، والكبكبة تكرير الكب، وهو الإلقاء على الوجه.

(٢) أي ما كان يعبد من دون الله تعالى من الأوثان ونحوها، ومن رضي أن يعبد من البشر أيضاً، يكبكب في النار مع عابديه.

(٣) ظاهر. (٤) قريب ودود. (٥) عظة وعبرة.

(٦) المنتقم الذي لا يغلب مع سعة رحمته سبحانه، فيخص انتقامه يوم القيامة بمن كفر وعصى، ورحمته بمن آمن وأطاع. (٧) أي بتأنيث الفعل المسند إليه وهو ﴿كذبت﴾.

(٨) وهو الجماعة أو الأمة.

(٩) أي بتذكير الضمير العائد عليه في قوله ﴿إذ قال لهم﴾.

(١٠) وهي من القراءات العشر. (١١) خبره ﴿الأرذلون﴾.

(١٢) ضعفاء الناس وفقراؤهم.

(١٣) جمع حائك وإسكاف وهو من يصلح النعال ونحوها.

(١٤) أي لم أكلف العلم بأعمالهم، وإنما كلفت أن أدعوهم إلى الإيمان، فدعوتهم فاستجابوا، ولا يحط من شأنهم وفضل سبقهم ما هم عليه من الصنائع.

بقوائمه فيلقى في النار).

[البخاري: الأنبياء، باب: قول الله تعالى: ﴿واتخذ الله إبراهيم خليلاً﴾ [النساء: ١٢٥] رقم ٣١٧٢] [قترة: سواد الدخان، وغبرة: غبار، ولا يرى أوحش من اجتماع الغبرة والسواد في الوجه، ولعل المراد هنا: ما يغشى الوجه من شدة الكرب، وما يعلوه من ظلمة الكفر. الأبعد: أي من رحمة الله تعالى. بذيخ: الذيخ ذكر الضبع الكثير الشعر، أري أباه على غير هيئته ومنظره، ليسرع إلى التبرؤ منه. ملتطخ: متلوث بالدم ونحوه].

١١٤ ﴿ وما أنا بطارد المؤمنين ﴾(١).

١١٥ ﴿ إن ﴾ ما ﴿ أنا إلا نذير مبين ﴾ بين الإنذار.

١١٦ ﴿ قالوا لئن لم تنته يا نوح ﴾عما تقول لنا﴿ لتكونن من المرجومين ﴾(٢) بالحجارة أو بالشتم.

١١٧ ﴿ قال ﴾ نوح ﴿ رب إن قومي كذبون ﴾.

١١٨ ﴿ فافتح بيني وبينهم فتحاً ﴾ احكم(٣) ﴿ ونجني ومن معي من المؤمنين ﴾.

١١٩ قال تعالى: ﴿ فأنجيناه ومن معه في الفلك(٤) المشحون ﴾ المملوء من الناس والحيوان والطير.

١٢٠ ﴿ ثم أغرقنا بعد ﴾ بعد إنجائهم ﴿ الباقين ﴾ من قومه.

١٢١ ﴿ إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين ﴾.

١٢٢ ﴿ وإن ربك لهو العزيز الرحيم ﴾.

١٢٣ ﴿ كذبت عاد المرسلين ﴾.

٤٨٧ (سـورة الشـعراء)

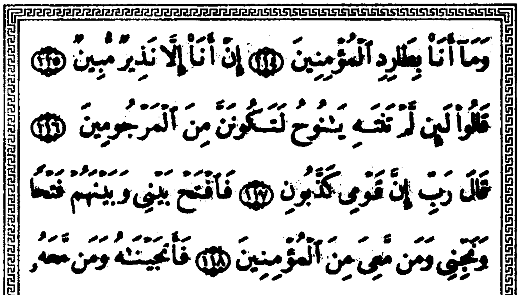

وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾
قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾
قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا
وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ
فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾
وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾ كَذَّبَتْ عَادٌ
ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾
إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾
وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ
ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾
وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم

١٢٤ ﴿ إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون ﴾.

١٢٥ ﴿ إني لكم رسول أمين ﴾.

١٢٦ ﴿ فاتقوا الله وأطيعون ﴾.

١٢٧ ﴿ وما أسألكم عليه من أجر إن ﴾ ما ﴿ أجري إلا على رب العالمين ﴾(٥).

١٢٨ ﴿ أتبنون بكل ريع ﴾ مكان مرتفع ﴿ آية ﴾ بناءً علماً للمارة ﴿ تعبثون ﴾ بمن يمر بكم وتسخرون منهم(٦)، والجملة حال من ضمير تبنون.

١٢٩ ﴿ وتتخذون مصانع ﴾ للماء تحت الأرض ﴿ لعلكم ﴾ كأنكم ﴿ تخلدون ﴾ فيها لا تموتون.

١٣٠ ﴿ وإذا بطشتم ﴾(٧) بضرب أو قتل

---

(١) وهكذا، لا يمنع الطغاة والمتألهين - في كل زمن - من اتباع الحق إلا تعاليهم وتكبرهم وترفعهم عن مجالس العامة والفقراء والضعفاء، وتجد هذا الطلب بطرد هؤلاء على لسان المستكبرين من قوم كل مرسل، كما تجد الرد العادل والتقرير الحاسم للمساواة الإنسانية في شرع الله عزّ وجلّ على لسان كل رسول. انظر/ الأنعام: ٥٢ وما بعدها/ و/ هود: ٢٧ وما بعدها/ و/ الكهف: ٢٨/ وما بعدها.

(٢) المرمين.

(٣) في كل منا الحكم الذي يستحقه.

(٤) السفينة، ويطلق على المفرد والجمع.

(٥) انظر الآيات: ١٠٣ - ١٠٩.

(٦) لأنهم كانوا لارتفاع بنائهم يشرفون عليهم.

(٧) عاقبتم أحداً على جريمة فعلها، أو فعلتم ذلك ظلماً ودون ذنب ارتكب، كان حالكم حال القساة المستعلين على خلق الله عز وجل، والذين يعاملون الناس بالشدة والقهر، وبغير رأفة أو رحمة. وأصل البطش السطوة والأخذ بالعنف، والجبار من الخلق هو الذي يقتل ويضرب غضباً مما لا يروق له. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: (تحاجَّت الجنة والنار، فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة: مالي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم. قال الله تبارك وتعالى للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي. وقال للنار: إنما أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي، ولكل واحدة منهما ملؤها، فأما النار: فلا تمتلىء حتى يضع رجله فتقول: قَطْ قَطْ قَطْ، فهنالك تمتلىء ويُزْوَى بعضها إلى بعض، ولا يظلم الله عز وجل من خلقه أحداً. وأما الجنة: فإن الله عز وجل ينشىء لها خلقاً). [أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب: قوله: ﴿وتقول هل من مزيد﴾ رقم: ٤٥٦٩. وأخرجه مسلم في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: النار يدخلها الجبارون..، رقم: ٢٨٤٦] [تحاجت: تخاصمت، والله تعالى أعلم بذلك التخاصم. أوثرت: اختصصت: المتجبرين: جمع متجبر، وهو المتعاظم بما ليس فيه، والذي لا يكترث بأمره. سقطهم: الساقطون من

﴿ بطشتم جبارين ﴾ من غير رأفة.

١٣١ ﴿ فاتقوا الله ﴾ في ذلك ﴿ وأطيعون ﴾ فيما أمرتكم به.

١٣٢ ﴿ واتقوا الذي أمدكم ﴾ أنعم عليكم ﴿ بما تعلمون ﴾.

١٣٣ ﴿ أمدكم بأنعام(١) وبنين ﴾.

١٣٤ ﴿ وجنات ﴾ بساتين ﴿ وعيون ﴾ أنهار جارية.

١٣٥ ﴿ إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم ﴾ في الدنيا والآخرة إن عصيتموني.

١٣٦ ﴿ قالوا سواء علينا ﴾ مستو عندنا ﴿ أوعظت(٢) أم لم تكن من الواعظين ﴾ أصلاً، أي لا نرعوي(٣) لوعظك.

١٣٧ ﴿ إن ﴾ ما ﴿ هذا ﴾ الذي خوفتنا به ﴿ إلا خُلُق الأولين ﴾ أي اختلاقهم وكذبهم(٤)، وفي قراءة بضم الخاء واللام، أي ما هذا الذي نحن عليه من أن لا بعث إلا خلق الأولين: أي طبيعتهم وعادتهم(٥).

١٣٨ ﴿ وما نحن بمعذبين ﴾. ١٣٩ ﴿ فكذبوه ﴾ بالعذاب ﴿ فأهلكناهم ﴾ في الدنيا بالريح ﴿ إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين ﴾.

١٤٠ ﴿ وإن ربك لهو العزيز الرحيم ﴾(٦).

١٤١ ﴿ كذبت ثمود المرسلين ﴾.

١٤٢ ﴿ إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون ﴾.

١٤٣ ﴿ إني لكم رسول أمين ﴾.

١٤٤ ﴿ فاتقوا الله وأطيعون ﴾.

١٤٥ ﴿ وما أسألكم عليه من أجر إن ﴾ ما ﴿ أجري إلا على رب العالمين ﴾. ١٤٦ ﴿ أتتركون في ما ههنا ﴾ من الخيرات والفواكه والبركة ﴿ آمنين ﴾. ١٤٧ ﴿ في جنات وعيون ﴾. ١٤٨ ﴿ وزروع ونخل

بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَاتَّقُوا
الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾
وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ
عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ
الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَٰذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ
بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ
وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ
الرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ
أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾
فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ
إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا
آمِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ

أعين الناس والمحتقرون لديهم، لفقرهم وضعفهم وقلة منزلتهم. من أشاء: من استحق العقوبة واكتسب أسبابها].

وعن حارثة بن وهب الخزاعي رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: (ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف مُتَضَعَّفٍ، لو أقسم على الله لأبَرَّهُ. ألا أخبركم بأهل النار: كل عُتُلٍّ، جوَّاظٍ، مستكبر).

[أخرجه البخاري في التفسير/ن، باب: ﴿عتل بعد ذلك زنيم﴾ رقم: ٤٦٣٤. ومسلم في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: النار يدخلها الجبارون، رقم: ٢٨٥٣] [متضعف: بكسر العين، متواضع لين هين. وروي بفتح العين، أي يستضعفه الناس ويحتقرونه. أقسم: حلف يميناً طمعاً في كرم الله تعالى. لأبره: لحقق له ما أقسم عليه، ولأجاب طلبه ودعاءه. جواظ: شديد الصوت في الشر، متكبر مختال في مشيته. وقيل: الأكول السمين].

(١) هي الإبل والبقر والغنم والمعز.

(٢) من الوعظ، وهو الكلام الذي يلين القلب بذكر الوعد والوعيد.

(٣) لا نرتدع ولا نكف عما نحن فيه.

(٤) أي من سبق قبلك، كنوح وغيره، هم الذين اختلقوا دعوى البعث والحساب والعذاب، وأنت تقتدي بهم في دعواك.

(٥) أي كل من سبقنا ما جرى لهم إلا أنهم يعيشون ما عاشوا ثم يموتون، ولا بعث ولا حساب.

(٦) قال ابن كثير في تفسير الآيات المذكورة في شأن هود عليه السلام وقومه: وهذا إخبار من الله تعالى عن عبده ورسوله هود عليه السلام: أنه دعا قومه عاداً، وكان قومه يسكنون الأحقاف، وهي جبال الرمل، قريباً من حضرموت متاخمة بلاد اليمن، وكان زمانهم بعد قوم نوح، كما قال في سورة الأعراف [٦٩]: ﴿واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة﴾ وذلك أنهم كانوا في غاية من قوة التركيب والقوة والبطش الشديد، والطول المديد، والأرزاق الدارّة، والأموال والجنات والأنهار، والأبناء والزروع والثمار، وكانوا مع ذلك يعبدون غير الله معه، فبعث الله هوداً إليهم رجلاً منهم، رسولاً وبشيراً ونذيراً، فدعاهم إلى الله وحده، وحذرهم نقمته وعذابه في مخالفته وبطشه، فقال لهم كما قال نوح لقومه إلى أن قال: ﴿أتبنون بكل ريع آية تعبثون﴾ اختلف المفسرون في الريع بما حاصله أنه المكان المرتفع عند جوادِّ الطرق المشهورة، يبنون هناك بنياناً محكماً هائلاً باهراً، ولهذا قال: ﴿أتبنون

طلعها(١) هضيم ﴾ لطيف لين(٢). ١٤٩ ﴿ وتنحتون من الجبال بيوتاً فرهين ﴾ بطرين(٣)، وفي قراءة «فَارِهِينَ» حاذقين(٤).

١٥٠ ﴿ فاتقوا الله وأطيعون ﴾ فيما آمركم به. ١٥١ ﴿ ولا تطيعوا أمر المسرفين ﴾(٥).

١٥٢ ﴿ الذين يفسدون في الأرض ﴾ بالمعاصي ﴿ ولا يصلحون ﴾ بطاعة الله عز وجل.

١٥٣ ﴿ قالوا إنما أنت من المسحرين ﴾ الذين سُحِروا كثيراً حتى غلب السحر على عقولهم.

١٥٤ ﴿ ما أنت ﴾ أيضاً ﴿ إلا بشر مثلنا فأت بآية(٦) إن كنت من الصادقين ﴾ في رسالتك.

١٥٥ ﴿ قال هذه ناقة لها شرب ﴾ نصيب من الماء ﴿ ولكم شرب يوم معلوم ﴾(٧).

١٥٦ ﴿ ولا تمسوها بسوء(٨) فيأخذكم عذاب يوم عظيم ﴾ بعظم العذاب.

١٥٧ ﴿ فعقروها ﴾(٩) عقرها بعضهم برضاهم ﴿ فأصبحوا نادمين ﴾ على عقرها.

١٥٨ ﴿ فأخذهم العذاب ﴾ الموعود به، فهلكوا ﴿ إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين ﴾.

١٥٩ ﴿ وإن ربك لهو العزيز الرحيم ﴾.

طَلۡعُهَا هَضِيمٞ ﴿١٤٨﴾ وَتَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾
فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمۡرَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿١٥١﴾
ٱلَّذِينَ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ
أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا فَأۡتِ
بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٞ لَّهَا
شِرۡبٞ وَلَكُمۡ شِرۡبُ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ
فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصۡبَحُواْ
نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ
أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾
كَذَّبَتۡ قَوۡمُ لُوطٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ لُوطٌ
أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ
وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا

١٦٠ ﴿ كذبت قوم لوط المرسلين ﴾.

١٦١ ﴿ إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون ﴾.

١٦٢ ﴿ إني لكم رسول أمين ﴾.

١٦٣ ﴿ فاتقوا الله وأطيعون ﴾.

١٦٤ ﴿ وما أسألكم عليه من أجر إن ﴾ ما ﴿ أجري إلا

بكل ريع آية﴾ اي معلماً بناء مشهوراً ﴿تعبثون﴾ اي وإنما تفعلون ذلك عبثاً، لا للاحتياج إليه، بل لمجرد اللعب واللهو وإظهار القوة، ولهذا أنكر عليهم نبيّهم عليه السلام ذلك، لأنه تضييع للزمان وإتعاب للأبدان في غير فائدة، واشتغال بما لا يجدي في الدنيا ولا في الآخرة، ولهذا قال: ﴿وتتخذون مصانع لعلّكم تخلدون﴾ قال مجاهد: والمصانع والبروج المشيدة والبنيان المخلد. وفي رواية عنه بروج الحَمَام. وقال قتادة: هي مآخذ الماء، وقال: ﴿لعلّكم تخلدون﴾ أي لكي تقيموا فيها أبداً، وذلك ليس بحاصل لكم، بل زائل عنكم كما زال عمن كان قبلكم. وروى ابن أبي حاتم رحمه الله بسنده: أن أبا الدرداء رضي الله عنه لما رأى ما أحدث المسلمون في الغوطة من البنيان ونصب الشجر قام في مسجدهم، فنادى: يا أهل دمشق. فاجتمعوا إليه، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: ألا تستحيون، ألا تستحيون، تجمعون ما لا تاكلون، وتبنون ما لا تسكنون، وتأملون ما لا تدركون، إنه قد كانت قبلكم قرون يجمعون فيوعون، ويبنون فيوثقون، ويأملون فيطلبون، فأصبح أملهم غروراً، وأصبح جمعهم بوراً، وأصبحت مساكنهم قبوراً، ألا إن عاداً ملكت ما بين عدن وعُمان: خيلاً وركاباً فمن يشتري مني ميراث عاد بدرهمين؟

وقوله: ﴿وإذا بطشتم بطشتم جبارين﴾ أي يصفهم بالقوة والغلظة والجبروت ﴿فاتقوا الله وأطيعون﴾ أي اعبدوا ربكم وأطيعوا رسولكم، ثم شرع يذكرهم نعم الله عليهم فقال: ﴿واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون . أمدكم بأنعام وبنين . وجنّات وعيون. إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾ أي إن كذبتم وخالفتم، فدعاهم إلى الله بالترغيب والترهيب فما نفع فيهم.

[فيوعون: من أوعى، إذا جعل الشيء في الوعاء. فيوثقون: من أوثقه إذا شده بالوَثاق وهو ما يربط به. بوراً: هلكى، جمع بائر، أي هالك].

(١) ثمرها الذي يطلع منها.

(٢) نضيج يانع، سهل المضغ والابتلاع.

(٣) متجبرين متكبرين، من الفَرَه وهو شدة الفرح.

(٤) ماهرين في العمل، عارفين لدقائقه.

(٥) الكافرين والمجاوزين للحد الخارجين عن طاعة الله تعالى وامتثال أمره واجتناب نهيه.

(٦) علامة وحجة على دعواك.

(٧) لا تزاحمكم فيه على شربكم، كما أنكم لا تزاحمونها على شربها.

(٨) من ضرب أو نحر.

(٩) ذبحوها بعد ما قطعوا قوائمها.

على رب العالمين ﴾(١).

١٦٥ ﴿ أتأتون الذكران(٢) من العالمين ﴾ أي من الناس.

١٦٦ ﴿ وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم ﴾ أقبالهن(٣) ﴿ بل أنتم قوم عادون ﴾ متجاوزون الحلال إلى الحرام.

١٦٧ ﴿ قالوا لئن لم تنته يا لوط ﴾ عن إنكارك علينا ﴿ لتكونن من المخرجين ﴾ من بلدتنا.

١٦٨ ﴿ قال ﴾ لوط ﴿ إني لعملكم من القالين ﴾ المبغضين الرافضين له.

١٦٩ ﴿ رب نجني وأهلي مما يعملون ﴾ أي من عذابه.

١٧٠ ﴿ فنجيناه وأهله أجمعين ﴾(٤).

١٧١ ﴿ إلا عجوزاً ﴾ امرأته ﴿ في الغابرين ﴾ الباقين، أهلكناها.

١٧٢ ﴿ ثم دمرنا الآخرين ﴾ أهلكناهم.

١٧٣ ﴿ وأمطرنا عليهم مطراً ﴾ حجارة، من جملة الإهلاك ﴿ فساء مطر المنذرين ﴾ مطرهم.

١٧٤ ﴿ إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين ﴾.

١٧٥ ﴿ وإن ربك لهو العزيز الرحيم ﴾.

١٧٦ ﴿ كذب أصحاب الأيكة ﴾ وفي قراءة بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على اللام وفتح الهاء(٥)، وهي غيضة شجر قرب مدين وأعمالها ﴿ المرسلين ﴾.

١٧٧ ﴿ إذ قال لهم شعيب ﴾ لم يقل أخوهم لأنه لم يكن منهم ﴿ ألا تتقون ﴾.

عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾
وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَلْ أَنتُمْ
قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ
ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ
نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾
إِلَّا عَجُوزًا فِي ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾
وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِي
ذَٰلِكَ لَأٓيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ
ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾
إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ
أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ
عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾

---

(١) انظر الآيات: ١٠٥ - ١٠٩.

(٢) تطؤون الذكور في أدبارهم، وهذه فاحشة لم يسبق إليها أحد قبل قوم لوط، ولذا نسبت إليهم فقيل لها: لِواطة، وقيل لفاعلها: لُوطي. وهي من الفواحش التي تنفر منها الطباع السليمة، وقد شدد الإسلام النكير على فاعلها. روى البيهقي عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: (إذا أتى الرجل الرجل فهما زانيان). وعليه قال الشافعية: يجلدان ويغربان إذا لم يكونا محصنين، أي متزوجين، وإذا كانا محصنين يرجم الفاعل ويجلد المفعول فيه ويغرب، لأنه لا يتحقق فيه معنى الزاني المحصن. وفي قول رجحه كثير من الفقهاء أنهما يقتلان، لقوله ﷺ: (من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به) [البيهقي: الحدود، باب: ما جاء في حد اللوطي: ٢٣٣/٨. أبو داود: الحدود، باب: فيمن عمِل عَمل قوم لوط، رقم: ٤٤٦٢. الترمذي: الحدود، باب: في حد اللوطي، رقم: ١٤٥٦. ابن ماجه: الحدود، باب: من عمل عمل قوم لوط، رقم: ٢٥٦١. المستدرك للحاكم: الحدود، باب: من عمل عمل قوم لوط فعليه الرجم: ٣٥٥/٤، وصححه الذهبي].

والرواية الراجحة عن أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى رجم الفاعل والمفعول به مطلقاً، محصنين كانا أم غير محصنين، عملاً بالحديث.

(٣) أي تتركون العضو المباح من النساء الذي جعله الله تعالى محل التمتع وإنبات النسل، وتميلون إلى العضو المحرم، وقد كانوا أيضاً يأتون النساء في أدبارهن، وهذا أيضاً فاحشة شدد الإسلام النكير عليها. قال رسول الله ﷺ: (من أتى حائضاً أو امرأة في دبرها أو كاهناً فقد كفر بما أنزل على محمد - ﷺ). والمراد بإتيان الكاهن - وهو الذي يدعي علم الغيب - تصديقه فيما يقول. [الترمذي: الطهارة، باب: ما جاء في كراهية إتيان الحائض، رقم: ١٣٥. أبو داود: الطب، باب في الكاهن، رقم: ٣٩٠٤. ابن ماجه: الطهارة، باب: في إتيان الحائض، رقم: ٦٣٩].

(٤) يعني بناته ومن آمن معه.

(٥) أي: ﴿ لَيْكَةَ ﴾ على وزن لَيْلَة، وهي ممنوعة من الصرف للعلمية والتأنيث، مثل: طَلْحَة. قال ابن كثير في تفسيره: هؤلاء - يعني أصحاب الأيكة - هم أهل مدين على الصحيح، وكان نبي الله شعيب من أنفسهم، وإنما لم يقل ههنا: أخوهم شعيب، لأنهم نسبوا إلى عبادة الأيكة، وهي شجرة، وقيل: شجر ملتف كالغيضة، كانوا يعبدونها، فلهذا

١٧٨ ﴿ إني لكم رسول أمين ﴾.
١٧٩ ﴿ فاتقوا الله وأطيعون ﴾.
١٨٠ ﴿ وما أسئلكم عليه من أجر إن ﴾ ما ﴿ أجري إلا على رب العالمين ﴾⁽١⁾.
١٨١ ﴿ أوفوا الكيل ﴾ أتموه ﴿ ولا تكونوا من المخسرين ﴾ الناقصين.
١٨٢ ﴿ وزنوا بالقسطاس المستقيم ﴾ الميزان السوي.
١٨٣ ﴿ ولا تبخسوا الناس أشياءهم ﴾ لا تنقصوهم من حقهم شيئاً ﴿ ولا تعثوا في الأرض مفسدين ﴾ بالقتل وغيره من عَثِيَ ـ بكسر المثلثة ـ أفسد، ومفسدين حال مؤكدة لمعنى عاملها⁽٢⁾.
١٨٤ ﴿ واتقوا الذي خلقكم والجبلة ﴾ الخليقة ﴿ الأولين ﴾.
١٨٥ ﴿ قالوا إنما أنت من المسحرين ﴾⁽٣⁾.
١٨٦ ﴿ وما أنت إلا بشر مثلنا وإن ﴾ مخففة من الثقيلة واسمها محذوف، أي إنه ﴿ نظنك لمن الكاذبين ﴾.

١٨٧ ﴿ فأسقط علينا كسفاً ﴾ بسكون السين وفتحها، قطعة⁽٤⁾ ﴿ من السماء⁽٥⁾ إن كنت من الصادقين ﴾ في رسالتك.
١٨٨ ﴿ قال ربي أعلم بما تعملون ﴾ فيجازيكم به.
١٨٩ ﴿ فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة ﴾ هي سحابة أظلتهم بعد حر شديد أصابهم، فأمطرت عليهم ناراً، فاحترقوا أجمعين ﴿ إنه كان عذاب يوم عظيم ﴾.
١٩٠ ﴿ إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين ﴾.
١٩١ ﴿ وإن ربك لهو العزيز الرحيم ﴾⁽٦⁾.
١٩٢ ﴿ وإنه ﴾ القرآن ﴿ لتنزيل رب العالمين ﴾.
١٩٣ ﴿ نزل به الروح الأمين ﴾ جبريل⁽٧⁾.
١٩٤ ﴿ على قلبك لتكون من المنذرين ﴾.
١٩٥ ﴿ بلسان عربي

* أَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُخۡسِرِينَ ﴿١٨١﴾
وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ
أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَٱتَّقُواْ
ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلۡجِبِلَّةَ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ
ٱلۡمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ
لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسۡقِطۡ عَلَيۡنَا كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن
كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٨٨﴾
فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمِ ٱلظُّلَّةِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ
يَوۡمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم
مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾ وَإِنَّهُۥ
لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ﴿١٩٣﴾
عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ

---

(١) انظر الآيات: ١٠٥ ـ ١٠٩.
(٢) الذي هو تعثوا، لما كانوا عليه من المبالغة في الإفساد.
(٣) انظر الآية: ١٥٣.
(٤) هذا على سكون السين، وعلى فتحها: قطعاً، لأنه جمع كِسْفة.
(٥) أي من العذاب الذي يكون من جهة السماء، كالصواعق ونحوها.
(٦) انظر الآيات: ١٠٣ ـ ١٠٤ من هذه السورة.
(٧) سماه بذلك لأنه الأمين على الوحي الذي فيه الحياة. أو: لأنه خلق من الروح، وهو المؤتمن على وحي الله تعالى لأنبيائه عليهم الصلاة والسلام.

لما قال: ﴿كذب أصحاب الأيكة المرسلين﴾ لم يقل: إذ قال لهم أخوهم شعيب، وإنما قال ﴿إذ قال لهم شعيب﴾ فقطع نسب الأخوة بينهم، للمعنى الذي نسبوا إليه، وإن كان أخاهم نسباً. ومن الناس من لم يفطن لهذه النكتة، فظن أن أصحاب الأيكة غير أهل مدين، فزعم أن شعيباً عليه السلام بعثه الله إلى أمتين، ومنهم من قال: ثلاث أمم. قال: والصحيح أنهم أمة واحدة، وصفوا في كل مقام بشيء، ولهذا وعظ هؤلاء وأمرهم بوفاء المكيال والميزان، كما في قصة مدين سواء بسواء، فدل ذلك على أنهما أمة واحدة.

فائدة: قال ابن كثير في تفسير الآيات [١٨٨ـ ١٨٩]: ﴿قال ربي أعلم بما تعملون﴾ يقول: الله أعلم بكم، فإن كنتم تستحقون ذلك جازاكم به غير ظالم لكم، وكذلك وقع بهم كما سألوا، جزاءً وفاقاً، ولهذا قال تعالى: ﴿فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم﴾ وهذا من جنس ما سألوا من إسقاط الكِسَف عليهم، فإن الله سبحانه وتعالى جعل عقوبتهم أن أصابهم حر شديد جداً مدة سبعة أيام، لا يكنهم منه شيء، ثم أقبلت إليهم سحابة أظلتهم، فجعلوا ينطلقون إليها يستظلون بظلها من الحر، فلما اجتمعوا تحتها أرسل الله تعالى عليهم منها شرراً من نار ووهجاً عظيماً، ورجفت بهم الأرض، وجاءتهم=

مُبِينٖ (١٩٥) وَإِنَّهُۥ لَفِي زُبُرِ ٱلۡأَوَّلِينَ (١٩٦) أَوَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ
ءَايَةً أَن يَعۡلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ (١٩٧) وَلَوۡ نَزَّلۡنَٰهُ
عَلَىٰ بَعۡضِ ٱلۡأَعۡجَمِينَ (١٩٨) فَقَرَأَهُۥ عَلَيۡهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ
مُؤۡمِنِينَ (١٩٩) كَذَٰلِكَ سَلَكۡنَٰهُ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ (٢٠٠)
لَا يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ (٢٠١) فَيَأۡتِيَهُم
بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ (٢٠٢) فَيَقُولُواْ هَلۡ نَحۡنُ مُنظَرُونَ (٢٠٣)
أَفَبِعَذَابِنَا يَسۡتَعۡجِلُونَ (٢٠٤) أَفَرَءَيۡتَ إِن مَّتَّعۡنَٰهُمۡ
سِنِينَ (٢٠٥) ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ (٢٠٦) مَآ أَغۡنَىٰ
عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ (٢٠٧) وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا لَهَا
مُنذِرُونَ (٢٠٨) ذِكۡرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ (٢٠٩) وَمَا تَنَزَّلَتۡ بِهِ
ٱلشَّيَٰطِينُ (٢١٠) وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمۡ وَمَا يَسۡتَطِيعُونَ (٢١١)
إِنَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّمۡعِ لَمَعۡزُولُونَ (٢١٢) فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ

مبين ﴾ بين، وفي قراءة بتشديد «نَزَّل» ونصب الروح، والفاعل هو الله عز وجل.

١٩٦ ﴿ وإنه ﴾ أي ذكر القرآن الشريف المنزل على محمد ﷺ ﴿ لفي زبر ﴾ كتب ﴿ الأولين ﴾ كالتوراة والإنجيل.

١٩٧ ﴿ أو لم يكن لهم ﴾ لكفار مكة ﴿ آية ﴾(١) على ذلك ﴿ أن يعلمه علماء بني إسرائيل ﴾ كعبد الله بن سلام وأصحابه ممن آمنوا، فإنهم يخبرون بذلك. ويكن بالتحتانية ونصب آية(٢)، وبالفوقانية ورفع آية(٣).

١٩٨ ﴿ ولو نزلناه على بعض الأعجمين ﴾ جمع أعجم(٤).

١٩٩ ﴿ فقرأه عليهم ﴾ أي كفار مكة حرسها الله ﴿ ما كانوا به مؤمنين ﴾ أنفة(٥) من اتباعه.

٢٠٠ ﴿ كذلك ﴾ أي مثل إدخالنا التكذيب به بقراءة الأعجمي ﴿ سلكناه ﴾ أدخلنا التكذيب به ﴿ في قلوب المجرمين ﴾ كفار مكة بقراءة النبي. ٢٠١ ﴿ لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم ﴾(٦).

٢٠٢ ﴿ فيأتيهم بغتة(٧) وهم لا يشعرون ﴾. ٢٠٣ ﴿ فيقولوا هل نحن منظرون ﴾(٨) لنؤمن؟ فيقال لهم: لا، قالوا: متى هذا العذاب؟ قال تعالى: ٢٠٤ ﴿ أفبعذابنا يستعجلون ﴾. ٢٠٥ ﴿ أفرأيت ﴾ أخبرني ﴿ إن متعناهم سنين ﴾(٩).

٢٠٦ ﴿ ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ﴾ من العذاب.

٢٠٧ ﴿ما﴾ استفهامية بمعنى: أي شيء ﴿أغنى عنهم ما كانوا يمتعون﴾ من دفع العذاب أو تخفيفه؟ أي لم يغن.

٢٠٨ ﴿وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون﴾ رسل تنذر أهلها.

٢٠٩ ﴿ ذكرى ﴾ عظة لهم ﴿ وما كنا ظالمين ﴾ في إهلاكهم بعد إنذارهم.

٢١٠ ونزل رداً لقول المشركين(١٠): ﴿ وما تنزلت به ﴾ بالقرآن ﴿ الشياطين ﴾.

٢١١ ﴿ وما ينبغي ﴾ يصلح ﴿ لهم ﴾ أن ينزلوا به ﴿ وما يستطيعون ﴾ ذلك.

٢١٢ ﴿ إنهم عن السمع ﴾ لكلام الملائكة ﴿ لمعزولون ﴾ محجوبون بالشهب(١١).

---

(١) دليلاً وبرهاناً.

(٢) على أنه خبر يكن الناقصة مقدم، واسمها المصدر المسبوك من: ﴿أن يعلمه﴾.

(٣) على أنه فاعل تكن التامة، و ﴿أن يعلمه﴾ بدل منه.

(٤) وهو الذي لا يفصح وإن كان عربي النسب، أو: هو الذي نسبه في غير العرب وإن كان فصيح اللسان.

(٥) استكباراً واستنكافاً وتنزهاً.

(٦) لا يصدقون بما جاءهم عن الله عزّ وجلّ حتى يأتيهم الهلاك، أو يعاينوا أسباب الموت، أو يشاهدوا عذاب يوم القيامة.

(٧) فجأة.

(٨) مؤخرون.

(٩) تركناهم في حياتهم الدنيا يتمتعون بها ولم نهلكهم.

(١٠) وقد كانوا يقولون: إن الشياطين تلقي عليه هذا الكلام.

(١١) أي محجوبون عن السماع بالشهب التي يرمون بها.

= صيحة عظيمة أزهقت أرواحهم، ولهذا قال: ﴿إنه كان عذاب يوم عظيم﴾. وقد ذكر الله تعالى صفة إهلاكهم في ثلاثة مواطن، كل موطن بصفة تناسب ذلك السياق، ففي الأعراف [٨٨] ذكر أنهم أخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين، وذلك لأنهم قالوا: ﴿لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا﴾ فأرجفوا بنبي الله ومن اتبعه، فأخذتهم الرجفة. وفي سورة هود [٩٤] قال: ﴿وأخذت الذين ظلموا الصيحة﴾ وذلك لأنهم استهزؤوا بنبي الله في قولهم: ﴿أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء إنك لأنت الحليم الرشيد﴾ [هود: ٨٧] قالوا ذلك على سبيل التهكم والازدراء، فناسب أن تأتيهم صيحة تسكتهم، فقال: ﴿وأخذت الذين ظلموا الصيحة﴾ وهاهنا قالوا: ﴿فأسقط علينا كسفاً من السماء إن كنت من الصادقين﴾ على وجه التعنت والعناد، فناسب أن يحق عليهم ما استبعدوا وقوعه: ﴿فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم﴾.

سبب نزول الآيات: [٢٠٥، ٢٠٧]: عن أبي جهضم قال: رؤي النبيّ ﷺ كأنه متحير، فسألوه عن ذلك، فقال: (ولم؟ ورأيت عدوي يكون من أمّتي بعدي). فنزلت: ﴿أفرأيت إن متعناهم.. ما كانوا يمتعون﴾ فطابت نفسه. [السيوطي].

٢١٣ ﴿ فلا تدع مع الله إلهاً آخر فتكون من المعذبين ﴾ إن فعلت ذلك الذي دعوك إليه.

٢١٤ ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ وهم بنو هاشم وبنو المطلب، وقد أنذرهم جهاراً. رواه البخاري ومسلم⁽¹⁾.

٢١٥. ﴿ واخفض جناحك ﴾ ألن جانبك ﴿ لمن اتبعك من المؤمنين ﴾ الموحدين.

٢١٦ ﴿ فإن عصوك ﴾ عشيرتك ﴿ فقل ﴾ لهم ﴿ إني بريء مما تعملون ﴾ من عبادة غير الله.

٢١٧ ﴿ وتوكل ﴾ بالواو والفاء ﴿على العزيز الرحيم ﴾ الله، أي فوض إليه جميع أمورك.

٢١٨ ﴿ الذي يراك حين تقوم ﴾ إلى الصلاة.

٢١٩ ﴿ وتقلبك ﴾ في أركان الصلاة: قائماً وقاعداً وراكعاً وساجداً ﴿ في الساجدين ﴾ المصلين.

٢٢٠ ﴿ إنه هو السميع العليم ﴾.

٢٢١ ﴿ هل أنبئكم ﴾ يا كفار مكة ﴿ على من تنزل الشياطين ﴾ بحذف إحدى التاءين من الأصل⁽²⁾.

٢٢٢ ﴿ تنزل على كل أفاك ﴾ كذاب ﴿ أثيم ﴾ فاجر⁽³⁾، مثل مسيلمة وغيره من الكهنة.

٢٢٣ ﴿ يلقون ﴾ الشياطين ﴿ السمع ﴾ ما سمعوه من الملائكة إلى الكهنة ﴿ وأكثرهم كاذبون ﴾ يضمون إلى ما سمعوه كذباً كثيراً، وكان هذا قبل أن حجبت الشياطين عن السماء.

٢٢٤ ﴿ والشعراء يتبعهم الغاوون ﴾⁽⁴⁾ في شعرهم، فيقولون به ويروونه عنهم، فهم مذمومون⁽⁵⁾.

٢٢٥ ﴿ ألم ترَ ﴾ تعلم ﴿ أنهم في كل وادٍ ﴾ من أودية الكلام وفنونه ﴿ يهيمون ﴾ يمضون، فيجاوزون الحد، مدحاً وهجاءً.

٢٢٦ ﴿ وأنهم يقولون ﴾ فعلنا ﴿ ما لا يفعلون ﴾ يكذبون.

٢٢٧ ﴿ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ من الشعراء ﴿ وذكروا الله كثيراً ﴾ لم يشغلهم الشعر عن الذكر ﴿ وانتصروا ﴾ بهجوهم الكفار ﴿ من بعد ما ظلموا ﴾ بهجو الكفار لهم في جملة المؤمنين، فليسوا مذمومين⁽⁶⁾. قال الله تعالى: «لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم»/ النساء: ١٤٨/. وقال تعالى: «فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم»/ البقرة: ١٩٤/. ﴿ وسيعلم الذين ظلموا ﴾ من الشعراء وغيرهم ﴿ أي منقلب ﴾ مرجع ﴿ ينقلبون ﴾ يرجعون بعد الموت.

إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ
ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ
ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا
تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى
يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾
إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ
ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ
ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ
ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾
وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ۗ
وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾

---

(1) أخرج البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما: لما نزلت ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ صعد النبي ﷺ على الصفا، فجعل ينادي: (يا بني فهر، يا بني عدي) ـ لبطون من قريش ـ حتى اجتمعوا فجعل الذي لم يستطع أن يخرج يرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش، فقال: (أرايتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم، أكنتم مصدقي). قالوا: ما جربنا عليك كذباً. قال: (فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد). [البخاري: التفسير/الشعراء، باب: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين..﴾ رقم: ٤٤٩٢. مسلم: الإيمان، باب: قوله تعالى: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ رقم: ٢٠٨].

(2) أي أصله: تتنزل.

(3) مرتكب لما فيه إثم وعليه عقاب.

(4) السفهاء.

(5) عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحاً حتى يريه خير له من أن يمتلىء شعراً)

[البخاري: الأدب، باب: ما يكره أن يكون الغالب على الإنسان الشعر..، رقم: ٥٨٠٣. مسلم: أوائل كتاب الشعر، رقم: ٢٢٥٧] [حتى يريه: حتى يصيبه بمرض في رئته].

(6) بدليل ما رواه البراء رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال يوم قريظة لحسان: (اهج المشركين، فإن جبريل معك).

[البخاري: المغازي، باب: مرجع النبي ﷺ من

سبب نزول الآية [٢١٥، ٢٢٤ ـ ٢٢٧]: أخرج ابن جرير عن ابن جريج قال: لما نزلت: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ بدأ بأهل بيته وفصيلته، قال: وشق ذلك على المسلمين، فأنزل الله تعالى: ﴿واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين﴾ [فصيلته: عشيرته وأقرباؤه الأولون].

أخرج ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: تهاجى رجلان على عهد رسول الله ﷺ أحدهما من الأنصار، والآخر من قوم آخرين،

(سورة النمل)

مكية وآياتها ٩٣ أو ٩٤ أو ٩٥

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿ طسٓ ﴾ الله أعلم بمراده بذلك ﴿ تلك ﴾ هذه الآيات ﴿ آيات القرآن ﴾ آيات منه ﴿ وكتاب مبين ﴾ مظهر للحق من الباطل، عطف بزيادة صفة.

٢ هو ﴿ هدى ﴾ هاد من الضلالة ﴿ وبشرى للمؤمنين ﴾ المصدقين به بالجنة.

٣ ﴿ الذين يقيمون الصلاة ﴾ يأتون بها على وجهها ﴿ ويؤتون ﴾ يعطون ﴿ الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون ﴾ يعلمونها بالاستدلال(١). وأعيد «هم» لما فصل بينه وبين الخبر(٢).

٤ ﴿ إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم ﴾ القبيحة، بتركيب الشهوة، حتى رأوها حسنة ﴿ فهم يعمهون ﴾ يتحيرون فيها، لقبحها عندنا(٣).

٥ ﴿ أولئك الذين لهم سوء العذاب ﴾ أشده في الدنيا، وهو القتل والأسر ﴿ وهم في الآخرة هم الأخسرون ﴾ لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم.

٦ ﴿ وإنك ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿ لتلقى القرآن ﴾ يلقى عليك بشدة ﴿ من لدن ﴾ من عند ﴿ حكيم عليم ﴾ في ذلك.

٧ اذكر ﴿ إذ قال موسى لأهله ﴾ زوجته، عند مسيره من مدين إلى مصر ﴿ إني آنست ﴾ أبصرت من بعيد ﴿ ناراً سآتيكم منها(٤) بخبر ﴾ عن حال الطريق، وكان قد ضلها ﴿ أو آتيكم بشهابٍ قبس ﴾ بالإضافة للبيان وتركها(٥)، أي شعلة نار في رأس فتيلة أو عود ﴿ لعلكم

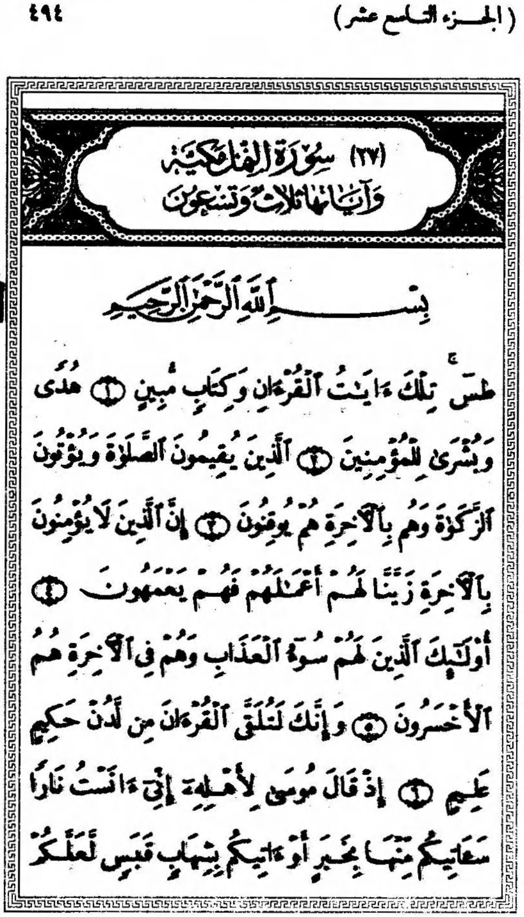

(الجـــزء التاسع عشر) ٤٩٤

(٢٧) سُورَةُ النَّمْلِ مَكِّيَّة
وَآيَاتُهَا ثَلَاثٌ وَتِسْعُونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى
وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ
ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِٱلْءَاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾
أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ
ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٥﴾ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ
عَلِيمٍ ﴿٦﴾ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا
سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ

الأحزاب. . ، رقم: ٣٨٩٧. مسلم: فضائل الصحابة، باب: فضائل حسان بن ثابت رضي الله عنه، رقم: ٢٤٨٦]

(١) بالنظر في الأدلة النقلية والعقلية.

(٢) أي قوله تعالى. ﴿وهم﴾ مبتدأ، وجملة ﴿يوقنون﴾ خبره، فلما فصل بين المبتدأ والخبر بما تعلق بالخبر وهو ﴿بالآخرة﴾ أعيد لفظ ﴿هم﴾ ليتصل المبتدأ بخبره في الصورة. على أن تكرار هذا الضمير ـ الذي يسمى ضمير الفصل ـ يفيد قصر المعنى على المذكورين، وأنهم بلغوا فيه الغاية. قال النسفي في تفسيره للآية: وكرر فيها المبتدأ الذي هو ﴿هم﴾ حتى صار معناها: وما يوقن بالآخرة حق الإيقان إلا هؤلاء الجامعون بين الإيمان والعمل الصالح، لأن خوف العاقبة يحملهم على تحمل المشاق.

(٣) يترددون في تركها أو الاستمرار عليها، لعدم إدراكهم قبحها في واقع الأمر، لأن قبحها ثابت عندنا لا عندهم، لأنها مزينة لهم. وقيل: يعمهون: ينهمكون فيها ويتمادون في الاستمرار عليها. ولعل هذا المعنى أولى.

(٤) ممن عندها والذين يوقدونها.

(٥) أي وترك الإضافة لأن الشهاب هو القبس، وقيل: الشهاب شعلة النار، والقبس النار المقبوسة منها. وقيل غير ذلك.

وكان مع كلّ واحد منهما غواة من قومه، وهم السفهاء، فأنزل الله: ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون﴾ الآيات. [تهاجى: تشاتما بالشعر. غواة: جمع غاو، وهو من ضل من الناس].

وعن عروة قال: لما نزلت: ﴿والشعراء﴾ ـ إلى قوله ـ ما لا يفعلون﴾. قال عبد الله بن رواحة: قد علم الله أني منهم، فأنزل الله: ﴿إلا الذين آمنوا﴾ إلى آخر السورة. [السيوطي].

وأخرج ابن جرير والحاكم عن أبي حسن البراد قال: لما نزلت: ﴿والشعراء﴾ الآية، جاء عبد الله بن رواحة وكعب بن مالك وحسان بن ثابت، فقالوا: يا رسول الله، والله لقد أنزل الله هذه الآية وهو يعلم أنا شعراء، هلكنا. فأنزل الله: ﴿إلا الذين آمنوا﴾ الآية، فدعاهم رسول الله ﷺ فتلاها عليهم.

تصطلون ﴾ تستدفئون من البرد، والطاء بدل تاء الافتعال، من صلي النار، بكسر اللام وفتحها.

٨ ﴿ فلما جاءها نودي أن ﴾ بأن ﴿ بورك ﴾ بارك الله ﴿ من في النار ﴾ موسى ﴿ ومن حولها ﴾ الملائكة، أو العكس، وبارك يتعدى بنفسه وبالحرف، ويقدَّر بعد «في» مكان(١) ﴿ وسبحان الله رب العالمين ﴾ من جملة ما نودي، ومعناه: تنزيه الله عز وجل من السوء.

٩ ﴿ يا موسى إنه ﴾ الشأن ﴿ أنا الله العزيز الحكيم ﴾(٢).

١٠ ﴿ و ﴾ ان ﴿ ألق عصاك ﴾ فالقاها ﴿ فلما رآها تهتز ﴾ تتحرك ﴿ كأنها جان ﴾ حية خفيفة(٣) ﴿ ولىَّ مدبراً ولم يعقب ﴾ يرجع، قال تعالى: ﴿ يا موسى لا تخف ﴾ منها ﴿ إني لا يخاف لدي ﴾ عندي ﴿ المرسلون ﴾ من حية وغيرها.

١١ ﴿ إلا ﴾ لكن ﴿ من ظلم ﴾ نفسه ﴿ ثم بدّل حسناً ﴾ أتاه ﴿ بعد سوء ﴾ أي تاب ﴿ فإني غفور رحيم ﴾ أقبل التوبة وأغفر له(٤).

١٢ ﴿ وأدخل يدك في جيبك ﴾ طوق قميصك ﴿ تخرج ﴾ خلاف لونها من الأدمة(٥) ﴿ بيضاء من غير سوء ﴾ برص، لها شعاع(٦) يعشي البصر، آية(٧) ﴿ في تسع آيات ﴾ مرسلاً بها ﴿ إلى فرعون وقومه إنهم كانوا قوماً فاسقين ﴾.

١٣ ﴿ فلما جاءتهم آياتنا مبصرة ﴾ مضيئة واضحة ﴿ قالوا هذا سحر مبين ﴾ بين ظاهر.

١٤ ﴿ وجحدوا بها ﴾ أي لم يقروا ﴿ و ﴾ قد ﴿ استيقنتها أنفسهم ﴾ تيقنوا أنها من عند الله ﴿ ظلماً وعلواً ﴾ تكبراً عن الإيمان بما جاء به موسى، راجع إلى الجحد(٨) ﴿ فانظر ﴾ يا محمد ﴿ كيف كان عاقبة المفسدين ﴾ التي علمتها من إهلاكهم.

١٥ ﴿ ولقد آتينا داود وسليمان ﴾ ابنه ﴿ علماً ﴾ بالقضاء بين الناس، ومنطق الطير، وغير ذلك من العطايا والمنح(٩)، ﴿ وقالا ﴾ شكراً لله ﴿ الحمد لله الذي فضلنا ﴾ بالنبوة، وتسخير الجن والإنس والشياطين ﴿ على كثير

تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ
وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨﴾ يَٰمُوسَىٰٓ
إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا
رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰ
لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ
ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ
يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ فِي تِسْعِ
ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾
فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾
وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَٱنظُرْ
كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ
وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ

---

(١) فيكون التقدير: أن بورك من في مكان النار.

(٢) القوي القادر، الذي يعطي أهل الحق الحجة والبرهان، والعون والتأييد.

(٣) في سرعة الحركة، فلا ينافي ضخامة جثتها.

(٤) قيل: فيه إشارة إلى ما وقع منه من قتل القبطي، لأنه قال عن نفسه: ﴿رب إني ظلمت نفسي﴾/القصص: ١٤٤/.

(٥) السمرة.

(٦) لمعان وإشراق.

(٧) أي خروج اليد بيضاء معجزة من جملة المعجزات التسع التي أيد بها، ومنها: فلق البحر والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وسنوات الجدب ونقص الثمرات. [انظر/الإسراء: ٦/و/الأعراف: ١٠٧، ١٠٨، ١٣٠، ١٣٣]. وقوله [يعشي البصر] أي يضعفه لشدته، وفي النسخ المطبوعة [يغشى] والذي ذكرته أصح، والله أعلم.

(٨) أي علة جحودهم شركهم وتكبرهم وانحرافهم عن الحق والعدل.

(٩) كتسبيح الجبال وإلانة الحديد. انظر/ الأنبياء: ٧٨ وما بعدها /و/ ص: ١٨/و /سبأ: ١٠/.

فائدة: عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلماتٍ، فقال: (إن الله عزّ وجلّ لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يُرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل. حجابه النور، وفي رواية: النار، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه). [مسلم: الإيمان، باب: في قوله ﷺ: (إن الله لا ينام) رقم: ١٧٩]. ولا ينبغي أن ينام: أي يستحيل في حقه ذلك لأنه نقص. القسط: الميزان الذي به يعرف العدل، والمراد ميزان الأعمال. حجابه: أي الذي يمنع من رؤيته. سبحات: جمع سبحة، والمراد نور جلاله وبهاؤه. ما انتهى إليه بصره: أي جميع المخلوقات.

وذكر ابن كثير في تفسيره هذا الحديث عن ابن أبي حاتم بسنده إلى أبي عبيدة، راويه عن أبي موسى رضي الله عنه، وقال في آخره: ثم قرأ أبو عبيدة: ﴿أن بورك من في النار ومن حولها﴾.

من عباده المؤمنين ﴾.

١٦ ﴿ **وورث سليمان داود** ﴾ النبوة والعلم، دون باقي أولاده ﴿ **وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير** ﴾ أي فهم أصواته ﴿ **وأوتينا من كل شيء** ﴾ تؤتاه الأنبياء والملوك ﴿ **إن هذا** ﴾ المؤتى ﴿ **لهو الفضل المبين** ﴾ البين الظاهر.

١٧ ﴿ **وحشر** ﴾ جمع[1] ﴿ **لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير** ﴾ في مسير له ﴿ **فهم يوزعون** ﴾ يجمعون ثم يساقون[2].

١٨ ﴿ **حتى إذا أتوا على واد النمل** ﴾ هو بالطائف، أو بالشام، أو بغيرها، نمله صغار ، أو كبار ﴿ **قالت نملة** ﴾ هي ملكة النمل، وقد رأت جند سليمان ﴿ **يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم** ﴾ يكسرنكم ﴿ **سليمان وجنوده وهم لا يشعرون** ﴾ هلاككم، ونُزِّل النمل منزل العقلاء في الخطاب بخطابهم[3].

١٩ ﴿ **فتبسم** ﴾ سليمان ابتداء ﴿ **ضاحكاً** ﴾ انتهاء[4] ﴿ **من قولها** ﴾ وقد سمعه من ثلاثة أميال، حملته إليه الريح، فحبس جنده حين أشرف على واديهم حتى دخلوا بيوتهم، وكان جنده ركباناً ومشاة في هذا المسير ﴿ **وقال رب أوزعني** ﴾ ألهمني ﴿ **أن أشكر نعمتك التي أنعمت** ﴾ بها ﴿ **عليّ وعلى والدي وأن أعمل صالحاً ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين** ﴾ الأنبياء والأولياء.

٢٠ ﴿ **وتفقد الطير** ﴾[5] ليرى الهدهد الذي يرى الماء تحت الأرض ويدل عليه بنقره فيها، فتستخرجه الشياطين، لاحتياج سليمان إليه للصلاة[6]، فلم يره ﴿ **فقال مالي لا أرى الهدهد** ﴾ أعرض لي ما منعني من رؤيته ﴿ **أم كان من الغائبين** ﴾ فلم أره لغيبته؟ فلما تحققها قال:

٢١ ﴿ **لأعذبنه عذاباً** ﴾ تعذيباً ﴿ **شديداً** ﴾ بنتف رأسه وذنبه ورميه في الشمس، فلايقدر أن يمتنع من الهوام ﴿ **أو لأذبحنه** ﴾ بقطع حلقومه ﴿ **أو ليأتيني** ﴾ بنون مشددة مكسورة[7]، أو مفتوحة يليها نون مكسورة[8] ﴿ **بسلطان مبين** ﴾ ببرهان بين ظاهر على عذره.

٢٢ ﴿ **فمكث** ﴾ بضم الكاف وفتحها ﴿ **غير بعيد** ﴾ يسيراً من الزمن، وحضر لسليمان متواضعاً: برفع رأسه وإرخاء ذنبه وجناحيه، فعفا عنه وسأله عما لقي في غيبته ﴿ **فقال**

مِنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ
إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ
جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾
حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ
ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ
لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ
أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ
صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾
وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ
ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ
أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ

---

[1] من الأماكن البعيدة والقريبة.

[2] يمنعون من التقدم حتى يجتمعوا ثم يؤمرون بالمسير.

[3] أي ذكروا بضمير العقلاء في ﴿ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم﴾ تنزيلاً للنمل منزلة العقلاء، لأنه لما جعل النملة قائلة والنمل مقولاً لها ـ وذلك إنما يكون في أولي العقل ـ أجرى خطابهن مجرى خطابهم.

[4] أي انتهى تبسمه إلى الضحك، وقد كان أكثر ضحك الأنبياء التبسم. أخرج البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما رأيت النبي ﷺ مستجمعاً قط ضاحكاً حتى أرى منه لهواته، إنما كان يتبسم. [مستجمعاً: أي مبالغاً بضحكه. لهواته: جمع لهاة وهي اللحمة التي في أقصى الفم مشرفة على الحلق].

[البخاري: الأدب، باب: التبسم والضحك، رقم: ٥٧٤١. مسلم: صلاة الاستسقاء، باب: التعوذ عند رؤية الريح والغيم والفرح بالمطر، رقم: ٨٩٩].

[5] طلبها وبحث عنها وطلب ما فقد منها.

[6] أي لاحتياج سليمان عليه السلام إلى الماء، من أجل استعماله للطهارة للصلاة. .

[7] بحذف نون الوقاية وكسر نون التوكيد الثقيلة.

[8] أي: ﴿لَيَأْتِيَنَّنِي﴾. بإثبات نون الوقاية.

فائدة: عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (قرصت نملة نبياً من الأنبياء، فأمر بقرية النمل فأُحرقت، فأوحى الله إليه: أن قرصتك نملة أحرقت أمّةً من الأمم تُسَبِّحُ). وفي رواية: (فهلا نملةً واحدة). [البخاري: الجهاد، باب: إذا حرق المشرك المسلم هل يحرق، رقم: ٢٨٥٦. مسلم: السلام، باب: النهي عن قتل النمل، رقم: ٢١٤١] [بقرية النمل: موضع اجتماعه. أمة: هي الجيل من كل حي. تسبِّح: تنزه الله تعالى وتقدسه، والله تعالى أعلم بحقيقة ذلك. فهلا نملة: أي فهلاقتلت النملة التي قرصتك وحدها] هذا وقد حمل العلماء فعل هذا

أحطت بما لم تحط به ﴾ اطلعت على ما لم تطلع عليه ﴿ وجئتك من سبأ ﴾ بالصرف وتركه، قبيلة باليمن، سميت باسم جد لهم باعتباره صرف(١) ﴿ بنبأ ﴾ خبر ﴿ يقين ﴾.

٢٣ ﴿ إني وجدت امرأة تملكهم ﴾(٢) اسمها بلقيس ﴿ وأوتيت من كل شيء ﴾ يحتاج إليه الملوك من الآلة والعدة ﴿ ولها عرش ﴾ سرير ﴿ عظيم ﴾ طوله ثمانون ذراعاً، وعرضه أربعون ذراعاً، وارتفاعه ثلاثون ذراعاً، مضروب من الذهب والفضة، مكلل بالدر والياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر والزمرد، وقوائمه من الياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر والزمرد، عليه سبعة أبواب(٣)، على كل بيت باب مغلق.

٢٤ ﴿ وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل ﴾ طريق الحق ﴿ فهم لا يهتدون ﴾.

٢٥ ﴿ ألا يسجدوا لله ﴾ أي أن يسجدوا له، فزيدت لا وأدغم فيها نون أن، كما في قوله تعالى: «لئلا يعلم أهل الكتاب»/ الحديد: ٢٩/ والجملة في محل مفعول يهتدون بإسقاط إلى ﴿ الذي يخرج الخبء ﴾ مصدر بمعنى المخبوء، من المطر والنبات ﴿ في السموات والأرض ويعلم ما يخفون ﴾(٤) في قلوبهم وضمائرهم ﴿ وما يعلنون ﴾(٤) بألسنتهم وهو الصريح.

٢٦ ﴿ الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم ﴾ استئناف، جملة ثناء مشتمل على عرش الرحمن في مقابلة عرش بلقيس، وبينهما بون(٥) عظيم.

٢٧ ﴿ قال ﴾ سليمان للهدهد ﴿ سننظر أصدقت ﴾ فيما أخبرتنا به ﴿ أم كنت من الكاذبين ﴾ أي من هذا النوع، فهو أبلغ من: أم كذبت فيه، ثم دلهم على الماء فاستخرج منه ما شاء الله أن يستخرجوه، وارتووا وتوضؤوا وصلوا وحمدوا الله، ثم كتب سليمان كتاباً صورته: من عبد الله سليمان بن داود إلى بلقيس ملكة سبأ، بسم الله الرحمن الرحيم، السلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فلا تعلوا عليّ وأتوني مسلمين. ثم طبعه بالمسك وختمه بخاتمه، ثم قال للهدهد:

٢٨ ﴿ اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ﴾ أي بلقيس وقومها ﴿ ثم تول ﴾ انصرف ﴿ عنهم ﴾ وقف قريباً منهم ﴿ فانظر ماذا يرجعون ﴾ يردون من الجواب. فأخذه، وأتاها وحولها جندها، وألقاه في حجرها، فلما رأته ارتعدت وخضعت خوفاً، ثم وقفت على ما فيه(٦).

٢٩ ثم ﴿ قالت ﴾ لأشراف قومها ﴿ يا أيها الملأ إني ﴾ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية بقلبها واواً مكسورة ﴿ ألقي إليّ كتاب كريم ﴾ مختوم(٧). ٣٠ ﴿ إنه من سليمان وإنه ﴾ مضمونه ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾.

٣١ ﴿ ألا تعلوا علي وأتوني مسلمين ﴾(٨).

أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ (٢٢)
إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا
عَرْشٌ عَظِيمٌ (٢٣) وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ
مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ
ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ (٢٤) أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ
ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا
تُعْلِنُونَ (٢٥) ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ (٢٦) ۩
۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ (٢٧)
ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ
مَاذَا يَرْجِعُونَ (٢٨) قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ
إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ (٢٩) إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ
ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ (٣٠) أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ (٣١)

---

(١) أي صرف لفظ سبأ باعتباره اسم رجل، ومنع من الصرف باعتباره اسماً للقبيلة، فيجتمع فيه العلمية والتأنيث.

(٢) أخرج البخاري عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: لما بلغ رسول الله ﷺ أن أهل فارس قد ملكوا عليهم بنت كسرى قال: (لن يفلح قوم ملكوا عليهم امرأة). [المغازي، باب: كتاب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر، رقم: ٤١٦٣].

(٣) أي أبيات، فكني عن البيت ببابه. وقال الصاوي في حاشيته: صوابه أبيات، بدليل قوله: على كل بيت باب مغلق. وقوله [مكلل] أي مزين.

(٤) و في قراءة ﴿تخفون﴾و﴿تعلنون﴾.

(٥) بُعْد وفضل ومزية.

(٦) اطلعت على ما فيه وأدركت الغرض منه.

(٧) أي معظم لأنه مختوم، فإن ختمه يشعر بالاعتناء بالمرسل إليه. وقيل: كريم: شريف لشرف مرسله.

(٨) مؤمنين طائعين منقادين.

النبي - عليه السلام - على أنه كان ذلك جائزاً في شرعه، وأما في شرعنا فلا يجوز التحريق بالنار لذي روح إلا إذا كان قصاصاً بشروطه بالنسبة للإنسان، للحديث المشهور: (إن النار لا يعذب بها إلا الله) [البخاري: الجهاد، باب: التوديع، رقم: ٢٧٩٥]. وكذلك لا يجوز قتل النمل، لما ورد في الحديث الصحيح: أن النبي ﷺ نهى عن قتله. [أبو داود: الأدب، باب: في قتل الذر، رقم: ٥٢٦٧] والذر: هو النمل. ويستثنى من

٣٢ ﴿ قالت يا أيها الملأ أفتوني ﴾ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية بقلبها واواً: أي أشيروا عليّ ﴿ في أمري ما كنت قاطعة أمراً ﴾ قاضيته ﴿ حتى تشهدون ﴾ تحضرون.

٣٣ ﴿ قالوا نحن أولو قوة وأولو بأس شديد ﴾ أي أصحاب شدة في الحرب ﴿ والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين ﴾ نا فإنا نطيعك.

٣٤ ﴿ قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية(١) أفسدوها ﴾ بالتخريب ﴿ وجعلوا أعزة أهلها أذلة(٢) وكذلك يفعلون ﴾ مرسلو الكتاب.

٣٥ ﴿ وإني مرسلة إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون ﴾ من قبول الهدية أو ردها: إن كان ملكاً قبلها، أو نبياً لم يقبلها(٣). فأرسلت خدماً ذكوراً وإناثاً ألفاً بالسوية، وخمسمائة لبنة من الذهب، وتاجاً مكللاً بالجواهر، ومسكاً وعنبراً، وغير ذلك، مع رسول بكتاب. فأسرع الهدهد إلى سليمان يخبره الخبر، فأمر أن نضرب لبنات الذهب والفضة، وأن تبسط من موضعه إلى تسعة فراسخ ميداناً(٤)، وأن يبنوا حوله حائطاً مشرفاً من الذهب والفضة، وأن يؤتى بأحسن دواب البر والبحر، مع أولاد الجن، عن يمين الميدان وشماله. ٣٦ ﴿ فلما جاء ﴾ الرسول بالهدية، ومعه أتباعه ﴿ سليمان قال أتمدونن بمال فما آتاني الله ﴾ من النبوة والرسالة والحكم والملك وغير ذلك من الاصطفاء والاجتباء ﴿ خير مما آتاكم ﴾ من الدنيا ﴿ بل أنتم بهديتكم تفرحون ﴾ لفخركم بزخارف الدنيا.

٣٧ ﴿ ارجع إليهم ﴾ بما أتيت به من الهدية ﴿ فلنأتينهم بجنود لا قبل ﴾ لا طاقة ﴿ لهم بها ولنخرجنهم منها ﴾ من بلدهم سبأ، سميت باسم أبي قبيلتهم(٥) ﴿ أذلة وهم صاغرون ﴾ إن لم يأتوني مسلمين. فلما رجع إليها الرسول بالهدية جعلت سريرها داخل سبعة أبواب داخل قصرها، وقصرها داخل سبعة قصور، وغلقت الأبواب وجعلت عليها حرساً، وتجهزت للمسير إلى سليمان لتنظر ما يأمرها به، فارتحلت في اثني عشر ألف قيل، مع كل قيل ألوف كثيرة، إلى أن قربت منه على فرسخ شعر بها.

٣٨ ﴿ قال يا أيها الملأ أيكم ﴾ في الهمزتين ما تقدم(٦) ﴿ يأتيني بعرشها(٧) قبل أن يأتوني مسلمين ﴾ منقادين طائعين، فلي أخذه قبل ذلك لا بعده؟.

٣٩ ﴿ قال عفريت من الجن ﴾ هو القوي الشديد ﴿ أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك ﴾ الذي تجلس فيه للقضاء، وهو من الغداة(٨) إلى نصف النهار ﴿ وإني عليه لقوي ﴾ على حمله ﴿ أمين ﴾ على ما فيه من الجواهر الثمينة وغيرها من الأمتعة. قال سليمان: أريد أسرع من ذلك.

قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً
أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ
شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ
ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ
أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ
فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ
أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم ۚ بَلْ أَنتُم
بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ
لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾
قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى
مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ
قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾

---

(١) أي عنوة وبعد محاربة أهلها.

(٢) أهانوا أشرافها ليستقيم لهم الأمر، وهي بهذا تحذرهم من التعرض لحرب سليمان عليه السلام.

(٣) حتى ندخل في دينه.

(٤) هو المكان المتسع لركض الخيل، والفراسخ جمع فرسخ وهو مسيرة يوم وثمن يوم. (٥) انظر الآية/ ٢٢/.

(٦) انظر الآية/ ٢٩، ٣٢/. (٧) انظر الآية/ ٢٣/. (٨) صلاة الفجر.

قال ابن كثير في تفسيره: قال محمد بن إسحاق، عن يزيد بن رومان قال: فلما رجعت إليها الرسل بما قال سليمان قالت: قد ـ والله ـ عرفت ما هذا بملك، وما لنا به من طاقة، وما نصنع بمكاثرته شيئاً. وبعثت إليه: إني قادمة عليك بملوك قومي، لأنظر ما أمرك وما تدعونا إليه من دينك، ثم أمرت بسرير ملكها الذي كانت تجلس عليه ـ وكان من ذهب مفصص بالياقوت والزبرجد واللؤلؤ ـ فجعل في سبعة أبيات، بعضها في بعض، ثم أقفلت عليه الأبواب، ثم قالت لمن خلفت على سلطانها: احتفظ بما قبلك، وسرير ملكي، فلا يخلص إليه أحد من عباد الله، ولا يرينه أحد حتى آتيك، ثم شخصت إلى سليمان في اثني عشر ألف قَيْلٍ من ملوك اليمن، تحت يدي كل قَيْل منهم ألوف كثيرة، فجعل سليمان يبعث الجن يأتونه بمسيرها ومنتهاها كل يوم وليلة، حتى إذا دنت

التحريم ما إذا أكثر وصار مؤذياً، فيجوز قتله بما يدفع أذاه، والله تعالى أعلم. [انظر شرح النووي على صحيح مسلم، وشرح ابن حجر العسقلاني على صحيح البخاري، المسمى: فتح الباري].

٤٠ ﴿ قال الذي عنده علم من الكتاب ﴾ المنزل، وهو آصف بن برخيا، كان صِدِّيقاً، يعلم اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب ﴿ أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك ﴾ إذا نظرت به إلى شيء، فقال له: انظر إلى السماء، فنظر إليها ثم رد بطرفه فوجده موضوعاً بين يديه، ففي نظره إلى السماء دعا آصف بالاسم الأعظم: أن يأتي الله به، فحصل، بأن جرى تحت الأرض حتى نبع تحت كرسي سليمان(١) ﴿ فلما رآه مستقراً ﴾ ساكناً ﴿ عنده قال هذا ﴾ الإتيان لي به ﴿ من فضل ربي ليبلوني ﴾ ليختبرني ﴿ ءأشكر ﴾ بتحقيق الهمزتين، وإبدال الثانية ألفاً وتسهيلها، وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه ﴿ أم أكفر ﴾ النعمة ﴿ ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ﴾ لأجلها، لأن ثواب شكره له ﴿ ومن كفر ﴾ النعمة ﴿ فإن ربي غني ﴾ عن شكره ﴿ كريم ﴾ بالإفضال على من يكفرها(٢).

٤١ ﴿ قال نكروا لها عرشها ﴾ غيروه إلى حال تنكره(٣) إذا رأته ﴿ ننظر أتهتدي ﴾ إلى معرفته ﴿ أم تكون من الذين لا يهتدون ﴾ إلى معرفة ما يغير عليهم، قصد بذلك اختبار عقلها، لما قيل له: إن فيه شيئاً(٤)، فغيروه بزيادة أو نقص وغير ذلك.

٤٢ ﴿ فلما جاءت قيل ﴾ لها ﴿ أهكذا عرشك ﴾ أمثل هذا عرشك ﴿ قالت كأنه هو ﴾ أي فعرفته، وشبهت عليهم كما شبهوا عليها، إذ لم يقل: أهذا عرشك، ولو قيل هذا قالت نعم(٥). فقال سليمان، لما رأى لها معرفة وعلماً:﴿ وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين ﴾(٦).

٤٣ ﴿ وصدها ﴾ عن عبادة الله ﴿ ما كانت تعبد من دون الله ﴾ أي غيره ﴿ إنها كانت من قوم كافرين ﴾.

٤٤ ﴿ قيل لها ﴾ أيضاً ﴿ ادخلي الصرح ﴾ هو سطح من زجاج أبيض شفاف، تحته ماء عذب جار فيه سمك(٧)، اصطنعه سليمان لما قيل له: إن ساقيها وقدميها كقدمي الحمار ﴿ فلما رأته حسبته لجة ﴾ من الماء(٨) ﴿ وكشفت عن ساقيها ﴾ لتخوضه، وكان سليمان على سريره في صدر الصرح، فرأى ساقيها وقدميها حساناً ﴿ قال ﴾ لها ﴿ إنه صرح ممرد ﴾ مملس ﴿ من قوارير ﴾ من زجاج. ودعاها إلى الإسلام ﴿ قالت رب إني ظلمت نفسي ﴾ بعبادة غيرك ﴿ وأسلمت ﴾ كائنة ﴿ مع سليمان لله رب العالمين ﴾ وأراد تزوجها، فكره شعر ساقيها، فعملت له الشياطين النورة(٩)، فأزالته بها، فتزوجها وأحبها وأقرها على ملكها(١٠)، وكان يزورها في كل شهر مرة ويقيم عندها ثلاثة أيام، وانقضى ملكها بانقضاء ملك سليمان، روي أنه ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة ومات وهو ابن ثلاث وخمسين سنة، فسبحان من لا انقضاء لدوام ملكه ولا انتهاء لدولته.

٤٥ ﴿ ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم ﴾ من القبيلة

٤٩٩ (سورة النمل)

قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ
أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا
مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا
يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيّٞ كَرِيمٞ ﴿٤٠﴾
قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرۡشَهَا نَنظُرۡ أَتَهۡتَدِيٓ أَمۡ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ
لَا يَهۡتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتۡ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرۡشُكِۖ قَالَتۡ
كَأَنَّهُۥ هُوَۚ وَأُوتِينَا ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهَا وَكُنَّا مُسۡلِمِينَ ﴿٤٢﴾
وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعۡبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ إِنَّهَا كَانَتۡ مِن قَوۡمٖ
كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَۖ فَلَمَّا رَأَتۡهُ حَسِبَتۡهُ
لُجَّةٗ وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ مِّن
قَوَارِيرَۗ قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ
لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ

جمع من عنده من الجن والإنس، ممن تحت يديه، فقال: ﴿يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين﴾. [بمكاثرته: أي بجمع الجيوش الكثيرة له. وفي نسخة: بمكابرته، أي مخالفته وعدم الإذعان له. مفصص: أي مزين ومزخرف. قيل: القيل هو الملك من ملوك اليمن، وقيل: هو الملك مطلقاً].

(١) الله تعالى أعلم بالكيفية التي أحضر بها، وعلى أي وجه: فإحضاره معجزة لسليمان عليه السلام، وكرامة للصديق آصف.

(٢) إذ إنه سبحانه لا يقطع نعمه عن الكافر بسبب إعراضه وكفرانه.

(٣) أي لا تعرفه.

(٤) من النقص، قال له ذلك الجن.

(٥) وقيل: اشتبه عليها، فكان جوابها دليل رجاحة عقلها.

(٦) قبل أن تسلم هي، وقيل: هذا الكلام من قولها، أي: علمنا قدرة الله تعالى وصدق نبوتك، وأتينا منقادين لك خاضعين لأمرك، من قبل أن نرى هذه المعجزة في إحضار العرش.

(٧) وقيل: هو القصر أو صحن الدار.

(٨) اللجة الماء العظيم.

(٩) مادة يزال بها الشعر.

(١٠) لا دليل يعتمد عليه في هذا، وكيف يصح وشرائع الأنبياء واحدة، ورسولنا ﷺ يقول: (لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة). [أخرجه البخاري في المغازي، باب: كتاب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر، رقم: ٤٢٦٣].

﴿ صالحاً أن ﴾ بأن ﴿ اعبدوا الله ﴾ وحدوه ﴿ فإذا هم فريقان يختصمون ﴾ في الدين :فريق مؤمنون به من حين إرساله إليهم، وفريق كافرون.

٤٦ ﴿ قال ﴾ للمكذبين ﴿ يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة ﴾ بالعذاب قبل الرحمة، حيث قلتم: إن كان ما أتيتنا به حقاً فأتنا بالعذاب ﴿ لولا ﴾ هلا ﴿ تستغفرون الله ﴾ من الشرك ﴿ لعلكم ترحمون ﴾ فلا تعذبوا.

٤٧ ﴿ قالوا اطيرنا ﴾ أصله تطيرنا، أدغمت التاء في الطاء واجتلبت همزة الوصل: تشاءمنا ﴿ بك وبمن معك ﴾ أي المؤمنين، وكان ذلك منهم حين ، حيث قحطوا المطر وجاعوا ﴿ قال طائركم ﴾ شؤمكم﴿ عند الله ﴾ أتاكم به ﴿ بل أنتم قوم تفتنون ﴾ تختبرون بالخير وبالشر، مرة بعد أخرى.

٤٨ ﴿ وكان في المدينة ﴾ مدينة ثمود ﴿ تسعة رهط ﴾ رجال ﴿ يفسدون في الأرض ﴾ بالمعاصي، منها قرضهم الدنانير والدراهم⁽¹⁾ ﴿ ولا يصلحون ﴾ بالطاعة.

٤٩ ﴿قالوا﴾ قال بعضهم لبعض ﴿تقاسموا﴾ احلفوا ﴿بالله لنبيتنه﴾ بالنون، والتاء وضم التاء الثانية⁽²⁾ ﴿وأهله﴾ من آمن به، أي نقتلهم ليلاً ﴿ ثم لنقولن ﴾ بالنون، والتاء وضم اللام الثانية⁽³⁾ ﴿ لوليه ﴾ لولي دمه ﴿ ما شهدنا ﴾ ما حضرنا﴿ مهلك أهله ﴾ بضم الميم وفتحها⁽⁴⁾، أي إهلاكهم أو هلاكهم ،فلا ندري من قتلهم ﴿وإنا الصادقون ﴾.

٥٠ ﴿ ومكروا ﴾ في ذلك ﴿ مكراً⁽⁵⁾ ومكرنا مكراً ﴾ جازينا بتعجيل عقوبتهم ﴿ وهم لا يشعرون ﴾.

٥١ ﴿ فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم ﴾ أهلكناهم ﴿ وقومهم أجمعين ﴾ بصيحة جبريل، أو برمي الملائكة إياهم بحجارة يرونها ولا يرونهم. وهذا أيضاً من جملة العقاب، إذ يضرب الإنسان من لا يعلمه ولا يبصره، وهو قريب منه. ٥٢ ﴿ فتلك بيوتهم خاوية ﴾ خالية⁽⁶⁾، ونصبه على الحال ، والعامل فيها معنى الإشارة ﴿ بما ظلموا ﴾ بظلمهم، أي كفرهم ﴿ إن في ذلك لآية ﴾ لعبرة ﴿ لقوم يعلمون ﴾ قدرتنا فيتعظون.

٥٣ ﴿ وأنجينا الذين آمنوا ﴾ بصالح، وهم أربعة آلاف ﴿ وكانوا يتقون ﴾ الشرك.

٥٤ ﴿ ولوطاً ﴾ منصوب باذكر مقدراً قبله، ويبدل منه ﴿ إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ﴾⁽⁷⁾ أي اللواط⁽⁸⁾ ﴿ وأنتم

صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾
قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا
تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن
مَّعَكَ ۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾
وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا
يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ
لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾
وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾
فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ
لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟
يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ

---

(١) أخرج عبد الرزاق بسنده عن عطاء بن أبي رباح أنه قال في تفسير الآية: كانوا يقرضون الدراهم. [ابن كثير] أي كانوا يتعاملون بها عدداً، فيقطعون شيئاً من أطرافها، ويعطونها على أنها بوزن معين، فيبقى عندهم ما قطعوا منها زيادة، وهذا مراد المفسر بقوله: قرضهم الدنانير والدراهم، أي قطعهم جزءاً منها.

وروى الإمام مالك رحمه الله تعالى عن سعيد بن المسيب أنه قال: قطع الذهب والورق من الفساد في الأرض. [الموطأ: البيوع، باب: بيع الذهب بالفضة..] والورق: الفضة. وفسر الباجي رحمه الله تعالى [في شرحه على الموطأ] قطعها بما ذكرت أعلاه.

وروى أبو داود في سننه [البيوع والإجارات، باب: في كسر الدراهم، رقم: ٣٤٤٩] حديثاً مرفوعاً في هذا المعنى عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: نهى رسول الله ﷺ أن تكسر سكة المسلمين الجائزة بينهم، إلا من بأس. والسكة هي الدراهم أو الدنانير المضروبة، سميت بذلك لأنها طبعت بسكة الحديد. والجائزة بينهم: النافقة في معاملاتهم. إلا من بأس: أي لأمر ما كأن يكون فيها غش، فإنها تكسر لتضرب من جديد. وفي غير ذلك كسرها ممنوع، للمعنى الذي سبق ذكره، وبهذا فسر شراح الحديث الكسر فيه، والله أعلم.

(٢) أي ﴿لَتُبَيِّتُنَّهُ﴾والخطاب من بعضهم لبعض. (٣) أي﴿لَتَقُولُنَّ﴾.

(٤) بضم الميم وفتح اللام، وفتح الميم مع كسر اللام أو فتحها. (٥) أرادوا إخفاء ما عزموا عليه من الغدر.

(٦) أو ساقطة متهدمة. (٧) الفعلة القبيحة.

(٨) وهو وطء الذكر في دبره. انظر/ الشعراء: ١٦٥/.

روى الإمام أحمد في مسنده [٣١٧/١] عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: (لعن الله من غير تخوم الأرض، لعن الله من ذبح لغير الله، لعن الله من لعن

تبصرون ﴾ يبصر بعضكم بعضاً، انهماكاً منكم في المعصية.

٥٥ ﴿ أئنكم ﴾ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين ﴿ لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون ﴾ عاقبة فعلكم.

٥٦ ﴿ فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط ﴾ أهله ﴿ من قريتكم إنهم أناس يتطهرون ﴾ من أدبار الرجال⁽¹⁾.

٥٧ ﴿ فأنجيناه وأهله إلا امرأته قدرناها ﴾ جعلناها بتقديرنا ﴿ من الغابرين ﴾ الباقين في العذاب.

٥٨ ﴿ وأمطرنا عليهم مطراً ﴾ هو حجارة السجيل⁽²⁾ فأهلكتهم ﴿ فساء ﴾ بئس ﴿ مطر المنذرين ﴾ بالعذاب مطرهم.

٥٩ ﴿ قل ﴾ يا محمد ﴿ الحمد لله ﴾ على هلاك الكفار من الأمم الخالية ﴿ وسلام على عباده الذين اصطفى ﴾ هم ﴿ آلله ﴾ بتحقيق الهمزتين، وإبدال الثانية ألفاً، وتسهيلها، وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه⁽³⁾ ﴿ خير ﴾ لمن يعبده ﴿ أما يشركون ﴾ بالتاء والياء، أي أهل مكة به، أي الآلهة خير لعابديها⁽⁴⁾؟.

٦٠ ﴿ أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا ﴾ فيه التفات من الغيبة إلى التكلم ﴿ به حدائق ﴾ جمع حديقة، وهو البستان المحوط ﴿ ذات بهجة ﴾ حُسْن ﴿ ما كان لكم أن تنبتوا شجرها ﴾ لعدم قدرتكم عليه ﴿ أإله ﴾ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين في مواضعه السبعة⁽⁵⁾ ﴿ مع الله ﴾ أعانه على ذلك؟ أي ليس معه إله ﴿ بل هم قوم يعدلون ﴾ يشركون بالله غيره⁽⁶⁾.

٦١ ﴿ أمن جعل الأرض قراراً ﴾ لا تميد بأهلها⁽⁷⁾ ﴿ وجعل خلالها ﴾ فيما بينها ﴿ أنهاراً وجعل لها رواسي ﴾ جبالاً يثبت بها الأرض ﴿ وجعل بين البحرين حاجزاً ﴾ بين العذب والمِلْح، لا يختلط أحدهما بالآخر

تُبۡصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهۡوَةٗ مِّن دُونِ
ٱلنِّسَآءِۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ﴿٥٥﴾ ۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ
قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخۡرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٖ مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ
أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ
قَدَّرۡنَٰهَا مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم مَّطَرٗاۖ فَسَآءَ
مَطَرُ ٱلۡمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ
ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنۡ خَلَقَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا
بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ
أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ
ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنۡهَٰرٗا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ
وَجَعَلَ بَيۡنَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ حَاجِزًاۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ

---

(1) يتنزهون عن إتيانها، وقالوا ذلك على سبيل الاستهزاء.

(2) الطين المحروق.

(3) ظاهر كلام المفسر أن القراءات أربع، وهو سبق قلم، والصواب أن هنا قراءتين فقط: تسهيل الثانية مقصورة، وإبدالها ألفاً ممدودة مداً لازماً. [صاوي].

(4) المعنى: الله تعالى خير لمن يعبده؟ أم الأصنام التي يشركها أهل مكة بعبادته سبحانه خير لعابديها؟.

(5) أي مواضع تكرار هذا اللفظ ﴿ءإله﴾ والأصح أنها خمسة.

(6) فيجعلونه نظيراً له. أو المعنى: يميلون عن الحق.

(7) مستقراً لمن يعيش عليها، لا تميل بهم ولا تضطرب.

= والديه، لعن الله من تولى غير مواليه، لعن الله من كمه أعمى عن السبيل، لعن الله من وقع على بهيمة. لعن الله من عمل عمل قوم لوط، لعن الله من عمل عمل قوم لوط - ثلاثاً). أي قال هذه الجملة ثلاث مرات. [تخوم: جمع تَخْم وهو الحد. لعن والديه: سبهما وشتمهما. مواليه: الذين أعتقوه من الرق. كمه أعمى: ضلله عنه وعماه عليه. وقع: أدخل فرجه في فرجها].

ومن الفعال المنكرة الشنيعة أن تضاجع المرأة المرأة، فتباشر كل منهما الأخرى بفرجها، وهو نوع من اللوطية، لأنه يشبه فعل الرجل بالرجل، من حيث الشذوذ ومخالفة الفطرة والتمتع بما لا يحل. وقد روي عن أبي موسى = الأشعري رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: (وإذا أتت المرأة المرأة فهما زانيتان) [البيهقي: الحدود، باب: ما جاء في حد اللوطي: ٨/٢٣٣]. والمراد بزناهما أنهما فعلتا ما يشبه فعل الزناة، فتؤدبان وتعزران بما يردعهما عن هذه الضلالة، ولا حد عليهما لأن فعلهما ليس زنا حقيقة، إذ ليس فيه إدخال فرج في فرج، نسأل الله تعالى الحفظ والعفاف.

وأما إتيان البهيمة: فهو مما تنفر منه الطباع السليمة، وتأباه النفوس الكريمة، ولا ينحط إليه إلا من تجرد عن إنسانيته، وإنه الشذوذ الذي ليس له حد. وقد اختلف الفقهاء في فاعل ذلك: فمنهم من قال: يعزر ويؤدب بما يراه القاضي العدل زاجراً له عن هذا الانحراف والفحش، ولم يقل بوجوب حد الزاني عليه، لأنه فعل غير مشتهى طبعاً، فلا يحتاج إلى زجر عنه، فهو في ذاته منفر وزاجر. ومنهم من قال بوجوب قتل الفاعل بالسيف، محصناً كان أم غير محصن، ويقتل المفعول به، أي البهيمة. واحتج لهذا =

﴿ ءإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون ﴾ توحيده.

٦٢ ﴿ أمن يجيب المضطر ﴾ المكروب الذي مسه الضر ﴿ إذا دعاه ويكشف السوء ﴾ عنه وعن غيره، سبحانه أتقن صنعته وأبدع حكمته ﴿ ويجعلكم خلفاء الأرض ﴾ الإضافة بمعنى في(١)، أي يخلف كل قرن(٢) القرن الذي قبله ﴿ ءإله مع الله قليلاً ما تذكرون ﴾ تتعظون، بالفوقانية والتحتانية، وفيه إدغام التاء في الذال(٣)، وما زائدة لتقليل القليل.

٦٣ ﴿ أمن يهديكم ﴾ يرشدكم إلى مقاصدكم ﴿ في ظلمات البر والبحر ﴾ بالنجوم ليلاً وبعلامات الأرض نهاراً ﴿ ومن يرسل الرياح بشراً(٤) بين يدي رحمته ﴾ قدام المطر ﴿ ءإله مع الله تعالى الله(٥) عما يشركون ﴾ به غيره.

٦٤ ﴿ أمن يبدأ الخلق ﴾ في الأرحام من نطفة ﴿ ثم يعيده ﴾ بعد الموت، وإن لم تعترفوا بالإعادة، لقيام البراهين عليها ﴿ ومن يرزقكم من السماء ﴾ بالمطر ﴿ والأرض ﴾ بالنبات ﴿ ءإله مع الله ﴾ أي لا يفعل شيئاً مما ذكر إلا الله، ولا إله معه ﴿ قل ﴾ يا محمد ﴿ هاتوا برهانكم ﴾ حجتكم ﴿ إن كنتم صادقين ﴾ أن معي إلهاً فعل شيئاً مما ذكر.

٦٥ وسألوه عن وقت قيام الساعة فنزل ﴿ قل لا يعلم من في السموات والأرض ﴾ من الملائكة والناس ﴿ الغيب ﴾ ما غاب عنهم ﴿ إلا ﴾ لكن ﴿ الله ﴾ يعلمه ﴿ وما يشعرون ﴾ كفار مكة، كغيرهم ﴿ أيان ﴾ وقت ﴿ يبعثون ﴾(٦).

٦٦ ﴿ بل ﴾ بمعنى هل ﴿ أدرك ﴾ وزن أكرم، وفي قراءة أخرى «ادّارك» بتشديد الدال، وأصله تدارك: أبدلت التاء دالاً وأدغمت في الدال واجتلبت همزة الوصل، أي بلغ ولحق(٧)، أو تتابع وتلاحق(٨) ﴿ علمهم في الآخرة ﴾ بها، حتى سألوا عن وقت مجيئها؟ ليس الأمر كذلك ﴿ بل هم في شك منها بل هم منها عمون ﴾ من عمى القلب وهو أبلغ مما قبله(٩)، والأصل عميون: استثقلت الضمة على الياء، فنقلت إلى الميم بعد حذف كسرتها.

٦٧ ﴿ وقال الذين كفروا ﴾ أيضاً في إنكار البعث ﴿ ءإذا كنا تراباً وآباؤنا أئنا لمخرجون ﴾ من القبور.

٦٨ ﴿ لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل إن ﴾ ما ﴿ هذا إلا أساطير

لَا يَعْلَمُونَ (٦١) أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ
ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا
مَّا تَذَكَّرُونَ (٦٢) أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ
وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ
تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٣) أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ
وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ
هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (٦٤) قُل لَّا يَعْلَمُ مَن
فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ
أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (٦٥) بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ
فِى شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ (٦٦) وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟
أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ (٦٧) لَقَدْ
وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ

---

(١) أي خلفاء في الأرض. (٢) القرن الجيل.

(٣) هذا على قراءة تشديد الذال، وبحذف إحدى التاءين، على تخفيفها بالفتح دون تشديد، أي ﴿تذكّرون﴾.

(٤) أي تبشر برحمة الله تعالى. (٥) تنزه وتعاظم.

(٦) لا يعلمون متى يخرجون من قبورهم وينشرون.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: من زعم أنه - أي النبي ﷺ - يخبر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية، والله يقول: ﴿قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله﴾ [مسلم: الإيمان، باب: معنى قول الله عزّ وجلّ: ﴿ولقد رآه نزلة أخرى..﴾ [النجم: ١٣] رقم: ١٧٧] أعظم الفرية: أي بالغ وامعن في الاختلاق والكذب.

(٧) على قراءة ﴿أدرك﴾. (٨) على قراءة ﴿ادارك﴾.

(٩) أي فهم لا يدركون دلائلها لاختلال بصائرهم، ولذلك يجزمون بعدمها.

= بما رواه ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: (من وجدتموه وقع على بهيمة فاقتلوه، واقتلوا البهيمة معه). وفي رواية: (فاقتلوها، لا يقال: هذه التي فعل بها كذا وكذا). ومنهم من قال: حكمه كالزاني، لما روي عن = الحسن بن علي رضي الله عنهما أنه سئل عن رجل أتى بهيمة فقال: إن كان محصناً رجم. [أخرج الحديث والأثر البيهقي: الحدود، باب: من أتى بهيمة: ٢٣٣/٨]. [وانظر كتاب الحدود، باب حد الزاني في كتب الفقه].

فائدة: عن أبي تميمة الهجيمي، عن رجل من بني هجيم قال: قلت يا رسول الله، إلام تدعو؟ قال: (أدعو إلى الله وحده، الذي إن مسّك ضرّ فدعوته كشف عنك، والذي إن ضللت بأرض قفر فدعوته رد عليك، والذي إن أصابتك سَنَةٌ فدعوته أنْبَت لك). قال: قلت: فأوصني. قال: (لا تسبن أحداً، ولا تزهدن في المعروف ولو أن تلقى أخاك وأنت منبسط إليه وجهك، ولو أن تفرغ من دلوك في إناء المستقي، واتزر إلى نصف الساق، فإن أبيت فإلى الكعبين، وإياك وإسبال الإزار فإن إسبال الإزار من المخيلة، وإن الله - تبارك وتعالى - لا يحب المخيلة). =

الأولين ﴾ جمع أسطورة ـ بالضم(١) ـ ما سطر من الكذب(٢).

٦٩ ﴿ قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين ﴾ بإنكاره، وهي هلاكهم بالعذاب.

٧٠ ﴿ ولا تحزن عليهم ولا تكن في ضيق مما يمكرون ﴾ تسلية للنبي ﷺ: أي لا تهتم بمكرهم عليك، فإنا ناصروك عليهم.

٧١ ﴿ ويقولون متى هذا الوعد ﴾ بالعذاب ﴿ إن كنتم صادقين ﴾ فيه.

٧٢ ﴿ قل عسى أن يكون ردف ﴾ قرب ﴿ لكم بعض الذي تستعجلون ﴾ فحصل لهم القتل ببدر، وباقي العذاب يأتيهم بعد الموت.

٧٣ ﴿ وإن ربك لذو فضل على الناس ﴾ ومنه تأخير العذاب عن الكفار ﴿ ولكن أكثرهم لا يشكرون ﴾ فالكفار لا يشكرون تأخير العذاب، لإنكارهم وقوعه.

٧٤ ﴿ وإن ربك ليعلم ما تكن صدورهم ﴾ تخفيه ﴿ وما يعلنون ﴾ بألسنتهم.

ٱلْأَوَّلِينَ (٦٨) قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ
كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ (٦٩) وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن
فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ (٧٠) وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ
إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ (٧١) قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ
لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ (٧٢) وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ
عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ (٧٣) وَإِنَّ
رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ (٧٤)
وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ
مُّبِينٍ (٧٥) إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ
أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٧٦) وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ
لِّلْمُؤْمِنِينَ (٧٧) إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ
ٱلْعَلِيمُ (٧٨) فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ (٧٩)

٧٥ ﴿ وما من غائبة في السماء والأرض ﴾ الهاء للمبالغة، أي شيء في غاية الخفاء على الناس ﴿ إلا في كتاب مبين ﴾ بين، هو اللوح المحفوظ ومكنون علمه تعالى(٣)، ومنه تعذيب الكفار.

٧٦ ﴿ إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل ﴾ الموجودين في زمان نبينا ﴿ أكثر الذي هم فيه يختلفون ﴾ أي ببيان ما ذكر(٤) على وجهه الرافع للاختلاف بينهم، لو أخذوا به وأسلموا.

٧٧ ﴿ وإنه لهدى ﴾ من الضلالة ﴿ ورحمة للمؤمنين ﴾ من العذاب.

٧٨ ﴿ إن ربك يقضي بينهم ﴾ كغيرهم، يوم القيامة ﴿ بحكمه ﴾ أي عدله ﴿ وهو العزيز ﴾ الغالب ﴿ العليم ﴾ بما يحكم به، فلا يمكن أحداً مخالفته كما خالف الكفار في الدنيا أنبياءه.

٧٩ ﴿ فتوكل على الله ﴾ ثق به ﴿ إنك على الحق المبين ﴾ الدين البين، فالعاقبة لك بالنصر على الكفار.

ثم ضرب أمثالاً لهم بالموتى وبالصم وبالعمي فقال:

---

(١) أي بضم الهمزة.

(٢) أي الأحاديث التي كتبها الأقدمون وهي كذب لا حقيقة لها.

(٣) المصون عنده سبحانه الذي لا يطلع عليه أحد إلا بإطلاعه تعالى عليه.

(٤) بتوضيح أكثر الأمور التي اختلفوا فيها.

قال ابن كثير في تفسيره للآية: يقول تعالى مخبراً عن كتابه العزيز، وما اشتمل عليه من الهدى والبينات والفرقان: أنه يقص على بني إسرائيل ـ وهم حملة التوراة والإنجيل ـ ﴿أكثر الذي هم فيه يختلفون﴾ كاختلافهم في عيسى وتباينهم فيه، فاليهود افتروا، والنصارى غَلَوْا، فجاء القرآن بالقول الوسط الحق العدل: أنه عبد من عباد الله وأنبيائه ورسله الكرام ـ عليهم الصلاة والسلام ـ كما قال تعالى: ﴿ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه يمترون﴾ [مريم: ٣٤].

=وفي رواية أخرى صرح باسم هذا الصحابي: فعن أبي تميمة الهجيمي، عن جابر بن سليم الهجيمي رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ وهو محتب بشملة، وقد وقع هدبها على قدميه، فقلت: أيكم محمد ـ أو: رسول الله؟ فأومأ بيده إلى نفسه، فقلت: يارسول الله، أنا من أهل البادية، وفيّ جفاؤهم، فأوصني. فقال: (لا تحقرن من المعروف شيئاً، ولو أن تلقى أخاك ووجهك منبسط، ولو أن تفرغ من دلوك في إناء المستقي. وإن امرؤ شتمك بما يعلم فيك فلا تشتمه بما تعلم فيه، فإنه يكون لك أجره وعليه وزره، وإياك وإسبال الإزار، فإن إسبال الإزار من المخيلة، وإن الله لا يحب المخيلة، ولا تسبن أحداً). قال: فما سببت بعده أحداً ولا شاة ولا بعيراً. [مسند أحمد: ٥/٦٣ ـ ٦٤].

وعن عبد الله بن أبي صالح قال: دخل علي طاوس يعودني، فقلت له: ادع الله لي يا أبا عبد الرحمٰن، فقال: ادع لنفسك، فإنه يجيب المضطر إذا دعاه. [ابن كثير عن ابن أبي حاتم] [قفر: صحراء، لا نبات فيها ولا ماء. اتزر: البس إزاراً وهو ما يستر أسافل البدن من السرة فما تحتها، وإسباله: إطالته وإرخاؤه، والمخيلة: الخيلاء والعجب والكبر على الناس. وزره: إثمه وعقابه].

٨٠ ﴿ إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ﴾ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية بينها وبين الياء(١) ﴿ ولوا مدبرين ﴾.

٨١ ﴿ وما أنت بهاد العمي عن ضلالتهم إن ﴾ ما ﴿ تسمع ﴾ سماع إفهام وقبول ﴿ إلا من يؤمن بآياتنا ﴾ القرآن ﴿ فهم مسلمون ﴾ مخلصون بتوحيد الله.

٨٢ ﴿ وإذا وقع القول عليهم ﴾ حق العذاب أن ينزل بهم في جملة الكفار(٢) ﴿ أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم ﴾ تكلم الموجودين حين خروجها بالعربية، تقول لهم من جملة كلامها عنا ﴿ إن الناس ﴾ كفار مكة، وعلى قراءة فتح همزة إن تقدر الباء بعد تكلمهم ﴿ كانوا بآياتنا لا يوقنون ﴾ لا يؤمنون بالقرآن المشتمل على البعث والحساب والعقاب(٣). وبخروجها ينقطع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يؤمن كافر، كما أوحى الله إلى نوح: «أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن»/ هود: ٣٦/.

٨٣ ﴿ و ﴾ اذكر ﴿ يوم نحشر من كل أمة فوجاً ﴾ جماعة ﴿ ممن يكذب بآياتنا ﴾ وهم رؤسلؤهم المتبعون ﴿ فهم يوزعون ﴾ يجمعون، برد آخرهم إلى أولهم، ثم يساقون.

٨٤ ﴿ حتى إذا جاؤوا ﴾ مكان الحساب ﴿ قال ﴾ تعالى لهم ﴿ أكذبتم ﴾ أنبيائي ﴿ بآياتي ولم تحيطوا ﴾ من جهة تكذيبكم ﴿ بها علماً أما ﴾ فيه إدغام ما الاستفهامية ﴿ ذا ﴾ موصول، أي ما الذي ﴿ كنتم تعملون ﴾ مما أمرتم به.

٨٥ ﴿ ووقع القول ﴾ حق العذاب ﴿ عليهم بما ظلموا ﴾ أشركوا ﴿ فهم لا ينطقون ﴾ إذ لا حجة لهم.

٨٦ ﴿ ألم يروا أنا جعلنا ﴾ خلقنا ﴿ الليل ليسكنوا فيه ﴾ كغيرهم ﴿ والنهار مبصراً ﴾ بمعنى يُبْصَر فيه، ليتصرفوا فيه ﴿ إن في ذلك لآيات ﴾ دلالات على قدرته تعالى ﴿ لقوم يؤمنون ﴾ خصوا بالذكر لانتفاعهم بها في الإيمان، بخلاف الكافرين.

٨٧ ﴿ ويوم ينفخ في الصور ﴾ القرن، النفخة الأولى من إسرافيل ﴿ ففزع من في السموات ومن في الأرض ﴾ خافوا الخوف المفضي إلى الموت، كما في آية أخرى: «فصعق»/ الزمر: ٦٨/. والتعبير فيه بالماضي لتحقق وقوعه

إِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا
وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِي ٱلۡعُمۡيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمۡ
إِن تُسۡمِعُ إِلَّا مَن يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسۡلِمُونَ ﴿٨١﴾
* وَإِذَا وَقَعَ ٱلۡقَوۡلُ عَلَيۡهِمۡ أَخۡرَجۡنَا لَهُمۡ دَآبَّةً مِّنَ
ٱلۡأَرۡضِ تُكَلِّمُهُمۡ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾
وَيَوۡمَ نَحۡشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٖ فَوۡجٗا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا
فَهُمۡ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبۡتُم بِـَٔايَٰتِي
وَلَمۡ تُحِيطُواْ بِهَا عِلۡمًا أَمَّاذَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ
ٱلۡقَوۡلُ عَلَيۡهِم بِمَا ظَلَمُواْ فَهُمۡ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمۡ
يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِيَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ
فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٨٦﴾ وَيَوۡمَ يُنفَخُ
فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ

---

(١) أي تقرأ متوسطة بين الهمزة والياء.

(٢) المعنى: قرب أن ينزل العذاب العام، فينزل بقومك هؤلاء في جملة من ينزل بهم من الكافرين. أو المراد: يتناول المؤمنين في جملة الكافرين لتقصيرهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (تخرج الدابة معها خاتم سليمان وعصا موسى، فتجلو وجه المؤمن وتختم أنف الكافر بالخاتم، حتى إن أهل الخوان ليجتمعون، فيقول هذا: يا مؤمن، ويقول هذا: يا كافر) أخرجه الترمذي [تفسير القرآن، باب: ومن سورة النمل، رقم: ٣١٨٦] وقال: حديث حسن. [الخوان ـ بضم الميم وكسرها ـ ما يوضع عليه الطعام عند الأكل. فيقول هذا: أي يقول بعضهم لآخر: يا مؤمن، لجلاء وجهه واستنارته. ويقول بعضهم لآخر: يا كافر، للختم على أنفه].

وعن حذيفة بن أسيد رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ في غرفة ونحن أسفل منه، فاطلع إلينا فقال: (ما تذكرون). قلنا: الساعة. قال: (إن الساعة لا تكون حتى تكون عشرُ آياتٍ: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف في جزيرة العرب، والدخان، والدجال، ودابة الأرض، ويأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها، ونار تخرج من قعرة عدن تَرْحَلُ الناسَ). والمعدودة في الحديث تسع، وجاء في رواية: أن العاشرة نزول عيسى بن مريم عليهما السلام. وفي رواية: ريح تلقي الناس في البحر. [مسلم: الفتن وأشراط الساعة، رقم: ٢٩٠١] والدخان: أي المذكور في قوله تعالى: ﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين﴾ [الدخان].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: حفظت من رسول الله ﷺ حديثاً لم أنسه بعد، سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحىً، وأيهما ما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على إثرها قريباً). [إثرها: عقبها].

وعن يعقوب بن عاصم بن عروة بن مسعود الثقفي قال: سمعت عبد الله بن عمرو، وجاءه رجل فقال: ما هذا الحديث الذي تحدث به؟ تقول:=

﴿ إلا من شاء الله ﴾ جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، وعن ابن عباس: هم الشهداء، إذ هم أحياء عند ربهم يرزقون ﴿ وكل ﴾ تنوينه عوض عن المضاف إليه، أي: وكلهم بعد إحيائهم يوم القيامة ﴿ أتوه ﴾ بصيغة الفعل، واسم الفاعل(١) ﴿ داخرين ﴾ صاغرين، والتعبير في الإتيان بالماضي لتحقيق وقوعه.

٨٨ ﴿ وترى الجبال ﴾ تبصرها وقت النفخة ﴿ تحسبها ﴾ تظنها ﴿ جامدة ﴾ واقفة مكانها لعظمها ﴿ وهي تمر مر السحاب ﴾ المطر إذا ضربته الريح، أي تسير سيره حتى تقع على الأرض فتستوى بها مبسوسة(٢)، ثم تصير كالعهن(٣)، ثم تصير هباءً منثوراً(٤) ﴿ صنع الله ﴾ مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله أضيف إلى فاعله بعد حذف عامله، أي صنع الله ذلك صنعاً ﴿ الذي أتقن ﴾ أحكم ﴿ كل شيء ﴾ صنعه ﴿ إنه خبير بما يفعلون ﴾ بالياء والتاء، أي أعداؤه من المعصية، وأولياؤه من الطاعة.

٨٩ ﴿ من جاء بالحسنة ﴾ أي لا إله إلا الله، يوم القيامة ﴿ فله خير ﴾ وثواب ﴿ منها ﴾ بسببها، وليس للتفضيل إذ لا فعل خير منها، وفي آية أخرى «عشر أمثالها»/الأنعام: ١٦٠/ ﴿وهم﴾ الجاؤون بها ﴿من فزع يومئذٍ﴾ بالإضافة وكسر الميم وفتحها، وفزع منوناً وفتح الميم (٥) ﴿ آمنون ﴾.

٩٠ ﴿ ومن جاء بالسيئة ﴾ الشرك ﴿ فكبت وجوههم في النار ﴾ بأن وليتها، وذكرت الوجوه لأنها موضع الشرف من الحواس، فغيرها من باب أولى. ويقول لهم تبكيتاً ﴿ هل ﴾ ما ﴿ تجزون إلا ﴾ جزاء ﴿ ما كنتم تعملون ﴾ من الشرك والمعاصي.

٩١ قل لهم: ﴿ إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة ﴾ مكة ﴿ الذي حرمها ﴾ جعلها حرماً آمناً: لا يسفك فيها دم الإنسان، ولا يظلم فيها أحد، ولا يصاد صيدها، ولا يختلى خلاها(٦). وذلك من النعم على قريش أهلها، في رفع الله عن بلدهم العذاب والفتن الشائعة في جميع بلاد العرب ﴿ وله ﴾ تعالى ﴿ كل شيء ﴾ فهو ربه وخالقه ومالكه ﴿ وأمرت أن أكون من المسلمين ﴾ لله بتوحيده.

٩٢ ﴿ وأن أتلو القرآن ﴾ عليكم تلاوة الدعوة إلى الإيمان ﴿ فمن اهتدى ﴾ له ﴿ فإنما يهتدي لنفسه ﴾ لأجلها، فإن ثواب اهتدائه له ﴿ ومن ضل ﴾ عن الإيمان وأخطأ طريق الهدى ﴿ فقل ﴾ له ﴿ إنما أنا من المنذرين ﴾ المخوفين، فليس عليّ إلا التبليغ. وهذا قبل الأمر بالقتال(٧).

٩٣ ﴿ وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها ﴾ فأراهم الله يوم بدر القتل والسبي، وضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم، وعجلهم الله إلى النار ﴿ وما ربك بغافل عما يعملون ﴾ بالياء والتاء، وإنما يمهلهم لوقتهم.

إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى
ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنْعَ
ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرُۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾
مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ
ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ
فِي ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾
إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِي حَرَّمَهَا
وَلَهُۥ كُلُّ شَيْءٍۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾
وَأَنْ أَتْلُوَا ٱلْقُرْءَانَۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِۦ
وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ
ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَاۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ
عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

---

(١) فيقرأ: ﴿آتوه﴾.

(٢) مفتتة كالرمل السائل، انظر/ الواقعة: ٤ ـ ٥/.

(٣) كالصوف، انظر/ المعارج: ٩/ و/ الواقعة: ٥/.

(٤) غباراً لطيفاً متفرقاً، انظر/ الواقعة: ٦/.

(٥) أي في قوله ﴿من فزع يومئذ﴾ قراءات. الأولى: ﴿من فزعِ يومِئذٍ﴾ بدون تنوين ﴿فزعِ﴾ على أنه مضاف إلى يوم من ﴿يومئذ﴾ وكسر ميم ﴿يومِئذ﴾ على أنه مجرور بالإضافة. والثانية: ﴿من فزعِ يومَئذ﴾ على الإضافة أيضاً، ولكن بفتح ميم ﴿يومَئذ﴾ على أنه مبني على الفتح في محل جر بالإضافة. والثالثة: ﴿من فزعٍ يومَئذ﴾ بتنوين ﴿فزعٍ﴾ وفتح ميم ﴿يومَئذ﴾ فيكون منصوباً على الظرفية.

(٦) لا يقطع حشيشها الرطب. أخرج البخاري ومسلم عن أبي شريح رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال الغد من يوم فتح مكة: (إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس، فلا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دماً، ولا يعضد بها شجرة. .)[البخاري: العلم، باب: ليبلغ العلم الشاهد الغائب رقم: ١٠٤. مسلم: الحج، باب: تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرها ولقطتها، رقم: ١٣٥٤]. [يعضد: يقطع]

(٧) أي أما بعده فإنه يقاتلهم بعد الإنذار.

=إن الساعة تقوم إلى كذا وكذا. فقال: سبحان الله: ـ أو: لا إله إلا الله: أو كلمة نحوهما ـ لقد هممت أن لا أحدث أحداً شيئاً أبداً، إنما قلت: إنكم سترون بعد قليل أمراً عظيماً، يُحَرَّقُ البيتُ ويكون ويكون. ثم قال: قال رسول الله ﷺ: (يخرج الدجال في أمتي، فيمكث أربعين ـ لا أدري: أربعين=

(سورة القصص)

(مكية إلا من آية ٥٢ إلى آية ٥٥ فمدنية)

(وآية ٨٥ فبالجحفة أثناء الهجرة. وآياتها ٨٧ أو ٨٨)

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿ طسٓمٓ ﴾ الله أعلم بمراده بذلك(١).

٢ ﴿ تلك ﴾ هذه الآيات ﴿ آيات الكتاب ﴾ الإضافة بمعنى مِنْ ﴿ المبين ﴾ المظهر الحق من الباطل.

٣ ﴿ نتلو ﴾ نقص ﴿ عليك من نبأ ﴾ خبر ﴿ موسى وفرعون بالحق ﴾ الصدق ﴿ لقوم يؤمنون ﴾ لأجلهم، لأنهم المنتفعون به.

٤ ﴿ إن فرعون علا ﴾ تعاظم ﴿ في الأرض ﴾ أرض مصر ﴿ وجعل أهلها شيعاً ﴾ فرقاً في خدمته ﴿ يستضعف طائفة منهم ﴾ هم بنو إسرائيل ﴿ يذبح أبناءهم ﴾ المولودين ﴿ ويستحيي نساءهم ﴾(٢) يستبقيهن أحياء، لقول بعض الكهنة له: إن مولوداً يولد في بني إسرائيل يكون سبب زوال ملكك وتعجيلاً لهلاكك ﴿ إنه كان من المفسدين ﴾ بالقتل وغيره.

٥ ﴿ ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض(٣) ونجعلهم أئمة ﴾ بتحقيق الهمزتين، وإبدال الثانية ياء: يقتدى بهم في الخير ﴿ ونجعلهم الوارثين ﴾ ملك فرعون.

٦ ﴿ ونمكن لهم في الأرض ﴾ أرض مصر والشام ﴿ ونري فرعون وهامان وجنودهما ﴾ وفي قراءة «ويَرَى» بفتح التحتانية والراء، ورفع الأسماء الثلاثة ﴿ منهم ما كانوا يحذرون ﴾ يخافون من المولود الذي يذهب ملكهم على يديه(٤). ٧ ﴿ وأوحينا ﴾ وحي إلهام أو منام ﴿ إلى أم موسى ﴾ وهو المولود المذكور، الموصوف بزوال أمرهم على يده، ولم يشعر بولادته غير أخته ﴿ أن

(الجـزء العشرون) ٥٠٦

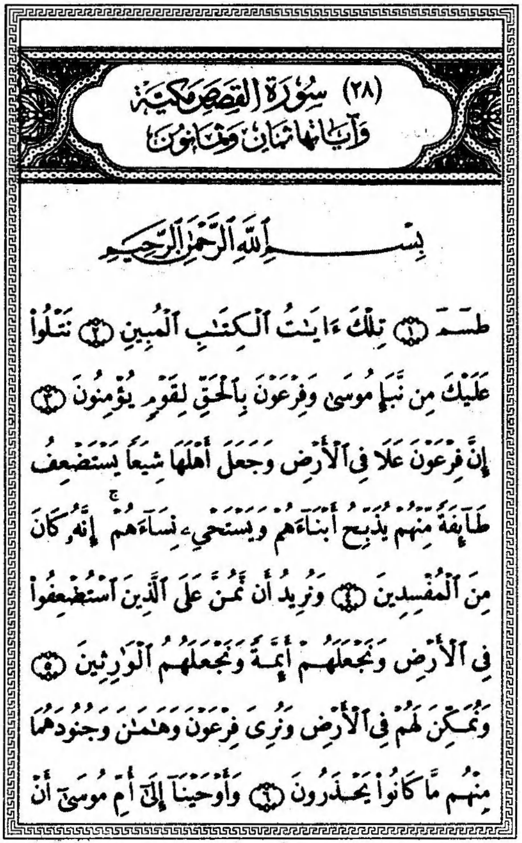

(٢٨) سُورَةُ القَصَصِ مَكِّيَّة
وَآيَاتُهَا ثَمَانٍ وَثَمَانُونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُوا۟
عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾
إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ
طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ
مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟
فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾
وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا
مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ

---

(١) وانظر/ البقرة: ١/. (٢) الإناث من أولادهم.

(٣) نتفضل عليهم بإنجائهم وتخليصهم من سيطرة فرعون وظلمه.

(٤) قال ابن كثير في تفسيره: أراد فرعون بحوله وقوته أن ينجو من موسى، فما نفعه ذلك مع قدرة الملك العظيم الذي لا يُخالَفُ أمره القدري ولا يغلب، بل نفذ حكمه وجرى قلمه في القدم بأن يكون هلاك فرعون على يديه، بل يكون هذا الغلام الذي احترزتَ من وجوده، وقتلتَ بسببه ألوفاً من الولدان، إنما منشؤه ومرباه على فراشك وفي دارك، وغذاؤه من طعامك، وأنت تربيه وتدلله وتتفداه، وحتفك وهلاكك وهلاك جنودك على يديه، لتعلم أن رب السماوات العلا هو القاهر الغالب، العظيم، القوي العزيز، الشديد المحال، الذي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن. [حتفك: موتك. المحال: التدبير وتنفيذ المراد].

= يوما أو أربعين شهراً، أو أربعين عاماً ـ فيبعث الله عيسى بن مريم كأنه عروة بن مسعود، فيطلبه فيهلكه، ثم يمكث الناس سبع سنين، ليس بين اثنين عداوة، ثم يرسل الله ريحاً باردة من قبل الشَّأم، فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير ـ أو إيمان ـ إلا قبضته، حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلته عليه، حتى تقبضه). قال: سمعتها من رسول الله ﷺ. قال: (فيبقى شِرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع، لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً، فيتمثل لهم الشيطان فيقول: ألا تستجيبون؟ فيقولون: فما تأمرنا؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان. وهم في ذلك دارٌّ رزقهم حسن عيشهم. ثم ينفخ في الصور، فلا يسمعه أحد إلا أصغى لِيتاً ورفع لِيتاً، قال: وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله، قال: فيصعق ويصعق الناس، ثم يرسل الله ـ أو قال: ينزل الله ـ مطراً كأنّه الطَّلُّ ـ أو الظل ـ فتنبت منه أجساد الناس، ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون. ثم يقال: يا أيها الناس، هَلُمَّ إلى ربكم، وقفوهم إنهم مسؤولون. قال: ثم يقال: أخرجوا بعث النار. فيقال: من كم؟ فيقال: من كل ألف تسعمائة وتسعةً وتسعين. قال: فذاك يومَ يجعل الولدان شيباً، وذلك يوم يكشف عن ساق). [الحديثان في مسلم: الفتن وأشراط الساعة، باب: في خروج الدجال ومكثه في الأرض..، رقم: ٢٩٤٠، ٢٩٤١] [كبد جبل: داخله ووسطه. خفة الطير..: أي يكونون في سرعتهم إلى الشر كسرعة الطير، وفي عدوان بعضهم

أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ﴾ البحر، أي النيل⁽¹⁾ ﴿ ولا تخافي ﴾ غرقه ﴿ ولا تحزني ﴾ لفراقه ﴿ إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين ﴾ فأرضعته ثلاثة أشهر لا يبكي، وخافت عليه، فوضعته في تابوت⁽٢⁾ مطلي بالقار⁽٣⁾ من داخل، ممهد له فيه، وأغلقته، وألقته في بحر النيل ليلاً.

٨ ﴿ فالتقطه ﴾ بالتابوت صبيحة الليل ﴿ آل ﴾ أعوان ﴿ فرعون ﴾ فوضعوه بين يديه، وفتح، وأخرج موسى منه وهو يمص من إبهامه لبناً ﴿ ليكون لهم ﴾ في عاقبة الأمر ﴿ عدواً ﴾ يقتل رجالهم ﴿ وحزناً ﴾ يستعبد نساءهم، وفي قراءة بضم الحاء وسكون الزاي، لغتان في المصدر، وهو هنا بمعنى اسم الفاعل، من حزنه كأحزنه ﴿ إن فرعون وهامان ﴾ وزيره ﴿ وجنودهما كانوا خاطئين ﴾ من الخطيئة⁽٤⁾، أي عاصين، فعوقبوا على يديه.

٩ ﴿ وقالت امرأت فرعون ﴾ وقد هم مع أعوانه بقتله: هو ﴿ قرت عين لي ولك⁽٥⁾ لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً ﴾ فأطاعوها ﴿ وهم لا يشعرون ﴾ بعاقبة أمرهم معه.

١٠ ﴿ وأصبح فؤاد أم موسى ﴾ لما علمت بالتقاطه ﴿ فارغاً ﴾ مما سواه ﴿ إن ﴾ مخففة من الثقيلة واسمها محذوف، أي إنها ﴿ كادت لتبدي به ﴾ بأنه ابنها ﴿ لولا أن ربطنا على قلبها ﴾ بالصبر، أي سكناه ﴿ لتكون من المؤمنين ﴾ المصدقين بوعد الله، وجواب لولا دل عليه ما قبله⁽٦⁾.

١١ ﴿ وقالت لأخته ﴾ مريم ﴿ قصيه ﴾ اتبعي أثره حتى تعلمي خبره ﴿ فبصرت به ﴾ أبصرته ﴿ عن جنب ﴾ من مكان بعيد اختلاساً ﴿ وهم لا يشعرون ﴾ أنها أخته وأنها ترقبه.

١٢ ﴿ وحرمنا عليه المراضع من قبل ﴾ قبل رده إلى أمه، أي منعناه من قبول ثدي مرضعة غير أمه، فلم يقبل ثدي واحدة من المراضع المحضرة له ﴿ فقالت ﴾ أخته ﴿ هل أدلكم على أهل بيت ﴾ لما رأت من حنوهم عليه، ومن الشفقة التامة به ﴿ يكفلونه لكم ﴾ بالإرضاع وغيره ﴿ وهم له ناصحون ﴾⁽٧⁾ وفسرت ضمير له بالملك جواباً لهم فأجيبت⁽٨⁾، فجاءت بأمه فقبل ثديها، وأجابتهم عن قبوله: بأنها طيبة الريح، طيبة اللبن. فأذن لها في إرضاعه في بيتها، فرجعت به، وهي قريرة العين طيبة الخاطر، كما قال تعالى: ١٣ ﴿ فرددناه إلى أمه كي تقر عينها ﴾ بلقائه ﴿ ولا تحزن ﴾ حينئذ ﴿ ولتعلم أن

٥٠٧ (سـورة القصص)

أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا
تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾
فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ
وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ امْرَأَتُ
فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا
أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ
مُوسَىٰ فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ
قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ
قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾
۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ
عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴿١٢﴾
فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ

---

(١) وسمي بحراً لعظمه. (٢) صندوق. (٣) الزفت.

(٤) وقيل: من الخطأ، أي أخطؤوا التقدير في التقاطه، ولم يشعروا أنه الذي سيذهب بملكهم.

(٥) لعله يكون سبب مسرة وأنس لي ولك.

(٦) أي ما قبل ﴿لولا﴾ وهو قوله ﴿إن كادت لتبدي به﴾ والتقدير: لولا أن ربطنا على قلبها لأبدت به، أي لصرحت بأنه ابنها. وقوله ﴿لتكون..﴾ متعلق بـ ﴿ربطنا﴾.

(٧) فلا يمنعونه ما ينفعه من التربية والغذاء وغير ذلك.

(٨) قيل: لما قالت: وهم له ناصحون، قالوا: إنك قد عرفت هذا الغلام، فدلينا على أهله. قالت: ما أعرفه، ولكن قلت: وهم للملك ناصحون.

قال ابن كثير في تفسيره: قال ابن عباس رضي الله عنهما: فلما قالت ذلك أخذوها وشكوا في أمرها وقالوا لها: وما يدريك بنصحهم له وشفقتهم عليه؟ فقالت لهم: نصحهم له وشفقتهم عليه رغبتهم في سرور الملك ورجاء منفعته. فأرسلوها، فلما قالت لهم ذلك وخلصت من أذاهم ذهبوا معها إلى منزلهم، فدخلوا به على أمه فأعطته ثديها فالتقمه، ففرحوا بذلك فرحاً شديداً، وذهب البشير إلى امرأة الملك، فاستدعت أم موسى وأحسنت إليها، وأعطتها عطاءً جزيلاً، وهي لا تعرف أنها أمه في الحقيقة، ولكن لكونه وافق ثديها، ثم سألتها آسية أن تقيم عندها فترضعه، فأبت عليها وقالت: إن لي بعلاً وأولاداً، ولا أقدر على المقام عندك، ولكن إن أحببت أن أرضعه في بيتي فعلت. فأجابتها امرأة فرعون إلى ذلك، وأجرت النفقة والصلات والكساوى والإحسان الجزيل، فرجعت أم موسى بولدها راضية مرضية، قد أبدلها الله بعد خوفها أمناً في عز وجاه ورزق دارّ، ولهذا جاء في الحديث: (مثل الذي يعمل ويحتسب في صنعته الخير كمثل أم موسى، ترضع ولدها وتأخذ أجرها). ولم يكن بين الشدة والفرج إلا القليل: يوم وليلة أو نحوه، والله أعلم، فسبحان من بيده الأمر، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، الذي يجعل لمن اتقاه بعد كل هم فرجاً، وبعد كل ضيق مخرجاً.

=على بعض كالسباع الضارية المتوحشة. دَارّ: كثير. أصغى: أمال. ليتاً: صفحة العنق وجانبه. يلوط: يطين ويصلح. الطل: المراد مني الرجال، والطل المطر الخفيف. هلم: تعالوا. يجعل: أي من شأنه أن يشيب منه الأطفال الذين لا يشيبون عادة. يكشف: كناية عن شدة الموقف وهول ذلك اليوم].

وعد الله ﴾ برده إليها ﴿ حق ولكن أكثرهم ﴾ الناس ﴿ لا يعلمون ﴾ بهذا الوعد، ولا بأن هذه أخته وهذه أمه، فمكث عندها إلى أن فطمته. وأجرى عليها أجرتها: لكل يوم دينار، وأخذتها لأنها مال حربي(١)، فأتت به فرعون فتربى عنده وانتشأ، كما قال تعالى، حكاية عنه في سورة الشعراء/ ١٨: «ألم نُرَبِّك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين».

١٤ ﴿ ولما بلغ أشده ﴾ وهو ثلاثون سنة، أو: وثلاث ﴿ واستوى ﴾ بلغ أربعين سنة ﴿ آتيناه حكماً ﴾ حكمة ﴿ وعلماً ﴾ فقهاً في الدين قبل أن يبعث نبياً ﴿ وكذلك ﴾ كما جزيناه ﴿ نجزي المحسنين ﴾ لأنفسهم.

١٥ ﴿ ودخل ﴾ موسى ﴿ المدينة ﴾ مدينة فرعون، وهي مُنْفُ(٢)، بعد أن غاب عنها مدة ﴿ على حين غفلة من أهلها ﴾ وقت القيلولة(٣) ﴿ فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته ﴾(٤) إسرائيلي ﴿ وهذا من عدوه ﴾ قبطي يسخر الإسرائيلي ليحمل حطباً إلى مطبخ فرعون ﴿ فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه ﴾ فقال له موسى: خل سبيله، فقيل: إنه قال لموسى: لقد هممت أن أحمله عليك ﴿ فوكزه موسى ﴾ ضربه بجمع كفه(٥)، وكان شديد القوة والبطش ﴿ فقضى عليه ﴾ قتله، ولم يكن قصد قتله، ودفنه في الرمل ﴿ قال هذا ﴾ قتله ﴿ من عمل الشيطان ﴾ المهيج غضبي ﴿ إنه عدو ﴾ لابن آدم ﴿ مضل ﴾ له ﴿ مبين ﴾ بين الإضلال.

١٦ ﴿ قال ﴾ نادماً على فعله ﴿ رب إني ظلمت نفسي ﴾ بقتله ﴿ فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم ﴾ أي المتصف بهما أزلاً وأبداً(٦)، سبحانه وتعالى.

١٧ ﴿ قال رب بما أنعمت ﴾ بحق إنعامك ﴿ عليَّ ﴾ بالمغفرة اعصمني ﴿ فلن أكون ظهيراً ﴾ عوناً ﴿ للمجرمين ﴾ الكافرين، بعد هذه إن عصمتني.

١٨ ﴿ فأصبح في المدينة خائفاً يترقب ﴾ ينتظر ما يناله من جهة القتيل ﴿ فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه ﴾ يستغيث به على قبطي آخر ﴿ قال له موسى إنك لغوي مبين ﴾ بين الغواية(٧)، لما فعلته بالأمس واليوم.

١٩ ﴿ فلما أن ﴾ زائدة ﴿ أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما ﴾ لموسى والمستغيث به ﴿ قال ﴾ المستغيث، ظاناً أنه يبطش به لِمَا قال له(٨): ﴿ يا موسى

وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَلَمَّا بَلَغَ
أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي
ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ ٱلۡمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفۡلَةٖ مِّنۡ أَهۡلِهَا
فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيۡنِ يَقۡتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنۡ
عَدُوِّهِۦۖ فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ
عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ قَالَ هَٰذَا مِنۡ عَمَلِ
ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّهُۥ عَدُوّٞ مُّضِلّٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ
نَفۡسِي فَٱغۡفِرۡ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾
قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ فَلَنۡ أَكُونَ ظَهِيرٗا لِّلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١٧﴾
فَأَصۡبَحَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِي ٱسۡتَنصَرَهُۥ
بِٱلۡأَمۡسِ يَسۡتَصۡرِخُهُۥۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِيّٞ مُّبِينٞ ﴿١٨﴾
فَلَمَّآ أَنۡ أَرَادَ أَن يَبۡطِشَ بِٱلَّذِي هُوَ عَدُوّٞ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ

---

(١) قيل: هذا جواب عما يقال: كيف جاز لها أن تأخذ أجرة منه على إرضاع ولدها؟. أي أخذته لأنه مال عدو محارب، وهو مباح أخذه.

(٢) قرية من قرى مصر، وقيل: هي قرية عين شمس.

(٣) وهي النوم وسط النهار.

(٤) ممن شايعه واتبعه على دينه، وشيعة الرجل أتباعه وأنصاره.

(٥) أي بكفه مجموعة مقبوضة الأصابع.

(٦) الأزل عدم البداية، والأبد عدم النهاية.

(٧) هي ضد الرشد والاستقامة. (٨) أي لقول موسى عليه السلام له: ﴿ إنك لغوي مبين ﴾ فظن انه يريد أن يبطش به لا بِعدُوِّهما.

فائدة: في الاستغفار.

قال أبو هريرة رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة) [البخاري: الدعوات، باب: استغفار النبي ﷺ في اليوم والليلة، رقم: ٥٩٤٨].

وعن شداد بن أوس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (سيد الاستغفار أن تقول: اللّهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عَلَيَّ، وأبوء لك بذنبي فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. قال: ومن قالها من النهار موقناً بها، فمات من يومه قبل أن يمسي، فهو من أهل الجنة. ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح، فهو من أهل الجنة). [البخاري: الدعوات، باب: أفضل الاستغفار، رقم: ٥٩٤٧] [سيد الاستغفار: السيد في الأصل الرئيس الذي يقصد في الحوائج ويرجع إليه في الأمور، وسيد القوم أفضلهم، ولما كان هذا الدعاء جامعاً لمعاني التوبة كلها استعير له هذا الاسم، لا سيما وقد ذكر الله تعالى فيه بأكمل الأوصاف، وذكر العبد بأضعف الحالات، وهذا أقصى غاية التضرع، ونهاية الاستكانة والخضوع لمن لا يستحق ذلك إلا هو سبحانه. على عهدك ووعدك: ثابت ومستمر على الوفاء بما عاهدتك عليه ووعدتك بالقيام به، من صدق الإيمان بك، وحسن التوكل عليك وصالح الطاعة لك. ما استطعت: قدر استطاعتي. أعوذ: أستجير وألتجىء. أبوء: أقر وأعترف. موقناً: مخلصاً من قلبه مصدقاً بعظيم ثوابها. من أهل الجنة: السابقين، لأن =

أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس إن ﴾ ما ﴿ تريد إلا أن تكون جباراً(١) في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين ﴾ فسمع القبطي ذلك، فعلم أن القاتل موسى، فانطلق إلى فرعون فأخبره بذلك، فأمر فرعون الذباحين بقتل موسى، فأخذوا في الطريق إليه.

٢٠ ﴿ وجاء رجل ﴾ هو مؤمن آل فرعون(٢) ﴿ من أقصا المدينة ﴾ آخرها ﴿ يسعى ﴾ يسرع في مشيه من طريق أقرب من طريقهم ﴿ قال يا موسى إن الملأ ﴾ من قوم فرعون ﴿ يأتمرون بك ﴾ يتشاورون في أمرك ﴿ ليقتلوك فاخرج ﴾ من المدينة ﴿ إني لك من الناصحين ﴾ في الأمر بالخروج.

٢١ ﴿ فخرج منها خائفاً يترقب ﴾ لحوق طالب، أو غوث الله إياه ﴿ قال رب نجني من القوم الظالمين ﴾ قوم فرعون.

٢٢ ﴿ ولما توجه ﴾ قصد بوجهه ﴿ تلقاء مدين ﴾ جهتها، وهي قرية شعيب، على مسيرة ثمانية أيام من مصر، سميت بمدين بن إبراهيم(٣)، ولم يكن يعرف طريقها ﴿ قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل ﴾ أي قصد الطريق، أي الطريق الوسط إليها، فأرسل الله ملكاً بيده عنزة(٤)، فانطلق به إليها(٥) ﴿ ولما ورد ماء مدين ﴾ بئر فيها، أي وصل إليها ﴿ وجد عليه أمة ﴾ جماعة(٦) ﴿ من الناس يسقون ﴾ مواشيهم.

٢٣ ﴿ ووجد من دونهم ﴾ سواهم ﴿ امرأتين تذودان ﴾ تمنعان أغنامهما عن الماء ﴿ قال ﴾ موسى لهما ﴿ ما خطبكما ﴾ ما شأنكما لا تسقيان أغنامكما ﴿ قالتا لا نسقي حتى يَصْدِر الرعاء ﴾ جمع راعٍ، أي يرجعون من سقيهم - خوف الزحام - فنسقي. وفي قراءة «يُصْدِر» من الرباعي، أي يصرفون مواشيهم عن الماء ﴿ وأبونا شيخ كبير ﴾ لا يقدر أن يسقي.

٢٤ ﴿ فسقى لهما ﴾ من بئر أخرى بقربهما، رفع حجراً عنها من عادتهم ألا يرفعه إلا عشرة أنفس(٧) ﴿ ثم تولى ﴾ انصرف ﴿ إلى الظل ﴾ لسمرة(٨)، من شدة حرِّ الشمس، وهو جائع ﴿ فقال رب إني لما أنزلت إليّ من خير ﴾ طعام ﴿ فقير ﴾ محتاج، فرجعتا إلى أبيهما في زمن أقل مما كانتا ترجعان فيه، فسألهما عن ذلك، فأخبرتاه بمن سقى لهما، فقال لإحداهما: ادعيه لي.

٢٥ كما قال تعالى: ﴿ فجاءته إحداهما تمشي على

أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِٱلْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ (١٩) وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ (٢٠) فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ (٢١) وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ (٢٢) وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (٢٣) فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (٢٤) فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى

---

(١) الجبار: هو الذي يقتل ويضرب، ويتعاظم على الناس، ولا ينظر في العواقب.

(٢) أي الذي آمن بموسى عليه السلام بعد بعثته وكتم إيمانه، انظر/ غافر: ٢٨ وما بعدها/ والظاهر أن نصحه هنا لموسى عليه السلام كان بدافع معدنه الطيب وخلقه الأصيل، وأنه كان يعتقد باطل فرعون وقومه وظلمهم.

(٣) ولعل هذا سر قصده إليها دون سواها، لما وقع في نفسه: أن بينه وبين أهلها قرابة ونسباً.

(٤) عنزة: عصا أقصر من الرمح، لها زج من أسفلها. والزج هو الحديدة التي تكون في أسفل الرمح.

(٥) والله تعالى أعلم بذلك، وهو على كل شيء قدير.

(٦) كثيرين.

(٧) وقيل: زاحم القوم ونحاهم كلهم عن البئر وسقى لهما غنمهما.

(٨) شجرة عظيمة من شجر الطلح، وهو نوع من شجر البوادي.

= الغالب بمن قالها موقناً بمضمونها أنه لا يعصي الله تعالى، أو لأن الله تعالى يشمله بعفوه ببركة هذا الاستغفار.

وعن ثوبان رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثاً، وقال: (اللّهم أنت السلام ومنك السلام، تباركت ياذا الجلال والإكرام). قال الوليد: فقلت للأوزاعي: كيف الاستغفار؟ قال: تقول: أستغفر الله، أستغفر الله. [مسلم: المساجد ومواضع الصلاة، باب: استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته، رقم: ٥٩١] الوليد والأوزاعي من رواة الحديث.

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، عن رسول الله ﷺ أنه قال: (يا معشر النساء تصدّقن وأكثرن الاستغفار، فإني رأيتكن أكثر أهل النار). فقالت امرأة منهن، جزلة: وما لنا يا رسول الله أكثر أهل النار؟ قال: (تكثرن اللّعن، وتكفرن العشير). [مسلم: الإيمان، باب: بيان نقصان الإيمان بنقص الطاعات. . ، رقم: ٧٩] جزلة: ذات عقل ورأي، من الجزالة وهي العقل والوقار. العشير: الزوج، وكفره إنكار إحسانه.

استحياء ﴾ أي واضعة كم درعها(١) على وجهها حياءً منه ﴿ قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا ﴾ فأجابها منكراً في نفسه أخذ الأجرة، كأنها قصدت المكافأة إن كان ممن يريدها. فمشت بين يديه(٢)، فجعلت الريح تضرب ثوبها فتكشف ساقيها، فقال لها: امشي خلفي ودليني على الطريق، ففعلت، إلى أن جاء أباها وهو شعيب عليه السلام وعنده عشاء، فقال له: اجلس فتعش، قال: أخاف أن يكون عوضاً مما سقيت لهما، وإنا أهل بيت لا نطلب على عمل خير عوضاً؟ قال: لا، بل عادتي وعادة آبائي نقري الضيف(٣)، ونطعم الطعام. فأكل، وأخبره بحاله، قال تعالى: ﴿ فلما جاءه وقص عليه القصص ﴾ مصدر بمعنى المقصوص، من قتله القبطي وقصدهم قتله وخوفه من فرعون ﴿ قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين ﴾ إذ لا سلطان لفرعون على مدين ولا من بعده.

٢٦ ﴿ قالت إحداهما ﴾ وهي المرسلة(٤)، الكبرى أو الصغرى ﴿ يا أبت استأجره ﴾ اتخذه أجيراً يرعى غنمنا بدلنا ﴿ إن خير من استأجرت القوي الأمين ﴾ استأجره لقوته وأمانته، فسألها عنهما، فأخبرته بما تقدم من رفعه حجر البئر، ومن قوله لها: امشي خلفي، وزيادة: أنها لما جاءته وعلم بها صوب رأسه(٥) فلم يرفعه، فرغب في إنكاحه.

٢٧ ﴿ قال إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين ﴾ وهي الكبرى أو الصغرى ﴿ على أن تأجرني ﴾ تكون أجيراً لي في رعي غنمي ﴿ ثماني حجج ﴾ سنين ﴿ فإن أتممت عشراً ﴾ رعي عشر سنين ﴿ فمن عندك ﴾ التمام ﴿ وما أريد أن أشق عليك ﴾ باشتراط العشر(٦) ﴿ ستجدني إن شاء الله ﴾ للتبرك(٧) ﴿ من الصالحين ﴾ الوافين بالعهد.

٢٨ ﴿ قال ﴾ موسى ﴿ ذلك ﴾ الذي قلته ﴿ بيني وبينك أيما الأجلين ﴾ الثمان أو العشر، وما زائدة، أي رعيه ﴿ قضيت ﴾ أي فرغت منه ﴿ فلا عدوان عليّ ﴾ بطلب الزيادة عليه ﴿ والله على ما نقول ﴾ أنا وأنت ﴿ وكيل ﴾ حفيظ، أو شهيد. فتم العقد بذلك، وأمر شعيب ابنته أن تعطي موسى عصا يدفع بها السباع عن غنمه، وكانت عُصِيّ(٨) الأنبياء عنده، فوقع في يدها عصا آدم من آس الجنة، فأخذها موسى بعلم شعيب.

٢٩ ﴿ فلما قضى موسى الأجل ﴾ أي رعيه، وهو ثمانٍ أو عشر سنين، وهو المظنون به(٩) ﴿ وسار بأهله ﴾ زوجته، بإذن أبيها، نحو مصر ﴿ آنس ﴾ أبصر من بعيد ﴿ من جانب الطور ﴾ اسم جبل ﴿ ناراً قال لأهله امكثوا ﴾ هنا ﴿ إني آنست ناراً لعلي آتيكم منها(١٠) بخبر ﴾ عن الطريق، وكان قد أخطأها أو غفل عنها ﴿ أو جذوة ﴾ بتثليث الجيم(١١)، قطعة وشعلة ﴿ من النار لعلكم

ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ
لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ
نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ
ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾
قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن
تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ
أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ
ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ
قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَىَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾
* فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن
جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا ۖ قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا
لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ

---

(١) قميصها، وهو الثوب الذي يستر كامل البدن.

(٢) أي أمامه.

(٣) نقدم الطعام والشراب ونحوهما ضيافة وتكريماً.

(٤) قيل: وهي التي تزوجها موسى عليه السلام.

(٥) خفضه إلى الأرض.

(٦) أو الإلزام بإتمامها.

(٧) أي الاستثناء للتبرك وتفويض الأمر إلى توفيقه تعالى، لا للتعليق، لأن صلاحه محقق.

(٨) عصي: جمع عصا، وفي النسخ المطبوعة [عصا] بلفظ المفرد، والصواب ما ذكرت، لإضافتها للأنبياء، فهي متعددة، فينبغي أن تكون بصيغة الجمع، والله تعالى أعلم.

(٩) أي المظنون فيه أن يعطي الأكمل، لكمال مروءته. أخرج البخاري عن سعيد بن جبير قال: سألني يهودي من أهل الحيرة: أي الأجلين قضى موسى؟ قلت: لا أدري حتى أقدم على حبر العرب فأسأله. فقدمت فسألت ابن عباس، فقال: قضى أكثرهما وأطيبهما، إنَّ رسول الله إذا قال فعل. [الشهادات، باب: من أمر بإنجاز الوعد، رقم: ٢٥٣٨].

(١٠) أي من الناس الذين يكونون عندها.

(١١) أي فتحها وكسرها وضمها، والقراءات الثلاث متواترة.

تصطلون ﴾ تستدفئون، والطاء بدل من تاء الافتعال، من صلِي، بالنار، بكسر اللام وفتحها(١).

٣٠ ﴿ فلما أتاها نودي من شاطىء ﴾ جانب ﴿ الواد الأيمن ﴾ لموسى ﴿ في البقعة المباركة ﴾ لموسى(٢)، لسماعه كلام الله فيها ﴿من الشجرة﴾ بدل من شاطىء ـ بإعادة الجار ـ لنباتها فيه(٣)، وهي شجرة عناب أو عليق أو عوسج(٤) ﴿أن﴾ مفسرة(٥) لا مخففة ﴿يا موسى إني أنا الله رب العالمين﴾.

٣١ ﴿ وأن ألق عصاك ﴾ فألقاها ﴿ فلما رآها تهتز ﴾ تتحرك ﴿ كأنها جان ﴾ وهي الحية الصغيرة، من سرعة حركتها ﴿ ولى مدبراً ﴾ هارباً منها ﴿ ولم يعقب ﴾ يرجع، فنودي ﴿ يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين ﴾(٦).

٣٢ ﴿ اسلك ﴾ أدخل ﴿ يدك ﴾ اليمنى، بمعنى الكف ﴿ في جيبك ﴾ وهو طوق القميص، وأخرجها ﴿ تخرج ﴾ خلاف ما كانت عليه من الأدمة(٧) ﴿ بيضاء من غير سوء ﴾ أي برص، فأدخلها وأخرجها تضيء كشعاع الشمس، تعشى البصر(٨) ﴿ واضمم إليك جناحك(٩) من الرهب ﴾ بفتح الحرفين(١٠) وسكون الثاني مع فتح الأول وضمه، أي الخوف الحاصل من إضاءة اليد، بأن تدخلها في جيبك فتعود إلى حالتها الأولى. وعبر عنها بالجناح لأنها للإنسان في أمر المعاونة كالجناح للطائر ﴿ فذانك ﴾ بالتشديد والتخفيف(١١)، أي العصا واليد، وهما مؤنثان، وإنما ذكر المشار به إليهما المبتدأ لتذكير خبره ﴿ برهانان ﴾ مرسلان ﴿ من ربك إلى فرعون وملئه إنهم كانوا قوماً فاسقين ﴾.

٣٣ ﴿ قال رب إني قتلت منهم نفساً ﴾ هو القبطي السابق ﴿ فأخاف أن يقتلون ﴾ به.

٣٤ ﴿ وأخي هارون هو أفصح مني لساناً ﴾ أي أبين وأوضح ﴿ فأرسله معي ردءاً ﴾ معيناً، وفي قراءة بفتح الدال بلا همزة(١٢) ﴿ يصدقني ﴾ بالجزم جواب الدعاء، وفي قراءة بالرفع، وجملته صفة ردءاً(١٣) ﴿ إني أخاف أن يكذبون ﴾.

٣٥ ﴿ قال سنشد عضدك ﴾ نقويك ﴿ بأخيك ونجعل لكما سلطاناً ﴾ غلبة ﴿ فلا يصلون إليكما ﴾ بسوء، اذهبا ﴿ بآياتنا أنتما ومن اتبعكما

تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا

---

(١) قوله [والطاء بدل..] أي أصل ﴿تصطلون﴾ تصتلون، فوقعت التاء بعد أحد حروف الإطباق ـ وهو الصاد ـ فقلبت طاءً لتجانس ما قبلها. والافتعال طلب الفعل، فأصل الفعل يصلي، على وزن يفعل، وبالطلب يصبح يصتلي، على وزن يفتعل، فزيدت التاء التي قلبت هنا طاءً.

(٢) أي كانت مباركة بالنسبة إليه، لأن البركة حصلت له فيها. أو المراد: أنها البقعة المقدسة كما جاء في/ طه: ١٢/.

(٣) أي قوله ﴿من الشجرة﴾ بدل من قوله ﴿من شاطىء﴾ وهو بدل اشتمال، لأن الشاطىء مشتمل على الشجرة، وصحت البدلية لما بينهما من الملابسة، لأن الشجرة نبتت في الشاطىء. والمحققون على أن موسى عليه السلام: سمع الكلام بجميع أجزائه، بلا حرف ولا صوت، من جميع جهاته.

(٤) أسماء لأنوع من شجر البوادي، والعوسج نوع من الشوك.

(٥) لسبقها بجملة فيها معنى القول دون حروفه، وهي ﴿نودي﴾.

(٦) من أن ينالك مكروه.

(٧) السمرة.

(٨) أي تضعفه، لشدة ضيائها ونصاعة بياضها.

(٩) يدك.

(١٠) الراء والهاء، فالقراءات ثلاث وكلها متواترة: ﴿ الرَّهَب ﴾ و﴿ الرَّهْب ﴾ و﴿ والرُّهْب ﴾.

(١١) للنون، أي ﴿فذانِّك﴾ و﴿فذانِك﴾.

(١٢) مع التنوين أي ﴿رِداً﴾. وهي متواترة.

(١٣) أي ردءاً مصدقاً. قال ابن كثير في تفسيره: قال بعض السلف: ليس أحد أعظم مِنَّةً على أخيه من موسى على هارون عليهما السلام، فإنه شفع فيه حتى جعله الله نبياً ورسولاً معه إلى فرعون وملئه، ولهذا قال في حق موسى: ﴿وكان عند الله وجيهاً﴾ [الأحزاب: ٦٩].

الغالبون ﴾ لهم.

٣٦ ﴿ فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات ﴾ واضحات، حال ﴿ قالوا ما هذا إلا سحر مفترى ﴾ مختلق ﴿ وما سمعنا بهذا ﴾ كائناً ﴿ في ﴾ أيام ﴿ آبائنا الأولين ﴾.

٣٧ ﴿ وقال ﴾ بواو وبدونها ﴿ موسى ربي أعلم ﴾ عالم ﴿ بمن جاء بالهدى من عنده ﴾ الضمير للرب ﴿ ومن ﴾ عطف على «مَنْ» قبلها ﴿ تكون ﴾ بالفوقانية والتحتانية(١) ﴿ له عاقبة الدار ﴾ العاقبة المحمودة في الدار الدنيا والآخرة، أي وهو أنا في الشقين(٢)، فأنا محق فيما جئت به ﴿ إنه لا يفلح الظالمون ﴾ الكافرون.

٣٨ ﴿ وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري فأوقد لي يا هامان على الطين ﴾ فاطبخ لي الآجر ﴿ فاجعل لي صرحاً ﴾ قصراً عالياً ﴿ لعلي أطلع إلى إله موسى ﴾ أنظر إليه وأقف عليه ﴿ وإني لأظنه من الكاذبين ﴾ في ادعائه إلهاً آخر وأنه رسوله.

٣٩ ﴿ واستكبر هو وجنوده في الأرض ﴾ أرض مصر ﴿ بغير الحق وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون ﴾ بالبناء للفاعل وللمفعول(٣).

ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَـٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَـٰهَـٰمَـٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَـٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَـٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَـٰهُمْ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ

٤٠ ﴿ فأخذناه وجنوده فنبذناهم ﴾ طرحناهم ﴿ في اليم ﴾ البحر المالح، فغرقوا عن آخرهم ﴿ فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ﴾ حين صاروا إلى الهلاك.

٤١ ﴿ وجعلناهم ﴾ في الدنيا ﴿ أئمة ﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ياء: رؤساء في الشرك(٤) ﴿ يدعون إلى النار ﴾ بدعائهم إلى الشرك ﴿ ويوم القيامة لا ينصرون ﴾ بدفع العذاب عنهم.

٤٢ ﴿ وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ﴾ خزياً

---

(١) أي ﴿تكون﴾ بالتاء، و﴿يكون﴾ بالياء.

(٢) أي المجيء بالهدى والعاقبة المحمودة.

قال ابن كثير في تفسيره: يخبر تعالى عن مجيء موسى وأخيه هارون إلى فرعون وملئه، وعرضه ما آتاهما الله من المعجزات الباهرة والدلالة القاهرة على صدقهما، فيما أخبرا به عن الله عزَّ وجلَّ من توحيده واتباع أوامره، فلما عاين فرعون وملؤه ذلك وشاهدوه وتحققوه وأيقنوا أنه من عند الله عدلوا بكفرهم وبغيهم إلى العناد والمباهتة، وذلك لطغيانهم وتكبرهم عن اتباع الحق، فقالوا: ﴿ما هذا إلا سحر مفترى﴾ أي مفتعل مصنوع، وأرادوا معارضته بالحيلة والجاه، فما صعد معهم ذلك. وقوله: ﴿وما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين﴾ يعنون عبادة الله وحده لا شريك له، يقولون: ما رأينا أحداً من آبائنا على هذا الدين، ولم نر الناس إلا يشركون مع الله آلهة أخرى. فقال موسى عليه السلام مجيباً لهم: ﴿ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده﴾ يعني مني ومنكم، وسيفصل بيني وبينكم، ولهذا قال: ﴿ومن تكون له عاقبة الدار﴾ أي من النصرة والظفر والتأييد ﴿إنه لا يفلح الظالمون﴾ أي المشركون بالله عزَّ وجلَّ.

(٣) أي ﴿يَرْجِعون﴾ و﴿يُرْجَعُون﴾.

قال أهل السير: لما أمر فرعون وزيره هامان ببناء الصرح جمع هامان العمال والفعلة، حتى اجتمع عنده خمسون ألف بناء، سوى الأتباع والأجراء، وطبخ الآجر والجص، ونجر الخشب وضرب المسامير، وأمر بالبناء فبنوه ورفعوه، وشيدوه حتى ارتفع ارتفاعاً لم يبلغه بنيان أحد من الخلق، وأراد الله أن يفتنهم فيه، فلما فرغوا منه ارتقى فرعون فوقه، وأمر بنشابة فرمى بها نحو السماء، فردت إليه وهي ملطخة دماً، فقال: قد قتلت إله موسى. وكان فرعون يصعده راكباً على البراذين، فبعث الله جبريل عند غروب الشمس فضربه بجناحه فقطعه ثلاث قطع، فوقعت قطعة منه على عسكره، فقتلت منهم ألف ألف رجل، ووقعت قطعة منه في البحر وقطعة في المغرب، فلم يبق أحد عمل شيء فيه إلا هلك. [تفسير الخازن وتفسير القرطبي] البراذين: الدواب والخيل].

(٤) يقتدي بهم غيرهم فيه.

فائدة: عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: جاء ناس من الأعراب إلى رسول الله ﷺ عليهم الصوف، فرأى سوء حالهم قد أصابتهم حاجة، فحث الناس على الصدقة، فأبطؤوا عنه حتى رؤي ذلك في وجهه. قال: ثم إن رجلاً من الأنصار جاء بصرة من ورق، ثم جاء آخر، ثم تتابعوا حتى عرف السرور.

﴿ ويوم القيامة هم من المقبوحين ﴾ المبعدين(١).

٤٣ ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب ﴾ التوراة ﴿ من بعد ما أهلكنا القرون الأولى ﴾ قوم نوح وعاد وثمودوغيرهم(٢)﴿ بصائر للناس ﴾ حال من الكتاب، جمع بصيرة، وهي نور القلب، أي أنواراً للقلوب ﴿ وهدى ﴾ من الضلالة لمن عمل به ﴿ ورحمة ﴾ لمن آمن به ﴿ لعلهم يتذكرون ﴾ يتعظون بما فيه من المواعظ.

٤٤ ﴿ وما كنت ﴾ يا محمد ﴿ بجانب ﴾ الجبل، أو الوادي، أو المكان ﴿ الغربي ﴾ من موسى حين المناجاة ﴿ إذ قضينا ﴾ أوحينا ﴿إلى موسى الأمر ﴾ بالرسالة إلى فرعون وقومه ﴿ وما كنت من الشاهدين ﴾ لذلك فتعلمه فتخبر به(٣).

٤٥ ﴿ ولكنا أنشأنا قروناً ﴾ أمماً من بعد موسى ﴿ فتطاول عليهم العمر ﴾ طالت أعمارهم، فنسوا العهود، واندرست العلوم، وانقطع الوحي. فجئنا بك رسولاً، وأوحينا إليك خبر موسى وغيره ﴿ وما كنت ثاوياً ﴾ مقيماً ﴿ في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ﴾ خبر ثانٍ(٤)، فتعرف قصتهم فتخبر بها ﴿ ولكنا كنا مرسلين ﴾ لك وإليك بأخبار المتقدمين.

٤٦ ﴿ وما كنت بجانب الطور ﴾ الجبل ﴿ إذ ﴾ حين ﴿ نادينا ﴾ موسى أن خذ الكتاب بقوة(٥) ﴿ ولكن ﴾ أرسلناك ﴿ رحمة من ربك لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك ﴾ وهم أهل مكة ﴿ لعلهم يتذكرون ﴾ يتعظون.

٤٧ ﴿ ولولا أن تصيبهم مصيبة ﴾ عقوبة ﴿ بما قدمت أيديهم ﴾(٦) من الكفر وغيره ﴿ فيقولوا ربنا لولا ﴾ هلا ﴿ أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك ﴾ المرسل بها ﴿ ونكون من المؤمنين ﴾ وجواب لولا محذوف، وما بعدها مبتدأ، والمعنى: لولا الإصابة المسبب عنها قولهم، أو: لولا قولهم المسبب عنها، أي لعاجلناهم بالعقوبة ولما أرسلناك رسولاً.

٤٨ ﴿ فلما جاءهم الحق ﴾ محمد ﴿ من عندنا قالوا لولا ﴾ هلا ﴿ أوتي مثل

وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا
مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ
بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾
وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا
كُنتَ مِنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَـٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ
عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ
ءَايَـٰتِنَا وَلَـٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ
إِذْ نَادَيْنَا وَلَـٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن
نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم
مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ
إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَـٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾
فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ

---

(١) عن رحمة الله تعالى، والمشوهين بسواد الوجوه وزرقة العيون.

(٢) أخرج ابن جرير بسنده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: ما أهلك الله قوماً بعذاب من السماء ولا من الأرض بعد ما أنزلت التوراة على وجه الأرض، غير القرية التي مسخوا قردة، ألم تر أن الله يقول: ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى﴾. وذكر ابن كثير رحمه الله تعالى أن البزار رواه من طريق عن أبي سعيد ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً إلى النبي ﷺ.

(٣) قال ابن كثير: يقول تعالى ـ منبهاً على برهان نبوة محمد صلوات الله وسلامه عليه، حيث أخبر بالغيوب الماضية خبراً كأن سامعه شاهد وراءٍ لما تقدم، وهو رجل أمي لا يقرأ شيئاً من الكتب، نشأ بين قوم لا يعرفون شيئاً من ذلك ـ يقول: يا محمد، ما كنت بجانب الجبل الغربي الذي كلم الله موسى من الشجرة التي هي شرقيه على شاطىء الوادي. وما كنت من الشاهدين لذلك، ولكن الله سبحانه وتعالى أوحى إليك ذلك ليجعله حجة وبرهاناً على قرون قد تطاول عهدها، ونسوا حجج الله عليهم، وما أوحاه إلى الأنبياء المتقدمين.

(٤) أي جملة تتلو خبر ثانٍ لكنت.

(٥) انظر/ الأعراف: ١٤٥/.

(٦) أي ارتكبوه ووقع منهم. قال ابن كثير: أي وأرسلناك إليهم لتقيم عليهم الحجة، ولتقطع عذرهم إذا جاءهم عذاب من الله بكفرهم، فيحتجوا بأنهم لم يأتهم رسول ولا نذير.

في وجهه، فقال رسول الله ﷺ: «من سن في الإسلام سنة حسنة، فعمل بها بعده، كتب له مثل أجر من عمل بها، ولا ينقص من أجورهم شيء. ومن سن في الإسلام سنة سيئة، فعمل بها من بعده، كتب عليه مثل وزر من عمل بها، ولا ينقص من أوزارهم شيء».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً. ومن دعا إلى ضلالة، كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً».

[مسلم: العلم، باب: من سنة سنة حسنة أو سيئة. . .، رقم: ٢٦٧٣، ٢٦٧٤] [رزي: أي أثر ذلك من الحزن أو الغضب. ورق: فضة. وزر: إثم].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقتل نفس ظلماً، إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها، لأنه أول من سن

ما أوتي موسى ﴾ من الآيات(١) كاليد البيضاء والعصا وغيرهما، أو الكتاب جملة واحدة؟ قال تعالى: ﴿ أو لم يكفروا بما أوتي موسى من قبل ﴾ حيث ﴿ قالوا ﴾ فيه وفي محمد ﴿ ساحران ﴾ وفي قراءة «سحران» أي القرآن والتوراة ﴿ تظاهرا ﴾ تعاونا ﴿ وقالوا إنا بكل ﴾ من النبيين والكتابين ﴿ كافرون ﴾.

٤٩ ﴿ قل ﴾ لهم ﴿ فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما ﴾ من الكتابين ﴿ أتبعه إن كنتم صادقين ﴾ في قولكم.

٥٠ ﴿ فإن لم يستجيبوا لك ﴾ دعاءك بالإتيان بكتاب ﴿ فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ﴾(٢) في كفرهم ﴿ ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ﴾(٣) أي لا أضل منه ﴿ إن الله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ الكافرين.

٥١ ﴿ ولقد وصلنا ﴾ بيّنا ﴿ لهم القول ﴾ القرآن(٤) ﴿ لعلهم يتذكرون ﴾ يتعظون فيؤمنوا.

٥٢ ﴿ الذين آتيناهم الكتاب من قبله ﴾ أي القرآن ﴿ هم به يؤمنون ﴾ أيضاً، نزلت في جماعة أسلموا من اليهود: كعبد الله بن سلام وغيره، ومن النصارى: قدموا من الحبشة ومن الشام.

٥٣ ﴿ وإذا يتلى عليهم ﴾ القرآن ﴿ قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين ﴾ موحدين.

٥٤ ﴿ أولئك يؤتون أجرهم مرتين ﴾ بإيمانهم بالكتابين ﴿ بما صبروا ﴾ بصبرهم على العمل بهما(٥) ﴿ ويدرؤون ﴾ يدفعون ﴿ بالحسنة السيئة ﴾ منهم ﴿ ومما رزقناهم ينفقون ﴾ يتصدقون.

٥٥ ﴿ وإذا سمعوا اللغو ﴾ الشتم والأذى من الكفار ﴿ أعرضوا عنه

مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓۚ أَوَلَمۡ يَكۡفُرُواْ بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۖ
قَالُواْ سِحۡرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلّٖ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلۡ
فَأۡتُواْ بِكِتَٰبٖ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمَآ أَتَّبِعۡهُ إِن
كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا
يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ
هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾
۞ وَلَقَدۡ وَصَّلۡنَا لَهُمُ ٱلۡقَوۡلَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾
ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٢﴾
وَإِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّنَآ
إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلِهِۦ مُسۡلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم
مَّرَّتَيۡنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا
رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ

---

(١) أي الدلائل والعلامات، والمراد المعجزات، وهي خوارق العادات التي يأتي بها النبي لتكون برهاناً له على صدق دعواه النبوة. ولقد أوتي نبينا ﷺ من المعجزات المادية ما يفوق كثيراً ما أعطيه غيره من الأنبياء والمرسلين، كانشقاق القمر، وحنين الجذع، وتسبيح الحصا في يده، ونبع الماء من بين أصابعه ﷺ، وتكثير الطعام إلى غير ذلك. وكان فوق ذلك كله القرآن، وهو المعجزة الخالدة، التي عجز ويعجز البشر عن أن يأتوا بشيء من مثله في فصاحته وبلاغته، ورونق أسلوبه وسمو تشريعه، إلى غير ذلك.

(٢) أي ليس لهم مستند أو حجة إلا اتباع هواهم الفاسد.

(٣) أي من غير أن يلتزم في الدين هدي الله عزّ وجلّ وشرعه المنزل.

(٤) بنزوله متتابعاً متواصلاً، فيه الوعد والوعيد والقصص والمواعظ والعبر، وما يكون من أمر الدنيا وأحوال الآخرة.

(٥) أخرج البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (ثلاثة لهم أجران: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد - ﷺ - والعبد المملوك إذا أدى حق الله وحق مواليه، ورجل كانت عنده أمة يطؤها: فأدبها فأحسن تأديبها، وعلمها فأحسن تعليمها، ثم أعتقها، ثم تزوجها، فله أجران).
[البخاري: العلم، باب: تعليم الرجل أمته وأهله، رقم: ٩٧. مسلم: الإيمان، باب: وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس، رقم: ١٥٤].

القتل» [البخاري: الأنبياء. باب: قول الله تعالى: ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل..﴾ [البقرة: ٣٠] رقم: ٣١٥٧. مسلم: القسامة، باب: بيان إثم من سن القتل، رقم: ١٦٧٧] [كفل: جزء ونصيب من إثم قتلها. سن القتل: ابتدع القتل على وجه الأرض].

سبب نزول الآية [٥٢]: أخرج ابن جرير، عن عليّ بن رفاعة قال: خرج عشرة رهط من أهل الكتاب: منهم رفاعة - يعني أباه - إلى النبي ﷺ فآمنوا فأوذوا، فنزلت: ﴿الذين آتيناهم الكتاب﴾ الآية.

وأخرج عن قتادة قال: كنا نحدث أنها نزلت في أناس من أهل الكتاب، كانوا على شريعة من الحقّ يأخذون بها وينتهون إليها حتى بعث الله محمداً ﷺ فآمنوا به وصدقوا به، فأعطاهم الله أجرهم مرتين، بصبرهم على الكتاب الأول واتباعهم محمداً ﷺ، وصبرهم على ذلك، وذكر أن منهم سلمان وعبد الله بن سلام.

وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم ﴾ سلام متاركة أي سلمتم منا من الشتم وغيره ﴿ لا نبتغي الجاهلين ﴾ لا نصحبهم(*).

٥٦ ونزل في حرصه ﷺ على إيمان عمه أبي طالب ﴿ إنك لا تهدي من أحببت ﴾ هدايته(١) ﴿ ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم ﴾ أي عالم ﴿ بالمهتدين ﴾(٢).

٥٧ ﴿ وقالوا ﴾ قومه ﴿ إن نتبع الهدى(٣) معك نتخطف من أرضنا ﴾ ننتزع منها بسرعة، قال تعالى: ﴿ أو لم نمكن لهم حرماً(٤) آمناً ﴾ يأمنون فيه من الإغارة والقتل الواقعين من بعض العرب على بعض ﴿ يجبى ﴾ بالفوقانية والتحتانية ﴿ إليه ثمرات كل شيء ﴾ من كل أوب(٥) ﴿ رزقاً ﴾ لهم ﴿ من لدنا ﴾ عندنا ﴿ ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾ أن ما نقوله حق.

٥٨ ﴿ وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها ﴾ عيشها(٦)، وأريد بالقرية أهلها ﴿ فتلك مساكنهم(٧) لم تسكن من بعدهم إلا قليلاً ﴾ للمارة يوماً أو بعضه ﴿ وكنا نحن الوارثين ﴾ منهم(٨).

وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى
ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ
يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَالُوٓا۟ إِن
نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ
حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا
وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ
بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ
إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ
ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ
وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَآ أُوتِيتُم
مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ
وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا

٥٩ ﴿ وما كان ربك مهلك القرى ﴾ بظلم منها ﴿ حتى يبعث في أمها ﴾ أعظمها(٩) ﴿ رسولاً يتلو عليهم آياتنا(١٠) وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون ﴾ بتكذيب الرسل عليهم الصلاة والسلام.

٦٠ ﴿ وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها ﴾ أي تتمتعون وتتزينون به أيام حياتكم ثم يفنى ﴿ وما عند الله ﴾ أي ثوابه ﴿ خير وأبقى أفلا يعقلون ﴾ بالياء والتاء، أن الباقي خير من الفاني.

٦١ ﴿ أفمن وعدناه وعداً حسناً

---

(١) أي إنك لا تملك أن تجعل الهداية في قلبه، وهي الهداية الموصلة إلى المقصد، وإن كنت تملك الهداية المرشدة إلى الغاية، بإرشادك وبيانك وحجتك واستقامتك.

(٢) أي هو سبحانه أعلم بمن لديهم الاستعداد لقبول الحق، فينصب لهم أمارات الهداية، ويوليهم من العناية والتوفيق ما يوصلهم إلى نور الإيمان والعرفان.

(٣) الدين اللذي جئت به وهو الإسلام.

(٤) مكاناً له حرمة وقدسية في نفوس الناس.

(٥) ناحية وجهة وطريق.

(٦) لم تقابل النعمة بالشكر ولم تحفظ حق الله تعالى فيها، بل طغت وأساءت.

(٧) آثارها باقية بعد خرابها، ومشاهدة لمن يمر بها من المسافرين.

(٨) لا يملك التصرف فيها غيرنا.

(٩) وهي المدن بالنسبة لما حولها.

(١٠) يبين لهم ما يجب عليهم حتى لا تبقى لهم حجة.

(*) قال محمد بن إسحاق في السيرة: ثم قدم على رسول الله ﷺ وهو بمكة عشرون رجلاً أو قريب من ذلك من النصارى، حين بلغهم خبره، من الحبشة، فوجدوه في المسجد، فجلسوا إليه وكلموه وسألوه، ورجال من قريش في أنديتهم حول الكعبة، فلما فرغوا من مساءلة رسول الله ﷺ عما أرادوا دعاهم إلى الله تعالى، وتلا عليهم القرآن، فلما سمعوا القرآن فاضت أعينهم من الدمع، ثم استجابوا لله وآمنوا به وصدقوه، وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره، فلما قاموا عنه اعترضهم أبو جهل بن هشام في نفر من قريش، فقالوا لهم: خيبكم الله من ركب، بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم، لتأتوهم بخبر الرجل، فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى

سبب نزول الآية [٥٦، ٥٧]: عن سعيد بن المسيب، عن أبيه رضي الله عنه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، فقال رسول الله ﷺ: (أي عم، قل لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله سبحانه وتعالى). فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويعاودانه بتلك المقالة، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم به: أنا على ملة عبد المطلب. وأبى أن يقول لا إله إلا الله، فقال رسول الله ﷺ: (والله لأستغفرن لك مالم أنه عنك). فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿ ما كانَ للنَّبيِّ

﴿ فهو لاقيه ﴾ مصيبه، وهو الجنة **﴿كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ﴾** فيزول عن قريب **﴿ ثم هو يوم القيامة من المحضرين ﴾** النار، الأول المؤمن، والثاني الكافر، أي لا تساوي بينهما.

٦٢ **﴿ و ﴾** اذكر **﴿ يوم يناديهم ﴾** الله **﴿ فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون ﴾** ـهم شركائي.

٦٣ **﴿ قال الذين حق عليهم**(١) **القول ﴾** بدخول النار، وهم رؤساء الضلالة **﴿ ربنا هؤلاء الذين أغوينا ﴾** هم، مبتدأ وصفته(٢) **﴿ أغويناهم ﴾** خبره: فغووا **﴿ كما غوينا ﴾** لم نكرههم على الغي(٣) **﴿ تبرأنا إليك ﴾** منهم **﴿ ما كانوا إيانا يعبدون ﴾** ما نافية، وقدم المفعول للفاصلة.

٦٤ **﴿ وقيل ادعوا شركاءكم ﴾** أي الأصنام الذين كنتم تزعمون أنهم شركاء الله(٤) **﴿ فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ﴾** دعاءهم **﴿ ورأوا ﴾** هم **﴿ العذاب ﴾** أبصروه **﴿ لو أنهم كانوا يهتدون ﴾** في الدنيا لما رأوه في الآخرة.

٦٥ **﴿ و ﴾** اذكر **﴿ يوم يناديهم ﴾** الله عز وجل **﴿ فيقول ماذا أجبتم المرسلين ﴾** إليكم.

٦٦ **﴿ فعميت عليهم الأنباء ﴾**(٥) الأخبار المنجية في الجواب **﴿ يومئذٍ ﴾** لم يجدوا خبراً لهم فيه نجاة **﴿ فهم لا يتساءلون ﴾** عنه(٦)، فيسكتون.

٦٧ **﴿ فأما من تاب ﴾** من الشرك **﴿ وآمن ﴾** صدق بتوحيد الله **﴿وعمل صالحاً ﴾** أدى الفرائض **﴿فعسى أن يكون من المفلحين ﴾** الناجحين بوعد الله.

٦٨ **﴿ وربك يخلق ما يشاء ويختار ﴾** ما يشاء **﴿ ما كان لهم ﴾** للمشركين **﴿ الخيرة ﴾** الاختيار في شيء **﴿ سبحان الله وتعالى**(٧) **عما يشركون ﴾** عن إشراكهم.

٦٩ **﴿ وربك يعلم ما تكن صدورهم ﴾** تسر قلوبهم من الكفر وغيره **﴿ وما يعلنون ﴾** بألسنتهم من ذلك.

فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعۡنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ثُمَّ هُوَ يَوۡمَ
ٱلۡقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ (٦١) وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ أَيۡنَ
شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ (٦٢) قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ
ٱلۡقَوۡلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغۡوَيۡنَآ أَغۡوَيۡنَٰهُمۡ كَمَا غَوَيۡنَاۖ
تَبَرَّأۡنَآ إِلَيۡكَۖ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعۡبُدُونَ (٦٣) وَقِيلَ ٱدۡعُواْ
شُرَكَآءَكُمۡ فَدَعَوۡهُمۡ فَلَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُمۡ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۚ
لَوۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ يَهۡتَدُونَ (٦٤) وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ مَاذَآ
أَجَبۡتُمُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ (٦٥) فَعَمِيَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَنۢبَآءُ يَوۡمَئِذٖ
فَهُمۡ لَا يَتَسَآءَلُونَ (٦٦) فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ
صَٰلِحٗا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلۡمُفۡلِحِينَ (٦٧) وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ
مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ
عَمَّا يُشۡرِكُونَ (٦٨) وَرَبُّكَ يَعۡلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمۡ

فارقتم دينكم، وصدقتموه فيما قال؟ ما نعلم ركباً أحمق منكم، أو كما قالوا لهم. فقالوا لهم: سلام عليكم، لا نجاهلكم، لنا ما نحن عليه ولكم ما أنتم عليه، لم نأل أنفسنا خيراً. [أنديتهم: مجالس اجتماعهم. ركب جماعة. ترتادون: تردون البلد وتأتوهم بالأخبار. لم نأل: لم نقصر].

(١) ثبت ووجب.

(٢) هؤلاء: مبتدأ، والذين مع صلته صفة.

(٣) أي تسببنا لهم في الغي ـ وهو الضلال ـ فقبلوا منا ولم يتبعوا ما جاء به الرسل عليهم الصلاة والسلام.

(٤) أي استغيثوا بآلهتكم التي زعمتم أنها آلهة ـ من بشر وحيوان ونبات وحجر وغيرها ـ والتي عبدتموها لتنصركم وتدفع عنكم ما ينزل بكم من مكروه. ويقال لهم ذلك تبكيتاً وتهكماً.

(٥) خفيت واشتبهت والتبست.

(٦) لا يسأل بعضهم بعضاً عن الحجة والعذر.

(٧) تنزه وتعاظم وبرىء.

والذينَ آمنوا أنْ يَسْتَغفِرُوا للمشْرِكِينَ ولَوْ كَانُوا اولي قُرْبى﴾ الآية [التوبة: ١١٣] وأنزل الله في أبي طالب فقال لرسول الله ﷺ: ﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكنّ الله يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لعمه: (قل لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة). قال: لولا أن تعيرني قريش، يقلن إنه حمله على ذلك الجزع، لأقررت بها عينك. فأنزل الله تعالى: ﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء﴾.

[التفسير البخاري: القصص، باب: ﴿إنك لا تهدي من أحببت. . .﴾ رقم: ٤٤٩٤. مسلم: الإيمان، باب: الدليل على صحة إسلام من حضره الموت. . ، رقم: ٢٤، ٢٥]. الجزع: شدة الخوف. لأقررت. . : لجعلتك تسر بها.

أخرج ابن جرير، من طريق العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن أناساً من قريش قالوا للنبيّ ﷺ: إن نتبعك تخطفنا الناس، فنزلت.

وأخرج النسائي عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن الحارث بن عامر بن نوفل هو الذي قال ذلك. [السنن الكبرى: التفسير/ سورة القصص: ١١٣٨٥].

سبب نزول الآية [٦٨]: قال الواحدي: قال أهل التفسير: نزلت جواباً للوليد بن المغيرة، حين قال فيما أخبر الله تعالى: إنه لا يبعث الرسل باختياره.

٧٠ ﴿ وهو الله لا إله إلا هو له الحمد في الأولى ﴾ الدنيا ﴿ والآخرة ﴾ الجنة⁽¹⁾ ﴿ وله الحكم ﴾ القضاء النافذ في كل شيء ﴿ وإليه ترجعون ﴾ بالنشور. ٧١ ﴿ قل ﴾ لأهل مكة ﴿ أرأيتم ﴾ أي أخبروني ﴿ إن جعل الله عليكم الليل سرمداً ﴾ دائماً ﴿ إلى يوم القيامة من إله غير الله ﴾ بزعمكم ﴿ يأتيكم بضياء ﴾ نهار تطلبون فيه المعيشة ﴿ أفلا تسمعون ﴾ ذلك سماع تفهم فترجعوا عن الإشراك.

٧٢ ﴿ قل ﴾ لهم ﴿ أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله ﴾ بزعمكم ﴿ يأتيكم بليل تسكنون ﴾ تستريحون ﴿ فيه ﴾ من التعب ﴿ أفلا تبصرون ﴾ ما أنتم عليه من الخطأ في الإشراك فترجعوا عنه.

٧٣ ﴿ ومن رحمته ﴾ تعالى ﴿ جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ﴾ في الليل ﴿ولتبتغوا من فضله ﴾ في النهار بالكسب ﴿ ولعلكم تشكرون ﴾ النعمة فيهما.

٧٤ ﴿ و ﴾ اذكر ﴿ يوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون ﴾ ذكره ثانياً وكرره ليبني عليه⁽²⁾.

٧٥ ﴿ ونزعنا ﴾ أخرجنا ﴿ من كل أمة شهيداً ﴾ وهو نبيهم، يشهد عليهم بما قالوه ﴿ فقلنا ﴾ لهم ﴿ هاتوا برهانكم ﴾ على ما قلتم من الإشراك ﴿ فعلموا أن الحق ﴾ في الإلاهية ﴿ لله ﴾ لا يشاركه فيه أحد ﴿ وضل ﴾ غاب ﴿ عنهم ما كانوا يفترون ﴾⁽³⁾ في الدنيا، من أن معه شريكاً، تعالى عن ذلك علواً كبيراً.

٧٦ ﴿ إن قارون كان من قوم موسى ﴾ ابن عمه وابن خالته، وآمن به ﴿ فبغى عليهم ﴾ بالكبر والعلو وكثرة المال⁽⁴⁾ ﴿ وآتيناه

وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ
فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾
قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ
ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾
قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ
ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ
أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ
لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾
وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾
وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟
أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾ * إِنَّ
قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَٰهُ

---

(1) أي هو وحده المستحق للثناء الجميل المطلق في الدنيا والأخرة، لأنه لا معطي للنعم فيهما سواه.

(2) أي ذكرت هذه الجملة هنا ـ بعد ذكرها بنفسها في الآية [٦٢] ـ ليبنى عليها ما بعدها من قوله ﴿ونزعنا . . ﴾.

(3) يختلقون ويكذبون. (4) وقيل: كان عاملاً لفرعون على بني إسرائيل فظلمهم وبغى عليهم.

فائدة: في التحذير من الظلم.

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «الظلم ظلمات يوم القيامة». [البخاري: المظالم، باب: الظلم ظلمات يوم القيامة، رقم: ٢٣١٥. مسلم: البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظلم، رقم: ٢٥٧٩] [ظلمات: على فاعله في الدنيا، فيحجب عن رحمة الله تعالى ورؤيته يوم القيامة].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ بعث معاذاً إلى اليمن، فقال: «اتق دعوة المظلوم، فإنها ليس بينها وبين الله حجاب»[البخاري: المظالم، باب: الاتقاء والحذر من دعوة المظلوم، رقم: ٢٣١٦. مسلم: الإيمان، باب: الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، رقم: ١٩] [اتق: تجنب الظلم لئلا يدعو عليك مظلوم. حجاب: حاجز يحول دون وصولها واستجابتها].

فائدة: في حمد الله تعالى. عن وراد، كاتب المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، قال: أملى عليّ المغيرة بن شعبة، في كتاب إلى معاوية رضي الله عنه: أن النبي ﷺ كان يقول في دُبُرِ كل صلاة مكتوبة: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير. اللّهم لا مانعَ لما أعطيت، ولا معطي لما منعتَ، ولا ينفع ذا الجد منك الجد). [البخاري: صفة الصلاة، باب: الذكر بعد الصلاة، رقم: ٨٠٨. مسلم: المساجد ومواضع الصلاة، باب: استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته، رقم: ٥٩٣]. [دبر: عقب. مكتوبة: مفروضة. ولا ينفع. . : لا ينفع صاحب الغنى غناه عندك، وإنما ينفعه عمله الصالح].

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (من تعار من الليل فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيءٍ قدير. الحمد لله،وسبحان الله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: اللّهم اغفر لي، أو دعا، استجيب له، فإن توضأ وصلّى قبلت صلاته). [البخاري: التهجد، باب: فضل من تعار من الليل فصلى، رقم: ١١٠٣]. تعار: انتبه وهو يسبّح أو يستغفر أو يذكر الله تعالى بأي ذكر.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ كان إذا قفل من غزو أو حج أو عمرة يكبر على كل شرف من الأرض ثلاث تكبيرات، ثم يقول: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيءٍ قدير. آيبون، تائبون، عابدون، ساجدون، لربنا حامدون،

من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء ﴾ تثقل ﴿ بالعصبة ﴾ الجماعة ﴿ أولي ﴾ أصحاب ﴿ القوة ﴾ أي تثقلهم، فالباء للتعدية[1]، وعدتهم: قيل سبعون، وقيل أربعون، وقيل عشرة، وقيل غير ذلك. اذكر ﴿ إذ قال له قومه ﴾ المؤمنون من بني إسرائيل ﴿ لا تفرح ﴾ بكثرة المال فرح بطر ﴿ إن الله لا يحب الفرحين ﴾ بذلك[2].

٧٧ ﴿ وابتغ ﴾ اطلب ﴿ فيما آتاك الله ﴾ من المال ﴿ الدار الآخرة ﴾ بأن تنفقه في طاعة الله ﴿ ولا تنس ﴾ تترك ﴿ نصيبك من الدنيا ﴾ أي أن تعمل فيها للآخرة[2] ﴿ وأحسن ﴾ للناس بالصدقة ﴿ كما أحسن الله إليك ولا تبغ ﴾ تطلب ﴿ الفساد في الأرض ﴾ بعمل المعاصي ﴿ إن الله لا يحب المفسدين ﴾ بمعنى أنه يعاقبهم.

٧٨ ﴿ قال إنما أوتيته ﴾ أي المال ﴿ على علم عندي ﴾ أي في مقابلته، وكان أعلم بني إسرائيل في التوراة بعد موسى وهارون، قال تعالى: ﴿ أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون ﴾ الأمم ﴿ من هو أشد منه قوة وأكثر جمعاً ﴾ للمال، أي وهو عالم بذلك[3]، ويهلكهم الله ﴿ ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون ﴾ لعلمه تعالى بها، فيدخلون النار بلا حساب.

٧٩ ﴿ فخرج ﴾ قارون ﴿ على قومه في زينته ﴾ بأتباعه الكثيرين، ركباناً، متحلين بملابس الذهب والحرير، على خيول وبغال متحلية ﴿ قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ﴾ للتنبيه ﴿ ليت لنا مثل ما أوتي قارون ﴾ في الدنيا ﴿ إنه لذو حظ ﴾ نصيب ﴿ عظيم ﴾ وافٍ فيها.

٨٠ ﴿ وقال ﴾ لهم ﴿ الذين أوتوا العلم ﴾ بما وعد الله به في الآخرة ﴿ ويلكم ﴾ كلمة زجر ﴿ ثواب الله ﴾ في الآخرة بالجنة ﴿ خير لمن آمن وعمل صالحاً ﴾ مما أوتي قارون في الدنيا ﴿ ولا يلقاها ﴾ أي الجنة المثاب بها[4] ﴿ إلا الصابرون ﴾ على الطاعة وعن المعصية.

٨١ ﴿ فخسفنا به ﴾ بقارون

مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُوْلِى ٱلْقُوَّةِ
إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾
وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ
مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ
ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ
إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ
أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ
جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ
قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا
يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾
وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ
وَعَمِلَ صَٰلِحًا ۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ

---

(١) أي ليتعدى فعل تنوء لمفعوله.

(٢) أي البطرين، الذين لا يشكرون الله تعالى على ما أعطاهم.

(٢) أي لأن حقيقة نصيب الإنسان من الدنيا أن يغتنم فيها ما أولاه الله تعالى من النعم لتكون وسيلة للنجاة يوم القيامة، وذلك ما وجه إلى النبي ﷺ بقوله: (اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سُقْمك، وغناءك قبل فقرك، وفراغك قبل شُغْلك، وحياتك قبل موتك) [أخرجه الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما في أوائل كتاب الرقاق: ٣٠٦/٤].

وقيل: النصيب من الدنيا هو أن يأخذ الإنسان منها ما يكفيه ويصلحه. وقال ابن كثير: أي فما أباح الله فيها من المآكل والمشارب والملابس والمناكح، فإن لربك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، ولزورك عليك حقاً، فآت كل ذي حق حقه.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال لي رسول الله ﷺ: (يا عبد الله، ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل). فقلت: بلى يا رسول الله، قال: (فلا تفعل، صم وأفطر، وقم ونم، فإن لجسدك عليك حقاً، وإن لعينك عليك حقاً، وإن لزوجك عليك حقاً، إن لزورك عليك حقاً. وإنَّ بحسبك أن تصوم كل شهر ثلاثة أيام، فإن لك بكل حسنة عشر أمثالها، فإن ذلك صيام الدهر كله). فَشَدَّدْتُ فَشُدِّدَ عَلَيَّ. قلت: يا رسول الله، إني أجدُ قوةً؟. قال: (فصم صيام نبي الله داود عليه السلام؟. قال: (نصف الدهر) وكان عبد الله يقول بعد ما كبر: يا ليتني قبلت رخصة النبي ﷺ. [البخاري: الصوم، باب: حق الجسم في الصوم. مسلم: الصيام، باب: النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به. .]. [لزورك: لضيفك. بحسبك: كافيك صيام الدهر: يعادله. نصف الدهر: لأنه يصوم يوماً ويفطر يوماً. قبلت رخصة. . : أي فأخذت بالأنفق].

(٣) أي وقارون يعلم أن الله تعالى قد أهلك من هو أشد منه وأقوى وأكثر غنى.

(٤) ولا يوفق إلى العمل بما يوصل إليها إلا من ذكر.

صدق الله وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده). [البخاري: العمرة، باب: ما يقول إذا قفل من سفر الحج وغيره، رقم: ١٧٠٣] [قفل: رجع. شرف: مكان مرتفع. آيبون: راجعون إلى الله تعالى، أو: راجعون إلى الأهل والوطن بعون الله تعالى وتوفيقه. عبده: رسول الله ﷺ. الأحزاب: القبائل التي اجتمعت على قتاله ﷺ يوم الخندق، ويشمل كل الفرق الضالة المعادية للإسلام والمسلمين في كل زمان ومكان]. =

وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن
دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ (٨١) وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ
تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ
لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا
لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ (٨٢) تِلْكَ
ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ
وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (٨٣) مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ
فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟
ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (٨٤) إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ
عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ
بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (٨٥) وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟
أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ

﴿ وبداره الأرض فما كان له من فئة[1] ينصرونه من دون الله ﴾ أي غيره، بأن يمنعوا عنه الهلاك ﴿ وما كان من المنتصرين ﴾ منه.

٨٢ ﴿ وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس ﴾ أي من قريب ﴿ يقولون ويكأن الله يبسط ﴾ يوسع ﴿ الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر ﴾ يضيق على من يشاء، و «وي» اسم فعل بمعنى أعجب، أي أنا، والكاف بمعنى اللام[2] ﴿ لولا أن منَّ الله علينا لخسف بنا ﴾ بالبناء للفاعل والمفعول[3] ﴿ ويكأنه لا يفلح الكافرون ﴾ لنعمة الله، كقارون.

٨٣ ﴿ تلك الدار الآخرة ﴾ الجنة ﴿ نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ﴾ بالبغي[4] ﴿ ولا فساداً ﴾ بعمل المعاصي ﴿ والعاقبة ﴾ المحمودة ﴿ للمتقين ﴾ عقاب الله بعمل الطاعات.

٨٤ ﴿ من جاء بالحسنة فله خير منها ﴾ ثواب بسببها، وهو عشر أمثالها، كما ثبت وصح. ﴿ ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا ﴾ جزاء ﴿ ما كانوا يعملون ﴾ أي مثله.

٨٥ ﴿ إن الذي فرض عليك القرآن ﴾ أنزله[5] ﴿ لرادك إلى معاد ﴾ إلى مكة[6]، وكان قد اشتاقها ﴿ قل ربي أعلم ﴾ بـ ﴿ من جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين ﴾ نزل جواباً لقول كفار مكة له: إنك في ضلال، أي: فهو الجائي بالهدى وهم في الضلال، وأعلم بمعنى عالم.

٨٦ ﴿ وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب ﴾[7] القرآن ﴿ إلا ﴾ لكن ألقي إليك ﴿ رحمة من ربك فلا تكوننّ

---

[1] جماعة. عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: (بينا رجل يجر إزاره إذ خُسف به، فهو يَتَجَلْجَلُ في الأرض إلى يوم القيامة). [البخاري: اللباس، باب: من جر ثوبه من الخيلاء، رقم: ٥٤٥٣] [يجر إزاره: أي قد أطال ثوبه الذي يستر أسافل بدنه من السرة إلى أسفل، فهو يجره على الأرض ترفعاً وتكبراً. خسف به: غارت به الأرض وغيبته فيها. يتجلجل: يتحرك ويضطرب نازلاً].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (بينا رجل فيمن كان قبلكم، خرج في بردين أخضرين يختال فيهما، أمر الله الأرض فأخذته، فإنه ليتجلجل فيها إلى يوم القيامة) [مسند أحمد: ٣/٤٠] قال ابن كثير تفرد به أحمد، وإسناده حسن. [بردين مثنى بُرْد، وهو ثوب مخطط].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (بينا رجل فيمن كان قبلكم خرج في بردين فاختال فيهما، فأمر الله الأرض فأخذته، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة) [أخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده].

[2] والمعنى: أعجب لأن الله تعالى يبسط.. وقال النسفي: قال سيبويه: وَيْ كلمة تنبيه على الخطأ وتندم، يستعملها النادم بإظهار ندامته، يعني أن القوم قد تنبهوا على خطئهم في تمنيهم وقولهم: يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون، وتندموا.

[3] أي ﴿لَخَسَفَ﴾ و ﴿لَخُسِفَ﴾.

[4] الظلم والكبر والتعالي على خلق الله تعالى.

[5] وأوجب عليك تبليغه للناس والعمل به.

[6] ظافراً فاتحاً، ومعاد الإنسان بلده، لأنه كلما خرج منه عاد إليه. عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿لرادك إلى معاد﴾ قال: إلى مكة. [البخاري: التفسير، باب: ﴿إن الذي فرض عليك القرآن﴾ رقم: ٤٤٩٥].

وقيل: المراد بالمعاد البعث يوم القيامة بعد الموت.

[7] لم يكن ليخطر على بالك أن يوحى إليك.

فائدة: أخرج ابن جرير عن علي رضي الله عنه قال: إن الرجل ليعجبه من شراك نعله أن يكون أجود من شراك صاحبه، فيدخل في قوله: ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها

=وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (من قال: لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير. في يوم مائة مرة، كانت له عَدْلَ عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك، حتى=

سبب نزول الآية [٨٥]: أخرج ابن أبي حاتم، عن الضحاك قال: لما خرج النبيّ ﷺ من مكة فبلغ الجحفة اشتاق إلى مكة، فأنزل الله: ﴿إنّ الذي فرض عليك القرآن لرادّك إلى معاد﴾. [السيوطي] الجحفة: موضع بين مكة والمدينة، وهو إلى مكة أقرب، اسمه الآن: رابغ.

ظهيراً ﴾ معيناً ﴿ للكافرين ﴾ على دينهم الذي دعوك إليه.

٨٧ ﴿ ولا يصدنك ﴾ أصله يصدونَّنك، حذفت نون الرفع للجازم، والواو الفاعل لالتقائها مع النون الساكنة(١) ﴿ عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليك ﴾ أي لا ترجع إليهم في ذلك(٢) ﴿ وادع ﴾ الناس ﴿ إلى ربك ﴾ بتوحيده وعبادته ﴿ ولا تكونن من المشركين ﴾ بإعانتهم(٣)، ولم يؤثر الجازم في الفعل لبنائه(٤).

٨٨ ﴿ ولا تدع ﴾ تعبد ﴿ مع الله إلهاً آخر لا إله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه ﴾ إلا إياه(٥) ﴿ له الحكم ﴾ القضاء النافذ ﴿ وإليه ترجعون ﴾ بالنشور من قبوركم.

(سورة العنكبوت)

(مكية إلا من آية ١ لغاية آية ١٣ فمدنية، وآياتها ٦٩)

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿ الٓم ﴾ الله أعلم بمراده بذلك(٦). ٢ ﴿ أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا ﴾ أي بقولهم ﴿ آمنا وهم لا يفتنون ﴾ يختبرون بما يتبين به حقيقة إيمانهم؟ نزل في جماعة آمنوا فآذاهم المشركون.

٣ ﴿ ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا ﴾ في إيمانهم علمَ مشاهدة(٧) ﴿ وليعلمن الكاذبين ﴾ فيه.

ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ (٨٦) وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ
بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ
ٱلْمُشْرِكِينَ (٨٧) وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا
هُوَ ۚ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ
تُرْجَعُونَ (٨٨)

(٢٩) سُورَةُ العَنكَبُوتِ مَكِّيَّة وَآيَاتُهَا تِسْعٌ وَسِتُّونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ (١) أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا
وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ
فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ (٣)

للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتّقين﴾. قال ابن كثير: وهذا محمول على ما إذا أراد الفخر على غيره، فإن ذلك مذموم، كما ثبت في الصحيح، عن النبي ﷺ: (أنه أوحي إلي أن تواضعوا، حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد). وأما إذا أحب ذلك لمجرد التجمل فهذا لا بأس به، فقد ثبت أن رجلاً قال: يا رسول الله: إني أحب أن يكون ردائي حسناً ونعلي حسنة، أفمن الكبر ذلك؟ فقال: (لا، إن الله جميل يحب الجمال). [الحديثان في مسلم: كتاب الجنة، باب: الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، رقم: ٢٨٦٥. الإيمان، باب: تحريم الكبر وبيانه، رقم: ٩١] شراك: سير النعل.

(١) أي أصل يصدُنّك يصدُونَنّك، فحذفت النون الأولى - التي هي نون الرفع في الأفعال الخمسة - لوجود الجازم وهو [لا] الناهية، فصارت: يصدُونَك، فحذفت الواو - التي هي ضمير الفاعل - لالتقائها مع النون الساكنة من نون التوكيد الثقيلة، فصارت: يصدُنّك، وحذفت الواو - ولم تحذف النون الساكنة - لدلالة الضمة على الدال على الواو، ولعدم وجود ما يدل على النون المحذوفة، بل لو حذفت لصارت الكلمة: يصدُونَك، فتلتبس نون التوكيد بنون الرفع، ويظن أن الفعل مرفوع وليس بمجزوم. ..

(٢) في ذلك: أي في صدهم، والمعنى: لا تلتفت إلى هؤلاء ولا تركن إلى أقوالهم فيصدوك عن اتباع آيات الله تعالى بعد وقت نزولها إليك.

(٣) فإن إعانة القوم عنوان الرضا عنهم والموافقة لهم، والله أعلم.

(٤) أي لم يظهر أثر لا الناهية في الفعل «تكون» لفظاً، لأنه مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد، وإن كان في محل جزم. _(٥) أي فالمراد بوجهه ذاته سبحانه، فإن الوجه يعبر به عن الذات، والله تعالى أعلم. (٦) انظر/البقرة:١/.

(٧) أي ليظهر للناس ما في علمه حتى يشاهدوه.

يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به، إلا أحد عمل أكثر من ذلك). [البخاري: بدء الخلق، باب: صفة إبليس وجنوده، رقم: ٣١١٩. مسلم: الذكر والدعاء والتوبة، باب: فضل التهليل والتسبيح والدعاء، رقم: ٢٦٩١]. [عدل: مثل. رقاب: جمع رقبة، وهي إنسان مملوك، والمراد مثل ثواب عتقهم].

سبب نزول الآيات [١ - ٢]: عن الشعبي قال: أنزلت في أناس كانوا بمكة قد أقرّوا بالإسلام، فكتب إليهم أصحاب رسول الله ﷺ من المدينة: أنه لا يقبل منكم حتى تهاجروا، فخرجوا عامدين إلى المدينة، فتبعهم المشركون فردّوهم، فنزلت هذه الآية، فكتبوا إليهم: أنه قد نزل فيكم كذا وكذا، فقالوا: نخرج فإن اتبعنا أحد قاتلناه، فخرجوا فاتّبعهم المشركون فقاتلوهم، فمنهم من قتل ومنهم من نجا، فأنزل الله فيهم: ﴿ثم إنّ ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا﴾ الآية [النحل: ١١٠]. [السيوطي، الواحدي].=

٤ ﴿ أم حسب الذين يعملون السيئات ﴾ الشرك والمعاصي ﴿ أن يسبقونا ﴾ يفوتونا فلا ننتقم منهم ﴿ ساء ﴾ بئس ﴿ ما ﴾ الذي ﴿ يحكمون ﴾ ـه حكمهم هذا.

٥ ﴿ من كان يرجو ﴾ يخاف ﴿ لقاء الله فإن أجل الله ﴾ به[1] ﴿ لآت ﴾ فليستعد له ﴿ وهو السميع ﴾ لأقوال العباد ﴿ العليم ﴾ بأفعالهم.

٦ ﴿ ومن جاهد ﴾ جهاد حرب أو نفس ﴿ فإنما يجاهد لنفسه ﴾ فإن منفعة جهاده له لا لله ﴿ إن الله لغني عن العالمين ﴾ الإنس والجن والملائكة، وعن عبادتهم.

٧ ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ﴾ بعمل الصالحات ﴿ ولنجزينهم أحسن ﴾ بمعنى حسن[2]، ونصبه بنزع الخافض الباء[3] ﴿ الذي كانوا يعملون ﴾ وهو الصالحات.

٨ ﴿ ووصينا الإنسان بوالديه حسناً ﴾ أي إيصاء ذا حسن، بأن يبرهما ﴿ وإن جاهداك[4] لتشرك بي ما ليس لك به ﴾ بإشراكه ﴿ علم ﴾ موافقة للواقع، فلا مفهوم له[5] ﴿ فلا تطعهما ﴾ في الإشراك ﴿ إليّ مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون ﴾ فأجازيكم به.

٩ ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين ﴾ الأنبياء والأولياء والشهداء والأتقياء، بأن نحشرهم معهم.

١٠ ﴿ ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذي في الله[6] جعل فتنة الناس ﴾ أي أذاهم له ﴿ كعذاب الله ﴾ في الخوف منه، فيطيعهم، فينافق ﴿ ولئن ﴾ لام قسم ﴿ جاء نصر ﴾ للمؤمنين ﴿ من ربك ﴾ فغنموا ﴿ ليقولن ﴾[7] حذفت منه نون الرفع لتوالي النونات، والواو ضمير الجمع لالتقاء الساكنين ﴿ إنا كنا معكم ﴾ في الإيمان، فأشركونا في الغنيمة. قال سبحانه وتعالى: ﴿ أو ليس

أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسۡبِقُونَاۚ سَآءَ
مَا يَحۡكُمُونَ ﴿٤﴾ مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ
لَأٓتٖۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ
لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ
أَحۡسَنَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٧﴾ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ
بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنٗاۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ
عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَآۚ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ
تَعۡمَلُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدۡخِلَنَّهُمۡ
فِي ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٩﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ
فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِۖ وَلَئِن
جَآءَ نَصۡرٞ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمۡۚ أَوَلَيۡسَ

---

[1] ما وعد به من الثواب والعقاب يوم القيامة.

[2] أي يجازون على الأعمال الحسنة مطلقاً، لا على أحسنها فحسب. أو المراد: أنهم يجازون بما هو أحسن من أعمالهم، وهو الثواب المضاعف.

[3] أي حذف حرف الجر، فالأصل: ولنجزينهم بأحسن، فحذف حرف الجر وانتصب المجرور.

[4] حملاك وحاولا إكراهك.

[5] أي لا يفهم من قوله «ما ليس لك به علم» أن هناك إلهاً غير الله تعالى يكون للإنسان به علم، وإنما ذكر هذا القيد لموافقة الواقع والحقيقة وهي: أن الإله واحد ولا علم لأحد بشريك له سبحانه، لأنه لا وجود له.

[6] أصابه أذى من الناس بسبب إظهار إيمانه بالله تعالى.

[7] أصله: ليقولُونَنَّ، حذفت نون الرفع - وهي الأولى - لتوالي النونات، فصارت الكلمة: ليقولُونّ، فحذفت واو الجمع - التي هي ضمير الفاعل - لالتقاء الساكنين الواو والنون فصارت ليقولُنّ، وحذفت الواو ولم تحذف النون لدلالة الضمة عليها.

=وعن قتادة قال: أنزلت: ﴿ الٓمٓ. أحسب الناس ﴾ في أناس من أهل مكة خرجوا يريدون النبيّ ﷺ، فعرض لهم المشركون فرجعوا، فكتب إليهم إخوانهم بما نزل فيهم فخرجوا، فقتل من قتل وخلص من خلص، فنزل القرآن: ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا ﴾ الآية. [العنكبوت: ٦٩] [السيوطي].

وأخرج ابن سعد عن ابن عمير قال: نزلت في عمار بن ياسر إذ كان يعذّب في الله: ﴿ أحسب الناس ﴾ الآية.

وقال الواحدي قال مقاتل: نزلت في مهجع مولى عمر بن الخطاب، كان أول قتيل من المسلمين يوم بدر، رماه عمرو بن الحضرمي بسهمه فقتله، فقال النبي ﷺ: (سيد الشهداء مهجع، وهو أول من يدعى إلى باب الجنة من هذه الأمة). فجزع عليه أبواه وامرأته، فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية، وأخبر أنه لا بد لهم من البلاء والمشقة في ذات الله تعالى.

سبب نزول الآية [٨، ١٠]: أخرج الواحدي بسنده: عن سعد بن أبي وقاص، رضي الله عنه أنه قال: نزلت هذه الآية فيّ، قال: حلفت أم سعد لا تكلم أبداً حتى يكفر بدينه، ولا تأكل ولا تشرب، ومكثت ثلاثة أيام حتى غشي عليها من الجهد، فأنزل الله تعالى: ﴿ ووصينا الإنسان بوالديه حسناً ﴾. =

الله بأعلم ﴾ أي بعالم ﴿ بما في صدور العالمين ﴾ قلوبهم، من الإيمان والنفاق؟ بلى.

١١ ﴿ وليعلمن الله الذين آمنوا ﴾[1] بقلوبهم ﴿ وليعلمن المنافقين ﴾ فيجازي الفريقين، واللام في الفعلين لام قسم.

١٢ ﴿ وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ﴾ ديننا ﴿ ولنحمل خطاياكم ﴾[2] في اتباعنا إن كانت، والأمر بمعنى الخبر[3]، قال تعالى: ﴿ وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء إنهم لكاذبون ﴾ في ذلك وفي غيره.

١٣ ﴿ وليحملن أثقالهم ﴾ أوزارهم ﴿ وأثقالاً مع أثقالهم ﴾ بقولهم للمؤمنين: اتبعوا سبيلنا، وإضلالهم مقلديهم ﴿ وليسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون ﴾ يكذبون على الله، سؤال توبيخ. واللام في الفعلين لام قسم، وحذف فاعلهما الواو ونون الرفع[4].

١٤ ﴿ ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه ﴾ وعمره أربعون سنة أو أكثر ﴿ فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً ﴾ يدعوهم إلى توحيد الله، فكذبوه ﴿ فأخذهم الطوفان ﴾ الماء الكثير، طاف بهم وعلاهم فغرقوا ﴿ وهم ظالمون ﴾ مشركون.

١٥ ﴿ فأنجيناه ﴾ أي نوحاً ﴿ وأصحاب السفينة ﴾ الذين كانوا معه فيها ﴿ وجعلناها آية ﴾ عبرة ﴿ للعالمين ﴾ لمن بعدهم من الناس إن عصوا رسلهم، وعاش نوح بعد الطوفان ستين سنة أو أكثر حتى كثر الناس.

ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ
ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلۡنَحۡمِلۡ خَطَٰيَٰكُمۡ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ
مِنۡ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيۡءٍۖ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحۡمِلُنَّ
أَثۡقَالَهُمۡ وَأَثۡقَالٗا مَّعَ أَثۡقَالِهِمۡۖ وَلَيُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَمَّا
كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ
فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ
ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَصۡحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلۡنَٰهَآ ءَايَةٗ
لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾ وَإِبۡرَٰهِيمَ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُۖ
ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعۡبُدُونَ
مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًاۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ
مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقٗا فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ

١٦ ﴿ و ﴾ اذكر ﴿ إبراهيم إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ﴾ خافوا عقابه ﴿ ذلكم خير لكم ﴾ مما أنتم عليه من عبادة الأصنام ﴿ إن كنتم تعلمون ﴾ الخير من غيره.

١٧ ﴿ إنما تعبدون من دون الله ﴾ أي غيره ﴿ أوثاناً[5] وتخلقون إفكاً ﴾ تقولون كذباً: إن الأوثان شركاء الله ﴿ إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقاً ﴾ لا يقدرون أن يرزقوكم ﴿ فابتغوا عند الله

---

(١) أي يظهر ما في علمه للناس حتى تقوم عليهم الحجة.

(٢) أوزاركم وآثامكم.

(٣) أي: إن اتبعتم سبيلنا حملنا خطاياكم.

(٤) الفعلان هما: ﴿ليحملن﴾ و﴿ليسألن﴾ وأجري عليهما ما أجري على ﴿ليقولن﴾ في الآية [١٠].

(٥) أصناماً تصنعونها بأيديكم من حجارة وغيرها، وتسمونها آلهة. جمع وثن.

فائدة: في التحذير من احتمال إثم غيره.

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً. ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً). [مسلم: العلم، باب: من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة، رقم: ٢٦٧٤].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تقتل نفس ظلماً إلاّ كان على ابن آدم الأول كفل من دمها، لأنه أول من سن القتل). [البخاري: الأنبياء، باب: قول الله تعالى: ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة﴾ [البقرة: ٣٠] رقم: ٣١٥٧. مسلم: القسامة، باب: بيان إثم من سن القتل، رقم: ١٦٧٧]. [كفل: جزء ونصيب من إثم قتلها. سن القتل: ابتدعه وأحدثه على وجه الأرض ولم يسبق إليه].

وأخرج ابن أبي حاتم بسنده عن أبي أمامة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ بلغ ما أرسل به، ثم قال: (إياكم والظلم، فإن الله يعزم يوم القيامة فيقول: وعزتي وجلالي لا يجوزني اليوم ظلم، ثم ينادي منادٍ فيقول: أين فلان بن فلان؟ فيأتي يتبعه من الحسنات أمثال الجبال، فيشخص الناس إليها أبصارهم حتى يقوم بين يدي الرحمٰن عزّ وجلّ، ثم يأمر المنادي فينادي: من كانت له تباعة أو ظلامة عند فلان بن فلان فهلُمَّ. فيقبلون حتى يجتمعوا قياماً بين يدي الرحمٰن، فيقول الرحمٰن: اقضوا عن عبدي. فيقولون: كيف نقضي عنه؟ فيقول خذوا لهم من حسناته. فلا يزالون يأخذون عنها حتى لا يبقى منها حسنة، وقد بقي من أصحاب الظلامات، فيقول: اقضوا عن عبدي. فيقولون: لم يبق له حسنة. فيقول: خذوا من سيئاتهم فاحملوها عليه). ثم نزع النبي ﷺ بهذه الآية الكريمة: ﴿وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم وليسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون﴾ [ابن كثير] نزع: استشهد.

=وأخرج أيضاً بسنده عنه ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: أنزلت فيّ هذه الآية: ﴿ وإنْ جاهدَاكَ لتُشْرِكَ بي ما لَيْسَ لك بِهِ عِلْمٌ فلا تُطِعْهُما﴾ قال: كنت رجلاً براً بأمي، فلما أسلمت قالت: يا سعد، ما هذا الدين الذي قد أحدثت؟ لتدعن دينك هذا أو لا آكل ولا أشرب حتى أموت، فتعير بي، فيقال: يا قاتل أمه. قلت: لا تفعلي يا أمه، فإني لا أدع ديني هذا لشيء. قال: فمكثت يوماً لا تأكل، فأصبحت قد جهدت، قال: فمكثت يوماً آخر وليلة لا=

الرزق ﴾ اطلبوه منه ﴿ واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون ﴾.

١٨ ﴿ وإن تكذبوا ﴾ أي تكذبوني يا أهل مكة ﴿ فقد كذب أمم من قبلكم ﴾ من قبلي ﴿ وما على الرسول إلا البلاغ ﴾ الإبلاغ ﴿ المبين ﴾ البين(١). في هاتين القصتين تسلية للنبي ﷺ(٢). وقال تعالى في قومه:

١٩ ﴿ أو لم يروا ﴾ بالياء والتاء، ينظروا ﴿ كيف يبدىء الله الخلق ﴾ هو بضم أوله، وقرىء بفتحه(٣)، من بدأ وأبدأ بمعنى(٤)، أي يخلقهم ابتداءً ﴿ ثم ﴾ هو ﴿ يعيده ﴾ أي الخلق، كما بدأهم ﴿ إن ذلك ﴾ المذكور من الخلق الأول والثاني ﴿ على الله يسير ﴾ فكيف ينكرون الثاني؟.

٢٠ ﴿ قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ﴾ لمن كان قبلكم وأماتهم ﴿ ثم الله ينشىء النشأة الآخرة ﴾ مداً(٥)، وقصراً مع سكون الشين(٦) ﴿ إن الله على كل شيءٍ قدير ﴾ ومنه البدء والإعادة.

٢١ ﴿ يعذب من يشاء ﴾ تعذيبه ﴿ ويرحم من يشاء ﴾ رحمته ﴿ وإليه تقلبون ﴾ تردون.

٢٢ ﴿ وما أنتم بمعجزين ﴾ ربكم عن إدراككم ﴿ في الأرض ولا في السماء ﴾ لو كنتم فيها، أي لا تفوتونه(٧) ﴿ وما لكم من دون الله ﴾ غيره ﴿ من ولي ﴾ يمنعكم منه ﴿ ولا نصير ﴾ ينصركم من عذابه.

٢٣ ﴿ والذين كفروا بآيات الله ولقائه ﴾ أي القرآن والبعث ﴿ أولئك يئسوا من رحمتي ﴾ جنتي ﴿ وأولئك لهم عذاب أليم ﴾ مؤلم.

٢٤ قال تعالى في قصة إبراهيم عليه السلام: ﴿ فما كان جواب قومه إلا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه فأنجاه الله من النار ﴾ التي قذفوه فيها، بأن جعلها عليه برداً وسلاماً(٨) ﴿ إن في ذلك ﴾ إنجائه منها ﴿ لآيات ﴾(٩) هي: عدم تأثيرها فيه مع عظمها، وإخمادها وإنشاء روض مكانها في زمن يسير ﴿ لقوم يؤمنون ﴾ يصدقون بتوحيد الله وبرسالته وقدرته، لأنهم المنتفعون بها.

ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن
تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا
ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ
ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا۟
فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ
ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ
وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ
فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ
وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ
أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾
فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ
ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾

---

(١) الواضح. (٢) أي قصة نوح وقصة إبراهيم عليهما السلام، فله ﷺ فيهما أسوة حسنة.

(٣) أي ﴿يَبْدأ﴾ وهي قراءة شاذة. (٤) أي قراءة الفتح من بدأ، وقراءة الضم من أبدأ، والمعنى واحد.

(٥) أي: ﴿النَّشَاءَةَ﴾. (٦) أي ﴿النَّشْأَة﴾ وهما قراءتان متواترتان.

(٧) ولا تفلتون من عذابه. (٨) انظر/ الأنبياء: ٦٩/.

(٩) لعبر وعظات لقومه، ودلائل على صدقه.

فائدة: يقول ابن كثير في تفسير الآية [٢٠ وما بعدها]: يقول تعالى مخبراً عن الخليل - عليه السلام - أنه أرشدهم إلى إثبات المعاد الذي ينكرونه بما يشاهدونه في أنفسهم من خلق الله إياهم، بعد أن لم يكونوا شيئاً، ثم وُجدوا وصاروا أناساً سامعين مبصرين، فالذي بدأ هذا قادر على إعادته، فإنه سهل عليه، يسير لديه. ثم أرشدهم إلى الاعتبار بما في الآفاق من الآيات المشاهدة من خلق الله الأشياء: السماوات وما فيها من الكواكب النيرة الثوابت والسيارات، والأرضين وما فيها من مهاد وجبال وأودية وبراري وقفار، وأشجار وأنهار، وثمار وبحار، كل ذلك دال على حدوثها في أنفسها، وعلى وجود صانعها الفاعل المختار، الذي يقول

=تأكل، فاصبحت وقد اشتد جهدها، قال: فلمارأيت ذلك قلت: تعلمين والله يا أمه، لو كانت لك مائة نفس، فخرجت نفساً نفساً، ما تركت ديني هذا لشيء، إن شئت فكلي وإن شئت فلا تأكلي. فلما رات ذلك أكلت، فأنزلت هذه الآية: ﴿وإن جاهداك﴾ الآية.

[انظر: مسلم: فضائل الصحاب، باب: في فضل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه-الترمذي: التفسير، باب: ومن سورة العنكبوت]. غشي عليها. . : أغمي عليها من المشقة التي أصابتها.

سبب نزول الآية [١٠]: قال الواحدي: قال مجاهد: نزلت في أناس كانوا يؤمنون بألسنتهم، فإذا أصابهم بلاء من الله ومصيبة في أنفسهم افتتنوا.

وقال الضحاك: نزلت في أناس من المنافقين بمكة، كانوا يؤمنون، فإذا أوذوا رجعوا إلى الشرك.

وقال عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت في المؤمنين الذين أخرجهم المشركون عن الدين، فارتدوا،وهم الذين نزلت فيهم: ﴿إنّ الذينَ تَوَفَّاهُمُ الملائكةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ الآية [النساء: ٩٧].

٢٥ ﴿ وقال ﴾ إبراهيم ﴿ إنما اتخذتم من دون الله أوثاناً ﴾ تعبدونها، وما مصدرية⁽¹⁾ ﴿ مودةُ بينكم ﴾ خبر إنَّ، وعلى قراءة النصب مفعول له وما كافة⁽²⁾، المعنى تواددتم على عبادتها ﴿ في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ﴾ يتبرأ القادة من الأتباع ﴿ ويلعن بعضكم بعضاً ﴾ يلعن الأتباع القادة⁽³⁾ ﴿ ومأواكم ﴾ مصيركم جميعاً ﴿ النار وما لكم من ناصرين ﴾ أي مانعين منها.

٢٦ ﴿ فآمن له ﴾ صدق بإبراهيم ﴿ لوط ﴾ وهو ابن أخيه هاران ﴿ وقال ﴾ إبراهيم ﴿ إني مهاجر ﴾ من قومي ﴿ إلى ربي ﴾ أي إلى حيث أمرني ربي، وهجر قومه، وهاجر من سواد العراق إلى الشام ﴿ إنه هو العزيز ﴾ في ملكه ﴿ الحكيم ﴾ في صنعه.

٢٧ ﴿ ووهبنا له ﴾ بعد إسماعيل ﴿ إسحاق ويعقوب ﴾ بعد إسحاق⁽⁴⁾ ﴿ وجعلنا في ذريته النبوة ﴾ فكل الأنبياء بعد إبراهيم من ذريته ﴿ والكتاب ﴾ بمعنى الكتب، أي التوراة والإنجيل والزبور والفرقان⁽⁵⁾ وما بينها من الصحف ﴿ وآتيناه أجره في الدنيا ﴾ وهو الثناء الحسن في كل أهل الأديان ﴿ وإنه في الآخرة لمن الصالحين ﴾⁽⁶⁾ الذين لهم الدرجات العلى.

٢٨ ﴿ و ﴾ اذكر ﴿ لوطاً إذ قال لقومه ءإنكم ﴾ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين في الموضعين⁽⁷⁾ ﴿ لتأتون الفاحشة ﴾⁽⁸⁾ أي أدبار الرجال ﴿ ما سبقكم بها من أحد من العالمين ﴾ الإنس والجن.

٢٩ ﴿ ءإنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل ﴾ طريق المارة، بفعلكم الفاحشة بمن يمر بكم، فترك الناس الممر بكم ﴿ وتأتون في ناديكم ﴾ متحدثكم⁽⁹⁾ ﴿ المنكر ﴾ فعل الفاحشة بعضكم ببعض ﴿ فما كان جواب قومه إلا أن قالوا ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين ﴾ في استقباح ذلك، وأن العذاب نازل بفاعليه.

٣٠ ﴿ قال رب انصرني ﴾ بتحقيق قولي في إنزال

وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا مَّوَدَّةَ بَيۡنِكُمۡ
فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُ بَعۡضُكُم بِبَعۡضٖ
وَيَلۡعَنُ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن
نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾ * فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ
إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ
وَيَعۡقُوبَ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَ وَءَاتَيۡنَٰهُ
أَجۡرَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾
وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ إِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم
بِهَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ
وَتَقۡطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأۡتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلۡمُنكَرَۖ فَمَا كَانَ
جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئۡتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن
كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي عَلَى ٱلۡقَوۡمِ

للشيء: كن فيكون. [مهاد: جمع مهد، وهو ماانخفض من الأرض في سهولة واستواء. قفار: جمع قَفْر، وهي الصحراء التي لا نبات فيها].

وقال: هو ـ سبحانه ـ الحاكم المتصرف، الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا معقب لحكمه، ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون، فله الخلق والأمر، مهما فعل فعَدْلٌ، لأنه المالك الذي لا يظلم مثقال ذرة، كما جاء في الحديث الذي رواه أهل السنن: «إن الله لو عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم». [أبو داود: السنة، باب: في القدر. ابن ماجه: المقدمة، باب: في القدر. مسند أحمد: ٥/ ١٨٢].

(١) تسبك ما بعدها بمصدر، والتقدير: إن اتخاذكم...

(٢) في قوله تعالى: ﴿ مودة بينكم ﴾ ثلاث قراءات متواترة: الأولى: ﴿مودةُ بينِكم﴾ برفع ﴿مودة﴾ على أنه خبر إنّ في قوله ﴿إنما اتخذتم﴾ فما اسمها بمعنى الذي، ومودة خبرها، وهي مضافة، ولفظ بين من ﴿بينكم﴾ مجرور بالإضافة. والثانية: ﴿مودةَ بينِكم﴾ بنصب ﴿مودة﴾ من غير تنوين، على أنها مفعول لأجله، وجر ﴿بينكم﴾ على الإضافة. والثالثة: ﴿مودةً بينَكم﴾ بنصب ﴿مودة﴾ مع التنوين، وهو مفعول لأجله كذلك، ونصب ﴿بينكم﴾ على أنه ظرف. وعلى قراءتي النصب لمودة تكون إنّ في قوله ﴿إنما اتخذتم﴾ مكفوفة عن عملها بلفظ ما التي جاءت بعدها.

(٣) كما جاء في سورة الأحزاب [٦٧، ٦٨]: ﴿ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيل. ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً ﴾.

(٤) أي وهبنا له إسحاق ولداً، ويعقوب ولد ولد.

(٥) القرآن، والزبور هو اسم لما نزل على داود عليه السلام.

(٦) الكاملين في الصلاح.

(٧) هنا وفي أول الآية بعدها.

(٨) الفعلة القبيحة.

(٩) المكان الذي تجتمعون فيه وتتحدثون. عن أم هانىء رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿وتأتون في ناديكم المنكر﴾ قال: (يحذفون أهل الطريق، ويسخرون منهم، وذلك المنكر الذي كانوا يأتونه). [مسند أحمد: ٦/ ٣٤١] يحذفون: يرمون بالحصى من بين أصابعهم.

العذاب ﴿على القوم المفسدين﴾ العاصين الخارجين عن الناس بإتيان الرجال في أدبارهم، فاستجاب الله دعاءه.

٣١ ﴿ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى﴾ بإسحاق ويعقوب بعده ﴿قالوا إنا مهلكوا أهل هذه القرية﴾ قرية لوط عليه السلام ﴿إن أهلها كانوا ظالمين﴾ كافرين فاسقين.

٣٢ ﴿قال﴾ إبراهيم ﴿إن فيها لوطاً قالوا﴾ الرسل ﴿نحن أعلم بمن فيها لننجينه﴾ بالتخفيف والتشديد(١) ﴿وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين﴾ الباقين في العذاب(٢).

٣٣ ﴿ولما أن جاءت رسلنا لوطاً سيء بهم﴾ حزن بسببهم ﴿وضاق بهم ذرعاً﴾ صدراً، لأنهم حسان الوجوه في صورة أضياف، فخاف عليهم قومه، فأعلموه أنهم رسل ربه ﴿وقالوا لا تخف ولا تحزن إنا منَجُّوك﴾ بالتشديد والتخفيف(٣) ﴿وأهلك إلا امرأتك كانت من الغابرين﴾ ونصب أهلك عطف على محل الكاف(٤).

٣٤ ﴿إنا مُنْزِلون﴾ بالتخفيف والتشديد(٥) ﴿على أهل هذه القرية رجزاً﴾ عذاباً ﴿من السماء بما﴾ بالفعل الذي ﴿كانوا يفسقون﴾ به، أي بسبب فسقهم.

٥٢٥ (سـورة العنكبوت)

ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ
قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟
ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ
لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾
وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا
وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ
كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ
رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَا
مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ
شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ
وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ
ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا۟

٣٥ ﴿ولقد تركنا منها آية بينة﴾ ظاهرة، هي آثار خرابها ﴿لقوم يعقلون﴾ يتدبرون فيما يؤول إليه أمرهم.

٣٦ ﴿و﴾ أرسلنا ﴿إلى مدين أخاهم(٦) شعيباً فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر﴾ اخشوه، هو يوم القيامة ﴿ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ حال مؤكدة لعاملها(٧)، من عثِي - بكسر المثلثة - أي أفسد.

٣٧ ﴿فكذبوه فأخذتهم الرجفة﴾ الزلزلة الشديدة ﴿فأصبحوا في دارهم جاثمين﴾ باركين على الركب ميتين.

٣٨ ﴿و﴾ أهلكنا ﴿عاداً وثموداً﴾ بالصرف وتركه، بمعنى الحي والقبيلة(٨)

---

(١) أي ﴿لَنُنْجِيَنَّه﴾ و﴿لَنُنَجِّيَنَّه﴾ وهما قراءتان متواترتان.

(٢) لأنها كانت توافق القوم على فعلهم الفاحشة، وتدلهم على الأضياف، فاستحقت العقاب مثلهم. وهكذا فمن دل على خير كان له مثل أجر فاعله، ومن دل على شر أو رضي به كان عليه مثل عقاب من باشره. قال عليه الصلاة والسلام: (من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً. ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً) [أخرجه مسلم في العلم، باب: من سن سنة حسنة أو سيئة، ومن دعا إلى هدى أو ضلالة، رقم: ٢٦٧٤].

(٣) ﴿مُنْجُوكَ﴾. (٤) في منجوك. (٥) ﴿مُنَزِّلون﴾.

(٦) واحداً منهم. (٧) الذي هو ﴿تعثوا﴾ لأنها بمعناه.

(٨) فعلى معنى الحي يصرفان، وعلى معنى القبيلة يمنعان من الصرف للعلمية والتأنيث.

فائدة: عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: لقد رأيتنا وما صاحب الدينار والدرهم بأحق به من أخيه المسلم، ثم لقد رأيتنا بآخرة الآن والدينار والدرهم أحب إلى أحدنا من أخيه المسلم، ولقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لئن اتبعتم أذناب البقر، وتبايعتم بالعِينَةِ، وتركتم الجهاد في سبيل الله، ليلزمنكم الله مذلة في أعناقكم، لا تنزع منكم حتى ترجعوا إلى ما كنتم عليه، وتتوبوا إلى الله تعالى). وسمعت رسول الله ﷺ يقول: (لتكونن هجرة بعد هجرة إلى مهاجر أبيكم إبراهيم، حتى لا يبقى في الأرض إلا شرار أهلها، وتلفظهم أرضوهم، وتقذرهم روح الرحمن، وتحشرهم النار مع القردة والخنازير، تَقِيل معهم حيث قالوا، وتبيت معهم حيث يبيتون، وما سقط منهم فلها). ولقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: (يخرج قوم من أمتي يسيئون الأعمال، يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم،، يحقر أحدكم عمله مع عملهم، يقتلون أهل الإسلام. فإذا خرجوا فاقتلوهم، ثم إذا خرجوا فاقتلوهم ثم إذا خرجوا فاقتلوهم. فطوبى لمن قتلهم، وطوبى لمن قتلوه، كلما طلع منهم قرن قتله الله) فردد ذلك رسول الله ﷺ عشرين مرة أو أكثر وأنا أسمع. [مسند أحمد: ٢/٨٤] [بالعينة: هي أن يبيع سلعة بثمن إلى أجل، ثم يشتريها نقداً بأقل مما باعها به، فيحتال بذلك لأخذ الربا. مهاجر إبراهيم: وهي بلاد الشام. تقذرهم روح الرحمن: أي يكره الله تعالى خروجهم إلى الشام ومقامهم بها، فلا يوفقهم لذلك. والمراد بروح الرحمن ذاته. تقيل: من القيلولة وهي النوم وسط النهار للاستراحة. يحقر: يستقله].

﴿ وقد تبين لكم ﴾ إهلاكهم ﴿ من مساكنهم ﴾ بالحجر واليمن ﴿ وزين لهم الشيطان أعمالهم ﴾ من الكفر والمعاصي ﴿ فصدهم عن السبيل ﴾ سبيل الحق⁽¹⁾ ﴿ وكانوا مستبصرين ﴾ ذوي بصائر⁽²⁾

٣٩ ﴿ و ﴾ أهلكنا ﴿ قارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم ﴾ من قبل ﴿ موسى بالبينات ﴾ الحجج الظاهرات ﴿ فاستكبروا في الأرض وما كانوا سابقين ﴾ فائتين عذابنا⁽³⁾.

٤٠ ﴿ فكلاً ﴾ من المذكورين ﴿ أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً ﴾ ريحاً عاصفة فيها حصباء⁽⁴⁾، كقوم لوط ﴿ ومنهم من أخذته الصيحة ﴾ كثمود ﴿ ومنهم من خسفنا به الأرض ﴾ كقارون ﴿ ومنهم من أغرقنا ﴾ كقوم نوح وفرعون وقومه ﴿ وما كان الله ليظلمهم ﴾ فيعذبهم بغير ذنب ﴿ ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ بارتكاب الذنب.

٤١ ﴿ مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء ﴾ أصناماً يرجون نفعها ﴿ كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً ﴾ لنفسها تأوي إليه ﴿ وإن أوهن ﴾ أضعف ﴿ البيوت لبيت العنكبوت ﴾ لا يدفع عنها حراً ولا برداً، كذلك الأصنام لا تنفع عابديها⁽⁵⁾ ﴿ لو كانوا يعلمون ﴾ ذلك ما عبدوها.

٤٢ ﴿ إن الله يعلم ما ﴾ بمعنى الذي ﴿ يدعون ﴾ يعبدون، بالياء والتاء⁽⁶⁾ ﴿ من دونه ﴾ غيره ﴿ من شيء وهو العزيز ﴾ في ملكه ﴿ الحكيم ﴾ في صنعه.

٤٣ ﴿ وتلك الأمثال ﴾ في القرآن ﴿ نضربها ﴾ نجعلها ﴿ للناس وما يعقلها ﴾ يفهمها ﴿ إلا العالمون ﴾ المتدبرون.

وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ
أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ (٣٨)
وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ
فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ (٣٩) فَكُلًّا
أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ
أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ
أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ
يَظْلِمُونَ (٤٠) مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ
كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ
ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ (٤١) إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ
مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (٤٢) وَتِلْكَ
ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ (٤٣)

---

(١) حال بينهم وبينها ومنعهم من سلوكها بميلهم ورغبتهم.
قال ابن كثير في تفسيره: فعاد قوم هود، وكانوا يسكنون الأحقاف، وهي قريبة من حضرموت بلاد اليمن، وثمود قوم صالح، وكانوا يسكنون الحِجْر قريباً من وادي القرى، وكانت العرب تعرف مساكنهما جيداً، وتمر عليها كثيراً.

(٢) عقلاء متمكنين من النظر والاستدلال والاستبصار، ولكنهم لم يفعلوا ذلك كبراً وعناداً.

(٣) فارين منه، بل أدركهم أمر الله عزّ وجلّ ولم يفلتوا من وقوع الهلاك فيهم.

(٤) وهي الحصى الصغيرة.

(٥) بجلب نفع لهم أو دفع ضر عنهم. وهذا هو حال كل ما يُعْبَدُ من دون الله عزّ وجلّ، أو يطاع أمره ويقدم على شرع الله عزّ وجلّ. فالخسارة كل الخسارة لمن عصى الله تعالى ليرضي الخلق، فمن التجأ لغير الله تعالى فقد التجأ إلى غير ملجأ واعتمد على غير سند، فلا ينفعه بشيء. والباطل لا يلبث أن يتهاوى بنيانه ويتلاشى أمام الحق الذي يتولاه الله عزّ وجلّ بنصره، فمن التجأ إلى الله تعالى وقاه من كل سوء ولو من غير سبب. فويل لمن عميت أبصارهم، واشتروا الضلالة بالهدى، فخسروا الدنيا والآخرة.

(٦) أي ﴿يَدْعُون﴾ و ﴿تَدْعون﴾ قراءتان متواترتان.

فائدة: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن أناساً في زمن النبي ﷺ قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال النبي ﷺ: (نعم، هل تُضَارُّون في رؤية الشمس بالظهيرة، ضوءٌ ليس فيها سحابٌ). قالوا: لا، قال: (وهل تُضَارُّون في رؤية القمر ليلة البدر، ضوءٌ ليس فيه سحابٌ). قالوا: لا، قال النبي ﷺ: (ما تُضَارُّونَ في رؤية الله عزّ وجلّ يوم القيامة إلا كما تُضَارُّون في رؤية أحدهما، إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن: تَتْبَعُ كلُّ أمة ما كانت تعبد، فلا يبقى من كان يعبد غير الله من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار، حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله، برٌّ أو فاجر، وغُبَّرَاتُ أهل الكتاب، فيدعى اليهود، فيقال لهم: ما كنتُم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد عُزَيْراً ابن الله، فيقال لهم: كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فماذا تبغون؟ فقالوا: عطشنا ربنا فاسقنا، فيشار: ألا تردون؟ فيحشرون إلى النار، كأنها سرابٌ يحطِمُ بعضها بعضاً، فيتساقطون في النار. ثم يدعى النصارى فيقال لهم: ما كنتُم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد المسيح ابن الله، فيقال لهم: كذبتم، ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فيقال لهم: ماذا تبغون؟ فكذلك مثلَ الأول. حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله، من برٍ أو فاجرٍ، أتاهم رب العالمين في أدنى صورة من التي رأوه فيها، فيقال: ماذا تنتظرون، تتبع كل أمة ما كانت تعبد، قالوا: فارقنا الناس في الدنيا على أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم، ونحن ننتظر ربنا الذي كنا نعبد، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: لا نشرك بالله شيئاً). مرتين أو ثلاثة. [البخاري: التفسير/النساء، باب: ﴿إن الله لا يظلم مثقال ذرة﴾ [٤٠] رقم: ٤٣٠٥. مسلم: الإيمان، باب: معرفة طريق الرؤية، رقم: ١٨٣] [تضارون: يصيبكم ضرر. سحاب: جمع سحابة وهو الغيم. الأنصاب: جمع نصب وهو حجر كان =

٤٤ ﴿ خلق الله السماوات والأرض بالحق ﴾ مُحِقاً ﴿ إن في ذلك لآية ﴾ دلالة على قدرته تعالى ﴿ للمؤمنين ﴾ خصوا بالذكر لأنهم المنتفعون بها في الإيمان، بخلاف الكافرين.

٤٥ ﴿ اتل ما أوحي إليك من الكتاب ﴾ القرآن ﴿ وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ﴾(١) شرعاً(٢)، أي من شأنها ذلك ما دام المرء فيها(٣) متلبساً بصفاتها من طهور وحضور ومراقبة ﴿ ولذكر الله أكبر ﴾ من غيره من الطاعات(٤) ﴿ والله يعلم ما تصنعون ﴾ فيجازيكم به وعليه.

٤٦ ﴿ ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي ﴾ أي المجادلة التي ﴿ هي أحسن ﴾ كالدعاء إلى الله بآياته، والتنبيه على حججه ﴿ إلا الذين ظلموا منهم ﴾ بأن حاربوا وأبوا أن يقروا بالجزية، فجادلوهم بالسيف(٥) حتى يسلموا أو يعطوا الجزية ﴿ وقولوا ﴾ لمن قبل الإقرار بالجزية، إذا أخبروكم بشيء مما في كتبهم ﴿ آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم ﴾ ولا تصدقوهم ولا تكذبوهم في ذلك(٦) ﴿ وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون ﴾ مطيعون.

٤٧ ﴿ وكذلك أنزلنا إليك الكتاب ﴾ القرآن، كما أنزلنا إليهم التوراة وغيرها ﴿ فالذين آتيناهم الكتاب ﴾ التوراة كعبد الله بن سلام وغيره ﴿ يؤمنون به ﴾ بالقرآن ﴿ ومن هؤلاء ﴾ أهل مكة ﴿ من يؤمن به وما يجحد بآياتنا ﴾ بعد ظهورها ﴿ إلا الكافرون ﴾ أي اليهود، وظهر لهم أن القرآن حق والذي جاء به محق، وعرفوا ذلك وجحدوه.

٤٨ ﴿ وما كنت تتلوامن قبله ﴾ القرآن ﴿ من كتاب ولا تخطه بيمينك(٧) إذاً ﴾ أي لو كنت قارئاً كاتباً ﴿ لارتاب ﴾ شك ﴿ المبطلون ﴾ اليهود فيك، وقالوا: الذي في التوراة إنه أمي لا يقرأ ولا يكتب.

٤٩ ﴿ بل هو ﴾ أي القرآن الذي جئت به ﴿ آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم ﴾ أي المؤمنون يحفظونه ﴿ وما يجحد بآياتنا

خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً
لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ
ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ وَلَذِكْرُ
ٱللَّهِ أَكْبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ
ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْۖ
وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا
وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ
إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ
بِهِۦۖ وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا
ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا
تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَٰتُۢ
بَيِّنَٰتٌ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ

---

(١) تطهر المسلم منهما وتحفظه من التلوث بشيء منهما.

(٢) أي كل ما يعتبر فحشاء ومنكراً في الشرع، وهو كل ما نهى الله عزّ وجلّ ـ أو رسوله ﷺ ـ عنه وحذر من فعله وتوعد عليه بالعقاب إن فعل.

(٣) والصحيح أنها تؤثر في نفس المسلم فيستقيم حاله في سائر الأوقات، سواء كان في صلاة أم لم يكن.

(٤) أخرج مسلم عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما: انهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال: (لا يقعد قوم يذكرون الله عز وجل إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده) [الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، رقم: ٢٧٠٠][حفتهم: أحاطت بهم تحفظهم وترعاهم. غشيتهم: غطتهم وشملتهم].

واخرج مسلم عن ابي هريرة، رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (سبق المفردون) قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: (الذاكرون الله كثيراً والذاكرات). [الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: الحث على ذكر الله تعالى، رقم: ٢٦٧٦].

(٥) أي فقاتلوهم به.

(٦) أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال النبي ﷺ: (لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا: ﴿آمنا بالله وما أنزل إلينا﴾ الآية/ البقرة: ١٣٦/). [التفسير/البقرة، باب: ﴿قولوا آمنا بالله وما انزل إلينا﴾ رقم: ٤٢١٥]. (٧) أي ما كنت تقرا ولا تكتب.

= ينصب ويذبح عليه فيحمر بالدم ويعبد. بر: هو الذي يأتي بالخير ويطيع ربه. فاجر: مرتكب للمعاصي والمحارم، ولكنه لا يشرك بالله تعالى. غبرات: بقايا، جمع غبر، من غبر يغبر غبوراً إذا مكث وبقي. صاحبة: زوجة. تردون: تأتون لتشربوا. فيحشرون: فيجمعون ويساقون. سراب: ما يرى وسط النهار من بُعْدٍ كأنه ماء. يحطم: يكسر ويُذْهِب. مثل الأول: أي يفعل بهم مثل ما فعل باليهود قبلهم. أتاهم: ظهر لهم. أدنى صورة: أقرب صفة. رأوه فيها: عرفوه فيها من قبل بوصف القرآن، وعلى لسان النبي ﷺ، فيتجلى لهم سبحانه بالصفة التي يعرفونه بها، والتي لا تشبه شيئاً من مخلوقاته، فيعلمون أنه ربهم، فيقولون: أنت ربنا. أفقر ما كنا إليهم: أي لم نتبعهم في الدنيا مع شدة احتياجنا إليهم، فلا نتبعهم هذا اليوم بطريق أولى. لا نشرك بالله شيئاً: ما كنا لنشرك بالله في الدنيا، فلا نقبل عنك بديلاً في الآخرة، ويقولون ذلك افتخاراً بتوحيدهم واستلذاذاً، وسروراً بالنعمة التي وجدوها].

إلا الظالمون ﴾ أي اليهود، وجحدوها بعد ظهورها لهم.

٥٠ ﴿ وقالوا ﴾ أي كفار مكة ﴿ لولا ﴾ هلا ﴿ أنزل عليه ﴾ أي محمد ﴿ آية من ربه ﴾ وفي قراءة «آيات»[١] كناقة صالح وعصا موسى ومائدة عيسى، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. ﴿ قل ﴾ لهم ﴿ إنما الآيات عند الله ﴾ ينزلها على من يشاء كما يشاء[٢] ﴿ وإنما أنا نذير مبين ﴾ مظهر إنذاري بالنار أهل المعصية.

٥١ ﴿ أوَ لم يكفهم ﴾ فيما طلبوا ﴿ أنا أنزلنا عليك الكتاب ﴾ القرآن ﴿ يتلى عليهم ﴾ فهو آية مستمرة لا انقضاء لها، بخلاف ما ذكر من الآيات[٣] ﴿ إن في ذلك ﴾ الكتاب ﴿ لرحمة وذكرى ﴾ عظة ﴿ لقوم يؤمنون ﴾.

٥٢ ﴿ قل كفى بالله بيني وبينكم شهيداً ﴾ بصدقي ﴿ يعلم ما في السموات والأرض ﴾ ومنه حالي وحالكم ﴿ والذين آمنوا بالباطل ﴾ وهو ما يعبد من دون الله ﴿ وكفروا بالله ﴾ منكم ﴿ أولئك هم الخاسرون ﴾ في صفقتهم[٤]، حيث اشتروا الكفر بالإيمان. ٥٣ ﴿ ويستعجلونك بالعذاب[٥] ولولا أجل مسمى ﴾ له[٦] ﴿ لجاءهم العذاب ﴾ عاجلاً ﴿ وليأتينهم بغتة[٧] وهم لا يشعرون ﴾ بوقت إتيانه. ٥٤ ﴿ يستعجلونك بالعذاب ﴾ في الدنيا ﴿ وإن جهنم لمحيطة بالكافرين ﴾[٨]

٥٥ ﴿ يوم يغشاهم العذاب[٩] من فوقهم ومن تحت أرجلهم ونقول ﴾ فيه ـ بالنون ـ نأمر بالقول ـ وبالياء ـ يقول الموكل بالعذاب ﴿ ذوقوا ما كنتم تعملون ﴾ أي جزاءه، فلا تفوتوننا.

٥٦ ﴿ يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون ﴾ في أي أرض تيسرت فيها العبادة، بأن تهاجروا إليها من أرض لم تتيسر فيها. نزل في ضعفاء مسلمي مكة، كانوا في ضيق من إظهار الاسلام بها[١٠].

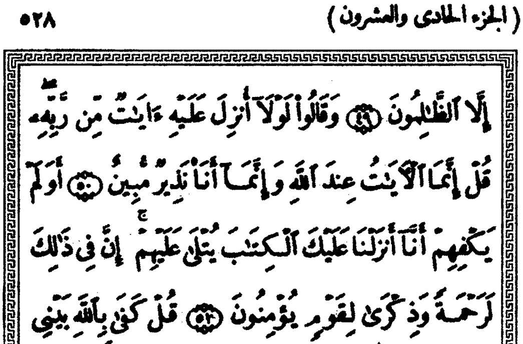
(الجزء الحادى والعشرون) ٥٢٨

إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ
قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمۡ
يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيۡنِي
وَبَيۡنَكُمۡ شَهِيدٗاۖ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾
وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِ وَلَوۡلَآ أَجَلٞ مُّسَمّٗى لَّجَآءَهُمُ
ٱلۡعَذَابُۚ وَلَيَأۡتِيَنَّهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسۡتَعۡجِلُونَكَ
بِٱلۡعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوۡمَ
يَغۡشَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۡ وَيَقُولُ
ذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٥٥﴾ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ
أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ

---

(١) معجزات وأمور خارقة للعادة. (٢) ومتى يشاء.

(٣) فالقرآن الذي نزل بلغة العرب، وتحداهم أن يأتوا بسورة من مثله، هو المعجزة العظمى التي تتحدى الناس إلى قيام الساعة. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة». [البخاري: فضائل القرآن، باب: كيف نزول الوحي وأول ما نزل، رقم: ٤٦٩٦. مسلم: الإيمان، باب: وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ، رقم: ١٥٢]. [أعطي ما مثله آمن عليه البشر: أجري على يديه من المعجزات الشيء الذي يقتضي إيمان من شاهدها بصدق دعواه، لأنها من خوارق العادات حسب زمانه ومكانه. أوتيته: المعجزة التي أعطيتها. وحياً: قرآناً موحى به من الله تعالى، يبقى إعجازه حجة على مر الأزمان، ولذلك يكثر المؤمنون به، ويوم القيامة يكون أتباعه العاملون بشريعته المنزلة أكثر من الأتباع العاملين بالشرع الحق لكل نبي]. (٤) تجارتهم.

(٥) إذ قالوا كما قال عنهم القرآن: ﴿وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾/الأنفال: ٣٢/.

(٦) وقت معين حدده الله تعالى لنزول العذاب فيهم.

(٧) فجأة.

(٨) يوم القيامة، فلا يستطيعون الخروج منها ولا الخلاص من عذابها. (٩) يغطيهم ويحيط بهم.

(١٠) قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: هذا أمر من الله تعالى لعباده المؤمنين بالهجرة من البلد الذي لا يقدرون فيه على إقامة الدين إلى أرض الله الواسعة، حيث يمكن هذا. وقال: ولهذا لما ضاق على المستضعفين بمكة مقامهم بها خرجوا مهاجرين إلى أرض الحبشة، ليأمنوا على دينهم هناك، فوجدوا خير المنزلين هناك: أصحمةَ النجاشي ملك الحبشة رحمه الله تعالى، فآواهم وأيدهم بنصره، وجعلهم

سبب نزول الآية [٥١]: أخرج ابن جرير والدارمي في سننه من طريق عمرو بن دينار، عن يحيى بن جعدة قال: جاء أناس من المسلمين بكتب قد كتبوا فيها بعض ما سمعوه من اليهود، فقال النبيّ ﷺ: (كفى بقوم ضلالة أن يرغبوا عما جاء به نبيهم إليهم إلى ما جاء به غيره إلى غيرهم). فنزلت: ﴿أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم﴾. [الدارمي: المقدمة، بـاب: من لم ير كتابه الحديث، رقم: ٤٨٤].

٥٧ ﴿ كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون ﴾ بالتاء والياء، بعد البعث.

٥٨ ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم ﴾ ننزلنهم، وفي قراءة بالمثلثة بعد النون(١)، من الثوي: الإقامة، وتعديته إلى غرفاً بحذف في ﴿ من الجنة غرفاً تجري من تحتها الأنهار خالدين ﴾ مقدرين الخلود ﴿ فيها نعم أجر العاملين ﴾ هذا الأجر.

٥٩ هم ﴿ الذين صبروا ﴾ على أذى المشركين والهجرة لإظهار الدين ﴿ وعلى ربهم يتوكلون ﴾ فيرزقهم من حيث لا يحتسبون.

٦٠ ﴿ وكأين ﴾ كم ﴿ من دابة لا تحمل رزقها ﴾ لضعفها ﴿ الله يرزقها وإياكم ﴾ أيها المهاجرون، وإن لم يكن معكم زاد ولا نفقة ﴿ وهو السميع ﴾ لأقوالكم ﴿ العليم ﴾ بضمائركم وجهركم(٢).

٦١ ﴿ ولئن ﴾ لام قسم ﴿ سألتهم ﴾ أي الكفار ﴿ من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون ﴾ يصرفون عن توحيده بعد إقرارهم بذلك. ٦٢ ﴿ الله يبسط الرزق ﴾ يوسعه ويزيد في العطاء ﴿ لمن يشاء من عباده ﴾ امتحاناً منه واختباراً لعبده المؤمن ﴿ ويقدر ﴾ يضيق ﴿ له ﴾ بعد البسط، لمن يشاء ابتلاءه(٣) ﴿ إن الله بكل شيء عليم ﴾ ومنه محل البسط والتضييق.

٦٣ ﴿ ولئن ﴾ لام قسم ﴿ سألتهم من نزل من السماء ماءً فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله ﴾ فكيف يشركون به ﴿ قل ﴾ لهم ﴿ الحمد لله ﴾ على ثبوت الحجة عليكم ﴿ بل أكثرهم لا يعقلون ﴾ تناقضهم في ذلك.

٦٤ ﴿ وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب ﴾ وأما القرب(٤) فمن أمور الآخرة، لظهور ثمرتها فيها ﴿ وإن الدار الآخرة لهي الحيوان ﴾ بمعنى الحياة(٥) ﴿ لو كانوا يعلمون ﴾ ذلك ما آثروا الدنيا عليها.

٦٥ ﴿ فإذا ركبوا في الفلك(٦)

ثُمَّ إِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ٥٧ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ غُرَفٗا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ
فِيهَاۚ نِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ٥٨ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ
يَتَوَكَّلُونَ ٥٩ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٖ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا
وَإِيَّاكُمۡۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٦٠ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ
فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٦١ ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ
وَيَقۡدِرُ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٦٢ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم
مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِ مَوۡتِهَا
لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ٦٣
وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ
لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٦٤ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ

سيوماً ببلاده، ثم بعد ذلك هاجر رسول الله ﷺ والصحابة الباقون إلى المدينة النبوية: يثرب المطهرة. [صيوماً: آمنون، وهي كلمة حبشية. وقيل: جمع سائم، أي تسومون في بلدي كالغنم السائمة، لا يعارضكم أحد. والسوم الرعي].

عن الزبير بن العوّام رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (والبلاد بلاد الله، والعباد عباد الله، فحيثما أصبت خيراً فأقم) [مسند أحمد: ١/١٦٦].

---

(١) ﴿لَنُثْوِيَنَّهُمْ﴾ وهي متواترة، قرأ بها حمزة والكسائي وخلف.
أخرج ابن أبي حاتم بسنده عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ حدثه: (أن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، أعدها الله لمن أطعم الطعام، وأطاب الكلام، وأباح الصيام، وأقام الصلاة والناس نيام). [ابن كثير] أباح: أطلق وتابع.

(٢) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لو أنكم كنتم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصاً وتروح بطاناً) أخرجه الترمذي [أبواب الزهد، باب: في التوكل على الله، رقم: ٢٣٤٥] وقال: حديث حسن. ومعناه: أنها تذهب أول النهار جياعاً ضامرة البطون، وترجع آخر النهار شباعاً ممتلئة البطون، دون أن تدخر شيئاً.

(٣) اختباره، هل يشكر عند البسط والتوسعة، ويصبر عند التضييق؟.

(٤) الأعمال الصالحة المتفرعة عن الإيمان.

(٥) الدائمة الخالدة التي لا زوال لها.

(٦) السفن في البحر.

سبب نزول الآية [٦٠]: أخرج الواحدي بسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ حتى دخل بعض حيطان الأنصار، فجعل يلقط من التمر ويأكل، فقال: (يا ابن عمر، ما لك لا تأكل). فقلت: لا أشتهيه يا رسول الله، فقال: (لكني أشتهيه، وهذه صبيحة رابعة ما ذقت طعاماً، ولو شئت لدعوت ربي فأعطاني مثل ملك كسرى وقيصر، فكيف بك يا ابن عمر إذا بقيت في قوم يخبئون رزق سنتهم، ويضعف اليقين). قال: فوالله ما برحنا حتى نزلت: ﴿وكأين من دابة لا تحمل رزقها اللَّهُ يَرْزُقُها وإياكم وهو السميع العليم﴾. [وانظر لباب النقول للسيوطي].

دعوا الله مخلصين له الدين ﴾ الدعاء، أي لا يدعون معه غيره، لأنهم في شدة لا يكشفها إلا هو ﴿ فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون ﴾ به.

٦٦ ﴿ ليكفروا بما آتيناهم ﴾من النعمة ﴿ وليتمتعوا ﴾ باجتماعهم على عبادة الأصنام(١)، وفي قراءة بسكون اللام(٢) أمر تهديد ﴿ فسوف يعلمون ﴾ عاقبة ذلك ومصيره.

٦٧ ﴿ أو لم يروا ﴾ يعلموا ﴿ أنا جعلنا ﴾ بلدهم مكة ﴿ حرماً آمناً(٣) ويتخطف الناس من حولهم ﴾ قتلاً وسبياً دونهم ﴿ أفبالباطل ﴾ الأصنام ﴿ يؤمنون وبنعمة الله يكفرون ﴾ بإشراكهم.

٦٨ ﴿ ومن ﴾ لا أحد ﴿ أظلم ممن افترى على الله كذباً ﴾ بأن أشرك به ﴿ أو كذب بالحق ﴾ النبي أو الكتاب ﴿ لما جاءه أليس في جهنم مثوى ﴾ مأوى ﴿ للكافرين ﴾ أي فيها ذلك، وهو منهم.

٦٩ ﴿ والذين جاهدوا فينا ﴾ في حقنا(٤) ﴿ لنهدينهم سبلنا ﴾ طريق السير إلينا ﴿ وإن الله لمع المحسنين ﴾ المؤمنين، بالنصر والعون.

(الجزء الحادى والعشرون) ٥٣٠

دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ
يُشۡرِكُونَ (٦٥) لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ وَلِيَتَمَتَّعُواْۖ فَسَوۡفَ
يَعۡلَمُونَ (٦٦) أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ
مِنۡ حَوۡلِهِمۡۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَكۡفُرُونَ (٦٧)
وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا
جَآءَهُۥٓۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوًى لِّلۡكَٰفِرِينَ (٦٨) وَٱلَّذِينَ
جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ (٦٩)

(٣٠) سُورَةُ الرُّومِ مَكِّيَّةٌ
وَآيَاتُهَا سِتُّونَ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ (١) غُلِبَتِ ٱلرُّومُ (٢) فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم

(سورة الروم)
(مكية وآياتها ٦٠ أو ٥٩)

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿ الٓمٓ ﴾ الله أعلم بمراده في ذلك(٥).

٢ ﴿ غلبت الروم ﴾ وهم أهل كتاب، غلبتها فارس وليسوا أهل كتاب، بل يعبدون الأوثان، ففرح كفار مكة بذلك، وقالوا للمسلمين: نحن نغلبكم كما غلبت فارس الروم.

٣ ﴿ في أدنى الأرض ﴾ أقرب أرض الروم إلى فارس بالجزيرة(٦)، التقى فيها الجيشان، والبادي بالغزو الفرس ﴿ وهم ﴾ أي أصحاب الكتاب، يعني الروم

---

(١) وبما لديهم من زخرف الحياة الدنيا الفانية.

(٢) أي في قوله تعالى: ﴿وليتمتعوا﴾ على أنها لام الأمر، وعلى هذا يتعين أن يكون الفعلان ﴿ليكفروا.. ولْيتمتعوا﴾ كل منهما أمر تهديد، بدليل الوعيد المرتب عليهما بقوله: ﴿فسوف يعلمون﴾ أي عاقبة كفرهم وتمتعهم بما ذكر. وعلى قراءة ﴿ليتمتعوا﴾ بكسر اللام، تكون اللام لام العاقبة والصيرورة في الفعلين، والمعنى: لما نجاهم عادوا إلى الشرك، ليصيروا بذلك كافرين بنعمة النجاة، قاصدين التمتع والتلذذ بها وبما لديهم من زخرف الدنيا، على خلاف ما كان ينبغي أن يكون منهم من الإيمان بالله تعالى وشكرهم له على نجاتهم، وجعلهم ذلك ذريعة إلى النجاة عنده يوم القيامة.

(٣) مكاناً مصوناً له حرمة وقدسية، يأمن فيه كل من دخله.

(٤) بذلوا جهدهم في فعل الطاعة والكف عن المعصية ومجابهة أعداء الله عزّ وجلّ وقتالهم، وصبروا على كل أذى وشدة أصابتهم في سبيل ذلك.

(٥) وانظر/ البقرة: ١/.

(٦) ما بين دجلة والفرات.

سبب نزول الآية [٦٧]: عن ابن عباس رضي الله عنهما أنهم قالوا: يا محمد، ما يمنعنا أن ندخل في دينك إلا مخافة أن يتخطفنا الناس لتقتلنا، والأعراب أكثر منا، فمتى ما يبلغهم أنا قد دخلنا في دينك اختطفنا، فكنا أكلة رأس، فأنزل الله: ﴿أو لم يروا أنا جعلنا حرماً آمناً﴾ [السيوطي].

سبب نزول الآيات الأولى من سورة الروم: عن ابن شهاب قال: بلغنا أن المشركين كانوا يجادلون المسلمين وهم بمكة قبل أن يخرج رسول الله ﷺ، فيقولون: الروم يشهدون أنهم أهل كتاب وقد غلبتهم المجوس، وأنتم تزعمون أنكم ستغلبوننا بالكتاب الذي أنزل على نبيكم، فكيف غلب المجوس الروم وهم أهل كتاب؟ فسنغلبكم كما غلب فارس الروم، فأنزل الله: ﴿آلم. غُلبت الروم﴾ [السيوطي]. وأخرج الواحدي بسنده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: لما كان يوم بدر ظهرت الروم على فارس فأعجب المؤمنون بظهور الروم على فارس.

وعن نيار بن مكرم الأسلمي قال: لما نزلت ﴿آلم ◆ غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون.في بضع سنين﴾ فكانت فارس

﴿ **من بعد غلبهم** ﴾ أضيف المصدر إلى المفعول(١)، أي غلبة فارس إياهم ﴿ **سيغلبون** ﴾ فارس وينتصرون عليهم.

٤ ﴿ **في بضع سنين** ﴾ هو ما بين الثلاث إلى التسع أو العشر، فالتقى الجيشان في السنة السابعة من الالتقاء الأول، وغلبت الروم حينئذ فارس، بإذن الله وإرادته ﴿ **لله الأمر من قبل ومن بعد** ﴾من قبل غلب الروم ومن بعده، المعنى: أن غلبة فارس أولاً وغلبة الروم ثانياً بأمر الله عز وجل ، أي إرادته ﴿ **ويومئذٍ** ﴾ يوم تغلب الروم ﴿ **يفرح المؤمنون** ﴾.

٥ ﴿ **بنصر الله** ﴾ إياهم على فارس(٢)، وقد فرحوا بذلك وعلموا به يوم وقوعه يوم بدر، بنزول جبريل بذلك فيه، مع فرحهم بنصرهم على المشركين فيه ﴿ **ينصر من يشاء وهو العزيز** ﴾ الغالب ﴿ **الرحيم** ﴾ بالمؤمنين.

٦ ﴿ **وعد الله** ﴾ مصدر بدل من اللفظ بفعله ، والأصل: وعدهم الله النصر ﴿ **لا يخلف الله وعده** ﴾ به ﴿ **ولكن أكثر الناس** ﴾ كفار مكة ﴿ **لا يعلمون** ﴾ وعده تعالى بنصرهم.

٧ ﴿ **يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا** ﴾ أي يعلمون معايشها من التجارة والزراعة والبناء والغراس وغير ذلك ﴿ **وهم عن الآخرة هم غافلون** ﴾ إعادة هم تأكيد.

مِنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ
مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصۡرِ
ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ
لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٦﴾
يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ
غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۗ
وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمۡ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمۡ
يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن
قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَأَثَارُواْ ٱلۡأَرۡضَ وَعَمَرُوهَآ
أَكۡثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ
لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ

٨ ﴿ **أو لم يتفكروا في أنفسهم** ﴾ ليرجعوا عن غفلتهم ﴿ **ما خلق الله السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى** ﴾(٣) تفنى عند انتهائه، وبعده البعث ﴿ **وإن كثيراً من الناس** ﴾ كفار مكة وغيرهم﴿ **بلقاء ربهم لكافرون** ﴾ لا يؤمنون بالبعث بعد الموت.

٩ ﴿ **أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم** ﴾ من الأمم، وهي إهلاكهم بتكذيبهم رسلهم ﴿ **كانوا أشد منهم قوة** ﴾ كعاد وثمود ﴿ **وأثاروا الأرض** ﴾ حرثوها وقلبوها للزرع والغرس ﴿ **وعمروها أكثر مما عمروها** ﴾ أي كفار مكة ﴿ **وجاءتهم رسلهم بالبينات** ﴾ بالحجج الظاهرات والبراهين الواضحات﴿ **فما كان الله ليظلمهم** ﴾ بإهلاكهم بغير جرم ﴿ **ولكن كانوا أنفسهم يظلمون** ﴾ بتكذيبهم رسلهم. ١٠﴿ **ثم كان عاقبة**

---

(١) المصدر هو ﴿غلبهم﴾ وهو مصدر الفعل المبني للمجهول قبل وهو ﴿غلبت﴾. والمفعول هو الضمير العائد على ﴿الروم﴾ نائب الفاعل في الجملة قبلها.

(٢) لأن نصرهم علامة على نصر المسلمين على المشركين.

(٣) معين ومحدد،الله تعالى أعلم به.

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية وما بعدها: يقول تعالى منبهاً على التفكر في مخلوقاته، الدالة على وجوده وانفراده بخلقها، وأنه لا إله غيره ولا رب سواه، فقال: ﴿أو لم يتفكروا في أنفسهم﴾ يعني به النظر والتدبر والتأمل لخلق الله الأشياء من العالم العلوي والسفلي، وما بينهما من المخلوقات المتنوعة، والأجناس المختلفة، فيعلموا أنها ما خلقت سدًى ولا باطلاً، بل بالحق، وأنها مؤجلة إلى أجل مسمى، وهو يوم القيامة، ولهذا قال: ﴿وإن كثيراً من الناس بلقاء ربهم لكافرون﴾. ثم نبههم على صدق رسله فيما جاؤوا به عنه، بما أيدهم به من المعجزات والدلائل الواضحات، من إهلاك من كفر بهم، ونجاة من صدقهم، فقال: ﴿أو لم يسيروا في الأرض﴾ أي: بأفهامهم وعقولهم ونظرهم وسماع أخبار الماضين، ولهذا قال: ﴿فينظروا

يوم نزلت هذه الآية قاهرين للروم، وكان المسلمون يحبون ظهور الروم عليهم، لأنهم وإياهم أهل الكتاب، وفي ذلك قوله تعالى: ﴿يومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم﴾ وكانت قريش تحب ظهور فارس لأنهم وإياهم ليسوا بأهل كتاب ولا إيمان ببعث، فلما أنزل الله هذه الآية خرج أبو بكر يصيح في نواحي مكة: ﴿الٓم * غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون * في بضع سنين﴾ فقال ناس من قريش لأبي بكر: فذاك بيننا وبينكم، زعم صاحبكم أن الروم ستغلب فارس في بضع سنين، أفلا نراهنك على ذلك؟ قال: بلى. وذلك قبل تحريم الرهان، فارتهن أبو بكر والمشركون، وتواضعوا الرهان، وقالوا لأبي بكر: كم نجعل؟ البضع ثلاث سنين إلى تسع سنين، فسم بيننا وبينك وسطاً ننتهي إليه. قالوا: فسموا بينهم ست سنين، قال: فمضت ست السنين قبل أن يظهروا، فأخذ المشركون رهن أبي بكر، فلما دخلت السنة السابعة ظهرت الروم على فارس، قال: فعاب المسلمون على أبي بكر تسمية ست سنين، قال: لأن الله يقول ﴿في بضع سنين﴾ قال: فأسلم عند ذلك ناس كثير. [الترمذي: تفسير القرآن، باب: ومن سورة الروم، رقم: ٣١٩٢، وقال: هذا حديث حسن صحيح].

الذين أساؤوا السوأى﴾ تأنيث الأسوأ: الأقبح، خبر كان على رفع عاقبة، واسم كان على نصب عاقبة(١)، والمراد بها جهنم، وإساءتهم ﴿ أن ﴾ أي بأن ﴿ كذبوا بآيات الله ﴾ القرآن العظيم ﴿ وكانوا بها يستهزئون ﴾.

١١ ﴿ الله يبدأ الخلق ﴾ أي ينشىء خلق الناس(٢) ﴿ ثم يعيده ﴾ خلقهم بعد موتهم ﴿ ثم إليه يرجعون ﴾ بالياء والتاء.

١٢ ﴿ ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون ﴾ يسكت المشركون لانقطاع حجتهم(٣).

١٣ ﴿ ولم يكن ﴾ لا يكون ﴿ لهم من شركائهم ﴾ ممن أشركوهم بالله، وهم الأصنام ﴿ شفعاء ﴾ ليشفعوا لهم ﴿ وكانوا ﴾ أي يكونون ﴿ بشركائهم كافرين ﴾ أي متبرئين منهم.

١٤ ﴿ ويوم تقوم الساعة يومئذٍ ﴾ تأكيد(٤) ﴿ يتفرقون ﴾(٥) المؤمنون والكافرون.

١٥ ﴿ فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة ﴾ جنة ﴿ يحبرون ﴾ يسرون(٦).

١٦ ﴿ وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ﴾ القرآن ﴿ ولقاء الآخرة ﴾ البعث وغيره ﴿ فأولئك في العذاب محضرون ﴾(٧).

١٧ ﴿ فسبحان الله ﴾ أي سبحوا الله، بمعنى صلوا له ﴿ حين تمسون ﴾ تدخلون في المساء، وفيه صلاتان: المغرب والعشاء ﴿ وحين تصبحون ﴾ تدخلون في الصباح، وفيه صلاة الصبح.

١٨ ﴿ وله الحمد في السماوات والأرض ﴾ اعتراض(٨)، ومعناه: يحمده أهلهما ﴿ وعشياً ﴾ عطف على حين، وفيه صلاة العصر ﴿ وحين تظهرون ﴾ تدخلون في الظهيرة، وفيه صلاة الظهر(٩).

١٩ ﴿ يخرج الحي من الميت ﴾ كالإنسان من النطفة والطائر من البيضة ﴿ ويخرج الميت ﴾ النطفة والبيضة ﴿ من الحي ويحيي الأرض ﴾ بالمطر والنبات ﴿ بعد موتها ﴾ يبسها ﴿ وكذلك ﴾ الإخراج ﴿ تخرجون ﴾ من القبور، بالبناء للفاعل والمفعول(١٠). ٢٠ ﴿ ومن آياته ﴾ تعالى

ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ
بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ
تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾
وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُاْ وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمْ
كَٰفِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾
فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ
يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآيِٕ
ٱلْأَخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ فَسُبْحَٰنَ
ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ
فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾
يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَيُحْيِ
ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ

كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة﴾ أي: كانت الأمم الماضية والقرون السالفة أشد منكم أيها المبعوث إليهم محمد صلوات الله وسلامه عليه وأكثر أموالاً وأولاداً، وما أوتيتم معشار ما أوتوا، ومكنوا في الدنيا تمكيناً لم تبلغوا إليه، وعمروا فيها أعماراً طوالاً، فعمروها أكثر منكم، واستغلوها أكثر من استغلالكم، ومع هذا لما جاءتهم رسلهم بالبينات وفرحوا بما أوتوا أخذهم الله بذنوبهم، وما كان لهم من الله من واق، ولا حالت أموالهم ولا أولادهم بينهم وبين بأس الله، ولا دفعوا عنهم مثقال ذرة، وما كان الله ليظلمهم فيما أحل بهم من العذاب والنكال ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ أي: وإنما أوتوا من أنفسهم حين كذبوا بآيات الله واستهزؤوا بها، وما ذاك إلا بسبب ذنوبهم السالفة وتكذيبهم المتقدم، ولهذا قال: ﴿ثم كان عاقبة الذين أساؤوا السوأى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون﴾ كما قال تعالى: ﴿ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون﴾ [الأنعام: ١١٠] وقوله: ﴿فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم﴾ [الصف: ٥] وقال: ﴿فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم﴾ [المائدة: ٤٩].

---

(١) أي في قوله ﴿عاقبة﴾ قراءتان متواترتان: إحداهما: ﴿عاقبةُ﴾ بالرفع على أنها اسم ﴿كان﴾ فيكون لفظ ﴿السوأى﴾ منصوباً على أنه خبر. والثانية: ﴿عاقبةَ﴾ بالنصب على أنها خبر ﴿كان﴾ مقدماً، فيكون لفظ ﴿السوأى﴾ مرفوعاً على أنه اسم ﴿كان﴾ متأخراً.

(٢) فيخرجهم من العدم. (٣) وييأسون من كل خير أو نجاة، وتصيبهم الحيرة والدهشة. (٤) لفظي ليوم تقوم. (٥) يتميزون.

(٦) بما يجدون من نعيم وتكريم. (٧) حاضرون مقيمون فيه لا يغيبون عنه ولا يخفف عنهم. (٨) بين المعطوف وهو ﴿وعشياً﴾ والمعطوف عليه وهو ﴿حين تمسون﴾ و﴿حين تصبحون﴾.

(٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم). [البخاري: الدعوات، باب: فضل التسبيح، رقم: ٦٠٤٣. مسلم: الذكر والدعاء والتوبة، باب: فضل التهليل والتسبيح والدعاء].

(١٠) أي: ﴿تَخرجون﴾ و﴿تُخرَجون﴾.

الدالة على قدرته ﴿ أن خلقكم من تراب ﴾ أي أصلكم آدم ﴿ ثم إذا أنتم بشر ﴾ من دم ولحم ﴿ تنتشرون ﴾ في الأرض

٢١ ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً ﴾ بخلق حواء من ضلع آدم(١)، وسائر النساء من نطف الرجال والنساء ﴿ لتسكنوا إليها ﴾(٢) وتألفوها ﴿ وجعل بينكم ﴾ جميعاً ﴿ مودة ورحمة(٣) إن في ذلك ﴾ المذكور ﴿ لآيات لقوم يتفكرون ﴾ في صنع الله تعالى.

٢٢ ﴿ ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم ﴾ لغاتكم من عربية وعجمية وغيرهما ﴿ وألوانكم ﴾ من بياض وسواد وغيرهما، وأنتم أولاد رجل واحد وامرأة واحدة ﴿ إن في ذلك لآيات ﴾ دلالات على قدرته تعالى ﴿ للعالمين ﴾ بفتح اللام وكسرها(٤)، أي ذوي العقول وأولي العلم.

٢٣ ﴿ ومن آياته منامكم بالليل والنهار ﴾ بإرادته، راحة لكم ﴿ وابتغاؤكم ﴾ بالنهار ﴿ من فضله ﴾ أي تصرفكم في طلب المعيشة بإرادته ﴿ إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون ﴾ سماع تدبر واعتبار.

٢٤ ﴿ ومن آياته يريكم ﴾ أي إراءتكم ﴿ البرق خوفاً ﴾ للمسافر من الصواعق ﴿ وطمعاً ﴾ للمقيم في المطر ﴿ وينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها ﴾ أي يبسها، بأن تنبت ﴿ إن في ذلك ﴾ المذكور ﴿ لآيات لقوم يعقلون ﴾ يتدبرون.

٢٥ ﴿ ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ﴾ بإرادته، من غير عَمَد ﴿ ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض ﴾ بأن ينفخ إسرافيل في الصور للبعث من القبور ﴿ إذا أنتم تخرجون ﴾ منها أحياء، فخروجكم منها بدعوة من آياته تعالى.

٢٦ ﴿ وله من في السماوات

أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾
وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟
إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ
لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ
لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ
وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ
يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا
وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ
إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ
أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً
مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ

---

(١) أخرج البخاري [الأنبياء، باب: قول الله تعالى: ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة﴾ رقم: ٣١٥٣] ومسلم [الرضاع، باب: الوصية بالنساء، رقم: ١٤٦٨] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (استوصوا بالنساء، فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج ما في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء).

[استوصوا بالنساء: تواصوا فيما بينكم بالإحسان إليهن. ضلع: أحد عظام الصدر، قال في فتح الباري: فيه إشارة إلى أن حواء خلقت من ضلع آدم الأيسر، وقيل: من ضلعه القصير، أخرجه ابن إسحاق، وزاد: «اليسرى، من قبل أن يدخل الجنة، وجُعِل مكانه لحم» ومعنى خلقت: أي أخرجت كما تخرج النخلة من النواة. انتهى كلام ابن حجر. أقول: والمراد بالتشبيه والتنبيه إلى ذلك بيان أن في خلقهن عوجاً من أصل الخلقة، وأن هذا العوج في أعلاها وهو خُلُقها وفكرها، فإن أردت تقويم ذلك منها، وأردت منها الاستقامة التامة في كل شيء أدى ذلك إلى طلاقها. وكنى عن ذلك بالكسر، والله تعالى أعلم.

(٢) لتميلوا إليها وتطمئن نفوسكم بها. (٣) من غير سابق معرفة ولا قرابة أو أي سبب يستدعي التوادد والتراحم.

(٤) قراءتان متواترتان: ﴿للعالَمين﴾ بفتح اللام، جمع عالَم، وهو كل ما دل على الله عز وجل، والمراد به هنا العقلاء، لأنهم هم الذين ينظرون في المخلوقات ليتوصلوا منها إلى معرفة الخالق. والثانية: ﴿للعالِمين﴾ بكسر اللام، جمع عالِم، لأن العلماء هم الذين يدركون أسرار الخلْق، فيقدرون الخالق جل وعلا قدره.

قال ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: وقوله: ﴿واختلاف ألسنتكم﴾ يعني: اللغات، مما لا يعلمه إلا الله من اختلاف لغات بني آدم، واختلاف ألوانهم - وهي حُلاهم - فجميع أهل الأرض، بل أهل الدنيا، منذ خلق الله آدم إلى قيام الساعة: كل له عينان وحاجبان، وأنف وجبين، وفم وخدان. وليس يشبه واحد منهم الآخر، بل لابد أن يفارقه بشيء من السمت أو الهيئة أو الكلام، ظاهراً كان أو خفياً، يظهر عند التأمل كل وجه منهم أسلوب بذاته وهيئة لا تشبه الأخرى، ولو توافق جماعة في صفة من جمال أو قبح، لابد من فارق بين كل واحد منهم وبين الآخر.

فائدة: عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: أصابني أرق من الليل، فشكوت ذلك إلى رسول الله ﷺ، فقال: «قل: اللهم

والأرض ﴾ ملكاً وخلقاً وعبيداً ﴿ كل له قانتون ﴾ مطيعون.

٢٧ ﴿ وهو الذي يبدأ الخلق ﴾ للناس ﴿ ثم يعيده ﴾ بعد هلاكهم ﴿ وهو أهون عليه ﴾ من البدء، بالنظر إلى ما عند المخاطبين من أن إعادة الشيء أسهل من ابتدائه، وإلا فهما عند الله تعالى سواء في السهولة ﴿ وله المثل الأعلى في السماوات والأرض ﴾ أي الصفة العليا، وهي: أنه لا إله إلا هو ﴿ وهو العزيز ﴾ في ملكه ﴿ الحكيم ﴾ في خلقه.

٢٨ ﴿ ضرب ﴾ جعل ﴿ لكم ﴾ أيها المشركون ﴿ مثلاً ﴾ كائناً ﴿ من أنفسكم ﴾ وهو ﴿ هل لكم من ما ملكت أيمانكم ﴾ أي من مماليككم ﴿ من شركاء ﴾ لكم ﴿ في ما رزقناكم ﴾ من الأموال وغيرها ﴿ فأنتم ﴾ وهم ﴿ فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم ﴾ أمثالكم من الأحرار، والاستفهام بمعنى النفي، المعنى: ليس مماليككم شركاء لكم - إلى آخره - عندكم، فكيف تجعلون بعض مماليك الله شركاء له ﴿ كذلك نفصل الآيات ﴾ نبينها مثل ذلك التفصيل ﴿ لقوم يعقلون ﴾ يتدبرون.

٢٩ ﴿ بل اتبع الذين ظلموا ﴾ بالإشراك ﴿ أهواءهم بغير علم(١) فمن يهدي من أضل الله ﴾ أي لا هادي له ﴿ وما لهم من ناصرين ﴾ مانعين من عذاب الله تعالى.

٣٠ ﴿ فأقم ﴾ يا محمد ﴿ وجهك للدين حنيفاً ﴾ مائلاً إليه، أي أخلص دينك لله أنت ومن تبعك ﴿ فطرت الله ﴾ خلقته ﴿ التي فطر الناس عليها ﴾ وهي دينه(٢)، أي الزموها ﴿ لا تبديل لخلق الله ﴾ لدينه، أي لا تبدلوه بأن تشركوا(٣) ﴿ ذلك الدين القيم ﴾ المستقيم، توحيد الله ﴿ ولكن أكثر الناس ﴾ كفار مكة ﴿ لا يعلمون ﴾ توحيد الله.

٣١ ﴿ منيبين ﴾ راجعين ﴿ إليه ﴾ تعالى فيما أمر به ونهى عنه، حال من فاعل أقم وما أريد به(٤)، أي أقيموا(٥) ﴿ واتقوه ﴾ خافوه ﴿ وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين ﴾. ٣٢ ﴿ من الذين ﴾ بدل(٦) بإعادة الجار

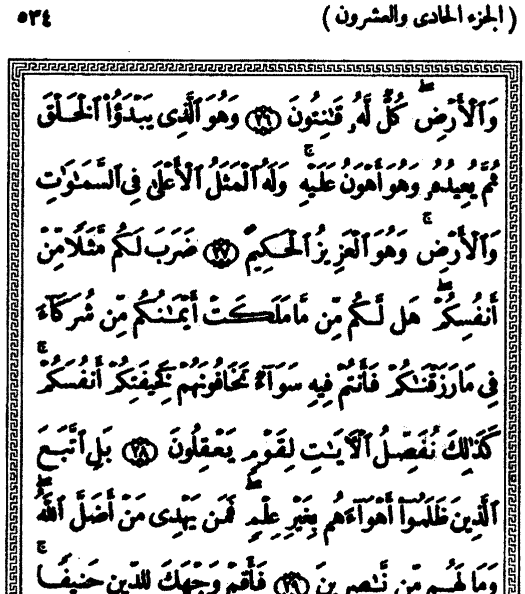

(الجزء الحادى والعشرون) ٥٣٤

وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ
ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلٗا مِّنۡ
أَنفُسِكُمۡۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ
فِي مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ فَأَنتُمۡ فِيهِ سَوَآءٞ تَخَافُونَهُمۡ كَخِيفَتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡۚ
كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ ٱتَّبَعَ
ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٖۖ فَمَن يَهۡدِي مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ
وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ
فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ
ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٠﴾
۞ مُنِيبِينَ إِلَيۡهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ
ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗاۖ

غارت النجوم، وهدأت العيون، وأنت حي قيوم، أنم عيني، وأهدىء ليلي» فقلتها، فذهب عني. [الطبراني]

(١) أي جاهلين بما يجب عليهم.

(٢) أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (ما من مولود إلا يولد على الفطرة) ثم قال: اقرؤوا: ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم﴾. زاد البخاري: (فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء) أي كالبهيمة تولد مستوية الخلق لم يذهب منها شيء، والناس هم الذين يقطعون أنفها أو أذنها.

فكذلك: يولد الإنسان سليم الفطرة، مستقيم النفس، والبيئة التي يعيش فيها هي التي قد تنحرف به ذات اليمين أو ذات الشمال، فتغير من منهجه الإيماني الحق. وأول بيئة ينشأ فيها ويتأثر بها هما الأبوان، فإما أن يجعلاه يهودياً أو نصرانياً أو غير ذلك، بتأثيرهما، وإما أن يثبتا فيه معاني الفطرة فينشأ مسلماً مؤمناً.

[أخرج الحديث البخاري في الجنائز، باب: إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه..، رقم: ١٢٩٢. ومسلم في القدر، باب: معنى كل مولود يولد على الفطرة..، رقم: ٢٦٥٨].

(٣) وكذلك توحي الآية: أنه مهما حاول المبطلون أن ينحرفوا بالإنسان عن فطرته، وهي الشعور بوجود ذات خالقة مدبرة لهذا الكون، فلن يفلحوا، وسيبقى هذا الإنسان ينشد إلى الدين والتدين ما بقي على وجه الأرض.

(٤) أي بالخطاب، والمراد به محمد ﷺ ومن تبعه.

(٥) أتى بهذا لبيان أن قوله ﴿ واتقوه ﴾ معطوف على محذوف مقدر مأخوذ مما قبله. (٦) من قوله ﴿المشركين﴾ قبله.

سبب نزول الآية [٢٧]: عن عكرمة قال: تعجب الكفار من إحياء الله الموتى، فنزلت: ﴿ وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه﴾.

سبب نزول الآية [٢٨]: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان يلبي أهل الشرك: لبيك اللهمّ لبيك، لبيك لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك، فأنزل الله: ﴿هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم﴾ الآية. [السيوطي].

﴿ فرقوا دينهم ﴾ باختلافهم فيما يعبدونه ﴿ وكانوا شيعاً ﴾ فرقاً في ذلك ﴿ كل حزب ﴾(١) منهم ﴿ بما لديهم ﴾ عندهم ﴿ فرحون ﴾ مسرورون(٢)، وفي قراءة «فارقوا» أي تركوا دينهم الذي أمروا به.

٣٣ ﴿ وإذا مس الناس ﴾ كفار مكة ﴿ ضر ﴾ شدة ﴿ دعوا ربهم منيبين ﴾ راجعين ﴿ إليه ﴾ دون غيره ﴿ ثم إذا أذاقهم منه رحمة ﴾ بالمطر من مطر أو غيره ﴿إذا فريق منهم بربهم يشركون ﴾(٣).

٣٤ ﴿ ليكفروا بما آتيناهم ﴾(٤) أريد به التهديد(٥) ﴿ فتمتعوا فسوف تعلمون ﴾ عاقبة تمتعكم، فيه التفات عن الغيبة(٦).

٣٥ ﴿ أم ﴾ بمعنى همزة الإنكار ﴿ أنزلنا عليهم سلطاناً ﴾ حجة وكتاباً ﴿ فهو يتكلم ﴾ تكلم دلالة ﴿ بما كانوا به يشركون ﴾ أي يأمرهم بالإشراك؟ لا.

٣٦ ﴿ وإذا أذقنا الناس ﴾ كفار مكة وغيرهم ﴿ رحمة ﴾ نعمة ﴿ فرحوا بها ﴾ فرح بطر ﴿ وإن تصبهم سيئة ﴾ شدة ﴿ بما قدمت أيديهم(٧) إذا هم يقنطون ﴾ ييأسون من الرحمة، ومن شأن المؤمن: أن يشكر عند النعمة، ويرجو ربه عند الشدة.

٣٧ ﴿ أو لم يروا ﴾ يعلموا ﴿ أن الله يبسط الرزق ﴾ يوسعه ﴿ لمن يشاء ﴾ امتحاناً(٨) ﴿ ويقدر ﴾ يضيقه لمن يشاء ابتلاءه(٩) ﴿ إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون ﴾ بها.

٣٨ ﴿ فآت ذا القربى ﴾ القرابة ﴿ حقه ﴾ من البر والصلة ﴿ والمسكين وابن السبيل ﴾ المسافر، من الصدقة(١٠)، وأمة النبي ﷺ تبع له في ذلك(١١) وغيره من أنواع المعروف والمواساة ﴿ ذلك خير للذين يريدون وجه الله ﴾ أي ثوابه فيما يعملونه ﴿ وأولئك هم المفلحون ﴾ الفائزون برضوان الله وكرامته.

٣٩ ﴿ وما آتيتم من رباً ﴾ بأن يعطي شيئاً هبة أو هدية ليطلب أكثر منه، فسمي باسم المطلوب من الزيادة في المعاملة ﴿ ليربو في أموال الناس ﴾ المعطين، أي يزيد

كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرّٞ
دَعَوۡاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيۡهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنۡهُ رَحۡمَةً إِذَا
فَرِيقٞ مِّنۡهُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡۚ
فَتَمَتَّعُواْ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٗا
فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُواْ بِهِۦ يُشۡرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَآ أَذَقۡنَا
ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ فَرِحُواْ بِهَاۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ
أَيۡدِيهِمۡ إِذَا هُمۡ يَقۡنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ
ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ
يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٧﴾ فَـَٔاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ
ٱلسَّبِيلِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن رِّبٗا لِّيَرۡبُوَاْ فِيٓ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ
فَلَا يَرۡبُواْ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن زَكَوٰةٖ تُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِ

---

(١) جماعة وفرقة. (٢) راضون به، ظناً منهم أنه ينفعهم.

(٣) في العبادة غيره معه. عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه قال: صلىٰ لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية، على إثر سماءٍ كانت من الليلة، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: (هل تدرون ماذا قال ربكم). قالوا الله ورسوله أعلم، قال: (أصبح من عبادي مؤمن وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته: فذلك مؤمن بي وكافر بالكوكب، وأما من قال: بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي ومؤمن بالكوكب) [البخاري: صفة الصلاة، باب: يستقبل الإمام الناس إذا سلم، رقم: ٨١٠. مسلم: الإيمان، باب: بيان كفر من قال مطرنا بالنوء، رقم: ٧١] إثر سماء: بعد هطول مطر. بنوء: بكوكب، من ناء النجم إذا سقط أو طلع.

(٤) ليجحدوا ما أنعم الله تعالى به عليهم.

(٥) إذا جعلت اللام لام الأمر، وقيل: هي لام التعليل، والمعنى: يعبدون معه غيره لتكون عبادتهم تلك سبب كفرهم بنعم الله تعالى عليهم.

(٦) في قوله ﴿ليكفروا﴾ إلى الخطاب في قوله ﴿فتمتعوا﴾ ليكون أبلغ في الزجر.

(٧) بسبب ما فعلوه من المعصية والمخالفة لشرع الله عزّ وجلّ.

(٨) هل يشكر النعمة ويؤدي حقوق الله تعالى فيها، أم يبطر ويتكبر؟.

(٩) اختباره وإظهار حقيقته للخلق، فينظر: هل يرضى ويصبر، أم يسخط ويضجر؟.

(١٠) قيل: المراد صدقة التطوع، لأن الصدقة الواجبة ـ وهي الزكاة ـ فرضت في السنة الثانية من الهجرة، والسورة مكية. وهؤلاء المذكورون في الآية يجب الإحسان إليهم على كل من كان له مال، سواء أكان زكوياً أو لم يكن، وسواء قبل الحول أم بعده، لأن المقصود في ذلك الشفقة عليهم ورعاية حالهم. والقريب مقدم على غيره في الإحسان، لأن سد حاجته واجب على قريبه الذي هو أحسن حالاً منه ولو لم يكن في حالة اضطرار. ولا مانع من أن يراد الصدقة الواجبة، وهي الزكاة، وأن تكون هذه الآية مدنية، والله تعالى أعلم.

(١١) أي إن الأمر في قوله ﴿فآت﴾ هو للنبي ﷺ وأمته تبع له في ذلك، فهي مأمورة بما أمر به ﷺ.

﴿ فلا يربو ﴾ يزكو ﴿ عند الله ﴾ لا ثواب فيه للمعطين ﴿ وما آتيتم من زكاة ﴾ صدقة ﴿ تريدون ﴾ بها ﴿ وجه الله فأولئك هم المضعفون ﴾ ثوابهم بما أرادوه. فيه التفات عن الخطاب(١).

٤٠ ﴿ الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم ﴾ ممن أشركتم بالله ﴿ من يفعل من ذلكم(٢) من شيء ﴾؟ لا ﴿ سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ به.

٤١ ﴿ ظهر الفساد في البر ﴾ القفار(٣)، بقحط المطر وقلة النبات ﴿ والبحر ﴾ البلاد التي على الأنهار بقلة مائها ﴿ بما كسبت أيدي الناس ﴾ من المعاصي ﴿ ليذيقهم ﴾ بالياء والنون ﴿ بعض الذي عملوا ﴾ أي عقوبته ﴿ لعلهم يرجعون ﴾ يتوبون.

٤٢ ﴿ قل ﴾ لكفار مكة ﴿ سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين ﴾ فأهلكوا بإشراكهم، ومساكنهم ومنازلهم خاوية(٤).

٤٣ ﴿ فأقم وجهك للدين القيم ﴾(٥) دين الإسلام ﴿ من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله ﴾(٦) هو يوم القيامة ﴿ يومئذٍ يصدعون ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الصاد(٧)، يتفرقون

بعد الحساب إلى الجنة والنار.

٤٤ ﴿ من كفر فعليه كفره ﴾ وبال كفره وهو النار ﴿ ومن عمل صالحاً فلأنفسهم يمهدون ﴾ يوطئون منازلهم في الجنة.

٤٥ ﴿ ليجزي ﴾ متعلق بيصدعون ﴿ الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله ﴾ يثيبهم ﴿ إنه لا يحب الكافرين ﴾ أي يعاقبهم.

٤٦ ﴿ ومن آياته ﴾ تعالى ﴿ أن يرسل الرياح مبشرات ﴾ بمعنى لتبشركم بالمطر ﴿ وليذيقكم ﴾ بها

فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ
رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ
مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾
ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ
لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾
قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ
مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ
ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ
يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا
فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾
وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم

---

(١) أي في قوله ﴿فأولئك هم..﴾ التفات عن الخطاب في قوله: ﴿آتيتم.. تريدون﴾ إلى الغيبة حيث قال: ﴿فأولئك هم..﴾ ولم يقل: فأنتم.. وفائدة ذلك تعميم الوصف والحكم، فكأنه قيل: من فعل هذا فسبيله سبيل المخاطبين، وجزاؤه جزاؤهم.

(٢) أي الخلق والرزق والإماتة والإحياء. عن حَبَّة وسواء ابني خالد رضي الله عنهما قالا: دخلنا على النبي ﷺ وهو يصلح شيئاً، فأعناه، فقال: (لا تيأسا من الرزق ما تهزَّزَت رؤوسكما، فإن الإنسان تلده أمه أحمر ليس عليه قِشرة، ثم يرزقه الله عزّ وجلّ) [مسند أحمد: ٣/٤٦٩] تهززت: تحركت. أحمر: تكون بشرته مائلة إلى الحمرة بسبب الولادة. قشرة: ثياب.

(٣) جمع قَفْر، وهي الأرض التي لا ماء فيها ولا نبات. قال أبو العالية: من عصى الله في الأرض فقد أفسد في الأرض، لأن صلاح الأرض والسماء بالطاعة، ولهذا جاء في الحديث الذي رواه أبو داود: (لَحَدٌّ يقام في الأرض أحب إلى أهلها من أن يمطروا أربعين صباحاً). والسبب في هذا: أن الحدود إذا أقيمت انكف الناس ـ أو أكثرهم، أو كثير منهم ـ عن تعاطي المحرمات، وإذا ارتكبت المعاصي كان سبباً في مِحَاق البركات من السماء والأرض، ولهذا إذا نزل عيسى ـ عليه السلام ـ في آخر الزمان فحكم بهذه الشريعة المطهرة في ذلك الوقت، من قتل الخنزير وكسر الصليب ووضع الجزية ـ وهو تركها ـ فلا يقبل إلا الإسلام أو السيف، فإذا أهلك الله في زمانه الدجال وأتباعه ويأجوج ومأجوج، قيل للأرض: أخرجي بركاتك، فيأكل من الرمانة الفئام من الناس ويستظلون بقحفها، ويكفي لبن اللقحة الجماعة من الناس، وما ذاك إلا ببركة تنفيذ شريعة رسول الله ﷺ، فكلما أقيم العدل كثرت البركات والخير، ثبت في الصحيح: (أن الفاجر إذا مات تستريح العباد والبلاد، والشجر والدواب). [أحب إلى أهلها: أي أنفع لهم. محاق: ذهاب وقطع. الفئام: الجماعة من الناس. بقحفها: نصف قشرتها. اللقحة: الناقة الحلوب] [تفسير ابن كثير]

(٤) ساقطة ومتهدمة وليس فيها أحد.

(٥) ابذل جهدك، أنت ومن اتبعك، للتمسك بهذا الدين البليغ الاستقامة، والمحفوظ من أن يكون فيه خلل أو عوج، واشتغلوا به ولا تلتفتوا إلى سواه، ولا تكترثوا بمن انحرف عن نهجه وكان من الهالكين.

(٦) لا يقدر أحد من الخلق على رده ومنعه.

(٧) أصلها: يتصدعون، فقلبت التاء صاداً وأدغمت في الصاد.

﴿ من رحمته ﴾ المطر والخصب ﴿ ولتجري الفلك ﴾ السفن بها(١) ﴿ بأمره ﴾ بإرادته ﴿ ولتبتغوا ﴾ تطلبوا ﴿ من فضله ﴾ الرزق بالتجارة في البحر ﴿ ولعلكم تشكرون ﴾ هذه النعم ـ يا أهل مكة ـ فتوحدوه.

٤٧ ﴿ ولقد أرسلنا من قبلك رسلاً إلى قومهم فجاؤوهم بالبينات ﴾ بالحجج الواضحات على صدقهم في رسالتهم إليهم، فكذبوهم ﴿ فانتقمنا من الذين أجرموا ﴾ أهلكنا الذين كذبوهم ﴿ وكان حقاً علينا نصر المؤمنين ﴾ على الكافرين، بإهلاكهم وإنجاء المؤمنين(٢).

٤٨ ﴿ الله الذي يرسل الرياح فتثير سحاباً ﴾ تزعجه(٣) ﴿ فيبسطه في السماء كيف يشاء ﴾ من قلة وكثرة ﴿ ويجعله كسفاً ﴾ بفتح السين وسكونها(٤)، قطعاً متفرقة ﴿ فترى الودق ﴾ المطر ﴿ يخرج من خلاله ﴾ وسطه ﴿ فإذا أصاب به ﴾ بالودق ﴿ من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون ﴾ يفرحون بالمطر.

٤٩ ﴿ وإن ﴾ وقد ﴿ كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله ﴾ تأكيد ﴿ لمبلسين ﴾ آيسين من إنزاله.

٥٠ ﴿ فانظر إلى أثر ﴾ وفي قراءة «آثار» ﴿ رحمت الله ﴾ نعمته بالمطر ﴿ كيف يحيي الأرض بعد موتها ﴾ يبسها، بأن تنبت ﴿ إن ذلك ﴾ المحيي الأرض ﴿ لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير ﴾.

٥١ ﴿ ولئن ﴾ لام قسم ﴿ أرسلنا ريحاً ﴾ مضرة على نبات ﴿ فرأوه مصفراً(٥) لظلوا ﴾ صاروا، جواب القسم ﴿ من بعده ﴾ بعد اصفراره ﴿ يكفرون ﴾ يجحدون النعمة بالمطر(٦).

٥٢ ﴿ فإنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم(٧)

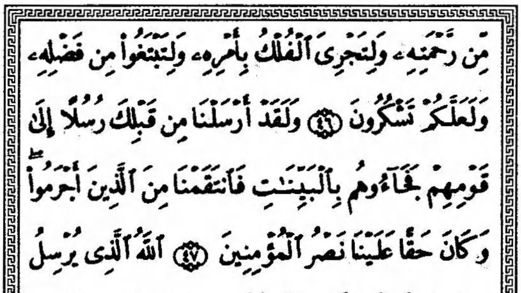
٥٣٧ (سورة الروم)

مِن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ
وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ
قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ۖ
وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ
ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ
وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦۖ فَإِذَآ
أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾
وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾
فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآۚ
إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾
وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ
يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ

---

(١) أي بالرياح.

(٢) عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: (ما من مسلم يرد عن عرض أخيه إلا كان حقاً على الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة) ثم تلا هذه الآية: ﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾ أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن. [أبواب البر والصلة، باب: ما جاء في الذب عن عرض المسلم، رقم: ١٩٣٢] والذب الدفع. وأخرجه أحمد ـ أيضاً ـ في مسنده [٦/ : ٤٤٩ ـ ٤٥٠].

(٣) أي تحركه وتهيجه وتنشره.

(٤) أي ﴿كِسَفاً﴾ و﴿كِسْفاً﴾ قراءتان متواترتان، وكلاهما جمع كِسْفة، وهي القطعة من الشيء، فمعناهما واحد، كما بين المفسر رحمه الله تعالى.

(٥) أي بعد خضرته. أخرج ابن أبي حاتم بسنده عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: الرياح ثمانية، أربعة منها رحمة، وأربعة عذاب، فأما الرحمة: فالناشرات، والمبشرات، والمرسلات، والذاريات. وأما العذاب: فالعقيم والصرصر، وهما في البر، والعاصف والقاصف، وهما في البحر. [ابن كثير].

(٦) قال النسفي: ذمهم الله تعالى بأنه: إذا حبس عنهم المطر قنطوا من رحمته وضربوا أذقانهم على صدورهم مبلسين، فإذا أصابهم برحمته ورزقهم المطر استبشروا، فإذا أرسل ريحاً فضرب زروعهم بالصفار ضجوا وكفروا بنعمة الله، فهم في جميع هذه الأحوال على الصفة المذمومة، وكان عليهم أن يتوكلوا على الله وفضله فقنطوا، وأن يشكروا نعمته ويحمدوه عليها ففرحوا، وأن يصبروا على بلائه فكفروا.

(٧) أي موتى القلوب، أو: من هم في حكم الموتى، وكذلك من هم في حكم الصم في عدم السماع.

قال ابن كثير في تفسيره: وقد استدلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بهذه الآية: ﴿إنك لا تسمع الموتى﴾ على توهيم عبد الله بن عمر في روايته مخاطبة النبي ﷺ القتلى الذين ألقوا في قليب بدر بعد ثلاثة أيام، ومعاتبته إياهم، وتقريعه لهم، حتى قال له عمر: يا رسول الله، ما تخاطب من قوم قد جيفوا؟ فقال: (والذي نفسي بيده، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكن لا يجيبون). وتأولته عائشة على أنه قال: (إنهم الآن ليعلمون أن ما كنت أقول لهم حق). وقال قتادة: أحياهم الله له حتى سمعوا مقالته، تقريعاً وتوبيخاً ونقمة. والصحيح عند العلماء رواية عبد الله بن عمر، لما لها من الشواهد على صحتها من وجوه كثيرة، من أشهر ذلك ما رواه ابن عبد البر مصححاً له: عن ابن عباس مرفوعاً: (ما من أحد يمر بقبر أخيه المسلم،

الدعاء إذا ﴾ بتحقيق الهمزتين(١)، وتسهيل الثانية بينها وبين الياء ﴿ ولوا مدبرين ﴾.

٥٣ ﴿ وما أنت بهاد العمي(٢) عن ضلالتهم إن ﴾ ما ﴿ تسمع ﴾ سماع إفهام وقبول ﴿ إلا من يؤمن بآياتنا ﴾ القرآن ﴿ فهم مسلمون ﴾ مخلصون بتوحيد الله.

٥٤ ﴿ الله الذي خلقكم من ضعف ﴾ ماء مهين ﴿ ثم جعل من بعد ضعف ﴾ آخر، وهو ضعف الطفولية ﴿ قوة ﴾ قوة الشباب ﴿ ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة ﴾ ضعف الكبر وشيب الهرم، والضعف في الثلاثة بضم أوله وفتحه(٣) ﴿ يخلق ما يشاء ﴾ من الضعف والقوة والشباب والشيبة ﴿ وهو العليم ﴾ بتدبير خلقه ﴿ القدير ﴾ على ما يشاء.

٥٥ ﴿ ويوم تقوم الساعة يقسم ﴾ يحلف ﴿ المجرمون ﴾ الكافرون ﴿ ما لبثوا ﴾ في القبور(٤) ﴿ غير ساعة ﴾ قال تعالى: ﴿ كذلك كانوا يؤفكون ﴾ يصرفون عن الحق: البعث، كما صرفوا عن الحق: الصدق في مدة اللبث(٥).

٥٦ ﴿ وقال الذين أوتوا العلم والإيمان ﴾ من الملائكة وغيرهم ﴿ لقد لبثتم في كتاب الله ﴾ فيما كتبه في سابق علمه ﴿ إلى يوم البعث فهذا يوم البعث ﴾ الذي أنكرتموه ﴿ ولكنكم كنتم لا تعلمون ﴾ وقوعه.

٥٧ ﴿ فيومئذ لا تنفع ﴾ بالياء والتاء ﴿ الذين ظلموا معذرتهم ﴾ في إنكارهم له ﴿ ولا هم يستعتبون ﴾ لا يطلب منهم العتبى، أي الرجوع إلى ما يرضي الله.

٥٨ ﴿ ولقد ضربنا ﴾ جعلنا ﴿ للناس في هذا القرآن من كل مثل ﴾ تنبيهاً لهم ﴿ ولئن ﴾ لام قسم ﴿ جئتهم ﴾ يا محمد ﴿ بآية ﴾ مثل العصا واليد لموسى ﴿ ليقولن ﴾ حذف منه نون الرفع لتوالي النونات، والواو ضمير الجمع لالتقاء الساكنين(٦) ﴿ الذين كفروا ﴾ منهم ﴿ إن ﴾ ما ﴿ أنتم ﴾ أي محمد وأصحابه ﴿ إلا مبطلون ﴾ أصحاب أباطيل. ٥٩ ﴿ كذلك يطبع الله على

ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلۡعُمۡيِ عَن
ضَلَٰلَتِهِمۡۖ إِن تُسۡمِعُ إِلَّا مَن يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسۡلِمُونَ ﴿٥٣﴾
۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ
ضَعۡفٖ قُوَّةٗ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٖ ضَعۡفٗا وَشَيۡبَةٗۚ يَخۡلُقُ
مَا يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقۡسِمُ
ٱلۡمُجۡرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيۡرَ سَاعَةٖۚ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤۡفَكُونَ ﴿٥٥﴾
وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَٱلۡإِيمَٰنَ لَقَدۡ لَبِثۡتُمۡ فِي كِتَٰبِ
ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡبَعۡثِۖ فَهَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡبَعۡثِ وَلَٰكِنَّكُمۡ كُنتُمۡ
لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَعۡذِرَتُهُمۡ
وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا
ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖۚ وَلَئِن جِئۡتَهُم بِـَٔايَةٖ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوٓاْ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا مُبۡطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ

كان يعرفه في الدنيا، فيسلم عليه، إلا رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام). وثبت عنه ﷺ لأمته إذا سلموا على أهل القبور أن يسلموا عليهم سلام من يخاطبونه، فيقول المسلم: السلام عليكم دار قوم مؤمنين. وهذا خطاب لمن يسمع ويعقل، ولولا هذا الخطاب لكانوا بمنزلة خطاب المعدوم والجماد، والسلف مجمعون على هذا، وقد تواترت الآثار عنهم بأن الميت يعرف بزيارة الحي له ويستبشر، فروى ابن أبي الدنيا في كتاب [القبور] عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: (ما من رجل يزور قبر أخيه ويجلس عنده إلا استأنس به، ورد عليه حتى يقوم). وروى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إذا مر الرجل بقبر يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام.

(١) همزة الدعاء وهمزة إذا.

(٢) أي من عميت بصائرهم - أي قلوبهم - عن قبول الحق، وصاروا في حكم من عميت أبصارهم عن رؤية ما هو واضح ملموس ومشاهد.

(٣) أي ﴿ضُعْف﴾ و﴿ضَعْف﴾ وهما قراءتان متواترتان، وقرأ بهما حفص، والمعنى واحد. قال في المصباح المنير: والضعف - بفتح الضاد في لغة تميم وبضمها في لغة قريش - خلاف القوة والصحة، فالمضموم مصدر ضَعُف، مثال قَرُب قُرْباً، والمفتوح مصدر ضَعَف ضَعْفاً، من باب قتل، ومنهم من يجعل المفتوح في الرأي والمضموم في الجسد، وهو ضعيف.

(٤) وقيل: في الدنيا.

(٥) أي كما أنهم كذبوا في الدنيا بإنكارهم البعث، كذلك كذبوا الآن في تقدير المدة التي لبثوها في الدنيا أو في قبورهم.

(٦) قال الصاوي: هذا سبق من المفسر، فالصواب أن يقول: هو فعل مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، والذين فاعله، لأن اللام مفتوحة باتفاق القراء.

أقول: كلام المفسر يأتي في حال كون اللفظ مضموم اللام، أي: ليقولُنّ. فيكون أصل اللفظ ليقولُونَنّ، وبيانه: اللام واقعة في جواب قسم محذوف مؤكدة، يقولون: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، والواو: ضمير الجمع في محل رفع فاعل، والنون المشددة نون التوكيد الثقيلة. حذفت نون الرفع لتوالي النونات، فصار اللفظ: ليقولُونّ، فالتقى ساكنان: واو الضمير والنون الأولى من النون المشددة، فحذفت الواو لدلالة الضمة قبلها عليها، فصار اللفظ: ليقولُنّ.

قلوب الذين لا يعلمون ﴾ التوحيد كما طبع على قلوب هؤلاء.

٦٠ ﴿ فاصبر إن وعد الله ﴾ بنصرك عليهم ﴿ حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون ﴾ بالبعث، أي لا يحملنك على الخفة والطيش بترك الصبر، أي لا تتركنه.

(سورة لقمان)
(مكية إلا الآيات ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ فمدنية)
(وآياتها ٣٤)

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿ الٓمٓ ﴾ الله أعلم بمراده به(١).

٢ ﴿ تلك ﴾ هذه الآيات ﴿ آيات الكتاب ﴾ القرآن ﴿ الحكيم ﴾ ذي الحكمة، والإضافة بمعنى من(٢).

٣ هو ﴿هدى ورحمةٌ ﴾ بالرفع ﴿ للمحسنين ﴾ وفي قراءة العامة(٣) بالنصب، حالاً من الآيات، العامل فيها ما في تلك من معنى الإشارة.

٤ ﴿ الذين يقيمون الصلاة ﴾ بيان للمحسنين ﴿ ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون ﴾ هم الثاني تأكيد.

٥ ﴿ أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ﴾ الفائزون(٤).

٦ ﴿ ومن الناس من يشتري لهو الحديث ﴾ أي ما يلهي منه عما يعني ﴿ ليضل ﴾ بفتح الياء وضمها(٥) ﴿عن سبيل الله ﴾ طريق الإسلام ﴿بغير علم ويتخذها ﴾ بالنصب عطفاً على يضل، وبالرفع عطفاً على يشتري(٦) ﴿هزواً﴾ مهزوءاً بها ﴿ أولئك لهم عذاب مهين ﴾ ذو إهانة.

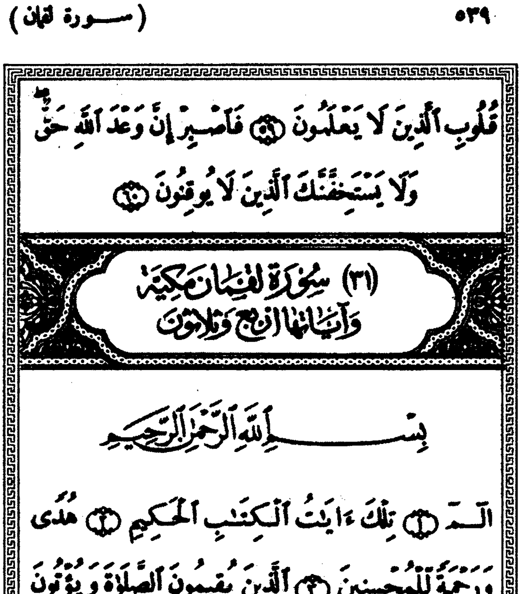

٥٣٩ (سورة لقمان)

قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾

(٣١) سُورَةُ لُقْمَانَ مَكِّيَّة
وَآيَاتُهَا أَرْبَعٌ وَثَلَاثُونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾

---

(١) انظر/ البقرة: ١/.

(٢) أي: تلك آيات من الكتاب..

(٣) أي غالبية القراء العشرة المعتد بقراءاتهم ومن روى عنهم.

(٤) قال ابن كثير في تفسيره: إنه ـ تعالى ـ جعل هذا القرآن هدىً وشفاءً ورحمة للمحسنين، وهم الذين أحسنوا العمل في اتباع الشريعة، فأقاموا الصلاة المفروضة بحدودها وأوقاتها، وما يتبعها من نوافل راتبة وغير راتبة، وآتوا الزكاة المفروضة عليهم إلى مستحقيها، ووصلوا قراباتهم وأرحامهم، وأيقنوا بالجزاء في الدار الآخرة، فرغبوا إلى الله في ثواب ذلك، لم يراؤوا به ولا أرادوا جزاءً من الناس ولا شكوراً، فمن فعل ذلك كذلك فهو من الذين قال الله تعالى: ﴿ أولئك على هدىً من ربهم ﴾ أي: على بصيرة وبيّنة ومنهج واضح جلي ﴿وأولئك هم المفلحون﴾ أي: في الدنيا والآخرة.

(٥) أي ﴿لِيَضل﴾ هو بنفسه، و ﴿لِيُضِلَّ﴾ غيره.

(٦) أي فيها قراءتان: ﴿ يتخذَها ﴾ و ﴿ يتخذُها ﴾ والمعنى لينحرف بنفسه أو بالناس عما جاء من الحق ويهزأ به. أو: يستبدل اللهو الباطل ويؤثره عما ينفعه من الحق، ويهزأ بما كان عليه أن يلتزمه من سلوك طريق الإسلام.

سبب نزول الآية [٦]: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: نزلت في النضر بن الحارث، اشترى قينة، وكان لا يسمع بأحد يريد الإسلام إلا انطلق به إلى قينته، فيقول: أطعميه واسقيه وغنيه، هذا خير مما يدعوك إليه محمد من الصلاة والصيام وأن تقاتل بين يديه، فنزلت. [السيوطي].

وقال الواحدي: قال الكلبي ومقاتل: نزلت في النضر بن الحارث، وذلك أنه كان يخرج تاجراً إلى فارس، فيشتري أخبار الأعاجم فيرويها ويحدث بها قريشاً، ويقول لهم: إن محمداً ـ عليه الصلاة والسلام ـ يحدثكم بحديث عاد وثمود، وأنا أحدثكم بحديث رستم واسفنديار وأخبار الأكاسرة. فيستملحون حديثه ويتركون استماع القرآن، فنزلت فيه هذه الآية.

٧ ﴿ وإذا تتلى عليه آياتنا ﴾ القرآن ﴿ ولى مستكبراً ﴾ متكبراً ﴿ كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقراً ﴾ صمماً(١)، وجملتا التشبيه حالان من ضمير ولّى، أو الثانية بيان للأولى ﴿ فبشره ﴾ أعلمه ﴿ بعذاب أليم ﴾ مؤلم، وذكر البشارة تهكم به(٢)، وهو النضر بن الحارث: كان يأتي الحيرة يتجر، فيشتري كتب أخبار الأعاجم ويحدث بها أهل مكة، ويقول: إن محمداً يحدثكم أحاديث عاد وثمود، وأنا أحدثكم أحاديث فارس والروم. فيستملحون حديثه(٣)، ويتركون استماع القرآن.

٨ ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم ﴾.

٩ ﴿ خالدين فيها ﴾ حال مقدرة، أي مقدراً خلودهم فيها إذا دخلوها ﴿ وعد الله حقاً ﴾ أي وعدهم الله ذلك وحقه حقاً ﴿ وهو العزيز ﴾ الذي لا يغلبه شيء فيمنعه(٤) من إنجاز وعده ووعيده ﴿ الحكيم ﴾ الذي لا يضع شيئاً إلا في محله.

١٠ ﴿ خلق السموات بغير عمد ترونها ﴾ العمد جمع عماد، وهو الأسطوانة، وهو صادق بأن لا عمد أصلاً(٥) ﴿ وألقى في الأرض رواسي ﴾ جبالاً مرتفعة لـ ﴿ ـأن ﴾ لا ﴿ تميد ﴾ تتحرك ﴿ بكم وبث فيها(٦) من كل دابة وأنزلنا ﴾ فيه التفات عن الغيبة(٧) ﴿من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم ﴾ صنف حسن.

١١ ﴿ هذا خلق الله ﴾ مخلوقه ﴿ فأروني ﴾ أخبروني يا أهل مكة ﴿ ماذا خلق الذين من دونه ﴾ غيره، أي آلهتكم، حتى أشركتموها به تعالى؟ وما استفهام إنكار(٨) مبتدأ، وذا بمعنى الذي بصلته خبره، وأروني معلق عن العمل(٩) وما بعده سد مسد المفعولين(١٠) ﴿ بل ﴾ للانتقال(١١) ﴿ الظالمون في ضلال مبين ﴾ بين، بإشراكهم، وأنتم منهم.

١٢ ﴿ ولقد آتينا لقمان الحكمة ﴾ منها العلم والديانة(١٢) والإصابة في القول، وحكمه كثيرة مأثورة، كان يفتي قبل بعثة داود، وأدرك بعثته وأخذ عنه العلم وترك الفتيا، وقال في ذلك: ألا أكتفي إذا كفيت. وقيل له: أي الناس شر؟ قال: الذي لا يبالي إن رآه الناس مسيئاً. ﴿ أن ﴾ وقلنا له أن ﴿ اشكر لله ﴾ ما أعطاك من الحكمة ﴿ ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ﴾ لأن ثواب شكره له ﴿ ومن كفر ﴾ النعمة ﴿ فإن الله غني ﴾ عن خلقه ﴿ حميد ﴾ محمود في صنعه.

١٣ ﴿ و ﴾ اذكر ﴿ إذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني ﴾ تصغير إشفاق(١٣) ﴿ لا تشرك بالله إن الشرك ﴾ بالله ﴿ لظلم عظيم ﴾ فرجع إليه(١٤) وأسلم ببركة أبيه، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ويكرمهما.

١٤ ﴿ ووصينا الإنسان بوالديه ﴾ أمرناه أن يبرهما

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ
فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ
وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ
وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا
فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا
خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾
وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ
فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾
وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ
إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ

---

(١) وثقلاً.

(٢) أي لأن الغالب أن تكون البشارة بما يسر الإنسان، فاستعمالها فيما يسوءه تهكم به وزيادة إزعاج.

(٣) أي يعدونه مليحاً فيصغون له.

(٤) أي لا يقهره أحد حتى يستطيع أن يمنعه مما ذكر.

(٥) أي ليس لها عمد أصلاً، وليس المراد أن لها عمداً لا ترى. وقيل: لها عمد غير مرئية، وهي خطوط الجاذبية بين أجرام الفضاء، التي تجعلها تسير وفق قانون معين بانتظام، والله تعالى أعلم.

(٦) نشر وفرق.

(٧) أي في قوله ﴿وأنزلنا﴾ التفات عن الغيبة في الأفعال السابقة إلى التكلم، زيادة في إلزام الحجة، لما في هذه الآية من الوضوح.

(٨) أي ما خلقوا شيئاً.

(٩) في اللفظ، وأما في المعنى فإنه عامل النصب، والذي علقه عن العمل الاستفهام، لأن له الصدارة في الكلام، فمحله الابتداء كما ذكر.

(١٠) المناسب أن يقول: سد مسد المفعول الثاني، لأن أرى تنصب مفعولين، والمفعول الأول هو ياء المتكلم في: فاروني.

(١١) من إقامة الحجة عليهم إلى الإخبار بقبح حالهم وحال من على شاكلتهم.

(١٢) العمل بالعلم.

(١٣) محبة وعطف.

(١٤) أي رجع إلى دين أبيه وهو الإسلام دين التوحيد.

﴿ حملته أمه ﴾ فوهنت به ﴿ وهناً على وهن ﴾ ضعفت للحمل، وضعفت للطلق، وضعفت للولادة ﴿ وفصاله ﴾ أي فطامه ﴿ في عامين ﴾ وقلنا له ﴿ أن اشكر لي ولوالديك إليّ المصير ﴾ أي المرجع والمستقر.

١٥ ﴿ وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم ﴾ موافقة للواقع ، فلا مفهوم له(١) ﴿ فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً ﴾ بالمعروف: البر والصلة، وأنواع الخير تطلق ويراد بها المعروف ﴿ واتبع سبيل ﴾ طريق ﴿ من أناب ﴾ رجع وأخلص ﴿ إليّ ﴾ بالطاعة ﴿ ثم إليّ مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون ﴾ فأجازيكم عليه، وكفى بالله حسيباً. وجملة الوصية وما بعدها اعتراض(٢).

١٦ ﴿ يا بني إنها ﴾ الخصلة السيئة ﴿ إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السماوات أو في الأرض ﴾ أي في أخفى مكان من ذلك ﴿ يأتِ بها الله ﴾ فيحاسب عليها ﴿ إن الله لطيف ﴾ باستخراج ما ذكر ﴿ خبير ﴾ بمكانه.

١٧ ﴿ يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ﴾ بسبب الأمر والنهي ﴿ إن ذلك ﴾ المذكور ﴿ من عزم الأمور ﴾ معزوماتها التي يعزم عليها لوجوبها(٣). ١٨ ﴿ ولا تصعر ﴾ وفي قراءة «تُصَاعِر»(٤) ﴿ خدك للناس ﴾ لا تمل وجهك عنهم تكبراً ﴿ ولا تمش في الأرض مرحاً ﴾ خيلاء ﴿ إن الله لا يحب كل مختال ﴾ متبختر في مشيه ﴿ فخور ﴾ على الناس.

١٩ ﴿ واقصد في مشيك ﴾ توسط فيه بين الدبيب(٥) والإسراع، وعليك السكينة والوقار ﴿ واغضض ﴾ اخفض ﴿ من صوتك إن أنكر الأصوات ﴾ أقبحها ﴿ لصوت الحمير ﴾ أوله زفير(٦) وآخره شهيق(٧)، وقيل بالعكس.

حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى
وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ
بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا
مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ
فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ
مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾
يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ
وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾
وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ
إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ
وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ

---

(١) أي قوله: ﴿ ما ليس لك به علم ﴾ بيان للواقع وهو أنه تعالى لا شريك له أصلاً، ونسبة الشريك إليه جهل وسفه، ولا يفهم منه أن هناك شريكاً يمكن أن يكون له به علم.

(٢) بين كلامي لقمان.

(٣) تحتمها على المكلفين، فلا يرخص في تركها.

(٤) ومعناهما واحد، من الصَّعَر، وهو في الأصل: داء يصيب البعير فيلوي منه عنقه، ثم استعمل في الإعراض بالوجه تكبراً.

(٥) المشي البطيء بطأً شديداً.

(٦) وهو صوت قوي.

(٧) وهو صوت ضعيف.

فائدة: في حسن الخلق. عن مسروق قال: كنا جلوساً مع عبد الله ابن عمرو يحدثنا، إذ قال: لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً، وإنه كان يقول: (إن خياركم أحاسنكم أخلاقاً) [البخاري: الأدب، باب: حسن الخلق والسخاء. . ، رقم: ٥٦٨٨. مسلم: الفضائل، باب: كثرة حيائه ﷺ رقم: ٢٣٢١]. [فاحشاً: ناطقاً بالفحش. متفحشاً: متكلفاً في الفحش، أي لم يكن الفحش فيه خلقاً أصلياً ولا كسبياً. والفحش في الأصل الزيادة بالخروج عن الحد المألوف، والمراد هنا: سوء الخلق وبذاءة اللسان ونحو ذلك].

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها: أن رجلاً استأذن على النبي ﷺ، فلما رآه قال: (بئس أخو العشيرة، وبئس ابن العشيرة). فلما جلس تطلّق النبي ﷺ في وجهه وانبسط إليه، فلما انطلق الرجل قالت له عائشة: يا رسول الله، حين رأيت الرجل قلت له كذا وكذا، ثم انطلقت في وجهه وانبسطت إليه؟ فقال رسول الله ﷺ: (يا عائشة متى عهدتني فحّاشاً، إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء شره) [البخاري: الأدب، باب: لم يكن النبي ﷺ فاحشاً. . ، رقم: ٥٦٨٥. مسلم: البر والآداب والصلة، باب: مداراة من يتقى فحشه، رقم: ٢٥٩١]. [رجلاً: هو عيينة بن حصين الفزاري. أخو العشيرة: أحد أفراد القبيلة. تطلق: انشرح. انبسط: ظهر عليه السرور. عهدتني: عَلِمتني. اتقاء شره: دفعاً لشره].

وعن أبي ذر جندب بن جنادة، وأبي عبد الرحمن معاذ بن جبل، رضي الله عنهما، عن رسول الله ﷺ قال: (اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن) رواه الترمذي [في أبواب البر والصلة، باب: ما جاء في معاشرة الناس، رقم: ١٩٨٨]. وقال: حديث =

سبب نزول الآية [١٥]: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي﴾: قال الواحدي: نزلت في سعد بن أبي وقاص، رضي الله عنه على ما ذكرناه في سورة العنكبوت. وقوله تعالى: ﴿ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ﴾. نزلت في أبي بكر رضي الله عنه.

قال عطاء، عن ابن عباس رضي الله عنهما: يريد أبا بكر، وذلك أنه حين أسلم أتاه عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وعثمان وطلحة والزبير، فقالوا لأبي بكر رضي الله عنه: آمنت وصدقت محمداً؟ عليه السلام. فقال أبو بكر: نعم، فأتوا رسول الله ﷺ فآمنوا وصدقوا، فأنزل الله تعالى يقول لسعد: ﴿واتبع سبيل من أناب إليّ﴾ يعني أبا بكر رضي الله عنه. =

٢٠ ﴿ ألم تروا ﴾ تعلموا يا مخاطبين ﴿ أن الله سخر لكم ما في السموات ﴾ من الشمس والقمر والنجوم لتنتفعوا بها ﴿ وما في الأرض ﴾ من الثمار والأنهار والدواب ﴿ وأسبغ ﴾ أوسع وأتم ﴿ عليكم نعمه ظاهرة ﴾ وهي حسن الصورة وتسوية الأعضاء وغير ذلك ﴿ وباطنة ﴾ هي المعرفة وغيرها ﴿ ومن الناس ﴾ أي أهل مكة ﴿ من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ﴾ من رسول ﴿ ولا كتاب منير ﴾ أنزله الله، بل بالتقليد.

٢١ ﴿ وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا ﴾ قال تعالى: ﴿ أ ﴾ يتبعونه ﴿ ولو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير ﴾ أي موجباته؟ لا.

٢٢ ﴿ ومن يسلم وجهه إلى الله ﴾ يقبل على طاعته ﴿ وهو محسن ﴾ موحد ﴿ فقد استمسك بالعروة الوثقى ﴾ بالطرف الأوثق الذي لا يخاف انقطاعه(١) ﴿ وإلى الله عاقبة الأمور ﴾ مرجعها.

٢٣ ﴿ ومن كفر فلا يحزنك ﴾ يا محمد ﴿ كفره ﴾ لا تهتم بكفره ﴿ إلينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا إن الله عليم بذات الصدور ﴾ بما فيها، كغيره(٢)، فمجاز عليه.

٢٤ ﴿ نمتعهم ﴾ في الدنيا ﴿ قليلاً ﴾ أيام حياتهم ﴿ ثم نضطرهم ﴾ في الآخرة ﴿ إلى عذاب غليظ ﴾ وهو عذاب النار، لا يجدون عنه محيصاً(٣).

٢٥ ﴿ ولئن ﴾ لام قسم ﴿ سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله ﴾ حذف منه نون الرفع لتوالي الأمثال، وواو الضمير لالتقاء الساكنين(٤) ﴿ قل الحمد لله ﴾ على ظهور الحجة عليهم بالتوحيد ﴿ بل أكثرهم لا يعلمون ﴾ وجوبه عليهم.

ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ
وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا
كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟
بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ
يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾ * وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ
إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى
ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ
إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ
ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ
غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ
لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾

---

(١) مثل المؤمن المتمسك بطاعة الله تعالى بمن أراد أن يرقى إلى شاهق جبل فتمسك بأوثق حبل يوصله إلى غايته، فكذلك المتمسك بطاعة الله تعالى يصل إلى غايته من السعادة والفوز في الدنيا والآخرة.

(٢) أي إنه سبحانه يعلم ما خفي في صدورهم كما يعلم ما ظهر من أعمالهم، فإنه يعلم سرهم وعلانيتهم.

(٣) ملجأ ومهرباً.

(٤) أصله: ليقولونَنّ؛ حذفت النون الأولى ـ وهي نون رفع الفعل المضارع ـ لتوالي ثلاث نونات، فصارت: ليقولونْنّ، فالتقى ساكنان: الواو والنون الأولى، فحذفت الواو لدلالة الضمة عليها، وأدغمت النون الساكنة بالمتحركة بعدها فصارت: لَيَقُولُنّ.

= حسن صحيح. [اتق الله: اجعل وقاية لنفسك من عقابه بفعل طاعته واجتناب معصيته. حيثما كنت: في كل زمان ومكان وعلى أي حال. أتبع: افعل عقبها مباشرة. السيئة: الذنب الذي يصدر منك. تمحها: تزيلها من صحف الملائكة وترفع المؤاخذة عليها. خالق: جاهد نفسك وتكلف المجاملة]. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت النبي ﷺ يقول: (إن المؤمن يدرك بحسن خلقه درجات قائم الليل صائم النهار) [مسند أحمد: ٦/٦٤]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: سئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة، فقال: (حسن الخلق). وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار، فقال: (الأجوفان: الفم والفرج). [المسند: ٢/٢٩١]. وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله ليعطي العبد من الثواب على حسن الخلق كما يعطي المجاهد في سبيل الله، يغدو عليه الأجر ويروح). [أخرجه ابن كثير بسنده في تفسيره].

وعن أبي ثعلبة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إن أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلساً في الآخرة أحاسنكم أخلاقاً، وإن أبغضكم إليّ وأبعدكم مني في الآخرة مساويكم أخلاقاً، الثرثارون المتشدقون المتفيهقون). [مسند أحمد: ٤/١٩٣].

وعن جابر رضي الله عنه مرفوعاً: (ألا أخبركم بأكملكم إيماناً؟ أحاسنكم أخلاقاً، الموطؤون أكنافاً، الذين يؤلفون ويألفون) [ابن كثير في تفسيره]. [الثرثارون: الذين يكثرون الكلام تكلفاً وخروجاً عن الحق. المتفيهقون: المتوسعون في الكلام ويفتحون به أفواههم]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: (إنكم لا تسعون الناس بأموالكم، ولكن يسعهم منكم بسط وجوه وحسن خلق) [ابن كثير في تفسيره].

= وأخرج الطبراني في [كتاب العشرة] بسنده عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: أنزلت فيّ هذه الآية: ﴿وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما﴾.. الآية، وقال: كنت رجلاً براً بأمي، فلما أسلمت قالت: يا سعد، ما هذا الذي أراك قد أحدثت؟ لتدعن دينك هذا أو لا آكل ولا أشرب حتى أموت، فتُعَيَّر بي، فيقال: يا قاتل أمه. فقلت: لا تفعلي يا أمه، فإني لا أدع ديني هذا لشيء. فمكثت يوماً وليلة لم =

٢٦ ﴿لله ما في السموات والأرض﴾ ملكاً وخلقاً وعبيداً، فلا يستحق العبادة فيهما غيره ﴿إن الله هو الغني﴾ عن خلقه ﴿الحميد﴾ المحمود في صنعه.

٢٧ ﴿ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر﴾ عطف على اسم أن(١) ﴿يمده من بعده سبعة أبحر﴾ مداداً ﴿ما نفدت كلمات الله﴾ المعبر بها عن معلوماته، بكتبها بتلك الأقلام بذلك المداد، ولا بأكثر من ذلك، لأن معلوماته تعالى غير متناهية ﴿إن الله عزيز﴾ لا يعجزه شيء ﴿حكيم﴾ لا يخرج شيء عن علمه وحكمته.

٢٨ ﴿ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة﴾ خلقاً وبعثاً، لأنه بكلمة كن فيكون ﴿إن الله سميع﴾ يسمع كل مسموع ﴿بصير﴾ يبصر كل مبصر، لا يشغله شأن عن شأن، سبحانه وتعالى.

٢٩ ﴿ألم ترَ﴾ تعلم يا مخاطباً(٢) ﴿أن الله يولج﴾ يدخل ﴿الليل في النهار ويولج النهار﴾ يدخله ﴿في الليل﴾ فيزيد كل منهما بما نقص من الآخر ﴿وسخر الشمس والقمر كل﴾ منهما ﴿يجري﴾ في فلكه ﴿إلى أجل مسمى﴾ هو يوم القيامة ﴿وأن الله بما تعملون خبير﴾.

٣٠ ﴿ذلك﴾ المذكور ﴿بأن الله هو الحق﴾ الثابت ﴿وأن ما يدعون﴾ بالياء والتاء، يعبدون(٣) ﴿من دونه الباطل﴾ الزائل ﴿وأن الله هو العلي﴾ على خلقه بالقهر ﴿الكبير﴾ العظيم.

٣١ ﴿ألم ترَ أن الفلك﴾ السفن ﴿تجري في البحر بنعمت الله ليريكم﴾ يا مخاطبين بذلك ﴿من آياته إن في ذلك لآيات﴾ عبراً ﴿لكل صبار﴾ عن معاصي الله(٤) ﴿شكور﴾ لنعمته.

٣٢ ﴿وإذا غشيهم﴾ أي علا الكفار ﴿موج كالظلل﴾ كالجبال التي تُظِلُّ من تحتها ﴿دعوا الله مخلصين له الدين﴾ الدعاء بأن ينجيهم، أي لا يدعون معه غيره

لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ
ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ
يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ
عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ
وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ
فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ
يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾
ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ
وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى
فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ
لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ
دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم

---

(١) وهذا على قراءة نصب ﴿البحر﴾ وعلى قراءة الرفع فهو مبتدأ وخبره جملة ﴿يمده﴾ وجملة المبتدأ والخبر حالية، أي والحال أن البحر مداد محدود بما ذكر.

(٢) أي الخطاب لكل من يصلح له من الآدميين، فقوله: «يا مخاطباً» منصوب على أنه نكرة غير مقصودة، اي اىّ مخاطب.

(٣) أي الكفار، فعلى قراءة الياء إخبار عنهم، وعلى قراءة التاء خطاب لهم. (٤) وعلى طاعته والتزام شرعه.

فائدة: عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ لأبي ذر حين غربت الشمس: «تدري أين تذهب». قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش، فتستأذن فيؤذن لها، ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها، وتستأذن فلا يؤذن لها، يقال لها: ارجعي من حيث جئت، فتطلع من مغربها، فذلك قوله تعالى: ﴿والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم﴾ [يسٓ: ٣٨]». [البخاري: بدء الخلق، باب: صفة الشمس والقمر بحسبان، رقم: ٣٠٢٧. مسلم: الإيمان، باب: بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان، رقم: ١٥٩]. [تسجد تحت العرش: تشبيه غروبها ـ وهي منقادة لأمر الله تعالى وتسخيره ـ بانقياد الساجد من المكلفين، وهو يخر إلى أسفل، معلناً تمام انقياده وغاية خضوعه لأمر ربه جل وعلا. وكون ذلك تحت العرش فلأن السماوات=

= تأكل فأصبحت قد جهدت، فمكثت يوماً وليلة أخرى لا تأكل، فأصبحت قد اشتد جهدها، فلما رأيت ذلك قلت: يا أمه، تعلمين والله لو كانت لك مائة نفس، فخرجت نفساً نفساً، ما تركت ديني هذا لشيء، فإن شئت فكلي، وإن شئت لا تأكلي، فأكلت. [انظر تفسير ابن كثير].

سبب نزول الآية [٢٧]: وأخرج ابن جرير عن عكرمة قال: سأل أهل الكتاب رسول الله ﷺ عن الروح، فأنزل الله ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ [الإسراء: ٨٥]. فقالوا: تزعم أنا لم نؤت من العلم إلا قليلاً، وقد أوتينا التوراة وهي الحكمة، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً؟ فنزلت: ﴿ولو أنّ ما في الأرض من شجرة أقلام﴾ الآية.

وعن عطاء بن يسار قال: نزلت بمكة: ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾، فلما هاجر إلى المدينة أتاه أحبار يهود فقالوا: ألم يبلغنا عنك أنك تقول: وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً، إيانا تريد أم قومك؟ فقال: (كُلّاً عنيت). قالوا: فإنك تتلو أنا قد أوتينا التوراة وفيها تبيان كلّ شيء، فقال رسول الله ﷺ: (هي في علم الله قليل). فأنزل الله: ﴿ولو أنّ ما في الأرض من شجرة أقلام﴾. [السيوطي، الواحدي، ابن جرير].

وأخرج وابن جرير، عن قتادة قال: قال المشركون: إنما هذا كلام يوشك أن ينفد، فنزل: ﴿ولو أنّ ما في الأرض﴾ الآية.

﴿ فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد ﴾ متوسط بين الكفر والإيمان⁽¹⁾، ومنهم باقٍ على كفره ﴿ وما يجحد بآياتنا ﴾ ومنها الإنجاء من الموج ﴿ إلا كل ختار ﴾ غدار ﴿ كفور ﴾ لنعم الله تعالى.

٣٣ ﴿ يا أيها الناس ﴾ أي أهل مكة ﴿ اتقوا ربكم واخشوا يوماً لا يجزي ﴾ يغني ﴿ والد عن ولده ﴾ فيه شيئاً ﴿ ولا مولود هو جاز عن والده ﴾ فيه ﴿ شيئاً إن وعد الله حق ﴾ بالبعث ﴿ فلا تغرنكم الحياة الدنيا ﴾ عن الإسلام ﴿ ولا يغرنكم بالله ﴾ في حلمه وإمهاله ﴿ الغرور ﴾ الشيطان.

٣٤ ﴿ إن الله عنده علم الساعة ﴾ متى تقوم ﴿ وينزل ﴾ بالتخفيف والتشديد⁽²⁾ ﴿ الغيث ﴾ بوقت يعلمه ﴿ ويعلم ما في الأرحام ﴾ أذكر أم أنثى؟ ولا يعلم واحداً من الثلاثة غير الله تعالى ﴿ وما تدري نفس ماذا تكسب غداً ﴾ من خير أو شر، ويعلمه الله تعالى ﴿ وما تدري نفس بأي أرض تموت ﴾ ويعلمه الله تعالى ﴿ إن الله عليم ﴾ بكل شيء ﴿ خبير ﴾ بباطنه كظاهره. روى البخاري عن ابن عمر حديث: (مفاتيح الغيب خمسة: إن الله عنده علم الساعة) إلى آخر السورة⁽³⁾.

(سورة السجدة)⁽⁴⁾

(مكية، وآياتها: ثلاثون آية)

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿ الٓمٓ ﴾ الله أعلم بمراده به⁽⁵⁾.

٢ ﴿ تنزيل الكتاب ﴾ القرآن، مبتدأ ﴿ لا ريب ﴾ شك ﴿ فيه ﴾ خبر أول ﴿ من رب العالمين ﴾ خبر ثانٍ⁽⁶⁾.

٣ ﴿ أم ﴾ بل ﴿ يقولون افتراه ﴾ محمد؟

---

(1) وفي النسفي: باقٍ على الإيمان والإخلاص الذي كان منه ولم يعد إلى الكفر، أو: مقتصد في الإخلاص الذي كان عليه في البحر، يعني أن ذلك الإخلاص الحادث عند الخوف لا يبقى لأحد قط. ولعل هذا التفسير أولى مما فسر به الجلال. (2) أي ﴿يُنْزِلُ﴾ و ﴿يُنَزِّلُ﴾ والتشديد لبيان الكثرة.

(3) أي: وتتمة الحديث تتمة الآية، والحديث رواه البخاري في التفسير/ الأنعام، باب: ﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو﴾ رقم: ٤٣٥١.

(4) وتسن قراءتها في الركعة الأولى من صلاة الفجر يوم الجمعة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقرأ في الفجر يوم الجمعة ﴿الم تنزيل الكتاب﴾ و ﴿هل أتى على الإنسان﴾. وعن جابر رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ كان لا ينام حتى يقرأ ﴿الم تنزيل الكتاب﴾ و ﴿تبارك الذي بيده الملك﴾ [البخاري: الجمعة، باب: ما يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة، رقم: ٨٥١. مسلم: الجمعة، باب: ما يقرأ في يوم الجمعة، رقم: ٨٨٠. الترمذي: الدعوات، باب: قراءة ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ عند النوم، رقم: ٤٠٠١].

(5) وانظر/ البقرة: ١/.

(6) والمعنى: تنزيل الكتاب كائن من رب العالمين.

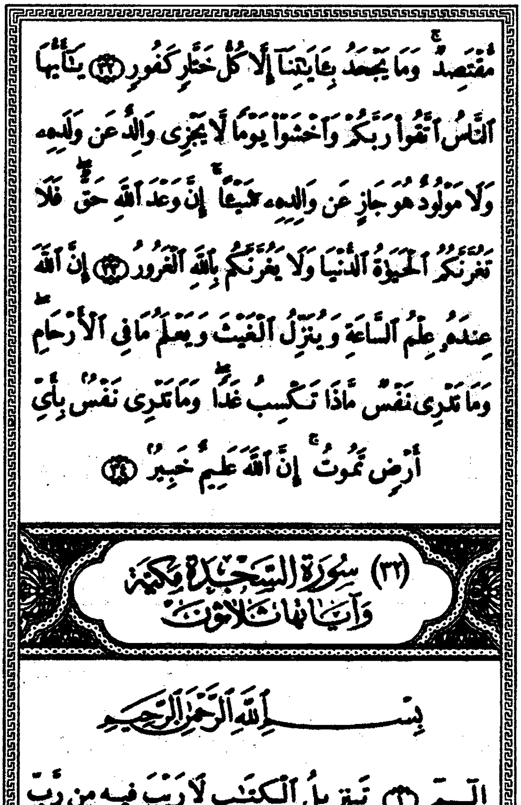

مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾

(٣٢) سُورَةُ السَّجْدَةِ مَكِّيَّة
وَآيَاتُهَا ثَلَاثُونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ

والأرض وغيرها من العوالم كلها تحت العرش. ففي أي موضع سقطت وغربت فهو تحت العرش، على أن هذا الكلام لا يفسر الظواهر الكونية، وإنما يشير إلى الأسرار الكامنة وراء الظواهر، والتي أودعها الله عز وجل هذه العوالم، فهي من الغيب الذي اختص الله تعالى بعلمه، وأطلع على شيء منه بعض من اصطفاهم من خلقه، وعلى رأسهم خاتم النبيين ﷺ، ليخبروا بذلك من أرسلوا إليهم، اختباراً لتصديقهم، وتمحيصاً ليقينهم، وتثبيتاً لإيمان من أسلم قلبه لله تعالى منهم، ولذا نجد أصحاب رسول الله ﷺ، وهو يخبرهم بذلك، لا يستفسرون عنه ولا يستوضحون، وإنما يصدقون ويستسلمون ويفوضون علم ما خفي عنهم إلى الله عز وجل وإلى رسوله ﷺ، ولا يكلفون أنفسهم عناء البحث فيما سكت عنه الكتاب والسنة، ولا يتطاولون إلى ما أدركت عقولهم أنه فوق قدرهم وطاقتهم، بعد أن آمنوا بالله تعالى رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً. ونحن ـ معاشر المؤمنين الصادقين ـ يسعنا ما وسعهم، لاسيما وهم الرعيل الأول الأسوة الحسنة، والنموذج الإيماني المثالي الصادق، سدد الله خطانا وحفظنا من نزغات الشياطين. وما أشار إليه ﷺ ـ من رجوع الشمس وطلوعها من مغربها ـ هو من العلامات الكبرى لقرب قيام الساعة، كما ثبت في الأحاديث الصحيحة. لمستقر لها: لحد لها من مسيرها كل يوم حسبما يتراءى لعيوننا وهو المغرب، أو لحد معين ينتهي إليه دورها، وقد ثبت أن الشمس تنتقل انتقالاً بطيئاً مع دورانها حول نفسها في فلكها. العزيز: الغالب بقدرته على كل مقدور. العليم: المحيط علمه بكل معلوم].

سبب نزول الآية [٣٤]: أخرج ابن جرير عن مجاهد قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إن امرأتي حبلى، فأخبرني ماذا تلد؟ وبلادنا محل

لا ﴿ بل هو الحق من ربك لتنذر ﴾ به ﴿ قوماً ما ﴾ نافية ﴿ أتاهم من نذير من قبلك(١) لعلهم يهتدون ﴾ بإنذارك.

٤ ﴿ الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ﴾ أولها الأحد وآخرها الجمعة(٢) ﴿ ثم استوى على العرش ﴾ هو في اللغة سرير الملك، استواء يليق به ﴿ مالكم ﴾ يا كفار مكة ﴿ من دونه ﴾ غيره ﴿ من ولي ﴾ اسم ما بزيادة من، أي ناصر ﴿ ولا شفيع ﴾ يدفع عذابه عنكم ﴿ أفلا تتذكرون ﴾ هذا فتؤمنوا.

٥ ﴿ يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ﴾ مدة الدنيا ﴿ ثم يعرج ﴾ يرجع الأمر والتدبير ﴿ إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون ﴾ في الدنيا، وفي سورة سأل «خمسين ألف سنة»، وهو يوم القيامة(٣)، لشدة أهواله بالنسبة إلى الكافر، وأما المؤمن: فيكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا، كما جاء في الحديث.

٦ ﴿ ذلك ﴾ الخالق المدبر ﴿ عالم الغيب والشهادة ﴾ أي ما غاب عن الخلق وما حضر ﴿ العزيز ﴾ المنيع في ملكه ﴿ الرحيم ﴾ بأهل طاعته. ٧ ﴿ الذي أحسن كل شيء خلقه ﴾ بفتح اللام فعلاً ماضياً صفة، وبسكونها بدل اشتمال(٤) ﴿ وبدأ خلق الإنسان ﴾ آدم ﴿ من طين ﴾. ٨ ﴿ ثم جعل نسله ﴾ ذريته ﴿ من سلالة ﴾ علقة(٥) ﴿ من ماء مهين ﴾ ضعيف، هو النطفة.

٩ ﴿ ثم سواه ﴾ خلق آدم ﴿ ونفخ فيه من روحه ﴾ جعله حياً حساساً بعد أن كان جماداً ﴿ وجعل لكم ﴾ لذريته ﴿ السمع ﴾ بمعنى الأسماع ﴿ والأبصار والأفئدة ﴾ القلوب ﴿ قليلاً ما تشكرون ﴾ ما زائدة مؤكدة للقلة.

١٠ ﴿ وقالوا ﴾ منكرو البعث ﴿ أإذا ضللنا في الأرض ﴾ غبنا فيها، بأن صرنا تراباً مختلطاً بترابها ﴿ أإنا لفي خلق جديد ﴾ استفهام إنكار، بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين في الموضعين. قال تعالى: ﴿ بل هم بلقاء ربهم ﴾ بالبعث ﴿ كافرون ﴾.

ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ
لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾
ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ
أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ
وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ
إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ
سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ
ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ
خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ
مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ
لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾
وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ ۚ بَلْ هُم

---

(١) أي في الفترة ما بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام. أخرج البخاري [في فضائل الصحابة، باب: إسلام سلمان الفارسي رضي الله عنه، رقم: ٣٧٣٢] عن سلمان رضي الله عنه قال: فترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم ستمائة سنة.

(٢) الله تعالى أعلم بتلك الأيام.

(٣) وفي الخازن: (يدبر الأمر) أي يحكم الأمر وينزل القضاء والقدر، وقيل: ينزل الوحي مع جبريل عليه السلام (من السماء إلى الأرض ثم يعرج) أي يصعد (إليه) جبريل بالأمر (في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون) يعني مسافة ما بين السماء والأرض خمسمائة سنة، فيكون مقدار نزوله إلى الأرض ثم صعوده إلى السماء في مقدار ألف سنة لو ساره أحد من بني آدم.

(٤) أي في قوله تعالى ﴿خلقه﴾ قراءتان متواترتان: ﴿خلقه﴾ بفتح اللام على أنه فعل ماض، والجملة صفة لكل أو لشيء ـ و ﴿خلْقَه﴾ بسكون اللام على أنه مصدر، ويكون بدل اشتمال من ﴿كل شيء﴾ أي أحسن خلْقَه الذي يشتمل عليه قوله كل شيء.

(٥) ينسل أصلها ـ وهو النطفة ـ من الإنسان.

جدبة، فأخبرني متى ينزل الغيث؟ وقد علمت متى وُلِدْت، فأخبرني متى أموت؟ فأنزل الله: ﴿إنَّ الله عنده علم الساعة﴾.

وقال الواحدي: نزلت في الحارث بن عمرو بن حارثة بن محارب بن حفصة من أهل البادية، أتى النبي ﷺ فسأله عن الساعة ووقتها، وقال: إن أرضنا أجدبت، فمتى ينزل الغيث؟ وتركت امرأتي حبلى، فماذا تلد؟ وقد علمت أين ولدتُ فبأي أرض أموتُ؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وأخرج الواحدي ـ أيضاً ـ بسنده عن عكرمة قال: حدثنا إياس بن سلمة قال: حدثني أبي أنه كان مع النبي ﷺ إذ جاء رجل بفرس له يقودها عقوق، ومعها مهرة له يبيعها، فقال له: من أنت؟ قال: (أنا نبي الله). قال: ومن نبي الله؟ قال: (رسول الله). قال: متى تقوم الساعة؟ قال رسول الله ﷺ: (غيب، ولا يعلم الغيب إلا الله). قال: متى تمطر السماء؟ قال: (غيب، ولا يعلم الغيب إلا الله). قال: ما في بطن فرسي هذه؟ قال: (غيب، ولا يعلم الغيب إلا الله). قال: أرني سيفك. فأعطاه النبي ﷺ سيفه، فهزه الرجل ثم رده إليه. فقال النبي ﷺ: (أما إنك لم تكن تستطيع الذي أردت). قال: وقد كان الرجل قال: أذهب إليه فأسأله عن هذه الخصال، ثم أضرب عنقه.

[عَقوق: في القاموس المحيط: فرس عَقوق. . حامل أو حائل، ضد. أي تستعمل في المعنى وضده].

١١ ﴿ قل ﴾ لهم ﴿ يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ﴾ أي يقبض أرواحكم ﴿ ثم إلى ربكم ترجعون ﴾ أحياءً، فيجازيكم بأعمالكم.

١٢ ﴿ ولو ترى إذ المجرمون ﴾ الكافرون ﴿ ناكسوارؤوسهم عند ربهم ﴾ مطأطئوها حَيَاءً، يقولون ﴿ ربنا أبصرنا ﴾ ما أنكرنا من البعث ﴿ وسمعنا ﴾ منك تصديق الرسل فيما كذبناهم فيه ﴿ فارجعنا ﴾ إلى الدنيا ﴿ نعمل صالحاً ﴾ فيها ﴿ إنا موقنون ﴾ الآن، فما ينفعهم ذلك ولا يرجعون، وجواب لو لرأيت أمراً فظيعاً. قال تعالى:

١٣ ﴿ ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ﴾ فتهتدي بالإيمان والطاعة باختيار منها ﴿ ولكن حق القول مني ﴾⁽¹⁾ وهو ﴿ لأملأن جهنم من الجنة ﴾ الجن ﴿ و ﴾ من ﴿ الناس أجمعين ﴾ وتقول لهم الخزنة إذا دخلوها:

١٤ ﴿ فذوقوا ﴾ العذاب ﴿ بما نسيتم لقاء يومكم هذا ﴾ بترككم الإيمان به ﴿ إنا نسيناكم ﴾ تركناكم في العذاب ﴿ وذوقوا عذاب الخلد ﴾ الدائم ﴿ بما كنتم تعملون ﴾ من الكفر والتكذيب.

١٥ ﴿ إنما يؤمن بآياتنا ﴾ القرآن ﴿ الذين إذا ذكروا ﴾ وعظوا ﴿ بها خروا سجداً ﴾⁽²⁾ وسبحوا ﴾ متلبسين ﴿ بحمد ربهم ﴾ قالوا: سبحان الله وبحمده ﴿ وهم لا يستكبرون ﴾ عن الإيمان والطاعة⁽³⁾.

بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَـٰفِرُونَ ﴿١٠﴾ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ
ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ
ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا
فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَـٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا
كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَـٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ
مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ
يَوْمِكُمْ هَـٰذَآ إِنَّا نَسِينَـٰكُمْ ۖ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟
سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ ۩ تَتَجَافَىٰ
جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا
رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن
قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا

١٩ ﴿ تتجافى جنوبهم ﴾ ترتفع ﴿ عن المضاجع ﴾ مواضع الاضطجاع بفرشها، لصلاتهم بالليل تهجداً⁽⁴⁾ ﴿ يدعون ربهم خوفاً ﴾ من عقابه ﴿ وطمعاً ﴾ في رحمته ﴿ ومما رزقناهم ينفقون ﴾ يتصدقون.

١٧ ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفي ﴾ خبيء ﴿ لهم من قرة أعين ﴾ ما تقر به أعينهم، وفي قراءة بسكون الياء مضارع⁽⁵⁾ ﴿ جزاء بما كانوا يعملون ﴾.

---

(١) ثبت ووجب وتقرر، لعلمي بأن هؤلاء لا يختارون الهداية والإيمان، وإنما يؤثرون الضلالة والكفر والعصيان.

(٢) سقطوا على وجوههم ساجدين خضوعاً لله عزّ وجلّ. أخرج البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يقرأ السورة التي فيها السجدة، فيسجد ويسجدون، حتى ما يجد أحدنا مكاناً لوضع جبهته، في غير الصلاة. [أخرجه البخاري في سجود القرآن، باب: من سجد لسجود القارىء، رقم: ١٠٢٥. ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة، باب: سجود التلاوة، رقم: ٥٧٥].

(٣) أخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي، يقول: يا ويله، أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة، وأمرت بالسجود فأبيت فلي النار). ويسن السجود هنا للقارىء والمستمع. [الإيمان، باب: بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة، رقم: ٨١].

(٤) أي تركاً للهجود وهو النوم. روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل).

وأخرج الترمذي وصححه عن أنس رضي الله عنه: ﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجع ﴾ نزلت في انتظار الصلاة التي تدعى العتمة.

[مسلم: الصيام، باب: فضل صوم المحرم، رقم: ١١٦٣. الترمذي: تفسير القرآن، باب: ومن سورة السجدة، رقم: ٣١٩٤]. [العتمة: العشاء].

(٥) أي ﴿أُخْفِي﴾. وقرة العين ما تسر به النفس وتسكن لرؤيته. أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (يقول الله تبارك وتعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر). واقرؤوا إن شئتم ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين﴾. [البخاري: التفسير/السجدة، باب: قوله ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم..﴾ رقم: ٤٥٠١. مسلم: أوائل كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم: ٢٨٢٤].

فائدة: عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت مع النبي ﷺ في سفر، فأصبحت يوماً قريباً منه ونحن نسير، فقلت: يا نبي الله، أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار. قال: «لقد سألت عن عظيم، وإنه ليسير على من يسره الله عليه: تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت». ثم قال: «ألا أدلك على أبواب الخير؟ الصوم جنة، والصدقة تطفىء الخطيئة، وصلاة الرجل في جوف=

١٨ ﴿ أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون ﴾ أي المؤمنون والفاسقون.

١٩ ﴿ أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلاً ﴾ هو ما يعد للضيف ﴿ بما كانوا يعملون ﴾.

٢٠ ﴿ وأما الذين فسقوا ﴾ بالكفر والتكذيب ﴿ فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون ﴾.

٢١ ﴿ ولنذيقنهم من العذاب الأدنى ﴾ عذاب الدنيا: بالقتل والأسر والجدب سنين(١) والأمراض ﴿ دون ﴾ قبل ﴿ العذاب الأكبر ﴾ عذاب الآخرة ﴿ لعلهم ﴾ أي من بقي منهم ﴿ يرجعون ﴾ إلى الإيمان.

٢٢ ﴿ ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ﴾ القرآن ﴿ ثم أعرض عنها ﴾ لا أحد أظلم منه ﴿ إنا من المجرمين ﴾ المشركين ﴿ منتقمون ﴾.

٢٣ ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب ﴾ التوراة ﴿ فلا تكن في مرية ﴾ شك ﴿ من لقائه ﴾ وقد التقيا ليلة الإسراء(٢) ﴿ وجعلناه ﴾ موسى، أو الكتاب ﴿ هدى ﴾ هادياً ﴿ لبني إسرائيل ﴾.

كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾
وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ
مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم
بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ
ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن
ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ
مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن
فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾
وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ وَكَانُواْ
بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ
ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ

٢٤ ﴿ وجعلنا منهم أئمة ﴾ بتحقيق الهمزتين، وإبدال الثانية ياء: قادة ﴿ يهدون ﴾ الناس ﴿ بأمرنا لما صبروا ﴾ على دينهم وعلى البلاء من عدوهم، وفي قراءة بكسر اللام وتخفيف الميم(٣) ﴿وكانوا بآياتنا﴾ الدالة على قدرتنا ووحدانيتنا ﴿ يوقنون ﴾.

٢٥ ﴿ إن ربك هو يفصل(٤) بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ﴾ من أمر الدين.

٢٦ ﴿ أو لم يهد لهم كم

---

(١) القحط وقلة المطر، وقد أصاب ذلك أهل مكة سبع سنين، حتى أكلوا الجيف والعظام وغيرها. أخرج البخاري[التفسير /الدخان، باب: ﴿يغشى الناس هذا عذاب أليم﴾: ٤٥٤٤] عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أن قريشاً لما استعصوا على النبي ﷺ دعا عليهم بسنين كسني يوسف، فأصابهم قحط وجهد حتى أكلوا العظام، فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين. يغشى الناس هذا عذاب أليم﴾ قال: فأتي رسول الله ﷺ فقيل له: يا رسول الله استسق لمضر، فإنها قد هلكت. قال: (لمضر، إنك لجريء) فاستقى فسقوا.

(٢) أخرج البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: (رأيت ليلة أسري بي موسى رجلاً آدم طوالاً جعداً..) [البخاري: بدء الخلق، باب: إذا قال أحدكم آمين..، رقم: ٣٠٦٧ مسلم: الإيمان، باب: الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم] [آدم: أسمر. جعداً: في شعره التواء وتقبض].

(٣) أي ﴿لِمَا﴾ والمعنى: بسبب صبرهم. (٤) يقضي ويحكم.

=الليل». ثم قرأ: ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾ حتى بلغ: ﴿يعملون﴾ ثم قال: «ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه». فقلت: بلى يارسول الله. فقال: «رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله». ثم قال: «ألا أخبرك بملاك ذلك كله». فقلت: بلى، يا نبي الله. فأخذ بلسانه ثم قال: «كف عليك هذا». فقلت: يارسول الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: «ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس في النار=

=على وجوههم - أو قال: على مناخرهم - إلا حصائد ألسنتهم» [مسند أحمد: ٥/ ٢٣١].

[جنة: وقاية وحفظ. تطفيء: تذهب إثمها. جوف: باطنه ووسطه. برأس الأمر: أعلاه وأعظم شيء فيه، والسنام في الأصل أعلى موضع على ظهر البعير. بملاك: ما يقوم به ويصونه. ثكلتك: فقدتك، وهي كلمة يراد بها هنا عكس معناها. حصائد: ما يتكلمون به مما يخالف الشرع، شبه الكلام بما يقطع الزرع ويتلفه]

سبب نزول الآية [١٨]: أخرج الواحدي بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال الوليد بن عقبة بن أبي معيط لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: أنا أحدّ منك سناناً، وأبسط منك لساناً، وأملأ للكتيبة منك. فقال له علي: اسكت، فإنما أنت فاسق، فنزل: ﴿أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يَسْتَوُونَ﴾. قال: يعني بالمؤمن علياً وبالفاسق الوليد بن عقبة.

[سناناً: هو الحديدة التي يطعن بها في رأس الرمح. للكتيبة: للجيش].

أهلكنا من قبلهم ﴾ أي يتبين لكفار مكة إهلاكنا كثيراً ﴿ من القرون ﴾ الأمم، بكفرهم ﴿ يمشون ﴾ حال من ضمير لهم ﴿ في مساكنهم ﴾ في أسفارهم إلى الشام وغيرها، فيعتبروا ﴿ إن في ذلك لآيات ﴾ دلالات على قدرتنا ﴿ أفلا يسمعون ﴾ سماع تفكر وتدبر واتعاظ.

٢٧ ﴿ أو لم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز ﴾ اليابسة التي لا نبات فيها ﴿ فنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون ﴾ هذا، فيعلموا أنا نقدر على إعادتهم.

٢٨ ﴿ ويقولون ﴾ للمؤمنين ﴿ متى هذا ﴾ أي وقت ﴿ الفتح ﴾⁽¹⁾ بيننا وبينكم ﴿ إن كنتم صادقين ﴾.

٢٩ ﴿ قل يوم الفتح ﴾ بإنزال العذاب بهم ﴿ لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون ﴾ يمهلون لتوبة أو معذرة.

٣٠ ﴿ فأعرض عنهم وانتظر ﴾ إنزال العذاب بهم ﴿ إنهم منتظرون ﴾ بك حادث موت أو قتل، فيستريحون منك. وهذا قبل الأمر بقتالهم⁽٢⁾.

(سورة الأحزاب)

(مدنية، وآياتها ثلاث وسبعون آية)

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿ يا أيها النبي اتق الله ﴾ دُم على تقواه ﴿ ولا تطع الكافرين والمنافقين ﴾ فيما يخالف شريعتك ⁽٣⁾

(الجزء الحادى والعشرون) ٥٤٨

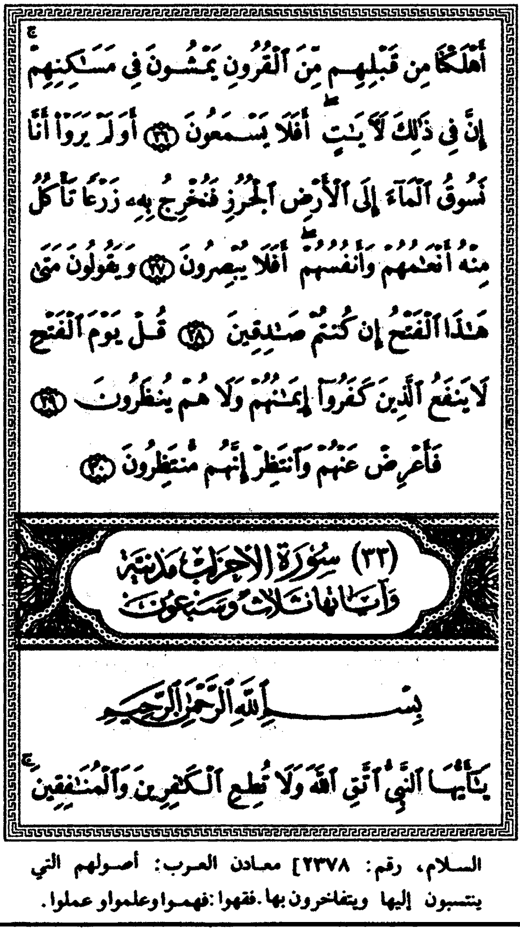

أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ يَمۡشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمۡۚ
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍۚ أَفَلَا يَسۡمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا
نَسُوقُ ٱلۡمَآءَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡجُرُزِ فَنُخۡرِجُ بِهِۦ زَرۡعٗا تَأۡكُلُ
مِنۡهُ أَنۡعَٰمُهُمۡ وَأَنفُسُهُمۡۚ أَفَلَا يُبۡصِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ
هَٰذَا ٱلۡفَتۡحُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلۡ يَوۡمَ ٱلۡفَتۡحِ
لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَٰنُهُمۡ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾
فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَٱنتَظِرۡ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾

(٣٣) سُورَةُ الأَحۡزَابِ مَدَنِيَّة
وَآيَاتُهَا ثَلَاثٌ وَسَبۡعُونَ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَۚ

---

(١) الفصل، أو النصر.

(٢) أي أما بعد الأمر به فلا إعراض عنهم، وإنما يقاتل الكفار حتى يسلموا، أو يذعنوا للإسلام ويلتزموا أحكامه.

(٣) قال ابن كثير في تفسيره: هذا تنبيه بالأعلى على الأدنى، فإنه تعالى إذا كان يأمر عبده ورسوله بهذا فلأن يأتمر من دونه بذلك بطريق الأولى والأحرى، وقد قال طلق بن حبيب: التقوى أن تعمل بطاعة الله، على نور من الله، ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله، على نور من الله، مخافة عذاب الله. انتهى.

وعن أبي أُمامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يخطب في حجة الوداع فقال: (اتقوا الله ربكم وصلوا خمسكم، وصوموا شهركم، وأدوا زكاة أموالكم، وأطيعوا ذا أمركم، تدخلوا جنة ربكم). [الترمذي: أبواب الصلاة، باب: منه (أي ما ذكر في فضل الصلاة) رقم: ٦١٦، وقال: هذا حديث حسن صحيح].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه كان يقول: (اللّهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى) [مسلم: الذكر والدعاء والتوبة، باب: التعوذ من شر ما عمل. . ، رقم: ٢٧٢١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: قيل: يا رسول الله، من أكرم الناس؟ قال: (أتقاهم). فقالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: (فيوسف نبي الله، ابن نبي الله، ابن نبي الله، ابن خليل الله). قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: (فعن معادن العرب تسألون؟ خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام، إذا فقِهُوا). [البخاري: الأنبياء. باب: قول الله تعالى: ﴿واتخذ الله إبراهيم خليلاً﴾ [النساء: ١٢٥] رقم: ٣١٧٥. مسلم: الفضائل، باب: من فضائل يوسف عليه السلام، رقم: ٢٣٧٨] معادن العرب: أصولهم التي ينتسبون إليها ويتفاخرون بها. فقهوا: فهموا وعلمواو عملوا.

سبب نزول الآية [٢٩]: أخرج ابن جرير، عن قتادة: قال الصحابة: إن لنا يوماً يوشك أن نستريح فيه وننعم، فقال المشركون: متى هذا الفتح. إن كنتم صادقين. فنزلت.

سبب نزول الآية [١]: قال الواحدي نزلت في أبي سفيان وعكرمة بن أبي جهل وأبي الأعور السلمي، قدموا المدينة بعد قتال أحد، فنزلوا على عبد الله بن أبيّ، وقد أعطاهم النبي ﷺ الأمان على أن يكلموه، فقام معهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح وطعمة بن أبيرق، فقالوا للنبي ﷺ، وعنده عمر بن الخطاب: ارفض ذكر آلهتنا اللات والعزى ومناة، وقل إن لها شفاعة ومنفعة لمن عبدها، وندعك وربك. فشق على النبي ﷺ قولهم، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ائذن لنا يا رسول الله في قتلهم. فقال: (إني قد أعطيتهم الأمان). فقال عمر: اخرجوا في لعنة الله وغضبه. فأمر رسول الله ﷺ أن يخرجهم من المدينة، فأنزل الله عزّ وجلّ هذه الآية.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن أهل مكة ـ منهم الوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة ـ دعوا النبي ﷺ أن يرجع عن قوله على أن يعطوه شطر أموالهم، وخوّفه المنافقون واليهود بالمدينة: إن لم يرجع قتلوه، فأنزل الله: ﴿يا أيها النبيّ اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين﴾ [السيوطي].

﴿ إن الله كان عليماً ﴾ بما يكون من قبل كونه ﴿ حكيماً ﴾ فيما يخلقه.

٢ ﴿ واتبع ما يوحى إليك من ربك ﴾ أي القرآن ﴿ إن الله كان بما يعملون خبيراً ﴾ وفي قراءة بالفوقانية[١].

٣ ﴿ وتوكل على الله ﴾ في أمرك ﴿ وكفى بالله وكيلاً ﴾ حافظاً لك، وأمته تبع له في ذلك كله[٢].

٤ ﴿ ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ﴾ رداً على من قال من الكفار: إن له قلبين يعقل بكل منهما أفضل من عقل محمد ﴿ وما جعل أزواجكم اللائي ﴾ بهمزة وياء وبلا ياء ﴿ تَظَّهَّرون ﴾ بلا ألف قبل الهاء وبها، والتاء الثانية في الأصل مدغمة في الظاء[٣] ﴿ منهن ﴾ يقول الواحد مثلاً لزوجته: أنت عليّ كظهر أمي ﴿ أمهاتكم ﴾ أي كالأمهات في تحريمها بذلك، لعد ذلك في الجاهلية طلاقاً، وإنما تجب به الكفارة بشرطه، كما ذكر في سورة المجادلة ﴿ وما جعل أدعياءكم ﴾ جمع دعي، وهو من يدعى لغير أبيه ابناً له ﴿ أبناءكم ﴾ حقيقة ﴿ ذلكم قولكم بأفواهكم ﴾ أي اليهود والمنافقين - قالوا: لما تزوج النبي ﷺ زينب بنت جحش، التي كانت امرأة زيد بن حارثة، الذي تبناه النبي ﷺ - قالوا: تزوج محمد زوجة ابنه، فأكذبهم الله تعالى في ذلك ﴿والله يقول الحق﴾ في ذلك ﴿وهو يهدي السبيل﴾ سبيل الحق.

إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن
رَّبِّكَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ
وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ
فِى جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ
أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم
بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾
ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟
ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ
جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ
وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ
أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ
بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن

٥ لكن ﴿ ادعوهم لآبائهم هو أقسط ﴾ أعدل ﴿ عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم ﴾ بنو عمكم[٤] ﴿ وليس عليكم جناح[٥] فيما أخطأتم به ﴾ في ذلك ﴿ ولكن ﴾ في ﴿ ما تعمدت قلوبكم ﴾ فيه[٦]، وهو بعد النهي ﴿ وكان الله غفوراً ﴾ لما كان من قولكم قبل النهي ﴿ رحيماً ﴾ بكم في ذلك.

٦ ﴿ النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ﴾ فيما دعاهم إليه ودعتهم أنفسهم إلى خلافه[٧] ﴿ وأزواجه أمهاتهم ﴾ في حرمة نكاحهن[٨] ﴿ وأولو الأرحام ﴾ ذوو القربات ﴿ بعضهم أولى ببعض ﴾ في الإرث ﴿ في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين ﴾ أي من الإرث بالإيمان والهجرة =

---

(١) أي ﴿تعملون﴾ بالتاء.

(٢) أي إن الله تعالى حافظ لها من كيد عدوها: إن هي استقامت على تقواه، والتزمت شريعته ولم تلتفت إلى سواها، واعتمدت على الله عزّ وجلّ في كل شؤونها، بعد السعي والعمل والأخذ بالأسباب.

(٣) أي أصلها: تتظهرون، فقلبت التاء ظاءً وأدغمت في الظاء.

وقد أشار المفسر إلى قراءتين هما: ﴿تَظَّهَّرون﴾ و﴿تَظَّاهَرُونَ﴾ وهناك قراءات أخرى متواترة لم يشر إليها، وهي: ﴿تُظَاهِرُونَ﴾ و﴿تَظَاهَرُونَ﴾.[النشر]

(٤) أي كبني عمكم في التناصر والولاية بينكم وبينهم.

(٥) إثم وذنب.

(٦) أخرج البخاري ومسلم عن سعد بن أبي وقاص وأبي بكرة رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: (من ادعى الى غير ابيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام). [البخاري: الفرائض، باب: من ادعى إلى غير أبيه. مسلم: الإيمان، باب: بيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم].

(٧) أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة، اقرؤوا إن شئتم ﴿النبي أولى بالمؤمنين من انفسهم﴾ فأيما مؤمن ترك مالاً فلترثه عصبته من كانوا، ومن ترك ديناً أو ضياعاً فليأتني فأنا مولاه) [البخاري: الاستقراض، باب: الصلاة على من ترك ديناً. مسلم: الفرائض، باب: من ترك مالاً فلورثته] [ضياعاً: عيالاً وأولاداً صغاراً يضيعون إذا لم يتول أمرهم أحد].

(٨) أي لهن حكم الأمهات من النسب من حيث حرمة نكاحهن ووجوب احترامهن والبر بهن، لا من حيث جواز النظر إليهن والخلوة بهن.

أسباب نزول الآية [٤]: أخرج الترمذي وحسنه [تفسير القرآن، باب: ومن سورة الأحزاب، رقم: ٣١٩٧] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قام النبيّ ﷺ يوماً يصلي فخطر خطرة، فقال المنافقون الذين يصلون معه: ألا ترى أن له قلبين: قلباً معكم، وقلباً معه. فأنزل الله: ﴿ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه﴾. [فخطر: وقع في نفسه شيء].

وقال الواحدي: نزلت في جميل بن معمر الفهري، وكان رجلاً لبيباً حافظاً لما سمع، فقالت قريش: ما حفظ هذه الأشياء إلا وله قلبان. وكان يقول: إنَّ لي قلبين، أعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد. عليه الصلاة والسلام، فلما كان يوم بدر وهزم المشركون، وفيهم يومئذٍ جميل بن معمر، تلقاه أبو سفيان وهو معلق إحدى نعليه بيده والأخرى في رجله، فقال له: يا أبا معمر، ما حال الناس؟ قال: انهزموا. قال: فما بالك إحدى

الذي كان أول الإسلام فنسخ ﴿ إلا ﴾ لكن ﴿ أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفاً ﴾ بوصية، فجائز ﴿ كان ذلك ﴾ أي نسخ الإرث بالإيمان والهجرة بإرث ذوي الأرحام(١) ﴿ في الكتاب مسطوراً ﴾ وأريد بالكتاب في الموضعين اللوح المحفوظ.

٧ ﴿ و ﴾ اذكر ﴿ إذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ﴾ حين أخرجوا من صلب آدم كالذر(٢)، جمع ذرة، وهي أصغر النمل ﴿ ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم ﴾ بأن يعبدوا الله ويدعوا إلى عبادته، وذكر الخمسة من عطف الخاص على العام ﴿وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً﴾ شديداً، بالوفاء بما حملوه، وهو اليمين بالله تعالى. ثم أخذ الميثاق:

٨ ﴿ ليسأل ﴾ الله ﴿ الصادقين عن صدقهم ﴾ في تبليغ الرسالة، تبكيتاً للكافرين بهم(٣) ﴿ وأعد ﴾ تعالى ﴿ للكافرين ﴾ بهم ﴿ عذاباً أليماً ﴾ مؤلماً، هو(٤) عطف على أخذنا.

٩ ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود ﴾ من الكفار متحزبون، أيام حفر الخندق ﴿ فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها ﴾ من الملائكة ﴿ وكان الله بما تعملون ﴾ بالتاء، من حفر الخندق، وبالياء، من تحزيب المشركين ﴿ بصيراً ﴾.

١٠ ﴿ إذ جاؤوكم من فوقكم ومن أسفل منكم ﴾ من أعلى الوادي وأسفله من المشرق والمغرب ﴿ وإذ زاغت الأبصار ﴾ مالت عن كل شيء إلى عدوها من كل جانب ﴿ وبلغت القلوب الحناجر ﴾ جمع حنجرة، وهي منتهى الحلقوم، من شدة الخوف ﴿ وتظنون بالله الظنونا ﴾ المختلفة بالنصر واليأس.

١١ ﴿ هنالك ابتلي المؤمنون ﴾ اختبروا ليتبين لهم المخلص من غيره ﴿وزلزلوا﴾ حركوا ﴿زلزالاً شديداً﴾ من شدة الفزع.

١٢ ﴿ و ﴾ اذكر ﴿ إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ﴾ ضعف اعتقاد ﴿ ما وعدنا الله ورسوله ﴾ بالنصر ﴿ إلا غروراً ﴾ باطلاً.

١٣ ﴿ وإذ قالت

تَفْعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ
مَسْطُورًا ﴿٦﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ
وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَۖ وَأَخَذْنَا
مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْۚ
وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ
رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾
إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ
ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ
ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالًا
شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم
مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت

---

(١) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان المهاجرون لما قدموا المدينة يرث المهاجر الأنصاري دون ذوي رحمه، للأخوة التي آخى النبي ﷺ بينهم، فلما نزلت: ﴿ولكل جعلنا موالي﴾ [النساء: ٣٣] نسخت، ثم قال: ﴿والذين عاقدت أيمانكم﴾ إلا النصر والرفادة والنصيحة، وقد ذهب الميراث، ويوصي له. [البخاري: الكفالة، باب: قول الله تعالى: ﴿والذين عاقدت أيمانكم..﴾ رقم: ٢١٧٠] عاقدت: من المعاقدة، وهو الحلف الذي كانوا يتوارثون به. وفي قراءة ﴿عَقَدَتْ﴾. ذوي رحمه: أقربائه. الرفادة: المعاونة والعطاء. يوصي له: أي يوصي لمن كان يرثه بالأخوة الإسلامية، بعدما نسخ توريثه.

(٢) أو حين بعث كل منهم إلى قومه. وميثاقهم: عهدهم.

(٣) تقبيحاً وتوبيخاً للكافرين بالرسل عليهم الصلاة والسلام.

(٤) أي قوله ﴿وأعد..﴾ معطوف على قوله ﴿وأخذنا﴾. والمعنى: أخذنا من المرسلين العهد على التبليغ، وأعددنا لمن كفر بهم العذاب الأكبر.

نعليك في يدك والأخرى في رجلك؟ قال: ما شعرت إلا أنهما في رجلي. وعرفوا يومئذٍ أنه لو كان له قلبان لما نسي نعله في يده.

وأما قوله تعالى: ﴿وما جعل أدعياءكم أبناءكم﴾: فقال الواحدي: نزلت في زيد بن حارثة، كان عند الرسول ﷺ فأعتقه وتبناه قبل الوحي، فلما تزوج النبي عليه السلام زينب بنت جحش ـ رضي الله عنها ـ وكانت تحت زيد بن حارثة، قالت اليهود والمنافقون: تزوج محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ امرأة ابنه، وهو ينهى الناس عنها. فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وروى عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: ما كنا ندعو زيد بن حارثة إلا زيد بن محمد، حتى نزلت في القرآن ﴿ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله﴾. [انظر البخاري: التفسير/ الأحزاب، باب: ﴿ادْعُوهم لآبائهم هو أقسطُ عنْدَ اللّهِ﴾ رقم: ٤٥٠٤].

سبب نزول الآيات [٩]: وما بعدها: عن حذيفة رضي الله عنه قال: لقد رأيتنا ليلة الأحزاب ونحن صافون قعوداً، وأبو سفيان ومن معه من الأحزاب فوقنا، وقريظة أسفل منا نخافهم على ذرارينا، وما أتت قط علينا ليلة أشدّ ظلمة ولا أشدّ ريحاً منها، فجعل المنافقون يستأذنون النبيّ ﷺ يقولون: إن بيوتنا عورة، وما هي بعورة، فما يستأذن أحد منهم إلا أذن له، فيتسللون، إذ استقبلنا النبي ﷺ رجلاً رجلاً حتى أتى عليّ، فقال: (ائتني بخبر القوم). فجئت فإذا الريح في عسكرهم، ما تجاوز عسكرهم شبراً، فوالله إني لأسمع صوت الحجارة في رحالهم وفرشهم، الريح تضربهم بها، وهم يقولون: الرحيل الرحيل، فجئت فأخبرته خبر القوم، وأنزل الله: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود﴾ الآية. [عورة:

طائفة منهم﴾ أي المنافقين ﴿يا أهل يثرب﴾ هي أرض المدينة، ولم تصرف للعلمية ووزن الفعل(١) ﴿لا مقام لكم﴾ بضم الميم وفتحها(٢)، لا إقامة ولا مكانة ﴿فارجعوا﴾ إلى منازلكم من المدينة، وكانوا خرجوا مع النبي ﷺ إلى سلع - جبل خارج المدينة - للقتال ﴿ويستأذن فريق منهم النبي﴾ في الرجوع ﴿يقولون إن بيوتنا عورة﴾ غير حصينة(٣) يخشى عليها، وقد كذبوا، كما قال تعالى: ﴿وما هي بعورة إن﴾ ما ﴿يريدون إلا فراراً﴾ من القتال.

١٤ ﴿ ولو دخلت ﴾ المدينة ﴿ عليهم من أقطارها ﴾ نواحيها ﴿ ثم سئلوا﴾ سألهم الداخلون ﴿ الفتنة ﴾ الشرك ﴿ لأتوها ﴾ بالمد والقصر، أعطوها وفعلوها ﴿ وما تلبثوا بها إلا يسيراً ﴾(٤).

١٥ ﴿ ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار(٥) وكان عهد الله مسؤولاً ﴾ عن الوفاء به.

١٦ ﴿ قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذاً ﴾ إن فررتم ﴿ لا تمتعون ﴾ في الدنيا بعد فراركم ﴿ إلا قليلاً ﴾ بقية آجالكم.

١٧ ﴿ قل من ذا الذي يعصمكم ﴾ يجيركم ﴿ من الله إن أراد بكم سوءاً ﴾ هلاكاًأوهزيمة ﴿ أو ﴾ يصيبكم بسوء إن ﴿ أراد ﴾ الله ﴿ بكم رحمة ﴾ خيراً ﴿ ولا يجدون لهم من دون الله ﴾ غيره ﴿ ولياً ﴾ ينفعهم ﴿ ولا نصيراً ﴾ يدفع الضر عنهم.

١٨ ﴿ قد يعلم الله المعوقين ﴾ المثبطين ﴿ منكم والقائلين لإخوانهم هلم ﴾ تعالوا ﴿ إلينا ولا يأتون البأس ﴾ القتال ﴿ إلا قليلاً ﴾ رياء وسمعة(٦).

١٩ ﴿ أشحة عليكم ﴾ بالمعاونة(٧)، جمع شحيح، وهو حال من ضمير يأتون ﴿ فإذا جاء الخوف(٨) رأيتهم

طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟
وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا
هِىَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم
مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَءَاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا
يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ
ٱلْأَدْبَٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ
ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ
إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ
أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن
دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ * قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ
مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ
إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ

---

(١) أي كلمة﴿يثرب﴾ ممنوعة من الصرف، لأنها اسم علم وعلى وزن الفعل، فوزنها يفعِل، على مثال يضرِب.

(٢) أي ﴿مُقام﴾ و﴿مَقام﴾ مصدر مسمي من أقام الرباعي وقام الثلاثي. وقوله «لا مكانة» لا تَمَكُّنَ لكم من الإقامة فيها.

(٣) أي مكشوفة وليس حولها حصون تحميها من الأعداء.

(٤) المعنى: لو دخل الكفار المدينة، وارتد هؤلاء المنافقون وقاتلوكم مع الكفار، لنصركم الله تعالى عليهم في وقت يسير، وأهلكهم أو أخرجهم.

(٥) لا يديرون ظهورهم للعدو فارين منه، بل يثبتون في مواقع القتال حتى يتحقق النصر أو يموتوا شهداء.

(٦) نزلت في المنافقين الذين أخذوا يضعفون من عزيمة الأنصار يوم الخندق، ويخذلونهم عن نصرة النبي ﷺ، ويقولون لهم: ما محمد وأصحابه إلا أكلة رأس، ولو كانوا لحماً لابتلعهم أبو سفيان وأصحابه، دعوا الرجل فإنه هالك ومن معه، وانضموا إلينا لتنجوا بأنفسكم. فلم يزد المؤمنين الصادقين ذلك الباطل إلا إيماناً وثباتاً على نصرة الحق، والالتفاف حول رسول الله ﷺ. [انظر ابن جرير الطبري].

(٧) والنفقة في سبيل الله تعالى.

(٨) بسبب مجيء عدو أو غير ذلك.

ظاهرة ومكشوفة للعدو].

وعن كثير بن عبد الله بن عمرو المزني، عن أبيه، عن جدّه رضي الله عنه قال: خط رسول الله ﷺ الخندق عام الأحزاب، فأخرج الله من بطن الخندق صخرة بيضاء مدوّرة، فأخذ رسول الله ﷺ المعول فضربها ضربة صدعها، وبرق منها برق أضاء ما بين لابتي المدينة، فكبر وكبر المسلمون، ثم ضرب الثانية فصدعها وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها، فكبر وكبر المسلمون، ثم ضربها الثالثة فكسرها وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها، فكبر وكبر المسلمون، فسئل عن ذلك، فقال: (ضربت الأولى فأضاءت لي قصور الحيرة ومدائن كسرى، وأخبرني جبريل أن أمّتي ظاهرة عليها ثم ضربت الثانية فأضاءت لي قصور الحمر من أرض الروم، وأخبرني جبريل أن أمّتي ظاهرة عليها. ثم ضربت الثالثة، فأضاءت لي قصور صنعاء، وأخبرني جبريل أن أمّتي ظاهرة عليها). فقال المنافقون: ألا تعجبون؟ يحدّثكم ويمنيكم ويعدكم الباطل، ويخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى، وأنها تفتح لكم، وأنتم إنما تحفرون الخندق من الفرق، لا تستطيعون أن تبرزوا. فنزل القرآن: ﴿وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً ﴾. [لابتي: مثنى لابة، وهي أرض ذات حجارة سوداء، والمدينة بين لابتين. ظاهرة: منتصرة وغالبة. قصور الحُمْر: أي قصور الروم. يثرب: اسم المدينة قبل هجرته ﷺ. الفرق: الخوف].

وعن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في مُعَتِّب بن قُشَيْر الأنصاري، وهو صاحب هذه المقالة. =

ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي ﴾ كنظر- أو كدوران- الذي ﴿ يغشى عليه من الموت ﴾ أي سكراته(١) ﴿ فإذا ذهب الخوف ﴾ وحيزت الغنائم ﴿ سلقوكم ﴾ آذوكم، أو ضربوكم ﴿ بألسنة حداد(٢) أشحة على الخير ﴾ أي الغنيمة يطلبونها(٣) ﴿ أولئك لم يؤمنوا ﴾ حقيقة ﴿ فأحبط الله أعمالهم(٤) وكان ذلك ﴾ الإحباط ﴿ على الله يسيراً ﴾ بإرادته.

٢٠ ﴿ يحسبون الأحزاب ﴾ من الكفار(٥) ﴿ لم يذهبوا ﴾ إلى مكة، لخوفهم منهم ﴿ وإن يأت الأحزاب ﴾ كرة أخرى ﴿ يودوا ﴾ يتمنوا ﴿ لو أنهم بادون في الأعراب ﴾ كائنون في البادية ﴿ يسألون عن أنبائكم ﴾ أخباركم مع الكفار(٦) ﴿ ولو كانوا فيكم ﴾ هذه الكرة ﴿ ما قاتلوا إلا قليلاً ﴾ رياءً وخوفاً من التعيير.

٢١ ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة ﴾ بكسر الهمزة وضمها ﴿ حسنة ﴾ اقتداءً به في القتال والثبات في مواطنه ﴿لمن﴾ بدل من «لكم» ﴿كان يرجو الله﴾ يخافه(٧) ﴿واليوم الآخر(٨) وذكر الله كثيراً﴾ بخلاف من ليس كذلك.

٢٢ ﴿ ولما رأى المؤمنون الأحزاب ﴾ من الكفار ﴿ قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله ﴾ من الابتلاء والنصر ﴿ وصدق الله ورسوله ﴾ في الوعد ﴿ وما زادهم ﴾ ذلك ﴿ إلا إيماناً ﴾ تصديقاً بوعد الله ﴿ وتسليماً ﴾ لأمره.

٢٣ ﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ﴾(٩) من الثبات مع النبي ﷺ ﴿ فمنهم من قضى نحبه ﴾ مات أو قتل في سبيل الله ﴿ ومنهم من ينتظر ﴾ ذلك ﴿ وما بدلوا تبديلاً ﴾ في العهد، وهم بخلاف حال المنافقين.

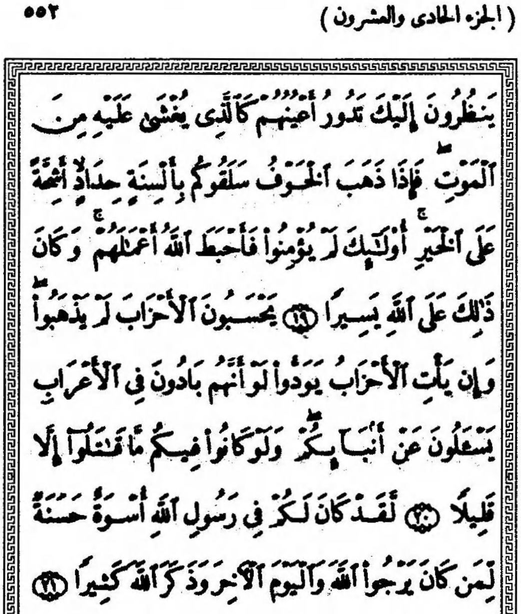
(الجزء الحادى والعشرون) ٥٥٢

يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ
ٱلْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً
عَلَى ٱلْخَيْرِ أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ وَكَانَ
ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا
وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ
يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا إِلَّا
قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ
لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾
وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ
وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا
وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَٰهَدُوا ٱللَّهَ
عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا

---

(١) ينظرون يميناً وشمالاً ثم تشخص أبصارهم.

(٢) سليطة شديدة المخاطبة، تفعل فعل الحديد في الأشياء.

(٣) ويشاحون المؤمنين في قسمتها، وفي نفس الوقت يمنعون الناس مما في أيديهم من مال.

(٤) أظهر أنها باطلة مردودة لا ثواب عليها.

(٥) قبائل قريش وغطفان واليهود الذين تحزبوا - أي تجمعوا - على قتال المسلمين.

(٦) وما آل إليه أمركم من الهزيمة أو النصر.

(٧) إن عصاه، ويرجو ثوابه إن أطاعه.

(٨) آمن به ورجا الثواب فيه وخاف من العقاب.

(٩) وفَّوْا به ونفذوه. عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر فقال: يا رسول الله، غبت عن أول قتال قاتلت المشركين، لئن أشهدني الله قتال المشركين ليرين الله ما أصنع. فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون قال: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء - يعني أصحابه - وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء يعني المشركين. ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال: يا سعد بن معاذ الجنة ورب النضر، إني أجد ريحها من دون أحد. قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع. قال أنس: فوجدنا به بضعاً وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم، ووجدناه قد قتل وقد مثل به المشركون، فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه. قال أنس: كنا نرى - أو نظن - أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه. . .﴾ إلى آخر الآية. [البخاري: الجهاد، باب: قول الله تعالى: ﴿من المؤمنين رجال. .﴾ رقم: ٢٦٥١. مسلم: الإمارة، باب: ثبوت الجنة للشهيد، رقم: ١٩٠٣].

[مثل به: أي شوه المشركون جسمه وقطعوا أعضاءه. ببنانه: برؤوس أصابعه].

= وعن عروة بن الزبير ومحمد بن كعب القرظي قالوا: قال مُعَتِّب بن قُشَيْر: كان محمد يرى أن يأكل من كنوز كسرى وقيصر وأحدنا لا يأمن أن يذهب إلى الغائط. وقال أوس بن قيظي في ملأ من قومه: إن بيوتنا عورة، وهي خارجة من المدينة، ائذن لنا فنرجع إلى نسائنا وأبنائنا. فأنزل الله على رسوله حين فزع عنهم ما كانوا فيه من البلاء، يذكرهم نعمته عليهم وكفايته إياهم، بعد سوء الظنّ منهم ومقالة من قال من أهل النفاق: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود﴾ الآية. [فزع عنهم: كشف عنهم الفزع وهو الخوف] [السيوطي].

سبب نزول الآية [٢٣]: قال الواحدي: نزلت في طلحة بن عبيد الله، ثبت مع رسول الله ﷺ يوم أحد حتى أصيبت يده، فقال رسول الله ﷺ: (اللّهم أوجب لطلحة الجنة). وأخرج بسنده عن علي رضي الله عنه قال: قالوا: أخبرنا عن طلحة؟ قال: ذلك امرؤ نزلت فيه آية من كتاب الله

٢٤ ﴿ ليجزي الله الصادقين بصدقهم[١] ويعذب المنافقين إن شاء ﴾ بأن يميتهم على نفاقهم﴿ أو يتوب عليهم[٢] إن الله كان غفوراً ﴾ لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ﴿ رحيماً ﴾ به.

٢٥ ﴿ وردَّ الله الذين كفروا ﴾ الأحزاب ﴿ بغيظهم لم ينالوا خيراً ﴾ مرادهم من الظفر بالمؤمنين ﴿ وكفى الله المؤمنين القتال ﴾ بالريح والملائكة ﴿ وكان الله قوياً ﴾ على إيجاد ما يريده ﴿ عزيزاً ﴾ غالباً على أمره.

٢٦ ﴿ وأنزل الذين ظاهروهم[٣] من أهل الكتاب ﴾[٤] أي قريظة ﴿ من صياصيهم ﴾ حصونهم، جمع صيصية، وهو ما يتحصن به ﴿ وقذف في قلوبهم الرعب ﴾ الخوف ﴿ فريقاً تقتلون ﴾ منهم، وهم المقاتلة ﴿ وتأسرون فريقاً ﴾ منهم، أي الذراري[٥].

٢٧ ﴿ وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطؤوها ﴾ بعد، وهي خيبر[٦]، أخذت بعد قريظة ﴿ وكان الله على كل شيءٍ قديراً ﴾.

٢٨ ﴿ يا أيها النبي قل لأزواجك ﴾ وهن تسع، وطلبن منه من زينة الدنيا ما ليس عنده ﴿ إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن ﴾ أي متعة الطلاق[٧] ﴿ وأسرحكن سراحاً جميلاً ﴾ أطلقكن من غير ضِرار.

٢٩ ﴿ وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة ﴾ الجنة ﴿ فإن الله أعد للمحسنات منكن ﴾ بإرادة الآخرة ﴿ أجراً عظيماً ﴾ الجنة، فاخترن الآخرة على الدنيا[٨].

٣٠ ﴿ يا نساء النبي من يأتِ منكن

تَبۡدِيلٗا ﴿٢٣﴾ لِّيَجۡزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدۡقِهِمۡ وَيُعَذِّبَ
ٱلۡمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا
رَّحِيمٗا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ
وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزٗا ﴿٢٥﴾
وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمۡ
وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ فَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ وَتَأۡسِرُونَ
فَرِيقٗا ﴿٢٦﴾ وَأَوۡرَثَكُمۡ أَرۡضَهُمۡ وَدِيَٰرَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُمۡ وَأَرۡضٗا لَّمۡ
تَطَـُٔوهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٗا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ
قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا
فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ
تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ
مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٢٩﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ

---

[١] ليثيبهم جزاء صدقهم.

[٢] باهتدائهم للإيمان وموتهم على الإسلام الحق.

[٣] ناصروهم وعاونوهم.

[٤] اليهود.

[٥] النساء والصغار.

[٦] وغيرها من بلاد الكفر التي افتتحها المسلمون. أخرج البخاري عن سلمان بن صرد رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول حين أجلي الأحزاب: (الآن نغزوهم ولا يغزوننا، نحن نسير إليهم). [المغازي، باب: غزوة الخندق وهي الأحزاب، رقم: ٣٨٨٤].

[٧] بأن يعطيها شيئاً من المال تستعين به على حوائجها بعد فقد معيلها. [انظر البقرة: ٢٣٦، ٢٤٠].

[٨] عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما أمر رسول الله ﷺ بتخيير ازواجه بدأ بي فقال: (إني ذاكر لك أمراً، فلا عليك ان لا تعجلي حتى تستأمري أبويك). قالت: وقد علم ان ابويَّ لم يكونا يأمراني بفراقه، قالت: ثم قال: (إن الله جل ثناؤه قال: ﴿ يا أيها النبي قل لأزواجك.. ﴾ إلى قوله: ﴿ أجراً عظيماً ﴾). قالت: فقلت: ففي أي هذا أستأمر ابويَّ، فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة. قالت: ثم فعل أزواج النبي ﷺ مثل ما فعلت. [البخاري: التفسير/الأحزاب، باب: ﴿وإن كنتن تردن الله ورسوله..﴾ رقم: ٤٥٠٨. مسلم: الطلاق، باب: بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقاً إلا بالنية، رقم: ١٤٧٥] [تستأمري: تستشيري].

تعالى: ﴿فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر﴾ طلحة ممن قضى نحبه، لا حساب عليه فيما يستقبل.

وأخرج عن عيسى بن طلحة رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ مر عليه طلحة فقال: (هذا ممن قضى نحبه).

سبب نزول الآية [٢٨]: عن جابر رضي الله عنه قال: أقبل أبو بكر يستأذن على رسول الله ﷺ فلم يؤذن له، ثم أقبل عمر فاستأذن فلم يؤذن له، ثم أذن لهما فدخلا والنبيّ ﷺ جالس وحوله نساؤه وهو ساكت، فقال عمر: لأكلِّمن النبيَّ ﷺ لعله يضحك، فقال عمر: يا رسول الله، لو رأيت ابنة زيد ـ امرأة عمر ـ سألتني النفقة آنفاً فوجأت عنقها. فضحك النبيّ ﷺ حتى بدا ناجذه، وقال: (هنَّ حولي يسألنني النفقة). فقام أبو بكر إلى عائشة ليضربها، وقام عمر إلى حفصة، كلاهما يقولان: تسألان النبيَّ ﷺ ما ليس عنده؟ وأنزل الله الخيار، فبدأ بعائشة، فقال: (إني ذاكر لك أمراً ما أحب أن تعجلي فيه حتى تستأمري أبويك). قالت: ما هو؟ فتلا عليها: ﴿يا أيها النبيّ قل لأزواجك﴾ الآية. قالت عائشة: أفيك أستأمر أبويّ؟ بل اختار الله ورسوله. [ذكر ذلك السيوطي في لباب النقول، وانظر مسلم: الطلاق، باب: بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقاً إلا بالنية، رقم: ١٤٧٨].

بفاحشة مبينة ﴾ بفتح الياء وكسرها، أي بينت، أو هي بينة(١) ﴿ يضاعف ﴾ وفي قراءة «يضعَّف» بالتشديد، وفي أخرى «نضعف» بالنون معه(٢)، ونصب العذاب ﴿ لها العذاب ضعفين ﴾ ضعفي عذاب غيرهن، أي مثليه ﴿ وكان ذلك على الله يسيراً ﴾.

٣١ ﴿ ومن يقنت ﴾ يطع ﴿ منكن لله ورسوله وتعمل صالحاً نؤتها أجرها مرتين ﴾ مثلي ثواب غيرهن من النساء، وفي قراءة بالتحتانية في تعمل ونؤتها(٣) ﴿ وأعتدنا لها رزقاً كريماً ﴾ في الجنة زيادة(٤).

٣٢ ﴿ يا نساء النبي لستن كأحد ﴾ كجماعة ﴿ من النساء إن اتقيتن ﴾ الله، فإنكن أعظم منهن ﴿ فلا تخضعن بالقول ﴾ للرجال(٥) ﴿ فيطمع الذي في قلبه مرض ﴾ شرك أو نفاق ﴿ وقلن قولاً معروفاً ﴾ من غير خضوع.

٣٣ ﴿ وقرن ﴾ بكسر الكاف وفتحها ﴿ في بيوتكن ﴾ من القرار، وأصله اقررن، بكسر الراء وفتحها، من قررت، بفتح الراء وكسرها، نقلت حركة الراء إلى القاف وحذفت مع همزة الوصل ﴿ ولا تبرجن ﴾ بترك إحدى التاءين من أصله(٦) ﴿ تبرج الجاهلية الأولى ﴾ أي ما قبل الإسلام، من إظهار النساء محاسنهن للرجال، والإظهار بعد الإسلام مذكور في آية «ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها»/ النور: ٣١/ ﴿ وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس ﴾ الإثم يا ﴿ أهل البيت ﴾ نساء النبي ﷺ ﴿ ويطهركم ﴾ منه ﴿ تطهيراً ﴾(٧).

٣٤ ﴿ واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله ﴾ القرآن ﴿ والحكمة ﴾ السنة ﴿ إن الله كان لطيفاً ﴾ بأوليائه ﴿ خبيراً ﴾ بجميع خلقه.

٣٥ ﴿ إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات ﴾ المطيعات لأوامره عزوجل ﴿ والصادقين

بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيَّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ
ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا (٣٠) ۞ وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ
وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا
رِزۡقٗا كَرِيمٗا (٣١) يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ
إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّۚ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ
مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا (٣٢) وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا
تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ
ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ
عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا (٣٣)
وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ
إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا (٣٤) إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ
وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ

---

(١) في قوله ﴿مبينة﴾ قراءتان: ﴿مبيَّنة﴾ بفتح الياء: أي بيِّنت وأثبتت. و: ﴿مبيِّنة﴾ بكسر الياء: أي واضحة وظاهرة بذاتها.

(٢) أي مع التشديد.

(٣) أي ﴿ويعمل صالحاً يؤتها﴾.

(٤) عن غيرها.

(٥) بأن تتكلمن كلاماً رقيقاً ليناً يميل قلوب الرجال إليكن.

(٦) أي أصله: تتبرجن.

(٧) أخرج مسلم عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: خرج النبي ﷺ ذات غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود، فجلس، فأتت فاطمة فأدخلها فيه، ثم جاء علي فأدخله فيه، ثم جاء الحسن فأدخله فيه، ثم جاء الحسين فأدخله فيه، ثم قال: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾ [فضائل الصحابة، باب: فضائل أهل بيت النبي ﷺ، رقم: ٢٤٢٤] مرط: كساء. مرحل: مخطط، منقوش عليه رحال الإبل. فهذا يدل على أنهم من أهل البيت المقصودين بالآية. ولا يعارض هذا أنها نزلت في أزواج النبي ﷺ، كما هو ظاهر من سياق الآيات، فالنزول كان في شأنهن، ولكنها تشمل غيرهن بعمومها كما دل الحديث. وبهذا قال جمهور العلماء من الصحابة ومن بعدهم، منهم ابن عباس رضي الله عنهما وعكرمة رحمه الله تعالى، كما ذكر الواحدي في أسباب النزول. [وانظر تفسير الآية عند ابن كثير].

سبب نزول الآية [٣٥]: عن أمّ عمارة الأنصارية رضي الله عنها: أنها أتت النبيّ ﷺ، فقالت: ما أرى كلّ شيء إلا للرجال، وما أرى النساء يذكرن بشيء. فنزلت هذه الآية: ﴿إن المسلمين والمسلمات﴾ الآية [أخرجه الترمذي في تفسير القرآن، باب: ومن سورة الأحزاب، رقم: ٣٢٠٩ وقال: حديث حسن]. وأخرج الطبراني بسند لا بأس به، عن ابن عباس قال: قالت النساء: يا رسول الله، ما باله يذكر المؤمنين ولا يذكر المؤمنات؟ فنزلت: ﴿إن المسلمين والمسلمات﴾ الآية.

وأخرج ابن سعد عن قتادة قال: لما ذكر أزواج النبيّ ﷺ، قالت النساء: لو كان فينا خير لذكرنا، فأنزل الله: ﴿ إن المسلمين والمسلمات ﴾ الآية.

وقال الواحدي: قال مقاتل بن حيان: بلغني أن أسماء بنت عميس لما رجعت من الحبشة، معها زوجها جعفر بن أبي طالب، دخلت على نساء النبي ﷺ فقالت: هل نزل فينا شيء من القرآن؟ قلن: لا، فأتت النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، إن النساء لفي خيبة وخسار. قال: (ومم ذلك). قالت: لأنهن لا يذكرن في الخير كما يذكر الرجال، فأنزل الله تعالى: ﴿إن المسلمين والمسلمات﴾ إلى آخرها.

والصادقات ﴾ في الإيمان ﴿ والصابرين والصابرات ﴾ على الطاعات ﴿ والخاشعين ﴾ المتواضعين ﴿ والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات ﴾ عن الحرام ﴿ والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة ﴾ للمعاصي ﴿ وأجراً عظيماً ﴾ على الطاعات.

٣٦ ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن تكون ﴾ بالتاء والياء ﴿ لهم الخيرة ﴾ الاختيار ﴿ من أمرهم ﴾ خلاف أمر الله ورسوله. نزلت في عبد الله بن جحش وأخته زينب، خطبها النبي ﷺ وعنى لزيد بن حارثة، فكرها ذلك حين علما، لظنهما قبل أن النبي ﷺ خطبها لنفسه، ثم رضيا للآية ﴿ ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً ﴾ بيناً، فزوجها النبي ﷺ لزيد، ثم وقع بصره عليها بعد حين، فوقع في نفسه حبها وفي نفس زيد كراهتها(١)، ثم قال للنبي ﷺ: أريد فراقها، فقال: (أمسك عليك زوجك) كما قال تعالى:

٣٧ ﴿ وإذ ﴾ منصوب باذكر ﴿ تقول للذي أنعم الله عليه ﴾ بالإسلام ﴿ وأنعمت عليه ﴾ بالإعتاق، وهو زيد بن حارثة، كان من سبي الجاهلية، اشتراه(٢) رسول الله ﷺ قبل البعثة وأعتقه وتبناه ﴿ أمسك عليك زوجك واتق الله ﴾ في أمر طلاقها ﴿ وتخفي في نفسك ما الله مبديه ﴾ مظهره من محبتها، وأن لو فارقها زيد تزوجتها ﴿ وتخشى الناس ﴾ أن يقولوا تزوج زوجة ابنه ﴿ والله أحق أن تخشاه ﴾ في كل شيء، وتزوجها ولا عليك من قول الناس. ثم طلقها زيد، وانقضت عدتها، قال تعالى: ﴿ فلما قضى زيد منها وطراً ﴾ حاجة(٣) ﴿ زوجناكها ﴾ فدخل عليها النبي ﷺ بغير إذن، وأشبع المسلمين خبزاً ولحماً(٤) ﴿ لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم(٥) إذا قضوا منهن وطراً وكان أمر الله ﴾ مقضيه ﴿ مفعولاً ﴾.

وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ
وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ
وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ
وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً
وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى
ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ
وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾
وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ
عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ
وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا
وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ
فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ

---

(١) وهذا لو ثبت لم يكن فيه مأخذ على رسول الله ﷺ، إذ القلوب بيد الرحمن جل وعلا، بل من كمال الرجولة والإنسانية أن يكون للإنسان في قلبه موضع للحب أو الكره، والمهم أن لا يحمله حبه أو كرهه على مسلك يخالف شرع الله تبارك وتعالى. ومن ذا الذي يتطاول لينال من جانب النبي ﷺ وهو رسول الله؟ لا شك أن لساناً ينطلق بالطعن برسل الله إنّما هو لسان منافق أو مارق أو جاهل في دين الله عزّ وجلّ. على أن هذا الخبر لم يثبت من طريق صحيح، ولذا قال ابن كثير في تفسيره: أحببنا أن نضرب عنها صفحاً لعدم صحتها فلا نوردها.

أقول: والذي أخفاه ﷺ في نفسه وعاتبه الله تعالى على إخفائه هو تزويج الله تعالى زينب رضي الله تعالى منه ﷺ بعد فراق زيد رضي الله عنه لها، واعتدادها منه.

(٢) قال الصاوي: فيه تسمح، بل الذي في السير أن خديجة اشترته بأربعمائة درهم، ثم وهبته لرسول الله ﷺ.

(٣) أي: لم يبق له فيها حاجة ولا ميل عنده لها.

(٤) روى البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه قال: ما أولم النبي ﷺ على شيء من نسائه ما أولم على زينب، أولم بشاة. وفي رواية: أكثر وأفضل ما أولم على زينب. قال ثابت: بم أولم؟ قال: أطعمهم خبزاً ولحماً حتى تركوه. [البخاري: النكاح، باب: الوليمة ولو بشاة، رقم: ٤٨٧٣. مسلم: النكاح، باب: فضيلة إعتاقه أمته ثم يتزوجها. . ، رقم: ١٤٢٨].

(٥) جمع دعي وهو المتبنى.

سبب نزول الآية [٣٦]: أخرج الطبراني بسند صحيح عن قتادة قال: خطب النبيّ ﷺ زينب وهو يريدها لزيد، فظنت أنه يريدها لنفسه، فلما علمت أنه يريدها لزيد أبت، فأنزل الله: ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة﴾ الآية، فرضيت وسلمت.

وأخرج ابن جرير، من طريق عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما: خطب رسول الله ﷺ زينب بنت جحش لزيد بن حارثة فاستنكفت منه، وقالت: أنا خير منه حسباً، فأنزل الله: ﴿ وما كان لمؤمن ﴾ الآية كلها.

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن زيد قال: نزلت في أمّ كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، وكانت أوّل امرأة هاجرت من النساء، فوهبت نفسها للنبيّ ﷺ، فزوّجها زيد بن حارثة، فسخطت هي وأخوها، قالا: إنما أردنا رسول الله ﷺ فزوّجنا عبده، فنزلت.

سبب نزول الآية [٣٧]: أخرج البخاري عن أنس رضي الله عنه: أن هذه الآية: ﴿وتخفي في نفسك ما الله مبديه﴾ نزلت في شأن زينب بنت جحش وزيد بن حارثة. [التفسير، الأحزاب، باب: ﴿وتخفي في نفسك﴾ رقم: ٤٥٠٩]. وأخرج الحاكم عن أنس قال: جاء زيد بن حارثة يشكو

٣٨ ﴿ ما كان على النبي من حرج فيما فرض ﴾ أحل ﴿ الله له سنة الله ﴾ أي كسنة الله، فنصب بنزع الخافض ﴿ في الذين خلوا من قبل ﴾ من الأنبياء: أن لا حرج عليهم في ذلك، توسعة لهم في النكاح ﴿ وكان أمر الله ﴾ فعله ﴿ قدراً مقدوراً ﴾ مقضياً.

٣٩ ﴿ الذين ﴾ نعت للذين قبله ﴿ يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله ﴾ فلا يخشون مقالة الناس فيما أحل الله لهم ﴿ وكفى بالله حسيباً ﴾ حافظاً لأعمال خلقه ومحاسبتهم.

٤٠ ﴿ ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ﴾ فليس أبا زيد، أي والده، فلا يحرم عليه التزوج بزوجته زينب ﴿ ولكن ﴾ كان ﴿ رسول الله وخاتِم النبيين ﴾ فلا يكون له ابنٌ رجلٌ بعده يكون نبياً، وفي قراء بفتح التاء كآلة الختم، أي به ختموا ﴿ وكان الله بكل شيءٍ عليماً ﴾ منه(١) بأن لا نبي بعده،وإذا نزل السيد عيسى عليه الصلاة والسلام فإنه يحكم بشريعته.

٤١ ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً ﴾ ٤٢ ﴿ وسبحوه بكرة وأصيلاً ﴾ أول النهار وآخره.٤٣ ﴿ هو الذي يصلي عليكم ﴾ يرحمكم ﴿ وملائكته ﴾ يستغفرون لكم﴿ ليخرجكم ﴾ليديم إخراجه إياكم ﴿ من الظلمات ﴾الكفر ﴿ إلى النور ﴾ الإيمان ﴿ وكان بالمؤمنين رحيماً ﴾.

٤٤ ﴿ تحيتهم ﴾ منه تعالى ﴿ يوم يلقونه سلام ﴾ بلسان الملائكة عليهم السلام﴿ وأعد لهم أجراً كريماً ﴾هو الجنة.

٤٥ ﴿ يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ﴾ على من أرسلت إليهم ﴿ ومبشراً ﴾ من صدقك بالجنة ﴿ ونذيراً ﴾ منذراً من كذبك بالنار.

٤٦ ﴿ وداعياً إلى الله ﴾ إلى طاعته ﴿ بإذنه ﴾ بأمره ﴿ وسراجاً منيراً ﴾ أي مثله في الاهتداء به(٢).

٤٧ ﴿ وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً ﴾ هو الجنة.

ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ
ٱللَّهُ لَهُۥ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ
قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَـٰلَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ
وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾
مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ
وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ يَـٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً
وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم
مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾
تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَـٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾
يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾
وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ

---

(١) أي من علمه سبحانه. عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لي خمسة أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله الكفر بي، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب) والعاقب الذي ليس بعده نبي، وقد سماه الله رؤوفاً رحيماً. [البخاري: المناقب، باب: ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ، رقم: ٣٣٣٩. مسلم: الفضائل، باب: في أسمائه ﷺ، رقم: ٢٣٥٤].

(٢) أي كما يستضاء بنور المصباح المتوهج فيهتدى للطريق والغاية، كذلك يهتدى بما جاء به ﷺ من شرع الله تعالى للوصول إلى سعادة الدنيا ونجاة الآخرة.

عن عطاء بن يسار قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قلت: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة، قال: أجل، والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: ﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً﴾ [الأحزاب: ٤٥]. وحرزاً للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ، ولا سخاب في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به

إلى رسول الله ﷺ من زينب بنت جحش، فقال النبيّ ﷺ: (أمسك عليك أهلك). فنزلت: ﴿وتخفي في نفسك ما الله مبديه﴾. [المستدرك: التفسير، تفسير سورة الأحزاب: ٢/٤١٧].

سبب نزول الآية [٤٠]: أخرج الترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما تزوّج النبي ﷺ زينب قالوا: تزوّج حليلة ابنه، فأنزل الله: ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم﴾ الآية. [التفسير، باب: ومن سورة الأحزاب، رقم: ٣٢٠٥] حليلة: زوجته، سميت بذلك لأنها تحل له.

سبب نزول الآية [٤٣]: أخرج عبد بن حميد عن مجاهد قال: لما نزلت ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبيّ﴾ [الأحزاب: ٥٦]. قال أبو بكر: يا رسول الله، ما أنزل الله عليك خيراً إلا أشركنا فيه. فنزلت: ﴿هو الذي يصلي عليكم وملائكته﴾ [السيوطي].

سبب نزول الآية [٤٧]: أخرج ابن جرير عن عكرمة والحسن البصري قالا: لما نزلت: ﴿ليغفر لك الله ما تقدّم من ذنبك وما تأخر﴾ [الفتح: ٢]. قال رجال من المؤمنين: هنيئاً لك يا رسول الله، قد علمنا ما يفعل بك، فماذا يفعل بنا؟ فأنزل الله: ﴿ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات﴾ [الفتح: ٥]. وأنزل في سورة الأحزاب: ﴿وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً ﴾.

وأخرج البيهقي في [دلائل النبوّة] عن الربيع بن أنس رضي الله عنه قال: لما نزلت: ﴿وما أدري ما يفعل بي ولا بكم﴾ [الأحقاف: ٩]. نزل بعدها: ﴿ليغفر لك الله ما تقدّم من ذنبك وما تأخر﴾ [الأحقاف: ٩]. فقالوا: يا رسول الله، قد علمنا ما يفعل بك، فما يفعل بنا؟ فنزل: ﴿وبشر

٤٨ ﴿ ولا تطع الكافرين والمنافقين ﴾ فيما يخالف شريعتك ﴿ ودع ﴾ اترك ﴿ أذاهم ﴾ لا تجازهم عليه إلى أن تؤمر فيهم بأمر ﴿ وتوكل على الله ﴾ فهو كافيك ﴿ وكفى بالله وكيلاً ﴾ مفوضاً إليه.

٤٩ ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن ﴾ وفي قراءة «تماسوهن» أي تجامعوهن ﴿ فما لكم عليهن من عدة تعتدونها ﴾ تحصونها بالأقراء وغيرها(١) ﴿ فمتعوهن ﴾ أعطوهن ما يستمتعن به، أي إن لم يسم لهن أصدقة(٢)، وإلا فلهن نصف المسمى فقط، قاله ابن عباس، وعليه الشافعي ﴿وسرحوهن سراحاً جميلاً ﴾ خلوا سبيلهن من غير إضرار.

٥٠ ﴿ يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن ﴾ مهورهن ﴿ وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك ﴾ من الكفار بالسبي، كصفية وجويرية(٣) ﴿ وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك ﴾ بخلاف من لم يهاجرن(٤) ﴿ وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها ﴾ يطلب نكاحها بغير صداق ﴿ خالصة لك من دون المؤمنين ﴾ النكاح بلفظ الهبة من غير صداق(٥) ﴿ قد علمنا ما فرضنا عليهم ﴾ أي المؤمنين ﴿ في أزواجهم ﴾ من الأحكام، بأن لا يزيدوا على أربع نسوة، ولا يتزوجوا إلا بولي وشهود ومهر ﴿ و ﴾ في ﴿ ما ملكت أيمانهم ﴾ من الإماء بشراء وغيره، بأن تكون الأمة ممن تحل لمالكها كالكتابية، بخلاف المجوسية والوثنية، وأن تستبرأ قبل الوطء(٦) ﴿ لكيلا ﴾ متعلق بما قبل ذلك(٧) ﴿ يكون عليك

بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ
وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ
وَكِيلٗا ﴿٤٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحۡتُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ
ثُمَّ طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمۡ عَلَيۡهِنَّ مِنۡ
عِدَّةٖ تَعۡتَدُّونَهَاۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ﴿٤٩﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ
أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ وَبَنَاتِ
عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ
ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا
لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةٗ لَّكَ مِن
دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ
وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ لِكَيۡلَا يَكُونَ عَلَيۡكَ حَرَجٞۗ وَكَانَ ٱللَّهُ

[أجل: حرف جواب مثل نعم. شاهداً: لأمتك بتصديقهم، وعلى الكافرين بتكذيبهم. مبشراً: للمؤمنين. نذيراً: للكافرين. حرزاً للأميين: حصناً للعرب. المتوكل: المعتمد على الله تعالى. بفظ: سيء الخلق. غليظ: شديد في القول. سخاب: يرفع صوته على الناس. يقيم به الملة العوجاء: ينفي الشرك ويثبت التوحيد. عمياً: لا تبصر الحق. صماً: لا تسمع دعوة الخير. غلفاً: غطتها ظلمة الشرك].

(١) وهي الأشهر للتي لا تحيض من النساء، كالآيسة والصغيرة.

(٢) جمع صداق وهو المهر.

(٣) صفية بنت حيي بن أخطب زعيم بني النضير، كانت في سبي خيبر. وجويرية بنت الحارث زعيم بني المصطلق، كانت في سبي تلك الغزوة. والسبي ما يأخذه المسلمون من نساء الكفار وأولادهم أسرى في ساحة القتال. وأفاء من الفيء، وهو الغنيمة أيضاً.

(٤) فإنهن لا يحللن له، وذلك كان حين كانت الهجرة واجبة، ثم نسخ.

(٥) خاص بالنبي ﷺ.

(٦) تترك حتى تحيض وتطهر، فيعلم بذلك براءة رحمها من الولد من وطء سابق، كي لا تختلط الأنساب.

(٧) وهو قوله ﴿أحللنا لك. .﴾ والمعنى: أحللنا لك ما ذكر من الأزواج لئلا يكون عليك ضيق في النكاح.

الملة العوجاء، بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويفتح به أعيناً عمياً، وآذاناً صماً، وقلوباً غلفاً. [البخاري: البيوع، رقم: ٢٠١٨]

المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً﴾ قال: الفضل الكبير، الجنة.

سبب نزول الآية [٥٠]: أخرج الترمذي وحسّنه، والحاكم وصححه، من طريق السدّي، عن أبي صالح، عن ابن عباس، عن أمّ هانىء بنت أبي طالب قالت: خطبني رسول الله ﷺ فاعتذرت إليه فعذرني، فأنزل الله: ﴿إنا أحللنا لك﴾ إلى قوله ﴿اللاتي هاجرن معك﴾ قالت: فلم أكن أحلّ له لأني لم أهاجر. [الترمذي: التفسير، باب: ومن سورة الأحزاب، رقم: ٣٢١١. المستدرك: التفسير، تفسير سورة الأحزاب: ٢/٤٢٠].

وأخرج ابن أبي حاتم، من طريق إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي صالح، عن أمّ هانىء قالت: نزلت فيّ هذه الآية: ﴿وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك﴾ أراد النبيّ ﷺ أن يتزوّجني فنهي عني، إذ لم أهاجر.

وأخرج ابن سعد عن عكرمة في قوله: ﴿وامرأة مؤمنة﴾ الآية، قال: نزلت في أمّ شريك الدوسية.

وأخرج ابن سعد، عن منير بن عبد الله الدؤلي: أن أمّ شريك غزية بنت جابر بن حكيم الدوسية عرضت نفسها على النبيّ ﷺ وكانت جميلة، فقبلها، فقالت عائشة: ما في امرأة حين تهب نفسها لرجل خير، قالت أمّ شريك: فأنا تلك، فسماها الله مؤمنة، فقال: ﴿وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبيّ﴾. فلما نزلت الآية، قالت عائشة: إن الله يسرع لك في هواك. [السيوطي]

حرج ﴾ ضيق في النكاح ﴿ وكان الله غفوراً ﴾ لما يعسر التحرز عنه ﴿ رحيماً ﴾ بالتوسعة في ذلك عليهم.

٥١ ﴿ ترجىء ﴾ بالهمز والياء بدله، تؤخر ﴿ من تشاء منهن ﴾ أي أزواجك عن نوبتها ﴿ وتؤوي ﴾ تضم ﴿ إليك من تشاء ﴾ منهن فتأتيها ﴿ ومن ابتغيت ﴾ طلبت ﴿ ممن عزلت ﴾ من القسمة ﴿ فلا جناح عليك ﴾ في طلبها وضمها إليك، خُيِّر في ذلك بعد أن كان القسم واجباً عليه⁽¹⁾ ﴿ ذلك ﴾ التخيير ﴿ أدنى ﴾ أقرب إلى ﴿ أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن ﴾ ما ذكر⁽²⁾ المخير فيه ﴿ كلهن ﴾ تأكيد للفاعل في يرضين ﴿ والله يعلم ما في قلوبكم ﴾ من أمر النساء والميل إلى بعضهن، وإنما خيرناك فيهن تيسيراً عليك في كل ما أردت ﴿ وكان الله عليماً ﴾ بخلقه ﴿ حليماً ﴾ عن عقابهم.

٥٢ ﴿ لا تحل ﴾ بالتاء والياء ﴿ لك النساء من بعد ﴾ بعد التسع اللاتي اخترنك ﴿ ولا أن تبدل ﴾ بترك إحدى التاءين في الأصل⁽³⁾ ﴿بهن من أزواج﴾ بأن تطلقهن أو بعضهن، وتنكح بدل من طلقت ﴿ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك﴾ من الإماء فتحل لك، وقد ملك ﷺ بعدهن مارية، وولدت له إبراهيم، ومات في حياته⁽⁴⁾ ﴿وكان الله على كل شيء رقيباً ﴾ حفيظاً.

٥٣ ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم ﴾ في الدخول، بالدعاء ﴿ إلى طعام ﴾ فتدخلوا ﴿ غير ناظرين ﴾ منتظرين ﴿ إناه ﴾ نضجه، مصدر أنى يأني ﴿ ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا ﴾ تمكثوا ﴿ مستأنسين لحديث ﴾ من بعضكم لبعض ﴿ إن ذلكم ﴾ المكث ﴿ كان يؤذي النبي فيستحي منكم ﴾ أن يخرجكم ﴿ والله لا يستحي من الحق ﴾ أن يخرجكم، أي لا يترك بيانه، وقرىء «يستحي» بياء واحدة⁽⁵⁾ ﴿ وإذا سألتموهن ﴾ أي أزواج النبي ﷺ ﴿متاعاً⁽⁶⁾ فاسألوهن من وراء حجاب﴾ ستر

غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾ * تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ
إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ
عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ
بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ
عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ
بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ
وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ
غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ
فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ
يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ
ٱلْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ

---

(١) أي كغيره من الأزواج الذين لهم أكثر من زوجة.

(٢) أي أعطيتهن وعاملتهن به، من العزل والإيواء والقسم وتركه، المخير فيه والمذكور قبل. فقوله «ما ذكر» مفعول به ثان لقوله ﴿آتيتهن﴾ وقوله «المخير فيه» بدل منه.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كنت أغار على اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله ﷺ، وأقول: تهب المرأة نفسها؟ فلما أنزل الله تعالى: ﴿ترجىء من تشاء منهن..﴾ قلت: ما أرى ربك إلا يسارع في هواك.

وعنها رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ كان يستأذن في يوم المرأة منا بعد أن أنزلت هذه الآية: ﴿ ترجىء من تشاء..﴾. فقيل لها: ما كنت تقولين؟ قالت: كنت أقول له: إن كان ذاك إليَّ فإني لا أريد يا رسول الله أن أوثر عليك أحداً. وفي رواية: لم أوثر أحداً على نفسي.

[البخاري: التفسير/الأحزاب، باب: ﴿ ترجىء من تشاء..﴾. مسلم: الرضاع، باب: جواز هبتها نوبتها لضرتها، والطلاق، باب: بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقاً إلا بالنية]

(٣) أي الأصل: تتبدل، فتركت إحدى التاءين تخفيفاً.

(٤) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: دخلنا مع رسول الله ﷺ عن أبي سيف القين، وكان ظئراً لإبراهيم عليه السلام، فأخذ رسول الله ﷺ إبراهيم فقبله وشمه، ثم دخلنا عليه بعد ذلك وإبراهيم يجود بنفسه، فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان، فقال له عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: وأنت يا رسول الله؟ فقال: (يا ابن عوف، إنها رحمة). ثم اتبعها بأخرى، فقال ﷺ: (إن العين لتدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون) [البخاري: الجنائز، باب: قول النبي ﷺ: (إنا بك لمحزونون). رقم: ١٢٤١. مسلم: الفضائل، باب: رحمته ﷺ الصبيان والعيال، رقم: ٢٣١٥] ظئراً: زوج مرضعته، تذرفان: تدمعان.

(٥) وهي قراءة شاذة.

(٦) أي حاجةً من عاريَةٍ ونحوها.

سبب نزول الآية [٥٣]: عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لما تزوج النبي ﷺ زينب بنت جحش دعا القوم فطعموا، ثم جلسوا يتحدثون، قال: وإذا هو كأنه يتهيأ للقيام فلم يقوموا، فلما رأى ذلك قام، فلما قام من القوم من قام، وقعد ثلاثة نفر، فجاء النبي ﷺ ليدخل فإذا القوم جلوس، ثم إنهم قاموا، فانطلقت فجئت، فأخبرت النبي ﷺ أنهم قد انطلقوا، فجاء حتى دخل، فذهبت أدخل فألقى الحجاب بيني وبينه، فأنزل الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي..﴾. [البخاري: التفسير/ الأحزاب، باب: ﴿لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم..﴾ رقم:

﴿ ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن ﴾ من الخواطر المريبة ﴿ وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ﴾ بشيء ﴿ ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً إن ذلكم كان عند الله ﴾ ذنباً ﴿ عظيماً ﴾.

٥٤ ﴿ إن تبدوا شيئاً أو تخفوه ﴾ من نكاحهن بعده ﴿ فإن الله كان بكل شيءٍ عليماً ﴾ فيجازيكم عليه.

٥٥ ﴿ لا جناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن ولا إخوانهن ولا أبناء إخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولا نسائهن ﴾ أي المؤمنات ﴿ ولا ما ملكت أيمانهن ﴾ من الإماء والعبيد: أن يروهن ويكلموهن من غير حجاب ﴿ واتقين الله ﴾ فيما أمرتن به ﴿ إن الله كان على كل شيءٍ شهيداً ﴾ لا يخفى عليه شيء.

٥٦ ﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي ﴾ محمد ﷺ ﴿ يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً ﴾ أي قولوا: اللهم صلِ على محمد وسلم⁽¹⁾.

٥٧ ﴿ إن الذين يؤذون الله ورسوله ﴾ وهم الكفار، يصفون الله بما هو منزه عنه من الولد والشريك⁽²⁾، ويكذبون رسوله ﴿ لعنهم الله في الدنيا والآخرة ﴾ أبعدهم وطردهم ﴿ وأعدَّ لهم عذاباً مهيناً ﴾ ذا إهانة، وهو النار.

٥٨ ﴿ والـذين يؤذون المؤمنين والمؤمنـات بغير ما اكتسبوا ﴾ يرمونهم⁽³⁾ بغير ما عملوا ﴿ فقد احتملوا بهتاناً ﴾ تحملوا كذباً ﴿ وإثماً مبيناً ﴾ بيناً.

٥٩ ﴿ يا أيها النبي قل

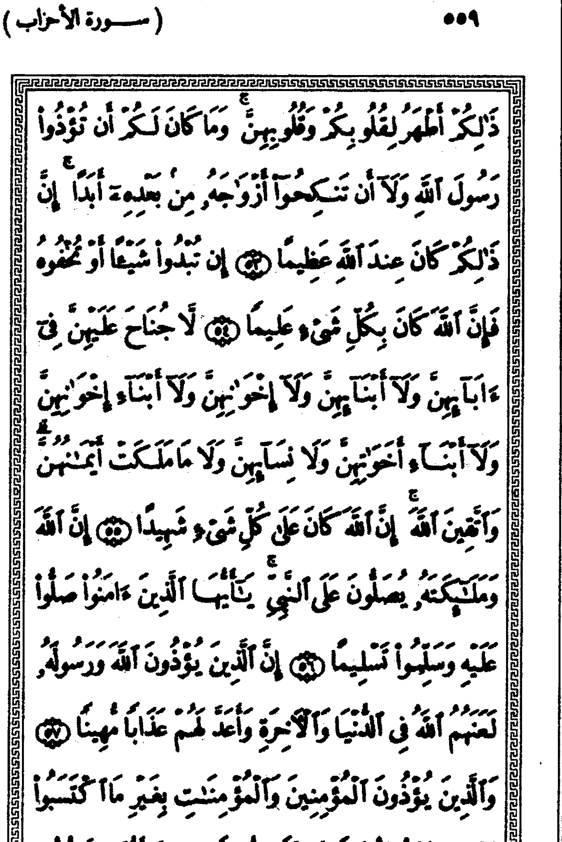

٥٥٩ (سـورة الأحزاب)

ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟
رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ
ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ
فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾ لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ
ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ
وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ ۗ
وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ
وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟
عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ
لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾
وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟
فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل

٤٥١٣. مسلم: النكاح، باب: زواج زينب بنت جحش ونزول الحجاب. . ، رقم: ١٤٢٨].

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: قلت: يا رسول الله، يدخل عليك البر والفاجر، فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب؟ فأنزل الله تعالى آية الحجاب. [البخاري: التفسير/ الأحزاب، باب: قوله ﴿لا تدخلوا بيوت النبي إلا . .﴾ رقم: ٤٥١٢].

سبب نزول الآية [٥٧]: أخرج ابن أبي حاتم، من طريق العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿إن الذين يؤذون الله ورسوله﴾ الآية. قال: نزلت في الذين طعنوا على النبي ﷺ حين اتخذ صفية بنت حيي. وقال جويبر، عن الضحاك، عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنزلت في عبد الله بن أبيّ وناس معه، قذفوا عائشة، فخطب النبيّ ﷺ وقال: (من يعذرني من رجل يؤذيني، ويجمع في بيته من يؤذيني). فنزلت. [السيوطي].

سبب نزول الآية [٥٨ ـ ٥٩]: قال الواحدي: قال عطاء، عن ابن عباس رضي الله عنهما: رأى عمر رضي الله عنه جارية من الأنصار متبرجة فضربها، وكره ما رأى من زينتها، فذهبت إلى أهلها تشكو عمر، فخرجوا إليه فآذوه، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

[متبرجة: من التبرُّج، وهو ـ في الأصل ـ التكلف في إظهار ما يخفى، ثم خص بتكشف المرأة وإظهار محاسنها وزينتها للرجال].

وقال مقاتل: نزلت في علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وذلك أن أناساً من المنافقين كانوا يؤذونه ويسمعونه.

وقال الضحاك والسدي والكلبي: نزلت في الزناة الذين كانوا يمشون في طرق المدينة، يتبعون النساء إذا برزن بالليل لقضاء حوائجهن، فيرون

---

(١) أخرج البخاري ومسلم عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: لقيني كعب بن عجرة فقال: ألا أهدي لك هدية؟ إن النبي ﷺ خرج علينا فقلنا: يا رسول الله، قد علمنا كيف نسلم عليك، فكيف نصلي عليك؟ قال: (قولوا: اللهم صلِ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد. اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد). ووردت صيغ أخرى مع اختلاف ببعض الألفاظ.
[البخاري: الدعوات، باب: الصلاة على النبي ﷺ، رقم: ٥٩٩٦. مسلم: الصلاة، باب: الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد، رقم: ٤٠٦].

(٢) أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (يقول الله عزّ وجلّ: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فقوله لن يعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته. وأما شتمه إياي فقوله اتخذ الله ولداً وأنا الأحد الصمد، الذي لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفأ أحد).
[التفسير/الإخلاص، باب: تفسير قوله ﴿قل هو الله أحد﴾ رقم: ٤٦٩٠].

(٣) يتهمونهم.

لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ﴾ جمع جلباب، وهي الملاءة التي تشتمل بها المرأة(١)، أي يرخين بعضها على الوجوه إذا خرجن لحاجتهن إلا عيناً واحدة(٢) ﴿ ذلك أدنى ﴾ أقرب إلى ﴿ أن يعرفن ﴾ بأنهن حرائر ﴿ فلا يؤذين ﴾ بالتعرض لهن، بخلاف الإماء: فلا يغطين وجوههن، فكان المنافقون يتعرضون لهن(٣) ﴿ وكان الله غفوراً ﴾ لما سلف منهن من ترك الستر ﴿ رحيماً ﴾ بهن إذ سترهن(٤).

٦٠ ﴿ لئن ﴾ لام قسم ﴿ لم ينته المنافقون ﴾ عن نفاقهم ﴿ والذين في قلوبهم مرض ﴾(٥) بالزنا ﴿ والمرجفون في المدينة ﴾ المؤمنين(٦) بقولهم: قد أتاكم العدو، وسراياكم(٧) قتلوا أو هزموا ﴿ لنغرينك بهم ﴾ لنسلطنك عليهم ﴿ ثم لا يجاورونك ﴾ يساكنونك ﴿ فيها إلا قليلاً ﴾.

٦١ ثم يخرجون ﴿ ملعونين ﴾ مبعدين عن الرحمة ﴿ أين ما ثقفوا﴾ وجدوا ﴿ أخذوا وقتلوا تقتيلاً ﴾ أي الحكم فيهم هذا، على جهة الأمر به(٨).

٦٢ ﴿ سنّة الله ﴾ أي سن الله ذلك ﴿ في الذين خلوا من قبل ﴾ من الأمم الماضية، في منافقيهم المرجفين المؤمنين ﴿ ولن تجد لسنّة الله تبديلاً ﴾ منه.

٦٣ ﴿ يسألك الناس ﴾ .أهل مكة ﴿ عن الساعة ﴾ متى تكون ﴿ قل إنما علمها عند الله وما يدريك ﴾ يعلمك بها، أي أنت لا تعلمها ﴿ لعل الساعة تكون ﴾ توجد ﴿ قريباً ﴾.

٦٤ ﴿ إن الله لعن الكافرين ﴾ أبعدهم ﴿ وأعدَّ لهم سعيراً ﴾ ناراً شديدة يدخلونها.

٦٥ ﴿ خالدين ﴾ مقدراً خلودهم ﴿ فيها أبداً لا يجدون ولياً ﴾ يحفظهم عنها ﴿ ولا نصيراً ﴾ يدفعها عنهم.

٦٦ ﴿ يوم تقلب وجوههم في النار(٩) يقولون يا ﴾ للتنبيه ﴿ ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا ﴾.

٦٧ ﴿ وقالوا ﴾ أي الأتباع منهم ﴿ ربنا إنا أطعنا

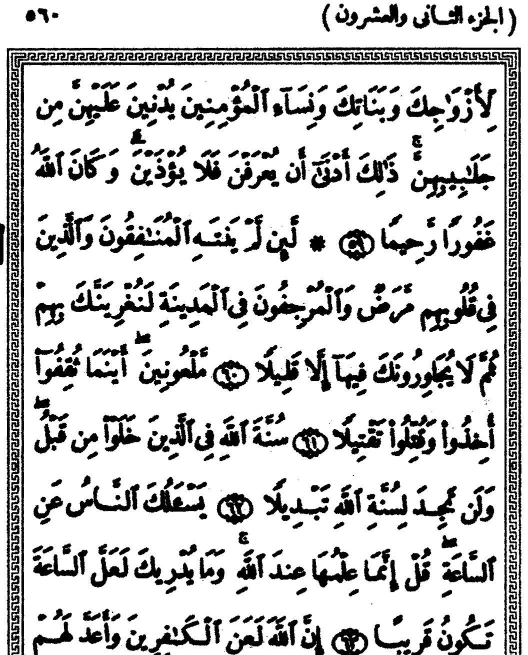
(الجزء الثانى والعشرون) ٥٦٠

لِأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن
جَلَـٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ
غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ ۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ
فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ
ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟
أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ
وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾ يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ
ٱلسَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ
تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ
سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا
نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَـٰلَيْتَنَآ
أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا

---

(١) تلتف وتتغطى بها فوق ثيابها.

(٢) أخرج ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أمر الله نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن في حاجة أن يغطين وجوههن من فوق رؤوسهن بالجلابيب، ويبدين عيناً واحدة.

(٣) وهذا لا يعني أن التعرض للإماء جائز، وإنما يعني أن من شأن الحرة الحصينة أن تغلق أبواب الإغراء بها، وتسد على السفهاء منافذ النيل من كرامتها.

(٤) عن عائشة رضي الله عنها قالت: خرجت سودة بعدما ضرب الحجاب لحاجتها، وكانت امرأة جسيمة لا تخفى على من يعرفها، فرآها عمر بن الخطاب، فقال: يا سودة، أما والله ما تخفين علينا، فانظري كيف تخرجين. قالت: فانكفأت راجعةً، ورسول الله ﷺ في بيتي، وإنه ليتعشى، وفي يده عَرْق، فدخلت فقالت: يا رسول الله إني خرجت لبعض حاجتي، فقال لي عمر كذا وكذا، قالت: فأوحى الله إليه، ثم رفع عنه وإن العرق في يده ما وضعه، فقال: (إنه قد أذن لكنّ أن تخرجن لحاجتكن). [البخاري: التفسير/ الأحزاب، باب: قوله ﴿ لا تدخلوا بيوت النبي إلا . . ﴾ رقم: ٤٥١٧. مسلم: السلام، باب: إباحة الخروج للنساء لقضاء حاجة الإنسان، رقم: ٢١٧٠].

(٥) ميل للفجور.

(٦) أي يبثون الأراجيف ليخيفوا المؤمنين. والأراجيف الأخبار الكاذبة، وأصل الإرجاف التحريك، مأخوذ من الرجفة وهي الزلزلة، وصفت به الأخبار الكاذبة لكونها متزلزلة غير ثابتة، ولأنها تزلزل الناس أيضاً بإشاعتها.

(٧) جمع سرية، وهي القطعة من الجيش.

(٨) أي إن المسلمين مأمورون بأخذهم وتقتيلهم.

(٩) تحول من جهة إلى جهة، كاللحم الذي يشوى على النار. أو تقلب ظهراً لبطن حين يسحبون عليها.

المرأة فيدنون منها فيغمزونها، فإن سكتت اتبعوها، وإن زجرتهم انتهوا عنها، ولم يكونوا يطلبون إلا الإماء، ولكن لم يكن يومئذٍ تعرف الحرة من الأمة، إنما يخرجن في درع وخمار، فشكون ذلك إلى أزواجهن، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

قال: الدليل على صحة هذا قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ . .﴾. [فيغمزونها: من الغمز، وهو العصر والجسّ بالأصابع. الإماء:

سادتنا ﴾ وفي قراءة «سَاداتنا» من باب جمع الجمع ﴿ وكبراءنا فأضلونا السبيلا ﴾ طريق الهدى.

٦٨ ﴿ ربنا آتهم ضعفين من العذاب ﴾ مثلي عذابنا ﴿ والعنهم ﴾ عذبهم ﴿ لعناً كثيراً ﴾ عدده، وفي قراءة بالموحدة⁽١⁾، أي عظيماً.

٦٩ ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا ﴾ مع نبيكم ﴿ كالذين آذوا موسى ﴾ بقولهم مثلاً: ما يمنعه أن يغتسل إلا أنه آدر ﴿ فبرأه الله مما قالوا ﴾ بأن وضع ثوبه على حجر ليغتسل، ففر الحجر به حتى وقف بين ملأ من بني إسرائيل فأدركه موسى، فأخذ ثوبه فاستتر به، فرأوه ولا أدرة به⁽٢⁾، وهي نفخة في الخصية ﴿ وكان عند الله وجيهاً ﴾ ذا جاه. ومما أوذي به نبينا ﷺ: أنه قسم قسماً، فقال رجل: هذه قسمة ما أريد بها وجه الله تعالى، فغضب النبي ﷺ من ذلك وقال: (يرحم الله موسى، لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر) رواه البخاري⁽٣⁾.

٧٠ ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً ﴾ صواباً.

٧١ ﴿ يصلح لكم أعمالكم ﴾ يتقبلها منكم﴿ ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً ﴾ نال غاية مطلوبه.

٧٢ ﴿ إنا عرضنا الأمانة ﴾ الصلوات وغيرها، مما في فعلها من الثواب وتركها من العقاب ﴿ على السموات والأرض والجبال ﴾ بأن خلق فيها فهماً ونطقاً ﴿ فأبين أن يحملنها وأشفقن ﴾ خفن ﴿ منها⁽٤⁾ وحملها الإنسان ﴾ آدم، بعد عرضها عليه ﴿ إنه كان ظلوماً ﴾ لنفسه بما حمله ﴿ جهولاً ﴾ به⁽٥⁾.

٧٣ ﴿ ليعذب الله ﴾ اللام متعلقة بعرضنا المترتب عليه حمل آدم ﴿ المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ﴾ المضيعين الأمانة ﴿ ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات ﴾ المؤدين الأمانة ﴿ وكان الله غفوراً ﴾ للمؤمنين ﴿ رحيماً ﴾ بهم، والله أعلم.

سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ
ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ
مِمَّا قَالُوا۟ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ
أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ
فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ
مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾
لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ
وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ
وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾

---

(١) أي ﴿كبيراً﴾ وهي قراءة حفص عن عاصم.

(٢) أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة، رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (كانت بنو إسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم إلى سوأة بعض، وكان موسى عليه السلام يغتسل وحده، فقالوا: والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلا أنه آدر. قال: فذهب مرة يغتسل فوضع ثوبه على حجر، ففر الحجر بثوبه، قال: فجمح موسى بأثره يقول: ثوبي حجر ثوبي حجر، حتى نظرت بنو إسرائيل إلى سوأة موسى فقالوا: والله ما بموسى من بأس، فقام الحجر حتى نظر إليه، قال: فأخذ ثوبه فطفق بالحجر ضرباً). [فجمح: أسرع].
[البخاري: الغسل، باب: من اغتسل عرياناً وحده في الخلوة ومن تستر فالتستر أولى، رقم: ٢٧٤. مسلم: الحيض، باب: جواز الاغتسال عرياناً في الخلوة، رقم: ٣٣٩].

(٣) في كتاب الأنبياء من صحيحه، باب: حديث الخضر مع موسى عليهما السلام، رقم: ٣٢٢٤.

(٤) الله تعالى أعلم بكيفية ذلك العرض وذاك الإباء.

(٥) إذ لم يقدر عظم ما تحمل، فوقع في المخالفة، فكان عليه الإثم وأوجب على نفسه العقاب.

النساء المملوكات، جمع أمَة. درع: قميص يستر جميع البدن. خمار: هو غطاء الرأس].

وقال السدي: كانت المدينة ضيقة المنازل، وكان النساء إذا كان الليل خرجن فقضين الحاجة، وكان فساق من فساق المدينة يخرجون، فإذا رأوا المرأة عليها قناع قالوا: هذه حرة، فتركوها، وإذا رأوا المرأة بغير قناع قالوا: هذه أمة، فكانوا يراودونها، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وأخرج ابن سعد في [الطبقات] عن أبي مالك قال: كان نساء النبيّ ﷺ يخرجن بالليل لحاجتهنّ، وكان ناس من المنافقين يتعرّضون لهنّ فيؤذين، فشكوا ذلك، فقيل ذلك للمنافقين، فقالوا: إنما نفعله بالإماء، فنزلت هذه الآية: ﴿يا أيها النبيّ قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين..﴾.

(سورة سبأ)

(مكية، إلا «ويرى الذين أوتوا العلم» الآية، وآياتها ٥٤ أو ٥٥)

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿الحمد لله﴾ حمد الله تعالى نفسه بذلك، والمراد به الثناء بمضمونه من ثبوت الحمد[١] ـ وهو الوصف بالجميل ـ لله تعالى ﴿ الذي له ما في السموات وما في الأرض ﴾ ملكاً وخلقاً[٢] ﴿ وله الحمد في الآخرة ﴾ كالدنيا، يحمده أولياؤه إذا دخلوا الجنة ﴿ وهو الحكيم ﴾ في فعله ﴿ الخبير ﴾ بخلقه.

٢ ﴿ يعلم ما يلج ﴾ يدخل ﴿ في الأرض ﴾ كماء وغيره ﴿ وما يخرج منها ﴾ كنبات وغيره ﴿ وما ينزل من السماء ﴾ من رزق وغيره ﴿ وما يعرج ﴾ يصعد ﴿ فيها ﴾ من عمل وغيره ﴿ وهو الرحيم ﴾ بأوليائه ﴿ الغفور ﴾ لهم.

٣ ﴿ وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة ﴾ القيامة[٣] ﴿ قل ﴾ لهم ﴿ بلى وربي لتأتينكم عالم الغيب ﴾ بالجر صفة والرفع خبر مبتدأ «وعلام» بالجر[٤] ﴿ لا يعزب ﴾ يغيب ﴿ عنه مثقال ﴾ وزن ﴿ ذرة ﴾ أصغر نملة[٥] ﴿ في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين ﴾ بيِّن، وهو اللوح المحفوظ.

٤ ﴿ ليجزي ﴾ فيها[٦] ﴿ الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة ورزق كريم ﴾ حسن في الجنة.

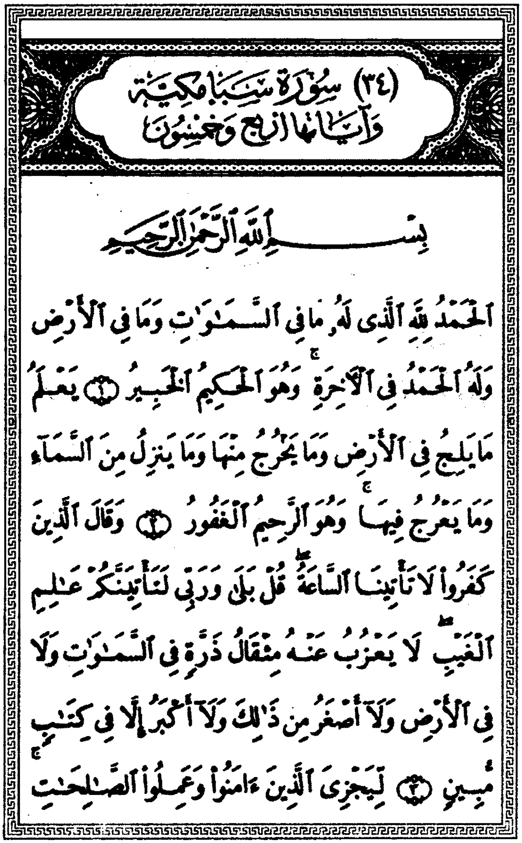

(٣٤) سُورَةُ سَبَإٍ مَكِّيَّة
وَآيَاتُهَا أَرْبَعٌ وَخَمْسُونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ
وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ① يَعْلَمُ
مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ
وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ② وَقَالَ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ
ٱلْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا
فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ
مُّبِينٍ ③ لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ

قال ابن كثير في تفسير الآيات [٣ـ٥]: هذه إحدى الآيات الثلاث التي لا رابع لهن، مما أمر الله رسوله ﷺ أن يقسم بربه العظيم على وقوع المعاد، لَمَّا أنكره من أنكره من أهل الكفر والعناد، فإحداهن في سورة يونس [٥٣]: ﴿ويستنبئونك أحق هو قل إي وربي إنه لحق وما أنتم بمعجزين﴾. والثانية هذه: ﴿وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم﴾. والثالثة في التغابن [٧]: ﴿زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير﴾. فقوله: ﴿قل بلى وربي لتأتينكم﴾ ثم وصفه بما يؤكد ذلك ويقرره: ﴿عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين﴾. قال مجاهد وقتادة: ﴿لا يعزب عنه﴾ لا

---

(١) أي إن مضمون قوله ﴿الحمد لله﴾ هو أن الحمد ثابت له أزلاً، فالمراد بها الثناء على الله تعالى بما هو ثابت له، لا وصفه مجدداً بالحمد.

(٢) أي فجميع النعم منه سبحانه، فهو المستحق لجميع المحامد وأنواع الثناء الجميل، من أجلها.

قال ابن كثير في تفسير الآيتين [١ ، ٢]: يخبر الله تعالى عن نفسه الكريمة: أن له الحمد المطلق في الدنيا والآخرة، لأنه المنعم المتفضل على أهل الدنيا والآخرة، المالك لجميع ذلك، الحاكم في جميع ذلك، كما قال: ﴿وهو الله لا إله إلا هو له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون﴾ [القصص: ٧٠]. ولهذا قال هاهنا: ﴿الحمد لله الذي له ما في السماوات وما في الأرض﴾ أي: الجميع ملكه وعبيده، وتحت قهره وتصرفه، كما قال: ﴿وإن لنا للآخرة والأولى﴾ [الليل: ١٣]. ثم قال: ﴿وله الحمد في الآخرة﴾ فهو المعبود أبداً، المحمود على طول المدى. وقال: ﴿وهو الحكيم﴾ أي: في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره ﴿الخبير﴾ الذي لا تخفى عليه خافية، ولا يغيب عنه شيء. وقال مالك عن الزهري: خبير بخلقه، حكيم بأمره. ولهذا قال: ﴿يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها﴾ أي: يعلم عدد القطر النازل في أجزاء الأرض، والحب المبذور والكامن فيها، ويعلم ما يخرج من ذلك: عدده وكيفيته وصفاته ﴿وما ينزل من السماء﴾ أي: من قطر ورزق ﴿وما يعرج فيها﴾ أي: من الأعمال الصالحة وغير ذلك ﴿وهو الرحيم الغفور﴾ أي: الرحيم بعباده، فلا يعاجل عصاتهم بالعقوبة، الغفور عن ذنوب التائبين إليه المتوكلين عليه.

(٣) ومرادهم أنه لا يكون بعث وحساب وحياة بعد الموت.

(٤) أي فالقراءات ثلاث، وهي: ﴿عالم الغيب﴾ و﴿علَّام الغيب﴾ بالجر صفة للفظ الرب في قوله ﴿بلى وربي﴾.

والثالثة: ﴿عالمُ الغيب﴾ بالرفع خبر مبتدأ محذوف، والتقدير: هو عالم الغيب، والقراءات الثلاث متواترة.

(٥) أو المراد بالذرة الجزء الذي لا يتجزأ، وهو المتناهي في الصغر.

(٦) أي في الحياة الآخرة بعد القيامة.

أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ
فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن
رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ
إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ
ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ
يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾
أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةُۢ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِٱلْأٓخِرَةِ فِي ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ
مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۚ إِن نَّشَأْ
نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾ * وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا
دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًاۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَۖ وَأَلَنَّا لَهُ

٥ ﴿والذين سعوا في﴾ إبطال ﴿آياتنا﴾ القرآن ﴿مُعَجِّزين﴾ وفي قراءة هنا وفيما يأتي «معاجزين» أي مقدرين عجزنا، أو مسابقين لنا، فيفوتوننا(١)، لظنهم أن لا بعث ولا عقاب ﴿أولئك لهم عذاب من رجز﴾ سيء العذاب(٢) ﴿أليم﴾ مؤلم، بالجر والرفع، صفة لرجز أو عذاب.

٦ ﴿ويرى﴾ يعلم ﴿الذين أوتوا العلم﴾ مؤمنو أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه(٣) ﴿الذي أنزل إليك من ربك﴾ أي القرآن ﴿هو﴾ فصل ﴿الحق ويهدي إلى صراط﴾ طريق ﴿العزيز الحميد﴾ أي الله ذي العزة المحمود.

٧ ﴿وقال الذين كفروا﴾ أي قال بعضهم على جهة التعجيب لبعض(٤) ﴿هل ندلكم على رجل﴾(٥) هو محمد ﴿ينبئكم﴾ يخبركم أنكم ﴿إذا مزقتم﴾ قطعتم ﴿كل ممزق﴾ بمعنى تمزيق(٦) ﴿إنكم لفي خلق جديد﴾(٧).

٨ ﴿أفترى﴾ بفتح الهمزة للاستفهام، واستغني بها عن همزة الوصل(٨) ﴿على الله كذباً﴾ في ذلك ﴿أم به جنة﴾ جنون تخيل به ذلك؟ قال تعالى(٩) ﴿بل الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ المشتملة على البعث والعذاب ﴿في العذاب﴾ فيها ﴿والضلال البعيد﴾ عن الحق، في الدنيا.

٩ ﴿أفلم يروا﴾ ينظروا ﴿إلى ما بين أيديهم وما خلفهم﴾ ما فوقهم وما تحتهم ﴿من السماء والأرض إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفاً﴾ بسكون السين وفتحها، قطعة(١٠) ﴿من السماء﴾(١١). وفي قراءة في الأفعال الثلاثة بالياء(١٢) ﴿إن في ذلك﴾ المرئي ﴿لآية لكل عبد منيب﴾ راجع إلى ربه، تدل على قدرة الله عز وجل على البعث وما يشاء.

١٠ ﴿ولقد آتينا داود منا فضلاً﴾ نبوة وكتاباً، وقلنا ﴿يا جبال أوبي﴾ رجعي ﴿معه﴾ بالتسبيح ﴿والطير﴾ بالنصب عطفاً على محل الجبال(١٣)، أي ودعوناها تسبح معه ﴿وألنا له الحديد﴾ فكان في يده كالعجين.

---

(١) أي فيفلتون من عذابنا وعقابنا.

(٢) أي أسوأ أنواع العذاب وأشدها.

(٣) والأصح أن المراد جميع من آمن من أهل الكتاب وغيرهم.

(٤) أي الحمل على التعجب والاستنكار.

(٥) نكروه تجاهلاً واستخفافاً، مع أنه معروف لديهم ومشهور عندهم بالشرف والسيادة ونبل الأخلاق.

(٦) أي تلاشيتم وفنيتم في التراب.

(٧) أي إنكم ستبعثون وتنشؤون خلقاً جديداً بعد ذاك الفناء. وهذا في زعمهم أعجوبة من الأعاجيب.

(٨) أصل الكلمة [افترى] بهمزة وصل، فدخلت همزة الاستفهام، فحذفت.

(٩) رداً على افترائهم وتجاهلهم وتعنتهم.

(١٠) في القاموس المحيط: الكِسْفَة بالكسر القطعة من الشيء، والجمع كِسْف وكِسَف. وعلى هذا فالأولى أن يقول المفسر: قطع. وقيل: يطلق كل من الكسَف والكسْف على المفرد والجمع.

(١١) المراد السحب التي في جهة السماء، وهذه القطع المنزلة منها هي الصواعق التي تنتج عن احتكاكها واصطكاكها.

(١٢) أي ﴿يشأ﴾ و ﴿يخسف﴾ و ﴿يسقط﴾.

(١٣) فإن محله النصب لأنه منادى.

يغيب عنه، أي: الجميع مندرج تحت علمه فلا يخفى عليه منه شيء، فالعظام وإن تلاشت وتفرقت وتمزقت فهو عالم أين ذهبت وأين تفرقت، ثم يعيدها كما بدأها أول مرة، فإنه بكل شيء عليم. ثم بين حكمته في إعادة الأبدان وقيام الساعة بقوله: ﴿ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة ورزق كريم والذين سعوا في آياتنا معاجزين﴾ أي: سعوا في الصد عن سبيل الله وتكذيب رسله ﴿أولئك لهم عذاب من رجز أليم﴾ أي: لينعم السعداء من المؤمنين، ويعذب الأشقياء من الكافرين، كما قال: ﴿لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون﴾ [الحشر: ٢٠] وقال تعالى: ﴿أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار﴾ [ص: ٢٨].

قال ابن كثير في تفسير الآيات [٧-٩]: هذا إخبار من الله عن استبعاد الكفرة الملحدين قيام الساعة واستهزائهم بالرسول ﷺ في إخباره بذلك: ﴿وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا=

١١ وقلنا ﴿ أن اعمل ﴾ منه ﴿ سابغات ﴾ دروعاً كوامل يجرها لابسها على الأرض ﴿ وقدر في السرد ﴾ أي نسج الدروع، قيل لصانعها سراد، أي اجعله بحيث تتناسب حلقه(١) ﴿ واعملوا ﴾ أي آل داود معه ﴿ صالحاً إني بما تعملون بصير ﴾ فأجازيكم به.

١٢ ﴿ و ﴾ سخرنا ﴿ لسليمان الريح ﴾ وقراءة الرفع بتقدير تسخير(٢) ﴿ غدوها ﴾ مسيرها من الغدوة بمعنى الصباح إلى الزوال ﴿ شهر ورواحها ﴾ سيرها من الزوال إلى الغروب ﴿ شهر ﴾ أي مسيرته ﴿ وأسلنا ﴾ أذبنا ﴿ له عين القطر ﴾ أي النحاس، فأجريت ثلاثة أيام بلياليهن كجري الماء(٣)، وعمل الناس إلى اليوم مما أعطي سليمان(٤) ﴿ ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ﴾ بأمر ﴿ ربه ومن يزغ ﴾ يعدل ﴿ منهم عن أمرنا ﴾ له بطاعته ﴿ نذقه من عذاب السعير ﴾ النار في الآخرة، وقيل: في الدنيا، بأن يضربه ملك بسوط منها ضربة تحرقه.

١٣ ﴿ يعملون له ما يشاء من محاريب ﴾ أبنية مرتفعة يصعد إليها بدرج ﴿ وتماثيل ﴾ جمع تمثال، وهو كل شيء مثلته بشيء، أي صور من نحاس وزجاج ورخام، ولم يكن اتخاذ الصور حراماً في شريعته(٥). ﴿ وجفان ﴾ جمع جفنة ﴿ كالجواب ﴾ جمع جابية، وهو حوض كبير، يجتمع على الجفنة ألف رجل يأكلون منها ﴿ وقدور راسيات ﴾ ثابتات، لها قوائم لا تتحرك عن أماكنها، تتخذ من الجبال باليمن، يصعد إليها بالسلالم. وقلنا ﴿ اعملوا ﴾ يا ﴿ آل داود ﴾ بطاعة الله ﴿ شكراً ﴾ له على ما آتاكم ﴿ وقليل من عبادي الشكور ﴾ العامل بطاعتي شكراً لنعمتي.

١٤ ﴿ فلما قضينا عليه ﴾ على سليمان ﴿ الموت ﴾ أي مات ومكث قائماً على عصاه حولاً كاملاً ميتاً، والجن تعمل تلك الأعمال الشاقة على عادتها لا تشعر بموته، حتى أكلت الأَرَضة عصاه، فخر ميتاً ﴿ ما دلهم على موته إلا دابة الأرض ﴾ مصدر أُرِضَت الخشبة، بالبناء للمفعول، أكلتها الأَرَضة ﴿ تأكل منسأته ﴾ بالهمز وتركه بألف، عصاه، لأنها ينسأ - يطرد - ويزجر بها ﴿فلما خر﴾ ميتاً ﴿ تبينت الجن ﴾ انكشف لهم ﴿ أن ﴾ مخففة: أنهم ﴿ لو كانوا يعلمون الغيب ﴾ ومنه ما غاب عنهم من موت سليمان ﴿ ما لبثوا في العذاب المهين ﴾ العمل الشاق لهم لظنهم حياته، خلاف ظنهم علم الغيب(٦). وعلم كونه سنة بحساب ما أكلته الأرضة من العصا بعد موته يوماً وليلة مثلاً.

١٥ ﴿ لقد كان لسبأ ﴾ بالصرف وعدمه، قبيلة سميت باسم جدٍّ لهم من العرب ﴿ في مساكنهم ﴾(٧) باليمن ﴿ آية ﴾ دالة على قدرة الله تعالى ﴿ جنتان ﴾ بدل(٨) ﴿ عن يمين وشمال ﴾ عن يمين واديهم وشماله، وقيل لهم ﴿ كلوا من رزق ربكم واشكروا له ﴾ على ما رزقكم من النعمة

ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟
صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ
غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ
ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ
عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ
مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ
رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ
ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ
مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ
ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ
ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ
عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ

---

(١) روى البخاري عن المقدام رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده). [البيوع، باب: كسب الرجل وعمله بيده، رقم: ١٩٦٦].

(٢) أي يكون التقدير: وتسخير الريح كائن لسليمان، فحذف المضاف تسخير وأقيم المضاف إليه - الريح - مقامه، وقدم الخبر وأخر المبتدأ.

(٣) وقيل: المراد أذاب الله النحاس لسليمان عليه السلام كما ألان الحديد لداود عليه السلام.

(٤) أي ذوبان النحاس مع الناس بالنار وتمكنهم من تصنيعه في هذه الأيام من آثار ما أعطى الله عزّ وجلّ سليمان عليه السلام من كرامة ونعم، والله تعالى أعلم.

(٥) أما في شريعتنا فقد حرم الله تعالى الصور لكل ذي روح على الإطلاق. قال عليه الصلاة والسلام: (أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون، يقال لهم: أحيوا ما خلقتم). [مسلم: اللباس والزينة، باب: تحريم تصوير صورة الحيوان..]

(٦) أي كان ظنهم لحياته مخالفاً لادعائهم علم الغيب الذي يدعونه.

(٧) وفي قراءة ﴿مسكنهم﴾ بالإفراد.

(٨) أي بدل من قوله ﴿آية﴾.

=ممزقتم كل ممزق﴾ أي: تفرقت أجسادكم في الأرض وذهبت فيها كل مذهب، وتمزقت كل ممزق: ﴿إنكم﴾ أي: بعد هذا الحال =﴿لفي خلق جديد﴾ أي: تعودون أحياء ترزقون بعد ذلك. وهو في هذا الإخبار لا يخلو أمره من قسمين: إما أن يكون قد تعمد=

طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ
الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ
وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا
وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ
الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ ۖ
سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَعِّدْ بَيْنَ
أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ
كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾
وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ
الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ
مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ
شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ

في أرض سبأ ﴿ بلدة طيبة ﴾ ليس فيها سباخ(١)، ولا بعوضة ولا ذبابة ولا برغوث ولا عقرب ولا حية، ولا غير ذلك من الهوام، حتى قيل: إن الغريب يمر فيها وفي ثيابه قمل فيموت لطيب هوائها ﴿ و ﴾ الله سبحانه وتعالى ﴿ رب غفور ﴾.

١٦ ﴿ فأعرضوا ﴾ عن شكره وكفروا ﴿ فأرسلنا عليهم سيل العرم ﴾ جمع عرمة، وهو ما يمسك الماء من بناء وغيره إلى وقت حاجته، أي سيل واديهم الممسوك بما ذكر، فأغرق جنتيهم وأموالهم ﴿ وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي ﴾ تثنية ذوات مفرد على الأصل(٢) ﴿ أكل خمط ﴾ مرٍّ بشع، بإضافة أكل(٣) بمعنى مأكول، وتركها(٤)، ويعطف عليه ﴿ وأثل وشيء من سدر قليل ﴾(٥).

١٧ ﴿ ذلك ﴾ التبديل ﴿ جزيناهم بما كفروا ﴾ بكفرهم ﴿ وهل يُجازي إلا الكفور ﴾ بالياء، والنون مع كسر الزاي ونصب الكفور، أي ما يناقش إلا هو.

١٨ ﴿ وجعلنا بينهم ﴾ بين سبأ، وهم باليمن ﴿ وبين القرى التي باركنا فيها ﴾ بالماء والشجر، وهي قرى الشام التي يسيرون إليها للتجارة ﴿ قرى ظاهرة ﴾ متواصلة من اليمن إلى الشام ﴿ وقدرنا فيها السير ﴾ بحيث يقيلون في واحدة ويبيتون في أخرى إلى انتهاء سفرهم، ولا يحتاجون فيه إلى حمل زاد وماء، أي وقلنا ﴿ سيروا فيها ليالي وأياماً آمنين ﴾ لا تخافون في ليل ولا في نهار.

١٩ ﴿ فقالوا ربنا بعِّد ﴾ وفي قراءة «باعد» ﴿ بين أسفارنا ﴾ إلى الشام، اجعلها مفاوز(٦)، ليتطاولوا على الفقراء بركوب الرواحل وحمل الزاد والماء، فبطروا النعمة ﴿ وظلموا أنفسهم ﴾ بالكفر ﴿ فجعلناهم أحاديث ﴾ لمن بعدهم في ذلك(٧) ﴿ ومزقناهم كل ممزق ﴾ فرقناهم في البلاد كل التفريق ﴿ إن في ذلك ﴾ المذكور ﴿ لآيات ﴾ عبراً ﴿ لكل صبار ﴾ عن المعاصي ﴿ شكور ﴾ على النعم.

٢٠ ﴿ ولقد صدَق ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿ عليهم ﴾ أي الكفار، ومنهم سبأ ﴿ إبليس ظنه ﴾ أنهم بإغوائه يتبعونه ﴿ فاتبعوه ﴾ فصدَق - بالتخفيف - في ظنه، أو صدّق - بالتشديد - ظنه، أي وجده صادقاً ﴿ إلا ﴾ بمعنى لكن ﴿ فريقاً من المؤمنين ﴾ للبيان(٨)، أي وهم المؤمنون لم يتبعوه.

٢١ ﴿ وما كان له عليهم من سلطان ﴾ تسليط منا ﴿ إلا لنعلم ﴾ علم ظهور(٩) ﴿ من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك ﴾ فنجازي كلًّا منهما ﴿ وربك على كل شيء حفيظ ﴾ رقيب.

٢٢ ﴿ قل ﴾ يا محمد لكفار مكة ﴿ ادعوا ﴾ ﴿ الذين زعمتم ﴾ أي زعمتموهم آلهة ﴿ من دون الله ﴾ غيره،

---

(١) جمع سبخة، وهي الأرض ذات الملوحة.

(٢) أي إن أصل ذات ذَوَيَة، تحركت الياء وانفتح ما قبلها فقلبت ألفاً فصارت ذوات، ثم حذفت الواو تخفيفاً، وعند الجمع أو التثنية يرد المحذوف.

(٣) فتكون غير منونة. (٤) أي بترك الإضافة فتنون.

(٥)، الأثل: شجر ضخم لا ثمر له. والسدر: شجر أيضاً له ثمر لا يؤكل، وقد ينتفع بورقه في التنظيف وقد لا ينتفع.

(٦) صحارى.

(٧) أي عبرة لهم، يتحدثون بأمرهم وشأنهم فيتعظون بما أصابهم.

(٨) أي ﴿من﴾ لبيان من هم الفريق.

(٩) أي لنظهر علمنا الأزلي للوجود.

= الافتراء على الله أنه قد أوحي إليه ذلك، أو أنه لم يتعمد لكن لبس عليه كما يلبس على المعتوه والمجنون، ولهذا قالوا: ﴿أفترى على الله كذباً أم به جنة﴾ قال الله تعالى راداً عليهم: ﴿بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد﴾ أي: ليس الأمر كما زعموا ولا كما ذهبوا إليه، بل محمد ﷺ هو الصادق البار الراشد =

= الذي جاء بالحق، وهم الكذبة الجهلة الأغبياء. ﴿في العذاب﴾ أي: الكفر المفضي بهم إلى عذاب الله ﴿والضلال البعيد﴾ من الحق في الدنيا.

وقال: ﴿إن في ذلك لآية لكل عبد منيب﴾: أي: إن في النظر إلى خلق السماء والأرض لدلالة - لكل عبد فطن لبيب رجاع =

﴿ لا يملكون مثقال ﴾ وزن ﴿ ذرة ﴾ من خير أو شر ﴿ في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك ﴾ شركة ﴿ وماله ﴾ تعالى ﴿ منهم ﴾ من الآلهة ﴿ من ظهير ﴾ معين.

٢٣ ﴿ ولا تنفع الشفاعة عنده ﴾ تعالى، رد لقولهم: إن آلهتهم تشفع عنده ﴿ إلا لمن أذن ﴾ بفتح الهمزة وضمها ﴿ له ﴾ فيها[١] ﴿ حتى إذا فزِّعَ ﴾ بالبناء للفاعل والمفعول ﴿عن قلوبهم﴾ كشف عنها الفزع بالإذن فيها ﴿ قالوا ﴾ قال بعضهم لبعض استبشاراً ﴿ ماذا قال ربكم ﴾ فيها ﴿ قالوا ﴾ القول ﴿ الحق ﴾ أي قد أذن فيها ﴿ وهو العلي ﴾ فوق خلقه بالقهر ﴿ الكبير ﴾ العظيم[٢].

٢٤ ﴿ قل من يرزقكم من السموات ﴾ المطر ﴿ والأرض ﴾ النبات ﴿ قل الله ﴾ إن لم يقولوه، لا جواب غيره ﴿ وإنا أو إياكم ﴾ أي أحد الفريقين ﴿ لعلى هدى أو في ضلال مبين ﴾ بين، في الإبهام تلطف بهم داعٍ إلى الإيمان إذا وفقوا له.

٢٥ ﴿ قل لا تسألون عما أجرمنا ﴾ أذنبنا ﴿ ولا نسأل عما تعملون ﴾ لأنا بريئون منكم.

٢٦ ﴿ قل يجمع بيننا ربنا ﴾ يوم القيامة ﴿ ثم يفتح ﴾ يحكم ﴿ بيننا بالحق ﴾ فيدخل المحقين الجنة والمبطلين النار ﴿ وهو الفتاح ﴾ الحاكم ﴿ العليم ﴾ بما يحكم به.

٢٧ ﴿ قل أروني ﴾ أعلموني ﴿ الذين ألحقتم به شركاء ﴾ في العبادة[٣] ﴿ كلا ﴾ ردع لهم عن اعتقاد شريك له سبحانه وتعالى ﴿ بل هو الله العزيز ﴾ الغالب على أمره ﴿ الحكيم ﴾ في تدبيره لخلقه، فلا يكون له شريك في ملكه.

٢٨ ﴿ وما أرسلناك إلا كافة ﴾ حال من الناس قدم للاهتمام[٤] ﴿ للناس بشيراً ﴾ مبشراً للمؤمنين بالجنة ﴿ ونذيراً ﴾ منذراً للكافرين بالعذاب ﴿ ولكن أكثر الناس ﴾ أي كفار مكة ﴿ لا يعلمون ﴾ ذلك.

٢٩ ﴿ ويقولون متى هذا الوعد ﴾ بالعذاب ﴿ إن كنتم

لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ
وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾
وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا
فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ
ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ ۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ
مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا
تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ
وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ
شُرَكَآءَ ۖ كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ
إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ

---

[١] أي في الشفاعة، ولا يأذن بالشفاعة إلا للمؤمنين.

[٢] أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: (إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله، كالسلسلة على صفوان، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال: الحق وهو العلي الكبير). [البخاري: التفسير/سورة الحجر، باب: قوله: ﴿إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين﴾ رقم: ٤٤٢٤].

[خضعاناً: مصدر خضع، أي انقياداً وطاعة. كالسلسلة على صفوان: أي لها صوت كصوت السلسلة على الحجر الأملس].

[٣] هل يخلقون شيئاً أو يملكون أمراً حتى أشركتموهم بالعبادة.

[٤] أي قوله ﴿كافة﴾ حال من قوله ﴿للناس﴾ والتقدير: أرسلناك للناس جميعاً، فقدم لتأكيد هذا المعنى، وهو عموم رسالته ﷺ. أخرج البخاري ومسلم عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة). [البخاري: أوائل كتاب التيمم، رقم: ٣٢٨. مسلم: أوائل كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم: ٥٢١].

= إلى الله - على قدرة الله على بعث الأجساد ووقوع المعاد، لأن من. قدر على خلق هذه السماوات في ارتفاعها واتساعها، وهذه الأرضين في انخفاضها وأطوالها وأعراضها، إنه لقادر على إعادة الأجسام ونشر الرميم من العظام، كما قال تعالى: ﴿أو ليس الذي = خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى﴾ [يس: ٨١] وقال: ﴿لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ [غافر: ٥٧] [الرميم: البالي].

صادقين ﴾ فيه.

٣٠ ﴿ قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون ﴾ عليه، وهو يوم القيامة.

٣١ ﴿ وقال الذين كفروا ﴾ من أهل مكة ﴿ لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه ﴾ أي تقدمه، كالتوراة والإنجيل الدالين على البعث، لإنكارهم له. قال تعالى فيهم ﴿ ولو ترى ﴾ يا محمد⁽¹⁾ ﴿ إذ الظالمون ﴾ الكافرون ﴿ موقوفون عند ربهم⁽²⁾ يرجع بعضهم إلى بعض القول⁽³⁾ يقول الذين استضعفوا ﴾ الأتباع ﴿ للذين استكبروا ﴾ الرؤساء ﴿ لولا أنتم ﴾ صددتمونا عن الإيمان ﴿ لكنا مؤمنين ﴾ بالنبي ﷺ.

٣٢ ﴿ قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم ﴾ لا ﴿ بل كنتم مجرمين ﴾ في أنفسكم.

٣٣ ﴿ وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار ﴾ أي مكر فيهما منكم بنا⁽⁴⁾ ﴿ إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أنداداً ﴾ شركاء⁽⁵⁾ ﴿ وأسروا ﴾ أي الفريقان ﴿ الندامة ﴾ على ترك الإيمان به ﴿ لما رأوا العذاب ﴾ أي أخفاها كل عن رفيقه مخافة التعيير⁽⁶⁾ ﴿وجعلنا الأغلال⁽⁷⁾ في أعناق الذين كفروا ﴾ في النار ﴿ هل ﴾ ما ﴿ يجزون إلا ﴾ جزاء ﴿ ما كانوا يعملون ﴾ في الدنيا.

٣٤ ﴿ وما أرسلنا في قرية من

صَـٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ
سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ
بِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ
مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ
يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا
مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟
أَنَحْنُ صَدَدْنَـٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم
مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟
بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ
وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ
وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَـٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ
إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن

---

(١) جواب لو محذوف، والتقدير لو رأيت حالهم ذلك الوقت لرأيت عجباً.

(٢) محبوسون في موقف الحساب.

(٣) يتحاورون ويرد بعضهم على بعض ويتجادلون.

(٤) أي بل صدنا عن الإيمان مكركم بنا في الليل والنهار وحملكم إيانا على الشرك والضلال.

(٥) جمع ند، وهو الشريك والمثل والنظير.

(٦) وقيل: أسروا بمعنى أظهروا، وهو من الأضداد، أي الألفاظ التي تستعمل في الشيء وضده.

(٧) جمع غُلّ ـ بضم الغين ـ وهو الطوق من الحديد يجعل في العنق. والغل ـ بكسر الغين ـ الحقد.

قال ابن كثير في تفسير الآيات [٣١ـ٣٣]: يخبر تعالى عن تمادي الكفار في طغيانهم وعنادهم وإصرارهم على عدم الإيمان بالقرآن وما أخبر به من أمر المعاد، ولهذا قال: ﴿وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه﴾. قال الله تعالى متهدداً لهم ومتوعداً ومخبراً عن مواقفهم الذليلة بين يديه في حال تخاصمهم وتحاجِّهم: ﴿يرجع بعضهم إلى بعض القول يقول الذين استضعفوا﴾ منهم، وهم الأتباع ﴿للذين استكبروا﴾ وهم قادتهم وسادتهم ﴿لولا أنتم لكنا مؤمنين﴾ أي: لولا أنتم تصدوننا لكنا اتبعنا الرسل وآمنا بما جاؤونا به. فقال لهم القادة والسادة، وهم الذين استكبروا: ﴿أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم﴾ أي: نحن ما فعلنا بكم أكثر من أنا دعوناكم فاتبعتمونا من غير دليل ولا برهان، وخالفتم الأدلة والبراهين والحجج التي جائت بها الأنبياء، لشهوتكم واختياركم لذلك، ولهذا قالوا: ﴿بل كنتم مجرمين. وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار﴾ أي: بل كنتم تمكرون بنا ليلاً ونهاراً، وتغروننا وتمنوننا، وتخبروننا أنا على هدى وأنا على شيء، فإذا جميع ذلك باطل وكذب ومين [المين: الكذب]. قال قتادة وابن زيد: ﴿بل مكر الليل والنهار﴾ يقول: بل مكرهم بالليل والنهار، وكذا قال مالك، عن زيد بن أسلم: مكرهم بالليل والنهار. ﴿إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أنداداً﴾ أي: نظراء وآلهة معه، وتقيموا لنا شُبَهاً وأشياء من المحال، تضلوننا بها ﴿وأسروا الندامة لما رأوا العذاب﴾ أي: =

سبب نزول الآية [٣٤]: أخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم، من طريق سفيان، عن عاصم، عن ابن رزين: كان رجلان شريكان، خرج أحدهما إلى الشام وبقي الآخر، فلما بعث النبيّ ﷺ كتب إلى صاحبه يسأله ما عمل؟ فكتب إليه: أنه لم يتبعه أحد من قريش إلا رذالة الناس ومساكينهم، فترك تجارته ثم أتى صاحبه فقال: دلني عليه، وكان يقرأ بعض الكتب، فأتى النبيّ ﷺ، فقال: إلام تدعو؟ فقال: (إلى كذا وكذا). فقال: أشهد أنك رسول الله، فقال: (وما علمك بذلك). قال: إنه لم يبعث نبيّ إلا اتبعه رذالة الناس ومساكينهم، فنزلت هذه الآية: ﴿وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون﴾. فأرسل إليه النبيّ ﷺ: (إن الله قد أنزل تصديق ما قلت). [السيوطي] رذَّالة الناس: هم الذين انتقي منهم جيدهم.

نذير إلا قال مترفوها ﴾ رؤساؤها المتنعمون ﴿ إنا بما أرسلتم به كافرون ﴾.

٣٥ ﴿ وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً ﴾ ممن آمن ﴿ وما نحن بمعذبين ﴾(١).

٣٦ ﴿ قل إن ربي يبسط الرزق ﴾ يوسعه ﴿ لمن يشاء ﴾ امتحاناً ﴿ ويقدر ﴾ يضيقه لمن يشاء ابتلاءً ﴿ ولكن أكثر الناس ﴾ أي كفار مكة ﴿ لا يعلمون ﴾ ذلك.

٣٧ ﴿ وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى﴾ قربى، أي تقريباً ﴿ إلا ﴾ لكن ﴿ من آمن وعمل صالحاً فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا ﴾ أي جزاء العمل، الحسنة ـ مثلاً ـ بعشر فأكثر ﴿ وهم في الغرفات ﴾ من الجنة ﴿ آمنون ﴾ من الموت وغيره، وفي قراءة(٢) «الغرفة» بمعنى الجمع.

٣٨ ﴿ والذين يسعون في آياتنا ﴾ القرآن، بالإبطال ﴿ معجزين ﴾(٣) لنا، مقدرين عجزنا وأنهم يفوتوننا ﴿ أولئك في العذاب محضرون ﴾.

٣٩ ﴿ قل إن ربي يبسط الرزق ﴾ يوسعه ﴿ لمن يشاء من عباده ﴾ امتحاناً ﴿ ويقدر ﴾ يضيقه ﴿ له ﴾ بعد البسط، أو لمن يشاء ابتلاءه ﴿ وما أنفقتم من شيء ﴾ في الخير ﴿ فهو يخلفه وهو خير الرازقين ﴾ يقال: كل إنسان يرزق عائلته، أي برزق الله(٤).

٤٠ ﴿ و ﴾ اذكر ﴿ يوم نحشرهم جميعاً ﴾ أي المشركين ﴿ ثم نقول للملائكة أهؤلاء إياكم ﴾ بتحقيق الهمزتين، وإبدال الأولى ياء(٥)، وإسقاطها ﴿ كانوا يعبدون ﴾.

٤١ ﴿ قالوا سبحانك ﴾ تنزيهاً لك عن الشريك ﴿ أنت ولينا من دونهم ﴾ أي لا موالاة بيننا وبينهم من جهتنا

٥٦٨ (الجزء الثاني والعشرون)

نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾
وَقَالُواْ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾
قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ
أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ
صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمْ
فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا
مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ إِنَّ
رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ
وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾
وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ
كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم

---

(١) زعموا: أنه كما أحسن الله تعالى إليهم في الدنيا بالمال والولد يحسن إليهم في الآخرة فلا يعذبهم. وهكذا يظن أهل الدنيا أن ما يختبرهم الله تعالى به من متاعها هو مقياس الرضى منه سبحانه، ويغيب عن ذهنهم أن هذا استدراج لينالوا أليم العذاب عن استحقاق. ولذا جاء الرد عليهم في الآيات التالية بما يبدد وهمهم ويخيب ظنهم ويقطع عليهم باطلهم، ويوقعهم في الحسرة والندامة على ما فرط منهم يوم القيامة. (٢) متواترة. (٣) وفي قراءة متواترة﴿معاجزين﴾.

(٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (قال الله تبارك وتعالى: أنفق ينفق عليك) وعندهما من حديثه أيضاً: (ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان، يقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً). [البخاري: الزكاة، باب: قول الله تعالى: ﴿فأما من أعطى واتقى..﴾ رقم: ١٣٧٤. التفسير/هود، باب: قوله: ﴿وكان عرشه على الماء﴾ رقم: ٤٤٠٧. مسلم: الزكاة، باب: الحث على النفقة وتبشير المنفق بالخلف، وباب: في المنفق والممسك، رقم: ٩٩٣، ١٠١٠].

وأخرج ابن أبي حاتم: عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (ألا إن بعدكم زمان عضوض، يعض الموسر على ما في يده حذار الإنفاق). ثم تلا هذه الآية: ﴿وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه..﴾ [ابن كثير]

وقال رسول الله ﷺ لبلال رضي الله عنه: (أنفق بلالاً، ولا تخش من ذي العرش إقلالاً) [أخرجه أبو يعلى في مسنده والبزار والطبراني في المعجم الكبير]

(٥) قال الجمل في حاشيته والصاوي أيضاً: هذا سبق قلم من المفسر، إذ لم يقرأ بهذه القراءة أحد من القراء. أي قراءة إبدال الهمزة الأولى ياءً. والمراد بالهمزتين: همزة ﴿أهؤلاء﴾ وهمزة ﴿إياكم﴾.

=الجميع من السادة والأتباع، كل ندم على ما سلف منه. ﴿وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا﴾ وهي السلاسل التي تجمع أيديهم مع أعناقهم ﴿هل يجزون إلا ما كانوا يعملون﴾ أي: إنما نجازيكم بأعمالكم، كل بحسبه: للقادة عذاب بحسبهم، وللأتباع بحسبهم: ﴿قال لكل ضعفٌ ولكن لا تعلمون﴾ [الأعراف: ٣٨].=

=قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي: حدثنا فروة بن أبي المغراء: حدثنا محمد بن سليمان بن الأصبهاني، عن أبي سنان ضرار بن صرد، عن عبد الله بن أبي الهُذَيل، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن جهنم لما سيق إليها أهلها تلقاهم لهبها، ثم لفحتهم لفحة فلم يبق لحم إلا سقط على العرقوب». وحدثنا أبي: حدثنا أحمد بن أبي الحواري: حدثنا الطيب أبو=

﴿ بل ﴾ للانتقال ﴿ كانوا يعبدون الجن ﴾ الشياطين، أي يطيعونهم في عبادتهم إيانا ﴿ أكثرهم بهم مؤمنون ﴾ مصدقون فيما يقولون لهم. قال الله تعالى:

٤٢ ﴿ فاليوم لا يملك بعضكم لبعض ﴾ أي بعض المعبودين(١) لبعض العابدين(٢) ﴿ نفعاً ﴾ شفاعة ﴿ ولا ضراً ﴾ تعذيباً ﴿ ونقول للذين ظلموا ﴾ كفروا ﴿ ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون ﴾.

٤٣ ﴿ وإذا تتلى عليهم آياتنا ﴾ القرآن ﴿ بينات ﴾ واضحات، بلسان نبينا محمد ﷺ ﴿ قالوا ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم ﴾ من الأصنام وغيرها ﴿ وقالوا ما هذا ﴾ القرآن ﴿ إلا إفك ﴾ كذب ﴿ مفترى ﴾ على الله ﴿ وقال الذين كفروا للحق ﴾ القرآن ﴿ لما جاءهم إن ﴾ ما ﴿ هذا إلا سحر مبين ﴾ بين. قال تعالى:

٤٤ ﴿ وما آتيناهم من كتب يدرسونها(٣) وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير ﴾(٤) فمن أين كذبوك(٥).

٤٥ ﴿ وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا ﴾ أي هؤلاء ﴿ معشار ما آتيناهم ﴾ من القوة وطول العمر وكثرة المال ﴿ فكذبوا رسلي ﴾ إليهم ﴿ فكيف كان نكير ﴾ إنكاري عليهم بالعقوبة والإهلاك، أي هو واقع موقعه(٦).

بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾
فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ
لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا
تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟
مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ
ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾
وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ
قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا۟
مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى ۖ فَكَيْفَ كَانَ
نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ * قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟
لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ

٤٦ ﴿ قل إنما أعظكم بواحدة ﴾(٧) هي ﴿ أن تقوموا لله ﴾ أي لأجله ﴿ مثنى ﴾ أي اثنين اثنين ﴿ وفرادى ﴾ واحداً واحداً ﴿ ثم تتفكروا ﴾ فتعلموا ﴿ ما بصاحبكم ﴾ محمد ﷺ ﴿ من جنة ﴾ جنون

=الحسن، عن الحسن بن يحيى الخُشَني قال: ما في جهنم دار ولا مغار ولا غُلّ ولا سلسلة ولا قيد، إلا اسم صاحبها عليه مكتوب. قال: فحدثته أبا سليمان ـ يعني الداراني رحمة الله عليه ـ فبكى ثم قال: ويحك، فكيف به لو جمع هذا كله عليه: فجعل القيد في رجليه، والغُلّ في يديه، والسلسلة في عنقه، ثم أدخل الدار وأدخل المغار؟.

(١) وهم الملائكة. (٢) وهم الكفار.

(٣) يقرؤونها، وهي تدل على صحة شركهم.

(٤) رسول يدعوهم إلى الإشراك وينذرهم بالعقاب إن لم يشركوا. (٥) أي فما حجتهم على تكذيبك.

(٦) أي هو مناسب لفعلهم وموافق للحكمة، فهو في غاية العدل.

(٧) آمركم وأوصيكم بخصلة واحدة.

قال ابن كثير في تفسير الآية: يقول الله تعالى: قل يا محمد ﷺ لهؤلاء الكافرين الزاعمين أنك مجنون: ﴿إنما أعظكم بواحدة﴾ أي: إنما آمركم بواحدة، وهي: ﴿أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة﴾ أي: تقوموا قياماً خالصاً لله، من غير هوى ولا عصبية، فيسأل بعضكم بعضاً: هل بمحمد ﷺ من جنون؟ فينصح بعضكم بعضاً ﴿ثم تتفكروا﴾ أي: ينظر الرجل لنفسه في أمر محمد ﷺ ويسأل غيره من الناس عن شأنه إن أشكل عليه، ويتفكر في ذلك، ولهذا قال: ﴿أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة﴾. وقوله: ﴿إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد﴾ قال البخاري عندها: حدثنا علي بن عبد الله: حدثنا محمد بن خازم: حدثنا الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: صعد النبي ﷺ الصفا ذات يوم، فقال: «يا صباحاه». فاجتمعت إليه قريش، فقالوا: ما لك؟ فقال: «أرأيتم لو أخبرتكم أن العدو يصبحكم أو يمسيكم، أما كنتم تصدقوني». قالوا: بلى، قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد». فقال أبو لهب: تباً لك، ألهذا جمعتنا؟ فأنزل الله: ﴿تبت يدا أبي لهب﴾. [البخاري: التفسير/ تفسير سورة سبأ، باب: قوله: ﴿إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد﴾ رقم: ٤٥٢٣] [يا صباحاه: كلمة تقال للإشعار بإغارة العدو، لأن الغالب في الإغارة أن تكون وقت الصباح، كما يقولها من أصابه شيء من مكروه للاستغاثة].

قال: وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو نعيم: حدثنا بشير بن المهاجر: حدثني عبد الله بن بريدة، عن أبيه رضي الله عنه قال: خرج إلينا رسول الله ﷺ يوماً فنادى ثلاث مرات، فقال: «أيها الناس، تدرون ما مثلي ومثلكم». قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «إنما مثلي ومثلكم مثل قوم خافوا عدواً يأتيهم، فبعثوا رجلاً يتراءى لهم، فبينما هو كذلك أبصر العدو، فأقبل لينذرهم، وخشي أن يدركه العدو قبل أن ينذر قومه، فأهوى بثوبه: أيها الناس أوتيتم أيها الناس أوتيتم» ثلاث مرات. قال: وبهذا الإسناد قال رسول الله ﷺ: «بعثت أنا والساعة جميعاً، إن كادت لتسبقني». تفرد به الإمام أحمد في مسنده [٥/٣٤٨] عن بريدة رضي الله عنه.

﴿ إن ﴾ ما ﴿ هو إلا نذير لكم بين يدي ﴾ أي قبل ﴿ عذاب شديد ﴾ في الآخرة إن عصيتموه.

٤٧ ﴿ قل ﴾ لهم ﴿ ما سألتكم ﴾ على الإنذار والتبليغ ﴿ من أجر فهو لكم ﴾ أي لا أسألكم عليه أجراً ﴿ إن أجري ﴾ ما ثوابي ﴿ إلا على الله وهو على كل شيء شهيد ﴾ مطلع يعلم صدقي.

٤٨ ﴿ قل إن ربي يقذف بالحق ﴾ يلقيه إلى أنبيائه ﴿ علام الغيوب ﴾ ما غاب عن خلقه في السماوات والأرض.

٤٩ ﴿ قل جاء الحق ﴾ الإسلام ﴿ وما يبدىء الباطل ﴾ الكفر ﴿ وما يعيد ﴾ أي لم يبق له أثر(١).

٥٠ ﴿ قل إن ضللت ﴾ عن الحق ﴿ فإنما أضل على نفسي ﴾ أي إثم ضلالي عليها ﴿ وإن اهتديت فبما يوحي إليّ ربي ﴾ من القرآن والحكمة ﴿ إنه سميع ﴾ للدعاء ﴿ قريب ﴾.

٥١ ﴿ ولو ترى ﴾ يا محمد ﴿ إذ فزعوا ﴾ عند البعث لرأيت أمراً عظيماً ﴿ فلا فوت ﴾ لهم منا، أي لا يفوتوننا(٢) ﴿ وأخذوا من مكان قريب ﴾ أي القبور(٣).

٥٢ ﴿ وقالوا آمنا به ﴾ بمحمد، أو القرآن ﴿ وأنّى لهم التناوش ﴾ بواو، وبالهمزة بدلها(٤)، أي تناول الإيمان ﴿ من مكان بعيد ﴾ عن محله، إذ هم في الآخرة، ومحله الدنيا(٥).

إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾
قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ
وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ
بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ
ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ
عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ
قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُواْ
مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ
ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُواْ بِهِۦ مِن قَبْلُ
وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ
وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ
كَانُواْ فِي شَكٍّ مُّرِيبِۭ ﴿٥٤﴾

٥٣ ﴿ وقد كفروا به من قبل ﴾ في الدنيا ﴿ ويقذفون ﴾ يرمون ﴿ بالغيب من مكان بعيد ﴾ أي بما غاب علمه عنهم غيبة بعيدة، حيث قالوا في النبي: ساحر، شاعر، كاهن، وفي القرآن: سحر، شعر، كهانة.

٥٤ ﴿ وحيل بينهم وبين ما يشتهون ﴾ من الإيمان، أي قبوله ﴿ كما فعل بأشياعهم ﴾ أشباههم في الكفر ﴿ من قبل ﴾ أي قبلهم ﴿ إنهم كانوا في شك مريب ﴾ موقع في الريبة لهم فيما آمنوا به الآن، ولم يعتدوا بدلائله في الدنيا.

---

(١) أي زهق الشرك وذهب الباطل بحيث لم يبق منه بقية تبدىء شيئاً أو تعيده، لأنه قد هلك بالمرة.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: دخل النّبي ﷺ مكة يوم الفتح، وحول البيت ستون وثلاثمائة نُصُب، فجعل يطعُنُها بعود في يده ويقول: ﴿جاء الحق وزهق الباطل﴾ [الإسراء: ٨١] ﴿جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد﴾. [البخاري: المغازي، باب: أين ركز النّبي ﷺ الراية يوم الفتح، رقم: ٤٠٣٦. مسلم: الجهاد والسير، باب: إزالة الأصنام من حول الكعبة، رقم: ١٧٨١] [نصب: صنم، وكل ما نُصِب وعبد من غير الله تعالى. يطعنها: يخزها. زهق: هلك واضمحل].

(٢) ولا يفلتون من عذابنا. (٣) وهي قريبة من مساكنهم في الدنيا، أو المعنى: أخذهم منها لا يبعد على الله عزّ وجلّ.

(٤) في المصباح المنير: ناشه نوْشاً - من باب قال - تناوله، والتناوش التناول، يهمز ولا يهمز، وتناوشوا بالرماح تطاعنوا بها.

(٥) أي كيف يقدرون على الظفر بالمطلوب من الإيمان، وهو لا يكون إلا في الدنيا وهم في الآخرة، فذلك أمر بعيد كل البعد.

فائدة: قال ابن كثير في تفسير الآية [٥٠]: وقوله: ﴿قل إن ضللت فإنما أضل على نفسي وإن اهتديت فبما يوحي إلي ربي﴾ أي: الخير كله من عند الله، وفيما أنزله عز وجل من الوحي والحق المبين، فيه الهدى والبيان والرشاد، ومن ضل فإنما يضل من تلقاء نفسه، كما قال عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه، لما سئل عن تلك المسألة في المفوضة: أقول فيها برأيي، فإن يكن صواباً فمن الله، وإن يكن خطأ فمني ومن لشيطان، والله ورسوله بريئان منه. انتهى كلام ابن كثير.

أخرج أبو داود في سننه [النكاح، باب: فيمن تزوج ولم يسم صداقاً حتى مات]: أن عبد الله بن مسعود أُتي في رجل تزوج امرأة، فمات عنها ولم يدخل بها ولم يفرض لها الصداق، قال: فاختلفوا إليه شهراً، أو قال: مرات، قال: فإني أقول فيها: إن لها صداقاً كصداق نسائها، لا وكس ولا شطط، وإن لها الميراث، وعليها العدة، فإن يك صواباً فمن الله، وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان، والله ورسوله بريئان. فقام ناس من أشجع فيهم الجراح وأبو سنان، فقالوا: يا ابن مسعود، نحن نشهد أن رسول الله ﷺ قضاها فينا في بروع بنت واشق، وإن زوجها هلال بن مرة الأشجعي، كما قضيت. قال: ففرح عبد الله بن مسعود فرحاً شديداً حين وافق قضاؤه قضاء رسول الله ﷺ. [المفوضة: هي التي فوضت أمرها إلى وليها. الصداق: المهر. وكس: نقص. شطط: زيادة وإفراط].

(سورة فاطر)

(مكية وآياتها ٤٥ أو ٤٦)

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿ الحمد لله ﴾ حمد الله تعالى نفسه كما بين في أول سبأ ﴿ فاطر السموات والأرض ﴾ خالقهما على غير مثال سبق ﴿ جاعل الملائكة رسلاً ﴾ إلى الأنبياء ﴿ أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ﴾ في الملائكة وغيرها ﴿ ما يشاء إن الله على كل شيء قدير ﴾.

٢ ﴿ ما يفتح الله للناس من رحمة ﴾ كرزق ومطر ﴿ فلا ممسك لها ⁽¹⁾ وما يمسك ﴾ من ذلك ﴿ فلا مرسل له من بعده ﴾ أي بعد إمساكه ﴿ وهو العزيز ﴾ الغالب على أمره ﴿ الحكيم ﴾ في فعله⁽²⁾.

٣ ﴿ يا أيها الناس ﴾ أهل مكة ﴿ اذكروا نعمت الله عليكم ﴾ بإسكانكم الحرم ومنع الغارات عنكم ﴿ هل من خالق ﴾ من زائدة وخالق مبتدأ ﴿ غير الله ﴾ بالرفع والجر نعت⁽³⁾ لخالق لفظاً ومحلاً، وخبر المبتدأ ﴿ يرزقكم من السماء ﴾ المطر ﴿ و ﴾ من ﴿ الأرض ﴾ النبات، والاستفهام للتقرير، أي لا خالق رازق غيره ﴿ لا إله إلا هو فأنى تؤفكون ﴾ من أين تصرفون عن توحيده مع إقراركم بأنه الخالق الرازق.

٤ ﴿ وإن يكذبوك ﴾ يا محمد في مجيئك بالتوحيد والبعث والحساب والعقاب ﴿ فقد كذبت رسل من قبلك ﴾ في ذلك، فاصبر كما صبروا⁽⁴⁾ ﴿ وإلى الله

(٣٥) سُورَةُ فَاطِرٍ مَكِّيَّة
وَآيَاتُهَا خَمْسٌ وَأَرْبَعُونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ
رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٖ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ
مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ ① مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ
لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٖ فَلَا مُمْسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ
لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ② يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ
ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم
مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ③
وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَۚ وَإِلَى ٱللَّهِ

---

(١) أي لا يستطيع احد أن يحبسها.

(٢) أخرج الشيخان عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ كان يقول في دبر كل صلاة: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد).
[البخاري: صفة الصلاة، باب: الذكر بعد الصلاة، رقم: ٨٠٨. مسلم: المساجد ومواضع الصلاة، باب: استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته، رقم: ٥٩٣].
[الجد: الغنى والحظ، والمعنى: لا ينفع صاحب الغنى والحظ حظه وغناه لأنهما منك، ولكن ينفعه العمل بطاعتك وإخلاصه في عمله الصالح].

(٣) أي لفظ ﴿ غير ﴾ صفة للفظ ﴿ خالق ﴾ وفيه قراءتان: بالجر على أنه صفة على اللفظ، لأن لفظ ﴿ خالق ﴾ مجرور بحرف الجر الزائد. وبالرفع على أنه صفة على المحل، لأنه مجرور لفظاً مرفوع محلاً على أنه مبتدأ كما ذكر المفسر.

(٤) فيكون لك الفوز والنصر كما كان لهم، وتدور الدائرة على الباطل وحزبه كما حصل لمن كفر وعاند من قبل.

فائدة: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تنادوا: هلموا إلى حاجتكم. قال: فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا، قال: فيسألهم ربهم، وهو أعلم منهم: ما يقول عبادي ؟ قال: تقول: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك، قال: فيقول: هل رأوني ؟ قال: فيقولون: لا والله ما رأوك، قال: فيقول: وكيف لو رأوني ؟ قال: فيقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة، وأشد لك تمجيداً وأكثر لك تسبيحاً. قال: يقول: فما يسألونني ؟ قال: يسألونك الجنة، قال: يقول: وهل رأوها ؟ قال: يقولون: لا والله يا رب ما رأوها، قال: يقول: فكيف لو أنهم رأوها ؟ قال: يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصاً، وأشد لها طلباً، وأعظم فيها رغبة. قال: فمم يتعوذون ؟ قال: يقولون: من النار، قال: يقول: وهل رأوها ؟ قال: يقولون: لا والله يا رب ما رأوها، قال: يقول: فكيف لو رأوها ؟ قال: يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فراراً، وأشد لها مخافة. قال: فيقول: فأشهدكم أني قد غفرت لهم. قال: يقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم، إنما جاء لحاجة. قال: هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم». [البخاري: الدعوات، باب: فضل ذكر الله عز وجل، رقم:

﴿ترجع الأمور﴾ في الآخرة، فيجازي المكذبين وينصر المرسلين(١).

٥ ﴿يا أيها الناس إن وعد الله﴾ بالبعث وغيره ﴿حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا﴾ عن الإيمان بذلك(٢) ﴿ولا يغرنكم بالله﴾ في حلمه وإمهاله ﴿الغرور﴾ الشيطان(٣).

٦ ﴿إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً﴾ بطاعة الله، ولا تطيعوه ﴿إنما يدعو حزبه﴾ أتباعه في الكفر ﴿ليكونوا من أصحاب السعير﴾ النار الشديدة.

٧ ﴿الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير﴾ هذا بيان ما لموافقي الشيطان وما لمخالفيه.

٨ ونزل في أبي جهل وغيره ﴿أفمن زين له سوء عمله﴾ بالتمويه ﴿فرآه حسناً﴾ من مبتدأ خبره كمن هداه الله؟ لا، دل عليه ﴿فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك(٤) عليهم﴾ على المزين لهم ﴿حسرات﴾ باغتمامك أن لا يؤمنوا ﴿إن الله عليم بما يصنعون﴾ فيجازيهم عليه.

٩ ﴿والله الذي أرسل الرياح﴾ وفي قراءة «الريح» ﴿فتثير سحاباً﴾ المضارع لحكاية الحال الماضية(٥)، أي تزعجه ﴿فسقناه﴾ فيه التفات عن الغيبة(٦) ﴿إلى بلد ميت﴾ بالتشديد والتخفيف(٧)، لا نبات بها ﴿فأحيينا به الأرض﴾ من البلد ﴿بعد موتها﴾ يبسها، أنبتنا به الزرع والكلأ ﴿كذلك النشور﴾ البعث والإحياء(٨).

١٠ ﴿من كان يريد العزة فلله العزة جميعاً﴾ في الدنيا والآخرة، فلا تنال منه إلا بطاعته، فليطعه ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾ يعلمه، وهو لا إله إلا الله ونحوها ﴿والعمل الصالح يرفعه﴾ يقبله ﴿والذين يمكرون﴾ المكرات

(الجزء الثاني والعشرون) ٥٧٢

تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا
تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾
إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ
لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ عَذَابٌ
شَدِيدٌ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ
وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا
فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ فَلَا تَذْهَبْ
نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾
وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ
فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾
مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ
ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ

٦٠٤٥. مسلم: الذكر والدعاء والتوبة، باب: فضل مجالس الذكر..، رقم: ٢٦٨٩] [يطوفون: يمشون ويدورون حول الناس. يلتمسون: يطلبون. فيحفونهم: يطوقونهم ويحيطون بهم بأجنحتهم. فيسألهم: الحكمة من السؤال إظهار فضل بني آدم وأن فيهم المسبحين والمقدسين كالملائكة، على ما هم عليه من الجبلة الشهوانية والفطرة الحيوانية. يمجدونك: يعظمونك. لحاجة: دنيوية. لا يشقى بهم جليسهم: ينتفي الشقاء عمن جالسهم].

(١) وذلك بقبول شفاعتهم وإدخالهم الجنة دار الكرامة، كما نصرهم في الدنيا على الكافرين ومكن لهم في الأرض، إنجازاً لوعده سبحانه إذ قال: ﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد﴾ [غافر: ٥١].

(٢) أي لا تغتروا بالدنيا وزخرفها، ولا يشغلنكم التمتع بها عن الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر والعمل لما بعد هذه الحياة.

(٣) أي لا يخدعنكم الشيطان بتسويله لكم فعل المعاصي واستمراءها، مصوراً لكم حلمه تعالى وإمهاله لكم أنه سيغفر لكم ما يكون منكم.

(٤) أي لا تكثر من اهتمامك بهم واغتمامك بشأنهم فتتسبب بهلاكك وإهلاك نفسك.

(٥) أي لتصوير تلك الحالة العجيبة من إثارة الرياح للسحاب وتحريكه وسوقه، والتي تدل على عظيم قدرته سبحانه.

(٦) في قوله تعالى: ﴿والله الذي أرسل..﴾ إلى التكلم حيث قال: ﴿فسقناه.. فأحيينا﴾ لتأكيد اختصاصه سبحانه وتعالى بذلك، فالكلام عن ذلك بصيغة التكلم أدل على هذا المعنى، والله أعلم.

(٧) أي ﴿مَيْت﴾ و﴿مَيِّت﴾. وقيل: مَيْت بالتخفيف، هو الذي مات وبلي، ومَيِّت بالتشديد، هو الذي بصدد أن يموت ولكنه لم يمت بعد.

(٨) أي كما أن الله تعالى أحيا الأرض الميتة حياة لائقة بها، كذلك يحيي النفوس بعد موتها حياة لائقة بها، ويبعثها لتحاسب على ما كان منها.

سبب نزول الآية [٨]: أخرج جويبر عن الضحاك، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أنزلت هذه الآية: ﴿أفمن زيّن له سوء عمله﴾ الآية، حيث قال النبيّ ﷺ: (اللهمّ أعزّ دينك بعمر بن الخطاب أو بأبي جهل بن هشام). فهدى الله عمر، وأضلّ أبا جهل، ففيهما أنزلت.

﴿ السيئات ﴾ بالنبي في دار الندوة من تقييده أو قتله أو إخراجه، كما ذكر في الأنفال⁽¹⁾ ﴿ لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور ﴾ يهلك.

١١ ﴿ والله خلقكم من تراب ﴾ بخلق أبيكم آدم منه ﴿ ثم من نطفة ﴾ مني، بخلق ذريته منها ﴿ ثم جعلكم أزواجاً ﴾ ذكوراً وإناثاً ﴿ وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه ﴾ حال، أي معلومة له ﴿ وما يعمر من معمر ﴾ أي ما يزاد في عمر طويل العمر ﴿ ولا ينقص من عمره ﴾ أي ذلك المعمر، أو معمر آخر ﴿ إلا في كتاب ﴾ هو اللوح المحفوظ ﴿ إن ذلك على الله يسير ﴾ هين⁽²⁾.

١٢ ﴿ وما يستوي البحران هذا عذب فرات ﴾ شديد العذوبة ﴿ سائغ شرابه ﴾ شربه⁽³⁾ ﴿ وهذا ملح⁽⁴⁾ أجاج ﴾ شديد الملوحة⁽⁵⁾ ﴿ ومن كل ﴾ منهما ﴿ تأكلون لحماً طرياً ﴾ هو السمك ﴿ وتستخرجون ﴾ من الملح، وقيل منهما ﴿ حلية⁽⁶⁾ تلبسونها ﴾ هي اللؤلؤ والمرجان ﴿ وترى ﴾ تبصر ﴿ الفلك ﴾ السفن ﴿ فيه ﴾ في كل منهما ﴿ مواخر ﴾ تمخر الماء، أي تشقه بجريها مقبلة ومدبرة بريح واحدة ﴿ لتبتغوا ﴾ تطلبوا ﴿ من فضله ﴾ تعالى بالتجارة ﴿ ولعلكم تشكرون ﴾ الله على ذلك.

١٣ ﴿ يولج ﴾ يدخل الله ﴿ الليل في النهار ﴾ فيزيد ﴿ ويولج النهار ﴾ يدخله ﴿ في الليل ﴾ فيزيد ﴿ وسخر الشمس والقمر كل ﴾ منهما ﴿ يجري ﴾ في فلكه ﴿ لأجل مسمى ﴾ يوم القيامة⁽⁷⁾ ﴿ ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون ﴾ تعبدون ﴿ من دونه ﴾ غيره، وهم الأصنام ﴿ ما يملكون من قطمير ﴾ لفافة النواة⁽⁸⁾.

١٤ ﴿ إن تدعوهم⁽⁹⁾ لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ﴾ فرضاً ﴿ ما استجابوا

٥٧٣ (سورة فاطر)

ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾
وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ۚ
وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن
مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ
عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَـٰذَا عَذْبٌ
فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَـٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ
لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ
فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾
يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ
وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ
وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾
إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟

---

[1] الآية/ ٣٠/. أو المراد: يمكرون الشرك والجحود والعصيان مطلقاً.

[2] أي تقدير الآجال وكتابتها أمر سهل على الله عز وجلّ، إذ لا يعجزه شيء سبحانه.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سره أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره، فليصل رحمه». [البخاري: الأدب، باب: من بسط له في الرزق بصلة الرحم. مسلم: البر والصلة، باب: صلة الرحم وتحريم قطيعتها] [ينسأ: يؤخر. رحمه: أقاربه].

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: ذكرنا عند رسول الله ﷺ، فقال: «إن الله لا يؤخر نفساً إذا جاء أجلها، وإنما زيادة العمر بالذرية الصالحة يرزقها العبد، فيدعون له من بعده، فيلحقه دعاؤهم في قبره، فذلك زيادة العمر». [ذكره ابن كثير عن ابن أبي حاتم].

[3] العذب هو الطيب الذي يكسر وهج العطش ويذهب الظما، والسائغ هو الهنيء المريء الذي يسهل في الحلق.

[4] مالح.

[5] يحرق الحلق بملوحته.

[6] هي ما يتزين به.

[7] حيث تبدل الأرض غير الأرض والسموات. وقد يكون المراد بجريانهما إلى أجل مسمى دورة كل منهما التي تعرف بها الفصول والأيام.

[8] هي بزرة التمرة، ولفافتها القشرة الرقيقة التي تلتف حولها.

[9] إن طلبتم منهم شيئاً ما من جلب نفع أو دفع ضر.

فائدة: فيما يؤكل من حيوان البحر.

حيوان الماء على قسمين: سمك وغير سمك:

فأما السمك فجميعه حلال، على اختلاف أجناسه وأنواعه، لقوله ﷺ: (أحلت لنا ميتتان. . السمك والجراد) ولا فرق بين أن يموت بسبب أو بغير سبب، فيحل أكله.

وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى: لا يحل إلا أن يموت بسبب، كصيد أو يلقي به الماء على البر فيموت.

وما عدا السمك فقسمان:

قسم يعيش في البر والبحر كالضفدع والسرطان، لا يحل أكلهما.

وقال أحمد. يؤكل ما في البحر إلا الضفدع والتمساح، قال: لأن التمساح يفترس ويأكل الناس.

وقسم يعيش في الماء ولا يعيش في البر إلا عيش المذبوح:

لكم ﴾ ما أجابوكم⁽¹⁾ ﴿ ويوم القيامة يكفرون بشرككم ﴾ بإشراككم إياهم مع الله، أي يتبرؤون منكم ومن عبادتكم إياهم⁽²⁾ ﴿ ولا ينبئك ﴾ بأحوال الدارين ﴿ مثل خبير ﴾ عالم، وهو الله تعالى.

١٥ ﴿ يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله ﴾ بكل حال ﴿ والله هو الغني ﴾ عن خلقه ﴿ الحميد ﴾ المحمود في صنعه بهم.

١٦ ﴿ إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد ﴾ بدلكم.

١٧ ﴿ وما ذلك على الله بعزيز ﴾ شديد.

١٨ ﴿ ولا تزر ﴾ نفس ﴿ وازرة ﴾ آثمة، أي لا تحمل ﴿ وزر ﴾ نفس ﴿ أخرى وإن تدع ﴾ نفس ﴿ مثقلة ﴾ بالوزر ﴿ إلى حملها ﴾ منه⁽³⁾ أحداً ليحمل بعضه ﴿ لا يحمل منه شيء ولو كان ﴾ المدعو ﴿ ذا قربى ﴾ قرابة كالأب والابن، وعدم الحمل في الشقين⁽⁴⁾ حكم من الله عزوجل⁽⁵⁾ ﴿ إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب ﴾ أي يخافونه وما رأوه، لأنهم المنتفعون بالإنذار ﴿ وأقاموا الصلاة ﴾ أداموها ﴿ ومن تزكى ﴾ تطهر من الشرك وغيره ﴿ فإنما يتزكى لنفسه ﴾ فصلاحه مختص به ﴿ وإلى الله المصير ﴾ المرجع، فيجزي بالعمل في الآخرة.

١٩ ﴿ وما يستوي الأعمى والبصير ﴾ الكافر والمؤمن.

٢٠ ﴿ ولا الظلمات ﴾ الكفر ﴿ ولا النور ﴾ الإيمان.

٢١ ﴿ ولا الظل ولا الحرور ﴾ الجنة والنار⁽⁶⁾.

٢٢ ﴿ وما يستوي الأحياء ولا الأموات ﴾ المؤمنون والكفار⁽⁷⁾، وزيادة لا في الثلاثة⁽⁸⁾ تأكيد ﴿ إن الله يسمع من يشاء ﴾ هدايته فيجيبه بالإيمان ﴿ وما أنت بمسمع من في القبور ﴾ أي الكفار، شبههم بالموتى⁽⁹⁾، فيجيبوا⁽¹⁰⁾.

٢٣ ﴿ إن ﴾ ما ﴿ أنت إلا نذير ﴾ منذر لهم.

٢٤ ﴿ إنا أرسلناك

لَكُمْ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ
خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ
وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ
بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ
وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ
مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ
رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ
لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ
وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَـٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ
وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن
فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ

فقال مالك رحمه الله تعالى: يباح كل ما في البحر، لأنه كله سمك وإن اختلفت صورته. وهو مذهب الشافعي رحمه الله تعالى. قال رسول الله ﷺ في البحر: (هو الطهور ماؤه، الحل ميتته). أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي.

وذهب جماعة إلى أن ماله نظير من البر يؤكل فيؤكل نظيره من حيوان البحر، مثل بقر الماء ونحوه. ولا يؤكل مالا يؤكل نظيره في البر مثل كلب الماء وخنزير الماء، فلا يحل أكله.

وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى: لا يؤكل من حيوان البحر إلا السمك.

---

(١) لأنهم لا يملكون لأنفسهم ضراً أو نفعاً فضلاً عن أن يملكوا ذلك لغيرهم.

(٢) حين ينطقهم الله عزّ وجلّ إن كانوا من غير العقلاء، فينطقون بذلك.

(٣) أي إلى ما تحمله من الوزر.

(٤) أي الحمل القهري المذكور في قوله ﴿ولا تزر. .﴾ والحمل الاختياري المذكور في قوله ﴿وإن تدع. .﴾.

(٥) وهو منطوٍ على حكمة عظيمة، ليعلم كل إنسان أنه مسؤول عما تجنيه يداه، وأن الجزاء قائم على العدل، فلا يتحمل مسؤولية فعل قام به غيره، وعندها تكون الاستقامة ومجاهدة النفس وحملها على امتثال الأمر واجتناب المنهي عنه، وتكون المنافسة في ميدان التقوى وعمل البر.

(٦) قال المفسرون: وهذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن والكافر، فقرر أولاً التنافي بين ذاتيهما، وثانياً بين وصفيهما، وثالثاً بين مستقريهما وداريهما في الآخرة.

(٧) مثل آخر على أبلغ وجه، لأن التنافي بين الأعمى والبصير ليس كاملاً، إذ قد يكون في الأعمى بعض نفع، وقد يشترك مع البصير في كثير من الإدراكات. وأما التنافي بين الحي والميت على وجه الكمال، ولذا أعيد الفعل ﴿يستوي﴾ هنا بخلاف سابقيه.

(٨) أي في الجمل الثلاثة.

(٩) أي في عدم التأثر بدعوته.

(١٠) الضمير في يجيبوا يعود على من باعتبار معناها الذي فسرت به وهو الكفار. والمعنى: هل يكون من هؤلاء سماع تأثر فتكون منهم إجابة؟.

بالحق ﴾ بالهدى ﴿ بشيراً ﴾ من أجاب إليه ﴿ ونذيراً ﴾ من لم يجب إليه ﴿ وإن ﴾ ما ﴿ من أمة إلا خلا ﴾ سلف ﴿ فيها نذير ﴾ نبي ينذرها.

٢٥ ﴿ وإن يكذبوك ﴾ أي أهل مكة ﴿ فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات ﴾ المعجزات ﴿ وبالزبر ﴾(١) كصحف إبراهيم ﴿ وبالكتاب المنير ﴾(٢) هو التوراة والإنجيل، فاصبر كما صبروا تظفر.

٢٦ ﴿ ثم أخذت الذين كفروا ﴾ بتكذيبهم ﴿ فكيف كان نكير ﴾ إنكاري عليهم بالعقوبة والإهلاك، أي هو واقع موقعه(٣).

٢٧ ﴿ ألم ترَ ﴾ تعلم ﴿ أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا ﴾ فيه التفات عن الغيبة(٤) ﴿به ثمرات مختلفاً ألوانها ﴾ كأخضر وأحمر وأصفر وغيرها ﴿ ومن الجبال جدد ﴾ جمع جُدَّة، طريق في الجبل وغيره ﴿ بيض وحمر ﴾ وصفر ﴿ مختلف ألوانها ﴾ بالشدة والضعف ﴿ وغرابيب سود ﴾ عطف على جدد، أي صخور شديدة السواد، يقال كثيراً: أسود غربيب، وقليلاً: غربيب أسود.

٢٨ ﴿ ومن الناس والدواب والأنعام مختلفاً ألوانه كذلك ﴾ كاختلاف الثمار والجبال وغيرها ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾(٥) بخلاف الجهال ككفار مكة وغيرهم ﴿ إن الله عزيز ﴾ في ملكه ﴿ غفور ﴾ لذنوب عباده المؤمنين.

٢٩ ﴿ إن الذين يتلون ﴾ يقرؤون ﴿ كتاب الله وأقاموا الصلاة ﴾ أداموها ﴿ وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية ﴾ زكاة وغيرها ﴿ يرجون تجارة(٦) لن تبور ﴾ تهلك.

٣٠ ﴿ ليوفيهم أجورهم ﴾ ثواب أعمالهم المذكورة ﴿ ويزيدهم من فضله إنه غفور ﴾ لذنوبهم

بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾
وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ
رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾
ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾ أَلَمْ
تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ
مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ۚ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ
أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ
وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ
مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ إِنَّ
الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا
رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾
لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۚ إِنَّهُ غَفُورٌ

---

(١) اسم لكل ما يكتب، والمراد بها الصحف المنزلة، ومنها صحف إبراهيم وصحف موسى عليهما السلام.

(٢) الواضح ما فيه، والذي ينير للإنسان طريق الخير والحق والسعادة.

(٣) موافق لما يستحقونه ومناسب لهم.

(٤) إلى التكلم، لأنه أدل على اختصاص ذلك بالله تعالى.

(٥) أي العلماء هم الذين يخشون الله تعالى حق الخشية، لأنهم يقدرونه قدره ويعلمون سلطانه وعزته وجبروته. قال ﷺ: (فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية) وقال: (لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً). والحديثان متفق عليهما. [البخاري: الكسوف، باب: الصدقة في الكسوف، رقم: ٩٩٧. الأدب، باب: من لم يواجه الناس بالعتاب، رقم: ٥٧٥٠. مسلم: الكسوف، باب: صلاة الكسوف، رقم: ٩٠١. الفضائل، باب: علمه ﷺ بالله تعالى وشدة خشيته، رقم: ٢٣٥٦].

(٦) يطلبون ربحاً، وهو ما وعدهم الله تعالى به من الثواب.

فائدة: في فضل القرآن وتلاوته. عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: (إن أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه). [البخاري: فضائل القرآن، باب: خيركم من تعلم القرآن وعلمه، رقم: ٤٧٤٠].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأُتْرُجَّة، ريحها طيب وطعمها طيب. ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة، لا ريح لها وطعمها حلو. ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة، ريحها طيب وطعمها مر. ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة، ليس لها ريح وطعمها مر).[البخاري: الأطعمة، باب: ذكر الطعام، رقم: ٥١١١. مسلم: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضيلة حافظ القرآن، رقم: ٧٩٧] [كالأترجة: واحدة نوع من الثمار الحمضيات، جميل المنظر، طيب الطعم والنكهة، لين الملمس كثير المنافع. الريحانة: واحدة نوع من النبات. الحنظلة: واحدة نوع من ثمار أشجار الصحراء التي لا تؤكل].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (لا حسد إلا في اثنتين: رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار، فسمعه جار له فقال: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان، فعملت مثل ما يعمل. ورجل آتاه الله مالاً، فهو يهلكه في الحق، فقال رجل: ليتني أوتيت مثل ما أوتي

سبب نزول الآية [٢٩]: أخرج عبد الغني بن سعيد الثقفي في تفسيره، عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن حصين بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف القرشي نزل فيه: ﴿إنّ الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة﴾ الآية. [السيوطي].

﴿شكور﴾ لطاعتهم.

٣١ ﴿والذي أوحينا إليك من الكتاب﴾ القرآن ﴿هو الحق مصدقاً لما بين يديه﴾ تقدمه من الكتب ﴿إن الله بعباده لخبير بصير﴾ عالم بالبواطن والظواهر.

٣٢ ﴿ثم أورثنا﴾ أعطينا ﴿الكتاب﴾ القرآن ﴿الذين اصطفينا من عبادنا﴾ وهم أمتك ﴿فمنهم ظالم لنفسه﴾ بالتقصير في العمل به ﴿ومنهم مقتصد﴾ يعمل به أغلب الأوقات ﴿ومنهم سابق بالخيرات﴾ يضم إلى العلم التعليم(١)، والإرشاد إلى العمل ﴿بإذن الله﴾ بإرادته ﴿ذلك﴾ أي إيراثهم الكتاب ﴿هو الفضل الكبير﴾.

٣٣ ﴿جنات عدن﴾ إقامة ﴿يدخلونها﴾ الثلاثة(٢)، بالبناء للفاعل وللمفعول(٣)، خبر جنات المبتدأ ﴿يحلون﴾ خبر ثانٍ ﴿فيها من﴾ بعض ﴿أساور من ذهبٍ ولؤلؤ﴾(٤) مرصع بالذهب ﴿ولباسهم فيها حرير﴾(٥).

٣٤ ﴿وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن﴾ جميعه ﴿إن ربنا لغفور﴾ للذنوب ﴿شكور﴾ للطاعة.

٣٥ ﴿الذي أحلنا دار المقامة﴾ الإقامة ﴿من فضله لا يمسنا فيها نصب﴾ تعب ﴿ولا يمسنا فيها لغوب﴾ إعياء من التعب، لعدم التكليف فيها، وذكر الثاني التابع للأول للتصريح بنفيه(٦).

شَكُورٌ (٣٠) وَالَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ
ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ
بَصِيرٌ (٣١) ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَاۖ
فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ
بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ (٣٢)
جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ
وَلُؤْلُؤًاۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٣٣) وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ
أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (٣٤) ٱلَّذِيٓ
أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا
يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ (٣٥) وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ
لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَاۚ
كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ (٣٦) وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ

٣٦ ﴿والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم﴾ بالموت ﴿فيموتوا﴾ يستريحوا ﴿ولا يخفف عنهم من عذابها﴾ طرفة عين ﴿كذلك﴾ كما جزيناهم ﴿نجزي كل كفور﴾ كافر، بالياء والنون مفتوحة(٧) مع كسر الزاي ونصب «كل».

٣٧ ﴿وهم يصطرخون فيها﴾ يستغيثون بشدة وعويل، يقولون ﴿ربنا

---

(١) في نسخة: (يضم إلى العمل التعليم) ولعل المذكور هنا أولى، لذكر العمل في الجملة الثانية.

(٢) أي الظالم والمقتصد والسابق.

(٣) أي ﴿يَدخلونها﴾ و ﴿يُدخلونها﴾ والقراءتان متواترتان.

(٤) بالجر عطفاً على لفظ ﴿ذهب﴾ والمعنى: أساور من ذهب مركب عليه اللؤلؤ. وفي قراءة ﴿ولؤلؤاً﴾ عطفاً على محل ﴿من أساور﴾. والمعنى: يحلون فيها أساور من ذهب ويحلون لؤلؤاً.

(٥) انظر/ الحج: ٢٣/.

(٦) أي ذكر اللغوب مع أنه تابع للنصب، وإذا نفي النصب فقد نفي اللغوب، ولكنه ذكر ليصرح بنفيه، فيكون آكد.

(٧) أي ﴿يَجزِي﴾ و ﴿نَجزِي﴾.

فائدة: عن قيس بن كثير قال: قدم رجل من المدينة إلى أبي الدرداء وهو بدمشق، فقال: ما أقدمك أي أخي؟ قال: حديث بلغني أنك تحدث به عن رسول الله ﷺ. قال: أما قدمت لتجارة؟ قال: لا. قال: أما قدمت لحاجة؟ قال: لا. قال: أما قدمت إلا في طلب هذا الحديث؟ قال: نعم. قال: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سلك طريقاً يطلب فيه علماً، سلك الله=

=فلان، فعملت مثل ما يعمل). [البخاري: فضائل القرآن، باب: اغتباط صاحب القرآن، مسلم: ٤٧٣٨] يهلكه: ينفقه في طاعة الله تعالى.

وعن قتادة رضي الله عنه قال: سئل أنس رضي الله عنه كيف كانت قراءة النبي ﷺ؟ فقال: كانت مَدّاً، ثم قرأ: (بسم الله الرحمٰن الرحيم). يمد ببسم الله، ويمد بالرحمٰن، ويمد بالرحيم. [البخاري: فضائل القرآن، باب: من القراءة، رقم: ٤٧٥٩] مداً: أي بتؤدة، ويخرج الحروف من مخارجها ويمد ما يستحق المد منها.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (اقرأ عَلَيّ). قال: قلت: أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: (إني أشتهي أن أسمعه من غيري). قال: فقرأت النساء حتى إذا بلغت: ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً﴾ [٤١] قال لي: (كُفّ، أو=

سبب نزول الآية [٣٥]: أخرج البيهقي في[البعث] وابن أبي حاتم، من طريق نفيع بن الحارث، عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما قال: قال رجل للنبيّ ﷺ: يا رسول الله، إن النوم مما يقرّ الله به أعيننا في الدنيا، فهل في الجنة من نوم؟ قال: (لا، إن النوم شريك الموت، وليس في الجنة موت). قال: فما راحتهم؟ فأعظم ذلك رسول الله ﷺ وقال: (ليس فيها لغوب، كلّ أمرهم راحة). فنزلت: ﴿لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب﴾ [السيوطي].

أخرجنا ﴾ منها ﴿ نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل ﴾ فيقال لهم ﴿ أو لم نعمركم ما ﴾ وقتاً ﴿ يتذكر فيه من تذكر(١) وجاءكم النذير ﴾ الرسول(٢)، فما أجبتم ﴿ فذوقوا فما للظالمين ﴾ الكافرين ﴿ من نصير ﴾ يدفع العذاب عنهم.

٣٨ ﴿ إن الله عالم غيب السماوات والأرض إنه عليم بذات الصدور ﴾ بما في القلوب، فعلمه بغيره أولى بالنظر إلى حال الناس.

٣٩ ﴿ هو الذي جعلكم خلائف في الأرض ﴾ جمع خليفة، يخلف بعضكم بعضاً ﴿ فمن كفر ﴾ منكم ﴿ فعليه كفره ﴾ أي وبال كفره(٣) ﴿ ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا مقتاً ﴾ غضباً(٤) ﴿ ولا يزيد الكافرين كفرهم إلا خساراً ﴾ للآخرة.

٤٠ ﴿ قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون ﴾ تعبدون ﴿ من دون الله ﴾ أي غيره، وهم الأصنام الذين زعمتم أنهم شركاء الله تعالى ﴿ أروني ﴾ أخبروني ﴿ ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك ﴾ شركة مع الله ﴿ في ﴾ خلق ﴿ السماوات أم آتيناهم كتاباً فهم على بينة ﴾ حجة ﴿ منه ﴾ بأن لهم معي شركة؟ لا شيء من ذلك(٥) ﴿ بل إن ﴾ ما ﴿ يعد الظالمون ﴾ الكافرون ﴿ بعضهم بعضاً إلا غروراً ﴾ باطلاً، بقولهم الأصنام تشفع لهم.

٤١ ﴿ إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا ﴾ يمنعهما من الزوال ﴿ ولئن ﴾ لام قسم ﴿ زالتا إن ﴾ ما ﴿ أمسكهما ﴾ يمسكهما ﴿ من أحد

أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم
مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا
لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٣٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى
جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥۖ
وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًاۖ وَلَا
يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ
شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟
مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ
كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم
بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ

= به طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاً لطالب العلم، وإنه ليستغفر للعالم من في السماوات والأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب. إن العلماء هم ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذ به أخذ بحظ وافر». [مسند أحمد: ٥/١٩٦.أبو داود: العلم، باب: الحث على طلب العلم. ابن ماجه: المقدمة، باب: في فضل العلماء والحث على طلب العلم].

وعن ثعلبة بن الحكم رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «يقول الله تعالى يوم القيامة للعلماء: إني لم أضع علمي وحكمتي فيكم إلا وأنا أريد أن أغفر لكم، على ما كان منكم، ولا أبالي». [الطبراني]

= أمسك). فرأيت عينيه تذرفان.[البخاري: فضائل القرآن، باب: البكاء عند قراءة القرآن، رقم: ٤٧٦٨].

وعن أبي موسى رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (تعاهدوا القرآن، فوالذي نفسي بيده، لهو أشد تفصياً من الإبل من عُقُلِهَا). [البخاري: فضائل القرآن، باب: استذكار القرآن وتعاهده، رقم: ٤٧٤٦. مسلم: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضائل القرآن وما يتعلق به، رقم: ٧٩١] تعاهدوا: واظبوا عليه بالتلاوة والحفظ. تفصياً: تخلصاً وتفلتاً وذهاباً. عقلها: جمع عقال وهو الحبل الذي تربط به.

وعن جندب رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: (اقرؤوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم، فإذا اختلفتم فقوموا عنه) [البخاري: فضائل القرآن، باب: اقرؤوا القرآن ما ائتلفت. . ، رقم: ٤٧٧٤. مسلم: العلم، باب النهي عن اتباع متشابه القرآن، رقم: ٢٦٦٧] ما ائتلفت: أي ما دمتم نشطين وقلوبكم حاضرة وخواطركم مجتمعة. فإذا اختلفتم: إذا اضطرب فهمكم لمعانيه بسبب الملل فاتركوا القراءة حتى يذهب عنكم ما أنتم فيه.

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (اقرأ القرآن في شهرٍ). قلت: إني أجِدُ قُوَّةً، حتى قال: (فاقرأه في سبعٍ، ولا تزِدْ على ذلك) [البخاري: فضائل القرآن، باب: في كم يقرأ القرآن، رقم: ٤٧٦٧. مسلم: الصيام، باب: النهي عن صوم الدهر. . ، رقم: ١١٥٩].

---

(١) أي لقد أبقيناكم عمراً يتمكن فيه المكلف من تذكر ما يجب عليه وإصلاح شأنه. أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (أعذر الله إلى كل امرىء أخر أجله حتى بلغ ستين سنة).أعذر: أزال عذره. [الرقاق، باب: من بلغ ستين سنة فقد أعذر الله إليه في العمر، رقم: ٦٠٥٦].

(٢) قيل: النذير الشيب، وقد جاء في الأثر: (ما من شعرة تبيض إلا قالت لأختها: استعدي فقد قرب الموت).

(٣) أي عقاب كفره يقع عليه، فلا يضر إلا نفسه.

(٤) وقيل: المقت أشد الغضب.

(٥) جواب للاستفهام الإنكاري في الجمل الثلاث.

مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا (٤١) وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِن جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ لَّيَكُونُنَّ أَهۡدَىٰ مِنۡ إِحۡدَى ٱلۡأُمَمِۖ فَلَمَّا جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ مَّا زَادَهُمۡ إِلَّا نُفُورًا (٤٢) ٱسۡتِكۡبَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّيِٕۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلۡأَوَّلِينَۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا (٤٣) أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمٗا قَدِيرٗا (٤٤) وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا مِن دَآبَّةٖ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرَۢا (٤٥)

من بعده ﴾ سواه ﴿ إنه كان حليماً غفوراً ﴾ في تأخير عقاب الكفار.

٤٢ ﴿ وأقسموا ﴾ كفار مكة ﴿ بالله جهد أيمانهم ﴾ غاية اجتهادهم فيها ﴿ لئن جاءهم نذير ﴾ رسول ﴿ ليكونن أهدى من إحدى الأمم ﴾ اليهود والنصارى وغيرهم، أي واحدة منها، لما رأوا من تكذيب بعضهم بعضاً، إذ قالت اليهود: ﴿ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء﴾ الآيات [البقرة: ١١٣] ﴿ فلما جاءهم نذير ﴾ محمد ﷺ ﴿ ما زادهم ﴾ مجيئه ﴿ إلا نفوراً ﴾ تباعداً عن الهدى.

٤٣ ﴿ استكباراً في الأرض ﴾ عن الإيمان، مفعول له ﴿ ومكر ﴾ العمل ﴿ السيىء ﴾ من الشرك وغيره ﴿ ولا يحيق ﴾ يحيط ﴿ المكر السيىء إلا بأهله ﴾ وهو الماكر، ووصف المكر بالسيء أصل[1]، وإضافته إليه قبل[2] استعمال آخر قدر فيه مضاف[3] حذراً من الإضافة إلى الصفة ﴿فهل ينظرون ﴾ ينتظرون ﴿ إلا سنت الأولين ﴾ سنة الله فيهم من تعذيبهم بتكذيبهم رسلهم ﴿ فلن تجد لسنت الله تبديلاً ولن تجد لسنت الله تحويلاً ﴾ أي لا يبدل بالعذاب غيره، ولا يحول إلى غير مستحقه. ٤٤ ﴿ أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة ﴾[4] فأهلكهم الله بتكذيبهم رسلهم ﴿ وما كان الله ليعجزه من شيء ﴾ يسبقه ويفوته ﴿ في السموات ولا في الأرض إنه كان عليماً ﴾ بالأشياء كلها ﴿ قديراً ﴾ عليها.

٤٥ ﴿ ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ﴾ من المعاصي ﴿ ما ترك على ظهرها ﴾ الأرض ﴿ من دابة ﴾ نسمة تدب عليها ﴿ ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى ﴾ يوم القيامة ﴿ فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيراً ﴾ فيجازيهم على أعمالهم وذلك بإثابة المؤمنين وعقاب الكافرين.

---

[1] أي جاء على الأصل من استعمال الصفة تابعة للموصوف.

[2] أي في قوله ﴿ومكر السيء﴾.

[3] أي مضاف إليه محذوف، فيجعل السيء صفة لذلك المحذوف، كما قدره بقوله: مكر العمل السيء، فلا يكون من إضافة الصفة للموصوف.

[4] المعنى: لقد ساروا في الأرض، ومروا على ديار من قبلهم من الأمم، كقوم صالح وقوم لوط وقوم شعيب عليهم السلام، ورأوا ديارهم وآثارهم وما نزل بهم من الهلاك، رغم ما كانوا عليه من القوة والبأس.

فائدة: قال ابن كثير في تفسير الآيات [٤٣ـ٤٥]: يقول تعالى: قل يا محمد ﷺ لهؤلاء المكذبين بما جئتهم به من الرسالة: سيروا في الأرض، فانظروا كيف كان عاقبة الذين كذبوا الرسل، كيف دمر الله عليهم ؟ وللكافرين أمثالها، فخليت منهم منازلهم، وسلبوا ما كانوا فيه من النِّعم بعد كمال القوة، وكثرة العدد والعُدد، وكثرة الأموال والأولاد، فما أغنى ذلك شيئاً، ولا دفع عنهم من عذاب الله من شيء لما جاء أمر ربك، لأنه تعالى لا يعجزه شيء إذا أراد كونه في السماوات والأرض ﴿إنه كان عليماً قديرا﴾ أي: عليم بجميع الكائنات، قدير على مجموعها. ثم قال تعالى: ﴿ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة﴾ أي لو أخذهم بجميع ذنوبهم لأهلك جميع أهل الأرض وما يملكونه من دواب وأرزاق. قال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن سنان: حدثنا عبد الرحمن: حدثنا سفيان الثوري، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله ـ وهو ابن مسعود ـ قال: كاد الجُعَل أن يعذب في جُحْره بذنب ابن آدم، ثم قرأ: ﴿ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة﴾. وقال سعيد بن جبير والسدي في قوله: ﴿ما ترك على ظهرها من دابة﴾: أي لما سقاهم المطر، فماتت جميع الدواب. ﴿ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى﴾ أي: ولكن ينظرهم إلى يوم القيامة، فيحاسبهم يومئذ، ويوفي كل عامل بعمله: فيجازى بالثواب أهل الطاعة، وبالعقاب أهل المعصية، ولهذا قال تعالى: ﴿فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيرا﴾ [الجعل: هي الحرباء، وهي حشرة معروفة. جحره: ثقبه في الأرض ونحوه الذي يأوي إليه].

سبب نزول الآية [٤٢]: أخرج ابن أبي حاتم، عن ابن أبي هلال: أنه بلغه أن قريشاً كانت تقول: لو أن الله بعث منا نبياً ما كانت أمة من الأمم أطوع لخالقها، ولا أسمع ولا أشد تمسكاً بكتابها منا. فأنزل الله: ﴿وإن كانوا ليقولون لو أنّ عندنا ذكراً من الأوّلين﴾ [الصافات: ١٦٧ ـ ١٦٨]. و ﴿لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم﴾ [الأنعام: ١٥٧]. ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكوننّ أهدى من إحدى الأمم﴾. وكانت اليهود تستفتح به على النصارى، فيقولون: إنا نجد نبياً يخرج.

(سورة يس)

(مكية أو إلا قوله «وإذا قيل لهم أنفقوا..»الآية/ ٤٧/ فمدنية وآياتها ٨٣)

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿ يس ﴾ الله أعلم بمراده به(١). ٢ ﴿ والقرآن الحكيم ﴾ المحكم بعجيب النظم وبديع المعاني(٢).

٣ ﴿ إنك ﴾ يا محمد ﴿ لمن المرسلين ﴾. ٤ ﴿ على ﴾ متعلق بما قبله(٣) ﴿ صراط مستقيم ﴾ طريق الأنبياء قبلك التوحيد والهدى، والتأكيد بالقسم وغيره رد لقول الكفار له: لست مرسلاً(٤).

٥ ﴿ تنزيل العزيز ﴾ في ملكه ﴿ الرحيم ﴾ بخلقه خبر مبتدأ مقدر أي القرآن(٥).

٦ ﴿ لتنذر ﴾ به ﴿ قوماً ﴾ متعلق بتنزيل ﴿ ما أنذر آباؤهم ﴾ أي لم ينذروا في زمن الفترة(٦) ﴿ فهم ﴾ القوم ﴿ غافلون ﴾ عن الإيمان والرشد.

٧ ﴿ لقد حق القول ﴾ وجب ﴿ على أكثرهم ﴾ بالعذاب ﴿ فهم لا يؤمنون ﴾ أي الأكثر.

٨ ﴿ إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً ﴾ بأن تضم إليها الأيدي، لأن الغل يجمع اليد إلى العنق ﴿ فهي ﴾ الأيدي مجموعة ﴿ إلى الأذقان ﴾ جمع ذقن، وهي مجتمع اللحيين ﴿ فهم مقمحون ﴾ رافعون رؤوسهم لا يستطيعون خفضها، وهذا تمثيل، والمراد أنهم لا يذعنون للإيمان ولا يخفضون رؤوسهم له.

٩ ﴿ وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً ﴾ بفتح السين وضمها في الموضعين ﴿ فأغشيناهم(٧) فهم لا يبصرون ﴾ تمثيل أيضاً لسد طريق الإيمان عليهم.

١٠ ﴿ وسواء عليهم أأنذرتهم ﴾ بتحقيق الهمزتين، وإبدال الثانية ألفاً وتسهيلها، وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه ﴿ أم لم تنذرهم لا يؤمنون ﴾.

(٣٦) سُورَةُ يسٓ مَكِّيَّة
وَآيَاتُهَا ثَلَاثٌ وَثَمَانُونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يسٓ (١) وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ (٢) إِنَّكَ لَمِنَ
ٱلْمُرْسَلِينَ (٣) عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٤) تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ
ٱلرَّحِيمِ (٥) لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ
غَٰفِلُونَ (٦) لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ
لَا يُؤْمِنُونَ (٧) إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى
ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ (٨) وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا
وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ (٩)
وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠)

---

(١) وانظر تفسير أول البقرة. (٢) أو ذي الحكمة، لأنه ينطق بها.

(٣) وهو قوله ﴿المرسلين﴾. (٤) انظر/ الرعد: ٤٣/.

(٥) وهذا على قراءة رفع ﴿تنزيل﴾ وهي قراءة متواترة، وعلى قراءة ﴿تنزيلَ﴾ بالنصب مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره: نزل تنزيل، أو منصوب على المدح، أي أمدح أو أخص بالمدح تنزيل..

(٦) وهي بالنسبة للعرب ما بين إسماعيل ومحمد عليهما الصلاة والسلام، وبالنسبة لغيرهم ما بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام.

(٧) غطينا أبصارهم عن رؤية الحق بسبب تعاميهم عنه.

فضل سورة ﴿يسٓ﴾.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ ﴿يسٓ﴾ في ليلة أصبح مغفوراً له. ومن قرأ: ﴿حمٓ﴾ التي يذكر فيها الدخان أصبح مغفوراً له». [أخرجه أبو يعلى في مسنده بإسناد جيد].

وعن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ ﴿يسٓ﴾ في ليلة ابتغاء وجه الله غفر له» [ابن حبان في صحيحه].

وعن معقل بن يسار رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «البقرة سنام القرآن وذروته، نزل مع كل آية منها ثمانون ملكاً، واستخرجت ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾ من تحت العرش فوصلت بها ـ أو: فوصلت بسورة البقرة ـ و ﴿يسٓ﴾ قلب القرآن، لا يقرؤها رجل يريد الله والدار الآخرة إلا غفر له، واقرؤوها على موتاكم». [مسند أحمد: ٥/ ٢٦].

قال ابن كثير في تفسيره بعد إيراده هذه الأحاديث: ولهذا قال بعض العلماء: من خصائص هذه السورة أنها لا تقرأ عند أمر

سبب نزول الآيات [١ ـ ١٠]: أخرج أبو نعيم في [الدلائل] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يقرأ في السجدة فيجهر بالقراءة، حتى تأذى به ناس من قريش حتى قاموا ليأخذوه، وإذا أيديهم مجموعة إلى أعناقهم، وإذا بهم عمي لا يبصرون، فجاؤوا إلى النبيّ ﷺ فقالوا: ننشدك الله والرحم يا محمد، فدعا حتى ذهب ذلك عنهم، فنزلت ﴿يسٓ. والقرآن الحكيم﴾ إلى قوله ﴿أم لم تنذرهم لا يؤمنون﴾. قال: فلم يؤمن من ذلك النفر أحد. [السيوطي].

وأخرج ابن جرير عن عكرمة قال: قال أبو جهل: لئن رأيت محمداً لأفعلنّ ولأفعلنّ، فأنزل الله: ﴿إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً﴾ إلى قوله ﴿لا يبصرون﴾. فكانوا يقولون: هذا محمد، فيقول: أين هو؟ أين هو؟ ولا يبصر.

١١ ﴿ إنما تنذر ﴾ ينفع إنذارك ﴿ من اتبع الذكر ﴾ القرآن ﴿ وخشي الرحمن بالغيب ﴾ خافه ولم يره ﴿ فبشره بمغفرة وأجر كريم ﴾ هو الجنة.

١٢ ﴿ إنا نحن نحيي الموتى ﴾ للبعث ﴿ ونكتب ﴾ في اللوح المحفوظ ﴿ ما قدموا ﴾ في حياتهم من خير وشر ليجازوا عليه ﴿ وآثارهم ﴾ ما استن به بعدهم(١) ﴿ وكل شيء ﴾ نصبه بفعل يفسره ﴿ أحصيناه ﴾ ضبطناه ﴿ في إمام مبين ﴾ كتاب بين، هو اللوح المحفوظ.

١٣ ﴿ واضرب ﴾ اجعل ﴿ لهم مثلاً ﴾ مفعول أول ﴿ أصحاب ﴾ مفعول ثانٍ ﴿ القرية ﴾ أنطاكية ﴿ إذ جاءها ﴾ إلى آخره بدل اشتمال من أصحاب القرية ﴿ المرسلون ﴾ أي رسل عيسى بن مريم عليهم الصلاة والسلام.

١٤ ﴿ إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما ﴾ إلى آخره بدل من إذ الأولى إلى آخره ﴿ فعززنا ﴾ بالتخفيف والتشديد(٢)، قوينا الاثنين ﴿ بثالث فقالوا إنا إليكم مرسلون ﴾.

١٥ ﴿ قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء إن ﴾ ما ﴿ أنتم إلا تكذبون ﴾.

١٦ ﴿ قالوا ربنا يعلم ﴾ جار مجرى القسم(٣) وزيد التأكيد به وباللام(٤) ـ على ما قبله(٥) لزيادة الإنكار(٦) ـ في(٧) ﴿ إنا إليكم لمرسلون ﴾.

١٧ ﴿ وما علينا إلا البلاغ المبين ﴾ التبليغ الظاهر بالأدلة الواضحة، وهي إبراء الأكمه والأبرص والمريض وإحياء الميت.

١٨ ﴿ قالوا إنا تطيرنا ﴾ تشاءمنا ﴿ بكم ﴾ لانقطاع المطر عنا بسببكم ﴿ لئن ﴾ لام قسم ﴿ لم تنتهوا لنرجمنكم ﴾ بالحجارة ﴿ وليمسنكم منا عذاب أليم ﴾ مؤلم.

١٩ ﴿ قالوا طائركم ﴾ شؤمكم ﴿ معكم ﴾ بكفركم ﴿ ءإن ﴾ همزة استفهام دخلت على إن الشرطية، وفي همزتها التحقيق والتسهيل وإدخال ألف بينها بوجهيها وبين الأخرى ﴿ ذكرتم ﴾ وعظتم وخوفتم، وجواب الشرط محذوف، أي تطيرتم وكفرتم، وهو محل الاستفهام(٨)، والمراد به التوبيخ ﴿ بل أنتم قوم مسرفون ﴾ متجاوزون الحد بشرككم.

٢٠ ﴿ وجاء من أقصى المدينة رجل ﴾ هو حبيب النجار، كان قد آمن بالرسل، ومنزله بأقصى المدينة ﴿ يسعى ﴾ يشتد عدواً لما سمع بتكذيب القوم للرسل صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين ﴿ قال يا قوم

إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ
فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ
وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ
فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ
جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا
فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ
إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا
تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾
وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ۖ
لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾
قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ۚ أَئِن ذُكِّرْتُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾
وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟

عسير إلا بيسره الله، وكأن قراءتها عند الميت لتنزل الرحمة والبركة، وليسهل عليه خروج الروح، والله أعلم.

(١) أي ما فعلوه من عمل في حياتهم فاقتدى بهم غيرهم فيه من بعدهم، سواء أكان خيراً أم شراً. قال ﷺ: (من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء. ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء) [أخرجه مسلم في الزكاة، باب: الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار، رقم: ١٠١٧].

(٢) للزاي الأولى: ﴿فعزَزْنا﴾ و ﴿فعزَّزْنا﴾.

(٣) أي في التأكيد به. (٤) في ﴿إنا إليكم لمرسلون﴾.

(٥) وهو قوله ﴿فقالوا إنا إليكم مرسلون﴾.

(٦) في قولهم ثانية حيث قالوا ﴿ما أنتم إلا بشر مثلنا﴾ ثم قالوا ﴿وما انزل الرحمن من شيء﴾ ثم قالوا ﴿إن انتم إلا تكذبون﴾ بينما في المرة الأولى كذبوهما فقط.

(٧) متعلق بقوله: وباللام.

(٨) أي هو المستفهم عنه الموبخ عليه، والمعنى: لا يليق منكم أن ترتبوا التطير والكفر على التذكير، وإنما اللائق أن ترتبوا عليه الإيمان والانقياد.

سبب نزول الآية [١٢]: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كانت بنو سلمة في ناحية المدينة، فأرادوا النقلة إلى قرب المسجد، فنزلت هذه الآية: ﴿ إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم ﴾. فقال النبيّ ﷺ: (إن آثاركم تكتب، فلا تنتقلوا). [الترمذي: التفسير،

اتبعوا المرسلين ﴾.

٢١ ﴿ اتبعوا ﴾ تأكيد للأول ﴿ من لا يسألكم أجراً ﴾ على رسالته ﴿ وهم مهتدون ﴾ فقيل له: أنت على دينهم؟

٢٢ فقال ﴿ وما لي لا أعبد الذي فطرني ﴾ خلقني، أي لا مانع لي من عبادته الموجود مقتضيها(١)، وأنتم كذلك(٢)؟ ﴿ وإليه ترجعون ﴾ بعد الموت فيجازيكم بكفركم.

٢٣ ﴿ ءأتخذ ﴾ في الهمزتين منه ما تقدم في «أأنذرتهم» وهو استفهام بمعنى النفي ﴿ من دونه ﴾ غيره ﴿ آلهةً ﴾ أصناماً ﴿ إن يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم ﴾ التي زعمتموها ﴿ شيئاً ولا ينقذون ﴾ صفة آلهة(٣).

٢٤ ﴿ إني إذاً ﴾ إن عبدت غير الله عز وجل ﴿ لفي ضلال مبين ﴾ بين.

٢٥ ﴿ إني آمنت بربكم فاسمعون ﴾ اسمعوا قولي، فرجموه حتى مات.

٢٦ ﴿ قيل ﴾ له عند موته ﴿ ادخل الجنة ﴾ وقيل: دخلها حياً ﴿ قال يا ﴾ حرف تنبيه ﴿ ليت قومي يعلمون ﴾.

٢٧ ﴿ بما غفر لي ربي ﴾ بغفرانه ﴿ وجعلني من المكرمين ﴾. ٢٨ ﴿ وما ﴾ نافية ﴿ أنزلنا على قومه ﴾ قوم حبيب ﴿ من بعده ﴾ بعد موته ﴿ من جند من السماء ﴾ ملائكة لإهلاكهم ﴿ وما كنا منزلين ﴾ ملائكة لإهلاك أحد.

٢٩ ﴿ إن ﴾ ما ﴿ كانت ﴾ عقوبتهم ﴿ إلا صيحة واحدة ﴾ صاح بهم جبريل ﴿ فإذا هم خامدون ﴾ ساكتون ميتون.

٣٠ ﴿ يا حسرة على العباد ﴾ هؤلاء ونحوهم ممن كذب الرسل فأهلكوا، وهي(٤) شدة التألم، ونداؤها مجاز أي هذا أوانك فاحضري ﴿ ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون ﴾ مسوق لبيان سببها، لاشتماله على استهزائهم المؤدي إلى إهلاكهم المسبب عنه الحسرة.

٣١ ﴿ ألم يروا ﴾ أهل مكة القائلون للنبي: لست مرسلاً، والاستفهام للتقرير، أي اعلموا ﴿ كم ﴾ خبرية بمعنى كثيراً، معمولة لما بعدها، معلقة لما قبلها عن العمل(٥)، والمعنى: أنا ﴿ أهلكنا قبلهم ﴾ كثيراً ﴿ من القرون ﴾ الأمم ﴿ أنهم ﴾ المهلكين ﴿ إليهم ﴾ أي المكذبين ﴿ لا يرجعون ﴾ أفلا يعتبرون بهم؟ «وأنهم..» الخ بدل مما قبله برعاية المعنى المذكور(٦).

٣٢ ﴿ وإن ﴾ نافية أو مخففة ﴿ كل ﴾ كل الخلائق، مبتدأ ﴿ لما ﴾ بالتشديد بمعنى إلا، أو بالتخفيف فاللام فارقة(٧) وما مزيدة

ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم
مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ
تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ
بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾
إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ
فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى
يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾
۞ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ
وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ
خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ
إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم
مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا

---

(١) أي مقتضي عبادته سبحانه وهو أنه الخالق وإليه المرجع.

(٢) أي إن الله تعالى هو الذي خلقكم وإليه مرجعكم، وهذا يقتضي منكم أن تصدقوا رسله وتعبدوه وحده، ولا تشركوا به أحداً من خلقه.

(٣) أي جملة ﴿إن يردن.. ينقذون﴾ صفة لقوله ﴿آلهة﴾ أي أأتخذ من دون الله تعالى آلهة غير منقذة من الضرر ولا شافعة.

(٤) أي الحسرة. (٥) أي إن ﴿كم﴾ هنا خبرية، فلا يعمل ما قبلها وهو ﴿يروا﴾ بل يعمل فيها ما بعدها وهو هنا ﴿أهلكنا﴾.

(٦) أي قد علموا إهلاكنا لتلك الأمم المشتمل على عدم عود المهلكين إلى الباقين (٧) بين إن النافية وإن المخففة من الثقيلة.

فائدة: عن عائشة رضي الله عنها، زوج النبي ﷺ: أنها قالت للنبي ﷺ: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ قال: (لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال، لتأمره بما شئت فيهم فناداني ملك الجبال، فسلم علي، ثم قال: يا محمد، فقال: ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين؟ فقال النبي ﷺ: بل أرجوا أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده، لا يشرك به شيئاً) [البخاري: بدء الخلق، باب: إذا قال أحدكم آمين..، رقم: ٣٠٥٩. مسلم: الجهاد والسير، باب:

باب: ومن تفسير سورة يس، رقم ٣٢٢٤]. وأخرج الواحدي بسنده عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: شكت بنو سلمة إلى رسول الله ﷺ بُعْدَ منازلهم من المسجد، فأنزل الله تعالى: ﴿ ونكتب ما قدموا وآثارهم﴾ فقال النبي ﷺ: (عليكم منازلكم، فإنما تكتب آثاركم).

﴿ جميع ﴾ خبر المبتدأ، أي مجموعون ﴿ لدينا ﴾ عندنا في الموقف بعد بعثهم ﴿ محضرون ﴾ للحساب، خبر ثانٍ.

٣٣ ﴿ وآية لهم ﴾ على البعث، خبر مقدم ﴿ الأرض الميتة ﴾ بالتخفيف والتشديد(١) ﴿ أحييناها ﴾ بالماء، مبتدأ(٢) ﴿ وأخرجنا منها حباً ﴾ كالحنطة ﴿ فمنه يأكلون ﴾.

٣٤ ﴿ وجعلنا فيها جنات ﴾ بساتين ﴿ من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون ﴾ أي بعضها.

٣٥ ﴿ ليأكلوا من ثمره ﴾ بفتحتين وضمتين(٣)، أي ثمر المذكور من النخيل وغيره ﴿ وما عملته أيديهم ﴾ أي لم تعمل الثمر(٤) ﴿ أفلا يشكرون ﴾ أنعمه تعالى عليهم.

٣٦ ﴿ سبحان الذي خلق الأزواج ﴾ الأصناف ﴿ كلها مما تنبت الأرض ﴾ من الحبوب وغيرها ﴿ ومن أنفسهم ﴾ من الذكور والإناث ﴿ ومما لا يعلمون ﴾ من المخلوقات العجيبة الغريبة.

٣٧ ﴿ وآية لهم ﴾ على القدرة العظيمة ﴿ الليل نسلخ ﴾ نفصل ﴿ منه النهار فإذا هم مظلمون ﴾ داخلون في الظلام.

٣٨ ﴿ والشمس تجري ﴾ إلى آخره.. من جملة الآية لهم، أو آية أخرى، والقمر كذلك ﴿ لمستقرّ لها ﴾ أي إليه لا تتجاوزه ﴿ ذلك ﴾ أي جريها ﴿ تقدير العزيز ﴾ في ملكه ﴿ العليم ﴾ بخلقه.

٣٩ ﴿ والقمر ﴾ بالرفع والنصب، وهو منصوب بفعل يفسره ما بعده ﴿ قدرناه ﴾ من حيث مسيره ﴿ منازل ﴾ ثمانية وعشرين منزلاً في ثمانٍ وعشرين ليلة من كل شهر، ويستتر ليلتين إن كان الشهر ثلاثين يوماً، وليلة إن كان تسعة وعشرين يوماً ﴿ حتى عاد ﴾ في آخر منازله في رأي العين ﴿ كالعرجون القديم ﴾ كعود الشماريخ(٥) إذا عتق، فإنه يدق ويتقوس ويصفر.

٤٠ ﴿ لا الشمس ينبغي ﴾ يسهل ويصح ﴿ لها أن تدرك القمر ﴾ فتجتمع معه في الليل ﴿ ولا الليل سابق النهار ﴾ فلا يأتي قبل انقضائه ﴿ وكل ﴾ تنوينه عوض عن المضاف إليه من الشمس والقمر والنجوم(٦) ﴿ في فلك ﴾ مستدير ﴿ يسبحون ﴾ يسيرون، نزلوا منزلة العقلاء(٧).

٤١ ﴿ وآية(٨) لهم ﴾ على قدرتنا ﴿ أنا حملنا ذريتهم ﴾ وفي قراءة «ذرياتهم» أي آباءهم الأُوَل (٩) ﴿ في الفلك ﴾ أي سفينة نوح ﴿ المشحون ﴾ المملوء.

٤٢ ﴿ وخلقنا لهم من مثله ﴾ أي مثل فلك نوح، وهو ما عملوه على شكله من السفن الصغار والكبار بتعليم الله تعالى

جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ
أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا
جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾
لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾
سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ
وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ
نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ
تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾
وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾
لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ
ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا
ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ

ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين، رقم: ١٧٩٥]
[ما لقيت: أي لقيت الكثير من الأذى. يوم العقبة: أي كان ما لاقاه عندها، والمراد بالعقبة مكان مخصوص في الطائف. على وجهي: باتجاه الجهة المواجهة لي. بقرن الثعالب: اسم موضع بقرب مكة، وأصل القرن كل جبل صغير منقطع من جبل كبير، والثعالب جمع ثعلب وهو الحيوان المشهور، ولعله سمي الموضع بذلك لكثرة الثعالب فيه. ذلك: أي ذلك كما قال جبريل وكما سمعت منه. الأخشبين: جبلي مكة. أصلابهما: جمع صلب، وهو كل ظهر له فقار].

(١) للياء: ﴿المَيْتة﴾ و﴿المَيِّتة﴾.

(٢) أي قوله ﴿الأرض﴾ مبتدأ، وجملة ﴿أحييناها﴾ صفة للأرض أو حال منها. وأخر قوله مبتدأ لبيان ان جملة ﴿أحييناها﴾ صفة، والصفة مع الموصوف كالشيء الواحد.

(٣) أي: ﴿ثَمَره﴾ و﴿ثُمُره﴾.

(٤) وعلى هذا تكون ما نافية، وتكون بمعنى الذي، فيكون المعنى: ومن الزرع والغرس الذي تعبوا فيه.

(٥) جمع شمراخ، وهو عيدان العنقود الذي عليه الرطب.

(٦) لم تذكر النجوم، ولكن استدل عليها بذكر الشمس والقمر.

(٧) فعبر عنهم بضمير جمع المذكر فقال ﴿يسبحون﴾ والمسوغ لذلك وصفهم بالسباحة التي هي من أوصاف العقلاء.

(٨) علامة واضحة، كافية لأن يستدلوا بها على الخالق جل وعلا وكمال صفاته وعظيم قدرته.

(٩) وفسره بعضهم بأولادهم أي أولاد أهل مكة وغيرهم. وكلمة ذرية تطلق على الفروع كما تطلق على الأصول، لأنها من الذرء وهو الخلق. قال في المصباح المنير: والذرية: فُعْلِيَّة من الذَّر، وهم الصغار.. وقال: وقد أطلقت الذرية على الآباء أيضاً مجازاً، وبعضهم يجعل الذرية من ذرأ الله تعالى الخلق، وترك همزها للتخفيف.

﴿ ما يركبون ﴾ فيه.

٤٣ ﴿ وإن نشأ نغرقهم ﴾ مع إيجاد السفن ﴿ فلا صريخ ﴾ مغيث ﴿ لهم ولا هم ينقذون ﴾ ينجون.

٤٤ ﴿ إلا رحمة منا ومتاعاً إلى حين ﴾ لا ينجيهم إلا رحمتنا لهم، وتمتيعنا إياهم بلذاتهم إلى انقضاء آجالهم.

٤٥ ﴿ وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم ﴾ من عذاب الدنيا كغيركم ﴿ وما خلفكم ﴾ من عذاب الآخرة ﴿ لعلكم ترحمون ﴾ أعرضوا(١). ٤٦ ﴿ وما تأتيهم من آية من آيات ربهم(٢) إلا كانوا عنها معرضين ﴾(٣).

٤٧ ﴿ وإذا قيل ﴾ أي قال فقراء الصحابة ﴿ لهم أنفقوا ﴾ علينا﴿ مما رزقكم الله ﴾من الأموال﴿ قال الذين كفروا للذين آمنوا ﴾ استهزاءً بهم ﴿ أنطعم من لو يشاء الله أطعمه ﴾ في معتقدكم هذا(٤) ﴿ إن ﴾ ما ﴿ أنتم ﴾ في قولكم لنا ذلك مع معتقدكم هذا ﴿ إلا في ضلال مبين ﴾ بين، وللتصريح بكفرهم موقع عظيم(٥).

٤٨ ﴿ ويقولون متى هذا الوعد ﴾ بالبعث ﴿ إن كنتم صادقين ﴾ فيه.

٤٩ قال تعالى: ﴿ ما ينظرون ﴾ ينتظرون ﴿ إلا صيحة واحدة ﴾ وهي نفخة إسرافيل الأولى ﴿ تأخذهم وهم يخِصّمون ﴾ بالتشديد أصله يختصمون، نقلت حركة التاء إلى الخاء وأدغمت في الصاد، أي وهم في غفلة عنها بتخاصم وتبايع، وأكل وشرب وغير ذلك. وفي قراءة «يخصِمون» كيضربون، أي يخصم بعضهم بعضاً.

٥٠ ﴿ فلا يستطيعون توصية ﴾ أن يوصوا ﴿ ولا إلى أهلهم يرجعون ﴾ من أسواقهم وأشغالهم، بل يموتون فيها(٦)

٥١ ﴿ ونفخ في الصور ﴾ هو قرن النفخة الثانية للبعث، وبين النفختين أربعون سنة (٧) ﴿ فإذا هم ﴾ المقبورون من ﴿الأجداث﴾ القبور ﴿إلى ربهم ينسلون﴾ يخرجون بسرعة.

٥٢ ﴿ قالوا ﴾ الكفار منهم﴿ يا ﴾ للتنبيه﴿ ويلنا ﴾ هلاكنا، وهو مصدر لا فعل له من لفظه ﴿ من بعثنا من مرقدنا﴾ =

مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا
هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾
وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ
تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا
كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا
رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ
مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾
وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾
مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾
فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾
وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ
يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا

---

(١) هذه الجملة جواب للشرط: ﴿وإذا قيل..﴾.

(٢) المراد بالآية هنا الدلائل على صدق محمد ﷺ من أمور خارقة للعادة، ومن قرآن معجز وما إلى ذلك.

(٣) أعرضوا عنها كعادتهم ولم يستفيدوا منها.

(٤) أي يقولون لهم: أنتم تعتقدون أن الأمر بمشيئة الله، فهو الذي يعطي من يشاء ويمنع من يشاء، فلو شاء الله ـ على زعمكم ـ لأطعم هؤلاء، فكيف نخالف مشيئته. هكذا قالوا، كفراً وعناداً واستهزاءً، متجاهلين أن الله تعالى أعطى بعض خلقه ومنع بعضهم، اختباراً لمن أعطى هل يشكر ويؤدي ما وجب عليه، واختباراً لمن منع هل يصبر ويرضى بما قسم الله تعالى له.

(٥) أي إن التصريح بكفر هؤلاء القائلين في قوله ﴿قال الذين كفروا..﴾ له أثر عظيم ومناسبة في هذا الموطن. وكأن كلام المفسر جواب لسؤال مفترض يقول: إن سياق الآيات يدل على أن القائلين هم الكفار، إذ الكلام عنهم قبل هذا وبعده، فما فائدة التصريح بهذا الوصف هنا؟ فأجاب بذلك. وهذه الفائدة بينها الجمل في حاشيته بقوله: وهي الإشارة لاختلاف نوعي الكفار، لأن المراد بهم الزنادقة المنكرون لوجود الصانع المختار، والمراد بهم فيما سبق في قوله ﴿ألم يروا..﴾ الخ كفار قريش المعترفون بوجود الله مع كونهم يعبدون الأصنام ليقربوهم إليه.

(٦) من حديث البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: (ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لِقْحتِه فلا يطعمه، ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقي فيه، ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها). [الرقاق، باب: طلوع الشمس من مغربها، رقم: ٦١٤١] [لقحته: الناقة القريبة العهد بالولادة. يليط: يطين ويصلح. أكلته: لقمته].

(٧) كما ورد في حديث لدى البخاري [التفسير/الزمر، باب: ﴿ونفخ في الصور..﴾ رقم: ٤٥٣٦] ومسلم ﴿الفتن وأشراط الساعة، باب: ما بين النفختين، رقم: ٢٩٥٥].

لأنهم كانوا بين النفختين نائمين لم يعذبوا ﴿ هذا ﴾ البعث ﴿ ما ﴾ الذي ﴿ وعد ﴾ به ﴿ الرحمن وصدق ﴾ فيه ﴿ المرسلون ﴾ أقروا حين لا ينفعهم الإقرار. وقيل: يقال لهم ذلك.

٥٣ ﴿ إن ﴾ ما ﴿ كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا ﴾ عندنا ﴿ محضرون ﴾.

٥٤ ﴿ فاليوم لا تظلم نفس شيئاً ولا تجزون إلا ﴾ جزاء ﴿ ما كنتم تعملون ﴾.

٥٥ ﴿ إن أصحاب الجنة اليوم في شغْل ﴾ بسكون الغين وضمها: عما فيه أهل النار مما يتلذذون به، لا شغل يتعبون فيه، لأن الجنة لا نصب فيها ﴿ فاكهون ﴾ ناعمون، خبر ثانٍ لإن، والأول(١) «في شغل».

٥٦ ﴿ هم ﴾ مبتدأ ﴿ وأزواجهم في ظلال ﴾ جمع ظلة أو ظل، خبر، أي لا تصيبهم الشمس ﴿ على الأرائك ﴾ جمع أريكة، وهو السرير في الحجلة(٢) أو الفرش فيها(٣) ﴿ متكئون ﴾ خبر ثانٍ متعلّق «على»(٤).

٥٧ ﴿ لهم فيها فاكهة ولهم ﴾ فيها ﴿ ما يدعون ﴾ يتمنون.

٥٨ ﴿ سلام ﴾ مبتدأ ﴿ قولاً ﴾ أي بالقول، خبره ﴿ من رب رحيم ﴾ بهم، أي يقول لهم: سلام عليكم.

٥٩ ﴿ و ﴾ يقول ﴿ امتازوا اليوم أيها المجرمون ﴾ أي انفردوا عن المؤمنين، عند اختلاطهم بهم.

٦٠ ﴿ ألم أعهد إليكم ﴾ آمركم ﴿ يا بني آدم ﴾ على لسان رسلي ﴿ أن لا تعبدوا الشيطان ﴾ لا تطيعوه ﴿ إنه لكم عدو مبين ﴾ بين العداوة.

٦١ ﴿ وأن اعبدوني ﴾ وحدوني وأطيعوني ﴿ هذا صراط ﴾ طريق ﴿ مستقيم ﴾.

٦٢ ﴿ ولقد أضل منكم جُبْلاً ﴾ خلقاً، جمع جبيل كقديم، وفي قراءة بضم الباء(٥) ﴿ كثيراً أفلم تكونوا تعقلون ﴾ عداوته وإضلاله، أو ما حل بهم من العذاب، فتؤمنوا.

٦٣ ويقال لهم في الآخرة: ﴿ هذه جهنم التي كنتم توعدون ﴾ بها. ٦٤ ﴿ اصلوها اليوم بما كنتم

مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا
صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾
فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ
فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ
مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾
سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا
ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ
أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ
ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ
جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ
ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ

---

(١) أي الخبر الأول. (٢) وهي قبة تعلق على السرير وتزين بها العروس. (٣) أي في الحجلة.

(٤) أي ﴿على الأرائك﴾ متعلق بـ ﴿متكئون﴾ والتقدير: متكئون على الأرائك.

عن أنس رضي الله عنه: أن أم حارثة بن سراقة رضي الله عنهما أتت النبي ﷺ فقالت: يا نبي الله، ألا تحدثني عن حارثة -وكان قتل يوم بدر، أصابه سهم غرب- فإن كان في الجنة صبرت، وإن كان غير ذلك، اجتهدت عليه في البكاء؟ قال: (يا أم حارثة، إنها جنان في الجنة، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى) [البخاري: الجهاد، باب: من أتاه سهم غرب فقتله، رقم: ٢٦٥٤] [غرب: لا يدرى من رمى به].

(٥) القراءات ثلاث: الأولى: بضم الجيم وسكون الباء وتخفيف اللام ﴿جُبْلاً﴾. والثانية: بضم الجيم والباء مع التخفيف ﴿جُبُلاً﴾ والثالثة: بكسر الجيم والباء وتشديد اللام ﴿جِبِلّاً﴾. والثلاث متواترة.

فائدة: عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا هل مشمر إلى الجنة؟ فإن الجنة لا خَطَر لها، هي -ورب الكعبة- نور كلها يتلألأ، وريحانة تهتز، وقصر مشيد، ونهر مطَّرد، وثمرة نضيجة، وزوجة حسناء جميلة، وحلل كثيرة، ومقام إلى أبد في دار سلامة، وفاكهة خضرة، وحَبْرة ونعمة، ومحلة عالية بهيّة». قالوا: نعم يارسول الله، نحن المشمرون لها. قال: «قولوا: إن شاء الله». قال القوم: إن شاء الله.

[ذكره ابن كثير عن ابن أبي حاتم، وأخرجه ابن ماجه: الزهد، باب: صفة الجنة] [مشيد: عال مرتفع. مطرد: جار عليها يتبع بعضه بعضاً. حبرة: سعة عيش].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «بينا أهل الجنة في نعيمهم، إذ سطع لهم نور، فرفعوا رؤوسهم فإذا الرب تعالى قد أشرف عليهم من فوقهم، فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة. فذلك قوله: ﴿سلام قولاً من رب رحيم﴾. قال: فينظر إليهم وينظرون إليه، فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ماداموا ينظرون إليه، حتى يحتجب عنهم، ويبقى نوره وبركته عليهم، وفي ديارهم».

[ذكره ابن كثير عن ابن أبي حاتم. وأخرجه ابن ماجه: المقدمة، باب: فيما أنكرت الجهمية، رقم: ١٨٤].

تكفرون ﴾[1].
٦٥ ﴿ اليوم نختم على أفواههم ﴾ أي الكفار، لقولهم: «والله ربنا ما كنا مشركين»/ الأنعام: ٢٣/. ﴿ وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم ﴾ وغيرها ﴿ بما كانوا يكسبون ﴾ فكل عضو ينطق بما صدر منه[2].
٦٦ ﴿ ولو نشاء لطمسنا على أعينهم ﴾ لأعميناهم طمساً ﴿ فاستبقوا ﴾ ابتدروا ﴿ الصراط ﴾ الطريق، ذاهبين كعادتهم ﴿ فأنى ﴾ فكيف ﴿ يبصرون ﴾ حينئذٍ؟ أي لا يبصرون.
٦٧ ﴿ ولو نشاء لمسخناهم ﴾ قردة وخنازير، أو حجارة ﴿ على مكانتهم ﴾ وفي قراءة «مكاناتهم» جمع مكانة بمعنى مكان، أي في منازلهم ﴿ فما استطاعوا مضياً ولا يرجعون ﴾ لم يقدروا على ذهاب ولا مجيء.
٦٨ ﴿ ومن نعمره ﴾ بإطالة أجله ﴿ نُنْكسه ﴾ وفي قراءة بالتشديد من التنكيس ﴿ في الخلق ﴾ أي خلقه، فيكون بعد قوته وشبابه ضعيفاً وهرماً ﴿ أفلا يعقلون ﴾ أن القادر على ذلك المعلوم عندهم قادر على البعث، فيؤمنوا؟ وفي قراءة بالتاء[3].

تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ
أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ
نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ
يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا
ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ
فِى ٱلْخَلْقِ ۖ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا
يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ
مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾ أَوَلَمْ
يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا
مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا
يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا
يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ

٦٩ ﴿ وما علمناه ﴾ أي النبي ﷺ ﴿ الشعر ﴾ رد لقولهم إن ما أتى به من القرآن شعر ﴿ وما ينبغي ﴾ يسهل ﴿ له ﴾ الشعر ﴿ إن هو ﴾ ليس الذي أتى به ﴿ إلا ذكر ﴾ عظة ﴿ وقرآن مبين ﴾ مظهر للأحكام وغيرها.
٧٠ ﴿ لينذر ﴾ بالياء والتاء، به ﴿ من كان حياً ﴾ يعقل ما يخاطب به، وهم المؤمنون ﴿ ويحق القول ﴾ بالعذاب ﴿ على الكافرين ﴾ وهم كالميتين، لا يعقلون ما يخاطبون به.
٧١ ﴿ أو لم يروا ﴾ يعلموا، والاستفهام للتقرير، والواو الداخلة عليها للعطف ﴿ أنا خلقنا لهم ﴾ في جملة الناس ﴿ مما عملت أيدينا ﴾ عملناه بلا شريك ولا معين ﴿ أنعاماً ﴾ هي الإبل والبقر والغنم ﴿ فهم لها مالكون ﴾ ضابطون. ٧٢ ﴿ وذللناها ﴾ سخرناها ﴿ لهم فمنها ركوبهم ﴾ مركوبهم ﴿ ومنها يأكلون ﴾.
٧٣ ﴿ ولهم فيها منافع ﴾ كأصوافها وأوبارها وأشعارها ﴿ ومشارب ﴾ من لبنها، جمع مشرب بمعنى شُرْب أو موضعه[4] ﴿ أفلا يشكرون ﴾ المنعم عليهم بها فيؤمنوا؟ أي ما فعلوا ذلك. ٧٤ ﴿ واتخذوا من دون الله ﴾ غير الله ﴿ آلهة ﴾ أصناماً يعبدونها ﴿ لعلهم

---

[1] ادخلوها وذوقوا حرارتها بسبب كفركم في الدنيا.

[2] أخرج مسلم عن أنس رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله ﷺ، فضحك، فقال: (هل تدرون مم أضحك) قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: (من مخاطبة العبد ربه). فيقول: يا رب، ألم تجرني من الظلم؟ قال: يقول: بلى، قال: فيقول: فإني لا أجيز على نفسي إلا شاهداً مني. قال: فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً، وبالكرام الكاتبين شهوداً. قال: فيختم على فيه، ويقال لأركانه: انطقي، قال: فتنطق بأعماله، ثم يخلى بينه وبين الكلام، فيقول: بعداً لكُنَّ وسحقاً، فعنكن كنت أناضل). [لا أجيز: لا أقبل شاهداً. بعداً لكن وسحقاً: هلاكاً. أناضل: أجادل وأخاصم]. [مسلم: أوائل الزهد والرقائق، رقم: ٢٩٦٩]

[3] أي ﴿تعقلون﴾.

[4] أي مَشرب: مصدر ميمي بمعنى شُرْب، وهو اسم لما يشرب وهو اللبن. أو اسم مكان، والمراد موضع ما يشرب وهو الضروع.

فائدة: قال ابن كثير في تفسير الآية [٦٩]: وقوله: ﴿وما علمناه الشعر وما ينبغي له﴾ يقول تعالى مخبراً عن نبيه محمد ﷺ: أنه ما علمه الشعر ﴿وما ينبغي له﴾ أي: وما هو في طبعه، فلا يحسنه ولا يحبه، ولا تقتضيه جبلته، ولهذا ورد أنه عليه الصلاة والسلام كان لا يحفظ بيتاً على وزن منتظم، بل إن أنشده زحفه أو لم يتمه. انتهى. [زحفه: أي أسقط منه بعض الحروف، فيختل الوزن].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لأن يمتلىء جوف رجل قيحاً يريه خير من أن يمتلىء شعراً) [البخاري: الأدب، باب: ما يكره أن يكون الغالب على الإنسان الشعر حتى يصده عن ذكر الله والعلم والقرآن، رقم: ٥٨٠٣.

ينصرون ﴾ يمنعون من عذاب الله تعالى بشفاعة آلهتهم بزعمهم.

٧٥ ﴿ لا يستطيعون ﴾ أي آلهتهم، نزلوا منزلة العقلاء(١) ﴿ نصرهم وهم ﴾ آلهتهم من الأصنام ﴿ لهم جند ﴾ بزعمهم نصرهم ﴿ محضرون ﴾ في النار معهم(٢).

٧٦ ﴿ فلا يحزنك قولهم ﴾ لك لست مرسلاً وغير ذلك ﴿ إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون ﴾ من ذلك وغيره، فنجازيهم عليه.

٧٧ ﴿ أو لم يرَ الإنسان ﴾ يعلم، وهو العاصي بن وائل ﴿ أنا خلقناه من نطفة ﴾ مني، إلى أن صيرناه شديداً قوياً ﴿ فإذا هو خصيم ﴾ شديد الخصومة لنا ﴿ مبين ﴾ بينها في نفي البعث.

٧٨ ﴿ وضرب لنا مثلاً ﴾ في ذلك ﴿ ونسي خلقه ﴾ من المني، وهو أغرب من مثله ﴿ قال من يحيي العظام وهي رميم ﴾ أي بالية، ولم يقل رميمة ـ بالتاء ـ لأنه اسم لا صفة(٣). وروي أنه أخذ عظماً رميماً ففتته وقال للنبي ﷺ: أترى يحيي الله هذا بعد ما بلي ورم؟ فقال ﷺ: (نعم، ويدخلك النار).

٧٩ ﴿ قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق ﴾ مخلوق ﴿ عليم ﴾ مجملاً ومفصلاً، قبل خلقه وبعد خلقه.

٨٠ ﴿ الذي جعل لكم ﴾ في جملة الناس ﴿ من الشجر الأخضر ﴾ المرخ والعفار(٤)، أو كل شجر(٥) إلا العناب(٦) ﴿ ناراً فإذا أنتم منه توقدون ﴾ تقدحون، وهذا دال على القدرة على البعث، فإنه جمع فيه بين الماء والنار والخشب، فلا الماء يطفىء النار، ولا النار تحرق الخشب.

٨١ ﴿ أو ليس الذي خلق السموات والأرض ﴾ مع عظمهما ﴿ بقادر على أن يخلق مثلهم ﴾ أي الأناسي، في الصغر ﴿ بلى ﴾ أي هو قادر على ذلك، أجاب نفسه ﴿ وهو الخلاق ﴾ الكثير الخلق ﴿ العليم ﴾ بكل شيء.

٨٢ ﴿ إنما أمره ﴾ أي شأنه ﴿ إذا أراد شيئاً ﴾ خلق شيء ﴿ أن يقول له كن فيكون ﴾ أي فهو يكون، وفي قراءة بالنصب عطفاً على يقول.

٨٣ ﴿ فسبحان الذي بيده ملكوت ﴾ ملك، زيدت فيه الواو والتاء للمبالغة، أي القدرة على ﴿ كل شيء وإليه ترجعون ﴾ تردون في الآخرة.

يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ
مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ
وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن
نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا
وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾
قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ
عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا
أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ
الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ
كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ
شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

مسلم: في أوائل كتاب الشعر، رقم: ٢٢٥٧] [جوف: المراد القلب. قيحاً: هو الصديد الذي يسيل من الدمل أو الجرح، أو: هو الأبيض الخاثر الذي لا يخالطه دم. يمتلىء شعراً: هو كناية عن انشغاله بقول الشعر وروايته وإنشاده بحيث لا يتفرغ لسواه. يريه: من الوَرْي وهو الداء، أي يأكل الداء قلبه]

(١) حسب زعم من عبدها، فقد جعلوها كأنها تعقل حين عبدوها.

(٢) ليعذبوا بها. وفي قوله: ﴿وهم﴾ أي الكفار ﴿لهم﴾ أي للأصنام ﴿جند محضرون﴾ قائمون بخدمتها، فهم لها بمنزلة الجند، وهي لا تستطيع نصرهم، ولا تملك لهم ضراً أو نفعاً.

(٣) قال الصاوي في حاشيته: أشار بذلك إلى سؤال حاصله أن فعيلاً بمعنى فاعل يفرق بين المذكر والمؤنث بالتاء، فكان مقتضى القاعدة أن يقال: رميمة، فأجاب المفسر بأن محل ذلك إذا لم تغلب عليه الاسمية، فإذا صار اسماً بالغلبة لما بلي من العظام فلا تلحقه التاء في مؤنثه.

(٤) نوعان من الشجر، يضرب بجزء من أحدهما على جزء من الآخر، فيخرج من بينهما شرر يوقد منه النار.

(٥) فإنه يحترق وتكون منه النار.

(٦) فإنه نوع من الشجر لا يحترق على ما قيل.

سبب نزول الآيات [٧٧ ـ ٨٣]: أخرج الحاكم وصححه، عن ابن عباس قال: جاء العاصي بن وائل إلى رسول الله ﷺ بعظم حائل ففته، فقال: يا محمد أيبعث الله هذا بعدما أرم؟ قال: (نعم، يبعث الله هذا، ثم يميتك، ثم يحييك، ثم يدخلك نار جهنم). فنزلت الآيات: ﴿أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة إلى آخر السورة. [المستدرك: التفسير، باب: تفسير سورة يس: ٢/٤٢٩]. [حائل: متغير. أرم: بلي].

(سورة الصافات)
(مكية وآياتها ١٨٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿ والصافات صفاً ﴾ الملائكة تصف نفوسها في العبادة(١)، أو تصف أجنحتها في الهواء، تنتظر ما تؤمر به.
٢ ﴿ فالزاجرات زجراً ﴾ الملائكة تزجر السحاب، تسوقه.
٣ ﴿ فالتاليات ﴾ أي جماعة قراء القرآن يتلونه ﴿ ذكراً ﴾ مصدر من معنى التاليات(٢).
٤ ﴿ إن إلهكم ﴾ يا أهل مكة ﴿ لواحد ﴾.
٥ ﴿ رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق ﴾ أي والمغارب للشمس، لها كل يوم مشرق ومغرب.
٦ ﴿ إنا زينا السماء الدنيا بزينةِ الكواكب ﴾ بضوئها أو بها، والإضافة للبيان(٣)، كقراءة تنوين«زينة» المبينة بالكواكب.

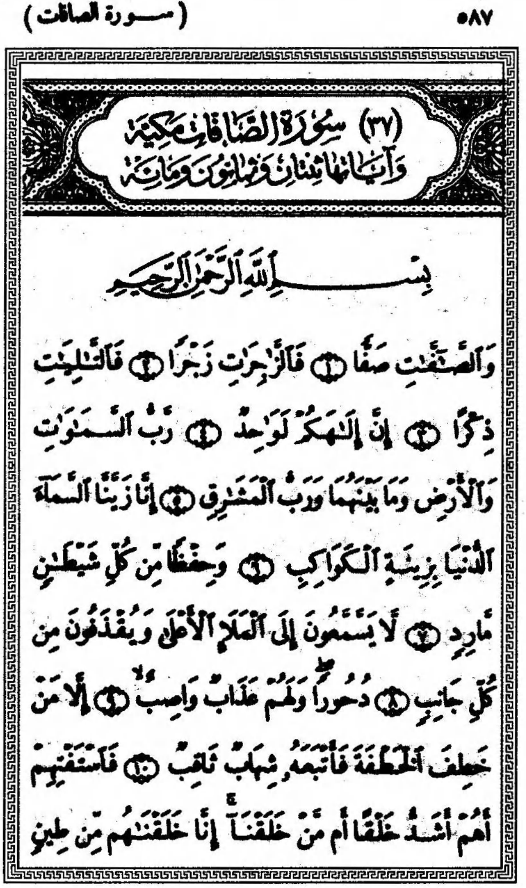

٥٨٧ (ســـورة الصافات)

(٣٧) سُورَةُ الصَّافَّاتِ مَكِّيَّة
وَآيَاتُهَا ثِنْتَانِ وَثَمَانُونَ وَمِائَة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا ﴿١﴾ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا ﴿٢﴾ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ
ذِكۡرًا ﴿٣﴾ إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ ﴿٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَرَبُّ ٱلۡمَشَٰرِقِ ﴿٥﴾ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ
ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفۡظٗا مِّن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ
مَّارِدٖ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰ وَيُقۡذَفُونَ مِن
كُلِّ جَانِبٖ ﴿٨﴾ دُحُورٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنۡ
خَطِفَ ٱلۡخَطۡفَةَ فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ ثَاقِبٞ ﴿١٠﴾ فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ
أَهُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَم مَّنۡ خَلَقۡنَآۚ إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّن طِينٖ

٧ ﴿ وحفظاً ﴾ منصوب بفعل مقدر، أي حفظناها بالشهب ﴿من كل﴾متعلق بالمقدر(٤)﴿ شيطان مارد ﴾ عات خارج عن الطاعة.

٨ ﴿لا يسمعون﴾ أي الشياطين، مستأنف(٥)، وسماعهم هو في المعنى المحفوظ عنه(٦) ﴿ إلى الملأ الأعلى ﴾ الملائكة في السماء، وعدي السماع بإلى لتضمنه معنى الإصغاء، وفي قراءة بتشديد الميم والسين، أصله يتسمعون، أدغمت التاء في السين ﴿ ويقذفون ﴾ الشياطين بالشهب ﴿ من كل جانب ﴾ من آفاق السماء(٧).

٩ ﴿ دحوراً ﴾ مصدر دحره، أي طرده وأبعده، وهو مفعول له ﴿ ولهم ﴾ في الآخرة ﴿ عذاب واصب ﴾ دائم.

١٠ ﴿ إلا من خطف الخطفة ﴾ مصدر، أي المرة، والاستثناء من ضمير يسمعون، أي لا يسمع إلا الشيطان الذي سمع الكلمة من الملائكة فأخذها بسرعة ﴿ فأتبعه شهاب ﴾ كوكب مضيء ﴿ ثاقب ﴾ يثقبه، أو يحرقه، أو يخبله(٨).

١١ ﴿ فاستفتهم ﴾ استخبر كفار مكة، تقريراً أو توبيخاً ﴿ أهم أشد خلقاً أم من خلقنا ﴾ من الملائكة والسماوات والأرضين وما فيهما، وفي الإتيان بمن تغليب العقلاء ﴿ إنا خلقناهم ﴾ أي أصلهم آدم عليه السلام ﴿ من طين

---

(١) أخرج مسلم وأبو داود واللفظ له: عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربهم) قلنا: وكيف تصف الملائكة عند ربهم؟ قال: (يتمون الصفوف المقدمة، ويتراصون في الصف). [مسلم: الصلاة، باب: الأمر بالسكون في الصلاة..، رقم: ٤٣٠. أبو داود: الصلاة، باب: تسوية الصفوف، رقم: ٦٦١].

(٢) أي إن معنى التاليات الذاكرات.

(٣) هذا على قراءة إضافة زينة إلى الكواكب، فتكون الإضافة للبيان، أي زينة هي الكواكب.

(٤) أي بحفظناها.

(٥) أي كلام مستأنف لبيان حالهم بعد حفظ السماء منهم، مع التنبيه على كيفية هذا الحفظ وما يحتربهم من العذاب في أثناء ذلك.

(٦) أي إن سماع الشياطين هو الذي حفظت السماء عنه، والمعنى: حفظنا السماء من سماع كل شيطان..

(٧) نواحيها وجهاتها.

(٨) من الخبل - بسكون الباء وفتحها - وهو الجنون والبله، ويطلق على فساد الأعضاء.

لازب ﴾ لازم يلصق باليد، المعنى: أن خلقهم ضعيف، فلا يتكبروا بإنكار النبي ﷺ أو القرآن المؤدي إلى إهلاكهم اليسير.

١٢ ﴿ بل ﴾ للانتقال من غرض إلى آخر، وهو الإخبار بحاله وبحالهم ﴿ عجبت ﴾ بفتح التاء، خطاباً للنبي ﷺ، أي من تكذيبهم إياك ﴿ و ﴾ هم ﴿ يسخرون ﴾ من تعجبك.

١٣ ﴿ وإذا ذكروا ﴾ وعظوا بالقرآن ﴿ لا يذكرون ﴾ لا يتعظون.

١٤ ﴿ وإذا رأوا آية ﴾ كانشقاق القمر ﴿ يستسخرون ﴾ يستهزئون بها.

١٥ ﴿ وقالوا ﴾ فيها ﴿ إن ﴾ ما ﴿ هذا إلا سحر مبين ﴾ بين. وقالوا منكرين للبعث:

١٦ ﴿ ءإذا متنا وكنا تراباً وعظاماً ءإنا لمبعوثون ﴾ في الهمزتين في الموضعين: التحقيق، وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين.

١٧ ﴿ أو آباؤنا الأولون ﴾ بسكون الواو عطفاً بأو، وبفتحها والهمزة للاستفهام والعطف بالواو، والمعطوف عليه محل إن واسمها، أو الضمير في «لمبعوثون» والفاصل همزة الاستفهام(١).

١٨ ﴿ قل نعم ﴾ تبعثون ﴿ وأنتم داخرون ﴾ صاغرون.

١٩ ﴿ فإنما هي ﴾ ضمير مبهم يفسره ﴿ زجرة ﴾ صيحة ﴿ واحدة فإذا هم ﴾ الخلائق، أحياء ﴿ ينظرون ﴾ ما يفعل بهم.

٢٠ ﴿ وقالوا ﴾ الكفار ﴿ يا ﴾ للتنبيه ﴿ ويلنا ﴾ هلاكنا، وهو مصدر لا فعل له من لفظه، وتقول لهم الملائكة ﴿ هذا يوم الدين ﴾ يوم الحساب والجزاء.

٢١ ﴿ هذا يوم الفصل ﴾ بين الخلائق ﴿ الذي كنتم به تكذبون ﴾. ويقال للملائكة عليهم الصلاة والسلام:

٢٢ ﴿ احشروا الذين ظلموا ﴾ أنفسهم بالشرك ﴿ وأزواجهم ﴾ قرناءهم من الشياطين(٢) ﴿ وما كانوا يعبدون ﴾.

٢٣ ﴿ من دون الله ﴾ غيره من الأوثان ﴿ فاهدوهم ﴾ دلوهم وسوقوهم ﴿ إلى صراط الجحيم ﴾ طريق النار.

٢٤ ﴿ وقفوهم ﴾ احبسوهم عند الصراط ﴿ إنهم مسؤولون ﴾ عن جميع أقوالهم وأفعالهم(٣). ويقال لهم توبيخاً:

٢٥ ﴿ مالكم لا تناصرون ﴾ لا ينصر بعضكم بعضاً كحالكم في الدنيا. ويقال عنهم:

٢٦ ﴿ بل هم اليوم مستسلمون ﴾ منقادون أذلاء.

٢٧ ﴿ وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ﴾ يتلاومون ويتخاصمون.

٢٨ ﴿ قالوا ﴾ أي الأتباع منهم للمتبوعين ﴿ إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين ﴾ عن الجهة التي كنا نأمنكم منها، لحلفكم أنكم على الحق، فصدقناكم واتبعناكم. المعنى: إنكم أضللتمونا. ٢٩ ﴿ قالوا ﴾ المتبوعون لهم ﴿ بل لم

لَازِبٍ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا۟
لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا۟ ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوٓا۟
إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا
أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ
وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ
يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا
يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ * ٱحْشُرُوا۟
ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ
ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم
مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ
مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾
قَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ بَل لَّمْ

---

(١) أي إذا كان العطف على الضمير في ﴿لمبعوثون﴾ وهو ضمير مستكن - وتقديره: لمبعوثون نحن - فيحتاج إلى فاصل ليصح العطف عليه، فالهمزة هي الفاصل.

(٢) وذكر ابن كثير أقوالاً فيها، منها: ما رواه شريك، عن سماك، عن النعمان، عن عمر رضي الله عنه قال: أشباههم، قال: يجيء صاحب الربا مع أصحاب الربا، وصاحب الزنا مع أصحاب الزنا، وصاحب الخمر مع أصحاب الخمر.

(٣) أخرج الترمذي عن أبي برزة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن علمه ماذا عمل به، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن جسمه فيما أبلاه) وفي رواية (عن شبابه فيما أبلاه) [أبواب صفة القيامة، باب: في القيامة - في شأن الحساب والقصاص - رقم: ٢٤١٩].
عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أيما داع دعا إلى شيء كان موقوفاً معه إلى يوم القيامة، لا يغادره ولا يفارقه، وإن دعا رجل رجلاً» ثم قرأ: ﴿وقفوهم إنهم مسؤولون﴾. [الترمذي: التفسير، باب: تفسير سورة

تكونوا مؤمنين ﴾ وإنما يصدق الإضلال منا أن لو كنتم مؤمنين فرجعتم عن الإيمان إلينا.
٣٠ ﴿ وما كان لنا عليكم من سلطان ﴾ قوة وقدرة تقهركم على متابعتنا ﴿ بل كنتم قوماً طاغين ﴾ ضالين مثلنا.
٣١ ﴿ فحق ﴾ وجب ﴿ علينا ﴾ جميعاً ﴿ قول ربنا ﴾ بالعذاب، أي قوله عز وجل: «لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين»/ هود: ١١٩/ و/ السجدة: ١٣/ ﴿ إنا ﴾ جميعاً ﴿ لذائقون ﴾ العذاب بذلك القول. ونشأ عنه قولهم:
٣٢ ﴿ فأغويناكم ﴾ المعلل بقولهم: ﴿ إنا كنا غاوين ﴾[١].
٣٣ قال تعالى: ﴿ فإنهم يومئذٍ ﴾ يوم القيامة ﴿ في العذاب مشتركون ﴾ لاشتراكهم في الغواية.
٣٤ ﴿ إنا كذلك ﴾ كما نفعل بهؤلاء ﴿ نفعل بالمجرمين ﴾ غير هؤلاء، أي نعذبهم، التابع منهم والمتبوع.
٣٥ ﴿ إنهم ﴾ أي هؤلاء، بقرينة ما بعده ﴿ كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون ﴾.
٣٦ ﴿ ويقولون ءإنا﴾ في همزتيه ما تقدم[٢] ﴿ لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون ﴾ أي لأجل قول محمد ﷺ. قال تعالى:
٣٧ ﴿ بل جاء بالحق وصدق المرسلين ﴾ الجائين به، وهو: أن لا إله إلا الله[٣].
٣٨ ﴿ إنكم ﴾ فيه التفات[٤] ﴿ لذائقوا العذاب الأليم ﴾.
٣٩ ﴿ وما تجزون إلا ﴾ جزاء ﴿ ما كنتم تعملون ﴾.
٤٠ ﴿ إلا عباد الله المخلصين ﴾ المؤمنين، استثناء منقطع[٥]، أي ذكر جزاؤهم في قوله:
٤١ ﴿ أولئك لهم ﴾ في الجنة ﴿ رزق معلوم ﴾ بكرة وعشياً.
٤٢ ﴿ فواكه ﴾ بدل، أو بيان للرزق، وهو ما يؤكل تلذذاً لا لحفظ صحة، لأن أهل الجنة مستغنون عن حفظها بخلق أجسامهم للأبد ﴿ وهم مكرمون ﴾ بثواب الله سبحانه وتعالى. ٤٣ ﴿ في جنات النعيم ﴾.
٤٤ ﴿ على سرر متقابلين ﴾ لا يرى بعضهم قفا بعض.
٤٥ ﴿ يطاف عليهم ﴾ على كل منهم ﴿ بكأس ﴾ هو الإناء بشرابه ﴿ من معين ﴾ من خمر يجري على وجه الأرض كأنهار الماء[٦].
٤٦ ﴿ بيضاء ﴾ أشد بياضاً من اللبن ﴿ لذة ﴾ لذيذة ﴿ للشاربين ﴾ وهذا بخلاف خمر الدنيا، فإنها كريهة عند الشرب[٧]. ٤٧ ﴿ لا فيها غول ﴾ ما يغتال عقولهم

تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ
بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ إِنَّا
لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ
يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ
بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوٓا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ
يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ
مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾
إِنَّكُمْ لَذَآئِقُوا ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ
رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِى جَنَّٰتِ
ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ
مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ

الصافات].

[١] أي نشأ عن قولهم ﴿فحق علينا قول ربنا﴾ أن قالوا ﴿فأغويناكم﴾ أي لما ثبت علينا قضاء هذا الوعيد صرنا من الأشقياء، فدعوناكم إلى الغي والضلال دعوة لا قهر فيها ولا إجبار، فاستجبتم لنا باختياركم الضلال على الهدى والغي على الرشد، ولا عتب علينا في دعوتكم لذلك، لأنا كنا غاوين، فتعرضنا لكم بالإغواء لتكونوا أمثالنا.

[٢] في الآية/ ١٦/.

[٣] أي إنما أتى بما أتى به المرسلون قبله من التوحيد ونفي الشرك.

[٤] عن الغيبة فيما سبق إلى الخطاب هنا، ليكون أبلغ في النكير عليهم والتقبيح لهم حين يخاطبوّن بما سيلقون من العذاب.

[٥] وهو ما يكون المستثنى فيه من غير جنس المستثنى منه، فعباد الله المخلصون هم المستثنى، وهم من غير جنس المستثنى منه وهم ذائقوا العذاب الأليم.

[٦] معين: أي ظاهر للعيون، أو خارج عن العيون، من عان الماء إذا نبع.

[٧] قال ابن كثير في تفسير الآية: وقال الضحاك، عن ابن عباس: في الخمر أربع خصال: السكر، والصداع، والقيء، والبول. فذكر الله خمر الجنة فنزهها عن هذه الخصال.

عن جابر رضي الله عنه: أن رجلاً قدم من جيشان ـ وجيشان من اليمن ـ فسأل النبي ﷺ عن شراب يشربونه بأرضهم من الذرة، يقال له: المِزْر؟ فقال النبي ﷺ: «أومسكر هو». قال: نعم. قال رسول الله ﷺ: «كل مسكر حرام، إن على الله عز وجل عهداً لمن يشرب المسكر: أن يسقيه من طينة الخبال». قالوا: يا رسول الله، وما طينة الخبال؟ قال: «عرق أهل النار» أو: «عصارة أهل النار». [مسلم: الأشربة، باب: بيان أن كل مسكر خمر وأن كل خمر حرام، رقم: ٢٠٠٢].

﴿ ولا هم عنها يُنْزَفُون ﴾ بفتح الزاي وكسرها، من نزف الشارب وأنزف، أي يسكرون، وهذا بخلاف خمر الدنيا.

٤٨ ﴿ وعندهم قاصرات الطرف ﴾ حابسات الأعين على أزواجهن، لا ينظرن إلى غيرهم لحسنهم عندهن ﴿ عين ﴾ ضخام الأعين حسانها.

٤٩ ﴿ كأنهن ﴾ في اللون الأبيض ﴿ بيض ﴾ للنعام ﴿ مكنون ﴾ مستور بريشه لا يصل إليه غبار، ولونه ـ وهو البياض في صفرة ـ أحسن ألوان النساء.

٥٠ ﴿ فأقبل بعضهم ﴾ بعض أهل الجنة ﴿ على بعض يتساءلون ﴾ عما مر بهم في الدنيا.

٥١ ﴿ قال قائل منهم إني كان لي قرين ﴾ صاحب ينكر البعث.

٥٢ ﴿ يقول ﴾ لي تبكيتاً(١) ﴿ءإنك لمن المصدقين ﴾ بالبعث.

٥٣ ﴿ أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً ءإنا﴾ في الهمزتين في الثلاثة مواضع ما تقدم(٢) ﴿ لمدينون ﴾ مجزيون ومحاسبون؟ أنكر ذلك أيضاً(٣).

٥٤ ﴿ قال ﴾ ذلك القائل لإخوانه ﴿ هل أنتم مطلعون ﴾ معي إلى النار لننظر حاله؟ فيقولون: لا.

٥٥ ﴿ فاطلع ﴾ ذلك القائل من بعض كوى الجنة(٤) ﴿ فرآه ﴾ أي رأى قرينه ﴿ في سواء الجحيم ﴾ في وسط النار.

٥٦ ﴿ قال ﴾ له شماتة(٥) ﴿ تالله إن ﴾ إن مخففة من الثقيلة ﴿ كدت ﴾ قاربت ﴿ لتردين ﴾ لتهلكني بإغوائك.

٥٧ ﴿ ولولا نعمة ربي ﴾ أي إنعامه عليَّ بالإيمان ﴿ لكنت من المحضرين ﴾ معك في النار.

٥٨ وتقول أهل الجنة: ﴿ أفما نحن بميتين ﴾.

٥٩ ﴿ إلا موتتنا الأولى ﴾ التي في الدنيا ﴿ وما نحن بمعذبين ﴾ هو استفهام تلذذ وتحدث بنعمة الله تعالى من تأبيد الحياة وعدم التعذيب.

٦٠ ﴿ إن هذا ﴾ الذي ذكر لأهل الجنة ﴿ لهو الفوز العظيم ﴾.

٦١ ﴿ لمثل هذا فليعمل العاملون ﴾(٦) قيل: يقال لهم ذلك، وقيل: هم يقولونه.

٦٢ ﴿ أذلك ﴾ المذكور لهم ﴿ خير نزلاً ﴾ وهو ما يعد للنازل من ضيف وغيره ﴿ أم شجرة الزقوم ﴾ المعدة لأهل النار؟ وهي من أخبث الشجر المر بتهامة، ينبتها الله في الجحيم كما سيأتي.

٦٣ ﴿ إنا جعلناها ﴾ بذلك ﴿ فتنة للظالمين ﴾(٧) الكافرين من أهل مكة إذ قالوا: النار تحرق الشجر، فكيف تنبته؟

وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ (٤٧) وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ
عِينٌ (٤٨) كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ (٤٩) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ
بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ (٥٠) قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى
قَرِينٌ (٥١) يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ (٥٢) أَءِذَا مِتْنَا
وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ (٥٣) قَالَ هَلْ أَنتُم
مُّطَّلِعُونَ (٥٤) فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ (٥٥) قَالَ
تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ (٥٦) وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ
مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ (٥٧) أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ (٥٨) إِلَّا مَوْتَتَنَا
ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (٥٩) إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ
ٱلْعَظِيمُ (٦٠) لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ (٦١) أَذَٰلِكَ
خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ (٦٢) إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً
لِّلظَّٰلِمِينَ (٦٣) إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ (٦٤)

٦٤ ﴿ إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم ﴾ أي قعر جهنم وأغصانها ترتفع إلى دركاتها(٨).

---

(١) توبيخاً لي على إيماني باليوم الآخر وعدم إنكاري للبعث.

(٢) في الآية/ ١٦/.

(٣) أي أنكر الجزاء والحساب كما أنكر البعث. (٤) جمع كوة ـ بفتح الكاف وضمها ـ وهي النافذة والثقب في الجدار.

(٥) أي فرحاً وسروراً بمصيبته. (٦) فليجتهد المجتهدون في الأعمال الصالحة لتحصيل مثل هذا النعيم الذي فيه: ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

(٧) امتحاناً لهم واختباراً، هل يصدقون أم لا؟.

(٨) الدركات ما كان إلى أسفل، والدرجات ما كان إلى أعلى. عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية: ﴿اتقوا الله حق تُقاته ولا تموتُنَّ إلا وأنتم مسلمون﴾ [آل عمران: ١٠٢]. قال رسول الله ﷺ: (لو أن قطرة من الزَّقوم قُطرت في دار الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم، فكيف بمن يكون طعامه). قال الترمذي [في سننه: صفة جهنم، باب: ما جاء في صفة شراب أهل النار، رقم: ٢٥٨٨]: هذا حديث حسن صحيح.

سبب نزول الآية [٦٤]: أخرج ابن جرير عن قتادة قال: قال أبو جهل: زعم صاحبكم هذا أن في النار شجرة، والنار تأكل الشجر، وإنّا والله ما

٦٥ ﴿ طلعها ﴾ المشبه بطلع النخل(١) ﴿ كأنه رؤوس الشياطين ﴾ الحيات القبيحة المنظر(٢).

٦٦ ﴿ فإنهم ﴾ الكفار ﴿ لآكلون منها ﴾ من قبحها لشدة جوعهم ﴿ فمالئون منها البطون ﴾.

٦٧ ﴿ ثم إن لهم عليها لشوباً من حميم ﴾ ماء حار يشربونه، فيختلط بالمأكول منها، فيصير شوباً له(٣).

٦٨ ﴿ ثم إن مرجعهم لإلى الجحيم ﴾ يفيد أنهم يخرجون منها لشراب الحميم، وأنه خارجها.

٦٩ ﴿ إنهم ألفوا ﴾ وجدوا ﴿ آباءهم ضالين ﴾.

٧٠ ﴿ فهم على آثارهم يهرعون ﴾ يزعجون إلى اتباعهم، فيسرعون إليه.

٧١ ﴿ ولقد ضل قبلهم أكثر الأولين ﴾ من الأمم الماضية.

٧٢ ﴿ ولقد أرسلنا فيهم منذرين﴾ من الرسل، مخوفين.

٧٣ ﴿ فانظر كيف كان عاقبة المنذرين ﴾ الكافرين، أي عاقبتهم العذاب.

٧٤ ﴿ إلا عباد الله المخلصين ﴾ المؤمنين، فإنهم نجوا من العذاب لإخلاصهم في العبادة، أو لأن الله أخلصهم لها، على قراءة فتح اللام.

٧٥ ﴿ ولقد نادانا نوح ﴾ بقوله: رب إني مغلوب فانتصر(٤) ﴿ فلنعم المجيبون ﴾ له نحن، إذ دعانا على قومه فأهلكناهم بالغرق.

٧٦ ﴿ ونجيناه وأهله من الكرب العظيم ﴾ أي الغرق.

٧٧ ﴿ وجعلنا ذريته هم الباقين ﴾ فالناس كلهم من نسله عليه السلام، وكان له ثلاثة أولاد: سام وهو أبو العرب وفارس والروم، وحام وهو أبو السودان، ويافث أبو الترك والخزر ويأجوج ومأجوج وما هنالك(٥).

٧٨ ﴿ وتركنا ﴾ أبقينا ﴿ عليه ﴾ ثناءً حسناً ﴿ في الآخرين ﴾ من الأنبياء عليهم السلام والأمم إلى يوم القيامة.

٧٩ ﴿ سلام ﴾ منا ﴿ على نوح في العالمين ﴾.

٨٠ ﴿ إنا كذلك ﴾ كما جزيناه ﴿ نجزي المحسنين ﴾.

٨١ ﴿ إنه من عبادنا المؤمنين ﴾.

٨٢ ﴿ ثم أغرقنا الآخرين ﴾ كفار قومه ومن تبعهم.

طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا
فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ
حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ
أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ
يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ
ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾ وَلَقَدْ
نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ
ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾
وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى
ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ
مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٨٢﴾

---

(١) الطلع في الأصل اسم لثمر النخل أول بروزه، فتسمية ثمرتها طلعاً تهكم بهم.

(٢) وتفسير الشياطين بهذا أحد الأقوال، وفي قول: المراد الشياطين حقيقة، ولعله أصح وأقوى.

(٣) أي خلطاً له ومزاجاً معه. عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (إن الحميم لَيُصب على رؤوسهم، فينفذ الحميم حتى يَخلُص إلى جوفه، فيسلُتُ ما في جوفه حتى يمْرُق من قدميْه، وهو الصَّهر، ثم يعاد لما كان) [أخرجه الترمذي في أبواب صفة جهنم، باب: ما جاء في صفة شراب أهل النار، رقم: ٢٥٨٥، وقال: هذا حديث حسن صحيح] يسلت: يذوي.

(٤) قال ابن كثير في تفسيره: لما ذكر تعالى عن أكثر الأولين أنهم ضلوا عن سبيل النجاة، شرع يبين ذلك مفصلاً، فذكر نوحاً عليه السلام وما لقي من قومه من التكذيب، وأنه لم يؤمن منهم إلا القليل مع طول المدة، لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، فلما طال عليه ذلك واشتد عليه تكذيبهم، وكلما دعاهم ازدادوا نفرة: ﴿فدعا ربه أني مغلوب فانتصر﴾ [القمر: ١٠] فغضب الله لغضبه عليهم، ولهذا قال: ﴿ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون﴾ أي: فلنعم المجيبون له ﴿ونجيناه وأهله من الكرب العظيم﴾ وهو التكذيب والأذى.

(٥) أي عند يأجوج ومأجوج، والله تعالى أعلم. أخرج الترمذي وقال حديث حسن غريب: عن سمرة بن جندب رضي الله عنه، عن النبي ﷺ في قول الله عزّ وجلّ ﴿وجعلنا ذريته هم الباقين﴾ قال: (هم سام وحام ويافث). وفي رواية (سام أبو العرب، وحام أبو الحبش، ويافث أبو الروم). [تفسير القرآن، باب: ومن سورة الصافات، رقم: ٣٢٢٨، ٣٢٢٩].

نعلم الزقوم إلا التمر والزبد، فأنزل الله حين عجبوا أن يكون في النار شجرة: ﴿إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم﴾ الآية. وأخرج نحوه عن السدّي. [السيوطي].

٨٣ ﴿ وإن من شيعته ﴾ ممن تابعه في أصل الدين ﴿ لإبراهيم ﴾ عليه السلام ، وإن طال الزمان بينهما ، وهو ألفان وستمائة وأربعون سنة، وكان بينهما هود وصالح(١) عليهما السلام.

٨٤ ﴿ إذ جاء ربه ﴾ أي تابعه(٢) وقت مجيئه ﴿ بقلب سليم ﴾ من الشك والشرك وغيره.

٨٥ ﴿ إذ قال ﴾ في هذه الحالة المستمرة له ﴿ لأبيه وقومه ﴾ موبخاً ﴿ ماذا ﴾ ما الذي ﴿ تعبدون ﴾.

٨٦ ﴿ أئفكاً ﴾ في همزتيه ما تقدم(٣) ﴿ آلهة دون الله تريدون ﴾ وإفكاً مفعول له، وآلهة مفعول به لتريدون، والإفك أسوأ الكذب، أي أتعبدون غير الله(٤) عز وجل.

٨٧ ﴿ فما ظنكم برب العالمين ﴾ إذ عبدتم غيره أنه يترككم بلا عقاب؟ لا. وكانوا نجامين، فخرجوا إلى عيد لهم وتركوا طعامهم عند أصنامهم، زعموا التبرك عليه(٥)، فإذا رجعوا أكلوه، وقالوا لسيدنا إبراهيم: اخرج معنا.

٨٨ ﴿ فنظر نظرة في النجوم ﴾ إيهاماً لهم أنه يعتمد عليها(٦) ليعتمدوه(٧).

٨٩ ﴿ فقال إني سقيم ﴾ عليل، أي سأسقم.

* وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ
سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾
أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ
ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى
سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ
فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ
عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ
أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾
قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ
كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ
رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾
فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ

٩٠ ﴿ فتولوا عنه ﴾ إلى عيدهم ﴿ مدبرين ﴾.

٩١ ﴿ فراغ ﴾ مال في خفية ﴿ إلى آلهتهم ﴾ وهي الأصنام وعندها الطعام ﴿ فقال ﴾ استهزاءً ﴿ ألا تأكلون ﴾ فلم ينطقوا. فقال:

٩٢ :﴿ مالكم لا تنطقون ﴾ فلم يجب.

٩٣ ﴿ فراغ عليهم ضرباً باليمين ﴾ بالقوة(٨)، فكسرها، فبلغ قومه ممن رآه.

٩٤ ﴿ فأقبلوا إليه يزفون ﴾ أي يسرعون المشي، فقالوا: نحن نعبدها وأنت تكسرها.

٩٥ ﴿ قال ﴾ لهم موبخاً ﴿ أتعبدون ما تنحتون ﴾ من الحجارة وغيرها أصناماً.

٩٦ ﴿ والله خلقكم وما تعملون ﴾ من نحتكم ومنحوتكم، فاعبدوه وحده. وما مصدرية ،وقيل: موصولة، وقيل: موصوفة(٩).

٩٧ ﴿ قالوا ﴾ بينهم ﴿ ابنوا له بنياناً ﴾ فاملؤوه حطباً وأضرموه بالنار(١٠)، فإذا التهب ﴿ فألقوه في الجحيم ﴾ النار الشديدة.

٩٨ ﴿ فأرادوا به كيداً ﴾ بإلقائه في النار لتهلكه ﴿ فجعلناهم الأسفلين ﴾ المقهورين، فخرج من النار سالماً.

٩٩ ﴿ وقال إني ذاهب إلى ربي ﴾ مهاجر إليه من دار الكفر ﴿ سيهدين ﴾ إلى حيث أمرني ربي بالمصير إليه، وهو الشام، فلما وصل إلى الأرض المقدسة بارك فيها

١٠٠ وقال: ﴿ رب هب لي ﴾ ولداً ﴿ من الصالحين ﴾.

١٠١ ﴿ فبشرناه بغلام حليم ﴾ أي ذي حلم كثير.

١٠٢ ﴿ فلما بلغ معه السعي ﴾ أي أن يسعى معه ويعينه، قيل: بلغ سبع سنين، وقيل: ثلاث عشرة سنة ﴿ قال

---

(١) يدل على ذلك سياق الآيات التي تتكلم عن الأنبياء في سور القرآن.

(٢) أي تابع نوحاً عليه السلام بإقباله على ربه وتوجهه إليه.

(٣) في الآية/ ١٦/. (٤) من أجل أن تفتروا وتكذبوا.

(٥) أي أنه تتنزل عليه البركة منها.

(٦) أي أوهمهم أنه استدل منها على أنه سيسقم.

(٧) ليصدقوا قوله ويعذروه بسبب ذلك فيتركوه، ليتسنى له أن ينفذ ما عزم عليه مما سيأتي ذكره.

(٨) فسر اليمين بالقوة وهي القدرة على الشيء، وهي من معاني اليمين في اللغة.

(٩) مصدرية: أي تؤول ما بعدها بمصدر، والمعنى: خلقكم وخلق عملكم. موصولة: بمعنى الذي، أي خلقكم وخلق الذي تعملونه. موصوفة: أي نكرة بمعنى شيئاً، أي وخلق خلقاً هو عملكم. (١٠) أوقدوا فيه النار.

يا بني إني أرى ﴾ أي رأيت ﴿ في المنام أني أذبحك ﴾ ورؤيا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام حق وأفعالهم بأمر الله تعالى ﴿ فانظر ماذا ترى ﴾ من الرأي، شاوره ليأنس بالذبح وينقاد للأمر به ﴿ قال يا أبت ﴾ التاء عوض عن ياء الإضافة ﴿ افعل ما تؤمر ﴾ به ﴿ ستجدني إن شاء الله من الصابرين ﴾ على ذلك.

١٠٣ ﴿ فلما أسلما ﴾ خضعا وانقادا لأمر الله تعالى ﴿ وتله للجبين ﴾ صرعه عليه⁽١⁾، ولكل إنسان جبينان بينهما الجبهة، وكان ذلك بمنى، وأمرّ السكين على حلقه فلم تعمل شيئاً، بمانع من القدرة الإلهية.

١٠٤ ﴿ وناديناه أن يا إبراهيم ﴾.

١٠٥ ﴿ قد صدقت الرؤيا ﴾ بما أتيت به مما أمكنك من أمر الذبح، أي يكفيك ذلك، فجملة «ناديناه» جواب «لما» بزيادة الواو ﴿ إنا كذلك ﴾ كما جزيناك ﴿ نجزي المحسنين ﴾ لأنفسهم بامتثال الأمر بإفراج الشدة عنهم.

١٠٦ ﴿ إن هذا ﴾ الذبح المأمور به ﴿ لهو البلاء المبين ﴾ الاختبار الظاهر.

١٠٧ ﴿ وفديناه ﴾ أي المأمور بذبحه وهو إسماعيل أو إسحاق، صلوات الله عليهما، قولان ﴿ بذبح ﴾ بكبش ﴿ عظيم ﴾ من الجنة، وهو الذي قربه هابيل⁽٢⁾، جاء به جبريل عليه السلام، فذبحه السيد إبراهيم الخليل عليه السلام مكبراً.

١٠٨ ﴿ وتركنا ﴾ أبقينا ﴿ عليه في الآخرين ﴾ ثناءً حسناً.

١٠٩ ﴿ سلام ﴾ منا ﴿ على إبراهيم ﴾.

١١٠ ﴿ كذلك ﴾ كما جزيناه ﴿ نجزي المحسنين ﴾ لأنفسهم.

١١١ ﴿ إنه من عبادنا المؤمنين ﴾.

١١٢ ﴿ وبشرناه بإسحاق ﴾ استدل بذلك على أن الذبيح غيره ﴿ نبياً ﴾ حال مقدرة، أي يوجد مقدراً نبوته ﴿ من الصالحين ﴾.

١١٣ ﴿ وباركنا عليه ﴾ بتكثير ذريته ﴿ وعلى إسحاق ﴾ ولده، بجعلنا أكثر الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم من ذريته ونسله ﴿ ومن ذريتهما محسن ﴾ مؤمن ﴿ وظالم لنفسه ﴾ كافر ﴿ مبين ﴾ بين الكفر.

١١٤ ﴿ ولقد مننا على موسى وهارون ﴾ بالنبوة.

١١٥ ﴿ ونجيناهما وقومهما ﴾ بني إسرائيل ﴿ من الكرب العظيم ﴾ أي استعباد فرعون إياهم.

١١٦ ﴿ ونصرناهم ﴾ على القبط ﴿ فكانوا هم الغالبين ﴾.

١١٧ ﴿ وآتيناهما

يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ
قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ
ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيۡنَٰهُ
أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي
ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٠٦﴾
وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١٠٨﴾
سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١١٠﴾
إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ نَبِيّٗا مِّنَ
ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا
مُحۡسِنٞ وَظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ مُبِينٞ ﴿١١٣﴾ وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ
وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيۡنَٰهُمَا وَقَوۡمَهُمَا مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿١١٥﴾
وَنَصَرۡنَٰهُمۡ فَكَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيۡنَٰهُمَا

---

(١) أي أضجعه عليه على الأرض، وقيل: أضجعه على شقه فوق التل الذي هو المكان المرتفع.

(٢) انظر/ المائدة: ٢٧/. عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿وفديناه بذبح عظيم﴾ قال: خرج عليه كبش من الجنة، قد رعى قبل ذلك أربعين خريفاً، فأرسل إبراهيم ابنه واتبع الكبش، فأخرجه إلى الجمرة الأولى، فرماه بسبع حصيات، فأفلته عندها. فجاء الجمرةَ الوسطى فأخرجه عندها، فرماه بسبع حصيات ثم أفلته، فأدركه عند الجمرة الكبرى، فرماه بسبع حصيات، فأخرجه عندها، ثم أخذه، فأتى به المنحر من منى فذبحه، فوالذي نفس ابن عباس بيده لقد كان أول الإسلام، وإن رأس الكبش لمعلق بقرنيه في ميزاب الكعبة قد حَشّ. يعني: يبس. [ذكره ابن كثير عن محمد بن إسحاق، كما أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره].

وعن أبي الطفيل قال: قلت لابن عباس: يزعم قومك أن رسول الله ﷺ رمل بالبيت وأن ذلك سنة. فقال: صدقوا، وكذبوا. قلت: ماصدقوا وكذبوا؟ قال: صدقوا: رمل رسول الله ﷺ بالبيت، وكذبوا: ليس بسنة. إن قريشاً قالت زمن الحديبية: دعوا محمداً وأصحابه حتى يموتوا موت النغف. فلما صالحوه على أن يقدموا من العام المقبل ويقيموا بمكة ثلاثة أيام، فقدم رسول الله ﷺ، والمشركون من قبل قعيقعان، فقال رسول الله لأصحابه: (ارملوا بالبيت ثلاثاً). وليس بسنة. فقلت: ويزعم قومك أنه طاف بين الصفا والمروة على بعير، وأن ذلك سنة؟ فقال: صدقوا وكذبوا. فقلت: وما صدقوا وكذبوا؟ فقال صدقوا، قد طاف بين=

الكتاب المستبين ﴾ البليغ البيان فيما أتى به من الحدود والأحكام وغيرها(١)، وهو التوراة.

١١٨ ﴿ وهديناهما الصراط ﴾ الطريق ﴿ المستقيم ﴾.

١١٩ ﴿ وتركنا ﴾ أبقينا ﴿ عليهما في الآخرين ﴾ ثناءً حسناً.

١٢٠ ﴿ سلام ﴾ منا ﴿ على موسى وهارون ﴾.

١٢١ ﴿ إنا كذلك ﴾ كما جزيناهما ﴿ نجزي المحسنين ﴾.

١٢٢ ﴿ إنهما من عبادنا المؤمنين ﴾.

١٢٣ ﴿ وإن إلياس ﴾ بالهمز أوله، وتركه(٢) ﴿ لمن المرسلين ﴾ قيل: هو ابن أخي هارون أخي موسى، عليه الصلاة والسلام، وقيل غيره، أرسل إلى قوم ببعلبك(٣) ونواحيها.

١٢٤ ﴿ إذ ﴾ منصوب باذكر مقدراً ﴿ قال لقومه ألا تتقون ﴾ الله.

١٢٥ ﴿ أتدعون بعلاً ﴾ اسم صنم لهم من ذهب، وبه سمي البلد أيضاً مضافاً إلى بك، أي أتعبدونه ﴿ وتذرون ﴾ تتركون ﴿ أحسن الخالقين ﴾ فلا تعبدونه.

١٢٦ ﴿ الله ربكم ورب آبائكم الأولين ﴾ برفع الثلاثة(٤) على إضمار هو، وبنصبها على البدل من «أحسن».

١٢٧ ﴿ فكذبوه فإنهم لمحضرون ﴾ في النار.

١٢٨ ﴿ إلا عباد الله المخلصين ﴾ أي المؤمنين منهم، فإنهم نجوا منها.

١٢٩ ﴿ وتركنا عليه في الآخرين ﴾ ثناءً حسناً.

١٣٠ ﴿ سلام ﴾ منا ﴿ على إل ياسين ﴾ هو إلياس المتقدم ذكره، وقيل: هو ومن آمن معه، فجمعوا معه تغليباً، كقولهم للمهلب وقومه: المهلبون، وعلى قراءة «آل ياسين» بالمد ـ أي أهله ـ المراد به إلياس أيضاً(٥).

١٣١ ﴿ إنا كذلك ﴾ كما جزيناه ﴿ نجزي المحسنين ﴾.

١٣٢ ﴿ إنه من عبادنا المؤمنين ﴾.

١٣٣ ﴿ وإن لوطاً لمن المرسلين ﴾.

١٣٤ واذكر ﴿ إذ نجيناه وأهله أجمعين ﴾.

١٣٥ ﴿ إلا عجوزاً في الغابرين ﴾ أي الباقين في العذاب.

١٣٦ ﴿ ثم دمرنا ﴾ أهلكنا ﴿ الآخرين ﴾ كفار قومه.

ٱلْكِتَـٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَـٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ
ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَـٰمٌ عَلَىٰ
مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾
إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ
ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ
بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ
ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾
إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١٢٩﴾
سَلَـٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى
ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ وَإِنَّ
لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾
إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿١٣٦﴾

---

(١) كالقصص والمواعظ.

(٢) أي ﴿وإنَّ الْياس﴾ وتكون الألف واللام [أل] التعريف، والاسم [ياس].

(٣) بلدة في بلاد الشام، تابعة لجمهورية لبنان حسب التنظيم الحالي.

(٤) أي لفظ ﴿الله﴾ و﴿ربكم﴾ و﴿رب﴾.

(٥) أي والمراد به ما يشمله وقومه المؤمنين به.

=الصفا والمروة على بعير، وكذبوا: ليست بسنة، كان الناس لا يدفعون عن رسول الله ولا يصرفون عنه، فطاف على بعير ليسمعوا كلامه ولا تناله أيديهم. قلت: ويزعم قومك أن رسول الله ﷺ سعى بين الصفا والمروة وأن ذلك سنة؟ قال: صدقوا إن إبراهيم لما أُمِرَ بالمناسك عرض له الشيطان عند السعي فسابقه فسبقه إبراهيم، ثم ذهب به جبريل إلى جمرة العقبة فعرض له شيطان ـ قال يونس: الشيطان ـ فرماه بسبع حصيات حتى ذهب، ثم عرض له عند الجمرة الوسطى، فرماه بسبع حصيات. قال: قد تله للجبين ـ قال يونس: وثَمّ تله للجبين. وعلى إسماعيل قميص أبيض، وقال: يا أبت إنه ليس لي ثوب تكفنني فيه غيره، فاخلعه حتى تكفنني فيه. فعالجه ليخلعه فنودي من خلفه: أن يا إبراهيم، قد صدقت الرؤيا. فالتفت إبراهيم فإذا هو بكبش أبيض أقرن أعين. قال ابن عباس: لقد رأيتنا نبيع هذا الضرب من الكباش. قال: ثم ذهب به جبريل إلى الجمرة القصوى، فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب. ثم ذهب به جبريل إلى منى قال: هذا منى. قال يونس: هذا مناخ الناس. ثم أتى به جمعاً، فقال: هذا المشعر الحرام. ثم ذهب به إلى عرفة، فقال ابن عباس: هل تدري لما=

١٣٧ ﴿ وإنكم لتمرون عليهم ﴾ على آثارهم ومنازلهم في أسفاركم ﴿ مصبحين ﴾ أي وقت الصباح، يعني بالنهار.

١٣٨ ﴿ وبالليل أفلا تعقلون ﴾ يا أهل مكة ما حل بهم فتعتبروا به.

١٣٩ ﴿ وإن يونس لمن المرسلين ﴾.

١٤٠ ﴿ إذ أبق ﴾ هرب ﴿ إلى الفلك المشحون ﴾ السفينة المملوءة، حين غاضب قومه، لما لم ينزل بهم العذاب الذي وعدهم به، فركب السفينة، فوقفت في لجة البحر[1]، فقال الملاحون: هنا عبد أبق من سيده، تظهره القرعة.

١٤١ ﴿ فساهم ﴾ قارع أهل السفينة ﴿ فكان من المدحضين ﴾ المغلوبين بالقرعة، فألقوه في البحر.

١٤٢ ﴿فالتقمه الحوت﴾ ابتلعه ﴿وهو مليم﴾ أي آتٍ بما يلام عليه من ذهابه إلى البحر وركوبه السفينة بلا إذن من ربه[2].

١٤٣ ﴿ فلولا أنه كان من المسبحين ﴾ الذاكرين، بقوله كثيراً في بطن الحوت «لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين»/ الأنبياء: ٨٧/.

١٤٤ ﴿ للبث في بطنه إلى يوم يبعثون ﴾ لصار بطن الحوت قبراً له إلى يوم القيامة.

وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِالَّيْلِ أَفَلَا
تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى
الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾
فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ
الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾
* فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً
مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾
فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴿١٤٨﴾ فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ
الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ
شَاهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ اللَّهُ
وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾
مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ

١٤٥ ﴿ فنبذناه ﴾ ألقيناه من بطن الحوت ﴿ بالعراء ﴾ بوجه الأرض، أي بالساحل، من يومه أو بعد ثلاثة أو سبعة أيام أو عشرين أو أربعين يوماً ﴿ وهو سقيم ﴾ عليل، كالفرخ الممعط[3].

١٤٦ ﴿ وأنبتنا عليه شجرة من يقطين ﴾ وهي القرع[4] تظله بساق - على خلاف العادة في القرع - معجزة له، وكانت تأتيه وعلة[5] صباحاً ومساءً يشرب من لبنها حتى قوي.

١٤٧ ﴿ وأرسلناه ﴾ بعد ذلك كقبله[6] إلى قومه بنينوى من أرض الموصل ﴿إلى مائة ألف أو﴾ بل ﴿ يزيدون ﴾ عشرين، أو ثلاثين، أو سبعين ألفاً.

١٤٨ ﴿ فآمنوا ﴾ عند معاينة العذاب[7] الموعودين به ﴿ فمتعناهم ﴾ أبقيناهم ممتعين بما لهم ﴿ إلى حين ﴾ تنقضي آجالهم فيه.

١٤٩ ﴿ فاستفتهم ﴾ استخبر كفار مكة، توبيخاً لهم ﴿ ألربك البنات ﴾ بزعمهم أن الملائكة بنات الله ﴿ ولهم البنون ﴾ فيختصون بالأسنى[8].

١٥٠ ﴿ أم خلقنا الملائكة إناثاً وهم شاهدون ﴾ خلقنا، فيقولون ذلك.

١٥١ ﴿ ألا إنهم من إفكهم ﴾ كذبهم ﴿ ليقولون ﴾.

١٥٢ ﴿ ولد الله ﴾ بقولهم الملائكة بنات الله ﴿ وإنهم لكاذبون ﴾ فيه. ١٥٣ ﴿ أصطفى ﴾ بفتح الهمزة للاستفهام، واستغني بها عن همزة الوصل فحذفت، أي اختار ﴿ البنات على البنين ﴾. ١٥٤ ﴿ مالكم كيف تحكمون ﴾ هذا الحكم الفاسد. ١٥٥ ﴿ أفلا تذكرون ﴾ بإدغام التاء في الذال[9]، أنه سبحانه وتعالى منزه عن ذلك، أي عن الولد.=

---

[1] في معظمه ووسطه، والمراد بالبحر هنا نهر الدجلة.

[2] صاحبه. [3] المنتوف الشعر. [4] قيل: خص بذلك لأنه بارد الظل، لين الملمس، كبير الورق، لا يعلوه الذباب. [5] غزالة.

[6] أي كما كان رسولاً من قبل خروجه. [7] أي حضور علاماته.

[8] أي الأشرف، وهم الذكور، كما يزعمون. [9] وذلك على قراءة تشديد الذال ﴿تذَّكرون﴾ فأصلها: تتذكرون فقلبت التاء ذالاً وأدغمت في الثانية. وقراءة تخفيف الذال ﴿تذَكرون﴾ على حذف التاء الأولى من تتذكرون تخفيفاً.

= سميت عرفة؟ قلت: لا. قال: إن جبريل قال لإبراهيم: عرفت؟ قال يونس: هل عرفت؟ قال: نعم. قال ابن عباس: فمن ثَمّ سميت عرفة. ثم قال: هل تدري كيف كانت التلبية؟ قلت: وكيف كانت؟ قال: إن إبراهيم لما أمر أن يؤذن في الناس بالحج خفضت له الجبال رؤوسها، ورُفِعَتْ له القُرى، فأذن في الناس بالحج. [مسند أحمد: = ١/٢٩٧ - ٢٩٨] قوله: ليس بسنة في الرمل هذا مذهب لابن عباس رضي الله عنهما، أخذ به بعض الفقهاء، وعن بعضهم سنة بشروط تعرف في كتب الفقه. النغف: جمع نغفة، وهي الدودة تكون في أنف البعير أو الشاة. قعيقعان: اسم جبل في مكة. لا يدفعون: أي الناس من حوله. نبيع: عند ابن جرير الطبري: نتبع.

١٥٦ ﴿ أم لكم سلطان مبين ﴾ حجة واضحة أن لله ولداً.
١٥٧ ﴿ فأتوا بكتابكم ﴾ التوراة، فأروني ذلك فيه ﴿ إن كنتم صادقين ﴾ في قولكم ذلك.
١٥٨ ﴿ وجعلوا ﴾ أي المشركون ﴿ بينه ﴾ تعالى ﴿ وبين الجنة ﴾ أي الملائكة، لاجتنانهم عن الأبصار ﴿ نسباً ﴾ بقولهم: إنها بنات الله(١)، عز وجل ﴿ ولقد علمت الجنة إنهم ﴾ أي قائلي ذلك ﴿ لمحضرون ﴾ للنار، يعذبون فيها.
١٥٩ ﴿ سبحان الله ﴾ تنزيهاً له ﴿ عما يصفون ﴾ بأن لله ولداً.
١٦٠ ﴿ إلا عباد الله المخلصين ﴾ أي المؤمنين، استثناء منقطع، أي فإنهم ينزهون الله تعالى عما يصفه هؤلاء.
١٦١ ﴿ فإنكم وما تعبدون ﴾ من الأصنام وغيرها.
١٦٢ ﴿ ما أنتم عليه ﴾ أي على معبودكم، وعليه متعلق بقوله ﴿ بفاتنين ﴾ أي أحداً.
١٦٣ ﴿ إلا من هو صال الجحيم ﴾ في علم الله تعالى.
١٦٤ قال جبريل للنبي ﷺ ﴿ وما منا ﴾ معشر الملائكة أحد ﴿ إلا له مقام معلوم ﴾ في السماوات، يعبد الله فيه، لا يتجاوزه.
١٦٥ ﴿ وإنا لنحن الصافون ﴾ أقدامنا في الصلاة.
١٦٦ ﴿ وإنا لنحن المسبحون ﴾ المنزهون الله عزوجل عما لا يليق به.
١٦٧ ﴿ وإن ﴾ مخففة من الثقيلة ﴿ كانوا ﴾ أي كفار مكة ﴿ ليقولون ﴾.
١٦٨ ﴿ لو أن عندنا ذكراً ﴾ كتاباً ﴿ من الأولين ﴾ أي من كتب الأمم الماضية.
١٦٩ ﴿ لكنا عباد الله المخلصين ﴾ العبادة له.
١٧٠ قال تعالى: ﴿ فكفروا به ﴾ بالكتاب الذي جاءهم، وهو القرآن الأشرف من تلك الكتب(٢) ﴿ فسوف يعلمون ﴾ عاقبة كفرهم.
١٧١ ﴿ ولقد سبقت كلمتنا ﴾ بالنصر ﴿ لعبادنا المرسلين ﴾ وهي: «لأغلبن أنا ورسلي»/ المجادلة: ٢١/.
١٧٢ أو هي قوله ﴿ إنهم لهم المنصورون ﴾.
١٧٣ ﴿ وإن جندنا ﴾ المؤمنين ﴿ لهم الغالبون ﴾ الكفار بالحجة والنصرة عليهم في الدنيا، وإن لم ينتصر بعض منهم في الدنيا ففي الآخرة.
١٧٤ ﴿ فتول عنهم ﴾ أعرض عن كفار مكة ﴿ حتى حين ﴾ تؤمر فيه بقتالهم.
١٧٥ ﴿ وأبصرهم ﴾ إذ نزل بهم العذاب ﴿ فسوف يبصرون ﴾ عاقبة كفرهم.

سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾
وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ
لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ
ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ
عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا
مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾
وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾
لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ
ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾
وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ
ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ
عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾

---

(١) أخرج ابن جرير بسنده عن مجاهد قال: ﴿وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً﴾ قال: قال كفار قريش: الملائكة بنات الله، فسأل أبو بكر: من أمهاتهن؟ فقالوا: بنات سروات الجن.

وأخرج بسنده عن قتادة قال: قالت اليهود: إن الله - تبارك وتعالى - تزوج إلى الجن، فخرج منهما الملائكة، قال: سبحانه، سبح نفسه. انتهى. أي نزه نفسه عما افتري عليه بقوله: ﴿سبحان الله عما يصفون﴾.

(٢) التي نزلت على الأمم الماضية، والتي طلبوا أن يكون عندهم شيء منها. وأشرفيته عليها كونه جامعاً لما فيها من تعاليم، مع كمالات لم تكن فيها، واشتمل عليها لأنه خاتمها وآخر ما نزل منها.

سبب نزول الآية [١٥٨]: أخرج جويبر عن الضحاك، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أنزلت هذه الآية في ثلاثة أحياء من قريش: سليم، خزاعة، وجهينة: ﴿وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً﴾ الآية.

وأخرج البيهقي في [شعب الإيمان] عن مجاهد قال: قال كبار قريش: الملائكة بنات الله، فقال لهم أبو بكر الصدّيق: فمن أمّهاتهم؟ قالوا بنات سراة الجنّ، فأنزل الله: ﴿ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون﴾. [السيوطي].

سبب نزول الآية [١٦٥]: أخرج ابن أبي حاتم عن يزيد بن أبي مالك قال: كان الناس يصلون متبدّدين، فأنزل الله: ﴿وإنا لنحن الصافون﴾ الآية، فأمرهم أن يصفوا. [السيوطي]. [متبددين: متفرقين].

١٧٦ فقالوا استهزاءً: متى نزول هذا العذاب؟ قال تعالى تهديداً لهم: ﴿ أفبعذابنا يستعجلون ﴾.

١٧٧ ﴿ فإذا نزل بساحتهم ﴾ بفنائهم، قال الفراء: العرب تكتفي بذكر الساحة عن القوم ﴿ فساء ﴾ بئس صباحاً ﴿ صباح المنذرين ﴾ فيه إقامة الظاهر مقام المضمر(١).

١٧٨ ﴿ وتول عنهم حتى حين ﴾.

١٧٩ ﴿ وأبصر فسوف يبصرون ﴾ كرر تأكيداً لتهديدهم، وتسلية له ﷺ.

١٨٠ ﴿ سبحان ربك رب العزة ﴾ الغلبة ﴿ عما يصفون ﴾ بأن له ولداً.

١٨١ ﴿ وسلام على المرسلين ﴾ المبلغين عن الله التوحيد والشرائع.

١٨٢ ﴿ والحمد لله رب العالمين ﴾ على نصرهم وهلاك الكافرين(٢).

(سورة ص)

(مكية وآياتها ست أو ثمان وثمانون آية)

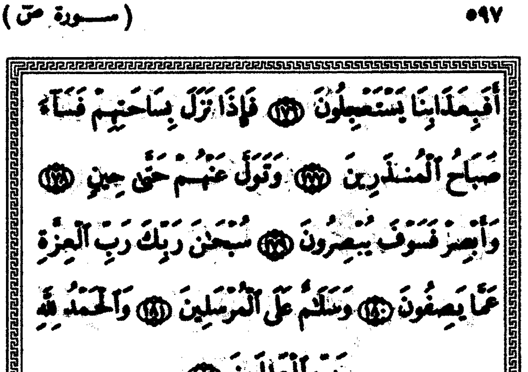

٥٩٧ (سورة ص)

أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ
صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾
وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ
عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ
رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾

(٣٨) سُورَةُ صٓ مَكِّيَّة
وَآيَاتُهَا ثَمَانٌ وَثَمَانُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

صٓ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ
وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا
وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾ وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿ ص ﴾ الله أعلم بمراده به(٣) ﴿ والقرآن ذي الذكر ﴾ أي البيان أو الشرف، وجواب هذا القسم محذوف، أي ما الأمر كما قال كفار مكة من تعدد الآلهة(٤).

٢ ﴿ بل الذين كفروا ﴾ من أهل مكة ﴿ في عزة ﴾ حمية وتكبر عن الإيمان ﴿ وشقاق ﴾ خلاف وعداوة للنبي ﷺ.

٣ ﴿ كم ﴾ أي كثيراً ﴿ أهلكنا من قبلهم من قرن ﴾ أي أمة من الأمم الماضية ﴿ فنادوا ﴾ حين نزول العذاب بهم ﴿ ولات حين مناص ﴾ أي ليس الحين حين فرار، والتاء زائدة، والجملة حال من فاعل «نادوا» أي استغاثوا، والحال أن لا مهرب ولا ملجأ، وما اعتبر بهم كفار مكة.

٤ ﴿ وعجبوا أن جاءهم منذر منهم ﴾ رسول من أنفسهم ينذرهم، أي يخوفهم النار بعد البعث، وهو النبي ﷺ

---

(١) أي لم يقل: صباحهم، وكان ذلك مقتضى السياق، بل قال: ﴿صباح المنذرين﴾ لأنه آكد وأبلغ في استحقاقهم العذاب.

(٢) ورد عن علي رضي الله عنه أنه قال: من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه إذا قام من مجلسه: ﴿سبحان ربك رب العزة عما يصفون. وسلام على المرسلين. والحمد لله رب العالمين﴾ أخرجه البغوي بسنده في تفسيره. وذكره ابن كثير عن ابن أبي حاتم مرفوعاً إلى النبي ﷺ.

وروى الطبراني عن زيد بن أرقم رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: (من قال دبر كل صلاة: ﴿سبحان ربك رب العزة عما يصفون. وسلام على المرسلين. والحمد لله رب العالمين﴾ ثلاث مرات، فقد اكتال بالجريب الأوفى من الأجر). الجريب: اسم لمكيال، والأوفى: الكامل الممتلىء. ويروي أبو يعلى في مسنده مثل ذلك عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ. [انظر تفسير ابن كثير].

(٣) انظر تفسير أول سورة البقرة.

(٤) قوله: ما الأمر.. الخ هو جواب القسم.

سبب نزول الآية [١٧٦]: أخرج جويبر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قالوا: يا محمد، أرنا العذاب الذي تخوفنا به، عجله لنا. فنزلت: ﴿أفبعذابنا يستعجلون﴾ الآية. قال السيوطي صحيح على شرط الشيخين. [لباب النقول].

سبب نزول لأوائل سورة ص: أخرج الواحدي بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مرض أبو طالب، فجاءت قريش وجاء النبي ﷺ، وعند رأس أبي طالب مجلس رجل، فقام أبو جهل كي يمنعه ذلك، فشكوه إلى أبي طالب فقال: يا ابن أخي ما تريد من قومك؟ قال: (يا عم، إنما أريد منهم كلمة تذل لهم بها العرب، وتؤدي إليهم الجزية بها العجم). قال: كلمة واحدة؟ قال: ما هي؟ قال: (لا إله إلا الله) فقالوا: أجعل الآلهة إلهاً واحداً؟! قال: فنزل فيهم القرآن ﴿صٓ والقرآن ذي الذكر. بل الذين كفروا في عزة وشقاق﴾ حتى بلغ: ﴿إن هذا إلا اختلاق﴾.

وأخرجه الترمذي في التفسير، باب: ومن سورة ص، رقم: ٣٢٣٠.

﴿ وقال الكافرون ﴾ فيه وضع الظاهر موضع المضمر⁽¹⁾ ﴿ هذا ساحر كذاب ﴾⁽²⁾.

٥ ﴿ أجعل الآلهة إلهاً واحداً ﴾ حيث قال لهم قولوا: لا إله إلا الله، أي كيف يسع الخلق كلهم إله واحد ﴿ إن هذا لشيء عجاب ﴾ أي عجيب⁽³⁾.

٦ ﴿ وانطلق الملأ منهم ﴾ من مجلس اجتماعهم عند أبي طالب وسماعهم فيه من النبي ﷺ قولوا: لا إله إلا الله ﴿ أن امشوا ﴾ يقول بعضهم لبعض: امشوا ﴿ واصبروا على آلهتكم ﴾ اثبتوا على عبادتها ﴿ إن هذا ﴾ المذكور من التوحيد ﴿ لشيء يراد ﴾ منا⁽⁴⁾.

٧ ﴿ ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة ﴾ ملة عيسى صلوات الله عليه ﴿ إن ﴾ ما ﴿ هذا إلا اختلاق ﴾ كذب.

٨ ﴿ ءأنزل ﴾ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين وتركه ﴿ عليه ﴾ على محمد ﷺ ﴿ الذكر ﴾ القرآن ﴿ من بيننا ﴾ وليس بأكبرنا ولا أشرفنا، أي لم ينزل عليه. قال تعالى: ﴿ بل هم في شك من ذكري ﴾ وحيي أي القرآن حيث كذبوا الجائي به ﴿ بل لما ﴾ لم ﴿ يذوقوا عذاب ﴾ ولو ذاقوه لصدقوا النبي ﷺ فيما جاء به، ولا ينفعهم التصديق حينئذٍ.

٩ ﴿ أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز ﴾ الغالب على أمره ﴿ الوهاب ﴾ من النبوة وغيرها، فيعطوها من شاؤوا.

١٠ ﴿ أم لهم ملك السموات والأرض وما بينهما ﴾ إن زعموا ذلك ﴿ فليرتقوا في الأسباب ﴾⁽⁵⁾ الموصلة إلى السماء، فيأتوا بالوحي، فيخصوا به من شاؤوا. وأم في الموضعين بمعنى همزة الإنكار⁽⁶⁾.

١١ ﴿ جند ما ﴾ أي هم جند حقير ﴿ هنالك ﴾ أي في تكذيبهم لك ﴿ مهزوم ﴾ صفة جند ﴿ من الأحزاب ﴾ صفة جند أيضاً، أي كالأجناد من جنس الأحزاب وهم المتحزبون على الأنبياء عليهم السلام من قبلك، وأولئك قد قهروا وأهلكوا، فكذلك نهلك هؤلاء.

١٢ ﴿ كذبت قبلهم قوم نوح ﴾ تأنيث قوم باعتبار المعنى ﴿ وعاد وفرعون ذو الأوتاد ﴾ كان يَتِد لكل من يغضب عليه أربعة أوتاد، يشد إليها يديه ورجليه، ويعذبه.

١٣ ﴿ وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة ﴾ الغيضة⁽⁷⁾، وهم قوم شعيب عليه السلام ﴿ أولئك الأحزاب ﴾.

١٤ ﴿ إن ﴾ ما ﴿ كل ﴾ من الأحزاب ﴿ إلا كذب الرسل ﴾ لأنهم إذا كذبوا واحداً منهم فقد كذبوا جميعهم، لأن دعوتهم واحدة وهي دعوة التوحيد ﴿ فحق ﴾ وجب ﴿ عقاب ﴾.

١٥ ﴿ وما ينظر ﴾ ينتظر ﴿ هؤلاء ﴾ كفار مكة ﴿ إلا

وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ
إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ
مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ
يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا
ٱخۡتِلَٰقٌ ﴿٧﴾ أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ
مِّن ذِكۡرِيۚ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ﴿٨﴾ أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ
رَحۡمَةِ رَبِّكَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمۡ لَهُم مُّلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ فَلۡيَرۡتَقُواْ فِي ٱلۡأَسۡبَٰبِ ﴿١٠﴾
جُندٞ مَّا هُنَالِكَ مَهۡزُومٞ مِّنَ ٱلۡأَحۡزَابِ ﴿١١﴾ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ
قَوۡمُ نُوحٖ وَعَادٞ وَفِرۡعَوۡنُ ذُو ٱلۡأَوۡتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوۡمُ
لُوطٖ وَأَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَحۡزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ
إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا

---

(1) أي لم يقل وقالوا، بل قال: ﴿وقال الكافرون﴾ زيادة في التشنيع عليهم، وتأكيداً على أن كفرهم هو الذي حملهم على هذا القول.

(2) أي يقولون: إن ما يأتي به من خوارق العادات ـ وهي المعجزات ـ سحر، وما يدعيه من الوحي والنبوة والإرسال من الله عز وجل كذب.

(3) و ﴿عجاب﴾ مبالغة في عجيب.

(4) أي ليس قولاً يقال ويتساهل به، بل هو أمر يقصد محمد ـ ﷺ ـ إمضاءه منا ويعزم على تنفيذه، وليس هناك ما يثنيه عن عزمه أو يصرفه عن قصده.

ذكر ابن كثير في أسباب نزول الآيات: أن رسول الله ﷺ قال لعمه حين جاءه ملأ قريش: «أدعوهم أن يتكلموا بكلمة تدين لهم بها العرب، ويملكون بها العجم». فقال أبو جهل من بين القوم: ما هي وأبيك؟ لنعطينها وعشرة أمثالها. قال: «تقولون: لا إله إلا الله». فنفر وقال: سلنا غير هذا. قال: «لو جئتموني بالشمس حتى تضعوها في يدي ما سألتكم غيرها». فقاموا من عنده غضاباً، وقالوا: والله لنشتمنك وإلهك الذي أمرك بهذا. [أخرجه ابن أبي حاتم وابن جرير الطبري].

(5) جمع سبب، وهو كل ما يوصل إلى غيره، من سلم أو درج أو حبل أو ما إلى ذلك.

(6) والمعنى: ليس لهم ذلك ولا يقدرون عليه، إذن عليهم أن يعلموا أن النبوة عطية من الله تعالى يتفضل بها على من يشاء من عباده، وهو سبحانه أعلم بمن هو أهل لها.

(7) الأشجار الملتفة المجتمعة.

صيحة واحدة ﴾ هي نفخة القيامة تُحِل بهم العذاب ﴿ ما لها من فواق ﴾ بفتح الفاء وضمها، رجوع(١).

١٦ ﴿ وقالوا ﴾ لما نزل «فأما من أوتي كتابه بيمينه» الحاقة: ١٩/ الخ ﴿ ربنا عجل لنا قطنا ﴾ كتاب أعمالنا(٢) ﴿ قبل يوم الحساب ﴾ قالوا ذلك استهزاءً.

١٧ قال تعالى ﴿ اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الأيد ﴾ القوة في العبادة، كان يصوم يوماً ويفطر يوماً، ويقوم نصف الليل وينام ثلثه ويقوم سدسه(٣) ﴿ إنه أواب ﴾ رجاع إلى مرضاة الله عز وجل.

١٨ ﴿ إنا سخرنا الجبال معه يسبحن ﴾ بتسبيحه عليه الصلاة والسلام ﴿ بالعشي ﴾ وقت صلاة العشاء ﴿ والإشراق ﴾ وقت صلاة الضحى، وهو أن تشرق الشمس ويتناهى ضوؤها.

١٩ ﴿ و ﴾ سخرنا ﴿ الطير محشورة ﴾ مجموعة إليه تسبح معه ﴿ كل ﴾ من الجبال والطير ﴿ له أواب ﴾ رجاع إلى طاعته بالتسبيح(٤).

٢٠ ﴿ وشددنا ملكه ﴾ قويناه بالحرس والجنود، وكان يحرس محرابه في كل ليلة ثلاثون ألف رجل ﴿ وآتيناه الحكمة ﴾ النبوة والإصابة في الأمور ﴿ وفصل الخطاب ﴾ البيان الشافي في كل قصد.

٢١ ﴿ وهل ﴾ معنى الاستفهام هنا التعجب والتشويق إلى استماع ما بعده ﴿ أتاك ﴾ يا محمد ﴿ نبأ الخصم إذ تسوروا(٥) المحراب ﴾ محراب داود، أي مسجده، حيث منعوا الدخول عليه من الباب لشغله بالعبادة، أي خبرهم وقصتهم.

٢٢ ﴿ إذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف ﴾ نحن ﴿ خصمان ﴾ قيل: فريقان، ليطابق ما قبله من ضمير الجمع(٦)، وقيل: اثنان، والضمير بمعناهما، والخصم يطلق على الواحد وأكثر، وهما ملكان جاءا في الصورة خصمين وقع لهما ما ذكر على سبيل الفرض، لتنبيه داود عليه السلام على ما وقع منه، وكان له تسع وتسعون امرأة، وطلب امرأة شخص ليس له غيرها وتزوجها ودخل بها(٧) ﴿ بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط ﴾ تَجُر ﴿ واهدنا ﴾ أرشدنا ﴿ إلى سواء الصراط ﴾ وسط الطريق الصواب.

٢٣ ﴿ إن هذا أخي ﴾ أي على ديني ﴿ له تسع وتسعون=

صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا
قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ
عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ
مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ
كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ
وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ * وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ
تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ
قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم
بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾
إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ
فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ
بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ

---

(١) من أفاق المريض إذا رجع إلى صحته.

(٢) القط: النصيب والحظ، وأصله من قط الشيء إذا قطعه، وسمي كتاب الأعمال قطاً لأن صحيفة الأعمال قطعة ورق مقطوعة من غيرها.

(٣) أخرج البخاري عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: (أحب الصلاة إلى الله صلاة داود عليه السلام، وأحب الصيام إلى الله صيام داود: وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه، ويصوم يوماً ويفطر يوماً). [التهجد، باب: من نام عند السحر، رقم: ١٠٧٩].

(٤) أي كل من الجبال والطير مطيع لداود عليه السلام في تسبيحه: إن رفع صوته رفعت وإن خفض خفضت. ويمكن أن يجعل الضمير في ﴿له﴾ عائداً على الله عز وجل، فيكون المعنى: كل من داود عليه السلام والجبال والطير مطيع لله تعالى وراجع إليه.

(٥) أي قصدوا سوره ونزلوا من أعلاه، والسور الحائط المرتفع. والخصم: الخصوم الذين يترافعون إلى القضاء ليفصل بينهم.

(٦) في ﴿تسوروا﴾.

(٧) الذي رجحه المفسرون في هذه القصة: أن ذلك الرجل كان قد خطب تلك المرأة، ثم خطبها داود عليه السلام على خطبته، وطلب منه أن يتنازل له عنها فاستحيا منه، أو أن أهلها آثروه بها عليه، وكان ذلك جائزاً في شرعهم، ولم يكن فيه ذنب، وهذا هو الذي يتناسب مع مقام النبوة، ويتوافق مع ما ذكره القرآن من الثناء على داود عليه السلام قبل القصة وبعدها، وما ذكره المفسر زلة منه، دخلت عليه مما رواه القُصّاص من أخبار من سبق، ولا يثبت من طريق ـ

نعجة ﴾ يعبر بها عن المرأة(١) ﴿ ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها ﴾ أي اجعلني كافلها ﴿ وعزني ﴾ غلبني ﴿ في الخطاب ﴾ أي الجدال، وأقره الآخر على ذلك.

٢٤ ﴿ قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك ﴾ ليضمها ﴿ إلى نعاجه وإن كثيراً من الخلطاء ﴾ الشركاء ﴿ ليبغي بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم ﴾ ما لتأكيد القلة، فقال الملكان صاعدين في صورتيهما إلى السماء: قضى الرجل على نفسه، فتنبه داود، قال تعالى: ﴿ وظن ﴾ أيقن ﴿ داود أنما فتناه ﴾ أوقعناه في فتنة، أي بلية بمحبته تلك المرأة ﴿ فاستغفر ربه وخر راكعاً ﴾ أي ساجداً ﴿ وأناب ﴾.

٢٥ ﴿ فغفرنا له ذلك(٢) وإن له عندنا لزلفى ﴾ أي زيادة خير في الدنيا ﴿ وحسن مآب ﴾ مرجع في الآخرة.

٢٦ ﴿ يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض ﴾ تدبر أمر الناس ﴿ فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى ﴾ أي هوى النفس ﴿ فيضلك عن سبيل الله ﴾ أي عن الدلائل الدالة على توحيده ﴿ إن الذين يضلون عن سبيل الله ﴾ أي عن الإيمان بالله ﴿ لهم عذاب شديد بما نسوا ﴾ بنسيانهم ﴿ يوم الحساب ﴾ المرتب عليه تركهم الإيمان، ولو أيقنوا بيوم الحساب لآمنوا في الدنيا.

لِيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ
فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ
وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا
جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ
وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ
يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ
ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا
بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ
ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾
كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ

٢٧ ﴿ وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً ﴾ عبثاً ﴿ ذلك ﴾ أي خلق ما ذكر لا لشيء ﴿ ظن الذين كفروا ﴾ من أهل مكة ﴿ فويل ﴾ وادٍ(٣) ﴿ للذين كفروا من النار ﴾.

٢٨ ﴿ أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار ﴾ نزل لما قال كفار مكة للمؤمنين: إنا نعطى في الآخرة مثل ما تعطون. وأم بمعنى همزة الإنكار(٤).

٢٩ ﴿ كتاب ﴾ خبر مبتدأ محذوف، أي هذا ﴿ أنزلناه إليك مبارك(٥) ليدبروا ﴾ أصله يتدبروا، أدغمت التاء في الدال ﴿ آياته ﴾ ينظروا في معانيها فيؤمنوا ﴿ وليتذكر ﴾ يتعظ ﴿ أولوا الألباب ﴾ أصحاب العقول.

٣٠ ﴿ ووهبنا لداود سليمان ﴾ ابنه ﴿ نعم العبد ﴾ سليمان ﴿ إنه أواب ﴾ رجاع إلى التسبيح والذكر في جميع الأوقات.

٣١ ﴿ إذ عرض عليه بالعشي ﴾ هو ما بعد الزوال ﴿ الصافنات ﴾ الخيل، جمع صافنة، وهي القائمة على ثلاث وإقامة الأخرى على طرف الحافر، وهو من صفن يصفِن صفوناً ﴿ الجياد ﴾ جمع جواد، وهو السابق، المعنى: أنها إذا

صحيح، فغفر الله تعالى له وعفا عنه.

(١) يكنى بالنعجة عن المرأة بجامع السكون وضعف الجانب.

(٢) أي ما وقع منه من محبة تلك المرأة وطلبها، مع كثرة ما عنده من النساء، وهو - وإن لم يكن ذنباً - فإن الأكمل في حقه أن لا يفعله لعلو منزلته، فكان استغفاره منه وغفره له لأنه كالذنب بالنسبة إليه، من باب: حسنات الأبرار سيئات المقربين.

(٣) وفي اللغة: الويل: الهلاك والدمار.

(٤) أي ليس الأمر كما يقولون ويزعمون.

(٥) كثير نفعه وخيره، لما فيه من هداية وتشريع.

فائدة: في سجدة سورة ﴿صٓ﴾.

مذهب مالك وأبي حنيفة رحمهما الله تعالى: أن السجدة في سورة ﴿صٓ﴾ عند قوله تعالى: ﴿وخر راكعاً وأناب﴾ من عزائم السجود، أي من سجدات التلاوة. وحجتهم ما رواه النسائي: [الافتتاح، باب: سجود القرآن/ السجود في ﴿ص﴾ ٢/ ١٥٩] أنه ﷺ سجد في ﴿صٓ﴾ وقال: «سجدها نبي الله داود توبة، ونسجدها شكراً». وعند البخاري [التفسير، باب: تفسير سورة ﴿صٓ﴾ رقم: ٤٥٢٩]: عن مجاهد قال: سألت ابن عباس رضي الله عنهما عن سجدة ﴿صٓ﴾: من أين سجدت؟ فقال: أوما تقرأ: ﴿ومن ذريته داود وسليمان.. أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾ [الأنعام: ٨٤-٩٠]. قال: فكان داود ممن أمر نبيكم ﷺ أن يقتدي به، فسجدها داود عليه السلام فسجدها رسول الله ﷺ. وذهب الشافعي وأحمد - في المشهور عنه - إلى أنها سجدة شكر، وليست سجدة تلاوة، وحجتهم في هذا: ما رواه أبو داود [الصلاة، باب: السجود في ﴿صٓ﴾ رقم: ١٤١٠] عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قرأ وهو على المنبر آية السجود من سورة ﴿صٓ﴾ فنزل وسجد، فلما كان يوم آخر قرأها، فتهيأ الناس للسجود فقال: «إنما هي توبة نبي، ولكن رأيتكم تشيرون للسجود فنزلت فسجدتُ». وعند البخاري [سجود القرآن، باب: سجدة ﴿صٓ﴾ رقم: ١٠١٩]: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: =

استوقفت سكنت، وإن ركضت سبقت. وكانت ألف فرس، عرضت عليه بعد أن صلى الظهر لإرادته الجهاد عليها لعدو، فعند بلوغ العرض منها تسعمائة غربت الشمس ولم يكن صلى العصر، فاغتم.

٣٢ ﴿ فقال إني أحببت ﴾ أي أردت ﴿ حب الخير ﴾ أي الخيل(١) ﴿ عن ذكر ربي ﴾ أي عن صلاة العصر ﴿ حتى توارت ﴾ أي الشمس ﴿ بالحجاب ﴾ أي استترت بما يحجبها عن الأبصار.

٣٣ ﴿ ردوها عليّ ﴾ أي الخيل المعروضة، فردوها ﴿ فطفق مسحاً ﴾ بالسيف ﴿ بالسوق ﴾ جمع ساق ﴿ والأعناق ﴾ أي ذبحها وقطع أرجلها، تقرباً إلى الله تعالى، حيث اشتغل بها عن الصلاة، وتصدق بلحمها، فعوضه الله خيراً منها وأسرع، وهي الريح تجري بأمره كيف شاء.

٣٤ ﴿ ولقد فتنا سليمان ﴾ ابتليناه بسلب ملكه، وذلك لتزوجه بامرأة عشقها وكانت تعبد الصنم في داره من غير علمه، وكان ملكه في خاتمه، فنزعه مرة عند إرادة دخول الخلاء، ووضعه عند امرأته المسماة بالأمينة على عادته، فجاءها جني في صورة سليمان فأخذه منها ﴿ وألقينا على كرسيه جسداً ﴾ هو ذلك الجني(٢)، وهو صخر أو غيره، جلس على كرسي سليمان، وعكفت عليه الطير وغيرها، فخرج سليمان في غير هيئته، فرآه على كرسيه، وقال للناس: أنا سليمان، فأنكروه ﴿ ثم أناب ﴾ رجع سليمان إلى ملكه بعد أيام، بأن وصل إلى الخاتم، فلبسه وجلس على كرسيه(٣).

٣٥ ﴿ قال رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي ﴾ لا يكون ﴿ لأحد من بعدي ﴾ أي سواي، نحو «فمن يهديه من بعد الله» / الجاثية: ٢٣/ أي سوى الله ﴿ إنك أنت الوهاب ﴾.

٣٦ ﴿ فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء ﴾ لينة ﴿ حيث أصاب ﴾ أراد.

٣٧ ﴿ والشياطين كل بناء ﴾ يبني الأبنية العجيبة ﴿ وغواص ﴾ في البحر يستخرج اللؤلؤ.

٣٨ ﴿ وآخرين ﴾ منهم ﴿ مقرنين ﴾ مشدودين ﴿ في الأصفاد ﴾ القيود، بجمع أيديهم إلى أعناقهم.

٣٩ وقلنا له ﴿ هذا عطاؤنا فامنن ﴾ أعط منه من شئت ﴿ أو أمسك ﴾ عن العطاء ﴿ بغير حساب ﴾ أي لا حساب عليك في ذلك. =

أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٢٩﴾ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَـٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ
إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّـٰفِنَـٰتُ
ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ
رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا
بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَـٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ
كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى
مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾
فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾
وَٱلشَّيَـٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ
فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَـٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ
حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾
وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَـٰنُ

---

(١) قال عليه الصلاة والسلام: (الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة) [البخاري: الجهاد، باب: الجهاد ماض مع البر والفاجر، رقم: ٢٦٩٧. مسلم: الإمارة، باب: الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، رقم: ١٨٧٣]. يعني أن الخير ملازم بها كأنه معقود فيها. ونواصيها: جمع ناصية وهي مقدمة الرأس.

(٢) سمي جسداً لأن الجسد هو الجسم الذي لا روح فيه، وهو لما تصور بصورة سليمان كانت تلك الصورة كأنها لا روح فيها، لأنها خالية عن روح سليمان وإن كان فيها روح الجني. [جمل].

(٣) وهذه القصص وأمثالها مما يذكر عن أنبياء الله عز وجل، والتي يقرر العقل السليم بطلانها ورفضها، إنما هي من أباطيل اليهود وأكاذيبهم وافتراءاتهم التي لا أصل لها، وعفا الله تعالى عن المفسر وأمثاله إذ أقحموها في تفاسيرهم دون أن ينتبهوا أو ينبهوا إلى بطلانها. ولعل الصواب في هذه القصة هو ما ثبت في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم عن رسول الله ﷺ قال: (قال سليمان بن داود: لأطوفن الليلة على تسعين امرأة - وفي رواية: مائة - كلهن تأتي بفارس يقاتل في سبيل الله، فقال له صاحبه: قل إن شاء الله، فلم يقل إن شاء الله، فطاف عليهن جميعاً، فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة، فجاءت بشق رجل. وايم الذي نفس محمد بيده، لو قال: إن شاء الله، لجاهدوا في سبيل الله فرساناً أجمعون). [البخاري: الجهاد، باب: من طلب الولد للجهاد، رقم: ٢٦٦٤. مسلم: الأيمان، باب: =

= ﴿صٓ﴾ ليس من عزائم السجود، وقد رأيت النبي ﷺ يسجد فيها.

٤٠ ﴿ وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب ﴾ تقدم مثله(*).

٤١ ﴿ واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني ﴾ أي بأني ﴿ مسني الشيطان بنصب ﴾ بضر ﴿ وعذاب ﴾ ألم، ونسب ذلك إلى الشيطان وإن كانت الأشياء كلها من الله عز وجل ، تأدباً معه تعالى.

٤٢ وقيل له ﴿ اركض ﴾ اضرب ﴿ برجلك ﴾ الأرض، فضرب، فنبعت عين ماء، فقيل ﴿ هذا مغتسل ﴾ ماء تغتسل به ﴿ بارد وشراب ﴾ تشرب منه، فاغتسل وشرب، فذهب عنه كل داء كان بباطنه وظاهره.

٤٣ ﴿ ووهبنا له أهله ومثلهم معهم ﴾ أي أحيا الله له من مات من أولاده ورزقه مثلهم(١) ﴿ رحمة ﴾ نعمة ﴿ منا وذكرى ﴾ عظة ﴿ لأولي الألباب ﴾ لأصحاب العقول.

٤٤ ﴿ وخذ بيدك ضغثاً ﴾ هو حزمة من حشيش، أو قضبان ﴿ فاضرب به ﴾ زوجتك، وكان قد حلف ليضربنها مائة ضربة، لإبطائها عليه يوماً ﴿ ولا تحنث ﴾ بترك ضربها، فأخذ مائة عود من الإذخر أو غيره، فضربها به ضربة واحدة ﴿ إنا وجدناه صابراً نعم العبد ﴾ أيوب ﴿ إنه أواب ﴾ رجاع إلى الله تعالى.

٤٥ ﴿ واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي ﴾ أصحاب القوى في العبادة(٢) ﴿ والأبصار ﴾ البصائر في الدين. وفي قراءة «عبدنا» وإبراهيم بيان له، وما بعده عطف على «عبدنا».

٤٦ ﴿إنا أخلصناهم بخالصة﴾(٣) هي ﴿ذكرى الدار﴾ الآخرة، أي ذكرها والعمل لها. وفي قراءة بالإضافة(٤)، وهي للبيان.

٤٧ ﴿وإنهم عندنا لمن المصطفين﴾ المختارين ﴿الأخيار﴾ جمع خيِّر بالتشديد.

٤٨ ﴿واذكر إسماعيل واليسع﴾ وهو نبي، واللام زائدة(٥) ﴿وذا الكفل﴾ اختلف في نبوته(٦)، قيل: كفل مائة نبي فروا إليه من القتل ﴿وكل﴾ كلهم ﴿من الأخيار﴾ جمع خيِّر، بالتشديد.

٤٩ ﴿هذا ذكر﴾ لهم بالثناء الجميل هنا ﴿وإن للمتقين﴾ الشاملين لهم ﴿لحسن مآب﴾ مرجع في الآخرة.

٥٠ ﴿جنات عدن﴾ بدل أو عطف بيان لحسن مآب ﴿مفتحة لهم الأبواب﴾ منها.

٥١ ﴿متكئين فيها﴾ على الأرائك(٧) ﴿يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب﴾.

٥٢ ﴿وعندهم قاصرات الطرف﴾ حابسات العين على أزواجهن ﴿أتراب﴾ أسنانهن واحدة، وهي بنات ثلاث وثلاثين سنة.

بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ
بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ
رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ
ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا نِّعْمَ
ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ
وَيَعْقُوبَ أُوْلِي ٱلْأَيْدِي وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم
بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ
ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ
وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ هَٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ
مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾
مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾
۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا

= الاستثناء، رقم: ١٦٥٤] وقيل: جيء بهذا الشق فجعل على كرسيه ووضع في حجره، فهذا هو الجسد، وهذه هي الفتنة والاختبار، وهذا ما حصل منه مما يعتبر ذنباً في حقه، فأناب منه، أي رجع إلى الله عزّ وجلّ واستغفر، والله اعلم.

(*) في الآية [٢٥] من هذه السورة.

(١) انظر/ الأنبياء: ٨٣ - ٨٤/.

(٢) فإنه تطلق اليد على القدرة والقوة. او المراد بالأيدي الاعمال الجليلة، فعبر عنها بالأيدي لأن أكثرها تباشرها الأيدي.

(٣) جعلناهم خالصين لنا بخصلة خالصة لا شوب فيها.

(٤) بإضافة ﴿خالصة﴾ إلى ﴿ذكرى﴾.

(٥) أي أصل الاسم [يسع] فدخل عليه [ال] التعريف.

(٦) أخرج الحاكم في مستدركه [التاريخ، باب: أمطر على أيوب عليه السلام جراد من ذهب: ٥٨٢/٢] عن وهب بن منبه قال: كان عمر أيوب ثلاثاً وتسعين سنة، وأوصى عند موته إلى ابنه حومل، وقد بعث الله بعده ابنه بشر بن أيوب نبياً وسماه ذا الكفل، وأمره بالدعاء إلى توحيده، وإنه كان مقيماً بالشام عمره حتى مات، وكان عمره خمساً وسبعين سنة، وإن بشراً أوصى إلى ابنه عبدان، ثم بعث بعدهم شعيباً.

(٧) جمع أريكة، وهي الوسادة.

٥٣ ﴿هذا﴾ المذكور. ﴿ما توعدون﴾ بالغيبة والخطاب التفاتاً(١) ﴿ليوم الحساب﴾ أي لأجله.

٥٤ ﴿إن هذا لرزقنا ماله من نفاد﴾ أي انقطاع، والجملة حال من «رزقنا» أو خبر ثانٍ لإن، أي دائماً أو دائم.

٥٥ ﴿هذا﴾ المذكور للمؤمنين ﴿وإن للطاغين﴾ مستأنف ﴿لشر مآب﴾.

٥٦ ﴿جهنم يصلونها﴾ يدخلونها ﴿فبئس المهاد﴾ الفراش.

٥٧ ﴿هذا﴾ أي العذاب، المفهوم مما بعده ﴿فليذوقوه حميم﴾ أي ماء حار محرق ﴿وغساق﴾ بالتخفيف والتشديد(٢)، ما يسيل من صديد أهل النار.

٥٨ ﴿وآخر﴾ بالجمع والإفراد ﴿من شكله﴾ أي مثل المذكور من الحميم والغساق ﴿أزواج﴾ أصناف، أي عذابهم من أنواع مختلفة.

٥٩ ويقال لهم عند دخولهم النار بأتباعهم: ﴿هذا فوج﴾ جمع ﴿مقتحم﴾ داخل ﴿معكم﴾ النار بشدة، فيقول المتبعون ﴿لا مرحباً بهم﴾ أي لا سعة عليهم ﴿إنهم صالوا النار﴾(٣).

٦٠ ﴿قالوا﴾ الأتباع ﴿بل أنتم لا مرحباً بكم(٤) أنتم قدمتموه﴾ أي الكفر ﴿لنا فبئس القرار﴾ لنا ولكم النار.

٦١ ﴿قالوا﴾ أيضاً ﴿ربنا من قدم لنا هذا فزده عذاباً ضعفاً﴾ أي مثل عذابه على كفره ﴿في النار﴾.

٦٢ ﴿وقالوا﴾ أي كفار مكة وهم في النار ﴿ما لنا لا نرى رجالاً كنا نعدهم﴾ في الدنيا ﴿من الأشرار﴾.

٦٣ ﴿أتخذناهم سخرياً﴾ بضم السين وكسرها، أي كنا نسخر بهم في الدنيا، والياء للنسب، أي أمفقودون هم؟ ﴿أم زاغت﴾ مالت ﴿عنهم الأبصار﴾ فلم ترهم؟ وهم فقراء المسلمين كعمار وبلال وصهيب وسلمان وغيرهم من أهل الصفة، رضي الله عنهم. ٦٤ ﴿إن ذلك لحق﴾ واجب وقوعه، وهو ﴿تخاصم أهل النار﴾ كما تقدم(٥).

٦٥ ﴿قل﴾ يا محمد ﷺ لكفار مكة ﴿إنما أنا منذر﴾ مخوف بالنار(٦) ﴿وما من إله إلا الله الواحد القهار﴾ لخلقه.

٦٦ ﴿رب السموات والأرض وما بينهما العزيز﴾ الغالب على أمره ﴿الغفار﴾ لأوليائه.

مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ (٥٣) إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن
نَّفَادٍ (٥٤) هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ (٥٥) جَهَنَّمَ
يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ (٥٦) هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ
وَغَسَّاقٌ (٥٧) وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ (٥٨) هَٰذَا فَوْجٌ
مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا ٱلنَّارِ (٥٩)
قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ
ٱلْقَرَارُ (٦٠) قَالُوا رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا
ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ (٦١) وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم
مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ (٦٢) أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ
ٱلْأَبْصَٰرُ (٦٣) إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ (٦٤) قُلْ
إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ (٦٥)
رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ (٦٦)

---

(١) أي في ﴿توعدون﴾ قراءتان: ﴿يوعدون﴾ بالغيبة، و﴿توعدون﴾ بالخطاب التفاتاً عن الغيبة، زيادة في التكريم.

(٢) أي ﴿غساق﴾ بفتح السين مخففة، و﴿غسّاق﴾ بتشديدها.

(٣) داخلوها وواجدوا حرها.

(٤) أي أنتم أحق بما قلتم لنا.

(٥) في الآية /٥٩ ـ ٦١/.

(٦) لمن كفر، ومبشر بالجنة لمن آمن.

فائدة: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: (تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة، يكفؤها الجبار بيده كما يكفؤ أحدكم خبزته في السفر، نزلاً لأهل الجنة). قال: فأتى رجل من اليهود فقال: بارك الرحمٰن عليك أبا القاسم، ألا أخبرك بنزل أهل الجنة يوم القيامة؟ قال: (بلى). قال: تكون الأرض خبزة واحدة.. كما قال رسول الله ﷺ، قال: فنظر إلينا رسول الله ﷺ ثم ضحك حتى بدت نواجذه، قال: ألا أخبرك بإدامهم؟ قال: (بلى). قال: إدَامُهُمْ بالام ونون. قالوا: وما هذا؟! قال: ثور ونون، يأكل من زائدة كبدهما سبعون ألفاً. [البخاري: الرقاق، باب: يقبض الله الأرض يوم القيامة، رقم: ٦١٥٥. [مسلم: صفات المنافقين وأحكامهم، باب: نزل أهل الجنة، رقم: ٢٧٩٢]. [يكفؤها: يميلها ويقلبها حتى تجتمع وتستوي، كما يليق به سبحانه. نزلاً: النزل هو ما يعد للضيف عند نزوله إكراماً له. نون: هو الحوت. زائدة الكبد: هو القطعة الصغيرة المنفردة المعلقة به منه].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (يؤتى بأنعم أهل الدنيا، من أهل النار، يوم القيامة، فيصبغ في النار صبغة، ثم يقال: يا ابن آدم هل رأيت خيراً قط؟ هل مر بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا رب. ويؤتى بأشد الناس بؤساً في الدنيا، من أهل الجنة، فيصبغ صبغة في الجنة، فيقال له: يا ابن آدم، هل رأيت بؤساً قط؟ هل مرّ بك شدة قط؟ فيقول: لا والله يا رب، ما مرّ بي بؤس قط، ولا رأيت شدة قط). [مسلم: صفات المنافقين وأحكامهم، باب: صبغ أنعم أهل الدنيا في النار..، رقم: ٢٨٠٧] [فيصبغ: فيغمس. بؤساً: فقراً وفاقة].

٦٧ ﴿ قل ﴾ لهم ﴿ هو نبأ عظيم ﴾.

٦٨ ﴿ أنتم عنه معرضون ﴾ أي القرآن الذي أنبأتكم به، وجئتكم فيه بما لا يعلم إلا بوحي. وهو قوله:

٦٩ ﴿ ما كان لي من علم بالملأ الأعلى ﴾ أي الملائكة ﴿ إذ يختصمون ﴾ في شأن آدم حين قال الله: «إني جاعل في الأرض خليفة»/ البقرة: ٣٠/ الخ.

٧٠ ﴿ إن ﴾ ما ﴿ يوحي إليّ إلا أنما أنا ﴾ أي أني ﴿ نذير مبين ﴾ بين الإنذار.

٧١ اذكر ﴿ إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً⁽¹⁾ من طين ﴾ هو آدم عليه الصلاة والسلام.

٧٢ ﴿ فإذا سويته ﴾ أتممته ﴿ ونفخت ﴾ أجريت ﴿ فيه من روحي ﴾ فصار حياً، وإضافة الروح إليه⁽²⁾ تشريف لآدم، والروح جسم لطيف يحيا به الإنسان بنفوذه فيه⁽³⁾ ﴿ فقعوا له ساجدين ﴾ سجود تحية بالانحناء.

٧٣ ﴿ فسجد الملائكة⁽⁴⁾ كلهم أجمعون ﴾ فيه تأكيدان⁽⁵⁾.

٧٤ ﴿ إلا إبليس ﴾ هو أبو الجن، كان بين الملائكة ﴿ استكبر وكان من الكافرين ﴾ في علم الله تعالى.

٧٥ ﴿ قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي ﴾ أي توليت خلقه، وهذا أيضاً تشريف لآدم، فإن كل مخلوق تولى الله خلقه ﴿ أستكبرت ﴾ الآن عن السجود؟ استفهام توبيخ ﴿ أم كنت من العالين ﴾ المتكبرين، فتكبرت عن السجود لكونك منهم.

٧٦ ﴿ قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ﴾.

٧٧ ﴿ قال فاخرج منها ﴾ أي من الجنة، وقيل: من السماوات ﴿ فإنك رجيم ﴾ مطرود.

٧٨ ﴿ وإن عليك لعنتي⁽⁶⁾ إلى يوم الدين ﴾ الجزاء.

٧٩ ﴿ قال رب فأنظرني⁽⁷⁾ إلى يوم يبعثون ﴾ أي الناس. ٨٠ ﴿ قال فإنك من المنظرين ﴾. ٨١ ﴿ إلى يوم

قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ (٦٧) أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ (٦٨) مَا كَانَ
لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ (٦٩) إِن يُوحَىٰ
إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ (٧٠) إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰئِكَةِ
إِنِّي خَٰلِقٌ بَشَرًا مِن طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ
مِن رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَٰجِدِينَ (٧٢) فَسَجَدَ الْمَلَٰئِكَةُ
كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٧٣) إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ
الْكَٰفِرِينَ (٧٤) قَالَ يَٰإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا
خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ (٧٥)
قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ (٧٦)
قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٧٧) وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ
يَوْمِ الدِّينِ (٧٨) قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٧٩)
قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (٨٠) إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ

---

(١) مخلوقاً بادي البشرة، أي ظاهر الجلد، ليس على جلده صوف ولا شعر ولا وبر ولا ريش ولا قشر يغطيه.

(٢) أي إلى الله عزّ وجلّ.

(٣) وعبر عنها بعضهم بقوله: جوهر شريف قدسي، يسري في بدن الإنسان سريان الضوء في الفضاء، أو كسريان النار في الفحم. قال النووي رحمه الله تعالى في شرح مسلم: وهو مشتبك بالبدن اشتباك الماء بالعود الأخضر.

(٤) أي بعد أن خلقه الله عزّ وجلّ ونفخ فيه من روحه.

(٥) وهما كل وأجمعون، قال المفسرون: كل للإحاطة وأجمعون للاجتماع، فأفادا معاً أنهم سجدوا عن آخرهم ما بقي منهم ملك إلاوقدسجد، وأنهم سجدوا جميعاً في وقت واحد غير متفرقين في أوقات. (٦) إبعادي عن الرحمة.

(٧) أخرني وأمهلني ولا تمتني.

فائدة: عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: احتبس عنا رسول الله ﷺ ذات غداة من صلاة الصبح حتى كدنا نتراءى عين الشمس، فخرج سريعاً، فثُوِّب بالصلاة، فصلى رسول الله ﷺ وتجوَّز في صلاته، فلما سلم دعا بصوته فقال لنا: (على مصافكم كما أنتم). ثم انفتل إلينا فقال: (أما إني سأحدثكم ما حبسني عنكم الغداة: إني قمت من الليل، فتوضأت، فصلَّيت ما قُدِّر لي، فنعَسْتُ في صلاتي فاستثقلت، فإذا أنا بربي تبارك وتعالى في أحسن صورة، فقال: يا محمد، قلت: ربِّ لبيِّك، قال: فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: لا أدري رب، قالها ثلاثاً، قال: فرأيته وضع كفَّه بين كتفيّ، قد وجدت برد أنامله بين ثديَيّ، فتجلى لي كل شيء وعرفت، فقال: يا محمد، قلت: لبيك رب، قال: فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: في الكفارات، قال ما هنَّ؟ قلت مشيُ الأقدام إلى الجماعات، والجلوس في المساجد بعد الصلاة، وإسباغ الوضوء في المكروهات، قال: ثم فيم؟ قلت: إطعام الطعام، ولين الكلام، والصلاة بالليل والناس نيام. قال: سلْ، قلت: اللّهم إني أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين، وأن تغفر لي وترحمني، وإذا أردت فتنة في قوم فتوفني غير مفتون، وأسألك حبك، وحب من يحبك، وحب عمل يُقرب إلى حبك). قال رسول الله ﷺ: (إنها حق، فادرسوها ثم تعلموها). [أخرجه الترمذي في تفسير القرآن، باب: ومن سورة ص، رقم: ٣٢٣٣، وقال: هذا حديث حسن صحيح] [كدنا..: أي كادت الشمس أن تطلع ونراها. فثوب: أقيم للصلاة. تجوز: قصر ولم يطل. مصافكم: صفوفكم. فاستثقلت: أي استغرقت في النوم. برد أنامله: أثرها في طمأنينة النفس، والأنامل رؤوس الأصابع، والله تعالى أعلم بالمراد بها في حقه جلّ وعلا. الكفارات: أي ما يكفر الذنوب. المكروهات: أي حالات الشدة كالبرد ونحوه، التي يكون استعمال الماء فيها شاقاً على النفس ومكروهاً لها].

الوقت المعلوم ﴾ وقت النفخة الأولى.

٨٢ **﴿ قال فبعزتك لأغوينهم⁽١⁾ أجمعين ﴾.**

٨٣ **﴿ إلا عبادك منهم المخلصين ﴾** أي المؤمنين.

٨٤ **﴿ قال فالحق والحق أقول ﴾** بنصبهما، ورفع الأول ونصب الثاني، فنصبه بالفعل بعده، ونصب الأول قيل: بالفعل المذكور، وقيل: على المصدر، أي أحق الحق. وقيل: على نزع حرف القسم⁽٢⁾، ورفعه على أنه مبتدأ محذوف الخبر أي فالحق مني، وقيل: فالحق قسمي، وجواب القسم:

٨٥ **﴿ لأملأن جهنم منك ﴾** بذريتك **﴿ وممن تبعك منهم ﴾** أي الناس **﴿ أجمعين ﴾.**

٨٦ **﴿ قل ما أسألكم عليه ﴾** على تبليغ الرسالة **﴿ من أجر ﴾** جُعل **﴿ وما أنا من المتكلفين ﴾** المتقولين القرآن من تلقاء نفسي⁽٣⁾.

٨٧ **﴿ إن هو ﴾** أي ما القرآن **﴿ إلا ذكر ﴾** عظة **﴿ للعالمين ﴾** للإنس والجن والعقلاء دون الملائكة.

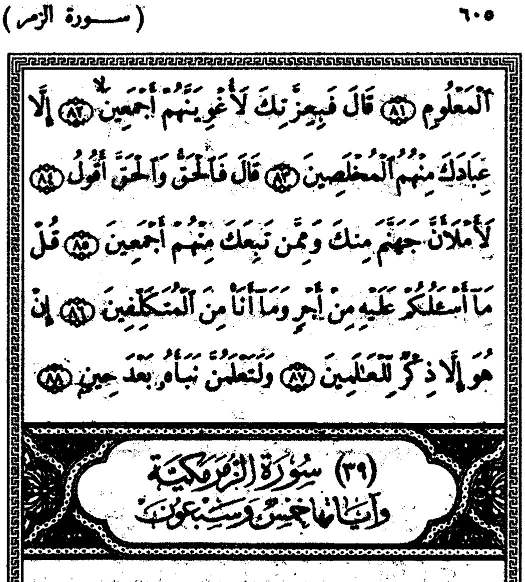

٦٠٥ (سورة الزمر)

ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا
عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾
لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ
مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ
هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾

(٣٩) سُورَةُ الزُّمَرِ مَكِّيَّة
وَآيَاتُهَا خَمْسٌ وَسَبْعُونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ
إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾
أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ

٨٨ **﴿ ولتعلمن ﴾** يا كفار مكة **﴿ نبأه ﴾** خبر صدقه **﴿ بعد حين ﴾** أي يوم القيامة⁽٤⁾. وعلم بمعنى عرف، واللام قبلها لام قسم مقدر، أي والله.

(سورة الزمر)

(مكية إلا آية ٥٣ فمدنية وآياتها ٧٥)

بسم الله الرحمن الرحيم

١ **﴿ تنزيل الكتاب ﴾** القرآن، مبتدأ **﴿ من الله ﴾** خبره **﴿ العزيز ﴾** في ملكه **﴿ الحكيم ﴾** في صنعه.

٢ **﴿ إنا أنزلنا إليك ﴾** يا محمد **﴿ الكتاب بالحق ﴾** متعلق بأنزل **﴿ فاعبد الله مخلصاً له الدين ﴾** من الشرك، أي موحداً له⁽٥⁾.

٣ **﴿ ألا لله الدين الخالص ﴾** لا يستحقه غيره جل وعلا **﴿ والذين اتخذوا من دونه ﴾** الأصنام **﴿ أولياء ﴾** وهم كفار مكة، قالوا:

---

(١) لأحملنهم على الضلال بتزيين المعاصي لهم.

جاء في الحديث الصحيح: «يا عبادي، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه». [مسلم: البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظلم، رقم: ٢٥٧٧].

(٢) التقدير: أقسم بالحق، فحذف الفعل وحرف القسم ونصب الحق.

(٣) أخرج البخاري ومسلم عن مسروق قال: دخلنا على ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ فقال: يا أيها الناس، من علم شيئاً فليقل به، ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم، فإن من العلم أن يقول لما لا يعلم: الله أعلم، قال الله تعالى لنبيه ﷺ ﴿قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين﴾.

[البخاري: التفسير/ص، باب: قوله: ﴿وما أنا من المتكلفين﴾ رقم: ٤٥٣١. مسلم: صفات المنافقين وأحكامهم، باب: الدخان، رقم: ٢٧٩٨].

(٤) الحين الوقت طويلاً كان أم قصيراً، والمراد به هنا مدة الدنيا.

(٥) أي مفرداً له بالعبادة، وهي الدين. والإخلاص قصد العبد بعمله ونيته رضا الله، لا يشوبه بشيء من عرض الدنيا.

فائدة: عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول: ما يريد أن يفطر، ويفطر حتى نقول: ما يريد أن يصوم. وكان يقرأ في كل ليلة بني إسرائيل والزمر. [النسائي: في السنن الكبرى: التفسير/ سورة المزمر، رقم: ١١٤٤٤].

سبب نزول الآية [٣]: عن ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية قال: أنزلت في ثلاثة أحياء: عامر، وكنانة، وبني سلمة، كانوا يعبدون الأوثان، ويقولون الملائكة بناته، فقالوا: ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾. [السيوطي].

﴿ ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ﴾ قربى، مصدر بمعنى تقريباً ﴿ إن الله يحكم بينهم ﴾ وبين المسلمين ﴿ في ما هم فيه يختلفون ﴾ من أمر الدين، فيدخل المؤمنين الجنة والكافرين النار ﴿ إن الله لا يهدي من هو كاذب ﴾ في نسبة الولد إليه ﴿ كفار ﴾ بعبادته غير الله.

٤ ﴿ لو أراد الله أن يتخذ ولداً ﴾ كما قالوا: «اتخذ الرحمن ولداً»/ مريم: ٨٨/ والأنبياء: ٢٦/ ﴿ لاصطفى مما يخلق ما يشاء ﴾ واتخذه ولداً غير من قالوا[1]: إن الملائكة بنات الله، وعزير ابن الله، والمسيح ابن الله ﴿ سبحانه ﴾ تنزيهاً له عن اتخاذ الولد ﴿ هو الله الواحد القهار ﴾ لخلقه.

٥ ﴿ خلق السموات والأرض بالحق ﴾ متعلق بخلق ﴿ يكور ﴾[2] يدخل ﴿ الليل على النهار ﴾ فيزيد ﴿ ويكور النهار ﴾ يدخله ﴿ على الليل ﴾ فيزيد ﴿ وسخر الشمس والقمر كل يجري ﴾ في فلكه ﴿ لأجل مسمى ﴾ ليوم القيامة ﴿ ألا هو العزيز ﴾ الغالب على أمره المنتقم من أعدائه ﴿ الغفار ﴾ لأوليائه.

٦ ﴿ خلقكم من نفس واحدة ﴾ أي آدم ﴿ ثم جعل منها زوجها ﴾ حواء ﴿ وأنزل لكم من الأنعام ﴾ الإبل والبقر والغنم الضأن والمعز ﴿ ثمانية أزواج ﴾ من كل زوجين ذكراً وأنثى، كما بينه تعالى في سورة الأنعام/ ١٤٣، ١٤٤/ ﴿ يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق ﴾ أي نطفاً، ثم علقاً، ثم مضغاً ﴿ في ظلمات ثلاث ﴾ هي ظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة المشيمة[3] ﴿ ذلكم الله ربكم له الملك لا إله إلا هو فأنىٰ تصرفون ﴾[4] عن عبادته إلى عبادة غيره.

٧ ﴿ إن تكفروا فإن الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر ﴾ وإن أراده من بعضهم[5] ﴿ وإن

مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ
فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ
كَفَّارٌ ③ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ
مَا يَشَآءُ سُبْحَٰنَهُۥ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ④ خَلَقَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ
وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ
يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ⑤ خَلَقَكُم
مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ
ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا
مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ
ٱلْمُلْكُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ⑥ إِن تَكْفُرُوا۟
فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ وَإِن

عن علي رضي الله عنه قال: كنا في جنازة في بقيع الغرقد، فأتانا رسول الله ﷺ فقعد، وقعدنا حوله، ومعه مخصرة، فنكّس، فجعل ينكت بمخصرته، ثم قال: (ما منكم من أحَدٍ، ما من نفس منفوسة، إلا وقد كتب الله مكانها في الجنة والنار، وإلا وقد كتبت شقية أو سعيدة). قال: فقال رجل: يا رسول الله، أفلا نمكث على كتابنا وندع العمل؟ فقال: (من كان من أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة). فقال: (اعملوا فكل ميسر: اما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة). ثم قرأ: ﴿فأما من أعطى واتقىٰ. وصدق بالحسنى. فسنيسره لليسرى. وأما من بخل واستغنى. وكذب بالحسنى. فسنيسره للعسرى﴾ [الليل: ٥ - ١٠]. [البخاري: الجنائز، باب: موعظة المحدث عند القبر..، رقم: ١٢٩٦. مسلم: القدر، باب: كيفية الخلق الآدمي..، رقم: ٢٦٤٧]. [بقيع .. : موضع في المدينة فيه مدفن أهلها. مخصرة: عصا صغيرة. فنكس: خفض رأسه إلى الأرض. ينكت: يخط بها خطاً يسيراً مرة بعد مرة. نمكث: نبقى ونقعد دون عمل، اعتماداً على ما كتب علينا].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان يقول: قال رسول الله ﷺ: (ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصّرانه أو يُمَجّسانه، كما تُنتَجُ البهيمةُ بهيمةً جمعاء، هل تحسون فيها من جَدْعاء). ثم يقول أبو هريرة: واقرؤوا إن شئتم: ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله﴾ الآية [٣٠ من سورة الروم] [البخاري: الجنائز، باب: إذا أسلم الصبي فمات..، رقم: ١٢٩٢. مسلم: القدر، باب: معنى كل مولود يولد=

---

[1] أي غير المخلوق الذي قالوا في شأنه إنه ابن الله، من الملائكة أو عزير أو المسيح، لأن جميع المخلوقات خلقه، ولكن يستحيل عليه ذلك سبحانه، لأن الولد من جنس الوالد، والمخلوق لا يكون من جنس الخالق، والله تعالى خالق وكل ما عداه مخلوق، فلا يكون فرد من خلقه ولداً له.

[2] التكوير في اللغة اللف، يقال: كورت العمامة إذا لففتها، فالمراد بتكوير الليل على النهار وتكوير النهار على الليل أن كلا منهما يغشى الآخر ويذهبه، فكأنما يلفه كما يلف الثوب لابسه.

[3] هي الكيس والغشاء الذي يكون فيه ولد الإنسان في الرحم.

[4] فكيف يعدل بكم وتبعدون.

[5] لأن الرضا غير الإرادة، ولا تلازم بينهما. ومعنى انه أراد الكفر من بعض العباد أن هؤلاء لم يكن كفرهم كرهاً عن الله عزّ وجلّ، لأنه سبحانه لا مكره له، وفي مقدوره أن يحجزهم عنه ولكنه لم يفعل. وهذا لا يعني أنه سبحانه أجبرهم على الكفر، بل حصل منهم ذلك بمحض اختيارهم، فأراد الله تعالى ما علم أنه سيكون منهم.

تشكروا ﴾ الله فتؤمنوا ﴿ يرضه ﴾ بسكون الهاء، وضمها مع إشباع ودونه، أي الشكر ﴿ لكم ولا تزر ﴾ نفس ﴿ وازرة(١) وزر ﴾ نفس ﴿ أخرى ﴾ أي لا تحمله ﴿ ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون إنه عليم بذات الصدور ﴾ بما في القلوب.

٨ ﴿ وإذا مس الإنسان ﴾ الكافر ﴿ ضر دعا ربه ﴾ تضرع ﴿ منيباً ﴾ راجعاً ﴿ إليه ثم إذا خوله نعمة ﴾ أعطاه إنعاماً ﴿ منه نسي ﴾ ترك ﴿ ما كان يدعو ﴾ يتضرع ﴿ إليه من قبل ﴾ وهو الله، فما في موضع من ﴿ وجعل لله أنداداً ﴾ شركاء ﴿ ليضل ﴾ بفتح الياء وضمها(٢) ﴿ عن سبيله ﴾ دين الإسلام ﴿ قل تمتع بكفرك(٣) قليلاً ﴾ بقية أجلك ﴿ إنك من أصحاب النار ﴾.

٩ ﴿ أمن ﴾ بتخفيف الميم(٤) ﴿ هو قانت ﴾ قائم بوظائف الطاعات ﴿ آناء الليل ﴾ ساعاته ﴿ ساجداً وقائماً ﴾ في الصلاة ﴿ يحذر الآخرة ﴾ أي يخاف عذابها ﴿ ويرجو رحمة ﴾ جنة ﴿ ربه ﴾ كمن هو عاص بالكفر أو غيره؟ وفي قراءة «أم من» فأم بمعنى بل والهمزة ﴿ قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ أي لا يستويان(٥)، كما لا يستوي العالم والجاهل ﴿ إنما يتذكر ﴾ يتعظ ﴿ أولو الألباب ﴾ أصحاب العقول السليمة.

١٠ ﴿ قل يا عباد الذين آمنوا اتقو ربكم ﴾ أي عذابه، بأن تطيعوه ﴿ للذين أحسنوا في هذه الدنيا ﴾ بالطاعة ﴿ حسنة ﴾ هي الجنة ﴿ وأرض الله واسعة ﴾ فهاجروا إليها من بين الكفار ومشاهدة المنكرات ﴿ إنما يوفى الصابرون ﴾ على الطاعة وما يبتلون به ﴿ أجرهم بغير حساب ﴾ بغير مكيال ولا ميزان.

١١ ﴿ قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً

تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ
رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ
بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾ ۞ وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا
رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو
إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ ۚ
قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿٨﴾
أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ
وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ
لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾ قُلْ يَا عِبَادِ
الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا
حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم
بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا

---

(١) آثمة بفعل معصية أو ترك واجب.

(٢) بفتح الياء: ﴿لِيَضِل﴾ أي بنفسه، من: ضَلّ. وبضم الياء: ﴿لِيُضِل﴾ أي غيره، من: أَضَلّ.

(٣) الأمر هنا للتهديد.

(٤) فتكون الهمزة للاستفهام الإنكاري.

(٥) الضمير فيه يعود على القانت والعاصي.

سبب نزول الآية [٩]: عن ابن عمر رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿أمّن هو قانت﴾ الآية، قال: نزلت في عثمان بن عفان.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: نزلت في ابن مسعود، وعمار بن ياسر، وسالم مولى أبي حذيفة، رضي الله عنهم. وعنه أيضاً: أنها نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه. وعن عكرمة قال: نزلت في عمار بن ياسر. [السيوطي، الواحدي].

= على الفطرة. . ، رقم: ٢٦٥٨] [الفطرة: ملة الإيمان والتوحيد ومعرفة الخالق سبحانه. فأبواه. . : يجعلانه على الملة التي هما عليها. تنتج: تلد. جمعاء: تامة الأعضاء مستوية الخلق. جدعاء: مقطوعة الأذن أو الأنف، والمعنى: أن الناس يؤثرون فيها ذلك، وهكذا الإنسان يؤثر عليه من حوله].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قالت أم حبيبة: اللّهم متعني بزوجي رسول الله ﷺ. وبأبي أبي سفيان، وبأخي معاوية. فقال لها رسول الله ﷺ: «إنك سألت الله لآجالٍ مضروبة، وآثار موطوءة، وأرزاقٍ مقسومة، لا يعجل شيئاً منها قبل حِلّه، ولا يؤخر منها شيئاً بعد حله، ولو سألت الله أن يعافيك من عذابٍ في النار، وعذابٍ في القبر، لكان خيراً لك». [مسلم: القدر، باب: بيان الآجال والأرزاق وغيرها. . ، رقم: ٢٦٦٣]. [مضروبة: محددة ومعينة. آثار. . : خطوات ستسار. حله: وقته وأجله].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير. احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا. ولكن قل: قدّر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان». [مسلم: القدر، باب: في الأمر بالقوة. . ، رقم: ٢٦٦٤].

فهذه الأحاديث كلها تدل على أن الإنسان لا يعلم ما هو مقدر عليه، وأنه يستطيع أن يكتسب فعل الخير أو غيره، وأنه مطالب بالعمل، وأنه غير مجبور، فلا يجوز لأحد أن يحتج لانحرافه بالقدر الذي يزعم أنه حتم عليه هذا المسلك أو ذاك، والله تعالى أعلم.

له الدين ﴾ من الشرك.

١٢ ﴿ وأمرت لأن ﴾ بأن ﴿ أكون أول المسلمين ﴾ من هذه الأمة.

١٣ ﴿ قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم ﴾.

١٤ ﴿ قل الله أعبد مخلصاً له ديني ﴾ من الشرك⁽١⁾.

١٥ ﴿ فاعبدوا ما شئتم من دونه ﴾ غيره، فيه تهديد لهم، وإيذان بأنهم لا يعبدون الله تعالى ﴿ قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ﴾ بتخليد الأنفس في النار، وبعدم وصولهم إلى الحور المعدة لهم في الجنة لو آمنوا⁽٢⁾ ﴿ ألا ذلك هو الخسران المبين ﴾ البين.

١٦ ﴿ لهم من فوقهم ظلل ﴾ طباق ﴿ من النار ومن تحتهم ظلل ﴾ من النار ﴿ ذلك يخوف الله به عباده ﴾ أي المؤمنين، ليتقوه، يدل عليه ﴿ يا عباد فاتقون ﴾.

١٧ ﴿ والذين اجتنبوا الطاغوت ﴾ الأوثان ﴿ أن يعبدوها وأنابوا ﴾ أقبلوا ﴿ إلى الله لهم البشرى ﴾ بالجنة ﴿ فبشر عباد ﴾.

١٨ ﴿ الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ﴾ وهو ما فيه صلاحهم ﴿ أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب ﴾ أصحاب العقول.

١٩ ﴿ أفمن حق عليه كلمة العذاب ﴾ أي «لأملأن جهنم» الآية/ هود: ١١٩/ و/ السجدة: ١٣/ ﴿ أفأنت تنقذ ﴾ تخرج ﴿ من في النار ﴾ جواب الشرط⁽٣⁾، وأقيم فيه الظاهر مقام المضمر⁽٤⁾، والهمزة للإنكار⁽٥⁾، والمعنى: لا تقدر على هدايته فتنقذه من النار.

٢٠ ﴿ لكن الذين اتقوا ربهم ﴾ بأن أطاعوه ﴿ لهم غرف من فوقها غرف

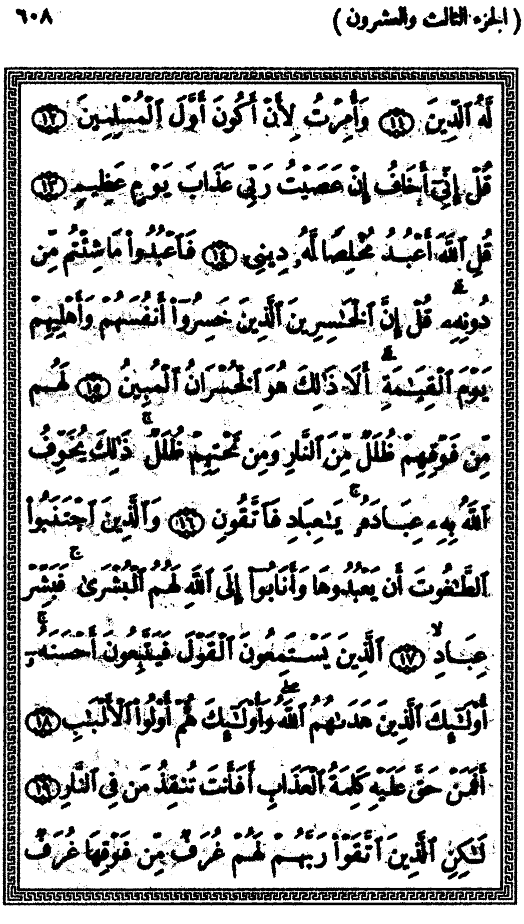
٦٠٨ (الجزء الثالث والعشرون)

لَهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾
قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾
قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن
دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ
يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم
مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ
ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟
ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ
عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ
أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾
أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾
لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ

---

(١) في هذه الآيات الأربع أوامر وجهت للنبي ﷺ، وأمر أن يعلنها لقومه، ليؤكد لهم التزامه لهذه الدعوة وتمسكه بهذا الدين، وليقطع عليهم أطماعهم الفارغة في أن يستجيب لمساوماتهم في يوم من الأيام، فقد أمر ﷺ أن يخبرهم أولاً: أنه مأمور بالعبادة والإخلاص فيها، وثانياً: أنه مأمور بأن يكون أول من أطاع وانقاد وأسلم، وثالثاً: أنه يخاف عذاب الله تعالى الشديد على فرض وقوع المعصية منه، ورابعاً: أمر أن يخبرهم مؤكداً بأنه امتثل الأمر وانقاد وعبد الله تعالى وأخلص في عبادته على أبلغ وجه. وكانت هذه الإعلانات ـ إلى جانب ما سبق من حكمة لها ـ تمهيداً لتهديدهم على مسلكهم في عبادة غير الله عزّ وجلّ.

(٢) فقد ورد أن لكل مكلف منزلاً وأهلاً في الجنة، ومنزلاً في النار، فإذا أدخل الجنة كان له منزله وأهله فيها وأبدل منها مكان منزله في النار، وإن دخل النار فقد خسر أهله ومنزله في الجنة، وأبدل منزلاً آخر في النار.

(٣) أي قوله ﴿أفأنت تنقذ..﴾ جواب للشرط ﴿أفمن حق..﴾.

(٤) أي كان مقتضى السياق أن يقال: أفأنت تنقذه، فوضع الظاهر وهو ﴿من في النار﴾ موضع الضمير للتأكيد على أن هذا مآله المحقق.

(٥) أي الهمزة في قوله ﴿أفأنت تنقذ..﴾ للاستفهام الإنكاري.

سبب نزول الآية [١٧ ـ ١٨]: عن زيد بن أسلم: أن هذه الآية ﴿والذين اجتنبوا الطاغوت﴾ نزلت في ثلاثة نفر كانوا في الجاهلية يقولون: لا إله إلا الله: زيد بن عمرو بن نفيل، وأبي ذرّ الغفاري، وسلمان الفارسي رضي الله عنهم. [السيوطي، الواحدي].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: لما نزلت: ﴿لها سبعة أبواب﴾ [الحجر: ٤٤] الآية، أتى رجل من الأنصار النبيّ ﷺ فقال: يا رسول الله، إن لي سبعة مماليك، وإني قد عتقت لكلّ باب منها مملوكاً. فنزلت فيه هذه الآية: ﴿فبشّر عبادي الذين يستمعون القولَ فيتبعون أحسنه﴾. [السيوطي].

مبنية تجري من تحتها الأنهار ﴾ أي من تحت الغرف الفوقانية والتحتانية ﴿ وعد الله ﴾ منصوب بفعله المقدر[1] ﴿ لا يخلف الله الميعاد ﴾ وعده.

٢١ ﴿ ألم ترَ ﴾ تعلم ﴿ أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع ﴾ أدخله أمكنة نبع[2] ﴿ في الأرض ثم يخرج به زرعاً مختلفاً ألوانه ثم يهيج ﴾ ييبس ﴿ فتراه ﴾ بعد الخضرة مثلاً ﴿ مصفراً ثم يجعله حطاماً ﴾ فتاتاً ﴿ إن في ذلك لذكرى ﴾ تذكيراً ﴿ لأولي الألباب ﴾[3] يتذكرون به، لدلالته على وحدانية الله تعالى وقدرته.

٢٢ ﴿ أفمن شرح الله صدره للإسلام ﴾ فاهتدى ﴿ فهو على نور من ربه ﴾ كمن طبع على قلبه، دل على هذا[4] ﴿ فويل ﴾ كلمة عذاب[5] ﴿ للقاسية قلوبهم من ذكر الله ﴾ أي عن قبول القرآن ﴿ أولئك في ضلال مبين ﴾ بين.

٢٣ ﴿ الله نزل أحسن الحديث كتاباً ﴾ بدل من «أحسن» أي قرآناً ﴿ متشابهاً ﴾ يشبه بعضه بعضاً في النظم وغيره[6] ﴿ مثاني ﴾[7] ثني فيه الوعد والوعيد وغيرهما ﴿ تقشعر منه ﴾ ترتعد عند ذكر وعيده ﴿ جلود الذين يخشون ﴾ يخافون ﴿ ربهم ثم تلين ﴾ تطمئن ﴿ جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ﴾ أي عند ذكر وعده ﴿ ذلك ﴾ أي الكتاب ﴿ هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هادٍ ﴾.

٢٤ ﴿ أفمن يتقي ﴾ يلقى ﴿ بوجهه سوء العذاب يوم القيامة ﴾ أشده، بأن يلقى في النار مغلولة يداه إلى عنقه، كمن أمن منه بدخول الجنة ﴿ وقيل للظالمين ﴾ أي كفار مكة ﴿ ذوقوا ما كنتم تكسبون ﴾ أي جزاءه.

مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ
ٱلْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ
يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ
يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ
لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ
فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ
ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ
ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ
يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ
ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا
لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ
ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾

---

(١) أي وعدهم بذلك وعداً لا يخلفه. أخرج البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب، لتفاضل ما بينهم) فقالوا: يا رسول الله، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟ قال: (بلى، والذي نفسي بيده، رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين). [الدري: المتلألىء في ضيائه. الغابر في الأفق: الباقي في ناحية المشرق أو المغرب. لتفاضل ما بينهم: لبعد منازل أهل الغرف وعلو درجاتهم عن باقي أهل الجنة]. [الحديث في البخاري: بدء الخلق، باب: ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، رقم: ٣٠٨٣. وفي مسلم: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: ترائي أهل الجنة أهل الغرف، رقم: ٢٨٣١].

وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إن في الجنة لغرفة يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، أعدها الله لمن أطعم الطعام، وألان الكلام، وتابع الصيام، وصلى والناس نيام) [مسند أحمد: ٥/٣٤٣].

(٢) أي أمكنة تصلح لأن ينبع منها الماء، لأنها قريبة من وجه الأرض.

(٣) أصحاب العقول السليمة والمفكرة.

(٤) المقدر الذي صرح به المفسر ما جاء بعده من قوله: فويلٌ.

(٥) أي كلمة ويل معناها الخسران والهلاك والعذاب.

(٦) المراد بالنظم اللفظ والتركيب، والمراد بغير النظم معانيه وبلاغته ودلالته على الأحكام التي فيها مصالح العباد وخيرهم في الدنيا والآخرة.

(٧) جمع مثنى من التثنية بمعنى التكرير، فإنه كرر فيه الوعد بالثواب والوعيد بالعقاب، كما كرر فيه قصص الأمم الماضية كلما اقتضت الحكمة ودعت العبرة، كما تكرر فيه ذكر الأحكام المتنوعة والمتعددة، وغير ذلك مما اشتمل عليه كتاب الله عزّ وجلّ من هداية وبيان.

سبب نزول الآية [٢٢]: قال الواحدي نزلت في حمزة وعلي وأبي لهب وولده، فعلي وحمزة ممن شرح الله صدره، وأبو لهب وأولاده الذين قست قلوبهم عن ذكر الله. وهو قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾.

سبب نزول الآية [٢٣]: أخرج الحاكم عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: نزل القرآن على رسول الله ﷺ فتلا عليهم زماناً، فقالوا: يا رسول الله، لو قصصت علينا؟ فأنزل الله عز وجل: ﴿الر. تلك آيات الكتاب المبين﴾ إلى قوله ﴿نحن نقص عليك أحسن القصص﴾ الآية [يوسف: ١ ـ ٣]. فتلا عليهم زماناً، فقالوا: يا رسول الله، لو حدثتنا؟ فأنزل الله عز وجل: ﴿ الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً ﴾ الآية. كل ذلك يؤمر بالقرآن. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد. [المستدرك: التفسير، باب: تفسير سورة يوسف: ٢/٣٤٥].

٢٥ ﴿ كذب الذين من قبلهم ﴾ رسلهم في إتيان العذاب ﴿ فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون ﴾ من جهة لا تخطر ببالهم.

٢٦ ﴿ فأذاقهم الله الخزي ﴾ الذل والهوان من المسخ والقتل وغيره ﴿ في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا ﴾ أي المكذبون ﴿ يعلمون ﴾ عذابها ما كذبوا.

٢٧ ﴿ ولقد ضربنا ﴾ جعلنا[١] ﴿ للناس في هذا القرآن من كل مثل[٢] لعلهم يتذكرون ﴾ يتعظون.

٢٨ ﴿ قرآناً عربياً ﴾ حال مؤكدة[٣] ﴿ غير ذي عوج ﴾ أي لبس واختلاف ﴿ لعلهم يتقون ﴾ الكفر.

٢٩ ﴿ ضرب الله ﴾ للمشرك والموحد ﴿ مثلاً رجلاً ﴾ بدل من «مثلاً» ﴿ فيه شركاء متشاكسون ﴾ متنازعون سيئة أخلاقهم ﴿ ورجلاً سلماً ﴾ خالصاً ﴿ لرجل هل يستويان مثلاً ﴾ تمييز، أي لا يستوي العبد لجماعة والعبد لواحد، فإن الأول إذا طلب منه كل من مالكيه خدمته في وقت واحد تحير فيمن يخدمه منهم، وهذا مثل للمشرك. والثاني مثل للموحد ﴿ الحمد لله ﴾ وحده[٤] ﴿ بل أكثرهم ﴾ أي أهل مكة ﴿ لا يعلمون ﴾ ما يصيرون إليه من العذاب، فيشركون.

٣٠ ﴿ إنك ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿ ميت وإنهم ميتون ﴾ . يعني ستموت ويموتون، فلا شماتة بالموت. نزلت لما استبطؤوا موته ﷺ.

٣١ ﴿ ثم إنكم ﴾ أيها الناس فيما بينكم من المظالم ﴿ يوم القيامة عند ربكم تختصمون ﴾[٥].

٣٢ ﴿ فمن ﴾ أي لا أحد ﴿ أظلم ممن كذب على الله ﴾ بنسبة الشريك والولد إليه ﴿ وكذب بالصدق ﴾ بالقرآن ﴿ إذ جاءه أليس في جهنم مثوى ﴾ مأوى ﴿ للكافرين ﴾ بلى.

٣٣ ﴿ والذي جاء بالصدق ﴾ هو النبي ﷺ ﴿ وصدق به ﴾ هم المؤمنون، فالذي بمعنى الذين ﴿ أولئك هم المتقون ﴾ الشرك.

كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ
لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلۡخِزۡيَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ
وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدۡ
ضَرَبۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ لَّعَلَّهُمۡ
يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا غَيۡرَ ذِي عِوَجٖ لَّعَلَّهُمۡ
يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلٗا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ
وَرَجُلٗا سَلَمٗا لِّرَجُلٍ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ
أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾
ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمۡ تَخۡتَصِمُونَ ﴿٣١﴾
۞ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدۡقِ إِذۡ
جَآءَهُۥٓۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِي
جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾

---

(١) وبينا ووضحنا.

(٢) يحتاج إليه للنظر في أمر الدين.

(٣) أي لفظ ﴿ قرآناً ﴾ حال مؤكدة للفظ ﴿ القرآن ﴾ في الآية قبلها.

(٤) دون غيره من المعبودين سواه.

(٥) قال ابن كثير في تفسيره: ومعنى هذه الآية: ستنقلون من هذه الدار لا محالة، وستجتمعون عند الله في الدار الآخرة، وتختصمون فيما أنتم فيه في الدنيا من التوحيد والشرك بين يدي الله عزّ وجلّ، فيفصل بينكم، ويفتح بالحق وهو الفتاح العليم، فينجي المؤمنين المخلصين الموحدين، ويعذب الكافرين الجاحدين المشركين المكذبين. ثم إن هذه الآية ـ وإن كان سياقها في المؤمنين والكافرين، وذكر الخصومة بينهم في الدار الآخرة ـ فإنها شاملة لكل متنازعين في الدنيا، فإنها تعاد عليهم الخصومة في الدار الآخرة.

عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه قال: لما نزلت: ﴿ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون﴾ قال الزبير: يا رسول الله، أتكرر علينا الخصومة بعد الذي كان بيننا في الدنيا؟ قال (نعم) قال: إن الأمر إذاً لشديد. أخرجه الترمذي [التفسير، باب: ومن سورة الزمر، رقم: ٣٢٣٤] وقال: حديث حسن صحيح.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: (من كانت له مظلمة لأحد من عرضه أو شيء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه). [البخاري: المظالم، باب: من كانت له مظلمة عند الرجل فحللها له . . ، رقم: ٢٣١٧]. [عرضه: جانبه الذي يصونه ويحامي عنه من نفسه وحسبه. فليتحلله: يطلب منه العفو والمسامحة، أو يؤدي إليه مظلمته].

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (أول الخصمين يوم القيامة جاران) [مسند أحمد: ٤/١٥١].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (والذي نفسي بيده إنه ليختصم حتى الشاتان فيما انتطحتا) [مسند أحمد: ٣/٢٩].

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (يجاء

٣٤ ﴿ لهم ما يشاؤون عند ربهم(١) ذلك جزاء المحسنين ﴾ لأنفسهم بإيمانهم.

٣٥ ﴿ ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون ﴾ أسوأ وأحسن بمعنى السيء والحسن(٢).

٣٦ ﴿ أليس الله بكاف عبده ﴾ أي النبي ﷺ، بلى ﴿ ويخوفونك ﴾ الخطاب له ﷺ ﴿ بالذين من دونه ﴾ أي الأصنام: أن تقتله أو تخبله(٣) ﴿ ومن يضلل الله فما له من هادٍ ﴾(٤).

٣٧ ﴿ ومن يهد الله فما له من مضل(٥) أليس الله بعزيز ﴾ غالب على أمره ﴿ ذي انتقام ﴾ من أعدائه؟ بلى.

٣٨ ﴿ ولئن ﴾ لام قسم ﴿ سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله قل أفرأيتم ما تدعون ﴾ تعبدون ﴿ من دون الله ﴾ أي الأصنام ﴿ إن أرادني الله بضر هل هن كاشفاتُ ضرِّه ﴾ لا ﴿ أو أرادني برحمة هل هن ممسكاتُ رحمتَه ﴾ لا، وفي قراءة بالإضافة فيهما(٦) ﴿ قل حسبي الله(٧) عليه يتوكل المتوكلون ﴾ يثق الواثقون.

٣٩ ﴿ قل يا قوم اعملوا على مكانتكم ﴾ حالتكم ﴿ إني عامل ﴾ على حالتي ﴿ فسوف تعلمون ﴾.

٤٠ ﴿ من ﴾ موصولة، مفعول العلم ﴿ يأتيه عذاب يخزيه ويحل ﴾ ينزل ﴿ عليه عذاب مقيم ﴾ دائم، هو عذاب النار، وقد أخزاهم الله تبارك وتعالى يوم بدر.

لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾
لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم
بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ
عَبْدَهُۥۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ
فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّۗ
أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ
مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ
ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦۚ قُلْ
حَسْبِىَ ٱللَّهُۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ
ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾
مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾

بالإمام الخائن يوم القيامة، فتخاصمه الرعية، فيفلجون عليه، فيقال له: سُد ركناً من أركان جهنم) [أخرجه البزار بسنده كما ذكر ابن كثير في تفسيره].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون﴾ يقول: يخاصم الصادق الكاذبَ، والمظلومُ الظالمَ، والمهديُّ الضالَّ، والضعيفُ المستكبرَ. [أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره].

(١) أي من الجزاء والكرامة.

(٢) أي يمحو عنهم أعمالهم السيئة، ويثيبهم على أعمالهم الحسنة.

(٣) من الخبل وهو الجنون أو فساد الأعضاء.

(٤) أي من سلك طرق الضلالة، فكتب الله تعالى عليه الشقاوة، فأصبح يرى الحق باطلاً والباطل حقاً، وظن حجراً ينحته بيده يضر أو ينفع، وزعم أن الله تعالى الخالق لكل شيء لا يقدر أن يحمي رسوله من أذى خلقه ويمنع وصول ضرهم إليه، أي من كانت هذه حاله لن يستطيع أحد أن يبصره الحقيقة، أو يهديه سواء السبيل.

(٥) أي ومن سلك طرق الهداية، فكتب الله تعالى له السعادة، وأخرجه من الظلمات إلى النور، بنور الحق وضياء الإيمان، لن يستطيع أحد أن يسدل على قلبه غشاوة الباطل، أو ينحرف به عن طريق الاستقامة.

(٦) أي ﴿كاشفاتُ ضرِّه﴾ و﴿ممسكاتُ رحمتِه﴾.

(٧) أي هو كافيَّ، فبه ثقتي وعليه اعتمادي، فلا ألتفت إلى غيره.

عن فضالة بن عبيد الأنصاري: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «أفلح من هدي إلى الإسلام، وكان عيشه كفافاً، وقَنَع به». [الترمذي: الزهد، باب: ما جاء في الكفاف والصبر عليه، رقم: ٢٣٥٠].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال له: «احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يضروك، ولو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله لك لم ينفعوك، جفت الصحف، ورفعت الأقلام. واعمل لله بالشكر في اليقين، واعلم أن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً، وأن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً». [مسند أحمد: ١/٣٠٧. الترمذي: صفة القيامة، باب: ولكن يا حنظلة ساعة وساعة، رقم: ٢٥١٨].

وعن محمد بن كعب القرظي قال: حدثنا ابن عباس رضي الله عنهما - رفع الحديث إلى رسول الله ﷺ - قال: «من أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله، ومن أحب أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يد الله أوثق بما في يديه، ومن أحب أن يكون أكرم الناس فليتق الله» [أخرجه ابن أبي حاتم، كما ذكره ابن كثير في تفسيره للآية].

سبب نزول الآية [٣٦]: عن معمر قال: قال لي رجل: قالوا للنبيِّ ﷺ لتكفن عن شتم آلهتنا أو لنأمرنها فلتخبلنك، فنزلت: ﴿ويخوِّفونك بالذين من دونه﴾ الآية. [السيوطي].

٤١ ﴿ إنا أنزلنا عليك الكتاب للناس بالحق ﴾ متعلق بأنزل⁽¹⁾ ﴿ فمن اهتدى فلنفسه ﴾ اهتداؤه ﴿ ومن ضل فإنما يضل عليها⁽²⁾ وما أنت عليهم بوكيل ﴾⁽³⁾ فتجبرهم على الهدى.

٤٢ ﴿ الله يتوفى الأنفس حين موتها و ﴾ يتوفى ﴿ التي لم تمت في منامها ﴾ أي يتوفاها وقت النوم ﴿ فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى ﴾ أي وقت موتها، والمرسلة نفس التمييز تبقى بدونها نفس الحياة، بخلاف العكس⁽⁴⁾ ﴿ إن في ذلك ﴾ المذكور ﴿ لآيات ﴾ دلالات ﴿ لقوم يتفكرون ﴾ فيعلمون أن القادر على ذلك قادر على البعث، وقريش وكفار قريش لم يتفكروا في ذلك.

٤٣ ﴿ أم ﴾ بل ﴿ اتخذوا من دون الله ﴾ أي الأصنام آلهة ﴿ شفعاء ﴾ عند الله بزعمهم ﴿ قل ﴾ لهم ﴿ أ ﴾ يشفعون ﴿ ولو كانوا لا يملكون شيئاً ﴾ من الشفاعة وغيرها ﴿ ولا يعقلون ﴾ أنكم تعبدونهم ولا غير ذلك؟ لا⁽⁵⁾.

٤٤ ﴿ قل لله الشفاعة جميعاً ﴾ أي هو مختص بها، فلا يشفع أحد إلا بإذنه ﴿ له ملك السماوات والأرض ثم إليه ترجعون ﴾.

٤٥ ﴿ وإذا ذكر الله وحده ﴾ أي دون آلهتهم ﴿ اشمأزت ﴾ نفرت وانقبضت ﴿ قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه ﴾ أي الأصنام ﴿ إذا هم يستبشرون ﴾⁽⁶⁾.

٤٦ ﴿ قل اللهم ﴾ بمعنى يا الله ﴿ فاطر السموات والأرض ﴾ مبدعهما ﴿ عالم الغيب والشهادة ﴾ ما غاب وما شوهد ﴿ أنت تحكم بين عبادك في ما كانوا

إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟

---

(١) أي قوله «بالحق» متعلق بأنزل، أي: أنزل القرآن متلبساً بالحق، من أجل أن يهتدي به الناس جميعاً، لأنهم محتاجون إليه، لما فيه من بيان مصالحهم.

(٢) أي يرجع ضرر ضلالته على نفسه.

(٣) أي لم توكل بحفظهم.

(٤) أي إن للإنسان نفسين: نفس الحياة، ونفس التمييز والإحساس، فالذي يقبض عند النوم نفس التمييز والإحساس، فتبقى نفس الحياة. أما إذا قبضت نفس الحياة ذهبت أيضاً نفس التميز والإحساس. روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا أوى أحدكم إلى فراشه فلينفض فراشه بداخلة إزاره، فإنه لا يدري ما خلفه عليه، ثم يقول: باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين).

[البخاري: الدعوات، باب: التعوذ والقراءة عند النوم، رقم: ٥٩٦١. مسلم: الذكر والدعاء والتوبة، باب: ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، رقم: ٢٧١٤].

[أوى: أتى فراشه لينام عليه. بداخلة...: طرفه الذي يلي الجسد. ما خلفه: ما أتى على فراشه بعد أن قام عنه من مؤذيات وأقذار. أمسكت نفسي: أخذت روحي بالموت. أرسلتها: أبقيتني حياً في الدنيا وأيقظتني من نومي].

(٥) أي فإنهم لا يملكون شيئاً ولا يعقلون، ولذا كان جديراً بكم أن ترفعوا عن عبادتهم والتشفع بهم، وتعبدوا الله تعالى وحده.

(٦) يفرحون ويسرون، لفرط افتتانهم بهم ونسيانهم حق الله عزّ وجلّ عليهم.

فائدة: عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «من قال: اللهم فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، إني أعهد إليك في هذه الدنيا أني أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، وأن محمداً عبدك ورسولك، فإنك إن تكلني إلى نفسي تقربني من الشر وتباعدني من الخير، وإني لا أثق إلا برحمتك، فاجعل لي عندك عهداً توفينيه يوم القيامة، إنك لا تخلف الميعاد. إلا قال الله عز وجل لملائكته يوم القيامة: إن عبدي قد عهد إلي عهداً فأوفوه إياه. فيدخله الله الجنة». قال سهيل ـ أحد رواة الحديث ـ: فأخبرت القاسم بن عبد الرحمن أن عوناً أخبر بكذا وكذا؟ فقال: ما في أهلنا جارية إلا وهي تقول هذا في خدرها. [أحمد في مسنده: ١/٤١٢] [خدرها: المكان الذي تجلس فيه المرأة منعزلة عن الرجال، وهو للمبالغة. والجارية: البنت الصغيرة، والمراد بها غالباً غير المتزوجة].

سبب نزول الآية [٤٥]: عن مجاهد: أنها نزلت في قراءة النبيّ ﷺ النجم عند الكعبة وفرحهم عند ذكر الآلهة. [السيوطي]. أخرج البخاري

فيه يختلفون ﴾ من أمر الدين، اهدني لما اختلفوا فيه من الحق(١).

٤٧ ﴿ ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض جميعاً ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة وبدا ﴾ ظهر ﴿ لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ﴾ يظنون(٢).

٤٨ ﴿ وبدا لهم سيئات ما كسبوا(٣) وحاق ﴾ نزل ﴿ بهم ما كانوا به يستهزئون ﴾ أي العذاب.

٤٩ ﴿ فإذا مس الإنسان ﴾ الجنس(٤) ﴿ ضر دعانا ثم إذا خولناه ﴾ أعطيناه ﴿ نعمة ﴾ إنعاماً ﴿ منا قال إنما أوتيته على علم ﴾ من الله بأني له أهل ﴿ بل هي ﴾ القولة(٥) ﴿ فتنة ﴾ بلية يبتلى بها العبد ﴿ ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾ أن التخويل استدراج وامتحان.

٥٠ ﴿ قد قالها الذين من قبلهم ﴾ من الأمم كقارون وقومه الراضين بها(٦) ﴿ فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون ﴾.

٥١ ﴿ فأصابهم سيئات ما كسبوا ﴾ أي جزاؤها ﴿ والذين ظلموا من هؤلاء ﴾ أي قريش وكفار مكة﴿ سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين ﴾ بفائتين عذابنا، فقحطوا(٧) سبع سنين، ثم وسع عليهم.

٥٢ ﴿ أو لم يعلموا أن الله يبسط الرزق ﴾ يوسعه ﴿ لمن يشاء ﴾ امتحاناً ﴿ ويقدر ﴾ يضيقه لمن يشاء ابتلاء ﴿ إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون ﴾ به.

٥٣ ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على

٦١٣ (سـورة الزمر)

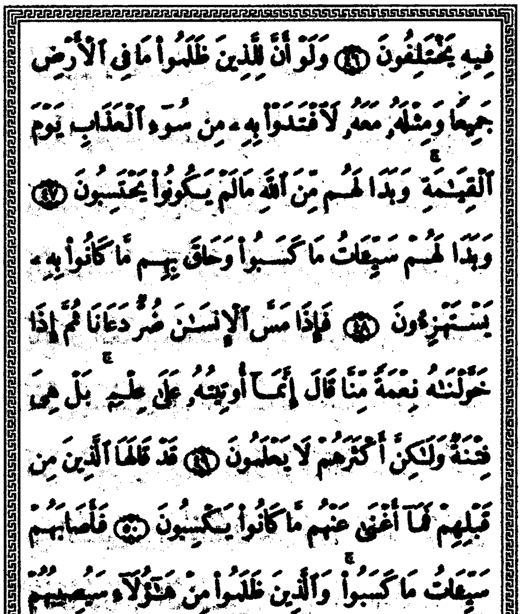

فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوۡ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ
جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلۡعَذَابِ يَوۡمَ
ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يَكُونُواْ يَحۡتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾
وَبَدَا لَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ
يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٤٨﴾ فَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ضُرّٞ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا
خَوَّلۡنَٰهُ نِعۡمَةٗ مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمِۭۚ بَلۡ هِيَ
فِتۡنَةٞ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدۡ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن
قَبۡلِهِمۡ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمۡ
سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمۡ
سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ وَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ
ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ
لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ

---

(١) أخرج مسلم عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: سألت عائشة رضي الله تعالى عنها: بأي شيء كان النبي ﷺ يفتتح صلاته إذا قام من الليل؟ قالت: كان إذا قام من الليل افتتح صلاته قال: (اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم).
[مسلم: صلاة المسافرين وقصرها، باب: الدعاء في صلاة الليل وقيامه، رقم: ٧٧٠].

(٢) أي ظهر لهم من فنون العقوبات عند الله عزّ وجلّ ما لم يكونوا يتوقعونه.

(٣) أي ظهرت لهم أعمالهم السيئة حين عرضت عليهم صحائفهم.

(٤) أي جنس الإنسان، لا فرداً معيناً من أفراده، فإن الغالب من أفراد الجنس هكذا يفعل.

(٥) وفسر غيره الضمير بالنعمة، أي بل النعمة محنة وابتلاء للمنعم عليه: هل يشكر أم يكفر؟ وليس كما يدعي من أنه أعطيها لأنه أهل لها.

(٦) أي بتلك المقالة، وإن لم يقولوها.

(٧) أصابهم القحط، وهو الجدب وعدم نزول الأمطار ونبات الزروع.

عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ سجد بالنجم، وسجد معه المسلمون والمشركون، والجن والإنس. [سجود القرآن، باب: سجود المسلمين مع المشركين والمشرك نجس ليس له وضوء، رقم: ١٠٢١].

سبب نزول الآية [٥٣]: أخرج الواحدي بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن ناساً من أهل الشرك كانوا قد قتلوا فأكثروا، وزنوا فأكثروا، ثم أتوا محمداً ﷺ فقالوا: إن الذي تدعو إليه لحسن، إن تخبرنا لما عملناه كفارة. فنزلت هذه الآية: ﴿يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم﴾.
[انظر البخاري: التفسير/الزمر، باب: ﴿يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا. .﴾ رقم: ٤٥٣٢. وانظر مسلم: الإيمان، باب: كون الإسلام يهدم ما قبله. . ، رقم: ١٢٢].

وأخرج الواحدي ـ أيضاً ـ عن عمر رضي الله عنه أنه قال: لما اجتمعنا إلى الهجرة انبعثت أنا وعياش بن أبي ربيعة وهشام بن العاص بن وائل، فقلنا: الميعاد بيننا المناصف ميقات بني غفار، فمن حبس منكم لراياتها فقد حبس، فليمض صاحبه. فأصبحت عندها أنا وعياش وحبس عنا هشام، وفتن وافتتن، فقدمنا المدينة. فكنا نقول: ما الله بقابل من هؤلاء توبة، قوم عرفوا الله ورسوله، ثم رجعوا عن ذلك لبلاء أصابهم من الدنيا. فأنزل الله

أنفسهم لا تقنطوا ﴾ بكسر النون وفتحها، وقرىء بضمها(١)، تيأسوا ﴿ من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً ﴾ لمن تاب من الشرك ﴿ إنه هو الغفور الرحيم ﴾(٢).

٥٤ ﴿ وأنيبوا ﴾ ارجعوا ﴿ إلى ربكم وأسلموا ﴾ أخلصوا العمل ﴿ له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون ﴾ بمنعه إن لم تتوبوا.

٥٥ ﴿ واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم ﴾ هو القرآن ﴿ من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة(٣) وأنتم لا تشعرون ﴾ قبل إتيانه بوقته.

٥٦ فبادروا قبل ﴿ أن تقول نفس يا حسرتى ﴾ أصله يا حسرتي، أي ندامتي (٤) ومصيبتي ﴿ على ما فرطت في جنب الله ﴾ أي طاعته ﴿ وإن ﴾ مخففة من الثقيلة، أي وإني ﴿ كنت لمن الساخرين ﴾ بدينه وكتابه.

٥٧ ﴿ أو تقول لو أن الله هداني ﴾ بالطاعة فاهتديت ﴿ لكنت من المتقين ﴾ عذابه.

٥٨ ﴿ أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة ﴾ رجعة إلى الدنيا ﴿ فأكون من المحسنين ﴾ المؤمنين، فيقال له من قبل الله عز وجل:

٥٩ ﴿ بلى قد جاءتك آياتي ﴾ القرآن، وهو سبب الهداية ﴿ فكذبت بها واستكبرت ﴾ تكبرت عن الإيمان بها ﴿ وكنت من الكافرين ﴾.

٦٠ ﴿ ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله ﴾ بنسبة الشريك والولد إليه ﴿ وجوههم مسودة أليس في جهنم مثوى ﴾ مأوى ﴿ للمتكبرين ﴾ عن الإيمان؟ بلى.

٦١ ﴿ وينجي الله ﴾ من جهنم ﴿ الذين اتقوا ﴾ الشرك ﴿ بمفازتهم ﴾ أي بمكان فوزهم من الجنة، بأن يجعلوا فيه ﴿ لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون ﴾.

٦٢ ﴿ الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل ﴾ متصرف فيه كيف يشاء سبحانه وتعالى.

٦٣ ﴿ له مقاليد السماوات والأرض ﴾ أي مفاتيح خزائنها من المطر والنبات وغيرهما ﴿ والذين كفروا بآيات الله ﴾

أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ
جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ
وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾
وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن
يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ
نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ
لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ
مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى
كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى
فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾
وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ
أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ

---

(١) وقراءة الضم قراءة شاذة.

(٢) أخرج الترمذي عن أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (قال الله عزّ وجلّ: يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عَنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي، يا ابن آدم لو أنك أتيتني بقُراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة) [الدعوات، باب: غفران الذنوب مهما عظمت، رقم: ٣٥٣٤].

[عنان السماء: السحاب الذي في جهتها. قِراب الأرض: ما يقارب ملأها].

(٣) فجأة.

(٤) أي أصل الألف في ﴿حسرتى﴾ ياء، وهي ياء المتكلم، ومحلها الجر بالإضافة، وفي قراءة ﴿يا حسرتي﴾ بالياء على الأصل، وفي قراءة ﴿يا حسرتاي﴾ على الجمع بين العوض والمعوض منه. والحسرة والندامة: الاغتمام والحزن على ما فات، ونداؤها مجاز، والمعنى: هذا أوانك ووقتك فاحضري.

تعالى: ﴿يا عبادي الذين أسرفوا﴾ إلى قوله: ﴿أليسَ في جهنم مَثْوى للمُتَكبِّرينَ﴾ قال عمر: فكتبتها بيدي، ثم بعثت بها، فقال هشام: فلما قدمت علي خرجت بها إلى ذي طوى، فقلت: اللهم فهمنيها، فعرفت أنها أنزلت فينا، فرجعت فجلست على بعيري، فلحقت رسول الله ﷺ.

[المناصف: اسم موضع. ميقات: هو الموضع الذي يحرمون منه بالحج أو العمرة. لراياتها: في القاموس المحيط: الراية العلم.. والقلادة أو التي توضع في عنق الغلام الأبق. أي الهارب، فلعل المعنى: أن قومه أوثقوه ومنعوه من الخروج].

القرآن ﴿ أولئك هم الخاسرون ﴾ متصل بقوله «وينجي الله الذين اتقوا» الخ(١)، وما بينهما اعتراض.

٦٤ ﴿ قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون ﴾ غير منصوب بأعبد المعمول لتامروني بتقدير أن(٢)، بنون واحدة وبنونين بإدغام وفك(٣).

٦٥ ﴿ ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك ﴾ والله ﴿ لئن أشركت ﴾ يا محمد - ﷺ - فرضاً(٤) ﴿ ليحبطن عملك(٥) ولتكونن من الخاسرين ﴾.

٦٦ ﴿ بل الله ﴾ وحده ﴿ فاعبد وكن من الشاكرين ﴾ إنعامه عليك.

٦٧ ﴿ وما قدروا الله حق قدره ﴾ ما عرفوه حق معرفته، أو ما عظموه حق عظمته حين أشركوا به غيره ﴿ والأرض جميعاً ﴾ حال(٦)، أي السبع ﴿ قبضته ﴾ أي مقبوضة له في ملكه وتصرفه ﴿ يوم القيامة والسماوات مطويات ﴾ مجموعات ﴿ بيمينه ﴾ بقدرته(٧) ﴿ سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ معه.

٦٨ ﴿ ونفخ في الصور ﴾ النفخة الأولى ﴿ فصعق ﴾ مات ﴿ من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله ﴾ من الحور والولدان وغيرهما ﴿ ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم ﴾ جميع الخلائق الموتى ﴿ قيام ينظرون ﴾ ينتظرون ما يفعل بهم(٨).

٦٩ ﴿ وأشرقت الأرض ﴾ أضاءت ﴿ بنور ربها ﴾ حين يتجلى الله لفصل القضاء

ٱتَّقَوْاْ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦١) ٱللَّهُ
خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (٦٢) لَّهُۥ مَقَالِيدُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ (٦٣) قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا
ٱلْجَٰهِلُونَ (٦٤) وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ
لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ (٦٥)
بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ (٦٦) وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ
حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا
يُشْرِكُونَ (٦٧) وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ
فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ (٦٨) وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا

---

(١) أي جملة ﴿والذين كفروا..﴾ معطوفة على جملة ﴿وينجي..﴾ عطف أحد المتقابلين على الآخر.

(٢) والتقدير في الأصل: أتامروني أن أعبد غير الله. فغير منصوب بأعبد، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر معمول لتأمروني، والتقدير: أتأمروني بعبادة غير الله..؟.

(٣) أي في ﴿تأمروني﴾ قراءات: إحداها: بنون واحدة مخففة مكسورة مع فتح الياء، وهذه النون نون الرفع، وهي في الأصل مفتوحة، فكسرت لمناسبة الياء، للاستغناء بها عن نون الوقاية. والثانية: ﴿تأمرونّي﴾ بنونين، لكن مع إدغام الأولى التي هي نون الرفع مع الثانية التي هي نون الوقاية، مع فتح الياء. والثالثة: كالثانية ولكن مع سكون الياء ﴿تأمرونّي﴾. والرابعة: ﴿تأمرونني﴾ بنونين ولكن مع الفك، أي عدم إدغام إحداهما بالأخرى، مع سكون الياء.

(٤) على تقدير صدور ذلك منك فهذا عقابك رغم منزلتك عندنا فكيف غيرك؟ وحاشاه ﷺ أن يصدر هذا منه، فإنه مستحيل، ولكن ذكر هذا للمبالغة في وعيد غيره.

(٥) ليبطلن ثوابه ويذهبنّ هدراً.

(٦) أي لفظ ﴿جميعاً﴾ حال من ﴿الأرض﴾. وهي دالة على ان المراد بالأرض جمع وهي الأرضون السبع.

(٧) تفسير اليمين بالقدرة هو مذهب الخلف من العلماء، والعرب تستعمل اليمين بمعنى القدرة والملك. ومذهب السلف من الصحابة والتابعين أن المراد بيمينه سبحانه صفة ثابتة له هو أعلم بها، وليست كما نعلم من صفات المخلوقين قطعاً. روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه النبي ﷺ قال: (يقبض الله الأرض، ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول: أنا الملك، اين ملوك الأرض). [البخاري: التفسير/الزمر، باب: قوله: ﴿والأرض جميعاً قبضته..﴾ رقم: ٤٥٣٤. مسلم: صفات المنافقين وأحكامهم، كتاب: صفة القيامة والجنة والنار، رقم: ٢٧٨٧].

(٨) أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (ما بين النفختين أربعون) قالوا: اربعون يوماً؟ قال أبو هريرة: ابيت، قالوا: اربعون شهراً؟ قال أبو هريرة: أبيت، قالوا: أربعون سنة؟ قال: أبيت. (ثم ينزل الله عزّ وجلّ من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل، وليس من الإنسان شيء إلا يبلى، إلاّ عظم واحد وهو عجب الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة). [ابيت: اي أن اقول في الخبر ما لم اسمعه، فلا ابينه برايي. او ابيت ايها السائل أن تعرف هذا لأنه غيب لم يرد الخبر ببيانه. عجب الذنب: هو العظم الذي في أسفل الصلب عند العجز]. =

سبب نزول الآية [٦٧]: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مرّ يهودي بالنبيّ ﷺ، فقال: كيف تقول يا أبا القاسم إذا وضع الله السموات على ذه،

﴿ ووضع الكتاب ﴾ كتاب الأعمال للحساب ﴿ وجيء بالنبيين والشهداء ﴾ أي بمحمد ﷺ وأمته يشهدون للرسل عليهم الصلاة والسلام بالبلاغ(١) ﴿ وقضي بينهم بالحق ﴾ أي بالعدل ﴿ وهم لا يظلمون ﴾ شيئاً.

٧٠ ﴿ ووفيت كل نفس ما عملت ﴾ أي جزاءه ﴿ وهو أعلم ﴾ أي عالم ﴿ بما يفعلون ﴾ فلا يحتاج إلى شاهد.

٧١ ﴿ وسيق الذين كفروا ﴾ بعنف ﴿ إلى جهنم زمراً ﴾ جماعات متفرقة ﴿ حتى إذا جاؤوها فتحت أبوابها ﴾ جواب إذا ﴿ وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم ﴾ القرآن وغيره ﴿ وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت(٢) كلمة العذاب ﴾ أي قوله عز وجل: «لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين » الآية / هود: ١١٩/ و/ السجدة: ١٣/ ﴿ على الكافرين ﴾.

٧٢ ﴿ قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين ﴾ مقدرين الخلود ﴿ فيها فبئس مثوى ﴾ مأوى ﴿المتكبرين﴾ جهنم.

٧٣ ﴿ وسيق الذين اتقوا ربهم ﴾ بلطف ﴿ إلى الجنة زمراً حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها ﴾ الواو فيه للحال بتقدير قد(٣) ﴿ وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم ﴾ حالاً ومآلاً ﴿ فادخلوها خالدين ﴾ مقدرين الخلود فيها، وجواب إذا مقدر أي دخلوها. وسوقهم وفتح الأبواب قبل مجيئهم تكرمة لهم، وسوق الكفار وفتح أبواب جهنم عند مجيئهم ليبقى حرها إليهم إهانة لهم.

٧٤ ﴿ وقالوا ﴾ عطف على دخولها المقدر(٤) ﴿ الحمد لله الذي صدقنا وعده ﴾ بالجنة دار الرضا والرضوان ﴿ وأورثنا الأرض ﴾ أي أرض الجنة(٥) ﴿ نتبوأ ﴾ ننزل

وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ
بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ
مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟
إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ
لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ
رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ
حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟
أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾
وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا
جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ
طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى
صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ

[البخاري التفسير/ النبأ، باب ﴿ يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجاً﴾ رقم: ٤٦٥١. مسلم: الفتن وأشراط الساعة، باب: ما بين النفختين، رقم: ٢٩٥٥].

وأخرجا أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تخيروني على موسى، فإن الناس يصعقون يوم القيامة، فأصعق معهم، فأكون أول من يفيق، فإذا موسى باطش جانب العرش، فلا أدري أكان فيمن صعق فأفاق قبلي، أو كان ممن استثنى الله). أي بقوله تعالى: ﴿ إلا من شاء الله ﴾. وفي رواية (أم حوسب بصعقة الأولى) وفي رواية (أو اكتفى بصعقة الطور) أي المذكور بقوله تعالى: ﴿وخر موسى صعقاً﴾/الأعراف: ١٤٣/.

[البخاري: الخصومات، باب: ما يذكر في الأشخاص والملازمة، والخصومة. . ، رقم: ٢٢٨١، ٢٢٨٣. مسلم: الفضائل، باب: من فضائل موسى عليه السلام، رقم: ٢٣٧٣، ٢٣٧٤]

يصعقون: يخرون صرعى، مغمى عليهم من الفزع، أو ميتين. باطش: متعلق بناحية منه، والبطش الأخذ بقوة وشدة.

(١) أخرج البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (يدعى نوح يوم القيامة فيقول: لبيك وسعديك يا رب، فيقول: هل بلغت؟ فيقول: نعم، فيقال لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير، فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته، فيشهدون أنه قد بلغ، ويكون الرسول عليكم شهيداً، فذلك قوله جل ذكره ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾) والوسط: العدل. [التفسير/البقرة، باب: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾ [البقرة: ١٤٣] رقم: ٤٢١٧].

(٢) وجبت وثبتت.

(٣) أي وقد فتحت أبوابها لهم من قبل أن يصلوا إليها، بخلاف الكفار فإن أبواب جهنم لا تفتح لهم حتى يصلوها.

(٤) أي دخلوها وقالوا: الحمد. .

(٥) أي مكننا من التصرف فيها تصرف الوارث فيما يرثه.

والأرضين على ذه، والماء على ذه، والجبال على ذه، وسائر الخلق على ذه؟ فأنزل الله: ﴿وما قدروا الله حقّ قدره﴾ الآية. والحديث في الصحيح بلفظ (فتلا) دون (فأنزل). [الترمذي: التفسير، باب: ومن سورة الزمر، رقم: ٣٢٣٨. وانظر البخاري: التفسير/الزمر، باب: ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ رقم: ٤٥٣٣. مسلم: صفات المنافقين وأحكامهم، كتاب صفات القيامة والجنة والنار، رقم: ٢٧٨٦].

﴿ من الجنة حيث نشاء ﴾ لأنها كلها لا يختار فيها مكان على مكان ﴿ فنعم أجر العاملين ﴾ الجنة والمغفرة.

٧٥ ﴿ وترى الملائكة حافين ﴾(١) حال ﴿ من حول العرش ﴾ من كل جانب منه ﴿ يسبحون ﴾ حال من ضمير «حافين» ﴿ بحمد ربهم ﴾ ملابسين للحمد أي يقولون: سبحان الله وبحمده ﴿ وقضي بينهم ﴾ بين جميع الخلائق ﴿ بالحق ﴾ أي العدل، فيدخل المؤمنون الجنة والكافرون النار ﴿ وقيل الحمد لله رب العالمين ﴾ ختم استقرار الفريقين بالحمد من الملائكة.

(سورة غافر)
(مكيّة إلا «إن الذين يجادلون..» الآيتين ٥٦ و ٥٧ فمدنيتان) (وآياتها ٨٥)

بسم الله الرحمن الرحيم

نَشَآءُ فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ
مِنۡ حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡۚ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم
بِٱلۡحَقِّ وَقِيلَ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾

(٤٠) سُورَةُ غَافِرٍ مَكِّيَّةٌ
وَآيَاتُهَا خَمْسٌ وَثَمَانُونَ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٢﴾
غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ
لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٣﴾ مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ
ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿٤﴾
كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۖ وَهَمَّتۡ

١ ﴿ حم ﴾ الله أعلم بمراده به(٢).

٢ ﴿ تنزيل الكتاب ﴾ القرآن، مبتدأ ﴿ من الله ﴾ خبره ﴿ العزيز ﴾ في ملكه ﴿ العليم ﴾ بخلقه.

٣ ﴿ غافر الذنب ﴾ للمؤمنين ﴿ وقابل التوب ﴾ لهم، مصدر(٣) ﴿ شديد العقاب ﴾ للكافرين، أي مشدده ﴿ ذي الطول ﴾ أي الإنعام الواسع، وهو موصوف على الدوام بكل هذه الصفات، فإضافة المشتق منها للتعريف كالأخيرة(٤) ﴿ لا إله إلا هو إليه المصير ﴾ المرجع.

٤ ﴿ ما يجادل في آيات الله ﴾ القرآن ﴿ إلا الذين كفروا ﴾ من أهل مكة ﴿ فلا يغررك تقلبهم في البلاد ﴾(٥) للمعاش سالمين، فإن عاقبتهم النار.

٥ ﴿ كذبت قبلهم قوم نوح والأحزاب ﴾ كعاد وثمود وغيرهما ﴿ من بعدهم وهمت

---

(١) محيطين ومصطفين، من حففت بالشيء إذا أحطت به، مأخوذ من الحفاف وهو الجانب.

(٢) انظر تفسير أول سورة البقرة.

(٣) تاب يتوب توباً، وهو الرجوع عن الذنب. وقيل: التوب جمع توبة.

(٤) هذا جواب عما إذا قيل: الصفات الثلاث ﴿غافر﴾ و ﴿قابل﴾ و ﴿ شديد ﴾ مشتقات، وإضافة المشتق لا تفيده تعريفاً، فكيف وقعت صفات للمعرفة التي هي لفظ الجلالة. فأجاب: بأن المشتق لا تفيده الإضافة تعريفاً إذا لم يقصد بذلك الوصف الذي يدل عليه المشتق الدوام، فإذا قصد به الدوام تعرف بالإضافة، وهنا أريد بهذه الأوصاف الدوام كما أريد بالوصف الرابع ﴿ذي الطول﴾.

(٥) سفرهم وتنقلهم فيها. أخرج مسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: هجرت إلى رسول الله ﷺ يوماً، فسمع أصوات رجلين اختلفا في آية، فخرج رسول الله ﷺ يعرف في وجهه الغضب فقال: (إنما هلك من كان قبلكم باختلافهم في الكتاب). [هجرت: بكرت].

[مسلم: العلم، باب: النهي عن اتباع متشابه القرآن والتحذير من متبعيه والنهي عن الاختلاف في القرآن، رقم: ٢٦٦٦].

سبب نزول الآية [٤]: عن أبي مالك في قوله: ﴿ ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا ﴾ قال: نزلت في الحارث بن قيس السهمي. [السيوطي].

فائدة: أخرج الحافظ أبو بكر البزار بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من قرأ آية الكرسي وأول: ﴿حمٓ﴾ المؤمن عصم ذلك اليوم من كل سوء). [ابن كثير في تفسيره].

وقال ابن كثير في تفسيره في مقدمة تفسير هذه السورة: وقال أبو عبيد: حدّثنا الأشجعي: حدّثنا مِسْعر ـ هو ابن كدام ـ عمن حدثه: أن رجلاً رأى أبا الدرداء يبني مسجداً، فقال له: ما هذا؟ فقال: أبنيه من أجل آل حمٓ. قال: وقد يكون هذا المسجد الذي بناه أبو الدرداء هو المسجد

كل أمة برسولهم ليأخذوه ﴾ ويقتلوه أو يحرقوه ﴿ وجادلوا بالباطل ليدحضوا ﴾ يزيلوا ﴿ به الحق فأخذتهم ﴾ بالعذاب ﴿ فكيف كان عقاب ﴾ لهم؟ أي هو واقع موقعه(١).

٦ ﴿ وكذلك حقت كلمة ربك ﴾ «لأملأن جهنم» الآية/ هود: ١١٩/ و/ السجدة: ١٣/ ﴿ على الذين كفروا أنهم أصحاب النار ﴾ بدل من «كلمة»(٢).

٧ ﴿ الذين يحملون العرش ﴾ مبتدأ ﴿ ومن حوله ﴾ عطف عليه ﴿ يسبحون ﴾ خبره ﴿ بحمد ربهم ﴾ ملابسين للحمد، أي يقولون: سبحان الله وبحمده ﴿ ويؤمنون به ﴾ تعالى ببصائرهم، أي يصدقون بوحدانيته ﴿ ويستغفرون للذين آمنوا ﴾(٣) يقولون ﴿ ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً ﴾ أي وسعت رحمتك كل شيء، ووسع علمك كل شيء ﴿ فاغفر للذين تابوا ﴾ من الشرك ﴿ واتبعوا سبيلك ﴾ وهو دين الإسلام ﴿ وقهم عذاب الجحيم ﴾ النار.

٨ ﴿ ربنا وأدخلهم جنات عدن ﴾ إقامة ﴿ التي وعدتهم ومن صلح ﴾ عطف على هم في «وأدخلهم» أو «وعدتهم» ﴿ من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم ﴾ في صنعه(٤).

(الجزء الرابع والعشرون) ٦١٨

كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟
بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ
حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ
ٱلنَّارِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ
بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۖ
رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟
وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا
وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ
ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ
ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ
فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ

٩ ﴿ وقهم السيئات ﴾ أي عذابها ﴿ ومن تق السيئات يومئذ ﴾ يوم القيامة ﴿ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم ﴾.

١٠ ﴿ إن الذين كفروا ينادون ﴾ من قبل الملائكة، وهم يمقتون أنفسهم عند دخولهم النار(٥) ﴿ لمقت الله ﴾ إياكم ﴿ أكبر من مقتكم أنفسكم

---

(١) أي فهو عدل منه سبحانه لأنهم مستحقونه. أخرج أبو القاسم الطبراني بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: (من أعان باطلاً ليدحض بباطله حقاً فقد برئت منه ذمة الله وذمة رسوله) [تفسير ابن كثير].

(٢) أي قوله ﴿أنهم أصحاب النار﴾ بدل من قوله ﴿كلمة ربك﴾ والمعنى: وجب وثبت أنهم أصحاب النار أي المستحقون لها على الدوام.

(٣) قال ابن كثير في تفسيرها: أي من أهل الأرض ممن آمن بالغيب، فقيض الله سبحانه ملائكته المقربين أن يدعوا للمؤمنين بظهر الغيب، ولما كان هذا من سجايا الملائكة ـ عليهم الصلاة والسلام ـ كانوا يُؤَمِّنون على دعاء المسلم لأخيه بظهر الغيب، كما ثبت في صحيح مسلم: (إذا دعا المسلم لأخيه بظهر الغيب قال الملك: آمين، ولك بمثله). [الحديث في مسلم: الذكر والدعاء والتوبة، باب: فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب، رقم: ٢٧٣٢].

(٤) قال ابن كثير في تفسيره: قال سعيد بن جبير: إن المؤمن إذا دخل الجنة سأل عن أبيه وابنه وأخيه، وأين هم؟ فيقال: إنهم لم يبلغوا طبقتك في العمل. فيقول: إني إنما عملت لي ولهم. فيلحقون به في الدرجة. ثم تلا سعيد بن جبير هذه الآية: ﴿ربنا وأدخلهم جنّات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم﴾. قال مطرف بن عبد الله بن الشخير: أنصح عباد الله المؤمنين الملائكة ـ ثم تلا هذه الآية: ﴿ربنا وأدخلهم جنّات عدن التي وعدتهم﴾ ـ وأغش عباد الله للمؤمنين الشياطين.

(٥) أي إن الكفار يبغضون أنفسهم أشد البغض حين يساقون إلى النار، ويعلنون ذلك على الملأ، فتناديهم الملائكة: لمقت الله..

المنسوب إليه داخل قلعة دمشق، وقد يكون صيانتها وحفظها ببركته وبركة ما وضع له، فإن هذا الكلام يدل على النصر على الأعداء، كما قال رسول الله ﷺ لأصحابه في بعض الغزوات: (إن بُيِّتُّم الليلةَ فقولوا: حمٓ، لا ينصرون) وفي رواية: (لا تنصرون). وهذا الحديث أخرجه أبو داود [في الجهاد، باب: في الرجل ينادي بالشعار، رقم: ٢٥٩٧] والترمذي [في الجهاد، باب: ما جاء في الشعار، رقم: ١٦٨٢] من حديث المهلب بن أبي صفرة قال: أخبرني من سمع النبي ﷺ يقول: (إنْ بُيِّتُّم فليكن شعاركم: حمٓ، لا ينصرون). وهذا لفظ أبي داود، ولفظ الترمذي: (إنْ بَيَّتَكُم العدو فقولوا: حمٓ، لاينصرون). وانظر مسند أحمد [٤/٦٥].

وأخرج ابن أبي حاتم عن يزيد بن الأصم قال: كان رجل من أهل الشام ذو بأس، وكان يفد إلى عمر بن الخطاب، ففقده عمر ـ رضي الله عنه ـ فقال: ما فعل فلان بن فلان؟ فقالوا: يا أمير المؤمنين، يتابع في هذا الشراب. قال: فدعا عمر كاتبه، فقال: اكتب: من عمر بن الخطاب إلى =

إذ تدعون ﴾ في الدنيا ﴿ إلى الإيمان فتكفرون ﴾.

١١ ﴿ قالوا ربنا أمتنا اثنتين ﴾ إماتتين ﴿ وأحييتنا اثنتين ﴾ إحياءين، لأنهم - نطفاً[(١)] - أموات، فأحيوا، ثم أميتوا، ثم أحيوا للبعث ﴿ فاعترفنا بذنوبنا ﴾ بكفرنا بالبعث ﴿ فهل إلى خروج ﴾ من النار، والرجوع إلى الدنيا لنطيع ربنا ﴿ من سبيل ﴾ طريق؟ وجوابهم: لا.

١٢ ﴿ ذلكم ﴾ أي العذاب الذي أنتم فيه ﴿ بأنه ﴾ بسبب أنه في الدنيا ﴿ إذا دعي الله وحده كفرتم ﴾ بتوحيده ﴿ وإن يشرك به ﴾ يجعل له شريك ﴿ تؤمنوا ﴾ تصدقوا بالإشراك ﴿ فالحكم ﴾ في تعذيبكم ﴿ لله العلي ﴾ على خلقه ﴿ الكبير ﴾ العظيم.

١٣ ﴿ هو الذي يريكم آياته ﴾ دلائل توحيده وبراهين قدرته ﴿ وينزل لكم من السماء رزقاً ﴾ بالمطر ﴿ وما يتذكر ﴾ يتعظ ﴿ إلا من ينيب ﴾ يرجع عن الشرك.

١٤ ﴿ فادعو الله ﴾ اعبدوه ﴿ مخلصين له الدين ﴾ من الشرك ﴿ ولو كره الكافرون ﴾ إخلاصكم له(٢).

٦١٩ (ســـورة غافـــر)

إِذۡ تُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلۡإِيمَٰنِ فَتَكۡفُرُونَ (١٠) قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا
ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ
مِّن سَبِيلٖ (١١) ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ
وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْۚ فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ ٱلۡعَلِيِّ ٱلۡكَبِيرِ (١٢)
هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزۡقٗاۚ
وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ (١٣) فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ
لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ (١٤) رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ
ذُو ٱلۡعَرۡشِ يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ
لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ (١٥) يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ
مِنۡهُمۡ شَيۡءٞۚ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ (١٦)
ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ إِنَّ
ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ (١٧) وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡأٓزِفَةِ إِذِ

١٥ ﴿ رفيع الدرجات ﴾ أي الله عظيم الصفات، أو: رافع درجات المؤمنين في الجنة ﴿ ذو العرش ﴾ خالقه ﴿ يلقي الروح ﴾ الوحي ﴿ من أمره ﴾ أي من قوله ﴿ على من يشاء من عباده لينذر ﴾ يخوف الملقى عليه الناس ﴿ يوم التلاق ﴾ بحذف الياء وإثباتها(٣)، يوم القيامة، لتلاقي أهل السماء والأرض، والعابد والمعبود، والظالم والمظلوم فيه.

١٦ ﴿ يوم هم بارزون ﴾ خارجون من قبورهم ﴿ لا يخفى على الله منهم شيء(٤) لمن الملك اليوم ﴾ يقوله تعالى ويجيب نفسه ﴿ لله الواحد القهّار ﴾ أي لخلقه(٥).

١٧ ﴿ اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب ﴾ يحاسب جميع الخلق في قدر نصف نهار من أيام الدنيا(٦)، لحديث ورد في ذلك.

١٨ ﴿ وأنذرهم يوم الآزفة ﴾ يوم القيامة، من أزف الرحيل قرب ﴿ إذ

---

(١) أي حال كونهم نطفاً قبل وجود الروح فيهم.

(٢) أخرج مسلم [المساجد ومواضع الصلاة، باب: استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته، رقم: ٥٩٤] عن أبي الزبير قال: كان ابن الزبير يقول في دُبُر كل صلاة، حين يسلم: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو على كل شيء قدير. لا حول ولا قوة إلا بالله، لا إله إلا الله، ولا نعبد إلا إياه، له النعمة وله الفضل، وله الثناء الحسن، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون). وقال: كان رسول الله ﷺ يهلل بهن دُبر كل صلاة. [يهلل بهن: يرفع صوته بهذه الجمل. دبر: عقب].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (ادعو الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاءً من قلب غافل لاهٍ). [أخرجه ابن أبي حاتم، كما ذكر ابن كثير في تفسيره].

(٣) أي ﴿التلاقِ﴾ و ﴿التلاقي﴾ قراءتان متواترتان.

(٤) أي يتيقنون أنه لا يخفى على الله منهم شيء، بينما كانوا يتوهمون في الدنيا أن يخفى شيء منهم إذا استتروا.

(٥) فإنه سبحانه وتعالى قهرهم جميعاً بالموت.

(٦) ولا يشغله سبحانه وتعالى حساب عن حساب.

=فلان بن فلان، سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، غافر الذنب، وقابل التوب، شديد العقاب، ذي الطول، لا إله إلا هو إليه المصير. ثم قال لأصحابه: ادعوا الله لأخيكم أن يُقْبِل بقلبه، وأن يتوب الله عليه. فلما بلغ الرجل كتابُ عمر جعل يقرؤه ويردده، ويقول: غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب، قد حذرني عقوبته ووعدني أن يغفر لي. ورواه الحافظ أبو نعيم من حديث جعفر بن برقان، وزاد: فلم يزل يُردِدها على نفسه، ثم بكى، ثم نَزَع فأحسن النَّزع. فلما بلغ عمر خبره قال: هكذا فاصنعوا، إذا رأيتم أخاكم زَلّ زلّة فسددوه ووفقوه، وادعوا الله له أن يتوب عليه، ولا تكونوا أعواناً للشيطان عليه. [نزع: أي رجع إلى حكم الله تعالى والتزام شرعه]وأخرج ابن أبي حاتم أيضاً: عن ثابت البناني قال: كنت مع مصعب بن الزبير في سواد الكوفة، فدخلت حائطاً أصلي ركعتين، فافتتحت: ﴿حمٓ﴾ المؤمن، حتى بلغت: ﴿لا إله إلا هو إليه المصير﴾ فإذا رجل خلفي على بغلة شهباء عليه مُقَطّعات يمنية، فقال: إذا قلت: ﴿غافر الذنب﴾ فقل: يا غافر الذنب اغفر لي ذنبي . وإذا قلت: ﴿قابل=

القلوب ﴾ ترتفع خوفاً ﴿ لدى ﴾ عند ﴿ الحناجر[1] كاظمين ﴾ ممتلئين غماً، حال من «القلوب» عوملت بالجمع بالياء والنون معاملة أصحابها ﴿ ما للظالمين من حميم ﴾ محب[2] ﴿ ولا شفيع يطاع ﴾ تقبل شفاعته، لا مفهوم للوصف[3]، إذ لا شفيع لهم أصلاً «فما لنا من شافعين» /الشعراء: ١٠٠/ أو له مفهوم بناءً على زعمهم أن لهم شفعاء، أي لو شفعوا فرضاً لم يقبلوا.

١٩ ﴿ يعلم ﴾ أي الله ﴿ خائنة الأعين ﴾[4] بمسارقتها النظر إلى محرم ﴿ وما تخفي الصدور ﴾ القلوب[5].

٢٠ ﴿ والله يقضي بالحق[6] والذين يدعون ﴾ يعبدون، أي كفار مكة، بالياء والتاء [7] ﴿ من دونه ﴾ وهم الأصنام ﴿ لا يقضون بشيء ﴾ فكيف يكونون شركاء لله عز وجل ﴿ إن الله هو السميع ﴾ لأقوالهم ﴿ البصير ﴾ بأفعالهم.

٢١ ﴿ أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم ﴾ وفي قراءة «منكم» ﴿ قوة وآثاراً في الأرض ﴾ من مصانع[8] وقصور ﴿ فأخذهم الله ﴾ أهلكهم ﴿ بذنوبهم وما كان لهم من الله من واقٍ ﴾ عن عذابه[9].

٢٢ ﴿ ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات ﴾ بالمعجزات الواضحات الظاهرات ﴿ فكفروا فأخذهم الله إنه قوي شديد العقاب ﴾.

٢٣ ﴿ ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين ﴾ برهان بين ظاهر[10].

٢٤ ﴿ إلى فرعون وهامان وقارون فقالوا ﴾ هو ﴿ ساحر كذاب ﴾.

٢٥ ﴿ فلما جاءهم بالحق ﴾ بالصدق ﴿ من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه

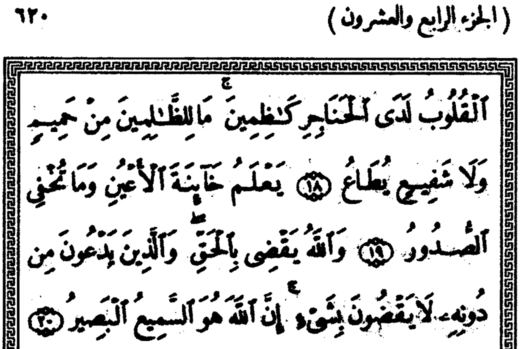
(الجزء الرابع والعشرون) ٦٢٠

ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَـٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ
وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى
ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن
دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾
۞ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ
ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا
فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ
مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ
فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٢﴾
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ
وَهَـٰمَـٰنَ وَقَـٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم
بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ

---

(١) أي كأنها ملتصقة بالحلوق.

(٢) الحميم هو القريب والصديق الذي تهتم لأمره ويهتم لأمرك.

(٣) أي لا يفهم من قوله ﴿شفيع يطاع﴾ أنه لا شفيع لهم بهذه الصفة، وإنما لهم شفعاء غير مطاعين. وإنما هو نفي للشفيع مطلقاً، وفائدة ذكر الوصف هنا بيان الغالب من حال الشفيع، وأن الأصل فيه أن يطاع ويستجاب لشفاعته.

(٤) أي خيانتها.

(٥) عن العباد من خير أو شر. قال ابن عباس رضي الله عنهما: وهو الرجل يدخل على أهل البيت بيتهم وفيهم المرأة الحسناء، أو تمر به وبهم المرأة الحسناء، فإذا غفلوا لحظ إليها، فإذا فطنوا غض، فإذا غفلوا لحظ، فإذا فطنوا غض. وقد اطلع الله من قلبه أنه وَدَّ لو اطلع على فرجها. رواه ابن أبي حاتم، كما ذكر ابن كثير في تفسيره.

(٦) يحكم بالعدل.

(٧) اي ﴿يدعون﴾ على الغيبة، و﴿تدعون﴾ على الخطاب.

(٨) أماكن في الأرض تخزن فيها المياه كالصهاريج.

(٩) أي لم يكن لهم ما يقيهم من نقمة الله عزّ وجلّ ويدفع عنهم عذابه.

(١٠) قال ابن كثير في تفسيرها: يقول تعالى مسلياً لنبيّه ـ ﷺ ـ في تكذيب من كذبه من قومه، ومبشراً له بأن العاقبة والنصرة له في الدنيا والآخرة، كما جرى لموسى بن عمران، فإن الله تعالى أرسله بالآيات البيّنات، والدلائل الواضحات.

= التوب﴾ فقل: يا قابل التوب، اقبل توبتي. وإذا قلت: ﴿شديد العقاب﴾ فقل: يا شديد العقاب، لا تعاقبني. قال: فالتفت فلم أر أحداً، فخرجت إلى الباب فقلت: مرّ بكم رجل عليه مقطعات يمنية؟ قالوا: ما رأينا أحداً. فكانوا يرون أنه إلياس.

فائدة: عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة» [البخاري: المظالم، باب: لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه، رقم: ٢٣١٠. مسلم: البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظلم، رقم: ٢٥٨] [يسلمه: يتركه إلى الظلم. كان في حاجة أخيه: سعى في قضائها. كان الله في حاجته: أعانه الله تعالى وسهل له قضاء حاجته. كربة: مصيبة من مصائب الدنيا، توقعه في الغم وتأخذ بنفسه].

واستحيوا ﴾ استبقوا ﴿ نساءهم [1] وما كيد الكافرين إلا في ضلال ﴾ هلاك.

٢٦ ﴿ وقال فرعون ذروني أقتل موسى ﴾ لأنهم كانوا يكفونه عن قتله ﴿ وليدع ربه ﴾ ليمنعه مني ﴿ إني أخاف أن يبدل دينكم ﴾ من عبادتكم إياي، فتتبعوه ﴿ أو أن يظهر في الأرض الفساد﴾ من قتل وغيره، وفي قراءة «أو أن» وفي أخرى بفتح الياء والهاء وضم الدال[2].

٢٧ ﴿ وقال موسى ﴾ لقومه، وقد سمع ذلك ﴿ إني عذت[3] بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب ﴾.

٢٨ ﴿ وقال رجل مؤمن من آل فرعون ﴾ قيل: هو ابن عمه ﴿ يكتم إيمانه أتقتلون رجلاً أن ﴾ أي لأن ﴿ يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات ﴾[4] بالمعجزات الظاهرات ﴿ من ربكم وإن يك كاذباً فعليه كذبه ﴾ أي ضرر كذبه ﴿ وإن يك صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم﴾ به من العذاب عاجلاً[5] ﴿إن الله لا يهدي من هو مسرف﴾ مشرك ﴿كذّاب﴾ مفتر[6].

٢٩ ﴿ يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين ﴾ غالبين، حال[7] ﴿ في الأرض ﴾ أرض مصر ﴿ فمن ينصرنا من بأس الله ﴾ عذابه، إن قتلتم أولياءه ﴿إن جاءنا﴾ أي لا ناصر لنا[8] ﴿قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى﴾ أي ما أشير عليكم إلا بما أشير به على نفسي، وهو: قتل موسى ﴿ وما أهديكم إلا سبيل الرشاد ﴾ طريق الصواب.

٣٠ ﴿ وقال الذي آمن يا قوم

٦٢١ (ســورة غافــر)

وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ ﴿٢٥﴾
وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ
أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾
وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ
لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ
فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ
وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ
كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ
ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَـٰقَوْمِ لَكُمُ
ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَـٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ
ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ
أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَـٰقَوْمِ

---

[1] أي بناتهم.

[2] أي بفتح الياء والهاء في يظهر، وضم الدال في الفساد، فتكون القراءة: ﴿أو أن يَظْهَرَ في الأرض الفسادُ﴾.

[3] اعتصمت والتجأت واستجرت. عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: أن النبي ﷺ كان إذا خاف قوماً قال: (اللّهم إنا نجعلك في نحورهم، ونعوذ بك من شرورهم) [أبو داود: الصلاة، باب: ما يقول الرجل إذا خاف قوماً، رقم: ١٥٣٧] والمعنى: نسألك أن تصد صدورهم عنا وتدفع شرورهم وتحولهم عنا وتكفيناهم، وتحول بيننا وبينهم.

[4] وقد تمثل هذا الموقف وأرقى منه أبو بكر الصديق رضي الله عنه، حين جاء يدافع عن رسول الله ﷺ.=

أخرج البخاري عن عروة بن الزبير قال: سألت عبد الله ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن أشد ما صنع المشركون برسول الله ﷺ؟ فقال: بينا رسول الله ﷺ يصلي بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط، فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ ولوى ثوبه في عنقه وخنقه خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر فأخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله ﷺ وقال: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم؟.

[البخاري: فضائل الصحابة، باب: قول النبي ﷺ (لو كنت متخذاً خليلاً) رقم: ٣٤٧٥. التفسير، باب: تفسير سورة غافر (المؤمن) رقم: ٤٥٣٧].

[5] قال ابن كثير: يعني: إذا لم يظهر لكم صحة ما جاءكم به، فمن العقل والرأي التام والحزم أن تتركوه ونفسه، فلا تؤذوه، فإن يك كاذباً فإن الله سيجازيه على كذبه بالعقوبة في الدنيا والآخرة، وإن يك صادقاً ـ وقد آذيتموه ـ يصبكم بعض الذي يعدكم، فإنه يتوعدكم إن خالفتموه بعذاب في الدنيا والآخرة، فمن الجائز عندكم أن يكون صادقاً، فينبغي على هذا أن لا تتعرضوا له، بل اتركوه وقومه يدعوهم ويتبعونه.

[6] قال ابن كثير: أي: لو كان هذا الذي يزعم أن الله أرسله إليكم كاذباً كما تزعمون، لكان أمره بينا، يظهر لكل أحد في أقواله وأفعاله، كانت تكون في غاية الاختلاف والاضطراب، وهذا نرى أمره سديداً ومنهجه مستقيماً، ولو كان من المسرفين الكذابين لما هداه الله، وأرشده إلى ما ترون من انتظام أمره وفعله.

[7] من الضمير في ﴿لكم﴾.

[8] قال ابن كثير: ثم قال المؤمن محذراً قومه زوال نعمة الله عنهم، وحلول نقمة الله بهم: ﴿يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض﴾ أي: قد أنعم الله عليكم بهذا الملك والظهور في الأرض بالكلمة النافذة والجاه العريض، فراعوا هذه النعمة بشكر الله، وتصديق رسوله ﷺ، واحذروا نقمة الله إن كذبتم رسوله ﴿فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا﴾ أي: لا تغني عنكم هذه الجنود وهذه العساكر، ولا ترد عنا شيئاً من بأس الله إن أرادنا بسوء.

إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب ﴾ أي يوم حزب بعد حزب(١).

٣١ ﴿ مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم ﴾ مثل بدل من مثل قبله، أي مثل جزاء عادة من كفر قبلكم، من تعذيبهم في الدنيا ﴿ وما الله يريد ظلماً للعباد ﴾.

٣٢ ﴿ ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد ﴾ بحذف الياء وإثباتها(٢)، أي يوم القيامة، يكثر فيه نداء أصحاب الجنة أصحاب النار وبالعكس، والنداء بالسعادة لأهلها(٣) وبالشقاوة لأهلها(٤)، وغير ذلك.

٣٣ ﴿ يوم تولون مدبرين ﴾ عن موقف الحساب إلى النار ﴿ مالكم من الله ﴾ أي من عذابه ﴿ من عاصم ﴾ مانع ﴿ ومن يضلل الله فما له من هادٍ ﴾.

٣٤ ﴿ ولقد جاءكم يوسف من قبل ﴾ قبل موسى، وهو يوسف بن يعقوب، في قول: عمِّر(٥) إلى زمن موسى(٦)، أو يوسف بن إبراهيم بن يوسف بن يعقوب في قول ﴿ بالبينات ﴾ بالمعجزات الظاهرات ﴿ فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم ﴾ من غير برهان ﴿ لن يبعث الله من بعده رسولاً ﴾ أي فلن تزالوا كافرين بيوسف وغيره ﴿ كذلك ﴾ أي مثل إضلالكم ﴿ يضل الله من هو مسرف ﴾ مشرك ﴿ مرتاب ﴾ شاكٌ فيما شهدت به البينات.

٣٥ ﴿ الذين يجادلون في آيات الله ﴾ معجزاته، مبتدأ ﴿ بغير سلطان ﴾ برهان ﴿ أتاهم كبر ﴾ جدالهم، خبر المبتدأ ﴿ مقتاً عند الله وعند الذين آمنوا كذلك ﴾ أي مثل إضلالهم ﴿ يطبع ﴾ يختم ﴿ الله ﴾ بالضلال ﴿ على كل قلب متكبر جبار ﴾ بتنوين «قلب» ودونه، ومتى تكبر القلب تكبر صاحبه وبالعكس، و«كل» على القراءتين لعموم الضلال جميع القلب لا لعموم القلوب(٧).

٣٦ ﴿ وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحاً ﴾ بناءً عالياً ﴿ لعلي أبلغ الأسباب ﴾.

٣٧ ﴿ أسباب السماوات ﴾ طرقها الموصلة إليها ﴿ فأطلع ﴾ بالرفع عطفاً على أبلغ، وبالنصب جواباً لـ «ابنِ» ﴿ إلى إله موسى

إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدۡ جَآءَكُمۡ يُوسُفُ مِن قَبۡلُ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلۡتُمۡ فِي شَكّٖ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلۡتُمۡ لَن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِهِۦ رَسُولٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ مُّرۡتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡۖ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ

---

(١) أي مثل ما أصاب أولئك الأقوام حين كذبوا رسلهم، والذين سيذكرهم فيما يلي.

(٢) أي ﴿التناد﴾ و ﴿التنادي﴾ قراءتان متواترتان.

(٣) أي لأهل الجنة.

(٤) أي لأهل النار.

(٥) عمر: بوزن فرِح ونصَر، أي امتد عمره.

(٦) صحح المفسرون: أن يوسف عليه السلام عاش إلى أن أدركه فرعون، وفرعون أدركه موسى عليه السلام وأرسل إليه، أما يوسف عليه السلام فإنه لم يدرك موسى عليه السلام.

(٧) أي ليس المراد بالعموم أفراد القلوب المتكبرة، وأن الطبع =

فائدة: في الزهد بالدنيا والحذر منها وعدم الحرص عليها.

عن المستورد بن شداد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم، فلينظر بم يرجع). [مسلم: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، رقم: ٢٨٥٨].

وعن جابر رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ مر بالسوق والناس كنفتيه، فمر بجدي أسك ميت، فتناوله، فأخذ بأذنه، ثم قال: (أيكم يحب أن يكون هذا له بدرهم). فقالوا: ما نحب أنه لنا بشيء، وما نصنع به؟ ثم قال: (أتحبون أنه لكم). قالوا: والله لو كان حياً كان عيباً فيه، لأنه أسك. فكيف وهو ميت! فقال: (فوالله، للدنيا أهون على الله من هذا عليكم). [مسلم: أول الزهد والرقائق، رقم: ٢٩٥٧].

وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضةٍ ما سقى كافراً منها شربة ماء). [الترمذي: الزهد، باب: ما جاء في هوان الدنيا على الله عزَّ وجلَّ، رقم: ٢٣٢١، وقال: حديث حسن صحيح].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ، قال: (إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله تعالى مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء) [مسلم: الذكر والدعاء والتوبة(الرقاق) باب: أكثر أهل الجنة الفقراء..، رقم: ٢٧٤٢] والمعنى: أن الدنيا كالفاكهة الطازجة الخضراء الحلوة في نضارتها ولذتها، بحيث تطلبها النفوس وتشتهيها، وهي كذلك في سرعة فنائها وذهابها. =

وإني لأظنه ﴾ أي موسى ﴿ كاذباً ﴾ في أن له إلهاً غيري، قال فرعون ذلك تمويهاً ﴿ وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل ﴾ طريق الهدى، بفتح الصاد وضمها⁽¹⁾ ﴿ وما كيد فرعون⁽²⁾ إلا في تباب ﴾ خسار.

٣٨ ﴿ وقال الذي آمن يا قوم اتبعونـ ﴾ـي⁽³⁾، بإثبات الياء وحذفها ﴿ أهدكم سبيل الرشاد ﴾ تقدم⁽⁴⁾.

٣٩ ﴿ يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع ﴾ تمتع يزول ﴿ وإن الآخرة هي دار القرار ﴾⁽⁵⁾.

٤٠ ﴿ من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها ومن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ﴾ بضم الياء وفتح الخاء وبالعكس⁽⁶⁾ ﴿ يرزقون فيها بغير حساب ﴾ رزقاً واسعاً بغير تبعة.

٤١ ﴿ ويا قوم ما لي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار ﴾.

٤٢ ﴿ تدعونني لأكفر بالله وأشرك به ماليس لي به علموأنا أدعوكم إلى العزيز ﴾الغالب على أمره﴿ الغفار ﴾لمن تاب.

٤٣ ﴿ لا جرم ﴾ حقاً ﴿ أنما تدعونني إليه ﴾ لأعبده ﴿ ليس له دعوة ﴾ أي استجابة دعوة ﴿ في الدنيا ولا في الآخرة وأن مردنا ﴾ مرجعنا ﴿ إلى الله وأن المسرفين ﴾ الكافرين ﴿ هم أصحاب النار ﴾⁽⁷⁾. ٤٤ ﴿ فستذكرون ﴾ إذا عاينتم=

وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ
وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾
وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾
يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ
ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ
صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ
ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ * وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ
أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِى
لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ
إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ
لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ
وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ

=يعمها - وإن كان هذا داخلاً في المعنى - وإنما المراد أن الطبع بالضلال يعم جميع أجزاء قلب المتكبر الجبار، بحيث لا يبقى فيه محل يقبل الهدى. وهذا المعنى أبلغ في وصول الضلال إلى قلوبهم وتمكنه منها.

(١) أي ﴿صَدَّ﴾ فيكون هو الصاد، و ﴿صُدَّ﴾ فيكون هو المصدود.

(٢) أي تدبيره وسعيه في تضليل النار والرد على موسى عليه السلام وإبطال ما جاء به من معجزات.

(٣) اعملوا بنصيحتي وامتثلوا ما آمركم به.

(٤) أي تقدم هذا اللفظ في الآية/ ٢٩/. ولكن هنا صدر من معدنه، وهناك صدر من مدع كذاب ضال مضل.

(٥) الثبات والاستقرار التي لا تحول عنها.

(٦) أي ﴿يُدْخَلون﴾ و ﴿يَدْخُلون﴾ قراءتان متواترتان.

(٧) قال البخاري في صحيحه تعليقاً [التفسير، باب: تفسير سورة غافر]: وكان العلاء بن زياد يذكر النار، فقال رجل: لم تقنط الناس؟ قال: وأنا أقدر أن أقنط الناس، والله عز وجل يقول: ﴿يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله﴾ [الزمر: ٥٣]. ويقول: ﴿وأن المسرفين هم أصحاب النار﴾. ولكنكم تحبون أن تبشروا بالجنة على مساوىء أعمالكم، وإنما بعث الله محمداً ﷺ مبشراً بالجنة لمن أطاعه، ومنذراً بالنار لمن عصاه. [يذكر النار: أي يذكر ما فيها من ألوان العذاب، وما يوصل إليها من سوء الأعمال. تقنط الناس: توقعهم في اليأس الشديد من رحمة الله تعالى بسبب ما تذكر من الترهيب. والله عز وجل يقول: أي والله عز وجل بين أن باب المغفرة والرحمة مفتوح لمن آمن وعمل صالحاً ثم اهتدى، وأن من أصر على كفره ومعصيته مآله إلى النار، أي: فأنا أبلغ الناس ما جاء عن الله عز وجل، والله تعالى أعلم. أسرفوا: أفرطوا في المعاصي فجنوا على أنفسهم

=وعن عمرو بن عوف الأنصاري رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ بعث أبا عبيدة بن الجراح - رضي الله عنه - إلى البحرين يأتي بجزيتها، فقدم بمال، من البحرين، فسمعت الأنصار بقدوم أبي عبيدة، فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله ﷺ، فلما صلّى رسول الله ﷺ انصرف، فتعرضوا له، فتبسم رسول الله ﷺ حين رآهم، ثم قال: (أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشيء من البحرين). فقالوا: أجل يا رسول الله، فقال: (أبشروا وأملوا ما يسركم، فوالله ما الفقر أخشىٰ عليكم، ولكني أخشى أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، فتهلككم كما أهلكتهم) [البخاري: الجزية والموادعة، باب: الجزية والموادعة مع أهل الذمة والحرب، رقم: ٢٩٨٨. مسلم: أوائل الزهد والرقائق، رقم: ٢٩٦١]. [فوافوا: أتوا وحضروا. أجل: نعم. تبسط: يوسع لكم فيها. فتنافسوها: من التنافس، وهو الرغبة في الشي والانفراد به، مأخوذ من الشيء النفيس الجيد في نوعه والذي يرغب فيه. تهلككم: تجركم إلى الهلاك بسبب التنازع عليها والركون إليها والاشتغال بها عن الآخرة].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (انظروا إلى من هو أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم) [البخاري: الرقاق، باب: لينظر إلى من هو أسفل منه. . ، رقم: ٦١٢٥. مسلم: أوائل الزهد والرقائق، رقم: ٢٩٦٣]. [أسفل منكم: أي أقل حظاً منكم في الدنيا. أجدر: أولى. لا تزدروا: تنتقصوا وتحتقروا].

وعن أبي العباس سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، دلني على عمل إذا عملته أحبني الله، وأحبني الناس. فقال: (ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس) قال النووي في رياض الصالحين: حديث حسن، رواه

العذاب ﴿ ما أقول لكم وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد ﴾ قال ذلك لما توعدوه بالقتل لمخالفة دينهم⁽¹⁾

٤٥ ﴿ فوقاه الله سيئات ما مكروا ﴾⁽²⁾ به من القتل ﴿ وحاق ﴾ نزل ﴿ بآل فرعون ﴾ قومه معه⁽³⁾ ﴿ سوء العذاب ﴾ الغرق.

٤٦ ثم ﴿ النار يعرضون عليها ﴾ يحرقون بها ﴿ غدواً وعشياً ﴾ صباحاً ومساءً⁽⁴⁾ ﴿ ويوم تقوم الساعة ﴾ يقال ﴿ ادخُلوا ﴾ يا ﴿ آل فرعون ﴾ وفي قراءة بفتح الهمزة وكسر الخاء⁽⁵⁾، أمر للملائكة ﴿ أشد العذاب ﴾ عذاب جهنم.

٤٧ ﴿ و ﴾ اذكر ﴿ إذ يتحاجون ﴾ يتخاصم الكفار ﴿ في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعاً ﴾ جمع تابع ﴿ فهل أنتم مغنون ﴾ دافعون ﴿ عنا نصيباً ﴾ جزءاً ﴿ من النار ﴾.

٤٨ ﴿ قال الذين استكبروا إنا كل فيها إن الله قد حكم بين العباد ﴾ فأدخل المؤمنين الجنة وأدخل الكافرين النار.

٤٩ ﴿ وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً ﴾ أي قدر يوم ﴿ من العذاب ﴾.

٥٠ ﴿ قالوا ﴾ أي الخزنة، تهكماً ﴿ أو لم تك تأتيكم رسلكم بالبينات ﴾ بالمعجزات الظاهرات ﴿ قالوا بلى ﴾ أي فكفروا بهم ﴿ قالوا فادعوا ﴾ أنتم، فإننا لا نشفع للكافرين⁽⁶⁾. قال تعالى: ﴿ وما دعاء الكافرين إلا في ضلال ﴾ انعدام⁽⁷⁾.

٥١ ﴿ إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ﴾ جمع شاهد، وهم الملائكة⁽⁸⁾، يشهدون للرسل بالبلاغ وعلى الكفار بالتكذيب.

لَكُمْۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾
فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ
ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوْمَ
تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾
وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ
إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعٗا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبٗا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾
قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُلّٞ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ
ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ
رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمٗا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ تَكُ
تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِۖ قَالُواْ بَلَىٰۚ قَالُواْ فَٱدْعُواْۗ وَمَا
دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا
وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾

وأرهقوها بالأوزار، وكذلك معنى المسرفين، وقد يراد بهم المشركون والكافرون]. [تعليقاً: أي بدون سند]

(1) أي لما هددوه بالقتل بسبب مخالفته لدينهم.

(2) ما دبروه له وأرادوه به من الشر.

(3) ولم يصرح بفرعون لأنه أولى منهم بالهلاك، فهو داخل في هذا دخولاً أولياً.

(4) أخرج البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: (إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي: إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، يقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله تعالى إليه يوم القيامة). [البخاري: الجنائز، باب: الميت يعرض عليه بالغداة والعشي، رقم: ١٣١٣. مسلم: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، رقم: ٢٨٦٦].

(5) أي ﴿أدخِلوا﴾.

(6) لأن من مات على الكفر فالخلود في النار حتم له، فلا تفيد الشفاعة فيه شيئاً.

(7) أي ثمرته معدومة، فهو ضائع، لأنه لا يجاب في ذلك اليوم.

(8) الكرام الكاتبون يشهدون بما شاهدوا وما كتبوا، وكذلك يحضر الأنبياء ويشهدون على أممهم أنهم بلغوهم رسالة الله عزّ وجلّ، والمؤمنون من أمة محمد ﷺ يشهدون على سائر الأمم أن رسلهم قد بلغوهم.

ابن ماجه وغيره بأسانيد حسنة. [ابن ماجه: الزهد، باب: الزهد في الدنيا، رقم: ٤١٠٢. الحاكم في مستدركه: ٤/٣١٣].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ رسول الله ﷺ، بمنكبيَّ فقال: (كن في الدنيا كأنك غريب، أو عابر سبيل).

وكان ابن عمر يقول: إذا أمسيت، فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت، فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك. [البخاري: الرقاق، باب: قول النبي ﷺ: (كن في الدنيا كأنك غريب..) رقم: ٦٠٥٣] [كأنك غريب: بعيد عن موطنه، لا يتخذ الدار التي هو فيها موطناً، ولا يحدث نفسه بالبقاء، قال العيني: هذه كلمة جامعة لأنواع النصائح، إذ الغريب، لقلة معرفته بالناس، قليل الحسد والعداوة والحقد والنفاق والنزاع، وسائر الرذائل منشؤها الاختلاط بالخلائق. ولقلة إقامته قليل الدار والبستان والمزرعة والأهل والعيال وسائر العلائق، التي هي منشأ الاشتغال عن الخالق، انتهى. عابر سبيل: مار بطريق، وتعلقاته أقل من تعلقات الغريب. خذ من صحتك لمرضك: اشتغل حال الصحة بالطاعات، بقدر يسد الخلل والنقص الحاصل بسبب المرض الذي قد يقعد عنها. من حياتك لموتك: اغتنم أيام حياتك بالأعمال التي تنفعك عند الله تعالى بعد موتك].

٥٢ ﴿ يوم لا ينفع ﴾ بالياء والتاء ﴿ الظالمين معذرتهم ﴾ عذرهم لو اعتذروا ﴿ ولهم اللعنة ﴾ أي البعد من الرحمة ﴿ ولهم سوء الدار ﴾ الآخرة، أي شدة عذابها.

٥٣ ﴿ ولقد آتينا موسى الهدى ﴾ التوراة والمعجزات ﴿ وأورثنا بني إسرائيل ﴾ من بعد موسى ﴿ الكتاب ﴾ التوراة.

٥٤ ﴿ هدى ﴾ هادياً ﴿ وذكرى لأولي الألباب ﴾ تذكرة لأصحاب العقول.

٥٥ ﴿ فاصبر ﴾ يا محمد ﴿ إن وعد الله ﴾ بنصر أوليائه ﴿ حق ﴾ وأنت ومن تبعك منهم ﴿ واستغفر لذنبك ﴾ ليستن بك⁽¹⁾ ﴿ وسبح ﴾ صل متلبساً ﴿ بحمد ربك بالعشي ﴾ وهو من بعد الزوال ﴿ والإبكار ﴾⁽²⁾ الصلوات الخمس.

٥٦ ﴿ إن الذين يجادلون في آيات الله ﴾ القرآن ﴿ بغير سلطان ﴾ برهان ﴿ أتاهم ⁽³⁾ إن ﴾ ما ﴿ في صدورهم إلا كبر ﴾ تكبر وطمع أن يعلوا عليك ﴿ ما هم ببالغيه⁽⁴⁾ فاستعذ ﴾ من شرهم ﴿ بالله إنه هو السميع ﴾ لأقوالهم ﴿ البصير ﴾ بأحوالهم. ونزل في منكري البعث:

٥٧ ﴿ لخلق السموات والأرض ﴾ ابتداءً ﴿ أكبر من خلق الناس ﴾ مرة ثانية، وهي الإعادة ﴿ ولكن أكثر الناس ﴾ الكفار ﴿ لا يعلمون ﴾ ذلك، فهم كالأعمى، ومن يعلمه منهم فهو كالبصير.

٥٨ ﴿ وما يستوي الأعمى والبصير و ﴾ لا ﴿ الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ وهو المحسن ﴿ ولا المسيء ﴾ فيه زيادة لا⁽⁵⁾ ﴿ قليلاً ما يتذكرون ﴾ يتعظون، بالياء والتاء⁽⁶⁾، أي تذكرهم قليل جداً في القلة.

٥٩ ﴿ إن الساعة لآتية لا ريب ﴾ شك ﴿ فيها ولكن أكثر الناس لا يؤمنون ﴾ بها.

٦٠ ﴿ وقال ربكم

يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ
سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا
بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى
ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٤﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ
وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۙ إِن فِى صُدُورِهِمْ
إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ۚ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ
ٱلْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ
ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا يَسْتَوِى
ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا
ٱلْمُسِىٓءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ
فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمُ

---

(١) ليقتدي بك أصحابك وأتباعك، لأنك إن استغفرت أنت على علو منزلتك، ومما لا يعد ذنباً في حق غيرك، كان غيرك أولى بالاستغفار وأحق.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة). [البخاري: الدعوات، باب: استغفار النبي ﷺ في اليوم والليلة، رقم: ٥٩٤٨].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: إن كنا لنعد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة: (رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم). رواه أبو داود [الصلاة، باب: في الاستغفار، رقم: ١٥١٦] والترمذي [الدعوات، باب: ما يقول إذا قام من مجلسه، رقم: ٣٤٣٠] وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) وهو من الفجر إلى الزوال، وفيه صلاة واحدة، والعشي من بعد الزوال إلى الفجر، وفيه أربع صلوات، ولذا فسر التسبيح بالعشي والإبكار بالصلوات الخمس، والله تعالى أعلم.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من قال حين يصبح وحين يمسي: سبحان الله وبحمده، مائة مرة، لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به، إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد) [مسلم: الذكر والدعاء والتوبة، باب: فضل التهليل والتسبيح والدعاء، رقم: ٢٦٩٢].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يقول في ركوعه وسجوده: (سبحانك اللّهم ربنا وبحمدك، اللّهم اغفر لي) [البخاري: صفة الصلاة، باب: الدعاء في الركوع، رقم: ٧٦١].

(٣) إذ لا برهان أصلاً ولا حجة لمن يجادل في آيات الله تعالى.

(٤) هذا وعد من الله تعالى أن يقصم المتكبر، ويرد كيده في نحره، فلا يبلغ ما أمله بكبره.

(٥) أي كان يكفي أن يقال: والمسيء، فزيدت لا للتأكيد على نفي الاستواء بين المحسن والمسيء. (٦) أي ﴿يتذكرون﴾ و ﴿تتذكرون﴾ فيكون فيه التفات من الغيبة إلى الخطاب.

سبب نزول الآية [٥٦]: عن أبي العالية قال: جاءت اليهود إلى رسول الله ﷺ، فذكروا الدجال، فقالوا: يكون منا في آخر الزمان، فعظموا أمره، وقالوا: يصنع كذا، فأنزل الله: ﴿إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان...﴾ فأمر نبيه ﷺ أن يتعوذ من فتنة الدجال.

وعن كعب الأحبار في قوله: ﴿الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان﴾ قال: هم اليهود، نزلت فيما ينتظرونه من أمر الدجال. [السيوطي].

ادعوني أستجب لكم ﴾ أي اعبدوني أثبكم، بقرينة ما بعده(١) ﴿ إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون ﴾ بفتح الياء وضم الخاء وبالعكس(٢) ﴿ جهنم داخرين ﴾ صاغرين.

٦١ ﴿ الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه(٣) والنهار مبصراً ﴾(٤) إسناد الإبصار إليه مجازي، لأنه يبصر فيه ﴿ إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون ﴾ الله، فلا يؤمنون.

٦٢ ﴿ ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا إله إلا هو فأنى تؤفكون ﴾ فكيف تصرفون عن عبادته وعن الإيمان مع قيام البرهان.

٦٣ ﴿ كذلك يؤفك ﴾ أي مثل أفْك هؤلاء أفِك(٥) ﴿ الذين كانوا بآيات الله ﴾ عز وجل، أي بمعجزاته ﴿ يجحدون ﴾.

٦٤ ﴿ الله الذي جعل لكم الأرض قراراً(٦) والسماء بناءً ﴾ سقفاً(٧) ﴿ وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين ﴾.

٦٥ ﴿ هو الحي لا إله إلا هو فادعوه ﴾ اعبدوه ﴿ مخلصين له الدين ﴾ من الشرك وغيره ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾.

٦٦ ﴿ قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون ﴾ تعبدون ﴿ من دون الله لما جاءني البينات ﴾ دلائل التوحيد ﴿ من ربي وأمرت أن أسلم(٨) لرب

ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى
سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ (٦٠) ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ
ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى
ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٦١) ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ
رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ (٦٢)
كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ (٦٣) ٱللَّهُ
ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ
فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ
فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٦٤) هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ
فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٦٥)
۞ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ
لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ

---

(١) أي فإن الدعاء قوبل بعدم العبادة، فدل على أن المراد به العبادة، وإطلاق الدعاء على العبادة مجاز من إطلاق الجزء على الكل، فإن العبادة مشتملة على الدعاء، وهو جزء منها: عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر: (الدعاء هو العبادة) ثم قرأ: ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾ أخرجه أبو داود: الصلاة، باب: الدعاء، رقم: ١٤٧٩. الترمذي: الدعوات، باب: الدعاء مخ العبادة، رقم: ٣٣٦٩ وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) أي ﴿سيُدْخَلون﴾ بضم الياء وفتح الخاء، مبني للمجهول. عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: (يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر، في صور الناس، يعلوهم كل شيء من الصغار، حتى يدخلوا سجناً في جهنم يقال له: بولس، تعلوهم نار الأنيار، يسقون من طينة الخبال: عصارة أهل النار). [مسند أحمد: ٢/١٧٩] الذر: النمل الصغير، واحدتها ذرة. الصغار: الذل والهوان.

(٣) لتنقطعوا عن أعمالكم بسبب ظلمته، وتهدؤوا فتناموا، فتستريحوا من عناء يومكم.

(٤) لتتمكنوا من التصرف فيه لقضاء حوائجكم وتسيير أعمالكم وتحصيل معاشكم.

(٥) أفك - بفتح الفاء - يأفك - بكسر الفاء - أفكاً - بفتح الهمزة - إذا كان بمعنى القلب والصرف عن الشيء، كما في الآية هنا. وأفك يأفك - بكسر الفاء فيهما - إفكاً - بكسر الهمزة - بمعنى الكذب والافتراء.

(٦) صالحة لأن تستقروا عليها، وتتمكنوا من العيش عليها والانتفاع بخيراتها.

(٧) مرفوعة كالسقف.

(٨) أنقاد وأخلص في طاعتي وانقيادي وعبادتي.

فائدة: في الدعاء وفضله وما يدعا به. عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ - فيما يرويه عن ربه عزَّ وجلَّ - قال: (أربع خصال، واحدة منهن لي، وواحدة لك، وواحدة فيما بيني وبينك، وواحدة فيما بينك وبين عبادي: فأما التي لي فتعبدني لا تشرك بي شيئاً، وأما التي لك علي فما عملت من خير جزيتك به، وأما التي بيني وبينك فمنك الدعاء وعلي الإجابة، وأما التي بينك وبين عبادي فارض لهم ما ترضى لنفسك). [أخرجه أبو يعلى في مسنده: ٥/١٤٣، الحديث: ٢٧٥٧].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من لم يَدْعُ الله عزّ وجلّ غضب الله عليه) [مسند أحمد: ٢/٤٧٧].

وعن محمد بن سعيد قال: لما مات محمد بن مسلمة الأنصاري رضي الله عنه وجدنا في ذؤابة سيفه كتاباً: بسم الله الرحمٰن الرحيم: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن=

سبب نزول الآية [٦٦]: عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن الوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة قالا: يا محمد، ارجع عما تقول، وعليك بدين آبائك وأجدادك، فأنزل الله: ﴿قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله﴾ الآية. [السيوطي].

العالمين ﴾.

٦٧ ﴿ هو الذي خلقكم من تراب ﴾ بخلق أبيكم آدم منه ﴿ ثم من نطفة ﴾ مني ﴿ ثم من علقة ﴾ دم غليظ ﴿ ثم يخرجكم طفلاً ﴾ بمعنى أطفالاً ﴿ ثم ﴾ يبقيكم ﴿ لتبلغوا أشدكم ﴾ تكامل قوتكم من الثلاثين سنة إلى الأربعين ﴿ ثم لتكونوا شيوخاً ﴾ بضم الشين وكسرها(١) ﴿ ومنكم من يتوفى من قبل ﴾ أي قبل الأشد والشيخوخة، فعل ذلك بكم لتعيشوا ولتتداولوا ﴿ ولتبلغوا أجلاً مسمى ﴾ وقتاً محدوداً ﴿ ولعلكم تعقلون ﴾ دلائل التوحيد فتؤمنوا.

٦٨ ﴿ هو الذي يحيي ويميت فإذا قضى أمراً ﴾ أراد إيجاد شيء ﴿ فإنما يقول له كن فيكون ﴾ بضم النون، وفتحها بتقدير أن(٢)، أي يوجد عقب الإرادة التي هي معنى القول المذكور(٣).

٦٩ ﴿ ألم ترَ إلى الذين يجادلون في آيات الله ﴾ القرآن ﴿ أنّى ﴾ كيف ﴿ يصرفون ﴾ عن الإيمان.

٧٠ ﴿ الذين كذبوا بالكتاب ﴾ القرآن ﴿ وبما أرسلنا به رسلنا ﴾ من التوحيد والبعث، وهم كفار مكة ﴿ فسوف يعلمون ﴾ عقوبة تكذيبهم.

٧١ ﴿ إذ الأغلال في أعناقهم ﴾ إذ بمعنى إذا(٤) ﴿ والسلاسل ﴾ عطف على «الأغلال» فتكون في الأعناق. أو مبتدأ خبره محذوف أي في أرجلهم، أو خبره ﴿ يسحبون ﴾ أي يجرون بها.

٧٢ ﴿ في الحميم ﴾ أي جهنم(٥) ﴿ ثم في النار يسجرون ﴾ يوقدون(٦).

٧٣ ﴿ ثم قيل لهم ﴾ تبكيتاً(٧) ﴿ أين ما كنتم تشركون ﴾.

٧٤ ﴿ من دون الله ﴾ معه، وهي الأصنام ﴿ قالوا ضلوا ﴾ غابوا ﴿ عنا ﴾ فلا نراهم ﴿ بل لم نكن ندعو من قبل شيئاً ﴾ أنكروا عبادتهم إياها، ثم أحضرت، قال تعالى: «إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم»/ الأنبياء: ٩٨/ أي وقودها ﴿ كذلك ﴾ أي مثل إضلال هؤلاء المكذبين ﴿ يضل الله الكافرين ﴾.

٧٥ ويقال لهم أيضاً ﴿ ذلكم ﴾ العذاب ﴿ بما كنتم تفرحون

ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ
ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ
لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟
أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ
فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ أَلَمْ
تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾
ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ
يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ
يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾
ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟
ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ
يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ

---

(١) في القاموس المحيط: الشيخ والشيخون من استبانت فيه السن، أو من خمسين أو إحدى وخمسين إلى آخر عمره أو إلى الثمانين، جمعه شُيوخ وشِيوخ وأشياخ...

(٢) المضمرة وجوباً بعد فاء السببية الواقعة في جواب الأمر.

(٣) أي المراد بالقول المذكور في الآية توجه الإرادة وتعلقها بإيجاد الشيء، فإذا حصل هذا التعلق وجد الشيء دون توقف على استعمال آلة أو تهيئة عدة.

(٤) حتى يناسب استعمالها استعمال ﴿فسوف﴾ لأنها للاستقبال و«إذ» للماضي، وسوغ استعمالها موضع إذا لأنه إخبار من الله تعالى، وهو مقطوع بوقوعه فصار كأنه قد وقع.

(٥) الحميم الماء الحار الذي يصهر الأجسام إذا سكب عليها، وفسر بجهنم لأنه فيها.

(٦) يقال: سجر التنور إذا ملأه بالوقود، فصار المعنى: أن النار تملأ بهم، وفي نفس الوقت تمتلىء بها أجوافهم.

(٧) تشنيعاً عليهم واستهزاءً بهم وزيادة في حسرتهم وحزنهم.

=لربكم في بقية دهركم نفحات، فتعرضوا له، لعل دعوة أن توافق رحمة فيسعد بها صاحبها سعادة لا يخسر بها أبداً) [أخرجه الرامهرمزي كما ذكره ابن كثير بسنده].

وعن أنس رضي الله عنه قال: كان أكثر دعاء النبي ﷺ: (اللّهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) [البخاري: التفسير/ البقرة، باب: ﴿ومنهم من يقول ربنا..﴾ رقم: ٤٢٥٠. مسلم: الذكر والدعاء والتوبة، باب: فضل الدعاء باللّهم آتنا..، رقم: ٢٦٩٠].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقول: (اللّهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمرى، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير، واجعل الموت راحة لي من كل شر) [مسلم: الذكر والدعاء والتوبة، باب: التعوذ من شر ما عمل..، رقم: ٢٧٢٠] عصمة أمري: فيه حفظي وحمايتي ومنعي من كل شر.

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه: أنه قال لرسول=

في الأرض بغير الحق ﴾ من الإشراك وإنكار البعث ﴿ وبما كنتم تمرحون ﴾ تتوسعون في الفرح(١).

٧٦ ﴿ ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى ﴾ مأوى ﴿ المتكبرين ﴾.

٧٧ ﴿ فاصبر إن وعد الله ﴾ أي وعيده بعذابهم ﴿ حق فإما نرينك ﴾ فيه إن الشرطية مدغمة، وما زائدة تؤكد معنى الشرط أول الفعل، والنون تؤكد آخره ﴿ بعض الذي نعدهم ﴾ به من العذاب في حياتك، وجواب الشرط محذوف، أي فذاك ﴿ أو نتوفينك ﴾ قبل تعذيبهم ﴿ فإلينا يرجعون ﴾ فنعذبهم أشد العذاب، فالجواب المذكور للمعطوف فقط(٢).

٧٨ ﴿ ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك ﴾ روي أنه تعالى بعث ثمانية آلاف نبي: أربعة آلاف نبي من بني إسرائيل، وأربعة آلاف من سائر الناس ﴿ وما كان لرسول ﴾ منهم ﴿ أن يأتي بآية(٣) إلا بإذن الله ﴾ لأنهم عبيد مربوبون(٤) ﴿ فإذا جاء أمر الله ﴾ بنزول العذاب على الكفار ﴿ قضي ﴾ بين الرسل ومكذبيهم ﴿ بالحق وخسر هنالك المبطلون ﴾ أي ظهر القضاء والخسران للناس، وهم خاسرون في كل وقت قبل ذلك.

٧٩ ﴿ الله الذي جعل لكم الأنعام ﴾ قيل: الإبل خاصة هنا، والظاهر: والبقر والغنم ﴿ لتركبوا منها ومنها تأكلون ﴾(٥).

٨٠ ﴿ ولكم فيها منافع ﴾ من الدرّ(٦) والنسل والوبر والصوف ﴿ ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم ﴾ هي حمل الأثقال إلى البلاد ﴿ وعليها ﴾ في البر ﴿ وعلى الفلك ﴾ السفن في البحر ﴿ تحملون ﴾.

٨١ ﴿ ويريكم آياته فأي آيات الله ﴾ الدالة على وحدانيته ﴿ تنكرون ﴾ استفهام توبيخ، وتذكير أي أشهر من تأنيثه(٧).

٨٢ ﴿ أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم

فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ادْخُلُوا
أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾
فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ
أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن
قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ
عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ فَإِذَا
جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾
اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا
تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً
فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ
آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا
فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ

---

(١) وتختالون على خلق الله عزّ وجلّ.

(٢) أي قوله ﴿فإلينا يرجعون﴾ جواب لقوله ﴿أو نتوفينك﴾ المعطوف على ﴿نرينك﴾.

(٣) معجزة وأمر خارق للعادة.

(٤) مملوكون، والمملوك لا يستطيع أن يأتي بأمر إلا بإذن سيده.

(٥) فالذي يركب منها هو الإبل خاصة، وجميعها يؤكل منها.

(٦) اللبن.

(٧) ولذلك لم يقل: فأية آيات الله.

=الله ﷺ: علمني دعاءً أدعو به في صلاتي، قال: (قل: اللّهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم) [البخاري: الصلاة، باب: الدعاء قبل السلام، رقم: ٧٩٩. مسلم: الذكر والدعاء والتوبة، باب: استحباب خفض الصوت بالذكر، رقم: ٢٧٠٥].

وعن أبي موسى رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه كان يدعو بهذا الدعاء: (اللّهم اغفر لي خطيئتي وجهلي، وإسرافي في أمري، وما أنت أعلم به مني، اللّهم اغفر لي جدّي وهزلي وخطئي وعمدي، وكل ذلك عندي، اللّهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت، وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم، وأنت المؤخر، وأنت على كل شيء قدير) [البخاري: الدعوات، باب: قول النبي ﷺ: اللّهم اغفر لي. . .، رقم: ٦٠٣٥. مسلم: الذكر والدعاء والتوبة، باب: التعوذ من شر ما عمل، رقم: ٢٧١٩].

وعن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقول: (اللّهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والبخل والهرم، وعذاب القبر، اللّهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها. اللّهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها) [مسلم: الذكر والدعاء والتوبة، باب: التعوذ من شر ما عمل. . .، رقم: ٢٧٢٢] الهرم: أي الشيخوخة التي يرافقها الخرف.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقول: (اللّهم إني أعوذ بك من الجوع، فإنه بئس الضجيع. وأعوذ بك من الخيانة، فإنها بئس البطانة). رواه أبو داود [الصلاة، باب: في الاستعاذة، ١٥٤٧] بإسناد=

كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثاراً في الأرض ﴾ من مصانع⁽¹⁾ وقصور ﴿ فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون ﴾⁽²⁾.

٨٣ ﴿ فلما جاءتهم رسلهم بالبينات ﴾ المعجزات الظاهرات ﴿ فرحوا ﴾ أي الكفار ﴿ بما عندهم ﴾ أي الرسل عليهم السلام ﴿ من العلم ﴾ فرح استهزاء وضحك، منكرين له ﴿ وحاق ﴾ نزل ﴿ بهم ما كانوا به يستهزئون ﴾ أي العذاب.

٨٤ ﴿ فلما رأوا بأسنا ﴾ شدة عذابنا ﴿ قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين ﴾.

٨٥ ﴿ فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنت الله ﴾ نصبه على المصدر بفعل مقدر من لفظه⁽³⁾ ﴿ التي قد خلت في عباده ﴾ في الأمم: أن لا ينفعهم الإيمان وقت نزول العذاب ﴿ وخسر هنالك الكافرون ﴾ تبين خسرانهم لكل أحد، وهم خاسرون في كل وقت قبل ذلك.

(سورة السجدة «فصلت»)

(مكية وآياتها ٥٤)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ حم ﴾ الله أعلم بمراده به⁽⁴⁾. ٢ ﴿ تنزيل من الرحمن الرحيم ﴾ مبتدأ. ٣ ﴿ كتاب ﴾ خبره

---

(١) أماكن خزن المياه في الأرض كالصهاريج.

(٢) أي ما أفادهم شيئاً حين جاءهم العذاب، وما قدر على دفعه عنهم.

(٣) أي سن الله تعالى بهم سنته في الذين من قبلهم.

(٤) انظر تفسير أول سورة البقرة.

كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَمَآ
أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم
بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم
مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟
ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ
يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ
خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾

(٤١) سُورَةُ فُصِّلَتْ مَكِّيَّة
وآياتها ٥٤ نزلت بعد غافر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ

=صحيح. [الضجيع: أي ما يبيت عليه الإنسان. البطانة: في الأصل داخل الثوب الذي يلامس البدن، والمراد هنا: الخلق الباطن الملازم للإنسان]=

=وعن علي رضي الله عنه: أن مكاتباً جاءه فقال: إني عجزت عن كتابتي فأعني. قال: ألا أعلمك كلمات علمنيهن رسول الله ﷺ، لو كان عليك مثل جبل ثبير ديناً أداه الله عنك؟ قال: (قل: اللّهم اكفني بحلالك عن حرامك، وأغنني بفضلك عمن سواك) رواه الترمذي [الدعوات، باب: حدّثنا..، رقم: ٣٥٥٨] وقال: حديث حسن. [مكاتباً: هو العبد الذي تعاقد مع سيده على أن يأتيه بأقساط معينة من المال ليصبح حراً. كتابتي: أي الدين الذي لزمني بها. ثبير: اسم جبل في مكة].

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (كان من دعاء داود ﷺ: اللّهم إني أسألك حبك، وحب من يحبك، والعمل الذي يبلغني حبك. اللّهم اجعل حبك أحب إليّ من نفسي وأهلي، ومن الماء البارد) رواه الترمذي [الدعوات، باب: من دعاء داود عليه السلام، رقم: ٣٤٨٥] وقال: حديث حسن.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: كان من دعاء رسول الله ﷺ: (اللّهم إني أسألك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك، والسلامة من كل إثم، والغنيمة من كل بر، والفوز بالجنة، والنجاة ـ بعونك ـ من النار). رواه الحاكم أبو عبد الله [المستدرك: الدعاء: ١/٥٢٥] وقال: حديث صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي. [موجبات: أي العمل بما رتبت عليه رحمتك. عزائم: الأعمال التي عزمت علينا القيام بها لنفوز بغفرانك].

فائدة: عن محمد بن كعب القرظي قال: حدثت أن عتبة بن ربيعة ـ وكان سيداً ـ قال يوماً وهو جالس في نادي قريش، ورسول الله ﷺ جالس في المسجد وحده: يا معشر قريش، ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها، فنعطيه أيها شاء ويكف عنا؟ وذلك حين أسلم حمزة، ورأوا أصحاب رسول الله ﷺ يزيدون ويكثرون، فقالوا: بلى يا أبا الوليد، فقم إليه فكلمه. فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فقال: يا ابن أخي، إنك منا حيث قد علمت من السطة في العشيرة، والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم، فرقت به جماعتهم، وسفهت به أحلامهم، وعبت به آلهتهم ودينهم، وكفرت به من مضى من آبائهم، فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها، لعلك تقبل منا بعضها. قال: فقال له رسول الله ﷺ: «قل يا أبا الوليد أسمع». قال: يا ابن أخي، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون من أكثرنا أموالاً، وإن كنت تريد به شرفاً سودناك علينا، حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئياً تراه، لا تستطيع رده عن نفسك، طلبنا لك الطب، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه. أو كما قال له، حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله ﷺ يستمع

﴿ فصلت اياته ﴾ بينت بالأحكام والقصص والمواعظ ﴿ قرآناً عربياً ﴾ حال من كتاب بصفته(١) ﴿ لقوم ﴾ متعلق بفصلت ﴿ يعلمون ﴾ يفهمون ذلك، وهم العرب.

٤ ﴿ بشيراً ﴾ صفة قرآناً ﴿ ونذيراً فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون ﴾ سماع قبول.

٥ ﴿ وقالوا ﴾ للنبي ﷺ ﴿ قلوبنا في أكنة ﴾ أغطية(٢) ﴿ مما تدعونا إليه(٣) وفي آذاننا وقر ﴾ ثقل(٤) ﴿ ومن بيننا وبينك حجاب ﴾ خلاف في الدين(٥) ﴿ فاعمل ﴾ على دينك ﴿ إننا عاملون ﴾ على ديننا(٦).

٦ ﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ أنما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه ﴾ بالإيمان والطاعة ﴿ واستغفروه وويل ﴾ كلمة عذاب ﴿ للمشركين ﴾.

٧ ﴿ الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم ﴾ تأكيد ﴿ كافرون ﴾(٧).

٨ ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون ﴾ مقطوع(٨).

فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣)
بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (٤)
وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا
وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ (٥)
قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ
وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ (٦)
ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ (٧)
إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ
مَمْنُونٍ (٨) * قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ
فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٩)
وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ
أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ (١٠) ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ

٩ ﴿ قل ءإنكم ﴾ بتحقيق الهمزة الثانية، وتسهيلها وإدخال ألف بينها بوجهيها وبين الأولى ﴿ لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين ﴾ الأحد والاثنين ﴿ وتجعلون له أنداداً ﴾ شركاء ﴿ ذلك رب ﴾ مالك ﴿ العالمين ﴾ جمع عالم، وهو ما سوى الله، وجمع لاختلاف أنواعه بالياء والنون تغليباً للعقلاء.

١٠ ﴿ وجعل ﴾ مستأنف، ولا يجوز عطفه على صلة الذي للفاصل الأجنبي(٩) ﴿ فيها رواسي ﴾ جبالاً ثوابت ﴿ من فوقها وبارك فيها ﴾ بكثرة المياه والزروع والضروع(١٠) ﴿ وقدر ﴾ قسم ﴿ فيها أقواتها ﴾ للناس والبهائم ﴿ في ﴾ تمام ﴿ أربعة أيام ﴾ أي الجعل وما ذكر معه في يوم الثلاثاء والأربعاء ﴿ سواء ﴾ منصوب على المصدر، أي استوت الأربعة استواء لا تزيد ولا تنقص ﴿ للسائلين ﴾ عن خلق الأرض بما فيها.

١١ ﴿ ثم استوى ﴾ قصد

---

(١) أي لفظ ﴿كتاب﴾ نكرة، وسوغ مجيء الحال منه ـ وهي لا تكون إلا من معرفة ـ لوصفه بما بعده.

(٢) اكنة جمع كِنَان، كأغطية جمع غِطاء. والكنان هو الذي تجعل فيه السهام ويسمى جُعْبة. فقد شبهوا قلوبهم بالشيء المحوي المحاط بالغطاء المحيط به.

(٣) أي فلا نفهم ما تقول.

(٤) وصمم، فلا نسمع ما تدعونا إليه.

(٥) وحاجز في الفكر والمعتقد، فلا نلتقي ولا نتراءى.

(٦) ومستمرون على ما نحن عليه.

(٧) في هذا دليل على أهمية الزكاة، وأنهاركن أساسي من أركان الدين.

(٨) روى البخاري عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ غير مرة ولا مرتين يقول: (إذا كان العبد يعمل عملاً صالحاً، فشغله عنه مرض أو سفر، كتب الله تعالى له كصالح ما كان يعمل وهو صحيح مقيم).
[البخاري: الجهاد، باب: يكتب للمسافر مثل ما كان يعمل في الإقامة، رقم: ٢٨٣٤. أبو داود: الجنائز، باب إذا كان الرجل يعمل عملاً صالحاً فشغله عنه مرض أو سفر، رقم: ٣٠٩١].

(٩) صلة الذي قوله ﴿خلق الأرض في يومين﴾ والفاصل هو ﴿وتجعلون له أنداداً﴾ فإنه معطوف على ﴿لتكفرون﴾ وليس من أجزاء الصلة. ورد على المنع بأنه لا مانع من الفصل بين المتعاطفين بالجمل المعترضة.

(١٠) المراد بها الماشية ذات الضرع، وهو كالثدي للإنسان.

منه قال: «أفرغت يا أبا الوليد ؟». قال: نعم. قال: «فاستمع مني». قال: أفعل. قال: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم. حمٓ. تنزيل من الرحمن الرحيم. كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون. بشيراً ونذيراً فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون﴾ ثم مضى رسول الله ﷺ فيها يقرؤها عليه، فلما سمع عتبة أنصت لها، وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليها يسمع منه، ثم انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة منها فسجد، ثم قال: «قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت، فأنت وذاك».

فقام عتبة إلى أصحابه، فقال بعضهم لبعض: أقسم ـ يحلف بالله ـ لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به. فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا

﴿ إلى السماء ⁽١⁾ وهي دخان ﴾ بخار مرتفع ﴿ فقال لها وللأرض ائتيا ﴾ إلى مرادي منكما ﴿ طوعاً أو كرهاً ﴾ في موضع الحال، أي طائعتين أو مكرهتين ﴿ قالتا أتينا ﴾ بمن فينا ﴿ طائعين ﴾ فيه تغليب المذكر العاقل، أو نزلتا لخطابهما منزلته.

١٢ ﴿ فقضاهن ﴾ الضمير يرجع إلى السماء، لأنها في معنى الجمع الآيلة إليه⁽٢⁾، أي صيرها ﴿ سبع سموات في يومين ﴾ الخميس والجمعة، فرغ منها في آخر ساعة منه، وفيها خلق آدم، ولذلك لم يقل هنا سواء⁽٣⁾، ووافق ما هنا آيات خلق السماوات والأرض في ستة أيام ﴿ وأوحى في كل سماء أمرها ﴾ الذي أمر به من فيها من الطاعة والعبادة ﴿ وزينا السماء الدنيا بمصابيح ﴾ بنجوم ﴿ وحفظاً ﴾ منصوب بفعله المقدر⁽٤⁾، أي حفظناها من استراق الشياطين السمع بالشهب ﴿ ذلك تقدير العزيز ﴾ في ملكه ﴿ العليم ﴾ بخلقه.

١٣ ﴿ فإن أعرضوا ﴾ أي كفار مكة عن الإيمان بعد هذا البيان ﴿ فقل أنذرتكم ﴾ خوفتكم ﴿ صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود ﴾ ⁽٥⁾ أي عذاباً يهلككم مثل الذي أهلكهم.

١٤ ﴿ إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم ﴾ مقبلين عليهم ومدبرين عنهم، فكفروا كما سيأتي، والإهلاك في زمنه فقط⁽٦⁾ ﴿ أ ﴾ ن أي بأن ﴿ لا تعبدوا إلا الله قالوا لو شاء ربنا لأنزل ﴾ علينا ﴿ ملائكة فإنا بما أرسلتم به ﴾ على زعمكم ﴿ كافرون ﴾.

١٥ ﴿ فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا ﴾ لما خوفوا بالعذاب ﴿ من أشد منا قوة ﴾ أي لا أحد، كان واحدهم يقلع الصخرة العظيمة من الجبل يجعلها حيث يشاء ﴿ أو لم يروا ﴾ يعلموا ﴿ أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا ﴾ المعجزات ﴿ يجحدون ﴾.

١٦ ﴿ فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً ﴾ باردة شديدة الصوت بلا مطر⁽٧⁾ ﴿في أيام نحسات﴾ بكسر الحاء وسكونها، مشؤومات عليهم ﴿ لنذيقهم عذاب

إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا
أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ
سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ وَزَيَّنَّا
ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ
ٱلۡعَلِيمِ ﴿١٢﴾ فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ
مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذۡ جَآءَتۡهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ
بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ قَالُواْ لَوۡ
شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ فَإِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾
فَأَمَّا عَادٞ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَقَالُواْ مَنۡ
أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةًۖ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمۡ هُوَ
أَشَدُّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرۡسَلۡنَا
عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِيٓ أَيَّامٖ نَّحِسَاتٖ لِّنُذِيقَهُمۡ عَذَابَ

---

(١) تعلقت إرادته بخلقها.

(٢) أي إنها آلت إلى الجمع، أي صارت جمعاً، وهو السبع التي صيرها إليها.

(٣) أي لأنها زاد منها وقت اتسع لخلق آدم عليه السلام.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أخذ رسول الله بيدي فقال: (خلق الله عزّ وجلّ التربة يوم السبت، وخلق فيها الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الاثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم عليه السلام بعد العصر من يوم الجمعة في آخر الخلق، في آخر ساعة من ساعات الجمعة، فيما بين العصر إلى الليل). [مسلم: صفات المنافقين وأحكامهم، باب: ابتداء الخلق وخلق آدم عليه السلام، رقم: ٢٧٨٩].

(٤) التقدير: حفظناها حفظاً.

(٥) الصاعقة في الأصل: هي الصيحة التي يحصل بها الهلاك، أو قطعة من النار تنزل من السماء نتيجة احتكاك السحب، بإذن الله تعالى، وقد يراد بها حقيقتها وقد يراد بها معنى مجازي وهو العذاب مطلقاً.

(٦) أي إن الإهلاك الذي هددت به أمة محمد ﷺ مقصور على زمنه، ولا يكون بعد وفاته ﷺ.

(٧) عن أنس رضي الله عنه قال: كانت الريح الشديدة إذا هبت عرف ذلك في وجه النبي ﷺ. [البخاري: الاستسقاء، باب: إذا هبت الريح، رقم: ٩٨٧] [عرف ذلك: ظهر أثره عليه بتغير وجهه ﷺ مخافة أن تكون في الريح عقوبة].

وعن ابن عباس رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: (نصرت بالصَّبا، وأهلكت عاد بالدَّبُور) [البخاري: الاستسقاء، باب: قول النبي ﷺ: (نصرت بالصبا) رقم: =

أبا الوليد ؟ قال: ورائي أني قد سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالسحر ولا بالشعر ولا بالكهانة، يا معشر قريش، أطيعوني واجعلوها لي، خلوا بين الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم، وعزه عزكم، وكنتم أسعد الناس به. قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه. قال: هذا رأيي فيه، فاصنعوا ما بدا لكم.[السطة: المنزلة العالية من الشرف. سفهت: انتقصت عقولهم. رئياً: أي تابعاً من الجن].

الخزي ﴾ الذل **﴿ في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى ﴾** أشد **﴿ وهم لا ينصرون ﴾** بمنعه عنهم.

١٧ **﴿ وأما ثمود فهديناهم ﴾** بينا لهم طريق الهدى **﴿ فاستحبوا العمى ﴾** اختاروا الكفر **﴿ على الهدى ﴾** على الإيمان **﴿ فأخذتهم صاعقة العذاب الهون ﴾** المهين **﴿ بما كانوا يكسبون ﴾**(١)

١٨ **﴿ ونجينا ﴾** منها **﴿ الذين آمنوا**(٢) **وكانوا يتقون﴾** الله عز وجل.

١٩ **﴿ و ﴾** اذكر **﴿ يوم يحشر ﴾** بالياء، والنون المفتوحة وضم الشين وفتح الهمزة(٣) **﴿ أعداء الله إلى النار فهم يوزعون ﴾** يساقون(٤).

٢٠ **﴿ حتى إذا ما ﴾** صلة **﴿ جاؤوها**(٥) **شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون ﴾**.

٢١ **﴿ وقالوا لجلودهم لِمَ شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء ﴾** أي أراد نطقه **﴿ وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون ﴾** قيل: هو من كلام الجلود، وقيل: هو من كلام الله تعالى كالذي بعده(٦)، وموقعه قريب مما قبله(٧): بأن القادر على إنشائكم ابتداءً، وإعادتكم بعد الموت أحياءً، قادر على إنطاق جلودكم وأعضائكم.

٢٢ **﴿ وما كنتم تستترون ﴾** عن ارتكابكم الفواحش من **﴿أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ﴾**(٨) لأنكم لم توقنوا بالبعث **﴿ ولكن ظننتم ﴾** عند استتاركم **﴿ أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون ﴾**.

٢٣ **﴿ وذلكم ﴾** مبتدأ **﴿ ظنكم ﴾** بدل منه **﴿ الذي ظننتم بربكم ﴾** نعت البدل، والخبر **﴿ أرداكم ﴾** أهلككم

ٱلْخِزْيِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ
وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟
ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ
بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟
يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ
يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ
وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟
لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ
كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾
وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ
وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا
تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ

---

٩٨٨ مسلم: صلاة الاستسقاء، باب: في ريح الصبا والدبور، رقم: ٩٠٠][نصرت بالصبا: هي الريح التي تهب من مشرق الشمس، ونصرته بها ﷺ كانت يوم الخندق إذا أرسلها الله تعالى على الأحزاب باردة في ليلة شاتية، فقلعت خيامهم وأطفأت نيرانهم، وقلبت قدورهم وكان ذلك سبب رجوعهم وانهزامهم. الدبور: هي الريح التي تهب من مغرب الشمس، وبها كان هلاك قوم عاد، كما قص علينا القرآن الكريم].

(١) أي بسبب ما كسبوه من الكفر والتكذيب لرسولهم.

(٢) أي نجينا من آمن مع صالح عليه السلام من تلك الصاعقة التي نزلت بباقي القوم.

(٣) أي في ﴿يحشر﴾ قراءتان: الأولى بالياء المضمومة وفتح الشين فتضم الهمزة في ﴿أعداء﴾ على أنه نائب فاعل، والثانية بالنون المفتوحة وضم الشين فتفتح الهمزة في ﴿أعداء﴾ على أنه مفعول به.

(٤) قيل: يحبسون حتى يجتمع أولهم وأخرهم، ثم يدفعون ويساقون. في المصباح المنير: وزعته عن الأمر أزعه وزعاً، من باب وهب، منعته عنه وحبسته، وفي التنزيل ﴿فهم يوزعون﴾ أي يحبس أولهم على آخرهم.

(٥) أحضروا عندها وعاينوها.

(٦) وهو قوله: ﴿وما كنتم تستترون..﴾.

(٧) أي مناسب له من حيث إنه يقربه إلى العقول، فهو كالبرهان عليه بما ذكره المفسر.

(٨) أي ما كنتم تستخفون من هؤلاء الشهود عند فعلكم المعصية لأنكم... والاستخفاء من هؤلاء الشهود - وهي أعضاء الإنسان - لا يكون إلا بترك الفعل.

سبب نزول الآية [٢٢]: عن ابن مسعود رضي الله عنه في هذه الآية: ﴿وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصارُكُم﴾ الآية، قال: كان رجلان من قريش وختن لهما من ثقيف، أو رجلان من ثقيف وختن لهما من قريش، في بيت، فقال بعضهم لبعض: أترون أن الله يسمع حديثنا؟ قال بعضهم: يسمع بعضه، وقال بعضهم: لئن كان يسمع بعضه لقد يسمع كله، فأنزلت: ﴿وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم﴾ الآية.

[البخاري: التفسير/ فصلت، باب: قوله: ﴿وما كنتم تستترون..﴾ رقم: ٤٥٣٨. مسلم: أوائل كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، رقم: ٢٧٧٥]

في بيت: في رواية [عند البيت]. ختن: كل من كان من قبل المرأة كأبيها وأخيها فهو ختن، ويطلق أيضاً على زوج البنت والأخت، ولعله هو المراد هنا. ثقيف: إحدى قبائل العرب كانت تسكن الطائف.

﴿ فأصبحتم من الخاسرين ﴾.

٢٤ ﴿ فإن يصبروا ﴾ على العذاب ﴿ فالنار مثوى ﴾ مأوى ﴿ لهم وإن يستعتبوا ﴾ يطلبوا العتبى، أي الرضا ﴿ فما هم من المعتبين ﴾ المرضيين(١).

٢٥ ﴿ وقيضنا ﴾ سببنا ﴿ لهم قرناء ﴾ من الشياطين(٢) ﴿ فزينوا لهم ما بين أيديهم ﴾ من أمر الدنيا واتباع الشهوات ﴿ وما خلفهم ﴾ من أمر الآخرة بقولهم: لا بعث ولا حساب ﴿ وحق عليهم القول ﴾ بالعذاب وهو «لأملأن جهنم» الآية/ هود: ١١٩/ و/ السجدة: ١٣/ ﴿ في ﴾ جملة ﴿ أمم قد خلت ﴾ هلكت ﴿ من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين ﴾.

٢٦ ﴿ وقال الذين كفروا ﴾ عند قراءة النبي ﷺ ﴿ لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه ﴾ ائتوا باللغط ونحوه، وصيحوا في زمن قراءته ﴿ لعلكم تغلبون ﴾(٣) فيسكت عن القراءة.

٢٧ قال الله تعالى فيهم: ﴿ فلنذيقن الذين كفروا عذاباً شديداً ولنجزينهم أسوأ الذي كانوا يعملون ﴾ أي أقبح جزاء عملهم.

فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ
مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾
۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا
خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن
قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾
وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ
لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَذَابًا
شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾
ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ ۖ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ ۖ جَزَآءًۢ
بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا
تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ

٢٨ ﴿ ذلك ﴾ العذاب الشديد وأسوأ الجزاء ﴿ جزاء أعداء الله ﴾ بتحقيق الهمزة الثانية(٤)، وإبدالها واواً ﴿ النار ﴾ عطف بيان للجزاء المخبر به عن ذلك ﴿ لهم فيها دار الخلد ﴾ أي إقامة لا انتقال منها ﴿ جزاء ﴾ منصوب على المصدر بفعله المقدر(٥) ﴿ بما كانوا بآياتنا ﴾ القرآن ﴿ يجحدون ﴾.

٢٩ ﴿ وقال الذين كفروا ﴾ في النار ﴿ ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والإنس ﴾ أي إبليس وقابيل، هما اللذان سنا الكفر والقتل، فعليهما وزره ومن عمل به ﴿ نجعلهما تحت أقدامنا ﴾ في النار ﴿ ليكونا من الأسفلين ﴾ أي أشد عذاباً منا وأعظم مصيبة.

٣٠ ﴿ إن الذين

---

(١) أخرج مسلم عن أنس رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله ﷺ فضحك، فقال: (هل تدرون مم أضحك) قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: (من مخاطبة العبد ربه عزّ وجلّ، يقول: يا رب ألم تجرني من الظلم؟ قال: فيقول: بلى، قال: فيقول: فإني لا أجيز اليوم على نفسي إلا شاهداً مني، قال: فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً وبالكرام الكاتبين عليك شهوداً، قال: فيختم على فيه، ويقال لأعضائه: انطقي، فتنطق بأعماله، ثم يخلى بينه وبين الكلام، فيقول: بعداً لكن وسحقاً، فعنكن كنت أناضل). [مسلم: أوائل الزهد والرقائق، رقم: ٢٩٦٩]. سحقاً: هلاكاً. أناضل: أدافع وأجادل]

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن بالله الظن، فإن قوماً قد أرداهم سوء ظنهم بالله عزّ وجلّ: ﴿وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين﴾ [مسند أحمد: ٣/٣٩٠] يحسن بالله الظن: يؤمن بواسع رحمته وعظيم مغفرته، وأنه يغفر لمن تاب وأناب إليه.

(٢) أي هيأنا وبعثنا لهم نظراء من الشياطين يلازمونهم ويستولون عليهم. وقيضنا من القيض وهو قشر البيض، فهؤلاء يستولي عليهم الشيطان كاستيلاء قشر البيض عليه.

(٣) تغلبون بارتفاع صوتكم فوق صوت القارىء.

(٤) أي في أول قوله: ﴿أعداء﴾. (٥) التقدير: جوزوا جزاءً.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تقتل نفساً ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها، لأنه أول من سن القتل) [البخاري: الأنبياء، باب: قول الله تعالى ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة﴾ / البقرة: ٣٠/. مسلم: القسامة، باب: بيان إثم من سن القتل] [كفل: جزء ونصيب من إثم قتلها. سن القتل: ابتدع القتل على وجه الأرض] [٥/ ٢٣٠].

سبب نزول الآية [٣٠]: قال الواحدي: قال عطاء، عن ابن عباس: نزلت هذه الآية في أبي بكر رضي الله عنه، وذلك أن المشركين قالوا: ربنا الله والملائكة بناته وهؤلاء شفعاؤنا عند الله، فلم يستقيموا. وقالت اليهود: ربنا الله وعزير ابنه ومحمد عليه السلام ليس بنبي، فلم يستقيموا وقال أبو بكر رضي الله عنه: ربنا الله وحده لا شريك له ومحمد ﷺ عبده ورسوله، واستقام.

قالوا ربنا الله ثم استقاموا ﴾ على التوحيد وغيره مما وجب عليهم⁽¹⁾ ﴿ تتنزل عليهم الملائكة ﴾ عند الموت وبعده وبين يديه ﴿ أن ﴾ بأن ﴿ لا تخافوا ﴾ من الموت وما بعده ﴿ ولا تحزنوا ﴾ على ما خلفتم من أهل ومال وولد، فنحن نخلفكم فيه ﴿ وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون ﴾⁽*⁾.

٣١ ﴿ نحن أولياؤكم⁽²⁾ في الحياة الدنيا ﴾ أي نحفظكم فيها ﴿ وفي الآخرة ﴾ أي نكون معكم فيها حتى تدخلوا الجنة ﴿ ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون ﴾ تطلبون.

٣٢ ﴿ نزلاً ﴾ رزقاً مهيئاً، منصوب بجعل مقدراً ﴿ من غفور رحيم ﴾ هو الله عز وجل.

٣٣ ﴿ ومن أحسن قولاً ﴾ أي لا أحد أحسن قولاً ﴿ ممن دعا إلى الله ﴾ بالتوحيد ﴿ وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين ﴾.

٣٤ ﴿ ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ﴾ في جزئياتهما، لأن بعضها فوق بعض درجات ⁽3⁾ ﴿ ادفع ﴾ السيئة ﴿ بالتي ﴾ أي بالخصلة التي ﴿ هي أحسن ﴾ كالغضب بالصبر، والجهل بالحلم، والإساءة بالعفو ﴿ فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ﴾ أي فيصير عدوك كالصديق القريب في محبته إذا فعلت ذلك، فالذي مبتدأ وكأنه الخبر، وإذا ظرف لمعنى التشبيه⁽4⁾.

٣٥ ﴿ وما يلقاها ﴾ يؤتى الخصلة التي هي أحسن ﴿ إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ ﴾ ثواب ﴿ عظيم ﴾.

٣٦ ﴿ وإما ﴾ فيه إدغام نون إن الشرطية في ما الزائدة ﴿ ينزغنك من الشيطان نزغ ﴾ أي يصرفك عن الخصلة وغيرها من الخير صارف ﴿ فاستعذ بالله ﴾ جواب الشرط، وجواب الأمر محذوف، أي يدفعه عنك ﴿ إنه هو السميع ﴾ للقول ﴿ العليم ﴾ بالفعل.

٣٧ ﴿ ومن آياته⁽5⁾ الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس

قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا
تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾
نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ ؕ وَلَكُمْ
فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا
مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ
إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾
وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ
أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ
حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا
ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ
فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ؕ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ
ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ

---

(١) أي ثبتوا وداوموا على ذلك.

(٢) أحباؤكم ونصراؤكم.

(٣) وهذا التفسير على أن المراد بالحسنة والسيئة الجنس، فالمعنى: لا تستوي جزئيات الحسنات في أنفسها لأن بعضها فوق بعض، ولا جزئيات السيئات كذلك لأن بعضها أشد وزراً من بعض. والقول الآخر في تفسيرها هو: لا تستوي الحسنة مع السيئة بل الحسنة خير والسيئة شر. وهذا المعنى أقرب ومناسب للسياق أكثر.

(٤) إذا هذه للمفاجأة، وهي ظرف مكان، فصار المعنى: إذا فعلت ذلك فاجأك انقلاب من كان عدواً لك وصيرورته مشابهاً في المحبة للصديق الذي لم تسبق منه عداوة.

(٥) من دلائل قدرته وحكمته الدالة على وحدانيته.

(*) عن سفيان بن عبد الله الثقفي رضي الله عنه قال: قلت:=

فائدة: عن سعيد بن المسيب: أنه لقي أبا هريرة، فقال أبو هريرة: أسأل الله أن يجمع بيني وبينك في سوق الجنة، فقال سعيد: أفيها سوق؟ قال: نعم، أخبرني رسول الله ﷺ: وأن أهل الجنة إذا أدخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم، ثم يُؤْذَن في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا فيزورون ربهم، ويبرز لهم عرشه، ويتبدى لهم في روضة من رياض الجنة، فتوضع لهم منابر من نور ومنابر من لؤلؤ، ومنابر من ياقوت، ومنابر من زبرجد، ومنابر من ذهب، ومنابر من فضة، ويجلس أدناهم ـ وما فيهم من دنيّ ـ على كثبان المسك والكافور، وما يرون أن أصحاب الكراسي أفضل منهم مجلساً). قال أبو هريرة: قلت: يا رسول الله، وهل نرى ربنا؟ قال: (نعم، قال: هل تتمارون في رؤية الشمس والقمر ليلة البدر). قلنا: لا. قال: (كذلك لا تُمارون في رؤية ربكم، ولا يبقى في ذلك المجلس رجل إلا حاضره الله محاضرة، حتى يقول للرجل منهم: يا فلان بن فلان، أتذكر يوم قلت: كذا وكذا؟ فيذكر ببعض غَدْراته في الدنيا، فيقول: يا رب ألم تغفر لي؟ فيقول: بلى، فسعة مغفرتي بلغت بك منزلتك هذه. فبينما هم على ذلك غشيتهم سحابة من فوقهم، فأمطرت عليهم طيباً لم يجدوا مثل ريحه شيئاً قط، ويقول ربنا تبارك وتعالى: قوموا إلى ما أعددت لكم من الكرامة، فخذوا ما اشتهيتم. فنأتي سوقاً قد حفت به الملائكة، فيه ما لم تنظر العيون إلى مثله، ولم تسمع الآذان، ولم يخطر على القلوب، فيحمل لنا ما اشتهينا، ليس يباع فيها ولا يشترى، وفي ذلك السوق يلقى أهل الجنة بعضهم بعضاً، قال: فيقبل الرجل ذو المنزلة المرتفعة فيلقى من هو دونه ـ وما فيهم دني ـ فيَرُوعُه ما يرى عليه من اللباس، فما ينقضي آخر حديثه حتى يتخيل إليه ما هو أحسن منه، وذلك لأنه لا ينبغي لأحد أن يحزن فيها، ثم

ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن ﴾ أي الآيات الأربع ﴿ إن كنتم إياه تعبدون ﴾.

٣٨ ﴿ فإن استكبروا ﴾ عن السجود لله وحده ﴿ فالذين عند ربك ﴾ أي فالملائكة ﴿ يسبحون ﴾ يصلون ﴿ له بالليل والنهار وهم لا يسأمون ﴾ لا يملون.

٣٩ ﴿ ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة ﴾ يابسة لا نبات فيها ﴿ فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت ﴾ تحركت ﴿ وربت ﴾ انتفخت وعلت ﴿ إن الذي أحياها لمحيي الموتى[1] إنه على كل شيءٍ قدير ﴾.

٤٠ ﴿ إن الذين يلحدون ﴾ من ألحد ولحد ﴿ في آياتنا ﴾ القرآن[2]، بالتكذيب[3] ﴿ لا يخفون علينا ﴾ فنجازيهم ﴿أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمناً يوم القيامة اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير﴾ تهديد لهم[4].

٤١ ﴿ إن الذين كفروا بالذكر ﴾ القرآن ﴿ لما جاءهم ﴾ نجازيهم[5] ﴿وإنه لكتاب عزيز ﴾ منيع.

٤٢ ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ﴾ ليس قبله كتاب يكذبه ولا بعده[6] ﴿ تنزيل من حكيم حميد ﴾ الله المحمود في أمره.

٤٣ ﴿ ما يقال لك ﴾ من التكذيب ﴿ إلا ﴾ مثل ﴿ ما قد قيل للرسل من قبلك إن ربك لذو مغفرة ﴾ للمؤمنين

---

(١) أي يوم القيامة.

(٢) يميلون عن الاستقامة فيها، والإلحاد الميل والعدول.

(٣) والطعن والتحريف والتأويل الباطل والبعد عن الحق.

(٤) أي قوله تعالى: ﴿اعملوا ما شئتم﴾ أمر تهديد.

(٥) هذه الجملة (نجازيهم) هي خبر ﴿إن﴾ في قوله ﴿إن الذين كفروا...﴾.

(٦) فكل ما فيه حق وصدق، وليس فيه ما لا يطابق الواقع، ولا يتطرق الباطل إليه من جهة من الجهات.

---

٦٣٥ (سورة فصلت)

وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ
تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ
يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ﴿٣٨﴾ ۩
وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا
عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ
ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ
فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم
مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ إِنَّهُۥ بِمَا
تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ
وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ
وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَّا يُقَالُ
لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ

= يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك، وفي رواية: غيرك، وفي رواية قال: حدّثني بأمر أعتصم به. قال: (قل آمنت بالله، ثم استقم). قال: فأي شيء أتقي؟ قال: فأشار بيده إلى لسانه. وفي رواية قال: قلت: ما أكبر ما تخاف علي؟ قال: فأخذ رسول الله ﷺ = بلسان نفسه ثم قال: (هذا). [مسلم: الإيمان، باب: جامع أوصاف الإسلام، رقم: ٣٨. مسند أحمد: ٤١٣/٣] [قولاً: أي جامعاً لكل خير مانعاً من كل سوء، يكفيني عن سؤال أحد غيرك من بعدك، ولذا قال العلماء: هذا الحديث من جوامع كلمه ﷺ. أعتصم به: أستمسك به فيكون ملاذاً لي من كل سوء. استقم: التزم طاعة الله تعالى بعد الإيمان به وتوحيده، واستمر على ذلك حتى يتوفاك الله عزّ وجلّ وأنت على الإيمان والإسلام والطاعة].

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه). قالت عائشة، أو: بعض أزواجه: إنا لنكره الموت ، قال: (ليس ذاك، ولكن المؤمن إذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته، فليس شيء أحب إليه مما أمامه، فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه. وإن الكافر إذا حُضِر بشر بعذاب الله وعقوبته، فليس شيء أكره إليه مما أمامه، فكره لقاء الله وكره الله لقاءه). [البخاري: الرقاق، باب: من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، رقم: ٦١٤٢. مسلم: الذكر والدعاء والتوبة، باب: من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، رقم: ٢٦٨٣، ٢٦٨٤] [ليس ذاك: أي ليس المراد بلقاء الله تعالى الموت، لأن الموت يكرهه كل إنسان بطبعه. حضر: حضره النزع للموت].

ننصرف إلى منازلنا، فيتلقانا أزواجنا فيقلن: مرحباً وأهلاً، لقد جئتَ وإن بك من الجمال أجمل مما فارقتنا عليه، فيقول: إنا جالسنا اليوم ربنا الجبار، وحقنا أن ننقلب بمثل ما انقلبنا) [الترمذي: صفة الجنة، باب: ما جاء في سوق الجنة، رقم: ٢٥٥٢] [كثبان: جمع كثيب وهو - في الأصل - التل المرتفع من رمل ونحوه. الكافور: هو زهر النخيل. تتمارون: تشكون. غشيتهم: غطتهم. حفت: أحاطت. فيروعه: يعجبه ويسره، ننقلب: نرجع].

سبب نزول الآية [٤٠]: عن بشير بن فتح قال: نزلت هذه الآية في أبي جهل وعمار بن ياسر: ﴿أفمن يلقى في النار خير ام من يأتي آمناً يوم القيامة﴾[السيوطي].

﴿ وذو عقاب أليم ﴾ للكافرين.

٤٤ ﴿ ولو جعلناه ﴾ أي الذكر ﴿ قرآناً أعجمياً لقالوا لولا ﴾ هلا ﴿ فصلت ﴾ بينت ﴿ آياته ﴾ حتى نفهمها ﴿ أ ﴾ قرآن ﴿ أعجمي و ﴾ نبي ﴿ عربي ﴾ استفهام إنكار منهم(١)، بتحقيق الهمزة وقلبها ألفاً بإشباع ودونه ﴿ قل هو للذين آمنوا هدى ﴾ من الضلالة ﴿ وشفاء ﴾ من الجهل ﴿ والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر ﴾ ثقل، فلا يسمعون ﴿ وهو عليهم عمى ﴾ فلا يفهمون ﴿ أولئك ينادون من مكان بعيد ﴾ أي هم كالمنادى من مكان بعيد، لا يسمع ولا يفهم ما ينادى به.

٤٥ ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب ﴾ التوراة ﴿ فاختلف فيه ﴾ بالتصديق والتكذيب كما اختلف في القرآن﴿ ولولا كلمة سبقت من ربك ﴾ بتأخير الحساب والجزاء للخلائق إلى يوم القيامة ﴿ لقضي بينهم ﴾ في الدنيا فيما اختلفوا فيه ﴿ وإنهم ﴾ أي المكذبين به ﴿ لفي شك منه(٢) مريب ﴾ موقع في الريبة(٣).

٤٦ ﴿ من عمل صالحاً فلنفسه ﴾ عمل ﴿ ومن أساء فعليها ﴾ أي فضرر إساءته على نفسه ﴿ وما ربك بظلام للعبيد ﴾ أي بذي ظلم، لقوله تعالى: «إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يُضَعِّفْها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً» /النساء: ٤٠/

٤٧ ﴿ إليه يرد علم الساعة ﴾ متى تكون، لا يعلمها غيره ﴿ وما تخرج من ثمرة ﴾ وفي قراءة «ثمرات» ﴿ من أكمامها ﴾ أوعيتها، جمع كِمّ، بكسر الكاف، إلا بعلمه ﴿ وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه ويوم يناديهم أين شركائي(٤) قالوا آذناك ﴾ أعلمناك الآن ﴿ ما منا من شهيد ﴾ أي شاهد بأن لك شريكاً.

٤٨ ﴿ وضل ﴾ غاب ﴿ عنهم ما كانوا يدعون ﴾ يعبدون ﴿ من قبل ﴾ في الدنيا من أصنام وغيرها ﴿ وظنوا ﴾ أيقنوا، وهذا من الأمكنة التي يعطى فيها الظن حكم اليقين ﴿ مالهم من محيص ﴾ مهرب من العذاب، والنفي في الموضعين(٥) معلق عن العمل(٦)، وجملة النفي(٧) سدت مسد المفعولين(٨)

٤٩ ﴿ لا يسأم

وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟
لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ
وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾
وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا
كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ
مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ
فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ * إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ
ٱلسَّاعَةِ ۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ
أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى
قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟
يَدْعُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَظَنُّوا۟ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾ لَا يَسْـَٔمُ

---

(١) والمعنى: لو نزل القرآن بغير لغة هؤلاء لكان لهم أن يقولوا: لا نفهمه ولا ندرك معناه، ولكن الأمر ليس كذلك، إذ هو لسان عربي مبين، فدل على أن عدم إيمانهم به تعنت وعناد واستكبار.

جاء في تفسير ابن كثير عند تفسيره قوله تعالى: ﴿أولئك ينادون من مكان بعيد﴾: قال السدي: كان عمر بن الخطاب جالساً عند رجل من المسلمين يقضي، إذ قال: يا لبيكاه. فقال عمر: لم تلبي؟ هل رأيت أحداً، أو دعاك أحد؟ قال: دعاني داع من وراء البحر. فقال عمر: أولئك ينادون من مكان بعيد. [رواه ابن أبي حاتم].

(٢) أي من كتابك وصدقك.

(٣) وكان الأجدر بهم أن لا يقعوا في ذلك، لما علموه من صدقه ﷺ وما جربوه من أمانته وحسن سيرته.

(٤) الذين كنتم تزعمون أنها آلهة.

قال ابن كثير في تفسيره قوله تعالى: ﴿إليه يرد علم الساعة﴾: أي: لا يعلم ذلك أحد سواه، كما قال ﷺ - وهو سيد البشر - لجبريل - وهو من سادات الملائكة - حين سأله عن الساعة، فقال: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل». وكما قال تعالى: ﴿إلى ربك منتهاها﴾ [النازعات: ٤٤] وقال: ﴿لا يجليها لوقتها إلا هو﴾ [الأعراف: ١٨٧].

(٥) أي في قوله ﴿ ما منا من شهيد ﴾ وفي قوله ﴿ما لهم من محيص﴾.

(٦) أي مبطل لعمل العامل لفظاً، وهو ﴿ آذناك ﴾ و﴿ ظنوا ﴾.

(٧) أي في الموضعين السابقين.

(٨) الثاني والثالث لآذن، لأنه ينصب ثلاثة مفاعيل كأعلم، والمفعول الأول هو الكاف في ﴿ آذناك ﴾. والأول والثاني لظن في الجملة الثانية.

سبب نزول الآية [٤٤]: أخرج ابن جرير عن سعيد بن جبير قال: قالت قريش: لولا أنزل هذا القرآن أعجمياً وعربياً، فأنزل الله: ﴿لقالوا لولا فصلت آياته﴾ الآية. قال ابن جرير والقراءة على هذا ﴿أعجمي﴾ بلا استفهام. وقال: وقرأت قراء الأمصار ﴿ أأعجمي وعربي ﴾ على وجه الاستفهام.. ثم قال: والصواب من القراءة في ذلك عندنا القراءة التي عليها قراء الأمصار.

الإنسان من دعاء الخير ﴾ أي لا يزال يسأل ربه المال والصحة وغيرهما ﴿ وإن مسه الشر ﴾ الفقر والشدة ﴿ فيؤوس قنوط ﴾ من رحمة الله، وهذا وما بعده في الكافرين.

٥٠ ﴿ ولئن ﴾ لام قسم ﴿ أذقناه ﴾ آتيناه ﴿ رحمة ﴾ غنى وصحة ﴿ منا من بعد ضراء ﴾ شدة وبلاء ﴿ مسته ليقولن هذا لي ﴾ أي بعملي ﴿ وما أظن الساعة قائمة ولئن ﴾ لام قسم ﴿ رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى ﴾ أي الجنة ﴿ فلننبئن الذين كفروا بما عملوا(١) ولنذيقنهم من عذاب غليظ ﴾ شديد، واللام في الفعلين لام قسم.

٥١ ﴿ وإذا أنعمنا على الإنسان ﴾ الجنس(٢) ﴿ أعرض ﴾ عن الشكر ﴿ وناء بجانبه ﴾ ثنى عطفه متبختراً، وفي قراءة بتقديم الهمزة(٣) ﴿ وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض ﴾ كثير.

٥٢ ﴿ قل أرأيتم إن كان ﴾ أي القرآن ﴿ من عند الله ﴾ كما قال النبي ﴿ ثم كفرتم به من ﴾ أي لا أحد ﴿ أضل ممن هو في شقاق ﴾ خلاف ﴿ بعيد ﴾ عن الحق؟ أوقع هذا موقع منكم بياناً لحالهم(٤).

٥٣ ﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق ﴾ أقطار السماوات والأرض من النيرات(٥) والنبات والأشجار ﴿ وفي أنفسهم ﴾ من لطيف الصنعة وبديع الحكمة ﴿ حتى يتبين لهم أنه ﴾ أي القرآن ﴿ الحق ﴾ المنزل من الله بالبعث والحساب والعقاب، فيعاقبون على كفرهم به وبالجائي به ﴿ أو لم يكف بربك ﴾ فاعل يكف(٦) ﴿ أنه على كل شيء شهيد ﴾ بدل منه(٧)، أي أولم يكفهم في صدقك أن ربك لا يغيب عنه شيء ما.

٥٤ ﴿ ألا إنهم في مرية ﴾ شك ﴿ من لقاء ربهم ﴾ لإنكارهم البعث وغيره من أمور الآخرة ﴿ ألا إنه ﴾ تعالى ﴿ بكل شيء محيط ﴾ علماً وقدرة، فيجازيهم بكفرهم(٨).

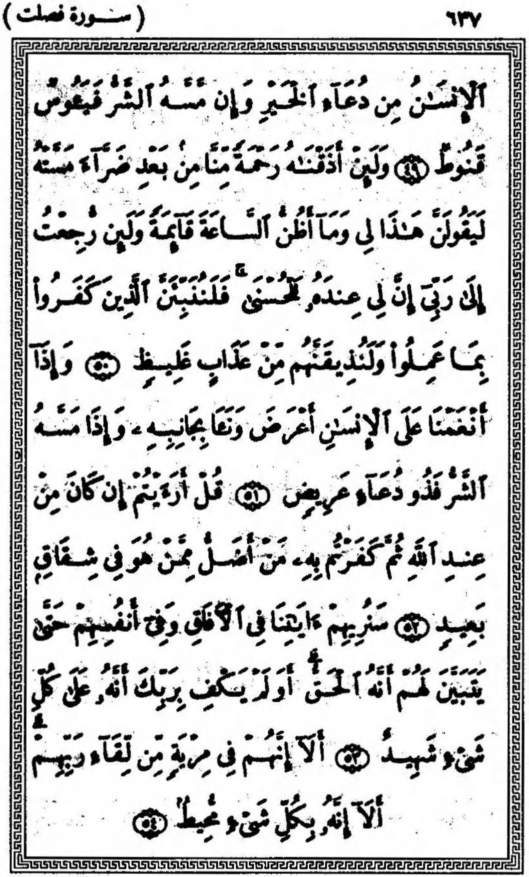

(سورة فصلت) ٦٣٧

ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ
قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ
لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ
إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ وَإِذَآ
أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ
ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ
عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ
بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ
يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ
شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ
أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾

---

(١) لنخبرنهم بحقيقة ما عملوا ولنوقفنهم على مساوىء أعمالهم التي تستوجب عذابهم.

(٢) أي جنس الإنسان من حيث هو دون النظر إلى كونه مسلماً أو كافراً.

(٣) أي ﴿ناى﴾.

(٤) أي جعل قوله ﴿ممن هو في شقاق بعيد﴾ موضع منكم، لأن مقتضى السياق أن يقال: من أضل منكم، فعدل عنه إلى ما ذكر لبيان أنهم في خلاف بعيد عن الحق، والمعنى: لا أحد أضل منكم لشدة خلافكم للحق وبعدكم عنه.

(٥) أي الشمس والقمر والنجوم.

(٦) أي قوله ﴿ بربك ﴾ فاعل ﴿ يكف ﴾ والباء زائدة، والمعنى: أو لم يكف ربك.

(٧) أي قوله: ﴿أنه على كل شيء شهيد﴾ بدل من ﴿بربك﴾ والمعنى كما ذكر المفسر. وقال ابن كثير في تفسير الآية: أي كفى بالله شهيداً على أفعال عباده وأقوالهم، وهو يشهد أن محمداً - ﷺ - صادق فيما أخبر به عنه، كما قال: ﴿لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون﴾ [النساء: ١٦٦].

(٨) قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: وقوله: ﴿ألا إنهم في مرية من لقاء ربهم﴾ أي: في شك من قيام الساعة، ولهذا لا يتفكرون فيه، ولا يعملون له، ولا يحذرون منه، بل هو عندهم هَدَرٌ لا يعبؤون به، وهو واقع لا ريب فيه وكائن لا محالة. قال ابن أبي الدنيا: حدثنا أحمد بن إبراهيم: حدّثنا خلف بن تميم: حدّثنا عبد الله بن محمد بن سعيد الأنصاري: أن عمر بن عبد العزيز صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد أيها الناس، فإني لم أجمعكم لأمر أحدثه فيكم، ولكن فكرت في الأمر الذي أنتم إليه صائرون، فعلمت أن المصدق بهذا الأمر أحمق، والمكذب به هالك. ثم نزل. ومعنى قوله رضي الله عنه: أن المصدق به أحمق: أي لأنه لا يعمل له عمل مثله، ولا يحذر منه، ولا يخاف من هوله، وهو مع ذلك مصدق به، موقن بوقوعه، وهو مع ذلك يتمادى في لعبه وغفلته وشهواته وذنوبه، فهو أحمق بهذا الاعتبار، والأحمق في اللغة: ضعيف العقل. وقوله: والمكذب به هالك: هذا واضح، والله أعلم. ثم قال تعالى مقرراً على أنه على كل شيء قدير، وبكل شيء محيط، وإقامة الساعة لديه يسير سهل عليه تبارك وتعالى: ﴿ألا إنه بكل شيء محيط﴾ أي: المخلوقات كلها تحت قهره وفي قبضته، وتحت طيّ علمه، وهو المتصرف فيها كلها بحكمه، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن.

(سورة الشورى)

(مكية إلا «قل لا أسألكم . .» الآيات الأربع: ٢٣ـ٢٦ فمدنية، وآياتها ثلاث وخمسون آية)

بسم الله الرحمن الرحيم

١﴿ حمٓ عٓسٓقٓ ﴾ الله أعلم بمراده به(١).

٣ ﴿ كذلك ﴾ مثل ذلك الإيحاء(٢) ﴿ يوحي إليك و ﴾ أوحى ﴿ إلى الذين من قبلك الله ﴾ فاعل الإيحاء ﴿ العزيز ﴾ في ملكه ﴿ الحكيم ﴾ في صنعه.

٤ ﴿ له ما في السموات وما في الأرض ﴾ ملكاً وخلقاً وعبيداً ﴿ وهو العلي ﴾ على خلقه ﴿ العظيم ﴾ الكبير.

٥ ﴿ تكاد ﴾ بالتاء والياء ﴿ السموات يَنْفَطِرْنَ ﴾ بالنون، وفي قراءة بالتاء والتشديد(٣) ﴿ من فوقهن ﴾ أي تنشق كل واحدة فوق التي تليها من عظمة الله تعالى ﴿ والملائكة يسبحون بحمد ربهم ﴾ أي ملابسين للحمد ﴿ ويستغفرون لمن في الأرض ﴾ من المؤمنين ﴿ ألا إن الله هو الغفور ﴾ لأوليائه ﴿ الرحيم ﴾ بهم.

٦ ﴿ والذين اتخذوا من دونه ﴾ أي الأصنام ﴿ أولياء الله حفيظ ﴾ محص ﴿ عليهم ﴾ ليجازيهم ﴿ وما أنت عليهم بوكيل ﴾ تحصل المطلوب منهم، ما عليك إلا البلاغ.

٧ ﴿ وكذلك ﴾ مثل ذلك الإيحاء ﴿ أوحينا إليك قرآناً عربياً لتنذر ﴾ تخوف ﴿ أم القرى ومن حولها ﴾ أي أهل مكة وسائر الناس ﴿ وتنذر ﴾ الناس ﴿ يوم الجمع ﴾ أي يوم القيامة، تجمع فيه الخلائق ﴿ لاريب ﴾ لا شك ﴿ فيه فريق ﴾ منهم ﴿ في الجنة وفريق في السعير ﴾ النار(٤).

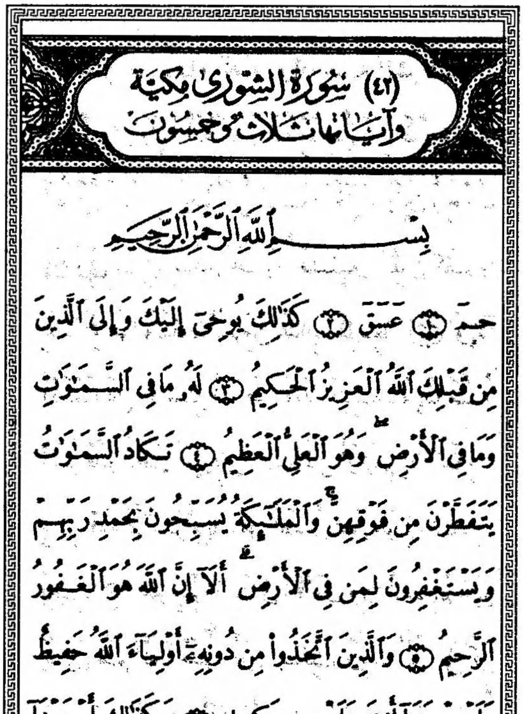

(٤٢) سُورَةُ الشُّورَىٰ مَكِّيَّة
وَآيَاتُهَا ثَلَاثٌ وَخَمْسُونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ (١) عٓسٓقٓ (٢) كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ
مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ (٣) لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ (٤) تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ
يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ
وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ
ٱلرَّحِيمُ (٥) وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ
عَلَيۡهِمۡ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ (٦) وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ
إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا

---

(١) وانظر تفسير أول سورة البقرة.

(٢) الذي أوحاه إليك من قبل هذه السورة من معاني التوحيد والإرشاد إلى الحق وبيان أحكام التشريع.

(٣) أي تشديد الطاء المفتوحة، والقراءات في تكاد ويتفطرن ثلاث: الأولى: ﴿تكاد السماوات يَنْفَطِرن﴾ والثانية: ﴿تكاد السماوات يَتَفَطَّرن﴾ والثالثة: ﴿يكاد السماوات يَتَفَطَّرْنَ﴾.

(٤) أخرج أحمد في مسنده والترمذي في سننه عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: خرج علينا رسول الله ﷺ وفي يده كتابان، فقال: (أتدرون ما هذان الكتابان) فقلنا: لا يا رسول الله، إلا أن تخبرنا. فقال للذي في يده اليمنى: (هذا كتاب من رب العالمين، فيه أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم، ثم أجمل على آخرهم، فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبداً) ثم قال للذي في شماله: (هذا كتاب من رب العالمين، فيه أسماء أهل النار وأسماء آبائهم وقبائلهم، ثم أجمل على آخرهم، فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبداً) فقال أصحابه: ففيم العمل يا رسول الله إن كان أمر قد فرغ منه؟ فقال: (سددوا وقاربوا، فإن صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة وإن عمل أي عمل. وإن صاحب النار يختم له بعمل أهل النار وإن عمل أي عمل) ثم قال رسول الله ﷺ بيديه فنبذهما ثم قال: (فرغ ربكم من العباد: فريق في الجنة وفريق في السعير). قال الترمذي: وهذا حديث حسن صحيح غريب. [أجمل على آخرهم: أحصوا وجمعوا. سددوا وقاربوا: اطلبوا بأعمالكم السداد ـ وهو

فائدة: عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: (أحياناً يأتيني مثل صَلصلةِ الجَرَسِ، وهو أشده عليَّ، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال. وأحياناً يتمثل لي الملك رجلا، فيكلمني فأعي ما يقول). [البخاري: بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، رقم: ٢. مسلم: الفضائل، باب: طيب عرق النبي ﷺ في البرد وحين يأتيه الوحي، رقم: ٢٣٣٣] [صلصلة: هي صوت الحديد إذا حرك، وتطلق على كل صوت له طنين، والمشبه هنا صوت الملك بالوحي. فيفصم: يقلع، وأصل الفصم القطع من غير إبانة. وعيت: فهمت وحفظت. ليتفصد: يسيل، من الفصد وهو قطع العرق لإسالة الدم، شبه الجبين بالعِرْق المفصود، مبالغة في كثرة عرقه].

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: سألت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله، هل تحس بالوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: (نعم، أسمع صلاصل، ثم أسكت عند ذلك، فما من مرة يوحى إليَّ إلا ظننت أن نفسي تفيض) [مسند أحمد: ٢/٢٢٢] تفيض: أي تخرج من جسدي وتقبض.

٨ ﴿ ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة ﴾ أي على دين واحد هو الإسلام ﴿ ولكن يدخل من يشاء في رحمته والظالمون ﴾ الكافرون ﴿ ما لهم من ولي ولا نصير ﴾ يدفع عنهم العذاب.

٩ ﴿ أم اتخذوا من دونه ﴾ الأصنام ﴿ أولياء ﴾ أم منقطعة بمعنى بل التي للانتقال⁽¹⁾، والهمزة للإنكار، أي ليس المتخذون أولياء ﴿ فالله هو الولي ﴾ أي الناصر للمؤمنين، والفاء لمجرد العطف⁽²⁾ ﴿ وهو يحيي الموتى وهو على كل شيءٍ قدير ﴾.

١٠ ﴿ وما اختلفتم ﴾ مع الكفار ﴿ فيه من شيء ﴾ من الدين وغيره ﴿ فحكمه ﴾ مردود ﴿ إلى الله ﴾ يوم القيامة يفصل بينكم، قل لهم ﴿ ذلكم الله ربي عليه توكلت وإليه أنيب ﴾ أرجع.

١١ ﴿ فاطر السموات والأرض ﴾ مبدعهما ﴿ جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ﴾ حيث خلق حواء من ضلع آدم ﴿ ومن الأنعام أزواجاً ﴾ ذكوراً وإناثاً ﴿ يذرؤكم ﴾ بالمعجمة⁽³⁾، يخلقكم ﴿ فيه ﴾ في الجعل المذكور، أي يكثركم بسببه بالتوالد، والضمير للأناسي والأنعام بالتغليب⁽⁴⁾ ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ الكاف زائدة، لأنه تعالى لا مثل له⁽⁵⁾ ﴿ وهو السميع ﴾ لما يقال ﴿ البصير ﴾ لما يفعل.

وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ
فِي ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن
يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِۦ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ
وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ فَٱللَّهُ هُوَ
ٱلْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾
وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ
رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ
أَزْوَٰجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ
ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَبْسُطُ
ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾
۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ

١٢ ﴿ له مقاليد السموات والأرض ﴾ أي مفاتيح خزائنها من المطر والنبات وغيرهما ﴿ يبسط الرزق ﴾ يوسعه ﴿ لمن يشاء ﴾ امتحاناً ﴿ ويقدر ﴾ يضيقه لمن يشاء ابتلاءً ﴿ إنه بكل شيء عليم ﴾.

١٣ ﴿ شرع⁽⁶⁾ لكم من الدين ما وصى به نوحاً ﴾ هو أول أنبياء الشريعة⁽⁷⁾ ﴿ والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم

الصواب في القول والعمل - وحاولوا أن تقتربوا من الكمال وإن لم تصلوا إليه، واجتهدوا في أن تلتزموا الاستقامة، حتى تأتيكم منيتكم وأنتم على عمل أهل الجنة، فيختم لكم به]. [مسند أحمد: ٢/١٦٧ الترمذي: أبواب القدر، باب: ما جاء أن الله كتب كتاباً لأهل الجنة وأهل النار، رقم: ٢١٤٢] والحديث الغريب - في اصطلاح المحدثين: هو الذي تفرد بروايته راو واحد.

قال ابن كثير في تفسير قوله ﴿أم القرى﴾: وسميت مكة «أم القرى» لأنها أشرف من سائر البلاد، لأدلة كثيرة مذكورة في مواضعها، ومن أوجز ذلك وأدله ما قال الإمام أحمد [٤/٣٠٥]: حدثنا أبو اليمان: حدثنا شعيب، عن الزهري: أخبرنا أبو سلمة ابن عبد الرحمن: أن عبد الله بن عدي بن الحمراء الزهري أخبره: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول، وهو واقف بالحَزْوَرَة في سوق مكة: «والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت».

(١) أي للانتقال من بيان ما قبلها إلى بيان ما بعدها، ومن بيان المسبب لبيان السبب، فبعد أن بين أن الظالمين لا يدفع عنهم عذاب النار يوم القيامة بين أن سبب ذلك اتخاذهم أولياء من دون الله تعالى.

(٢) اي عطف ما بعدها على ما قبلها. (٣) أي بالذال.

(٤) بتغليب الأناسي - وهم العقلاء - على غيرهم، ولذلك أتى بضمير العقلاء فقال «يذرؤكم» ولم يقل: يذرؤكم ويذرؤها.

(٥) اي المعنى: ليس مثله شيء، وزيدت الكاف لتأكيد نفي المثل. ولو حمل المعنى على ظاهره لكان: ليس مثل مثله شيء، فيكون في ذلك إثبات المثل له سبحانه، وهو باطل.

(٦) اي سنَّ وبيَّن من أحكام الدين.

(٧) اي أول نبي نزل عليه شرع فيه بيان الحلال والحرام وما إلى ذلك، وأمر بتبليغ ذلك للناس. فقد جاء في حديث الشفاعة الطويل الذي رواه البخاري ومسلم وغيرهما: (فيأتون نوحاً فيقولون: يا نوح، إنك انت اول الرسل إلى أهل الأرض). [البخاري: الأنبياء، باب: قول الله تعالى: ﴿إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه..﴾ رقم: ٣١٦٢. مسلم: الإيمان، باب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها، رقم: ١٩٤].

قال ابن كثير في تفسيره: يقول تعالى لهذه الأمة: ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك﴾ فذكر أول الرسل بعد آدم وهو نوح عليه السلام، وآخرهم محمد ﷺ، ثم ذكر مَنْ بين ذلك من أولي العزم وهم: إبراهيم وموسى وعيسى بن مريم عليهم السلام. وهذه الآية انتظمت ذكر الخمسة، كما اشتملت آية «الأحزاب» عليهم في قوله: ﴿وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم﴾ الآية [٧].

وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ﴾ هذا هو المشروع الموصى به، والموحى إلى محمد ﷺ، وهو التوحيد(١) ﴿ كبر ﴾ عظم ﴿ على المشركين ما تدعوهم إليه ﴾ من التوحيد ﴿ الله يجتبي إليه ﴾ إلى التوحيد ﴿ من يشاء ويهدي إليه من ينيب ﴾ يقبل على طاعته.

١٤ ﴿ وما تفرقوا ﴾ أي أهل الأديان في الدين، بأن وحد بعض وكفر بعض ﴿ إلا من بعد ما جاءهم العلم ﴾ بالتوحيد ﴿ بغياً ﴾ من الكافرين ﴿ بينهم ولولا كلمة سبقت من ربك ﴾ بتأخير الجزاء ﴿ إلى أجل مسمى ﴾ يوم القيامة ﴿ لقضي بينهم ﴾ بتعذيب الكافرين في الدنيا ﴿ وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم ﴾(٢) وهم اليهود والنصارى ﴿ لفي شك منه ﴾ من محمد ﷺ ﴿ مريب ﴾ موقع في الريبة.

١٥ ﴿ فلذلك ﴾ التوحيد ﴿ فادع ﴾ يا محمد ﷺ الناس ﴿ واستقم ﴾ عليه ﴿ كما أمرت ولا تتبع أهواءهم ﴾ في تركه ﴿ وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل ﴾ أي بأن أعدل ﴿ بينكم ﴾ في الحكم ﴿ الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم ﴾ فكل يجازى بعمله ﴿ لا حجة ﴾ خصومة ﴿ بيننا وبينكم ﴾ هذا قبل أن يؤمر بالجهاد(٣) ﴿ الله يجمع بيننا ﴾ في المعاد لفصل القضاء ﴿ وإليه المصير ﴾ المرجع.

١٦ ﴿ والذين يحاجون في ﴾ دين ﴿ الله ﴾ عز وجل نبيه ﷺ ﴿ من بعد ما استجيب له ﴾ بالإيمان لظهور معجزاته، وهم اليهود ﴿ حجتهم داحضة ﴾ باطلة

إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟
ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ
إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن
يُنِيبُ ⑬ وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ
بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ
مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ
بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ⑭ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ
كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ
أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا
وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا
وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ⑮ وَٱلَّذِينَ
يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ

---

(١) أي هو أساس جميع الشرائع، وعنه يتفرع باقي التشريع من أصول وفروع، وأحكام كلية وجزئية. قال ابن كثير في تفسيره: والدين الذي جاءت به الرسل كلهم هو عبادة الله وحده لا شريك له، كما قال: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾ [الأنبياء: ٢٥] وفي الحديث: ﴿نحن معشر الأنبياء أولاد علات، ديننا واحد) أي القدر المشترك بينهم هو عبادة الله وحده لا شريك له، وإن اختلفت شرائعهم ومناهجهم، كقوله تعالى: ﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً﴾ [المائدة: ٤٨] ولهذا قال ها هنا: ﴿أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾ وصى الله تعالى جميع الأنبياء ـ عليهم السلام ـ بالائتلاف والجماعة، ونهاهم عن الافتراق والاختلاف. [أولاد علات: هم الذين اختلفت أمهاتهم وكان أبوهم واحداً، والمراد أن أصول الدين لديهم واحدة. والحديث متفق عليه] [أخرجه البخاري في الأنبياء، باب: ﴿واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها﴾ / مريم: ١٦/. ومسلم: في الفضائل، باب: فضائل عيسى عليه السلام].

(٢) أي من بعد الرسل، أو من بعد الأمم الماضية.

(٣) أما بعد الأمر بالجهاد فلا يتركون، بل الخصومة قائمة، ولا بد من قبولهم الإسلام، أو الخضوع لحكمه بدفع الجزية إن كانوا من أهلها وإما القتال. أو أن الآية عامة قبل الأمر بالجهاد وبعده، والمعنى: أن الحق قد ظهر والحجة أصبحت قائمة عليكم، فلا داعي للمحاجة، لأنكم معاندون.

قال ابن كثير في أول تفسيره لهذه الآية: اشتملت هذه الآية الكريمة على عشر كلمات مستقلات، كل منها منفصلة عن التي قبلها حكم برأسه، قالوا: ولا نظير لها سوى آية الكرسي فإنها أيضاً عشرة فصول كهذه.

سبب نزول الآية [١٦]: عن عكرمة قال: لما نزلت: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ قال المشركون بمكة لمن بين أظهرهم من المؤمنين: قد دخل الناس في دين الله أفواجاً، فاخرجوا من بين أظهرنا، فعلام تقيمون بين أظهرنا؟ فنزلت: ﴿والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له﴾ الآية.

وعن قتادة في قوله: ﴿والذين يحاجون﴾ الآية، قال: هم اليهود والنصارى، قالوا: كتابنا قبل كتابكم، ونبينا قبل نبيكم، ونحن خير منكم. [السيوطي].

﴿ عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد ﴾.

١٧ ﴿ الله الذي أنزل الكتاب ﴾ القرآن ﴿ بالحق ﴾ متعلق بأنزل ﴿ والميزان ﴾ العدل ﴿ وما يدريك ﴾ يعلمك ﴿ لعل الساعة ﴾ أي إتيانها ﴿ قريب ﴾ ولعل معلق للفعل عن العمل(١)، وما بعده(٢) سد مسد المفعولين(٣).

١٨ ﴿ يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها ﴾ يقولون متى تأتي؟ ظناً منهم أنها غير آتية ﴿ والذين آمنوا مشفقون ﴾ خائفون ﴿ منها ويعلمون أنها الحق(٤) ألا إن الذين يمارون ﴾ يجادلون ﴿ في الساعة لفي ضلال بعيد ﴾.

١٩ ﴿ الله لطيف بعباده ﴾ برهم وفاجرهم، حيث لم يهلكهم جوعاً بمعاصيهم ﴿ يرزق من يشاء ﴾ من كل منهم ما يشاء ﴿ وهو القوي ﴾ على مراده ﴿ العزيز ﴾ الغالب على أمره.

٢٠ ﴿ من كان يريد ﴾ بعمله ﴿ حرث الآخرة ﴾ أي كسبها، وهو الثواب ﴿ نزد له في حرثه ﴾ بالتضعيف فيه الحسنة إلى العشرة وأكثر ﴿ ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها ﴾ بلا تضعيف، ما قسم له ﴿ وما له في الآخرة من نصيب ﴾(٥).

عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾
ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ
لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ
أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾
ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ
ٱلْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى
حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ
فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم
مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ
بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ
مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا۟ وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

٢١ ﴿ أم ﴾ بل ﴿ لهم ﴾ لكفار مكة ﴿ شركاء ﴾ هم شياطينهم ﴿ شرعوا ﴾ أي الشركاء ﴿ لهم ﴾ للكفار ﴿ من الدين ﴾ الفاسد ﴿ ما لم يأذن به الله ﴾ كالشرك وإنكار البعث ﴿ ولولا كلمة الفصل ﴾ أي القضاء السابق بأن الجزاء في يوم القيامة ﴿ لقضي بينهم ﴾ وبين المؤمنين بالتعذيب لهم في الدنيا ﴿ وإن الظالمين ﴾ الكافرين ﴿ لهم عذاب أليم ﴾ مؤلم.

٢٢ ﴿ ترى الظالمين ﴾ يوم القيامة ﴿ مشفقين ﴾ خائفين وجلين ﴿ مما كسبوا ﴾ في الدنيا من السيئات أن يجازوا عليها ﴿ وهو ﴾ الجزاء عليها ﴿ واقع بهم ﴾ يوم القيامة لا محالة ﴿ والذين آمنوا

---

(١) أي إن الفعل يدري ينصب ثلاثة مفاعيل، فالأول هو الكاف، وكان ينبغي أن ينصب مفعولين آخرين، فجاءت لعل، وهي لها صدر الكلام، فأبطلت عمل العامل الذي قبلها لفظاً لا محلاً، وهذا معنى التعليق عن العمل.

(٢) أي ما بعد الفعل ﴿يدريك﴾ وهو لعل مع اسمها وخبرها.

(٣) أي الثاني والثالث للفعل يدري.

(٤) أي يوقنون أنها كائنة لا محالة، فهم مستعدون لها عاملون من أجلها.

عن أنس رضي الله عنه: أن رجلاً سأل النبي ﷺ عن الساعة، فقال: متى الساعة؟ قال: (وماذا أعددت لها). قال: لا شيء، إلا أني أحب الله ورسوله ﷺ. فقال: (أنت مع من أحببت). قال أنس: فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي ﷺ: (أنت مع من أحببت). قال أنس: فأنا أحب النبي ﷺ وأبا بكر وعمر، وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم، وإن لم أعمل بمثل أعمالهم. [البخاري: فضائل الصحابة، باب: مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، رقم: ٣٤٨٥. مسلم: البر والصلة والآداب، باب: المرء مع من أحب، رقم: ٢٦٣٩]

قال ابن كثير في معنى الحديث : ففيه أنه عليه السلام كان إذا سئل عن هذا الذي لا يحتاجون إلى علمه، ارشدهم إلى ما هو الأهم في حقهم، وهو: الاستعداد لوقوع ذلك، والتهيؤ له قبل نزوله، وإن لم يعرفوا تعيين وقته. [تفسير ابن كثير: الأعراف: ١٨٧] [رجلاً: قيل: ذو الخويصرة اليماني. متى الساعة: وقت قيام الساعة. أعددت لها: هيأت من الأعمال الصالحة التي هي أحق بالسؤال عنها والاهتمام بها].

(٥) أخرج الإمام أحمد في مسنده عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (بشر هذه الأمة بالسناء، والتمكين في البلاد، والنصر والرفعة في الدين، ومن عمل منهم بعمل الآخرة للدنيا فليس له في الآخرة نصيب).
[بالسناء: بارتفاع المنزلة والقدر عند الله تعالى].
[الحديث في مسند أحمد: ٥/١٣٤].

وعملوا الصالحات في روضات الجنات ﴾ أنزهها بالنسبة إلى من دونهم ﴿ لهم مايشاؤون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير ﴾(١).

٢٣ ﴿ ذلك الذي يبشر ﴾ من البشارة، مخففاً ومثقلاً(٢)، به ﴿ الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات قل لا أسألكم عليه ﴾ أي على تبليغ الرسالة ﴿ أجراً إلا المودة في القربى ﴾ استثناء منقطع(٣)، أي لكن أسألكم أن تودوا قرابتي التي هي قرابتكم أيضاً، فإن له في كل بطن من قريش قرابة(٤) ﴿ ومن يقترف ﴾ يكتسب ﴿ حسنة ﴾ طاعة ﴿ نزد له فيها حسناً ﴾ بتضعيفها ﴿ إن الله غفور ﴾ للذنوب ﴿ شكور ﴾ للقليل، فيضاعفه.

٢٤ ﴿ أم ﴾ بل ﴿ يقولون افترى على الله كذباً ﴾ بنسبة القرآن إلى الله تعالى ﴿ فإن يشأ الله يختم ﴾ يربط ﴿ على قلبك ﴾ بالصبر على أذاهم بهذا القول وغيره، وقد فعل ﴿ ويمح الله الباطل ﴾ الذي قالوه ﴿ ويحق الحق ﴾ يثبته ﴿ بكلماته ﴾ المنزلة على نبيه ﷺ ﴿ إنه عليم بذات الصدور ﴾ بما في القلوب.

٢٥ ﴿ وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ﴾ منهم ﴿ ويعفوا عن السيئات ﴾ المتاب عنها ﴿ ويعلم ما تفعلون ﴾ بالياء والتاء(٥).

وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ ۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ
عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ ذَٰلِكَ ٱلَّذِى
يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل
لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن
يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ
شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن
يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ
ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ
ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ
وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۚ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ
عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ ۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ

٢٦ ﴿ ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ يجيبهم إلى ما يسألون(٦) ﴿ ويزيدهم ﴾ الله ﴿ من فضله والكافرون لهم عذاب شديد ﴾.

٢٧ ﴿ ولو بسط الله الرزق لعباده ﴾ جميعهم

---

(١) الذي لا يقاربه فضل ولا يحصيه وصف، طالما أن الله تعالى بجلاله وعظمته وصفه بالكبير.

(٢) أي ﴿يَبْشُر﴾ و ﴿يُبَشِّر﴾ قراءتان متواترتان.

(٣) لأن المستثنى، وهو المودة في القربى، ليس من جنس المستثنى منه وهو الأجر.

(٤) أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل عن قوله ﴿إلا المودة في القربى﴾ فقال سعيد بن جبير: قربى آل محمد ﷺ؟ قال ابن عباس: عجلت، إن النبي ﷺ لم تكن بطن من قريش إلا وله فيهم قرابة، فقال: إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة. [التفسير في باب: قوله ﴿إلا المودة في القربى﴾ رقم: ٤٥٤١].

[عجلت: أي أسرعت في التفسير].

(٥) أخرج مسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (إن الله عزّ وجلّ يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها). [التوبة، باب: قبول التوبة من الذنب...، رقم: ٢٧٥٩].

[يبسط يده: الله تعالى أعلم بتلك اليد وذلك البسط، وإنما يدل ذلك على أن الله تعالى يقبل التوبة ممن يتوب ويرضى عن ذلك كل الرضى بفضل منه سبحانه].

(٦) وعلى هذا المعنى تكون السين والتاء زائدتين، أو المراد: أن المؤمنين يجيبون الله تعالى فيما دعاهم إليه من طاعته.

سبب نزول الآية [٢٣ - ٢٦]: قال الواحدي: قال ابن عباس رضي الله عنهما: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة كانت تنوبه نوائب وحقوق، وليس في يده لذلك سعة، فقال الأنصار: إن هذا الرجل قد هداكم الله تعالى به، وهو ابن أختكم، وتنوبه نوائب وحقوق وليس في يده لذلك سعة، فاجمعوا له من أموالكم ما لا يضركم، فأتوه به ليعينه على ما ينوبه. ففعلوا، ثم أتوا به، فقالوا: يا رسول الله، إنك ابن أختنا، وقد هدانا الله تعالى على يديك، وتنوبك نوائب وحقوق، وليس لك عندنا سعة، فرأينا أن نجمع لك من أموالنا فنأتيك به، فتستعين على ما ينوبك، وهو هذا. فنزلت هذه الآية.

سبب نزول الآية [٢٧]: عن علي رضي الله عنه قال: ما أصبح بالكوفة أحد إلا ناعم، إن أدناهم منزلة يشرب من ماء الفرات ويجلس في الظل ويأكل من البّر، وإنما أنزلت هذه الآية في أصحاب الصفة: ﴿ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض..﴾ وذلك أنهم قالوا: لو أن لنا.. فتمنوا الدنيا. [أخرجه الحاكم في مستدركه: التفسير/ تفسير سورة حم عسق: ٢/٤٤٥، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد].

﴿ لبغوا ﴾ جميعهم أي طغوا ﴿ في الأرض ولكن ينزل ﴾ بالتخفيف وضده(١)، من الأرزاق ﴿ بقدر ما يشاء ﴾ فيبسطها لبعض عباده دون بعض، وينشأ عن البسط البغي ﴿ إنه بعباده خبير بصير ﴾.

٢٨ ﴿ وهو الذي ينزل الغيث ﴾ المطر ﴿ من بعد ما قنطوا ﴾ يئسوا من نزوله ﴿ وينشر رحمته ﴾ يبسط مطره ﴿ وهو الولي ﴾ المحسن للمؤمنين ﴿ الحميد ﴾ المحمود عندهم.

٢٩ ﴿ ومن آياته خلق السموات والأرض و ﴾ خلق ﴿ ما بث ﴾ فرق ونشر ﴿ فيهما من دابة ﴾ هي مايدب على وجه الأرض من الناس وغيرهم ﴿ وهو على جمعهم ﴾ للحشر ﴿ إذا يشاء قدير ﴾ في الضمير(٢) تغليب العاقل على غيره.

٣٠ ﴿ وما أصابكم ﴾ خطاب للمؤمنين ﴿ من مصيبة ﴾ بلية وشدة ﴿ فبما كسبت أيديكم ﴾ أي كسبتم من الذنوب، وعبر بالأيدي لأن أكثر الأفعال تزاول بها ﴿ ويعفوا عن كثير ﴾ منها فلا يجازي عليه، وهو تعالى أكرم من أن يثني الجزاء في الآخرة(٣)، أما غير المذنبين فما يصيبهم في الدنيا فإنه لرفع درجاتهم في الآخرة(٤).

٣١ ﴿ وما أنتم ﴾ يا مشركون ﴿ بمعجزين ﴾ الله هرباً ﴿ في الأرض ﴾ فتفوتوه ﴿ وما لكم من دون الله ﴾ أي غيره ﴿ من ولي ولا نصير ﴾ يدفع عذابه عنكم.

لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ
بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ (٢٧) وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن
بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ (٢٨)
وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا
مِن دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ (٢٩) وَمَا
أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن
كَثِيرٍ (٣٠) وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُم
مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (٣١) وَمِنْ آيَاتِهِ
الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ (٣٢) إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ
فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ
صَبَّارٍ شَكُورٍ (٣٣) أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَن
كَثِيرٍ (٣٤) وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُم

٣٢ ﴿ ومن آياته(٥) الجوار ﴾(٦) السفن ﴿ في البحر كالأعلام ﴾ كالجبال في العظم.

٣٣ ﴿ إن يشأ يسكن الريح فيظللن ﴾ يصرن ﴿ رواكد ﴾ ثوابت لا تجري ﴿ على ظهره إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور ﴾ هو المؤمن، يصبر في الشدة ويشكر في الرخاء.

٣٤ ﴿ أو يوبقهن ﴾ عطف على يسكن، أي يغرقهن بعصف الريح بأهلهن ﴿ بما كسبوا ﴾ أي أهلهن من الذنوب ﴿ ويعف عن كثير ﴾ منها فلا يغرق أهله.

٣٥ ﴿ ويعلم ﴾ بالرفع مستأنف، وبالنصب معطوف على تعليل مقدر، أي يغرقهم لينتقم منهم ويعلم ﴿ الذين يجادلون في آياتنا ما لهم

---

(١) أي التشديد للزاي، ففي اللفظ قراءتان: ﴿يُنْزِل﴾ و﴿يُنَزِّل﴾.

(٢) أي في قوله ﴿جمعهم﴾.

(٣) أي إن الله تعالى لا يعيد العقوبة في الآخرة على من جوزي بالذنب في الدنيا، لأن الكريم لا يعاقب مرتين.

(٤) أخرج البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: (لا يصيب المؤمن شوكة فما فوقها إلا رفعه الله بها درجة، أو حط عنه بها خطيئة). [البخاري: المرضى، باب: ما جاء في كفارة المرض، رقم: ٥٣١٧. مسلم: البر والصلة والآداب، باب: ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن...، رقم: ٢٥٧٢].

وعن علي رضي الله عنه قال: (ألا أخبركم بأفضل آية في كتاب الله تعالى، حدثنا بها رسول الله ﷺ: ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير﴾ وسأفسرها لك يا علي، ما أصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء في الدنيا فبما كسبت أيديكم، والله تعالى أكرم من أن يثني عليهم العقوبة في الآخرة. وما عفا الله تعالى عنه في الدنيا فالله تعالى أحلم من أن يعود بعد عفوه) [مسند أحمد: ٨٥/١].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: (إذا كثرت ذنوب العبد، ولم يكن له ما يكفرها من العمل، ابتلاه الله بالحزن ليكفرها عنه) [مسند أحمد: ١٥٧/٦].

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: دخل عليه بعض أصحابه وقد كان ابتلي في جسده، فقال له بعضهم: إنا لنبتئس لك لما نرى فيك، قال: فلا تبتئس بما ترى، فإن ما ترى بذنب، وما يعفو الله عنه أكثر، ثم تلا هذه الآية: ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير﴾. [أخرجه ابن أبي حاتم كما قال ابن كثير في تفسيره].

(٥) علائم قدرته وعظيم حكمته ودلائل توحيده.

(٦) جمع جارية، وهي في الأصل اسم فاعل من الجري، صفة للسفن، ولكنها أجريت مجرى الاسم فصارت تطلق على السفينة.

من **﴿محيص﴾** مهرب من العذاب، وجملة النفي سدت مسد مفعولي يعلم، والنفي معلق عن العمل[1].

٣٦ **﴿فما أوتيتم﴾** خطاب للمؤمنين وغيرهم **﴿من شيء﴾** من أثاث الدنيا **﴿فمتاع الحياة الدنيا﴾** يتمتع به فيها ثم يزول **﴿وما عند الله﴾** من الثواب **﴿خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون﴾** ويعطف عليه:

٣٧ **﴿والذين يجتنبون كبائر الإثم[2] والفواحش﴾** موجبات الحدود، وهو من عطف البعض على الكل[3] **﴿وإذا ما غضبوا هم يغفرون﴾** يتجاوزون[4].

٣٨ **﴿والذين استجابوا لربهم﴾** أجابوه إلى ما دعاهم إليه من التوحيد والعبادة **﴿وأقاموا الصلاة﴾** أداموها **﴿وأمرهم﴾** الذي يبدو لهم **﴿شورى بينهم﴾** يتشاورون فيه ولا يعجلون **﴿ومما رزقناهم﴾** أعطيناهم **﴿ينفقون﴾** في طاعة الله عز وجل. ومن ذكر صنف

٣٩ **﴿والذين إذا أصابهم البغي﴾** الظلم **﴿هم ينتصرون﴾** صنف[5]، أي ينتقمون ممن ظلمهم بمثل ظلمه، كما قال الله تبارك وتعالى:

٤٠ **﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾** سميت الثانية سيئة لمشابهتها للأولى في الصورة، وهذا ظاهر فيما يقتص فيه من الجراحات، قال بعضهم: وإذا قال له أخزاك الله، فيجيبه: أخزاك الله[6] **﴿فمن عفا﴾** عن ظالمه **﴿وأصلح﴾** الود بينه وبين المعفو عنه **﴿فأجره على الله﴾** أي إن الله يأجره لا محالة **﴿إنه لا يحب الظالمين﴾** أي البادئين بالظلم، فيرتب عليهم عقابه.

٤١ **﴿ولمن انتصر بعد ظلمه﴾** أي ظلم الظالم إياه **﴿فأولئك ما عليهم من سبيل﴾** مؤاخذة.

٤٢ **﴿إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون﴾** يعملون **﴿في الأرض بغير الحق﴾** بالمعاصي **﴿أولئك لهم عذاب أليم﴾** مؤلم.

٤٣ **﴿ولمن صبر﴾** فلم ينتصر **﴿وغفر﴾** تجاوز **﴿إن ذلك﴾** الصبر والتجاوز **﴿لمن عزم الأمور﴾** أي معزوماتها، بمعنى المطلوبات شرعاً[7].

مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ
يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ
وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟
لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا
رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ
يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا
وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ
ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾
إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ
فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾
وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾

---

(١) أي لفظاً لا محلاً، لأن ﴿محيص﴾ مجرور لفظاً بحرف الجر الزائد «من» مرفوع محلاً على أنه اسم «ما» التي تعمل عمل ليس.

(٢) الذنوب الكبيرة، سواء أكان فيها حد أم لا، والحد هو العقوبة المقدرة من الشارع: كقطع يد السارق وجلد الزاني ونحو ذلك.

(٣) أي عطف الفواحش على كبائر الإثم من عطف البعض على الكل، لأنه فسر الفواحش بموجبات الحدود، وهي بعض الكبائر التي ذكرت قبلها. والفواحش جمع فاحشة، وهي في الأصل ما عظم قبحه من قول أو فعل، وتشمل كل ما خالف الشرع.

(٤) عمن أغضبهم ويكظمون غيظهم فلا ينتقمون منه.

(٥) ولعل الأولى أن لا يكونوا صنفين، وإنما هذه صفات كلها للمؤمنين الذين يعفون في موضع العفو، وينتصرون في موضع الانتصار، فيعطون كل حالة ما يناسبها، بما أعطاهم الله تعالى من الحكمة، وما يستنيرون به من المشاورة، إذ العفو قد يكون ضعفاً وجبناً في بعض الأحيان، كما يكون الانتصار والانتقام من المسيء قسوة وجفاء في أحيان أخرى.

(٦) أي وفيما عدا ذلك من الإساءات الممنوعة ليس له أن يقابله بالمثل، كما إذا قذفه بالفاحشة أو اعتدى على عرضه، وإنما يرفع الأمر إلى القضاء، ليقيم عليه الحد المقرر شرعاً، وإذا لم يكن لإساءته عقوبة مقدرة شرعاً عاقبه القاضي بما يراه رادعاً له.

(٧) أي الأمور التي أمر الله تعالى بها وأكد عليها.

أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب). وأخرج الترمذي وأبو داود أن رسول الله ﷺ: قال: (من كظم غيظاً وهو يستطيع أن ينفذه دعاه الله تعالى يوم القيامة على رؤوس =

٤٤ ﴿ ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده ﴾ أي أحد يلي هدايته بعد إضلال الله إياه ﴿ وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل إلى مرد ﴾ إلى الدنيا ﴿ من سبيل ﴾ طريق.

٤٥ ﴿ وتراهم يعرضون عليها ﴾ أي النار ﴿ خاشعين ﴾ خائفين متواضعين ﴿ من الذل ينظرون ﴾ إليها ﴿ من طرف خفي ﴾ ضعيف النظر مسارقة(١)، ومن ابتدائية(٢)، أو بمعنى الباء ﴿ وقال الذين آمنوا إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ﴾ بتخليدهم في النار وعدم وصولهم إلى الحور المعدة لهم في الجنة لو آمنوا، والموصول(٣) خبر إن ﴿ ألا إن الظالمين ﴾ الكافرين ﴿ في عذاب مقيم ﴾ دائم، هو من مقول الله تبارك وتعالى(٤).

٤٦ ﴿ وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله ﴾ أي غيره، يدفع عذابه عنهم ﴿ ومن يضلل الله فما له من سبيل ﴾ طريق إلى الحق في الدنيا وإلى الجنة في الآخرة.

٤٧ ﴿ استجيبوا لربكم ﴾ أجيبوه بالتوحيد والعبادة ﴿ من قبل أن يأتي يوم ﴾ هو يوم القيامة ﴿ لا مرد له من الله ﴾ أي أنه إذا أتى به لا يرده ﴿ ما لكم من ملجأ ﴾ تلجؤون إليه ﴿ يومئذ وما لكم من نكير ﴾ إنكار لذنوبكم.

٤٨ ﴿ فإن أعرضوا ﴾ عن الإجابة ﴿ فما أرسلناك عليهم حفيظاً ﴾ تحفظ أعمالهم بأن توافق المطلوب منهم ﴿ إن ﴾ ما ﴿ عليك إلا البلاغ ﴾ وهذا قبل الأمر بالجهاد(٥) ﴿ وإنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة ﴾ نعمة كالغنى والصحة ﴿ فرح بها وإن تصبهم ﴾ الضمير للإنسان باعتبار الجنس(٦) ﴿ سيئة ﴾ بلاء ﴿ بما قدمت

وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى
ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن
سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ
ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ
ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ
أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُم
مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ
فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ
يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم
مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ
حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ
مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ

= الخلائق حتى يخيره في أي الحور شاء).

[البخاري: الأدب، باب: الحذر من الغضب، رقم: ٥٧٦٣. مسلم: البر والصلة والآداب، باب: فضل من يملك نفسه عند الغضب. . ، رقم: ٢٦٠٩. الترمذي: البر والصلة، باب: ما جاء في كظم الغيظ، رقم: ٢٠٢٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رجلاً شتم أبا بكر، والنبي ﷺ جالس، فجعل النبي ﷺ يعجب ويتبسم، فلما أكثر رد عليه بعض قوله، فغضب النبي ﷺ وقام، فلحقه أبو بكر، فقال: يا رسول الله، كان يشتمني وأنت جالس، فلما رددت عليه بعض قوله غضبت وقمت؟ قال: (إنه كان معك ملك يرد عنك، فلما رددت عليه بعض قوله وقع الشيطان، فلم أكن لأقعد مع الشيطان)

وقع: في نسخة ذكرها ابن كثير في تفسيره: حضر.

ثم قال: «يا أبا بكر، ثلاث كلهن حق: ما من عبد ظُلِم بمظلمة، فيغضي عنها لله، إلا أعز الله بها نصره. وما فتح رجل باب عطية، يريد بها صلة، إلا زاده الله بها كثرة. وما فتح رجل باب مسألة يريد بها كثرة إلا زاده الله عز وجل بها قلة». [مسند أحمد: ٢/٤٣٦].

وعن عبد الصمد بن يزيد ـ خادم الفضيل بن عياض ـ قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول: إذا أتاك رجل يشكو إليك رجلاً فقل: يا أخي، اعف عنه، فإن العفو أقرب للتقوى. فإن قال: لا يحتمل قلبي العفو، ولكن أنتصر كما أمرني الله عزّ وجلّ. فقل له: إن كنت تحسن أن تنتصر، وإلا فارجع إلى باب العفو، فإنه باب واسع، فإنه من عفا وأصلح فأجره على الله، وصاحب العفو ينام على فراشه بالليل، وصاحب الانتصار يقلب الأمور. [تفسير ابن كثير]

---

(١) أي يسارقون النظر إليها خوفاً منها وذلاً في أنفسهم.

(٢) أي مبتدئين النظر من طرف خفي.

(٣) في قوله ﴿الذين خسروا أنفسهم﴾.

(٤) أي قوله ﴿ألا إن الظالمين. .﴾ من مقول الله تعالى وليس من مقول المؤمنين كسابقه.

(٥) أي أما بعده فإنه يبلغ، فإن لم يستجب له أو لم يذعن لأمره قاتل.

(٦) أي إن الضمير في قوله ﴿تصبهم﴾ جاء بلفظ الجمع لأنه عائد على الإنسان في قوله: ﴿أذقنا الإنسان﴾ باعتبار الجنس، أي جنس الإنسان، وهم أفراد كثيرون، فجاء الضمير بلفظ الجمع.

﴿أيديهم﴾ أي قدموه، وعبر بالأيدي لأن أكثر الأفعال تزاول بها ﴿فإن الإنسان كفور﴾ للنعمة.

٤٩ ﴿لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء﴾ من الأولاد ﴿إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور﴾.

٥٠ ﴿أو يزوجهم﴾ أي يجعلهم ﴿ذكراناً وإناثاً ويجعل من يشاء عقيماً﴾ فلا يلد ولا يولد له ﴿إنه عليم﴾ بما يخلق ﴿قدير﴾ على ما يشاء.

٥١ ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا﴾ أن يوحي إليه ﴿وحياً﴾ في المنام أو بإلهام ﴿أو﴾ إلا ﴿من وراء حجاب﴾ بأن يسمعه كلامه ولا يراه، كما وقع لموسى عليه السلام ﴿أو﴾ إلا أن ﴿يرسل رسولاً﴾ ملكاً كجبريل ﴿فيوحي﴾ الرسول إلى المرسل إليه، أي يكلمه ﴿بإذنه﴾ أي الله ﴿ما يشاء﴾ الله ﴿إنه عليٌ﴾ عن صفات المحدثين(١) ﴿حكيم﴾ في صنعه.

٥٢ ﴿وكذلك﴾ أي مثل إيحائنا إلى غيرك من الرسل ﴿أوحينا إليك﴾ يا محمد ﴿روحاً﴾ هو القرآن، به تحيا القلوب ﴿من أمرنا﴾ الذي نوحيه إليك ﴿ما كنت تدري﴾ تعرف قبل الوحي إليك ﴿ما الكتاب﴾ القرآن ﴿ولا الإيمان﴾ أي شرائعه ومعالمه، والنفي معلق للفعل عن العمل(٢)، وما بعده سد مسد المفعولين(٣) ﴿ولكن جعلناه﴾ أي الروح، أو الكتاب ﴿نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي﴾ تدعو بالوحي إليك ﴿إلى صراط﴾ طريق ﴿مستقيم﴾ دين الإسلام.

٥٣ ﴿صراط الله(٤) الذي له ما في السموات وما في الأرض﴾ ملكاً وخلقاً وعبيداً ﴿ألا إلى الله تصير الأمور﴾ ترجع.

أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ (٤٨) لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا
وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ (٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا
وَإِنَٰثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (٥٠)
۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ
حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ
عَلِىٌّ حَكِيمٌ (٥١) وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ
أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن
جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ
لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٥٢) صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى
لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ
ٱلْأُمُورُ (٥٣)

---

(١) أي المخلوقين الذين أحدثهم وأوجدهم بعد العدم.

قال ابن كثير في تفسير الآية: هذه مقامات الوحي بالنسبة إلى جناب الله عزّ وجلّ، وهو أنه تعالى: تارة يقذف في روع النبي ﷺ شيئاً، لا يتمارى فيه أنه من الله عزّ وجلّ، كما جاء في صحيح ابن حبان، عن رسول الله ﷺ أنه قال: (إن روح القدس نفث في روعي: أن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب).

وقوله: (أو من وراء حجاب) كما كلم موسى عليه السلام، فإنه سأل الرؤية بعد التكليم، فحُجب عنها. وفي الصحيح: أن رسول الله ﷺ قال لجابر بن عبد الله: (ما كلم الله أحداً إلا من وراء حجاب، وإنه كلم أباك كِفاحا) الحديث، وكان قد قتل يوم أحد، ولكن هذا في عالم البرزخ، والآية إنما هيَ في الدار الدنيا.

وقوله: ﴿أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء﴾. كما ينزل جبريل وغيره من الملائكة على الأنبياء عليهم السلام ﴿إنه علي حكيم﴾ فهو علي عليم خبير حكيم. [كفاحاً: أي مواجهة. الحديث: وتتمته: «فقال: يا عبدي، تمنَّ عليَّ أعطيك. قال: يا رب، تحييني فأقتل فيك ثانية. قال الرب تبارك وتعالى: إنه قد سبق مني أنهم إليها لا يرجعون. قال: وأنزلت هذه الآية: ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً..﴾ الآية: [آل عمران: ١٦٩]. الترمذي: تفسير القرآن، باب: ومن سورة آل عمران، رقم: ٣٠١٣].

(٢) الصواب أن يقول: الاستفهام معلق للفعل عن العمل، لأن المراد بالفعل الذي علق عن العمل قوله ﴿تدري﴾ والنفي سابق عليه، والذي علقه عن العمل ﴿ما﴾ الاستفهامية في قوله ﴿ما الكتاب﴾. وقد تكرر أن المراد بالتعليق إبطال العمل لفظاً لمجيء ماله الصدارة في الكلام كالاستفهام هنا.

(٣) أي ما بعد الفعل ﴿تدري﴾ - وهو الجملة الاستفهامية - سد مسد مفعولي ﴿تدري﴾. وذلك أن فعل درى ينصب مفعولين.

(٤) طريقُ الله تعالى وهو منهجه وشرعه الذي ارتضاه لعباده.

سبب نزول الآية [٥١]: قال الواحدي: قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْياً﴾ الآية.

وذلك أن اليهود قالوا للنبي ﷺ: ألا تكلم الله وتنظر إليه إن كنت نبياً، كما كلّم الله موسى ونظر إليه، فإنا لن نؤمن بك حتى تفعل ذلك. فقال: (لم ينظر موسى إلى الله). وأنزلت هذه الآية.

(سورة الزخرف)

(مكية وقيل إلا آية ٤٥ فمدنية وآياتها ٨٩)

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿ حم ﴾ الله أعلم بمراده به(١).

٢ ﴿ والكتاب ﴾ القرآن ﴿ المبين ﴾ المظهر طريق الهدى وما يحتاج إليه من الشريعة.

٣ ﴿ إنا جعلناه ﴾ أوجدنا الكتاب(٢) ﴿ قرآناً عربياً ﴾ بلغة العرب ﴿ لعلكم ﴾ يا أهل مكة ﴿ تعقلون ﴾ تفهمون معانيه.

٤ ﴿ وإنه ﴾ مثبت ﴿ في أم الكتاب ﴾ أصل الكتب، أي اللوح المحفوظ ﴿ لدينا ﴾ بدل(٣)، عندنا(٤) ﴿ لعلي ﴾ على الكتب قبله(٥) ﴿ حكيم ﴾ ذو حكمة بالغة.

٥ ﴿ أفنضرب ﴾ نمسك ﴿ عنكم الذكر ﴾ القرآن ﴿ صفحاً ﴾ إمساكاً، فلا تؤمرون ولا تنهون، لأجل ﴿ أن كنتم قوماً مسرفين ﴾ مشركين؟ لا.

٦ ﴿ وكم أرسلنا من نبي في الأولين ﴾(٦).

٧ ﴿ وما ﴾ كان ﴿ يأتيهم ﴾ أتاهم ﴿ من نبي إلا كانوا به يستهزئون ﴾ كاستهزاء قومك بك، وهذا تسلية له ﷺ.

٨ ﴿ فأهلكنا أشد منهم ﴾ من قومك ﴿ بطشاً ﴾ قوة ﴿ ومضى ﴾ سبق في آيات ﴿ مثل الأولين ﴾ صفتهم في الإهلاك، فعاقبة قومك كذلك.

٩ ﴿ ولئن ﴾ لام قسم ﴿ سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن ﴾ حذف منه نون الرفع لتوالي النونات، وواو الضمير لالتقاء الساكنين(٧) ﴿ خلقهن العزيز العليم ﴾ آخر جوابهم: الله ذو العزة والعلم(٨). زاد تعالى(٩):

١٠ ﴿ الذي جعل لكم الأرض مهداً ﴾ فراشاً كالمهد للصبي ﴿ وجعل

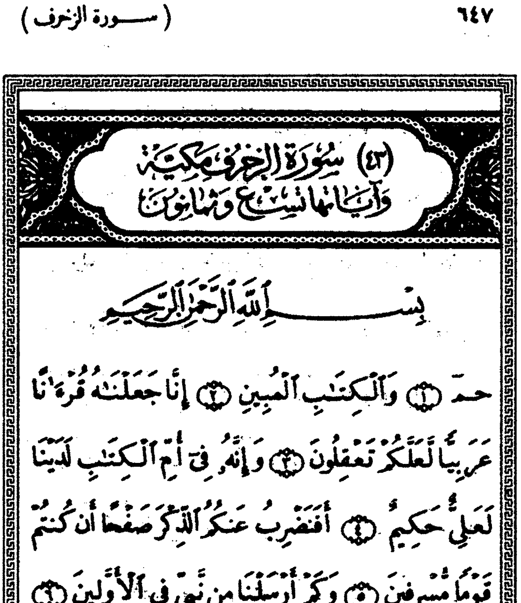

٦٤٧ (سورة الزخرف)

(٤٣) سُورَةُ الزُّخۡرُفِ مَكِّيَّةٌ
وَآيَاتُهَا تِسۡعٌ وَثَمَانُونَ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا
عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا
لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ أَفَنَضۡرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكۡرَ صَفۡحًا أَن كُنتُمۡ
قَوۡمٗا مُّسۡرِفِينَ ﴿٥﴾ وَكَمۡ أَرۡسَلۡنَا مِن نَّبِيّٖ فِي ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٦﴾
وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٧﴾ فَأَهۡلَكۡنَآ
أَشَدَّ مِنۡهُم بَطۡشٗا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم
مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلۡعَزِيزُ
ٱلۡعَلِيمُ ﴿٩﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا وَجَعَلَ

---

(١) وانظر تفسير أول سورة البقرة.

(٢) أي أنزلنا القرآن ـ الذي هو كلام الله تعالى القديم ـ وصيرناه كلاماً يقرأ بلغة العرب.

(٣) أي من قوله ﴿في أم الكتاب﴾.

(٤) هي تفسير لقوله ﴿لدينا﴾.

(٥) حاكم عليها، ومقرر لصحتها أو بطلانها، لحفظه من التغيير أو التحريف أو الزيادة أو النقص، بخلاف غيره من الكتب التي طرأ عليها كل ذلك. قال ابن كثير في تفسيره: بين شرفه في الملأ الأعلى ليشرفه ويعظمه ويطيعه أهل الأرض. وقال: لهذا استنبط العلماء ـ رحمهم الله ـ من هاتين الآيتين: أن المحدث لا يمس المصحف، كما ورد به الحديث إن صح، لأن الملائكة يعظمون المصاحف المشتملة على القرآن في الملأ الأعلى، فأهل الأرض بذلك أولى وأحرى، لأنه نزل عليهم، وخطابه متوجه إليهم، فهم أحق أن يقابلوه بالإكرام والتعظيم، والانقياد له بالقبول والتسليم، لقوله: ﴿وإنه في أم الكتاب لدينا لعليٌّ حكيم﴾ انتهى.

والحديث الذي أشار إليه هو قوله ﷺ (لا يمس القرآن إلا طاهر) أخرجه الدارقطني [الطهارة، باب: في نهي المحدث عن مس القرآن] والبيهقي [الطهارة، باب: نهي المحدث عن مس المصحف]

(٦) فيمن قبلكم من الأمم، فأنتم مثلهم أرسلنا إليكم محمداً ﷺ.

(٧) أي أصل ﴿ليقولن﴾ ليقولونَنّ، فحذفت نون الرفع الأولى لتوالي النونات، فالتقى ساكنان: الواو والنون، فحذفت الواو لدلالة الضمة عليها.

(٨) أي هذا آخر جوابهم، وما بعده ليس من جوابهم.

(٩) أي زاد تعالى كلاماً بعد حوابهم آخره: ﴿وإنا إلى ربنا لمنقلبون﴾.

لكم فيها سبلاً ﴾ طرقاً ﴿ لعلكم تهتدون ﴾ إلى مقاصدكم في أسفاركم.

١١ ﴿ والذي نزل من السماء ماء بقدر ﴾ أي بقدر حاجتكم إليه، ولم ينزله طوفاناً ﴿ فأنشرنا ﴾ أحيينا ﴿ به بلدة ميتاً كذلك ﴾ أي مثل هذا الإحياء ﴿ تخرجون ﴾ من قبوركم أحياءً.

١٢ ﴿ والذي خلق الأزواج ﴾ الأصناف ﴿ كلها[١] وجعل لكم من الفلك ﴾ السفن ﴿ والأنعام ﴾ كالإبل ﴿ ما تركبون ﴾ حذف العائد اختصاراً، وهو مجرور في الأول أي فيه، منصوب في الثاني[٢].

١٣ ﴿ لتستووا ﴾ لتستقروا ﴿ على ظهوره ﴾ ذكر الضمير وجمع الظهر نظراً للفظ «ما»[٣] ومعناها ﴿ ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ﴾ مطيقين.

١٤ ﴿ وإنا إلى ربنا لمنقلبون ﴾ لمنصرفون[٤].

١٥ ﴿ وجعلوا له من عباده جزءاً ﴾ حيث قالوا الملائكة بنات الله، لأن الولد جزء من الوالد، والملائكة من عباد الله تعالى ﴿ إن الإنسان ﴾ القائل ما تقدم ﴿ لكفور مبين ﴾ بين ظاهر الكفر.

١٦ ﴿ أم ﴾ بمعنى همزة الإنكار، والقول مقدر، أي أتقولون ﴿ اتخذ مما يخلق بنات ﴾ لنفسه ﴿ وأصفاكم ﴾ خصكم[٥] ﴿ بالبنين ﴾ اللازم من قولكم السابق[٦]، فهو من جملة المنكر.

١٧ ﴿ وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلاً ﴾ جعل له شبهاً بنسبة البنات إليه، لأن الولد يشبه الوالد، المعنى: إذا أخبر أحدهم بالبنت تولد له ﴿ ظل ﴾ صار ﴿ وجهه مسوداً ﴾ متغيراً تغيرَ مغتم ﴿ وهو كظيم ﴾ ممتلىء غماً، فكيف ينسب البنات إليه؟ تعالى عن ذلك.

١٨ ﴿ أو ﴾ همزة الإنكار وواو العطف بجملة[٧] أي يجعلون لله ﴿ من ينشأ في الحلية ﴾ الزينة[٨] ﴿ وهو في الخصام غير مبين ﴾ مظهر الحجة، لضعفه عنها بالأنوثة.

١٩ ﴿ وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً أشهدوا ﴾ أحضروا

لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾ وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ
ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ
تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ
ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ
ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَٰنَ
ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ
رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ وَجَعَلُوا لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ
ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ
وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ
لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾
أَوَمَن يُنَشَّؤُا فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾
وَجَعَلُوا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا

---

(١) أي جميع الأشكال والأنواع، كالحلو والحامض، والأبيض والأسود، والذكر والأنثى.

(٢) العائد هو الضمير الذي يرجع إلى الاسم الموصول، وهو هنا ﴿ما﴾ في قوله ﴿ما تركبون﴾. وهذا الموصول يتناول السفن والأنعام، والمعنى: جعل لكم من الفلك ما تركبون فيه، ومن الأنعام ما تركبونه. فالعائد في الجملة الأولى مجرور بفي، وهو مراده بقوله مجرور في الأول، وفي الجملة الثانية منصوب بالفعل، وهو مراده بقوله: منصوب في الثاني.

(٣) في قوله ﴿ما تركبون﴾ وكان المناسب أن يقول: أفرد الضمير بدل قوله: ذكر الضمير، فإن لفظ ما مفرد، ومعناها يتناول الواحد وغيره، فروعي لفظها ومعناها، والضمير هو الهاء في قوله ﴿ظهوره﴾.

(٤) وراجعون في المعاد.

(٥) في بعض النسخ: أخلصكم، وهو في معناه.

(٦) يلزم هذا عن قولكم: الملائكة بنات الله.

(٧) أي إن أو كلمتان هما الهمزة والواو، وهذه الواو عاطفة لجملة مقدرة وهي ما ذكره بقوله: أي يجعلون لله، فالباء في قوله: بجملة بمعنى اللام، وعلى هذا تكون ﴿من﴾ مفعول به لفعل مقدر معطوف على مقدر آخر، والمعنى: أيجترئون على الله تعالى ويجعلون له من ينشأ...

(٨) أي وهذا دليل النقص، إذ لو كملت في نفسها لما احتاجت للزينة.

فائدة: أخرج مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ كان إذا استوى على بعيره خارجاً للسفر حمد الله تعالى وسبح وكبر ثلاثاً، ثم قال: (سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى، ومن العمل ما ترضى. اللهم هون علينا سفرنا هذا واطوِ عنا بعده. اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل. اللهم إني أعوذ بك =

سبب نزول الآية [١٩]: عن قتادة قال: قال ناس من المنافقين: إن الله صاهر الجنّ، فخرجت من بينهم الملائكة. فنزل فيهم: ﴿وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً﴾. [السيوطي].

﴿ خلقهم ستكتب شهادتهم ﴾ بأنهم إناث ﴿ ويسألون ﴾ عنها في الآخرة، فيرتب عليها العقاب.

٢٠ ﴿ وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ﴾ أي الملائكة، فعبادتنا إياهم بمشيئته، فهو راضٍ بها. قال تعالى: ﴿ ما لهم بذلك ﴾ المقول من الرضا بعبادتها ﴿ من علم إن ﴾ ما ﴿ هم إلا يخرصون ﴾ يكذبون فيه، فيترتب عليهم العقاب به.

٢١ ﴿ أم آتيناهم كتاباً من قبله ﴾ أي القرآن، بعبادة غير الله ﴿ فهم به مستمسكون ﴾ أي لم يقع ذلك.

٢٢ ﴿ بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة ﴾ ملة ﴿ وإنا ﴾ ماشون ﴿ على آثارهم مهتدون ﴾ بهم، وكانوا يعبدون غير الله.

٢٣ ﴿ وكذلك(١) ما أرسلنا من قبلك في قرية(٢) من نذير إلا قال مترفوها ﴾ متنعموها(٣)، مثل قول قومك ﴿ إنا وجدنا آباءنا على أمة ﴾ ملة(٤) ﴿ وإنا على آثارهم مقتدون ﴾ متبعون.

٢٤ ﴿ قل ﴾(*) لهم ﴿ أ ﴾ تتبعون ذلك ﴿ ولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم(٥) قالوا إنا بما أرسلتم به ﴾ أنت ومن قبلك ﴿ كافرون ﴾. قال تعالى تخويفاً لهم:

٢٥ ﴿ فانتقمنا منهم ﴾ أي من المكذبين للرسل قبلك ﴿ فانظر كيف كان عاقبة المكذبين ﴾.

٢٦ ﴿ و ﴾ اذكر ﴿ إذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء ﴾ أي بريء ﴿ مما تعبدون ﴾.

٢٧ ﴿ إلا الذي فطرني ﴾ خلقني ﴿ فإنه سيهدين ﴾ يرشدني لدينه.

٢٨ ﴿ وجعلها ﴾ أي كلمة التوحيد المفهومة من قوله: «إني ذاهب إلى ربي سَيَهۡدِينِ» [الصافات: ٩٩] ﴿ كلمة باقية في عقبه ﴾ ذريته، فلا يزال فيهم من يوحد الله(٦)

٦٤٩ (سورة الزخرف)

خَلۡقَهُمۡۚ سَتُكۡتَبُ شَهَٰدَتُهُمۡ وَيُسۡـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُواْ لَوۡ
شَآءَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَا عَبَدۡنَٰهُمۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ
إِلَّا يَخۡرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ كِتَٰبٗا مِّن قَبۡلِهِۦ فَهُم بِهِۦ
مُسۡتَمۡسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلۡ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ
وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا
مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ
ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ﴿٢٣﴾
۞ قَٰلَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ
قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡۖ
فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ
لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِي
فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ

= من وعثاء السفر وكآبة المنظر وسوء المنقلب في المال والأهل). وإذا رجع قالهن وزاد فيهن: (آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون) [وعثاء السفر: تعبه وشدته ومشقته. كآبة المنظر: المنظر الذي يورث الكآبة وهي الحزن. سوء المنقلب: المرجع السيء، وذلك بأن يعود من سفره حزيناً كئيباً، أو يصادف ما يسوؤه في أهل أو مال]. [مسلم: الحج، باب: ما يقول إذا ركب إلى سفر الحج وغيره، رقم: ١٣٤٢].

(*) قرأ ابن عامر وحفص ﴿قال﴾ وقرأ الباقون ﴿قل﴾. [النشر]

(١) أي والأمر كما ذكر من عجزهم عن الحجة وتمسكهم بالتقليد.

(٢) المراد بالقرية كل عامر، خلاف البادية والبرية. وفي الآية تسلية للنبي ﷺ ببيان: أن التقليد واتباع الآباء على غير هدى ضلال قديم في أسلافهم، وأنه لا مستند لهم غيره.

(٣) الذين أطغتهم النعمة، فصار عندهم بطر وكبر، فصرفهم ذلك عن النظر والاهتداء إلى الحق.

(٤) وطريقة تؤم وتقصد.

(٥) أي بدين هو أصوب مما وجدتم عليه الآباء، إن كنتم تزعمون أنّ ما كانوا عليه فيه هداية، والحقيقة أنه لا هداية ولا صواب في غير ما جاء به رسول الله ﷺ، فأفعل التفضيل ليس على بابه، وإنما المراد إفحامهم وبيان أن ما جاء به ﷺ هو الواجب اتباعه، لما فيه من كمال الهداية.

(٦) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: (خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيءٍ قدير). [الترمذي: الدعوات، باب: في دعاء يوم عرفة، رقم: ٣٥٧٩، وقال: هذا حديث حسن].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (من قال: لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيءٍ قدير. في اليوم مائة مرة، كانت له عَدْل عشر رقاب، وكتب له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به، إلا أحد عمل أكثر من ذلك). [البخاري: بدء الخلق، باب: صفة إبليس وجنوده، =

﴿ لعلهم ﴾ أي أهل مكة ﴿ يرجعون ﴾ عما هم عليه إلى دين إبراهيم أبيهم عليه الصلاة والسلام.

٢٩ ﴿ بل متعت هؤلاء ﴾ المشركين ﴿ وآباءهم ﴾(١) ولم أعاجلهم بالعقوبة ﴿ حتى جاءهم الحق ﴾ القرآن ﴿ ورسول مبين ﴾ مظهر لهم الأحكام الشرعية، وهو محمد ﷺ.

٣٠ ﴿ ولما جاءهم الحق ﴾ القرآن ﴿ قالوا هذا سحر وإنَّا به كافرون ﴾.

٣١ ﴿ وقالوا لولا ﴾ هلا ﴿ نزل هذا القرآن على رجلٍ من ﴾ أهل ﴿ القريتين ﴾ من أيِّة منهما ﴿ عظيم ﴾(٢) أي الوليد ابن المغيرة بمكة، أو عروة بن مسعود الثقفي بالطائف.

٣٢ ﴿ أهم يقسمون رحمة ربك ﴾ النبوة؟ ﴿ نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ﴾ فجعلنا بعضهم غنياً وبعضهم فقيراً(٣) ﴿ ورفعنا بعضهم ﴾ بالغنى ﴿ فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم ﴾ الغني ﴿ بعضاً ﴾ الفقير ﴿ سخريا ﴾ مسخراً في العمل له بالأجرة(٤)، والياء للنسب(٥)، وقرىء بكسر السين(٦) ﴿ ورحمة ربك ﴾ أي الجنة ﴿ خير مما يجمعون ﴾ في الدنيا.

٣٣ ﴿ ولولا أن يكون الناس أمة واحدة ﴾ على الكفر ﴿ لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم ﴾ بدل من لمن ﴿ سقفاً ﴾ بفتح السين وسكون القاف، وبضمهما جمعاً(٧) ﴿ من فضة ومعارج ﴾ كالدرج، من فضة ﴿ عليها يظهرون ﴾ يعلون إلى السطح.

٣٤ ﴿ ولبيوتهم أبواباً ﴾ من فضة ﴿ و ﴾ جعلنا لهم ﴿ سرراً ﴾ من فضة، جمع سرير ﴿ عليها يتكئون ﴾.

٣٥ ﴿ وزخرفاً ﴾ ذهباً، المعنى: لولا خوف الكفر على المؤمنين من إعطاء الكافر ما ذكر لأعطيناه ذلك، لقلة خطر الدنيا عندنا، وعدم حظه في الآخرة في النعيم ﴿ وإن ﴾ مخففة من الثقيلة ﴿ كل ذلك لما ﴾ بالتخفيف، فما زائدة، وبالتشديد بمعنى إلا. فإن نافية ﴿ متاع الحياة الدنيا ﴾ يتمتع به فيها ثم يزول ﴿ والآخرة ﴾ الجنة ﴿ عند ربك للمتقين ﴾(٨).

٣٦ ﴿ ومن يعش ﴾(٩) يعرض ﴿ عن

لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ
جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ
قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ
هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ
يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ
فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ
لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا
يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا
لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ
عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا
يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ وَمَن يَعْشُ عَن

رقم: ٣١١٩. مسلم: الذكر والدعاء والتوبة، باب: فضل التهليل والتسبيح والدعاء، رقم: ٢٦٩١]. عدل: مثل. رقاب: جمع رقبة، أي إنسان مملوك من امرأة أو رجل، والمراد ثواب عتقهم.

(١) أي مددت لهم في العمر ووسعت عليهم بالنعمة في الدنيا.

(٢) كثير المال والجاه، ليتناسب - على زعمهم - مع منصب النبوة ذي الشرف والرفعة.

(٣) أي وهم لا يقدرون على تغيير هذه القسمة، ولا يعترضون عليها، فكيف يعترضون على تخصيص بعض العباد بمنصب النبوة والرسالة.

(٤) وهذه حكمة ظاهرة للتفاوت بين الخلق، ولو تساوى الناسّ في كل الأحوال لأدى ذلك إلى خراب العالم وفساده، لعدم قيام أحد بعمل أو خدمة لأحد.

(٥) أي إلى سخرة.

(٦) أي (سِخريًا) وهي قراءة شاذة.

(٧) وهما قراءتان سبعيتان متواترتان.

(٨) عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء) أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن غريب. وعن المستورد بن شداد رضي الله عنه قال: كنت في الركب الذين وقفوا مع رسول الله ﷺ على السُّخلة الميتة، فقال رسول الله ﷺ: (أترون هذه هانت على أهلها حين ألقوها) قالوا: من هوانها ألقوها يا رسول الله، قال: (فإن الدنيا أهون على الله من هذه الشاة على أهلها) أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن [الزهد، باب: ما جاء في هوان الدنيا على الله عزّ وجلّ، رقم: ٢٣٢١، ٢٣٢٢].

(٩) من العشا، وهو سوء البصر في الليل، ويطلق على الإعراض والتغافل.

فائدة: في استعمال أواني الذهب والفضة. عن عبد الرحمن بن أبي ليلى: أنهم كانوا عند حذيفة، فاستسقى فسقاه مجوسي، فلما وضع القدح

ذكر الرحمن ﴾ أي القرآن ﴿ نقيض ﴾ نسبب ﴿ له شيطاناً(١) فهو له قرين ﴾ لا يفارقه.

٣٧ ﴿ وإنهم ﴾ أي الشياطين ﴿ ليصدونهم ﴾ أي العاشين ﴿ عن السبيل ﴾ أي طريق الهدى ﴿ ويحسبون أنهم مهتدون ﴾ في الجمع(٢) رعاية معنى من(٣).

٣٨ ﴿ حتى إذا جاءنا ﴾ العاشي بقرينه يوم القيامة ﴿ قال ﴾ له ﴿ يا ﴾ للتنبيه ﴿ ليت بيني وبينك بعد المشرقين ﴾ أي مثل بعد ما بين المشرق والمغرب ﴿ فبئس القرين ﴾ أنت لي. قال تعالى:

٣٩ ﴿ ولن ينفعكم ﴾ أي العاشين، تمنيكم وندمكم ﴿ اليوم إذ ظلمتم ﴾ أي تبين لكم ظلمكم بالإشراك في الدنيا، وإذ بدل من اليوم ﴿ أنكم ﴾ مع قرنائكم، بتقدير لام العلة(٤) ﴿ في العذاب مشتركون ﴾ لعدم النفع.

٤٠ ﴿ أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمي ومن كان في ضلال مبين ﴾ بين، أي فهم لا يؤمنون(٥).

٤١ ﴿ فإما ﴾ فيه إدغام نون إن الشرطية في ما الزائدة ﴿ نذهبن بك ﴾ بأن نميتك قبل تعذيبهم ﴿ فإنا منهم منتقمون ﴾ في الآخرة.

ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ
لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾
حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ
فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ
أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ
أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ فَإِمَّا
نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى
وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ
أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ
لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا
مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً
يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ

٤٢ ﴿ أو نرينك ﴾ في حياتك ﴿ الذي وعدناهم ﴾ به من العذاب ﴿ فإنا عليهم ﴾ على عذابهم ﴿ مقتدرون ﴾ قادرون.

٤٣ ﴿ فاستمسك بالذي أوحي إليك ﴾ أي القرآن ﴿ إنك على صراط ﴾ طريق ﴿ مستقيم ﴾.

٤٤ ﴿ وإنه لذكر ﴾ لشرف ﴿ لك ولقومك ﴾ لنزوله بلغتهم ﴿ وسوف تسألون ﴾ عن القيام بحقه.

٤٥ ﴿ واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن ﴾ أي غيره ﴿ آلهة يعبدون ﴾ قيل: هو(٦) على ظاهره، بأن جمع له الرسل ليلة الإسراء(٧)، وقيل: المراد أمم من أيِّ أهل الكتابين، ولم يسأل على واحد من القولين، لأن المراد من الأمر بالسؤال التقرير لمشركي قريش أنه لم يأت رسول من الله ولا كتاب بعبادة غير الله.

٤٦ ﴿ ولقد أرسلنا موسى بآياتنا إلى فرعون

---

(١) ونضمه إليه ونسلطه عليه.

(٢) أي في المواضع الثلاثة: ليصدونهم، يحسبون، أنهم.

(٣) في قوله﴿من يعش﴾.

(٤) أي لأنكم...

(٥) لأن حالهم في سماع ما تدعوهم إليه ورؤية الحق كحال الأصم والأعمى الذي لا يسمع ما يقال له ولا يرى ما يرشد إليه، فهم في ضياع واضح.

(٦) أي السؤال.

(٧) أي ليسألهم مباشرة.

في يده رماه به وقال: لولا أني نهيته غير مرة ولا مرتين، كأنه يقول: لم أفعل هذا، ولكني سمعت النبي ﷺ يقول: (لا تلبسوا الحرير والديباج، ولا تشربوا في آنية الذهب والفضة ولا تأكلوا في صحافها، فإنها لهم في الدنيا ولنا في الآخرة). [البخاري: الأطعمة، باب: الأكل في إناء مفضض، رقم: ٥١١٠. مسلم: اللباس والزينة، باب: تحريم استعمال إناء الذهب والفضة، رقم: ٢٠٦٧]. مجوسي: هو من يعبد النار. رماه به: أي بالإناء، لأنه من فضة. لم أفعل هذا: أي لم أرمه به. الديباج: نوع من الثياب المتخذة من الحرير. آنية: أوعية. صحافها: جمع صحفة، وهي إناء كالقصعة المبسوطة. لهم: أي للكفار.

وعن أم سلمة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ قال: «الذي يشرب في آنية الفضة ـ وفي رواية عند مسلم: الذي يأكل ويشرب في آنية الفضة والذهب ـ إنما يجرجر في بطنه نار جهنم» [البخاري: الأشربة، باب: آنية الفضة، رقم: ٥٣١١. مسلم: اللباس والزينة، باب: تحريم استعمال أواني الذهب والفضة في الشرب وغيره، رقم: ٢٠٦٥]. [آنية: جمع إناء. يجرجر: يلقيها في بطنه بجُرَع متتابعة تسمع لها جرجرة، وهي صوت يردده البعير في حنجرته إذا هاج، يشبه صوت اللجام في فك الفرس. هذا ولقد أجمع العلماء الذين يعتد بهم على تحريم استعمال أواني الذهب والفضة في جميع وجوه الاستعمال من أكل أو شرب وغير ذلك، كالاكتحال بميل أو الكتابة بقلم أو لبس ساعة لمعرفة الوقت، إذا كانت هذه الأدوات مصنوعة من ذهب أو فضة، ويستوي في هذا التحريم النساء والرجال، لأن هذا استعمال وليس زينة حتى يحل للنساء، وكذلك لا فرق بين أن يكون الإناء أو الأداة صغيرة أو كبيرة، والأصح حرمة تزيين المجالس والبيوت ونحوها بمثل هذه الأواني، كما يحرم اقتناؤه ولو لم تستعمل في شيء من ذلك على الأصح. [انظر شرح الأحاديث المذكورة لدى شراح صحيحي البخاري ومسلم].

وملائه ﴾ أي القبط ﴿ فقال إني رسول رب العالمين ﴾.

٤٧ ﴿فلما جاءهم بآياتنا﴾ الدالة على رسالته ﴿إذا هم منها يضحكون﴾.

٤٨ ﴿ وما نريهم من آية ﴾ من آيات العذاب، كالطوفان وهو ماء دخل بيوتهم ووصل إلى حلوق الجالسين سبعة أيام، والجراد(١) ﴿ إلا هي أكبر من أختها ﴾ قرينتها التي قبلها ﴿ وأخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون ﴾ عن الكفر.

٤٩ ﴿ وقالوا ﴾ لموسى لما رأوا العذاب ﴿ يا أيه الساحر ﴾ أي العالم الكامل، لأن السحر عندهم علم عظيم(٢) ﴿ ادع لنا ربك بما عهد عندك ﴾(٣) من كشف العذاب عنا إن آمنا(٤) ﴿ إننا لمهتدون ﴾ أي مؤمنون.

٥٠ ﴿ فلما كشفنا ﴾ بدعاء موسى ﴿ عنهم العذاب إذا هم ينكثون ﴾ ينقضون عهدهم، ويصرون على كفرهم.

٥١ ﴿ ونادى فرعون ﴾ افتخاراً ﴿ في قومه قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار ﴾ أي من النيل ﴿ تجري من تحتي ﴾ أي تحت قصوري ﴿ أفلا تبصرون ﴾ عظمتي:

٥٢ ﴿ أم ﴾ تبصرون؟ وحينئذٍ ﴿ أنا خير من هذا ﴾ أي موسى ﴿ الذي هو مهين ﴾ ضعيف حقير ﴿ ولا يكاد يبين ﴾ يظهر كلامه، للثغته(٥) بالجمرة التي تناولها في صغره.

٥٣ ﴿ فلولا ﴾ هلا ﴿ ألقي عليه ﴾ إن كان صادقاً ﴿ أساورة من ذهب ﴾ جمع أسورة - كأغْرِبَة - جمع سِوار، كعادتهم فيمن يسودونه: أن يلبسوه أسورة ذهب، ويطوقونه طوق ذهب ﴿ أو جاء معه الملائكة مقترنين ﴾ متتابعين يشهدون بصدقه.

٥٤ ﴿ فاستخف ﴾ استفز فرعون ﴿ قومه(٦) فأطاعوه ﴾ فيما يريد من تكذيب موسى ﴿ إنهم كانوا قوماً فاسقين ﴾.

٥٥ ﴿ فلما آسفونا ﴾ أغضبونا ﴿ انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين ﴾.

وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا
جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنۡهَا يَضۡحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرِيهِم
مِّنۡ ءَايَةٍ إِلَّا هِيَ أَكۡبَرُ مِنۡ أُخۡتِهَا وَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡعَذَابِ
لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ
بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهۡتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفۡنَا
عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابَ إِذَا هُمۡ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ فِرۡعَوۡنُ
فِي قَوۡمِهِۦ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ
تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓؕ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡ هَٰذَا
ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٞ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوۡلَآ أُلۡقِيَ عَلَيۡهِ
أَسۡوِرَةٞ مِّن ذَهَبٍ أَوۡ جَآءَ مَعَهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مُقۡتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾
فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾
فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٥٥﴾

---

(١) انظر/ الأعراف: ١٣٣/.

(٢) أي فقولهم هذا هنا تعظيم له ولم يقصدوا به تنقيصه.

(٣) أي بما أخبرتنا به عن عهده إليك من كشف...

(٤) أو بعهده إليك أن دعوتك مستجابة.

قال ابن كثير في تفسير الآية: ﴿يا أيها الساحر﴾ أي: العالم، قاله ابن جرير، وكان علماء زمانهم هم السحرة، ولم يكن السحر عندهم في زمانهم مذموماً، فليس هذا منهم على سبيل الانتقاص منهم، لأن الحال حال ضرورة منهم إليه لا تناسب ذلك، وإنما هو تعظيم في زعمهم، ففي كل مرة يَعدون موسى عليه السلام إن كشف عنهم هذا أن يؤمنوا ويرسلوا معه بني إسرائيل، وفي كل مرة ينكثون ما عاهدوا عليه.

(٥) أي تصيير الراء غيناً أو لاماً، أو السين ثاءً، وهي العقدة التي طلب حلها بقوله: ﴿واحلل عقدة من لساني. يفقهوا قولي﴾/طه: ٢٧، ٢٨/.

قال ابن كثير في تفسير الآية: وهذا الذي قاله فرعون - لعنه الله - كذب واختلاق، وإنما حمله على هذا الكفر والعناد، وهو ينظر إلى موسى عليه السلام بعين كافرة شقية، وقد كان موسى عليه السلام من الجلالة والعظمة والبهاء في صورة يبهر أبصار ذوي الألباب. وقوله ﴿مهين﴾ كذب، بل هو المهين الحقير خِلْقة وخُلُقاً وديناً، وموسى هو الشريف الرئيس الصادق البار الراشد. وقوله: ﴿ولا يكاد يبين﴾ افتراء أيضاً، فإنه - وإن كان قد أصاب لسانه في حال صغره شيء من جهة تلك الجمرة - فقد سأل الله عز وجل أن يحل عقدة من لسانه ليفقهوا قوله، وقد استجاب الله له في قوله: ﴿قد أوتيت سؤلك يا موسى﴾ [القصص:] وبتقدير أن يكون قد بقي شيء لم يسأل إزالته - كما قال الحسن البصري - وإنما سأل زوال ما يحصل معه الإبلاغ والإفهام، فالأشياء الخَلْقية التي ليست من فعل العبد لا يعاب بها ولا يذم عليها، وفرعون وإن كان يفهم وله عقل فهو يدري هذا، وإنما أراد الترويج على رعيته، فإنهم كانوا جهلة أغبياء.

(٦) أي أثارهم على موسى عليه السلام بقوله. وقيل: وجدهم جهالاً، فحملهم على موافقته في خفة وطيش. وقيل: طلب منهم أن يخفوا في طاعته، أي يسرعوا.

٥٦ ﴿فجعلناهم سلفاً﴾ جمع سالف ـ كخادم وخدم ـ أي سابقين، عبرة ﴿ومثلاً للآخرين﴾ بعدهم، يتمثلون بحالهم، فلا يقدمون على مثل أفعالهم.

٥٧ ﴿ولما ضرب﴾ جعل ﴿ابن مريم مثلاً﴾ حين نزل قوله تعالى: «إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم» /الأنبياء: ٩٨/ فقال المشركون: رضينا أن تكون آلهتنا مع عيسى، لأنه عبد من دون الله ﴿إذا قومك﴾ المشركون ﴿منه﴾ من المثل ﴿يصدون﴾ يضحكون، فرحاً بما سمعوا.

٥٨ ﴿وقالوا ءآلهتنا خير أم هو﴾ أي عيسى؟ فنرضى أن تكون آلهتنا معه ﴿ما ضربوه﴾ أي المثل ﴿لك إلا جدلاً﴾ خصومة بالباطل، لعلمهم أن ما(١) لغير العاقل، فلا يتناول عيسى عليه السلام ﴿بل هم قوم خصمون﴾ شديدون في الخصومة(٢).

٥٩ ﴿إن﴾ ما ﴿هو﴾ عيسى ﴿إلا عبد أنعمنا عليه﴾ بالنبوة ﴿وجعلناه﴾ بوجوده من غير أب ﴿مثلاً لبني إسرائيل﴾ أي كالمثل لغرابته، يستدل به على قدرة الله تعالى على ما يشاء.

فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ * وَلَمَّا ضُرِبَ
ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓا۟
ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ
خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ
مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً
فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ
بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ
ٱلشَّيْطَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ
بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ
ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ
رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾
فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ

٦٠ ﴿ولو نشاء لجعلنا منكم﴾ بدلكم ﴿ملائكة في الأرض يخلفون﴾ بأن نهلككم.

٦١ ﴿وإنه﴾ أي عيسى ﴿لعلم للساعة﴾ تعلم بنزوله(٣) ﴿فلا تمترن بها﴾ أي تشكن فيها، حذف منها نون الرفع للجزم، وواو الضمير لالتقاء الساكنين(٤) ﴿و﴾ قل لهم ﴿اتبعون﴾ على التوحيد ﴿هذا﴾ الذي آمركم به ﴿صراط﴾ طريق ﴿مستقيم﴾.

٦٢ ﴿ولا يصدنكم﴾ يصرفنكم عن دين الله عز وجل ﴿الشيطان إنه لكم عدو مبين﴾ بين العداوة.

٦٣ ﴿ولما جاء عيسى بالبينات﴾ بالمعجزات والشرائع ﴿قال قد جئتكم بالحكمة﴾ بالنبوة وشرائع الإنجيل ﴿ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه﴾ من أحكام التوراة، من أمر الدين وغيره، فبين لهم أمر الدين ﴿فاتقوا الله وأطيعون﴾.

٦٤ ﴿إن الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط﴾ طريق ﴿مستقيم﴾.

٦٥ ﴿فاختلف الأحزاب من بينهم﴾ في عيسى، أهو الله، أو ابن الله، أو ثالث ثلاثة؟ ﴿فويل﴾ كلمة عذاب ﴿للذين ظلموا﴾ كفروا بما قالوه في حق عيسى ﴿من

---

(١) في قوله: ﴿وما تعبدون من دون الله﴾.

(٢) عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل) ثم تلا رسول الله ﷺ ﴿ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون﴾. أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح. [التفسير، باب: ومن سورة الزخرف، رقم: ٣٢٥٠].

(٣) يعني نزوله علامة يعلم بها قرب قيام الساعة. أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (والذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عادلاً، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد).

[يضع الجزية: أي لا يقبلها من أحد، ولا يقبل إلا الإسلام]. [البخاري: البيوع، باب: قتل الخنزير، رقم: ٢١٠٩. مسلم: الإيمان، باب: نزول عيسى بن مريم حاكماً بشريعة نبينا محمد ﷺ، رقم: ١٥٥].

(٤) أي أصل الكلمة «تمترونَنَّ» فحذفت النون الأولى للجزم بلا الناهية، فالتقى ساكنان، فحذفت الواو لدلالة الضمة عليها.

سبب نزول الآية [٥٧]: أخرج الواحدي بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال لقريش: (يا معشر قريش، لا خير في أحد يعبد من دون الله). قالوا: أليس تزعم أن عيسى كان عبداً نبياً وعبداً صالحاً؟ فإن كان كما تزعم فهو كآلهتهم. فأنزل الله تعالى: ﴿ولما ضرب ابن مريم مثلاً﴾ الآية. [وأخرجه أحمد في مسنده: ٣١٨/١].

عذاب يوم أليم﴾ مؤلم.

٦٦ ﴿هل ينظرون﴾ أي كفار مكة، أي ما ينتظرون ﴿إلا الساعة أن تأتيهم﴾ بدل من الساعة(١) ﴿بغتة﴾ فجأة ﴿وهم لا يشعرون﴾ بوقت مجيئها قبله.

٦٧ ﴿الأخلاء﴾ على المعصية في الدنيا ﴿يومئذٍ﴾ يوم القيامة، متعلق بقوله ﴿بعضهم لبعض عدو إلا المتقين﴾ المتحابين في الله وهم على طاعته، فإنهم أصدقاء، ويقال لهم:

٦٨ ﴿يا عبادِ لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون﴾.

٦٩ ﴿الذين آمنوا﴾ نعت(٢) لعبادي ﴿بآياتنا﴾ القرآن ﴿وكانوا مسلمين﴾.

٧٠ ﴿ادخلوا الجنة أنتم﴾ مبتدأ ﴿وأزواجكم﴾ زوجاتكم ﴿تحبرون﴾ تسرون وتكرمون، خبر المبتدأ(٣).

٧١ ﴿يطاف عليهم بصحاف﴾ بقصاع(٤) ﴿من ذهب وأكواب﴾ جمع كوب، وهو إناء لا عروة له، ليشرب الشارب من حيث شاء ﴿وفيها ما تشتهيه الأنفس﴾ تلذذاً ﴿وتلذ الأعين﴾ نظراً ﴿وأنتم فيها خالدون﴾(٥).

٧٢ ﴿وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون﴾.

٧٣ ﴿لكم فيها فاكهة كثيرة منها﴾ أي بعضها ﴿تأكلون﴾ وكل ما يؤكل يخلف بدله.

٧٤ ﴿إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون﴾.

٧٥ ﴿لا يفتر﴾ يخفف ﴿عنهم وهم فيه مبلسون﴾ ساكتون سكوت يأس.

٧٦ ﴿وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين﴾.

٧٧ ﴿ونادوا يا مالك﴾ هو خازن النار ﴿ليقض علينا ربك﴾ ليميتنا ﴿قال﴾ بعد ألف سنة ﴿إنكم ماكثون﴾ مقيمون في العذاب دائماً.

(الجزء الخامس والعشرون) ٦٥٤

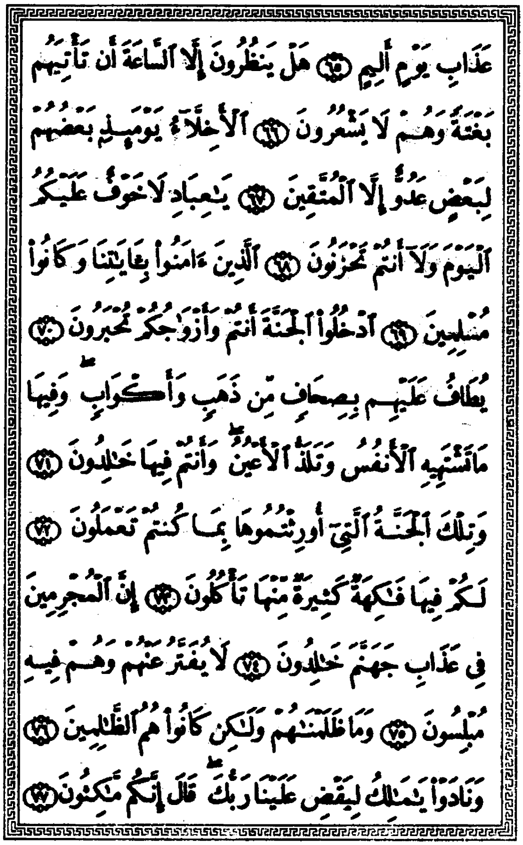

عَذَابِ يَوۡمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم
بَغۡتَةً وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٦٦﴾ ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ
لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ
ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ
مُسۡلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ تُحۡبَرُونَ ﴿٧٠﴾
يُطَافُ عَلَيۡهِم بِصِحَافٖ مِّن ذَهَبٖ وَأَكۡوَابٖۖ وَفِيهَا
مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُۖ وَأَنتُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾
وَتِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٧٢﴾
لَكُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ كَثِيرَةٞ مِّنۡهَا تَأۡكُلُونَ ﴿٧٣﴾ إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ
فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنۡهُمۡ وَهُمۡ فِيهِ
مُبۡلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾
وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾

فائدة: في فضل المحبة في الله عزّ وجلّ. عن أبي أمامة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: (من أحب لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان) [أبو داود: السنة، باب: الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، رقم: ٤٦٨١].

وعن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار) [البخاري: الإيمان، باب: حلاوة الإيمان، رقم: ١٦. مسلم: الإيمان، باب: بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان، رقم: ٤٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة ربه، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله: اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله، ورجل تصدق: أخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه). [البخاري: الجماعة والإمامة، باب: من جلس في المسجد ينتظر الصلاة..، رقم: ٦٢٩. مسلم: الزكاة، باب: فضل إخفاء الصدقة، رقم: ١٠٣١].

[ظله: ظل عرشه وكنف رحمته. معلق: شديد الحب لها. تفرّقا: استمرا على تلك المحبة حتى فرق الموت بينهما. ففاضت عيناه: اشتد

---

(١) أي ما ينتظرون إلا إتيان الساعة..

(٢) أي جملة الموصول وصلته صفة للعباد المذكورين قبله.

(٣) أي جملة ﴿تحبرون﴾ خبر المبتدأ ﴿أنتم﴾.

(٤) جمع قصعة، وصحاف جمع صحفة، أي آنية.

(٥) أخرج الترمذي عن عبد الرحمن بن سابط رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله، هل في الجنة خيل؟ فإني أحب الخيل. قال رجل: (إن الله أدخلك الجنة، فلا تشاء أن تحمل فيها على فرس من ياقوتة حمراء، يطير بك في الجنة حيث شئت إلا فعلت). وسأله آخر فقال: يا رسول الله، هل في الجنة من إبل؟ فإني أحب الإبل. قال: فلم يقل له ما قال لصاحبه، فقال: (إن يدخلك الله الجنة يكن لك فيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك). [صفة الجنة، باب: ما جاء في صفة خيل الجنة، رقم: ٢٥٤٦].

٧٨ قال تعالى: ﴿ لقد جئناكم ﴾ أي أهل مكة ﴿ بالحق ﴾ على لسان الرسول ﷺ ﴿ ولكن أكثركم للحق كارهون ﴾.

٧٩ ﴿ أم أبرموا ﴾ أي كفار مكة، أحكموا ﴿ أمراً ﴾ في كيد محمد النبي ﷺ ﴿ فإنا مبرمون ﴾[^1] محكمون كيدنا في إهلاكهم.

٨٠ ﴿ أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم ﴾ ما يسرون إلى غيرهم وما يجهرون به بينهم ﴿ بلى ﴾ نسمع ذلك ﴿ ورسلنا ﴾ الحفظة ﴿ لديهم ﴾ عندهم ﴿ يكتبون ﴾ ذلك.

٨١ ﴿ قل إن كان للرحمن ولد ﴾ فرْضاً[^2] ﴿ فأنا أول العابدين ﴾ للولد، لكن ثبت أن لا ولد له تعالى، فانتفت عبادته.

٨٢ ﴿ سبحان رب السموات والأرض رب العرش ﴾ الكرسي[^3] ﴿ عما يصفون ﴾ يقولون من الكذب بنسبة الولد إليه.

٨٣ ﴿ فذرهم يخوضوا ﴾ في باطلهم ﴿ ويلعبوا ﴾ في دنياهم ﴿ حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون ﴾ فيه العذاب، وهو يوم القيامة.

٨٤ ﴿ وهو الذي ﴾ هو ﴿ في السماء إله ﴾ بتحقيق الهمزتين، وإسقاط الأولى وتسهيلها كالياء، أي معبود ﴿ وفي الأرض إله ﴾ وكل من الظرفين متعلق بما بعده[^4] ﴿ وهو الحكيم ﴾ في تدبير خلقه ﴿ العليم ﴾ بمصالحهم.

٨٥ ﴿ وتبارك ﴾ تعظم ﴿ الذي له ملك السموات والأرض وما بينهما وعنده علم الساعة ﴾ متى تقوم ﴿ وإليه يرجعون ﴾ بالياء والتاء.

٨٦ ﴿ ولا يملك الذين يدعون ﴾ يعبدون، أي الكفار ﴿ من دونه ﴾ أي من دون الله ﴿ الشفاعة ﴾ لأحد ﴿ إلا من شهد بالحق ﴾ أي قال لا إله إلا الله ﴿ وهم يعلمون ﴾ بقلوبهم ما شهدوا به بألسنتهم، وهم عيسى وعزير والملائكة، فإنهم يشفعون للمؤمنين.

٨٧ ﴿ ولئن ﴾ لام قسم ﴿ سألتهم من خلقهم ليقولن الله ﴾ حذف منه نون الرفع وواو الضمير[^5] ﴿ فأنى يؤفكون ﴾ يصرفون عن عبادة الله عز وجل.

لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾
أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ
سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ
إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَٰنَ
رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾
فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى
يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ
إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ
وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ
ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِن
سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾

---

[^1]: (١) أصل الإبرام الفتل المحكم، يقال: أبرم الحبل إذا أتقن فتله وأحكمه، ثم أطلق على الإتقان والإحكام مطلقاً.

[^2]: (٢) أي إن صح ذلك وثبت ببرهان صحيح.

[^3]: (٣) الأصح أن العرش مخلوق آخر غير الكرسي، وهما مخلوقان عظيمان من مخلوقاته تعالى، هو أعلم بهما.

[^4]: (٤) المراد بالظرفين ﴿في السماء﴾ و﴿في الأرض﴾ فكل منهما متعلق بما بعده وهو لفظ ﴿إله﴾ والتقدير: وهو معبود في السماء ومعبود في الأرض.

[^5]: (٥) أي حذف من قوله ﴿ليقولن﴾ وأصله: ليقولونَنَّ، فحذفت النون الأولى وهي نون الرفع لتوالي النونات، فالتقى

بكاؤه إجلالاً لله وشوقاً إلى لقائه].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه. قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي، اليوم أظلهم في ظلي، يوم لا ظل إلا ظِلي). [بجلالي: بسبب عظمتي وطاعتي] وعنه رضي الله عنه، عن النبي ﷺ :(أن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى، فأرصد الله له على مَدْرَجَتِه مَلَكاً، فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخاً لي في هذه القرية. قال: هل لك عليه من نعمة تربها؟ قال: لا، غير أني أحببته في الله عزّ وجلّ. قال: فإني رسول الله إليك، بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه). [فأرصد: أقعده يرقبه. مدرجته: طريقه. تربها: تقوم بإصلاحها وتذهب إليه بسببها] [مسلم: البر والصلة والآداب، باب: في فضل الحب في الله، رقم: ٢٥٦٦، ٢٥٦٧].

وعن أبي إدريس الخولاني رضي الله عنه أنه قال: دخلت مسجد دمشق، فإذا فتى شاب براق الثنايا، وإذا الناس معه، إذا اختلفوا=

سبب نزول الآية [٨٠]: أخرج ابن جرير عن محمد بن كعب القرظي قال: بينا ثلاثة بين الكعبة وأستارها ـ قرشيان وثقفي، أو: ثقفيان وقرشي ـ فقال واحد من الثلاثة: أترون الله يسمع كلامنا؟ فقال الأول: إذا جهرتم سمع وإذا أسررتم لم يسمع، وقال الثاني: إن كان يسمع إذا أعلنتم فإنه يسمع إذا أسررتم. قال فأنزلت: ﴿أم يحسبون أنا لا نسمع سرّهم ونجواهم﴾ الآية. [انظر فصلت ٢٢].

٨٨ ﴿ وقيله ﴾ أي قول النبي محمد ﷺ، ونصبه على المصدر بفعله المقدر، أي وقال[1] ﴿ يا رب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون ﴾.

٨٩ قال تعالى: ﴿ فاصفح ﴾ أعرض ﴿ عنهم وقل سلام ﴾ منكم[2]، وهذا قبل أن يؤمر بقتالهم ﴿ فسوف يعلمون ﴾ بالياء والتاء، تهديد لهم[3].

(سورة الدخان)

(مكية إلا «إنّا كاشفوا العذاب..» آية [١٥] وآياتها ٥٦ أو ٥٧ أو ٥٩)

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿ حمٓ ﴾ الله أعلم بمراده به[4].

٢ ﴿ والكتاب ﴾ القرآن ﴿ المبين ﴾ المظهر الحلال من الحرام.

٣ ﴿ إنا أنزلناه في ليلة مباركة ﴾ هي ليلة القدر، أو ليلة النصف من شعبان، نزل فيها[5] من أم الكتاب من السماء السابعة إلى سماء الدنيا ﴿ إنا كنا منذرين ﴾ مخوفين به.

٤ ﴿ فيها ﴾ أي في ليلة القدر، أو ليلة النصف من شعبان ﴿ يفرق ﴾ يفصل ﴿ كل أمر حكيم ﴾ محكم، من الأرزاق والآجال وغيرها، التي تكون في السنة إلى مثل تلك الليلة.

٥ ﴿ أمراً ﴾ فرقاً ﴿ من عندنا إنا كنا مرسلين ﴾ الرسل، محمداً ﷺ ومن قبله.

٦ ﴿ رحمة ﴾ رأفة بالمرسل إليهم ﴿ من ربك إنه هو السميع ﴾ لأقوالهم ﴿ العليم ﴾ بأفعالهم.

٧ ﴿ رب السموات والأرض وما بينهما ﴾ برفع رب خبر ثالث[6]، وبجره بدل من «ربك» ﴿ إن كنتم ﴾ يا أهل مكة ﴿ موقنين ﴾ بأنه تعالى رب السماوات والأرض فأيقنوا بأن محمداً ﷺ رسوله. ٨ ﴿ لا إله إلا هو يحيي ويميت ربكم ورب آبائكم الأولين ﴾.

وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَٱصْفَحْ
عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾

(٤٤) سُورَةُ الدُّخَانِ مَكِّيَّة
وَآيَاتُهَا تِسْعٌ وَخَمْسُونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ
مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ
حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً
مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦﴾ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٧﴾ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا
هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۖ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾

ساكنان: الواو والنون، فحذفت الواو لدلالة الضمة عليها.

(١) القيل بمعنى القول، وفيه هنا قراءتان: الأولى، وهي التي ذكرها المفسر، بالنصب على أنه مفعول مطلق لفعل مقدر، والتقدير: وقال قيله يا رب... والثانية: بالجر عطفاً على ﴿الساعة﴾ أي وعنده علم الساعة وعلم قيله، أو أن الواو في ﴿وقيله﴾ للقسم، وجواب القسم ﴿إن هؤلاء قوم لا يؤمنون﴾.

(٢) أي شأني الآن معكم هو متاركتكم وعدم قتالكم، فأنتم في سلام مني وأنا في سلام منكم، فهو سلام تباعد ومتاركة وليس سلام تحية، وبالتالي فليس فيه دليل على مشروعية السلام على الكفار.

(٣) لأن المعنى: فسوف يعلمون أنك رسول الله حقاً، وبالتالي يذوقون عاقبة كفرهم بك وصدهم عنك. وعلى قراءة التاء ﴿تعلمون﴾ يكون فيه التفات من الغيبة إلى الخطاب، لما فيه من زيادة التأنيب والتقريع.

(٤) وانظر تفسير أول سورة البقرة. (٥) أي جملة بكامله.

(٦) لأن في قوله ﴿إنه هو السميع العليم﴾، والأول والثاني ﴿السميع العليم﴾.

في شيء أسندوا إليه وصدروا عن قوله. فسألت عنه، فقيل: هذا معاذ بن جبل. فلما كان الغد هجّرت، فوجدته قد سبقني بالتهجير، ووجدته يصلي، قال: فانتظرته حتى قضى صلاته. ثم جئته من قبل وجهه فسلمت عليه، ثم قلت: والله إني لأحبك لله. فقال: آلله؟ فقلت: آلله. فقال: آلله؟ فقلت: آلله. فقال: آلله؟ فقلت: آلله. قال: فأخذ بحبوة ردائي فجبذني إليه، وقال: أبشر، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (قال الله تبارك وتعالى: وجبت محبتي للمتحابين فيَّ، والمتجالسين فيَّ، والمتزاورين فيّ، والمتباذلين فيّ). [الموطأ: كتاب الشعر، باب: ما جاء في المتحابين في الله] براق الثنايا: باسم الوجه حسن الثغر. صدروا: عملوا به. هجرت: بكرت. بحبوة: مجتمع الثوب وملتقى طرفيه.

٩ ﴿بل هم في شك﴾ من البعث ﴿يلعبون﴾ استهزاءً بك يا محمد، فقال: (اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف عليه السلام)(١).

١٠ قال تعالى(٢) ﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين﴾ فأجدبت الأرض، واشتد بهم الجوع، إلى أن رأوا من شدته كهيئة الدخان بين السماء والأرض.

١١ ﴿يغشى الناس﴾(٣) فقالوا ﴿هذا عذاب أليم﴾.

١٢ ﴿ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون﴾ مصدقون نبيك ﷺ.

١٣ قال تعالى: ﴿أنى لهم الذكرى﴾ أي لا ينفعهم الإيمان عند نزول العذاب ﴿وقد جاءهم رسول مبين﴾ بين الرسالة.

١٤ ﴿ثم تولوا عنه وقالوا معلم﴾ أي يعلمه القرآن بشر ﴿مجنون﴾.

١٥ ﴿إنا كاشفوا العذاب﴾ أي الجوع عنكم زمناً ﴿قليلاً﴾ فكشف عنهم ﴿إنكم عائدون﴾ إلى كفركم، فعادوا إليه(٤).

١٦ اذكر ﴿يوم نبطش البطشة الكبرى﴾ يوم بدر ﴿إنا منتقمون﴾ منهم، والبطش الأخذ بقوة.

بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي
السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى النَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ
أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾
أَنَّىٰ لَهُمُ الذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا
عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا
إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا
مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ
رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ
أَمِينٌ ﴿١٨﴾ وَأَن لَّا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُم بِسُلْطَانٍ
مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾
وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَٰؤُلَاءِ
قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾

١٧ ﴿ولقد فتنا﴾ بلونا ﴿قبلهم قوم فرعون﴾ معه(٥) ﴿وجاءهم رسول﴾ هو موسى عليه السلام ﴿كريم﴾ على الله تعالى.

١٨ ﴿أن﴾ أي بأن ﴿أدوا إليَّ﴾ ما أدعوكم إليه من الإيمان، أي أظهروا إيمانكم بالطاعة لي يا ﴿عباد الله إني لكم رسول أمين﴾ على ما أرسلت به.

١٩ ﴿وأن لا تعلوا﴾ تتجبروا ﴿على الله﴾ بترك طاعته ﴿إني آتيكم بسلطان﴾ برهان ﴿مبين﴾ بين على رسالتي، فتوعدوه بالرجم. فقال:

٢٠ ﴿وإني عذت بربي وربكم أن ترجمون﴾ بالحجارة.

٢١ ﴿وإن لم تؤمنوا لي﴾ تصدقوني ﴿فاعتزلون﴾ فاتركوا أذاي، فلم يتركوه.

٢٢ ﴿فدعا ربه أن﴾ أي بأن ﴿هؤلاء قوم مجرمون﴾ مشركون.

٢٣ فقال تعالى: ﴿فأسر﴾ بقطع الهمزة ووصلها(٦) ﴿بعبادي﴾ بني إسرائيل ﴿ليلاً إنكم متبعون﴾ يتبعكم فرعون وقومه وجنوده.

---

(١) البخاري: التفسير، باب: تفسير سورة: ﴿الٓم. غلبت الروم﴾ رقم: ٤٤٩٦. والمعنى: أعني على هدايتهم وإذعانهم للحق بالتضييق عليهم بالجدب والقحط سبع سنوات، كالتي حصلت لأهل مصر زمن يوسف عليه السلام، حتى يوقنوا أنهم عبيد ضعفاء، وأن الله تعالى الذي خلقهم هو الذي بيده رزقهم، فعليهم أن يعبدوه وحده ولا يشركوا به شيئاً، كما دعاهم محمد بن عبد الله، صلوات الله وسلامه عليه.

(٢) إجابة لدعوته ﷺ.

(٣) يشملهم ويلبسهم وكأنه يسقط فوقهم ويغطيهم.

(٤) روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ لما رأى من الناس إدباراً قال: (اللهم سبع كسبع يوسف). وفي رواية: لما دعا قريشاً كذبوه واستعصوا عليه، قال: (اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف). فأخذتهم سنة حصت كل شيء حتى أكلوا الجلود والميتة من الجوع، وينظر أحدهم إلى السماء فيرى كهيئة الدخان، فأتاه أبو سفيان فقال: يا محمد، إنك جئت تأمر بطاعة الله وبصلة الرحم، وإن قومك قد هلكوا، فادع الله لهم. قال الله عز وجل ﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين ـ إلى قوله ـ عائدون﴾. وفي رواية: فلما أصابتهم الرفاهية عادوا إلى حالهم.. فأنزل الله: ﴿يوم نبطش البطشة..﴾ [البخاري: الاستسقاء، باب: دعاء النبي ﷺ: (اجعلها عليهم سنين..) رقم: ٩٦٢. مسلم: صفات المنافقين وأحكامهم، باب: الدخان، رقم: ٢٧٩٨] حصت: استأصلت.

(٥) أي بلونا قوم فرعون مع فرعون.

(٦) فعل أمر من أسرى أو سرى، أي مشى ليلاً.

٢٤ ﴿ واترك البحر ﴾ إذا قطعته أنت وأصحابك ﴿ رهواً ﴾ ساكناً منفرجاً حتى يدخله القبط ﴿ إنهم جند مغرقون ﴾ فاطمأن بذلك(١)، فأغرقوا.

٢٥ ﴿ كم تركوا من جنات ﴾ بساتين ﴿ وعيون ﴾ تجري.

٢٦ ﴿ وزروع ومقام كريم ﴾ مجلس حسن.

٢٧ ﴿ ونعمة ﴾ متعة ﴿ كانوا فيها فاكهين ﴾ ناعمين.

٢٨ ﴿ كذلك ﴾ خبر مبتدأ أي الأمر(٢) ﴿ وأورثناها ﴾ أي أموالهم ﴿ قوماً آخرين ﴾ أي بني إسرائيل.

٢٩ ﴿ فما بكت عليهم السماء والأرض ﴾ بخلاف المؤمنين، يبكي عليهم بموتهم مصلاهم من الأرض ومصعد عملهم من السماء ، لفقدهم ﴿ وما كانوا منظرين ﴾ مؤخرين للتوبة(٣).

٣٠ ﴿ ولقد نجينا بني إسرائيل من العذاب المهين ﴾ قتل الأبناء واستخدام النساء.

٣١ ﴿ من فرعون ﴾ قيل: بدل من العذاب بتقدير مضاف أي عذاب(٤)، وقيل حال من العذاب(٥) ﴿ إنه كان عالياً من المسرفين ﴾.

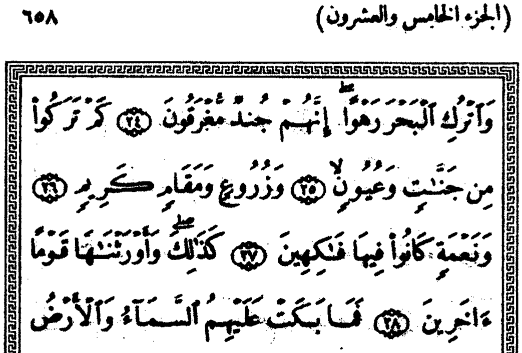
(الجزء الخامس والعشرون) ٦٥٨

وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ تَرَكُوا
مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾
وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا
آخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ
وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ
الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِّنَ
الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾
وَآتَيْنَاهُم مِّنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾ إِنَّ
هَٰؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ
بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهُمْ
خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ
كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا

٣٢ ﴿ ولقد اخترناهم ﴾ أي بني إسرائيل ﴿ على علم ﴾ منا بحالهم ﴿ على العالمين ﴾ أي عالمي زمانهم، أي العقلاء.

٣٣ ﴿ وآتيناهم من الآيات(٦) ما فيه بلاء مبين ﴾(٧) نعمة ظاهرة من فلق البحر والمن والسلوى وغيرها.

٣٤ ﴿ إن هؤلاء ﴾ أي كفار مكة ﴿ ليقولون ﴾.

٣٥ ﴿ إن هي ﴾ ما الموتة التي بعدها الحياة(٨) ﴿ إلا موتتنا الأولى ﴾ أي وهم نطف ﴿ وما نحن بمنشرين ﴾ بمبعوثين أحياءً بعد الثانية.

٣٦ ﴿ فأتوا بآبائنا ﴾ أحياءً ﴿ إن كنتم صادقين ﴾ أنا نبعث بعد موتنا أي نحيا.

٣٧ قال تعالى: ﴿ أهم خير أم قوم تبع ﴾ هو نبي أو رجل صالح(٩) ﴿ والذين من قبلهم ﴾ من الأمم ﴿ أهلكناهم ﴾ بكفرهم، والمعنى: ليسوا أقوى منهم، وأهلكوا ﴿ إنهم كانوا مجرمين ﴾.

٣٨ ﴿ وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين ﴾ بخلق ذلك، حال(١٠).

---

(١) أي اطمأن موسى عليه السلام بهذا القول.

(٢) التقدير: الأمر ـ وهو هلاك فرعون وقومه ـ كذلك. وقوله ﴿وأورثناها﴾ معطوف على قوله: ﴿كم تركوا..﴾.

(٣) عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: (ما من مؤمن إلا وله بابان: باب يصعد منه عمله، وباب ينزل منه رزقه، فإذا مات بكيا عليه، فذلك قوله تعالى: ﴿ فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين ﴾) أخرجه الترمذي وقال: حديث غريب، لا نعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه. [التفسير، باب: ومن سورة الدخان، رقم: ٣٢٥٢]. والحديث الغريب هو الذي يرويه راوٍ واحد في حلقة من حلقات إسناده. وقد يكون الحديث الغريب صحيحاً وقد يكون غير صحيح، فوصفه بالغرابة لا يعني أنه ضعيف.

(٤) أي نجيناهم من عذاب فرعون المهين.

(٥) أي نجيناهم من العذاب المهين واقعاً من فرعون.

(٦) المعجزات وخوارق العادات.

(٧) اختبار ظاهر، والاختبار يكون بالنعمة هل يشكر أم لا، كما يكون بالنقمة هل يصبر أم لا. وكان هنا بالنعم.

(٨) أي إذا كان هناك موتة يعقبها حياة فهي الموتة التي كنا فيها نطفاً. أو المراد بالموتة الأولى في قولهم الموتة الوحيدة التي نموتها في الدنيا، ولا بعث بعدها.

(٩) أخرج أحمد في مسنده [٥/٣٤٠] عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لا تسبوا تبعاً، فإنه كان قد أسلم).

(١٠) أي قوله: ﴿لاعبين﴾ منصوب على أنه حال من الضمير المتصل في ﴿خلقنا﴾.

٣٩ ﴿ ما خلقناهما ﴾ وما بينهما ﴿ إلا بالحق ﴾ أي محقين في ذلك، ليستدل به على قدرتنا ووحدانيتنا وغير ذلك ﴿ ولكن أكثرهم ﴾ أي كفار مكة ﴿ لا يعلمون ﴾.

٤٠ ﴿ إن يوم الفصل ﴾ يوم القيامة، يفصل الله فيه بين العباد ﴿ ميقاتهم أجمعين ﴾ للعذاب الدائم(١).

٤١ ﴿ يوم لا يغني مولى عن مولى ﴾ بقرابة أو صداقة، أي لا يدفع عنه ﴿ شيئاً ﴾ من العذاب ﴿ ولا هم ينصرون ﴾ يمنعون منه، ويوم بدل من يوم الفصل.

٤٢ ﴿ إلا من رحم الله ﴾ وهم المؤمنون، فإنه يشفع بعضهم لبعض بإذن الله ﴿ إنه هو العزيز ﴾ الغالب في انتقامه من الكفار ﴿ الرحيم ﴾ بالمؤمنين. ٤٣ ﴿ إن شجرة الزقوم ﴾ هي من أخبث الشجر المر بتهامة، ينبتها الله تعالى في الجحيم

٤٤ ﴿ طعام الأثيم ﴾ أبي جهل وأصحابه(٢)، ذوي الإثم الكبير. ٤٥ ﴿ كالمهل ﴾ أي كدردي الزيت الأسود(٣)، خبر ثانٍ(٤) ﴿ تغلي في البطون ﴾ بالفوقانية، خبر ثالث، وبالتحتانية حال من المهل.

٤٦ ﴿ كغلي الحميم ﴾ الماء الشديد الحرارة(٥).

٤٧ ﴿ خذوه ﴾ يقال للزبانية: خذوا الأثيم ﴿ فاعتلوه ﴾ بكسر التاء وضمها، جروه بغلظة وشدة ﴿ إلى سواء الجحيم ﴾ وسط النار.

٤٨ ﴿ ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم ﴾ أي من الحميم الذي لا يفارقه العذاب، فهو أبلغ مما في آية «يصب من فوق رؤوسهم الحميم»/ الحج: ١٩/.

٤٩ ويقال له ﴿ ذق ﴾ أي العذاب ﴿ إنك أنت العزيز الكريم ﴾ بزعمك، وقولك: ما بين جبليها أعز وأكرم مني.

٥٠ ويقال لهم ﴿ إن هذا ﴾ الذي ترون من العذاب ﴿ ما كنتم به تمترون ﴾ فيه تشكون.

٥١ ﴿ إن المتقين في مقام ﴾ مجلس ﴿ أمين ﴾ يؤمن فيه الخوف. ٥٢ ﴿ في جنات ﴾ بساتين ﴿ وعيون ﴾.

٥٣ ﴿ يلبسون من سندس وإستبرق ﴾ أي مارق من الديباج(٦) وما غلظ منه ﴿ متقابلين ﴾ حال، أي لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض، لدوران الأسرة بهم.

٥٤ ﴿ كذلك ﴾ يقدر قبله الأمر(٧) ﴿ وزوجناهم ﴾ من التزوج، أو قرناهم ﴿ بحور عين ﴾ بنساء بيض، واسعات الأعين، حسانها.

٥٥ ﴿ يدعون ﴾ يطلبون من الخدم ﴿ فيها ﴾ أي الجنة، أن يأتوا ﴿ بكل فاكهة ﴾ منها ﴿ آمنين ﴾ من انقطاعها ومضرتها ومن كل مخوف، حال(٨).

بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾
يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾
إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ إِنَّ
شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِي
فِي ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ
سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّواْ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ
ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ
هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ
أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ
وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم
بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾

سبب نزول الآية [٤٣]: عن أبي مالك قال: إن أبا جهل كان يأتي بالتمر والزبد فيقول: تزقموا، فهذا الزقوم الذي يعدكم به محمد. فنزلت: ﴿إن شجرة الزقوم طعام الأثيم﴾. [السيوطي] [تزقموا: تلقموا].

سبب نزول الآية [٤٩]: عن عكرمة قال: لقي رسول الله ﷺ أبا جهل، فقال: (إن الله أمرني أن أقول لك: ﴿أولى لك فأولى، ثم أولى لك فأولى ﴾ [القيامة: ٣٤]). قال: فنزع ثوبه من يده، فقال: ما تستطيع لي أنت ولا صاحبك من شيء، لقد علمت أني أمنع أهل بطحاء، وأنا العزيز الكريم. فقتله الله يوم بدر وأذله وعيره بكلمته، ونزل فيه: ﴿ ذق إنك أنت العزيز الكريم ﴾. [السيوطي]. [أمنع: أقوى وأشد بما عندي وحولي من الرجال. بطحاء: أرض].

---

(١) أي للكفار، والنعيم الدائم للمؤمنين، ميقاتهم: موعدهم.

(٢) أي ومن على شاكلتهم ومنوالهم في الباطل والضلال.

(٣) أي عكر الزيت، أو قيح وصديد أهل النار، أو النحاس المذاب.

(٤) لأن، والخبر الأول ﴿طعام الأثيم﴾. وعلى قراءة ﴿تغلي﴾ تكون الجملة خبراً ثالثاً، وعلى قراءة ﴿يغلي﴾ تكون الجملة حالاً من المهل.

(٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ ثم قال رسول الله ﷺ: (لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم، فكيف بمن تكون طعامه) أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح. [أبواب صفة جهنم، باب: ما جاء في صفة شراب أهل النار، رقم: ٢٥٨٨].

(٦) هو نوع نفيس من ثياب الحرير. (٧) التقدير: الأمر كذلك.

(٨) أي قوله ﴿آمنين﴾ حال من الضمير في قوله ﴿يدعون﴾.

٥٦ ﴿ لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى ﴾ أي التي في الدنيا بعد حياتهم فيها، قال بعضهم: إلا بمعنى بعد ﴿ ووقاهم عذاب الجحيم ﴾.

٥٧ ﴿ فضلاً ﴾ مصدر بمعنى تفضلاً، منصوب بتفضل مقدراً[1] ﴿ من ربك ذلك هو الفوز العظيم ﴾.

٥٨ ﴿ فإنما يسرناه ﴾ أي سهلنا القرآن ﴿ بلسانك ﴾ بلغتك، لتفهمه العرب منك ﴿ لعلهم يتذكرون ﴾ يتعظون فيؤمنون بك، لكنهم لا يؤمنون.

٥٩ ﴿ فارتقب ﴾ انتظر هلاكهم ﴿ إنهم مرتقبون ﴾ هلاكك. وهذا قبل نزول الأمر بجهادهم[2].

(سورة الجاثية)

(مكية إلا آية ١٣ فمدنية وآياتها ٣٦ أو ٣٧)

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿ حم ﴾ الله أعلم بمراده به[3]

٢ ﴿ تنزيل الكتاب ﴾ القرآن، مبتدأ ﴿ من الله ﴾ خبره[4] ﴿ العزيز ﴾ في ملكه ﴿ الحكيم ﴾ في صنعه.

٣ ﴿ إن في السماوات والأرض ﴾ أي في خلقهما ﴿ لآيات ﴾ دالة على قدرة الله ووحدانيته تعالى ﴿ للمؤمنين ﴾.

٤ ﴿ وفي خلقكم ﴾ أي في خلق كل منكم من نطفة ثم علقة ثم مضغة إلى أن صار إنساناً ﴿ و ﴾ خلق ﴿ ما يبث ﴾ يفرق في الأرض ﴿ من دابة ﴾ هي ما يدب على الأرض من الناس وغيرهم ﴿ آيات لقوم يوقنون ﴾ بالبعث.

٥ ﴿ و ﴾ في ﴿ اختلاف الليل والنهار ﴾ ذهابهما ومجيئهما ﴿ وما أنزل الله من السماء من

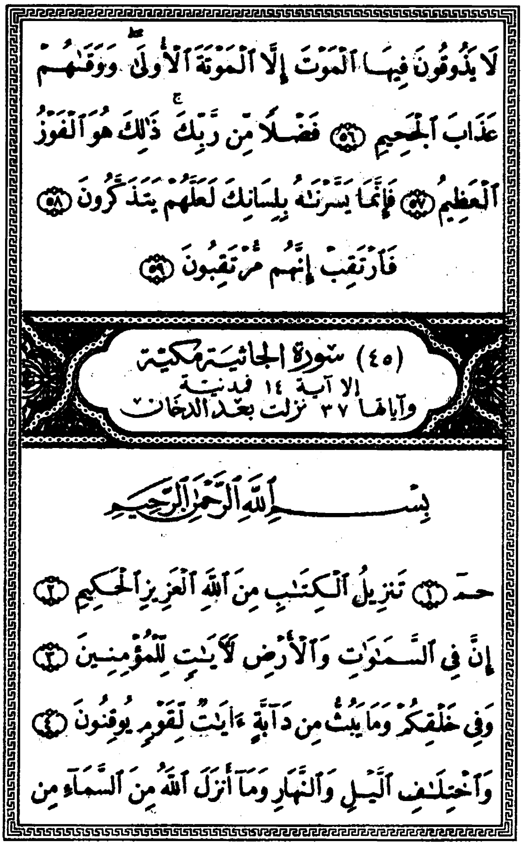

لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾

(٤٥) سورة الجاثية مكية
إلا آية ١٤ فمدنية
وآياتها ٣٧ نزلت بعد الدخان

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَأٓيَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن

---

[1] والتقدير: تفضل تفضلاً.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لن يدخل أحداً عمله الجنة). قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: (لا، ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله بفضل ورحمة، فسددوا وقاربوا، ولا يتمنين أحدكم الموت، إما محسناً فلعله أن يزداد خيراً، وإما مسيئاً فلعله أن يستعتب). [البخاري: المرضى، باب: نهي تمني المريض الموت، رقم: ٥٣٤٩. مسلم: صفات المنافقين وأحكامهم، باب: لن يدخل أحد الجنة بعمله، رقم: ٢٨١٦]. [عمله: أي عمله وحده لا يجعله مستحقاً للجنة وموجباً لها ، لأنه لا يقابل شيئاً من نعم الله عزّ وجلّ على الإنسان، وإنما هو سبب لتفضل الله عزّ وجلّ بذلك. يتغمدني: يغمرني ويسترني. فسددوا اطلبوا السداد، وهو الصواب، بفعل القربات دون غلو ولا تقصير. قاربوا: الكمال في الاستقامة إن لم تصلوا إليه. إما محسناً: إما يكون محسناً فيزداد ببقائه حياً. فلعله: بحياته. يستعتب: يتوب ويرد المظالم ويطلب رضا الله عزّ وجلّ ومغفرته].

[2] أي أما بعده فلا انتظار ولا إمهال، وإنما يقاتلون إذا لم يستجيبوا.

[3] وانظر تفسير أول سورة البقرة.

[4] أي قوله ﴿تنزيل . . ﴾ مبتدأ، وقوله ﴿من الله﴾ خبره بمعنى أنه متعلق بخبر محذوف، والتقدير: تنزيل الكتاب كائن من الله . .

فائدة: لا نوم في الجنة ولا هرم ولا موت. عن جابر رضي الله عنه قال: سئل نبي الله - ﷺ - أينام أهل الجنة؟ فقال: (النوم أخو الموت، وأهل الجنة لا ينامون). [أخرجه أبو القاسم الطبراني، كما ذكر ابن كثير].

وعن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ، قال: (ينادي منادٍ: إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً، وإن لكم أن تشبُّوا فلا تهرموا أبداً، وإن لكم أن تنعَمُوا فلا تبأسوا أبداً. فذلك قوله عزّ وجلّ ﴿ونودوا أن تلكم الجنة التي أورثتموها بما كنتُم تعملون﴾ [الأعراف: ٤٣]). [مسلم: الجنة وصفة نعيمها، باب: في دوام نعيم أهل الجنة، رقم: ٢٨٣٧] تبأسوا: تفتقروا أو تقع فيكم شدة وضيق.=

رزق ﴾ مطر، لأنه سبب الرزق ﴿ فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح ﴾ تقليبها مرة جنوباً ومرة شمالاً، وباردة وحارة ﴿ آيات لقوم يعقلون ﴾ الدليل، فيؤمنون(١)

٦ ﴿ تلك ﴾ الآيات المذكورة ﴿ آيات الله ﴾ حججه الدالة على وحدانيته ﴿ نتلوها ﴾ نقصها ﴿ عليك بالحق ﴾ متعلق بنتلو ﴿ فبأي حديث بعد الله ﴾ أي حديثه، وهو القرآن ﴿ وآياته ﴾ حججه ﴿ يؤمنون ﴾ أي كفار مكة، أي لا يؤمنون. وفي قراءة بالتاء(٢).

٧ ﴿ ويل ﴾ كلمة عذاب ﴿ لكل أفاك ﴾ كذاب ﴿ أثيم ﴾ كثير الإثم.

﴿ يسمع آيات الله ﴾ القرآن ﴿ تتلى عليه ثم يصر ﴾ على كفره ﴿ مستكبراً ﴾ متكبراً عن الإيمان ﴿ كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم ﴾ مؤلم.

٩ ﴿ وإذا علم من آياتنا ﴾ أي القرآن ﴿ شيئاً اتخذها هزواً ﴾ أي مهزوءاً بها ﴿ أولئك ﴾ أي الأفاكون ﴿ لهم عذاب مهين ﴾ ذو إهانة.

رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ
ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٥) تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ
بِٱلْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ (٦)
وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٧) يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ
عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ
أَلِيمٍ (٨) وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا
أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (٩) مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا
يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ
أَوْلِيَآءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠) هَٰذَا هُدًى وَٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ (١١)
۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ
وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢) وَسَخَّرَ

١٠ ﴿ من ورائهم ﴾ أي أمامهم، لأنهم في الدنيا ﴿ جهنم ولا يغني عنهم ما كسبوا ﴾ من المال والفعال ﴿ شيئاً ولا ما اتخذوا من دون الله ﴾ أي الأصنام ﴿ أولياء ولهم عذاب عظيم ﴾.

١١ ﴿ هذا ﴾ أي القرآن ﴿ هدى ﴾ من الضلالة ﴿ والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب ﴾ حظ ﴿ من رجز ﴾ أي عذاب(٣) ﴿ أليم ﴾ موجع.

١٢ ﴿ الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك ﴾ السفن ﴿ فيه بأمره ﴾ بإذنه ﴿ ولتبتغوا ﴾ تطلبوا بالتجارة ﴿ من فضله ولعلكم تشكرون ﴾.

١٣ ﴿ وسخر

---

(١) أي إن فيما ذكر دلائل على وحدانية الله تعالى وقدرته، يدركها ويهتدي بها العقلاء الذين يفهمون الحججوالبرهان، فينشأ لديهم الاقتناع، فيؤمنون.

قال ابن كثير في تفسير الآيات [١-٥]: يرشد تعالى خلقه إلى التفكر في آلائه ونعمه، وقدرته العظيمة التي خلق بها السماوات والأرض، وما فيهما من المخلوقات المختلفة الأجناس والأنواع: من الملائكة والجن والإنس، والدواب والطيور والوحوش والسباع والحشرات. وما في البحر من الأصناف المتنوعة، واختلاف الليل والنهار: في تعاقبهما دائبين لا يفتران، هذا بظلامه وهذا بضيائه. وما أنزل الله تعالى من السحاب من المطر في وقت الحاجة إليه، وسماه رزقاً لأن به يحصل الرزق ﴿فأحيا به الأرض بعد موتها﴾ أي: بعد ما كانت هامدة لا نبات فيها ولا شيء. وقوله: ﴿تصريف الرياح﴾ أي: جنوباً وشآماً، ودبوراً وصبا، بحرية وبرية، ليلية ونهارية، ومنها ما هو للمطر، ومنها ما هو للقاح، ومنها ما هو غذاء الأرواح، ومنها ما هو عقيم. وقال أولاً: ﴿لآيات للمؤمنين﴾ ثم ﴿يوقنون﴾ ثم ﴿يعقلون﴾ وهو ترق من حال شريف إلى ما هو أشرف منه وأعلى. [شآماً: أي من جهة الشمال التي فيها بلاد الشام. دبوراً: التي تقابل الصبا في مهبها. والصبا: هي التي تهب من مطلع الشمس إذا استوى الليل والنهار. عقيم: أي لا نفع فيها وإنما فيها الدمار].

(٢) أي ﴿تؤمنون﴾ والخطاب موجه للجميع، أو لأهل مكة على سبيل الالتفات من الغيبة إلى الخطاب، ليكون أبلغ في الإنكار عليهم والزجر لهم عن إعراضهم.

(٣) والرجز أشد العذاب.

= وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا صار أهل الجنة إلى الجنة، وأهل النار إلى النار، جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار، ثم يذبح، ثم ينادي منادٍ: يا أهل الجنة لا موت، ويا أهل النار لا موت، فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم، ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم). [البخاري: الرقاق، باب: صفة الجنة والنار، رقم: ٦١٨٢. مسلم: الجنة وصفة نعيمها، باب: النار يدخلها الجبارون، رقم: ٢٨٥٠] جيء بالموت: يجسد على شكل كبش.

لكم ما في السماوات ﴾ من شمس وقمر ونجوم وماء وغيره ﴿ وما في الأرض ﴾ من دابة وشجر ونبات وأنهار وغيرها، أي خلق ذلك لمنافعكم ﴿ جميعاً ﴾ تأكيد ﴿ منه ﴾ حال، أي سخرها كائنة منه تعالى ﴿ إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ فيها، فيؤمنون.

١٤ ﴿ قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون ﴾ يخافون ﴿ أيام الله ﴾ وقائعه، أي اغفروا للكفار ما وقع منهم من الأذى لكم، وهذا قبل الأمر بجهادهم(1) ﴿ ليجزي ﴾ أي الله، وفي قراءة بالنون ﴿ قوماً بما كانوا يكسبون ﴾ من الغفر للكفار أذاهم.

١٥ ﴿ من عمل صالحاً فلنفسه ﴾ عمل ﴿ ومن أساء فعليها ﴾ أساء ﴿ ثم إلى ربكم ترجعون ﴾ تصيرون، فيجازي المصلح والمسيء كلًّا على حاله.

١٦ ﴿ ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب ﴾ التوراة ﴿ والحكم ﴾ به بين الناس ﴿ والنبوة ﴾ لموسى وهارون منهم ﴿ ورزقناهم من الطيبات ﴾ الحلالات كالمن والسلوى ﴿ وفضلناهم على العالمين ﴾ عالمي زمانهم العقلاء.

١٧ ﴿ وآتيناهم بينات من الأمر ﴾ أمر الدين(2) من الحلال والحرام، وبعثة محمد الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام ﴿ فما اختلفوا ﴾ في بعثته ﴿ إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم ﴾ أي لبغي حدث بينهم حسداً له ﴿ إن ربك يقضي(3) بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ﴾.

١٨ ﴿ ثم جعلناك ﴾ يا محمد ﴿ على شريعة ﴾ طريقة ﴿ من الأمر ﴾ أمر الدين ﴿ فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون ﴾ في عبادة غير الله عز وجل.

١٩ ﴿ إنهم لن يغنوا ﴾ يدفعوا ﴿ عنك من الله ﴾ من عذابه ﴿ شيئاً وإن الظالمين ﴾ الكافرين ﴿ بعضهم

لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ إِنَّ
فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ (١٣) قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ
يَغۡفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجۡزِيَ قَوۡمَۢا بِمَا كَانُواْ
يَكۡسِبُونَ (١٤) مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ
فَعَلَيۡهَاۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ (١٥) وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا بَنِيٓ
إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ
ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ (١٦) وَءَاتَيۡنَٰهُم
بَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِۖ فَمَا ٱخۡتَلَفُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ
ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقۡضِي بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ
فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ (١٧) ثُمَّ جَعَلۡنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ
ٱلۡأَمۡرِ فَٱتَّبِعۡهَا وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ (١٨)
إِنَّهُمۡ لَن يُغۡنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضُهُمۡ

---

(1) أي وقد نسخ ذلك بالأمر بجهادهم. قال ابن كثير في تفسيره: ﴿يغفروا للذين لا يرجون أيام الله﴾ أي: يصفحوا عنهم ويحملوا الأذى منهم، وهذا كان في ابتداء الإسلام، أمروا أن يصبروا على أذى المشركين وأهل الكتاب، ليكون ذلك لتأليف قلوبهم، ثم لما أصروا على العناد شرع الله للمؤمنين الجلاد والجهاد، هكذا روي عن ابن عباس، وقتادة.

أقول: ولا مانع من أن تكون الآية محكمة، ويكون الصفح والعفو مطلوباً دائماً، شريطة أن لا يكون في ذلك جبن أو تخاذل من المسلمين أمام من يعفون عنهم ويصفحون، وأن يكون في ذلك احتمال جذب المعفو عنه إلى الإسلام والإيمان، فالله تعالى يقول: ﴿ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه وليّ حميم﴾ [فصلت: ٣٤] والله تعالى أعلم.

(٢) أدلة واضحة وأحكاماً مبينة من أمر الدين.

(٣) يفصل ويحكم.

سبب نزول الآية [١٣]: قال الواحدي: قال ابن عباس رضي الله عنهما، في رواية عطاء: يريد عمر بن الخطاب خاصة، وأراد بالذين لا يرجون أيام الله عبد الله بن أبيّ، وذلك أنهم نزلوا في غزاة بني المصطلق على بئر يقال لها المريسيع، فأرسل عبد الله غلامه ليستقي الماء فأبطأ عليه، فلما أتاه قال: ما حبسك؟ قال: غلام عمر، قعد على قف البئر، فما ترك أحداً يستقي حتى ملأ قرب النبي وقرب أبي بكر وملأ لمولاه. فقال عبدالله: ما مثلنا ومثل هؤلاء إلا كما قيل: سمن كلبك يأكلك. فبلغ قوله عمر رضي الله عنه، فاشتمل بسيفه يريد التوجه إليه، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وأخرج بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما ـ أيضاً ـ من طريق ميمون بن مهران قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿مَنْ ذا الذي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً﴾ [البقرة: ٢٤٥] قال يهودي بالمدينة يقال له فنحاص: احتاج رب محمد. فلما سمع عمر بذلك اشتمل على سيفه وخرج في طلبه، فجاء جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ فقال: إن ربك يقول: ﴿قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله﴾ واعلم أن عمر قد اشتمل على سيفه وخرج في طلب اليهودي. فبعث رسول الله ﷺ في طلبه فلما جاء قال: (يا عمر، ضع سيفك). قال: صدقت يا رسول الله، أشهد أنك أرسلت بالحق. قال: (فإن ربك يقول: ﴿قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله﴾). قال: لا جرم والذي بعثك بالحق، ولا يرى الغضب في وجهي. [قف البئر: ما يجعل مرتفعاً حولها كالدَّكة، وأصل القُفّ ما غلظ من الأرض وارتفع. اشتمل. . : جعله تحت ثوبه، ولف ثوبه عليه].

أولياء بعض والله ولي المتقين ﴾ المؤمنين.

٢٠ ﴿ هذا ﴾ القرآن ﴿ بصائر للناس ﴾ معالم يتبصرون بها في الأحكام والحدود ﴿ وهدى ورحمة لقوم يوقنون ﴾ بالبعث.

٢١ ﴿ أم ﴾ بمعنى همزة الإنكار ﴿ حسب الذين اجترحوا ﴾ اكتسبوا ﴿ السيئات ﴾ الكفر والمعاصي ﴿ أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء ﴾ خبر ﴿ محياهم ومماتهم ﴾ مبتدأ ومعطوف، والجملة بدل من الكاف(١)، والضميران للكفار، المعنى: أحسبوا أن نجعلهم في الآخرة في خير كالمؤمنين، في رغد من العيش مساوٍ لعيشهم في الدنيا، حيث قالوا للمؤمنين: لئن بعثنا لنعطى من الخير مثل ما تعطون. قال تعالى على وفق إنكاره بالهمزة ﴿ ساء ما يحكمون ﴾ أي ليس الأمر كذلك، فهم في الآخرة في العذاب، على خلاف عيشهم في الدنيا. والمؤمنون في الآخرة في الثواب بعملهم الصالحات في الدنيا من الصلاة والزكاة والصيام وغير ذلك. وما مصدرية، أي بئس حكماً حكمهم هذا.

أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ
وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ
ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾
وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ
نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ
إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ
وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا
تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا
وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ
إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ
حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾

٢٢ ﴿ وخلق الله السماوات و ﴾ خلق ﴿ الأرض بالحق ﴾ متعلق بخلق، ليدل على قدرته ووحدانيته ﴿ ولتجزى كل نفس بما كسبت ﴾ من المعاصي والطاعات، فلا يساوي الكافر المؤمن ﴿ وهم لا يظلمون ﴾(٢).

٢٣ ﴿ أفرأيت ﴾ أخبرني ﴿ من اتخذ إلهه(٣) هواه ﴾ ما يهواه من حجر بعد حجر يراه أحسن ﴿ وأضله الله على علم ﴾ منه تعالى، أي عالماً بأنه من أهل الضلالة قبل خلقه ﴿ وختم على سمعه وقلبه ﴾ فلم يسمع الهدى ولم يعقله ﴿ وجعل على بصره غشاوة ﴾ ظلمة، فلم يبصر الهدى، ويقدر هنا المفعول الثاني لرأيت: أيهتدي ﴿ فمن يهديه من بعد الله ﴾ أي بعد إضلاله إياه، أي لا يهتدي ﴿ أفلا تذكرون ﴾ تتعظون، فيه إدغام إحدى التاءين في الذال.

٢٤ ﴿ وقالوا ﴾ أي منكرو البعث ﴿ ما هي ﴾ أي الحياة ﴿ إلا حياتنا ﴾ التي في ﴿ الدنيا نموت ونحيا ﴾ أي يموت بعض ويحيا بعض، بأن يولدوا ﴿ وما يهلكنا إلا الدهر ﴾ أي مرور الزمان، قال تعالى: ﴿ وما لهم بذلك ﴾ المقول ﴿ من علم إن ﴾ ما ﴿ هم إلا يظنون ﴾(٤).

٢٥ ﴿ وإذا تتلى عليهم آياتنا ﴾ من القرآن الدالة على قدرتنا على البعث ﴿ بينات ﴾ واضحات، حال(٥) ﴿ ما كان حجتهم إلا أن قالوا ائتوا بآبائنا ﴾ أحياءً ﴿ إن كنتم صادقين ﴾ أنا نبعث.

---

(١) التي في قوله ﴿كالذين آمنوا..﴾.

(٢) أي فلا ينقص المؤمن من ثواب عمل صالح عمله، كما لا يزاد الكافر على ما يستحقه من العذاب.

(٣) أي جعل معبوده.

(٤) أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (قال الله عزّ وجلّ: يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر، بيدي الأمر، أقلب الليل والنهار). [البخاري: التفسير/الجاثية، باب: ﴿وما يهلكنا إلا الدهر﴾ رقم: ٤٥٤٩. مسلم: الألفاظ من الأدب وغيرها، باب: النهي عن سب الدهر، رقم: ٢٢٤٦].
وإذا كانت الحياة الدنيا وانتهاؤها بيد الله تعالى فهو قادر على الإعادة ثانية.

(٥) أي قوله ﴿بينات﴾ حال من ﴿آياتنا﴾.

سبب نزول الآية [٢٢]: قال السيوطي: أخرج ابن المنذر وابن جرير عن سعيد بن جبير قال: كانت قريش تعبد الحجر حيناً من الدهر، فإذا وجدوا ما هو أحسن منه طرحوا الأوّل وعبدوا الآخر، فأنزل الله: ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه﴾.

سبب نزول الآية [٢٣]: أخرج ابن جرير عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان أهل الجاهلية يقولون: إنما يهلكنا الليل والنهار، فأنزل الله: ﴿وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا..﴾.

﴿ قل الله يحييكم ﴾ حين كنتم نطفاً ﴿ ثم يميتكم ثم يجمعكم ﴾ أحياء ﴿ إلى يوم القيامة لا ريب ﴾ لا شك ﴿ فيه ولكن أكثر الناس ﴾ وهم القائلون ما ذكر ﴿ لا يعلمون ﴾(١).

٢٧ ﴿ ولله ملك السماوات والأرض ويوم تقوم الساعة ﴾ يبدل منه ﴿ يومئذٍ يخسر المبطلون ﴾ الكافرون، أي يظهر خسرانهم بأن يصيروا إلى النار.

٢٨ ﴿ وترى كل أمة ﴾ أي أهل دين ﴿ جاثية ﴾ على الركب(٢) أو مجتمعة(٣) ﴿ كل أمة تدعى إلى كتابها ﴾ كتاب أعمالها، ويقال لهم ﴿ اليوم تجزون ما كنتم تعملون ﴾ أي جزاءه.

٢٩ ﴿ هذا كتابنا ﴾ ديوان الحفظة ﴿ ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ﴾ نثبت ونحفظ(٤) ﴿ ما كنتم تعملون ﴾.

٣٠ ﴿ فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته ﴾ جنته ﴿ ذلك هو الفوز المبين ﴾ البين الظاهر.

٣١ ﴿ وأما الذين كفروا ﴾ فيقال لهم ﴿ أفلم تكن آياتي ﴾ أي القرآن ﴿ تتلى عليكم فاستكبرتم ﴾ تكبرتم ﴿ وكنتم قوماً مجرمين ﴾ كافرين. ٣٢ ﴿ وإذا قيل ﴾ لكم أيها الكفار ﴿ إن وعد الله ﴾ بالبعث ﴿ حق والساعة ﴾ بالرفع والنصب ﴿ لا ريب ﴾ لا شك ﴿ فيها ﴾(٥) قلتم ما ندري ما الساعة إن ﴾ما ﴿ نظن إلا ظناً ﴾ قال المبرد: أصله إن نحن إلا نظن ظناً ﴿ وما نحن بمستيقنين ﴾ أنها آتية.

٣٣ ﴿وبدا﴾ ظهر ﴿لهم﴾ في الآخرة ﴿سيئات ما عملوا﴾ في الدنيا، أي جزاؤها ﴿وحاق﴾ نزل ﴿بهم

قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم

---

(١) أن الذي قدر على الخلق أول مرة من هذه النطف قادر على الإعادة، والمراد: أنهم يتجاهلون ذلك، أو: لا يُعْمِلُون عقولهم حتى يحصلوا علمه.

(٢) أي باركة على الركب، من الجثو وهو وضع الركبتين على الأرض.

(٣) أي ومتميزة عن غيرها من الأمم.

(٤) وذلك بأمرنا الملائكة بنسخ أعمالكم وكتابتها عليكم.

(٥) أي لا شك في أنها كائنة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت فرآها الناس آمنوا أجمعون، فذلك حين: ﴿لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً﴾ [الأنعام: ١٥٨]. ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه، ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقي فيه، ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها). [البخاري: الرقاق، باب: طلوع الشمس من مغربها، رقم: ٦١٤١. مسلم: الفتن وأشراط الساعة، باب: قرب الساعة، رقم: ٢٩٥٤]. [لقحته: ناقته الحلوب. يليط: يصلح ويطين. أكلته: لقمته. فلا يطعمها: فلا يتمكن من أكلها لقيام الساعة فجأة].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يتهجد قال: (اللهم.... أنت الحق، ووعدك الحق، ولقاؤك حق، وقولك حق، والجنة حق، والنبيون حق، ومحمد ﷺ حق، والساعة حق. اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت. فاغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم، وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت). [البخاري: التهجد، باب: التهجد في الليل. مسلم: صلاة المسافرين وقصرها، باب: الدعاء في صلاة الليل وقيامه] [وبك خاصمت: من أجلك خاصمت المعاند والكافر، وقمعته بما أعطيتني من القوة بالسيف والبرهان. إليك حاكمت: جعلت شرعك هو الحاكم بيني وبين من جحد الحق أو حصلت خصومة بيني وبينه].

فائدة: عن أنس رضي الله عنه: أن رجلاً سأل النبي ﷺ عن الساعة، فقال: متى الساعة ؟ قال: «وماذا أعددت لها ؟». قال: لا شيء، إلا أني أحب الله ورسوله. فقال: «أنت مع من أحببت». قال أنس: فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي ﷺ: «أنت مع من أحببت». قال أنس: فأنا أحب النبي ﷺ وأبا بكر وعمر، وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم، وإن لم أعمل بمثل أعمالهم. [البخاري: فضائل الصحابة، باب: مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، رقم: ٣٤٨٥. مسلم: البر والصلة والآداب، باب: المرء مع من أحب، رقم: ٢٦٣٩] [رجلاً: قيل: هو ذو الخويصرة اليماني رضي الله عنه. متى الساعة: وقت قيام القيامة. أعددت لها: هيأت من الأعمال الصالحة التي هي أحق بالسؤال عنها والاهتمام بها].

ما كانوا به يستهزئون ﴾ أي العذاب.

٣٤ ﴿ وقيل اليوم ننساكم ﴾ نترككم في النار(١) ﴿ كما نسيتم لقاء يومكم هذا ﴾ أي تركتم العمل للقائه(٢) ﴿ ومأواكم النار(٣) وما لكم من ناصرين ﴾ مانعين منها.

٣٥ ﴿ ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله ﴾ القرآن ﴿ هزواً وغرتكم الحياة الدنيا ﴾ حتى قلتم لا بعث ولا حساب ﴿ فاليوم لا يخرجون ﴾ بالبناء للفاعل وللمفعول(٤) ﴿ منها ﴾ النار ﴿ ولاهم يستعتبون ﴾ أي لا يطلب منهم أن يرضوا ربهم بالتوبة والطاعة، لأنها لا تنفع يومئذٍ.

٣٦ ﴿ فلله الحمد ﴾ الوصف بالجميل على وفاء وعده في المكذبين ﴿ رب السماوات ورب الأرض رب العالمين ﴾ خالق ما ذكر، والعالم: ما سوى الله عز وجل، وجمع لاختلاف أنواعه، ورب بدل(٥).

٣٧ ﴿ وله الكبرياء ﴾ العظمة ﴿ في السماوات والأرض ﴾ حال، أي كائنة فيهما(٦) ﴿ وهو العزيز الحكيم ﴾ تقدم مثله(٧).

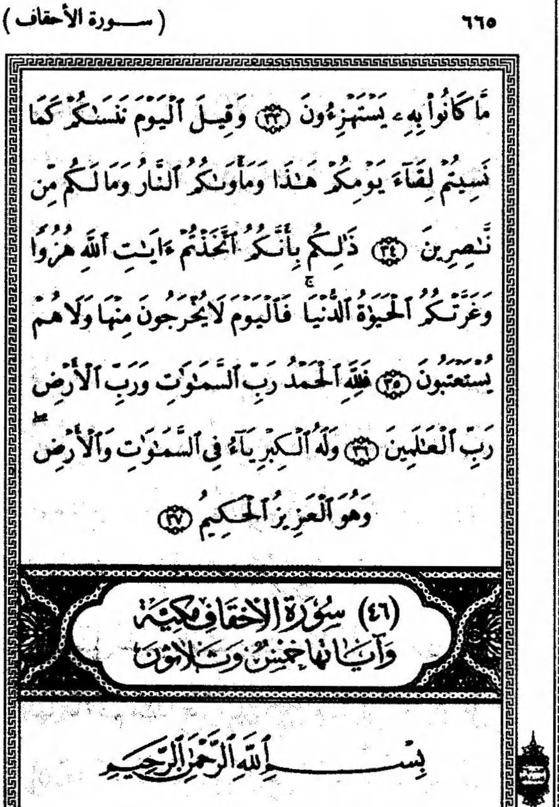

٦٦٥ (سـورة الأحقاف)

مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا
نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن
نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا
وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ
يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ
رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ
وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾

(٤٦) سُورَةُ الأَحْقَافِ مَكِّيَّة
وَآيَاتُهَا خَمْسٌ وَثَلَاثُونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾

(سورة الأحقاف)

(مكية إلا الآيات ١٠ و ١٥ و ٣٥ فمدنية)

«وآياتها ٣٤ أو ٣٥»

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿ حم ﴾ الله أعلم بمراده به(٨).

٢ ﴿ تنزيل الكتاب ﴾ القرآن، مبتدأ ﴿ من الله ﴾ خبره ﴿ العزيز ﴾ في ملكه ﴿ الحكيم ﴾ في صنعه.

---

(١) كالمنسيين، وقد ثبت في الصحيح أن الله تعالى يقول لبعض العبيد يوم القيامة: «ألم أزوجك ؟ ألم أكرمك ؟ ألم أسخر لك الخيل والإبل، وأذرك ترأس وتربع ؟ فيقول: بلى، يا رب. فيقول: أفظننت أنك مُلَاقِيَّ ؟ فيقول: لا. فيقول الله تعالى: فاليوم أنساك كما نسيتني» [مسلم: الزهد، رقم: ٢٩٦٨. عن أبي هريرة رضي الله عنه]. [ترأس: تكون رئيس القوم. تربع: تأخذ ربع الغنيمة من قومك، أي وأنت مطاع فيهم].

(٢) كما لو أنكم نسيتموه، فإن النسيان يترتب عليه الترك.

(٣) منزلكم ومكان إقامتكم.

(٤) أي ﴿لا يَخرُجون﴾ بفتح الياء وضم الراء، و﴿لا يُخرَجون﴾ بضم الياء وفتح الراء، وهما قراءتان متواترتان.

(٥) أي لفظ ﴿رب﴾ في المواضع الثلاثة بدل من لفظ الجلالة في قوله ﴿فلله الحمد﴾.

(٦) أي ﴿في السموات والأرض﴾ جار ومجرور متعلق بحال محذوفة، تقديرها: الكبرياء لله تعالى كائنة في السماوات والأرض، لا يشاركه فيها أحد من خلقه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (قال الله عز وجل: الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما قذفته في النار).

[أبو داود: اللباس، باب: ما جاء في الكبر، رقم: ٤٠٩٠. وانظر مسلم: البر والصلة والآداب، باب: تحريم الكبر، رقم: ٢٦٢٠].

قال الخطابي في [معالم السنن]: معنى هذا الكلام: أن الكبرياء والعظمة صفتان لله سبحانه اختص بهما، لا يَشْرَكُه أحد فيهما، ولا ينبغي لمخلوق أن يتعاطاهما، لأن صفة المخلوق التواضع والتذلل. وضرب الرداء والإزار مثلاً في ذلك، يقول ـ والله أعلم ـ كما لا يَشْرَك الإنسان في ردائه وإزاره أحد فكذلك لا يشركني في الكبرياء والعظمة مخلوق، والله أعلم.

وقال النووي في شرح مسلم: ومعنى ينازعني يتخلق بذلك، فيصير في معنى المشارك، وهذا وعيد شديد في الكبر، مصرح بتحريمه، وأما تسميته إزاراً ورداءً فمجاز واستعارة حسنة، كما تقول العرب: فلان شعاره الزهد ودثاره التقوى، لا يريدون الثوب الذي هو شعار أو دثار، بل معناه صفته كذا، قال المازري: ومعنى الاستعارة هنا أن الإزار والرداء يلصقان بالإنسان ويلزمانه، وهما جمال له، فضرب ذلك مثلاً لكون العز والكبرياء بالله تعالى أحق وله ألزم، واقتضاهما جلاله.

(٧) أي تكررت هذه العبارة وتكرر معناها، والعزيز: هو الذي لا يغلب، والحكيم: هو الذي يضع الشيء في محله.

(٨) وانظر تفسير أول سورة البقرة.

٣ ﴿ ما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا ﴾ خلقاً ﴿ بالحق ﴾ ليدل على قدرتنا ووحدانيتنا ﴿ وأجل مسمى ﴾ إلى فنائهما يوم القيامة ﴿ والذين كفروا عما أنذروا ﴾ خوفوا به من العذاب ﴿ معرضون ﴾.

٤ ﴿ قل أرأيتم ﴾ أخبروني ﴿ ما تدعون ﴾ تعبدون ﴿ من دون الله ﴾ أي الأصنام، مفعول أول(١) ﴿ أروني ﴾ أخبروني، تأكيد(٢) ﴿ ماذا خلقوا ﴾ مفعول ثانٍ(٣) ﴿ من الأرض ﴾ بيان ما(٤) ﴿أم لهم شرك﴾ مشاركة ﴿ في ﴾ خلق ﴿ السماوات ﴾ مع الله، وأم بمعنى همزة الإنكار ﴿ ائتوني بكتاب ﴾ منزل ﴿ من قبل هذا ﴾ القرآن ﴿ أو أثارة ﴾ بقية ﴿ من علم ﴾ يؤثر عن الأولين بصحة دعواكم في عبادة الأصنام أنها تقربكم إلى الله ﴿ إن كنتم صادقين ﴾ في دعواكم.

٥ ﴿ ومن ﴾ استفهام بمعنى النفي، أي لا أحد ﴿ أضل ممن يدعو ﴾ يعبد ﴿ من دون الله ﴾ أي غيره ﴿ من لا يستجيب له إلى يوم القيامة ﴾ وهم الأصنام، لا يجيبون عابديهم إلى شيء يسألونه أبداً ﴿ وهم عن دعائهم ﴾ عبادتهم ﴿ غافلون ﴾ لأنهم جماد لا يعقلون.

٦ ﴿ وإذا حشر الناس كانوا ﴾ أي الأصنام ﴿ لهم ﴾ لعابديهم ﴿ أعداء وكانوا بعبادتهم ﴾ بعبادة عابديهم ﴿ كافرين ﴾ جاحدين.

٧ ﴿ وإذا تتلى عليهم ﴾ أي أهل مكة ﴿ آياتنا ﴾ القرآن ﴿ بينات ﴾ ظاهرات، حال(٥) ﴿ قال الذين كفروا ﴾ منهم ﴿ للحق ﴾ أي للقرآن ﴿ لما جاءهم هذا سحر مبين ﴾ بين ظاهر.

٨ ﴿ أم ﴾ بمعنى بل وهمزة الإنكار(٦) ﴿يقولون افتراه ﴾ أي القرآن ﴿ قل إن افتريته ﴾ فرضاً ﴿ فلا تملكون لي من الله ﴾ أي من عذابه ﴿ شيئاً ﴾ أي لا تقدرون على دفعه عني إذا عذبني الله ﴿ هو أعلم بما تفيضون فيه ﴾ تقولون في القرآن ﴿ كفى به ﴾ تعالى ﴿ شهيداً بيني وبينكم وهو الغفور ﴾ لمن تاب

مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ
وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾
قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ
ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن
قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ
أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ
يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ
ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾
وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ
لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ
إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا
تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ

---

(١) أي اسم الموصول ﴿ما﴾ المفسر بالأصنام مفعول أول لأرأيتم.

(٢) أي ﴿أروني﴾ تأكيد لقوله ﴿أرأيتم﴾.

(٣) أي جملة الاستفهام سدت مسد المفعول الثاني لقوله ﴿أرأيتم﴾.

(٤) أي قوله ﴿من الأرض﴾ بيان لما التي هي اسم استفهام في قوله ﴿ماذا خلقوا﴾ و﴿ذا﴾ بعدها اسم موصول بمعنى الذي، واسم الاستفهام في محل رفع مبتدأ، واسم الموصول في محل رفع خبر له، وقوله ﴿خلقوا﴾ صلة الموصول. والمعنى: أي شيء هو الذي مخلوق لهم من الأشياء التي في الأرض، والله تعالى أعلم.

(٥) أي قوله: ﴿بينات﴾ حال من قوله ﴿آياتنا﴾.

(٦) والمعنى: بل أيقولون...

فائدة: عن أبي زرعة رضي الله عنه قال: دخلت مع أبي هريرة داراً بالمدينة، فرأى أعلاها مصوراً يصور، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا حبة، وليخلقوا ذرة). [البخاري: اللباس، باب: نقض الصور، رقم: ٥٦٠٩. مسلم: اللباس والزينة، باب: تحريم تصوير صورة الحيوان..، رقم: ٢١١١] يخلق كخلقي: يصنع ويقدر كخلقي في الصورة. ذرة: نملة صغيرة.

وعن عائشة رضي الله عنها: أنها اشترت نُمْرُقة فيها تصاوير ، فلما رآها رسول الله ﷺ قام على الباب فلم يدخله، فعرفتُ في وجهه الكراهية، فقلت: يا رسول الله، أتوب إلى الله وأتوب إلى رسوله ﷺ، ماذا أذنبت؟ فقال رسول الله ﷺ: (ما بال هذه النمرقة). قلت: اشتريتها لك لتقعد عليها وتوسدها، فقال رسول الله ﷺ: (إن أصحاب هذه الصور يوم القيامة يعذبون، فيقال لهم أحيوا ما خلقتم). وقال: (إن البيت الذي فيه صور لا تدخله الملائكة). [البخاري: البيوع، باب: التجارة فيما يكره لبسه للرجال والنساء، رقم: ١٩٩٩. مسلم: اللباس والزينة، باب: تحريم تصوير صورة الحيوان..، رقم: ٢١٠٧] نمرقة: كساء مخطط، وقيل: وسادة صغيرة. ما بال: ما شأنها ولِمَ وضعت. توسدها: تجعلها وسادة لك. هذه الصور: لذات الروح، وأصحابها المصورون لها. خلقتم: صورتم على هيئة خلق الله تعالى وصورته.

﴿ **الرحيم** ﴾ بهم(١)، فلم يعاجلهم بالعقوبة.

٩ ﴿ **قل ما كنت بدعاً** ﴾ بديعاً ﴿ **من الرسل** ﴾ أي أول مرسل، قد سبق قبلي كثيرون منهم، فكيف تكذبونني ﴿ **وما أدري ما يفعل بي ولا بكم** ﴾ في الدنيا، أأخرج من بلدي أم أقتل كما فعل بالأنبياء قبلي، أم ترمونني بالحجارة(٢) أم يخسف بكم كالمكذبين من قبلكم ﴿ **إن** ﴾ ما ﴿ **أتبع إلا ما يوحى إليّ** ﴾ أي القرآن، ولا أبتدع من عندي شيئاً ﴿ **وما أنا إلا نذير مبين** ﴾ بين الإنذار.

١٠ ﴿ **قل أرأيتم** ﴾ أخبروني ماذا حالكم ﴿ **إن كان** ﴾ القرآن ﴿ **من عند الله وكفرتم به** ﴾ جملة حالية(٣) ﴿ **وشهد شاهد من بني إسرائيل** ﴾ هو عبد الله بن سلام ﴿ **على مثله** ﴾ أي عليه أنه من عند الله ﴿ **فآمن** ﴾ الشاهد ﴿ **واستكبرتم** ﴾ تكبرتم عن الإيمان، وجواب الشرط(٤) بما عطف عليه: ألستم ظالمين؟ دل عليه ﴿ **إن الله لا يهدي القوم الظالمين** ﴾.

١١ ﴿ **وقال الذين كفروا للذين آمنوا** ﴾ أي في حقهم(٥) ﴿ **لو كان** ﴾ الإيمان ﴿ **خيراً ما سبقونا إليه وإذ لم يهتدوا** ﴾ أي القائلون ﴿ **به** ﴾ أي القرآن ﴿ **فسيقولون هذا** ﴾ أي القرآن ﴿ **إفك** ﴾ كذب ﴿ **قديم** ﴾.

١٢ ﴿ **ومن قبله** ﴾ أي القرآن ﴿ **كتاب موسى** ﴾ أي التوراة ﴿ **إماماً ورحمة** ﴾ للمؤمنين به، حالان(٦) ﴿ **وهذا** ﴾ أي القرآن ﴿ **كتاب مصدق** ﴾ للكتب قبله ﴿ **لساناً عربياً** ﴾ حال من الضمير في مصدق(٧) ﴿ **لينذر الذين ظلموا** ﴾ مشركي مكة ﴿ **و** ﴾ هو ﴿ **بشرى للمحسنين** ﴾ المؤمنين.

١٣ ﴿ **إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا** ﴾ على الطاعة ﴿ **فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون** ﴾.

١٤ ﴿ **أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها** ﴾ حال ﴿ **جزاء** ﴾ منصوب على المصدر بفعله المقدر(٨)، أي يجزون جزاءً ﴿ **بما كانوا يعملون** ﴾.

ٱلرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

---

(١) أي بعباده.

(٢) في المطبوع: ترموني، بحذف نون الرفع، ولا موجب لذلك. وفي نسخة: ترجمون. هذا ولقد عصمه الله تعالى من شرهم وأذاهم، فلم يستطيعوا أن يفعلوا معه شيئاً من ذلك، وإنما خرج من بلده ﷺ لمَّا أذن الله تعالى له بالخروج، حين وصل بهم الحال إلى النهاية في العناد والإصرار على الباطل، وصار الأولى للدعوة أن يلتقي الرسول المصطفى ﷺ بالذين آمنوا به خارج مكة، ليكون محور اجتماعهم، ولتقوم دولة الحق ويزهق الباطل أبد الدهر، وصدق الله تعالى إذ يقول ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾/ الأنفال: ٣٠/.

(٣) أي إن كان من عند الله والحال أنكم قد كفرتم به.

(٤) في قوله: ﴿إن كان﴾.

(٥) أي قالوا هذا في حقهم، وتكون اللام في ﴿للذين﴾ بمعنى في. ويمكن أن تبقى على ظاهرها، ويكون قولهم هذا لهم مشافهة.

(٦) من قوله ﴿كتاب موسى﴾.

(٧) لأن مصدق اسم فاعل، وفيه ضمير مستتر تقديره: هو.

(٨) أي منصوب على أنه مفعول مطلق، والتقدير: يجزون جزاءً.

سبب نزول الآية [١٠]: قال السيوطي: أخرج الطبراني بسند صحيح، عن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال: انطلق النبيُّ ﷺ وأنا معه حتى دخلنا كنيسة اليهود يوم عيدهم، فكرهوا دخولنا عليهم، فقال لهم رسول الله ﷺ: (يا معشر اليهود، أروني اثني عشر رجلاً منكم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، يحطُّ الله عن كل يهودي تحت أديم السماء الغضب الذي عليه). فسكتوا فما أجابه منهم أحد، ثم انصرف، فإذا رجل من خلفه، فقال: كما أنت يا محمد فأقبل، فقال: أيّ رجل تعلموني منكم يا معشر اليهود؟ فقالوا: والله ما نعلم فينا رجلاً كان أعلم بكتاب الله ولا أفقه منك، ولا من أبيك قبلك، ولا من جدّك قبل أبيك. قال: فإني أشهد أنه النبيّ الذين تجدون في التوراة. قالوا: كذبت، ثم ردّوا عليه وقالوا فيه شراً. فأنزل الله: ﴿ قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به ﴾ الآية. [أديم: وجه. كما أنت. . : أي ابق في مكانك. وهذا الرجل هو عبد الله ابن سلام رضي الله عنه، فقد أخرج البخاري ومسلم [فضائل الصحابة، باب: مناقب ـ من فضائل ـ عبد الله بن سلام رضي الله عنه]: عن سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه قال: ما سمعت النبي ﷺ يقول لأحد يمشي على الأرض: (إنه من أهلِ الجنة) إلا عبد الله بن سلام، وفيه نزلت هذه الآية: ﴿وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله﴾.

١٥ ﴿ ووصينا الإنسان بوالديه حسناً ﴾ وفي قراءة «إحساناً» أي أمرناه أن يحسن إليهما، فنصب إحساناً على المصدر بفعله المقدر(١)، ومثله حسناً ﴿ حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً ﴾ أي على مشقة ﴿ وحمله وفصاله ﴾ من الرضاع ﴿ ثلاثون شهراً ﴾ ستة أشهر أقل مدة الحمل، والباقي أكثر مدة الرضاع. وقيل: إن حملت به ستة أو تسعة أرضعته الباقي ﴿ حتى ﴾ غاية لجملة مقدرة، أي وعاش حتى ﴿ إذا بلغ أشده ﴾ هو كمال قوته وعقله ورأيه، أقله ثلاث وثلاثون سنة، أو ثلاثون ﴿ وبلغ أربعين سنة ﴾ أي تمامها، وهو أكثر الأشد ﴿ قال رب ﴾ الخ. . نزلت في أبي بكر الصديق، لما بلغ أربعين سنة بعد سنتين من مبعث النبي ﷺ آمن به، ثم آمن أبواه(٢)، ثم ابنه عبد الرحمن وابن عبد الرحمن أبو عتيق ﴿ أوزعني ﴾ ألهمني ﴿ أن أشكر نعمتك التي أنعمت ﴾ بها ﴿ عليّ وعلى والدي ﴾ وهي التوحيد ﴿ وأن أعمل صالحاً ترضاه ﴾ فأعتق تسعة من المؤمنين يعذبون في الله عز وجل ﴿ وأصلح لي في ذريتي ﴾ فبفضل الله عز وجل كلهم مؤمنون ﴿ إني تبت إليك وإني من المسلمين ﴾.

١٦ ﴿ أولئك ﴾ أي قائلو هذا القول أبو بكر وغيره(٣) ﴿ الذين نتقبل عنهم أحسن ﴾ بمعنى حسن ﴿ ما عملوا(٤) ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة ﴾ حال، أي كائنين في جملتهم ﴿ وعد الصدق الذي كانوا يوعدون ﴾ في قوله تبارك وتعالى: «وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنـات» / التوبة: ٧٢ /.

١٧ ﴿ والذي قال لوالديه ﴾ وفي قراءة بالإدغام(٥)، أريد به الجنس(٦) ﴿ أف ﴾ بكسر الفاء(٧) وفتحها(٨) بمعنى مصدر، أي نتناً وقبحاً ﴿ لكمـا ﴾ أتضجر منكمـا ﴿ أتعدانني ﴾ وفي قراءة بالإدغام(٩) ﴿ أن أخرج ﴾ من القبر ﴿ وقد خلت القرون ﴾ الأمم ﴿ من قبلي ﴾ ولم تخرج من القبور ﴿ وهما يستغيثان الله ﴾ يسألانه الغوث برجوعه، ويقولان: إن لم ترجع ﴿ ويلك ﴾ أي هلاكك، بمعنى هلكت ﴿ آمن ﴾ بالبعث ﴿ إن وعد الله حق فيقول ما هذا ﴾ أي القول بالبعث ﴿ إلا أساطير الأولين ﴾ أكاذيبهم.

١٨ ﴿ أولئك الذين حق ﴾ وجب ﴿ عليهم القـول ﴾ بالعذاب ﴿ في أمم قد خلت من قبلهم من

وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا
وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا
بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ
نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا
تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى
مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ
مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ
ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ
أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن
قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ
فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ
حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ

---

(١) أي نصب على أنه مفعول مطلق، والتقدير: أن يحسن إحساناً، أو أن يحسن حسناً.

(٢) المشهور أن أبا بكر رضي الله عنه لم يتأخر بإسلامه عن بعثة النبي ﷺ، كما أن المشهور أن أباه أسلم يوم الفتح، فرضي الله تعالى عنهم.

(٣) لأن الآية عامة، والعبرة كما يقرر العلماء: بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فهي تشمل كل من ينطبق عليه معناها، وإن نزلت بخصوص شخص معين.

(٤) أي أفعل التفضيل ليس على بابه، وإنما يتقبل منهم كل عمل حسن، وليس القبول خاصاً بما هو أحسن.

(٥) أي إدغام لام ﴿قال﴾ بلام ﴿لوالديه﴾.

(٦) أي جنس قائل هذا القول، لا فرداً معيناً منه.

(٧) أي مع التنوين وعدمه.

(٨) من غير تنوين.

(٩) أي بإدغام نون الرفع مع نون الوقاية.

سبب نزول الآية [١٥]: قال الواحدي قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في رواية عطاء: أنزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وذلك أنه صحب رسول الله ﷺ وهو ابن ثمان عشرة سنة، ورسول الله ﷺ ابن عشرين سنة، وهم يريدون الشام في التجارة، فنزلوا منزلاً فيه سدرة، فقعد رسول الله ﷺ في ظلها، ومضى أبو بكر إلى راهب هناك يسأله عن الدين، فقال له: من الرجل الذي في ظل السدرة؟ فقال: ذاك محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب. قال: هذا والله نبي، وما استظل تحتها أحد بعد عيسى بن مريم إلا محمد نبي الله. فوقع في قلب أبي بكر اليقين والتصديق، وكان لا يفارق رسول الله ﷺ في أسفاره وحضوره، فلما نبىء رسول الله ﷺ وهو ابن أربعين سنة وأبو بكر ابن ثمان وثلاثين سنة أسلم، وصدق رسول الله ﷺ، فلما بلغ أربعين سنة قال: ﴿ربِّ أوْزِعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ﴾. [سدرة: واحدة السدر، وهو نوع من شجر البوادي].

سبب نزول الآية [١٧]: قال السيوطي في [لباب النقـول] في سبب نزول هذه الآية: أخرج ابن أبي حاتم عن السدّي قال: نزلت هذه

الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين ﴾.

١٩ ﴿ ولكل ﴾ من جنس المؤمن والكافر ﴿ درجات ﴾ فدرجات المؤمنين في الجنة عالية، ودرجات الكافرين في النار سافلة ﴿ مما عملوا ﴾ أي المؤمنون من الطاعات، والكافرون من المعاصي ﴿ وليوفيهم ﴾ أي الله، وفي قراءة بالنون ﴿ أعمالهم ﴾ أي جزاءها ﴿ وهم لا يظلمون ﴾ شيئاً ينقص للمؤمنين ويزاد للكفار.

٢٠ ﴿ ويوم يعرض الذين كفروا على النار ﴾ بأن تكشف لهم، يقال لهم ﴿ أذهبتم ﴾ بهمزة وهمزتين وبهمزة ومدة وبها وتسهيل الثانية ﴿ طيباتكم ﴾ باشتغالكم بلذاتكم ﴿ في حياتكم الدنيا واستمتعتم ﴾ تمتعتم ﴿ بها فاليوم تجزون عذاب الهون ﴾ أي الهوان(١) ﴿ بما كنتم تستكبرون ﴾ تتكبرون ﴿ في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون ﴾ به(٢)، وتعذبون بها(٣).

٢١ ﴿ واذكر أخا عاد ﴾ هو هود عليه السلام ﴿ إذ ﴾ الخ.. بدل اشتمال(٤) ﴿ أنذر قومه ﴾ خوفهم ﴿ بالأحقاف ﴾(٥) وادٍ باليمن به منازلهم ﴿ وقد خلت النذر ﴾ مضت الرسل ﴿ من بين يديه ومن خلفه ﴾ أي من قبل هود ومن بعده إلى أقوامهم ﴿ أ ﴾ ن، أي بأن قال ﴿ لا تعبدوا إلا الله ﴾ وجملة «وقد خلت» معترضة ﴿ إني أخاف عليكم ﴾ إن عبدتم غير الله عز وجل ﴿ عذاب يوم عظيم ﴾.

٢٢ ﴿ قالوا أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا ﴾ لتصرفنا عن عبادتها ﴿ فأتنا بما تعدنا ﴾ من العذاب على عبادتها ﴿ إن كنت من الصادقين ﴾ في أنه يأتينا.

٢٣ ﴿ قال ﴾ هود ﴿ إنما العلم عند الله ﴾ هو الذي يعلم متى يأتيكم العذاب ﴿ وأبلغكم ما أرسلت به ﴾ إليكم ﴿ ولكني أراكم قوماً تجهلون ﴾ باستعجالكم العذاب ما هو.

٢٤ ﴿ فلما رأوه ﴾ أي العذاب ﴿ عارضاً ﴾ سحاباً عرض في أفق السماء ﴿ مستقبل أوديتهم قالوا

ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ
مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾
وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ
فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ
ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ
وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾ ۞ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ
قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ
خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ
يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا
بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ
عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا
تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟

---

(١) أي العذاب الذي فيه الذل والخزي.

(٢) أي بسبب استكباركم وفسقكم.

(٣) أي بالنار. أخرج البخاري ومسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: دخلت على رسول الله ﷺ، فإذا هو متكىء على رمال حصير قد أثر في جنبه، فقلت أستأنس: يا رسول الله، قال: (نعم) فجلست فرفعت رأسي في البيت، فوالله ما رأيت فيه شيئاً يرد البصر إلا أهبة ثلاثة، فقلت: ادع الله أن يوسع على أمتك، فقد وسع على فارس والروم، ولا يعبدون الله؟ فاستوى جالساً ثم قال: (أفي شك أنت يا ابن الخطاب؟ أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا). فقلت: استغفر لي يا رسول الله. [البخاري: المظالم، باب: الغرفة والعلية المشرفة في السطوح وغيرها، رقم: ٢٣٣٦. مسلم: الطلاق، باب: في الإيلاء واعتزال النساء وتخييرهن، رقم: ١٤٧٩].

[رمال حصير: حصير منسوج، ورماله ضلوعه المتداخلة المنسوجة. أهبة: جمع إهاب، وهو الجلد الذي لم يدبغ].

(٤) أي اذكر قصته حين أنذر قومه ليعتبر بها هؤلاء، فذكر القصة هو المقصود، وذكر القصة يشتمل على ذكره عليه السلام.

(٥) أي أنذرهم وهم مقيمون بالأحقاف، والأحقاف هنا اسم علم للوادي الذي كانوا يسكنونه، وهي في الأصل: جمع حقف، وهو التل المستطيل من الرمل.

الآية: ﴿والذي قال لوالديه أفّ لكما﴾ في عبد الرحمن بن أبي بكر، قال لأبويه، وكانا قد أسلما وأبى هو أن يسلم، فكانا يأمرانه بالإسلام فيردّ عليهما ويكذبهما ويقول: فأين فلان وأين فلان؟ يعني مشايخ قريش ممن قد مات، ثم أسلم بعد فحسن إسلامه، فنزلت توبته في هذه الآية: ﴿ولكلّ درجات مما عملوا﴾ الآية [١٩]. وأخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس مثله.

ثم قال: لكن أخرج البخاري، من طريق يوسف بن ماهان قال: قال مروان في عبد الرحمن بن أبي بكر: إن هذا الذي أنزل الله فيه: ﴿والذي قال لوالديه أفّ لكما﴾ فقالت عائشة من وراء الحجاب: ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن، إلا أن الله أنزل عذري. [البخاري: التفسير/ الأحقاف، باب: ﴿والذي قال لوالديه..﴾ رقم: ٤٥٥٠].وقال السيوطي أيضاً: وأخرج عبد الرزاق من طريق مكي: أنه سمع عائشة تنكر أن تكون الآية نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر، وقالت: إنما أنزلت في فلان، سمت رجلاً. قال الحافظ ابن حجر: ونفي عائشة أصح إسناداً وأولى بالقبول.

هذا عارض ممطرنا ﴾ أي ممطر إيانا. قال تعالى: ﴿ بل هو ما استعجلتم به ﴾ من العذاب ﴿ ريح ﴾ بدل من ما ﴿ فيها عذاب أليم ﴾ مؤلم.

٢٥ ﴿ تدمر ﴾ تهلك ﴿ كل شيء ﴾ مرت عليه ﴿ بأمر ربها ﴾ بإرادته، أي كل شيء أراد إهلاكه بها، فأهلكت رجالهم ونساءهم وصغارهم وأموالهم، بأن طارت بذلك بين السماء والأرض ومزقته، وبقي هود ومن آمن معه ﴿ فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم كذلك ﴾ كما جزيناهم ﴿ نجزي القوم المجرمين ﴾ من غيرهم(١).

٢٦ ﴿ ولقد مكناهم فيما ﴾ في الذي ﴿ إن ﴾ نافية أو زائدة ﴿ مكناكم ﴾ يا أهل مكة ﴿ فيه ﴾ من القوة والمال ﴿ وجعلنا لهم سمعاً ﴾ بمعنى أسماعاً ﴿ وأبصاراً وأفئدة ﴾ قلوباً ﴿ فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء ﴾ أي شيئاً من الإغناء، ومن زائدة ﴿ إذ ﴾ معمولة لأغنى، وأشربت معنى التعليل ﴿ كانوا يجحدون بآيات الله ﴾ حججه البينة ﴿ وحاق ﴾ نزل ﴿ بهم ما كانوا به يستهزئون ﴾ أي العذاب(٢).

٢٧ ﴿ ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى ﴾ أي من أهلها كثمود وعاد وقوم لوط ﴿ وصرفنا الآيات ﴾ كررنا الحجج البينات ﴿ لعلهم يرجعون ﴾.

٢٨ ﴿ فلولا ﴾ هلا ﴿ نصرهم ﴾ بدفع العذاب عنهم ﴿ الذين اتخذوا من دون الله ﴾ أي غيره ﴿ قرباناً ﴾ متقرباً بهم إلى الله ﴿ آلهة ﴾ معه، وهم الأصنام، ومفعول اتخذ الأول ضمير محذوف يعود على الموصول، أي هم. وقرباناً الثاني، وآلهة بدل منه ﴿ بل ضلوا ﴾ غابوا ﴿ عنهم ﴾ عند نزول العذاب بهم ﴿ وذلك ﴾ أي اتخاذهم الأصنام آلهة قرباناً ﴿ إفكهم ﴾ كذبهم ﴿ وما كانوا يفترون ﴾ يكذبون(٣)، وما مصدرية(٤) أو موصولة، والعائد محذوف، أي فيه.

٢٩ ﴿ و ﴾ اذكر ﴿ إذ صرفنا ﴾ أملنا ﴿ إليك نفراً من الجن ﴾ جن نصيبين باليمن أو جن نينوى(٥)، وكانوا سبعة أو تسعة، وكان ﷺ ببطن نخل يصلي بأصحابه الفجر. رواه الشيخان(٦) ﴿ يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا ﴾ أي قال بعضهم لبعض ﴿ أنصتوا ﴾ اصغوا لاستماعه ﴿ فلما قضي ﴾ فرغ من قراءته ﴿ ولوا ﴾

هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً ۖ بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا ۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم

---

(١) أخرج البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ إذا عصفت الريح قال: (اللهم إني أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به) وإذا تخيلت السماء تغير لونه وخرج ودخل وأقبل وادبر، فإذا أمطرت السماء سري عنه، فعرفت ذلك عائشة، فسألته، فقال: (لعله يا عائشة كما قال قوم عاد ﴿فلما رأوه عارضاً مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا﴾) [تخيلت السماء: تغيمت. سري عنه: كشف وأزيل عنه ما كان به من الغم والحزن]. [البخاري: بدء الخلق، باب: ما جاء في قوله: ﴿وهو الذي أرسل الرياح..﴾ رقم: ٣٠٣٤. مسلم: صلاة الاستسقاء، باب: التعوذ عند رؤية الريح والغيم، رقم: ٨٩٩].

(٢) الذي كانوا يطلبونه ويستعجلون به استهزاءً.

(٣) اختلاقاً من عند أنفسهم.

(٤) تسبك ما بعدها بمصدر، ويكون التقدير: إفكهم وافتراؤهم.

(٥) قرية قرب الموصل.

(٦) البخاري: صفة الصلاة، باب: الجهر بقراءة صلاة الفجر، رقم: ٧٣٩. مسلم: الصلاة، باب: الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن، رقم: ٤٤٩. وهذا نص الحديث فيهما: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: انطلق النبي ﷺ في طائفة من أصحابه، عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين إلى قومهم، فقالوا: ما لكم؟ فقالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء، وأرسلت علينا الشهب. قالوا: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها، فانظروا ما هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء. فانصرف

سبب نزول الآية [٢٩]: عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: إن الجنّ هبطوا على النبيّ ﷺ وهو يقرأ القرآن ببطن نخلة، فلما سمعوه قالوا: أنصتوا، وكانوا تسعة: أحدهم زوبعة، فأنزل الله: ﴿وإذ صرفنا إليك نفراً من الجنّ إلى قوله ﴿ضلال مبين﴾.

رجعوا ﴿إلى قومهم منذرين﴾ مخوفين قومهم العذاب إن لم يؤمنوا، وكانوا يهوداً، وقد أسلموا(١).

٣٠ ﴿قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتاباً﴾ هو القرآن ﴿أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه﴾ أي تقدمه كالتوراة ﴿يهدي إلى الحق﴾ الإسلام ﴿وإلى طريق مستقيم﴾ أي طريقه.

٣١ ﴿يا قومنا أجيبوا داعي الله﴾ محمداً ﷺ إلى الإيمان ﴿وآمنوا به يغفر﴾ الله ﴿لكم من ذنوبكم﴾ أي بعضها، لأن منها المظالم، ولا تغفر إلا برضاء أصحابها، قاله الجمهور ﴿ويجركم من عذاب أليم﴾ مؤلم.

٣٢ ﴿ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض﴾ أي لا يعجز الله بالهرب منه فيفوته ﴿وليس له﴾ لمن لا يجيب ﴿من دونه﴾ أي الله ﴿أولياء﴾ أنصار يدفعون عنه العذاب أو يمنعونه منه ﴿أولئك﴾ الذين لم يجيبوا ﴿في ضلال مبين﴾ بين ظاهر.

٣١ ﴿أو لم يروا﴾ يعلموا، أي منكرو البعث ﴿أن الله الذي خلق السماوات والأرض ولم يعي بخلقهن﴾ لم يعجز عنه ﴿بقادر﴾ خبر أن، وزيدت الباء فيه لأن الكلام في قوة: أليس الله بقادر ﴿على أن يحيي الموتى بلى﴾ هو قادر على إحياء الموتى ﴿إنه على كل شيء قدير﴾.

مُنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ يَٰقَوۡمَنَآ إِنَّا سَمِعۡنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ
بَعۡدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ وَإِلَىٰ
طَرِيقٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ
بِهِۦ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُجِرۡكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣١﴾
وَمَن لَّا يُجِبۡ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيۡسَ بِمُعۡجِزٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَيۡسَ
لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءُۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾
أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَلَمۡ
يَعۡيَ بِخَلۡقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ
كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٣٣﴾ وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى
ٱلنَّارِ أَلَيۡسَ هَٰذَا بِٱلۡحَقِّۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ
ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ
ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَ

٣٤ ﴿ويوم يعرض الذين كفروا على النار﴾ بأن يعذبوا بها، يقال لهم ﴿أليس هذا﴾ التعذيب ﴿بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون﴾.

٣٥ ﴿فاصبر﴾ على أذى قومك ﴿كما صبر أولو العزم﴾ ذوو الثبات والصبر على الشدائد ﴿من الرسل﴾ قبلك، فتكون ذا عزم. ومن للبيان، فكلهم ذوو عزم، وقيل للتبعيض، فليس منهم آدم، لقوله تعالى: «ولم نجد له عزماً»/ طه: ١١٥/. ولا يونس، لقوله تعالى: «ولا تكن كصاحب الحوت»/ القلم: ٤٨/ ﴿ولا تستعجل لهم﴾ لقومك نزول العذاب بهم، قيل: كأنه ضجر منهم فأحب نزول العذاب بهم، فأمر بالصبر وترك الاستعجال للعذاب، فإنه نازل بهم لا محالة ﴿كأنهم يوم يرون

أولئك الذين توجهوا نحو تهامة إلى النبي ﷺ وهو بنخلة، عامدين إلى سوق عكاظ، وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن استمعوا له، فقالوا: هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فهنالك حين رجعوا إلى قومهم، فقالوا: يا قومنا ﴿إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً﴾ فأنزل الله على نبيه ﷺ: ﴿قل أوحي إلي﴾ وإنما أوحي إليه قول الجن.

(١) أخرج مسلم عن علقمة قال: قلت لابن مسعود: هل صحب النبي ﷺ ليلة الجن منكم أحد؟ قال: ما صحبه منا أحد، ولكنا كنا مع رسول الله ﷺ ذات ليلة، ففقدناه، فالتمسناه في الأودية والشعاب، فقلنا: استطير أو اغتيل، فبتنا بشر ليلة بات بها قوم، فلما أصبحنا إذا هو جاء من قبل حراء، فقلنا: يا رسول الله، فقدناك فطلبناك فلم نجدك، فبتنا بشر ليلة بات بها قوم. قال: (أتاني داعي الجن فذهبت معه، فقرأت عليهم القرآن) قال: فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم. وسألوه الزاد، فقال: (لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه، يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحماً. وكل بعرة علف لدوابكم) فقال رسول الله ﷺ: (فلا تستنجوا بهما، فإنهما طعام إخوانكم الجن). [الصلاة، باب: الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن، رقم: ٤٥٠]. [استطير: طارت به الجن. اغتيل: قتل سراً].

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ما قرأ رسول الله ﷺ على الجن ولا رآهم، انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين إلى قومهم، فقالوا ما لكم؟ قالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء، وأرسلت علينا الشهب فقالوا ما حال بيننا وبين خبر السماء إلا من أمر حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها، فانظروا: ما هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء. قال: فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها، يبتغون ما هذا الذي حال بينهم وبين خبر السماء، فانصرف أولئك النفر الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله ﷺ وهو بنخلة، عامداً إلى سوق عكاظ، وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن استمعوا له، فقالوا: هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء،

ما يوعدون﴾ من العذاب في الآخرة لطوله ﴿لم يلبثوا﴾ في الدنيا في ظنهم ﴿إلا ساعة من نهار﴾ هذا القرآن ﴿بلاغ﴾ تبليغ من الله إليكم ﴿فهل﴾ أي لا ﴿يهلك﴾ عند رؤية العذاب ﴿إلا القوم الفاسقون﴾ أي الكافرون.

(سورة القتال «محمد»)

(مدنية إلا : «وكأين من قرية . .» الآية [١٣]. وهي ثمان أو تسع وثلاثون آية)

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿الذين كفروا﴾ من أهل مكة ﴿وصدوا﴾ غيرهم ﴿عن سبيل الله﴾ أي الإيمان ﴿أضل﴾ أحبط ﴿أعمالهم﴾ كإطعام الطعام وصلة الأرحام، فلا يرون لها في الآخرة ثواباً، ويجزون بها في الدنيا من فضله تعالى ونعمته.

٢ ﴿والذين آمنوا﴾ أي الأنصار وغيرهم ﴿وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزّل على محمد﴾ أي القرآن ﴿وهو الحق من ربهم كفر عنهم﴾ غفر لهم ﴿سيئاتهم وأصلح بالهم﴾ أي حالهم، فلا يعصونه.

مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ ۚ بَلَـٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾

(٤٧) سُورَةُ مُحَمَّدٍ مَدَنِيَّةٌ
وَآيَاتُهَا ثَمَانٍ وَثَلَاثُونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴿١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۙ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَـٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَـٰلَهُمْ ﴿٣﴾ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ

٣ ﴿ذلك﴾ أي إضلال الأعمال وتكفير السيئات ﴿بأن﴾ بسبب أن ﴿الذين كفروا اتبعوا الباطل﴾ الشيطان ﴿وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق﴾ القرآن ﴿من ربهم كذلك﴾ أي مثل ذلك البيان ﴿يضرب الله للناس أمثالهم﴾ يبين أحوالهم، أي فالكافر يحبط عمله والمؤمن يغفر زلّله.

٤ ﴿فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب

قال: فهنا لك رجعوا إلى قومهم فقالوا: ﴿يا قومنا إنا سمعنا قرآنا عجباً. يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً﴾ فأنزل الله تبارك وتعالى على نبيّه ﷺ: ﴿قل أوحي إليَّ أنه استمع نفر من الجن﴾ وإنما أوحي إليه قول الجن.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان الجن يصعدون إلى السماء يستمعون الوحيَ، فإذا سمعوا الكلمة زادوا فيها تسعاً، فأما الكلمة فتكون حقاً، وأما ما زادوه فيكون باطلاً. فلما بعث رسول الله ﷺ منعوا مقاعدهم، فذكروا ذلك لإبليس، ولم تكن النجوم يرمى بها قبل ذلك، فقال لهم إبليس: ما هذا إلا من أمر قد حدث في الأرض. فبعث جنوده فوجدوا رسول الله ﷺ قائماً يصلي بين جبلين - أراه قال - بمكة، فأتوه فأخبروه، فقال: هذا الحدث الذي حدث في الأرض. [أخرج الحديثين الترمذي في تفسير القرآن، باب: ومن سورة الجن، رقم: ٣٣٢٠، ٣٣٢١، وقال عن كل منهما: حديث حسن صحيح] [سوق عكاظ: سوق كانت تقام فيها المعارض في المواسم. الشهب: جمع شهاب، وهو شعلة من النار ساطعة. فاضربوا: اذهبوا. تهامة: إقليم من أقاليم بلاد العرب. بنخلة: اسم موضع].

سبب نزول الآية [١ - ٢]: عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم﴾ قال: هم أهل مكة نزلت فيهم. ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ قال: هم الأنصار. [السيوطي]

سبب نزول الآية [٤]: عن قتادة في قوله: ﴿والذين قتلوا في سبيل الله﴾ قال: ذكر لنا أن هذه الآية نزلت يوم أحد ورسول الله ﷺ في الشعب، وقد نشبت فيهم الجراحات والقتل، وقد نادى المشركون يومئذٍ: أعل هبل، ونادى المسلمون: الله أعلى وأجلّ، فقال المشركون: إن لنا العزى ولا عزى لكم، فقال رسول الله ﷺ: (قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم).

هكذا ذكر السيوطي في أسباب نزولها، ولعلّ الأولى أن يكون ما ذكره سبباً لنزول الآية وما بعدها حتى آخر قولة تعالى: ﴿ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم﴾.

[الشعب: هو الطريق في الجبل، أو طريق بين جبلين. نشبت: وقعت فيهم وعلقت].

الرقاب ﴾ مصدر بدل من اللفظ بفعله(١)، أي فاضربوا رقابهم أي اقتلوهم، وعبر بضرب الرقاب لأن الغالب في القتل أن يكون بضرب الرقبة ﴿ حتى إذا أثخنتموهم ﴾ أكثرتم فيهم القتل(٢) ﴿ فشدوا ﴾ فأمسكوا عنهم وأسروهم وشدوا ﴿ الوثاق ﴾ ما يوثق به الأسرى(٣) ﴿ فإما مناً بعد ﴾ مصدر بدل من اللفظ بفعله، أي تمنون عليهم بإطلاقهم من غير شيء ﴿ وإما فداء ﴾ تفادونهم بمال أو أسرى مسلمين ﴿ حتى تضع الحرب ﴾ أي أهلها ﴿ أوزارها ﴾ أثقالها من السلاح وغيره، بأن يسلم الكفار، أو يدخلوا في العهد. وهذه غاية للقتل والأسر(٤) ﴿ ذلك ﴾ خبر مبتدأ مقدر أي الأمر فيهم ما ذكر ﴿ ولو يشاء الله لانتصر منهم ﴾ بغير قتال ﴿ ولكن ﴾ أمركم به ﴿ ليبلو بعضكم ببعض ﴾ منهم في القتال، فيصير من قتل منكم إلى الجنة ومنهم إلى النار ﴿ والذين قتلوا ﴾ وفي قراءة «قاتلوا» الآية نزلت يوم أحد وقد فشا في المسلمين القتل والجراحات ﴿ في سبيل الله فلن يضل ﴾ يحبط ﴿ أعمالهم ﴾. ٥ ﴿ سيهديهم ﴾ في الدنيا والآخرة إلى ما ينفعهم ﴿ ويصلح بالهم ﴾ حالهم فيهما، وما في الدنيا لمن لم يقتل(٥)، وأدرجوا في «قتلوا» تغليباً.

٦ ﴿ ويدخلهم الجنة عرفها ﴾ بينها ﴿ لهم ﴾ فيهتدون إلى مساكنهم منها وأزواجهم وخدمهم من غير استدلال(٦).

٧ ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ﴾ أي دينه ورسوله ﴿ ينصركم ﴾ على عدوكم ﴿ ويثبت أقدامكم ﴾ يثبتكم في المعترك.

٨ ﴿ والذين كفروا ﴾ من أهل مكة، مبتدأ خبره تعسوا، يدل عليه ﴿ فتعساً لهم ﴾ هلاكاً وخيبة من الله عز وجل ﴿ وأضل أعمالهم ﴾ عطف على تعسوا.

٩ ﴿ ذلك ﴾ التعس والإضلال ﴿ بأنهم كرهوا ما أنزل الله ﴾ من القرآن المشتمل على التكاليف ﴿ فأحبط أعمالهم ﴾.

١٠ ﴿ أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم ﴾ أهلك أنفسهم وأولادهم وأموالهم ﴿وللكافرين(٧) أمثالها﴾ أي أمثال عاقبة من قبلهم. ١١ ﴿ ذلك ﴾ أي نصر المؤمنين وقهر الكافرين ﴿ بأن الله مولى ﴾ ولي ناصر ﴿ الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم ﴾. ١٢ ﴿ إن الله يدخل

ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَّۢا
بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَاۚ ذَٰلِكَۖ وَلَوۡ
يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنۡهُمۡ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَاْ بَعۡضَكُم بِبَعۡضٖۗ
وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٤﴾
سَيَهۡدِيهِمۡ وَيُصۡلِحُ بَالَهُمۡ ﴿٥﴾ وَيُدۡخِلُهُمُ ٱلۡجَنَّةَ عَرَّفَهَا
لَهُمۡ ﴿٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ
وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعۡسٗا لَّهُمۡ وَأَضَلَّ
أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٨﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحۡبَطَ
أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٩﴾ ۞ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ
كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۖ
وَلِلۡكَٰفِرِينَ أَمۡثَٰلُهَا ﴿١٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ ﴿١١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ

---

(١) أي أتي بالمصدر بدل الفعل.

(٢) والجراح، مأخوذ من الشيء الثخين، أي الغليظ.

(٣) أي الوثاق هو الحبل الذي يربط به الأسرى وغيرهم، فكني بشده عن الأسر.

(٤) أي إذا أسلموا أو دخلوا في العهد كففنا عن القتل أو الأسر. أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بعث النبي ﷺ خيلاً قبل نجد، فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن أثال، فربطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه النبي ﷺ فقال: (ما عندك يا ثمامة) فقال: عندي خير يا محمد، إن تقتلني تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال فسل منه ما شئت. حتى كان الغد، ثم قال له: (ما عندك يا ثمامة) قال: ما قلت لك، إن تنعم تنعم على شاكر. فتركه حتى كان بعد الغد، فقال: (ما عندك يا ثمامة) فقال: عندي ما قلت لك. فقال: (أطلقوا ثمامة). فانطلق إلى نجل قريب من المسجد فاغتسل، ثم دخل المسجد فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله. [ذا دم: عليه دم مطلوب به، فلا عيب عليك في قتله. نجل: ماء مستنقع]. [البخاري: المغازي، باب: وفد بني حنيفة وحديث ثمامة بن أثال، رقم: ٤١١٤. مسلم: الجهاد والسير، باب: ربط الأسير وحبسه. . ، رقم: ١٧٦٤].

(٥) أي ما يكون في الدنيا من الهداية وإصلاح الحال إنما يكون لمن لم يقتل ممن قاتل في سبيل الله.

(٦) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «إذا خلص المؤمنون من النار حبسوا بقنطرة بين الجنة والنار، فيتقاصُّون مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا نقوا وهذبوا أذن لهم بدخول الجنة، فوالذي نفس محمد ﷺ بيده، لأحدهم بمسكنه في الجنة أدل بمنزله كان في الدنيا». [البخاري: المظالم، باب: قصاص المظالم، رقم: ٢٣٠٨] [حبسوا: أوقفوا. بقنطرة: كل شيء ينصب على طرفي واد أو جانبي نهر ونحوه. فيتقاصون: من القصاص، والمعنى: يتراضون فيما بينهم ويتسامحون عما كان لبعضهم من تبعات على بعض. نقوا وهذبوا: خلصوا من جميع الآثام، ولم يبق على أحدهم تبعة، من التنقية وهي تمييز الجيد من الرديء، والتهذيب وهو التخليص. أدل: أكثر دلالة وأعرف].

(٧) أي بمحمد ﷺ من مشركي مكة وغيرهم.

الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار والذين كفروا يتمتعون ﴾ في الدنيا ﴿ ويأكلون كما تأكل الأنعام ﴾ أي ليس لهم همٌّ إلا بطونهم وفروجهم، ولا يلتفتون إلى الآخرة ﴿ والنار مثوى لهم ﴾ منزل ومقام ومصير.

١٣ ﴿ وكأين ﴾ وكم ﴿ من قرية ﴾ أريد بها أهلها⁽¹⁾ ﴿ هي أشد قوة من قريتك ﴾ مكةَ أي أهلها ﴿ التي أخرجتك ﴾ روعي لفظ قرية⁽²⁾ ﴿ أهلكناهم ﴾ روعي معنى قرية الأولى⁽³⁾ ﴿ فلا ناصر لهم ﴾ من إهلاكنا.

١٤ ﴿ أفمن كان على بينة ﴾ حجة وبرهان ﴿ من ربه ﴾ وهم المؤمنون ﴿ كمن زين له سوء عمله ﴾ فرآه حسناً، وهم كفار مكة ﴿ واتبعوا أهواءهم ﴾ في عبادة الأوثان، أي لا مماثلة بينهما.

١٥ ﴿ مثل ﴾ أي صفة ﴿ الجنة التي وعد المتقون ﴾ المشتركة بين داخليها⁽⁴⁾، مبتدأ خبره ﴿ فيها أنهار من ماء غير آسن﴾ بالمد والقصر، كضارب وحَذِر⁽⁵⁾، أي غير متغير، بخلاف ماء الدنيا فيتغير بعارض ﴿وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ﴾ بخلاف لبن الدنيا لخروجه من الضروع ﴿ وأنهار من خمر لذة ﴾ لذيذة ﴿ للشاربين ﴾ بخلاف خمر الدنيا، فإنها كريهة عند الشرب ﴿ وأنهار من عسل مصفى ﴾ بخلاف عسل الدنيا، فإنه بخروجه من بطون النحل يخالطه الشمع وغيره ﴿ ولهم فيها ﴾ أصناف ﴿ من كل الثمرات ومغفرة من ربهم ﴾ فهو راضٍ عنهم مع إحسانه إليهم بما ذكر، بخلاف سيد العبيد في الدنيا: فإنه قد يكون مع إحسانه إليهم ساخطاً عليهم ﴿ كمن هو خالد في النار ﴾ خبر مبتدأ مقدر، أي أمَنْ هو في هذا النعيم⁽⁶⁾ ﴿وسقوا ماءً حميماً ﴾ أي شديد الحرارة ﴿ فقطع أمعاءهم ﴾ أي مصارينهم، فخرجت من أدبارهم، وهو جمع معى، بالقصر، وألفه عن ياء⁽⁷⁾ لقولهم معيان.

١٦ ﴿ ومنهم ﴾ أي الكفار ﴿ من يستمع إليك ﴾ في خطبة الجمعة، وهم المنافقون ﴿ حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ﴾ لعلماء الصحابة، منهم ابن مسعود وابن عباس، استهزاءً وسخرية ﴿ ماذا قال آنفاً ﴾ بالمد والقصر⁽⁸⁾، أي الساعة، أي لا نرجع إليه

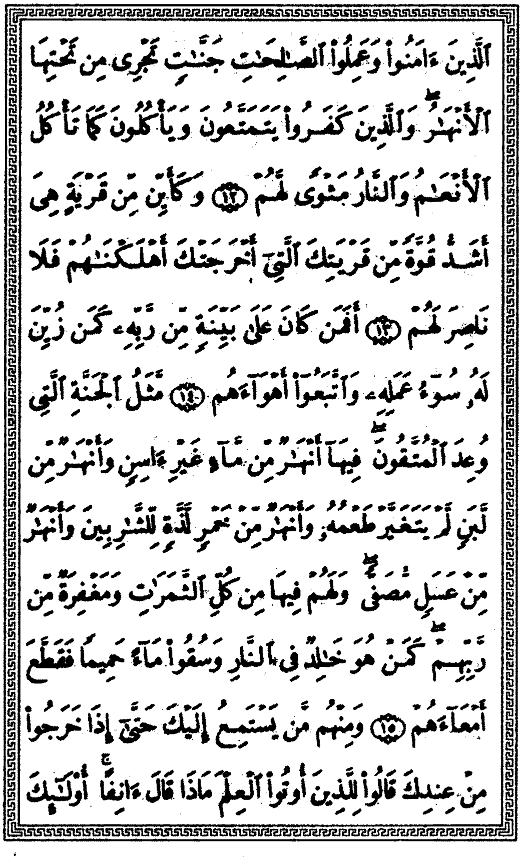

ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا
ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ
ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ
أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا
نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ
لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم ﴿١٤﴾ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى
وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن
لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ
مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن
رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ
أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟
مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ

---

(١) أي اريد بالقرية أهل القرية.

(٢) أي ولم يراع معناها، فقال﴿أخرجتك﴾ ولم يقل أخرجوك.

(٣) أي التي في قوله ﴿وكأين من قرية﴾ فروعي معناها وهم أهلها، فقال ﴿أهلكناهم﴾.

(٤) أي هذا بيان لمطلق نعيم الجنة، المشترك بين جميع من يدخلها، سواء أكان في أعلى منزلة منها أم في أدنى منزلة.

(٥) أي فيها قراءتان متواترتان: ﴿آسِن﴾ بالمد، على وزن: ضارب. و: ﴿أَسِن﴾ بالقصر، على وزن: حَذِر.

(٦) أي هل من هو في هذا النعيم مثل من هو خالد في النار.

(٧) أي الف معى منقلبة عن ياءبدلالة ردها عند التثنية.

(٨) أي: ﴿آنِفاً﴾ و ﴿أَنِفاً﴾ قراءتان متواترتان.

فائدة: في صلة الرحم والحث عليها والتحذير من قطيعتها. عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (خلق الله الخلق، فلما فرغ منه قامت الرحم، فأخذت بحقو الرحمن، فقال له: مه، قالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال: ألا ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى يا رب، قال: فذاك). قال أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم: ﴿فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم﴾. [البخاري: التفسير/ محمد، باب: ﴿وتقطعوا أرحامكم﴾ رقم: ٤٥٥٢. مسلم: البر والصلة والآداب، باب: صلة الرحم وتحريم قطعها، رقم: ٢٥٥٤] بحقو: هو الخصر موضع شد الإزار، وهو الموضع الذي جرت عادة العرب بالاستجارة به، لأنه من أحق ما يحامى عنه ويدافع. فقال له مه: أي فقال جلّ وعلاً للرحم اكفف وانزجر عما تفعل. العائذ: المستجير.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: (الرحم معلقة بالعرش، تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله). [مسلم: =

سبب نزول الآية [١٣]: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما خرج رسول الله ﷺ تلقاء الغار نظر إلى مكة، فقال: (أنت أحبُّ بلاد الله إليّ، ولولا أن أهلك أخرجوني منك لم أخرج عنك). فأنزل الله: ﴿وكأيّن من قرية هي أشد قوّة من قريتك التي أخرجتك﴾ الآية. [السيوطي].

سبب نزول الآية [١٦]: عن ابن جريج قال: كان المؤمنون والمنافقون يجتمعون إلى النبيّ ﷺ، فيسمع المؤمنون منهم ما يقول ويعونه، ويسمعه المنافقون فلا يعونه، فإذا خرجوا سألوا المؤمنين ماذا قال آنفاً؟ فنزلت: ﴿ومنهم من يستمع إليك﴾ الآية. [السيوطي].

﴿ أولئك الذين طبع الله على قلوبهم ﴾ بالكفر **﴿ واتبعوا أهواءهم ﴾** في النفاق.

١٧ **﴿ والذين اهتدوا ﴾** وهم المؤمنون **﴿ زادهم ﴾** الله **﴿ هدى وآتاهم تقواهم ﴾** ألهمهم ما يتقون به النار.

١٨ **﴿ فهل ينظرون ﴾** ما ينتظرون أي كفار مكة **﴿ إلا الساعة أن تأتيهم ﴾** بدل اشتمال من الساعة[1]، أي ليس الأمر إلا أن تأتيهم **﴿ بغتة ﴾** فجأة **﴿ فقد جاء أشراطها ﴾** علاماتها، منها: بعثة النبي ﷺ، وانشقاق القمر، والدخان[2] **﴿ فأنَّى لهم إذا جاءتهم ﴾** الساعة **﴿ ذكراهم ﴾** تذكرهم، أي لا ينفعهم.

١٩ **﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله ﴾** أي دم يا محمد على علمك بذلك، النافع في القيامة **﴿ واستغفر لذنبك ﴾** لأجله، قيل له ذلك مع عصمته لتستن به أمته، وقد فعله، قال ﷺ: (إني لأستغفر الله في كل يوم مائة مرة)[3] **﴿ وللمؤمنين والمؤمنات ﴾** فيه إكرام لهم بأمر نبيهم بالاستغفار لهم **﴿ والله يعلم متقلبكم ﴾** متصرفكم لأشغالكم في النهار **﴿ ومثواكم ﴾** مأواكم إلى مضاجعكم بالليل، أي هو عالم بجميع أحوالكم، لا يخفى عليه شيء منها، فاحذروه، والخطاب للمؤمنين وغيرهم.

٢٠ **﴿ ويقول الذين آمنوا ﴾** طلباً للجهاد **﴿ لولا ﴾** هلا **﴿ نزلت سورة ﴾** فيها ذكر الجهاد **﴿ فإذا أنزلت سورة محكمة ﴾** أي لم ينسخ منها شيء **﴿ وذكر فيها القتال ﴾** أي طلبه **﴿ رأيت الذين في قلوبهم مرض ﴾** أي شك، وهم المنافقون **﴿ ينظرون إليك نظر المغشي ﴾** المغمى **﴿ عليه من الموت ﴾**[4] خوفاً منه وكراهة له، أي فهم يخافون من القتال ويكرهونه **﴿ فأولى لهم ﴾** مبتدأ، خبره:

٢١ **﴿ طاعة وقول معروف ﴾** أي حَسَنٌ لك **﴿ فإذا عزم الأمر ﴾** أي فرض القتال **﴿ فلو صدقوا الله ﴾** في الإيمان والطاعة **﴿ لكان خيراً لهم ﴾** وجملة لو جواب إذا.

٢٢ **﴿ فهل عسيتم ﴾** بكسر السين وفتحها، وفيه التفات عن الغيبة إلى الخطاب[5]، أي لعلكم **﴿ إن توليتم ﴾** أعرضتم عن الإيمان **﴿ أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم ﴾** أن تعودوا إلى أمر الجاهلية من البغي والقتال.

٢٣ **﴿ أولئك ﴾** أي المفسدون **﴿ الذين لعنهم**

ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾
وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾
فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ
أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ
لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ۗ
وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا
ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ
نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ
وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ
خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟
فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ

---

[1] أي قوله ﴿أن تأتيهم﴾ بدل اشتمال من ﴿الساعة﴾ لأن الساعة تشتمل على الإتيان وغيره.

[2] انظر سورة الدخان الآية/ ٧/ وما بعدها.

[3] أخرجه مسلم في الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: استحباب الاستغفار والاستكثار منه، رقم: ٢٧٠٢].

وثبت في الصحيحين أنه ﷺ كان يقول في آخر صلاته: (اللّهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت، وما أنت أعلم به مني، أنت إلهي لا إله إلا أنت) [البخاري: التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة﴾ [القيامة: ٢٢] رقم: ٧٠٠٤. مسلم: صلاة المسافرين وقصرها، باب: الدعاء في صلاة الليل وقيامه، رقم: ٧٦٩].

وعن عبد الله بن سرجس رضي الله عنه قال: رأيت النبي ﷺ، وأكلت معه خبزاً ولحماً. وفي رواية: فأكلت من طعامه، فقلت: غفر الله لك يا رسول الله، فقال له رجل: أستغفر لك النبي ﷺ؟ قال: نعم، ولكم. وقرأ: ﴿واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات..﴾. [مسلم: الفضائل، باب: إثبات خاتم النبوة وصفته..، رقم: ٢٣٤٦. مسند أحمد: ٥/٨٣].

[4] أي ينظرون إليك وقد شخصت أبصارهم جبناً وقلقاً.

[5] لأن الخطاب بهذا آكد في التوبيخ وأشد في التقريع.

= البر والصلة، باب: صلة الرحم وتحريم قطيعتها، رقم: ٢٥٥٥].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من سره أن يبسط له في رزقه، أو ينسأ له في أثره، فليصل رحمه). [البخاري: البيوع، باب: من أحب البسط في الرزق، رقم: ١٩٦١. مسلم: البر والصلة، باب: صلة الرحم وتحريم قطيعتها، رقم: ٢٥٥٧]

يبسط: يوسع. ينسأ: يؤخر. أثره: بقية عمره. فليصل رحمه: فليبر وليحسن لأقاربه.

وعن أبي أيوب رضي الله عنه: أن رجلاً قال للنبي ﷺ: أخبرني بعمل يدخلني الجنة. قال: ماله ماله. وقال النبي ﷺ: (أرب ماله، تعبد الله=

الله فأصمهم ﴾ عن استماع الحق ﴿ وأعمى أبصارهم ﴾ عن طريق الهدى.

٢٤ ﴿ أفلا يتدبرون القرآن ﴾ فيعرفون الحق ﴿ أم ﴾ بل ﴿ على قلوب ﴾ لهم ﴿ أقفالها ﴾ فلا يفهمونه.

٢٥ ﴿ إن الذين ارتدوا ﴾ بالنفاق ﴿ على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سوَّل ﴾ أي زين ﴿ لهم وأملى لهم ﴾ بضم أوله(١)، وبفتحه واللام(٢)، والمملي الشيطان بإرادته تعالى(٣)، فهو المضل لهم(٤).

٢٦ ﴿ ذلك ﴾ أي إضلالهم ﴿ بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله ﴾ أي للمشركين ﴿ سنطيعكم في بعض الأمر ﴾ أي المعاونة على عداوة النبي ﷺ، وتثبيط الناس عن الجهاد معه. قالوا ذلك سراً، فأظهره الله تعالى: ﴿ والله يعلم أسرارهم ﴾ بفتح الهمزة جمع سر، وبكسرها مصدر.

٢٧ ﴿ فكيف ﴾ حالهم ﴿ إذا توفتهم الملائكة يضربون ﴾ حال من الملائكة ﴿ وجوههم وأدبارهم ﴾ ظهورهم، بمقامع من حديد(٥).

٢٨ ﴿ ذلك ﴾ التوفي على الحالة المذكورة ﴿ بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه ﴾ أي العمل بما يرضيه ﴿ فأحبط أعمالهم ﴾(٦).

٢٩ ﴿ أم حسب الذين في قلوبهم مرض(٧) أن لن يخرج الله أضغانهم ﴾ يظهر أحقادهم على النبي ﷺ والمؤمنين.

٣٠ ﴿ ولو نشاء لأريناكهم ﴾ عرفناكهم، وكررت اللام في ﴿ فلعرفتهم(٨) بسيماهم ﴾ علامتهم ﴿ ولتعرفنهم ﴾ الواو لقسم محذوف، وما بعدها جوابه ﴿ في لحن القول ﴾ أي معناه إذا تكلموا عندك(٩)، بأن يعرضوا بما فيه تهجين أمر المسلمين ﴿ والله يعلم أعمالكم ﴾.

٣١ ﴿ ولنبلونكم ﴾ نختبرنكم بالجهاد وغيره ﴿ حتى نعلم ﴾ علم ظهور ﴿ المجاهدين منكم والصابرين ﴾ في الجهاد وغيره ﴿ ونبلو ﴾ نظهر ﴿ أخباركم ﴾ من طاعتكم وعصيانكم في الجهاد وغيره، بالياء والنون في الأفعال الثلاثة(١٠).

٣٢ ﴿ إن

ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ
أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم
مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ
لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ
سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾
فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ
وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟
رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم
مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ
لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ
ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ
ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ إِنَّ

---

(١) أي بضم الهمزة وكسر اللام، فيكون الفعل ﴿أُملي﴾ مبني للمجهول.

(٢) أي بفتح الهمزة وفتح اللام، فيكون الفعل ﴿أملى﴾ مبني للمعلوم.

والمعنى: مد لهم في الأمل، وزين لهم فعل القبيح، ومنّاهم بأن في آجالهم فسحة، يمكنهم أن يتمتعوا، ثم يتوبوا قبل الموت.

(٣) أي إملاء الشيطان ليس كرهاً عن الله عزّ وجلّ، فإنه لا مكره له سبحانه، فهو قادر على منعه من ذلك، وحيث لم يمنعه صار إملاؤه بإرادته تعالى، وليس المراد أن الله تعالى أمره أن يملي لهم، حاشاه سبحانه فإنه لا يأمر بالفحشاء.

(٤) المتسبب لهم بالضلال.

(٥) جمع مِقْمَعة، وهي خشبة أو حديدة معوجة الرأس. يضربون بها على رؤوسهم ليذلوا ولا يجرؤوا على الخروج من النار. وانظر/ الحج: ٢١/.

(٦) أبطل ما عملوه من أعمال ظاهرها أنها أعمال بر وإحسان.

(٧) شك ونفاق.

(٨) أي كررت اللام للتأكيد والمبالغة.

(٩) أي يظهر ما في نفوسهم على ألسنتهم، لأنهم لا يقدرون على كتمانه، فلا بد من أن يبدو في كلامهم ما فيه قدح وتعريض بالمسلمين، مما يدل على نفاقهم وسوء طويتهم.

ولحن القول: معناه ومقصده وأسلوبه وفحواه.

(١٠) وهي ﴿لنبلونكم﴾ ﴿نعلم﴾ ﴿نبلو﴾.

=ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرَّحم). [البخاري: الزكاة، باب: وجوب الزكاة، رقم: ١٣٣٢. مسلم: الإيمان، باب: بيان الإيمان الذي يدخل به الجنة. . ، رقم: ١٣] رجلاً: هو لقيط بن صبرة رضي الله عنه. ماله ماله: قائل هذا واحد من الحضور، أي: ماذا جرى له. أرب ماله: أية حاجة يطلبها ويسأل عنها جاءت به.

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (ليس الواصل بالمكافىء، ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها).

[البخاري: الأدب، باب: ليس الواصل بالمكافىء، رقم: ٥٦٤٥] المكافىء: الذي يصل قريبه مكافأة له على ما قدم من صلة، مقابلة له بمثل ما فعل، فهو ليس بواصل حقيقة، لأن صلته نوع معاوضة ومبادلة.=

الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ﴾ طريق الحق ﴿ وشاقوا الرسول ﴾ خالفوه ﴿ من بعد ما تبين لهم الهدى ﴾ هو معنى سبيل الله ﴿ لن يضروا الله شيئاً وسيحبط أعمالهم ﴾ يبطلها، من صدقة ونحوها، فلا يرون لها في الآخرة ثواباً. نزلت في المطعمين من أصحاب بدر، أو في قريظة والنضير(١).

٣٣ ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم ﴾(٢) بالمعاصي مثلاً.

٣٤ ﴿ إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ﴾ طريقه، وهو الهدى ﴿ ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم ﴾ نزلت في أصحاب القليب(٣).

٣٥ ﴿ فلا تهنوا ﴾ تضعفوا ﴿ وتدعوا إلى السلم ﴾ بفتح السين وكسرها، أي الصلح مع الكفار إذا لقيتموهم ﴿ وأنتم الأعلون ﴾ حذف منه واو لام الفعل(٤)، الأغلبون القاهرون ﴿ والله معكم ﴾ بالعون والنصر ﴿ ولن يتركم ﴾ ينقصكم ﴿ أعمالكم ﴾ أي ثوابها.

٣٦ ﴿ إنما الحياة الدنيا ﴾ أي الاشتغال فيها ﴿ لعب ولهو وإن تؤمنوا وتتقوا ﴾ الله، وذلك من أمور الآخرة ﴿يؤتكم أجوركم ولا يسألكم أموالكم ﴾ جميعها، بل الزكاة المفروضة فيها.

٣٧ ﴿ إن يسألكموها فيحفكم ﴾ يبالغ في طلبها ﴿ تبخلوا ويخرج ﴾ البخل ﴿ أضغانكم ﴾ لدين الإسلام.

٣٨ ﴿ ها أنتم ﴾ يا ﴿ هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله ﴾ ما فرض عليكم ﴿ فمنكم من يبخل ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه ﴾ يقال بخل عليه وعنه ﴿ والله الغني ﴾ عن نفقتكم ﴿ وأنتم

٦٧٧ (سورة محمد)

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِن
بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ
أَعْمَالَهُمْ (٣٢) * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ
وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ (٣٣) إِنَّ الَّذِينَ
كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن
يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ (٣٤) فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ
الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ (٣٥) إِنَّمَا
الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ
أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ (٣٦) إِن يَسْأَلْكُمُوهَا
فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ (٣٧) هَا أَنتُمْ
هَٰؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ
وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ

---

(١) أي الذين تولوا إطعام المقاتلين على نفقتهم من المشركين في غزوة بدر، وكذلك الذين فعلوا هذا من اليهود في غزوتي قريظة والنضير.

(٢) لا تنقضوها وتذهبوا ثوابها.

(٣) وهم قتلى الكفار يوم بدر، ألقوا في بئر كانت في ذاك المكان. والقليب: هي البئر التي لم تطو أي لم تبن جدرانها.

(٤) أي حذفت من الكلمة واو هي لام الفعل، إذ أصل ﴿الأعلون﴾ الأعلوون، الواو الأولى لام الكلمة وهي لام الفعل، لأن الأعلون جمع أعلى، وفعله علا على وزن فعل، فالألف هي لام الفعل ترد إلى أصلها عند الجمع فتصبح واواً. فهذه الواو حذفت حسب قواعد الصرف، وبقيت الواو الثانية التي هي واو جمع المذكر السالم، لأنها أتي بها لغرض وهو الجمع.

= وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالاً من نخل، وكان أحب أمواله إليه بيرُحاء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب. قال أنس: فلما أنزلت هذه الآية ﴿لن تنالواالبرحتى تنفقوا مما تحبون﴾ [آل عمران: ٩٢]. قام أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾ وإن أحبَّ أموالي إليَّ بيرحاء، وإنها صدقة لله، أرجو برها وذخرها عند الله، فضعها، يا رسول الله، حيث أراك الله. قال: فقال رسول الله ﷺ: (بخ ذلك مال رابح، ذلك مال رابح، وقد سمعت ما قلت، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين). فقال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله، فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه. [البخاري: الزكاة، باب: الزكاة على الأقارب، رقم: ١٣٩٢] بيرحاء: اسم بستان. طيب: عذب. البر: اسم جامع لكل خير. أرجو برها وذخرها: أطمع وآمل من الله تعالى أن يدخر لي أجرها وثوابها عنده ليوم القيامة. بخ: كلمة تقال عند الرضا والإعجاب بالشيء. رابح: ذو ربح كثير يجنيه صاحبه في الآخرة.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رجلاً قال: يا رسول الله، إن لي قرابة: أصلهم ويقطعوني، وأحسن إليهم ويسيئون إليَّ، وأحلم عنهم ويجهلون عليَّ. فقال: (لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم الملَّ، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك). [مسلم: البر والصلة والآداب، باب: صلة الرحم وتحريم قطيعتها، رقم: ٢٥٥٥]. تسفهم الملَّ: تطعمهم الرماد الحار. ظهير: معين ونصير ودافع لأذاهم.

سبب نزول الآية [٣٣]: عن أبي العالية قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ يرون أنه لا يضرّ مع لا إله إلا الله ذنب، كما لا ينفع مع الشرك

الفقراء ﴾ إليه ﴿ وإن تتولوا ﴾ عن طاعته ﴿ يستبدل قوماً غيركم ﴾ أي يجعلهم بدلكم ﴿ ثم لا يكونوا أمثالكم ﴾ في التولي عن طاعته تبارك وتعالى ، بل مطيعين له ، كل له عز وجل قانتون.

(سورة الفتح)

(مدنية نزلت في الطريق عند الانصراف من الحديبية . وآياتها تسع وعشرون آية)

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿ إنا فتحنا لك ﴾ قضينا بفتح مكة وغيرها في المستقبل عنوة(١) بجهادك ﴿ فتحاً مبيناً ﴾ بيناً ظاهراً.

٢ ﴿ ليغفر لك الله ﴾ بجهادك ﴿ ما تقدم من ذنبك وما تأخر ﴾ منه، لترغب أمتك في الجهاد، وهو مؤول(٢)، لعصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بالدليل العقلي القاطع من الذنوب، واللام للعلة الغائية، فمدخولها مسبب لا سبب(٣) ﴿ ويتم ﴾ بالفتح المذكور ﴿ نعمته ﴾ إنعامه ﴿ عليك ويهديك ﴾ به ﴿ صراطاً ﴾ طريقاً ﴿ مستقيماً ﴾ يثبتك عليه، وهو دين الإسلام. ٣ ﴿وينصرك الله﴾ به ﴿نصراً عزيزاً﴾ ذا عز لا ذل له ، وكان ربك قديراً.

٤ ﴿ هو الذي أنزل السكينة ﴾ الطمأنينة ﴿ في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم ﴾ بشرائع الدين، كلما نزِّل واحدة منها آمنوا بها، ومنها الجهاد ﴿ ولله جنود السماوات والأرض ﴾ فلو أراد نصر دينه بغيركم لفعل ﴿ وكان الله عليماً ﴾ بخلقه ﴿ حكيماً ﴾ في صنعه، أي لم يزل متصفاً بذلك.

٥ ﴿ ليدخل ﴾ متعلق بمحذوف، أي أمر بالجهاد(٤) ﴿ المؤمنين والمؤمنات جنات

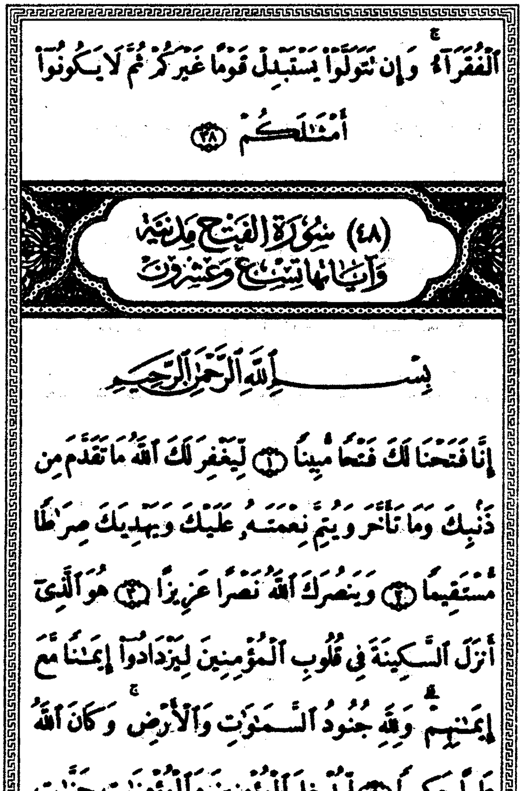

ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾

(٤٨) سورة الفتح مدنية
وآياتها تسع وعشرون

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ

---

(١) أي قهراً.

(٢) أي قوله ﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك﴾ مؤول، أي ليس على ظاهره، لأن الذنب لا يقع من الأنبياء، وإنما المراد ما يقع منه بالاجتهاد من اختيار خلاف الأولى في الواقع، من باب: حسنات الأبرار سيئات المقربين.

(٣) أي اللام في قوله ﴿ليغفر﴾ لبيان أن المغفرة مرتبة على الجهاد والفتح ومسببة عنهما، وليست باعثة على مشروعية الجهاد والفتح، لأنه تعالى منزه عن البواعث والأغراض.

عن عائشة رضي الله عنها: أن نبي الله ﷺ كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقالت عائشة: لم تصنع هذا يا رسول الله، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: (أفلا أحب أن أكون عبداً شكوراً). فلما كثر لحمه صلى جالساً، فإذا أراد أن يركع قام فقرأ ثم ركع. [البخاري: التفسير/الفتح، باب: قوله: ﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك..﴾ رقم: ٤٥٥٧] وكثر لحمه: كبر وأسن.

(٤) فصار المعنى: أمر بالجهاد ليدخل..

عمل، فنزل: ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم﴾ فخافوا أن يبطل الذنب العمل. [السيوطي].

أسباب نزول السورة عامة وأوائلها خاصة: عن المسور بن مخرمة رضي الله عنه ومروان بن الحكم قال: نزلت سورة الفتح بين مكة والمدينة في شأن الحديبية، من أولها إلى آخرها.

وعن زيد بن أسلم عن أبيه رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ كان يسير في بعض أسفاره، وعمر بن الخطاب يسير معه ليلاً، فسأله عمر بن الخطاب عن شيء فلم يجبه رسول الله ﷺ، ثم سأله فلم يجبه، ثم سأله فلم يجبه، فقال عمر بن الخطاب: ثكلتك أمك يا عمر، نزرت رسول الله ﷺ ثلاث مرات كل ذلك لا يجيبك، قال عمر: فحركت بعيري ثم تقدمت أمام المسلمين، وخشيت أن ينزل فيّ قرآن، فما نشبت أن سمعت صارخاً يصرخ بي، قال: فقلت: لقد خشيت أن يكون قد نزل فيّ قرآن. وجئت رسول الله ﷺ فسلمت عليه، فقال: (لقد أنزلت علي الليلة سورة، لهي أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس. ثم قرأ: ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾).

وعن أنس رضي الله عنه قال: أنزلت على النبيّ ﷺ: ﴿ ليغفر لك الله ما تقدّم من ذنبك وما تأخر ﴾ مرجعه من الحديبية، فقال النبيّ ﷺ: (لقد نزلت عليّ آية أحبّ إليّ مما على الأرض). ثم قرأها عليهم، فقالوا: هنيئاً مريئاً لك يا رسول الله، قد بين الله لك ماذا يفعل بك، فماذا يفعل بنا؟ =

تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم[1] وكان ذلك عند الله فوزاً عظيماً ﴾.

٦ ﴿ ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء ﴾ بفتح السين وضمها في المواضع الثلاثة[2]، ظنوا أنه لا ينصر محمداً ﷺ والمؤمنين ، وأن دائرة السوء على المؤمنين ، فقال تعالى ردًّا عليهم ﴿ عليهم دائرة السوء ﴾ بالذل والعذاب ﴿ وغضب الله عليهم ولعنهم ﴾ أبعدهم ﴿ وأعد لهم جهنم وساءت مصيراً ﴾ أي مرجعاً.

٧ ﴿ ولله جنود السماوات والأرض وكان الله عزيزاً ﴾ في ملكه ﴿ حكيماً ﴾ في صنعه، أي لم يزل متصفاً بذلك.

٨ ﴿ إنا أرسلناك شاهداً ﴾ على أمتك في القيامة ﴿ ومبشراً ﴾ لهم في الدنيا بالجنة ﴿ ونذيراً ﴾ منذراً، مخوفاً فيها من عمل سوءاً بالنار.

٩ ﴿ لتؤمنوا بالله ورسوله ﴾ بالياء والتاء فيه وفي الثلاثة بعده ﴿ وتعزروه ﴾ وتنصروه، وقرىء بزايين مع الفوقانية[3] ﴿ وتوقروه ﴾ تعظموه، وضميرهما[4] لله أو لرسوله ﴿ وتسبحوه ﴾ أي الله ﴿ بكرة وأصيلاً ﴾ بالغداة والعشي[5].

١٠ ﴿ إن الذين يبايعونك ﴾ بيعة الرضوان بالحديبية ﴿ إنما يبايعون الله ﴾ هو نحو «من يطع الرسول فقد أطاع الله» /النساء: ٨٠/ ﴿ يد الله فوق أيديهم ﴾ التي بايعوا بها النبي ﷺ، أي هو تعالى مطلع على مبايعتهم، فيجازيهم عليها ﴿ فمن نكث ﴾ نقض البيعة ﴿ فإنما ينكث ﴾ يرجع وبال نقضه ﴿ على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه ﴾ بالياء والنون ﴿ أجراً عظيماً ﴾[6].

١١ ﴿ سيقول لك المخلفون من الأعراب ﴾ حول المدينة، أي الذين خلفهم الله عن صحبتك لما طلبتهم ليخرجوا معك إلى مكة، خوفاً من تعرض قريش لك عام الحديبية، إذا رجعت منها ﴿ شغلتنا أموالنا

تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ
سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبَ
ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَـٰتِ
ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ
ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾
وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا
حَكِيمًا ﴿٧﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾
لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً
وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ
ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ
وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَـٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾
سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا

---

[1] أي يمحو عنهم سيئاتهم بسبب جهادهم فيستحقوا دخول الجنة.

[2] وهي ﴿ظن السوء﴾ و ﴿دائرة السوء﴾ و ﴿ظننتم ظن السوء﴾ الآية/١٢.

قال الشراح: وهذا سبق قلم من الشارح، وصوابه أن يقول: في الموضع الثاني، إذ الموضع الأول والثالث ليس فيهما إلا الفتح باتفاق السبعة. [صاوي، جمل].

[3] أي تعززوه، وهي قراءة شاذة.

[4] أي ضمير ﴿تعزروه﴾ و ﴿توقروه﴾.

[5] البكرة وقت الصباح، والأصيل وقت المساء من حين اصفرار الشمس.

[6] روى البخاري ومسلم عن يزيد بن عبيد قال: قلت لسلمة ابن الأكوع: على أي شيء بايعتم رسول الله ﷺ؟ قال: على الموت. وأخرج مسلم عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: لقد رأيتني يوم الشجرة والنبي ﷺ يبايع الناس، وأنا رافع غصناً من أغصانها عن رأسه، ونحن أربع عشرة مائة، قال: لم نبايعه على الموت، ولكن بايعناه على أن لا نفر. [البخاري: الجهاد، باب: البيعة في الحرب أن لا يفروا. . ، رقم: ٢٨٠٠. مسلم: الإمارة، باب: استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال، رقم: ١٨٥٨، ١٨٦٠].

قال الخازن في تفسيره: قال العلماء: لا منافاة بين الحديثين ومعناهما صحيح، بايعه جماعة منهم سلمة بن الأكوع على الموت، فلا يزالون يقاتلون بين يديه حتى يقتلوا أو ينتصروا، وبايعه جماعة منهم معقل بن يسار على أن لا يفروا.

فائدة: عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: قدمنا الحديبية مع رسول الله ﷺ، ونحن أربع عشرة مائة، وعليها خمسون شاة لا ترويها. قال: فقعد رسول الله ﷺ على جبا الرَّكِيَّة، فإما دعا وإما بسق فيها. قال: فجاشت، فسقينا واستقينا. قال: ثم إن رسول الله ﷺ دعانا للبيعة في أصل الشجرة. قال: فبايعته أول الناس، ثم بايع وبايع، حتى إذا كان في وسط من الناس قال: «بايع يا سلمة». قال: قلت: قد بايعتك يارسول الله في أول الناس. قال: =

= فنزلت: ﴿ليدخل المؤمنين والمؤمنات﴾ حتى بلغ ﴿فوزاً عظيماً﴾.

[البخاري: المغازي، باب: غزوة الحديبية، رقم: ٣٩٣٩، ٣٩٤٣. مسلم: الجهاد والسير، باب: صلح الحديبية في الحديبية، رقم: ١٧٨٦. الترمذي: التفسير، باب: ومن سورة الفتح، رقم: ٣٢٥٩. المستدرك للحاكم: التفسير، باب: تفسير سورة الفتح: ٢/٤٥٩].

وأهلونا ﴾ عن الخروج معك **﴿ فاستغفر لنا ﴾** الله من ترك الخروج معك، قال تعالى مكذباً لهم **﴿ يقولون بألسنتهم ﴾** أي من طلب الاستغفار وما قبله **﴿ ما ليس في قلوبهم ﴾** فهم كاذبون في اعتذارهم **﴿ قل فمن ﴾** استفهام بمعنى النفي، أي لا أحد **﴿ يملك لكم من الله شيئاً إن أراد بكم ضراً ﴾** بفتح الضاد وضمها **﴿ أو أراد بكم نفعاً بل كان الله بما تعملون خبيراً ﴾** أي لم يزل متصفاً بذلك.

١٢ **﴿ بل ﴾** في الموضعين[١] للانتقال من غرض إلى آخر **﴿ ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبداً وزين ذلك في قلوبكم ﴾**[٢] أي أنهم يُستأصلون بالقتل فلا يرجعون **﴿ وظننتم ظن السوء ﴾** هذا وغيره **﴿ وكنتم قوماً بوراً ﴾** جمع بائر، أي هالكين عند الله عز وجل بهذا الظن.

١٣ **﴿ ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإنا أعتدنا للكافرين سعيراً ﴾** ناراً شديدة مسعرة.

١٤ **﴿ ولله ملك السماوات والأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وكان الله غفوراً رحيماً ﴾** أي لم يزل متصفاً بما ذكر، في كل آن وفي كل وقت وزمان.

١٥ **﴿ سيقول المخلفون ﴾** المذكورون **﴿ إذا انطلقتم إلى مغانم ﴾** هي مغانم خيبر **﴿ لتأخذوها ذرونا ﴾** اتركونا **﴿ نتبعكم ﴾** لنأخذ منها **﴿ يريدون ﴾** بذلك **﴿ أن يبدلوا كلام الله ﴾** وفي قراءة «كلِم الله» بكسر اللام[٣]، أي مواعيده بغنائم خيبر أهل الحديبية خاصة **﴿ قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل ﴾** أي قبل عودنا **﴿ فسيقولون بل تحسدوننا ﴾** أن نصيب معكم من الغنائم، فقلتم ذلك **﴿بل كانوا لا يفقهون﴾** من الدين **﴿إلا قليلاً﴾** منهم[٤].

١٦ **﴿ قل للمخلفين من الأعراب ﴾** المذكورين، اختباراً **﴿ ستدعون إلى قوم أولي ﴾** أصحاب **﴿ بأس شديد ﴾** قيل: هم بنو حنيفة أصحاب اليمامة[٥]، وقيل: فارس والروم **﴿ تقاتلونهم ﴾** حال مقدرة[٦] هي المدعو إليها في المعنى[٧] **﴿ أو ﴾**

وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ
قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ
أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ﴿١١﴾ بَلْ
ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ
أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ
قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا
لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ
يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا
رَّحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ
لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ
قُل لَّن تَتَّبِعُونَا ۖ كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۚ فَسَيَقُولُونَ
بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾ قُل

---

[١] هنا، وفي قوله السابق ﴿بل كان الله بما تعملون خبيراً﴾.

[٢] أي زينه الشيطان لكم وأكثر من وسوسته به حتى صار يقيناً عندكم.

[٣] وهي قراءة سبعية، والكلام والكلم متقاربان في المعنى، إلا أن لفظ «الكلام» يطلق على القليل والكثير لأنه اسم جنس، وأما لفظ «الكلم» لا يطلق على أقل من ثلاث كلمات، لأنه جمع كلمة.

[٤] أي قليل منهم يفقهون الدين، وأكثرهم لا يفقهون منه شيئاً. أو المراد أن فهمهم للدين ضعيف.

[٥] وهي التي خرج فيها مسيلمة الكذاب، والمراد بأصحابها أصحابه وهم بنو حنيفة.

[٦] أي جملة ﴿تقاتلونهم﴾ حال من الضمير في ﴿ستدعون﴾ أي ستدعون إليهم مقاتلين لهم.

[٧] أي المدعو إليه في المعنى هو مقاتلتهم.

=«وأيضاً». قال: ورآني رسول الله ﷺ عَزِلاً ـ يعني ليس معه سلاح ـ قال: فأعطاني رسول الله ﷺ حَجَفة أو دَرَقَة. ثم بايع حتى إذا كان في آخر الناس قال: «ألا تبايعني يا سلمة ؟». قال: قلت: قد بايعتك يارسول الله في أول الناس، وفي أوسط الناس. قال: «وأيضاً». قال: فبايعته الثالثة. ثم قال لي: «يا سلمة، أين حجفتك ـ أو درقتك ـ التي أعطيتك ؟». قال: قلت: يارسول الله، لقيني عمي عامر عزلاً، فأعطيته إياها. قال: فضحك رسول الله ﷺ وقال: «إنك كالذي قال الأول: اللهم أبغني حبيباً هو أحب إليَّ من نفسي». ثم إن المشركين راسلونا الصلح، حتى مشى بعضنا إلى بعض، واصطلحنا. قال: وكنت تبيعا لطلحة بن عبيد الله، أسقي فرسه وأحسه وأخدمه، وآكل من طعامه، وتركت أهلي ومالي، مهاجراً إلى الله ورسوله ﷺ. قال: فلما اصطلحنا نحن وأهل مكة، واختلط بعضنا ببعض، أتيت شجرة فكسحت شوكها، فاضطجعت في أصلها. قال: فأتاني أربعة من المشركين من أهل مكة، فجعلوا يقعون في رسول الله ﷺ، فأبغضتهم، فتحولت إلى شجرة أخرى، وعلقوا سلاحهم واضطجعوا، فبينما هم كذلك إذ نادى مناد من أسفل الوادي: يا للمهاجرين، قتل ابن زنيم. قال: فاخترطت سيفي، ثم شددت على أولئك الأربعة وهم رقود، فأخذت سلاحهم، فجعلته ضغثاً في يدي، قال: ثم قلت: والذي كرم وجه محمد ﷺ لا يرفع أحد منكم رأسه إلا ضربت الذي فيه عيناه. قال: ثم جئت بهم أسوقهم إلى رسول الله ﷺ. قال: وجاء عمي عامر برجل من العَبَلات يقال له مكرز، يقوده إلى رسول الله ﷺ على فرس مُجَفَّفٍ، في سبعين من المشركين. فنظر رسول الله ﷺ فقال: «دعوهم، يكن لهم بدء الفجور وثِنَاه». فعفا عنهم رسول الله ﷺ. [مسلم: الجهاد والسير، باب: غزوة ذي قرد وغيرها، رقم: ١٨٠٧] [جبا الركيَّة: الجبا ما حول البئر،=

هم ﴿ يسلمون ﴾ فلا تقاتلون ﴿ فإن تطيعوا ﴾ إلى قتالهم ﴿ يؤتكم الله أجراً حسناً وإن تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذاباً أليماً ﴾ مؤلماً.

١٧ ﴿ ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ﴾ في ترك الجهاد ﴿ ومن يطع الله ورسوله يدخله ﴾ بالياء والنون ﴿ جنات تجري من تحتها الأنهار ومن يتول يعذبه ﴾ بالياء والنون ﴿ عذاباً أليماً ﴾.

١٨ ﴿ لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك ﴾ بالحديبية ﴿ تحت الشجرة ﴾ هي سمرة(١)، وهم ألف وثلثمائة وأكثر، ثم بايعهم على أن يناجزوا قريشاً، وأن لا يفروا من الموت(٢) ﴿ فعلم ﴾ الله ﴿ ما في قلوبهم ﴾ من الصدق والوفاء ﴿ فأنزل السكينة عليهم وأثابهم(٣) فتحاً قريباً ﴾ هو فتح خيبر بعد انصرافهم من الحديبية(٤).

١٩ ﴿ ومغانم كثيرة يأخذونها ﴾ من خيبر ﴿ وكان الله عزيزاً حكيماً ﴾ أي لم يزل متصفاً بذلك.

٢٠ ﴿ وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها ﴾ من الفتوحات ﴿ فعجل لكم هذه ﴾غنيمة خيبر﴿ وكف أيدي الناس عنكم ﴾ في عيالكم لما خرجتم وهمت بهم اليهود، فقذف الله في قلوبهم الرعب ﴿ ولتكون ﴾ أي المعجلة، عطف على مقدر أي لتشكروه(٥) ﴿ آية للمؤمنين ﴾ في نصرهم ﴿ ويهديكم صراطاً

لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ
شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ
أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا
أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ
حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ
يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ
عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ * لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ
يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ
ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً
يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ
مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِىَ
ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا

---

(١) نوع من أنواع شجر البوادي. أخرج البخاري ومسلم عن عمرو بن دينار قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: قال لنا رسول الله ﷺ يوم الحديبية: (أنتم خير أهل الأرض) وكنا ألفاً وأربعمائة، قال: ولو كنت أبصر اليوم لأريتكم مكان الشجرة.

[البخاري: المغازي، باب: غزوة الحديبية، رقم: ٣٩٢٣. مسلم: الإمارة، باب: استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال، رقم: ١٨٥٦] [لو كنت أبصر: فقد ذهب بصره رضي الله عنه آخر حياته. الشجرة: التي بايعنا تحتها رسول الله ﷺ يومها بيعة الرضوان].

(٢) انظر تفسير الآية/ ١٠/ والتعليق عليها. (٣) أعطاهم.

(٤) دل على هذا ما رواه أحمد في مسنده [٣/ ٤٢٠] عن مجمع ابن جارية الأنصاري رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قسم خيبر على أهل الحديبية، لم يدخل معهم فيها أحد إلا من شهد الحديبية. وقال ابن كثير في تفسيره للآية: وهو ما أجرى الله على أيديهم من الصلح بينهم وبين أعدائهم، وما حصل بذلك من الخير العام المستمر المتصل بفتح خيبر وفتح مكة، ثم فتح سائر البلاد والأقاليم عليهم، وما حصل لهم من العز والنصر والرفعة في الدنيا والآخرة.

ويشهد لكلام ابن كثير هذا ما رواه البخاري [المغازي، باب: غزوة الحديبية، رقم: ٣٩١٩] عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: تعدون أنتم الفتح فتح مكة، وقد كان فتح مكة فتحاً، ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية. وقد روي مثل هذا عن عديد من الصحابة رضي الله عنهم [انظر تفسير ابن كثير].

(٥) أي لتشكروه المقدر، ويصير المعنى: لتشكروه ولتكون آية..

والركي: البئر، والمشهور في اللغة ركي، بغير هاء، ووقع هنا الركية بالهاء، وهي لغة. وإما يسق: هكذا هو في النسخ: بسق، وهي صحيحة، يقال: بزق وبصق وبسق، ثلاث لغات بمعنى، والسين قليلة الاستعمال. فجاشت: أي ارتفعت وفاضت. حجفة أو درقة: هما شبيهتان بالترس. إنك كالذي قال الأول: الذي صفة لمحذوف، أي إنك كالقول الذي قاله الأول، فالأول بالرفع فاعل، والمراد به هنا: المتقدم بالزمان، يعني إن شأنك هذا مع عمك يشبه فحوى القول الذي قاله الرجل المتقدم زمانه. أبغني: أي أعطني. راسلونا: أي أرسلنا إليهم وأرسلوا إلينا في أمر الصلح. مشى بعضنا في بعض: في هنا بمعنى إلى، أي مشى بعضنا إلى بعض، وربما كانت بمعنى مع، فيكون المعنى: مشى بعضنا مع بعض. كنت تبيعاً لطلحة: أي خادماً أتبعه. وأحسه: أي أحك ظهره بالمحسة لأزيل عنه الغبار ونحوه. فكسحت شوكها: أي كنست ما تحتها من الشوك. فاخترطت سيفي: أي سللته. شددت: حملت وكررت. ضغثاً: الضغث الحزمة، يريد أنه أخذ سرحهم وجمع بعضه إلى بعض حتى جعله في يده حزمة. الذي فيه عيناه: يريد رأسه. العبلات: العبلات من قريش، وهم أمية الصغرى، والنسبة إليهم عبلي. مجفف: أي عليه تجفاف، وهو ثوب كالجُل يلبسه الفرس ليقيه السلاح. يكن لهم بدء الفجور وثناه: البدء هو الابتداء، وأما ثناه فمعناه عوده ثانية. قال في النهاية: أي أوله وآخره، والثنى الأمر يعاد مرتين].

سبب نزول الآية [١٨]: عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: بينما نحن قائلون إذا نادى منادي رسول الله ﷺ: أيها الناس البيعة البيعة،

مستقيماً ﴾ أي طريق التوكل عليه وتفويض الأمور كلها إليه تبارك وتعالى.

٢١ ﴿ وأخرى ﴾ صفة مغانم مقدراً(١)، مبتدأ ﴿ لم تقدروا عليها ﴾ هي من فارس والروم ﴿ قد أحاط الله بها ﴾ علم أنها ستكون لكم ﴿ وكان الله على كل شيء قديراً ﴾ أي لم يزل متصفاً بذلك.

٢٢ ﴿ ولو قاتلكم الذين كفروا ﴾ بالحديبية ﴿ لولوا الأدبار(٢) ثم لا يجدون ولياً ﴾ يحرسهم ﴿ ولا نصيراً ﴾.

٢٣ ﴿ سنة الله ﴾ مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله من هزيمة الكافرين ونصر المؤمنين، أي سن الله ذلك سنة ﴿ التي قد خلت من قبل(٣) ولن تجد لسنة الله تبديلاً ﴾ منه.

٢٤ ﴿ وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة ﴾ بالحديبية ﴿ من بعد أن أظفركم عليهم ﴾ فإن ثمانين منهم طافوا بعسكركم ليصيبوا منكم، فأخذوا، وأتي بهم إلى رسول الله ﷺ فعفا عنهم وخلى سبيلهم، فكان ذلك سبب الصلح بينهم(٤) ﴿ وكان الله بما تعملون بصيراً ﴾ بالتاء والياء(٥)، أي لم يزل متصفاً بذلك.

٢٥ ﴿ هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام ﴾ أي عن الوصول إليه ﴿ والهدي ﴾ معطوف على كم(٦) ﴿ معكوفاً ﴾ محبوساً، حال ﴿ أن يبلغ محله ﴾ أي مكانه الذي ينحر فيه عادة وهو الحرم، بدل اشتمال(٧) ﴿ ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات ﴾ موجودون بمكة مع الكفار ﴿ لم تعلموهم ﴾ بصفة الإيمان ﴿ أن تطؤوهم ﴾ أي تقتلوهم مع الكفار لو أذن لكم في الفتح، بدل اشتمال من هم(٨) ﴿ فتصيبكم منهم معرة ﴾ أي إثم ﴿ بغير علم ﴾ منكم به، وضمائر الغيبة للصنفين بتغليب الذكور، وجواب لولا محذوف، أي لأذن لكم في الفتح، لكن لم يؤذن فيه حينئذ ﴿ ليدخل الله في رحمته من يشاء ﴾ كالمؤمنين المذكورين ﴿ لو تزيلوا ﴾ تميزوا عن الكفار ﴿ لعذبنا الذين كفروا منهم ﴾ من أهل مكة حينئذ، بأن نأذن لكم في فتحها ﴿ عذاباً أليماً ﴾ مؤلماً.

٢٦ ﴿ إذ جعل ﴾ متعلق بعذبنا ﴿ الذين كفروا ﴾ فاعل(٩) ﴿ في قلوبهم

مُسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا
وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ
كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾
سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ
تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ
عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ
بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ
عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُ
وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن
تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِّيُدْخِلَ اللَّهُ
فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا
مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ

---

(١) التقدير: ومغانم أخرى.

(٢) لأداروا ظهورهم إليكم هاربين.

(٣) أي مضت من قبل فيمن مضى من الأمم.

(٤) أخرج هذا مسلم وغيره، وقد ذكر ذلك في أسباب النزول.

(٥) أي ﴿تعملون﴾ خطاباً للمؤمنين، و﴿يعملون﴾ إخباراً عن الكافرين.

(٦) أي على الضمير المنصوب في ﴿ صدوكم ﴾ والمعنى: وصدوا الهدي. والهدي هو ما يساق ليذبح في الحرم من إبل وبقر وغنم، وكان النبي ﷺ قد ساق سبعين من الإبل.

(٧) من الهدي، والتقدير: صدوا بلوغ الهدي محله.

(٨) في قوله: ﴿لم تعلموهم﴾ والتقدير: لم تعلموا وطأهم.

(٩) أي اسم الموصول في قوله: ﴿الـذين كفروا﴾ فاعل ﴿جعل﴾.

نزل روح القدس. فسرنا إلى رسول الله ﷺ وهو تحت شجرة سمرة فبايعناه، فأنزل الله: ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين﴾ الآية. [السيوطي].

[روح القدس: أي جبريل عليه السلام، يقصدون أنه نزل على رسول الله ﷺ يأمره بأخذ البيعة على القتال. سمرة: واحدة السَّمُر وهو نوع من شجر البوادي].

سبب نزول الآية [٢٤]: عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن ثمانين رجلاً من أهل مكة هبطوا على رسول الله ﷺ من جبل التنعيم متسلحين، يريدون غرة النبي ﷺ وأصحابه، فأخذهم سلماً فاستحياهم، فأنزل الله عز وجل: ﴿وهو الذي كف أيديهم..﴾. [مسلم: الجهاد والسير، باب: قول الله تعالى: ﴿وهو الذي كف أيديهم..﴾ رقم: ١٨٠٨. الترمذي: التفسير، باب: ومن سورة الفتح، رقم: ٣٢٦٠. أبو داود: الجهاد، باب: في المن على الأسير بغير فداء، رقم: ٢٦٨٨].

[يريدون غرة..: يقصدون أن يغتنموا انشغاله في شأنه ليغيروا عليه وينالوا منه. فاستحياهم: أبقاهم أحياء، وفي رواية: فأعتقهم].

سبب نزول الآية [٢٥]: قال السيوطي: أخرج الطبراني وأبو يعلى عن أبي جمعة جنيد بن سبع رضي الله عنه قال: قاتلت النبيّ ﷺ أوّل النهار كافراً، وقاتلت معه آخر النهار مسلماً، وكنا ثلاثة رجال وسبع نسوة، وفينا نزلت: ﴿ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات﴾.

الحمية ﴾ الأنفة من الشيء ﴿ حمية الجاهلية ﴾(١) بدل من الحمية، وهي صدهم النبي ﷺ وأصحابه عن المسجد الحرام ﴿ فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين ﴾(٢) فصالحوهم على أن يعودوا من قابل(٣)، ولم يلحقهم من الحمية ما لحق الكفار حتى يقاتلوهم ﴿ وألزمهم ﴾ أي المؤمنين ﴿ كلمة التقوى ﴾ وهي لا إله إلا الله محمد رسول الله، وأضيفت إلى التقوى لأنها سببها ﴿ وكانوا أحق بها ﴾ بالكلمة من الكفار ﴿ وأهلها ﴾ عطف تفسيري(٤) ﴿ وكان الله بكل شيء عليماً ﴾ أي لم يزل متصفاً بذلك، ومن معلومه تعالى أنهم أهلها.

٢٧ ﴿ لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق ﴾ رأى رسول الله ﷺ في النوم عام الحديبية قبل خروجه أنه يدخل مكة هو وأصحابه ويحلقون ويقصرون، فأخبر بذلك أصحابه ففرحوا واستبشروا، فلما خرجوا معه وصدهم الكفار بالحديبية ورجعوا وشق عليهم ذلك، وراب بعض المنافقين(٥)، نزلت. وقوله بالحق متعلق بصدق، أو حال من الرؤيا، وما بعدها تفسيرها ﴿ لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله ﴾ للتبرك(٦) ﴿ آمنين محلقين رؤوسكم ﴾ أي جميع شعورها ﴿ ومقصرين ﴾ بعض شعورها، وهما حالان مقدرتان ﴿ لا تخافون ﴾ أبداً ﴿ فعلم ﴾ في الصلح ﴿ ما لم تعلموا ﴾ من الصلاح ﴿ فجعل من دون ذلك ﴾ أي الدخول ﴿ فتحاً قريباً ﴾ هو فتح خيبر، وتحققت الرؤيا في العام القابل.

ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ
وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا
وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ
رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ
ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ
فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾
هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى
ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ
وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ
رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ
فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ
وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ

٢٨ ﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره ﴾ أي دين الحق ﴿ على الدين كله ﴾ على جميع باقي الأديان ﴿ وكفى بالله شهيداً ﴾ أنك مرسل بما ذكر، كما قال الله تعالى:

٢٩ ﴿ محمد ﴾ مبتدأ ﴿ رسول الله ﴾ خبره ﴿ والذين معه ﴾ أي أصحابه من المؤمنين، مبتدأ خبره ﴿ أشداء ﴾ غلاظ ﴿ على الكفار ﴾ لا يرحمونهم ﴿ رحماء بينهم ﴾ خبر ثانٍ، أي متعاطفون متوادون كالوالد مع الولد ﴿ تراهم ﴾ تبصرهم ﴿ ركعاً سجداً ﴾ حالان ﴿ يبتغون ﴾ مستأنف(٧)، يطلبون ﴿ فضلاً(٨) من الله ورضواناً سيماهم ﴾ علامتهم، مبتدأ ﴿ في وجوههم ﴾ خبره، وهو نور وبياض يعرفون به بالآخرة أنهم سجدوا في الدنيا ﴿ من أثر السجود ﴾ متعلق بما تعلق به الخبر، أي كائنة، وأعرب حالاً من ضميره(٩) المنتقل إلى الخبر(١٠) ﴿ ذلك ﴾ الوصف المذكور ﴿ مثلهم ﴾ صفتهم، مبتدأ ﴿ في التوراة ﴾ خبره ﴿ ومثلهم في الإنجيل ﴾ مبتدأ، خبره ﴿ كزرع أخرج شطأه ﴾ بسكون الطاء وفتحها، فراخه(١١) ﴿فآزره﴾ بالمد والقصر(١٢)، قواه وأعانه

---

(١) التي مدارها التكبر والتعاظم بحق أم بغير حق، ومبناها على التشفي والغضب لغير الله عزّ وجلّ.

(٢) الطمأنينة والرضا بما فعله رسول الله ﷺ.

(٣) أي العام الذي بعد عامهم هذا.

(٤) لأحق بها.

(٥) أي ارتابوا وشكوا في قول النبي ﷺ.

(٦) أي التعليق بالمشيئة للتبرك وليس لحقيقة التعليق.

(٧) أي كأنه قيل: ماذا يبتغون من إكثارهم الركوع والسجود ومواظبتهم على العبادة؟ فأجيب: يبتغون..

(٨) ثواباً وأجراً.

(٩) ما تعلق به الخبر هو كائنة، وضميرها هو المستكن فيها، وتقديره: هي، والتقدير: سيماهم كائنة في وجوههم حال كونها من أثر السجود..

(١٠) وهو الجار والمجرور ﴿في وجوههم﴾.

(١١) في القاموس المحيط: الشطْء - ويحرك - فراخ النخل والزرع أو ورقه،.. ومن الشجر ما خرج حول أصله.. وأشطأ الرجل بلغ ولده فصار مثله.

(١٢) أي ﴿فأزره﴾ وهما قراءتان متواترتان، والمعنى واحد.

سبب نزول الآية [٢٧]: قال السيوطي: أخرج الفريابي وعبد بن حميد والبيهقي في [الدلائل] عن مجاهد قال: أري النبيّ ﷺ وهو بالحديبية أنه يدخل مكة هو وأصحابه، آمنين محلقين رؤوسهم ومقصرين، فلما نحر الهدي بالحديبية قال أصحابه: وأين رؤياك يا رسول الله؟ فنزلت: ﴿ لقد صدق الله رسوله الرؤيا ﴾ الآية. [السيوطي].

﴿ فاستغلظ ﴾ غلظ ﴿ فاستوى ﴾ قوي واستقام ﴿ على سوقه ﴾ أصوله، جمع ساق ﴿ يعجب الزراع ﴾ أي زراعه لحسنه، مثل الصحابة رضي الله عنهم بذلك لأنهم بدؤوا في قلة وضعف، فكثروا وقووا على أحسن الوجوه ﴿ ليغيظ بهم الكفار ﴾ متعلق بمحذوف دل عليه ما قبله، أي شبهوا بذلك(١) ﴿ وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم ﴾ أي الصحابة، ومن لبيان الجنس لا للتبعيض، لأنهم كلهم بالصفة المذكورة ﴿ مغفرة وأجراً عظيماً ﴾ الجنة، وهما لمن بعدهم أيضاً في آيات(٢)، وقد مَنَّ الله عليهم، ولله الحمد والمِنَّة.

(سورة الحجرات)

(مدنية وآياتها ١٨)

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا ﴾ من قدم بمعنى تقدم، أي لا تقدموا بقول ولا فعل ﴿ بين يدي الله ورسوله ﴾ المبلغ عنه، أي بغير إذن ﴿ واتقوا الله إن الله سميع ﴾لقولكم ﴿ عليم ﴾ بفعلكم(٣)،نزلت في مجادلة أبي بكروعمر رضي الله عنهما عند النبي ﷺ في تأمير الأقرع بن حابس أو القعقاع بن معبد.ونزل فيمن رفع صوته عند النبي ﷺ:

٢ ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم ﴾ إذا نطقتم ﴿ فوق صوت النبي ﴾ إذا نطق ﴿ ولا تجهروا له بالقول ﴾ إذا ناجيتموه ﴿ كجهر بعضكم لبعض ﴾ بل دون ذلك، إجلالاً له ﴿ أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون ﴾ أي خشية ذلك، بالرفع والجهر المذكورين. ونزل فيمن كان يخفض صوته عند النبي ﷺ كأبي بكر وعمر وغيرهما رضي الله عنهم: ٣ ﴿ إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن ﴾ اختبر ﴿ الله قلوبهم للتقوى ﴾أي لتظهر منهم﴿ لهم مغفرةوأجر عظيم ﴾ الجنة. ونزل في قوم جاؤوا وقت الظهيرة،

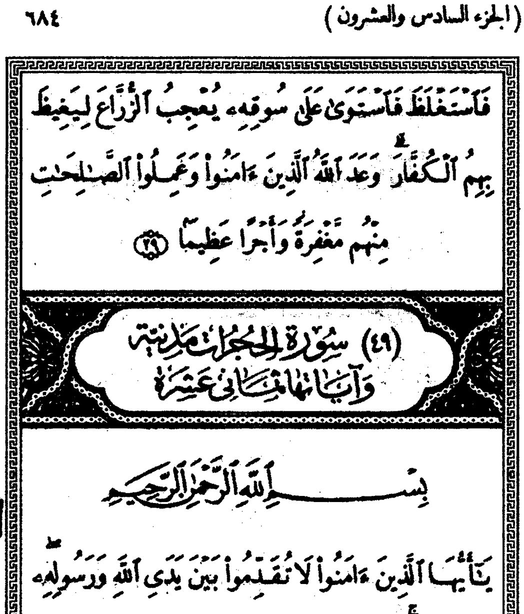
(الجزء السادس والعشرون) ٦٨٤

فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ
بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾

(٤٩) سُورَةُ الحُجُرَاتِ مَدَنِيَّة
وَآيَاتُهَا ثَمَانِي عَشْرَة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ
وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ
بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ
لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ

---

(١) هذا هو المحذوف، والمعنى: شبهوا بذلك ليغيظ بهم الكفار.

(٢) أي ثبت الوعد بالمغفرة والجنة لمن بعد الصحابة من المؤمنين في آيات كثيرة.

(٣) قال ابن كثير في تفسير أوائل هذه السورة: هذه آداب أدب الله بها عباده المؤمنين فيما يعاملون به الرسول ﷺ من التوقير والاحترام والتبجيل والإعظام، فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله﴾ أي: لا تسرعوا في الأشياء بين يديه، أي قبله، بل كونوا تبعاً له في جميع الأمور، حتى يدخل في عموم هذا الأدب الشرعي حديث معاذ رضي الله عنه: قال له النَّبي ﷺ حين بعثه إلى اليمن: «بم تحكم». قال: بكتاب الله، قال: «فإن لم تجد». قال: بسنة رسول الله. قال: «فإن لم تجد ؟» قال: أجتهد رأيي. فضرب في صدره وقال: «الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله». وقد رواه أحمد[٥/ ٢٣٠] وأبو داود [الأقضية، باب: اجتهاد الرأي في القضاء] والترمذي [الأحكام، باب: ما جاء في القاضي كيف يقضي] وابن ماجه [لم أجده عنده، فلعله سهو من الشيخ رحمه الله تعالى]. فالغرض منه أنه أخر رأيه ونظره واجتهاده إلى ما بعد الكتاب والسنة، ولو قدمه قبل البحث عنهما لكان من باب التقديم بين يدي الله ورسوله.

سبب نزول الآيات [١ ـ ٢]: عن ابن أبي مليكة: أن عبد الله بن الزبير أخبره: أنه قدم ركب من بني تميم على رسول الله ﷺ، فقال أبو بكر: أمّر القعقاع بن معبد، وقال عمر: بل أمّر الأقرع بن حابس، فقال أبو بكر: ما أردت إلا خلافي، وقال عمر: ما أردت خلافك. فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما، فنزل في ذلك قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقدّموا بين يدي الله ورسوله﴾.

وقال ابن أبي مليكة: كاد الخيران أن يهلكا: أبو بكر وعمر، رفعا أصواتهما عند النبي ﷺ حين قدم عليه ركب بني تميم، فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس، وأشار الآخر برجل آخر، فقال أبو بكر لعمر: ما أردت إلا خلافي، وقال عمر: ما أردت خلافك. وارتفعت أصواتهما في ذلك، فأنزل الله تعالى: ﴿لا ترفعوا أصواتكم﴾ الآية. قال ابن الزبير: فما كان عمر يسمع رسول الله ﷺ بعد هذه الآية حتى يستفهمه.

[البخاري: التفسير، تفسير سورة الحجرات، رقم: ٤٥٦٤، ٤٥٦٦] فتماريا: تجادلا وتخاصما .

سبب نزول الآية [٣]: أخرج ابن جرير عن محمد بن ثابت بن قيس بن شماس قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبيّ﴾ قعد ثابت بن قيس في الطريق يبكي، فمرّ به عاصم بن عدي من بني العجلان، فقال: ما يبكيك يا ثابت؟ قال: لهذه الآية، أتخوّف أن تكون نزلت فيّ وأنا صيِّت رفيع الصوت. . . فرفع عاصم ذلك إلى رسول الله ﷺ فدعا به، فقال:(أما ترضى أن تعيش حميداً، وتقتل شهيداً، وتدخل

والنبي ﷺ في منزله، فنادوه: ٤ ﴿ إن الذين ينادونك من وراء الحجرات ﴾ حجرات نسائه ﷺ، جمع حجرة، وهي ما يحجر عليه من الأرض بحائط ونحوه، كأن كل واحد منهم نادى خلف حجرة، لأنهم لم يعلموه في أي حجرة، مناداة الأعراب بغلظة وجفاء ﴿ أكثرهم لا يعقلون ﴾ فيما فعلوه محلك الرفيع وما يناسبه من التعظيم.

٥ ﴿ ولو أنهم صبروا ﴾ أنهم⁽¹⁾ في محل رفع بالابتداء، وقيل: فاعل لفعل مقدر أي ثبت ﴿ حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم والله غفور رحيم ﴾ لمن تاب منهم.

ونزل في الوليد بن عقبة، وقد بعثه النبي ﷺ إلى بني المصطلق مصدقاً⁽²⁾، فخافهم لترة⁽³⁾ كانت بينه وبينهم في الجاهلية، فرجع وقال: إنهم منعوا الصدقة وهموا بقتله، فهم النبي ﷺ بغزوهم، فجاؤوا منكرين ما قاله عنهم:

٦ ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ ﴾ خبر ﴿ فتبينوا ﴾ صدقه من كذبه، وفي قراءة «فتثبتوا» من الثبات ﴿ أن تصيبوا قوماً ﴾ مفعول له، أي خشية ذلك ﴿ بجهالة ﴾ حال من الفاعل، أي وأنتم جاهلون ﴿ فتصبحوا ﴾ تصيروا ﴿ على ما فعلتم ﴾ من الخطأ بالقوم ﴿ نادمين ﴾ وأرسل ﷺ إليهم بعد عودهم إلى بلادهم خالداً، فلم يرَ فيهم إلا الطاعة والخير، فأخبر النبي ﷺ بذلك.

٧ ﴿ واعلموا أن فيكم رسول الله ﴾ فلا تقولوا الباطل، فإن الله يخبره بالحال ﴿لو يطيعكم في كثير من الأمر ﴾ الذي تخبرون به على خلاف الواقع، فيرتب على ذلك مقتضاه ﴿ لعنتم ﴾ لأثمتم دونه إثم التسبب إلى المرتب⁽⁴⁾ ﴿ ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه ﴾ حسنه ﴿ في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان ﴾ استدراك من حيث المعنى دون اللفظ، لأن من حبب إليه الإيمان الخ غايرت صفته صفة من تقدم ذكره⁽⁵⁾. ﴿ أولئك هم ﴾ فيه التفات عن الخطاب ﴿ الراشدون ﴾ الثابتون على دينهم.

٨ ﴿ فضلاً من الله ﴾ مصدر منصوب بفعله المقدر أي أفضل⁽⁶⁾ ﴿ ونعمة ﴾ منه ﴿ والله عليم ﴾ بهم ﴿ حكيم ﴾ في إنعامه عليهم.

٩ ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين ﴾ الآية نزلت في قضية، هي أن النبي ﷺ ركب حماراً ومر على ابن أبي، فبال الحمار، فسد ابن أبي أنفه، فقال ابن رواحة: والله لبول حماره أطيب ريحاً من مسكك. فكان بين قوميهما ضرب بالأيدي والنعال والسعف⁽⁷⁾ ﴿ اقتتلوا ﴾ جمع نظراً إلى المعنى، لأن كل طائفة جماعة. وقرىء «اقتتلتا»⁽⁸⁾ ﴿ فأصلحوا بينهما ﴾ ثني نظراً إلى اللفظ ﴿ فإن بغت ﴾ تعدت ﴿ أحداهما على

ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰۚ لَهُم
مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ
ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ حَتَّىٰ
تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن
تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾
وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ
ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ
فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَۚ
أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةًۚ
وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ
ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى

---

(1) أي أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر. وجاء في أسباب نزول الآية وما قبلها أن هؤلاء من بداة الأعراب، ومنهم الأقرع بن حابس.

(2) أي ليأتي بأموال الصدقة وهي الزكاة.

(3) عداوة. وأخرج هذا السبب أحمد في مسنده [٤/٢٧٩] عن الحارث بن ضرار الخزاعي رضي الله عنه.

(4) أي يقع عليكم إثم التسبب بما ترتب على خبركم.

(5) هذا جواب عن سؤال قد يرد، وهو: أن ﴿لكن﴾ ينبغي أن يكون ما بعدها مخالفاً لما قبلها نفياً وإثباتاً، وهذا الشرط لم يتحقق هنا، فأجاب بأن الاستدراك هنا حاصل من حيث المعنى، فوقعت ﴿ لكن ﴾ في موقعها.

(6) أي أفضل الله تعالى فضلاً.

(7) أغصان النخل إذا كان عليها ورقه.
وأخرج هذه القضية البخاري: أول كتاب الصلح، باب: ما جاء في الإصلاح بين الناس، رقم: ٢٥٤٥. مسلم: الجهاد والسير، باب: في دعاء النبي ﷺ وصبره على أذى المنافقين، رقم: ١٧٩٩.

(8) وهي قراءة شاذة.

الجنة). قال: رضيت ببشرى الله ورسوله، لا أرفع صوتي أبداً على صوت رسول الله ﷺ، فأنزل الله: ﴿إنَّ الذين يغضون أصواتهم﴾ الآية.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن النَّبي ﷺ افتقد ثابت بن قيس، فقال رجل: يارسول الله، أنا أعلم لك علمه. فأتاه فوجده جالساً في بيته، منكساً رأسه، فقال: ما شأنك؟ فقال: شر، كان يرفع صوته فوق صوت النَّبي ﷺ، فقد حبط عمله، وهو من أهل النار. فأتى الرجل فأخبره أنه قال: كذا وكذا. فقال موسى بن أنس: فرجع المرة الآخرة ببشارة عظيمة، فقال: «اذهب إليه فقل له: إنك لست من أهل النار» وفي رواية عند أحمد: «ولكن من أهل الجنة». قال أنس: فكنا نراه يمشي بين أظهرنا ونحن نعلم أنه من أهل الجنة، فلما كان يوم اليمامة كان فينا بعض الانكشاف، فجاء ثابت بن قيس بن شماس وقد

الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء ﴾ ترجع ﴿ إلى أمر الله ﴾ عز وجل، وهو الحق ﴿ فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل ﴾ بالإنصاف ﴿ وأقسطوا ﴾ إعدلوا ﴿ إن الله يحب المقسطين ﴾.

١٠ ﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾ في الدين ﴿ فأصلحوا بين أخويكم ﴾ إذا تنازعا، وقرىء «إخوتكم» بالفوقانية⁽¹⁾ ﴿ واتقوا الله لعلكم ترحمون ﴾.

١١ ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا يسخر ﴾ الآية نزلت في وفد تميم، حين سخروا من فقراء المسلمين كعمار وصهيب، والسخرية الازدراء والاحتقار ﴿ قوم ﴾ أي رجال منكم ﴿ من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ﴾ عند الله ﴿ ولا نساء منكم ﴿ من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ولا تلمزوا أنفسكم ﴾ لا تعيبوا فتعابوا، أي لا يعب بعضكم بعضاً ﴿ ولا تنابزوا بالألقاب ﴾ لا يدع بعضكم بعضاً بلقب يكرهه، ومنه: يا فاسق ويا كافر ﴿ بئس الاسم ﴾ أي المذكور من السخرية واللمز والتنابز ﴿ الفسوق بعد الإيمان ﴾ بدل من الاسم، لإفادته أنه فسق، لتكرره عادة⁽²⁾ ﴿ ومن لم يتب ﴾ من ذلك ﴿ فأولئك هم الظالمون ﴾.

١٢ ﴿ يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ﴾ أي مؤثم، وهو كثير، كظن السوء بأهل الخير من المؤمنين، وهم كثير، بخلافه بالفساق منهم، فلا إثم فيه في نحو ما يظهر منهم ﴿ ولا تجسسوا ﴾ حذف منه إحدى التاءين⁽³⁾، لا تتبعوا عورات المسلمين ومعايبهم بالبحث عنها⁽⁴⁾ ﴿ ولا يغتب بعضكم بعضاً ﴾ لا يذكره بشيء يكرهه وإن كان فيه⁽⁵⁾ ﴿ أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً ﴾ بالتخفيف والتشديد، أي لا يحسن به ﴿ فكرهتموه ﴾ أي فاغتيابه في حياته كأكل لحمه بعد مماته، وقد عرض عليكم الثاني فكرهتموه، فاكرهوا الأول ﴿ واتقوا الله ﴾ أي عقابه في الاغتياب، بأن تتوبوا منه ﴿ إن الله تواب ﴾ قابل توبة التائبين ﴿ رحيم ﴾ بهم.

(الجزء السادس والعشرون) ٦٨٦

ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن
فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ
ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ
أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿١٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا
مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ
وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ
ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا
مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب
بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا
فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا

---

(1) وهي شاذة.

(2) أي إن ما ذكر وإن كان صغيرة، لكن ارتكابه مفسق، لأنه يتكرر عادة من فاعله، وتكرار الصغيرة يصيرها كبيرة.

(3) أي أصله: تتجسسوا.

(4) أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تجسسوا ولا تحسسوا، ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا كما أمركم). [البخاري: الأدب، باب: ما ينهى عن التحاسد والتدابر، رقم: ٥٧١٧. مسلم: البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظن والتجسس والتنافس. . ، رقم: ٢٥٦٣]. [ولا تجسسوا ولا تحسسوا: قيل معناهما واحد، وقيل: التجسس التفتيش عن بواطن الأمور، وأكثر ما يقال في الشر، وبالحاء الاستماع إلى حديث الغير].

(5) أخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (أتدرون ما الغيبة) قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: (ذكرك أخاك بما يكره) قلت: وإن كان في أخي ما أقول؟ قال: (إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته) أي كذبت عليه وافتريت. [مسلم: البر والصلة والآداب، باب: تحريم الغيبة، رقم: ٢٥٨٩].

تحنط ولبس كفنه، فقال: بئسما تعودون أقرانكم. فقاتلهم حتى قتل. [البخاري: المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام، رقم: ٣٤١٧. مسند أحمد: ٣/ ١٣٧] [افتقد: أي لم يجده في القوم. رجل: هو سعد بن عبادة رضي الله عنه، وقيل غيره. منكساً رأسه: مطرقاً رأسه إلى الأرض على هيئة الحزين. وكان يرفع صوته: لأنه كان خطيب النبي ﷺ وخطيب الأنصار. حبط: ذهب أجره وبطل. أقرانكم: أمثالكم ونظراءكم].

سبب نزول الآية [١٢، ١٣]: عن أبي جبيرة بن الضحاك رضي الله عنه قال: كان الرجل منا يكون له الاسمان والثلاثة، فيدعى ببعضها، فعسى أن يكرهه، فنزلت: ﴿ولا تنابزوا بالألقاب﴾. قال الترمذي: حسن صحيح. وأخرج الحاكم وغيره من حديثه أيضاً قال: كانت الألقاب في الجاهلية، فدعا النبيّ ﷺ رجلاً منهم بلقبه، فقيل له: يا رسول الله إنه يكرهه، فأنزل الله: ﴿ولا تنابزوا بالألقاب﴾. ولفظ أحمد عنه قال: فينا نزلت في بني

١٣ ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ﴾ آدم وحواء ﴿ وجعلناكم شعوباً ﴾ جمع شعب بفتح الشين، هو أعلى طبقات النسب ﴿ وقبائل ﴾ هي دون الشعوب، وبعدها العمائر ثم البطون ثم الأفخاذ ثم الفصائل آخرها. مثاله خزيمة: شعب، كنانة: قبيلة، قريش: عمارة، بكسر العين. قصي: بطن، هاشم: فخذ، العباس: فصيلة. ﴿ لتعارفوا ﴾ حذف منه إحدى التاءين(١): ليعرف بعضكم بعضاً، لا لتفاخروا بعلو النسب، وإنما الفخر بالتقوى ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم ﴾ بكم ﴿ خبير ﴾ ببواطنكم.

١٤ ﴿ قالت الأعراب ﴾ نفر من بني أسد ﴿ آمنَّا ﴾ صدقنا بقلوبنا ﴿ قل ﴾ لهم ﴿ لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ﴾ أي انقدنا ظاهراً ﴿ ولما ﴾ أي لم ﴿ يدخل الإيمان في قلوبكم ﴾ إلى الآن، لكنه يتوقع منكم ﴿ وإن تطيعوا الله ورسوله ﴾ بالإيمان وغيره ﴿ لا يلتكم ﴾ بالهمز وتركه، وبإبداله ألفاً(٢)، لا ينقصكم ﴿ من أعمالكم ﴾ أي من ثوابها ﴿ شيئاً إن الله غفور ﴾ للمؤمنين ﴿ رحيم ﴾ بهم.

١٥ ﴿ إنما المؤمنون ﴾ الصادقون في إيمانهم كما صرح به بعد ﴿ الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا ﴾ لم يشكوا في الإيمان ﴿ وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ﴾ فجهادهم يظهر صدق إيمانهم ﴿ أولئك هم الصادقون ﴾ في إيمانهم، لا من قالوا آمنا ولم يظهر منهم غير الإسلام.

١٦ ﴿ قل ﴾ لهم ﴿ أتعلمون الله بدينكم ﴾ مضعف علم بمعنى شعر، أي أتشعرونه بما أنتم عليه في قولكم آمنا ﴿ والله يعلم ما في السماوات وما في الأرض والله بكل شيء عليم ﴾.

١٧ ﴿ يمنون(٣) عليك أن أسلموا ﴾ من غير قتال، بخلاف غيرهم ممن أسلم بعد قتال منهم ﴿ قل لا تمنوا عليّ إسلامكم ﴾ منصوب بنزع الخافض الباء، ويقدر قبل أن في الموضعين(٤) ﴿ بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين ﴾ في قولكم آمنا.

١٨ ﴿ إن الله يعلم غيب السماوات والأرض ﴾ أي ما غاب فيهما ﴿ والله بصير بما تعملون ﴾ بالتاء والياء، لا يخفى عليه شيء منه.

٦٨٧ (سورة الحجرات)

ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا
وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ
عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴿١٣﴾ ۞ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ
وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ
وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔاۚ
إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ
فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلۡ أَتُعَلِّمُونَ
ٱللَّهَ بِدِينِكُمۡ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ
وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ
قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ
هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ

---

(١) أصله: لتتعارفوا.

(٢) أي فالقراءات ثلاث متواترة: ﴿لا يألتكم﴾ و﴿لا يلتكم﴾ و﴿لا يالتكم﴾.

(٣) من المنة، وهي النعمة التي لا يطلب معطيها ثواباً عليها ممن بذلها إليه.

(٤) أي إن قوله ﴿أن أسلموا﴾ وقوله ﴿إسلامكم﴾ وقوله ﴿أن هداكم﴾ كل منها منصوب بنزع الخافض وهو الباء، والأصل: بأن أسلموا، وبإسلامكم، وبأن هداكم، وأنْ وما دخلت عليه في تأويل مصدر هو المنصوب، والتقدير: إسلامهم، وهدايتكم.

سلمة: ﴿ولا تنابزوا بالألقاب﴾ قدم النبي ﷺ المدينة وليس فينا رجل إلا وله اسمان أو ثلاثة، فكان إذ دعا أحداً منهم باسم من تلك الأسماء قالوا: يا رسول الله، إنه يغضب من هذا، فنزلت. [الترمذي: التفسير، باب: ومن سورة الحجرات، رقم: ٣٢٦٤. أبو داود: الأدب، باب: في الألقاب، رقم: ٤٩٦٢. المستدرك: التفسير، باب: تفسير سورة الحجرات: ٢/٤٦٣. مسند أحمد: ٤/٢٦٠. كما أخرجه النسائي وابن ماجه].

سبب نزول الآية [١٣]: عن ابن أبي مليكة قال: لما كان يوم الفتح رقى بلال على ظهر الكعبة فأذّن، فقال بعض الناس: أهذا العبد الأسود يؤذّن على ظهر الكعبة؟ فقال بعضهم: إن يسخط الله هذا يغيره، فأنزل الله: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى﴾ الآية. [السيوطي].

سبب نزول الآيات [١٤ ـ ١٨]: قال الواحدي: نزلت في أعراب من بني أسد بن خزيمة، قدموا على رسول الله ﷺ المدينة في سنة جدبة، وأظهروا الشهادتين ولم يكونوا مؤمنين في السر، وأفسدوا طرق المدينة بالعذرات، وأغلوا أسعارها، وكانوا يقولون لرسول الله ﷺ: أتيناك بالأثقال والعيال، ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان، فأعطنا من الصدقة. وجعلوا يمنون عليه، فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية.

[جدبة: قليلة الأمطار والخيرات. بالعذرات: جمع عَذِرة وهي خُرْء الإنسان].

وأخرج الطبراني بسند حسن، عن عبد الله بن أبي أوفى: أن ناساً من العرب قالوا: يا رسول الله، أسلمنا ولم نقاتلك وقاتلك بنو فلان. =

(سورة ق)

(مكيّة إلا: «ولقد خلقنا السماوات والأرض» الآية [٣٨] فمدنيّة وآياتها خمس وأربعون آية)

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿ ق ﴾ الله أعلم بمراده به(١) ﴿ والقرآن المجيد ﴾ الكريم(٢)، ما آمن كفار مكة بمحمد ﷺ(٣).

٢ ﴿ بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم ﴾ رسول من أنفسهم، يخوفهم بالنار بعد البعث ﴿ فقال الكافرون هذا ﴾ الإنذار ﴿ شيء عجيب ﴾.

٣ ﴿ ءإذا ﴾ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين ﴿ متنا وكنا تراباً ﴾ نرجع ﴿ ذلك رجع بعيد ﴾ في غاية البعد.

٤ ﴿ قد علمنا ما تنقص الأرض ﴾ تأكل ﴿ منهم وعندنا كتاب حفيظ ﴾ هو اللوح المحفوظ، فيه جميع الأشياء المقدرة.

٥ ﴿ بل كذبوا بالحق ﴾ بالقرآن ﴿ لما جاءهم فهم ﴾ في شأن النبي ﷺ والقرآن ﴿ في أمر مريج ﴾ مضطرب، قالوا مرة: ساحر وسحر، ومرة شاعر وشعر، ومرة كاهن وكهانة.

٦ ﴿ أفلم ينظروا ﴾ بعيونهم، معتبرين بعقولهم حين أنكروا البعث ﴿ إلى السماء ﴾ كائنة ﴿ فوقهم كيف بنيناها ﴾ بلا عمد ﴿ وزيناها ﴾ بالكواكب ﴿ وما لها من فروج ﴾ شقوق تعيبها.

٧ ﴿ والأرض ﴾ معطوف على موضع «إلى السماء»(٤) كيف ﴿ مددناها ﴾ دحوناها على وجه الماء(٥) ﴿ وألقينا فيها رواسي ﴾ جبالاً تثبتها(٦) ﴿ وأنبتنا فيها من كل زوج ﴾ صنف ﴿ بهيج ﴾ يبهج به(٧) لحسنه.

٨ ﴿ تبصرة ﴾ مفعول له، أي فعلنا ذلك تبصيراً منا ﴿ وذكرى ﴾ تذكيراً ﴿ لكل عبد منيب ﴾ رجاع إلى طاعتنا.

٩ ﴿ ونزلنا من السماء ماءً مباركاً ﴾ كثير البركة ﴿ فأنبتنا به جنات ﴾ بساتين ﴿ وحب ﴾ الزرع ﴿ الحصيد ﴾ المحصود.

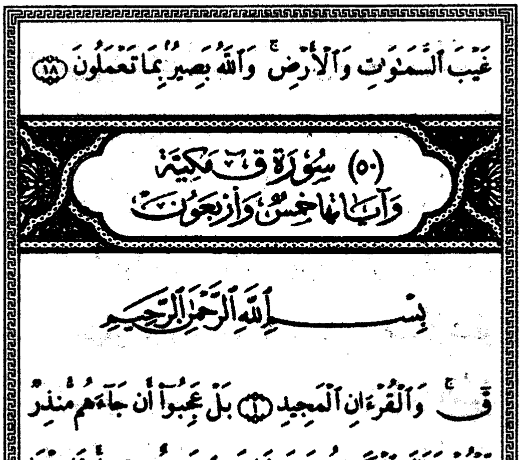

غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ⑱

(٥٠) سُورَةُ قٓ مَكِّيَّة
وَآيَاتُهَا خَمْسٌ وَأَرْبَعُونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ① بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ
مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ② أَءِذَا مِتْنَا
وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ③ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ
ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ④ بَلْ كَذَّبُوا۟
بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ⑤ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟
إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن
فُرُوجٍ ⑥ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ

---

(١) وانظر تفسير أول سورة البقرة.

(٢) الكثير الخير والبركة، فكل من طلب منه خيراً وجد مقصوده فيه.

(٣) قوله: ما آمن.. الخ جواب القسم ﴿والقرآن..﴾.

قال ابن كثير في تفسيره: واختلفوا في جواب القسم ما هو؟ فحكى ابن جرير عن بعض النحاة أنه قوله: ﴿قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ﴾. وفي هذا نظر، بل الجواب هو مضمون الكلام بعد القسم، وهو: إثبات النبوة وإثبات المعاد، وتقريره وتحقيقه، وإن لم يكن القسم متلقى لفظاً، وهذا كثير في أقسام القرآن، كما تقدم في قوله: ﴿صٓ. والقرآن ذي الذكر. بل الذين كفروا في عزة وشقاق﴾. وهكذا قال ها هنا: ﴿قٓ. والقرآن المجيد. بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب﴾ أي: تعجبوا من إرسال رسول إليهم من البشر، كقوله تعالى: ﴿أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس﴾ أي: وليس هذا بعجيب، فإن الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس.

(٤) وموضعه النصب على المفعولية، ولذلك نصب ﴿الأرض﴾.

(٥) بسطناها ومهدناها لتكون صالحة للعيش عليها والتقلب في أقطارها، والمراد بكونها على وجه الماء: أن الذي يعيش على أي بقعة من بقاعها لو حفر حتى وصل إلى أعماقها لوجد الماء، كما هو واضح ومعلوم.

(٦) جمع راسية، من رسا الشيء يرسو، إذا ثبت أصله ورسخ، فهو راسٍ وهي راسية، وأرساه: جعله ثابت الأصل.

(٧) أي يسر به.

فأنزل الله: ﴿يمُنون عليك أن أسلموا﴾ الآية.

وأخرج ابن سعد عن محمد بن كعب القرظي قال: قدم عشرة نفر من بني أسد على رسول الله ﷺ سنة تسع، وفيهم: طليحة بن خويلد ورسول الله ﷺ في المسجد مع أصحابه فسلموا، وقال متكلمهم: يا رسول الله، إنا شهدنا أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنك عبده ورسوله، وجئناك يا رسول الله ولم تبعث إلينا، ونحن لمن وراءنا سلم. فأنزل الله: ﴿يمنون عليك أن أسلموا﴾ الآية. وأخرج سعيد بن منصور في سننه، عن سعيد بن جبير قال: أتى قوم من الأعراب من بني أسد النبيَّ ﷺ، فقالوا: جئناك ولم نقاتلك، فأنزل الله: ﴿يمنون عليك أن أسلموا﴾ الآية. [السيوطي].

١٠ ﴿ والنخل باسقات ﴾ طوالاً، حال مقدرة(١) ﴿ لها طلع(٢) نضيد ﴾ متراكب بعضه فوق بعض.

١١ ﴿ رزقاً للعباد ﴾ مفعول له ﴿ وأحيينا به بلدة ميتاً ﴾ يستوي فيه المذكر والمؤنث(٣) ﴿ كذلك ﴾ مثل هذا الإحياء ﴿ الخروج ﴾ من القبور، فكيف تنكرونه؟ والاستفهام للتقرير، والمعنى: أنهم نظروا وعلموا ما ذكر.

١٢ ﴿ كذبت قبلهم قوم نوح ﴾ تأنيث الفعل لمعنى قوم(٤) ﴿ وأصحاب الرس ﴾ هي بئر كانوا مقيمين عليها بمواشيهم يعبدون الأصنام، ونبيهم قيل حنظلة بن صفوان، وقيل غيره ﴿ وثمود ﴾ قوم صالح.

١٣ ﴿ وعاد ﴾ قوم هود ﴿ وفرعون وإخوان لوط ﴾.

١٤ ﴿ وأصحاب الأيكة ﴾ الغيضة(٥)، قوم شعيب ﴿ وقوم تبع ﴾ هو ملك كان باليمن، أسلم ودعا قومه إلى الإسلام فكذبوه ﴿ كل ﴾ من المذكورين ﴿ كذب الرسل ﴾ كقريش ﴿ فحق وعيد ﴾ وجب نزول العذاب على الجميع، فلا يضيق صدرك من كفر قريش بك.

١٥ ﴿ أفعيينا بالخلق الأول ﴾ أي لم نعي به، فلا نعيا بالإعادة(٦) ﴿ بل هم في لبس ﴾ شك ﴿ من خلق جديد ﴾ وهو البعث.

وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ﴿٧﴾ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ
عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ﴿٨﴾ وَنَزَّلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ مُّبَٰرَكٗا فَأَنۢبَتۡنَا
بِهِۦ جَنَّٰتٖ وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا
طَلۡعٞ نَّضِيدٞ ﴿١٠﴾ رِّزۡقٗا لِّلۡعِبَادِۖ وَأَحۡيَيۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ
كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ ﴿١١﴾ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَأَصۡحَٰبُ
ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٞ وَفِرۡعَوۡنُ وَإِخۡوَٰنُ لُوطٖ ﴿١٣﴾
وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ وَقَوۡمُ تُبَّعٖۚ كُلّٞ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ
وَعِيدِ ﴿١٤﴾ أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِۚ بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ
خَلۡقٖ جَدِيدٖ ﴿١٥﴾ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ
بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ ﴿١٦﴾
إِذۡ يَتَلَقَّى ٱلۡمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٞ ﴿١٧﴾
مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتۡ

١٦ ﴿ ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ﴾ حال بتقدير نحن(٧) ﴿ ما ﴾ مصدرية ﴿ توسوس ﴾ تحدث ﴿ به ﴾ الباء زائدة أو للتعدية(٨)، والضمير للإنسان(٩) ﴿ نفسه ونحن أقرب إليه ﴾ بالعلم ﴿ من حبل الوريد ﴾ الإضافة للبيان، والوريدان: عرقان بصفحتي العنق(١٠).

١٧ ﴿ إذ ﴾ منصوبة باذكر مقدراً(١١) ﴿ يتلقى ﴾ يأخذ ويثبت ﴿ المتلقيان ﴾ الملكان الموكلان بالإنسان، ما يعمله ﴿ عن اليمين وعن الشمال ﴾ منه ﴿ قعيد ﴾ أي قاعدان، وهو مبتدأ خبره ما قبله(١٢).

١٨ ﴿ ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب ﴾ حافظ ﴿ عتيد ﴾ حاضر، وكل منهما بمعنى المثنى(١٣).=

---

(١) أي لأنها وقت الإنبات لم تكن كذلك، وإنما مقدر فيها هذا.

(٢) ثمر يطلع ويظهر، ويسمى طلعاً قبل أن يتشقق.

(٣) أي لفظ ﴿ ميتا ﴾ يستوي فيه المذكر والمؤنث، ولذلك وصفت به ﴿ بلدة ﴾ مع تانيثها، والصواب أن الذي يستوي فيه المذكر والمؤنث وزن فعيل لا وزن فعْل، وإنما ذكر هنا مع كونه وصفاً لبلدة باعتبارها بلداً أو مكاناً.

(٤) لأنه بمعنى أمة وجماعة.

(٥) وهي الشجر الملتف بعضه على بعض.

(٦) من عيي بالأمر إذا قصد إليه فلم يهتدِ لوجهه وعجز عنه.

(٧) أي إن جملة ﴿نعلم﴾ خبر لمبتدأ مقدر والتقدير: نحن نعلم، وجملة نحن نعلم في محل نصب على الحال من ضمير الرفع في ﴿خلقنا﴾.

(٨) والمعنى على زيادة الباء: ونعلم وسوسة نفسه إياه، وعلى كونها للتعدية: ونعلم وسوسة نفسه له. ويصح أن تجعل ﴿ما﴾ اسماً موصولاً، والمعنى: ونعلم الأمر الذي تحدثه نفسه به.

(٩) لأن الإنسان مع نفسه كالشخصين اللذين تجري بينهما محادثة ومكالمة، فتارة هو يحدثها وتارة هي تحدثه، فيقال: حدثته نفسه بكذا، كما يقال: حدث نفسه بكذا.

(١٠) أي على جانبي العنق، ويقال لهما الودجان.

(١١) لأن إذ ظرف لما مضى من الزمن.

(١٢) أي قوله ﴿عن اليمين..﴾ فإنه متعلق بخبر محذوف تقديره قاعد أو كائن.

(١٣) أي كل من الرقيب والعتيد موصوف بما وصف به الآخر، والمعنى: ملكان، كل منهما حافظ للأعمال، وحاضر عند العبد لا يفارقه في نوم أو يقظة إلا حالة قضاء الحاجة أو الجماع. روى الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: (إياكم والتعري، فإن معكم من لا يفارقكم إلا عند الغائط، وحين يفضي الرجل إلى أهله، فاستحيوهم وأكرموهم) أي استحيوا منهم فلا تفعلوا الفواحش، وأكرموهم بما يرضيهم وهو طاعة الله عزّ وجلّ.
[الأدب، باب: ما جاء في الاستتار عند الجماع، رقم: ٢٨٠١].

١٩ ﴿وجاءت سكرة الموت﴾ غمرته(١) وشدته ﴿بالحق﴾ من أمر الآخرة حتى يراها المنكر لها عياناً، وهو نفس الشدة(٢) ﴿ذلك﴾ الموت ﴿ما كنت منه تحيد﴾ تهرب وتفزع.

٢٠ ﴿ونفخ في الصور﴾ للبعث ﴿ذلك﴾ أي يوم النفخ ﴿يوم الوعيد﴾ للكفار بالعذاب.

٢١ ﴿وجاءت﴾ فيه ﴿كل نفس﴾ إلى المحشر ﴿معها سائق﴾ ملك يسوقها إليه ﴿وشهيد﴾ يشهد عليها بعملها، وهو الأيدي والأرجل وغيرها. ويقال للكافر: ٢٢ ﴿لقد كنت﴾ في الدنيا ﴿في غفلة من هذا﴾ النازل بك اليوم ﴿فكشفنا عنك غطاءك﴾ أزلنا غفلتك بما تشاهده اليوم ﴿فبصرك اليوم حديد﴾ حاد، تدرك به ما أنكرته في الدنيا.

٢٣ ﴿وقال قرينه﴾ الملك الموكل به ﴿هذا ما﴾ أي الذي ﴿لدي عتيد﴾ حاضر. فيقال لمالك(٣):

٢٤ ﴿ألقيا في جهنم﴾ ألق ألق، أو ألقينْ(٤)، وبه قرأ الحسن(٥)، فأبدلت النون ألفاً ﴿كل كفار عنيد﴾ معاند للحق.

٢٥ ﴿مناع للخير﴾ كالزكاة ﴿معتد﴾ ظالم ﴿مريب﴾ شاكٍ في دينه.

٢٦ ﴿الذي جعل مع الله إلهاً آخر﴾ مبتدأ ضمن معنى الشرط (٦)، خبره ﴿فألقياه في العذاب الشديد﴾ تفسيره مثل ما تقدم(٧).

٢٧ ﴿قال قرينه﴾ الشيطان ﴿ربنا ما أطغيته﴾ أضللته ﴿ولكن كان في ضلال بعيد﴾ فدعوته، فاستجاب لي وقال: هو أطغاني بدعائه لي.

٢٨ ﴿قال﴾ تعالى ﴿لا تختصموا لدي﴾ أي ما ينفع الخصام هنا ﴿وقد قدمت إليكم﴾ في الدنيا ﴿بالوعيد﴾ بالعذاب في الآخرة لو لم تؤمنوا، ولا بد منه.

٢٩ ﴿ما يبدل﴾ يغير ﴿القول لدي﴾ في ذلك ﴿وما أنا بظلام للعبيد﴾ فأعذبهم بغير جرم. وظلام بمعنى ذي ظلم، لقوله «لا ظلم اليوم»/ غافر: ١٧/.

٣٠ ﴿يوم﴾ ناصبه ظلّام ﴿نقول﴾ بالنون والياء(٨) ﴿لجهنم هل امتلأت﴾ استفهام تحقيق (٩)، لوعده بملئها(١٠) ﴿وتقول﴾ بصورة الاستفهام كالسؤال(١١) ﴿هل من مزيد﴾ أي لا أسع غير ما امتلأت به، أي قد امتلأت(١٢).

٣١ ﴿وأزلفت الجنة﴾ قربت ﴿للمتقين﴾ مكاناً ﴿غير بعيد﴾ منهم، فيرونها، ويقال لهم:

سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾
وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ
نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ
هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾
وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ
كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى
جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾
۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ
بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم
بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ
لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ
مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾

---

(١) زحمته. (٢) أي أمر الآخرة وما فيها من أهوال هو الشدة التي يأتي بها الموت. (٣) خازن النار.

(٤) لما جعل المفسر الخطاب في ﴿ألقيا﴾ للواحد ـ وهو مالك خازن النار ـ احتاج للجواب عن التثنية في اللفظ ﴿ألقيا﴾ فأجاب بجوابين:

الأول: أنه تثنية بحسب الصورة، والأصل أن الفعل مكرر للواحد، وهو ما قدره بقوله: ألق ألق، فحذف الفعل الثاني وعبر عنه بضمير التثنية، وعلى هذا يعرب على أنه مبني على حذف النون، والألف فاعل.

والجواب الثاني: أن الألف ليست للتثنية، وإنما هي منقلبة عن نون التوكيد الخفيفة، وأجري الوصل في القراءة مجرى الوقف، وعليه فالفعل مبني على الفتح، لاتصاله بنون التوكيد. (٥) وهي قراءة شاذة. (٦) أي ولذلك اقترن خبره بالفاء. (٧) أي تفسير ﴿فألقياه﴾ من حيث التثنية. (٨) ﴿يقول﴾ أي الله تعالى. (٩) أي يقال لها ذلك لتقر بأنها قد امتلأت.

(١٠) في قولها تعالى: ﴿لأملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين﴾ /هود: ١١٩/ و/ السجدة: ١٣/.

(١١) أي تجيب جواباً بصورة الاستفهام، ليكون مطابقاً للسؤال، وهو: ﴿هل امتلات﴾ فقوله ﴿هل من مزيد﴾ جواب، فهو خبر وإن كان في صورة الإنشاء.

(١٢) وعلى هذا التفسير يكون ﴿هل من مزيد﴾ استفهاماً إنكارياً. وقيل: هو استفهام حقيقي، وهو بمعنى الاستزادة، ولعل هذا المعنى أرجح، وهو الذي يوافق الحديث المتفق عليه، الذي رواه أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول: هل من مزيد، حتى يضع رب العزة فيها قدمه، فيزوي بعضها إلى بعض، وتقول: قط قط، بعزتك وجلالك. ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشىء الله لها خلقاً، فيسكنهم فضل الجنة) [البخاري: الأيمان والنذور، باب الحلف بعزة الله وصفاته وكلماته، رقم: ٦٢٨٤. مسلم: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: النار يدخلها الجبارون. . ، رقم: ٢٨٤٨]. [فيضع. . : الله تعالى أعلم بحقيقة تلك القدم ومعنى ذلك الوضع، ولا شك أنها قدم لا تشبه ما هو معروف لدى المخلوقات، وأنه وضع يختلف عن وضعهم. فيزوي: يجتمع، فتنقبض على من فيها. قط: حسبي].

٣٢ ﴿ هذا ﴾ المرئي ﴿ ما توعدون ﴾ بالتاء والياء، في الدنيا. ويبدل من «للمتقين» قوله: ﴿ لكل أواب ﴾ رجاع إلى طاعة الله عز وجل ﴿ حفيظ ﴾ حافظ لحدوده.

٣٣ ﴿ من خشي الرحمن بالغيب ﴾ خافه ولم يره ﴿ وجاء بقلب منيب ﴾ مقبل على طاعته. ويقال للمتقين أيضاً:

٣٤ ﴿ ادخلوها بسلام ﴾ أي سالمين من كل خوف، أو مع سلام، أي سلموا وادخلوا ﴿ ذلك ﴾ اليوم الذي حصل فيه الدخول ﴿ يوم الخلود ﴾ الدوام في الجنة.

٣٥ ﴿ لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد ﴾ زيادة على ما عملوا وطلبوا.

٣٦ ﴿ وكم أهلكنا قبلهم من قرن ﴾ أي أهلكنا قبل كفار قريش قروناً كثيرة من الكفار⁽١⁾ ﴿ هم أشد منهم بطشاً ﴾ قوة ﴿ فنقبوا ﴾ فتشوا⁽٢⁾ ﴿ في البلاد هل من محيص ﴾⁽٣⁾ لهم أو لغيرهم من الموت⁽٤⁾؟ فلم يجدوا.

٣٧ ﴿ إن في ذلك ﴾ المذكور ﴿ لذكرى ﴾ لعظة ﴿ لمن كان له قلب ﴾ عقل ﴿ أو ألقى السمع ﴾ استمع الوعظ ﴿ وهو شهيد ﴾ حاضر بالقلب.

هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ
ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ
ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا
مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم
بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ
لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾
وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ
وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ
بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾
وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ
يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ
بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ

٣٨ ﴿ ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ﴾ أولها الأحد، وآخرها الجمعة ﴿ وما مسنا من لغوب ﴾ تعب، نزل رداً على اليهود في قولهم: إن الله استراح يوم السبت. وانتفاء التعب عنه لتنزهه تعالى عن صفات المخلوقين، ولعدم المماسة بينه وبين غيره⁽٥⁾ «إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون» /يس: ١٨٢/.

٣٩ ﴿ فاصبر ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿ على ما يقولون ﴾ أي اليهود وغيرهم من التشبيه والتكذيب ﴿ وسبح بحمد ربك ﴾ صل حامداً ﴿ قبل طلوع الشمس ﴾ أي صلاة الصبح ﴿ وقبل الغروب ﴾ أي صلاة الظهر والعصر.

٤٠ ﴿ ومن الليل فسبحه ﴾ أي صل العشائين ﴿ وأدبار السجود ﴾ بفتح الهمزة جمع دُبُر، وكسرها مصدر أدبر، أي صل النوافل المسنونة عقب الفرائض⁽٦⁾. وقيل: المراد حقيقة التسبيح في هذه الأوقات، ملابساً للحمد⁽*⁾.

٤١ ﴿ واستمع ﴾ يا مخاطب مقولي ﴿ يوم يناد المناد ﴾ هو إسرافيل ﴿ من مكان قريب ﴾ من السماء، وهو صخرة بيت المقدس، أقرب موضع من الأرض إلى السماء، يقول: أيتها العظام البالية، والأوصال⁽٧⁾ المتقطعة، واللحوم المتمزقة، والشعور المتفرقة، إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء.

٤٢ ﴿ يوم ﴾ بدل من يوم قبله ﴿ يسمعون ﴾ أي الخلق كلهم ﴿ الصيحة بالحق ﴾ بالبعث، وهي النفخة الثانية من إسرافيل، ويحتمل أن تكون قبل ندائه وبعده ﴿ ذلك ﴾ أي يوم النداء والسماع ﴿ يوم الخروج ﴾ من القبور، وناصب «يوم ينادي» مقدر، أي يعلمون عاقبة تكذيبهم.

٤٣ ﴿ إنا نحن نحيي ونميت وإلينا المصير ﴾.

---

(١) القرن الجيل من الناس.

(٢) نقب في البلاد سار فيها، أو سار فيها طالباً للهرب.

(٣) مهرب. (٤) أو من أمر الله تعالى وعقابه.

(٥) أي إنه سبحانه حين يخلق شيئاً لا يكون بينه وبينه مماسة ومباشرة وعلاج، والتعب إنما يحصل من ذلك.

(٦) روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: حفظت من النبي ﷺ عشر ركعات: ركعتين قبل الظهر وركعتين بعدها، وركعتين بعد المغرب في بيته، وركعتين بعد العشاء في بيته، وركعتين قبل صلاة الصبح، كانت ساعة لا يدخل على النبي ﷺ فيها. [البخاري: التطوع، باب: الركعتان قبل الظهر، رقم: ١١٢٦. مسلم: صلاة المسافرين وقصرها، باب: جواز النافلة قائماً وقاعداً، رقم: ٧٢٩].

(٧) العروق، أو المفاصل.

(*) روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أمر رسول الله ﷺ أن يسبح في أدبار الصلوات كلها. يعني قوله ﴿وأدبار السجود﴾. وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من سبح الله في دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين، وحمد الله ثلاثاً وثلاثين، وكبر الله ثلاثاً

سبب نزول الآية [٣٨]: أخرج الحاكم وصححه، عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن اليهود أتت رسول الله ﷺ فسألته عن خلق السموات

٤٤ ﴿ يوم ﴾ بدل من يوم قبله، وما بينهما اعتراض ﴿ تشقق ﴾ بتخفيف الشين، وتشديدها بإدغام التاء الثانية في الأصل فيها(١) ﴿ الأرض عنهم سراعاً ﴾ جمع سريع، حال من مقدر، أي فيخرجون مسرعين ﴿ ذلك حشر علينا يسير ﴾ فيه فصل بين الموصوف والصفة بمتعلقها للاختصاص(٢)، وهو لا يضر. وذلك إشارة إلى معنى الحشر المخبر به عنه، وهو: الإحياء بعد الفناء، والجمع للعرض والحساب.

٤٥ ﴿ نحن أعلم بما يقولون ﴾ أي كفار قريش ﴿ وما أنت عليهم بجبار ﴾ تجبرهم على الإيمان، وهذا قبل الأمر بالجهاد(٣) ﴿فذكر بالقرآن من يخاف وعيد﴾ وهم المؤمنون بالله تعالى.

(سورة الذاريات)

(مكية وآياتها ٦٠)

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿ والذاريات ﴾ الرياح تذرو التراب وغيره ﴿ ذرواً ﴾ مصدر، ويقال: تذريه ذرياً تهب به.

٢ ﴿ فالحاملات ﴾ السحب تحمل الماء ﴿ وقراً ﴾ ثقلاً، مفعول الحاملات (٤).

٣ ﴿ فالجاريات ﴾ السفن تجري على وجه الماء ﴿ يسراً ﴾ بسهولة، مصدر في موضع الحال، أي ميسرة.

٤ ﴿ فالمقسمات أمراً ﴾ الملائكة تقسم الأرزاق والأمطار وغيرها بين البلاد والعباد (٥).

٥ ﴿ إنما توعدون ﴾ ما مصدرية، أي إن وعدهم بالبعث وغيره ﴿ لصادق ﴾ لوعد صادق.

٦ ﴿وإن الدين﴾ الجزاء بعد الحساب ﴿لواقع﴾ لا محالة.

٧ ﴿ والسماء ذات الحبك ﴾ جمع حبيكة، كطريقة وطرق، أي صاحبة الطرق في الخلقة كالطرق في الرمل(٦).

٨ ﴿ إنكم ﴾ يا أهل مكة في شأن النبي ﷺ والقرآن ﴿ لفي قول مختلف ﴾ قيل: شاعر، ساحر، كاهن، شعر، سحر، كهانة.

٩ ﴿ يؤفك ﴾ يصرف ﴿ عنه ﴾ عن النبي ﷺ والقرآن، أي عن الإيمان بهما ﴿ من أفك ﴾ صرف عن الهداية في علم الله تعالى(٧).

١٠ ﴿ قتل الخراصون ﴾ لعن الكذابون أصحاب القول المختلف.

١١ ﴿ الذين هم في غمرة ﴾ جهل يغمرهم

وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا
ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا
أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾

(٥١) سُورَةُ الذَّارِيَاتِ مَكِّيَّةٌ
وَآيَاتُهَا سِتُّونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا ﴿١﴾ فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَٱلْجَٰرِيَٰتِ
يُسْرًا ﴿٣﴾ فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ
لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ﴿٦﴾ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ
ٱلْحُبُكِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ
مَنْ أُفِكَ ﴿٩﴾ قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ

ثلاثا وثلاثين، فذلك تسعة وتسعون، ثم قال تمام المائة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيءٍ قدير، غفرت ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر) أي رغوته التي تكون على سطحه. [البخاري: التفسير/قّ، باب: ﴿وسبح بحمد ربك . .﴾ رقم: ٤٥٧. مسلم: المساجد ومواضع الصلاة، باب: استحباب الذكر بعد الصلاة . . ، رقم: ٥٩٧].

(١) وقراءة التشديد ﴿تشَّقَّق﴾ وأصلها: تتشقق.

(٢) أي فصل بين الموصوف ﴿حشر﴾ وصفته ﴿يسير﴾ بما يتعلق بالصفة وهو ﴿علينا﴾ لبيان أن هذا اليسر خاص به تعالى ولا يكون لغيره.

(٣) أي فكان مأموراً بالعفو والصفح وعدم القتال، وأما بعد الأمر به فصار الواجب قتالهم إن امتنعوا عن الإسلام.

(٤) أي السحب تحمل ثقلاً من الماء.

(٥) كما أمروا من خالق الأرزاق والبلاد والعباد.

(٦) أي في السماء طرق محسوسة كطرق الأرض، وهي مسارات الكواكب. أو المراد: ذات الزينة التي حبكت بالنجوم.

(٧) أي من علم الله تعالى في الأزل: أنه سيكون منه انصراف عن الهداية باتباعه هواه، واستيلاء شهواته وشيطانه عليه.

والأرض، فقال: (خلق الله الأرض يوم الأحد والاثنين، وخلق الله الجبال يوم الثلاثاء، وما فيهنّ من منافع، وخلق يوم الأربعاء: الشجر والماء والمدائن والعمران والخراب، فهذه أربعة . . وخلق يوم الخميس السماء، وخلق يوم الجمعة: النجوم والشمس والقمر والملائكة إلى ثلاث ساعات بقين منه، فخلق في أوّل ساعة من هذه الثلاث الساعات: الآجال، حين يموت من مات، وفي الثانية: ألقى الآفة على كلّ شيء مما ينتفع به

﴿ ساهون ﴾ غافلون عن أمر الآخرة.
١٢ ﴿ يسألون ﴾ النبي ﷺ استفهام استهزاء ﴿ أيان يوم الدين ﴾ أي متى مجيئه؟ وجوابهم: يجيء.
١٣ ﴿ يوم هم على النار يفتنون ﴾ أي يعذبون فيها. ويقال لهم حين التعذيب:
١٤ ﴿ ذوقوا فتنتكم ﴾ تعذيبكم ﴿ هذا ﴾ التعذيب ﴿ الذي كنتم به تستعجلون ﴾ في الدنيا استهزاءً.
١٥ ﴿ إن المتقين في جنات ﴾ بساتين ﴿ وعيون ﴾ تجري فيها.
١٦ ﴿ آخذين ﴾ حال من الضمير في خبر إن ﴿ ما آتاهم ﴾ أعطاهم ﴿ ربهم ﴾ من الثواب ﴿ إنهم كانوا قبل ذلك ﴾ أي دخولهم الجنة ﴿ محسنين ﴾ في الدنيا.
١٧ ﴿ كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون ﴾ ينامون، وما زائدة، ويهجعون خبر كان، وقليلاً ظرف زمان، أي: ينامون في زمن يسير من الليل، ويصلون أكثره.
١٨ ﴿ وبالأسحار[1] هم يستغفرون ﴾ يقولون: اللهم اغفر لنا[2].

سَاهُونَ ﴿١١﴾ يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٢﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى
ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم
بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾
ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ
مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾
وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ
وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾
وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ
وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ
مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ
إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ
سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ

١٩ ﴿وفي أموالهم حق للسائل والمحروم﴾ الذي لا يسأل لتعففه.
٢٠ ﴿ وفي الأرض ﴾ من الجبال والبحار والأشجار والثمار والنبات وغيرها ﴿ آيات ﴾ دلالات على قدرة الله سبحانه وتعالى ووحدانيته ﴿ للموقنين ﴾.
٢١ ﴿ وفي أنفسكم ﴾ آيات أيضاً، من مبدأ خلقكم إلى منتهاه، وما في تركيب خلقكم من العجائب ﴿ أفلا تبصرون ﴾ ذلك، فتستدلوا به على صانعه وقدرته.
٢٢ ﴿ وفي السماء رزقكم ﴾ أي المطر المسبب عنه النبات الذي هو رزق ﴿ وما توعدون ﴾ من المآب والثواب والعقاب، أي مكتوب ذلك في السماء.
٢٣ ﴿ فورب السماء والأرض إنه ﴾ أي ما توعدون ﴿ لحق مثل ما أنكم تنطقون ﴾ برفع مثل صفة وما مزيدة، وبفتح اللام مركبة مع ما، المعنى: مثل نطقكم في حقيقته، أي معلوميته عندكم ضرورة صدوره عنكم[3].
٢٤ ﴿ هل أتاك ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿ حديث ضيف إبراهيم المكرمين ﴾[4] وهم ملائكة، اثنا عشر أو عشرة أو ثلاثة، منهم جبريل.
٢٥ ﴿ إذ ﴾ ظرف لحديث ضيف ﴿ دخلوا عليه فقالوا سلاماً ﴾ أي هذا اللفظ ﴿ قال سلام ﴾ أي هذا اللفظ ﴿ قوم منكرون ﴾ لا نعرفهم، قال ذلك في نفسه، وهو خبر مبتدأ مقدر، أي هؤلاء.
٢٦ ﴿ فراغ ﴾ مال ﴿ إلى أهله ﴾ سراً ﴿ فجاء بعجل

---

(١) جمع سحر، وهو السدس الأخير من الليل.
(٢) أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير، فيقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له). [البخاري: التهجد، باب: الدعاء والصلاة من آخر الليل، رقم: ١٠٩٤. مسلم: صلاة المسافرين وقصرها، باب: الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل، رقم: ٧٥٨].
(٣) أي علمكم بنطقكم حقيقة ثابتة لديكم بالضرورة، لأن النطق صادر منكم وعنكم، فلا مجال للشك فيه أو الارتياب.
(٤) فيه إشارة إلى استحباب إكرام الضيف، قال ﷺ: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه) [البخاري: الأدب، باب: إكرام الضيف وخدمته إياه بنفسه، رقم: ٥٧٨٤. مسلم: الإيمان، باب: الحث على إكرام الجار والضيف، رقم: ٤٨].

الناس، وفي الثالثة: خلق آدم وأسكنه الجنة، وأمر إبليس بالسجود له، وأخرجه منها في آخر ساعة). ثم قالت اليهود: ثم ماذا يا محمد؟ قال: (ثم استوى على العرش). قالوا: قد أصبت لو أتممت، قالوا: ثم استراح، فغضب النبيّ ﷺ غضباً شديداً، فنزلت: ﴿ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب. فاصبر على ما يقولون﴾. [المستدرك: التاريخ، باب: ذكر آدم عليه السلام: ٢/٥٤٣].

سبب نزول الآية [١٩]: قال السيوطي: أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن الحسن بن محمد بن الحنفية: أن رسول الله ﷺ بعث سرية فأصابوا وغنموا، فجاءه قوم بعدما فرغوا، فنزلت: ﴿وفي أموالهم حق للسائل والمحروم﴾.

سمين ﴾ وفي سورة هود/ ٦٩/ «بعجل حنيذ» أي مشوي.

٢٧ ﴿ فقربه إليهم قال ألا تأكلون ﴾ عرض عليهم الأكل فلم يجيبوا.

٢٨ ﴿ فأوجس ﴾ أضمر في نفسه ﴿ منهم خيفة قالوا لا تخف ﴾ إنا رسل ربك ﴿ وبشروه بغلام عليم ﴾ ذي علم كثير وهو إسحاق كما ذكر في سورة هود/ ٧١/.

٢٩ ﴿ فأقبلت امرأته ﴾ سارة ﴿ في صرة ﴾ صيحة، حال، أي جاءت صائحة ﴿ فصكت وجهها ﴾ لطمته ﴿ وقالت عجوز عقيم ﴾ لم تلد قط، وعمرها تسع وتسعون سنة، وعمر إبراهيم مائة سنة، أو عمره مائة وعشرون سنة، وعمرها تسع وتسعون سنة(١).

٣٠ ﴿ قالوا كذلك ﴾ أي مثل قولنا في البشارة ﴿ قال ربك إنه هو الحكيم ﴾ في صنعه ﴿ العليم ﴾ بخلقه.

٣١ ﴿ قال فما خطبكم ﴾ شأنكم ﴿ أيها المرسلون ﴾.

٣٢ ﴿ قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين ﴾ كافرين، هم قوم لوط عليه الصلاة والسلام.

٣٣ ﴿ لنرسل عليهم حجارة من طين ﴾ مطبوخ بالنار.

٣٤ ﴿ مسومة ﴾ معلمة، عليها اسم من يرمى بها ﴿ عند ربك ﴾ ظرف لها(٢) ﴿ للمسرفين ﴾(٣) بإتيانهم الذكور، مع كفرهم.

٣٥ ﴿ فأخرجنا من كان فيها ﴾ أي قرى قوم لوط ﴿ من المؤمنين ﴾ لإهلاك الكافرين(٤).

٣٦ ﴿ فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ﴾ وهو لوط وابنتاه، وصفوا بالإيمان والإسلام، أي هم مصدقون بقلوبهم عاملون بجوارحهم الطاعات.

٣٧ ﴿ وتركنا فيها ﴾ بعد إهلاك الكافرين ﴿ آية ﴾ علامة على إهلاكهم ﴿ للذين يخافون العذاب الأليم ﴾(٥) فلا يفعلون مثل فعلهم.

٣٨ ﴿ وفي موسى ﴾ معطوف على «فيها» المعنى: وجعلنا في قصة موسى آية ﴿ إذ أرسلناه إلى فرعون ﴾ متلبساً ﴿ بسلطان مبين ﴾ بحجة واضحة.

٣٩ ﴿ فتولى ﴾ أعرض عن الإيمان ﴿ بركنه ﴾ مع جنوده، لأنهم له كالركن(٦) ﴿ وقال ﴾ لموسى هو ﴿ ساحر أو مجنون ﴾.

٤٠ ﴿ فأخذناه وجنوده فنبذناهم ﴾ طرحناهم ﴿ في اليم ﴾ البحر، فغرقوا ﴿ وهو ﴾ أي فرعون

(الجزء السادس والعشرون) ٦٩٤

سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ
مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾
فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ
عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ
ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ * قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾
قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ
حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾
فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا
غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ
يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ وَفِى مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ
فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ
أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ

---

(١) أي فكيف أحمل وألد وأنا على هذه الصفة، وزوجي على تلك الصفة. (٢) أي قوله ﴿عند..﴾ ظرف لمسومة متعلق بها.

(٣) الذين تجاوزوا حدود شرع الله عزّ وجل.

(٤) أي من أجل أن لا يبقى فيها غير كافر، فينزل العذاب على من فيها فيهلكون.

(٥) أي الذين من شأنهم أن يخافوا من وقوع العذاب ويحسبوا حساب ذلك، فلا يباشروا ما يستوجبه. دون الذين قست قلوبهم وغفلوا عن ذلك.

(٦) والركن ما يركن إليه الإنسان ويتقوى به من مال وسلطان وأتباع، كركن البيت وهو دعامته التي يقوى بها.

فائدة: في الضيافة وآدابها. قال ابن كثير في تفسير الآيات [٢٦ـ ٢٧]: وهذه الآية انتظمت آداب الضيافة، فإنه جاء بطعامه من حيث لا يشعرون بسرعة، ولم يمتن عليهم أولاً فقال: نأتيكم بطعام؟ بل جاء به بسرعة وخفاء، وأتى بأفضل ما وجد من مال، وهو عجل فتي سمين مشوي، فقربه إليهم، لم يضعه وقال: اقتربوا، بل وضعه بين أيديهم، ولم يأمرهم أمراً يشق على سامعه بصيغة الجزم، بل قال: ﴿ألا تأكلون﴾ وعلى سبيل العرض والتلطف، كما يقول القائل اليوم: إن رأيت أن تتفضل وتحسن وتتصدق فافعل.

عن أبي شريح العدوي رضي الله عنه قال: سمعت أذناي، وأبصرت عيناي، حين تكلم النبي ﷺ فقال: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته). قال: وما جائزته يارسول الله؟ قال: (يوم وليلة، والضيافة ثلاثة أيام، فما كان وراء ذلك فهو صدقة عليه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت) [البخاري: الأدب، باب: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، رقم: ٥٦٧٣. مسلم: في الإيمان، باب: الحث على إكرام الجار والضيف، رقم: ٤٨] [جائزته: أي يزيد في إكرامه عما

مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾
مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾
وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا۟ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا۟ عَنْ
أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا
ٱسْتَطَٰعُوا۟ مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا۟ مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ
مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا
بِأَيْي۟دٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ
ٱلْمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ
تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾
وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾
كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ
أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾

﴿ مليم ﴾ آتٍ بما يلام عليه من تكذيب الرسل ودعوى الربوبية.

٤١ ﴿ وفي ﴾ إهلاك ﴿ عاد ﴾ آية ﴿ إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم ﴾ هي التي لا خير فيها، لأنها لا تحمل المطر ولا تلقح الشجر، وهي الدبور(١).

٤٢ ﴿ ما تذر من شيء ﴾ نفس أو مال ﴿ أتت عليه إلا جعلته كالرميم ﴾ كالبالي المتفتت.

٤٣ ﴿ وفي ﴾ إهلاك ﴿ ثمود ﴾ آية ﴿ إذ قيل لهم ﴾ بعد عقر الناقة(٢) ﴿ تمتعوا حتى حين ﴾ أي إلى انقضاء آجالكم، كما في آية «تمتعوا في داركم ثلاثة أيام»/ هود: ٦٥/.

٤٤ ﴿ فعتوا ﴾ تكبروا ﴿ عن أمر ربهم ﴾ عن امتثاله ﴿ فأخذتهم الصاعقة ﴾ بعد مضي الثلاثة أيام، أي الصيحة المهلكة ﴿ وهم ينظرون ﴾ أي بالنهار.

٤٥ ﴿ فما استطاعوا من قيام ﴾ أي ما قدروا على النهوض حين نزول العذاب ﴿ وما كانوا منتصرين ﴾ على من أهلكهم. ٤٦ ﴿ وقوم نوح ﴾ بالجر عطف على ثمود، أي وفي إهلاكهم بما في السماء والأرض(٣) آية، وبالنصب، أي وأهلكنا قوم نوح ﴿ من قبل ﴾ أي قبل إهلاك هؤلاء المذكورين ﴿ إنهم كانوا قوماً فاسقين ﴾.

٤٧ ﴿ والسماء بنيناها بأيد ﴾(٤) بقوة وقدرة ﴿ وإنا لموسعون ﴾ قادرون، يقال: أد الرجل يئيد قوي، وأوسع الرجل صار ذا سعة وقوة. ٤٨ ﴿ والأرض فرشناها ﴾ مهدناها ﴿ فنعم الماهدون ﴾ نحن.

٤٩ ﴿ ومن كل شيء ﴾ متعلق بقوله ﴿ خلقنا زوجين ﴾ صنفين، كالذكر والأنثى، والسماء والأرض، والشمس والقمر، والسهل والجبل، والصيف والشتاء، والحلو والحامض، والنور والظلمة ﴿ لعلكم تذكرون ﴾ بحذف إحدى التاءين في الأصل، فتعلموا أن خالق الأزواج فرد فتعبدوه.

٥٠ ﴿ ففروا إلى الله ﴾ أي إلى ثوابه من عقابه، بأن تطيعوه ولا تعصوه ﴿ إني لكم منه نذير مبين ﴾ بين الإنذار. ٥١ ﴿ ولا تجعلوا مع الله إلهاً آخر إني لكم منه نذير مبين ﴾ يقدر قبل ففروا: قل لهم.

٥٢ ﴿ كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ﴾ هو ﴿ ساحر أو مجنون ﴾ أي: مثل تكذيبهم لك - بقولهم إنك ساحر أو مجنون - تكذيب الأمم قبلهم رسلهم بقولهم ذلك.

٥٣ ﴿ أتواصوا ﴾ كلهم ﴿ به ﴾ استفهام بمعنى النفي ﴿ بل هم قوم طاغون ﴾ جمعهم على هذا القول طغيانهم

---

(١) في المصباح المنير: ريح تهب من جهة المغرب تقابل الصبا. وقال ﷺ: (نصرت بالصبا، وأهلكت عاد بالدبور) [البخاري: الاستسقاء، باب: قول النبي ﷺ: (نصرت بالصبا) رقم: ٩٨٨. مسلم: الاستسقاء، باب: في ريح الصبا والدبور، رقم: ٩٠٠].

(٢) أي بعد ذبحهم الناقة التي كانت معجزة لنبيهم، وقد نهوا عن إصابتها بأذى. انظر/ الأعراف: ٧٧/.

(٣) أي بإغراقهم بما نزل من السماء من مطر، وبما نبع من الأرض من ماء. انظر/ القمر: ١١ - ١٢/.

(٤) فالأيد مصدر بمعنى القوة. قال الجمل في حاشيته: يكتب في المصحف بياءين بعد الهمزة وقبل الدال، ورسم المصحف سنة متبعة وإن لم يعلم له وجه.

يقدمه لأهل بيته، وفي اليومين التاليين يقدم له ما يقدمه لأهله]

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قلنا للنبي ﷺ: إنك تبعثنا، فننزل بقوم لا يقروننا، فما ترى فيه؟ فقال لنا: (إن نزلتم بقوم، فأمر لكم بما ينبغي للضيف فاقبلوا، فإن لم يفعلوا فخذوا منهم حق الضيف) [البخاري: المظالم، باب: قصاص المظلوم إذا وجد مال ظالمه، رقم: ٢٣٢٩. مسلم: اللقطة، باب: الضيافة ونحوها، رقم: ١٧٢٧] [لا يقروننا: لا يقدمون لنا الضيافة. بما ينبغي: بما يقدم عادة. فخذوا منهم: ما كان ينبغي أن يقدم، قهراً عنهم، وذلك في حق الضيف المضطر إلى ضيافة، كما لو كان في مكان لا تباع فيه الأشياء، أو كان منقطعاً، وأما غير المضطر فضيافته سنة مؤكدة]

٥٤ ﴿ فتول ﴾ أعرض ﴿ عنهم فما أنت بملوم ﴾[1] لأنك بلغتهم الرسالة.

٥٥ ﴿ وذكر ﴾ عظ بالقرآن ﴿ فإن الذكرى تنفع المؤمنين ﴾ من علم الله تعالى أنه يؤمن.

٥٦ ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ ولا ينافي ذلك عدم عبادة الكافرين، لأن الغاية لا يلزم وجودها، كما في قولك: بريت هذا القلم لأكتب به، فإنك قد لا تكتب به[2].

٥٧ ﴿ ما أريد منهم من رزق ﴾ لي ولا لأنفسهم وغيرهم ﴿ وما أريد أن يطعمون ﴾ ولا أنفسهم ولا غيرهم[3].

٥٨ ﴿ إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾ الشديد.

٥٩ ﴿ فإن للذين ظلموا ﴾ أنفسهم بالكفر من أهل مكة وغيرهم ﴿ ذنوباً ﴾ نصيباً من العذاب[4] ﴿ مثل ذنوب ﴾ نصيب ﴿ أصحابهم ﴾ الهالكين قبلهم ﴿ فلا يستعجلون ﴾ بالعذاب إن أخرتهم إلى يوم القيامة.

٦٠ ﴿ فويل ﴾ شدة عذاب ﴿ للذين كفروا من ﴾ في ﴿ يومهم الذين يوعدون ﴾ أي يوم القيامة.

(سورة الطور)

(مكية وآياتها ٤٩)

بسم الله الرحمن الرحيم

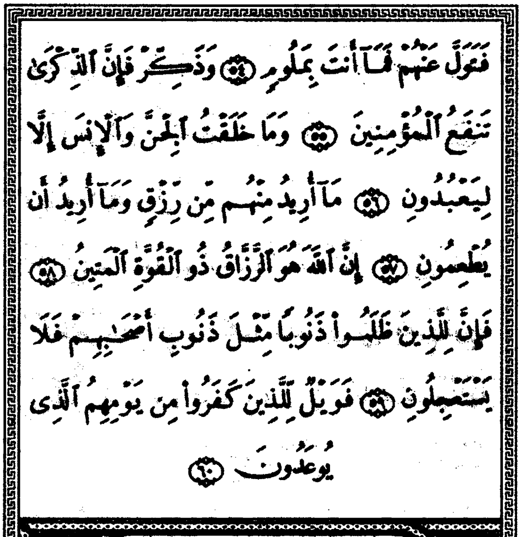

فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾

(٥٢) سُورَةُ الطُّورِ مَكِّيَّة
وَآيَاتُهَا تِسْعٌ وَأَرْبَعُونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾

١ ﴿ والطور ﴾ أي الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه الصلاة والسلام. ٢ ﴿ وكتاب مسطور ﴾[5].

٣ ﴿ في رق منشور ﴾ أي التوراة أو القرآن[6].

---

(١) أي لا تلام على إعراضك عنهم، لأنك قد بلغتهم وبذلت جهدك في بيان ما ارسلت به إليهم.

(٢) فالله سبحانه وتعالى قد خلق هؤلاء، وجعل فيهم القدرة على الطاعة أو المعصية، وطلب منهم ان يعبدوه ويخضعوا لشرعه، فمنهم من أجاب وأطاع ومنهم من أعرض وعصى. فالمراد بقوله سبحانه ﴿ليعبدون﴾ - والله أعلم - أنه جعلهم مهيئين للعبادة وما أمرهم إلا بها.

والمثال المذكور تقريب للأذهان، وهو منطبق على المخلوقين، لأنهم يجهلون العواقب، ولا ينطبق على الخالق سبحانه، لأنه يعلم عواقب الأمور، فلا يتخلف شيء من معلومه سبحانه، وكذلك لا توصف أفعاله تعالى بالغاية، وإنما بالحكمة.

(٣) المراد من إطعامه تعالى إطعام خلقه، لأنهم عياله، جاء في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم: قال رسول الله ﷺ: (إن الله عزّ وجلّ يقول يوم القيامة: يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني. قال: يا رب، كيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه؟ أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي). [البر والصلة والآداب، باب: فضل عيادة المريض].

(٤) الذنوب في الأصل الدلو الكبير الممتلىء ماءً، شبه به النصيب من العذاب لأنه يصب من فوقهم كما يصب الذنوب، قال تعالى: ﴿يصب من فوق رؤوسهم الحميم﴾/ الحج: ١٩/.

(٥) مصفوف الكتابة بسطور.

(٦) الرق هو الجلد الرقيق الذي يكتب عليه، أو هو كل ما يكتب عليه جلداً كان أم غيره. ومنشور أي مبسوط غير مطوي ولا محجور عليه ولا مختوم.

فائدة: عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، فما سمعت أحداً أحسن صوتاً - أو: قراءة - منه. [البخاري: الأذان، باب: الجهر في المغرب. مسلم: الصلاة، باب: القراءة في الصبح].

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: شكوت إلى رسول الله ﷺ أني أشتكي، فقال: «طوفي من وراء الناس وأنت راكبة». فطفت ورسول الله ﷺ يصلي إلى جنب البيت، يقرأ: ﴿والطور وكتاب مسطور﴾. [البخاري: التفسير، باب: تفسير سورة الطور]. أفاد الحديثان: استحباب قراءة سورة ﴿والطور﴾ في صلاة المغرب، وأنه يجوز تطويل القراءة في هذه الصلاة، ومشروعية الجهر بالقراءة فيها، ومشروعية الطواف راكباً.

سبب نزول الآية [٥٥]: عن علي رضي الله عنه قال: لما نزلت: ﴿فتولَّ عنهم فما أنت بملوم﴾ لم يبق منا أحد إلا أيقن بالهلكة، إذ أمر النبيّ ﷺ أن يتولى عنا، فنزلت: ﴿وذكّر فإن الذكرى تنفع المؤمنين﴾ فطابت أنفسنا. [السيوطي].

وأخرج ابن جرير عن قتادة قال: ذكر لنا أنه لما نزلت: ﴿فتولَّ عنهم﴾ الآية، اشتدّ على أصحاب رسول الله ﷺ، ورأوا أن الوحي قد انقطع، وأن العذاب قد حضر. فأنزل الله: ﴿وذكّر فإن الذكرى تنفع المؤمنين﴾.

٤ ﴿ والبيت المعمور ﴾(١) هو في السماء الثالثة أو السادسة أو السابعة، بحيال الكعبة، يزوره كل يوم سبعون ألف ملك بالطواف والصلاة، لا يعودون إليه أبداً(٢). ٥ ﴿ والسقف المرفوع ﴾ أي السماء. ٦ ﴿ والبحر المسجور ﴾ أي المملوء

٧ ﴿ إن عذاب ربك لواقع ﴾ لنازل بمستحقه. ٨ ﴿ ما له من دافع ﴾ عنه.

٩ ﴿ يوم ﴾ معمول لواقع(٣) ﴿ تمور السماء موراً ﴾ تتحرك وتدور.

١٠ ﴿ وتسير الجبال سيراً ﴾ تصير هباءً منثوراً(٤)، وذلك في يوم القيامة.

١١ ﴿ فويل ﴾ شدة عذاب ﴿ يومئذٍ للمكذبين ﴾ للرسل صلوات الله وسلامه عليهم.

١٢ ﴿ الذين هم في خوض ﴾ باطل ﴿ يلعبون ﴾ أي يتشاغلون بكفرهم وضلالهم.

١٣ ﴿ يوم يدعون إلى نار جهنم دعاً ﴾ يدفعون فيها بعنف، بدل من «يوم تمور». ويقال لهم - والحالة هذه -

١٤ تبكيتاً(٥): ﴿ هذه النار التي كنتم بها تكذبون ﴾.

١٥ ﴿ أفسحر هذا ﴾ العذاب الذي ترون؟ كما كنتم تقولون في الدنيا عن الوحي: هذا سحر ﴿ أم أنتم لا تبصرون ﴾.

١٦ ﴿ اصلوها(٦) فاصبروا ﴾ عليها ﴿ أولا تصبروا ﴾ فإن صبركم وجزعكم ﴿ سواء عليكم ﴾ لأن صبركم لا ينفعكم ﴿ إنما تجزون ما كنتم تعملون ﴾ أي جزاءه.

١٧ ﴿ إن المتقين في جنات ونعيم ﴾.

١٨ ﴿ فاكهين ﴾ متلذذين ﴿ بما ﴾ مصدرية ﴿ آتاهم ﴾ أعطاهم ﴿ ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم ﴾ عطفاً على «آتاهم» أي بإتيانهم ووقايتهم. ويقال لهم:

١٩ ﴿ كلوا واشربوا هنيئاً ﴾ حال، أي مهنئين ﴿ بما ﴾ الباء سببية ﴿ كنتم تعملون ﴾(٧).

٢٠ ﴿ متكئين ﴾ حال من الضمير المستكن في قوله تعالى: «في جنات»(٨) ﴿ على سرر مصفوفة ﴾ بعضها إلى جنب بعض ﴿ وزوجناهم ﴾ عطف على «في جنات»(٩) أي قرناهم ﴿ بحور عين ﴾ عظام الأعين، حسانها.

٢١ ﴿ والذين آمنوا ﴾ مبتدأ ﴿ وأتبعناهم ﴾ وفي قراءة «واتبعتهم» معطوف على آمنوا

وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَالْبَحْرِ
الْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ مَا لَهُ مِن
دَافِعٍ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ
سَيْرًا ﴿١٠﴾ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي
خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾
هَٰذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ أَفَسِحْرٌ هَٰذَا
أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا
سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّ
الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ
رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا
هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ
وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ

فائدة: عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (تحاجت النار والجنة، فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين. وقالت الجنة: فمالي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسَقَطُهم وعَجَزُهم. فقال الله للجنة: أنتِ رحمتي، أرحم بك من أشاء من عبادي. وقال للنار: أنتِ عذابي، أعذب بك من أشاء من عبادي. ولكل واحدة منكم ملؤها فأما النار فلا تمتلىء، فيضع قدمه عليها، فتقول: قط قط. فهنالك تمتلىء، ويُزْوى بعضها إلى بعض).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (قال الله عز وجل: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر).

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة، طولها ستون ميلاً، للمؤمن فيها أهلون، يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضاً) [البخاري: التفسير، باب: قوله: ﴿وتقول هل من مزيد﴾ / ق: ٣٠/. رقم: ٤٥٦٩. بدء الخلق، باب: ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، رقم: ٣٠٧١، ٣٠٧٢. مسلم: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم: ٢٨٤٦، ٢٨٢٤، ٢٨٣٨] [سقطهم: ضعفاؤهم الذين في نظر بعض الناس محتقرين. عجزهم: العاجزون عن طلب الدنيا والتمكن فيها. قدمه: الله تعالى أعلم بذلك. قط: حسبي وكافيَّ].

---

(١) بكثرة من يزوره.

(٢) وهذا عنوان كثرة الملائكة، قال تعالى: ﴿وما يعلم جنود ربك إلا هو﴾/ المدثر: ٣١/. (٣) أي لواقع يوم..

(٤) متبعثراً، والهباء ما يرى في شعاع الشمس الداخل من طاقة كالذرات، وهو كناية عن أنه لا شيء.

(٥) أي توبيخاً وتقريعاً. (٦) ادخلوها وذوقوا حرارتها.

(٧) أي هذا الإكرام منا بسبب عملكم الصالح في الدنيا بعد إيمانكم الصادق.

(٨) إذ التقدير: إن المتقين كائنون هم في جنات حال كونهم متكئين.

(٩) أي هو خبر آخر لقوله: ﴿إن المتقين﴾.

﴿ ذرياتهم ﴾ وفي قراءة «ذريتهم» الصغار والكبار ﴿ بإيمان ﴾ من الكبار، ومن الآباء في الصغار(١)، والخبر ﴿ ألحقنا بهم ذرياتهم ﴾ المذكورين، في الجنة، فيكونون في درجتهم وإن لم يعملوا بعملهم، تكرمة للآباء باجتماع الأولاد إليهم ﴿ وما ألتناهم ﴾ بفتح اللام وكسرها، نقصناهم ﴿ من عملهم من ﴾ زائدة ﴿ شيء ﴾ يزاد في عمل الأولاد(٢) ﴿ كل امرىء بما كسب ﴾ من عمل خير أو شر ﴿ رهين ﴾ مرهون(٣)، يؤاخذ بالشر ويجازى بالخير.

٢٢ ﴿ وأمددناهم ﴾ زدناهم في وقت بعد وقت ﴿ بفاكهة ولحم مما يشتهون ﴾ وإن لم يصرحوا بطلبه.

٢٣ ﴿ يتنازعون ﴾ يتعاطون بينهم(٤) ﴿ فيها ﴾ الجنة ﴿ كأساً ﴾ خمراً ﴿ لا لغو فيها ﴾(٥) بسبب شربها يقع بينهم ﴿ ولا تأثيم ﴾ به يلحقهم، بخلاف خمر الدنيا (٦).

٢٤ ﴿ ويطوف عليهم ﴾ للخدمة ﴿ غلمان ﴾ أرقاء ﴿ لهم ﴾ (٧) ﴿ كأنهم ﴾ حسناً ولطافة ﴿ لؤلؤ مكنون ﴾ مصون في الصدف، لأنه فيها أحسن منه في غيرها.

٢٥ ﴿ وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ﴾ يسأل بعضهم بعضاً عما كانوا عليه وما وصلوا إليه، تلذذاً واعترافاً بالنعمة.

٢٦ ﴿ قالوا ﴾ إيماء إلى علة الوصول (٨) ﴿ إنا كنا قبل في أهلنا ﴾ في الدنيا ﴿ مشفقين ﴾ خائفين من عذاب الله.

٢٧ ﴿ فمنَّ الله علينا ﴾ بالمغفرة والرحمة ﴿ ووقانا عذاب السموم ﴾ أي النار، لدخولها في المسام (٩). وقالوا إيماءً أيضاً: .

٢٨ ﴿ إنا كنا من قبل ﴾ أي في الدنيا ﴿ ندعوه ﴾ أي نعبده موحدين ﴿ إنه ﴾ بالكسر استئنافاً، وإن كان تعليلاً معنى، وبالفتح تعليلاً لفظاً ﴿ هو البر ﴾ المحسن الصادق في وعده ﴿ الرحيم ﴾ العظيم الرحمة.

٢٩ ﴿ فذكر ﴾ دم على تذكير المشركين، ولا ترجع عنه لقولهم لك: كاهن مجنون ﴿ فما أنت بنعمة ربك ﴾ أي بإنعامه عليك ﴿ بكاهن ﴾ خبر ما ﴿ ولا مجنون ﴾ معطوف عليه.

٣٠ ﴿ أم ﴾ بل ﴿ يقولون ﴾ هو ﴿ شاعر نتربص به ريب المنون ﴾ حوادث الدهر، فيهلك كغيره من الشعراء.

٣١ ﴿ قل تربصوا ﴾ هلاكي ﴿ فإني معكم من المتربصين ﴾ هلاككم، فعذبوا بالسيف يوم بدر، والتربص الانتظار.

٣٢ ﴿ أم تأمرهم أحلامهم ﴾ عقولهم ﴿ بهذا ﴾ قولهم له: ساحر، كاهن، شاعر، مجنون. أي لا تأمرهم بذلك ﴿ أم ﴾ بل ﴿ هم قوم طاغون ﴾(١٠) بعنادهم.

٣٣ ﴿ أم يقولون

ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ
عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾
وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَٰزَعُونَ
فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ * وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ
غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ
عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا
مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾
إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ فَذَكِّرْ
فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ
يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ
تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ
أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ

---

(١) أي يعتبر الصغار مؤمنين بإيمان آبائهم.

(٢) أي لا يؤخذ شيء من عمل الآباء ليجعل للأولاد فيستحقوا به هذا الإكرام، وإنما إكرامهم فضل من الله عزّ وجلّ وكرم، وعمل الآباء باقٍ لهم بتمامه.

(٣) أي محبوس، فإن كان عمله صالحاً فك نفسه، وإلا هلك.

(٤) ويتجاذبون، ويناول بعضهم بعضاً، تلذذاً وتأنساً.

(٥) أي لا تخاصم ولا جدال ولا باطل من الكلام.

(٦) فإن من شأنها أن يكون بين شرابها ما يجرهم إلى الإثم.

(٧) أي كالعبيد المملوكين من حيث الحيازة والاستيلاء والخدمة. (٨) إشارة إلى سبب وصولهم إلى هذه النعمة.

(٩) السموم اسم من أسماء جهنم، وهي في الأصل الريح الحارة التي تتخلل مسام البدن.

(١٠) مفرطون ومتجاوزون للحد المعقول.

سبب نزول الآية [٣٠]: أخرج ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن قريشاً لما اجتمعوا في دار الندوة في أمر النبيّ ﷺ قال قائل منهم: احبسوه في وثاق، ثم تربصوا به المنون حتى يهلك كما هلك من قبله من الشعراء: زهير والنابغة، فإنما هو كأحدهم. فأنزل الله في ذلك: ﴿أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون﴾.

سبب نزول الآية [٣٢]: أخرج الواحدي، عن ثابت بن الحارث الأنصاري رضي الله عنه قال: كانت اليهود تقول، إذا هلك لهم صبيٌ صغير:

تقوله ﴾ اختلق القرآن، لم يختلقه ﴿ بل لا يؤمنون ﴾ استكباراً. فإن قالوا: اختلقه
٣٤ ﴿ فليأتوا بحديث ﴾ مختلق ﴿ مثله إن كانوا صادقين ﴾ في قولهم.
٣٥ ﴿ أم خلقوا من غير شيء ﴾ أي من غير خالق ﴿ أم هم الخالقون ﴾ أنفسهم؟ ولا يعقل مخلوق بغير خالق(١)، ولا معدوم يَخْلُق(٢)، فلا بد لهم من خالق هو الله الواحد، فلِمَ لا يوحدونه ويؤمنون برسوله وكتابه؟.
٣٦ ﴿ أم خلقوا السموات والأرض ﴾ ولا يقدر على خلقهما إلا الله الخالق؟ فلم لا يعبدونه ﴿ بل لا يوقنون ﴾ به، وإلا لآمنوا بنبيه.
٣٧ ﴿ أم عندهم خزائن ربك ﴾ من النبوة والرزق وغيرهما، فيخصوا من شاؤوا بما شاؤوا ﴿ أم هم المسيطرون ﴾ المتسلطون الجبارون، وفعله سيطر، ومثله بيطر وبيقر(٣).
٣٨ ﴿ أم لهم سلم ﴾ مرقى إلى السماء ﴿ يستمعون فيه ﴾ أي عليه، كلام الملائكة، حتى يمكنهم منازعة النبي بزعمهم؟ إن ادعوا ذلك ﴿ فليأت مستمعهم ﴾ أي مدعي الاستماع عليه ﴿ بسلطان مبين ﴾ بحجة بينة واضحة. ولشبه هذا الزعم بزعمهم أن الملائكة بنات الله قال تعالى:
٣٩ ﴿ أم له البنات ﴾ أي بزعمكم ﴿ ولكم البنون ﴾ تعالى الله عما زعمتموه.
٤٠ ﴿ أم تسألهم أجراً ﴾ على ما جئتهم به من الدين ﴿ فهم من مغرم ﴾ غرم ذلك ﴿ مثقلون ﴾ فلا يسلمون.
٤١ ﴿ أم عندهم الغيب ﴾ أي علمه ﴿ فهم يكتبون ﴾ ذلك، حتى يمكنهم منازعة النبي ﷺ في البعث وأمور الآخرة بزعمهم.
٤٢ ﴿ أم يريدون كيداً ﴾ بك(٤) ليهلكوك، في دار الندوة(٥) ﴿ فالذين كفروا هم المكيدون ﴾ المغلوبون المهلكون، فحفظه الله منهم ثم أهلكهم ببدر.
٤٣ ﴿ أم لهم إله غير الله سبحان الله عما يشركون ﴾ به من الآلهة. والاستفهام بأم في مواضعها للتقبيح والتوبيخ.
٤٤ ﴿ وإن يروا كسفاً ﴾ بعضاً(٦) ﴿ من السماء ساقطاً ﴾ عليهم، كما قالوا «فأسقط علينا كسفاً من السماء» /الشعراء: ١٨٧/ أي تعذيباً لهم ﴿ يقولوا ﴾ هذا ﴿ سحاب مركوم ﴾ متراكب نروى به، ولا يؤمنون.
٤٥ ﴿ فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون ﴾ يموتون. ٤٦ ﴿ يوم لا يغني ﴾ بدل من يومهم ﴿ عنهم

تَقَوَّلَهُۥ بَل لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلۡيَأۡتُواْ بِحَدِيثٖ مِّثۡلِهِۦٓ إِن
كَانُواْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ
ٱلۡخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمۡ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۚ بَل
لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمۡ هُمُ
ٱلۡمُصَۣيۡطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمۡ لَهُمۡ سُلَّمٞ يَسۡتَمِعُونَ فِيهِۖ فَلۡيَأۡتِ
مُسۡتَمِعُهُم بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمۡ لَهُ ٱلۡبَنَٰتُ وَلَكُمُ
ٱلۡبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ أَجۡرٗا فَهُم مِّن مَّغۡرَمٖ مُّثۡقَلُونَ ﴿٤٠﴾
أَمۡ عِندَهُمُ ٱلۡغَيۡبُ فَهُمۡ يَكۡتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمۡ يُرِيدُونَ كَيۡدٗاۖ
فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هُمُ ٱلۡمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمۡ لَهُمۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِۚ
سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِن يَرَوۡاْ كِسۡفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ
سَاقِطٗا يَقُولُواْ سَحَابٞ مَّرۡكُومٞ ﴿٤٤﴾ فَذَرۡهُمۡ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ
يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي فِيهِ يُصۡعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوۡمَ لَا يُغۡنِي عَنۡهُمۡ

---

(١) ولقد سجل عليهم القرآن اعترافهم بخلق الله تعالى السماوات والأرض وما بينهما في مواضع كثيرة من آياته، وهم من جملة هذه المخلوقات. فيكون هذا اعترافاً منهم بخلق الله تعالى لهم، وكذلك قال تعالى: ﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله﴾ [الزخرف: ٨٧].

(٢) راجع إلى قوله ﴿أم هم الخالقون﴾ أي لا يعقل أن يكونوا هم الخالقين لأنفسهم وكانوا معدومين.

(٣) ومعنى بيطر عالج الدواب، ومنه البيطار. وبيقر أي أفسد وأهلك. عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية: ﴿أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون. أم خلقوا السماوات والأرض بل لا يوقنون. أم عندهم خزائن ربك أم هم المسيطرون﴾ كاد قلبي أن يطير. [البخاري: باب تفسير سورة ﴿والطور﴾ رقم: ٤٥٧٣] [كاد قلبي: قارب قلبي الطيران لما سمع هذه الآية، مما تضمنته من بليغ الحجة. وكان سماع جبير رضي الله عنه لهذه الآية من جملة ما حمله على الدخول في الإسلام، كما ورد، فويل لقساة القلوب]

(٤) أي مكراً وتدبيراً سيئاً

(٥) أي كما ائتمروا على ذلك في دار الندوة حين اجتمعوا واتفقوا على قتله ﷺ، على أن كيدهم به لم ينقطع من حين بعثته ﷺ، واستمر لدى من بقي على كفره ظاهراً أو باطناً إلى حين وفاته، وهو لا يزال مستمراً لدى الباطل وأهله بأولياء الله تعالى وعباده الصالحين، ولا يزال الله تعالى يحفظ الأتقياء المؤمنين، ويهلك ويخزي الفجرة الفاسقين، والعاقبة للمتقين.

(٦) والكسف القطعة من الشيء.

هو صدِّيق، فبلغ ذلك النبيَّ ﷺ، فقال: (كذبت اليهود، ما من نسمة يخلقها الله في بطن أمّه إلا ويعلم أنه شقي أو سعيد). فأنزل الله عند ذلك هذه الآية: ﴿هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض﴾ الآية [٣٢] من سورة النجم.

كيدهم شيئاً ولا هم ينصرون ﴾ يمنعون من العذاب في الآخرة.

٤٧ ﴿ وإن للذين ظلموا ﴾ بكفرهم ﴿ عذاباً دون ذلك ﴾ أي في الدنيا قبل موتهم، فعذبوا بالجوع والقحط سبع سنين(١)، وبالقتل يوم بدر ﴿ ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾ أن العذاب ينزل بهم.

٤٨ ﴿ واصبر لحكم ربك ﴾ بإمهالهم، ولا يضق صدرك ﴿ فإنك بأعيننا ﴾ بمرآى منا، نراك ونحفظك ﴿ وسبح ﴾ متلبساً ﴿ بحمد ربك ﴾ أي قل: سبحان الله وبحمده ﴿ حين تقوم ﴾ من منامك، أو من مجلسك(٢).

٤٩ ﴿ ومن الليل فسبحه ﴾ حقيقة أيضاً ﴿ وإدبار النجوم ﴾ مصدر، أي عقب غروبها سبحه أيضاً، أو: صل في الأول العشاءين، وفي الثاني الفجر، وقيل: الصبح(٣).

(سورة النجم)
(مكية إلا آية ٣٢ فمدنية وآياتها ٦٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿ والنجم ﴾ الثريا(٤) ﴿ إذا هوى ﴾ غاب. ٢ ﴿ ما ضل صاحبكم ﴾ محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ عن طريق الهداية ﴿ وما غوى ﴾ ما لابس الغي، وهو جهل من اعتقاد فاسد(٥).

٣ ﴿ وما ينطق ﴾ بما يأتيكم به ﴿ عن الهوى ﴾ هوى نفسه. ٤ ﴿ إن ﴾ ما ﴿ هو إلا وحي يوحى ﴾ إليه.

٥ ﴿ علمه ﴾ إياه ملك ﴿ شديد القوى ﴾.

٦ ﴿ ذو مرة ﴾ قوة وشدة، أو: منظر حسن، أي جبريل عليه السلام ﴿ فاستوى ﴾ استقر.

٧ ﴿ وهو بالأفق الأعلى ﴾ أفق الشمس، أي عند مطلعها(٦)، على صورته التي خلق عليها، فرآه النبي ﷺ ـ وكان بحراء ـ قد سد الأفق إلى المغرب، فخر مغشياً عليه، وكان قد سأله أن يريه نفسه على صورته التي خلق عليها، فواعده بحراء، فنزل جبريل في صورة الآدميين.

٨ ﴿ ثم دنا ﴾ قرب منه ﴿ فتدلى ﴾ زاد في القرب.

كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (٤٦) وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا
عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٤٧) وَاصْبِرْ
لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ
تَقُومُ (٤٨) وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ (٤٩)

(٥٣) سُورَةُ النَّجْمِ مَكِّيَّة
وَآيَاتُهَا اثْنَتَانِ وَسِتُّونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ (٢)
وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤)
عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ (٥) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ (٦) وَهُوَ
بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ (٧) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ (٨) فَكَانَ قَابَ

---

(١) انظر/ الدخان: ٩/ وما بعدها.

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: أي نعذبهم في الدنيا، ونبتليهم فيها بالمصائب، لعلهم يرجعون وينيبون، فلا يفهمون ما يراد بهم، بل إذا جُلِّيَ عنهم مما كانوا فيه عادوا إلى أسوأ ما كانوا عليه، كما جاء في بعض الأحاديث: «إن المنافق إذا مرض وعوفي مَثَلُه في ذلك كمثل البعير، لا يدري فيما عقلوه ولا فيما أرسلوه». [أبو داود: أول الجنائز، باب: الأمراض المكفرة للذنوب]. [عقلوه: ربطوه. أرسلوه: أطلقوه من رباطه].

(٢) قال ﷺ: (من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه، فقال قبل أن يقوم: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك. إلا غفر له ما كان في مجلسه ذلك) أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح. [الدعوات، باب: ما يقول إذا قام من مجلسه، رقم: ٣٤٢٩].

(٣) المراد بالأول قوله ﴿ومن الليل فسبحه﴾ وبالثاني ﴿وإدبار النجوم﴾. والمراد بالفجر سنة الفجر. وقوله الصبح أي فريضة صلاة الصبح. روى البخاري ومسلم عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقرأ في المغرب بالطور. [البخاري: صفة الصلاة، باب: الجهر في المغرب، رقم: ٧٣١. مسلم: الصلاة، باب: القراءة في الصبح، رقم: ٤٦٣].

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «من تعارَّ من الليل فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، الحمد لله، وسبحان الله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله. ثم قال: اللهم اغفر لي، أو دعا، استجيب له، فإن توضأ وصلى قبلت صلاته». [البخاري: التهجد، باب: فضل من تعار من الليل فصلى، رقم: ١١٠٣] [تعار: انتبه وهو يسبح أو يذكر الله تعالى بأي ذكر].

(٤) وهي عدة نجوم بعضها ظاهر وبعضها خفي، وقيل: أي نجم.

(٥) أي الغي جهل ناشىء من اعتقاد فاسد.

(٦) والأفق ناحية السماء.

أخرج البخاري ومسلم عن مسروق بن الأجدع قال: قلت لعائشة رضي الله عنها: فأين قوله ﴿ثم دنا فتدلى. فكان قاب قوسين أو أدنى﴾ قالت: ذلك جبريل، كان يأتيه في صورة الرجل، وإنه أتاه في هذه المرة في صورته التي هي صورته، فسد الأفق. [البخاري: بدء الخلق، باب: إذا قال

٩ ﴿فكان﴾ منه ﴿قاب﴾ قدر ﴿قوسين أو أدنى﴾ من ذلك، حتى أفاق وسكن روعه(١).

١٠ ﴿فأوحى﴾ تعالى ﴿إلى عبده﴾ جبريل إلى النبي ﷺ ﴿ما أوحى﴾ جبريل، ولم يذكر الموحى تفخيماً لشأنه.

١١ ﴿ما كذب﴾ بالتخفيف والتشديد، أنكر ﴿الفؤاد﴾ فؤاد النبي ﷺ ﴿ما رأى﴾ ببصره من صورة جبريل عليه السلام

١٢ ﴿أفتمارونه﴾ تجادلونه وتغلبونه ﴿على ما يرى﴾ خطاب للمشركين المنكرين رؤية النبي ﷺ لجبريل.

١٣ ﴿ولقد رآه﴾ على صورته ﴿نزلة﴾ مرة ﴿أخرى﴾.

١٤ ﴿عند سدرة المنتهى﴾ لما أسري به في السماوات، وهي شجرة نبق(٢) عن يمين العرش، لا يتجاوزها أحد من الملائكة ومن غيرهم.

١٥ ﴿عندها جنة المأوى﴾ تأوي إليها الملائكة وأرواح الشهداء والمتقين.

١٦ ﴿إذ﴾ حين ﴿يغشى السدرة ما يغشى﴾ من طير وغيره، وإذ معمولة لرآه.

١٧ ﴿ما زاغ البصر﴾ من النبي ﷺ ﴿وما طغى﴾ أي ما مال بصره عن مرئيه المقصود له، ولا جاوزه تلك الليلة.

٧٠١ (سورة النجم)

قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾
مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾
وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾
عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾
مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ
ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ
ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ
إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ
أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ
إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن
رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ
وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى

١٨ ﴿لقد رأى﴾ فيها ﴿من آيات ربه الكبرى﴾ العظام، أي بعضها، فرأى من عجائب الملكوت رفرفاً(٣) أخضر سد أفق السماء، ورأى جبريل وله ستمائة جناح.

١٩ ﴿أفرأيتم اللات والعزى﴾.

٢٠ ﴿ومناة الثالثة﴾ للتين قبلها ﴿الأخرى﴾ صفة ذم للثالثة(٤)، وهي أصنام من حجارة، كان المشركون يعبدونها ويزعمون أنها تشفع لهم عند الله. ومفعول أفرأيتم الأول اللات وما عطف عليه، والثاني محذوف(٥).

والمعنى: أخبروني ألهذه الأصنام قدرة على شيء ما؟ فتعبدوها دون الله القادر على ما تقدم ذكره. ولما زعموا أيضاً أن الملائكة بنات الله - مع كراهتهم البنات - نزلت:

٢١ ﴿ألكم الذكر وله الأنثى﴾.

٢٢ ﴿تلك إذاً قسمة ضيزى﴾ جائرة، من ضازه يضيزه إذا ظلمه وجار عليه.

٢٣ ﴿إن هي﴾ أي ما هذه المذكورات ﴿إلا أسماء سميتموها﴾ أي سميتم بها ﴿أنتم وآباؤكم﴾ أصناماً تعبدونها ﴿ما أنزل الله بها﴾ أي بعبادتها ﴿من سلطان﴾ حجة وبرهان ﴿إن﴾ ما ﴿يتبعون﴾ في عبادتها ﴿إلا الظن وما تهوى الأنفس﴾ مما زين لهم الشيطان من أنها تشفع لهم عند الله تعالى ﴿ولقد جاءهم من ربهم الهدى﴾ على لسان النبي ﷺ بالبرهان القاطع، فلم يرجعوا عما هم عليه.

٢٤ ﴿أم للإنسان﴾ أي لكل إنسان منهم ﴿ما تمنى﴾ من أن الأصنام تشفع لهم؟ ليس الأمر كذلك.

٢٥ ﴿فلله الآخرة والأولى﴾ أي الدنيا، فلا يقع فيهما إلا ما يريده سبحانه وتعالى.

٢٦ ﴿وكم من ملك﴾ أي وكثير من الملائكة ﴿في السماوات﴾ وما أكرمهم عند الله عز وجل ﴿لا تغني

أحدكم آمين والملائكة في السماء..، رقم: ٣٠٦٣. مسلم: الإيمان، باب: في ذكر سدرة المنتهى، رقم: ١٧٤].

(١) في المصباح المنير: القاب القدر، ويقال: القاب ما بين مقبض القوس والسية، ولكل قوس قابان. وسية القوس طرفها المنحني. وعلى هكذا يكون في الكلام قلب، والتقدير: فكان قابي قوس، أي بقدر ما بين طرفي القوس. والمراد على كل حال بيان شدة القرب.

(٢) نوع من الشجر يعرفه أهل الحجاز.

(٣) الرفرف: هو ما يتدلى على الأسرة من غالي الثياب، وقيل: كل ثوب عريض، وقيل: الرقيق من ثياب الحرير النفيس. انظر/ الرحمن: ٧٦/.

(٤) لأنها بمعنى المتأخرة الوضيعة القدر.

(٥) وهو الذي قدره بعد بقوله: ألهذه الأصنام قدرة..

شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله ﴾ لهم فيها ﴿ لمن يشاء ﴾ من عباده ﴿ ويرضى ﴾ عنه، لقوله عز وجل: «ولا يشفعون إلا لمن ارتضى»/ الأنبياء: ٢٨/. ومعلوم أنها لا توجد منهم إلا بعد الإذن فيها:
«من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه»(١) /البقرة: ٢٥٥/.

٢٧ ﴿ إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الأنثى ﴾ حيث قالوا: هم بنات الله.

٢٨ ﴿ وما لهم به ﴾ بهذا المقول ﴿ من علم إن ﴾ ما ﴿ يتبعون ﴾ فيه ﴿ إلا الظن ﴾ الذي تخيلوه ﴿ وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً ﴾ أي عن العلم فيما المطلوب فيه العلم(٢).

٢٩ ﴿ فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ﴾ أي القرآن ﴿ ولم يرد إلا الحياة الدنيا ﴾ وهذا قبل الأمر بالجهاد(٣).

٣٠ ﴿ ذلك ﴾ أي طلب الدنيا ﴿ مبلغهم من العلم ﴾ أي نهاية علمهم أن آثروا الدنيا على الآخرة ﴿ إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى ﴾ أي عالم بهما، فيجازيهما.

٣١ ﴿ ولله ما في السماوات وما في الأرض ﴾ أي هو مالك لذلك، ومنه الضال والمهتدي، يضل من يشاء ويهدي من يشاء ﴿ ليجزي الذين أساؤوا بما عملوا ﴾ من الشرك وغيره ﴿ ويجزي الذين أحسنوا ﴾ بالتوحيد وغيره من الطاعات ﴿ بالحسنى ﴾ أي الجنة. وبين المحسنين بقوله:

٣٢ ﴿ الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم ﴾ هو صغار الذنوب كالنظرة والقبلة واللمسة(٤)، فهو استثناء منقطع، والمعنى: لكن اللمم يغفر باجتناب الكبائر ﴿ إن ربك واسع المغفرة ﴾ بذلك وبقبول التوبة. ونزل فيمن كان يقول: صلاتنا صيامنا حجنا ﴿ هو أعلم ﴾ أي عالم ﴿ بكم إذ أنشأكم من الأرض ﴾ أي خلق أباكم آدم من التراب ﴿ وإذ أنتم أجنة ﴾ جمع جنين ﴿ في بطون أمهاتكم

شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ
وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ
ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ؕ
إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ؕ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ
شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ
إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ
رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ
ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ
لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟
بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ
إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ
أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ

---

(١) وإذا كانت الشفاعة من هؤلاء المقربين لا تكون إلا بإذن الله تعالى فهيهات هيهات أن تملك هذه المعبودات من دون الله تعالى شفاعة لعابديها.

(٢) وهو العقائد وأصول الدين، فلا يقبل فيها إلا العلم، وهو القطع واليقين.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث. ولا تجسسوا، ولا تحسسوا، ولا تباغضوا، وكونوا إخواناً. ولا يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى ينكح أو يترك». [البخاري: النكاح، باب: لا يخطب على خطبة أخيه حتى ينكح أو يدع، رقم: ٤٨٤٩. مسلم: البر والصلة، باب: تحريم الظن والتجسس والتنافس، رقم: ٢٥٦٣]. [إياكم والظن: احذروا سوء الظن بالمسلمين، ولا تحدثوا عن عدم علم ويقين، لا سيما فيما يجب فيه القطع. أكذب الحديث: أي يقع الكذب في الظن أكثر من وقوعه في الكلام. تجسسوا: من التجسس وهو البحث عن العورات والسيئات. تحسسوا: من التحسس وهو طلب معرفة الأخبار والأحوال الغائبة عنه. حتى ينكح: أي فإذا نكح فقد امتنعت خطبة الثاني قطعاً].

(٣) أما بعد الأمر به فقد أمر بقتال من أعرض من المشركين.

عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «الدنيا دار من لا دار له، ومال من لا مال له، ولها يجمع من لا عقل له» [مسند أحمد: ٦/ ٧١]. وفي الدعاء المأثور: «اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا».

[الترمذي: الدعوات، باب: دعاء حين يقوم من مجلسه، رقم: ٣٤٩٧].

(٤) أخرج البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ما رأيت شيئاً أشبه باللمم مما قال أبو هريرة عن النبي ﷺ قال: (إن الله عزّ وجلّ كتب على ابن آدم حظه من الزنا، أدرك ذلك لا محالة، فزنا العينين النظر، وزنا اللسان النطق، والنفس تتمنى وتشتهي، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه). [البخاري: الاستئذان، باب: زنا الجوارح دون الفرج، رقم: ٥٨٨٩. مسلم: القدر، باب: قدر على ابن آدم حظه من الزنا وغيره، رقم: ٢٦٥٧]. [اللمم: ما يقع به الشخص من شهوات النفس والذنوب الصغيرة. أدرك ذلك..: أي لا حيلة له ولا خلاص من الوقوع فيما كتب عليه وقدر له. يصدق ذلك: بفعل ما تمنته النفس. يكذبه: بالترك والبعد عن الفواحش ومقدماتها].

فلا تزكوا أنفسكم ﴾ لا تمدحوها أي على سبيل الإعجاب، أما على سبيل الاعتراف بالنعمة فحسن ﴿ هو أعلم ﴾ أي عالم ﴿ بمن اتقى ﴾.

٣٣ ﴿ أفرأيت الذي تولى ﴾ عن الإيمان أي ارتد لما عير به، وقال: إني خشيت عقاب الله، فضمن له المعير له أن يحمل عنه عذاب الله إن رجع إلى شركه، وأعطاه من ماله كذا درهماً، فرجع.

٣٤ ﴿ وأعطى قليلاً ﴾ من المال المسمى ﴿ وأكدى ﴾ منع الباقي، مأخوذ من الكُدْيَة، وهي أرض صلبة كالصخرة، تمنع حافر البئر إذا وصل إليها من الحفر.

٣٥ ﴿ أعنده علم الغيب فهو يرى ﴾ يعلم من جملته[1] أن غيره يتحمل عنه عذاب الآخرة؟ لا. وهو الوليد بن مغيرة أو غيره، وجملة «أعنده» المفعول الثاني لرأيت بمعنى أخبرني.

٣٦ ﴿ أم ﴾ بل ﴿ لم ينبأ بما في صحف موسى ﴾ أسفار التوراة، أو صحف قبلها.

٣٧ ﴿ و ﴾ صحف ﴿ إبراهيم الذي وفى ﴾ تمم ما أمر به، نحو «وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن»/ البقرة: ٢٤/. وبيان «ما»:

فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ أَفَرَءَيْتَ
ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلْمُ
ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾
وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾
وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ
يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ
ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ
وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾
مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾
وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾
وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾
وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾

٣٨ ﴿ أ ﴾ ن ﴿ لا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ الخ.. وأن مخففة من الثقيلة، أي أنه لا تحمل نفس ذنب غيرها.

٣٩ ﴿ وأن ﴾ أي إنه ﴿ ليس للإنسان إلا ما سعى ﴾ من خير، فليس له من سعي غيره للخير شيء.

٤٠ ﴿ وأن سعيه سوف يرى ﴾ أي يبصر في الآخرة.

٤١ ﴿ ثم يجزاه الجزاء الأوفى ﴾ الأكمل، يقال: جزيته سعيه، وبسعيه.

٤٢ ﴿ وأن ﴾ بالفتح عطفاً[2]، وقرىء بالكسر استئنافاً وكذا ما بعدها، فلا يكون مضمون الجمل في الصحف على الثاني[3] ﴿ إلى ربك المنتهى ﴾ المرجع والمصير بعد الموت، فيجازيهم.

٤٣ ﴿ وأنه هو أضحك ﴾ من شاء أفرحه ﴿ وأبكى ﴾ من شاء أحزنه.

٤٤ ﴿ وأنه هو أمات ﴾ في الدنيا ﴿ وأحيا ﴾ للبعث[4].

٤٥ ﴿ وأنه خلق الزوجين ﴾ الصنفين ﴿ الذكر والأنثى ﴾.

٤٦ ﴿ من نطفة ﴾ مني ﴿ إذا تمنى ﴾ تصب في الرحم.

٤٧ ﴿ وأن عليه النشأة ﴾ بالمد والقصر ﴿ الأخرى ﴾ الخلقة الأخرى للبعث بعد الخلقة الأولى.

٤٨ ﴿ وأنه هو أغنى ﴾ الناس بالكفاية بالأموال ﴿ وأقنى ﴾ أعطى المال المتخذ قنية[5].

٤٩ ﴿ وأنه هو رب الشعرى ﴾ هي كوكب خلف الجوزاء، كانت تعبد في الجاهلية.

٥٠ ﴿ وأنه أهلك عاداً الأولى ﴾ وفي قراءة بإدغام التنوين في اللام وضمها بلا همزة، وهي قوم هود، والأخرى قوم صالح.

٥١ ﴿ وثموداً ﴾ بالصرف[6] اسم للأب، وبلا صرف للقبيلة، هو معطوف على «عاداً» ﴿ فما أبقى ﴾ منهم أحداً.

٥٢ ﴿ وقوم نوح من قبل ﴾ أي قبل عاد وثمود، أهلكناهم ﴿ إنهم كانوا هم أظلم وأطغى ﴾ من عاد وثمود، لطول لبث نوح فيهم، فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، وهم مع عدم إيمانهم به يؤذونه ويضربونه.

---

[1] أي من جملة الغيب.

[2] على قوله ﴿أن لا تزر...﴾.

[3] أي على القول بالاستئناف لا يكون مضمون هذه الجمل مما في الصحف التي سبق ذكرها. وقراءة الكسر على الاستئناف شاذة.

[4] في الآخرة.

[5] والقنية: هي أصول الأموال وما يدخر بعد الكفاية.

[6] أي ﴿ثموداً﴾ بالتنوين.

سبب نزول الآيات [٣٣ - ٤١] والآية [٤٣]: قال الواحدي: قال مجاهد وابن زيد: نزلت في الوليد بن المغيرة، وكان قد اتبع رسول الله ﷺ على دينه، فعيره بعض المشركين وقال: لم تركت دين الأشياخ وضللتهم، وزعمت أنهم في النار؟ قال: إني خشيت عذاب الله. فضمن له إن هو أعطاه شيئاً من ماله ورجع إلى شركه أن يتحمل عنه عذاب الله سبحانه وتعالى، فأعطى الذي عاتبه بعض ما كان ضمن له، ثم بخل ومنعه، فأنزل الله

٥٣ ﴿ والمؤتفكة ﴾ وهي قرى قوم لوط ﴿ أهوى ﴾ أسقطها - بعد رفعها إلى السماء - مقلوبة إلى الأرض، بأمره جبريل بذلك.

٥٤ ﴿فغشاها﴾(١) من الحجارة بعد ذلك ﴿ما غشى﴾ أبهم تهويلاً(٢)، وفي هود/٨٢/: «فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل».

٥٥ ﴿ فبأي آلاء ربك ﴾ أنعمه الدالة على وحدانيته وقدرته ﴿ تتمارى ﴾ تتشكك أيها الإنسان أو تكذب.

٥٦ ﴿ هذا ﴾ محمد ﷺ ﴿ نذير من النذر الأولى ﴾ من جنسهم، أي رسول كالرسل قبله، أرسل إليكم كما أرسلوا إلى أقوامهم.

٥٧ ﴿ أزفت الآزفة ﴾ قربت القيامة.

٥٨ ﴿ ليس لها من دون الله ﴾ نفس ﴿ كاشفة ﴾ أي لا يكشفها ويظهرها إلا هو، كقوله عز وجل: «لا يجليها لوقتها إلا هو»/ الأعراف: ١٨٧/. ٥٩ ﴿ أفمن هذا الحديث ﴾ أي القرآن ﴿ تعجبون ﴾ تكذيباً.

٦٠ ﴿ وتضحكون ﴾ استهزاء ﴿ ولا تبكون ﴾ لسماع وعده ووعيده عز وجل.

٦١ ﴿ وأنتم سامدون ﴾ أي لاهون غافلون عما يطلب منكم.

٦٢ ﴿ فاسجدوا لله ﴾ الذي خلقكم ﴿ واعبدوا ﴾ ولا تسجدوا للأصنام ولا تعبدوها(٣).

(سورة القمر)

(مكية إلا آية ٤٥ فمدنية)

«وآياتها ٥٥»

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿ اقتربت الساعة ﴾ قربت القيامة ﴿ وانشق القمر ﴾ انفلق فلقتين على أبي قبيس وقيقعان، آية له ﷺ وقد سئلها(٤)، فقال: (اشهدوا) رواه الشيخان(٥).

٢ ﴿ وإن يروا ﴾ أي كفار قريش ﴿ آية ﴾ معجزة له ﷺ ﴿ يعرضوا ويقولوا ﴾ هذا ﴿ سحر مستمر﴾ قوي، من المِرة القوة، أو: دائم.

٣ ﴿وكذبوا﴾ النبي ﷺ ﴿واتبعوا أهواءهم﴾ في الباطل

وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ (٥٣) فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ (٥٤) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ
رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ (٥٥) هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ (٥٦)
أَزِفَتِ ٱلْءَازِفَةُ (٥٧) لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ (٥٨)
أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ (٥٩) وَتَضْحَكُونَ
وَلَا تَبْكُونَ (٦٠) وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ (٦١) فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ
وَٱعْبُدُوا۟ (٦٢) ۩

(٥٤) سُورَةُ القَمَرِ مَكِّيَّة
وَآيَاتُهَا خَمْسٌ وَخَمْسُونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ (١) وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟
وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ (٢) وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ

---

(١) أي ألبسها وكساها وغطاها بما أسقط عليها.

(٢) أي إشارة إلى أنه شيء عظيم لا تتمكن العقول من وصفه.

(٣) أخرج البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قرأ ﴿والنجم..﴾ فسجد فيها، وسجد من كان معه، غير أن شيخاً من قريش أخذ كفاً من حصباء أو تراب، فرفعه إلى جبهته وقال: يكفيني هذا. قال عبد الله: فلقد رأيته بعد قتل كافراً. [حصباء: حصى صغيرة، أو رمال]. [البخاري: سجود القرآن، باب: ما جاء في سجود القرآن وسنتها، رقم: ١٠١٧. مسلم: المساجد ومواضع الصلاة، باب: سجود التلاوة، رقم:٥٧٦]

(٤) أي معجزة وعلامة له على صدقه ﷺ، وكان كفار قريش قد طلبوا منه معجزة.

(٥) البخاري: التفسير/القمر، باب: ﴿وانشق القمر..﴾ رقم: ٤٥٨٣. مسلم: صفات المنافقين وأحكامهم، باب: انشقاق القمر، رقم: ٢٨٠٠.

تعالى هذه الآية.

وأخرج بسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت: مر رسول الله ﷺ بقوم يضحكون، فقال: (لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيراً ولضحكتم قليلاً). فنزل عليه جبريل عليه السلام بقوله: ﴿ وأنه هو أضحك وأبكى ﴾ فرجع إليهم فقال: (ما خطوت أربعين خطوة حتى أتاني جبريل عليه السلام، فقال: ائت هؤلاء وقل لهم: إن الله عزّ وجلّ يقول: ﴿ وأنه هو أضحك وأبكى ﴾).

سبب نزول الآية [٦١]: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانوا يمرون على رسول الله ﷺ وهو يصلي شامخين، فنزلت: ﴿وانتم سامدون﴾ [السيوطي]. [شامخين: متكبرين متعاظمين].

سبب نزول الآيات الأولى من سورة القمر: عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: رأيت القمر منشقاً بشقتين مرتين، بمكة قبل مخرج النبيّ ﷺ.. فقالوا: سحر القمر، فنزل: ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾. [أخرجه الحاكم في المستدرك: التفسير، باب: تفسير سورة القمر: ٤٧١/٢. =

﴿ **وكل أمر** ﴾ من جملة الخير والشر ﴿ **مستقر** ﴾ بأهله في الجنة أو في النار.

٤ ﴿ **ولقد جاءهم من الأنباء** ﴾ أخبار إهلاك الأمم المكذبة لرسلهم ﴿ **ما فيه مزدجر** ﴾ لهم، اسم مصدر أو اسم مكان، والدال بدل من تاء الافتعال(١)، وازدجرته وزجرته نهيته بغلظة، وما موصولة أو موصوفة.

٥ ﴿**حكمة**﴾ خبر مبتدأ محذوف، أو بدل من ما، أو من «مزدجر» ﴿**بالغة**﴾ تامة ﴿**فما تغن**﴾ تنفع فيهم ﴿**النذر**﴾ جمع نذير بمعنى منذر، أي الأمور المنذرة لهم، وما للنفي أو للاستفهام الإنكاري، وهي على الثاني مفعول مقدم(٢).

٦ ﴿ **فتول عنهم** ﴾ هو فائدة ما قبله(٣)، وتم به الكلام (٤) ﴿ **يوم يدع الداع** ﴾ هو إسرافيل، وناصب يوم يخرجون بعد (٥) ﴿ **إلى شيء نكر** ﴾ بضم الكاف وسكونها، أي منكر تنكره النفوس لشدته، وهو الحساب.

٧ ﴿ **خاشعاً** ﴾ أي ذليلاً، وفي قراءة «خشعاً» بضم الخاء وفتح الشين مشددة ﴿ **أبصارهم** ﴾ حال من فاعل ﴿ **يخرجون** ﴾ أي الناس ﴿ **من الأجداث** ﴾ القبور ﴿ **كأنهم جراد منتشر** ﴾ لا يدرون أين يذهبون من الخوف والحيرة، والجملة حال من فاعل يخرجون، وكذا قوله:

٧٠٥ (سورة القمر)

وَكُلُّ أَمۡرٖ مُّسۡتَقِرّٞ ﴿٣﴾ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّنَ ٱلۡأَنۢبَآءِ
مَا فِيهِ مُزۡدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكۡمَةُۢ بَٰلِغَةٞۖ فَمَا تُغۡنِ ٱلنُّذُرُ ﴿٥﴾
فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡۘ يَوۡمَ يَدۡعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيۡءٖ نُّكُرٍ ﴿٦﴾ خُشَّعًا
أَبۡصَٰرُهُمۡ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ كَأَنَّهُمۡ جَرَادٞ مُّنتَشِرٞ ﴿٧﴾
مُّهۡطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِۖ يَقُولُ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَسِرٞ ﴿٨﴾
* كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ فَكَذَّبُواْ عَبۡدَنَا وَقَالُواْ مَجۡنُونٞ
وَٱزۡدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ ﴿١٠﴾ فَفَتَحۡنَآ
أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ ﴿١١﴾ وَفَجَّرۡنَا ٱلۡأَرۡضَ
عُيُونٗا فَٱلۡتَقَى ٱلۡمَآءُ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ قَدۡ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلۡنَٰهُ عَلَىٰ
ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ وَدُسُرٖ ﴿١٣﴾ تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا جَزَآءٗ لِّمَن كَانَ
كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكۡنَٰهَآ ءَايَةٗ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴿١٥﴾
فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ

٨ ﴿ **مهطعين** ﴾ أي مسرعين مادين أعناقهم ﴿ **إلى الداع يقول الكافرون** ﴾ منهم ﴿ **هذا يوم عسر** ﴾ أي صعب على الكافرين، كما في المدثر/٩ ـ ١٠/«يوم عسير. على الكافرين».

٩ ﴿ **كذبت قبلهم** ﴾ قبل قريش ﴿ **قوم نوح** ﴾ تأنيث الفعل لمعنى قوم ﴿ **فكذبوا عبدنا** ﴾ نوحاً عليه السلام ﴿ **وقالوا مجنون وازدجر** ﴾ أي انتهروه بالسب وغيره.

١٠ ﴿**فدعا ربه أني**﴾ بالفتح، أي بأني ﴿**مغلوب فانتصر**﴾.

١١ ﴿ **ففتحنا** ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿ **أبواب السماء بماء منهمر** ﴾ منصب انصباباً شديداً.

١٢ ﴿ **وفجرنا الأرض عيوناً** ﴾ تنبع ﴿ **فالتقى الماء** ﴾ ماء السماء والأرض ﴿ **على أمر** ﴾ حال ﴿ **قد قدر** ﴾ قضي به في الأزل، وهو هلاكهم غرقاً.

١٣ ﴿ **وحملناه** ﴾ أي نوحاً ﴿ **على** ﴾ سفينة ﴿ **ذات ألواح ودسر** ﴾ وهو ما تشد به الألواح من المسامير وغيرها، واحدها دسار ككتاب.

١٤ ﴿ **تجري بأعيننا** ﴾ بمرأى منا، أي محفوظة ﴿ **جزاء** ﴾ منصوب بفعل مقدر، أي أغرقوا انتصاراً ﴿ **لمن كان كفر** ﴾ وهو نوح عليه السلام، وقرىء(٦) كَفَر بالبناء للفاعل، أي أغرقوا عقاباً لهم.

١٥ ﴿ **ولقد تركناها** ﴾ أبقينا هذه الفعلة ﴿ **آية** ﴾ لمن يعتبر بها، أي شاع خبرها واستمر ﴿ **فهل من مدكر** ﴾ معتبر ومتعظ بها، وأصله مذتكر، أبدلت التاء دالاً مهملة، وكذا المعجمة(٧)، وأدغمت فيها(٨).

١٦ ﴿ **فكيف كان عذابي ونذر** ﴾ أي إنذاري، استفهام تقرير، وكيف خبر كان، وهي للسؤال عن الحال، والمعنى: حمل المخاطبين على الإقرار بوقوع عذابه تبارك وتعالى بالمكذبين لنوح موقعه(٩). ١٧ ﴿ **ولقد يسرنا القرآن**

---

(١) أي طلب الفعل، فالفعل زجر، والافتعال منه ازتجار ومزتجر. وفي علم الصرف: أن تاء الافتعال تقلب دالاً بعد الزاي.

(٢) لتغني، والتقدير: فأي شيء من الأشياء النافعة تغني النذر.

(٣) أي ثمرته ونتيجته.

(٤) أي وما بعده كلام مستأنف.

(٥) أي قوله ﴿يوم يدع. .﴾ منصوب بقوله الآتي ﴿يخرجون من الأجداث. .﴾ أي يخرجون من قبورهم يوم يدعو الداعي. .

(٦) وهي قراءة شاذة.

(٧) أي الذال.

(٨) أخرج البخاري ومسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قرأت على رسول الله ﷺ: مذكر، فردها عليّ. وفي رواية أخرى: سمعته يقرأ ﴿مدكر﴾ دالاً. [البخاري: التفسير، باب تفسير سورة القمر وما بعده. مسلم: صلاة المسافرين وقصرها، باب: ما يتعلق بالقراءات].

(٩) أي إنه كان هو المناسب لهم جزاء كفرهم، وأنه العدل الذي لا ظلم فيه.

وانظر: البخاري: المناقب، باب: سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية فأراهم انشقاق القمر، رقم: ٣٤٣٧. ومسلم: صفات المنافقين =

﴿ للذكر ﴾ سهلناه للحفظ وهيأناه للتذكر **﴿ فهل من مدكر ﴾** متعظ به وحافظ له، والاستفهام بمعنى الأمر، أي احفظوه واتعظوا به، وليس يحفظ من كتب الله عن ظهر القلب غيره.

١٨ ﴿ كذبت عاد ﴾ نبيهم هوداً، فعذبوا **﴿ فكيف كان عذابي ونذر ﴾** أي إنذاري لهم بالعذاب قبل نزوله؟ أي وقع موقعه. وقد بينه بقوله:

١٩ ﴿ إنا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً ﴾ أي شديد الصوت **﴿ في يوم نحس ﴾** شؤم **﴿ مستمر ﴾** دائم الشؤم، أو قويه. وكان يوم الأربعاء آخر الشهر.

٢٠ ﴿ تنزع الناس ﴾ تقلعهم من حفر الأرض المندسين فيها، وتصرعهم على رؤوسهم فتدق رقابهم، فتبين الرأس عن الجسد **﴿ كأنهم ﴾** وحالهم ما ذكر **﴿ أعجاز ﴾** أصول **﴿ نخل منقعر ﴾** منقطع(١) ساقط على الأرض، وشبهوا بالنخل لطولهم(٢)، وذكر هنا وأنث في الحاقة/ ٧/ «نخل خاوية» مراعاة للفواصل في الموضعين(٣).

٢١ ﴿ فكيف كان عذابي ونذر ﴾.

٢٢ ﴿ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ﴾.

٢٣ ﴿ كذبت ثمود بالنذر ﴾ جمع نذير بمعنى منذر، أي بالأمور التي أنذرهم بها نبيهم صالح إن لم يؤمنوا به ويتبعوه.

٢٤ ﴿ فقالوا أبشراً ﴾ منصوب على الاشتغال(٤) **﴿ منا واحداً ﴾** صفتان لبشراً **﴿ نتبعه ﴾** مفسر للفعل الناصب له، والاستفهام بمعنى النفي، المعنى: كيف نتبعه ونحن جماعة كثيرة، وهو واحد منا، وليس بملك؟ أي لا نتبعه **﴿ إنا إذاً ﴾** أي إن اتبعناه **﴿ لفي ضلال ﴾** ذهاب عن الصواب **﴿ وسعر ﴾** جنون.

٢٥ ﴿ ءألقي ﴾ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين وتركه **﴿ الذكر ﴾** الوحي **﴿ عليه من بيننا ﴾** أي لم يوح إليه **﴿ بل هو كذاب ﴾** في قوله إنه أوحي إليه ما ذكر **﴿ أشر ﴾** متكبر بطر. قال تعالى:

٢٦ ﴿ سيعلمون غداً ﴾ في الآخرة **﴿ من الكذاب الأشر ﴾** هو أو هم؟ بأن يعذبوا على تكذيبهم نبيهم صالحاً.

٢٧ ﴿ إنا مرسلوا الناقة ﴾ مخرجوها من الهضبة، وهي الصخرة، كما سألوا **﴿ فتنة ﴾** محنة **﴿ لهم ﴾** لنختبرهم **﴿ فارتقبهم ﴾** يا صالح، انتظر ما هم صانعون وما يصنع بهم **﴿ واصطبر ﴾** الطاء بدل من تاء الافتعال(٥)، أي اصبر على أذاهم.

٢٨ ﴿ ونبئهم أن الماء قسمة ﴾ مقسوم **﴿ بينهم ﴾** وبين الناقة: يوم لهم، ويوم لها **﴿ كل شرب ﴾** نصيب من الماء **﴿ محتضر ﴾** يحضره القوم يومهم والناقة يومها، فتمادوا على ذلك(٦)، ثم ملوه، فهموا بقتل الناقة.

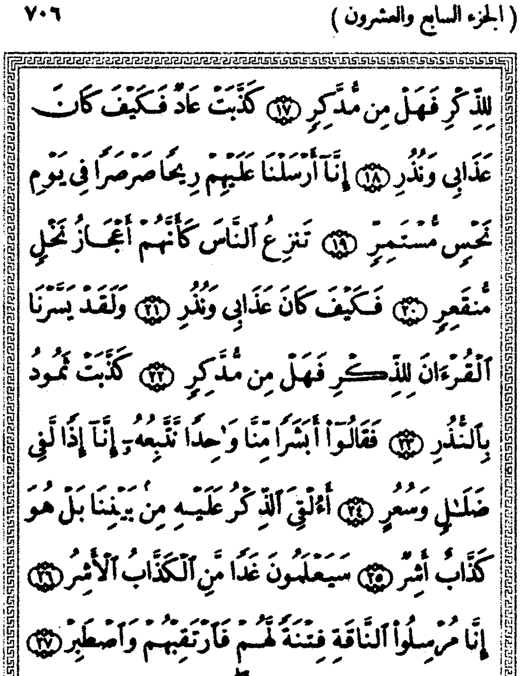

(الجزء السابع والعشرون) ٧٠٦

لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ
عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ
نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ
مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا
ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ
بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى
ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ
كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾
إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾
وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾
فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى
وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ

٢٩ ﴿ فنادوا صاحبهم ﴾ قداراً ليقتلها **﴿ فتعاطى ﴾** تناول السيف **﴿ فعقر ﴾** به الناقة، أي قتلها، موافقة لهم.

٣٠ ﴿ فكيف كان عذابي ونذر ﴾ إنذاري لهم بالعذاب قبل نزوله، أي وقع موقعه. وبينه بقوله: **٣١ ﴿ إنا أرسلنا عليهم**

---

(١) من قعره وهو أصله، يقال: قعرت النخلة أي قلعتها من أصلها.

(٢) وقوة أجسامهم.

(٣) أي لتكون نهايات الآيات متشابهة هنا وفي الحاقة، فقيل هنا ﴿منقعر﴾ ولم يقل: منقعرة، وقيل هناك ﴿خاوية﴾ ولم يقل: خاوٍ، والله أعلم.

(٤) أي منصوب بفعل مقدر يفسره ما بعده وهو ﴿نتبعه﴾ ولم يكن هو الناصب له لاشتغاله بنصب الضمير العائد عليه.

(٥) أي طلب الفعل وتكلفه، فاصطبر أصلها اصبر، دخلت تاء الافتعال فصارت اصتبر، فأبدلت التاء طاء لتناسب الصاد في تفخيمها.

(٦) استمروا عليه مدة.

= واحكامهم، باب: انشقاق القمر، رقم: ٢٨٠٠].

خرج الترمذي [التفسير، باب: ومن سورة القمر، رقم: ٣٢٨١] عن أنس رضي الله عنه قال: سأل أهل مكة النبيَّ ﷺ آية، فانشقّ القمر =

صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر ﴾ هو الذي يجعل لغنمه حظيرة(1) من يابس الشجر والشوك، يحفظهن فيها من الذئاب والسباع، وما سقط من ذلك فداسته هو الهشيم.

٣٢ ﴿ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ﴾.

٣٣ ﴿ كذبت قوم لوط بالنذر ﴾ بالأمور المنذرة لهم على لسانه.

٣٤ ﴿ إنا أرسلنا عليهم حاصباً ﴾ ريحاً ترميهم بالحصباء، وهي صغار الحجارة، الواحد دون ملء الكف، فهلكوا ﴿ إلا آل لوط ﴾ أهله، وهم ابنتاه معه ﴿ نجيناهم بسحر ﴾ من الأسحار، أي وقت الصبح من يوم غير معين، ولو أريد من يوم معين لمنع من الصرف، لأنه معرفة معدول عن السحر، لأن حقه أن يستعمل في المعرفة بأل(2). وهل أرسل الحاصب على آل لوط أولا؟ قولان، وعبر عن الاستثناء على الأول(3) بأنه متصل، وعلى الثاني(4) بأنه منقطع وإن كان من الجنس تسمحاً(5).

٣٥ ﴿ نعمة ﴾ مصدر أي إنعاماً ﴿ من عندنا كذلك ﴾ أي مثل ذلك الجزاء ﴿ نجزي من شكر ﴾ أنعمنا وهو مؤمن، أو: من آمن بالله ورسوله، وأطاع الله ورسوله.

ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن
مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا
عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ۖ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً
مِّنْ عِندِنَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم
بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا۟ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ
فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم
بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ
يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ
فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ
عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم
بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾
سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ

٣٦ ﴿ ولقد أنذرهم ﴾ خوفهم لوط ﴿ بطشتنا ﴾ أخذتنا إياهم بالعذاب ﴿ فتماروا ﴾ تجادلوا وكذبوا ﴿ بالنذر ﴾ بإنذاره.

٣٧ ﴿ ولقد راودوه عن ضيفه ﴾(6) أن يخلي بينهم وبين القوم الذين أتوه في صورة الأضياف ليخبثوا بهم(7)، وكانوا ملائكة ﴿ فطمسنا أعينهم ﴾ أعميناها وجعلناها بلا شق كباقي الوجه، بأن صفقها جبريل بجناحيه ﴿ فذوقوا ﴾ فقلنا لهم: ذوقوا ﴿ عذابي ونذر ﴾ أي إنذاري وتخويفي، أي ثمرته وفائدته.

٣٨ ﴿ ولقد صبحهم بكرة ﴾ وقت الصبح من يوم غير معين ﴿ عذاب مستقر ﴾ دائم متصل بعذاب الآخرة.

٣٩ ﴿ فذوقوا عذابي ونذر ﴾.

٤٠ ﴿ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ﴾.

٤١ ﴿ ولقد جاء آل فرعون ﴾ قومه معه ﴿ النذر ﴾ الإنذار على لسان موسى وهارون، فلم يؤمنوا، بل:

٤٢ ﴿ كذبوا بآياتنا كلها ﴾ أي التسع التي أوتيها موسى(8) ﴿ فأخذناهم ﴾ بالعذاب ﴿ أخذ عزيز ﴾ قوي ﴿ مقتدر ﴾ قادر لا يعجزه شيء.

٤٣ ﴿ أكفاركم ﴾ يا قريش ﴿ خير من أولئكم ﴾ المذكورين من قوم نوح إلى فرعون؟ فلم يعذبوا ﴿ أم لكم ﴾ يا كفار قريش ﴿ براءة ﴾ من العذاب ﴿ في الزبر ﴾ الكتب، والاستفهام في الموضعين بمعنى النفي، أي ليس الأمر كذلك.

٤٤ ﴿ أم يقولون ﴾ أي كفار قريش ﴿ نحن جميع ﴾ أي جمع ﴿ منتصر ﴾ على محمد؟ ولما قال أبو جهل يوم بدر: إنا جمع منتصر، نزل(9): ٤٥ ﴿ سيهزم الجمع ويولون الدبر ﴾ فهزموا ببدر، ونصر رسول الله ﷺ عليهم.

٤٦ ﴿ بل الساعة موعدهم ﴾ بالعذاب

---

(1) زريبة ومكاناً تأوي إليه.

(2) أي لأن الأصل أن يستعمل معرفاً بأل، فيقال: بالسحر، فعدل عن اللفظ المعرف إلى اللفظ المنكر: سحر، فإذا أريد به سحر يوم معين صار معرفة، أي علماً على ذاك الوقت، فيمنع من الصرف للعلمية والعدل. وإذا لم يرد به سحر يوم معين صرف - كما هو الحال هنا - لعدم وجود ما يقتضي منع صرفه.

(3) أي على القول بأن الحاصب أرسل عليهم ولكنهم نجوا.

(4) أي على القول بأن الحاصب لم يرسل عليهم أصلاً.

(5) أي تساهلاً في العبارة، وإلا فهو استثناء متصل على كل حال، لأن المستثنى من جنس المستثنى منه.

(6) أي طلبوا منه ذلك تكراراً وأرادوه.

(7) أي ليفعلوا بهم الفعلة الخبيثة، وهي ما كانوا يفعلونه من إتيان الرجال. (8) انظر/ الإسراء: ١٠١/ و/ النمل: ١٢/.

(9) ذكر هذا سبباً لنزول الآية ابن جرير الطبري عن ابن عباس =

بمكة مرتين، فنزلت: ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾ إلى قوله ﴿سحر مستمر﴾. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

﴿ والساعة ﴾ أي عذابها ﴿ أدهى ﴾ أعظم بلية ﴿ وأمر ﴾ أشد مرارة من عذاب الدنيا.

٤٧ ﴿ إن المجرمين في ضلال ﴾ هلاك بالقتل في الدنيا ﴿ وسعر ﴾ نار مسعرة، بالتشديد(١)، أي مهيجة في الآخرة.

٤٨ ﴿ يوم يسحبون في النار على وجوههم ﴾ أي في الآخرة، ويقال لهم: ﴿ ذوقوا مس سقر ﴾ إصابة جهنم لكم.

٤٩ ﴿ إنا كل شيء ﴾ منصوب بفعل يفسره ﴿ خلقناه بقدر ﴾ بتقدير، حال من كل، أي مقدراً. وقرئ(٢) كل بالرفع مبتدأ، خبره خلقناه.

٥٠ ﴿ وما أمرنا ﴾ لشيء نريد وجوده ﴿ إلا ﴾ أمرة(٣) ﴿ واحدة كلمح بالبصر ﴾ في السرعة، وهي قول كن، فيوجد «إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون»(٤)/ يس: ٨٢/.

٥١ ﴿ ولقد أهلكنا أشياعكم ﴾ أشباهكم في الكفر من الأمم الماضية ﴿ فهل من مدكر ﴾ استفهام بمعنى الأمر، أي اذكروا واتعظوا.

٥٢ ﴿ وكل شيء فعلوه ﴾ أي العباد، مكتوب ﴿ في الزبر ﴾ كتب الحفظة.

٥٣ ﴿ وكل صغير وكبير ﴾ من الذنب أو العمل ﴿ مستطر ﴾ مكتتب في اللوح المحفوظ.

٥٤ ﴿ إن المتقين في جنات ﴾ بساتين ﴿ ونهر ﴾ أريد به الجنس، وقرئ(٥) بضم النون والهاء جمعاً كأسَد وأُسُد، والمعنى: أنهم يشربون من أنهارها الماء واللبن والعسل والخمر.

٥٥ ﴿ في مقعد صدق ﴾ مجلس حق لا لغو فيه ولا تأثيم، أريد به الجنس. وقرئ مقاعد(٦)، المعنى: أنهم في مجالس من الجنات سالمة من اللغو والتأثيم، بخلاف مجالس الدنيا، فقلَّ أن تسلم من ذلك. وأعرب هذا(٧) خبراً ثانياً وبدلاً، وهو صادق ببدل البعض وغيره(٨) ﴿ عند مليك ﴾ مثال مبالغة(٩)، أي عزيز الملك واسعه ﴿ مقتدر ﴾ قادر لا يعجزه شيء، وهو الله تعالى، وعند إشارة إلى الرتبة(١٠) والقربة من فضله تعالى.

(سورة الرحمن)

(مكية أو إلا آية ٢٩ فمدنية، وآياتها ٧٦ أو ٧٨)

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿ الرحمن ﴾ الله تعالى.

٢ ﴿ علم ﴾ من شاء ﴿ القرآن ﴾.

٣ ﴿ خلق الإنسان ﴾ أي الجنس.

وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ
وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا
مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا
إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ
فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾
وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ
وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾

(٥٥) سُورَةُ الرَّحْمَٰنِ مَدَنِيَّة
وَآيَاتُهَا ثَمَانٍ وَسَبْعُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٣﴾

= رضي الله عنهما، والظاهر أن هذا القول سابق ليوم بدر، فقد روى ابن جرير الطبري وغيره عن عكرمة قال: لما نزلت: ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾ قال عمر: جعلت أقول: أي جمع يهزم؟ أي جمع يغلب؟ فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله ﷺ يثب في الدرع وهو يقول: ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾ فعرفت تأويلها يومئذ. [انظر تفسير ابن كثير] أقول: ولا مانع من أن يكون نزولها قد تكرر، والله تعالى أعلم.

(١) أي بتشديد العين المفتوحة من مسعرة، أي نار شديدة.

(٢) أي وهي قراءة شاذة. (٣) أي مرة من الأمر.

(٤) وكل هذا كناية عن سرعة الإيجاد بمجرد تعلق الإرادة والقدرة بوجود الشيء.

(٥) و(٦) قراءتان شاذتان.

(٧) أي قوله ﴿في مقعد صدق﴾.

(٨) أي إعرابه بدلاً يصدق ببدل بعض من كل، لأن مقعد الصدق بعض الجنات، ويصدق ببدل الاشتمال، لأن الجنات مشتملة على مقعد الصدق.

(٩) أي لفظ ﴿مليك﴾ صيغة مبالغة من المُلك.

(١٠) أي المراد بالعندية المكانة لا المكان، والله تعالى أعلم.

سبب نزول الآيات[٤٨، ٤٩]: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله ﷺ في القدر، فنزلت: ﴿يوم يسحبون..﴾ إلى قوله ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾. [مسلم: القدر، باب: كل شيء بقدر، رقم: ٢٦٥٦. الترمذي: التفسير، باب: ومن سورة القمر، رقم: ٣٢٨٦].

٤ ﴿ علمه البيان ﴾ النطق. ٥ ﴿ الشمس والقمر بحسبان ﴾ يجريان بحساب. ٦ ﴿ والنجم ﴾ ما لا ساق له من النبات(١) ﴿ والشجر ﴾ ماله ساق ﴿ يسجدان ﴾ يخضعان لما يراد منهما. ٧ ﴿ والسماء رفعها ووضع الميزان ﴾ أثبت العدل.
٨ ﴿ ألا تطغوا ﴾ أي لأجل أن لا تجوروا ﴿ في الميزان ﴾ ما يوزن به.
٩ ﴿ وأقيموا الوزن بالقسط ﴾ بالعدل ﴿ ولا تخسروا الميزان ﴾ تنقصوا الموزون.
١٠ ﴿ والأرض وضعها ﴾ أثبتها ﴿ للأنام ﴾ للخلق: الإنس والجن وغيرهم. ١١ ﴿ فيها فاكهة والنخل ﴾ المعهود ﴿ ذات الأكمام ﴾ أوعية طلعها(٢). ١٢ ﴿ والحب ﴾ كالحنطة والشعير ﴿ ذو العصف ﴾ التبن ﴿ والريحان ﴾ الورق، أو المشموم.
١٣ ﴿ فبأي آلاء ﴾ نعم ﴿ ربكما ﴾ أيها الإنس والجن ﴿ تكذبان ﴾ ذكرت إحدى وثلاثين مرة، والاستفهام فيها للتقرير، لما روى الحاكم عن جابر قال : قرأ علينا رسول الله ﷺ سورة الرحمن حتى ختمها، ثم قال: (مالي أراكم سكوتاً؟ للجن كانوا أحسن منكم رداً، ما قرأت عليهم هذه الآية من مرة «فبأي آلاء ربكما تكذبان» إلا قالوا: ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب، فلك الحمد)(٣). ١٤ ﴿ خلق الإنسان ﴾ آدم ﴿ من صلصال ﴾ طين يابس يسمع له صلصلة، أي صوت إذا نقر ﴿ كالفخار ﴾ وهو ما طبخ من الطين.
١٥ ﴿ وخلق الجان ﴾ أبا الجن وهو إبليس ﴿ من مارج من نار ﴾ هو لهبها الخالص من الدخان.
١٦ ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾.
١٧ ﴿ رب المشرقين ﴾ مشرق الشتاء(٤) ومشرق الصيف(٥) ﴿ ورب المغربين ﴾ كذلك.
١٨ ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾.
١٩ ﴿ مرج ﴾ أرسل ﴿ البحرين ﴾ العذب والملح ﴿ يلتقيان ﴾ في رأي العين.
٢٠ ﴿ بينهما برزخ ﴾ حاجز من قدرته تعالى ﴿ لا يبغيان ﴾ لا يبغي واحد منهما على الآخر(٦)، فيختلط به(٧). ٢١ ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾.
٢٢ ﴿ يخرج ﴾ بالبناء للمفعول والفاعل ﴿ منهما ﴾ من مجموعهما الصادق بأحدهما وهو الملح(٨) ﴿ اللؤلؤ والمرجان ﴾ خرز أحمر، أو: صغار اللؤلؤ.

عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ﴿٩﴾ وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾

---

(١) وقيل المراد بالنجم الكوكب، وما ذكره المفسر أرجح، لأنه ذكر مع الشجر، إلا أن يكون المراد بالشجر النبات عامة، فيكون حمل النجم على الكوكب أولى، لتعم معاني الآيات جميع المظاهر الكونية.

(٢) الأكمام جمع كم بكسر الكاف، والطلع هو ما يطلع من الزهر ثم يصير ثمراً.

(٣) المستدرك: التفسير، باب: تفسير سورة الرحمن.

(٤) وهو غاية ارتفاع الشمس.

(٥) وهو غاية انحطاط الشمس.

(٦) أي لا يتجاوز الحد الذي جعله له خالقه سبحانه، فإن الإنسان يحفر في الأرض إلى جانب الماء المالح فيخرج الماء الحلو العذب. هذا من حيث الظاهر، وقد يكشف العلم غير هذا، والله أعلم.

(٧) أي لا يكون منهما بغي، فلا يكون بينهما اختلاط.

(٨) أو المراد أنه يخرج من موضع التقائهما.

فائدة: جاء في تفسير ابن كثير لقوله تعالى: ﴿والنخل ذات الأكمام﴾: أفرده بالذكر لشرفه ونفعه رطباً ويابساً. ثم قال: قال ابن أبي حاتم: ذكر عن عمرو بن علي الصيرفي: حدثنا أبو قتيبة: حدثنا يونس بن الحارث الطائفي، عن الشعبي قال: كتب قيصر إلى عمر بن الخطاب : أخبرك أن رسلي أتتني من قبلك، فزعمت أن قبلكم شجرة ليست بخليقة لشيء من الخير: تخرج مثل آذان الحمير، ثم تنشق مثل اللؤلؤ، ثم تخضر فتكون مثل الزمرد الأخضر، ثم تحمر فتكون كالياقوت الأحمر، ثم تينع وتنضج فتكون كأطيب فالوذج أكل، ثم تيبس فتكون عصمة للمقيم وزاداً للمسافر. فإن تكن رسلي صدقتني فلا أرى هذه الشجرة إلا من شجر الجنة. فكتب إليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه: من عمر أمير المؤمنين إلى قيصر الروم، إن رسلك قد صدقوك، هذه الشجرة عندنا، وهي الشجرة التي أنبتها الله على مريم حين نفست بعيسى ابنها، فاتق الله ولا تتخذ عيسى إلٰهاً من دون الله، فإن: ﴿مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون. الحق من ربك فلا تكن من الممترين﴾ [آل عمران: ٥٩ـ٦٠].

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنها مثل المسلم، فحدثوني ما هي). فوقع الناس في شجر البوادي، قال عبد الله: ووقع في نفسي أنها النخلة، فاستحييت، ثم قالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله. قال: (هي النخلة)=

٢٣ ﴿ **فبأي آلاء ربكما تكذبان** ﴾.

٢٤ ﴿ **وله الجوار** ﴾ السفن ﴿ **المنشآت** ﴾ المحدثات ﴿ **في البحر كالأعلام** ﴾ كالجبال عظماً وارتفاعاً.

٢٥ ﴿ **فبأي آلاء ربكما تكذبان** ﴾.

٢٦ ﴿ **كل من عليها** ﴾ الأرض، من الحيوان ﴿ **فان** ﴾ هالك، وعبر بمن تغليباً للعقلاء.

٢٧ ﴿ **ويبقى وجه ربك** ﴾ ذاته ﴿ **ذو الجلال** ﴾ العظمة ﴿ **والإكرام** ﴾ للمؤمنين، بأنعمه عليهم(١).

٢٨ ﴿ **فبأي آلاء ربكما تكذبان** ﴾.

٢٩ ﴿ **يسأله من في السماوات والأرض** ﴾ بنطق أو حال(٢)، ما يحتاجون إليه من القوة على العبادة، والرزق، والمغفرة، وغير ذلك ﴿ **كل يوم** ﴾ وقت ﴿ **هو في شأن** ﴾ أمر يظهره على وفق ما قدره في الأزل، من إحياء وإماتة، وإعزاز وإذلال، وإغناء، وإعدام، وإجابة داعٍ، وإعطاء سائل، وغير ذلك.

٣٠ ﴿ **فبأي آلاء ربكما تكذبان** ﴾.

٣١ ﴿ **سنفرغ لكم** ﴾ سنقصد لحسابكم(٣) ﴿ **أيه الثقلان** ﴾(٤) الإنس والجن.

٣٢ ﴿ **فبأي آلاء ربكما تكذبان** ﴾.

٣٣ ﴿ **يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا** ﴾ تخرجوا ﴿ **من أقطار** ﴾ نواحي ﴿ **السماوات والأرض فانفذوا** ﴾ أمر تعجيز(٥) ﴿ **لا تنفذون إلا بسلطان** ﴾ بقوة، ولا قوة لكم على ذلك.

٣٤ ﴿ **فبأي آلاء ربكما تكذبان** ﴾.

٣٥ ﴿ **يرسل عليكما شواظ من نار** ﴾ هو لهبها الخالص من الدخان أو معه ﴿ **ونحاس** ﴾ أي دخان لا لهب فيه ﴿ **فلا تنتصران** ﴾ تمتنعان من ذلك، بل يسوقكم إلى المحشر.

٣٦ ﴿ **فبأي آلاء ربكما تكذبان** ﴾.

٣٧ ﴿ **فإذا انشقت السماء** ﴾ انفرجت أبواباً لنزول الملائكة ﴿ **فكانت**

فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ
فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾
كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ
وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾
يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى
شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾ سَنَفْرُغُ
لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾
يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ
أَقْطَارِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا
بِسُلْطَـٰنٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ
عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ

---

(١) قال ﷺ: (ألظوا بياذا الجلال والإكرام) أخرجه الترمذي والحاكم وقال: حديث صحيح الإسناد. [ألظوا: الزموا هذه الدعوة وأكثروا]. [الترمذي: الدعوات، باب: حدثنا محمد ابن حاتم. .، رقم: ٣٥٢٣. المستدرك: الدعاء، باب: ألظوا. .: ١/٤٩٩].

(٢) أي إن السؤال واقع بنطق وحروف وأصوات، وهي ما يسمى لسان المقال. أو المراد أن حالهم من العجز والفقر وما إلى ذلك يدل على هذا المعنى، وهو ما يسمى لسان الحال.

(٣) أي ليس المراد هنا من الفراغ التفرغ من الشواغل، لأنه سبحانه لا يشغله شأن عن شأن، وإنما المراد القصد للشيء والإقبال عليه وإرادته، والفراغ يطلق على ذلك والله تعالى أعلم.

(٤) مثنى ثَقَل، وسميا بذلك لأنهما أثقلا الأرض، أو لأنهما أثقلتهما التكاليف.

(٥) أي ليس المراد من هذا الأمر الاستجابة، وإنما المراد إظهار عجزهم وضعفهم.

=[البخاري: العلم، باب: قول المحدث حدثنا أو أخبرنا وأنبأنا، رقم: ٦١. مسلم: صفات المنافقين وأحكامهم، باب: مثل المؤمن مثل النخلة، رقم: ٢٨١١]. [مثل المسلم: من حيث كثرة النفع واستمرار الخير. فوقع الناس: ذهبت أفكارهم وجالت. البوادي: جمع بادية، وهي خلاف الحاضرة من المدن. فاستحييت: أي أن أقول هي النخلة، توقيراً لمن هم أكبر مني في المجلس].

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من تصبح كل يوم سبع تمرات عجوة لم يضره في ذلك اليوم سم ولا سحر) [البخاري: الأطعمة، باب: العجوة، رقم: ٥١٣٠. مسلم: الأشربة، باب: فضل تمر المدينة، رقم: ٢٠٤٧] [تصبح: أكل صباحاً قبل أن يأكل شيئاً. لم يضره: لم يؤثر عليه].

وردة ﴾ أي مثلها محمرة ﴿ كالدهان ﴾ كالأديم(١) الأحمر، على خلاف العهد بها(٢)، وجواب «إذا» فما أعظم الهول.

٣٨ ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾.

٣٩ ﴿ فيومئذٍ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان ﴾ عن ذنبه، ويسألون في وقت آخر «فوربك لنسألنهم أجمعين». / الحجر: ٩٢/ والجان ـ هنا وفيما سيأتي ـ بمعنى الجني، والإنس فيهما بمعنى الإنسي.

٤٠ ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾.

٤١ ﴿ يعرف المجرمون بسيماهم ﴾(٣) سواد الوجوه وزرقة العيون ﴿ فيؤخذ بالنواصي والأقدام ﴾(٤).

٤٢ ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾ تضم ناصية كل منهم إلى قدميه من خلف أو قدام، ويلقى في النار، ويقال لهم:

٤٣ ﴿ هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون ﴾.

٤٤ ﴿ يطوفون ﴾ يسعون ﴿ بينها وبين حميم ﴾ ماء حار ﴿ آن ﴾ شديد الحرارة، يسقونه إذا استغاثوا من حر النار. وهو منقوص كقاضٍ(٥).

وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾
فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ
فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾
يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ
رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ
رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾
فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ
بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ

٤٥ ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾.

٤٦ ﴿ ولمن خاف ﴾ أي لكل منهم، أو لمجموعهم ﴿ مقام ربه ﴾ قيامه بين يديه للحساب، فترك معصيته ﴿ جنتان ﴾.

٤٧ ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾.

٤٨ ﴿ ذواتا ﴾ تثنية ذوات على الأصل، ولامها ياء(٦) ﴿ أفنان ﴾ أغصان، جمع فنن كطلل.

٤٩ ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾.

٥٠ ﴿ فيهما عينان تجريان ﴾.

٥١ ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾.

٥٢ ﴿ فيهما من كل فاكهة ﴾ في الدنيا، أو كل ما يتفكه به ﴿ زوجان ﴾ نوعان، رطب ويابس، والمر منهما في الدنيا ـ كالحنظل ـ حلو.

٥٣ ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾.

٥٤ ﴿ متكئين ﴾ حال عامله محذوف، أي يتنعمون(٧) ﴿ على فرش بطائنها من إستبرق ﴾ ما غلظ من الديباج وخشن، والظهائر من السندس(٨) ﴿ وجنى الجنتين ﴾ ثمرهما ﴿ دان ﴾ قريب، يناله القائم والقاعد والمضطجع.

٥٥ ﴿ فبأي آلاء

---

(١) الأديم الجلد المدبوغ.

(٢) أي على خلاف ما نعهده من لونها وهو الزرقة.

(٣) السيما: هي العلامة، وقد تكون علامتهم أخذهم لكتابهم بشمالهم أو من وراء ظهورهم.

(٤) النواصي جمع ناصية، وهي مقدمة الرأس، وقد يكون المراد هنا ما عليها من شعر، فيمسكون من نواصيهم وأقدامهم ويلقون في جهنم.

(٥) أي قوله ﴿آن﴾ أصله آني، اسم منقوص بالياء كقاضي.

(٦) أي أصل ذات ذوات، فثنيت على الأصل، لأن المحذوف يرد عند التثنية أو الجمع. وأصل ذوات ذَوَيَ، فقلبت الياء ألفاً وزيدت التاء، وهذه الياء هي لام الكلمة في الأصل، وهو المراد بقوله: ولامها ياء.

(٧) أي التقدير: يتنعمون متكئين، فمتكئين منصوب على الحالية، والعامل فيه يتنعمون، والضمير في يتنعمون يعود على ﴿مَنْ﴾ في قوله: ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾.

(٨) وهو مارق ونَعُم من الديباج، والديباج من أفخر ثياب الحرير.

سبب نزول الآية [٤٦]: قال السيوطي: أخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ في [كتاب العظمة] عن عطاء: أن أبا بكر الصديق ذكر ذات يوم القيامة والموازين والجنة والنار. فقال: وددت أني كنت خضراء من هذه الخضر، تأتي عليّ بهيمة تأكلني، وأني لم أخلق. فنزلت: ﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾. وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن شوذب قال: نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

ربكما تكذبان ﴾.

٥٦ ﴿ فيهن ﴾ في الجنتين وما اشتملتا عليه من العلالي والقصور ﴿ قاصرات الطرف ﴾ العين، على أزواجهن المتكئين من الإنس والجن ﴿ لم يطمثهن ﴾ يفتضهن[١]، وهن من الحور، أو من نساء الدنيا المنشآت[٢] ﴿ إنس قبلهم ولا جان ﴾. ٥٧ ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾.

٥٨ ﴿ كأنهن الياقوت ﴾ صفاء[٣] ﴿ والمرجان ﴾ أي اللؤلؤ، بياضاً. ٥٩ ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾.

٦٠ ﴿ هل ﴾ ما ﴿ جزاء الإحسان ﴾ بالطاعة ﴿ إلا الإحسان ﴾ بالنعيم. ٦١ ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾.

٦٢ ﴿ ومن دونهما ﴾ أي الجنتين المذكورتين ﴿ جنتان ﴾ أيضاً، لمن خاف مقام ربه. ٦٣ ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾.

٦٤ ﴿ مدهامتان ﴾ سوداوان من شدة خضرتهما[٤]. ٦٥ ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾.

٦٦ ﴿ فيهما عينان نضاختان ﴾ فوارتان بالماء لا تنقطعان. ٦٧ ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾.

٦٨ ﴿ فيهما فاكهة ونخل ورمان ﴾ هما منها[٥]، وقيل من غيرها. ٦٩ ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾.

٧٠ ﴿ فيهن ﴾ أي الجنتين وما فيهما ﴿ خيرات ﴾ أخلاقاً ﴿ حسان ﴾ وجوهاً. ٧١ ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾.

٧٢ ﴿ حور ﴾ شديدات سواد العيون وبياضها[٦] ﴿ مقصورات ﴾ مستورات ﴿ في الخيام ﴾ من در مجوف، مضافة إلى القصور، شبيهة بالخدور[٧].

٧٣ ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾. ٧٤ ﴿ لم يطمثهن أنس قبلهم ﴾ قبل أزواجهن ﴿ ولا جان ﴾.

رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ
إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾
كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾
فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾
فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾
فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ
وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ
خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾
حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أول زمرة تَلِجُ الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر، لا يبصقون فيها ولا يمتخطون ولا يتغوطون، آنيتهم فيها الذهب، أمشاطهم من الذهب والفضة، ومجامرهم الألوة، ورشحهم المسك، ولكل واحد منهم زوجتان، يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن، لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم قلب رجل واحد، يسبحون الله بكرة وعشياً». [البخاري: بدء الخلق، باب: ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، رقم: ٣٠٧٤. مسلم: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، رقم: ٢٨٣٤]. [زمرة: جماعة. تلج: تدخل. على صورة القمر: أي في الإضاءة. البدر: اسم للقمر حين يكتمل. آنيتهم: أوعيتهم. مجامرهم: جمع مجمرة وهي المبخرة، سميت بذلك لأنها يوضع فيها الجمر ليفوح به ما يوضع فيها من البخور. الألوة: العود الهندي الذي يتبخر به. رشحهم: عرقهم كالمسك في طيب رائحته. مخ سوقها: ما في داخل العظم من الساق. قلب.. واحد: أي كقلب رجل واحد. بكرة وعشياً: أي في غالب أوقاتهم يتلذذون بما يلهمهم الله تعالى من ذكره].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «الروحة في سبيل الله أو غدوة خير من الدنيا وما فيها، ولقاب قوس أحدكم من الجنة، أو موضع قِيد - يعني سوطه - خير من الدنيا وما فيها، ولو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض

---

(١) أي لم يزل بكارتهن، فأصل الطمث: جماع البكر المؤدي إلى خروج الدم بإزالة غشاء البكارة، ثم أطلق على كل جماع، وهذا هو المراد هنا. والمعنى: لم يقربهن ولم يمسهن أحد قبل هؤلاء الأزواج.

(٢) أي المخلوقات خلقاً جديداً، انظر/ الواقعة: ٣٥ - ٣٨/.

(٣) أي الياقوت أحمر اللون، فالتشبيه بالياقوت من حيث الصفاء لا من حيث الحمرة.

(٤) من الدهمة وهي السواد، وشدة خضرتهما لكثرة بساتينهما وما فيهما من الغرس والزرع، والعرب تطلق الأسود على شديد الخضرة.

(٥) أي النخل والرمان من الفاكهة. (٦) جمع حوراء.

(٧) جمع خِدْر، وهو الستر الذي تتخذه البكر داخل البيت، تجلس فيه بعداً عن الرجال حياءً وخجلاً. عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة، طولها في السماء - وفي رواية: عرضها - ستون ميلاً، للمؤمن فيها أهلون، يطوف عليهم المؤمن، فلا يرى بعضهم بعضاً).
[البخاري: التفسير/الرحمن، باب: ﴿حور مقصورات في الخيام﴾ رقم: ٤٥٩٨. مسلم: الجنة وصفة نعيمها، باب: في صفة خيام الجنة.. ، رقم: ٢٨٣٨].

٧٥ ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾ .

٧٦ ﴿ متكئين ﴾ أي أزواجهن، وإعرابه كما تقدم[1] ﴿ على رفرف خضر ﴾ جمع رفرفة، أي بسط، أو وسائد ﴿ وعبقري حسان ﴾ جمع عبقرية، أي طنافس[2].

٧٧ ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾ . ٧٨ ﴿ تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام ﴾ تقدم[3]، ولفظ اسم زائد[4].

(سورة الواقعة)

(مكية إلا آيتي ٨١ و ٨٢ فمدنيتان)

«وآياتها ٩٦ أو ٩٧ أو ٩٩»

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿ إذا وقعت الواقعة ﴾ قامت القيامة. ٢ ﴿ ليس لوقعتها كاذبة ﴾ نفس تكذب، بأن تنفيها كما نفتها في الدنيا.

فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ
وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾
تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾

(٥٦) سُورَةُ الوَاقِعَةِ مَكِّيَّة
وَآيَاتُهَا سِتٌّ وَتِسْعُونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ
رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ
بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا
ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾
وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ

٣ ﴿ خافضة رافعة ﴾ أي مظهرة لخفض أقوام بدخولهم النار، ولرفع آخرين بدخولهم الجنة.

٤ ﴿ إذا رجت الأرض رجاً ﴾ حركت حركة شديدة.

٥ ﴿ وبست الجبال بساً ﴾ فتتت.

٦ ﴿ فكانت هباءً ﴾ غباراً ﴿ منبثاً ﴾ منتشراً، وإذا الثانية بدل من الأولى.

٧ ﴿ وكنتم ﴾ في القيامة ﴿ أزواجاً ﴾ أصنافاً ﴿ ثلاثة ﴾ .

٨ ﴿ فأصحاب الميمنة ﴾ وهم الذين يؤتون كتبهم بأيمانهم، مبتدأ خبره ﴿ ما أصحاب الميمنة ﴾ تعظيم لشأنهم بدخولهم الجنة.

٩ ﴿ وأصحاب المشأمة ﴾ أي الشمال، بأن يؤتى كل منهم كتابه بشماله ﴿ ما أصحاب المشأمة ﴾ تحقير لشأنهم بدخول النار.

١٠ ﴿ والسابقون ﴾ أي إلى الخير، وهم الأنبياء، مبتدأ

لأضاءت ما بينهما، ولملأته ريحاً، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها». [البخاري: الجهاد، باب: الحور العين وصفتهن. .، رقم: ٢٦٤٣. مسلم: الإمارة، باب: فضل الغدوة والروحة في سبيل الله تعالى، رقم: ١٨٨٠] [الغدوة: الذهاب وقت الصباح، والروحة وقت المساء، والمراد: صرف شيء من الوقت في سبيل الله تعالى. لقاب قوس: قدر طولها، والمراد استعماله في سبيل الله تعالى. موضع قيد: مقدار قيد، وهو السوط المتخذ من الجلد الذي لم يدبغ. ما بينهما: ما بين السماء والأرض. ريحاً: عطراً. لنصيفها: خمارها، وهو ما يغطى به الرأس].

[1] في تفسير الآية/ ٥٤/. وقد تقدم أنه حال لعامل محذوف، والتقدير: يتنعمون متكئين.

[2] جمع طنفسة، وهي بساط له خمل رقيق.

[3] في الآية/ ٢٧/.

[4] والمعنى: تبارك ربك. . لأن صفات التنزيه والتعظيم في الحقيقة للمسمى لا للأسماء، على أن أسماء الله تعالى وصفاته يسند إليها التنزيه والتعظيم حقيقة، فإبقاء اللفظ على ظاهره، وعدم القول بالزيادة أولى وأبلغ، لأنه إذا كانت أسماؤه كذلك فذاته أولى.

فائدة: ذكر ابن كثير في تفسيره من طريق الحافظ خلف بن عساكر في ترجمة ابن مسعود رضي الله عنه عن أبي ظبية قال: مرض عبد الله رضي الله عنه مرضه الذي توفي فيه، فعاده عثمان بن عفان رضي الله عنه فقال: ما تشتكي ؟ قال: ذنوبي. قال: فما تشتهي ؟ قال: رحمة ربي. قال: ألا آمر لك بطبيب ؟ قال: الطبيب أمرضني. قال: ألا آمر لك بعطاء ؟ قال: لا حاجة لي فيه. قال: يكون لبناتك من بعدك ؟ قال: أتخشى على بناتي الفقر ؟ إني أمرت بناتي يقرأن كل ليلة سورة الواقعة، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً».

وأخرج أحمد في مسنده [٥/ ١٠٤] عن سماك بن حرب: أنه سمع جابر بن سمرة رضي الله عنه يقول: كان رسول الله ﷺ يصلي الصلوات كنحو من صلاتكم التي تصلون اليوم، ولكنه كان يخفف، كانت صلاته أخف من صلاتكم، وكان يقرأ في الفجر (الواقعة) ونحوها من السور.

﴿ السابقون ﴾ تأكيد لتعظيم شأنهم، والخبر:

١١ ﴿ أولئك المقربون ﴾.

١٢ ﴿ في جنات النعيم ﴾.

١٣ ﴿ ثلة من الأولين ﴾ مبتدأ، أي جماعة من الأمم الماضية.

١٤ ﴿ وقليل من الآخرين ﴾ من أمة محمد ﷺ، وهم السابقون من الأمم الماضية وهذه الأمة، والخبر:

١٥ ﴿ على سرر موضونة ﴾ منسوجة بقضبان الذهب والجواهر.

١٦ ﴿ متكئين عليها متقابلين ﴾ حالان من الضمير في الخبر(١).

١٧ ﴿ يطوف عليهم ﴾ للخدمة ﴿ ولدان مخلدون ﴾ على شكل الأولاد(٢) لا يهرمون.

١٨ ﴿ بأكواب ﴾ أقداح لا عرى لها ﴿ وأباريق ﴾ لها عرى وخراطيم ﴿ وكأس ﴾ إناء شرب الخمر ﴿ من معين ﴾ أي خمر جارية من منبع لا ينقطع أبداً.

١٩ ﴿ لا يصدعون عنها ولا ينزفون ﴾ بفتح الزاي وكسرها، من نزف الشارب وأنزف، أي لا يحصل لهم منها صداع ولا ذهاب عقل، بخلاف خمر الدنيا.

٢٠ ﴿ وفاكهة مما يتخيرون ﴾.

٢١ ﴿ ولحم طير مما يشتهون ﴾

٢٢ ﴿ و ﴾ لهم للاستمتاع ﴿ حور ﴾ نساء شديدات سواد العيون وبياضها ﴿ عين ﴾ ضخام العيون، كسرت عينه بدل ضمها لمجانسة الياء، ومفرده عيناء كحمراء، وفي قراءة بجر «حور عين»(٣).

٢٣ ﴿ كأمثال اللؤلؤ المكنون ﴾ المصون.

٢٤ ﴿ جزاء ﴾ مفعول له أو مصدر، والعامل مقدر، أي جعلنا لهم ما ذكر للجزاء، أو: جزيناهم ﴿ بما كانوا يعملون ﴾.

٢٥ ﴿ لا يسمعون فيها ﴾ في الجنة ﴿ لغواً ﴾ فاحشاً من الكلام ﴿ ولا تأثيماً ﴾ ما يؤثم.

٢٦ ﴿ إلا ﴾ لكن ﴿ قيلاً ﴾ قولاً ﴿ سلاماً سلاماً ﴾ بدل من قيلاً، فإنهم يسمعونه.

٢٧ ﴿ وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين ﴾.

٢٨ ﴿في سدر﴾هو شجر النبق(٤)﴿مخضود﴾ لا شوك فيه.

٢٩ ﴿ وطلح ﴾ شجر الموز ﴿ منضود ﴾(٥) بالحمل من أسفله إلى أعلاه. ٣٠ ﴿ وظل ممدود ﴾ دائم(٦).

٣١ ﴿ وماء مسكوب ﴾ جار دائماً. ٣٢ ﴿وفاكهة كثيرة﴾.

٣٣ ﴿ لا مقطوعة ﴾ في زمن ﴿ ولا ممنوعة ﴾ بثمن.

٣٤ ﴿ وفرش

(الجزء السابع والعشرون) ٧١٤

ٱلسَّٰبِقُونَ (١٠) أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ (١١) فِي جَنَّٰتِ
ٱلنَّعِيمِ (١٢) ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ (١٣) وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ (١٤)
عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ (١٥) مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ (١٦)
يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ (١٧) بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ
وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ (١٨) لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ (١٩)
وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ (٢٠) وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ (٢١)
وَحُورٌ عِينٌ (٢٢) كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ (٢٣)
جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ (٢٤) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا
تَأْثِيمًا (٢٥) إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا (٢٦) وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ
مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ (٢٧) فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ (٢٨) وَطَلْحٍ
مَّنضُودٍ (٢٩) وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ (٣٠) وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ (٣١)
وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (٣٢) لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ (٣٣) وَفُرُشٍ

---

(١) أي التقدير: كائنون هم على سرر.. متكئين..

(٢) قال الصاوي في حاشيته: أي فهم مخلوقون في الجنة ابتداءً كالحور العين، ليسوا من أولاد الدنيا، وإنما سموا أولاداً لكونهم على شكل الأولاد كما أفاده المفسر، وهذا هو الصحيح.

(٣) عطفاً على ﴿جنات النعيم﴾ وهي قراءة سبعية.

(٤) السدر نوع من الشجر، والنَّبْق حمله.

(٥) متراكم قد نضد بعضه فوق بعض.

(٦) روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة، واقرؤوا إن شئتم ﴿وظل ممدود﴾). [البخاري: بدء الخلق، باب: ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، رقم: ٣٠٨٠. مسلم: الجنة وصفة نعيمها، باب: إن في الجنة لشجرة.. ، رقم: ٢٨٢٦].

سبب نزول الآية [٢٧] وما بعدها: قال السيوطي: أخرج سعيد بن منصور في سننه، والبيهقي في [البعث] عن عطاء ومجاهد قالا: لما سأل أهل الطائف الوادي يحمى لهم، وفيه عسل، ففعل، وهو وادٍ معجب، فسمعوا الناس يقولون: إن في الجنة كذا وكذا. قالوا: يا ليت لنا في الجنة مثل هذا الوادي، فأنزل الله: ﴿ وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين. في سدر مخضود ﴾ الآيات.

وأخرج البيهقي من وجه آخر عن مجاهد قال: كانوا يعجبون بوجٍّ وظلاله وطلحه وسدره، فأنزل الله: ﴿وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين.. ﴾

[وج: اسم واد في الطائف].

مرفوعة ﴾ على السرر.

٣٥ ﴿ إنا أنشأناهن إنشاءً ﴾ أي الحور العين، من غير ولادة.

٣٦ ﴿ فجعلناهن أبكاراً ﴾ عذارى، كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن عذارى، ولا وجع ولا نصب.

٣٧ ﴿ عرباً ﴾ بضم الراء وسكونها، جمع عروب، وهي المتحببة إلى زوجها عشقاً له ﴿ أتراباً ﴾ جمع ترب، أي مستويات في السن.

٣٨ ﴿ لأصحاب اليمين ﴾ صلة أنشأناهن، أو جعلناهن. وهم:

٣٩ ﴿ ثلة من الأولين ﴾.

٤٠ ﴿ وثلة من الآخرين ﴾(١).

٤١ ﴿ وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال ﴾.

٤٢ ﴿ في سموم ﴾ ريح حارة من النار تنفذ في المسام ﴿ وحميم ﴾ ماء شديد الحرارة.

مَرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَـٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَـٰهُنَّ
أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَـٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ
مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٤٠﴾ وَأَصْحَـٰبُ
ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَـٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾
وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ
كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ
ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا
أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ
ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَـٰتِ يَوْمٍ
مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾
لَـَٔاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا
ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَـٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَـٰرِبُونَ

٤٣ ﴿ وظل من يحموم ﴾ دخان شديد السواد.

٤٤ ﴿ لا بارد ﴾ كغيره من الظلال ﴿ ولا كريم ﴾ حسن المنظر.

٤٥ ﴿ إنهم كانوا قبل ذلك ﴾ في الدنيا ﴿ مترفين ﴾ منعمين، لا يتعبون في الطاعة(٢).

٤٦ ﴿ وكانوا يصرون على الحنث ﴾ الذنب ﴿ العظيم ﴾ أي الشرك.

٤٧ ﴿ وكانوا يقولون ءإذا متنا وكنا تراباً وعظاماً ءإنا لمبعوثون﴾ في الهمزتين في الموضعين: التحقيق، وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين.

٤٨ ﴿ أو آباؤنا الأولون ﴾ بفتح الواو للعطف والهمزة للاستفهام، وهو في ذلك وفيما قبله للاستبعاد، وفي قراءة بسكون الواو عطفاً بأو، والمعطوف عليه محل إن واسمها(٢).

٤٩ ﴿ قل إن الأولين والآخرين ﴾.

٥٠ ﴿ لمجموعون إلى ميقات ﴾ لوقت ﴿ يوم معلوم ﴾ أي يوم القيامة.

٥١ ﴿ ثم إنكم أيها الضالون المكذبون ﴾.

٥٢ ﴿ لآكلون من شجر من زقوم ﴾ بيان للشجر.

٥٣ ﴿فمالئون منها ﴾ من الشجر ﴿ البطون ﴾.

٥٤ ﴿ فشاربون عليه ﴾ أي الزقوم المأكول ﴿ من الحميم ﴾. ٥٥ ﴿ فشاربون

---

(١) روى البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (عرضت عليّ الأمم، فرأيت النبي ومعه الرهيط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد، إذ رفع إليّ سواد عظيم، فظننت أنهم أمتي، فقيل لي: هذا موسى وقومه، ولكن انظر إلى الأفق، فنظرت، فإذا سواد عظيم، فقيل لي: انظر إلى الأفق الآخر، فإذا سواد عظيم، فقيل لي: هذه أمتك، ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب).

[البخاري: الطب، باب: من لم يَرْقِ، رقم: ٥٤٢٠. مسلم: الإيمان، باب: الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب، رقم: ٢٢٠].

(٢) أي ذموا على ترفهم لا لذات الترف وهو التنعم، وإنما لإعراضهم عن طاعة الله تعالى بسبب هذا الترف وانشغالهم به عن المنعم جل وعلا.

سبب نزول الآيات [٣٩ ـ ٤٠]: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما نزلت: ﴿ثلة من الأوّلين وقليل من الآخرين﴾ شقّ ذلك على المسلمين، فنزلت: ﴿ثلة من الأوّلين وثلة من الآخرين﴾.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: لما نزلت: ﴿إذا وقعت الواقعة﴾ وذكر فيها ﴿ثلة من الأوّلين وقليل من الآخرين﴾ قال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله، ثلة من الأوّلين وقليل منا؟ فأمسك آخر السورة سنة، ثم نزلت: ﴿ثلة من الأوّلين. وثلة من الآخرين﴾. فقال رسول الله ﷺ: (يا عمر، تعال فاسمع ما قد أنزل الله: ﴿ثلة من الأوّلين. وثلة من الآخرين ﴾) [السيوطي].

شرب﴾ بفتح الشين وضمها، مصدر ﴿**الهيم**﴾ الإبل العطاش، جمع هيمان للذكر وهيمى للأنثى، كعطشان وعطشى.

٥٦ ﴿**هذا نزلهم**﴾ ما أعد لهم(١) ﴿**يوم الدين**﴾ يوم القيامة.

٥٧ ﴿**نحن خلقناكم**﴾ أوجدناكم من عدم ﴿**فلولا**﴾ هلا ﴿**تصدقون**﴾ بالبعث؟ إذ القادر على الإنشاء قادر على الإعادة.

٥٨ ﴿**أفرأيتم ما تمنون**﴾ تريقون من المني في أرحام النساء.

٥٩ ﴿**ءأنتم**﴾ بتحقيق الهمزتين، وإبدال الثانية ألفاً وتسهيلها، وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه في المواضع الأربعة ﴿**تخلقونه**﴾ أي المني بشراً ﴿**أم نحن الخالقون**﴾.

٦٠ ﴿**نحن قدرنا**﴾ بالتشديد والتخفيف ﴿**بينكم الموت وما نحن بمسبوقين**﴾ بعاجزين.

٦١ ﴿**على**﴾ عن ﴿**أن نبدل**﴾ أي نجعل ﴿**أمثالكم**﴾ مكانكم ﴿**وننشئكم**﴾ نخلقكم ﴿**في ما لا تعلمون**﴾ من الصور، كالقردة والخنازير. ٦٢ ﴿**ولقد علمتم النَّشاءة الأولى**﴾(٢) وفي قراءة بسكون الشين ﴿**فلولا تذكرون**﴾ فيه إدغام التاء الثانية في الأصل في الذال(٣).

٦٣ ﴿**أفرأيتم ما تحرثون**﴾ تثيرون الأرض وتلقون البذر فيها.

٦٤ ﴿**ءأنتم تزرعونه**﴾ تنبتونه ﴿**أم نحن الزارعون**﴾.

٦٥ ﴿**لو نشاء لجعلناه حطاماً**﴾ نباتاً يابساً لا حب فيه ﴿**فظلتم**﴾ أصله ظللتم ـ بكسر اللام ـ حذفت تخفيفاً، أي أقمتم نهاراً ﴿**تفكهون**﴾ حذفت منه إحدى التاءين في الأصل(٣)، تعجبون من ذلك وتقولون:

٦٦ ﴿**إنا لمغرمون**﴾ نفقة زرعنا.

٦٧ ﴿**بل نحن محرومون**﴾ ممنوعون رزقنا.

٦٨ ﴿**أفرأيتم الماء الذي تشربون**﴾.

٦٩ ﴿**ءأنتم أنزلتموه من المزن**﴾ السحاب، جمع مزنة ﴿**أم نحن المنزلون**﴾. ٧٠ ﴿**لو نشاء جعلناه أجاجاً**﴾ ملحاً لا يمكن شربه ﴿**فلولا**﴾ هلا ﴿**تشكرون**﴾.

٧١ ﴿**أفرأيتم النار التي تورون**﴾ تخرجون من الشجر الأخضر. ٧٢ ﴿**ءأنتم أنشأتم شجرتها**﴾ كالمرخ والعفار والكلخ(٤) ﴿**أم نحن المنشئون**﴾.

فائدة: أخرج ابن جرير الطبري في تفسيره عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تقولن: زرعت، ولكن قل: حرثت). قال أبو هريرة: ألم تسمع إلى قوله: ﴿أفرأيتم ما تحرثون. أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون﴾.

شُرْبَ الْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٥٦﴾ نَحْنُ
خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾
ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ الْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ
الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ
وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ
الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾
ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ الزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ
حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ
نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ الْمَآءَ الَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾
ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ
جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ النَّارَ الَّتِى
تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ الْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾

---

(١) والنزل في الأصل ما يعد من رزق للنازل تكرمة له، وسمي ما أعد للكافرين نزلاً استهزاءً بهم.

(٢) أي الخلقة الأولى، إذ خلق أباكم آدم من تراب، وخلق أمكم حواء من آدم، وخلقكم من نطفة، وكل ذلك تحويل من شيء إلى غيره. فالذي قدر على هذا قادر على تحويلكم بعد أن تصيروا تراباً إلى ما كنتم عليه أولاً من الخلق والصور.
والقراءة التي فسرها المصنف وهي ﴿النشاءة﴾ بألف بعد الشين وبعدها همزة، هي قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وهي قراءة سبعية. وقرأ باقي القراء ﴿النَّشْأة﴾ بسكون الشين وبدون مد. [النشر في القراءات العشر].

(٣) وأصل تذكرون: تتذكرون. وأصل تفكهون: تتفكهون.

(٤) أنواع من الشجر إذا احتك بعضها ببعض بشدة خرجت من بينها شرارة توقد النار.

فائدة: قيل: شرب الهيم أن يشرب عبة واحدة من غير أن يتنفس، والسنة أن يتنفس أثناء شربه ثلاثاً خارج الإناء. فقد روى أنس رضي الله عنه: أن النبي ﷺ كان يتنفس ثلاثاً. ويكون تنفسه خارج الإناء، لقوله ﷺ: (إذا شرب أحدكم فلا يتنفس في الإناء). [البخاري: الأشربة، باب: النهي عن التنفس في الإناء، وباب: الشرب بنفسين أو ثلاثة. مسلم: الأشربة، باب: كراهة التنفس في الإناء..]

وأخرج ابن أبي حاتم: عن أبي جعفر، عن النبي ﷺ: أنه إذا شرب الماء قال: (الحمد لله الذي سقاناه عذباً فراتاً برحمته، ولم يجعله ملحاً أجاجاً بذنوبنا) [ابن كثير] [عذباً: حلواً طيباً سهلاً. فراتاً: بالغاً في العذوبة].

٧٣ ﴿ نحن جعلناها تذكرة ﴾ لنار جهنم ﴿ ومتاعاً ﴾ بُلغة(١) ﴿ للمقوين ﴾ للمسافرين، من أقوى القوم أي صاروا بالقِوى، بالقصر والمد، أي القفر، وهو مفازة(٢) لا نبات فيها ولا ماء.

٧٤ ﴿ فسبح ﴾ نزه ﴿ باسم ﴾ زائد(٣) ﴿ ربك العظيم ﴾ أي الله عز وجل.

٧٥ ﴿ فلا أقسم ﴾ لا زائدة ﴿ بمواقع النجوم ﴾ بمساقطها لغروبها.

٧٦ ﴿ وإنه ﴾ أي القسم بها ﴿ لقسم لو تعلمون عظيم ﴾ أي لو كنتم من ذوي العلم لعلمتم عظم هذا القسم.

٧٧ ﴿ إنه ﴾ أي المتلو عليكم ﴿ لقرآن كريم ﴾ .٧٨ ﴿ في كتاب ﴾مكتوب﴿ مكنون ﴾ مصون(٤)، وهو المصحف(٥).

٧٩ ﴿ لا يمسه ﴾ خبر بمعنى النهي(٦) ﴿ إلا المطهرون ﴾ أي الذين طهروا أنفسهم من الأحداث(٧).

٨٠ ﴿ تنزيل ﴾ منزل ﴿ من رب العالمين ﴾. ٨١ ﴿ أفبهذا الحديث ﴾ القرآن ﴿ أنتم مدهنون ﴾ متهاونون مكذبون.

٨٢ ﴿ وتجعلون رزقكم ﴾ من المطر، أي شكره ﴿ أنكم تكذبون ﴾ بسقيا الله، حيث قلتم: مطرنا بنوء كذا(٨).

٨٣ ﴿ فلولا ﴾ فهلا ﴿ إذا بلغت ﴾ الروح وقت النزع ﴿ الحلقوم ﴾ هو مجرى الطعام.

نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ
رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ * فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾
وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾
فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾
تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم
مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾
فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾
وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾
فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ۙ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ
صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ۙ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ
وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ
ٱلْيَمِينِ ۙ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن

٨٤ ﴿ وأنتم ﴾ يا حاضري الميت ﴿ حينئذٍ تنظرون ﴾ إليه.

٨٥ ﴿ ونحن أقرب إليه منكم ﴾ بالعلم ﴿ ولكن لا تبصرون ﴾ من البصيرة، أي لا تعلمون ذلك.

٨٦ ﴿ فلولا ﴾ فهلا ﴿ إن كنتم غير مدينين ﴾ مجزيين، بأن تبعثوا، أي غير مبعوثين بزعمكم.

٨٧ ﴿ ترجعونها ﴾ تردون الروح إلى الجسد بعد بلوغ الحلقوم ﴿ إن كنتم صادقين ﴾ فيما زعمتم؟ فلولا الثانية تأكيد للأولى، وإذا ظرف لترجعون المتعلق به الشرطان، والمعنى: هلا ترجعونها إن نفيتم البعث صادقين في نفيه؟ أي لينتفي عن محلها الموت كالبعث.

٨٨ ﴿ فأما إن كان ﴾ الميت ﴿ من المقربين ﴾.

٨٩ ﴿ فروح ﴾ أي فله استراحة ﴿ وريحان ﴾ رزق حسن ﴿ وجنت نعيم ﴾ وهل الجواب لأما أو لإنْ أو لهما؟ أقوال.

٩٠ ﴿ وأما إن كان من أصحاب اليمين ﴾.

٩١ ﴿ فسلام لك ﴾ أي له السلامة من العذاب ﴿ من أصحاب اليمين ﴾ من جهة أنه منهم. ٩٢ ﴿ وأما إن

---

(١) ما يتبلغ به المسافر إلى مقصده. (٢) صحراء.

(٣) أي لفظ ﴿باسم﴾ زائد هنا، والمعنى: نزه ربك العظيم عن كل نقص.

(٤) أي محفوظ من التبديل والتحريف أو الضياع.

(٥) ورجح غيره من المفسرين أن المراد بالكتاب المكنون اللوح المحفوظ، وأنه مصون ومستور عند الله تعالى، لا يطلع عليه إلا المطهرون من الكدورات الجسمانية وهم الملائكة.

(٦) والمعنى: يحرم على أحد مسه بدون طهارة.

(٧) وعلى القول بأن المراد بالكتاب اللوح المحفوظ لا تكون الآية دليلاً على اشتراط الطهارة لمس المصحف، ويكون ذلك مأخوذاً من السنّة، كقوله ﷺ: (لا يمس القرآن إلا طاهراً) رواه الداقطني في الطهارة، باب: في نهي المحدث عن مس القرآن.

(٨) أي بطلوع النجم الفلاني. أخرج البخاري ومسلم عن يزيد ابن خالد الجهني رضي الله عنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية في إثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: (هل تدرون ماذا قال ربكم) قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: (قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب). [إثر سماء: بعد مطر]. [البخاري: صفة الصلاة، باب: يستقبل الإمام الناس إذا سلم، رقم: ٨١٠. مسلم: الإيمان، باب: بيان كفر من قال مطرنا بالنوء، رقم: ٧١].

سبب نزول الآيات [٧٥ ـ ٨٢]: أخرج الواحدي بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مطر الناس على عهد رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: (أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر. قالوا: هذه رحمة وضعها الله تعالى، وقال بعضهم: لقد صدق نوء كذا). فنزلت هذه الآيات: ﴿ فلا

كان من المكذبين الضالين ﴾.

٩٣ ﴿ فنزل من حميم ﴾[١].

٩٤ ﴿ وتصلية جحيم ﴾[٢].

٩٥ ﴿ إن هذا لهو حق اليقين ﴾ من إضافة الموصوف إلى صفته[٣].

٩٦ ﴿ فسبح باسم ربك العظيم ﴾ تقدم[٤].

(سورة الحديد)

(مكية أو مدنية وآياتها ٢٩)

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿سبح لله ما في السماوات والأرض﴾ أي نزهه كل شيء، فاللام مزيدة[٥]، وجيء بـ«ما» دون «مَنْ» تغليباً للأكثر[٦] ﴿وهو العزيز﴾ في ملكه ﴿ الحكيم ﴾ في صنعه.

كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾
وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾
فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾

(٥٧) سُورَةُ الحَدِيدِ مَدَنِيَّة وَآيَاتُهَا تِسْعٌ وَعِشْرُونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ
ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ
وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ
وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ هُوَ ٱلَّذِى
خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى

٢ ﴿ له ملك السماوات والأرض يحيي ﴾ بالإنشاء ﴿ ويميت ﴾ بعده ﴿ وهو على كل شيء قدير ﴾.

٣ ﴿ هو الأول ﴾ قبل كل شيء بلا بداية ﴿ والآخر ﴾ بعد كل شيء بلا نهاية ﴿ والظاهر ﴾ بالأدلة عليه ﴿والباطن﴾ عن إدراك الحواس ﴿وهو بكل شيء عليم﴾.

٤ ﴿ هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ﴾ من أيام الدنيا، أولها الأحد وآخرها الجمعة ﴿ثم استوى على

---

[١] أي أعدَّ له قِرى ماء حار يغلي يشربه بعد أكل الزقوم.

[٢] احتراق في جهنم بعد دخولها.

[٣] أي أصل الكلام: إن هذا لهو الحق اليقين، فأضيف الموصوف ـ وهو الحق ـ إلى صفته ـ وهي اليقين ـ فحذفت ال التعريف.

[٤] أي في الآية [٧٤] من السورة نفسها، والذي ذكره المفسر هناك هو أن لفظ ﴿باسم﴾ زائداً ورجح المفسرون عدم الزيادة، لأنه ـ كما يجب تعظيم ذاته تعالى وتنزيهها عن النقائص ـ كذلك يجب تعظيم أسمائه سبحانه وتنزيهها عنها، ولذا قال الفقهاء: من وجد اسم الله تعالى مكتوباً في ورقة موضوعة في قذر وتركها فقد كفر، لأن التهاون بأسماء الله تعالى كالتهاون بذاته سبحانه، لأن الاسم دال على المسمى.

فائدة: قال الصاوي: وفي ذكر لفظ التسبيح في آخر هذه السورة شدة مناسبة لما بعدها من التسابيح، كأن الله تعالى يقول: سبح باسم ربك لأنه سبح له ما في السماوات والأرض، والله أعلم بأسرار كتابه.

[٥] للتأكيد، كما في قولك: نصحت له وشكرت له، فهو أبلغ من نصحته وشكرته. ويمكن أن تكون اللام للتعليل، والمعنى: سبحت مخلوقاته تعالى تسبيحاً خالصاً لوجهه سبحانه ولأجل رضوانه، لا لغرض آخر. والله أعلم.

[٦] أي جيء بلفظ ﴿ما﴾ وهي لغير العقلاء، ولم يؤت بلفظ [مَنْ] التي للعقلاء تغليباً للأكثر على الأقل، إذ إن الأكثر من المخلوقات غير عقلاء. والله تعالى أعلم بحقيقة تسبيح هذه المخلوقات غير العاقلة.

فائدة: عن سهيل قال: كان أبو صالح يأمرنا إذا أراد أحدنا أن ينام: أن يضطجع على شقه الأيمن، ثم يقول: اللهم، رب السماوات ورب الأرض =

أُقسِمُ بمواقعِ النّجُوم ﴾ حتى بلغ ﴿ وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون ﴾. [أخرجه مسلم: الإيمان، باب: بيان كفر من قال مطرنا بالنوء، رقم: ٧٣] [صدق نوء. . : المراد بالنوء الكوكب، وهو في الأصل حركته، لأنه مصدر ناء النجم ينوء أي سقط وغاب].

وقال السيوطي: وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي حرزة قال: نزلت هذه الآيات في رجل من الأنصار في غزوة تبوك، نزلوا الحجر، فأمرهم رسول الله ﷺ أن لا يحملوا من مائها شيئاً، ثم ارتحل ونزل منزلاً آخر وليس معهم ماء، فشكوا ذلك إلى النبيّ ﷺ، فقام فصلى ركعتين ثم دعا، فأرسل الله سحابة فأمطرت عليهم حتى استقوا منها، فقال رجل من الأنصار لآخر من قومه يتهم بالنفاق: ويحك متى ترى ما دعا النبيّ ﷺ، فأمطر الله علينا السماء؟ فقال: إنما مطرنا بنوء كذا وكذا. [الحجر: اسم موضع بين الحجاز والشام].

ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا
يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ
وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ
وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ
وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾
ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ
فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ وَمَا لَكُمْ
لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۙ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ
أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ
عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ
وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟
فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى

العرش ﴾ الكرسي(١)، استواءً يليق به ﴿ **يعلم ما يلج** ﴾ يدخل ﴿ **في الأرض** ﴾ كالمطر والأموات ﴿ **وما يخرج منها** ﴾ كالنبات والمعادن ﴿ **وما ينزل من السماء** ﴾ كالرحمة والعذاب ﴿ **وما يعرج** ﴾ يصعد ﴿ **فيها** ﴾ كالأعمال الصالحة والسيئة ﴿ **وهو معكم** ﴾ بعلمه(٢) ﴿ **أين ما كنتم والله بما تعملون بصير** ﴾.

٥ ﴿ **له ملك السماوات والأرض وإلى الله ترجع الأمور** ﴾ الموجودات جميعها.

٦ ﴿ **يولج الليل** ﴾ يدخله ﴿ **في النهار** ﴾ فيزيد وينقص الليل ﴿ **ويولج النهار في الليل** ﴾ فيزيد وينقص النهار ﴿ **وهو عليم بذات الصدور** ﴾ بما فيها من الأسرار والمعتقدات.

٧ ﴿ **آمنوا** ﴾ داوموا على الإيمان ﴿ **بالله ورسوله وأنفقوا** ﴾ في سبيل الله ﴿ **مما جعلكم مستخلفين فيه** ﴾ من مال من تقدمكم وسيخلفكم فيه من بعدكم، نزل في غزوة العسرة وهي غزوة تبوك(٣) ﴿ **فالذين آمنوا منكم وأنفقوا** ﴾ إشارة إلى عثمان رضي الله عنه(٤)﴿ **لهم أجر كبير** ﴾.

٨ ﴿ **وما لكم لا تؤمنون** ﴾ خطاب للكفار، أي لا مانع لكم من الإيمان ﴿ **بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد أخذ** ﴾ بضم الهمزة وكسر الخاء، وبفتحها ونصب ما بعده ﴿ **ميثاقكم** ﴾ عليه، أي أخذه الله في عالم الذر، حين أشهدهم على أنفسهم «ألست بربكم قالوا بلى»(٥) ﴿ **إن كنتم مؤمنين** ﴾ أي مريدين الإيمان به فبادروا إليه.

٩ ﴿ **هو الذي ينزل على عبده آيات بينات** ﴾ آيات القرآن ﴿ **ليخرجكم من الظلمات** ﴾ الكفر ﴿ **إلى النور** ﴾ الإيمان ﴿ **وإن الله بكم** ﴾ في إخراجكم من الكفر إلى الإيمان ﴿ **لرؤوف رحيم** ﴾.

١٠ ﴿ **وما لكم** ﴾ بعد إيمانكم ﴿ **ألا** ﴾ فيه إدغام نون أن في لام لا ﴿ **تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السماوات والأرض** ﴾ بما فيهما، فتصل إليه أموالكم من غير أجر الإنفاق، بخلاف ما لو أنفقتم، فتؤجرون ﴿ **لا يستوي**

---

(١) الأرجح أن العرش غير الكرسي، والأولى ترك اللفظ على ظاهره، والعرش والكرسي كل منهما مخلوق عظيم، الله تعالى أعلم به.

(٢) وتصاريفه في خلقه، لا ينفك أحد من خلق الله تعالى من تعلق علمه وقدرته به أينما كان من أرض أو سماء، براً أو بحراً. أو المراد بذلك معية تليق به، هو أعلم بها سبحانه وتعالى.

(٣) سميت غزوة العسرة لما كان عليه المسلمون وقتها من شدة الحال، فالوقت صيف حار، والمسافة بعيدة، والنفقة قليلة، وقد طاب المقام في المدينة بنضج الثمار وكثرة الظلال.

(٤) لأنه أنفق الكثير من المال في هذه الغزوة، قال ابن هشام صاحب السيرة النبوية: حدثني من أثق به: أن عثمان بن عفان أنفق في جيش العسرة في غزوة تبوك ألف دينار، فقال رسول الله ﷺ: (اللهم ارض عن عثمان فإني عنه راض).

(٥) انظر/ الأعراف: ١٧٢/.

ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، فالق الحب والنوى، ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان، أعوذ بك من شر كل ذي شر أنت آخذ بناصيته، اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عنا الدين، وأغننا عن الفقر. وكان يروي ذلك عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ. [مسلم: الذكر والدعاء والتوبة، باب: ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، رقم: ٢٧١٣]. وعن عرباض بن سارية رضي الله عنه حدثهم: أن رسول الله ﷺ كان يقرأ المسبحات قبل أن يرقد، وقال: (إن فيهن آية أفضل من ألف آية) [مسند أحمد ٤/١٢٨]. قال ابن كثير: والآية المشار إليها في الحديث هي والله أعلم قوله: ﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم﴾.

سبب نزول الآية [١٠]: أخرج الواحدي بسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: بينا النبي ﷺ جالس وعنده أبو بكر الصديق، وعليه عباءة قد خلها على صدره بخلال، إذ نزل عليه جبريل عليه السلام فأقرأه من الله السلام، وقال: يا محمد، مالي أرى أبا بكر عليه عباءة، قد خلها على صدره بخلال؟ فقال: (يا جبريل، أنفق ماله قبل الفتح عليّ). قال: فأقرئه من الله سبحانه وتعالى السلام، وقل له: يقول لك ربك: أراض أنت عني في فقرك هذا أم ساخط؟ فالتفت النبي ﷺ إلى أبي بكر فقال: (يا أبا بكر، هذا جبريل يقرئك من الله سبحانه السلام، ويقول لك ربك: أراض أنت عني في فقرك هذا أم ساخط). فبكى أبو بكر وقال: على ربي أغضب؟ أنا عن ربي راض، أنا عن ربي راض.

منكم من أنفق من قبل الفتح ﴾ لمكة ﴿ وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلاً ﴾ من الفريقين، وفي قراءة بالرفع مبتدأ ﴿ وعد الله الحسنى ﴾ الجنة ﴿ والله بما تعملون خبير ﴾ فيجازيكم به.

١١ ﴿ من ذا الذي يقرض الله ﴾ بإنفاق ماله في سبيل الله ﴿ قرضاً حسناً ﴾ بأن ينفقه لله ﴿ فيضاعفه ﴾ في قراءة «فيضعفه» بالتشديد(١) ﴿ له ﴾ من عشر إلى أكثر من سبعمائة، كما ذكر في البقرة(٢) ﴿ وله ﴾ مع المضاعفة ﴿ أجر كريم ﴾ مقترن به رضا وإقبال.

١٢ اذكر ﴿ يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم ﴾ أمامهم ﴿ و ﴾ يكون ﴿ بأيمانهم ﴾ ويقال لهم(٣) ﴿ بشراكم اليوم جنات ﴾ أي دخولها(٤) ﴿ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم ﴾.

١٣ ﴿ يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا ﴾ أبصرونا، وفي قراءة بفتح الهمزة وكسر الظاء: أمهلونا ﴿ نقتبس ﴾ نأخذ القبس(٥) والإضاءة ﴿ من نوركم قيل ﴾ لهم استهزاءً بهم ﴿ ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً ﴾ فرجعوا ﴿ فضرب بينهم ﴾ وبين المؤمنين ﴿ بسور ﴾ قيل هو سور الأعراف(٦) ﴿ له باب باطنه فيه الرحمة ﴾ من جهة المؤمنين ﴿ وظاهره ﴾ من جهة المنافقين ﴿ من قبله العذاب ﴾.

١٤ ﴿ ينادونهم ألم نكن معكم ﴾ على الطاعة ﴿ قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم ﴾ بالنفاق(٧) ﴿ وتربصتم ﴾ بالمؤمنين الدوائر(٨) ﴿ وارتبتم ﴾ شككتم في دين الإسلام ﴿ وغرتكم

مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ
دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ
ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ مَّن ذَا ٱلَّذِى
يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾
يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ
أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا
ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ
يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا
نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا
فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ
مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا۟
بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ

---

(١) أي بتشديد العين المكسورة.

(٢) انظر/ البقرة: ٢٦١/. أخرج ابن أبي حاتم بسنده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له﴾ قال أبو الدحداح الأنصاري: يا رسول الله، وإن الله يريد منا القرض؟ قال: (نعم، يا أبا الدحداح). قال: أرني يدك يا رسول الله، قال: فناوله يده، قال: فإني قد أقرضت ربي حائطي - وله حائط فيه ستمائة نخلة، وأم الدحداح فيه وعيالها - قال: فجاء أبو الدحداح فناداها: يا أم الدحداحِ، قالت: لبيك، فقال: اخرجي، فقد أقرضته ربي عزّ وجل - وفي رواية أنها قالت له: ربح بيعك يا أبا الدحداح - ونقلت منه متاعها وصبيانها، وأن رسول الله ﷺ قال: (كم من عِذْقٍ رَدَاحٍ في الجنة لأبي الدحداح). وفي لفظ: (رب نخلة مدلاة، عروقها درٌ وياقوت، لأبي الدحداح في الجنة). [تفسير ابن كثير] عذق: العَذْق هو النخلة، والعِذْق هو غصن النخلة بما فيه من عناقيد التمر. رداح: عظيم وكبير.

(٣) أي تقول لهم الملائكة.

(٤) التقدير: بشراكم اليوم دخول جنات..

(٥) القبس هو الشعلة من النار أو النور، يقتبسها الإنسان ليستضيء بها أو يوقد ناراً.

(٦) وهو السور المضروب بين الجنة والنار، والأعراف أعالي هذا السور، جمع عُرْف وهو كل مرتفع عما سواه.

(٧) تسببتم لها بالمحنة والهلاك بنفاقكم وكفركم وانهماككم في المعاصي والشهوات.

(٨) انتظرتم وتوقعتم نزول المصائب بهم.

فائدة: عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ أتى المقبرة فقال: (السلام عليكم دارَ قوم مؤمنين، وإنا - إن شاء الله - بكم لاحقون، وددت أنا قد رأينا إخواننا). قالوا: أولسنا إخوانك يا رسول الله؟ قال: (أنتم أصحابي، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد). فقالوا: كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يا رسول الله؟ فقال: (أرأيت لو أن رجلاً له خيل غُرّ محجلة بين ظهري خيل دُهم بهُم، ألا يعرف خيله). قالوا: بلى، يا رسول الله. قال: (فإنهم يأتون غراً محجلين من الوضوء، وأنا فرطهم على الحوض. ألا لَيُذَادَنَّ رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال، أناديهم: ألا هَلُمَّ. فيقال: إنهم قد بدلوا بعدك. فأقول: سحقاً سحقاً). [مسلم: الطهارة، باب: استحباب إطالة الغرة..، رقم: ٢٤٩] دهم: سود. بهم: لم يخالط سوادها بياض. غر: في وجوههم ضياء. محجلين: النور يسطع من أطرافهم. فرطهم: السابق لهم لأهيء لهم المنزل والشراب.

وأخرج ابن أبي حاتم بسنده عن سليم بن عامر قال: خرجنا على جنازة في باب دمشق، ومعنا أبو أمامة الباهلي، فلما صلّي على الجنازة وأخذوا في دفنها، قال أبو أمامة: أيها الناس، إنكم قد أصبحتم وأمسيتم في منزل تقتسمون فيه الحسنات والسيئات، وتوشكون أن تظعنوا منه إلى منزل آخر، وهو هذا - يشير إلى القبر - بيت الوحدة، وبيت الظلمة، وبيت الدود، وبيت الضيق، إلا ما وسع الله، ثم تنتقلون منه إلى مواطن يوم القيامة، فإنكم في تلك المواطن حتى يغشى الناس أمر من الله، فتبيض وجوه وتسود وجوه، ثم تنتقلون منه إلى منزل آخر فتغشى الناس ظلمة شديدة، ثم يقسم النور: فيعطى المؤمن نوراً، ويترك

الأماني ﴾ الأطماع ﴿ حتى جاء أمر الله ﴾ الموت ﴿ وغركم بالله الغرور ﴾ الشيطان.

١٥ ﴿ فاليوم لا يؤخذ ﴾ بالتاء والياء ﴿ منكم فدية ولا من الذين كفروا مأواكم النار هي مولاكم ﴾ أولى بكم ﴿ وبئس المصير ﴾ هي.

١٦ ﴿ ألم يأن ﴾ يحن ﴿ للذين آمنوا ﴾ نزلت في شأن الصحابة لما أكثروا المزاح ﴿ أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل ﴾ بالتشديد والتخفيف(١) ﴿ من الحق ﴾ القرآن ﴿ ولا يكونوا ﴾ معطوف على تخشع ﴿ كالذين أوتوا الكتاب من قبل ﴾ هم اليهود والنصارى ﴿ فطال عليهم الأمد ﴾ الزمن بينهم وبين أنبيائهم ﴿ فقست قلوبهم ﴾ لم تلن لذكر الله ﴿ وكثير منهم فاسقون ﴾.

١٧ ﴿ اعلموا ﴾ خطاب للمؤمنين المذكورين ﴿ أن الله يحيي الأرض بعد موتها ﴾ بالنبات، فكذلك يفعل بقلوبكم، يردها إلى الخشوع ﴿ قد بينا لكم الآيات ﴾ الدالة على قدرتنا بهذا وغيره ﴿ لعلكم تعقلون ﴾.

١٨ ﴿ إن المصدقين ﴾ من التصدق، أدغمت التاء في الصاد، أي الذين تصدقوا ﴿ والمصدقات ﴾ اللاتي تصدقن، وفي قراءة بتخفيف الصاد فيهما، من التصديق: الإيمان ﴿ وأقرضوا الله قرضاً حسناً ﴾ راجع إلى الذكور والإناث بالتغليب(٢)، وعطف الفعل على الاسم في صلة أل(٣) لأنه فيها حل محل الفعل(٤)، وذكر القرض بوصفه بعد التصدق تقييد له(٥) ﴿يضاعف﴾ وفي قراءة «يُضَعَّف» بالتشديد، أي قرضهم ﴿لهم ولهم أجر كريم﴾.

١٩ ﴿ والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون ﴾ المبالغون في التصديق ﴿ والشهداء عند ربهم ﴾ على المكذبين من الأمم ﴿ لهم أجرهم ونورهم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا ﴾ الدالة على وحدانيتنا ﴿ أولئك أصحاب

ٱلۡأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴿١٤﴾
فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُؤۡخَذُ مِنكُمۡ فِدۡيَةٞ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ مَأۡوَىٰكُمُ
ٱلنَّارُۖ هِيَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٥﴾ ۞ أَلَمۡ يَأۡنِ
لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ
ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ
فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ
فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ
قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱلۡمُصَّدِّقِينَ
وَٱلۡمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقۡرَضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا يُضَٰعَفُ لَهُمۡ
وَلَهُمۡ أَجۡرٞ كَرِيمٞ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ
وَنُورُهُمۡۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ

---

(١) أي ﴿نزَّل﴾ و ﴿نَزَل﴾ قراءتان متواترتان.

(٢) أي بتغليب الذكور على الإناث، حيث أتى بضمير المذكرين في قوله ﴿وأقرضوا﴾ مع أنه راجع إلى الذكور والإناث في قوله ﴿إن المصدقين والمصدقات﴾.

(٣) أي عطف الفعل ﴿وأقرضوا﴾ على الاسم ـ وهو: مصدقين ومصدقات ـ الواقع صلة للفظ [أل] الموصولة في قوله ﴿إن المصدقين والمصدقات﴾.

(٤) أي لأن الاسم فيها حل محل الفعل، فهي بمعنى: إن الذين تصدقوا واللواتي تصدقن..

(٥) أي على قراءة التشديد يغني ذكر ﴿المصدقين﴾ عن ذكر القرض؟ فأجيب بأن ذكره لتقييده بوصف الحسن.

الكافر والمنافق فلا يعطيان شيئاً، وهو المثل الذي ضربه الله في كتابه قال: ﴿أو كظلمات في بحر لجي﴾ إلى قوله: ﴿فما له من نور﴾ [النور: ٤٠] فلا يستضيء الكافر والمنافق بنور المؤمن، كما لا يستضيء الأعمى بنور البصير، ويقول المنافقون للذين آمنوا: ﴿انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً﴾ [الحديد: ١٣] وهي خدعة الله التي خدع بها المنافقين حيث قال: ﴿يخادعون الله وهو خادعهم﴾ [النساء: ١٤٢] فيرجعون إلى المكان الذي قسم فيه النور، فلا يجدون شيئاً، فينصرفون إليهم وقد ضرب بينهم بسور له باب: ﴿باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب﴾ [الحديد: ١٣] الآية. يقول سليم بن عامر: فما يزال المنافق مغتراً حتى يقسم النور، ويميز الله بين المؤمن والمنافق [ابن كثير].

سبب نزول الآية [١٦]: عن عبد العزيز بن أبي رواد: أن أصحاب النبيّ ﷺ ظهر فيهم المزاح والضحك، فنزلت: ﴿ ألم يأن للذين آمنوا ﴾ الآية.

وعن مقاتل بن حيان قال: كان أصحاب النبيّ ﷺ قد أخذوا في شيء من المزاح، فأنزل الله: ﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله﴾ الآية.

وعن السدي عن القاسم قال: ملّ أصحاب رسول الله ﷺ ملة، فقالوا: حدّثنا يا رسول الله، فأنزل الله: ﴿نحن نقصّ عليك أحسن القصص﴾ [يوسف: ٣] ثم ملوا ملة، فقالوا: حدثنا يا رسول الله، فأنزل الله: ﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله﴾ الآية.

وعن الأعمش قال: لما قدم أصحاب رسول الله ﷺ المدينة، فأصابوا من العيش ما أصابوا بعدما كان بهم من الجهد، فكأنهم فتروا عن بعض ما كانوا عليه، فنزلت: ﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم﴾ الآية [السيوطي].

الجحيم ﴾ النار.

٢٠ ﴿ اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة ﴾ تزيين ﴿ وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد ﴾ أي الاشتغال فيها، وأما الطاعات وما يعين عليها فمن أمور الآخرة ﴿ كمثل ﴾ أي هي في إعجابها لكم واضمحلالها كمثل ﴿ غيث ﴾ مطر ﴿ أعجب الكفار ﴾ الزراع ﴿ نباته ﴾ الناشىء عنه ﴿ ثم يهيج ﴾ ييبس ﴿ فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً ﴾ فتاتاً يضمحل بالرياح ﴿ وفي الآخرة عذاب شديد ﴾ لمن آثر عليها الدنيا ﴿ ومغفرة من الله ورضوان ﴾ لمن لم يؤثر عليها الدنيا ﴿ وما الحياة الدنيا ﴾ ما التمتع فيها ﴿ إلا متاع الغرور ﴾.

٢١ ﴿ سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض ﴾ لو وصلت إحداهما بالأخرى، والعرض: السعة(١) ﴿ أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾(٢).

٢٢ ﴿ ما أصاب من مصيبة في الأرض ﴾ بالجدب ﴿ ولا في أنفسكم ﴾ كالمرض وفقد الولد ﴿ إلا في كتاب ﴾ يعني اللوح المحفوظ ﴿ من قبل أن نبرأها ﴾ نخلقها، ويقال في النعمة كذلك ﴿ إن ذلك على الله يسير ﴾.

٢٣ ﴿ لكيلا ﴾ كي ناصبة للفعل بمعنى أن، أي أخبر تعالى بذلك لأن لا ﴿تأسوا﴾ تحزنوا ﴿على ما فاتكم ولا تفرحوا ﴾ فرح بطر، بل فرح شكر على النعمة ﴿ بما آتاكم﴾ بالمد: أعطاكم، وبالقصر: جاءكم منه ﴿والله لا يحب كل مختال ﴾ متكبر بما أوتي ﴿ فخور ﴾ به على الناس.

٢٤ ﴿ الذين يبخلون ﴾ بما يجب عليهم

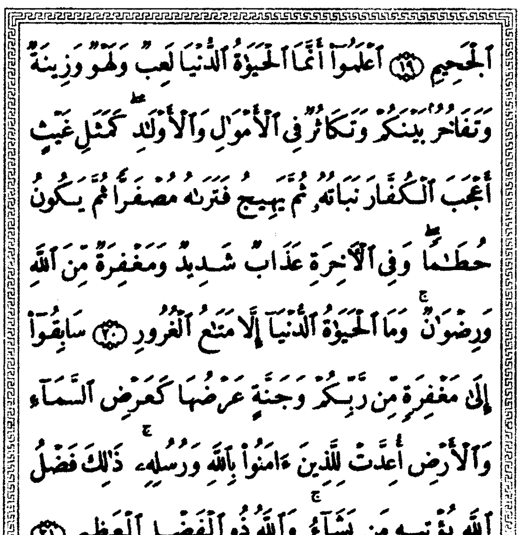

(الجزء السابع والعشرون) ٧٢٢

ٱلْجَحِيمِ ﴿١٩﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ
وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ
أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ
حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ
وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوٓا۟
إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ
وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ
ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾
مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا
فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾
لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ
وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ

---

(١) قال الصاوي في حاشيته: جواب عما يقال: إنه ذكر العرض ولم يذكر الطول، فأجاب المفسر: بأنه لم يرد بالعرض ما قابل الطول، بل أراد به السعة. وأجيب أيضاً: بأنه ترك ذكر الطول تعظيماً لشأنها، لأنه إذا كان هذا شأن العرض فالطول أعظم، لأن العرض أقل من الطول. انتهى والله تعالى أعلم.

(٢) روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لن يدخل أحداً منكم الجنة عمله) قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: (ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله بفضل ورحمة). [يتغمدني: يسترني].
[البخاري: المرضى، باب: نهي تمني المريض الموت، رقم: ٥٣٤٩. مسلم: صفات المنافقين وأحكامهم، باب: لن يدخل أحد الجنة بعمله بل يرحمه الله تعالى، رقم: ٢٨١٦].

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النَّبي ﷺ قال: «إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم، كما تتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق، من المشرق أو المغرب، لتفاضل ما بينهم». قالوا: يارسول الله، تلك منازل الأنبياء، لا يبلغها غيرهم ؟ قال: «بلى، والذي نفسي بيده، رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين». [البخاري: بدء الخلق، باب: ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، رقم: ٣٠٨٣. مسلم: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: ترائي أهل الجنة أهل الغرف، رقم: ٢٨٣١]. [يتراءون: يرون وينظرون ويتكلفون لذلك. أهل الغرف: أصحاب المنازل العالية، والغرف جمع غرفة وهي العلية. الغابر: الذاهب، أو الباقي بعد انتشار ضوء الفجر. الأفق: أطراف السماء. لتفاضل ما بينهم: لبعد منازل أهل الغرف وعلو درجاتهم عن باقي أهل الجنة].

فائدة: عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف النبي ﷺ يوماً، فقال: (يا غلام، إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظْك، احفظ الله تجدْه تُجاهك. إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف) رواه الترمذي [صفة القيامة، باب: ولكن يا حنظلة ساعة وساعة، رقم: ٢٥١٨] وقال: حديث حسن صحيح. ورواه عبد بن حميد في مسنده بلفظ: (احفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئَك، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً). [احفظ الله: بالتزام شرعه. يحفظك: يحميك ويصونك في نفسك وأهلك. تجاهك: معك بالحفظ والتأييد. رفعت الأقلام: قدر كل شيء وانتهى. جفت الصحف: أي لا محو ولا تغيير ولا تبديل].

﴿ ويأمرون الناس بالبخل ﴾ به، لهم وعيد شديد ﴿ ومن يتول ﴾(١) عما يجب عليه ﴿ فإن الله هو ﴾ ضمير فصل، وفي قراءة بسقوطه(٢) ﴿ الغني ﴾ عن غيره ﴿ الحميد ﴾ لأوليائه(٣).

٢٥ ﴿ لقد أرسلنا رسلنا ﴾ الملائكة إلى الأنبياء ﴿ بالبينات ﴾ بالحجج القواطع ﴿ وأنزلنا معهم الكتاب ﴾ بمعنى الكتب ﴿ والميزان ﴾ العدل ﴿ ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد ﴾ أخرجناه من المعادن ﴿ فيه بأس شديد ﴾(٤) يقاتل به(٥) ﴿ ومنافع للناس وليعلم الله ﴾ علم مشاهدة(٦)، معطوف على «ليقوم الناس» ﴿ من ينصره ﴾ بأن ينصر دينه بآلات الحرب من الحديد وغيره ﴿ ورسله بالغيب ﴾ حال من هاء «ينصره» أي غائباً عنهم في الدنيا، قال ابن عباس: ينصرونه ولا يبصرونه ﴿ إن الله قوي عزيز ﴾ لا حاجة به إلى النصرة، لكنها تنفع من يأتي بها.

٢٦ ﴿ ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب ﴾ يعني الكتب الأربعة: التوراة، والإنجيل، والزبور، والفرقان. فإنها في ذرية إبراهيم(٧) ﴿ فمنهم(٨) مهتدٍ وكثير منهم فاسقون ﴾.

٢٧ ﴿ ثم قفينا على آثارهم برسلنا(٩) وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الإنجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ﴾ هي رفض النساء واتخاذ الصوامع(١٠) ﴿ ابتدعوها ﴾ من قبل أنفسهم ﴿ ما كتبناها عليهم ﴾ ما أمرناهم بها ﴿ إلا ﴾ لكن فعلوها ﴿ ابتغاء رضوان ﴾ مرضاة ﴿ الله فما رعوها حق رعايتها ﴾ إذ تركها كثير منهم، وكفروا بدين عيسى، ودخلوا في دين ملكهم، وبقي على دين عيسى كثير منهم، فآمنوا بنبينا ﷺ ﴿ فآتينا الذين آمنوا ﴾ به ﴿ منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون ﴾.

٢٨ ﴿ يا أيها الذين

وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ
ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا
مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِۖ وَأَنزَلْنَا
ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ
مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ
وَٱلْكِتَٰبَۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾
ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ
وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً
وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ
رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَاۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
مِنْهُمْ أَجْرَهُمْۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

---

(١) يعرض.

(٢) أي بدون لفظ ﴿هو﴾ وهي قراءة سبعية أيضاً. قال الصاوي: وهي تعين أنه ضمير فصل، إذ لو صح أن يجعل ضميراً منفصلاً لما حسن إسقاطه من غير دليل، لأنه عمدة. انتهى كلامه. والمراد بقوله [عمدة] أي من تركيب الجملة، لأنه يكون متبدأ خبره ﴿الغني..﴾ وجملة ﴿هو الغني..﴾ خبر ﴿فإن الله﴾. بينما ضمير الفصل فضلة في الكلام، يؤتى به لتأكيد المعنى، فيمكن إسقاطه. والعمدة في القراءة على الثبوت، وقد ثبتت القراءتان بالتواتر.

(٣) أي كثير الحمد لهم، بمعنى كثرة إحسانه لهم على طاعتهم، وقبوله لأعمالهم، وحسن مجازاته على إقبالهم عليه.

(٤) قوة شديدة. (٥) بما يصنع منه من آلات الحرب.

(٦) أي ليظهر الله تعالى ما في علمه الأزلي حتى يشاهده الخلق.

(٧) وإبراهيم من ذرية نوح ـ عليهما السلام ـ لأنه الأب الثاني للبشر، فكانت النبوة والكتاب في ذريتهما.

(٨) أي من الذرية المرسل إليهم.

(٩) أتبعنا ـ بعد نوح وإبراهيم عليهما السلام ومن عاصرهما من الرسل ـ أتبعنا بعضهم رسلنا رسولاً بعد رسول.

(١٠) جمع صومعة، وهي البناء في مكان مرتفع ومنعزل عن الناس، والمراد الجلوس فيها للاشتغال بالعبادة.

سبب نزول الآية [٢٨]: عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن أربعين من أصحاب النجاشي قدموا على النبيّ ﷺ فشهدوا معه أُحداً، فكانت فيهم جراحات ولم يقتل منهم أحد، فلما رأوا ما بالمؤمنين من الحاجة قالوا: يا رسول الله، إنا أهل ميسرة، فأذن لنا نجيء بأموالنا نواسي بها المسلمين، فأنزل الله فيهم: ﴿الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون﴾ [القصص: ٥٢]. الآيات، فلما نزلت قالوا: يا معشر المسلمين، أما من آمن منا بكتابكم فله أجران، ومن لم يؤمن بكتابكم فله أجر كأجوركم. فأنزل الله: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته﴾ الآية.

وعن مقاتل: لما نزلت: ﴿أولئك يؤتون أجرهم مرّتين بما صبروا﴾ الآية [القصص: ٥٤] فخر مؤمنو أهل الكتاب على أصحاب النبيّ ﷺ، فقالوا: لنا أجران ولكم أجر، فاشتدّ ذلك على الصحابة، فأنزل الله: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته﴾ الآية، فجعل لهم أجرين مثل أجور مؤمني أهل الكتاب. [السيوطي].

آمنوا ﴾ بعيسى(١) ﴿ اتقوا الله وآمنوا برسوله ﴾ محمد ﷺ وعيسى ﴿ يؤتكم كفلين ﴾ نصيبين ﴿ من رحمته ﴾ لإيمانكم بالنبيين(٢) ﴿ ويجعل لكم نوراً تمشون به ﴾ على الصراط ﴿ ويغفر لكم والله غفور رحيم ﴾.

٢٩ ﴿ لئلا يعلم ﴾ أي أعلمكم بذلك ليعلم(٣) ﴿ أهل الكتاب ﴾ التوراة، الذين لم يؤمنوا بمحمد ﷺ ﴿ أن ﴾ مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن ، والمعنى: أنهم ﴿ لا يقدرون على شيء من فضل الله ﴾ خلاف ما في زعمهم أنهم أحباء الله وأهل رضوانه ﴿ وأن الفضل بيد الله يؤتيه ﴾ يعطيه ﴿ من يشاء ﴾ فآتى المؤمنين منهم أجرهم مرتين كما تقدم ﴿ والله ذو الفضل العظيم ﴾.

(سورة المجادلة)

(مدنية وآياتها ٢٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿ قد سمع الله قول التي تجادلك ﴾ تراجعك أيها النبي ﴿ في زوجها ﴾ المظاهر منها، وكان قال لها: أنت عليّ كظهر أمي، وقد سألت النبي ﷺ عن ذلك، فأجابها بأنها حرمت عليه، على ما هو المعهود عندهم من أن

الظهار موجبه(٤) فرقة مؤبدة، وهي خولة بنت ثعلبة، وهو أوس بن الصامت ﴿ وتشتكي إلى الله ﴾ وحدتها وفاقتها(٥)، وصبية صغاراً: إن ضمتهم إليه ضاعوا، أو إليها جاعوا ﴿ والله يسمع تحاوركما ﴾ تراجعكما ﴿ إن الله سميع بصير ﴾ عالم(٦).

٢ ﴿ الذين يظَّهَّرون ﴾ أصله يتظهرون، أدغمت التاء في الظاء، وفي قراءة بألف بين الظاء والهاء الخفيفة(٧)، وفي أخرى كيقاتلون، والموضع الثاني(٨) كذلك ﴿ منكم من نسائهم ما هن أمهاتهم

ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن
رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ
غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ
عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن
يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

(٥٨) سُورَةُ المجَادَلة مَدَنيَّة
وَآيَاتُهَا ثِنْتَانِ وَعِشْرُونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ
إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾
ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ

---

(١) أو المراد كل من آمن بالله تعالى ورسله المتقدمين.

(٢) روى البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (ثلاثة لهم أجران: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد ﷺ، والعبد المملوك إذا أدى حق مواليه وحق الله، ورجل كانت عنده أمة يطؤها فأدبها فأحسن تأديبها، وعلمها فأحسن تعليمها، ثم أعتقها فتزوجها، فله أجران). [البخاري: العلم، باب: تعليم الرجل أمته وأهله، رقم: ٩٧. مسلم: الإيمان، باب: وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس، رقم: ١٥٤].

(٣) أشار بقوله [ليعلم] إلى أنَّ [لا] في قوله ﴿لئلا﴾ زائدة لتأكيد المعنى.

(٤) أي يترتب عليه.

(٥) أي فقرها.

(٦) أخرج البخاري تعليقاً عن عائشة رضي الله عنها قالت: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة خولة إلى رسول الله ﷺ وكلمته في جانب البيت وما أسمع ما تقول، فأنزل الله ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله..﴾ الآية. [البخاري: التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿وكان الله سميعاً بصيراً﴾. وأخرجه ابن ماجه في المقدمة، باب: فيما أنكرت الجهمية، رقم: ١٨٨. وأحمد في مسنده: ٤٨/٦]. تعليقاً: الحديث المعلق هو الذي حذف سنده أو جزء منه من أوله.

(٧) أي مع تشديد الظاء: ﴿يظَّاهرون﴾ والثالثة: ﴿يُظَاهِرُون﴾.

(٨) أي كلمة ﴿يظاهرون﴾ الثانية الآتية في الآية التالية، فيها نفس القراءات.

سبب نزول الآية [٢٩]: أخرج ابن جرير عن قتادة قال: بلغنا أنه لما نزلت: ﴿يؤتكم كفلين من رحمته﴾ حسد أهل الكتاب المسلمين عليها، فأنزل الله: ﴿لئلا يعلم أهل الكتاب﴾ الآية. وعن مجاهد قال: قالت اليهود: يوشك أن يخرج منا نبيّ فيقطع الأيدي والأرجل. فلما خرج من العرب كفروا، فأنزل الله: ﴿لئلا يعلم أهل الكتاب﴾ الآية، يعني بالفضل النبوّة. [السيوطي].

سبب نزول الآيات [١] وما بعدها: روى الواحدي بسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت: تبارك الذي وسع سمعه كل شيء، إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى عليّ بعضه، وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله ﷺ، وهي تقول: يا رسول الله، أبلى شبابي، ونثرت له بطني، حتى إذا كبر سني وانقطع ولدي ظاهر مني، اللهم إني أشكو إليك. قال: فما برحت حتى نزل جبريل عليه السلام بهذه الآيات: ﴿ قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتَشْتَكِي إلى الله ﴾. ورواه أبو عبد الله الحاكم في مستدركه: التفسير/ تفسير سورة المجادلة [٤٨١/٢].

[نثرت. . : أي أنها كانت شابة تلد الأولاد عنده، في النهاية: امرأة نثور كثيرة الولد. ظاهر مني: أي قال لها: أنت عليّ كظهر أمي، وكان هذا

إن أمهاتهم إلا اللائي ﴾ بهمزة وياء، وبلا ياء ﴿ ولدنهم وإنهم ﴾ بالظهار ﴿ ليقولون منكراً من القول⁽¹⁾ وزوراً ﴾ كذباً وإفكاً ﴿ وإن الله لعفو غفور ﴾ للمظاهر، بالكفارة.

٣ ﴿ والذين يَظَّهَّرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا ﴾ أي فيه، بأن يخالفوه بإمساك المظاهر منها، الذي هو خلاف مقصود الظهار من وصف المرأة بالتحريم ﴿ فتحرير رقبة ﴾ أي إعتاقها عليه ﴿ من قبل أن يتماسا ﴾ بالوطء ﴿ ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير ﴾.

٤ ﴿ فمن لم يجد ﴾ رقبة ﴿ فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم يستطع ﴾ أي الصيام ﴿ فإطعام ستين مسكيناً ﴾ عليه، أي من قبل أن يتماسا، حملاً للمطلق على المقيد⁽²⁾، لكل مسكين مد من غالب قوت البلد ﴿ ذلك ﴾ أي التخفيف في الكفارة ﴿ لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك ﴾ أي الأحكام المذكورة ﴿ حدود الله وللكافرين ﴾ بها ﴿ عذاب أليم ﴾ مؤلم.

٥ ﴿ إن الذين يحادون ﴾ يخالفون ﴿ الله ورسوله كبتوا ﴾ أذلوا ﴿ كما كبت الذين من قبلهم ﴾ في مخالفتهم رسلهم

إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا۟ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ

﴿ وقد أنزلنا آيات بينات ﴾ دالة على صدق الرسول ﴿ وللكافرين ﴾ بالآيات ﴿ عذاب مهين ﴾ ذو إهانة.

٦ ﴿ يوم يبعثهم الله جميعاً فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه والله على كل شيء شهيد ﴾.

٧ ﴿ ألم ترَ ﴾ تعلم ﴿ أن الله يعلم

---

(١) أي قولاً باطلاً لا يعرف في الشرع.

والذي يقول هذا القول يأثم، وتلزمه الكفارة المذكورة بشروطها، ويلزمه هذا الحكم إذا شبه زوجته بأي محرم من محارمه، وقصد بذلك تحريمها على نفسه، كأن قال لها: أنت كأختي ونحوه. ولا يلزمه ذلك إذا خاطبها بهذا ولم يقصد تحريمها، وإنما قصد احترامها وتكريمها، ولكن يستحسن أن لا يخاطب زوجته بمثل هذا، فقد روى أبو داود في سننه [الطلاق، باب: الرجل يقول لامرأته يا أختي، رقم: ٢٢١٠]: أن رجلاً قال لامرأته: يا أخيَّة، فقال رسول الله ﷺ: (أختك هي). فكره ذلك ونهى عنه.

قال ابن كثير في تفسيره: فهذا إنكار ولكن لم يحرمها عليه بمجرد ذلك، لأنه لم يقصده، ولو قصده لحرمت عليه، لأنه لا فرق على الصحيح بين الأم وبين غيرها من سائر المحارم من أخت وعمة وخالة وما أشبه ذلك.

وقال الخطابي في معالم السنن: إنما كره ذلك من أجل أنه مظنة التحريم، وذلك أن من قال لامرأته: أنت كأختي، وأراد به الظهار، كان ظهاراً، كما تقول: أنتِ كأمي، وكذلك هذا في كل امرأة من ذوات المحارم. وعامة أهل العلم أو أكثرهم متفقون على هذا، إلا أن ينوي بهذا الكلام الكرامة فلا يلزمه الظهار، وإنما اختلفوا فيه إذا لم يكن له نية، فقال كثير منهم: لا يلزمه شيء. وقال أبو يوسف: إذا لم يكن له نية فهو تحريم، وقال محمد بن الحسن: هو ظهار إذا لم يكن له نية، فكره له رسول الله ﷺ هذا القول لئلا يلحقه بذلك ضرر في أهل، أو يلزمه كفارة في مال.

(٢) أي إن الإطعام مطلق، لم يقيد بكونه من قبل أن يتماسا أو بعده، فيحمل على المقيد بأنه من قبل أن يتماسا، وهو الإعتاق والصوم، فيقيد مثله، فلا يحل للمظاهر أن يجامع زوجته إلا بعد أن يكفر عن ظهاره بما ذكر.

عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رجلاً قال: يا رسول الله، إني ظاهرت من امرأتي، فوقعت عليها قبل أن أكفر. فقال: (ما حملك على هذا يرحمك الله). قال: رأيت خلخالها في ضوء القمر. قال: (فلا تقربها حتى تفعل ما أمرك الله عز وجل) [الترمذي: الطلاق، باب: ما جاء في الظاهر يواقع قبل أن يكفر. أبو داود: الطلاق، باب: في الظهار. النسائي: الطلاق، باب: الظهار] [خلخالها: الحلي في الرجل].

طلاقاً في الجاهلية، ثم ألغى الإسلام هذا الحكم، وأوجب على المظاهر كفارة، كما بين كتاب الله عز وجل].

سبب نزول الآيات [٨ ـ ١٠]: قال السيوطي: وأخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل بن حيان قال: كان بين النبيّ ﷺ وبين اليهود موادعة، فكانوا إذا مرّ بهم رجل من أصحابه جلسوا يتناجون بينهم، حتى يظنّ المؤمن أنهم يتناجون بقتله، أو بما يكرهه، فنهاهم النبيّ ﷺ عن النجوى فلم ينتهوا،

ما في السماوات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة(١) إلا هو رابعهم ﴾ بعلمه(٢) ﴿ ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم ﴾.

٨ ﴿ ألم ترَ ﴾ تنظر ﴿ إلى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالإثم والعدوان ومعصيت الرسول ﴾ هم اليهود، نهاهم النبي ﷺ عما كانوا يفعلون من تناجيهم، أي تحدثهم سراً، ناظرين إلى المؤمنين ليوقعوا في قلوبهم الريبة ﴿ وإذا جاؤوك حيوك ﴾ أيها النبي ﴿ بما لم يحيك به الله ﴾ وهو قولهم: السام عليك، أي الموت(٣) ﴿ ويقولون في أنفسهم لولا ﴾ هلا ﴿ يعذبنا الله بما نقول ﴾ من التحية، وأنه ليس بنبي، إن كان نبياً(٤) ﴿ حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير ﴾ هي.

٩ ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصيت الرسول وتناجوا بالبر والتقوى واتقوا الله الذي إليه تحشرون ﴾.

١٠ ﴿ إنما النجوى ﴾ بالإثم ونحوه ﴿ من الشيطان ﴾ بغروره ﴿ ليحزن الذين آمنوا(٥)

---

(١) أي ما يتكلم ثلاثة فيما بينهم سراً.

(٢) أي يعلم ما يتناجون به، ولا يخفى عليه سبحانه ما هم فيه من قول أو فعل. وهذا لازم لمعيته معهم جل وعلا، وهي معية تليق به، هو أعلم بها، وتعالى عن أن يحده زمان أو مكان، وهو خالق الزمان والمكان.

(٣) روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل رهط من اليهود على رسول الله ﷺ قالوا: السام عليك، قالت عائشة: ففهمتها، فقلت: عليكم السام واللعنة، قالت: فقال رسول الله ﷺ: (مهلاً يا عائشة، إن الله يحب الرفق في الأمر كله) فقلت: يا رسول الله ألم تسمع ما قالوا؟ قال رسول الله ﷺ: (قد قلت: عليكم).
[البخاري: الأدب، باب: الرفق في الأمر كله، رقم: ٥٦٧٨. مسلم: السلام، باب: النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم، رقم: ٢١٦٥] السام: الموت.

(٤) أي إن كان محمد - ﷺ - نبياً، ونحن نقول: إنه ليس بنبي، فلم لا يعذبنا الله بقولنا هذا.

(٥) روى البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: (إذا كانوا ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث) وفي رواية عند أبي داود عن ابن مسعود رضي الله عنه (فإن ذلك يحزنه). [البخاري: الاستئذان، باب: لا يتناجى اثنان دون الثالث، رقم: ٥٩٣٠. مسلم: السلام، باب: تحريم مناجاة الاثنين دون الثالث بغير رضاه، رقم: ٢١٨٣. أبو داود: الأدب، باب: في التناجي، رقم: ٤٨٥١].

مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ
ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ
مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم
بِمَا عَمِلُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ أَلَمۡ
تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُواْ عَنِ ٱلنَّجۡوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ
وَيَتَنَٰجَوۡنَ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا
جَآءُوكَ حَيَّوۡكَ بِمَا لَمۡ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ
لَوۡلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُۚ حَسۡبُهُمۡ جَهَنَّمُ يَصۡلَوۡنَهَاۖ
فَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيۡتُمۡ
فَلَا تَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوۡاْ
بِٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٩﴾
إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ لِيَحۡزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

فأنزل الله: ﴿ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى﴾ الآية.

وأخرج أحمد والبزار والطبراني، بسند جيد، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: أن اليهود كانوا يقولون لرسول الله ﷺ: سام عليكم، ثم يقولون في أنفسهم: لولا يعذّبنا الله بما نقول، فنزلت هذه الآية: ﴿وإذا جاؤوك حيوك بما لم يحيك به الله﴾

وأخرج ابن جرير عن قتادة قال: كان المنافقون يتناجون بينهم، وكان ذلك يغيظ المؤمنين ويكبر عليهم، فأنزل الله: ﴿إنما النجوى من الشيطان﴾ الآية. [لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي].

سبب نزول الآية [١٢ - ١٣]: قال السيوطي: أخرج ابن أبي حاتم من طريق ابن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن المسلمين أكثروا المسائل على رسول الله ﷺ حتى شقوا عليه، فأراد الله أن يخفف عن نبيه، فأنزل: ﴿إذا ناجيتم الرّسول فقدّموا بين يدي نجواكم﴾ الآية. فلما نزلت صبر كثير من الناس، وكفوا عن المسألة، فأنزل الله بعد ذلك ﴿أأشفقتم﴾ الآية.

وأخرج الترمذي وحسّنه وغيره عن عليّ رضي الله عنه قال: لما نزلت: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدّموا بين يدي نجواكم صدقة﴾

وليس ﴾ هو ﴿ بضارهم شيئاً إلا بإذن الله ﴾ أي إرادته ﴿ وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾.

١١ ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا ﴾ توسعوا ﴿ في المجلس ﴾ مجلس النبي ﷺ، أو الذكر، حتى يجلس من جاءكم، وفي قراءة «المجالس» ﴿ فافسحوا يفسح الله لكم ﴾ في الجنة⁽¹⁾ ﴿ وإذا قيل انشِزوا ﴾ قوموا إلى الصلاة وغيرها من الخيرات ﴿ فانشِزوا ﴾ وفي قراءة بضم الشين فيهما ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم ﴾ بالطاعة في ذلك ﴿ و ﴾ يرفع ﴿ الذين أوتوا العلم درجات ﴾ في الجنة ﴿ والله بما تعملون خبير ﴾.

١٢ ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول ﴾ أردتم مناجاته⁽²⁾ ﴿ فقدموا بين يدي نجواكم ﴾ قبلها ﴿ صدقة ذلك خير لكم وأطهر ﴾ لذنوبكم ﴿ فإن لم تجدوا ﴾ ما تتصدقون به ﴿ فإن الله غفور ﴾ لمناجاتكم ﴿ رحيم ﴾ بكم، يعني فلا عليكم في المناجاة من غير صدقة. ثم نسخ ذلك بقوله:

١٣ ﴿ ءأشفقتم ﴾ بتحقيق الهمزتين، وإبدال الثانية ألفاً وتسهيلها، وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه: أي أخفتم من ﴿ أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات ﴾ لفقر ﴿ فإذ لم تفعلوا ﴾ الصدقة ﴿ وتاب الله عليكم ﴾ رجع بكم عنها ﴿ فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله ﴾ أي دوموا على ذلك ﴿ والله خبير بما تعملون ﴾.

١٤ ﴿ ألم ترَ ﴾ تنظر ﴿ إلى الذين تولوا ﴾ هم المنافقون ﴿ قوماً ﴾ هم اليهود ﴿ غضب الله عليهم ما هم ﴾ أي المنافقون ﴿ منكم ﴾ من المؤمنين ﴿ ولا منهم ﴾ من اليهود، بل هم مذبذبون ﴿ ويحلفون على الكذب ﴾ أي قولهم إنهم مؤمنون

وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟
فِى ٱلْمَجَـٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ
ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟
ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَـٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ
صَدَقَةً ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ
غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ
صَدَقَـٰتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ
وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا
تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ
عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ

---

(١) أخرج البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: (لا يقيمن أحدكم الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه، ولكن تفسحوا وتوسعوا). [البخاري: الاستئذان، باب: لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه، رقم: ٥٩١٤. مسلم: السلام، باب: تحريم إقامة الإنسان من موضعه المباح الذي سبق إليه، رقم: ٢١٧٧].

قال الواحدي في كتابه [أسباب النزول]: قال مقاتل: كان النبي ﷺ في الصُّفَّة وفي المكان ضيق، وذلك يوم الجمعة، وكان رسول الله ﷺ يكرم أهل بدر من المهاجرين والأنصار، فجاء ناس من أهل بدر وقد سُبِقُوا إلى المجلس، فقاموا حيال النبي ﷺ على ارجلهم ينتظرون أن يوسع لهم فلم يفسحوا لهم، وشق ذلك على رسول الله ﷺ، فقال لمن حوله من غير أهل بدر: (قم يا فلان، وأنت يا فلان). فأقام من المجلس بقدر النفر الذي قاموا بين يديه من أهل بدر، فشق ذلك على من أقيم من مجلسه، وعرف النبي ﷺ الكراهية في وجوههم، فقال المنافقون للمسلمين: ألستم تزعمون أن صاحبكم يعدل بين الناس، فوالله ما عدل على هؤلاء، قوم أخذوا مجالسهم وأحبوا القرب من نبيِّهم، أقامهم وأجلس من أبطأ عنهم مقامهم؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية. حيال.. : تلقاء وجهه.

(٢) أي أردتم التحدث إليه والتكلم معه.

قال لي النبيّ ﷺ: (ما ترى؟ ديناراً). قلت: لا يطيقونه. قال: (فنصف دينار). قلت: لا يطيقونه. قال: (فكم). قلت: شعيرة، قال: (إنك لزهيد). فنزلت ﴿ءأشفقتم أن تقدّموا بين يدي نجواكم صدقات﴾ الآية، فبي خفف الله عن هذه الأمة. [تفسير القرآن، باب: ومن سورة المجادلة].

سبب نزول الآية [١٤ - ١٩]: عن السدّي في قوله: ﴿ألم تر إلى الذين تولوا قوماً..﴾ الآية. قال: بلغنا أنها نزلت في عبد الله بن نبتل. [السيوطي، الواحدي].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ في ظلّ حُجَره، وقد كاد الظلّ أن يتقلص، فقال: (إنه سيأتيكم إنسان فينظر إليكم بعيني شيطان، فإذا جاءكم فلا تكلموه). فلم يلبثوا أن طلع عليهم رجل أزرق أعور، فدعاه رسول الله ﷺ، فقال له حين رآه: (علام تشتمني أنت وأصحابك). فقال: ذرني آتك بهم. فانطلق فدعاهم، فحلفوا له ما قالوا وما فعلوا، فأنزل الله: ﴿يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له كما يحلفون لكم﴾ الآية. [أخرجه الحاكم في المستدرك: التفسير، تفسير سورة المجادلة: ٢/٤٨٢].

﴿ وهم يعلمون ﴾ أنهم كاذبون فيه(١).

١٥ ﴿ أعد الله لهم عذاباً شديداً إنهم ساء ما كانوا يعملون ﴾ من المعاصي.

١٦ ﴿ اتخذوا أيمانهم جنة ﴾ ستراً على أنفسهم وأموالهم ﴿ فصدوا ﴾ بها المؤمنين ﴿ عن سبيل الله ﴾ أي الجهاد فيهم، بقتلهم وأخذ أموالهم ﴿ فلهم عذاب مهين ﴾ ذو إهانة.

١٧ ﴿ لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله ﴾ من عذابه ﴿ شيئاً ﴾ من الإغناء ﴿ أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾.

١٨ اذكر ﴿يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له﴾ أنهم مؤمنون ﴿كما يحلفون لكم(٢) ويحسبون أنهم على شيء﴾ من نفع حلفهم في الآخرة كالدنيا ﴿ ألا إنهم هم الكاذبون ﴾.

١٩ ﴿ استحوذ ﴾ استولى ﴿ عليهم الشيطان ﴾ بطاعتهم له ﴿ فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ﴾ أتباعه ﴿ ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون ﴾(٣).

٢٠ ﴿ إن الذين يحادون ﴾ يخالفون ﴿ الله ورسوله أولئك في الأذلين ﴾ المغلوبين.

٢١ ﴿ كتب الله ﴾ في اللوح المحفوظ، أو قضى ﴿ لأغلبن أنا ورسلي ﴾ بالحجة، أو السيف ﴿ إن الله قوي عزيز ﴾.

٢٢ ﴿ لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون ﴾ يصادقون ﴿ من حاد الله ورسوله ولو

(الجزء الثامن والعشرون) ٧٢٨

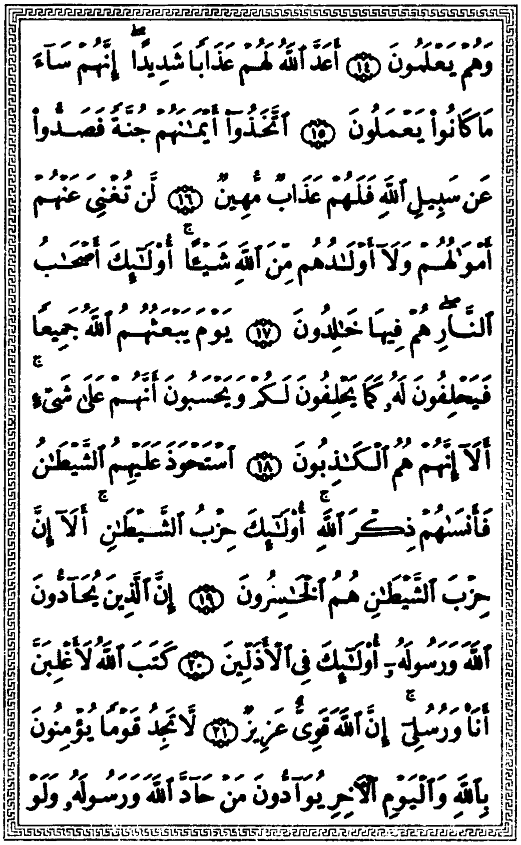
وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَآءَ
مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟
عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾ لَّن تُغْنِىَ عَنْهُمْ
أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ
ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا
فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ
أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ
فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ أَلَآ إِنَّ
حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ
ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ
أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ
بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ

---

(١) قال ابن كثير في تفسيره: يعني المنافقين يحلفون على الكذب، وهم عالمون بأنهم كاذبون فيما حلفوا، وهي اليمين الغموس، ولا سيما في مثل حالهم اللعين، عياذاً بالله منه، فإنهم كانوا إذا لقوا الذين آمنوا قالوا: آمنا، وإذا جاء الرسول حلفوا بالله أنهم مؤمنون، وهم في ذلك يعلمون أنهم يكذبون فيما حلفوا به، لأنهم لا يعتقدون صدق ما قالوه، وإن كان في نفس الأمر مطابقاً، ولهذا شهد الله بكذبهم في أيمانهم وشهادتهم لذلك. [الغموس: التي تغمس فاعلها في النار. مطابقاً: موافقاً للحقيقة].

(٢) أي كما كانوا يحلفون لكم في الدنيا، لأن من اعتاد شيئاً صار خلقاً له متمكناً منه، فيشيب عليه ويموت عليه، فيبعث عليه.

(٣) عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ما من ثلاثة في قرية ولا بدو، لا تقام فيهم الصلاة، إلا قد استحوذ عليهم الشيطان. فعليك بالجماعة، فإنما يأكل الذئب القاصية). [أبو داود: الصلاة، باب: في التشديد بترك الجماعة، رقم: ٥٤٧] استحوذ: استولى وتسلط. القاصية: أي الشاة المنفردة والبعيدة عن القطيع.

سبب نزول الآية [٢٢]: قال ابن جريج: حدثت أن أبا قحافة سب النبي ﷺ، فصكه أبو بكر صكة شديدة سقط منها، ثم ذكر ذلك للنبي ﷺ، قال: (أو فعلته). قال: نعم. قال: (فلا تعد إليه). فقال أبو بكر: والله لو كان السيف قريباً مني لقتلته. فأنزل الله تبارك وتعالى هذه الآية. [الواحدي، السيوطي].

وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: نزلت هذه الآية في أبي عبيدة بن الجراح، قتل أباه عبد الله بن الجراح يوم أحد، وفي أبي بكر، دعا ابنه يوم بدر إلى البراز، فقال: يا رسول الله، دعني أكن في الرعلة الأولى. فقال له رسول الله ﷺ: (متعنا بنفسك يا أبا بكر، أما تعلم أنك عندي بمنزلة سمعي وبصري). وفي مصعب بن عمير، قتل أخاه عبيد بن عمير يوم أحد، وفي عمر، قتل خاله العاص بن هشام بن المغيرة يوم بدر، وفي علي وحمزة، قتلوا عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة يوم بدر، وذلك قوله: ﴿وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾. [الواحدي] الرعلة: القطعة من الفرسان.

وأخرج الحاكم في المستدرك [معرفة الصحابة، باب: ذكر مناقب أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه: ٣/٢٦٥] عن عبد الله بن شوذب قال: جعل أبو أبي عبيدة بن الجرّاح ينصب الآلَّ لأبي عبيدة يوم بدر، وجعل أبو عبيدة يحيد عنه، فلما أكثر الجراح قصده أبو عبيدة فقتله، فأنزل الله تعالى فيه هذه الآية حين قتل أباه: ﴿لا تجد قوماً..﴾. [الآل: الحربة العريضة النصل. وقوله ﴿حاد﴾ أي خالفه وعاداه].

كانوا﴾ أي المحادون **﴿آباءهم﴾** أي المؤمنين **﴿أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم﴾** بل يقصدونهم بالسوء ويقاتلونهم على الإيمان، كما وقع لجماعة من الصحابة رضي الله عنهم **﴿أولئك﴾** الذين لا يوادونهم **﴿كتب﴾** أثبت **﴿في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح﴾** بنور **﴿منه﴾** تعالى **﴿ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم﴾** بطاعته **﴿ورضوا عنه﴾** بثوابه **﴿أولئك حزب الله﴾** يتبعون أمره ويجتنبون نهيه **﴿ألا إن حزب الله هم المفلحون﴾** الفائزون.

(سورة الحشر)

(مدنية وآياتها ٢٤)

بسم الله الرحمن الرحيم

١**﴿سبح لله ما في السماوات وما في الأرض﴾** أي نزهه، فاللام مزيدة[(١)]، وفي الاتيان بـ «ما» تغليب للأكثر[(٢)]**﴿وهو العزيز الحكيم﴾** في ملكه وصنعه.

٢ **﴿هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب﴾** هم بنو النضير من اليهود[(٣)] **﴿من ديارهم﴾** مساكنهم بالمدينة **﴿لأول الحشر﴾** هو حشرهم إلى الشام[(٤)]، وآخره أن أجلاهم عمر رضي الله عنه في خلافته من خيبر **﴿ما ظننتم﴾** أيها المؤمنون **﴿أن يخرجوا**

كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ
أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ
وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ
رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ
حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٢٢﴾

(٥٩) سُورَةُ الحَشۡرِ مَدَنِيَّة
وَآيَاتُهَا أَرۡبَع وَعِشۡرُونَ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ
ٱلۡحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ
ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ

---

(١) و(٢) انظر تفسير الآية الأولى من سورة الحديد والحواشي عليها.

(٣) أخرج البخاري [التفسير، باب: تفسير سورة الحشر، رقم: ٤٦٠٠] عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس رضي الله عنهما: سورة الأنفال؟ قال: نزلت في بدر. قال: قلت: سورة الحشر؟ قال: نزلت في بني النضير.

(٤) أخرج الحاكم وصححه [التفسير، باب: تفسير سورة الحشر: ٤٨٣/٢] عن عائشة رضي الله عنها قالت: كانت غزوة بني النضير، وهم طائفة من اليهود، على رأس ستة أشهر من وقعة بدر. وكان منزلهم ونخلهم بناحية المدينة، فحاصرهم رسول الله ﷺ حتى نزلوا على الجلاء، وعلى أن لهم ما أقلت الإبل من الأمتعة والأموال إلا الحلقة، يعني السلاح، فأنزل الله فيهم: ﴿سبّح لله ما في السموات وما في الأرض﴾ إلى قوله ﴿لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا﴾ فقاتلهم النبي ﷺ حتى صالحهم على الجلاء، فأجلاهم إلى الشام.

أسباب نزول الآيات [٢ ـ ٥]: قال الواحدي في كتابه [أسباب النزول]: قال المفسرون: نزلت هذه الآية في بني النضير، وذلك أن النبي ﷺ لما قدم المدينة صالحه بنو النضير على أن لا يقاتلوه ولا يقاتلوا معه، وقبل رسول الله ﷺ ذلك منهم، فلما غزا رسول الله ﷺ بدراً وظهر على المشركين، قالت بنو النضير: والله إنه النبي الذي وجدنا نعته في التوراة، لا ترد له راية. فلما غزا أحداً وهزم المسلمون نقضوا العهد، وأظهروا العداوة لرسول الله ﷺ والمؤمنين، فحاصرهم رسول الله ﷺ ثم صالحهم عن الجلاء من المدينة.

وأخرج بسنده عن ابن كعب بن مالك رضي الله عنهما، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ: أن كفار قريش كتبوا بعد وقعة بدر إلى اليهود: إنكم أهل الحلقة والحصون، وإنكم لتقاتلن صاحبنا أو لتفعلن كذا، ولا يحول بيننا وبين خدم نسائكم وبين الخلاخل شيء. فلما بلغ كتابهم اليهود أجمعت بنو النضير الغدر، وأرسلوا إلى النبي ﷺ أن اخرج إلينا في ثلاثين رجلاً من أصحابك، وليخرج معنا ثلاثون حبراً، حتى نلتقي بمكان نصف بيننا وبينك، ليسمعوا منك، فإن صدقوك وآمنوا بك آمنا بك كلنا. فخرج النبي ﷺ في ثلاثين من أصحابه وخرج إليه ثلاثون حبراً من اليهود، حتى إذا برزوا في براز من الأرض قال بعض اليهود لبعض: كيف تخلصون إليه ومعه ثلاثون رجلاً من أصحابه كلهم يحب أن يموت قبله. فأرسلوا: كيف نتفق ونحن ستون رجلاً؟ أخرج في ثلاثة من أصحابك ونخرج إليك ثلاثة من علمائنا، إن آمنوا بك آمنا بك كلنا وصدقناك. فخرج النبي ﷺ في ثلاثة من أصحابه وخرج ثلاثة من اليهود، واشتملوا على الخناجر، وأرادوا الفتك برسول الله ﷺ، فأرسلت امرأة ناصحة من بني النضير إلى أخيها، وهو رجل مسلم من الأنصار، فأخبرته خبر ما أراد بنو النضير من الغدر برسول الله ﷺ، وأقبل أخوها سريعاً حتى أدرك النبي ﷺ فساره بخبرهم، فرجع النبي ﷺ، فلما كان من الغد عدا عليهم بالكتائب فحاصرهم فقاتلهم حتى نزلوا على الجلاء، على أن لهم ما أقلت الإبل إلا الحلقة، وهي السلاح، وكانوا يخربون بيوتهم فيأخذون ما وافقهم من خشبها، فأنزل الله تعالى: ﴿سبّح للّهِ ما في السمواتِ وما في الأرْضِ﴾ حتى بلغ ﴿واللّهُ على كُلِّ شيء قديرٌ﴾.=

وظنوا أنهم مانعتهم ﴾ خبر أن ﴿ حصونهم ﴾ فاعله، تم به الخبر(١) ﴿ من الله ﴾ أي من عذابه ﴿ فأتاهم الله ﴾ أمره وعذابه ﴿ من حيث لم يحتسبوا ﴾ لم يخطر ببالهم من جهة المؤمنين ﴿ وقذف ﴾ ألقى ﴿ في قلوبهم الرعب ﴾ بسكون العين وضمها: الخوف، بقتل سيدهم كعب بن الأشرف ﴿ يخربون ﴾ بالتشديد، والتخفيف من أخرب(٢) ﴿ بيوتهم ﴾ لينقلوا ما استحسنوا منها من خشب وغيره ﴿ بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار ﴾.

٣ ﴿ ولولا أن كتب الله ﴾ قضى ﴿ عليهم الجلاء ﴾ الخروج من الوطن ﴿ لعذبهم في الدنيا ﴾ بالقتل والسبي كما فعله بقريظة من اليهود(٣) ﴿ ولهم في الآخرة عذاب النار ﴾.

٤ ﴿ ذلك بأنهم شاقوا ﴾ خالفوا ﴿ الله ورسوله ومن يشاق الله فإن الله شديد العقاب ﴾ له.

٥ ﴿ ما قطعتم ﴾ يا مسلمون ﴿ من لينة ﴾ نخلة ﴿ أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله ﴾ أي خيركم في ذلك(٤) ﴿ وليخزي ﴾ بالإذن في القطع ﴿ الفاسقين ﴾ اليهود، في اعتراضهم أن قطع الشجر المثمر فساد.

٦ ﴿ وما أفاء ﴾ رد ﴿ الله على رسوله منهم فما أوجفتم ﴾ أسرعتم يا مسلمون ﴿ عليه من ﴾ زائدة ﴿ خيل ولا ركاب ﴾ إبل، أي لم تقاسوا فيه مشقة ﴿ ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير ﴾ فلا حق لكم فيه، ويختص به النبي ﷺ ومن ذكر معه في الآية الثانية من الأصناف الأربعة، على ما كان يقسمه من أن لكل منهم خمس الخمس، وله ﷺ الباقي، يفعل فيه ما يشاء، فأعطى منه المهاجرين وثلاثة من الأنصار لفقرهم(٥).

٧ ﴿ ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى ﴾ كالصفراء، ووادي القرى، وينبع ﴿ فلله ﴾ يأمر فيه بما يشاء ﴿ وللرسول ولذي ﴾ صاحب ﴿ القربى ﴾ قرابة النبي ﷺ من بني هاشم وبني المطلب ﴿ واليتامى ﴾ أطفال المسلمين الذين هلكت آباؤهم وهم فقراء ﴿ والمساكين ﴾ ذوي الحاجة من المسلمين ﴿ وابن السبيل ﴾ المنقطع في سفره من المسلمين، أي يستحقه النبي ﷺ والأصناف الأربعة على ما كان يقسمه من أن لكل من الأربعة خمس الخمس وله الباقي

وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ
حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم
بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُواْ يَـٰٓأُوْلِى ٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿٢﴾
وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا
وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ
وَرَسُولَهُۥ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾
مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ
ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٥﴾ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ
مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ
يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾
مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ
وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ

---

(١) أي ﴿حصونهم﴾ فاعل اسم الفاعل ﴿ مانعتهم ﴾ الذي هو خبر أن في ﴿ أنهم ﴾ وبهذا الفاعل تم خبر أن.

(٢) أي في اللفظ قراءتان متواترتان: ﴿يخرِّبون﴾ بتشديد الراء من خرَّب، وهي قراءة أبي عمرو. و﴿يُخْرِبون﴾ بدون تشديد من أخرب، وهي قراءة باقي القراء.

(٣) أخرج البخاري [الجهاد، باب: إذا نزل العدو على حكم رجل، رقم: ٢٨٧٨] ومسلم [الجهاد والسير، باب: جواز قتال من نقض العهد، رقم: ١٧٦٨]: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: لما نزلت بنو قريظة على حكم سعد، هو ابن معاذ، بعثه رسول الله ﷺ، وكان قريباً منه، فجاء على حمار، فلما دنا قال رسول الله ﷺ: (قوموا إلى سيدكم). فجاء فجلس إلى رسول الله ﷺ فقال له: (إن هؤلاء نزلوا على حكمك). قال: فإني أحكم أن تقتل المقاتلة، وأن تسبى الذرية. قال: (لقد حكمت فيهم بحكم الملك) أي الله تعالى. [تسبى: يؤخذون أسرى ويجعلون أرقاء يوزعون على الغانمين].

(٤) أي أنه تعالى خيركم بين قطعها وتركها.

(٥) وهم أبو دجانة سماك بن خرشة، وسهل بن حنيف، والحارث بن الصمة، رضي الله عنهم.

=[الحلقة: السلاح. خدم..: موضع الخلخال، وهو ما يوضع في الساق من الزينة، جمعه خلاخل. جبراً: هو عالم اليهود. نصف: على منتصف الطريق. بَرَاز: فضاء واسع. بالكتائب: جمع كتيبة وهي الجيش. أقلت: حملت على ظهورها].

سبب نزول الآية [٥]: قال الواحدي: وذلك أن رسول الله ﷺ لما نزل ببني النضير، وتحصنوا في حصونهم، أمر بقطع نخيلهم وإحراقها، فجزع أعداء الله عند ذلك وقالوا: زعمت يا محمد أنك تريد الصلاح، أفمن الصلاح عقر الشجر المثمر وقطع النخيل؟ وهل وجدت فيما زعمت أنه أنزل عليك الفساد في الأرض؟ فشق ذلك على النبي ﷺ، فوجد المسلمون في أنفسهم من قولهم، وخشوا أن يكون ذلك فساداً، واختلفوا في ذلك، فقال بعضهم: لا تقطعوا، فإنه مما أفاء الله علينا. وقال بعضهم: بل اقطعوا. فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿ما قطعتم من لينة﴾ الآية، تصديقاً لمن نهى عن قطعه وتحليلاً لمن قطعه، وأخبر أن قطعه وتركه بإذن الله تعالى. [عقر: قطع. فوجد المسلمون: حزنوا]. وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أن

﴿ كي لا ﴾ كي بمعنى اللام، وأن مقدرة بعدها ﴿ يكون ﴾ الفيء، علة لقسمه كذلك(١) ﴿ دولة ﴾ متداولاً ﴿ بين الأغنياء منكم وما آتاكم ﴾ أعطاكم ﴿ الرسول ﴾ من الفيء وغيره ﴿ فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب ﴾.

٨ ﴿ للفقراء ﴾ متعلق بمحذوف، أي اعجبوا(٢) ﴿ المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون ﴾ في إيمانهم(٣).

٩ ﴿ والذين تبوؤوا الدار ﴾ أي المدينة(٤) ﴿ والإيمان ﴾ أي ألفوه، وهم الأنصار ﴿ من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة ﴾ حسداً ﴿ مما أوتوا ﴾ أي آتى النبي ﷺ المهاجرين من أموال بني النضير المختصة به ﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴾ حاجة إلى ما يؤثرون به(٥) ﴿ ومن يوق شح نفسه ﴾ حرصها على المال وغيره ﴿ فأولئك هم المفلحون ﴾.

١٠ ﴿ والذين جاؤوا من بعدهم ﴾ من بعد المهاجرين والأنصار إلى يوم القيامة ﴿ يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً ﴾ حقداً ﴿ للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ﴾(٦).

١١ ﴿ ألم ترَ ﴾ تنظر ﴿ إلى الذين نافقوا يقولون

كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ
فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ
ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن
دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا
وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿٨﴾
وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ
هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟
وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ
شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو
مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا
بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ
رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ

---

(١) أي قوله ﴿كي لا يكون. . ﴾ تعليل لقسم الفيء كما ذكر.

(٢) أي تعجبوا لحال هؤلاء الذين تحملوا كل شدة وضيق في سبيل دينهم.

(٣) أخرج مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة إلى الجنة بأربعين خريفاً). [أوائل الزهد والرقائق، رقم: ٢٩٧٩].

(٤) توطنوها واتخذوها سكناً لهم.

(٥) عن أبي هريرة قال: أتى رجل رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله أصابني الجهد، فأرسل إلى نسائه فلم يجد عندهنّ شيئاً، فقال: (ألا رجل يضيفه هذه الليلة يرحمه الله). فقام رجل من الأنصار، فقال: أنا يا رسول الله، فذهب إلى أهله. فقال لامرأته: ضيف رسول الله ﷺ لا تدّخريه شيئاً. قالت: والله ما عندي إلا قوت الصبية. قال: فإذا أراد الصبية العشاء فنوّميهم، وتعالي فأطفئي السراج، ونطوي بطوننا الليلة. ففعلت، ثم غدا الرجل على رسول الله ﷺ، فقال: (لقد عجب الله ـ أو ضحك ـ من فلان وفلانة). فأنزل الله تعالى: ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾. [أخرجه البخاري في التفسير/ الحشر ، باب: ﴿ ويؤثرون على أنفسهم ﴾ رقم: ٤٦٠٧. مسلم: الأشربة، باب: إكرام الضيف وفضل إيثاره، رقم: ٢٠٥٤].

(٦) أخرج مسلم عن عروة بن الزبير قال: قالت عائشة: يا ابن أختي، أمروا أن يستغفروا لأصحاب رسول الله ﷺ، فسبوهم. [التفسير، رقم: ٣٠٢٢].

رسول الله ﷺ قطع نخل بني النضير وحرق، وهي البويرة، ولها يقول حسان:

وهان على سراة بني لؤي
حريق بالبويرة مستطير

وفيها نزلت الآية: ﴿ ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها ﴾. [البخاري: المزارعة، باب: قطع الشجر والنخل، رقم: ٢٢٠١. مسلم الجهاد والسير، باب: جواز قطع أشجار الكفار وتحريقها، رقم: ١٧٤٦]. البويرة: موضع معروف من بلد بني النضير. سراة: جمع سَرِيّ وهو السيد الشريف. مستطير: منتشر.

سبب نزول الآية [٩]: قال السيوطي: وأخرج ابن المنذر عن يزيد الأصمّ: أن الأنصار قالوا: يا رسول الله، اقسم بيننا وبين إخواننا المهاجرين الأرض نصفين. قال: (لا، ولكن تكفونهم المؤنة وتقاسمونهم الثمرة، والأرض أرضكم). قالوا: رضينا، فأنزل الله: ﴿والذين تبوّؤ وا الدار﴾ الآية.

وأخرج الواحدي، من طريق محارب بن دثار عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أهدي لرجل من أصحاب رسول الله ﷺ رأس شاة، فقال: إن أخي فلاناً وعياله أحوج إلى هذا منا. فبعث به إليه، فلم يزل يبعث به واحد إلى آخر حتى تداولها أهل سبعة أبيات، حتى رجعت إلى أولئك، فنزلت: ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾ الآية.

سبب نزول الآية [١١]: قال السيوطي: أخرج ابن أبي حاتم عن السدي قال: أسلم ناس من أهل قريظة، وكان فيهم منافقون، وكانوا يقولون لأهل النضير: لئن أخرجتم لنخرجنّ معكم. فنزلت هذه الآية فيهم: ﴿ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم﴾.

لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب ﴾ وهم بنو النضير، وإخوانهم في الكفر ﴿ لئن ﴾ لام قسم في الأربعة(١) ﴿ أخرجتم ﴾ من المدينة ﴿ لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم ﴾ في خذلانكم ﴿ أحداً أبداً وإن قوتلتم ﴾ حذفت منه اللام الموطئة(٢) ﴿ لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون ﴾.

١٢ ﴿ لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ﴾ أي جاؤوا لنصرهم ﴿ ليولن الأدبار﴾(٣) واستغني بجواب القسم المقدر عن جواب الشرط في المواضع الخمسة(٤) ﴿ثم لا ينصرون﴾ أي اليهود.

١٣ ﴿ لأنتم أشد رهبة ﴾ خوفاً ﴿ في صدورهم ﴾ أي المنافقين ﴿ من الله ﴾ لتأخير عذابه ﴿ ذلك بأنهم قوم لا يفقهون ﴾.

١٤ ﴿ لا يقاتلونكم ﴾ أي اليهود ﴿ جميعاً ﴾ مجتمعين ﴿ إلا في قرى محصنة أو من وراء جدار ﴾ سور، وفي قراءة «جُدُر» ﴿ بأسهم ﴾ حربهم ﴿ بينهم شديد(٥) تحسبهم جميعاً ﴾ مجتمعين ﴿ وقلوبهم شتى ﴾ متفرقة، خلاف الحسبان ﴿ ذلك بأنهم قوم لا يعقلون ﴾.

١٥ مثلهم في ترك الإيمان ﴿ كمثل الذين من قبلهم قريباً ﴾ بزمن قريب، وهم أهل بدر من المشركين ﴿ ذاقوا وبال أمرهم ﴾ عقوبته في الدنيا من القتل وغيره ﴿ ولهم عذاب أليم ﴾ مؤلم في الآخرة.

١٦ مثلهم أيضاً في سماعهم من المنافقين وتخلفهم عنهم ﴿ كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين ﴾ كذباً منه ورياءً(٦).

١٧ ﴿ فكان

لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ
لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ
لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا۟
لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ
لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً
فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾
لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ
جُدُرٍۭ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ
ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ
قَرِيبًا ۖ ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ
ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى
بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ

---

(١) أي في المواطن الأربعة التي ذكرت فيها لفظة ﴿لئن﴾.

(٢) أي الموطئة للقسم، وحذفها قليل في لسان العرب.

(٣) لأداروا ظهورهم وفروا منهزمين.

(٤) وهي المواضع التي ذكر فيها ﴿لئن﴾ والموضع الذي ذكر فيه ﴿وإنْ قوتلتم﴾.

(٥) أو المراد: هم أقوياء حين يكونون فيما بينهم وراء حصونهم، فإذا خرجوا إلى عدوهم كانوا أجبن خلق الله تعالى. أو المراد: أن عداوة بعضهم لبعض شديدة، ومن شأنهم الفظاظة فيما بينهم، وأن يغلظ بعضهم لبعض في المعاملة والقول.

(٦) أخرج ابن جرير بسنده عن علي رضي الله عنه قال: إن راهباً تعبد ستين سنة، وإن الشيطان أراده فأعياه، فعمد إلى امرأة فأجنها، ولها إخوة، فقال لإخوتها: عليكم بهذا القس فيداويها. قال: فجاؤوا بها إليه فداواها، وكانت عنده، فبينما هو يوماً عندها إذ أعجبته، فأتاها فحملت، فعمد إليها فقتلها، فجاء إخوتها، فقال الشيطان للراهب: أنا صاحبك، إنك أعييتني، أنا صنعت هذا بك، فأطعني أنجك مما صنعت بك، اسجد لي سجدة، فسجد له، فلما سجد له قال: إني بريء منك، إني أخاف الله رب العالمين، فذلك قوله: ﴿كمثل الشيطان﴾.

وأخرج بسنده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كانت امرأة ترعى الغنم، وكان لها أربعة إخوة، وكانت تأوي بالليل إلى صومعة راهب، قال: فنزل الراهب ففجر بها، فحملت، فأتاه الشيطان فقال له: اقتلها ثم ادفنها، فإنك رجل مصدق يسمع قولك. فقتلها ثم دفنها. قال: فأتى الشيطان إخوتها في المنام فقال لهم: إن الراهب صاحب الصومعة فجر بأختكم، فلما أحبلها قتلها ثم دفنها في مكان كذا وكذا، فلما أصبحوا قال رجل منهم: والله لقد رأيت البارحة رؤيا ما أدري أقصها عليكم أم أترك؟ قالوا: لا، بل قصها علينا. قال: فقصها، فقال الآخر: وأنا والله لقد رأيت ذلك، فقال الآخر: وأنا والله لقد رأيت ذلك، فقالوا: فوالله ما هذا إلا لشيء، قال: فانطلقوا فاستعدوا ملكهم على ذلك الراهب، فأتوه فأنزلوه، ثم انطلقوا به، فلقيه الشيطان فقال: إني أنا الذي أوقعتك في هذا، ولن ينجيك منه غيري، فاسجد لي سجدة واحدة وأنجيك مما أوقعتك فيه. قال: فسجد له، فلما أتوا به ملكهم تبرأ منه وأخذ فقتل». [فاستعدوا ملكهم: طلبوا منه النصرة على من ظلمهم واعتدى عليهم].

قال ابن كثير: وهذه القصة مخالفة لقصة جريج العابد، فإن جريجاً اتهمته امرأة بغي بنفسها، وادعت أن حملها منه، ورفعت أمره إلى ولي الأمر، فأمر به فأنزل من صومعته وخربت صومعته

عاقبتَهما﴾ أي الغاوي والمغوي، وقرىء بالرفع اسم كان ﴿أنهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين﴾ أي الكافرين.

١٨ ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد ﴾ليوم القيامة[1] ﴿واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون﴾.

١٩ ﴿ ولا تكونوا كالذين نسوا الله ﴾ تركوا طاعته ﴿ فأنساهم أنفسهم ﴾ أن يقدموا لها خيراً ﴿ أولئك هم الفاسقون ﴾.

٢٠ ﴿ لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون ﴾[2].

٢١ ﴿ لو أنزلنا هذا القرآن على جبل ﴾ وجعل فيه تمييز كالإنسان ﴿ لرأيته خاشعاً متصدعاً ﴾ متشققاً ﴿ من خشية الله وتلك الأمثال ﴾ المذكورة ﴿ نضربها للناس لعلهم يتفكرون ﴾ فيؤمنوا.

٢٢ ﴿ هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة ﴾ السر والعلانية ﴿ هو الرحمن الرحيم ﴾.

٢٣ ﴿ هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس ﴾ الطاهر عما لا يليق به ﴿ السلام ﴾ ذو السلامة من النقائص ﴿ المؤمن ﴾ المصدق رسله بخلق المعجزة لهم ﴿ المهيمن ﴾ من هيمن يهيمن إذا كان رقيباً على الشيء، أي الشهيد على عباده بأعمالهم ﴿ العزيز ﴾ القوي ﴿ الجبار ﴾ جبر خلقه على ما أراد[3] ﴿ المتكبر ﴾ عما لا يليق به ﴿ سبحان الله ﴾ نزه نفسه ﴿ عما يشركون ﴾ به.

٢٤ ﴿ هو الله

عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ

وهو يقول: ما لكم؟ ما لكم؟ فقالوا: يا عدو الله، فعلت بهذه المرأة كذا وكذا. فقال جريج: اصبروا، ثم أخذ ابنها وهو صغير جداً، ثم قال: يا غلام، من أبوك؟ قال: أبي الراعي، وكانت قد أمكنته من نفسها فحملت منه، فلما رأى بنو إسرائيل ذلك عظموه كلهم تعظيماً بليغاً، وقالوا: نعيد صومعتك من ذهب، قال: لا، بل أعيدوها من طين كما كانت. [أخرج قصة جريج البخاري: العمل في الصلاة، باب: إذا دعت الأم ولدها في الصلاة. مسلم: البر والصلة، باب: تقديم بر الوالدين على التطوع بالصلاة].

(١) عن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله ﷺ في صدر النهار، قال: فجاءه قوم حفاة عراة.. فتمعر وجه رسول الله ﷺ لما رأى بهم من الفاقة، فدخل ثم خرج، فأمر بلالاً فأذن وأقام، فصلى، ثم خطب فقال:﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة﴾ [النساء: ١] إلى آخر الآية: ﴿إن الله كان عليكم رقيباً﴾ والآية التي في الحشر: ﴿اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله﴾ تصدق رجل من ديناره، من درهمه، من ثوبه، من صاع بره، من صاع تمره، حتى قال: ولو بشق تمرة). قال: فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها، بل قد عجزت،قال: ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب، حتى رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلل كأنه مذهبة، فقال رسول الله ﷺ: (من سن في الإسلام سنة حسنة، فله أجرها وأجر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء..). [مسلم: الزكاة، باب: الحث على الصدقة..، رقم: ١٠١٧]. [صدر النهار: أوله. فتمعر: تغير حزناً والماً. الفاقة: الفقر والحاجة. بشق: بنصف. مذهبة: فضة مطلية أو مشوبة بالذهب].

(٢) لأنهم سيكونون في النعيم المقيم، بينما يكون أصحاب النار في العذاب الدائم.

(٣) أي إذا أراد من خلقه أمراً قهرهم عليه، ولا يحجزه عنه حاجز، وليس المراد أنه يجبرهم على أعمالهم التي يقومون، ولا كسب لهم ولا اختيار في إتيانها.

فائدة: قال ابن كثير في تفسير الآية [٢١] : عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل﴾ إلى آخرها، يقول: لو أني أنزلت هذا القرآن على جبل حملته إياه، لتصدع وخشع من ثقله، ومن خشية الله. فأمر الله الناس إذا نزل عليهم القرآن أن يأخذوه بالخشية الشديدة والتخشع. ثم قال: كذلك يضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتفكرون. قال ابن كثير: وكذا قال، وقد ثبت في الحديث المتواتر أن رسول الله ﷺ لما عمل له المنبر، وقد كان يوم الجمعة يقف إلى جانب جذع من جذوع المسجد، فلما وضع المنبر أول ما وضع، وجاء النبي ﷺ ليخطب فجاوز الجذع إلى نحو المنبر، فعند ذلك حنَّ الجذع، وجعل يئن كما يئن الصبي الذي يسكن، لما كان يسمع من الذكر والوحي عنده، ففي بعض روايات هذا الحديث قال الحسن البصري بعد إيراده: فأنتم أحق أن تشتاقوا إلى رسول الله ـ ﷺ ـ من الجذع. وهكذا هذه الآية الكريمة، إذا كانت الجبال الصم لو سمعت كلام الله وفهمته، لخشعت وتصدعت من خشيته، فكيف بكم وقد سمعتم وفهمتم؟.

الخالق البارىء ﴾ المنشىء من العدم ﴿ **المصور**(١) له **الأسماء الحسنى** ﴾ التسعة والتسعون الوارد بها الحديث(٢)، والحسنى مؤنث الأحسن ﴿ **يسبح له ما في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم** ﴾ تقدم أولها(٣).

(سورة الممتحنة)

(مدنية وآياتها ١٣)

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم**﴾ أي كفار مكة ﴿ **أولياء تلقون** ﴾ توصلون ﴿ **إليهم** ﴾ قصد النبي ﷺ غزوهم الذي أسره إليكم وورى بحنين(٤) ﴿ **بالمودة** ﴾ بينكم وبينهم، كتب حاطب بن أبي بلتعة إليهم كتاباً بذلك، لما له عندهم من الأولاد والأهل المشركين، فاسترده النبي ﷺ ممن أرسله معه بإعلام الله تعالى له بذلك، وقبل عذر حاطب فيه(٥) ﴿**وقد كفروا بما جاءكم من الحق**﴾ أي دين الإسلام والقرآن ﴿**يخرجون الرسول وإياكم**﴾ من مكة بتضييقهم عليكم ﴿ **أن تؤمنوا** ﴾ أي لأجل أن آمنتم ﴿ **بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهاداً** ﴾ للجهاد ﴿ **في سبيلي وابتغاء مرضاتي** ﴾ وجواب الشرط دل عليه ما قبله، أي فلا تتخذوهم أولياء ﴿ **تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم** ﴾ أي إسرار خبر النبي إليهم ﴿ **فقد ضل سواء السبيل** ﴾ أخطأ طريق الهدى، والسواء في الأصل الوسط.

٢ ﴿ **إن يثقفوكم** ﴾ يظفروا بكم ﴿ **يكونوا**

ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ
لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾

(٦٠) سُورَةُ الْمُمْتَحَنَةِ مَدَنِيَّة
وَآيَاتُهَا ثَلَاثَ عَشْرَةَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ
تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ
يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ
خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم
بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ
مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟

---

(١) الذي يجعل صور خلقه على ما يريد.

(٢) أخرج الترمذي [الدعوات، باب: أسماء الله الحسنى بالتفصيل، رقم: ٣٥٠٢]: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة غير واحدة، من أحصاها دخل الجنة: هو الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارىء المصور الغفار القهّار الوهاب الرزاق الفتاح العليم القابض الباسط الخافض الرافع المعز المذل السميع البصير الحكم العدل اللطيف الخبير الحليم العظيم الغفور الشكور العلي الكبير الحفيظ المقيت الحسيب الجليل الكريم الرقيب المجيب الواسع الحكيم الودود المجيد الباعث الشهيد الحق الوكيل القوي المتين الولي الحميد المحصي المبدىء المعيد المحيي المميت الحي القيوم الواجد الماجد الواحد الصمد القادر المقتدر المقدم المؤخر الأول الآخر الظاهر الباطن الوالي المتعالي البر التواب المنتقم العفو الرؤوف مالك الملك ذو الجلال والإكرام المقسط الجامع الغني المغني المانع الضار النافع النور الهادي البديع الباقي الوارث الرشيد الصبور). قال الترمذي: هذا حديث غريب، حدثنا به غير واحد عن صفوان بن صالح، وهو ثقة عند أهل الحديث. [والحديث الغريب هو الذي تفرد بروايته راو واحد].

(٣) أي أول السورة، وبين معناه هناك.

(٤) أي أظهر أنه يقصد حنيناً بينما هو يقصد مكة. وفي اللغة: ورى الخبر تورية ستره وأظهر غيره، مأخوذ من وراء الإنسان، أي كأنه جعل الأمر وراءه بحيث لا يظهر.

(٥) عن علي رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد، فقال: (انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها ظعينة معها كتاب، فخذوه منها). فذهبنا تعادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة، فإذا نحن بالظعينة، فقلنا: أخرجي الكتاب. فقالت: ما معي من كتاب، فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب. فأخرجته من عقاصها، فأتينا به النبي ﷺ فإذا فيه: من حاطب ابن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين ممن بمكة، يخبرهم ببعض أمر النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: (ما هذا يا حاطب). قال: لا تعجل علي يا رسول الله، إني كنت امرأ من قريش ـ وفي رواية: ملصقاً في قريش ـ ولم أكن من أنفسهم، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهليهم وأموالهم بمكة، فأحببت ـ إذ فاتني من النسب فيهم ـ أن أصطنع إليهم يداً يحمون قرابتي، وما فعلت ذلك كفراً، ولا ارتداداً عن

لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم ﴾ بالقتل والضرب ﴿ وألسنتهم بالسوء ﴾ بالسب والشتم ﴿ وودوا ﴾ تمنوا ﴿ لو تكفرون ﴾.

٣ ﴿ لن تنفعكم أرحامكم ﴾ قراباتكم ﴿ ولا أولادكم ﴾ المشركون الذين لأجلهم أسررتم الخبر، من العذاب في الآخرة ﴿ يوم القيامة يفصل ﴾ بالبناء للمفعول والفاعل(١) ﴿ بينكم ﴾ وبينهـم فتكونوا في الجنة، وهم في جملة الكفار في النار ﴿ والله بما تعملون بصير ﴾.

٤ ﴿ قد كانت لكم أسوة ﴾ بكسر الهمزة وضمها في الموضعين(٢)، قدوة ﴿ حسنة في إبراهيم ﴾ أي به، قولاً وفعلاً ﴿ والذين معه ﴾ من المؤمنين ﴿ إذ قالوا لقومهم إنا برءاء ﴾ جمع بريء، كظريف ﴿ منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم ﴾ أنكرناكم ﴿ وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً ﴾ بتحقيق الهمزتين، وإبدال الثانية واواً ﴿ حتى تؤمنوا بالله وحده إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك ﴾ مستثنى من أسوة، أي فليس لكم التأسي به في ذلك بأن تستغفروا للكفار، وقوله ﴿ وما أملك لك من الله ﴾ أي من عذابه وثوابه ﴿ من شيء ﴾ كنى به عن أنه لا يملك له غير الاستغفار، فهو مبني عليه، مستثنى من حيث المراد منه، وإن كان من حيث ظاهره مما يتأسى فيه: «قل فمن يملك لكم من الله شيئاً»/ الفتح : ١١/ . وكان استغفاره له في حال الترجي له قبل أن يتبين له أنه عدو الله كما ذكره في براءة(٣) ﴿ ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير ﴾ من مقول الخليل ومن معه، أي قالوا.

٥ ﴿ ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا ﴾ أي لا تظهرهم علينا، فيظنوا أنهم على الحق، فيفتنوا، أي تذهب عقولهم بنا(٤) ﴿ واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم ﴾ في ملكك وصنعك.

٦ ﴿ لقد كان لكم ﴾ يا أمة محمد ﷺ، جواب قسم مقدر(٥)

لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ
وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ
أَوْلَـٰدُكُمْ ۚ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
بَصِيرٌ ﴿٣﴾ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ
مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ
مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ
وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ
لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ
رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾
رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ
أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ
حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ

= ديني. فقال النبي ﷺ: (إنه قد صدقكم). فقال عمر: دعني يا رسول الله فأضرب عنقه. فقال: (إنه شهد بدراً، وما يدريك؟ لعل الله عز وجل اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم). قال عمرو بن دينار، أحد رواة الحديث: ونزلت فيه: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء﴾ قال سفيان بن عيينة، أحد رواة الحديث أيضاً: لا أدري الآية في الحديث أو قول عمرو. [البخاري: التفسير/الممتحنة، باب: ﴿لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء﴾ رقم: ٤٦٠٨. مسلم: فضائل الصحابة، باب: من فضائل أهل بدر رضي الله عنهم، رقم: ٢٤٩٤]. [روضة خاخ: موضع بين مكة والمدينة. ظعينة: المرأة في الهودج، وقيل المرأة عامة. واسمها سارة، وقيل كنود. تعادي بنا: تباعد وتجاري. عقاصها: هو الشعر المضفور. ملصقاً: مضافاً إليهم ولست منهم. وقيل: معناه: حليفاً، ولم يكن من نفس قريش وأقربائهم. يداً: نعمة ومنة عليهم. اطلع: نظر إليهم وعلم حالهم وما سيكون منهم].

(١) أي ﴿يُفْصَل﴾ و ﴿يَفْصِل﴾. (٢) أي هنا، وفي قوله تعالى الآتي في الآية/٦/: ﴿لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة﴾.

(٣) الآية/١١٤/. وقول المفسر [كنى به..] أي هذا اللفظ ﴿وما أملك..﴾ لم يرد به معناه الحقيقي الذي وضع له وهو أنه لا يملك له من الله شيئاً مطلقاً، وإنما هو كناية عن أنه لا يملك له غير الاستغفار. وقوله [فهو مبني عليه] أي قوله ﴿وما أملك لك من الله شيئاً﴾ مبني على قوله ﴿لأستغفرن لك﴾ ومرتبط به، ساقه اعتذاراً إليه.

وقوله [مستثنى من حيث المراد منه] أي قوله: ﴿وما أملك..﴾ المراد منه أنه لا يملك له غير الاستغفار، ومعناه: أنه يملك له الاستغفار، وبناء على ذلك يعتبر هذا القول أيضاً مستثنى من الأسوة بإبراهيم عليه السلام، لأنه لا يملك أن يستغفر لأحد من الكافرين ولو كان أباه.

وقوله [وإن كان من حيث ظاهره..] أي وإن كان هذا اللفظ من حيث الظاهر - أي من حيث أن يراد به معناه الحقيقي الموضوع له، وهو أنه لا يملك له شيئاً حتى الاستغفار - مما يتأسى به، أي فيه أسوة للناس بإبراهيم عليه السلام، فلا يعتبر مستثنى منها، بدليل قوله تعالى: ﴿قل فمن يملك..﴾ فهي عامة لكل الناس حتى الأنبياء عليهم السلام، كما أنها عامة في كل الأمور.

(٤) أي تخطىء وتميل عن الحق بسببنا.

(٥) التقدير: والله لقد كان لكم..

﴿ فيهم أسوة حسنة لمن كان ﴾ بدل اشتمال من كم بإعادة الجار(١) ﴿ يرجو الله واليوم الآخر ﴾ أي يخافهما، أو يظن الثواب والعقاب ﴿ ومن يتول ﴾ بأن يوالي الكفار ﴿ فإن الله هو الغني ﴾ عن خلقه ﴿ الحميد ﴾ لأهل طاعته.

٧ ﴿ عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم ﴾ من كفار مكة، طاعة لله تعالى ﴿ مودة ﴾ بأن يهديهم للإيمان، فيصيروا لكم أولياء ﴿ والله قدير ﴾ على ذلك، وقد فعله بعد فتح مكة ﴿ والله غفور ﴾ لهم ما سلف ﴿ رحيم ﴾ بهم وبغيرهم.

٨ ﴿ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم ﴾ من الكفار ﴿ في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم ﴾ بدل اشتمال من الذين(٢) ﴿ وتقسطوا ﴾ تفضوا ﴿ إليهم ﴾ بالقسط، أي بالعدل، وهذا قبل الأمر بجهادهم ﴿ إن الله يحب المقسطين ﴾ العادلين. ٩ ﴿ إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا ﴾ عاونوا ﴿ على إخراجكم أن تولوهم ﴾ بدل اشتمال من الذين(٣): أن تتخذوهم أولياء ﴿ ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون ﴾.

١٠ ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات ﴾ بألسنتهن ﴿ مهاجرات ﴾ من الكفار بعد الصلح معهم في الحديبية على أن من جاء منهم إلى المؤمنين يرد ﴿ فامتحنوهن ﴾ بالحلف على أنهن ما خرجن إلا رغبة في الإسلام، لا بغضاً لأزواجهن الكفار، ولا عشقاً لرجال من المسلمين، كذا كان ﷺ يحلفهن ﴿ الله أعلم بإيمانهن فإن علمتموهن ﴾ ظننتموهن بالحلف ﴿ مؤمنات فلا ترجعوهن ﴾ تردوهن ﴿ إلى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن وآتوهم ﴾ أي أعطوا الكفار أزواجهن ﴿ ما أنفقوا ﴾ عليهن من المهور ﴿ ولا جناح عليكم أن تنكحوهن ﴾ بشرطه(٤) ﴿ إذا آتيتموهن أجورهن ﴾

فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦﴾ ۞ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ
بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ
غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ
فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟
إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ
ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ
وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ
ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ
فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ
لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟ ۚ
وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ

---

(١) ورجح بعضهم أنه بدل بعض من كل، لأن الذي يرجو الله واليوم الآخر بعض المخاطبين بقوله ﴿لكم﴾.

(٢) المعنى: لا ينهاكم الله تعالى عن أن تبروا الذين لم يقاتلوكم، أي تحسنوا إليهم. فالمراد عدم النهي عن برهم، وهو من جملة ما يشتمل عليه التعبير بالذين لم يقاتلوكم.

(٣) أي ينهاكم عن ولايتهم التي هي من جملة ما تشتمل عليه ذواتهم.

(٤) أي بشروط النكاح.

ذكر ابن كثير في تفسيره قوله تعالى: ﴿فلا ترجعوهن إلى الكفار﴾: أنه جاء في صلح الحديبية: على أنه لا يأتيك منا أحد ـ وإن كان على دينك ـ إلا رددته إلينا. قال ابن كثير: فعلى هذه الرواية تكون هذه الآية مخصصة للسنة، وهذا من أحسن أمثلة ذلك. وعلى طريقة بعض السلف ناسخة، فإن الله عز وجل أمر عباده المؤمنين إذا جاءهم النساء مهاجرات أن يمتحنوهن، فإن علموهن مؤمنات فلا يرجعوهن إلى الكفار ﴿لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن﴾.

سبب نزول الآية [٨]: عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: أتتني أمي راغبة، في عهد النبي ﷺ، فسألت النبيَّ ﷺ: آصلها؟ قال: (نعم). قال ابن عيينة: فأنزل الله تعالى فيها: ﴿ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ﴾. [البخاري: الأدب، باب: صلة الوالد المشرك، رقم ٥٦٣٣] راغبة: أي عن الإسلام، فلا تريد الدخول فيه.

وعن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال: قدمت قتيلة بنت العزى بنت أسعد من بني مالك بن حسل على ابنتها أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، وكان أبو بكر طلقها في جاهلية، فقدمت على ابنتها بهدايا ضباباً وسمناً وأقطاً، فأبت أسماء ان تأخذ منها وتقبل منها وتدخلها منزلها، حتى أرسلت إلى عائشة: أن سلي عن هذا رسول الله ﷺ، فأخبرته، فأمرها أن تقبل هداياها وتدخلها منزلها، فأنزل الله عز وجل: ﴿ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ﴾ الآية. [أخرجه الحاكم في المستدرك: التفسير/ الممتحنة: ٢/ ٤٨٥].

سبب نزول الآية [١٠]: عن المسور ومروان بن الحكم: أن رسول الله ﷺ لما عاهد كفار قريش يوم الحديبية جاءه نساء من المؤمنات، فأنزل الله: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات﴾ إلى قوله ﴿ولا تمسكوا بعصم الكوافر﴾. [البخاري: الشروط، باب: الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب. . ، رقم: ٢٥٨١]. وأخرج الطبراني بسند صحيح، عن عبد الله بن أبي أحمد قال: هاجرت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط في الهدنة، فخرج أخواها عمارة والوليد ابنا عقبة حتى قدما على رسول الله وكلماه في أم كلثوم أن يردّها إليهم، فنقض الله العهد بينه وبين المشركين خاصة في النساء، ومنع أن يرددن إلى المشركين، فأنزل الله آية الامتحان. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أسلم عمر بن

مهورهن ﴿ ولا تمسكوا ﴾ بالتشديد والتخفيف(١) ﴿ بعصم الكوافر ﴾ زوجاتكم(٢)، لقطع إسلامكم لها(٣)، بشرطه(٤)، أو اللاحقات بالمشركين مرتدات، لقطع ارتدادهن نكاحكم بشرطه(٥) ﴿ واسألوا ﴾ اطلبوا ﴿ ما أنفقتم ﴾ عليهن من المهور في صورة الارتداد ممن تزوجن من الكفار ﴿ وليسألوا ما أنفقوا ﴾ على المهاجرات، كما تقدم أنه يؤتونه(٦) ﴿ذلكم حكم الله يحكم بينكم ﴾ به ﴿ والله عليم حكيم ﴾.

١١ ﴿ وإن فاتكم شيء من أزواجكم ﴾ أي واحدة فأكثر منهن، أو شيء من مهورهن، بالذهاب ﴿ إلى الكفار ﴾ مرتدات ﴿ فعاقبتم ﴾ فغزوتم وغنمتم ﴿ فآتوا الذين ذهبت أزواجهم ﴾ من الغنيمة ﴿ مثل ما أنفقوا ﴾ لفواته عليهم من جهة الكفار ﴿ واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون ﴾ وقد فعل المؤمنون ما أمروا به من الإيتاء للكفار والمؤمنين، ثم ارتفع هذا الحكم(٧).

١٢ ﴿ يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ﴾ كما كان يفعل في الجاهلية من وأد البنات، أي دفنهن أحياء خوف العار والفقر ﴿ ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ﴾ أي بولد ملقوط ينسبنه إلى الزوج، ووصف بصفة الولد الحقيقي، فإن الأم إذا وضعته سقط بين يديها ورجليها ﴿ ولا يعصينك في ﴾ فعل ﴿ معروف ﴾ هو ما وافق طاعة الله، كترك النياحة وتمزيق الثياب وجز الشعور وشق الجيب وخمش الوجه(٨) ﴿ فبايعهن ﴾ فعل ذلك ﷺ بالقول، ولم يصافح واحدة منهن ﴿ واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم ﴾.

١٣ ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم ﴾ هم اليهود ﴿ قد يئسوا من الآخرة ﴾ أي من ثوابها، مع إيقانهم بها، لعنادهم النبي مع علمهم بصدقه ﴿ كما يئس الكفار ﴾ الكائنون ﴿ من أصحاب القبور ﴾ أي المقبورين، من خير الآخرة، إذ تعرض عليهم مقاعدهم من الجنة لو كانوا آمنوا، وما يصيرون إليه من النار.

وَلَا تُمۡسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلۡكَوَافِرِ وَسۡـَٔلُواْ مَآ أَنفَقۡتُمۡ وَلۡيَسۡـَٔلُواْ
مَآ أَنفَقُواْۚ ذَٰلِكُمۡ حُكۡمُ ٱللَّهِ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡۖ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ
حَكِيمٞ ١٠ وَإِن فَاتَكُمۡ شَيۡءٞ مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ إِلَى ٱلۡكُفَّارِ
فَعَاقَبۡتُمۡ فَـَٔاتُواْ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتۡ أَزۡوَٰجُهُم مِّثۡلَ مَآ أَنفَقُواْۚ
وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ١١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا
جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ يُبَايِعۡنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشۡرِكۡنَ بِٱللَّهِ شَيۡـٔٗا
وَلَا يَسۡرِقۡنَ وَلَا يَزۡنِينَ وَلَا يَقۡتُلۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأۡتِينَ
بِبُهۡتَٰنٖ يَفۡتَرِينَهُۥ بَيۡنَ أَيۡدِيهِنَّ وَأَرۡجُلِهِنَّ وَلَا يَعۡصِينَكَ
فِي مَعۡرُوفٖ فَبَايِعۡهُنَّ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُنَّ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ
رَّحِيمٞ ١٢ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ
ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ قَدۡ يَئِسُواْ مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلۡكُفَّارُ مِنۡ
أَصۡحَٰبِ ٱلۡقُبُورِ ١٣

---

(١) أي ﴿تمسَّكوا﴾ و﴿تُمْسِكوا﴾ وهما متواترتان.

(٢) أي لا تمسكوا بزوجاتكم اللاتي ما زلن مشركات بسبب ما بينكم وبينهن من عقد النكاح.

(٣) أي للعصمة، وهي عقد النكاح.

(٤) أي شرط قطع العصمة، وهو أن يسلم الزوج ولا تسلم الزوجة في فترة العدة.

(٥) وهو امتداد الردة إلى تمام العدة، فلو رجعت إلى الإسلام قبل انقضاء العدة لم تنقطع عصمة النكاح.

(٦) أي بقوله ﴿وآتوهم ما أنفقوا﴾ في الآية نفسها.

(٧) أي نسخ هذا الحكم، لأنه خاص بتلك الحادثة، أي صلح الحديبية وما يتعلق به.

(٨) أخرج البخاري ومسلم عن أم عطية الأنصارية رضي الله عنها قالت: بايعنا رسول الله ﷺ، فقرأ علينا ﴿أن لا يشركن بالله شيئاً . .﴾ ونهانا عن النياحة، فقبضت امرأة منا يدها، فقالت: فلانة أسعدتني، فأنا أريد أن أجزيها، فما قال لها النبي ﷺ شيئاً، فانطلقت ثم رجعت فبايعت. وعند أبي داود: عن أسيد بن أبي أسيد عن امرأة من المبايعات قالت: كان فيما أخذ علينا رسول الله ﷺ من المعروف الذي أخذ علينا أن لا نعصيه فيه: أن لا نخمش وجهاً، ولا ندعو ويلاً ولا نشق جيباً، ولا ننشر شعراً. [أسعدتني: أي ناحت في مناسبة وفاة عندها. فقبضت يدها: لعلها مدتها صورة، أو على ظن أنه ﷺ يصافحها، أو المراد أنها لم تبايع، لأنه ثبت أنه ﷺ ما صافح امرأة قط، فقد روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يبايع النساء بالكلام بهذه الآية: ﴿على أن لا يشركن بالله شيئاً . .﴾ وما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة لا يملكها. أي لا يحل له التمتع بها]. [انظر في الأحاديث السابقة: البخاري: التفسير/الممتحنة، باب: ﴿إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات﴾ وباب: ﴿إذا جاءك المؤمنات يبايعنك﴾ رقم: ٤٦٠٩، ٤٦١٠. مسلم: الجنائز، باب: التشديد في النياحة، رقم: ٩٣٦. الإمارة، باب: كيفية بيعة النساء، رقم: ١٨٦٦. أبو داود: الجنائز، باب: في النوح، رقم: ٣١٣١]

الخطاب، فتأخرت امرأته في المشركين، فأنزل الله: ﴿ولا تمسكوا بعصم الكوافر﴾. [السيوطي].

سبب نزول الآية [١١، ١٣]: عن الحسن في قوله: ﴿وإن فاتكم شيء من أزواجكم﴾ الآية، قال: نزلت في أمّ الحكم بنت أبي سفيان، ارتدّت

(سورة الصف)
(مكية أو مدنية وآياتها ١٤)

بسم الله الرحمن الرحيم

١ **﴿سبح لله ما في السماوات وما في الأرض﴾** أي نزهه، فاللام مزيدة(١)، وجيء بما دون من تغليباً للأكثر(١) **﴿وهو العزيز﴾** في ملكه **﴿الحكيم﴾** في صنعه.

٢ **﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون﴾** في طلب الجهاد **﴿ما لا تفعلون﴾** إذ انهزمتم بأحد.

٣ **﴿كبر﴾** عظم **﴿مقتاً﴾**(٢) تمييز **﴿عند الله أن تقولوا﴾** فاعل كبر(٣) **﴿ما لا تفعلون﴾**.

٤ **﴿إن الله يحب﴾** ينصر ويكرم **﴿الذين يقاتلون في سبيله صفاً﴾** حال، أي صافين **﴿كأنهم بنيان مرصوص﴾** ملزق بعضه إلى بعض، ثابت.

٥ **﴿و﴾** اذكر **﴿إذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني﴾** قالوا إنه آدر، أي منتفخ الخصية، وليس كذلك(٤)، وكذبوه **﴿وقد﴾** للتحقيق **﴿تعلمون أني رسول الله إليكم﴾** الجملة حال، والرسول يحترم(٥) **﴿فلما زاغوا﴾** عدلوا عن الحق بإيذائه **﴿أزاغ الله قلوبهم﴾** أمالها عن الهدى على وفق ما قدره في الأزل(٦) **﴿والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾** الكافرين في علمه.

٦ **﴿و﴾** اذكر **﴿إذ قال عيسى ابن مريم يا بني**

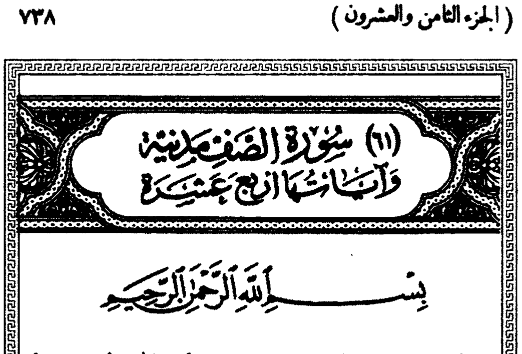
(الجزء الثامن والعشرون) ٧٣٨

(٦١) سُورَةُ الصَّفِّ مَدَنِيَّة
وَآيَاتُهَا أَرْبَعَ عَشْرَةَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ ① يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا
تَفْعَلُونَ ② كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا
تَفْعَلُونَ ③ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ
صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ④ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ
لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ
إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي
الْقَوْمَ الْفَٰسِقِينَ ⑤ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِي

---

(١) انظر تفسير الآية الأولى من سورة الحديد والحواشي عليها.

(٢) المقت شدة البغض.

(٣) أي ﴿أن تقولوا﴾ مؤول بمصدر هو فاعل كبر، والتقدير: كبر قولكم..

(٤) أي كان إيذاؤهم له بدعوى العيب في جسمه، وبإنكار رسالته وتكذيبه بما جاء به.

أخرج البخاري [الغسل، باب: من اغتسل عرياناً وحده في الخلوة ومن تستر فالتستر أفضل، رقم: ٢٧٤] ومسلم [الحيض، باب: جواز الاغتسال عرياناً في الخلوة، رقم: ٣٣٩] عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (كانت بنو إسرائيل يغتسلون عراة، ينظر بعضهم إلى بعض، وكان موسى يغتسل وحده، فقالوا: والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلا أنه آدر. فذهب مرة يغتسل، فوضع ثوبه على حجر، ففر الحجر بثوبه، فخرج موسى في إثره، يقول: ثوبي يا حجر، حتى نظرت بنو إسرائيل إلى موسى، فقالوا: والله ما بموسى من بأس، وأخذ ثوبه، فطفق بالحجر ضرباً) فقال أبو هريرة: والله إنه لندب بالحجر، ستة أو سبعة، ضرباً بالحجر.

[عراة: جمع عار، والظاهر أنه لم يكن حراماً في شرعهم، وإلا لأنكر عليهم موسى عليه السلام. آدر: كبير الخصيتين. إثره: خلفه يتبعه. بأس: عيب . فطفق: شرع. لندب: أثر].

(٥) واحترامه يستوجب عدم إيذائه.

(٦) عليهم، لعلمه بما سيكون منهم من زيغ وضلال.

فتزوّجها رجل ثقفي، ولم ترتدّ امرأة من قريش غيرها. [السيوطي].

سبب نزول الآية [١٣]: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان عبد الله بن عمر وزيد بن الحارث يودّان رجالاً من يهود، فأنزل الله: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم﴾ الآية [السيوطي].

سبب نزول السورة: قال السيوطي في كتابه [لباب النقول]: عن عبد الله بن سلام قال: قعدنا نفراً من أصحاب رسول الله ﷺ فتذاكرنا، فقلنا: لو نعلم أيّ الأعمال أحبّ إلى الله لعملناه، فأنزل الله: ﴿سبّح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم، يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون﴾. فقرأها علينا رسول الله ﷺ حتى ختمها.=

إسرائيل ﴾ لم يقل يا قوم، لأنه لم يكن له فيهم قرابة(١) ﴿ إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي ﴾ قبلي ﴿ من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد ﴾(٢) قال تعالى: ﴿ فلما جاءهم ﴾ أي جاء أحمد المذكور إلى الكفار ﴿ بالبينات ﴾ الآيات والعلامات ﴿ قالوا هذا ﴾ أي المجيء به ﴿ سحر ﴾ وفي قراءة «ساحر» أي الجائي به ﴿ مبين ﴾ بين.

٧ ﴿ ومن ﴾ أي لا أحد ﴿ أظلم ﴾ أشد ظلماً ﴿ ممن افترى على الله الكذب ﴾ بنسبة الشريك والولد إليه، ووصف آياته بالسحر ﴿ وهو يدعى إلى الإسلام والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ الكافرين.

٨ ﴿ يريدون ليطفئوا ﴾ منصوب بأن مقدرة، واللام مزيدة(٣) ﴿ نور الله ﴾ شرعه وبراهينه ﴿ بأفواههم ﴾ بأقوالهم إنه سحر وشعر وكهانة ﴿ والله متمٌّ ﴾ مظهر ﴿نورَه﴾ في قراءة بالإضافة(٤) ﴿ولو كره الكافرون﴾ ذلك.

٩ ﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره ﴾ يعليه ﴿ على الدين كله ﴾ جميع الأديان المخالفة ﴿ ولو كره المشركون ﴾ ذلك.

١٠ ﴿ يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم ﴾ بالتخفيف والتشديد(٥) ﴿ من عذاب أليم ﴾ مؤلم؟ فكأنهم قالوا: نعم، فقال:

١١ ﴿ تؤمنون ﴾ تدومون على الإيمان ﴿ بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾ أنه خير لكم فافعلوه.

١٢ ﴿ يغفر ﴾ جواب شرط مقدر، أي إن تفعلوه يغفر ﴿ لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات

٧٣٩ (سـورة الصـف)

إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ
مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ
فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴿٦﴾
وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُوَ يُدۡعَىٰٓ إِلَى
ٱلۡإِسۡلَٰمِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ
لِيُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ
ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ
ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٩﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ
عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿١٠﴾ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ
فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن
كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ

---

(١) حيث إنه لا أب له، والنسب يكون من جهة الأب.

(٢) روى البخاري ومسلم عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لي خمسة أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي يوم القيامة، وأنا العاقب الذي ليس بعدي نبي).

[البخاري: المناقب، باب: ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ؛ رقم: ٣٣٣٩. مسلم: الفضائل، باب: في أسمائه ﷺ، رقم: ٢٣٥٤].

[على قَدَمي: على أثري، أي يسألون على شريعتي، لأنه لا نبي بعدي].

(٣) أي أصل الكلام: يريدون أن يطفئوا..، كما في سورة التوبة [٣٢] فأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مفعول به ليريدون، فزيدت اللام لتأكيد معنى الإرادة.

(٤) أي في قوله ﴿متم نوره﴾ قراءتان: ﴿متمٌّ نورَه﴾ برفع ﴿متمٌّ﴾ ونصب ﴿نورَه﴾. و﴿متمُّ نورِه﴾ بإضافة اسم الفاعل ﴿متم﴾ إلى مفعوله ﴿نوره﴾.

(٥) أي ﴿تنَجِّيكم﴾ بتشديد الجيم وفتح النون، وهي قراءة ابن عامر من القراء. وقرأ الباقون ﴿تنْجِيكم﴾ بكسر الجيم بدون تشديد، وسكون النون.

=[الترمذي: التفسير، باب: ومن سورة الصف، رقم: ٣٣٠٦. المستدرك: التفسير، باب: تفسير سورة الصف: ٢/٤٨٦].

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس نحوه.

وأخرج عن أبي صالح قال: قالوا: لو كنا نعلم أي الأعمال أحبّ إلى الله وأفضل؟ فنزلت: ﴿يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة﴾ الآية.

[١٠] فكرهوا الجهاد، فنزلت: ﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون﴾.

وأخرج ابن أبي حاتم من طريق علي عن ابن عباس نحوه.

وأخرج من طريق عكرمة عن ابن عباس. وابن جرير عن الضحاك قال: أنزلت: ﴿لم تقولون ما لا تفعلون﴾ في الرجل يقول في القتال ما لم يفعله من الضرب والطعن والقتل. وأخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل: أنها نزلت في توليهم يوم أحد.

وأخرج عن سعيد بن جبير قال: لما نزلت: ﴿يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم﴾ قال المسلمون: فلو علمنا ما هذه التجارة لأعطينا فيها الأموال والأهلين، فنزلت: ﴿تؤمنون بالله ورسوله﴾. [لباب النقول]

تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ﴾ إقامة ﴿ **ذلك الفوز العظيم** ﴾. ١٣ ﴿ **و** ﴾ يؤتكم نعمة ﴿ **أخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين** ﴾ بالنصر والفتح. ١٤ ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصاراً لله** ﴾ لدينه، وفي قراءة بالإضافة(١) ﴿ **كما قال** ﴾ الخ، المعنى: كما كان الحواريون أنصار الله، المأخوذ من جوابهم في جملة القول، الدال عليه قال ﴿ **عيسى ابن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله** ﴾ أي من الأنصار الذين يكونون معي متوجهين إلى نصرة الله ﴿ **قال الحواريون نحن أنصار الله** ﴾ والحواريون أصفياء عيسى، وهم أول من آمن به، وكانوا اثني عشر رجلاً، من الحَوَر وهو البياض الخالص، وقيل: كانوا قصارين يحورون الثياب، أي يبيضونها ﴿ **فآمنت طائفة من بني إسرائيل** ﴾ بعيسى، وقالوا إنه عبد الله رفع إلى السماء ﴿ **وكفرت طائفة** ﴾ لقولهم إنه ابن الله رفعه إليه، فاقتتلت الطائفتان ﴿ **فأيدنا** ﴾ قوينا ﴿ **الذين آمنوا** ﴾ من الطائفتين ﴿ **على عدوهم** ﴾ الطائفة الكافرة ﴿ **فأصبحوا ظاهرين** ﴾ غالبين.

(سورة الجمعة)

(مدنية وآياتها ١١)

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿ **يسبح لله** ﴾ ينزهه، فاللام زائدة(٢) ﴿ **ما في السماوات وما في الأرض** ﴾ في ذكره «ما» تغليب للأكثر(٣) ﴿ **الملك القدوس** ﴾ المنزه عما لا يليق به ﴿ **العزيز** ﴾ في ملكه ﴿ **الحكيم** ﴾ في صنعه.

(الجزء الثامن والعشرون) ٧٤٠

تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾

(٦٢) سُورَةُ الجُمُعَةِ مَدَنِيَّة
وَآيَاتُهَا إِحْدَى عَشْرَة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ

---

(١) قرأ بعض القراء: ﴿أنصار الله﴾ بغير تنوين وبغير لام جر، على الإضافة. وقرأ بعضهم: ﴿أنصاراً لله﴾ بالتنوين وبلام الجر الداخلة على لفظ الجلالة. [النشر].

قال ابن كثير في تفسير الآية: يقول تعالى آمراً عباده المؤمنين أن يكونوا أنصار الله في جميع أحوالهم، بأقوالهم وأفعالهم وأنفسهم وأموالهم، وأن يستجيبوا لله ولرسوله، كما استجاب الحواريون لعيسى حين قال: ﴿من أنصاري إلى الله﴾ [آل عمران: ٥٢، الصف: ١٤] أي: من معيني في الدعوة إلى الله عز وجل؟ ﴿قال الحواريون﴾ وهم أتباع عيسى عليه السلام: ﴿نحن أنصار الله﴾ أي: نحن أنصارك على ما أرسلت به، ومؤازروك على ذلك. ولهذا بعثهم دعاة إلى الناس في بلاد الشام في الإسرائيليين واليونانيين، وهكذا كان رسول الله ﷺ يقول في أيام الحج: «من رجل يؤويني حتى أبلغ رسالة ربي، فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ رسالة ربي» [مسند أحمد: ٣/ ٣٢٢]. حتى قيض الله عز وجل له الأوس والخزرج من أهل المدينة، فبايعوه ووازروه، وشاطروه أن يمنعوه من الأسود والأحمر إن هو هاجر إليهم، فلما هاجر إليهم بمن معه من أصحابه وفوا له بما عاهدوا الله عليه، ولهذا سماهم الله ورسوله الأنصار، وصار ذلك علماً عليهم، رضي الله عنهم وأرضاهم.

(٢) التقدير: يسبح الله تعالى، وانظر تفسير الآية الأولى من سورة الحديد مع الحواشي عليها.

(٣) أي إن ما تستعمل لغير العقلاء، ولما كان أكثر الخلق غير عقلاء غلبوا على العقلاء واستعملت ما للجميع.

فائدة: عن ابن أبي رافع قال: استخلف مروان أبا هريرة ـ رضي الله عنه ـ على المدينة وخرج إلى مكة، فصلى لنا أبو هريرة الجمعة، فقرأ بسورة الجمعة في السجدة الأولى، وفي الآخرة: ﴿إذا جاءك المنافقون﴾. فقلت له: إنك قرأت بسورتين كان علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ يقرأ بهما في الكوفة؟ فقال أبو هريرة: إني سمعت رسول الله ﷺ يقرأ بهما يوم الجمعة.

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يقرأ في العيدين وفي الجمعة بـ ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ و ﴿هل أتاك حديث الغاشية﴾. قال: وإذا اجتمع العيد والجمعة في يوم واحد يقرأ بهما في الصلاتين.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ كان يقرأ في صلاة الفجر، يوم الجمعة: ﴿الٓمٓ. تنزيل﴾ السجدة، و ﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر﴾. وأن النبي ﷺ كان يقرأ في صلاة الجمعة سورة الجمعة والمنافقين.

[مسلم: الجمعة، باب: ما يقرأ في صلاة الجمعة، باب: ما يقرأ في يوم الجمعة، رقم: ٨٧٧ ـ ٨٧٩] السجدة الأولى: أي الركعة الأولى.

٢ **﴿ هو الذي بعث في الأميين ﴾** العرب(١)، والأمي من لا يكتب ولا يقرأ كتاباً **﴿ رسولاً منهم ﴾** هو محمد ﷺ **﴿ يتلوا عليهم آياته ﴾** القرآن **﴿ ويزكيهم ﴾** يطهرهم من الشرك **﴿ ويعلمهم الكتاب ﴾** القرآن **﴿ والحكمة ﴾** ما فيه من الأحكام(٢) **﴿ وإن ﴾** محففة من الثقيلة واسمها محذوف، أي وإنهم **﴿ كانوا من قبل ﴾** مجيئه **﴿ لفي ضلال مبين ﴾** بين.

٣ **﴿ وآخرين ﴾** عطف على الأميين، أي الموجودين **﴿ منهم ﴾** والآتين منهم بعدهم **﴿ لما ﴾** لم **﴿ يلحقوا بهم ﴾** في السابقة والفضل **﴿ وهو العزيز ﴾** في ملكه **﴿ الحكيم ﴾** في صنعه، وهم التابعون، والاقتصار عليهم كافٍ في بيان فضل الصحابة المبعوث فيهم النبي ﷺ على من عداهم، ممن بعث إليهم وآمنوا به من جميع الإنس والجن إلى يوم القيامة، لأن كل قرن خير ممن يليه(٣). ٤ **﴿ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ﴾** النبي ومن ذكر معه **﴿ والله ذو الفضل العظيم ﴾**.

٥ **﴿ مثل الذين حملوا التوراة ﴾** كلفوا العمل بها **﴿ ثم لم يحملوها ﴾** لم يعملوا بما فيها من نعته ﷺ، فلم يؤمنوا به **﴿ كمثل الحمار يحمل أسفاراً ﴾** أي كتباً، في عدم انتفاعه بها(٤) **﴿ بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله ﴾** المصدقة للنبي ﷺ، والمخصوص بالذم محذوف تقديره: هذا المثل(٥) **﴿ والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾** الكافرين.

ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا
مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ
وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٢﴾ وَءَاخَرِينَ
مِنۡهُمۡ لَمَّا يَلۡحَقُواْ بِهِمۡۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ
فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٤﴾
مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ
أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ
لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ
إِن زَعَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ أَوۡلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ
ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوۡنَهُۥٓ أَبَدَۢا بِمَا
قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ قُلۡ إِنَّ ٱلۡمَوۡتَ
ٱلَّذِي تَفِرُّونَ مِنۡهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمۡۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ

٦ **﴿ قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ﴾** تعلق بتمنوا الشرطان على أن الأول قيد في الثاني(٦)، أي إن صدقتم في زعمكم أنكم أولياء الله، والولي يؤثر الآخرة، ومبلؤها الموت، فتمنوه.

٧ **﴿ ولا يتمنونه أبداً بما قدمت أيديهم ﴾** من كفرهم بالنبي ﷺ المستلزم لكذبهم **﴿ والله عليم بالظالمين ﴾** الكافرين.

٨ **﴿ قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ﴾** الفاء زائدة(٧) **﴿ ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب**

---

(١) روى البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: (إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب).

[البخاري: الصوم، باب: قول النبي ﷺ: ﴿لا نكتب ولا نحسب﴾ رقم: ١٨١٤. مسلم: الصيام، باب: وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال، رقم: ١٠٨٠].

(٢) ببيانه ﷺ، وأكثر العلماء على أن المراد بالحكمة سنته ﷺ التي هي بيان للقرآن.

(٣) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء أقوام: تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته).

[البخاري: الشهادات، باب: لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد، رقم: ٢٥٠٩. مسلم: فضائل الصحابة، باب: فضل الصحابة ثم الذين يلونهم، رقم: ٢٥٣٣].

[تسبق: كناية عن التسرع في الشهادة والحلف، والحرص عليها ولو لم يطلب إليها، وهو عنوان قلة الورع والمبالاة في الدين].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ إذ نزلت عليه سورة الجمعة، فلما قرأ: ﴿وآخرين منهم لما يلحقوا بهم﴾ قال رجل: من هؤلاء يا رسول الله؟ فلم يراجعه النبي ﷺ حتى سأله مرة أو مرتين أو ثلاثاً. قال: وفينا سلمان الفارسي، قال: فوضع النبي ﷺ يده على سلمان، ثم قال: (لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال من هؤلاء). [مسلم: فضائل الصحابة، باب: فضل فارس].

(٤) أي التشبيه من حيث عدم الانتفاع.

(٥) أي التقدير: بئس مثل القوم.. هذا المثل..

(٦) الشرطان هما: ﴿إن زعمتم﴾ و﴿إن كنتم صادقين﴾ وكلاهما متعلق بقوله ﴿فتمنوا﴾ الذي هو جواب لهما، والقاعدة: أنه إذا اجتمع شرطان وتوسط الجواب بينهما كان الأول قيداً في الثاني، أي إن الشرط حقيقة هو الثاني والأول شرط فيه. ويكون المعنى كما ذكر المفسر.

(٧) أو هي في جواب الشرط الذي تضمنه الاسم وهو «الموت» فإنه وصف بالموصول وهو «الذي» فصار في حكمه، والموصول يتضمن معنى الشرط.

والشهادة ﴾ السر والعلانية ﴿ فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾ فيجازيكم به.

٩ ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من ﴾ بمعنى في ﴿ يوم الجمعة(١) فاسعوا ﴾ فامضوا ﴿ إلى ذكر الله ﴾ أي للصلاة ﴿ وذروا البيع ﴾ اتركوا عقده ﴿ ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾ أنه خير فافعلوه(٢).

١٠ ﴿ فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض ﴾ أمر إباحة(٣) ﴿وابتغوا﴾ اطلبوا الرزق ﴿ من فضل الله واذكروا الله ﴾ ذكراً ﴿ كثيراً لعلكم تفلحون ﴾ تفوزون. كان ﷺ يخطب يوم الجمعة، فقدمت عير(٤)، وضرب لقدومها الطبل على العادة، فخرج لها الناس من المسجد غير اثني عشر رجلاً، فنزلت:

١١ ﴿ وإذا رأوا تجارة أو لهواً(٥) انفضوا إليها ﴾ أي التجارة، لأنها مطلوبهم، دون اللهو ﴿ وتركوك ﴾ في الخطبة ﴿ قائماً قل ما عند الله ﴾ من الثواب ﴿ خير ﴾ للذين آمنوا ﴿ من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين ﴾ يقال: كل إنسان يرزق عائلته، أي من رزق الله تعالى.

(سورة المنافقون)

(مدنية وآياتها ١١)

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿ إذا جاءك المنافقون قالوا ﴾ بألسنتهم على خلاف ما في قلوبهم ﴿ نشهد إنك لرسول الله

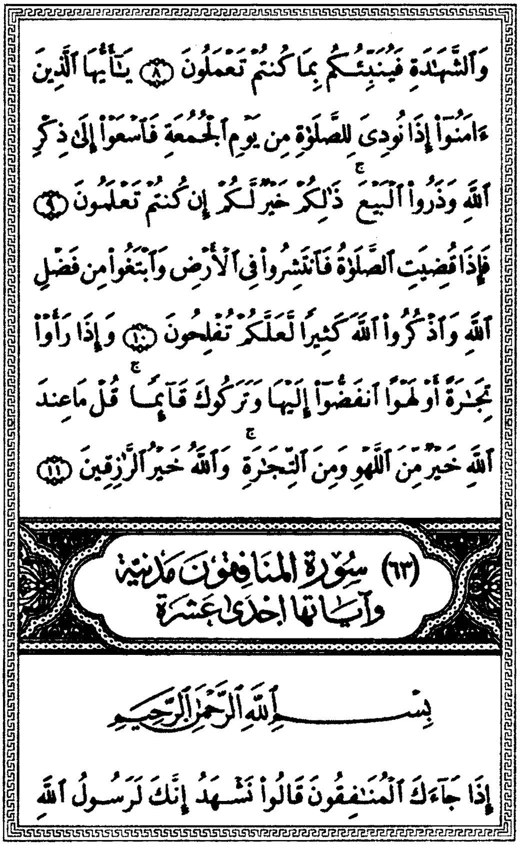

وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ
ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾
فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ
ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا رَأَوْا۟
تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا قُلْ مَا عِندَ
ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾

(٦٣) سُورَةُ المُنَافِقُونَ مَدَنِيَّة
وَآيَاتُهَا إِحْدَى عَشْرَة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ

---

(١) أي إذا أذن لوقت صلاة الجمعة. أخرج البخاري عن السائب بن يزيد رضي الله عنه قال: كان النداء يوم الجمعة أوله إذا جلس الإمام على المنبر على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر، فلما كان عثمان وكثر الناس زاد النداء الثالث على الزوراء. [الزوراء: موضع عند سوق المدينة قريب من المسجد، وكان مرتفعاً]. [الجمعة، باب: الأذان يوم الجمعة، رقم: ٨٧٠].

(٢) ويحرم البيع عند النداء يوم الجمعة عند جميع الفقهاء، ويقاس عليه إجراء أي عقد من العقود في هذا الوقت، فهو حرام ـ أي يأثم فاعله ـ وإن كان ينعقد صحيحاً.

(٣) أي قوله ﴿فانتشروا﴾ أمر، وهو للإباحة، لأنه جاء لرفع المنع الذي طرأ وقت النداء، فالبيع قبل النداء مباح، ثم منع وقته، ثم أبيح بعده.

(٤) العير: هي الإبل المحملة بالتجارة. وأخرج سبب نزول الآية البخاري [الجمعة، باب: إذا نفر الناس عن الإمام في صلاة الجمعة. . ، رقم: ٨٩٤] ومسلم [الجمعة، باب: قوله تعالى: ﴿وإذا رأوا. .﴾ رقم: ٨٦٣] عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: بينما نحن نصلي مع النبي ﷺ، إذ أقبلت عير تحمل طعاماً، فالتفتوا إليها حتى ما بقي مع النبي ﷺ إلا اثنا عشر رجلاً، فنزلت هذه الآية: ﴿وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها وتركوك قائماً﴾. [عير: الإبل التي تحمل التجارة من طعام أو غيره، والمراد بالطعام الحنطة وما شابهها. فالتفتوا إليها: انصرفوا. لهواً: هو الطبل الذي كان يضرب به إعلاماً بقدوم التجارة. انفضوا: تفرقوا].

(٥) وهو استقبالهم للتجارة بالضرب على الطبل والتصفيق ونحوه. وأخرج ابن جرير عن جابر رضي الله عنه قال: كان الجواري إذا نكحن كانوا يمرّون بالكَبَر والمزامير، ويتركون النبي ﷺ قائماً على المنبر وينفضون إليها، فنزلت. قال السيوطي في لباب النقول: وكأنها نزلت في الأمرين معاً، ثم رأيت ابن المنذر أخرجه عن جابر، لقصة النكاح وقدوم العير معاً من طريق واحد، وأنها نزلت في الأمرين، فلله الحمد. [الكبر: هو الطبل ذو الوجهين، أو هو الطبل الصغير]

سبب نزول سورة المنافقين: قال السيوطي في كتابه [لباب النقول]: أخرج البخاري وغيره عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: كنت مع عمي فسمعت عبد الله بن أبيّ ابن سلول يقول لأصحابه: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا، فلئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ. فذكرت ذلك لعمي، فذكر ذلك عمي للنبيّ ﷺ، فدعاني النبيّ ﷺ فحدّثته، فأرسل رسول الله ﷺ إلى عبد الله بن أبيّ وأصحابه، فحلفوا ما قالوا، فكذّبني وصدّقه، فأصابني شيء لم يصبني قط مثله، فجلست في البيت، فقال لي عمي: ما أردت إلا أن أكذبك رسول الله ﷺ ومقتك. فأنزل

والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد ﴾ يعلم ﴿ إن المنافقين لكاذبون ﴾ فيما أضمروه مخالفاً لما قالوه⁽¹⁾.

٢ ﴿ اتخذوا أيمانهم جنة ﴾ سترة على أموالهم ودمائهم⁽²⁾ ﴿ فصدوا ﴾ بها ﴿ عن سبيل الله ﴾ أي عن الجهاد فيهم⁽³⁾ ﴿ إنهم ساء ما كانوا يعملون ﴾.

٣ ﴿ ذلك ﴾ أي سوء عملهم ﴿ بأنهم آمنوا ﴾ باللسان ﴿ ثم كفروا ﴾ بالقلب، أي استمروا على كفرهم به ﴿ فطبع ﴾ ختم ﴿ على قلوبهم ﴾ بالكفر ﴿ فهم لا يفقهون ﴾ الإيمان.

٤ ﴿ وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم ﴾ لجمالها ﴿ وإن يقولوا تسمع لقولهم ﴾⁽⁴⁾ لفصاحته ﴿كأنهم﴾ من عظم أجسامهم في ترك التفهم ﴿ خشب ﴾ بسكون الشين وضمها ﴿ مسندة ﴾ ممالة إلى الجدار ﴿ يحسبون كل صيحة ﴾ تصاح، كنداء في العسكر وإنشاد ضالة⁽⁵⁾ ﴿ عليهم ﴾ لما في قلوبهم من الرعب أن ينزل فيهم ما يبيح دماءهم⁽⁶⁾ ﴿ هم العدو فاحذرهم ﴾ فإنهم يفشون سرك للكفار ﴿ قاتلهم الله ﴾ أهلكهم ﴿ أنى يؤفكون ﴾ كيف يصرفون عن الإيمان بعد قيام البرهان.

٥ ﴿ وإذا قيل لهم تعالوا ﴾ معتذرين ﴿ يستغفر لكم رسول الله لووا ﴾ بالتشديد والتخفيف⁽⁷⁾، عطفوا ﴿ رؤوسهم ورأيتهم يصدون ﴾ يعرضون عن ذلك ﴿ وهم مستكبرون ﴾.

٦ ﴿ سواء عليهم أستغفرت لهم ﴾ استغني بهمزة الاستفهام عن همزة الوصل⁽⁸⁾ ﴿أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم إن الله لا يهدي القوم الفاسقين﴾.

٧ ﴿ هم الذين يقولون ﴾ لأصحابهم من الأنصار ﴿ لا تنفقوا على من

وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ
لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ
ٱللَّهِۚ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ
ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ ﴿٣﴾
* وَإِذَا رَأَيۡتَهُمۡ تُعۡجِبُكَ أَجۡسَامُهُمۡۖ وَإِن يَقُولُواْ
تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡۖ كَأَنَّهُمۡ خُشُبٞ مُّسَنَّدَةٞۖ يَحۡسَبُونَ كُلَّ
صَيۡحَةٍ عَلَيۡهِمۡۚ هُمُ ٱلۡعَدُوُّ فَٱحۡذَرۡهُمۡۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ
يُؤۡفَكُونَ ﴿٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ يَسۡتَغۡفِرۡ لَكُمۡ
رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوۡاْ رُءُوسَهُمۡ وَرَأَيۡتَهُمۡ يَصُدُّونَ وَهُم
مُّسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ
تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ لَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ
ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ

---

(١) أو لأنهم يقولون ما لا يعتقدون.

(٢) أي اتخذوا من أيمانهم هذه وإعلانهم الإسلام وقاية لأنفسهم وأموالهم، إذ لولا ذلك لاعتبروا مشركين، ولقوتلوا في جملة من قوتل من المشركين.

(٣) أي لولا ما أظهروه لقاتلهم المسلمون، ولكان هذا جهاداً في سبيل الله. أو المراد أنهم كانوا يمنعون الناس من الإيمان بمحمد ﷺ ومن الجهاد معه.

(٤) أي تصغي له.

(٥) إنشاد الضالة: هو النداء على شيء أضله صاحبه أي أضاعه:

(٦) أي أن ينزل من الوحي ما يكشف حالهم ويأمر بقتلهم.

(٧) أي: ﴿لَوَّوْا﴾ و ﴿لَوَوْا﴾ قراءتان متواترتان.

(٨) التي في فعل [استغفرت] في الأصل، فكان حقه أن يقال بعد دخول الهمزة عليه: آستغفرت، بالمد، فاستغني بهمزة الاستفهام عن همزة الوصل للبداءة بالساكن الذي هو حرف السين من استغفرت. وقوله [همزة الاستفهام] بناء على أن الأصل فيها ذلك، وإلا فهي الآن همزة التسوية لدخولها بعد كلمة ﴿سواء﴾.

الله: ﴿إذا جاءك المنافقون﴾ فبعث إليّ رسول الله ﷺ فقرأها ثم قال: (إن الله قد صدقك). [البخاري: التفسير، سورة المنافقين، رقم: ٤٦١٧ - ٤٦٢١. مسلم: أول كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، رقم: ٢٧٧٢].

وأخرج الواحدي بسنده عنه أيضاً قال: غزونا مع النبي ﷺ وكان معنا ناس من الأعراب، وكنا نبدر الماء، وكان الأعراب يسبقونا، فيسبق الأعرابي أصحابه فيملأ الحوض ويجعل النطع عليه ، حتى يجيء أصحابه، فأتى رجل من الأنصار فأرخى زمام ناقته لتشرب، فأبى أن يدعه الأعرابي، فأخذ خشبة فضرب بها رأس الأنصاري فشجه، فأتى الأنصاري عبد الله بن أبي رأس المنافقين فأخبره، وكان من أصحابه، فغضب عبد الله ابن أبي ثم قال: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله. يعني الأعراب، ثم قال لأصحابه: إذا رجعتم إلى المدينة فليخرج الأعز منها الأذل. قال زيد بن أرقم: وأنا ردف عمي، فسمعت عبد الله، فأخبرت رسول الله ﷺ، فانطلق وكذبني، فجاء إليّ عمي فقال: ما أردت أن مقتك رسول الله ﷺ وكذبك المسلمون. فوقع عليّ من الغم ما لم يقع على أحد قط، فبينا أنا أسير مع رسول الله ﷺ إذ أتاني فعرك أذني وضحك في وجهي، فما كان يسرني أن لي بها الدنيا، فلما أصبحنا قرأ رسول الله ﷺ سورة المنافقين: ﴿قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ حتى بلغ: ﴿هُمُ الذينَ يَقُولُونَ لا تُنفِقُوا على مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا﴾ حتى بلغ: ﴿لَيُخْرِجَنَّ الأعَزُّ منها الأَذَلَّ﴾.

[نبدر. . : نسرع إليه ونسابق غيرنا. النِّطَع: بساط من جلد. زمام: ما تقاد به الناقة. فشجه: جرحه في رأسه. رِدْف. . : خلفه على الدابة. =

عند رسول الله ﴾ من المهاجرين ﴿ حتى ينفضوا ﴾ يتفرقوا عنه ﴿ ولله خزائن السماوات والأرض ﴾ بالرزق، فهو الرزاق للمهاجرين وغيرهم ﴿ ولكن المنافقين لا يفقهون ﴾.

٨ ﴿ يقولون لئن رجعنا ﴾ أي من غزوة بني المصطلق ﴿ إلى المدينة ليخرجن الأعز ﴾ عنوا به أنفسهم ﴿ منها الأذل ﴾ عنوا به المؤمنين ﴿ ولله العزة ﴾ الغلبة ﴿ ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون ﴾ ذلك.

٩ ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم ﴾ تشغلكم ﴿ أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ﴾ الصلوات الخمس ﴿ ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون ﴾.

١٠ ﴿ وأنفقوا ﴾ في الزكاة ﴿ مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا ﴾ بمعنى هلَّا، أو لا زائدة ولو للتمني ﴿ أخرتني إلى أجل قريب فأصدق ﴾ بإدغام التاء في الأصل في الصاد(١)، أتصدق بالزكاة ﴿ وأكن من الصالحين ﴾ بأن أحج، قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما قصر أحد في الزكاة والحج إلا سأل الرجعة عند الموت(٢).

١١ ﴿ ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون ﴾ بالتاء والياء(٣).

---

(١) أي أصل ﴿فاصَّدق﴾ فاتصدق، فقلبت التاء صاداً وأدغمت في الصاد.

(٢) أخرج الترمذي [التفسير، باب: ومن سورة المنافقين، رقم: ٣٣١٣] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: من كان له مال يبلغه حج بيت ربه، أو يجب عليه فيه زكاة، فلم يفعل يسأل الرجعة عند الموت. فقال رجل: يا ابن عباس، اتق الله، فإنما يسأل الرجعة الكفار. فقال سأتلو عليك بذلك قرآناً: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون. وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق ـ إلى قوله ـ والله خبير بما تعملون﴾ قال: فما يوجب الزكاة؟ قال: إذا بلغ المال مائتي درهم فصاعداً. قال: فما يوجب الحج؟ قال: الزاد والبعير.

(٣) قراءتان متواترتان: ﴿تعملون﴾ بالتاء على وجه الخطاب و ﴿يعملون﴾ بالياء، على وجه الغيبة.

عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ
لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ
وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ
وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ
أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ
إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾
وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا
تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾

قال ابن كثير في تفسير الآيات [٩ـ١١]: يقول تعالى آمراً لعباده المؤمنين بكثرة ذكره، وناهياً لهم عن أن تشغلهم الأموال والأولاد عن ذلك، ومخبراً لهم بأنه من التهى بمتاع الحياة الدنيا وزينتها عما خلق له من طاعة ربه وذكره، فإنه من الخاسرين الذين يخسرون أنفسهم وأهليهم يوم القيامة، ثم حثهم على الإنفاق في طاعته فقال: ﴿وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين﴾. فكل مفرط يندم عند الاحتضار، ويسأل طول المدة ولو شيئاً يسيراً، ليستعتب ويستدرك ما فاته، وهيهات! كان ما كان، وأتى ما هو آت، وكل بحسب تفريطه، أما الكفار: فكما قال تعالى: ﴿وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل أو لم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال﴾ [إبراهيم: ٤٤] وقال تعالى: ﴿حتى إذا

فائدة: عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من سره أن يبسط له في رزقه، أو ينسأله في أثره، فليصل رحمه). [البخاري: البيوع، باب: من أحب البسط في الرزق، رقم: ١٩٦١. مسلم: البر والصلة، باب: صلة الرحم وتحريم قطيعتها، رقم: ٢٥٥٧] [يبسط: يوسع. ينسأ: يؤخر. أثره: بقية عمره. فليصل رحمه: فليبر بأقاربه].

أخرج ابن أبي حاتم بسنده عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: ذكرنا عند رسول الله ﷺ الزيادة في العمر فقال: (إن الله لا يؤخر نفساً إذا جاء أجلها، وإنما الزيادة في العمر: أن يرزق الله العبد ذرية صالحة يدعون له، فيلحقه دعاؤهم في قبره) [تفسير ابن كثير].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له). [مسلم: الوصية، باب: ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، رقم: ١٦٣١]. ومعنى الحديث: أن تجدد الثواب للعمل ينقطع بالموت، إلا إذا كان للمرء أعمال لا يزال أثرها وثمرتها مستمرة، وهو المتسبب بها، كالتي ذكرت في الحديث.

=مقتك: أبغضك. فعرك: دلك بأصابعه].

وقال الواحدي: قال أهل التفسير وأصحاب السير: غزا رسول الله ﷺ بني المصطلق، فنزل على ماء من مياههم يقال له المريسيع، فوردت واردة الناس ومع عمر بن الخطاب أجير من بني غفار ـ يقال له: جهجاه بن سعد ـ يقود فرسه، فازدحم جهجاه وسنان الجهني ـ حليف بني العوف من

(سورة التغابن)

(مكية أو مدنية وآياتها ١٨)

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿يسبح لله ما في السماوات وما في الأرض﴾ ينزهه، فاللام زائدة، وأتى بـ «ما» دون «مَنْ» تغليباً للأكثر[1] ﴿له الملك وله الحمد[2] وهو على كل شيء قدير﴾.

٢ ﴿هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن﴾ في أصل الخلقة، ثم يميتكم ويعيدكم على ذلك ﴿والله بما تعملون بصير﴾[3].

٣ ﴿خلق السماوات والأرض بالحق وصوَّركم فأحسن صوركم﴾ إذ جعل شكل الآدمي أحسن الأشكال ﴿وإليه المصير﴾. ٤ ﴿يعلم ما في السماوات والأرض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور﴾ بما فيها من الأسرار والمعتقدات.

٥ ﴿ألم يأتكم﴾ يا كفار مكة ﴿نبأ﴾ خبر ﴿الذين كفروا من قبل فذاقوا وبال أمرهم﴾ عقوبة الكفر في الدنيا ﴿ولهم﴾ في الآخرة ﴿عذاب أليم﴾ مؤلم.

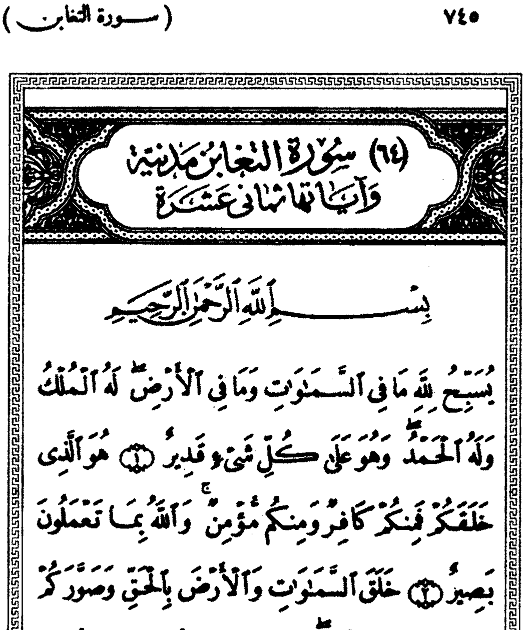

٧٤٥ (سورة التغابن)

(٦٤) سُورَةُ التَّغَابُنِ مَدَنِيَّة وَآيَاتُهَا ثَمَانِي عَشْرَة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ
وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) هُوَ ٱلَّذِي
خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
بَصِيرٌ (٢) خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ
فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ (٣) يَعْلَمُ مَا فِي
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَٱللَّهُ
عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ (٤) أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
مِن قَبْلُ فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٥)

جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون. لعلي أعمل صالحاً فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون﴾ [المؤمنون: ٩٩_١٠٠]. ثم قال تعالى: ﴿ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون﴾ أي: لا يُنْظِر أحداً بعد حلول أجله، وهو أعلم وأخبر بمن يكون صادقاً في قوله وسؤاله ممن لو رد لعاد إلى شر مما كان عليه، ولهذا قال: ﴿والله خبير بما تعملون﴾.

[1] أي جيء بلفظ ﴿ما﴾ وهي لغير العقلاء، ولم يؤت بلفظ [مَنْ] التي للعقلاء تغليباً للأكثر على الأقل، إذ إن الأكثر من المخلوقات غير عقلاء. والله تعالى أعلم بحقيقة تسبيح هذه المخلوقات غير العاقلة.

[2] أي هو سبحانه المالك الحقيقي يتصرف في ملكه كيف يشاء، والنعم كلها منه، فهو الذي يحمد على كل حال.

[3] روى مسلم عن عائشة رضي الله تعالى عنها: أن رسول الله ﷺ قال: (إن الله خلق للجنة أهلاً خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم، وخلق للنار أهلاً خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم). والمراد - والله تعالى أعلم - أنهم خلقهم على ذلك لعلمه تعالى أنهم سيكونون كذلك.

[الحديث في مسلم: القدر، باب: معنى كل مولود يولد على الفطرة، وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين، رقم: ٢٦٦٢].

عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رجل: يارسول الله، أيُعْرَف أهل الجنة من أهل النار؟ قال: «نعم». قال: فلم يعمل العاملون؟ قال: «كلٌّ يعمل لما خلق له، أو: لما يُيَسَّر له». [البخاري: القدر، باب: جف القلم على علم الله، رقم: ٦٢٢٣. مسلم: القدر، باب: كيفية خلق الآدمي في بطن أمه، رقم: ٢٦٤٩]. [أيعرف: أيميز ويفرق بحسب قضاء الله وقدره، وهل هم متميزون في علم الله تعالى. فلم يعمل: أي لا يحتاج إلى العمل طالما أن الأمر مقدر. كل يعمل: كل مكلف تهيأ له الأسباب للعمل بما قدر الله تعالى له، حسب علمه سبحانه بميله واستعداده وما يكون منه. والحاصل: أن المآل محجوب عن المكلف، فعليه أن يجتهد في عمل ما أمر به، فإن عمله أمارة إلى ما يؤول إليه أمره غالباً].

الخزرج - على الماء، فاقتتلا، فصرخ الجهني: يا معشر الأنصار، وصرخ الغفاري: يا معشر المهاجرين، فلما أن جاء عبد الله بن أبي قال ابنه: وراءك، قال: مالك ويلك، قال: لا والله لا تدخلها أبداً إلا بإذن رسول الله ﷺ، ولتعلم اليوم من الأعز من الأذل. فشكا عبد الله إلى رسول الله ﷺ ما صنع ابنه، فأرسل إليه رسول الله ﷺ: (ارتحل عنه حتى يدخل). فقال: أما إذ جاء أمر النبي عليه السلام فنعم. فدخل، فلما نزلت هذه السورة وبان كذبه قيل له: يا أبا حباب، إنه قد نزلت فيك آي شداد، فاذهب إلى رسول الله ﷺ ليستغفر لك. فلوى رأسه، فذلك قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ﴾ الآية.

[واردة الناس: الناس الذين يستقون لقومهم. وراءك: أي ارجع وراءك أو امكث مكانك. فلوى رأسه: أماله وأداره استخفافاً].

٦ ﴿ ذلك ﴾ أي عذاب الدنيا ﴿ بأنه ﴾ ضمير الشأن ﴿ كانت تأتيهم رسلهم بالبينات ﴾ الحجج الظاهرات على الإيمان ﴿ فقالوا أبشر ﴾ أريد به الجنس(١) ﴿ يهدوننا فكفروا وتولوا ﴾ عن الإيمان ﴿ واستغنى الله ﴾ عن إيمانهم ﴿ والله غني ﴾ عن خلقه ﴿ حميد ﴾ محمود في أفعاله.

٧ ﴿ زعم الذين كفروا أن ﴾ مخففة واسمها ضمير الشأن محذوف، أي أنهم ﴿ لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم(٢) وذلك على الله يسير ﴾.

٨ ﴿ فآمنوا بالله ورسوله والنور ﴾ والقرآن ﴿ الذي أنزلنا والله بما تعملون خبير ﴾.

٩ اذكر ﴿ يوم يجمعكم ليوم الجمع ﴾ يوم القيامة ﴿ ذلك يوم التغابن ﴾(٣) يغبِن المؤمنون الكافرين بأخذ منازلهم وأهليهم في الجنة لو آمنوا(٤) ﴿ ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً يكفر عنه سيئاته ويدخله ﴾ وفي قراءة بالنون في الفعلين ﴿ جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم ﴾.

١٠ ﴿ والذين كفروا وكذبوا بآياتنا ﴾ القرآن ﴿ أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير ﴾ هي.

١١ ﴿ ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ﴾ بقضائه ﴿ ومن

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓاْ
أَبَشَرٞ يَهۡدُونَنَا فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْۚ وَّٱسۡتَغۡنَى ٱللَّهُۚ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ
حَمِيدٞ ﴿٦﴾ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ
بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ
يَسِيرٞ ﴿٧﴾ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ
وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿٨﴾ يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ
ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا
يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا
ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٩﴾
وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ
ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٠﴾ مَآ أَصَابَ مِن
مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ

---

(١) أي كل فريق من المرسل إليهم قال: يهدينا بشر.

(٢) لتخبرن يوم القيامة بأعمالكم التي تعملونها في الدنيا لتجازوا عليها. (٣) من الغبن وهو فوت الحظ والنصيب.

(٤) أخرج البخاري [الرقاق، باب: صفة الجنة والنار، رقم: ٦٢٠٠] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: (لا يدخل أحد الجنة إلا أري مقعده من النار لو أساء، ليزداد شكراً، ولا يدخل النار أحد إلا أري مقعده من الجنة لو أحسن، ليكون عليه حسرةً).

[ليزداد شكراً: اعترافاً بفضل الله تعالى، وفرحاً ورضاً بما أولاه من نعمة. حسرة: زيادة في تعذيبه].

وأخرج البخاري [الجنائز، باب: ما جاء في عذاب القبر، رقم: ١٣٠٨] ومسلم [الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، رقم: ٢٨٧٠] عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أنه حدثهم: أن رسول الله ﷺ قال: (إن العبد إذا وضع في قبره، وتولّى عنه أصحابه، وإنه ليسمع قرع نعالهم، أتاه ملكان، فيقعدانه فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل، لمحمد ﷺ؟ فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبدالله ورسوله، فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار، قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة، فيراهما جميعاً. وأما المنافق والكافر فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري، كنت أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دريت ولا تليت، ويضرب بمطارق من حديد ضربةً، فيصيح صيحة، يسمعها من يليه غير الثقلين).

[تولى: تولى مشيعوه وذهبوا. قرع نعالهم: صوتها عند المشي. لا دريت ولا تليت: دعاء عليه، أي لا كنت دارياً ولا تالياً، فلا توفق في هذا الموقف ولا تنتفع بما كنت تسمع أو تقرأ. يليه: من ملائكة وغيرهم. الثقلين: الإنس والجن، سموا بذلك لثقلهم على الأرض].

سبب نزول الآية [١٤، ١٦]: قال الواحدي: قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان الرجل يسلم، فإذا أراد أن يهاجر منعه أهله وولده، وقالوا: ننشدك الله أن تذهب فتدع أهلك وعشيرتك، وتصير إلى المدينة بلا أهل ولا مال. فمنهم من يرق لهم ويقيم ولا يهاجر، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وأخرج الترمذي [تفسير القرآن باب: ومن سورة التغابن، رقم: ٣٣١٤] عن ابن عباس رضي الله عنهما، وسأله رجل عن هذه الآية: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم] قال: هؤلاء رجال أسلموا وأرادوا أن يأتوا النبي ﷺ، فأبى أزواجهم وأولادهم أن يَدَعُوهم أن يأتوا رسول الله ﷺ، فلما أتوا رسول الله ﷺ رأوا الناس قد فقهوا في الدين، هموا أن يعاقبوهم، فأنزل الله: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم﴾ الآية. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

كما أخرج الحاكم في مستدركه [التفسير، باب: تفسير سورة التغابن: ٢/٤٩٠] عنه رضي الله عنه قال: نزلت هذه الآية ﴿إن من أزواجكم

يؤمن بالله ﴾ في قوله إن المصيبة بقضائه ﴿ يهد قلبه ﴾ للصبر عليها(١) ﴿ والله بكل شيء عليم ﴾.

١٢ ﴿ وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن توليتم(٢) فإنما على رسولنا البلاغ المبين ﴾ البين.

١٣ ﴿ الله لا إله إلا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾.

١٤ ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم ﴾ أن تطيعوهم في التخلف عن الخير كالجهاد والهجرة، فإن سبب نزول الآية الإطاعة في ذلك ﴿ وإن تعفوا ﴾ عنهم في تثبيطهم إياكم عن ذلك الخير، معتلين بمشقة فراقكم عليهم ﴿ وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم ﴾.

١٥ ﴿ إنما أموالكم وأولادكم فتنة ﴾ لكم شاغلة عن أمور الآخرة ﴿ والله عنده أجر عظيم ﴾ فلا تفوتوه باشتغالكم بالأموال والأولاد.

١٦ ﴿ فاتقوا الله ما استطعتم ﴾ ناسخة لقوله «اتقوا الله حق تقاته»/ آل عمران: ١٠٢/ ﴿ واسمعوا ﴾ ما أمرتم به سماع قبول ﴿ وأطيعوا ﴾ الله ﴿ وأنفقوا ﴾ في الطاعة ﴿ خيراً لأنفسكم ﴾ خبر يكن مقدرة جواب الأمر(٣) ﴿ ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ الفائزون.

بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ
فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٢﴾
اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا
لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ
اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ
وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ
وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن
يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن
تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ
شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾

١٧ ﴿ إن تقرضوا الله قرضاً حسناً ﴾ بأن تتصدقوا عن طيب قلب ﴿ يضاعفه لكم ﴾ وفي قراءة «يضعِّفه» بالتشديد، بالواحدة عشراً إلى سبعمائة وأكثر ﴿ ويغفر لكم ﴾ ما يشاء ﴿ والله شكور ﴾ مجاز على الطاعة ﴿ حليم ﴾ في العقاب على المعصية.

١٨ ﴿ عالم الغيب ﴾ السر ﴿ والشهادة ﴾ العلانية ﴿ العزيز ﴾ في ملكه ﴿ الحكيم ﴾ في صنعه.

---

(١) أخرج مسلم [الزهد والرقائق، باب: المؤمن أمره كله خير، رقم: ٢٩٩٩] عن صهيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن: إن أصابته سراءُ شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيراً له). [سراء: أمر يسره. ضراء: أمر يسوؤه].

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: إن رجلاً أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أي العمل أفضل؟ قال: (إيمان بالله، وتصديق به، وجهاد في سبيله). قال: أريد أهون من هذا يا رسول الله. قال: (السماحة والصبر). قال: أريد أهون من ذلك يا رسول الله. قال: (لا تتهم الله في شيء قضى لك به) [مسند أحمد: ٥/٣١٨].

(٢) أعرضتم عن إجابة الرسول فيما دعاكم إليه.

(٣) التقدير: أنفقوا في الطاعة يكن إنفاقكم خيراً لأنفسكم، فقوله ﴿خيراً﴾ خبر ليكن المقدرة، وهي جواب الأمر ﴿أنفقوا﴾.

وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم﴾ في قوم من أهل مكة أسلموا وأرادوا أن يأتوا النبي ﷺ، فأبى أزواجهم وأولادهم أن يَدعوهم، فأتوا المدينة، فلما قدموا على رسول الله ﷺ رأوهم قد فقهوا، فهموا أن يعاقبوهم، فأنزل الله عز وجل: ﴿وأن تعفوا أو تصفحوا﴾ الآية. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد. [المستدرك: التفسير، باب: تفسير سورة التغابن: ٢/ ٤٩٠]

وأخرج ابن جرير، عن عطاء بن يسار قال: نزلت سورة التغابن كلها بمكة إلا هؤلاء الآيات: ﴿يا أيها الذين آمنوا إنّ من ازواجكم ﴾ نزلت في عوف بن مالك الأشجعي، كان ذا أهل وولد، فكان إذا أراد الغزو بكوا إليه ورققوه. فقالوا: إلى من تدعنا؟ فيرقّ ويقيم، فنزلت هذه الآية وبقية الآيات إلى آخر السورة بالمدينة.

سبب نزول الآية [١٦]: قال السيوطي: أخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قال: لما نزلت: ﴿ اتقوا الله حقّ تقاته ﴾ [البقرة: ١٠٢] اشتدّ على القوم العمل، فقاموا حتى ورمت عراقيبهم وتقرّحت جباههم، فأنزل الله تخفيفاً على المسلمين: ﴿ فاتقوا الله ما استطعتم ﴾ الآية. تقرحت: تشققت وتجرحت.

(سورة الطلاق)

(مدنية، وهي ثنتا عشرة آية)

بسم الله الرحمن الرحيم

١ **﴿ يا أيها النبي ﴾** المراد أمته، بقرينة ما بعده، أو: قل لهم **﴿ إذا طلقتم النساء ﴾** أي أردتم الطلاق **﴿ فطلقوهن لعدتهن ﴾** لأولها، بأن يكون الطلاق في طهر لم تمس فيه، لتفسيره ﷺ بذلك، رواه الشيخان(١) **﴿ وأحصوا العدة ﴾** احفظوها لتراجعوا قبل فراغها **﴿ واتقوا الله ربكم ﴾** أطيعوه في أمره ونهيه **﴿ لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن ﴾** منها حتى تنقضي عدتهن **﴿ إلا أن يأتين بفاحشة ﴾** زنا **﴿ مبينة ﴾** بفتح الياء وكسرها، أي بينت، أو هي بينة، فيخرجن لإقامة الحد عليهن **﴿ وتلك ﴾** المذكورات **﴿ حدود الله ومن يتعدَّ حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك ﴾** الطلاق **﴿ أمراً ﴾** مراجعة، فيما إذا كان واحدة أو اثنتين.

٢ **﴿ فإذا بلغن أجلهن ﴾** قاربن انقضاء عدتهن **﴿ فأمسكوهن ﴾** بأن تراجعوهن **﴿ بمعروف ﴾** من غير ضرار **﴿ أو فارقوهن بمعروف ﴾** اتركوهن حتى تنقضي عدتهن ولا تضاروهن بالمراجعة **﴿ وأشهدوا ذوي عدل منكم ﴾** على المراجعة أو الفراق(٢) **﴿ وأقيموا الشهادة لله ﴾** لا للمشهود عليه أو له **﴿ ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ومن يتق**

(٦٥) سُورَةُ الطَّلَاقِ مَدَنِيَّة
وَآيَاتُهَا اثْنَتَا عَشْرَةَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ
وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ
بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ
حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ
لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ فَإِذَا بَلَغْنَ
أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۖ
وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ
يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ

---

(١) أي البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنه طلق امرأته وهي حائض، فذكر ذلك عمر لرسول الله ﷺ، فتغيظ منه رسول الله ﷺ ثم قال: (مره فليراجعها، ثم يمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر، فإن بدا له أن يطلقها فليطلقها قبل أن يمسها، فتلك العدة التي أمر الله أن يطلق لها النساء). [البخاري: التفسير، باب: تفسير سورة الطلاق، رقم: ٤٦٢٥. مسلم: الطلاق، باب: تحريم طلاق الحائض بغير رضاها، رقم: ١٤٧١].

هذا والطلاق الذي يقع حال الحيض معتد به عند جميع الأئمة، وإن وقع مخالفاً للسنة. فقد جاء في بعض روايات حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أن رجلاً سأله عن طلاقه ذلك فقال: فهل عد ذلك طلاقاً؟ أي: هل عده رسول الله ﷺ طلاقاً؟ فقال ابن عمر رضي الله عنهما: أرأيت إن عجز واستحمق. قال العلماء: أي عجز عن إقامة ما أمر به، واستحمق فاستعجل ما أمره الله تعالى أن يتروى به، أفيكون ذلك عذراً له في سقوط ما يترتب على تصرفه من حكم شرعي وهو وقوع الطلاق هنا. [انظر فتح الباري: الطلاق، باب: إذا طلقت الحائض تعتد بذلك الطلاق].

(٢) أخرج أبو داود عن عمران بن حصين رضي الله عنه أنه سئل عن رجل يطلق امرأته ثم يقع عليها، ولم يشهد على طلاقها ولا على رجعتها، فقال: طلقت لغير سنة وراجعت لغير سنة، أشهد على طلاقها وعلى رجعتها ولا تعد. [الطلاق، باب: الرجل يراجع ولا يشهد، رقم: ٢١٨٦].

سبب نزول الآية [١]: عن أنس رضي الله عنه قال: طلق رسول الله ﷺ حفصة، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وقيل له: راجعها، فإنها صوامة قوامة، وهي من إحدى أزواجك ونسائك في الجنة. [الواحدي، السيوطي].

سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا. وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [٢ - ٣].

قال الواحدي نزلت الآية في عوف بن مالك الأشجعي، وذلك أن المشركين أسروا ابناً له، فأتى رسول الله ﷺ وشكا إليه الفاقة، وقال: إن العدو أسر ابني وجزعت الأم، فما تأمرني؟ فقال النبي ﷺ: (اتق الله واصبر، وآمرك وإياها أن تستكثر من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله). فعاد إلى بيته وقال لامرأته: إن رسول الله ﷺ أمرني وإياك أن نستكثر من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله. فقالت: نِعْمَ ما أمرنا به. فجعلا يقولان، فغفل العدو عن ابنه، فساق غنمهم وجاء بها إلى أبيه، وهي أربعة آلاف شاة، فنزلت هذه الآية.

وذكر السيوطي هذا السبب عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وأخرج الواحدي أيضاً بسنده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: نزلت هذه الآية: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً. ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ في رجل من أشجع كان فقيراً، خفيف ذات اليد كثير العيال، فأتى رسول الله ﷺ فسأله فقال: (اتق الله واصبر). فرجع إلى أصحابه=

الله يجعل له مخرجاً ﴾ من كرب الدنيا والآخرة.

٣ **﴿ ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾** يخطر بباله **﴿ ومن يتوكل على الله ﴾** في أموره **﴿ فهو حسبه ﴾** كافيه **﴿ إن الله بالغٌ أمرَه ﴾** مراده، وفي قراءة بالإضافة(١) **﴿ قد جعل الله لكل شيءٍ ﴾** كرخاء وشدة **﴿ قدراً ﴾** ميقاتاً.

٤ **﴿ واللائي ﴾** بهمزة وياء، وبلا ياء في الموضعين(٢) **﴿ يئسن من المحيض ﴾** بمعنى الحيض **﴿ من نسائكم إن ارتبتم ﴾** شككتم في عدتهن **﴿ فعدتهن ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن ﴾** لصغرهن فعدتهن ثلاثة أشهر، والمسألتان في غير المتوفى عنهن أزواجهن، أما هن فعدتهن ما في آية «يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً»/ البقرة: ٢٣٤/ **﴿ وأولات الأحمال أجلهن ﴾** انقضاء عدتهن، مطلقات أو متوفى عنهن أزواجهن **﴿ أن يضعن حملهن ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً ﴾** في الدنيا والآخرة.

٥ **﴿ ذلك ﴾** المذكور في العدة **﴿ أمر الله ﴾** حكمه **﴿ أنزله إليكم ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً ﴾**.

٦ **﴿ أسكنوهن ﴾** أي المطلقات **﴿ من حيث سكنتم ﴾** أي بعض مساكنكم **﴿ من وجدكم ﴾** أي سعتكم، عطف بيان(٣)، أو بدل مما قبله بإعادة الجار وتقدير مضاف، أي أمكنة سعتكم لا ما دونها **﴿ ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن ﴾** المساكن فيحتجن إلى الخروج، أو النفقة فيفتدين منكم **﴿ وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فإن أرضعن لكم ﴾** أولادكم منهن **﴿ فآتوهن أجورهن ﴾** على الإرضاع **﴿ وائتمروا بينكم ﴾** وبينهن **﴿ بمعروف ﴾** بجميل في حق الأولاد، بالتوافق على أجر معلوم على الإرضاع **﴿ وإن تعاسرتم ﴾** تضايقتم في الإرضاع، فامتنع الأب من الأجرة والأم من فعله **﴿ فسترضع له ﴾** للأب **﴿ أخرى ﴾** ولا تكره الأم على إرضاعه. ٧ **﴿ لينفق ﴾** على المطلقات والمرضعات

٧٤٩ (ســـورة الطـــلاق)

ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ
وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ
قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ وَٱلَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ
ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ
وَٱلَّٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَ وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ
حَمْلَهُنَّ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾
ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ
سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴿٥﴾ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ
سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ
وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ
فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم
بِمَعْرُوفٍ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾ لِيُنفِقْ

---

(١) أي **﴿بالغُ أمرِه﴾**. برفع **﴿بالغُ﴾** دون تنوين، وجر **﴿أمره﴾**.

(٢) أي في قوله: **﴿واللائي يئسن﴾** وقوله: **﴿واللائي لم يحضن﴾**.

(٣) أي كشف وإيضاح لما تكون منه السكنى، فبعد الأمر بإسكانهن، بين أن السكنى تكون حسب السعة. والمعطوف عطف بيان يتبع المعطوف عليه من حيث الإعراب، وكذلك البدل.

فائدة: عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: جاء رجل إلى ابن عباس، وأبو هريرة جالس عنده، فقال: أفتني في امرأة ولدت بعد زوجها بأربعين ليلة ؟ فقال ابن عباس: آخر الأجلين. قلت أنا: **﴿وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن﴾**. قال أبو هريرة: أنا مع ابن أخي، يعني أبا سلمة، فأرسل ابن عباس غلامه كريباً إلى أم سلمة يسألها، فقالت: قتل زوج سبيعة الأسلمية وهي حبلى، فوضعت بعد موته بأربعين ليلة، فخطبت، فأنكحها رسول الله ﷺ، وكان أبو السنابل فيمن خطبها. [البخاري: التفسير، باب: **﴿وأولات الأحمال﴾** / الطلاق: ٤/، رقم: ٤٦٢٦. مسلم: الطلاق، باب: انقضاء عدة المتوفى عنها زوجها وغيرها بوضع الحمل، رقم: ١٤٨٥] [آخر الأجلين: أي أقصاهما، من أربعة أشهر وعشرة أيام أو وضع الحمل. فأنكحها: أي فأذن لها أن تتزوج].

فائدة: عن أبي ذر رضي الله عنه قال: جعل رسول الله ﷺ يتلو عَليَّ هذه الآية: **﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً. ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾** حتى فرغ من الآية، ثم قال: (يا أبا ذر، لو أن الناس كلهم أخذوا بها كفتهم). قال: فجعل يتلوها ويرددها علي حتى نَعَسْتُ، ثم قال: (يا أبا ذر، =

= فقالوا: ما أعطاك رسول الله ﷺ؟ فقال: ما أعطاني شيئاً، قال: (اتق الله واصبر). فلم يلبث إلا يسيراً حتى جاء ابن له بغنم، وكان العدو أصابوه، فأتى رسول الله ﷺ فسأله عنها وأخبره خبرها، فقال رسول الله ﷺ: (إياكها). أي خذها وتملكها. [وانظر لباب النقول للسيوطي].

سبب نزول الآية [٤]: قال السيوطي: وأخرج ابن جرير وإسحق بن راهويه والحاكم وغيرهم عن أُبيِّ بن كعب رضي الله عنه قال: لما نزلت الآية التي في سورة البقرة في عَدَدٍ من عُدَدِ النساء قالوا: قد بقي عَدَدٌ من عُدَدِ النساء لم يذكرن: الصغار والكبار وأولات الأحمال، فأنزلت: **﴿ واللائي يئسن من المحيض ﴾** الآية. صحيح الإسناد. وأخرج مقاتل في تفسيره: أن خلاد بن عمرو بن الجموح سأل النبيّ ﷺ عن عدّة التي لا تحيض، فنزلت. [انظر المستدرك للحاكم: التفسير، باب: تفسير سورة الطلاق: ٢/٤٩٢].

﴿ ذو سعة من سعته ومن قدر ﴾ ضيق ﴿ عليه رزقه فلينفق مما آتاه ﴾ أعطاه ﴿ الله ﴾ أي على قدره ﴿ لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسراً ﴾(١) وقد جعله بالفتوح.

٨ ﴿ وكأين ﴾ هي كاف الجر دخلت على أي، بمعنى كم(٢) ﴿ من قرية ﴾ أي وكثير من القرى ﴿ عتت ﴾ عصت، يعني أهلها ﴿ عن أمر ربها ورسله فحاسبناها ﴾ في الآخرة، وإن لم تجيء، لتحقق وقوعها(٣) ﴿ حساباً شديداً وعذبناها عذاباً نكراً ﴾ بسكون الكاف وضمها، فظيعاً، وهو عذاب النار.

٩ ﴿ فذاقت وبال أمرها ﴾ عقوبته ﴿ وكان عاقبة أمرها خسراً ﴾ خساراً وهلاكاً.

١٠ ﴿ أعد الله لهم عذاباً شديداً ﴾ تكرير الوعيد توكيد(٤) ﴿ فاتقوا الله يا أولي الألباب ﴾ أصحاب العقول ﴿ الذين آمنوا ﴾ نعت للمنادى أو بيان له ﴿ قد أنزل الله إليكم ذكراً ﴾ هو القرآن.

١١ ﴿ رسولاً ﴾ أي محمداً ﷺ، منصوب بفعل مقدر، أي وأرسل ﴿ يتلو عليكم آيات الله مبينات ﴾ بفتح الياء وكسرها كما تقدم(٥) ﴿ ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ بعد مجيء الذكر والرسول ﴿ من الظلمات ﴾ الكفر الذي كانوا عليه ﴿ إلى النور ﴾ الإيمان الذي قام بهم بعد الكفر ﴿ ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً يدخله ﴾ وفي قراءة بالنون ﴿ جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً قد أحسن الله له رزقاً ﴾ هو رزق الجنة التي لا ينقطع نعيمها. ١٢ ﴿ الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض

ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيۡهِ رِزۡقُهُۥ فَلۡيُنفِقۡ مِمَّآ
ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ سَيَجۡعَلُ
ٱللَّهُ بَعۡدَ عُسۡرٖ يُسۡرٗا (٧) وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ عَتَتۡ عَنۡ أَمۡرِ
رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبۡنَٰهَا حِسَابٗا شَدِيدٗا وَعَذَّبۡنَٰهَا عَذَابٗا
نُّكۡرٗا (٨) فَذَاقَتۡ وَبَالَ أَمۡرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمۡرِهَا
خُسۡرًا (٩) أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗاۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي
ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ قَدۡ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكُمۡ ذِكۡرٗا (١٠)
رَّسُولٗا يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٖ لِّيُخۡرِجَ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَمَن
يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن
تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ قَدۡ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ
رِزۡقًا (١١) ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ

---

(١) أي سيجعل الله تعالى بعد ضيق وشدة غنى وسعة.

(٢) قال القرطبي: ﴿كأين﴾ بمعنى كم، قال الخليل وسيبويه: هي أيٍّ، دخلت عليها كاف التشبيه وبنيت معها، فصار في الكلام معنى كم، وصورت في المصحف نوناً لأنها كلمة نقلت عن أصلها، فغُيِّر لفظها لتغير معناها. [القرطبي: عند تفسير الآية ١٤٦ من سورة آل عمران].

(٣) أي استعمل لفظ الماضي في ﴿فحاسبناها.. وعذبناها﴾ وإن لم يقع الحساب والعذاب ولم يجيء وقتهما، لأن ذلك في حكم الواقع لتحقق وقوعه. وقد يكون المراد وقوع ذلك في الدنيا، وأن المراد بالحساب الشديد إحصاء ما فعلوه في كتب الحفظة، ومعاقبتهم عليه بما أصابهم من القحط والجوع والخسف والغرق ونحو ذلك، ولعل هذا هو الأرجح، بدليل قوله تعالى بعد ذلك ﴿فذاقت وبال أمرها..﴾ وقوله ﴿أعد الله لهم عذاباً شديداً﴾ فهذا دليل على أن ما أصابهم غير ما أعد لهم، وما أصابهم حصل في الدنيا، وما أعد لهم ينتظرهم في الآخرة.

(٤) وهذا على القول بأن المراد بالحساب والعذاب ما سيكون في الآخرة.

(٥) في قوله تعالى: ﴿بفاحشة مبينة﴾ فبالفتح من المتعدي أي بينها الله تعالى، وبالكسر من اللازم أي هي بينة بنفسها.

=كيف تصنع إن أخرجت من المدينة). قلت: إلى السَّعة والدَّعَة أنطلق، فأكون حمامة من حمام مكة. قال: (كيف تصنع إن أخرجت من مكة). قال: قلت إلى السعة والدعة، إلى الشام والأرض المقدسة. قال: (وكيف تصنع إن أخرجت من الشام). قلت: إذاً ـ والذي بعثك بالحق ـ أضع سيفي على عاتقي. قال: (أو خير من ذلك). قلت: أو خير من ذلك؟ قال: (تسمع وتطيع، وإن كان عبداً حبشياً) [مسند أحمد: ١٧٨/٥].

وأخرج ابن أبي حاتم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: إن أجمع آية في القرآن: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾ وإن أكثر آية في القرآن فرجاً: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً﴾ [تفسير ابن كثير].

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب) [مسند أحمد: ٢٤٨/١].

أخرج ابن أبي حاتم بسنده عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من انقطع إلى الله كفاه الله كل مؤونة، ورزقه من حيث لا يحتسب، ومن انقطع إلى الدنيا وكله إليها) [تفسير ابن كثير].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من نزل به حاجة فأنزلها بالناس كان قَمِناً أن لا تسهل حاجته، ومن أنزلها بالله أتاه الله برزق عاجل، أو بموت آجل) [مسند أحمد: ٤٤٢/١] قمناً: جديراً ومستحقاً.

مثلهن ﴾ يعني سبع أرضين(١) ﴿ يتنزل الأمر ﴾ الوحي ﴿ بينهن ﴾ بين السماوات والأرض، ينزل به جبريل من السماء السابعة إلى الأرض السابعة ﴿ لتعلموا ﴾ متعلق بمحذوف، أي أعلمكم بذلك الخلق والتنزيل(٢) ﴿ أن الله على كل شيءٍ قدير وأن الله قد أحاط بكل شيءٍ علماً ﴾.

(سورة التحريم)

(مدنية وآياتها ١٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿ يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك ﴾ من أَمَتِك مارية القبطية، لما واقعها في بيت حفصة، وكانت غائبة فجاءت، وشق عليها كون ذلك في بيتها وعلى فراشها، حيث قلت: هي حرام عليَّ(٣) ﴿ تبتغي ﴾ بتحريمها ﴿ مرضات أزواجك ﴾ أي رضاهن ﴿ والله غفور رحيم ﴾ وقد غفر لك هذا التحريم.

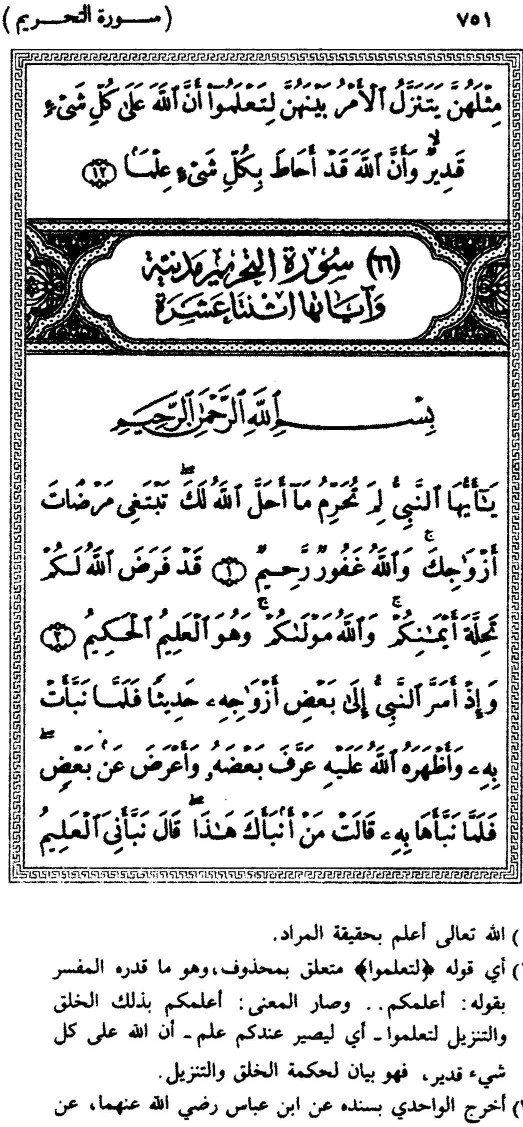
٧٥١ (سورة التحريم)

مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ
قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمَۢا ﴿١٢﴾

(٦٦) سُورَةُ التَّحْرِيمِ مَدَنِيَّة
وَآيَاتُهَا اثْنَتَا عَشْرَةَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ
أَزْوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ
تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْۚ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾
وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا فَلَمَّا نَبَّأَتْ
بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٖۖ
فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ

٢ ﴿ قد فرض الله ﴾ شرع ﴿ لكم تحلة أيمانكم ﴾ تحليلها بالكفارة المذكورة في سورة المائدة [٨٩]. ومن الأيمان تحريم الأمَة، وهل كفَّر ﷺ؟ قال مقاتل: أعتق رقبة في تحريم مارية. وقال الحسن: لم يكفر، لأنه ﷺ مغفور له ﴿ والله مولاكم ﴾ ناصركم ﴿ وهو العليم الحكيم ﴾.

٣ ﴿ و ﴾ اذكر ﴿ إذ أسرَّ النبي إلى بعض أزواجه ﴾ هي حفصة ﴿ حديثاً ﴾ هو تحريم مارية، وقال لها: لا تفشيه ﴿ فلما نبأت به ﴾ عائشة، ظناً منها أن لا حرج في ذلك ﴿ وأظهره الله ﴾ أطلعه ﴿ عليه ﴾ على المنبىء به ﴿ عرَّف بعضه ﴾ لحفصة ﴿ وأعرض عن بعض ﴾ تكرماً منه(٤) ﴿ فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأني العليم

---

(١) الله تعالى أعلم بحقيقة المراد.

(٢) أي قوله ﴿لتعلموا﴾ متعلق بمحذوف، وهو ما قدره المفسر بقوله: أعلمكم.. وصار المعنى: أعلمكم بذلك الخلق والتنزيل لتعلموا - أي ليصير عندكم علم - أن الله على كل شيء قدير، فهو بيان لحكمة الخلق والتنزيل.

(٣) أخرج الواحدي بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن عمر رضي الله عنه، قال: دخل رسول الله ﷺ بأم ولده مارية في بيت حفصة، فوجدته حفصة معها، فقالت: لم تدخلها بيتي؟ ما صنعت بي هذا من بين نسائك إلا من هواني عليك. فقال لها: (لا تذكري هذا لعائشة، هي عليَّ حرام إن قربتها). قالت حفصة: وكيف تحرم عليك وهي جاريتك؟ فحلف لها لا يقربها، وقال لها: (لا تذكريه لأحد). فذكرته لعائشة، فآلى أن لا يدخل على نسائه شهراً، واعتزلهن تسعاً وعشرين ليلة، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿لم تحرم ما أحل الله لك﴾ الآية.

وأخرج البخاري [الطلاق، باب: ﴿لم تحرم ما أحل الله لك﴾ رقم: ٤٩٦٦] ومسلم [الطلاق، باب: وجوب الكفارة على من حرم امرأته ولم ينوا الطلاق، رقم: ١٤٧٤] عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ كان يمكث عند زينب بنت جحش ويشرب عندها عسلاً، فتواصيت أنا وحفصة أن أيتنا دخل عليها النبي ﷺ فلتقل: إني أجد منك ريح مغافير، أكلت مغافير؟ فدخل على إحداهما فقالت له ذلك، فقال: (لا ، بل شربت عسلاً عند زينب بنت جحش، ولن أعود له) . فنزلت: ﴿يا أيها النبي لم تحرم﴾ إلى ﴿إن تتوبا إلى الله﴾ لعائشة وحفصة ﴿ وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه ﴾ لقوله: (بل شربت عسلاً). مغافير: جمع مغفور، وهو صمغ حلو له رائحة كريهة، ينضجه شجر يسمى العرفط.

والظاهر أن الآية نزلت للسببين معاً، والله تعالى أعلم.

(٤) أي لم يعاتبها تمام المعاتبة.

ٱلۡخَبِيرُ ﴿٣﴾ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ
وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ
ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ
إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرًا مِّنكُنَّ مُسۡلِمَٰتٖ
مُّؤۡمِنَٰتٖ قَٰنِتَٰتٖ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٖ سَٰٓئِحَٰتٖ ثَيِّبَٰتٖ
وَأَبۡكَارٗا ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ
نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ
لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴿٦﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ
تَعۡمَلُونَ ﴿٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ
نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ
جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ

الخبير ﴾ أي الله.

٤ **﴿ إن تتوبا ﴾** أي حفصة وعائشة **﴿ إلى الله فقد صغت قلوبكما ﴾** مالت إلى تحريم مارية، أي سركما ذلك مع كراهة النبي ﷺ له، وذلك ذنب، وجواب الشرط محذوف، أي تقبلا، وأطلق قلوب على قلبين ولم يعبر به لاستثقال الجمع بين تثنيتين فيما هو كالكلمة الواحدة(١) **﴿وإن تظّاهرا﴾** بإدغام التاء الثانية في الأصل في الظاء، وفي قراءة بدونها(٢): تتعاونا **﴿ عليه ﴾** أي النبي ﷺ، فيما يكرهه **﴿ فإن الله هو ﴾** فصل(٣) **﴿ مولاه ﴾** ناصره **﴿ وجبريل وصالح المؤمنين ﴾** أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، معطوف على محل اسم إن، فيكونون ناصريه **﴿ والملائكة بعد ذلك ﴾** بعد نصر الله والمذكورين **﴿ ظهير ﴾** ظهراء، أعوان له في نصره عليكما.

٥ **﴿ عسى ربه إن طلقكن ﴾** أي طلق النبي أزواجه **﴿ أن يُبَدِّلَه ﴾** بالتشديد والتخفيف **﴿ أزواجاً خيراً منكن ﴾** خبر عسى(٤)، والجملة جواب الشرط، ولم يقع التبديل لعدم وقوع الشرط **﴿ مسلمات ﴾** مقرات بالإسلام **﴿ مؤمنات ﴾** مخلصات **﴿ قانتات ﴾** مطيعات **﴿ تائبات عابدات سائحات ﴾** صائمات، أو مهاجرات **﴿ ثيبات وأبكاراً ﴾**(٥).

٦ **﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم﴾** بالحمل على طاعة الله(٦) **﴿ناراً وقودها الناس﴾** الكفار **﴿ والحجارة ﴾** كأصنامهم منها(٧)، يعني أنها مفرطة الحرارة، تتقد بما ذكر، لا كنار الدنيا تتقد بالحطب ونحوه **﴿ عليها ملائكة ﴾** خزنتها، عدتهم تسعة عشر كما سيأتي في المدثر(٨) **﴿ غلاظ ﴾** من غلظ القلب(٩) **﴿ شداد ﴾** في البطش **﴿ لا يعصون الله ما أمرهم ﴾** بدل من الجَلالة، أي لا يعصون أمر الله **﴿ ويفعلون ما يؤمرون ﴾** تأكيد، والآية تخويف للمؤمنين عن الارتداد، وللمنافقين المؤمنين بألسنتهم دون قلوبهم.

٧ **﴿ يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم ﴾** يقال لهم ذلك عند دخولهم النار، أي لأنه لا ينفعكم **﴿ إنما تجزون ما كنتم تعملون ﴾** أي جزاءه.

٨ **﴿ يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً ﴾** بفتح النون وضمها، صادقة، بأن لا يعاد إلى الذنب ولا يراد العود إليه **﴿ عسى ربكم ﴾** ترجية تقع(١٠) **﴿أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات ﴾** بساتين **﴿ تجري من تحتها الأنهار يوم لا يخزي الله ﴾** بإدخال النار **﴿ النبي**

---

(١) أي لم يعبر بلفظ «قلباكما» لأنها كالكلمة الواحدة، ويستثقل الجمع فيها بين تثنيتين: تثنية قلب، وتثنية الضمير.

(٢) أي بدون التاء الثانية تخفيفاً، فتصير: ﴿تَظاهرا﴾ بدون تشديد للظاء.

(٣) أي هو ضمير فصل.

(٤) أي قوله ﴿أن يبدله..﴾ خبر ﴿عسى..﴾.

(٥) جمع ثيب وهي التي سبق لها أن تزوجت، وجمع بكر وهي التي لم تتزوج بعد.

(٦) أي احموا أنفسكم ومن هم في رعايتكم من دخول النار: بمجاهدة أنفسكم وحملها على طاعة الله تعالى، وأمر من تحت ولايتكم بذلك، ومساعدتهم عليه. فمن واجب المسلم أن يربي من في عياله على طاعة الله عزّ وجلّ، وينشئه على الاستقامة والتزام شعائر الدين. ومن هذا قوله ﷺ: (مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين، وفرقوا بينهم في المضاجع). [أبو داود والترمذي: الصلاة، باب: متى يؤمر الغلام (الصبي) بالصلاة].

(٧) أي أصنامهم التي كانوا يعبدونها من الحجارة التي توقد بها النار.

(٨) الآية/ ٣٠/.

(٩) أي قلوبهم قاسية على من يدخل النار، فلا يرحمون أحداً منهم.

(١٠) أي إن هذا الترجي واقع لا محالة، وكذلك كل ترجٍ من الله تعالى في القرآن.

والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم ﴾ أمامهم ﴿ و ﴾ يكون ﴿ بأيمانهم يقولون ﴾ مستأنف ﴿ ربنا أتمم لنا نورنا ﴾ إلى الجنة، والمنافقون يطفأ نورهم ﴿ واغفر لنا ﴾ ربنا ﴿ إنك على كل شيءٍ قدير ﴾(١).

٩ ﴿ يا أيها النبي جاهد الكفار ﴾ بالسيف ﴿ والمنافقين ﴾ باللسان والحجة ﴿ واغلظ عليهم ﴾ بالانتهار والمقت ﴿ ومأواهم جهنم وبئس المصير ﴾ هي.

١٠ ﴿ ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأت نوح وامرأت لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما ﴾ في الدين إذ كفرتا، وكانت امرأة نوح ـ واسمها واهلة ـ تقول لقومه: إنه مجنون، وامرأة لوط ـ واسمها واعلة ـ تدل قومه على أضيافه إذا نزلوا به(٢): ليلاً بإيقاد النار، ونهاراً بالتدخين ﴿ فلم يغنيا ﴾ أي نوح ولوط ﴿ عنهما من الله ﴾ من عذابه ﴿ شيئاً وقيل ﴾ لهما ﴿ ادخلا النار مع الداخلين ﴾ من كفار قوم نوح وقوم لوط.

١١ ﴿ وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون ﴾ آمنت بموسى، واسمها آسية، فعذبها فرعون، بأن أوتد يديها ورجليها(٣)، وألقى على صدرها رحى(٤) عظيمة، واستقبل بها الشمس، فكانت إذا تفرق عنها من وكل بها(٥) ظللتها الملائكة ﴿ إذ قالت ﴾ في حال التعذيب ﴿ رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة ﴾ فكشف لها فرأته فسهل عليها التعذيب ﴿ ونجني من فرعون وعمله ﴾ وتعذيبه ﴿ ونجني من القوم الظالمين ﴾ أهل دينه، فقبض الله روحها. وقال ابن كيسان: رفعت إلى الجنة حية، فهي تأكل وتشرب.

١٢ ﴿ ومريم ﴾ عطف على «امرأة فرعون» ﴿ ابنت عمران التي أحصنت فرجها ﴾ حفظته ﴿ فنفخنا فيه من روحنا ﴾ أي جبريل، حيث نفخ في جيب درعها بخلق الله تعالى فعله الواصل إلى فرجها، فحملت بعيسى ﴿ وصدقت بكلمات ربها ﴾ شرائعه ﴿ وكتبه ﴾ المنزلة ﴿ وكانت من القانتين ﴾ من القوم المطيعين(٦).

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُۥ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا النَّبِىُّ جَـٰهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَـٰفِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٩﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَـٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى الْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ الْقَوْمِ الظَّـٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَٰنَ الَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَـٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ الْقَـٰنِتِينَ ﴿١٢﴾

---

(١) روى مسلم عن الأغر بن يسار المزني رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (يا أيها الناس توبوا إلى الله، فإني أتوب في اليوم إليه مائة مرة). وروى أيضاً عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها). أي فإذا طلعت الشمس من مغربها فلا تقبل توبة بعدئذٍ.
[مسلم: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: استحباب الاستغفار والاستكثار منه، رقم: ٢٧٠٢. التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة، رقم: ٢٧٥٩].

(٢) أخرج ذلك ابن جرير من طرق متعددة عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) أي دق أوتاداً في الأرض، وشد كل طرف من أطرافها بحبل إلى واحد من هذه الأوتاد.

(٤) هي حجر الطاحون.

(٥) أي وكل بتعذيبها.

(٦) أخرج البخاري ومسلم عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام). وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (حسبك من نساء العالمين مريم ابنة عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وآسية امرأة فرعون) أخرجه الترمذي وقال: حديث صحيح.
[البخاري: الأنبياء، باب: قول الله تعالى: ﴿وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون﴾ رقم: ٣٢٣٠. مسلم: فضائل الصحابة، باب: فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها، رقم: ٢٤٣١. الترمذي: المناقب، باب: فضل خديجة رضي الله عنها، رقم: ٣٨٨٨].
[كمل: تناهى في جميع الفضائل التي تكون للجنس عامة. الثريد: الخبز المكسر الذي وضع عليه اللحم والمرق. سائر: باقي الأنواع من الطعام].

(سورة الملك)

(مكية وآياتها ٣٠)

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿ تبارك ﴾ تنزه عن صفات المحدثين ﴿ الذي بيده ﴾ في تصرفه ﴿ الملك ﴾ السلطان والقدرة ﴿ وهو على كل شيء قدير ﴾.

٢ ﴿ الذي خلق الموت ﴾ في الدنيا ﴿ والحياة ﴾ في الآخرة، أو هما في الدنيا، فالنطفة تعرض لها الحياة، وهي ما به الإحساس، والموت ضدها أو عدمها، قولان(١)، والخلق على الثاني بمعنى التقدير(٢) ﴿ ليبلوكم ﴾ ليختبركم في الحياة ﴿ أيكم أحسن عملاً ﴾ أطوع لله ﴿ وهو العزيز ﴾ في انتقامه ممن عصاه ﴿ الغفور ﴾ لمن تاب إليه.

٣ ﴿ الذي خلق سبع سماوات طباقاً ﴾ بعضها فوق بعض من غير مماسة ﴿ ما ترى في خلق الرحمـن ﴾ لهن أو لغيرهن ﴿ من تفاوت ﴾ تباين وعدم تناسب ﴿ فارجع البصر ﴾ أعده إلى السماء ﴿ هل ترى ﴾ فيها ﴿ من فطور ﴾ صدوع وشقوق.

٤ ﴿ ثم ارجع البصر كرتين ﴾ كرة بعد كرة(٣) ﴿ ينقلب ﴾ يرجع ﴿ إليك البصر خاسئاً ﴾ ذليلاً، لعدم إدراك خلل ﴿ وهو حسير ﴾ منقطع عن رؤية خلل(٤).

٥ ﴿ ولقد زينا السماء الدنيا ﴾ القربى إلى الأرض ﴿ بمصابيح ﴾ بنجوم ﴿ وجعلناها رجوماً ﴾ مراجم(٥) ﴿ للشياطين ﴾ إذا استرقوا السمع، بأن ينفصل شهاب عن الكواكب - كالقبس يؤخذ من النار - فيقتل الجني أو يخبله(٦)، لا أن الكوكب يزول عن مكانه ﴿ وأعتدنا لهم عذاب السعير ﴾ النار الموقدة.

٦ ﴿ وللذين كفروا بربهم عذاب

(الجزء التاسع والعشرون) ٧٥٤

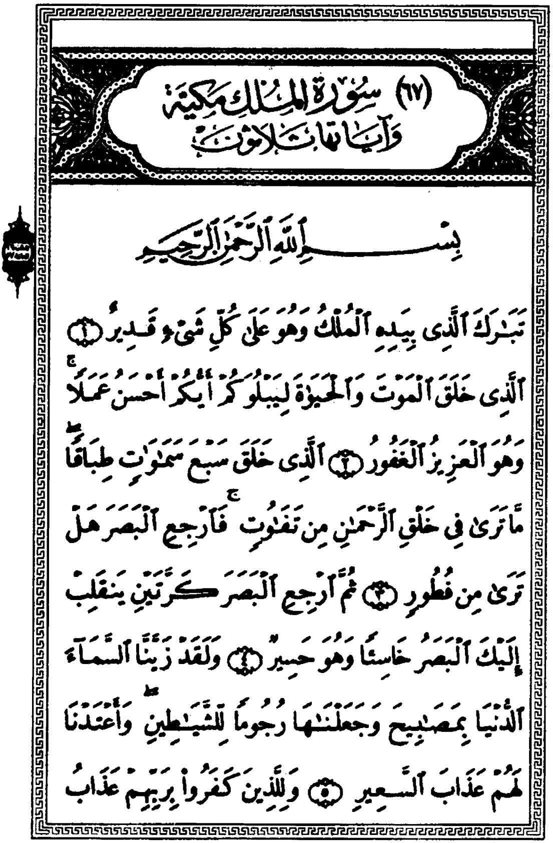

(٦٧) سُورَةُ المُلْكِ مَكِّيَّة
وَآيَاتُهَا ثَلَاثُونَ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١
ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا
وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ٢ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ
مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۚ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ
تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ٣ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ
إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئٗا وَهُوَ حَسِيرٞ ٤ وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ
ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومٗا لِّلشَّيَٰطِينِۖ وَأَعۡتَدۡنَا
لَهُمۡ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ٥ وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ عَذَابُ

---

(١) أي في تعريف الموت: هل هو ضد الحياة، أو عدمها؟.

أخرج ابن أبي حاتم بسنده عن قتادة في قوله تعالى: ﴿الذي خلق الموت والحياة﴾ قال: كان رسول الله ﷺ يقول: ﴿إن الله أذل بني آدم بالموت، وجعل الدنيا دار حياة ثم دار موت، وجعل الآخرة دار جزاء ثم دار بقاء) [تفسير ابن كثير].

(٢) أي على القول بأن الموت عدم الحياة يكون الخلق بمعنى التقدير، لأن التقدير يتعلق بالمعدومات كما يتعلق بالموجودات. قال ابن كثير في تفسيره: واستدل بهذه الآية من قال: إن الموت أمر وجودي، لأنه مخلوق. ومعنى الآية: أنه أوجد الخلائق من العدم، ليبلوهم ويختبرهم أيهم أحسن عملاً؟ كما قال: ﴿كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم﴾ فسمى الحال الأولى - وهو العدم - موتاً، وسمى هذه النشأة حياة، ولهذا قال: ﴿ثم يميتكم ثم يحييكم﴾ [البقرة: ٢٨].

(٣) أي كرر النظر إلى السماء.

(٤) وهو كليل قد بلغ النهاية في التعب والإعياء.

(٥) أشياء يرجم بها، أي يرمى.

(٦) من الخبل وهو الفساد في العقل أو البدن.

فائدة: في فضل هذه السورة [الملك]: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ضرب بعض أصحاب النبي ﷺ خِبَاءه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر، فإذا فيه إنسان يقرأ سورة ﴿تبارك الذي بيده الملك﴾ حتى ختمها، فأتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إني ضربت خبائي على قبر وأنا لا أحسب أنه قبر، فإذا فيه إنسان يقرأ سورة تبارك الملك، حتى ختمها، فقال رسول الله ﷺ: (هي المانعة، هي المنجية، تنجيه من عذاب القبر). قال الترمذي: هذا حديث حسن. المانعة: من العذاب.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (إن سورة من القرآن ثلاثون آية، شفعت لرجل حتى غفر له، وهي سورة ﴿تبارك الذي بيده الملك﴾).

وعن جابر رضي الله عنه: أن النبي ﷺ كان لا ينام حتى يقرأ: ﴿الم تنزيل﴾ و ﴿تبارك الذي بيده الملك﴾. [الم تنزيل: أي سورة السجدة] [الترمذي: أبواب ثواب القرآن، باب: ما جاء في فضل سورة الملك، رقم: ٢٨٩٢ - ٢٨٩٤].

جهنم وبئس المصير ﴾ هي.

٧ ﴿ إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقاً ﴾ صوتاً منكراً كصوت الحمار(١) ﴿ وهي تفور ﴾ تغلي.

٨ ﴿ تكاد تميز ﴾ وقرىء «تتميز» على الأصل، تتقطع ﴿ من الغيظ ﴾ غضباً على الكفار ﴿ كلما ألقي فيها فوج ﴾ جماعة منهم ﴿ سألهم خزنتها ﴾ سؤال توبيخ ﴿ ألم يأتكم نذير ﴾ رسول ينذركم عذاب الله تعالى.

٩ ﴿ قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن ﴾ ما ﴿ أنتم إلا في ضلال كبير ﴾ يحتمل أن يكون من كلام الملائكة للكفار حين أخبروا بالتكذيب، وأن يكون من كلام الكفار للنذر.

١٠ ﴿ وقالوا لو كنا نسمع ﴾ أي سماع تفهم ﴿ أو نعقل ﴾ أي عقل تفكر ﴿ ما كنا في أصحاب السعير ﴾(٢).

١١ ﴿ فاعترفوا ﴾ حيث لا ينفع الاعتراف ﴿ بذنبهم ﴾ وهو تكذيب النذر ﴿ فسحقاً ﴾ بسكون الحاء وضمها ﴿ لأصحاب السعير ﴾ فبعداً لهم عن رحمة الله.

١٢ ﴿ إن الذين يخشون ربهم ﴾ يخافونه ﴿ بالغيب ﴾ في غيبتهم عن أعين الناس، فيطيعونه سراً، فيكون علانية أولى ﴿ لهم مغفرة وأجر كبير ﴾ أي الجنة(٣).

١٣ ﴿ وأسروا ﴾ أيها الناس ﴿ قولكم أو اجهروا به إنه ﴾ تعالى ﴿ عليم بذات الصدور ﴾ بما فيها، فكيف بما نطقتم؟ وسبب نزول ذلك أن المشركين قال بعضهم لبعض: أسروا قولكم، لا يسمعكم إله محمد ﷺ.

١٤ ﴿ ألا يعلم من خلق ﴾ ما تسرون؟ أي أينتفي علمه بذلك ﴿ وهو اللطيف ﴾ في علمه ﴿ الخبير ﴾ فيه؟ لا.

١٥ ﴿ هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً ﴾ سهلة للمشي فيها ﴿ فامشوا في مناكبها ﴾ جوانبها ﴿ وكلوا من رزقه ﴾ المخلوق لأجلكم ﴿ وإليه النشور ﴾ من القبور للجزاء.

١٦ ﴿ ءأمنتم ﴾ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينها وبين الأخرى وتركه وإبدالها ألفاً ﴿ من في السماء ﴾ سلطانه وقدرته(٤) ﴿ أن يخسف ﴾ بدل من مَن(٥) ﴿ بكم

جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ (٦) إِذَآ أُلْقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا
شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ (٧) تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ كُلَّمَآ أُلْقِىَ
فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (٨) قَالُواْ بَلَىٰ
قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ
أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ (٩) وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ
نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ (١٠) فَٱعْتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمْ
فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ (١١) إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم
بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (١٢) وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ
ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ (١٣) أَلَا يَعْلَمُ مَنْ
خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ (١٤) هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ
ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ
وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ (١٥) ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ

---

(١) وقيل: الصوت من أهلها الكفار حين يلقون فيها.

(٢) قال ابن كثير في تفسيره: أي: لو كانت لنا عقول ننتفع بها، أو نسمع ما أنزل الله من الحق، لما كنا على ما كنا عليه من الكفر بالله والاغترار به، ولكن لم يكن لنا فهم نعي به ما جاءت به الرسل، ولا كان لنا عقل يرشدنا إلى اتباعهم. قال الله تعالى: ﴿فاعترفوا بذنبهم فسحقاً لأصحاب السعير﴾.

وعن أبي البختري الطائي قال: أخبرني من سمعه من رسول الله ﷺ أنه قال: (لن يهلك الناس حتى يعذروا من أنفسهم). وفي حديث آخر: (لا يدخل أحد النار إلا وهو يعلم أن النار أولى به من الجنة) [مسند أحمد: ٤/٢٦٠، وانظر تفسير ابن كثير].

(٣) قال ابن كثير في تفسيره: يقول تعالى مخبراً عمن يخاف مقام ربه فيما بينه وبينه إذا كان غائباً عن الناس ـ فينكف عن المعاصي ويقوم بالطاعات، حيث لا يراه أحد إلا الله ـ بأنه له مغفرة وأجر كبير، أي يكفر عن ذنوبه، ويجازى بالثواب الجزيل، كما ثبت في الصحيحين: (سبعة يظلهم الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله) فذكر منهم: (رجلاً دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجلاً تصدق بصدقة فأخفاها، حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه).

وروى عن البزار: عن أنس رضي الله عنه قال: قالوا: يا رسول الله، إنا نكون عندك على حال، فإذا فارقناك كنا على غيره؟ قال: (كيف أنتم وربكم). قالوا: الله ربنا في السر والعلانية. قال: (ليس ذلكم النفاق).

(٤) كما أنه سبحانه وتعالى في الأرض كذلك، وخص السماء بالذكر لأنها أعجب وأغرب، والتخويف بها أشد، إذ الغالب أن ينزل العذاب من جهتها.

(٥) بدل اشتمال، والتقدير: ءأمنتم خسف من في السماء الأرض بكم.

سبب نزول الآية [١٣]: قال الواحدي قال ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت في المشركين، كانوا ينالون من رسول الله ﷺ، فخبره جبريل عليه السلام بما قالوا فيه ونالوا منه، فيقول بعضهم لبعض: أسروا قولكم لئلا يسمع إله محمد.

الأرض فإذا هي تمور ﴾ تتحرك بكم وترتفع فوقكم.

١٧ **﴿ أم أمنتم من في السماء أن يرسل ﴾** بدل من مَن[1] **﴿ عليكم حاصباً ﴾** ريحاً ترميكم بالحصباء[2] **﴿ فستعلمون ﴾** عند معاينة العذاب[3] **﴿ كيف نذير ﴾** إنذاري بالعذاب، أي أنه حق.

١٨ **﴿ ولقد كذب الذين من قبلهم ﴾** من الأمم الخالية **﴿ فكيف كان نكير ﴾** إنكاري عليهم بالتكذيب عند إهلاكهم، أي أنه حق.

١٩ **﴿ أو لم يروا ﴾** ينظروا **﴿ إلى الطير فوقهم ﴾** في الهواء **﴿ صافات ﴾** باسطات أجنحتهن **﴿ ويقبضن ﴾** أجنحتهن بعد البسط، أي وقابضات **﴿ ما يمسكهن ﴾** عن الوقوع في حال البسط والقبض **﴿ إلا الرحمن ﴾** بقدرته **﴿ إنه بكل شيء بصير ﴾** المعنى: ألم يستدلوا بثبوت الطير في الهواء على قدرتنا أن نفعل بهم ما تقدم وغيره من العذاب؟.

٢٠ **﴿ أمن ﴾** مبتدأ[4] **﴿ هذا ﴾** خبره **﴿ الذي ﴾** بدل من هذا **﴿ هو جند ﴾** أعوان **﴿لكم﴾** صلة الذي[5] **﴿ ينصركم ﴾** صفة جند **﴿ من دون الرحمن ﴾** أي غيره، يدفع عنكم عذابه، أي لا ناصر لكم **﴿ إن ﴾** ما **﴿ الكافرون إلا في غرور ﴾** غرهم الشيطان بأن العذاب لا ينزل بهم.

٢١ **﴿ أمن هذا الذي يرزقكم إن أمسك ﴾** الرحمن **﴿ رزقه ﴾** أي المطر عنكم، وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله، أي فمن يرزقكم؟ أي لا رازق لكم غيره **﴿ بل لجوا ﴾** تمادوا **﴿ في عتو ﴾** تكبر **﴿ ونفور ﴾** تباعد عن الحق.

٢٢ **﴿ أفمن يمشي مكباً ﴾** واقعاً **﴿ على وجهه أهدى أمن يمشي سوياً ﴾** معتدلاً **﴿ على صراط ﴾** طريق **﴿ مستقيم ﴾** وخبر من الثانية محذوف دل عليه خبر الأولى، أي أهدى، والمثل في المؤمن والكافر، أي أيهما على هدى؟[6].

٢٣ **﴿ قل هو الذي أنشأكم ﴾** خلقكم **﴿ وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة ﴾** القلوب **﴿ قليلاً ما تشكرون ﴾** ما مزيدة، والجملة مستأنفة، مخبرة بقلة شكرهم جداً على هذه النعم.

٢٤ **﴿ قل هو الذي ذرأكم ﴾** خلقكم **﴿ في الأرض وإليه تحشرون ﴾** للحساب.

٢٥ **﴿ ويقولون ﴾** للمؤمنين **﴿ متى هذا الوعد ﴾** وعد الحشر **﴿ إن كنتم**

ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن
يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ
كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ
يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا
ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ
جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا
فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ
بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ
أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ
ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ
قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ
وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ

---

(١) كالتي قبلها في الآية السابقة.

(٢) وهي الحجارة الصغيرة.

(٣) أي مشاهدته حال نزوله فيهم.

(٤) ﴿أمن﴾ كلمتان. «أم» و«من»، فمَن في محل رفع مبتدأ.

(٥) أي جملة ﴿هو جند لكم﴾ صلة الاسم الموصول ﴿الذي﴾.

(٦) قال ابن كثير في تفسيره: وهذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر، فالكافر مثله فيما هو فيه كمثل من يمشي مكباً على وجهه، أي يمشي منحنياً لا مستوياً على وجهه، أي: لا يدري أين يسلك ولا كيف يذهب؟ بل تائه حائر ضال، أهذا أهدى ﴿أمن يمشي سوياً﴾ أي منتصب القامة ﴿على صراط مستقيم﴾ أي على طريق واضح بيّن، و هو في نفسه مستقيم، وطريقه مستقيمة. هذا مثلهم في الدنيا، وكذلك يكونون في الآخرة، فالمؤمن يحشر يمشي سوياً على صراط مستقيم، مفض به إلى الجنة الفيحاء، وأما الكافر فإنه يحشر يمشي على وجهه إلى نار جهنم. انتهى.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رجلاً قال: يا نبي الله، كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال: (أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادراً على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة). قال قتادة: بلى وعزة ربنا. [البخاري: التفسير/ الفرقان، باب: قوله: ﴿الذين يحشرون على وجوههم..﴾ [الفرقان: ٣٤] رقم: ٤٤٨٢. مسلم: صفات المنافقين وأحكامهم، باب: يحشر الكافر على وجهه، رقم: ٢٨٠٦] قتادة: راوي الحديث عن أنس رضي الله عنهما.

صَٰدِقِينَ (٢٥) قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ
مُّبِينٞ (٢٦) فَلَمَّا رَأَوۡهُ زُلۡفَةٗ سِيٓـَٔتۡ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ (٢٧) قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ
أَهۡلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوۡ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ
عَذَابٍ أَلِيمٖ (٢٨) قُلۡ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيۡهِ تَوَكَّلۡنَاۖ
فَسَتَعۡلَمُونَ مَنۡ هُوَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ (٢٩) قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ
أَصۡبَحَ مَآؤُكُمۡ غَوۡرٗا فَمَن يَأۡتِيكُم بِمَآءٖ مَّعِينِۢ (٣٠)

(٦٨) سُورَةُ القَلَمِ مَكِّيَّة
وَآيَاتُهَا اثْنَتَانِ وَخَمْسُونَ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ (١) مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ

صادقين ﴾ فيه.

٢٦ ﴿ قل إنما العلم ﴾ بمجيئه ﴿ عند الله وإنما أنا نذير مبين ﴾ بين الإنذار.

٢٧ ﴿ فلما رأوه ﴾ أي العذاب بعد الحشر ﴿ زلفة ﴾ قريباً ﴿ سيئت ﴾ اسودت ﴿ وجوه الذين كفروا وقيل ﴾ أي قال الخزنة لهم ﴿ هذا ﴾ العذاب ﴿ الذي كنتم به ﴾ بإنذاره ﴿ تدعون ﴾ أنكم لا تبعثون، وهذه حكاية حال تأتي، عبر عنها بطريق المضي لتحقق وقوعها.

٢٨ ﴿ قل أرأيتم إن أهلكني الله ومن معي ﴾ من المؤمنين بعذابه(١) كما تقصدون ﴿ أو رحمنا ﴾ فلم يعذبنا ﴿ فمن يجير الكافرين من عذاب أليم ﴾ أي لا مجير لهم منه.

٢٩ ﴿ قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا فستعلمون ﴾ بالتاء والياء(٢)، عند معاينة العذاب ﴿ من هو في ضلال مبين ﴾ بيِّن، أنحن أم أنتم أم هم(٣).

٣٠ ﴿ قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غوراً ﴾ غائراً في الأرض(٤) ﴿ فمن يأتيكم بماء معين ﴾ جار، تناله الأيدي والدلاء كمائكم، أي لا يأتي به إلا الله تعالى، فكيف تنكرون أن يبعثكم؟ ويستحب أن يقول القارىء عقب «معين»: الله رب العالمين، كما ورد في الحديث(٥). وتليت هذه الآية عند بعض المتجبرين فقال: تأتي به الفؤوس والمعاول، فذهب ماء عينه وعمي، فانظروا إلى حال من لا يصدق حقيقة الصدق، نعوذ بالله من الجرأة على الله وعلى آياته.

(سورة القلم)
(مكيّة وآياتها اثنتان وخمسون آية)

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿ ن ﴾ أحد حروف الهجاء، الله أعلم بمراده به(٦) ﴿ والقلم ﴾ الذي كتب به الكائنات في اللوح المحفوظ ﴿ وما يسطرون ﴾ أي الملائكة، من الخير والصلاح.

٢ ﴿ ما أنت ﴾ يا محمد ﷺ ﴿ بنعمة ربك

---

(١) وفي نسخة: بعقابه.

(٢) ﴿فستعلمون﴾ بالتاء، نظراً للخطاب في قوله: ﴿قل أرأيتم﴾. و﴿فسيعلمون﴾ بالياء، نظراً للغيبة في قوله: ﴿فمن يجير الكافرين﴾.

(٣) قوله [أم أنتم] على قراءة الخطاب بالتاء، وقوله [أم هم] على قراءة الغيبة بالياء.

(٤) ذاهباً بعيداً في أغوار الأرض وأعماقها.

(٥) لم أعثر عليه في كتب السنة المشهورة.

(٦) وانظر أول سورة البقرة.

أخرج الطبراني بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أول ما خلق الله القلم والحوت، قال للقلم: اكتب، قال: ما أكتب ؟ قال: كل شيء كائن إلى يوم القيامة». ثم قرأ: ﴿نٓ. والقلم وما يسطرون﴾ فالنون: الحوت، والقلم: القلم».

وأخرج ابن عساكر بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول شيء خلقه الله القلم، ثم خلق النون، وهي: الدواة، ثم قال له: اكتب. قال: وما أكتب ؟ قال: اكتب ما يكون ـ أو: ما هو كائن ـ من عمل أو رزق أو أثر أو أجل. فكتب ذلك إلى يوم القيامة، فذلك قوله: ﴿نٓ. والقلم وما يسطرون﴾. ثم ختم على القلم فلم يتكلم إلى يوم القيامة، ثم خلق العقل وقال: وعزتي لأكملنك فيمن أحببت، ولأنقصنك ممن أبغضت» [تفسير ابن كثير].

سبب نزول الآية [٢]: قال السيوطي: أخرج ابن المنذر عن ابن جريج قال: كانوا يقولون للنبيّ ﷺ: إنه مجنون، ثم شيطان، فنزلت: ﴿ما أنت بنعمة ربك بمجنون﴾.

بمجنون ﴾ أي انتفي الجنون عنك بسبب إنعام ربك عليك بالنبوة وغيرها، وهذا رد لقولهم إنه مجنون.
٣ ﴿ وإن لك لأجراً غير ممنون ﴾ مقطوع. ٤ ﴿ وإنك لعلى خلق ﴾ دين ﴿ عظيم ﴾(١). ٥ ﴿ فستبصر ويبصرون ﴾(٢).
٦ ﴿ بأيكم المفتون ﴾ مصدر - كالمعقول(٣) - أي الفتون: بمعنى الجنون، أي أبك أم بهم؟.
٧ ﴿ إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ﴾ له، وأعلم بمعنى عالم. ٨ ﴿ فلا تطع المكذبين ﴾.
٩ ﴿ ودوا ﴾ تمنوا ﴿ لو ﴾ مصدرية ﴿ تدهن ﴾ تلين لهم ﴿ فيدهنون ﴾ يلينون لك، وهو معطوف على تدهن(٤)، وإن جعل جواب التمني المفهوم من «ودوا» قدر قبله بعد الفاء هم(٥).
١٠ ﴿ ولا تطع كل حلاف ﴾ كثير الحلف بالباطل ﴿ مهين ﴾ حقير.
١١ ﴿ هماز ﴾ عياب، أي مغتاب ﴿ مشاء بنميم ﴾ ساع بالكلام بين الناس على وجه الإفساد بينهم.
١٢ ﴿ مناع للخير ﴾ بخيل بالمال عن الحقوق ﴿ معتد ﴾ ظالم ﴿ أثيم ﴾ آثم.
١٣ ﴿ عتل ﴾ غليظ جاف ﴿ بعد ذلك زنيم ﴾ دَعِيّ في قريش، وهو الوليد بن المغيرة، ادعاه أبوه بعد ثماني عشرة سنة، قال ابن عباس: لا نعلم أن الله وصف أحداً بما وصفه به من العيوب، فألحق به عاراً لا يفارقه أبداً. وتعلق بزنيم الظرف قبله(٦).
١٤ ﴿ أن كان ذا مال وبنين ﴾ أي لأن، وهو متعلق بما، دل عليه(٧):
١٥ ﴿ إذا تتلى عليه آياتنا ﴾ القرآن ﴿ قال ﴾ هي ﴿ أساطير الأولين ﴾(٨) أي كذب بها لإنعامنا عليه بما ذكر وفي قراءة «ءأن» بهمزتين مفتوحتين.
١٦ ﴿ سنسمه على الخرطوم ﴾ سنجعل على أنفه علامة يعير بها ما عاش، فخطم أنفه(٩) بالسيف يوم بدر.
١٧ ﴿ إنا بلوناهم ﴾ امتحنا أهل مكة بالقحط والجوع ﴿ كما بلونا أصحاب الجنة ﴾ البستان ﴿ إذ أقسموا ليصرمنها ﴾ يقطعون ثمرتها ﴿ مصبحين ﴾ وقت الصباح، كي لا يشعر بهم المساكين، فلا يعطون منها ما كان أبوهم يتصدق به عليهم منها.
١٨ ﴿ ولا يستثنون ﴾ في يمينهم بمشيئة الله تعالى، والجملة مستأنفة، أي وشأنهم ذلك. ١٩ ﴿ فطاف عليها طائف(١٠) من ربك ﴾ نار أحرقتها ليلاً ﴿ وهم نائمون ﴾.

بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ
لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَييِّكُمُ
ٱلْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ
وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾
وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ
مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ
أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ
ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ
ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا
بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾
وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ
وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا۟

---

(١) وفي دينه ﷺ كل سلوك حسن وخلق كريم.

(٢) أي فسترى ويرون في الدنيا، حين تظهر عاقبة أمرك وعاقبة أمرهم.

(٣) أي مصدر على صيغة مفعول، كالمعقول والميسور، وفي نسخة [كالمفعول] بدل [كالمعقول].

(٤) فيكون المعنى: تمنوا أن تلين لهم وأن يلينوا لك، فيكون المتمنى شيئين: الثاني منهما مرتب على الأول.

(٥) يصير المعنى: لو تلين لهم فهم يلينون عند ذلك.

(٦) وهو ﴿بعد﴾. والمعنى: هو زنيم بعد كل ما ذكر من الصفات السابقة، وهي صفة أشنع مما قبلها وأقبح. والزنيم من الزَّنَمَة، وهي شيء يكون في المعز بأذنها كالقرط، فأطلق على المستلحق في قوم ليس منهم، فكأنه فيهم زنمة.

(٧) وهو ما صرح به بعد ذلك بقوله: كذب بها.

(٨) أي أكاذيب اختلقها من قبله أو قصص مختلقة عن الأمم الماضية. (٩) أي جرح ويقي أثر الجرح على أنفه بقية عمره.

(١٠) ولا يكون الطائف إلا في الليل.

سبب نزول الآية [٤]: أخرج الواحدي بسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما كان أحد أحسن خلقاً من رسول الله ﷺ، ما دعاه أحد من أصحابه ولا من أهل بيته إلا قال: (لبيك). ولذلك أنزل الله عزّ وجلّ: ﴿وإنك لعلى خلقٍ عظيم﴾. [وذكره السيوطي في كتابه لباب النقول].

سبب نزول الآيات [١٠ - ١٦]: قال السيوطي: أخرج ابن أبي حاتم عن السدّي في قوله: ﴿ولا تطع كل حلاف مهين﴾. قال: نزلت في الأخنس بن شريق. وأخرج ابن المنذر، عن الكلبي مثله. وأخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد قال: نزلت في الأسود بن عبد يغوث.

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: نزلت على النبيّ ﷺ: ﴿ولا تطع كلّ حلاف مهين. هماز مشّاء بنميم﴾ فلم نعرفه حتى نزل عليه بعد ذلك: ﴿زنيم﴾ فعرفناه، له زنمة كزنمة الشاة.

وأخرج ابن أبي حاتم، عن ابن جريج: أن أبا جهل قال يوم بدر خذوهم أخذاً، فاربطوهم في الحبال، ولا تقتلوا منهم أحداً، فنزلت: ﴿ إنا

٢٠ ﴿ فأصبحت كالصريم ﴾ كالليل الشديد الظلمة، أي سوداء[١].

٢١ ﴿ فتنادوا مصبحين ﴾.

٢٢ ﴿ أن اغدوا[٢] على حرثكم ﴾ غلتكم، تفسير لتنادوا، أو: أن مصدرية، أي بأن ﴿ إن كنتم صارمين ﴾ مريدين القطع، وجواب الشرط دل عليه ما قبله[٣].

٢٣ ﴿ فانطلقوا وهم يتخافتون ﴾ يتسارون.

٢٤ ﴿ أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين ﴾ تفسير لما قبله، أو: أن مصدرية، أي بأن.

٢٥ ﴿ وغدوا على حرد ﴾ منع للفقراء ﴿ قادرين ﴾ عليه في ظنهم.

٢٦ ﴿ فلما رأوها ﴾ سوداء محترقة ﴿ قالوا إنا لضالون ﴾ عنها، أي ليست هذه، ثم قالوا لما علموها:

٢٧ ﴿ بل نحن محرومون ﴾ ثمرتها، بمنعنا الفقراء منها.

٢٨ ﴿ قال أوسطهم ﴾ خيرهم ﴿ ألم أقل لكم لولا ﴾ هلاّ ﴿ تسبحون ﴾ الله تائبين.

٢٩ ﴿ قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين ﴾ بمنع الفقراء حقهم.

٣٠ ﴿ فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون ﴾[٤].

٣١ ﴿ قالوا يا ﴾ للتنبيه ﴿ ويلنا ﴾ هلاكنا ﴿ إنا كنا طاغين ﴾[٥].

٣٢ ﴿ عسى ربنا أن يُبْدِلَنا ﴾ بالتشديد والتخفيف[٦] ﴿ خيراً منها إنا إلى ربنا راغبون ﴾ ليقبل توبتنا، ويرد علينا خيراً من جنتنا. روي أنهم أبدلوا خيراً منها[٧].

٣٣ ﴿ كذلك ﴾ أي مثل العذاب لهؤلاء ﴿ العذاب ﴾ لمن خالف أمرنا من كفار مكة وغيرهم ﴿ ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون ﴾ عذابها ما خالفوا أمرنا.

٣٤ ونزل لما قالوا: إن بعثنا نعط أفضل منكم ﴿ إن للمتقين عند ربهم جنات النعيم ﴾.

٣٥ ﴿ أفنجعل المسلمين كالمجرمين ﴾ أي تابعين لهم في العطاء.

٣٦ ﴿ مالكم كيف تحكمون ﴾ هذا الحكم الفاسد.

٣٧ ﴿ أم ﴾ أي بل أ ﴿ لكم كتاب ﴾ منزل ﴿ فيه تدرسون ﴾ أي تقرؤون.

٣٨ ﴿ إن لكم فيه لما تخيرون ﴾[٨].

٧٥٩ (سـورة القـلم)

مُصۡبِحِينَ ۙ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغۡدُواْ عَلَىٰ حَرۡثِكُمۡ إِن كُنتُمۡ
صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُواْ وَهُمۡ يَتَخَٰفَتُونَ ۙ ﴿٢٣﴾ أَن
لَّا يَدۡخُلَنَّهَا ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكُم مِّسۡكِينٞ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوۡاْ عَلَىٰ حَرۡدٖ
قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوۡهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلۡ
نَحۡنُ مَحۡرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوۡسَطُهُمۡ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ لَوۡلَا
تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُواْ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾
فَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَآ
إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبۡدِلَنَا خَيۡرٗا مِّنۡهَآ إِنَّآ
إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلۡعَذَابُۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ
أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمۡ
جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجۡعَلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٣٥﴾
مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمۡ لَكُمۡ كِتَٰبٞ فِيهِ

---

(١) لاحتراقها، وسمي الليل صريماً لانصرامه ـ أي انقطاعه وانفصاله ـ من النهار.

(٢) بكروا في الذهاب، من الغُدُوّ وهو الذهاب أول النهار.

(٣) أي إن كنتم صارمين فاغدوا.

(٤) يلوم بعضهم بعضاً على ما صدر منهم من عزم على منع الفقراء حقهم من الثمرة.

(٥) ظالمين ومتجاوزين للحد، حيث عزمنا على منع الفقراء، ونسينا شكر الله تعالى على نعمه.

(٦) أي ﴿يُبَدِّلنا﴾ و ﴿يُبْدِلنا﴾ كما هو في المصحف والتفسير.

(٧) ذكر البغوي في تفسيره عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: بلغني أن القوم أخلصوا، وعرف الله منهم الصدق، فأبدلهم بها جنة يقال لها الحَيَوان، فيها عنب يحمل البغل منه عنقوداً واحداً.

أخرج ابن أبي حاتم: عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إياكم والمعاصي، إن العبد ليذنب فيحرم به رزقاً كان قد هيء له». ثم تلا رسول الله ﷺ: «﴿فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون. فأصبحت كالصريم﴾ قد حرموا خير جنتهم بذنبهم». [ابن كثير].

وعن علي رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ نهى عن الجداد بالليل، والحصاد بالليل. قال جعفر بن محمد راوي الحديث عن جده علي رضي الله عنه: أراه من أجل المساكين. [البيهقي: الزكاة، باب: ما جاء في النهي عن الحصاد والجداد بالليل]

(٨) تختارون وتشتهون، أي هل لكم كتاب تقرؤون فيه أن لكم ما تتخيرون وما تشتهون.

بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة﴾ يقول: في قدرتهم عليهم كما اقتدر أصحاب الجنة على الجنة.

٣٩ ﴿ أم لكم أيمان ﴾ عهود ﴿ علينا بالغة ﴾ واثقة ﴿ إلى يوم القيامة ﴾ متعلق معنى بعلينا(١)، وفي هذا الكلام معنى القسم، أي أقسمنا لكم؟ وجوابه ﴿ إن لكم لما تحكمون ﴾ به لأنفسكم(٢).

٤٠ ﴿ سلهم أيهم بذلك ﴾ الحكم الذي يحكمون به لأنفسهم، من أنهم يعطون في الآخرة أفضل من المؤمنين ﴿ زعيم ﴾ كفيل لهم.

٤١ ﴿ أم لهم ﴾ أي عندهم ﴿ شركاء ﴾ في زعمهم موافقون لهم في هذا القول، يكفلون لهم به؟ فإن كان كذلك ﴿ فليأتوا بشركائهم ﴾ أي الشركاء عندهم، الكافلين لهم به ﴿ إن كانوا صادقين ﴾ لك بزعمهم، وهي الأصنام.

٤٢ اذكر ﴿ يوم يكشف عن ساق ﴾ هو عبارة عن شدة الأمر يوم القيامة للحساب والجزاء، يقال: كشفت الحرب عن ساق إذا اشتد الأمر فيها ﴿ ويدعون إلى السجود ﴾ امتحاناً لإيمانهم ﴿ فلا يستطيعون ﴾ تصير ظهورهم طبقاً واحداً(٣).

٤٣ ﴿ خاشعة ﴾ حال من ضمير يدعون، أي ذليلة ﴿ أبصارهم ﴾ لا يرفعونها ﴿ ترهقهم ﴾ تغشاهم ﴿ ذلة وقد كانوا يدعون ﴾ في الدنيا ﴿ إلى السجود وهم سالمون ﴾ فلا يأتون به، بأن لا يصلوا.

٤٤ ﴿ فذرني ﴾ دعني ﴿ ومن يكذب بهذا الحديث ﴾ القرآن ﴿ سنستدرجهم ﴾ نأخذهم قليلاً قليلاً ﴿ من حيث لا يعلمون ﴾.

٤٥ ﴿ وأملي لهم ﴾ أمهلهم ﴿ إن كيدي(٤) متين ﴾ شديد لا يطاق.

٤٦ ﴿ أم ﴾ بل أ ﴿ تسألهم ﴾ على تبليغ الرسالة ﴿ أجراً فهم من مغرم ﴾ مما يعطونكه ﴿ مثقلون ﴾(٥) فلا يؤمنون لذلك.

٤٧ ﴿ أم عندهم الغيب ﴾ أي اللوح المحفوظ الذي فيه الغيب ﴿ فهم يكتبون ﴾ منه ما يقولون.

٤٨ ﴿ فاصبر لحكم ربك ﴾ فيهم بما يشاء ﴿ ولا تكن كصاحب الحوت ﴾ في الضجر والعجلة، وهو يونس عليه السلام ﴿ إذ نادى ﴾ دعا ربه ﴿ وهو مكظوم ﴾ مملوء غماً في بطن الحوت.

٤٩ ﴿ لولا أن تداركه ﴾ أدركه ﴿ نعمة ﴾ رحمة ﴿ من

تَدْرُسُونَ ۙ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ
عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾
سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟
بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن
سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً
أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ
وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ؕ
سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ
إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ
مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾
فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ
نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن

---

(١) أي متصل به، أي هي ثابتة لكم علينا إلى يوم القيامة، لا تخرج من عهدتنا إلا يومئذ إذا حكمناكم. أو متعلق بقوله ﴿بالغة﴾ والمعنى: أنها تبلغ ذلك اليوم وتنتهي إليه وافرة لم تبطل منها يمين، إلى أن يحصل المقسم عليه من التحكيم.

(٢) أي إن لكم للذي تحكمون به لأنفسكم من الخير والكرامة عند الله تعالى، بناء على تلك العهود، كما تزعمون.

(٣) أي كالعظم الواحد، فلا تنثني للسجود. أخرج البخاري [التفسير/ن، باب: ﴿يوم يكشف عن ساق﴾ رقم: ٤٦٣٥] عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: (يكشف ربنا عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، ويبقى كل من كان يسجد في الدنيا رياءً وسمعةً، فيذهب ليسجد، فيعود ظهره طبقاً واحداً). وانظر مسلم [الايمان، باب: معرفة طريق الرؤية، رقم: ١٨٣].

[ساقه: الله تعالى أعلم بهذا، مع اعتقادنا بتنزيه الله تعالى عما يشابه المخلوقات، وللعلماء المحققين تأويلات لمثل هذه المتشابهات، لا تخرج عن قواعد الشريعة واصول الدين، منها: ما ذكره المفسر في معنى الآية، ومنها: أن المراد بالساق نور عظيم يكشف عنه سبحانه يوم القيامة، وغير ذلك، والإمساك عن الخوض في معاني ذلك أولى. رياءً: مراءاةً للناس، أي ليروه ويثنوا عليه. سمعة: يسمع به الناس ويذيعوا صيته].

(٤) أي إمدادهم بالنعمة مع استمرارهم بالكفر والعصيان ليس من صالحهم، وإن ظنوه من حيث الظاهر مصلحة لهم، لأنهم سيزدادون بذلك إثماً، وسيكون عقابهم أشد وأفظع. ولهذا سمي كيداً ـ الذي هو في الأصل الاحتيال والخدع ـ لأنه على صورته.

(٥) مكلفون حملاً ثقيلاً مما يغرمونه لك.

ربه لنبذ ﴾ من بطن الحوت ﴿ بالعراء ﴾ بالأرض الفضاء ﴿ وهو مذموم ﴾[1] لكنه رحم فنبذ غير مذموم.

٥٠ ﴿ فاجتباه ربه ﴾ بالنبوة ﴿ فجعله من الصالحين ﴾ الأنبياء.

٥١ ﴿ وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك ﴾ بضم الياء وفتحها[2] ﴿ بأبصارهم ﴾ ينظرون إليك نظراً شديداً يكاد أن يصرعك ويسقطك من مكانك ﴿ لما سمعوا الذكر ﴾ القرآن ﴿ ويقولون ﴾ حسداً ﴿ إنه لمجنون ﴾ بسبب القرآن الذي جاء به.

٥٢ ﴿ وما هو ﴾ أي القرآن ﴿ إلا ذكر ﴾ موعظة ﴿ للعالمين ﴾ الجن والإنس، لا يحدث بسببه جنون.

(سورة الحاقة)

(مكية وآياتها إحدى ـ أو اثنتان ـ وخمسون آية)

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿ الحاقة ﴾ القيامة التي يحق فيها ما أنكر من البعث والحساب والجزاء، أو المظهرة لذلك.

٢ ﴿ ما الحاقة ﴾ تعظيم لشأنها، وهو مبتدأ وخبر، خبر الحاقة[3].

٣ ﴿ وما أدراك ﴾ أعلمك ﴿ما الحاقة﴾ زيادة تعظيم لشأنها، فما الأولى مبتدأ وما بعدها[4] خبره، وما الثانية وخبرها في محل المفعول الثاني لأدرى.

٤ ﴿ كذبت ثمود وعاد بالقارعة ﴾ القيامة، لأنها تقرع القلوب بأهوالها.

٥ ﴿ فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية ﴾ بالصيحة المجاوزة للحد في شدتها.

٦ ﴿ وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر ﴾ شديدة الصوت ﴿ عاتية ﴾ قوية شديدة على عاد مع قوتهم وشدتهم.

٧ ﴿ سخرها ﴾ أرسلها بالقهر ﴿ عليهم سبع ليال وثمانية أيام ﴾ أولها من صبح يوم الأربعاء لثمان بقين من شوال، وكانت في عجز الشتاء[5] ﴿ حسوماً ﴾ متتابعات، شبهت بتتابع فعل الحاسم في إعادة الكي على الداء كرة بعد أخرى حتى ينحسم[6] ﴿ فترى القوم

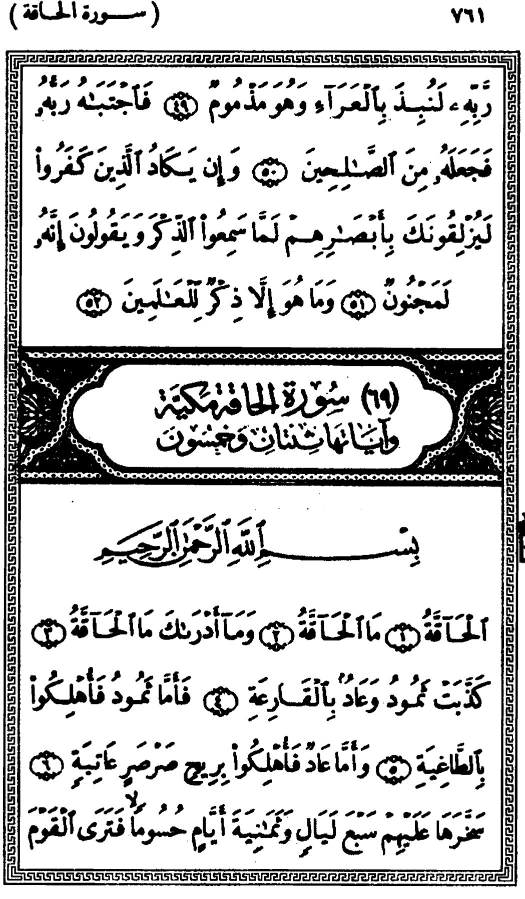
٧٦١ (سـورة الحآقة)

رَبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾

(٦٩) سُورَةُ الحَاقَّةِ مَكِّيَّة
وَآيَاتُهَا ثِنْتَانِ وَخَمْسُونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَآقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ

---

(١) أي ملام ومؤاخذ بذنبه.

(٢) ﴿لِيُزْلِقونك﴾ من أزلق، و﴿لَيَزْلقونك﴾ من زلق.

(٣) أي لفظ الحاقة الأول مبتدأ، وما مبتدأ ثانٍ، ولفظ الحاقة الثاني خبر ما، وجملة ﴿ما الحاقة﴾ من المبتدأ والخبر خبر المبتدأ الأول وهو لفظ الحاقة الأول.

(٤) أي والذي بعدها وهو جملة ﴿أدراك﴾.

(٥) أي في آخر فصل الشتاء.

(٦) أي ينتهي وتنقطع مادته.

سبب نزول الآية [٥١ ـ ٥٢]: قال الواحدي: نزلت حين أراد الكفار أن يعينوا رسول الله ﷺ فيصيبوه بالعين، فنظر إليه قوم من قريش فقالوا: ما رأينا مثله ولا مثل حججه، وكانت العين في بني أسد، حتى إن كانت الناقة السمينة والبقرة السمينة تمر بأحدهم فيعينها، ثم يقول: يا جارية، خذي المكتل والدرهم فأتينا بلحم من لحم هذه، فما تبرح حتى تقع بالموت، فتنحر.

وقال: وقال الكلبي: كان رجل يمكث، لا يأكل يومين أو ثلاثة، ثم يرفع جانب خبائه فتمر به النعم، فيقول: ما رعي اليوم إبل ولا غنم أحسن من هذه، فما تذهب إلا قريباً حتى يسقط منها طائفة وعدة، فسأل الكفار هذا الرجل أن يصيب رسول الله ﷺ بالعين، ويفعل به مثل ذلك، فعصم الله تعالى نبيه وأنزل هذه الآية.

[جارية: هي البنت الصغيرة، والمرأة المملوكة ولو كانت كبيرة، وهي المرادة هنا. المكتل: وعاء كالقفة منسوج من ورق النخل. تقع بالموت: أي في أسباب الموت. النعم: الإبل ونحوها. طائفة: هي القطعة من الشيء. عدة: عدد منها. فعصم: فحمى وحفظ]

فيها صرعى ﴾ مطروحين هالكين ﴿ كأنهم أعجاز ﴾ أصول ﴿ نخل خاوية ﴾ ساقطة فارغة.

٨ ﴿ فهل ترى لهم من باقية ﴾ صفة نفس مقدرة(١)، أو التاء للمبالغة، أي باقٍ؟ لا(٢).

٩ ﴿ وجاء فرعون ومن قِبَله ﴾ أتباعه، وفي قراءة بفتح القاف وسكون الباء، أي من تقدمه من الأمم الكافرة ﴿ والمؤتفكات ﴾ أهلها، وهي قرى قوم لوط ﴿ بالخاطئة ﴾ بالفعلات ذات الخطأ.

١٠ ﴿ فعصوا رسول ربهم ﴾ لوطاً وغيره ﴿ فأخذهم أخذة رابية ﴾ زائدة في الشدة على غيرها.

١١ ﴿ إنا لما طغا الماء ﴾ علا فوق كل شيء من الجبال وغيرها زمن الطوفان ﴿ حملناكم ﴾ يعني آباءكم إذ أنتم في أصلابهم ﴿ في الجارية ﴾ السفينة التي عملها نوح، ونجا هو ومن كان معه فيها، وغرق الآخرون.

١٢ ﴿ لنجعلها ﴾ هذه الفعلة، وهي إنجاء المؤمنين وإهلاك الكافرين ﴿ لكم تذكرة ﴾ عظة ﴿ وتعيها ﴾ ولتحفظها ﴿ أذن واعية ﴾ حافظة لما تسمع.

١٣ ﴿ فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة ﴾ للفصل بين الخلائق، وهي الثانية(٣).

١٤ ﴿ وحملت ﴾ رفعت ﴿ الأرض والجبال فدكتا ﴾ دقتا ﴿ دكة واحدة ﴾.

فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم
مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ
بِٱلْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً
رَّابِيَةً ﴿١٠﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾
لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِذَا نُفِخَ
فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ
فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾
وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ
أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾
يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ
كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى
ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾

١٥ ﴿ فيومئذٍ وقعت الواقعة ﴾ قامت القيامة.

١٦ ﴿ وانشقت السماء فهي يومئذٍ واهية ﴾ ضعيفة.

١٧ ﴿ والملك ﴾ يعني الملائكة ﴿ على أرجائها ﴾ جوانب السماء ﴿ ويحمل عرش ربك فوقهم ﴾ أي الملائكة المذكورين ﴿ يومئذٍ ثمانية ﴾ من الملائكة، أو من صفوفهم.

١٨ ﴿ يومئذٍ تعرضون ﴾ للحساب ﴿ لا تخفى ﴾ بالتاء والياء ﴿ منكم خافية ﴾ من السرائر.

١٩ ﴿ فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول ﴾ خطاباً لجماعته، لما سُرَّ به ﴿ هاؤم ﴾ خذوا ﴿ اقرؤوا كتابيه ﴾ تنازع فيه هاؤم واقرؤوا(٤).

٢٠ ﴿ إني ظننت ﴾ تيقنت ﴿ أني ملاق حسابيه ﴾(٥).

٢١ ﴿ فهو في عيشة راضية ﴾ مرضية.

---

(١) التقدير: من نفس باقية.

(٢) أخرج البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: (نصرت بالصبا، وأهلكت عاد بالدبور). [البخاري: الاستسقاء، باب: قول النبي ﷺ: (نصرت بالصبا) رقم: ٩٨٨. مسلم: الاستسقاء، باب: في ريح الصبا والدبور، رقم: ٩٠٠].
[الصبا: الريح التي تهب من الشرق، والدبور مقابلها].

(٣) لأن الثانية هي التي يكون بعدها الحساب والجزاء، والأولى هي التي يكون بها زلزلة القيامة. وقيل: هي النفخة الأولى.

(٤) أي تنازع العمل في المفعول ﴿كتابيه﴾ العاملان ﴿هاؤم﴾ و﴿اقرؤوا﴾ فيعمل فيه الثاني، ويضمر معمول للأول ويحذف، فيكون التقدير: خذوا كتابيه، اقرؤوا كتابيه.

(٥) فلذلك عملت بطاعة الله تعالى في الدنيا كي أنجو وأفوز في هذا الموقف. ويحتمل أن يكون المعنى: كان في ظني أني سأعاقب، لأن ما فعلته من عمل صالح في حياتي - على كثرته - لا يقابل نعم الله عز وجل، ولكن الله تعالى عاملني بإحسانه ونجاني بفضله، والله تعالى أعلم.

عن صفوان بن محرز المازني قال: بينما أنا أمشي مع ابن عمر رضي الله عنهما آخذ بيده، إذ عرض رجل فقال: كيف سمعت رسول الله ﷺ في النجوى؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره، فيقول: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم أي رب، حتى إذا قرره بذنوبه، ورأى في نفسه أنه هلك، قال: سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، فيعطى كتاب حسناته. وأما الكافر والمنافق، فيقول الأشهاد: ﴿هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين﴾ [هود: ١٨]) [البخاري: المظالم، باب: قول الله تعالى: ﴿ألا لعنة الله على الظالمين﴾ رقم: ٢٣٠٩. مسلم: التوبة، باب: قبول توبة القاتل وإن كثر قتله، رقم: ٢٧٦٨].

٢٢ ﴿ في جنة عالية ﴾.

٢٣ ﴿ قطوفها ﴾ ثمارها ﴿ دانية ﴾ قريبة، يتناولها القائم والقاعد والمضطجع.

٢٤ فيقال لهم ﴿ كلوا واشربوا هنيئاً ﴾ حال، أي متهنئين ﴿ بما أسلفتم في الأيام الخالية ﴾ الماضية في الدنيا.

٢٥ ﴿ وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول يا ﴾ للتنبيه ﴿ ليتني لم أوت كتابيه ﴾.

٢٦ ﴿ ولم أدر ما حسابيه ﴾.

٢٧ ﴿ يا ليتها ﴾ أي الموتة في الدنيا ﴿ كانت القاضية ﴾ القاطعة لحياتي، بأن لا أبعث.

٢٨ ﴿ ما أغنى عني ماليه ﴾.

٢٩ ﴿ هلك عني سلطانيه ﴾ قوتي وحجتي، وهاء كتابيه وحسابيه وماليه وسلطانيه للسكت، تثبت وقفاً ووصلاً، اتباعاً لمصحف الإمام والنقل(١)، ومنهم من حذفها وصلاً(٢).

٣٠ ﴿ خذوه ﴾ خطاب لخزنة جهنم ﴿ فغلوه ﴾ اجمعوا يديه إلى عنقه في الغل(٣).

فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا
هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ
كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ﴿٢٥﴾
وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾
مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴿٢٩﴾
خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ
ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ
بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾
فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ
غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴿٣٧﴾ فَلَا أُقْسِمُ
بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ
كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾

٣١ ﴿ ثم الجحيم ﴾ النار المحرقة ﴿ صلوه ﴾ أدخلوه.

٣٢ ﴿ ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً ﴾ بذراع الملك ﴿ فاسلكوه ﴾ أدخلوه فيها بعد إدخاله النار، ولم تمنع الفاء من تعلق الفعل بالظرف المتقدم(٤).

٣٣ ﴿ إنه كان لا يؤمن بالله العظيم ﴾.

٣٤ ﴿ ولا يحض على طعام المسكين ﴾(٥).

٣٥ ﴿ فليس له اليوم ها هنا حميم ﴾ قريب ينتفع به(٦).

٣٦ ﴿ ولا طعام إلا من غسلين ﴾ صديد أهل النار(٧)، أو شجر فيها.

٣٧ ﴿ لا يأكله إلا الخاطئون ﴾ الكافرون.

٣٨ ﴿ فلا ﴾ زائدة(٨) ﴿ أقسم بما تبصرون ﴾ من المخلوقات.

٣٩ ﴿ وما لا تبصرون ﴾ منها، أي بكل مخلوق.

٤٠ ﴿ إنه ﴾ أي القرآن ﴿ لقول رسول كريم ﴾ أي قاله رسالة عن الله تعالى.

٤١ ﴿ وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون ﴾.

---

(١) أي واتباعاً لما نقل عن رسول الله ﷺ في رسم القرآن.

(٢) أي من القراء الذين تواترت قراءاتهم، والحذف صحيح لغة، فيقرأ: كتابي، حسابي، مالي، سلطاني.

(٣) وهو القيد، وهو بضم الغين، وبكسرها ـ الغِل ـ معناه الحقد. (٤) وهو قوله ﴿في سلسلة﴾ وقدم الظرف ـ الذي هو الجار والمجرور ـ على الفعل ليدل على الاختصاص والاهتمام بذلك. (٥) أي لا يحث نفسه ولا غيره على ذلك.

(٦) يتألم لما يقع به ويحترق قلبه عليه فيسعى لتخفيف مصابه، فينتفع به. (٧) كأنه غسالة جروحهم وقروحهم.

(٨) أي ﴿لا﴾ زائدة إعراباً، يؤتى بها لتأكيد المعنى.

فائدة: عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: (يقول الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ذخراً، بله ما أطلعتم عليه). [البخاري: التفسير/ السجدة، باب: قوله: ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين﴾. مسلم: أوائل كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها] [ذخراً: جعلت ذلك مذخوراً لهم، أي مدخراً. بله ما أطلعتم عليه: أي دعوا ما أطلعتم عليه من نعيم الجنة وعرفتموه من لذاتها، فإنه سهل يسير في جانب ما ادخرته لكم].

وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (يعطى المؤمن جوازاً على الصراط ـ وفي رواية: لا يدخل الجنة أحد إلا بجواز ـ: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من الله العزيز الحكيم لفلان بن فلان، أدخلوه جنة عالية، قطوفها دانية). [أخرجه الطبراني والضياء المقدسي، كما ذكر ابن كثير في تفسيره].

وأخرج ابن أبي حاتم بسنده عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: سأل رجل رسول الله ﷺ: هل يتزاور أهل الجنة؟ قال: (نعم، إنه ليهبط أهل الدرجة العليا إلى أهل الدرجة السفلى، فيحيونهم ويسلمون عليهم، ولا يستطيع أهل الدرجة السفلى يصعدون إلى الأعلين، تقصر بهم أعمالهم). [تفسير ابن كثير].

٤٢ ﴿ ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكرون ﴾ بالتاء والياء في الفعلين(١)، وما مزيدة مؤكدة، والمعنى: أنهم آمنوا بأشياء يسيرة وتذكروها، مما أتى به النبي ﷺ من الخير والصلة والعفاف، فلم تغن عنهم شيئاً.

٤٣ بل هو ﴿ تنزيل من رب العالمين ﴾.

٤٤ ﴿ ولو تقول ﴾ أي النبي ﷺ ﴿ علينا بعض الأقاويل ﴾ بأن قال عنا ما لم نقله.

٤٥ ﴿ لأخذنا ﴾ لنلنا ﴿ منه ﴾ عقاباً ﴿ باليمين ﴾ بالقوة والقدرة.

٤٦ ﴿ ثم لقطعنا منه الوتين﴾ نياط القلب، وهو عرق متصل به، إذا انقطع مات صاحبه.

٤٧ ﴿ فما منكم من أحد ﴾ هو(٢) اسم ما، ومن زائدة لتأكيد النفي، ومنكم حال من«أحد»(٣) ﴿عنه حاجزين ﴾ مانعين، خبر ما، وجمع لأن أحداً في سياق النفي بمعنى الجمع، وضمير عنه للنبي ﷺ، أي لا مانع لنا عنه من حيث العقاب(٤).

٤٨ ﴿ وإنه ﴾ أي القرآن ﴿ لتذكرة للمتقين ﴾.

٤٩ ﴿ وإنا لنعلم أن منكم ﴾ أيها الناس ﴿ مكذبين ﴾ بالقرآن ومصدقين.

٥٠ ﴿ وإنه ﴾ أي القرآن ﴿لحسرة على الكافرين﴾ إذا رأوا ثوب الصدق وعقاب المكذبين به.

٥١ ﴿وإنه﴾ أي القرآن ﴿لحق اليقين﴾ أي اليقين الحق للمتقين.

٥٢ ﴿ فسبح ﴾ نزه ﴿ باسم ﴾ الباء زائدة ﴿ ربك العظيم ﴾ سبحانه.

(سورة المعارج)

(مكية وآياتها أربع وأربعون آية)

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿ سأل سائل ﴾ دعا داعٍ ﴿ بعذاب واقع ﴾.

٢ ﴿ للكافرين ليس له

وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ
ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾
لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ﴿٤٦﴾
فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذۡكِرَةٞ
لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعۡلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ
لَحَسۡرَةٌ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلۡيَقِينِ ﴿٥١﴾
فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٥٢﴾

(٧٠) سُورَةُ المَعَارِجِ مَكِّيَّة
وَآيَاتُهَا أَرۡبَع وَأَرۡبَعُون

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ﴿١﴾ لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: خرجت أتعرض رسول الله ﷺ قبل أن أسلم، فوجدته قد سبقني إلى المسجد، فقمت خلفه، فاستفتح سورة الحاقة، فجعلت أعجب من تأليف القرآن. قال: فقلت: هذا والله شاعر كما قالت قريش. قال: فقرأ: ﴿إنه لقول رسول كريم. وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون﴾ قال: قلت: كاهن. قال: ﴿ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكرون. تنزيل من رب العالمين. ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين، ثم لقطعنا منه الوتين. فما منكم من أحد عنه حاجزين) إلى آخر السورة. قال: فوقع الإسلام في قلبي كُلُّ موقع. [مسند أحمد: ١/١٧].

عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: لما نزلت: ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾ قال رسول الله ﷺ: (اجعلوها في ركوعكم). فلما نزلت: ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ قال: (اجعلوها في سجودكم). زاد في رواية: فكان رسول الله ﷺ إذا ركع قال: (سبحان ربي العظيم وبحمده) ثلاثاً. وإذا سجد قال: (سبحان ربي الأعلى وبحمده) ثلاثاً. [أبو داود: الصلاة، باب ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده].

سبب نزول الآية [١] وما بعدها: أخرج النسائي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿سأل سائل﴾ قال: هو النضر بن الحارث، قال: ﴿اللهم إن كان هذا هو الحقّ من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء﴾. أي فأنزل الله تعالى هذا القول على لسانه قرآناً في سورة الأنفال [٣٢]. وعن الحسن قال: نزلت: ﴿سأل سائل بعذاب واقع﴾ فقال الناس: على من يقع العذاب؟ فأنزل الله: ﴿للكافرين ليس له دافع﴾ [السيوطي]

---

(١) أي في ﴿تؤمنون﴾ آخر الآية قبلها و ﴿تذكرون﴾ هنا.

(٢) أي قوله ﴿أحد﴾ فهو مجرور لفظاً، مرفوع محلاً.

(٣) أي قوله ﴿منكم﴾ من الجار والمجرور متعلق بحال محذوف تقديره: كائناً منكم، وإنما أعربت حالاً لأنها صفة لنكرة تقدمت عليها، فالأصل: فما من أحد منكم، أي موصوف أنه منكم، فمنكم صفة ﴿أحد﴾ وهي نكرة، فتقدمت عليها، فأعربت حالاً.

(٤) والمعنى: لو قال محمد - ﷺ - قولاً علينا لم نقله لعاقبناه، ولا يوجد أحد منكم يحجزنا ويمنعنا من عقابه، وطالما أن هذا لم يحصل دل على أنه لم يقل شيئاً من عند نفسه.

دافع ﴾ هو النضر بن الحارث، قال: «اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء» الآية[1].

٣ ﴿ من الله ﴾ متصل بواقع ﴿ ذي المعارج ﴾ مصاعد الملائكة، وهي السماوات[2].

٤ ﴿ تعرج ﴾ بالتاء والياء ﴿ الملائكة والروح ﴾ جبريل ﴿ إليه ﴾ إلى مهبط أمره من السماء ﴿ في يوم ﴾ متعلق بمحذوف، أي يقع العذاب بهم في يوم القيامة ﴿ كان مقداره خمسين ألف سنة ﴾ بالنسبة إلى الكافر، لما يلقى فيه من الشدائد، وأما المؤمن فيكون عليه أخف من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا، كما جاء في الحديث[3].

٥ ﴿ فاصبر ﴾ وهذا قبل أن يؤمر بالقتال[4] ﴿ صبراً جميلاً ﴾ أي لا جزع فيه.

٦ ﴿ إنهم يرونه ﴾ أي العذاب ﴿ بعيداً ﴾ غير واقع.

٧ ﴿ ونراه قريباً ﴾ واقعاً لا محالة.

٨ ﴿ يوم تكون السماء ﴾ متعلق بمحذوف تقديره يقع ﴿ كالمهل ﴾ كذائب الفضة.

٩ ﴿ وتكون الجبال كالعهن ﴾ كالصوف في الخفة والطيران بالريح.

دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ
وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾
فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ
قَرِيبًا ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ
ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾
يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ
بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي
تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهَا
لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾
وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴿١٨﴾ * إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾
إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾
إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾

١٠ ﴿ولا يسأل حميم حميماً﴾ قريب قريبه، لاشتغال كل بحاله.

١١ ﴿ يبصرونهم ﴾ أي يبصر الأحمَّاء بعضهم بعضاً، ويتعارفون ولا يتكلمون، والجملة مستأنفة ﴿ يود المجرم ﴾ يتمنى الكافر ﴿ لو ﴾ بمعنى أن ﴿ يفتدي من عذاب يومئذٍ ﴾ بكسر الميم وفتحها ﴿ ببنيه ﴾.

١٢ ﴿ وصاحبته ﴾ زوجته ﴿ وأخيه ﴾.

١٣ ﴿ وفصيلته ﴾ عشيرته، لفصله منها ﴿ التي تؤويه ﴾ تضمه[5].

١٤ ﴿ ومن في الأرض جميعاً ثم ينجيه ﴾ ذلك الافتداء، عطف على يفتدي.

١٥ ﴿ كلا ﴾ رد لما يوده ﴿ إنها ﴾ أي النار ﴿ لظى ﴾ اسم لجهنم، لأنها تتلظى، أي تتلهب على الكفار.

١٦ ﴿ نزاعة للشوى ﴾ جمع شواة، وهي جلدة الرأس.

١٧ ﴿ تدعو من أدبر وتولى ﴾ عن الإيمان، بأن تقول: إليَّ إليَّ.

١٨ ﴿ وجمع ﴾ المال ﴿ فأوعى ﴾ أمسكه في وعائه ولم يؤدِ حق الله منه.

١٩ ﴿إن الإنسان خلق هلوعاً﴾ حال مقدرة[6]، وتفسيره:

٢٠ ﴿ إذا مسه الشر جزوعاً ﴾ وقت مس الشر[7].

٢١ ﴿ وإذا مسه الخير منوعاً ﴾ وقت مس الخير، أي المال، لحق الله منه[8].

٢٢ ﴿ إلا المصلين ﴾ أي المؤمنين.

٢٣ ﴿ الذين هم على صلاتهم دائمون ﴾ مواظبون.

---

(١) أي قال ما ذكره القرآن من قوله في الآية /٣٢/ من سورة الأنفال.

(٢) ﴿ذي المعارج﴾ أي صاحبها وخالقها، فليس لغيره مدخل فيها. و ﴿معارج﴾ جمع معرَج وهو موضع الصعود. وقيل: المعنى: معارج الأعمال الصالحة، فإنها تتفاوت بحسب الإخلاص.

(٣) روى البغوي بسنده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قيل لرسول الله ﷺ: يوم كان مقداره خمسين ألف سنة؟ فما أطول هذا اليوم. فقال رسول الله ﷺ: (والذي نفسي بيده، إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون عليه أخف من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا). [مسند أحمد: ٣/٧٥]

(٤) أي الصبر على أذى الكفار دون الرد عليهم كان قبل الأمر بقتالهم، وأما بعده فإنهم يقاتلون، لأنهم لم يبق لهم عذر في معارضة الحق بعد أن وضح وضوح الشمس في وسط النهار.

(٥) في النسب، وتنصره عند الشدة في الدنيا.

(٦) أي مقدرة فيما سيكون، لأنه حين خلق لم يكن متصفاً بهذا.

(٧) والجزع هو الضعف عن تحمل ما ينزل بالإنسان.

(٨) أي إذا حصل له المال والنعمة كان كثير المنع لحق الله تعالى من ذلك المال، وهو نصيب الفقراء والمساكين وغيرهم ممن يستحقون النفقة.

٢٤ ﴿ والذين في أموالهم حق معلوم ﴾ هو الزكاة.

٢٥ ﴿ للسائل والمحروم ﴾ المتعفف عن السؤال فَيُحْرَم.

٢٦ ﴿ والذين يصدقون بيوم الدين ﴾ الجزاء.

٢٧ ﴿ والذين هم من عذاب ربهم مشفقون ﴾ خائفون.

٢٨ ﴿ إن عذاب ربهم غير مأمون ﴾ نزوله.

٢٩ ﴿ والذين هم لفروجهم حافظون ﴾(١).

٣٠ ﴿ إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم ﴾ من الإماء ﴿ فإنهم غير ملومين ﴾(٢).

٣١ ﴿ فمن ابتغى وراء ذلك(٣) فأولئك هم العادون﴾ المتجاوزون الحلال إلى الحرام.

٣٢ ﴿ والذين هم لأماناتهم ﴾ وفي قراءة بالإفراد(٤)، ما ائتمنوا عليه من أمر الدين والدنيا ﴿ وعهدهم ﴾ المأخوذ عليهم في ذلك ﴿ راعون ﴾ حافظون.

٣٣ ﴿ والذين هم بشهادتهم ﴾ وفي قراءة بالجمع(٥) ﴿ قائمون ﴾ يقيمونها ولا يكتمونها.

٣٤ ﴿ والذين هم على صلاتهم يحافظون ﴾ بأدائها في أوقاتها.

٣٥ ﴿ أولئك في جنات مكرمون ﴾.

٣٦ ﴿ فمال الذين كفروا قبلك ﴾ نحوك ﴿ مهطعين ﴾ حال، أي مديمي النظر(٦).

٣٧ ﴿ عن اليمين وعن الشمال ﴾ منك ﴿ عزين ﴾ حال أيضاً، أي جماعات، حلقاً حلقاً، يقولون استهزاءً بالمؤمنين: لئن دخل هؤلاء الجنة لندخلنها قبلهم. قال تعالى:

٣٨ ﴿ أيطمع كل امرىء منهم أن يدخل جنة نعيم ﴾.

٣٩ ﴿ كلا ﴾ ردع لهم عن طمعهم في دخول الجنة ﴿ إنا خلقناهم ﴾ كغيرهم ﴿ مما يعلمون ﴾ من نطف، فلا يُطْمَع بذلك في الجنة، وإنما يطمع فيها بالتقوى.

٤٠ ﴿ فلا ﴾ لا زائدة ﴿ أقسم برب المشارق

وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾
وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ
رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾
وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ
أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ
وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ
لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ
قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾
أُو۟لَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾ فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾
أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّآ
إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ

---

(١) أي عن المحرمات، فلا يقعون في الفاحشة.

(٢) إذا لم يحفظوا فروجهم من أزواجهم وما ملكت أيمانهم، لحل ذلك لهم.

(٣) ﴿ابتغى وراء ذلك﴾ أي طلب وسعى أن يستمتع بغير أزواجه أو ما ملكت يمينه.

(٤) أي ﴿لأمانتهم﴾.

(٥) أي ﴿بشهاداتهم﴾.

(٦) أو: مقبلين مسرعين إليك، وأعناقهم ممتدة، يديمون النظر إليك، ويتطلعون نحوك.

فائدة: في التحذير من منع الزكاة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: (تأتي الإبل على صاحبها على خير ما كانت، إذا هو لم يعط فيها حقها، تطؤه بأخفافها. وتأتي الغنم على صاحبها على خير ما كانت، إذا لم يعط فيها حقها، تطؤه بأظلافها، وتنطحه بقرونها). وقال: (ومن حقها أن تحلب على الماء). [البخاري: الزكاة، باب إثم مانع الزكاة، رقم: ١٣٣٧. مسلم: الزكاة، باب: إثم مانع الزكاة، رقم: ٩٨٧]. [تأتي: يخلقها الله تعالى يوم القيامة. على خير.. من القوة والسمن. بأخفافها: جمع خف، وهو للإبل كالقدم من الإنسان، ومثله الظلف من الغنم، وهو مفرد أظلاف. أن تحلب..: أي عند ورودها الماء لتشرب، فتحلب ويعطى من لبنها من حضر من المساكين الذين لا لبن عندهم].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من آتاه الله مالاً، فلم يؤد زكاته، مثل له يوم القيامة شجاعاً أقرع له زبيبتان، يطوقه يوم القيامة، ثم يأخذ بِلْهِزِمَتَيْه - يعني شدقيه - ثم يقول: أنا مالك، أنا كنزك، ثم تلا: ﴿ولا يحسبن الذين يبخلون﴾ الآية). [البخاري: الزكاة، باب: إثم مانع الزكاة، رقم: ١٣٣٨]. [مثل: صُيِّر. شجاعاً: ثعباناً. أقرع: لا شعر له، وهو كناية عن كثرة سمه لطول عمره. زبيبتان: نابان يخرجان من فمه،=

سبب نزول الآية [٣٦ وما بعدها]: قال الواحدي: قال المفسرون: كان المشركون يجتمعون حول النبي ﷺ يستمعون كلامه ولا ينتفعون به، بل يكذبون به ويستهزئون، ويقولون: لئن دخل هؤلاء الجنة لندخلنها قبلهم، وليكونن لنا فيها أكثر مما لهم. فأنزل الله تعالى هذه الآية.

والمغارب ﴾ للشمس والقمر وسائر الكواكب ﴿ إنا لقادرون ﴾.

٤١ ﴿ على أن نبدل ﴾ نأتي بدلهم ﴿ خيراً منهم وما نحن بمسبوقين ﴾ بعاجزين عن ذلك.

٤٢ ﴿ فذرهم ﴾ اتركهم ﴿ يخوضوا ﴾ في باطلهم ﴿ ويلعبوا ﴾ في دنياهم ﴿ حتى يلاقوا ﴾ يلقوا ﴿ يومهم الذي يوعدون ﴾ فيه العذاب.

٤٣ ﴿ يوم يخرجون من الأجداث ﴾ القبور ﴿ سراعاً ﴾ إلى المحشر ﴿ كأنهم إلى نَصْب ﴾ وفي قراءة بضم الحرفين(١)، شيء منصوب كعلم أو راية ﴿ يوفضون ﴾ يسرعون.

٤٤ ﴿ خاشعة ﴾ ذليلة ﴿ أبصارهم ترهقهم ﴾ تغشاهم ﴿ ذلة ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون ﴾ ذلك مبتدأ وما بعده الخبر، ومعناه يوم القيامة.

(سورة نوح)

(مكية، وآياتها ثمان ـ أو: تسع ـ وعشرون آية)

وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا
نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟
يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ
سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ
تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾

(٧١) سُورَةُ نُوحٍ مَكِّيَّة
وَآيَاتُهَا ثَمَانٍ وَعِشْرُونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن
يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ
مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿ إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه أن أنذر ﴾ أي بإنذار ﴿ قومك من قبل أن يأتيهم ﴾ إن لم يؤمنوا ﴿ عذاب أليم ﴾ مؤلم في الدنيا والآخرة.

٢ ﴿ قال يا قوم إني لكم نذير مبين ﴾ بين الإنذار.

٣ ﴿ أن ﴾ أي بأن أقول لكم ﴿ اعبدوا الله واتقوه وأطيعون ﴾.

٤ ﴿ يغفر لكم من ذنوبكم ﴾ من زائدة، فإن الإسلام يغفر به ما قبله(٢)،

---

(١) أي ﴿نُصُب﴾ وهي قراءة سبعية، ومعناه: الصنم المنصوب للعبادة والتعظيم، الذي يسرع إليه من يعبده ويعظمه. وعلى القراءة الأولى: فالمعنى ـ كما قال المفسر ـ هو الشيء المنصوب. كعلم أو راية، ليكون علامة يسرع إليه الشخص عند الشدائد، ليجد عنده من يؤويه أو ينصره.

(٢) على القول بزيادة ﴿مِنْ﴾ يكون التقدير: يغفر لكم ذنوبكم، أي جميعها، لأن الإسلام يمحو ما قبله من الذنوب. روى الإمام أحمد في مسنده [٢٠٥/٤] عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: لما ألقى الله عز وجل في قلبي الإسلام أتيت النبي ﷺ ليبايعني، فبسط يده إليَّ، فقلت: لا أبايعك يا رسول الله حتى تغفر لي ما تقدم من ذنبي. فقال لي رسول الله ﷺ: (يا عمرو، أما علمت أن الهجرة تَجُبُّ ما قبلها من الذنوب؟ يا عمرو، أما علمت أن الإسلام يَجُبُّ ما كان قبله من الذنوب). يجب: من الجَبّ، وهو القطع والاستئصال، ومنه المحو.

= أو نقطتان سوداوان فوق عينيه، وهو أوحش ما يكون من الحيات وأخبثه. يطوقه: يجعل في عنقه كالطوق. شدقيه: جانبي فمه. الآية: ١٨٠ من سورة آل عمران، فانظرها في موضعها].

وعن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: كنت عند رسول الله ﷺ، فجاءه رجلان، أحدهما يشكو العيلة، والآخر يشكو قطع السبيل، فقال رسول الله ﷺ: (أما قطع السبيل: فإنه لا يأتي عليك إلا قليل حتى تخرج العير إلى مكة بغير خفير. وأما العيلة: فإن الساعة لا تقوم حتى يطوف أحدكم بصدقته، لا يجد من يقبلها منه. ثم ليقفن أحدكم بين يدي الله، ليس بينه وبينه حجاب، ولا ترجمان يترجم له، ثم ليقولن له: ألم أوتك مالاً؟ فليقولن: بلى، ثم ليقولن: ألم أرسل إليك رسولاً؟ فليقولن: بلى، فينظر عن يمينه فلا يرى إلا النار،ثم ينظر عن شماله فلا يرى إلا النار. فليتقين أحدكم النار ولو بشق تمرة، فإن لم يجد فبكلمة طيبة). [البخاري: الزكاة، باب: الصدقة قبل الرد، رقم: ١٣٤٧. مسلم: الزكاة، باب: الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة، رقم: ١٠١٦]. [العيلة: الفقر. قطع الطريق: منع الناس من السلوك فيه من قبل عصابة يترصدون المارين، لأخذ مالهم أو قتلهم أو إرعابهم. قليل: من الزمن. العير: الإبل المحملة بالتجارة. خفير: مجير حارس ليكون الناس في ضمانه وذمته. يطوف: يدور. حجاب: حاجز يحجب نوره عن الناس، بل تقوى الأبصار على مشاهدته سبحانه. ترجمان: من ينقل الكلام من لغة إلى أخرى، والمعنى: أنه سبحانه يخاطب عباده مباشرة. فليتقين: فليحفظن نفسه. بشق: بنصف. طيبة: جميلة يرد بها السائل ويطيب نفسه وقلبه].

أو تبعيضية(١)، لإخراج حقوق العباد ﴿ ويؤخركم ﴾ بلا عذاب ﴿ إلى أجل مسمى ﴾ أجل الموت ﴿ إن أجل الله ﴾ بعذابكم إن لم تؤمنوا ﴿ إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون ﴾ ذلك لآمنتم.

٥ ﴿ قال رب إني دعوت قومي ليلاً ونهاراً ﴾ أي دائماً متصلاً.

٦ ﴿ فلم يزدهم دعائي إلا فراراً ﴾ عن الإيمان.

٧ ﴿ وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم ﴾ لئلا يسمعوا كلامي ﴿ واستغشوا ثيابهم ﴾ غطوا رؤوسهم بها لئلا يبصروني ﴿ وأصروا ﴾ على كفرهم ﴿ واستكبروا ﴾ تكبروا عن الإيمان ﴿ استكباراً ﴾.

٨ ﴿ ثم إني دعوتهم جهاراً ﴾ أي بأعلى صوتي.

٩ ﴿ ثم إني أعلنت لهم ﴾ صوتي ﴿ وأسررت ﴾ الكلام ﴿لهم إسراراً﴾.

١٠ ﴿ فقلت استغفروا ربكم ﴾ من الشرك ﴿ إنه كان غفاراً ﴾.

١١ ﴿ يرسل السماء ﴾ المطر، وكانوا قد مُنِعُوه ﴿ عليكم مدراراً ﴾ كثير الدرور(٢).

١٢ ﴿ ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ﴾ بساتين ﴿ ويجعل لكم أنهاراً ﴾ جارية.

١٣ ﴿ ما لكم لا ترجون لله وقاراً ﴾ أي تأملون وقار الله إياكم بأن تؤمنوا(٣).

١٤ ﴿ وقد خلقكم أطواراً ﴾ جمع طور، وهو الحال، فطوراً نطفة، وطوراً علقة، إلى تمام خلق الإنسان. والنظر في خلقه يوجب الإيمان بخالقه.

١٥ ﴿ ألم تروا ﴾ تنظروا ﴿ كيف خلق الله سبع سماوات طباقاً ﴾ بعضها فوق بعض.

١٦ ﴿ وجعل القمر فيهن ﴾ أي في مجموعهن الصادق بالسماء الدنيا(٤) ﴿ نوراً وجعل

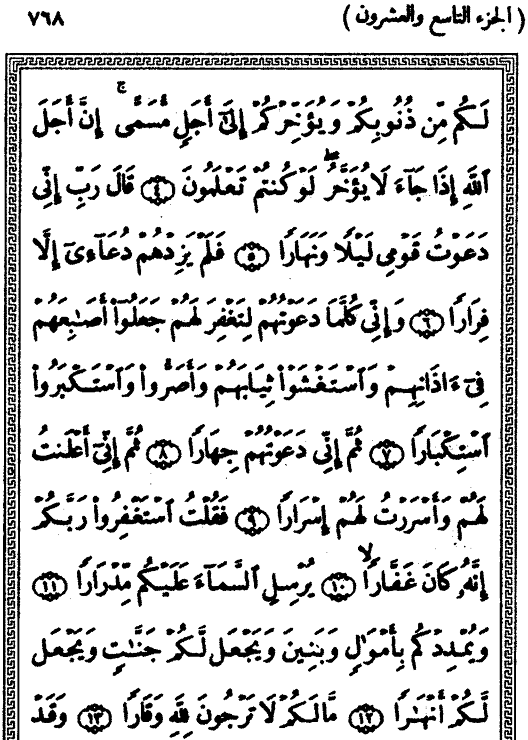

(الجزء التاسع والعشرون) ٧٦٨

لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ
ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي
دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا
فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ
فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ
ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ
لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ
إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًاۙ ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾
وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل
لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ
خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْاْ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ
سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ

---

(١) أي يغفر لكم بعض ذنوبكم التي هي حقوق خالصة لله تعالى، وأما الذنوب التي تتعلق بحقوق العباد: فلا بد لغفرانها من أداء الحقوق لأصحابها، أو استحلالهم منها.

(٢) الدر في الأصل: هو حلب الشاة حالاً بعد حال، شبه به المطر لتتابعه.

(٣) أي ما الذي يمنعكم أن ترجوا توقير الله لكم بالثواب بسبب إيمانكم. أو المراد: مالكم لا ترون عظمة لله تعالى، فلا تخافونه ولا تعرفون له حقاً ولا تشكرون له نعمة.

(٤) لأنها هي التي تظهر لنا، وهي المزينة بالكواكب. انظر/ الصافات: ٦/.

فائدة: في صلاة الاستسقاء. هي سنة عينية مؤكدة في حق كل من تلزمه الجمعة، وهي ركعتان كغيرها من الصلوات، إلا أنه يجهر فيهما بالقراءة، لأنها صلاة ذات خطبة، وكل صلاة هكذا صفتها يندب فيها الجهر، كي يسمعها الناس المجتمعون، كالعيد والجمعة. عن عبد الله بن زيد المازني رضي الله عنه: أن النَّبي ﷺ خرج إلى المصلى فاستسقى، فاستقبل القبلة، وقلب رداءه، وصلى ركعتين. [البخاري: الاستسقاء، باب: تحويل الرداء في الاستسقاء، رقم: ٩٦٦. مسلم: أول كتاب الاستسقاء، رقم: ٨٩٤] وفي رواية عند البخاري: ثم صلى ركعتين، جهر فيهما بالقراءة. [البخاري: الاستسقاء، باب: الجهر بالقراءة في الاستسقاء، رقم: ٩٧٨]. ويقرأ فيهما بما يقرؤه في صلاة العيد، فيقرأ بعد الفاتحة في الأولى سورة: ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ وفي الثانية سورة: ﴿هل أتاك حديث الغاشية﴾. ويندب أن يخطب بعدها خطبتين كخطبتي العيد، يجلس أول كل منهما، ويجلس بينهما، ويتوكأ على عصا أو نحوها. ويندب فيهما الاستغفار في أول كل منهما بلا حد، بدل التكبير في خطبتي العيد. قال الله تعالى: ﴿استغفروا ربكم إنه كان غفاراً. يرسل السماء عليكم مدراراً﴾ [نوح: ١٠-١١] أي كثير الدر. كما يندب فيهما أن يعظ الناس ويخوفهم من الله تعالى، ويأمرهم بالتوبة والإنابة إلى الله عز وجل، والصدقة والبر والمعروف، ويبين لهم أن المعاصي سبب القحط والبلاء.

الشمس سراجاً ﴾ مصباحاً مضيئاً، وهو أقوى من نور القمر.

١٧ ﴿ والله أنبتكم ﴾ خلقكم ﴿ من الأرض ﴾ إذ خلق أباكم آدم منها ﴿ نباتاً ﴾.

١٨ ﴿ ثم يعيدكم فيها ﴾ مقبورين ﴿ ويخرجكم ﴾ للبعث ﴿ إخراجاً ﴾.

١٩ ﴿ والله جعل لكم الأرض بساطاً ﴾ مبسوطة.

٢٠ ﴿ لتسلكوا منها سبلاً ﴾ طرقاً ﴿ فجاجاً ﴾ واسعة.

٢١ ﴿ قال نوح رب إنهم عصوني واتبعوا ﴾ أي السفلة والفقراء ﴿ من لم يزده ماله وولده ﴾ وهم الرؤساء المنعم عليهم بذلك، وولد بضم الواو وسكون اللام وبفتحهما، والأول(١): قيل جمع ولد ـ بفتحهما ـ كخَشب وخُشْب، وقيل بمعناه كبخل وبخل(٢) ﴿ إلا خساراً ﴾ طغياناً وكفراً.

٢٢ ﴿ ومكروا ﴾ أي الرؤساء ﴿ مكراً كباراً ﴾ عظيماً جداً، بأن كذبوا نوحاً وآذوه ومن اتبعه.

٢٣ ﴿ وقالوا ﴾ للسفلة ﴿ لا تذرن آلهتكم(٣) ولا تذرن وداً ﴾ بفتح الواو وضمها ﴿ ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً ﴾(٤) هي أسماء أصنامهم(٥).

ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ
نَبَاتٗا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ
جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا ﴿١٩﴾ لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا سُبُلٗا
فِجَاجٗا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٞ رَّبِّ إِنَّهُمۡ عَصَوۡنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن
لَّمۡ يَزِدۡهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارٗا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا
كُبَّارٗا ﴿٢٢﴾ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا
سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ﴿٢٣﴾ وَقَدۡ أَضَلُّواْ كَثِيرٗاۖ
وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلٗا ﴿٢٤﴾ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمۡ
أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ
أَنصَارٗا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ
ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ
وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارٗا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ

٢٤ ﴿ وقد أضلوا ﴾ بها ﴿ كثيراً ﴾ من الناس، بأن أمروهم بعبادتها ﴿ ولا تزد الظالمين إلا ضلالاً ﴾ عطفاً على «قد أضلوا» دعا عليهم لما أوحي إليه «وأنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن»/ هود: ٣٦/.

٢٥ ﴿ مما ﴾ ما صلة ﴿ خطاياهم ﴾ وفي قراءة «خطيئاتهم» بالهمز ﴿ أغرقوا ﴾ بالطوفان ﴿ فأدخلوا ناراً ﴾ عوقبوا بها عقب الإغراق تحت الماء ﴿ فلم يجدوا لهم من دون ﴾ أي غير ﴿ الله أنصاراً ﴾ يمنعون عنهم العذاب.

٢٦ ﴿ وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً ﴾ أي نازل دار، والمعنى: أحداً.

٢٧ ﴿ إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً ﴾ من يفجر ويكفر، قال ذلك لما تقدم من الإيحاء إليه.

٢٨ ﴿ رب اغفر لي ولوالدي ﴾ وكانا مؤمنين

---

(١) أي وُلْد، بضم الواو وسكون اللام. وهي قراءة متواترة.

(٢) أي ولد ـ بضم الواو وسكون اللام ـ بمعنى ولد ـ بفتح الواو واللام ـ مثل بُخْل وبَخَل، فهما بمعنى واحد.

(٣) أي لا تتركوا عبادتها.

(٤) أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد: أما ود فكانت لكلب بدومة الجندل، وأما سواع فكانت لهذيل، وأما يغوث فكانت لمراد ثم صارت لبني غطيف بالجوف عند سبأ، وأما يعوق فكانت لهَمْدان، وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع. أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم: أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً، وسموها بأسمائهم. ففعلوا، فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبدت. [التفسير/نوح، باب: ﴿ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق﴾ رقم: ٤٦٣٦].

[بدومة الجندل: مدينة بين المدينة والعراق وبلاد الشام. هذيل: قبيلة من قبائل العرب وكذلك مراد وغطيف وهَمْدان وحمير وذو الكلاع. بالجوف: اسم واد في اليمن، والجوف كل منخفض من الأرض. أنصاباً: جمع نُصُب، وهو حجر أو صنم ينصب تخليداً لذكرى رجل أو غيره. هلك أولئك: مات الذين نصبوا الأنصاب تخليداً لذكرى من سبق. تنسخ العلم: زالت معرفة الناس بالأسباب التي نصبت من أجلها].

(٥) قيل هذه أسماء كانت لرجال صالحين من قوم نوح، فلما ماتوا نصبوا لهم أنصاباً في مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها وسموها بأسمائهم، فجاءت أجيال من بعد فعبدوها. وهكذا تنشأ الوثنية في كل أمة.

﴿ ولمن دخل بيتي ﴾ منزلي، أو: مسجدي ﴿ مؤمناً وللمؤمنين والمؤمنات ﴾ إلى يوم القيامة ﴿ ولا تزد الظالمين إلا تباراً ﴾ هلاكاً، فأهلكوا.

(سورة الجن)

(مكية وآياتها ثمان وعشرون آية)

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿ قل ﴾ يا محمد للناس ﴿ أوحي إليّ ﴾ أي أخبرت بالوحي من الله تعالى ﴿ أنه ﴾ الضمير للشأن ﴿ استمع ﴾ لقراءتي ﴿ نفر من الجن ﴾ جن نصيبين، وذلك في صلاة الصبح، ببطن نخل ـ موضع بين مكة والطائف ـ وهم الذين ذكروا في قوله تعالى: «وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن» الآية/ الأحقاف: ٢٩/ ﴿ فقالوا ﴾ لقومهم لما رجعوا إليهم ﴿ إنا سمعنا قرآناً عجباً ﴾ يتعجب منه، في فصاحته وغزارة معانيه وغير ذلك.

٢ ﴿ يهدي إلى الرشد ﴾ الإيمان والصواب ﴿ فآمنا به ولن نشرك ﴾ بعد اليوم ﴿ بربنا أحداً ﴾.

وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَلَا
تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارَۢا ﴿٢٨﴾

(٧٢) سُورَةُ الجِنِّ مَكِّيَّة
وآياتها ثمان وعشرون

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا
قُرۡءَانًا عَجَبٗا ﴿١﴾ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ
بِرَبِّنَآ أَحَدٗا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةٗ
وَلَا وَلَدٗا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطٗا ﴿٤﴾
وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ﴿٥﴾
وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٞ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٖ مِّنَ ٱلۡجِنِّ

٣ ﴿ وأنه ﴾ الضمير للشأن فيه وفي الموضعين بعده ﴿ تعالى جد ربنا ﴾ تنزه جلاله وعظمته عما نسب إليه ﴿ ما اتخذ صاحبة ﴾ زوجة ﴿ ولا ولداً ﴾.

٤ ﴿ وأنه كان يقول سفيهنا ﴾ جاهلنا ﴿ على الله شططاً ﴾ غلواً في الكذب، بوصفه بالصاحبة والولد.

٥ ﴿ وأنا ظننا أن ﴾ مخففة، أي أنه ﴿ لن تقول الإنس والجن على الله كذباً ﴾ بوصفه بذلك، حتى تبينا كذبهم بذلك. قال تعالى:

٦ ﴿ وأنه كان رجال من الإنس يعوذون ﴾ يستعيذون ﴿ برجال من الجن ﴾ حين ينزلون في سفرهم بمخوف، فيقول كل رجل: أعوذ بسيد هذا المكان من شر سفهائه

فائدة: أخرج ابن الجوزي في كتاب [صفوة الصفوة] بسنده، عن سهل بن عبد الله قال: كنت في ناحية ديار عاد إذ رأيت مدينة من حجر منقور، في وسطها قصر من حجارة، تأويه الجنّ، فدخلت فإذا شيخ عظيم الخلق يصلي نحو الكعبة، وعليه جبة صوف فيها طراوة، فلم أتعجب من عظم خلقته كتعجبي من طراوة جبته، فسلمت عليه فردّ عليّ السلام، وقال: يا سهل، إن الأبدان لا تُخْلِقُ الثياب، وإنما تخلقها روائح الذنوب ومطاعم السحت، وإن هذه الجبة عليّ منذ سبعمائة سنة، لقيت فيها عيسى ومحمداً عليهما الصلاة والسلام فآمنت بهما، فقلت له: ومن أنت؟ قال: من الذين نزلت فيهم: ﴿ قل أُوحِيَ إليّ أنه استمع نفر من الجنّ ﴾ [تخلق: تبلى وتهترىء. السحت: الحرام].

سبب نزول الآية [١]: وما بعدها: أخرج البخاري [صفة الصلاة، باب: الجهر بقراءة صلاة الفجر، رقم: ٧٣٩] ومسلم [الصلاة، باب: الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن، رقم: ٤٤٩] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ما قرأ رسول الله ﷺ على الجن وما رآهم، انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأرسلت عليهم الشهب. قالوا: ما ذاك إلا من شيء حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها، فانظروا ما هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء. فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها، فمر النفر الذين أخذوا نحو تهامة وهو بنخل، عامدين إلى سوق عكاظ، وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن استمعوا له، وقالوا: هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء، فرجعوا إلى قومهم فقالوا: ﴿يا قومنا إنا سمعنا قرآناً عجباً. يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحد﴾. فأنزل الله عز وجل على نبيه محمد ﷺ: ﴿قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن﴾. قال ابن عباس رضي الله عنهما: وإنما أوحي إليه قول الجن. [طائفة: ما فوق الواحد. عامدين: قاصدين. سوق عكاظ: اسم سوق للعرب بناحية مكة. حيل: حجز. خبر السماء: ما كانوا يسترقونه من أخبار تتكلم بها الملائكة في السماء. الشهب: جمع شهاب، وهو شعلة نار ساطعة، كأنها كوكب منقض. تهامة: مكة. عجباً: بديعاً في نظمه ومعانيه، بحيث يثير العجب ويحوز الإعجاب. ﴿قل أوحي إلي﴾ سورة الجن التي تفتتح بهذه الجملة. أوحي إليه قول الجن: أي المذكور في القصة، فلم يوح إليه معناه، بل لفظه بعينه]

سبب نزول الآية [٦]: قال السيوطي: أخرج ابن سعد عن أبي رجاء العطاردي من بني تميم قال: بعث رسول الله ﷺ وقد رعيت على أهلي=

﴿ فزادوهم ﴾ بعوذهم بهم ﴿ رهقاً ﴾ طغياناً، فقالوا: سدنا الجن والإنس.

٧ ﴿وأنهم﴾ أي الجن ﴿ظنوا كما ظننتم﴾ يا إنس ﴿أن﴾ مخففة من الثقيلة، أي أنه ﴿لن يبعث الله أحداً﴾ بعد موته.

٨ قال الجن ﴿ وأنا لمسنا السماء ﴾ رمنا⁽¹⁾ استراق السمع منها ﴿ فوجدناها ملئت حرساً ﴾ من الملائكة ﴿ شديداً وشهباً ﴾ نجوماً محرقة، وذلك لما بعث النبي ﷺ.

٩ ﴿ وأنا كنا ﴾ أي قبل مبعثه ﴿ نقعد منها مقاعد للسمع ﴾ أي نستمع ﴿ فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً ﴾ أي أرصد له ليرمى به.

١٠ ﴿ وأنا لا ندري أشر أريد ﴾ بعدم استراق السمع ﴿ بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشداً ﴾ خيراً.

١١ ﴿ وأنا منا الصالحون ﴾ بعد استماع القرآن ﴿ ومنا دون ذلك ﴾ أي قوم غير صالحين ﴿ كنا طرائق قدداً ﴾ فرقاً مختلفين: مسلمين وكافرين.

٧٧١ (سورة الجن)

فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ
ٱللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا
شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن
يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ
أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾
وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ
قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن
نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن
يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا
ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟
رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾
وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾

١٢ ﴿ وأنا ظننا أن ﴾ مخففة من الثقيلة، أي أنه ﴿ لن نعجز الله في الأرض ولن نعجزه هرباً ﴾ لا نفوته: كائنين في الأرض، أو هاربين منها إلى السماء.

١٣ ﴿ وأنا لما سمعنا الهدى ﴾ القرآن ﴿ آمنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف ﴾ بتقدير هو بعد الفاء ﴿ بخساً ﴾ نقصاً من حسناته ﴿ ولا رهقاً ﴾ ظلماً بالزيادة في سيئاته.

١٤ ﴿ وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون ﴾ الجائرون بكفرهم ﴿ فمن أسلم فأولئك تحروا رشداً ﴾ قصدوا هداية.

١٥ ﴿ وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً ﴾ وقوداً، وأنا وأنهم وأنه في اثني عشر موضعاً، هي «وأنه تعالى» «وأنا منا المسلمون» وما بينهما، بكسر الهمزة استئنافاً، وبفتحها بما يوجه به⁽²⁾

١٦ قال تعالى في كفار مكة ﴿ وأن ﴾ مخففة من الثقيلة، واسمها محذوف، أي وأنهم، وهو معطوف على «أنه استمع» ﴿ لو استقاموا على الطريقة ﴾ أي طريقة الإسلام ﴿ لأسقيناهم ماءً غدقاً ﴾ كثيراً من السماء، وذلك بعد ما رفع المطر عنهم سبع سنين (٣).

---

(١) قصدنا وطلبنا.

(٢) أي بأن يؤول بمصدر يناسب كل موضع.

(٣) ذكر السيوطي هذا السبب في لباب النقول عن مقاتل.

=وكفيت مهتهم، فلما بعث النبيّ ﷺ خرجنا هراباً، فأتينا على فلاة من الأرض، وكنا إذا أمسينا بمثلها قال شيخنا: إنا نعوذ بعزيز هذا الوادي من الجنّ الليلة. فقلنا ذاك، فقيل لنا: إنما سبيل هذا الرجل شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، من أقرّ بها أمن على دمه وماله، فرجعنا فدخلنا في الإسلام. قال أبو رجاء: إني لأرى هذه الآية نزلت فيّ وفي أصحابي: ﴿وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجنّ فزادوهم رهقاً﴾ الآية.

وأخرج الخرائطي في [كتاب هواتف الجان] حدّثنا عبد الله بن محمد البلوي: حدّثنا عمارة بن زيد: حدّثني عبد الله بن العلاء: حدّثنا محمد ابن عكبر، عن سعيد بن جبير: أن رجلاً من بني تميم يقال له رافع بن عمير حدّث عن بدء إسلامه قال: إني لأسير برمل عالج ذات ليلة إذ غلبني النوم، فنزلت عن راحلتي وأنختها ونمت، وقد تعوذت قبل نومي، فقلت: أعوذ بعظيم هذا الوادي من الجنّ، فرأيت في منامي رجلاً بيده حربة يريد أن يضعها في نحر ناقتي فانتبهت فزعاً فنظرت يميناً وشمالاً فلم أر شيئاً، فقلت: هذا حلم، ثم عدت فغفوت فرأيت مثل ذلك، فانتبهت فرأيت ناقتي تضطرب، والتفت وإذا برجل شاب كالذي رأيته في المنام بيده حربة، ورجل شيخ ممسك بيده يدفعه عنه، فبينما هما يتنازعان إذ طلعت ثلاثة أثوار من الوحش، فقال الشيخ للفتى: قم فخذ أيتها شئت فداء لناقة جاري الإنسي، فقام الفتى، فأخذ منها ثوراً وانصرف، ثم التفت إليّ الشيخ، وقال: يا هذا، إذا نزلت وادياً من الأودية فخفت هوله فقل: أعوذ بربّ محمد من هول هذا الوادي، ولا تعذ بأحد من الجنّ، فقد بطل أمرها. قال: فقلت له: ومن محمد هذا؟ قال: نبيّ عربيّ لا شرقيّ ولا غربيّ، بعث يوم الإثنين. قلت: فأين مسكنه؟ قال: يثرب ذات النخل. فركبت راحلتي حين ترقى لي الصبح، وجددت السير حتى تقحمت المدينة، فرآني رسول الله ﷺ، فحدّثني بحديثي قبل أن أذكر منه شيئاً، ودعاني إلى الإسلام، فأسلمت.

قال سعيد بن جبير: وكنا نرى أنه هو الذي أنزل الله فيه: ﴿وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجنّ فزادوهم رهقاً﴾.

١٧ ﴿ لنفتنهم ﴾ لنختبرهم ﴿ فيه ﴾ فنعلم كيف شكرهم علم ظهور(١) ﴿ ومن يعرض عن ذكر ربه ﴾ القرآن ﴿ نسلكه ﴾ بالياء والنون، ندخله ﴿ عذاباً صعداً ﴾ شاقاً.

١٨ ﴿ وأن المساجد ﴾ مواضع الصلاة ﴿ لله فلا تدعوا ﴾ فيها ﴿ مع الله أحداً ﴾ بأن تشركوا، كما كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبيعهم(٢) أشركوا.

١٩ ﴿ وأنه ﴾ بالفتح، والكسر استئنافاً، والضمير للشأن ﴿ لما قام عبد الله ﴾ محمد النبي ﷺ ﴿ يدعوه ﴾ يعبده ببطن نخل ﴿ كادوا ﴾ أي الجن المستمعون لقراءته ﴿ يكونون عليه لبداً ﴾ بكسر اللام وضمها، جمع لبدة(٣)، كاللبد في ركوب بعضهم بعضاً ازدحاماً، حرصاً على سماع القرآن.

٢٠ ﴿قال﴾ مجيباً للكفار في قولهم ارجع عما أنت فيه، وفي قراءة «قل» ﴿إنما أدعو ربي﴾ إلهاً ﴿ولا أشرك به أحداً﴾.

٢١ ﴿ قل إني لا أملك لكم ضراً ﴾ غياً ﴿ ولا رشداً ﴾ خيراً. ٢٢ ﴿ قل إني لن يجيرني من الله ﴾من عذابه إن عصيته ﴿أحد ولن أجد من دونه﴾ أي غيره ﴿ملتحداً﴾ ملتجأً. ٢٣ ﴿ إلا بلاغاً ﴾ استثناء من مفعول «أملك» أي لا أملك لكم إلا البلاغ إليكم ﴿ من الله ﴾ أي عنه ﴿ ورسالاته ﴾ عطف على «بلاغاً» وما بين المستثنى منه والاستثناء اعتراض لتأكيد نفي الاستطاعة ﴿ ومن يعص الله ورسوله ﴾ في التوحيد، فلم يؤمن ﴿ فإن له نار جهنم خالدين ﴾ حال من ضمير من في «له» رعاية لمعناها، وهي حال مقدرة، والمعنى: يدخلونها مقدراً خلودهم ﴿ فيها أبداً ﴾.

٢٤ ﴿ حتى إذا رأوا ﴾ ابتدائية فيها معنى الغاية لمقدر قبلها(٤)، أي لا يزالون على كفرهم إلى أن يروا ﴿ ما يوعدون ﴾ به من العذاب ﴿ فسيعلمون ﴾ عند حلوله بهم يوم بدر، أو يوم القيامة ﴿ من أضعف ناصراً وأقل عدداً﴾ أعواناً، أهم أم المؤمنون؟ على القول الأول، أو: أنا أم هم؟ على الثاني(٥). فقال بعضهم: متى هذا الوعد؟ فنزل:

٢٥ ﴿قل إن﴾ أي ما ﴿أدري أقريب ما توعدون﴾ من العذاب ﴿أم يجعل له ربي أمداً﴾غاية وأجلاً لايعلمه إلا هو(٦).

٢٦ ﴿ عالم الغيب ﴾ ما غاب عن العباد ﴿ فلا يظهر ﴾ يطلع ﴿ على غيبه أحداً ﴾ من الناس.

٢٧ ﴿ إلا من ارتضى من رسول فإنه ﴾مع إطلاعه على ما شاء منه معجزة له ﴿ يسلك ﴾يجعل ويسير ﴿ من بين يديه ﴾ أي الرسول ﴿ ومن

لِتَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا
صَعَدًا (١٧) وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا (١٨)
وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ
لِبَدًا (١٩) قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا (٢٠)
قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا (٢١) قُلْ إِنِّى لَن
يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا (٢٢)
إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ
فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا (٢٣) حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟
مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا (٢٤)
قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ
أَمَدًا (٢٥) عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا (٢٦)
إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ

---

(١) أي نظهر ما في علمنا في الأزل للخلق.

(٢) أماكن عبادتهم. وكَنَائس جمع كنيسة، وبِيَع جمع بيعة. وانظر الآية [٤٠] من سورة الحج.

(٣) على قراءة الكسر ﴿لِبداً﴾ جمع لِبدة، بكسر اللام. وعلى قراءة الضم ﴿لُبداً﴾ جمع لُبدة، بضم اللام.

(٤) يدل على هذا المقدر قوله﴿خالدين فيها أبداً﴾ فإن خلودهم في النار يستلزم استمرارهم على الكفر في الدنيا.

(٥) المراد بالقول الأول قوله يوم بدر، وبالقول الثاني قوله يوم القيامة.

(٦) أخرج ابن أبي حاتم: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النَّبي ﷺ قال: «يا بني آدم، إن كنتم تعقلون فعدوا أنفسكم في الموتى، والذي نفسي بيده إن ما توعدون لآت». [ابن كثير].

سبب نزول الآية [١٨]: قال السيوطي: أخرج ابن أبي حاتم، من طريق أبي صالح، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قالت الجنّ: يا رسول الله ائذن لنا نشهد معك الصلوات في مسجدك، فأنزل الله ﴿وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً﴾.

وأخرج ابن جرير عن سعيد بن جبير قال: قالت الجنّ لنبيّ الله ﷺ: كيف لنا نأتي المسجد ونحن نأؤون عنك؟ وكيف نشهد معك الصلاة ونحن نأؤون عنك، فنزلت: ﴿وأن المساجد لله﴾ الآية.

سبب نزول الآية [٢٢]: أخرج ابن جرير عن حضرمي: أنه ذكر له أن جنياً من الجنّ من أشرافهم ذا تبع قال: إنما يريد محمد أن نجيره، وأنا اجيره. فأنزل الله: ﴿قل لن يجيرني من الله أحد﴾ الآية.

خلفه رصداً ﴾ ملائكة يحفظونه حتى يبلغه في جملة الوحي.

٢٨ ﴿ ليعلم ﴾ الله علم ظهور(١) ﴿ أن ﴾ مخففة من الثقيلة، أي أنه ﴿ قد أبلغوا ﴾ أي الرسل ﴿ رسالات ربهم ﴾ روعي بجمع الضمير معنى «من»(٢) ﴿ وأحاط بما لديهم ﴾ عطف على مقدر، أي فعلم ذلك(٣) ﴿ وأحصى كل شيء عدداً ﴾ تمييز، وهو محول من المفعول، والأصل: أحصى عدد كل شيء.

(سورة المزمل)
(مكية أو إلا قوله: «إن ربك يعلم..»
آية ٢٠ إلى آخرها فمدنية)
«وآياتها عشرون آية»
بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿ يا أيها المزمل ﴾ النبي، وأصله المتزمل، أدغمت التاء في الزاي، أي المتلفف بثيابه حين مجيء الوحي له خوفاً منه لهيبته. ٢ ﴿ قم الليل ﴾ صل ﴿ إلا قليلاً ﴾.

٣ ﴿ نصفه ﴾ بدل من «قليلاً»، وقلته بالنظر إلى الكل ﴿ أو انقص منه ﴾ من النصف ﴿ قليلاً ﴾ إلى الثلث.

٤ ﴿ أو زد عليه ﴾ إلى الثلثين، وأو للتخيير ﴿ ورتل القرآن ﴾ تثبت في تلاوته ﴿ ترتيلاً ﴾.

٥ ﴿ إنا سنلقي عليك قولاً ﴾ قرآناً ﴿ ثقيلاً ﴾ مهيباً، أو: شديداً، لما فيه من التكاليف.

٦ ﴿ إن ناشئة الليل ﴾ القيام بعد النوم ﴿ هي أشد وطأ ﴾ موافقة السمع للقلب على تفهم القرآن ﴿ وأقوم قيلاً ﴾ أبين قولاً. ٧ ﴿ إن لك في النهار سبحاً طويلاً ﴾ تصرفاً في أشغالك، لا تفرغ فيه لتلاوة القرآن.

٨ ﴿ واذكر اسم ربك ﴾ أي قل بسم الله الرحمن الرحيم في ابتداء قراءتك ﴿ وتبتل ﴾ انقطع ﴿ إليه ﴾ في العبادة ﴿ تبتيلاً ﴾ مصدر بتّل، جيء به رعاية للفواصل، وهو ملزوم التبتل(٤). ٩ هو ﴿ رب المشرق والمغرب لا إله

٧٧٣ (سورة المزمل)

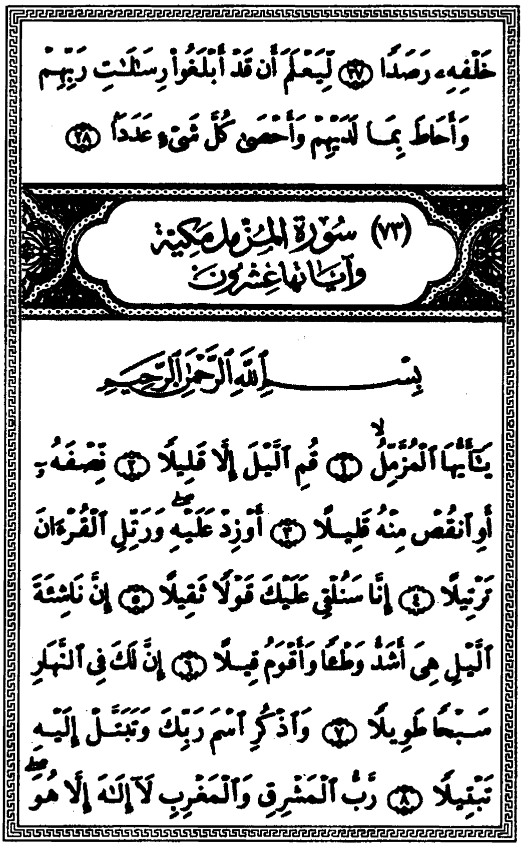

خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾

(٧٣) سُورَةُ المُزَّمِّلِ مَكِّيَّة
وَآيَاتُهَا عِشْرُونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ

---

(١) أي ليظهر ما في علمه لخلقه.

(٢) في قوله ﴿من ارتضى من رسول﴾ فإن معنى ﴿مَنْ﴾ الجمع.

(٣) أي قوله ﴿وأحاط..﴾ معطوف على مقدر هو: فعلم ذلك، فصار المعنى: فعلم ذلك ـ أي ما ذكر ـ وأحاط...

(٤) أي جيء بالتبتيل بدل التبتل الذي هو مصدر الفعل المذكور ﴿تبتل﴾ رعاية لفواصل الآيات ﴿قيلاً﴾ ﴿طويلاً﴾.. على أن التبتيل لازم للتبتل ومن مادته.

فائدة: في ترتيل القرآن والتغني به. عن أنس رضي الله عنه: أنه سئل عن قراءة رسول الله ﷺ، فقال: كانت مداً، ثم قرأ: بسم الله الرحمن الرحيم، يمد بسم الله، ويمد الرحمن، ويمد الرحيم. [البخاري: فضائل القرآن، باب: مد القراءة].

وعن أم سلمة رضي الله عنها: أنها سئلت عن قراءة رسول الله ﷺ، فقالت: كان يقطع قراءته آية آية: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين. الرحمن الرحيم. مالك يوم الدين﴾ [مسند أحمد: ٦/٣٠٢. أبو داود: كتاب الحروف. الترمذي: فضائل القرآن، باب: ما جاء كيف كانت قراءة النبي ﷺ].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: (يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارق، ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها) [مسند أحمد: ٢/١٩٢. أبو داود: الوتر، باب: استحباب الترتيل في القراءة. الترمذي: ثواب القرآن، رقم: ٢٩١٥]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان يقول: قال رسول الله ﷺ: (لم يأذن الله بشيء ما أذن للنبي ـ ﷺ ـ يتغنى بالقرآن).

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال له: (يا أبا موسى، لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود) [البخاري: فضائل القرآن، باب: من لم يتغن بالقران، رقم: ٤٧٣٥، وباب: حسن الصوت بالقراءة للقرآن، رقم: ٤٧٦١. ومسلم: صلاة المسافرين وقصرها، باب: استحباب تحسين الصوت بالقرآن، رقم: ٧٩٢، ٧٩٣].

[مزماراً: صوتاً حسناً يشبه ما أعطيه داود عليه السلام من حسن الصوت. وأصله الآلة، وأطلق على الصوت الحسن للمشابهة بينهما].

إلا هو فاتخذه وكيلاً ﴾ موكلاً له أمورك.

١٠ ﴿ واصبر على ما يقولون ﴾ أي كفار مكة من أذاهم ﴿ واهجرهم هجراً جميلاً ﴾ لا جزع فيه، وهذا قبل الأمر بقتالهم.

١١ ﴿ وذرني ﴾ اتركني ﴿ والمكذبين ﴾ عطف على المفعول، أو مفعول معه، والمعنى: أنا كافيكهم، وهم صناديد قريش ﴿ أولي النعمة ﴾ التنعم ﴿ ومهلهم قليلاً ﴾ من الزمن، فقتلوا بعد يسير منه ببدر.

١٢ ﴿ إن لدينا أنكالاً ﴾ قيوداً ثقالاً، جمع نكل، بكسر النون ﴿ وجحيماً ﴾ ناراً محرقة.

١٣ ﴿ وطعاماً ذا غصة ﴾ يغص به في الحلق، وهو الزقوم، أو الضريع، أو الغسلين، أو شوك من نار لا يخرج ولا ينزل ﴿ وعذاباً أليماً ﴾ مؤلماً، زيادة على ما ذكر لمن كذب النبي ﷺ.

١٤ ﴿ يوم ترجف ﴾ تزلزل ﴿ الأرض والجبال وكانت الجبال كثيباً ﴾ رملاً مجتمعاً ﴿ مهيلاً ﴾ سائلاً بعد اجتماعه، وهو من هال يهيل، وأصله مهيول، استثقلت الضمة على الياء فنقلت إلى الهاء، وحذفت الواو ثاني الساكنين لزيادتها، وقلبت الضمة كسرة لمجانسة الياء.

فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا
جَمِيلًا ﴿١٠﴾ وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُو۟لِي ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ
قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا
غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ
وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ
رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾
فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾
فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾
ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ
تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾ * إِنَّ رَبَّكَ
يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ
وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ

١٥ ﴿ إنا أرسلنا إليكم ﴾ يا أهل مكة ﴿ رسولاً ﴾ هو محمد ﷺ ﴿ شاهداً عليكم ﴾ يوم القيامة بما يصدر منكم من العصيان ﴿ كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً ﴾ هو موسى عليه الصلاة والسلام.

١٦ ﴿ فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذاً وبيلاً ﴾ شديداً.

١٧ ﴿ فكيف تتقون إن كفرتم ﴾ في الدنيا ﴿ يوماً ﴾ مفعول «تتقون» أي عذابه، أي بأي حصن تتحصنون من عذاب يوم ﴿ يجعل الولدان شيباً ﴾ جمع أشيب، لشدة هوله، وهو يوم القيامة. والأصل في شين شيباً الضم، وكسرت لمجانسة الياء، ويقال في اليوم الشديد: يوم يشيب نواصي(١) الأطفال، وهو مجاز(٢)، ويجوز أن يكون المراد في الآية الحقيقة(٣).

١٨ ﴿ السماء منفطر ﴾ ذات انفطار، أي انشقاق ﴿ به ﴾ بذلك اليوم، لشدته ﴿ كان وعده ﴾ تعالى بمجيء ذلك اليوم ﴿ مفعولاً ﴾ أي هو كائن لا محالة.

١٩ ﴿ إن هذه ﴾ الآيات المخوفة ﴿ تذكرة ﴾ عظة للخلق ﴿ فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً ﴾ طريقاً بالإيمان والطاعة.

٢٠ ﴿ إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى ﴾ أقل ﴿ من ثلثي الليل ونصفه وثلثه ﴾ بالجر عطف على «ثلثي» وبالنصب عطف على «أدنى» وقيامه كذلك نحو ما أمر به أول السورة ﴿ وطائفة من الذين معك ﴾ عطف على ضمير «تقوم» وجاز من غير تأكيد للفصل(٤)، وقيام طائفة من أصحابه كذلك للتأسي به، ومنهم من كان لا يدري كم صلى من الليل وكم بقي منه، فكان يقوم الليل كله احتياطاً، فقاموا حتى انتفخت أقدامهم سنة أو أكثر، فخفف عنهم. قال تعالى: ﴿ والله يقدر ﴾ يحصي ﴿ الليل والنهار

---

(١) جمع ناصية، وهي مقدمة الرأس، أو ما عليها من الشعر.

(٢) عن شدة الأهوال في ذلك اليوم.

(٣) أي فعلاً أن الأطفال تشيب في ذلك اليوم.

(٤) أي قوله ﴿وطائفة﴾ معطوف على الضمير المستتر المرفوع في قوله ﴿تقوم﴾ والأصل في العطف على الضمير المتصل ـ ظاهراً كان أم مستتراً ـ أن يؤتى بضمير الفصل تأكيداً، كأن يقال هنا: تقوم أنت وطائفة. . ، وجاز العطف هنا دون أن يؤتى بقوله [أنت] لوجود كلام آخر فصل بين الضمير المعطوف عليه والاسم المعطوف، فناب عن ضمير الفصل، والله تعالى أعلم.

سبب نزول الآية [٢٠]: أخرج الحاكم في مستدركه [التفسير، باب: تفسير سورة المزمل: ٢/٥٠٤] عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما نزلت: ﴿يا أيها المزمل، قم الليل إلا قليلاً﴾ قاموا سنة حتى ورمت أقدامهم، فأنزل الله عزّ وجل: ﴿فاقرؤوا ما تيسر من القرآن﴾.

علم أن ﴾ مخففة من الثقيلة، واسمها محذوف، أي أنه **﴿ لن تحصوه ﴾** أي الليل، لتقوموا فيما يجب القيام فيه إلا بقيام جميعه، وذلك يشق عليكم **﴿ فتاب عليكم ﴾** رجع بكم إلى التخفيف **﴿ فاقرؤوا ما تيسر من القرآن ﴾** في الصلاة، بأن تصلوا ما تيسر **﴿ علم أن ﴾** مخففة من الثقيلة، أي أنه **﴿ سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض ﴾** يسافرون **﴿ يبتغون من فضل الله ﴾** يطلبون من رزقه بالتجارة وغيرها **﴿ وآخرون يقاتلون في سبيل الله ﴾** وكل من الفرق الثلاث يشق عليهم ما ذكر في قيام الليل، فخفف عنهم بقيام ما تيسر منه، ثم نسخ ذلك بالصلوات الخمس⁽¹⁾ **﴿ فاقرؤوا ما تيسر منه ﴾** كما تقدم⁽²⁾ **﴿وأقيموا الصلاة﴾** المفروضة **﴿ وآتوا الزكاة وأقرضوا الله ﴾** بأن تنفقوا ما سوى المفروض من المال في سبيل الخير **﴿ قرضاً حسناً ﴾** عن طيب قلب **﴿ وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً ﴾** مما خلفتم، وهو فصل، وما بعده ـ وإن لم يكن معرفة ـ يشبهها⁽³⁾، لامتناعه من التعريف **﴿ وأعظم أجراً واستغفروا الله إن الله غفور رحيم ﴾** للمؤمنين.

(سورة المدثر)

(مكية وآياتها ست وخمسون آية)

بسم الله الرحمن الرحيم

٧٧٥ (سورة المدثر)

عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْءَانِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾

(٧٤) سُورَةُ الْمُدَّثِّرِ مَكِّيَّة
وَآيَاتُهَا سِتٌّ وَخَمْسُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾

١ **﴿ يا أيها المدثر ﴾** النبي ﷺ، وأصله المتدثر، أدغمت التاء في الدال، أي المتلفف بثيابه عند نزول الوحي عليه.

٢ **﴿ قم فأنذر ﴾** خوف أهل مكة النار إن لم يؤمنوا.

٣ **﴿ وربك فكبر ﴾** عظم عن إشراك المشركين.

---

(1) أي نسخ وجوب قيام الليل بفرض الصلوات الخمس، دل على ذلك قوله ﷺ للذي سأله عن فرائض الإسلام، فقال له: (خمس صلوات في اليوم والليلة). قال: هل علي غيرها؟ قال: (لا، إلا أن تَطَوَّع). [البخاري: الإيمان، باب: الزكاة من الإسلام، رقم: ٤٦. مسلم: الإيمان، باب: بيان الصلوات التي هي أحد أركان الإسلام]

وبقي قيام الليل سنة في حق الأمة، دل على ذلك أحاديث كثيرة، منها قوله ﷺ: في حق عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: (نعم الرجل عبد الله، لو كان يصلي من الليل). وقوله ﷺ لعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: (يا عبد الله، لا تكن مثل فلان، كان يقوم الليل فترك قيام الليل). وقوله ﷺ: (أحب الصلاة إلى الله صلاة داود عليه السلام.. كان ينام نصف الليل، ويقوم ثلثه، وينام سدسه). البخاري: التهجد، باب: من نام عند السحر، رقم: ١٠٧٩. وباب: ما يكره من ترك قيام الليل لمن كان يقومه، رقم: ١١٠١. وباب: فضل من تعار من الليل فصلى، رقم: ١١٠٥. مسلم: الصيام، باب: النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوت به حقاً، رقم: ١١٥٩. فضائل الصحابة، باب: من فضائل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، رقم: ٢٤٧٨].

[تعار: انتبه وهو يسبح أو يستغفر أو يذكر الله تعالى بأي ذكر]

هذا، وذهب الإمام مالك رحمه الله تعالى: إلى أن قيام الليل بقي واجباً في حقه ﷺ حال الحضر.

(2) أي عند قوله ﴿فاقرؤوا ما تيسر من القرآن﴾.

(3) يشير بهذا إلى أن ضمير الفصل لا يقع إلا بين معرفتين، وهنا وقع بين معرفة ونكرة، فأجاب بأنه جاز ذلك، لأن ﴿خيراً﴾ يشبه المعرفة لأنه اسم تفضيل، فلا تدخل عليه آل المعرفة إذا كان معه [من] لفظاً أو تقديراً، وهنا من مقدرة كما ذكر المفسر: خيراً مما خلفتم.

سبب نزول الآيات الأول من سورة المدثر: عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (جاورت بحراء، فلما قضيت جواري هبطت، فنوديت، فنظرت عن يميني فلم أر شيئاً، ونظرت عن شمالي فلم أر شيئاً، ونظرت أمامي فلم أر شيئاً، ونظرت خلفي فلم أر شيئاً، فرفعت رأسي فرأيت شيئاً، فأتيت خديجة فقلت: دثروني، وصبوا عليَّ ماءً بارداً، فقال: فدثروني وصبوا عليَّ ماءً بارداً، قال: فنزلت: ﴿ يا أيها المدثر. قم فأنذر. وربك فكبر﴾).

[البخاري: التفسير، باب: تفسير سورة المدثر، رقم: ٤٦٣٨. مسلم: الإيمان، بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، رقم: ١٦١].

[جاورت: اعتكفت. قضيت جواري: انتهيت من اعتكافي. هبطت: نزلت من الغار لأذهب إلى بيتي].

٤ ﴿ وثيابك فطهر ﴾ عن النجاسة، أو قصرها، خلاف جر العرب ثيابهم خيلاء، فربما أصابتها نجاسة.

٥ ﴿ والرجز ﴾ فسره النبي ﷺ بالأوثان[1] ﴿فاهجر﴾ أي دم على هجره.

٦ ﴿ ولا تمنن تستكثر ﴾ بالرفع، حال، أي لا تعط شيئاً لتطلب أكثر منه. وهذا خاص به ﷺ، لأنه مأمور بأجلّ الأخلاق وأشرف الآداب.

٧ ﴿ ولربك فاصبر ﴾ على الأوامر والنواهي.

٨ ﴿ فإذا نقر في الناقور ﴾ نفخ في الصور ـ وهو القرن ـ النفخة الثانية.

٩ ﴿ فذلك ﴾ أي وقت النقر ﴿ يومئذٍ ﴾ بدل مما قبله المبتدأ[2]، وبني لإضافته إلى غير متمكن[3]، وخبر المبتدأ ﴿ يوم عسير ﴾ والعامل في إذا ما دلت عليه الجملة، أي اشتد الأمر.

١٠ ﴿ على الكافرين غير يسير ﴾ فيه دلالة على أنه يسير على المؤمنين، أي في عسره.

١١ ﴿ ذرني ﴾ اتركني ﴿ ومن خلقت ﴾ عطف على المفعول، أو مفعول معه ﴿ وحيداً ﴾ حال من «مَن» أو من ضميره المحذوف من «خلقت» أي منفرداً بلا أهل ولا مال، هو الوليد بن المغيرة المخزومي.

وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن
تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿٧﴾ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ﴿٨﴾
فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ
يَسِيرٍ ﴿١٠﴾ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا
مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾
ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾
سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ
قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ
وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا
سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ
سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾
لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَا

١٢ ﴿ وجعلت له مالاً ممدوداً ﴾ واسعاً متصلاً من الزروع والضروع والتجارة.

١٣ ﴿ وبنين ﴾ عشرة أو أكثر ﴿ شهوداً ﴾ يشهدون المحافل، وتسمع شهاداتهم.

١٤ ﴿ ومهدت ﴾ بسطت ﴿ لـه ﴾ في العيش والعمر والولد ﴿ تمهيداً ﴾. ١٥ ﴿ ثم يطمع أن أزيد ﴾.

١٦ ﴿ كلا ﴾ لا أزيده على ذلك ﴿ إنه كان لآياتنا ﴾ أي القرآن ﴿ عنيداً ﴾ معانداً.

١٧ ﴿ سأرهقه ﴾ أكلفه ﴿ صعوداً ﴾ مشقة من العذاب، أو جبلاً من نار، يصعد فيه ثم يهوي أبداً.

١٨ ﴿ إنه فكر ﴾ فيما يقول في القرآن الذي سمعه من النبي ﷺ ﴿ وقدر ﴾ في نفسه ذلك.

١٩ ﴿ فقتل ﴾ لعن وعذب ﴿ كيف قدر ﴾ على أي حال كان تقديره. ٢٠ ﴿ ثم قتل كيف قدر ﴾.

٢١ ﴿ ثم نظر ﴾ في وجوه قومه، أو فيما يقدح به فيه.

٢٢ ﴿ ثم عبس ﴾ قبض وجهه وكلحه ضيقاً بما يقول ﴿ وبسر ﴾ زاد في القبض والكلوح.

٢٣ ﴿ ثم أدبر ﴾ عن الإيمان ﴿ واستكبر ﴾ تكبر عن اتباع النبي ﷺ.

٢٤ ﴿ فقال ﴾ فيما جاء به ﴿ إن ﴾ ما ﴿ هذا إلا سحر يؤثر ﴾ ينقل عن السحرة.

٢٥ ﴿ إن ﴾ ما ﴿ هذا إلا قول البشر ﴾ كما قالوا: إنما يعلمه بشر[4]. ٢٦ ﴿ سأصليه ﴾ أدخله ﴿ سقر ﴾ جهنم.

٢٧ ﴿ وما أدراك ما سقر ﴾ تعظيم لشأنها. ٢٨ ﴿ لا تبقي ولا تذر ﴾ شيئاً من لحم ولا عصب إلا أهلكته، ثم يعود كما كان. ٢٩ ﴿ لواحة للبشر ﴾ محرقة لظاهر الجلد. ٣٠ ﴿ عليها تسعة عشر ﴾ ملكاً خزنتها، قال بعض الكفار ـ وكان قوياً شديد البأس ـ أنا أكفيكم سبعة عشر، واكفوني أنتم اثنين. قال تعالى: ٣١ ﴿ وما جعلنا

---

[1] أخرجه الحاكم في المستدرك: التفسير/ قراءات النبي ﷺ. . ، باب: شأن نزول: ﴿يا أيها المدثر﴾ [٢/ ٢٥١].

[2] وهم اسم الإشارة ﴿ذلك﴾.

[3] وهو الاسم المبني إذ، وتنوينه هنا عوض عن جملة محذوفة، التقدير: يوم إذ نقر في الناقور.

[4] انظر ما ذكره الله تعالى من قولهم هذا في/ النحل: ١٠٣/.

سبب نزول الآية [١١] وما بعدها: أخرج الواحدي بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي ﷺ فقرأ عليه القرآن، وكأنه رق له، فبلغ ذلك أبا جهل فقال له: يا عم، إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً ليعطوكه، فإنك أتيت محمداً تتعرض لما قِبَلَهُ. فقال: قد علمت قريش أني من أكثرها مالاً. قال: فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك منكر له وكاره. قال: وماذا أقول؟ فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار

أصحاب النار إلا ملائكة ﴾ أي فلا يطاقون كما يتوهمون ﴿ وما جعلنا عدتهم ﴾ ذلك ﴿ إلا فتنة ﴾ ضلالاً(١) ﴿ للذين كفروا ﴾ بأن يقولوا: لم كانوا تسعة عشر ﴿ليستيقن﴾ ليستبين ﴿ الذين أوتوا الكتاب ﴾ أي اليهود، صدق النبي ﷺ في كونهم تسعة عشر، الموافق لما في كتابهم ﴿ ويزداد الذين آمنوا ﴾ من أهل الكتاب ﴿ إيماناً ﴾ تصديقاً، لموافقته ما أتى به النبي ﷺ لما في كتابهم ﴿ ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون ﴾ من غيرهم في عدد الملائكة ﴿ وليقول الذين في قلوبهم مرض ﴾ شك بالمدينة ﴿ والكافرون ﴾ بمكة ﴿ ماذا أراد الله بهذا ﴾ العدد ﴿ مثلاً ﴾ سموه لغرابته بذلك(٢)، وأعرب حالاً ﴿ كذلك ﴾ أي مثل إضلال منكر هذا العدد وهدى مصدقه ﴿ يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وما يعلم جنود ربك ﴾ أي الملائكة في قوتهم وأعوانهم ﴿ إلا هو وما هي ﴾ أي سقر ﴿ إلا ذكرى ﴾ عظة ﴿ للبشر ﴾(٣)

٣٢ ﴿ كلا ﴾ استفتاح بمعنى ألا ﴿ والقمر ﴾.

٣٣ ﴿ والليل إذا ﴾ بفتح الذال ﴿ دَبَرَ ﴾ جاء بعد النهار، وفي قراءة «إذْ أدبر» بسكون الذال بعدها همزة، أي مضى.

٣٤ ﴿ والصبح إذا أسفر ﴾ ظهر.

أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةٗۙ وَمَا جَعَلۡنَا عِدَّتَهُمۡ إِلَّا فِتۡنَةٗ
لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيَسۡتَيۡقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَيَزۡدَادَ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنٗاۙ وَلَا يَرۡتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ
وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡكَٰفِرُونَ
مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ
وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ وَمَا هِيَ
إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلَّا وَٱلۡقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ ﴿٣٣﴾
وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ أَسۡفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحۡدَى ٱلۡكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرٗا
لِّلۡبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَتَقَدَّمَ أَوۡ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ كُلُّ
نَفۡسِۢ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡيَمِينِ ﴿٣٩﴾
فِي جَنَّٰتٖ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمۡ
فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ

٣٥ ﴿ إنها ﴾ أي سقر ﴿ لإحدى الكبر ﴾ البلايا العظام.

٣٦ ﴿ نذيراً ﴾ حال من إحدى، وذُكِّر لأنها بمعنى العذاب ﴿ للبشر ﴾.

٣٧ ﴿لمن شاء منكم﴾ بدل من البشر ﴿أن يتقدم﴾ إلى الخير أو الجنة بالإيمان ﴿أو يتأخر﴾ إلى الشر أو النار بالكفر.

٣٨ ﴿ كل نفس بما كسبت رهينة ﴾ مرهونة، مأخوذة بعملها في النار.

٣٩ ﴿ إلا أصحاب اليمين ﴾ وهم المؤمنون، فناجون منها

٤٠ كائنون ﴿ في جنات يتساءلون ﴾ بينهم.

٤١ ﴿ عن المجرمين ﴾ وحالهم، ويقولون لهم بعد إخراج الموحدين من النار(٤):

٤٢ ﴿ ما سلككم ﴾ أدخلكم ﴿ في سقر ﴾.

٤٣ ﴿ قالوا لم نك من المصلين ﴾.

٤٤ ﴿ ولم نك نطعم

---

(١) سبباً لفتنة وضلال من يركب راسه ولا يتفهم الأمور على حقيقتها.

(٢) أي سموه بالمثل.

(٣) تذكير وإعلام لهم بكمال قدرته تعالى. قال السيوطي في [لباب النقول]: أخرج ابن أبي حاتم والبيهقي في [البعث] عن البراء رضي الله عنه: أن رهطاً من اليهود سألوا رجلاً من أصحاب النبيّ ﷺ عن خزنة جهنم، فجاء فأخبر النبيّ ﷺ، فنزل عليه ساعتئذ: ﴿عليها تسعة عشر﴾ الآية.

وأخرج عن ابن إسحق قال: قال أبو جهل يوماً: يا معشر قريش، يزعم محمد أن جنود الله الذين يعذبونكم في النار تسعة عشر، وأنتم أكثر الناس عدداً، أفيعجز مائة رجل منكم عن رجل منهم؟ فأنزل الله: ﴿وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة﴾ الآية. وأخرج نحوه عن قتادة قال: ذكر لنا، فذكره.

وأخرج عن السدّي قال: لما نزلت: ﴿عليها تسعة عشر﴾ قال رجل من قريش يدعى أبا الأشد: يا معشر قريش، لا يهولنكم التسعة عشر، أنا أدفع عنكم بمنكبي الأيمن عشرة وبمنكبي الأيسر التسعة. فأنزل الله: ﴿وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة﴾ الآية.

(٤) أخرج البخاري [الإيمان، باب: زيادة الإيمان ونقصه، رقم: ٤٤] ومسلم [الإيمان، باب: أدنى أهل الجنة منزلاً فيها، رقم: ١٩٣] عن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (يخرج من النار من قال لا إله إلا الله، وفي قلبه وزن شعيرة من خير. ويخرج من النار

مني، ولا أعلم برجزها وبقصيدها مني، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، والله إن لقوله الذي يقول حلاوةً، وإن عليه لطلاوة، إنه لمثمر أعلاه معذق أسفله، وإنه ليعلو وما يعلى. قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه. قال: فدعني حتى أفكر فيه. فقال: هذا سحر يؤثر، يأثره عن غيره، فنزلت: ﴿ذَرْنِي ومن خلقت وحيداً﴾ الآيات كلها. [أخرجه الحاكم في مستدركه: التفسير، باب: تفسير سورة المدثر: ٢/٥٠٦].

[لما قبله: للذي عنده من المال ونحوه. برجزها: نوع من أوزان الشعر. بقصيدها: القصيد من الشعر ما تم شطر أبياته وليس إلا ثلاثة أبيات فصاعداً، أو ستة عشر فصاعداً. لطلاوة: رَوْنقاً وحسناً. معذق: أي له جذور وشعب، وكلامه كناية عن العمق والرسوخ في المعنى وكثرة النفع به. يؤثر: ينقل].

المسكين ﴾.

٤٥ ﴿ وكنا نخوض ﴾ في الباطل ﴿ مع الخائضين ﴾.

٤٦ ﴿ وكنا نكذب بيوم الدين ﴾ البعث والجزاء.

٤٧ ﴿ حتى أتانا اليقين ﴾ الموت(*).

٤٨ ﴿ فما تنفعهم شفاعة الشافعين ﴾ من الملائكة والأنبياء والصالحين، والمعنى: لا شفاعة لهم.

٤٩ ﴿ فما ﴾ مبتدأ ﴿ لهم ﴾ خبره، متعلق بمحذوف انتقل ضميره إليه(١) ﴿ عن التذكرة معرضين ﴾ حال من الضمير(٢)، والمعنى: أي شيء حصل لهم في إعراضهم عن الاتعاظ.

٥٠ ﴿ كأنهم حمر(٣) مستنفرة ﴾ وحشية.

٥١ ﴿ فرت من قسورة ﴾ أسد، أي هربت منه أشد الهرب.

٥٢ ﴿ بل يريد كل امرىء منهم أن يؤتى صحفاً منشرة ﴾(٤) أي من الله تعالى، باتباع النبي، كما قالوا: لن نؤمن لك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه(٥).

ٱلْمِسْكِينَ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ (٤٥) وَكُنَّا نُكَذِّبُ
بِيَوْمِ ٱلدِّينِ (٤٦) حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ (٤٧) فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ
ٱلشَّٰفِعِينَ (٤٨) فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ (٤٩) كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ
مُّسْتَنفِرَةٌ (٥٠) فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ (٥١) بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ
مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً (٥٢) كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْـَٔاخِرَةَ (٥٣)
كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ (٥٤) فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ (٥٥) وَمَا يَذْكُرُونَ
إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ (٥٦)

(٧٥) سُورَةُ القِيَامَةِ مَكِّيَّة
وَآيَاتُهَا أَرْبَعُون

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ (١) وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ (٢)

٥٣ ﴿ كلا ﴾ ردع عما أرادوه ﴿ بل لا يخافون الآخرة ﴾ أي عذابها.

٥٤ ﴿ كلا ﴾ استفتاح ﴿ إنه ﴾ أي القرآن ﴿ تذكرة ﴾ عظة.

٥٥ ﴿ فمن شاء ذكره ﴾ قرأه فاتعظ به.

٥٦ ﴿ وما يذكرون ﴾ بالياء والتاء ﴿ إلا أن يشاء الله هو أهل التقوى ﴾ بأن يتقى ﴿ وأهل المغفرة ﴾ بأن يغفر لمن اتقاه(٦).

(سورة القيامة)
(مكية وآياتها أربعون آية)
بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿ لا ﴾ زائدة في الموضعين ﴿ أقسم بيوم القيامة ﴾.

٢ ﴿ ولا أقسم بالنفس اللوامة ﴾ التي تلوم نفسها وإن اجتهدت في الإحسان(٧)، وجواب القسم محذوف، أي لتبعثن. دل عليه:

من قال لا إله إلا الله، وفي قلبه وزن برة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله، وفي قلبه وزن ذرة من خير) وفي رواية: (من إيمان). [برة: قمحة. ذرة: النملة الصغيرة، وقيل: أقل شيء يوزن].

(١) الأصل: أي شيء حصل لهم، فالخبر حصل، وفيها ضمير مستكن تقديره هو، ولهم متعلق بالخبر حصل، فحذف الخبر وانتقل الضمير المستكن فيه إلى الجار والمجرور، ويسمى حينئذٍ ظرفاً مستقراً، لاستقرار الضمير فيه.

(٢) في ﴿لهم﴾. (٣) بضم الحاء والميم، جمع حمار.

(٤) طرية لم تطو بعد. (٥) انظر/ الإسراء: ٩٣/.

(٦) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿هو أهل التقوى وأهل المغفرة﴾ وقال: «قال ربكم: انا أهل أن أتقى فلا يجعل معي إله، فمن اتقى أن يجعل إلهاً كان أهلاً أن أغفر له». [مسند أحمد: ٣/ ١٤٢].

(٧) أي تلوم نفسها على عدم الزيادة في الإحسان والطاعة.

(*) عن الزهري قال: حدثني خارجة بن زيد الأنصاري: أن أم العلاء ـ امرأة من نسائهم بايعت رسول الله ﷺ رضي الله عنها ـ أخبرته: أن عثمان بن مظعون رضي الله عنه طار لهم سهمه في السكنى، حين أقرعت الأنصار سكنى المهاجرين، قالت أم العلاء: فسكن عندنا عثمان بن مظعون، فاشتكى فمرضناه، حتى إذا توفي وجعلناه في ثيابه، دخل علينا رسول الله ﷺ، فقلت: رحمة الله عليك أبا السائب، فشهادتي عليك لقد أكرمك الله. فقال لي النبي ﷺ: «وما يدريك أن الله أكرمه». فقلت: لا أدري، بأبي أنت وأمي يارسول الله. فقال رسول الله ﷺ: «أما عثمان فقد جاءه والله اليقين، وإني لأرجو له الخير، والله ما أدري ـ وأنا رسول الله ـ ما يفعل به». قالت: فوالله لا أزكي أحداً بعده أبداً. وأحزنني ذلك، قالت: فنمت، فأريت لعثمان عيناً تجري، فجئت

سبب نزول الآية [٥٢]: قال السيوطي في [لباب النقول]: أخرج ابن المنذر عن السدّي قال: قالوا: لئن كان محمد صادقاً فليصبح تحت رأس كل رجل منا صحيفة فيها براءة وأمنة من النار، فنزلت: ﴿بل يريد كل امرىء منهم أن يؤتى صحفاً منشرة﴾.

٣ ﴿ أيحسب الإنسان ﴾ أي الكافر ﴿ ألن نجمع عظامه ﴾ للبعث والإحياء.

٤ ﴿ بلى ﴾ نجمعها ﴿ قادرين ﴾ مع جمعها ﴿ على أن نسوي بنانه ﴾ وهو الأصابع، أي نعيد عظامها كما كانت مع صغرها، فكيف بالكبيرة؟.

٥ ﴿ بل يريد الإنسان ليفجر ﴾ اللام زائدة، ونصبه بأن مقدرة، أي أن يكذب ﴿ أمامه ﴾ أي يوم القيامة. دل عليه:

٦ ﴿ يسأل أيان ﴾ متى ﴿ يوم القيامة ﴾ سؤال استهزاء وتكذيب.

٧ ﴿ فإذا برق البصر ﴾ بكسر الراء وفتحها، دهش وتحير لما رأى مما كان يكذب به.

٨ ﴿ وخسف القمر ﴾ أظلم وذهب ضوؤه.

٩ ﴿ وجمع الشمس والقمر ﴾ فطلعا من المغرب، أو ذهب ضوؤهما، وذلك في يوم القيامة.

١٠ ﴿ يقول الإنسان يومئذٍ أين المفر ﴾ الفرار.

١١ ﴿ كلا ﴾ ردع عن طلب الفرار ﴿ لا وزر ﴾ لا ملجأ يتحصن به.

أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ
عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾ بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ
أَمَامَهُۥ ﴿٥﴾ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ
ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ
وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾
كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾
يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ
ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾
لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ
وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ
عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾
وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا

١٢ ﴿ إلى ربك يومئذٍ المستقر ﴾ مستقر الخلائق، فيحاسبون ويجازون.

١٣ ﴿ ينبأ الإنسان يومئذٍ بما قدم وأخر ﴾ بأول عمله وآخره.

١٤ ﴿ بل الإنسان على نفسه بصيرة ﴾ شاهد، تنطق جوارحه بعمله، والهاء للمبالغة، فلا بد من جزائه.

١٥ ﴿ ولو ألقى معاذيره ﴾ جمع معذرة على غير قياس(١)، أي لو جاء بكل معذرة ما قبلت منه.

١٦ قال تعالى لنبيه: ﴿ لا تحرك به ﴾ بالقرآن، قبل فراغ جبريل منه ﴿ لسانك لتعجل به ﴾ خوف أن ينفلت منك.

١٧ ﴿ إن علينا جمعه ﴾ في صدرك ﴿ وقرآنه ﴾ قراءتك إياه، أي جريانه على لسانك.

١٨ ﴿ فإذا قرأناه ﴾ عليك بقراءة جبريل ﴿ فاتبع قرآنه ﴾ استمع قراءته، فكان ﷺ يستمع ثم يقرؤه(٢).

١٩ ﴿ ثم إن علينا بيانه ﴾ بالتفهيم لك، والمناسبة بين هذه الآية وما قبلها: أن تلك تضمنت الإعراض عن آيات الله، وهذه تضمنت المبادرة إليها بحفظها.

٢٠ ﴿ كلا ﴾ استفتاح بمعنى ألا ﴿ بل يحبون العاجلة ﴾ الدنيا، بالتاء والياء في الفعلين.

٢١ ﴿ ويذرون الآخرة ﴾ فلا يعملون لها.

٢٢ ﴿ وجوه يومئذٍ ﴾ أي في يوم القيامة ﴿ ناضرة ﴾ حسنة مضيئة. ٢٣ ﴿ إلى ربها

إلى رسول الله ﷺ فأخبرته، فقال: «ذلك عمله». [البخاري: الشهادات، باب: القرعة في المشكلات، رقم: ٢٥٤١] [طار لهم: خرج لهم في القرعة. أقرعت: اقتسموهم بينهم بالقرعة. ذلك عمله: أي الصالح الذي كان يعمله ـ وهو الرباط في سبيل الله تعالى ـ ثوابه مستمر إلى يوم القيامة]

(١) لأن القياس أن يجمع على معاذر، بدون ياء.

(٢) روى البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عزّ وجلّ ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به﴾ قال: كان النبي ﷺ يعالج من التنزيل شدة، وكان مما يحرك شفتيه ـ قال ابن جبير: قال ابن عباس: أنا أحركهما كما كان رسول الله ﷺ يحركهما، فحرك شفتيه ـ فأنزل الله عزّ وجلّ ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به. إن علينا جمعه وقرآنه﴾ قال: جمعه في صدرك ثم تقرأه ﴿فإذا قرأناه فاتبع قرآنه﴾ قال: فاستمع وأنصت، ثم إن علينا أن تقرأه، قال: فكان رسول الله ﷺ إذا أتاه جبريل بعد ذلك استمع، فإذا انطلق جبريل قرأه النبي ﷺ كما قرأه.
[البخاري: بدء الوحي، رقم: ٥. مسلم: الصلاة، باب: الاستماع للقراءة، رقم: ٤٨٨].

سبب نزول الآية [٣]: قال الواحدي: نزلت في عمر بن ربيعة، وذلك أنه أتى النبي ﷺ فقال: حدثني عن يوم القيامة متى يكون، وكيف أمرها وحالها؟ فأخبره النبي ﷺ بذلك، فقال: لو عاينت ذلك اليوم لم أصدقك يا محمد ولم أؤمن به، أو يجمع الله هذه العظام؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية.

ناظرة ﴾ أي يرون الله سبحانه وتعالى في الآخرة[1].

٢٤ ﴿ ووجوه يومئذٍ باسرة ﴾ كالحة شديدة العبوس.

٢٥ ﴿ تظن ﴾ توقن ﴿ أن يفعل بها فاقرة ﴾ داهية عظيمة تكسر فقار الظهر.

٢٦ ﴿ كلا ﴾ بمعنى ألا ﴿إذا بلغت﴾ النفس ﴿ التراقي ﴾ عظام الحلق.

٢٧ ﴿ وقيل ﴾ قال من حوله ﴿ من راق ﴾ يرقيه[2] ليشفى.

٢٨ ﴿ وظن ﴾ أيقن من بلغت نفسه ذلك ﴿ أنه الفراق ﴾ فراق الدنيا.

٢٩ ﴿ والتفت الساق بالساق ﴾ أي إحدى ساقيه بالأخرى عند الموت، أو التفت شدة فراق الدنيا بشدة إقبال الآخرة.

٣٠ ﴿ إلى ربك يومئذٍ المساق ﴾ أي السوق، وهذا يدل على العامل في إذا[3]، والمعنى: إذا بلغت النفس الحلقوم تساق إلى حكم ربها.

٣١ ﴿ فلا صدق ﴾ الإنسان ﴿ ولا صلى ﴾ أي لم يصدق ولم يصل.

٣٢ ﴿ ولكن كذب ﴾ بالقرآن ﴿ وتولى ﴾ عن الإيمان.

٣٣ ﴿ ثم ذهب إلى أهله يتمطى ﴾ يتبختر في مشيته إعجاباً.

٣٤ ﴿ أولى لك ﴾ فيه التفات عن الغيبة، والكلمة اسم فعل[4]، واللام للتبيين، وهو دعاء عليه بأن يليه ما يكره، أي وليك ما تكره ﴿ فأولى ﴾ أي فهو أولى بك من غيرك.

٣٥ ﴿ ثم أولى لك فأولى ﴾ تأكيد.

٣٦ ﴿ أيحسب ﴾ يظن ﴿ الإنسان أن يترك سدى ﴾ هملاً، لا يكلف بالشرائع؟ أي لا يحسب ذلك.

٣٧ ﴿ ألم يك ﴾ أي كان ﴿ نطفة من مني يمنى ﴾ بالياء والتاء، تصب في الرحم.

٣٨ ﴿ ثم كان ﴾ المني ﴿ علقة فخلق ﴾ الله منها الإنسان ﴿ فسوى ﴾ عدل أعضاءه.

٣٩ ﴿ فجعل منه ﴾ من المني الذي صار علقة، أي قطعة دم، ثم مضغة، أي قطعة لحم ﴿ الزوجين ﴾ النوعين ﴿ الذكر والأنثى ﴾ يجتمعان تارة، وينفرد كل منهما عن الآخر تارة.

٤٠ ﴿ أليس ذلك ﴾ الفعَّالُ لهذه الأشياء ﴿ بقادر على أن يحيي الموتى ﴾ قال ﷺ: (بلى).

نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن
يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ﴿٢٦﴾
وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ
ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾
فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾
ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾
ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ
سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ
عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ
ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن
يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾

---

(١) أخرج البخاري ومسلم عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله ﷺ فنظر إلى القمر ليلة البدر وقال: (إنكم سترون ربكم عياناً كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا عن صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا) ثم قرأ ﴿وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ﴾ [ق: ٣٩]. [البخاري: مواقيت الصلاة، باب: فضل صلاة العصر، رقم: ٥٢٩. مسلم: المساجد مواضع الصلاة، باب: فضل صلاتي الصبح والعصر، رقم: ٦٣٣]. [لا تضامون: لا ينضم بعضكم إلى بعض ولا تزدحمون وقت النظر [إليه].

(٢) من الرقية، وهي القراءة على المريض ليشفى.

(٣) أي قوله ﴿المساق﴾ دل على العامل الذي عمل في ﴿إذا﴾ وهو الذي بينه بقوله: تساق.

(٤) أي كلمة أولى، وتستعمل في الدعاء بالمكروه.

سبب نزول الآية [٣٤ - ٣٥]: أخرج ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت ﴿عليها تسعة عشر﴾ [المدثر: ٣٠] قال أبو جهل لقريش: ثكلتكم أمهاتكم، اسمعُ ابن أبي كبشة يخبركم أن خزنة النار تسعة عشر، وأنتم الدُّهم، أفيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل من خزنة جهنم؟ فأوحي إلى رسول الله ﷺ أن يأتي أبا جهل فيأخذ بيده في بطحاء مكة، فيقول له: ﴿أولى لك فأولى. ثم أولى لك فأولى﴾. فلما فعل ذلك به رسول الله ﷺ قال أبو جهل: والله لا تفعل أنت وربك شيئاً. فأخزاه الله يوم بدر. [ثكلتكم: فقدتكم. أبي كبشة: أبو النبي ﷺ من الرضاع، كانوا ينسبونه إليه استخفافاً به. الدهم: العدد الكثير].

وأخرج النسائي عن سعيد بن جبير: أنه سأل ابن عباس عن قوله: ﴿أولى لك فأولى﴾ أشيء قاله رسول الله ﷺ من قبل نفسه، أم أمره الله به؟ قال: بل قاله من قبل نفسه، ثم أنزله الله. [السنن الكبرى: التفسير/ سورة القيامة، قوله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة. . ﴾ رقم: ١١٦٣٨]

(سورة الإنسان)(١)
(مكية أو مدنية وآياتها إحدى وثلاثون آية)

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿ هل ﴾ قد ﴿ أتى على الإنسان ﴾ آدم ﴿ حين من الدهر ﴾ أربعون سنة ﴿ لم يكن ﴾ فيه ﴿ شيئاً مذكوراً ﴾ كان فيه مصوراً من طين لا يذكر، أو المراد بالإنسان الجنس، وبالحين مدة الحمل.

٢ ﴿ إنا خلقنا الإنسان ﴾ الجنس ﴿ من نطفة أمشاج ﴾ أخلاط، أي من ماء الرجل وماء المرأة المختلطين الممتزجين ﴿ نبتليه ﴾ نختبره بالتكليف، والجملة مستأنفة، أو حال مقدرة، أي مريدين ابتلاءه حين تأهله ﴿ فجعلناه ﴾ بسبب ذلك ﴿ سميعاً بصيراً ﴾.

٣ ﴿ إنا هديناه السبيل ﴾ بينا له طريق الهدى ببعث الرسل ﴿ إما شاكراً ﴾ أي مؤمناً ﴿ وإما كفوراً ﴾ حالان من المفعول، أي بينا له في حال شكره أوحال كفره المقدرة، وإما لتفصيل الأحوال(٢).

٤ ﴿ إنا أعتدنا ﴾ هيأنا ﴿ للكافرين سلاسل ﴾ يسحبون بها في النار ﴿ وأغلالاً ﴾ في أعناقهم تشد فيها السلاسل ﴿وسعيراً ﴾ ناراً مسعرة، أي مهيجة يعذبون بها.

٥ ﴿ إن الأبرار ﴾ جمع بر أو بار، وهم المطيعون ﴿ يشربون من كأس ﴾ هو إناء شرب الخمر، وهي فيه، والمراد من خمر، تسمية للحال باسم المحل(٣)، ومن للتبعيض ﴿ كان مزاجها ﴾ ما تمزج به ﴿ كافوراً ﴾(٤).

٦ ﴿ عيناً ﴾ بدل من «كافوراً» فيها رائحته ﴿ يشرب بها ﴾ منها ﴿ عباد الله ﴾ أولياؤه ﴿ يفجرونها تفجيراً ﴾ يقودونها حيث شاؤوا من منازلهم.

٧ ﴿ يوفون بالنذر ﴾ في طاعة الله(٥) ﴿ ويخافون يوماً كان شره مستطيراً ﴾ منتشراً.

٨ ﴿ ويطعمون الطعام على حبه ﴾ أي الطعام وشهوتهم

٧٨١ (ســورة الإنسان)

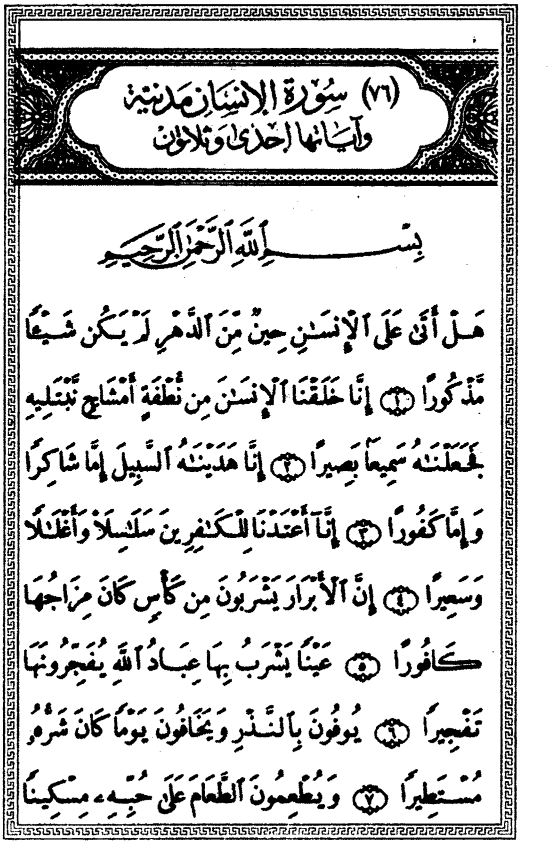

(٧٦) سُورَةُ الإنسَانِ مَدَنِيَّة
وَآيَاتُهَا إِحْدَى وَثَلَاثُونَ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا
مَّذۡكُورًا ١ إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ
فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ٢ إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا
وَإِمَّا كَفُورًا ٣ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ وَأَغۡلَٰلٗا
وَسَعِيرًا ٤ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٖ كَانَ مِزَاجُهَا
كَافُورًا ٥ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا
تَفۡجِيرٗا ٦ يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ
مُسۡتَطِيرٗا ٧ وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا

---

(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان النَّبي ﷺ يقرأ في الجمعة، في صلاة الفجر: ﴿آلٓمٓ. تنزيل﴾ السجدة، و ﴿هل أتى على الإنسان﴾. [البخاري: الجمعة، باب: ما يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة، رقم: ٨٥١. مسلم: الجمعة، باب: ما يقرأ في يوم الجمعة، رقم: ٨٨٠] [السجدة: سورة السجدة. وهل أتى على الإنسان: أي السورة التي تبدأ بهذه الجملة].

(٢) عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة، حتى يعرب عنه لسانه، فإذا أعرب عنه لسانه فإما شاكراً وإما كفوراً». [مسند أحمد: ٣/ ٣٥٣] [الفطرة: أصل الخلقة وهي الإيمان بالله تعالى وتوحيده. يعرب: يفصح عن إدراك وقصد].

(٣) أي سميت الخمر ـ وهي الحالة في الكأس ـ بالكأس وهي محل الخمر.

(٤) اسم عين في الجنة، ماؤها في بياض الكافور وطيب رائحته وبرده.

(٥) عن عائشة رضي الله عنها، عن النَّبي ﷺ قال: «من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه». [البخاري: الأيمان والنذور، باب: النذر في الطاعة، رقم: ٦٣١٨] [أن يطيع: أي نذر فعلاً فيه طاعة. فليطعه: فليبر بنذره. أن يعصيه: نذر فعلاً فيه معصية. فلا يعصه: فلا يفعل ما نذره].

سبب نزول الآية [٨]: قال الواحدي: قال عطاء: عن ابن عباس رضي الله عنهما: وذلك أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أجر نفسه نوبة، يسقي نخلاً بشيء من شعير، ليلة حتى أصبح، وقبض الشعير وطحن ثلثه، فجعلوا منه شيئاً ليأكلوه يقال له الخزيرة، فلما تم إنضاجه أتى مسكين، فأخرجوا إليه الطعام، ثم عمل الثلث الثاني، فلما تم إنضاجه أتى يتيم فسأل فأطعموه، ثم عمل الثلث الباقي، فلما تم إنضاجه أتى أسير من المشركين فأطعموه، وطووا يومهم ذلك، فأنزلت فيه هذه الآيـة. [الخزيرة: لحم مطبوخ مع الدقيق. طووا. . : أي باتوا جائعين].

وقال السيوطي: وأخرج ابن المنذر عن ابن جرير في قوله: ﴿وأسيراً﴾ قال: لم يكن النبيّ ﷺ يأسر أهل الإسلام، ولكنها نزلت في أسارى أهل الشرك، كانوا يأسرونهم في العذاب، فنزلت فيهم، فكان النبيّ ﷺ يأمر بالصلاح إليهم.

له ﴿ مسكيناً ﴾ فقيراً ﴿ ويتيماً ﴾ لا أب له ﴿ وأسيراً ﴾ يعني المحبوس بحق.

٩ ﴿ إنما نطعمكم لوجه الله ﴾ لطلب ثوابه ﴿ لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً ﴾ شكراً، فيه علة الإطعام(١)، وهل تكلموا بذلك، أو علمه الله منهم فأثنى عليهم به؟ قولان.

١٠ ﴿ إنا نخاف من ربنا يوماً عبوساً ﴾ تكلح الوجوه فيه، أي كريه المنظر لشدته ﴿ قمطريراً ﴾ شديداً في ذلك.

١١ ﴿ فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم ﴾ أعطاهم ﴿ نضرة ﴾ حسناً وإضاءة في وجوههم ﴿ وسروراً ﴾.

١٢ ﴿ وجزاهم بما صبروا ﴾ بصبرهم عن المعصية ﴿ جنة ﴾ أدخلوها ﴿ وحريراً ﴾ ألبسوه.

١٣ ﴿ متكئين ﴾ حال من مرفوع أدخلوها المقدر ﴿ فيها على الأرائك ﴾ السرر في الحجال(٢) ﴿ لا يرون ﴾ لا يجدون، حال ثانية﴿ فيها شمساً ولا زمهريراً ﴾لا حراً ولا برداً،وقيل الزمهرير القمر،فهي مضيئة من غير شمس ولا قمر.

١٤ ﴿ ودانية ﴾ قريبة، عطف على محل «لا يرون» أي غير رائين ﴿ عليهم ﴾ منهم ﴿ ظلالها ﴾ شجرها ﴿وذللت قطوفها تذليلاً ﴾ أدنيت ثمارها، فينالها القائم والقاعد والمضطجع. ١٥ ﴿ ويطاف عليهم ﴾ فيها ﴿ بآنية من فضة وأكواب ﴾ أقداح بلا عرى ﴿ كانت قواريراً ﴾.

١٦ ﴿ قوارير من فضة ﴾ أي أنها من فضة يرى باطنها من ظاهرها كالزجاج ﴿ قدروها ﴾ أي الطائفون ﴿ تقديراً ﴾ على قدر ري الشاربين، من غير زيادة ولا نقص، وذلك ألذ الشراب.

١٧ ﴿ ويسقون فيها كأساً ﴾ أي خمراً ﴿ كان مزاجها ﴾ ما تمزج به ﴿ زنجبيلاً ﴾.

١٨ ﴿ عيناً ﴾ بدل من «زنجبيلاً» ﴿ فيها تسمى سلسبيلاً ﴾ يعني أن ماءها كالزنجبيل الذي تستلذ به العرب، سهل المساغ في الحلق.

١٩ ﴿ ويطوف عليهم ولدان مخلدون ﴾ بصفة الولدان، لا يشيبون ﴿ إذا رأيتهم حسبتهم ﴾ لحسنهم وانتشارهم في الخدمة ﴿ لؤلؤاً منثوراً ﴾ من سلكه أو من صدفه، وهو أحسن منه في غير ذلك.

٢٠ ﴿ وإذا رأيت ثم ﴾ أي وجدت الرؤية منك في الجنة

وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَـٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ * وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا

---

(١) أي بيان سببه.

(٢) جمع حجلة، وهي ما يسمى بالناموسية، وهي ما يوضع فوق النائم من ثوب يظلل فراشه ليمنع وصول الذباب أو البعوض ونحوه إليه.

فائدة: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يارسول الله، أي الصدقة أعظم أجراً؟ قال: «أن تصدق وأنت صحيح شحيح، تخشى الفقر وتأمل الغنى، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم، قلت: لفلان كذا ولفلان كذا، وقد كان لفلان». [البخاري: الزكاة، باب: أي الصدقة أفضل وصدقة الشحيح الصحيح، رقم: ١٣٥٣. مسلم: الزكاة، باب: بيان أن أفضل الصدقة صدقة الصحيح الشحيح، رقم: ١٠٣٢].

[صحيح: ليس فيك مرض أو علة تقطع أملك في الحياة. شحيح: من شأنك الشح، وهو البخل مع الحرص. تخشى الفقر: تخافه وتحسب له حساباً. تأمل: تطمع وترجو. تمهل: تؤخر. بلغت الحلقوم: قاربت الروح الحلق، والمراد شعرت بقرب الموت. لفلان كذا: أخذت توصي وتتصدق. وقد كان لفلان: وقد أصبح مالك ملكاً لغيرك وهم ورثتك].

وعن عائشة رضي الله عنها: أن بعض أزواج النبي ﷺ قلن للنبي ﷺ: أينا أسرع بك لحوقاً؟ قال: «أطولكن يداً». فأخذوا قصبة يذرعونها، فكانت سودة أطولهن يداً، فعلمنا بعد: أنما كانت طول يدها الصدقة، وكانت أسرعنا لحوقاً به، وكانت تحب الصدقة. [البخاري: الزكاة، باب: أي الصدقة أفضل وصدقة الشحيح الصحيح، رقم: ١٣٥٤. مسلم: فضائل الصحابة، باب: من فضائل زينب أم المؤمنين رضي الله عنها، رقم: ٢٤٥٢] [يذرعونها: يقدرونها بذراع كل واحدة منهن، كي يعلمن أيهن أطول يداً من غيرها، ظناً منهن أن المراد طول اليد حقيقة. طول يدها الصدقة: أي أن النبي ﷺ أراد بطول يدها كثرة إنفاقها وصدقاتها].

سبب نزول الآية [٢٠]: قال السيوطي: أخرج ابن المنذر عن عكرمة قال: دخل عمر بن الخطاب رضي الله عنه على النبيّ ﷺ وهو راقد على حصير من جريد، وقد أثر في جنبه، فبكى عمر، فقال له: (ما يبكيك). قال: ذكرت كسرى وملكه، وهرمز وملكه، وصاحب الحبشة وملكه، وأنت رسول

﴿ رأيت ﴾ جواب إذا ﴿ نعيماً ﴾ لا يوصف ﴿ وملكاً كبيراً ﴾ واسعاً لا غاية له.

٢١ ﴿ عاليهم ﴾ فوقهم، فنصبه على الظرفية، وهو خبر لمبتدأ بعده. وفي قراءة بسكون الياء مبتدأ، وما بعده خبر، والضمير المتصل به للمعطوف عليهم ﴿ ثياب سندس ﴾ حرير ﴿خضر﴾ بالرفع ﴿ وإستبرق ﴾ بالجر، ما غلظ من الديباج، فهو البطائن، والسندس الظهائر، وفي قراءة عكس ما ذكر فيهما، وفي أخرى برفعهما، وفي أخرى بجرهما(١) ﴿ وحلوا أساور من فضة ﴾ وفي موضع من ذهب(٢)، للإيذان بأنهم يحلون من النوعين معاً ومفرقاً ﴿ وسقاهم ربهم شراباً طهوراً ﴾ مبالغة في طهارته ونظافته، بخلاف خمر الدنيا.

٢٢ ﴿ إن هذا ﴾ النعيم ﴿ كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكوراً ﴾.

٢٣ ﴿ إنا نحن ﴾ تأكيد لاسم إن أو فصل ﴿ نزلنا عليك القرآن تنزيلاً ﴾ خبر إن، أي فصلناه ولم ننزله جملة واحدة.

٢٤ ﴿ فاصبر لحكم ربك ﴾ عليك بتبليغ رسالته ﴿ ولا تطع منهم ﴾ أي الكفار ﴿ آثماً أو كفوراً ﴾ أي عتبة بن ربيعة والوليد بن المغيرة، قالا للنبي ﷺ: ارجع عن هذا الأمر(٣). ويجوز أن يراد كل آثم وكافر، أي لا تطع أحدهما أياً كان فيما دعاك إليه من إثم أو كفر.

٢٥ ﴿ واذكر اسم ربك ﴾ في الصلاة ﴿ بكرة وأصيلاً ﴾ يعني الفجر والظهر والعصر.

٢٦ ﴿ ومن الليل فاسجد له ﴾ يعني المغرب والعشاء ﴿ وسبحه ليلاً طويلاً ﴾ صل التطوع فيه كما تقدم من ثلثيه أو نصفه أو ثلثه(٤).

٢٧ ﴿ إن هؤلاء يحبون العاجلة ﴾ الدنيا ﴿ ويذرون وراءهم يوماً ثقيلاً ﴾ شديداً، أي يوم القيامة، لا يعملون له.

٢٨ ﴿ نحن خلقناهم وشددنا ﴾ قوينا ﴿ أسرهم ﴾ أعضاءهم ومفاصلهم ﴿ وإذا شئنا بدلنا ﴾ جعلنا ﴿ أمثالهم ﴾ في الخلقة بدلاً منهم، بأن نهلكهم ﴿ تبديلاً ﴾ تأكيد، ووقعت إذا موقع إن، نحو «إن يشأ يذهبكم»(٥) لأنه تعالى لم يشأ ذلك، وإذا لما يقع(٦).

٢٩ ﴿ إن هذه ﴾ السورة ﴿ تذكرة ﴾ عظة للخلق ﴿ فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً ﴾ طريقاً بالطاعة.

٣٠ ﴿ وما تشاؤون ﴾ بالتاء والياء، اتخاذ السبيل بالطاعة ﴿ إلا أن يشاء الله ﴾ ذلك ﴿ إن الله كان عليماً ﴾ بخلقه ﴿ حكيماً ﴾ في فعله.

٣١ ﴿ يدخل من يشاء في رحمته ﴾ جنته، وهم المؤمنون ﴿ والظالمين ﴾ ناصبه فعل مقدر، أي أوْعَد، يفسره ﴿ أعد لهم عذاباً أليماً ﴾ مؤلماً، وهم الكافرون.

(ســـورة الإنسان) ٧٨٣

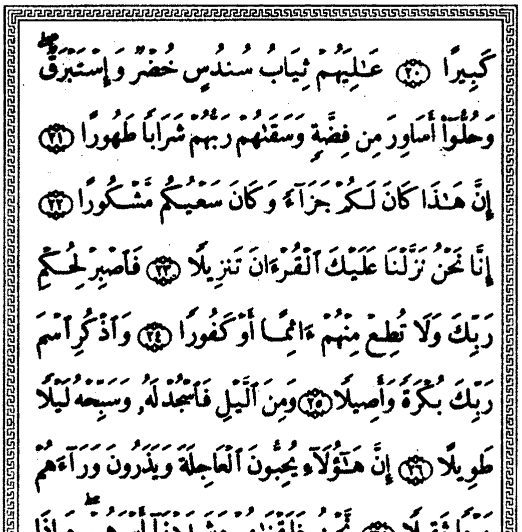

كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ
وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾
إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾
إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ
رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ
رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا
طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ
يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا
شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ
فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ
أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن
يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴿٣١﴾

---

(١) فالقراءات أربع، وكلها متواترة، وقراءة حفص ﴿خضرٌ واستبرقٌ﴾ بالرفع فيهما. وجر ﴿خضر﴾ على أنه صفة لسندس، وجر ﴿استبرق﴾ عطفاً على ﴿سندس﴾ لأن المعنى: ثياب من سندس وثياب من استبرق. ورفع ﴿خضر﴾ صفة لثياب. ورفع ﴿استبرق﴾ بالعطف على ﴿ثياب﴾ على حذف مضاف، والتقدير: وثياب استبرق.

(٢) بل ذكر هذا في ثلاثة مواضع: / الكهف: ٣١/ و/ الحج: ٢٣/ و/ فاطر: ٣٣/.

(٣) قال السيوطي في [لباب النقول]: وأخرج عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر عن قتادة: أنه بلغه أن أبا جهل قال: لئن رأيت محمداً يصلي لأطأن عنقه. فأنزل الله: ﴿ولا تطع منهم آثماً أو كفوراً﴾.

(٤) انظر/ المزمل: ٢٠/.

(٥) انظر/ النساء: ١٣٣/ و /الأنعام: ١٣٣/ و/ إبراهيم: ١٩/ و/ فاطر: ١٦/.

(٦) أي إنَّ الأصل أن تستعمل [إذا] لما هو متحقق الوقوع، و[إن] لما هو محتمل، فاستعملت ﴿إذا﴾ بدل [إن] مجازاً.

الله ﷺ على حصير من جريد؟ فقال رسول الله ﷺ: (أما ترضى أن لهم الدنيا ولنا الآخرة). فأنزل الله: ﴿وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً وملكاً كبيراً﴾.

[جريد: هو غصن النخيل بعدما يجرد من ورقه].

سبب نزول الآية [٢٤]: قال السيوطي في [لباب النقول]: أخرج عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر عن قتادة: أنه بلغه أن أبا جهل قال: لئن رأيت محمداً يصلي لأطأن عنقه، فأنزل الله: ﴿ولا تطع منهم آثماً أو كفوراً﴾.

(سورة المرسلات)
(مكية وآياتها خمسون آية)

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿ والمرسلات عرفاً ﴾ أي الرياح متتابعة كعرف الفرس يتلو بعضه بعضاً، ونصبه على الحال.

٢ ﴿ فالعاصفات عصفاً ﴾ الرياح الشديدة.

٣ ﴿ والناشرات نشراً ﴾ الرياح تنشر المطر.

٤ ﴿ فالفارقات فرقاً ﴾ أي آيات القرآن تفرق بين الحق والباطل والحلال والحرام.

٥ ﴿ فالملقيات ذكراً ﴾ أي الملائكة تنزل بالوحي إلى الأنبياء، والرسل يلقون الوحي إلى الأمم(١).

٦ ﴿ عذراً أو نذراً ﴾ أي للإعذار والإنذار من الله تعالى، وفي قراءة بضم ذال نذراً، وقرىء بضم ذال عذراً(٢).

٧ ﴿ إنما توعدون ﴾ أي يا كفار مكة من البعث والعذاب ﴿ لواقع ﴾ كائن لا محالة.

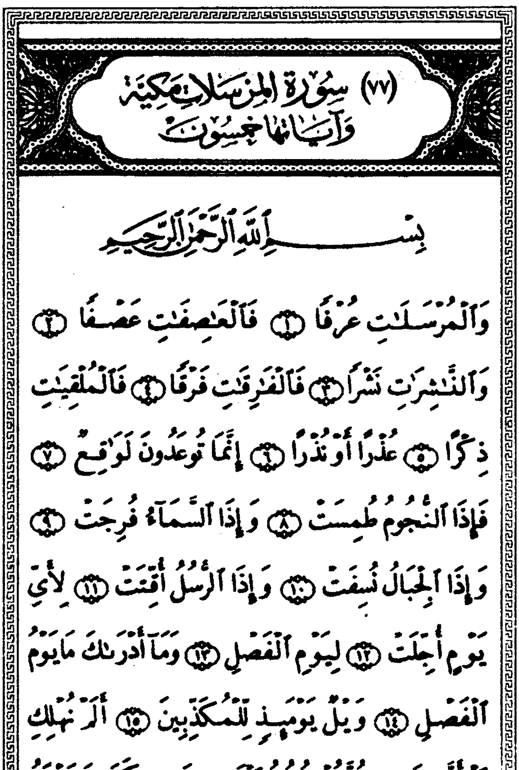

(٧٧) سُورَةُ المُرسَلَاتِ مَكِّيَّة
وَآيَاتُهَا خَمسُونَ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا (١) فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا (٢)
وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا (٣) فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا (٤) فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ
ذِكۡرًا (٥) عُذۡرًا أَوۡ نُذۡرًا (٦) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٞ (٧)
فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ (٨) وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ (٩)
وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ نُسِفَتۡ (١٠) وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ (١١) لِأَيِّ
يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ (١٢) لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ (١٣) وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ
ٱلۡفَصۡلِ (١٤) وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ (١٥) أَلَمۡ نُهۡلِكِ
ٱلۡأَوَّلِينَ (١٦) ثُمَّ نُتۡبِعُهُمُ ٱلۡأٓخِرِينَ (١٧) كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ

٨ ﴿ فإذا النجوم طمست ﴾ محي نورها.

٩ ﴿ وإذا السماء فرجت ﴾ شقت.

١٠ ﴿ وإذا الجبال نسفت ﴾ فتتت وسيرت.

١١ ﴿ وإذا الرسل وقتت ﴾ بالواو، وبالهمزة بدلاً منها(٣)، أي جمعت لوقت.

١٢ ﴿ لأي يوم ﴾ ليوم عظيم ﴿ أجلت ﴾ للشهادة على أممهم بالتبليغ.

١٣ ﴿ ليوم الفصل ﴾ بين الخلق، ويؤخذ منه جواب إذا(٤)، أي وقع الفصل بين الخلائق.

١٤ ﴿ وما أدراك ما يوم الفصل ﴾ تهويل لشأنه.

١٥ ﴿ ويل يومئذٍ للمكذبين ﴾(٥) هذا وعيد لهم.

١٦ ﴿ ألم نهلك الأولين ﴾ بتكذيبهم، أي أهلكناهم.

١٧ ﴿ ثم نتبعهم الآخرين ﴾ ممن كذبوا، ككفار مكة، فنهلكهم.

١٨ ﴿ كذلك ﴾ مثل ما فعلنا بالمكذبين ﴿ نفعل

---

(١) وهناك قول أن المراد بالكلمات الخمس - المرسلات، والعاصفات، والناشرات والفارقات، والملقيات - الرياح، وقول أن المراد بها كلها الملائكة، وثالث أن المراد بها جميعها آيات القرآن.

(٢) فالقراءات المتواترة في اللفظين: ﴿عُذْراً أو نُذْراً﴾ بسكون الذال فيهما، و﴿عُـذْراً أو نُذُوراً﴾ بسكونها في الأولى وضمها في الثانية. وفي قراءة شاذة [عُذُراً أو نُـذُراً]. وبالسكون مصدر بمعنى الإعذار والإنذار، وبالضم: جمع عذير بمعنى المعذرة، وجمع نذير بمعنى الإنذار.

(٣) أي ﴿أقتت﴾ بالهمزة بدل الواو، وهي قراءة حفص.

(٤) المتكررة في الجمل السابقة، والمعنى: إذا حصل ما سبق وقع الفصل.

(٥) الذين كذبوا الرسل في الدنيا، وأنكروا البعث والحساب والمعاد.

فائدة: عن عبد الله رضي الله عنه قال: بينما نحن مع النَّبي ﷺ في غار بمنى، إذ نزل عليه: ﴿والمرسلات﴾ وإنه ليتلوها، وإني لأتلقاها من فيه، وإن فاه لرطب بها، إذ وثبت علينا حية، فقال النَّبي ﷺ: «اقتلوها». فابتدرناها فذهبت، فقال النَّبي ﷺ: «وقيت شركم كما وقيتم شرها». [البخاري: الإحصار وجزاء الصيد، باب: ما يقتل المحرم من دواب، رقم: ١٧٣٣. مسلم: السلام، باب: قتل الحيات وغيرها، رقم: ٢٢٣٤].

والمرسلات: أي سورة والمرسلات. لرطب بها: لم يجف ريقه من قراءتها. فابتدرناها: أسرعنا إلى أخذها وقتلها.

فائدة: عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: إن أم الفضل رضي الله عنها سمعته وهو يقرأ: ﴿والمرسلات عرفا﴾ فقالت: يا بني، والله لقد ذكرتني بقراءتك هذه السورة، إنها لآخر ما سمعت من رسول الله ﷺ يقرأ بها في المغرب. [البخاري: صفة الصلاة، باب: القراءة في المغرب، رقم: ٧٢٩. مسلم: الصلاة، باب: القراءة في الصبح، رقم: ٤٦٢] [والمرسلات عرفاً: الرياح المتتابعة، والمراد أنه يقرأ بهذه السورة التي تفتتح بهذه الآية].

بالمجرمين﴾ بكل من أجرم فيما يستقبل، فنهلكهم.
١٩ ﴿ويل يومئذٍ للمكذبين﴾ تأكيد.
٢٠ ﴿ألم نخلقكم من ماء مهين﴾ ضعيف، وهو المني.
٢١ ﴿فجعلناه في قرار مكين﴾ حريز(١)، وهو الرحم.
٢٢ ﴿إلى قدر معلوم﴾ وهو وقت الولادة.
٢٣ ﴿فقدرنا﴾ على ذلك ﴿فنعم القادرون﴾ نحن.
٢٤ ﴿ويل يومئذٍ للمكذبين﴾.
٢٥ ﴿ألم نجعل الأرض كفاتاً﴾ مصدر كفت بمعنى ضم، أي ضامة.
٢٦ ﴿أحياءً﴾ على ظهرها ﴿وأمواتاً﴾ في بطنها.
٢٧ ﴿وجعلنا فيها رواسي شامخات﴾ جبالاً مرتفعات ﴿وأسقيناكم ماءً فراتاً﴾ عذباً.

بِٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾ أَلَمۡ نَخۡلُقكُّم
مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلۡنَٰهُ فِي قَرَارٖ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٖ
مَّعۡلُومٖ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرۡنَا فَنِعۡمَ ٱلۡقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ
لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحۡيَآءٗ
وَأَمۡوَٰتٗا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ شَٰمِخَٰتٖ وَأَسۡقَيۡنَٰكُم
مَّآءٗ فُرَاتٗا ﴿٢٧﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ
مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلّٖ ذِي ثَلَٰثِ
شُعَبٖ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٖ وَلَا يُغۡنِي مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرۡمِي
بِشَرَرٖ كَٱلۡقَصۡرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٞ صُفۡرٞ ﴿٣٣﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ
لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَٰذَا يَوۡمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤۡذَنُ لَهُمۡ
فَيَعۡتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَٰذَا يَوۡمُ
ٱلۡفَصۡلِۖ جَمَعۡنَٰكُمۡ وَٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمۡ كَيۡدٞ

٢٨ ﴿ويل يومئذٍ للمكذبين﴾ ويقال للمكذبين يوم القيامة:

٢٩ ﴿انطلقوا إلى ما كنتم به﴾ من العذاب ﴿تكذبون﴾.

٣٠ ﴿انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب﴾ هو دخان جهنم، إذا ارتفع افترق ثلاث فرق لعظمه.

٣١ ﴿لا ظليل﴾ كنين(٢) يظلهم من حر ذلك اليوم ﴿ولا يغني﴾ يرد عنهم شيئاً ﴿من اللهب﴾ النار.

٣٢ ﴿إنها﴾ أي النار ﴿ترمي بشرر﴾ هو ما تطاير منها ﴿كالقصر﴾ من البناء في عظمه وارتفاعه.(٣)

٣٣ ﴿كأنه جمالات﴾ جمع جمالة جمع جمل، وفي قراءة «جمالة» ﴿صفر﴾ في هيئتها ولونها، وفي الحديث: (شرار النار أسود كالقير). والعرب تسمي سود الإبل صفراً لشوب سوادها بصفرة، فقيل صفر في الآية بمعنى سود لما ذكر، وقيل لا(٤)، والشَّرَر جمع شَرَرَة، والشَّرار جمع شَرَارَة، والقير القار(٥).

٣٤ ﴿ويل يومئذٍ للمكذبين﴾. ٣٥ ﴿هذا﴾ أي يوم القيامة ﴿يوم لا ينطقون﴾ فيه بشيء.

٣٦ ﴿ولا يؤذن لهم﴾ في العذر ﴿فيعتذرون﴾ عطف على «يؤذن» من غير تسبب عنه(٦)، فهو داخل في حيز النفي، أي لا إذن فلا اعتذار.

٣٧ ﴿ويل يومئذٍ للمكذبين﴾. ٣٨ ﴿هذا يوم الفصل جمعناكم﴾ أيها المكذبون من هذه الأمة ﴿والأولين﴾ من المكذبين قبلكم، فتحاسبون وتعذبون جميعاً.

٣٩ ﴿فإن كان لكم كيد﴾ حيلة في دفع العذاب عنكم

---

(١) يصون ما يلقى فيه ـ وهو المني ـ ويحفظه من الفساد إلى أن يصبح علقة وهكذا.. أو المراد أنه يتمكن فيه ما يلقى فيه فلا يسقط.

(٢) ساتر، مأخوذ من كَنَنْتُه أَكُنُّه إذا سترته في كِنّه، والكِن السترة، والكِنان الغطاء، ومنه الكنانة وهي جعبة السهام.

(٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنا نرفع الخشب بقَصَر ثلاثة أذرع أو أقل، فنرفعه للشتاء فنسميه: القصر. [البخاري: التفسير/ قوله:(إنها ترمي بشرر كالقصر):٤٦٤٨]. وقرأها عباس (كالقَصَر) وهي قراءة شاذة.

(٤) أي ليس صفر بمعنى سود، بل هو باقٍ على ظاهره.

(٥) وهو الزفت.

(٦) أي ليس المراد أن يؤذن لهم فيتسبب عن الإذن اعتذارهم، بل لا إذن ولا اعتذار.

﴿ فكيدون ﴾ فافعلوها(١).

٤٠ ﴿ ويل يومئذٍ للمكذبين ﴾.

٤١ ﴿ إن المتقين في ظلال ﴾ أي تكاثف أشجار، إذ لا شمس يظل من حرها ﴿ وعيون ﴾ نابعة من الماء.

٤٢ ﴿ وفواكه مما يشتهون ﴾ فيه إعلام بأن المأكل والمشرب في الجنة بحسب شهواتهم، بخلاف الدنيا فبحسب ما يجد الناس في الأغلب. ويقال لهم:

٤٣ ﴿ كلوا واشربوا هنيئاً ﴾ حال، أي متهنئين ﴿ بما كنتم تعملون ﴾ من الطاعات.

٤٤ ﴿ إنا كذلك ﴾ كما جزينا المتقين ﴿ نجزي المحسنين ﴾.

٤٥ ﴿ ويل يومئذٍ للمكذبين ﴾.

٤٦ ﴿ كلوا وتمتعوا ﴾ خطاب للكفار في الدنيا ﴿ قليلاً ﴾ من الزمان وغايته إلى الموت، وفي هذا تهديد لهم ﴿ إنكم مجرمون ﴾.

٤٧ ﴿ ويل يومئذٍ للمكذبين ﴾.

٤٨ ﴿ وإذا قيل لهم اركعوا ﴾ صلوا ﴿ لا يركعون ﴾ لا يصلون.

٤٩ ﴿ ويل يومئذٍ للمكذبين ﴾.

٥٠ ﴿ فبأي حديث بعده ﴾ أي القرآن ﴿ يؤمنون ﴾ أي لا يمكن إيمانهم بغيره من كتب الله بعد تكذيبهم به، لاشتماله على الإعجاز الذي لم يشتمل عليه غيره(٢).

(سورة النبأ)

(مكية وآياتها أربعون آية)

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿ عم ﴾ عن أي شيء ﴿ يتساءلون ﴾ يسأل بعض قريش بعضاً.

٢ ﴿ عن النبأ العظيم ﴾ بيان لذلك الشيء، والاستفهام لتفخيمه، وهو ما جاء به النبي ﷺ من القرآن المشتمل على البعث وغيره.

٣ ﴿ الذي هم فيه مختلفون ﴾ فالمؤمنون يثبتونه والكافرون ينكرونه.

فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ
فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟
وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى
ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟
قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾
وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾

(٧٨) سُورَةُ النَّبَإِ مَكِّيَّة
وَآيَاتُهَا أَرْبَعُونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى

---

(١) أخرج ابن أبي حاتم عن عبد الله الجدلي قال: أتيت بيت المقدس، فإذا عبادة بن الصامت وعبد الله بن عمرو وكعب الأحبار، يتحدثون في بيت المقدس، فقال عبادة: إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين بصعيد واحد، ينفذهم البصر ويسمعهم الداعي، ويقول الله: ﴿هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين. فإن كان لكم كيد فكيدون﴾ اليوم لا ينجو مني جبار عنيد، ولا شيطان مريد. فقال عبد الله بن عمرو: فإنا نحدث يومئذ أنه يخرج عُنُق من النار، فتنطلق حتى إذا كانت بين ظهراني الناس نادت: أيها الناس، إني بعثت إلى ثلاثة، أنا أعرف بهم من الأب بولده، ومن الأخ بأخيه، لا يغيبهم عني وَزَر، ولا تخفيهم عني خافية: الذي جعل مع الله إلهاً آخر، وكل جبار عنيد، وكل شيطان مريد. فتنطوي عليهم فتقذف بهم في النار قبل الحساب بأربعين سنة. [ابن كثير]. [بصعيد: الصعيد وجه الأرض. مريد: عاتٍ خارج عن العدل والحق. وزر: ملجأ].

(٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ منكم ﴿والتين والزيتون﴾ فانتهى إلى آخرها: ﴿أليس الله بأحكم الحاكمين﴾ فليقل: بلى، وأنا على ذلك من الشاهدين. ومن قرأ: ﴿لا أقسم بيوم القيامة﴾ فانتهى إلى: ﴿أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى﴾ فليقل: بلى. ومن قرأ: ﴿والمرسلات﴾ فبلغ: ﴿فبأي حديث بعده يؤمنون﴾ فليقل: آمنا بالله». [أبو داود: الصلاة، باب: مقدار الركوع والسجود، رقم: ٨٨٧].

سبب نزول الآية [٤٨]: قال السيوطي: أخرج ابن المنذر عن مجاهد في قوله: ﴿وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون﴾ قال: نزلت في ثقيف.

سبب نزول سورة النبأ: أخرج ابن جرير عن الحسن قال: لما بعث النبيّ ﷺ جعلوا يتساءلون بينهم، فنزلت: ﴿عم يتساءلون. عن النبأ العظيم﴾. يعني الخبر العظيم.

هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا
سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ
أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ
سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ
مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا
سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾
لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ
يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ
أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ
ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾
لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ
فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً

٤ ﴿ كلا ﴾ ردع ﴿ سيعلمون ﴾ ما يحل بهم على إنكارهم له.

٥ ﴿ ثم كلا سيعلمون ﴾ تأكيد، وجيء فيه بثم للإيذان(١) بأن الوعيد الثاني أشد من الأول. ثم أومأ(٢) تعالى إلى القدرة على البعث فقال: ٦ ﴿ ألم نجعل الأرض مهاداً ﴾ فراشاً كالمهد(٣).

٧ ﴿ والجبال أوتاداً ﴾ تثبت بها الأرض كما تثبت الخيام بالأوتاد، والاستفهام للتقرير.

٨ ﴿ وخلقناكم أزواجاً ﴾ ذكوراً وإناثاً. ٩ ﴿ وجعلنا نومكم سباتاً ﴾ راحة لأبدانكم(٤).

١٠ ﴿ وجعلنا الليل لباساً ﴾ ساتراً بسواده. ١١ ﴿ وجعلنا النهار معاشاً ﴾ وقتاً للمعايش.

١٢ ﴿ وبنينا فوقكم سبعاً ﴾ سبع سماوات ﴿ شداداً ﴾ جمع شديدة أي قوية محكمة، لا يؤثر فيها مرور الزمان.

١٣ ﴿ وجعلنا سراجاً ﴾ منيراً ﴿ وهاجاً ﴾ وقاداً، يعني الشمس. ١٤ ﴿ وأنزلنا من المعصرات ﴾ السحابات التي حان لها أن تمطر، كالمعصر الجارية التي دنت من الحيض(٥) ﴿ ماء ثجاجاً ﴾ صباباً.

١٥ ﴿ لنخرج به حباً ﴾ كالحنطة ﴿ ونباتاً ﴾ كالتبن(٦).

١٦ ﴿ وجنات ﴾ بساتين ﴿ ألفافاً ﴾ ملتفة، جمع لفيف، كشريف وأشراف.

١٧ ﴿ إن يوم الفصل ﴾ بين الخلائق ﴿ كان ميقاتاً ﴾ وقتاً للثواب والعقاب.

١٨ ﴿ يوم ينفخ في الصور ﴾ القرن، بدل من يوم الفصل أو بيان له، والنافخ إسرافيل ﴿ فتأتون ﴾ من قبوركم إلى الموقف ﴿ أفواجاً ﴾ جماعات مختلفة.

١٩ ﴿ وفتحت السماء ﴾ بالتشديد والتخفيف، شققت لنزول الملائكة ﴿ فكانت أبواباً ﴾ ذات أبواب.

٢٠ ﴿ وسيرت الجبال ﴾ ذهب بها عن أماكنها ﴿ فكانت سراباً ﴾ هباء، أي مثله في خفة سيرها(٧).

٢١ ﴿ إن جهنم كانت مرصاداً ﴾ راصدة، أو مرصدة.

٢٢ ﴿ للطاغين ﴾ الكافرين، فلا يتجاوزونها ﴿ مآبا ﴾ مرجعاً لهم، فيدخلونها.

٢٣ ﴿ لابثين ﴾ حال مقدرة، أي مقدراً لبثهم ﴿ فيها أحقاباً ﴾ دهوراً لا نهاية لها، جمع حقب، بضم أوله.

٢٤ ﴿ لا يذوقون فيها برداً ﴾ نوماً(٨)، فإنهم لا يذوقونه ﴿ ولا شراباً ﴾ ما يشرب تلذذاً.

٢٥ ﴿ إلا ﴾ لكن ﴿ حميماً ﴾ ماء حاراً غاية الحرارة ﴿ وغساقاً ﴾ بالتخفيف والتشديد، ما يسيل من صديد أهل النار(٩)، فإنهم يذوقونه، جوزوا بذلك: ٢٦ ﴿ جزاءً

---

(١) للإخبار والإعلام. (٢) أشار.

(٣) ممهدة كالفراش، يحصلون الراحة بالعيش عليها، كما يحصلها من يستلقي على الفراش، والصبي الذي يستريح على مهده، أي فراشه المهيء له. (٤) لأن فيه قطع الأعمال.

(٥) أي كما يقال للأنثى التي قاربت أن تحيض المعصر.

(٦) والمراد: ما يقتات به الآدميون وما تعلف به الدواب.

(٧) الأولى أن تبقى كلمة سراب على ظاهرها، والمعنى: أنها ترى جبالاً وهي ليست كذلك، كما يرى الناظر السراب فيظنه ماء، حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً.

(٨) وسمي برداً لأنه يبرد فاعله ويهدأ. أو المراد: برد كل شيء له راحة، بخلاف الزمهرير الذي هو برد عذاب لا راحة فيه.

(٩) والصديد هو غسالة الجروح والقروح.

فائدة: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما بين النفختين أربعون». قال: أربعون يوماً؟ قال: أبيت، قال: أربعون شهراً؟ قال: أبيت، قال: أربعون سنة؟ قال: أبيت. قال: «ثم ينزل الله من السماء ماءً، فينبتون كما ينبت البقل، ليس من الإنسان شيء إلا يبلى، إلا عظماً واحداً وهو عجب الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة». [البخاري: التفسير/ النبأ، باب: ﴿يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجاً﴾ رقم: ٤٦٥١. مسلم: الفتن وأشراط الساعة، باب: ما بين النفختين، رقم: ٢٩٥٥]. [قال: بعض من كان يسمع الحديث. أبيت: أمتنع من تعيين ذلك بالأيام والسنين والشهور، لأنه لم يكن عنده علم بذلك. يبلى: يفنى. عجب ذنبه: أصل الذنب، وهو عظم لطيف من أصل الصلب، وهو رأس العصعص. يركب الخلق: يجعله الله تعالى سبباً ظاهراً لإنشاء الخلق مرة أخرى، والله تعالى أعلم بحكمة ذلك].

وفاقاً ﴾ موافقاً لعملهم، فلا ذنب أعظم من الكفر، ولا عذاب أعظم من النار.

٢٧ ﴿ إنهم كانوا لا يرجون ﴾ يخافون ﴿ حساباً ﴾ لإنكارهم البعث. ٢٨ ﴿ وكذبوا بآياتنا ﴾ القرآن ﴿ كذاباً ﴾ تكذيباً.

٢٩ ﴿ وكل شيء ﴾ من الأعمال ﴿ أحصيناه ﴾ ضبطناه ﴿ كتاباً ﴾ كتْباً في اللوح المحفوظ لنجازي عليه، ومن ذلك تكذيبهم بالقرآن.

٣٠ ﴿ فذوقوا ﴾ أي فيقال لهم في الآخرة عند وقوع العذاب عليهم: ذوقوا جزاءكم ﴿ فلن نزيدكم إلا عذاباً ﴾ فوق عذابكم. ٣١ ﴿ إن للمتقين مفازاً ﴾ مكان فوز في الجنة.

٣٢ ﴿ حدائق ﴾ بساتين، بدل من «مفازاً» أو بيان له ﴿ وأعناباً ﴾ عطف على «مفازاً».

٣٣ ﴿ وكواعب ﴾ جواري تكعبت ثديهن، جمع كاعب ﴿ أتراباً ﴾ على سن واحد، جمع ترب، بكسر التاء وسكون الراء. ٣٤ ﴿ وكأساً دهاقاً ﴾ خمراً مالئة محالها، وفي سورة القتال⁽¹⁾ «وأنهار من خمر».

٣٥ ﴿ لا يسمعون فيها ﴾ أي الجنة، عند شرب الخمر وغيرها من الأحوال ﴿ لغواً ﴾ باطلاً من القول ﴿ ولا كِذَاباً ﴾ بالتخفيف أي كذباً، وبالتشديد أي تكذيباً من واحد لغيره، بخلاف ما يقع في الدنيا عند شرب الخمر.

٣٦ ﴿ جزاءً من ربك ﴾ أي جزاهم الله بذلك جزاءً ﴿ عطاءً ﴾ بدل من «جزاء» ﴿ حساباً ﴾ أي كثيراً، من قولهم: أعطاني فأحسبني، أي أكثر عليّ حتى قلت حسبي.

٣٧ ﴿ رب السماوات والأرض ﴾ بالجر والرفع[2] ﴿ وما بينهما الرحمن ﴾ كذلك[3]، وبرفعه مع جر رب[4] ﴿ لا يملكون ﴾ أي الخلق ﴿ منه ﴾ تعالى ﴿ خطاباً ﴾ أي لا يقدر أحد أن يخاطبه خوفاً منه.

٣٨ ﴿ يوم ﴾ ظرف لـلا يملكون ﴿ يقوم الروح ﴾ جبريل، أو جند الله ﴿ والملائكة صفاً ﴾ حال، أي مصطفين ﴿ لا يتكلمون ﴾ أي الخلق ﴿ إلا من أذن له الرحمن ﴾ في الكلام ﴿ وقال ﴾ قولاً ﴿ صواباً ﴾ من المؤمنين والملائكة، كأن يشفعوا لمن ارتضى.

٣٩ ﴿ ذلك اليوم الحق ﴾ الثابت وقوعه، وهو يوم القيامة ﴿ فمن شاء اتخذ إلى ربه مآباً ﴾ مرجعاً، أي رجع إلى الله بطاعته، ليسلم من العذاب فيه.

٤٠ ﴿ إنا أنذرناكم ﴾ يا كفار مكة ﴿ عذاباً قريباً ﴾ عذاب يوم القيامة الآتي، وكل آتٍ قريب ﴿ يوم ﴾ ظرف لعذاباً بصفته[5] ﴿ ينظر المرء ﴾ كل امرىء ﴿ ما قدمت يداه ﴾ من خير وشر ﴿ ويقول الكافر يا ﴾ حرف تنبيه ﴿ ليتني كنت تراباً ﴾ يعني فلا أعذب، يقول ذلك عندما يقول الله تعالى للبهائم بعد الاقتصاص من بعضها لبعض: كوني تراباً.

وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟
بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾
فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ
مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾
وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾
جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾
يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ
أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ ۖ
فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا
قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ
يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًا ﴿٤٠﴾

---

[1] أي سورة محمد ـ ﷺ ـ الآية/ ١٥/.

[2] أي في ﴿رب﴾ فالجر على أنه بدل من قوله ﴿ربك﴾ في الآية قبلها، والرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هو رب..

[3] أي بالجر والرفع للفظ ﴿الرحمن﴾.

[4] أي ﴿ربِّ السماوات والأرض وما بينهما الرحمنُ﴾ ورفع ﴿الرحمن﴾ في حال رفعه على أنه خبر لمبتدأ محذوف، والتقدير: هو الرحمن، أو على أنه مبتدأ، وجملة ﴿لا يملكون﴾ خبره.

[5] أي العذاب القريب يكون يوم.

فائدة: عن أنس رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «إذا كان يوم القيامة شُفِّعت، فقلت: يا رب أدخل الجنة من كان في قلبه خردلة، فيدخلون. ثم أقول: أدخل الجنة من كان في قلبه أدنى شيء». فقال أنس: كأني أنظر إلى أصابع رسول الله ﷺ. [البخاري: التوحيد، باب: كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، رقم: ٧٠٧١] [شفعت: من التشفيع، وهو تفويض الشفاعة إليه والقبول منه. خردلة: أي من الإيمان، والخردلة واحدة الخردل، وهو نبت صغير الحب، وهذا تمثيل للقلة. أنظر إلى أصابع: أي وهو يضمها ويشير بها، يصف مدى القلة].

وفي الحديث الصحيح: «ولا يتكلم يومئذ أحد إلا الرسل، وكلام الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم». [البخاري: صفة الصلاة، باب: فضل السجود، رقم: ٧٧٣. مسلم: الإيمان، باب: معرفة طريق الرؤية، رقم: ١٨٢].

(سورة النازعات)

(مكية وآياتها ست وأربعون آية)

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿ **والنازعات** ﴾ الملائكة تنزع أرواح الكفار ﴿ **غرقاً** ﴾ نزعاً بشدة(١).

٢ ﴿ **والناشطات نشطاً** ﴾ الملائكة تنشط أرواح المؤمنين، أي تسلها برفق.

٣ ﴿ **والسابحات سبحاً** ﴾ الملائكة تسبح من السماء بأمره تعالى، أي تنزل.

٤ ﴿ **فالسابقات سبقاً** ﴾ الملائكة تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة.

٥ ﴿ **فالمدبرات أمراً** ﴾ الملائكة تدبر أمر الدنيا، أي تنزل بتدبيره، وجواب هذه الأقسام محذوف، أي لتبعثن يا كفار مكة، وهو عامل في: ٦ ﴿ **يوم ترجف الراجفة** ﴾ النفخة الأولى، بها يرجف كل شيء، أي يتزلزل، فوصفت بما يحدث بها.

٧ ﴿ **تتبعها الرادفة** ﴾ النفخة الثانية، بينهما أربعون سنة، والجملة حال من الراجفة، فاليوم واسع للنفختين وغيرهما، فصح ظرفيته للبعث الواقع عقب الثانية.

٨ ﴿ **قلوب يومئذٍ واجفة** ﴾ خائفة قلقة.

٩ ﴿ **أبصارها خاشعة** ﴾ ذليلة لهول ما ترى.

١٠ ﴿ **يقولون** ﴾ أي أرباب القلوب والأبصار(٢)، استهزاءً وإنكاراً للبعث ﴿ **ءإنا** ﴾ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين في الموضعين ﴿ **لمردودون في الحافرة** ﴾ أي أنرد بعد الموت إلى الحياة، والحافرة اسم لأول الأمر، ومنه: رجع فلان في حافرته، إذا رجع من حيث جاء.

١١ ﴿ **ءإذا كنا عظاماً نخرة** ﴾ وفي قراءة «ناخرة» بالية متفتتة، نحيا(٣)؟

١٢ ﴿ **قالوا تلك** ﴾ أي رجعتنا إلى الحياة ﴿ **إذاً** ﴾ إن صحت ﴿ **كرة** ﴾ رجعة ﴿ **خاسرة** ﴾ ذات خسران. قال تعالى:

١٣ ﴿ **فإنما هي** ﴾ أي الرادفة التي يعقبها البعث ﴿ **زجرة** ﴾ نفخة ﴿ **واحدة** ﴾ فإذا نفخت:

١٤ ﴿ **فإذا هم** ﴾ أي كل الخلائق ﴿ **بالساهرة** ﴾ بوجه الأرض أحياءً، بعد ما كانوا ببطنها أمواتاً.

١٥ ﴿ **هل أتاك** ﴾ يا محمد ﴿ **حديث موسى** ﴾ عامل في:

١٦ ﴿ **إذ ناداه ربه**(٤) **بالواد المقدس طوى** ﴾ اسم الوادي، بالتنوين وتركه، فقال تعالى:

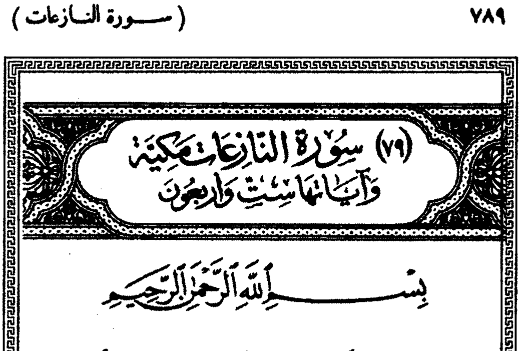

٧٨٩ (سـورة النازعات)

سُورَةُ النَّازِعَاتِ مَكِّيَّةٌ (٧٩)
وَآيَاتُهَا سِتٌّ وَأَرْبَعُونَ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ﴿١﴾ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ﴿٢﴾
وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ﴿٣﴾ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ﴿٤﴾ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ
أَمۡرٗا ﴿٥﴾ يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾
قُلُوبٞ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبۡصَٰرُهَا خَٰشِعَةٞ ﴿٩﴾ يَقُولُونَ
أَءِنَّا لَمَرۡدُودُونَ فِي ٱلۡحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا
نَّخِرَةٗ ﴿١١﴾ قَالُواْ تِلۡكَ إِذٗا كَرَّةٌ خَاسِرَةٞ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ
وَٰحِدَةٞ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ
مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾

---

(١) يقال: أغرق في الشيء إذا بلغ فيه أقصى غايته.

(٢) أي أصحاب القلوب الخائفة والأبصار الذليلة.

(٣) قوله [نحيا] هو المسؤول عنه الذي يستنكرونه بسؤالهم.

(٤) أي قوله ﴿حديث﴾ هو العامل في الظرف ﴿إذ..﴾ لا قوله ﴿أتاك﴾ لأن الحديث كان وقت النداء، بينما إتيان الخبر لمحمد ﷺ متأخر عنه. والحكمة من إخباره ﷺ بذلك تسليته وتحذير قومه من مخالفته، فيحصل لهم ما حصل لفرعون، لأنهم مهما بلغوا في الكفر والعناد لم يبلغوا ما بلغه فرعون، وقد انتقم الله تعالى منه مع شدة بأسه وكثرة جنوده.

فائدة: عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال: «يا أيها الناس، اذكروا الله، جاءت الراجفة تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه». [أخرجه الترمذي في أبواب صفة القيامة، باب: حدثنا هناد..، رقم: ٢٤٥٩، وقال: حديث حسن]. وعند أحمد زيادة: فقال رجل: يارسول الله، أرأيت إن جعلت صلاتي كلها عليك؟ قال: «إذاً يكفيك الله ما أهمك من دنياك وآخرتك» [مسند أحمد: ٥/ ١٣٦].

سبب نزول الآية [١٢]: قال السيوطي في [لباب النقول]: أخرج سعيد بن منصور، عن محمد بن كعب قال: لما نزل قوله: ﴿أئنا لمردودون في الحافرة﴾ قال كفار قريش: لئن حيينا بعد الموت لنخسرنّ، فنزلت: ﴿قالوا تلك إذاً كرّة خاسرة﴾.

١٧ ﴿ اذهب إلى فرعون إنه طغى ﴾ تجاوز الحد في الكفر.

١٨ ﴿ فقل هل لك ﴾ أدعوك ﴿ إلى أن تَزَكّى ﴾ وفي قراءة بتشديد الزاي بإدغام التاء الثانية في الأصل فيها(١)، تتطهر من الشرك، بأن تشهد أن لا إله إلا الله.

١٩ ﴿ وأهديك إلى ربك ﴾ أدلك على معرفته بالبرهان ﴿ فتخشى ﴾ فتخافه.

٢٠ ﴿ فأراه الآية الكبرى ﴾ من آياته التسع(٢)، وهي اليد أو العصا.

٢١ ﴿ فكذب ﴾ فرعون موسى ﴿ وعصى ﴾ الله تعالى.

٢٢ ﴿ ثم أدبر ﴾ عن الإيمان ﴿ يسعى ﴾ في الأرض بالفساد.

٢٣ ﴿ فحشر ﴾ جمع السحرة وجنده ﴿ فنادى ﴾.

٢٤ ﴿ فقال أنا ربكم الأعلى ﴾ لا رب فوقي.

٢٥ ﴿ فأخذه الله ﴾ أهلكه بالغرق ﴿ نكال ﴾ عقوبة ﴿ الآخرة ﴾ أي هذه الكلمة ﴿ والأولى ﴾ أي قوله قبلها: ما علمت لكم من إله غيري(٣)، وكان بينهما أربعون سنة.

٢٦ ﴿ إن في ذلك ﴾ المذكور ﴿ لعبرة لمن يخشى ﴾ الله تعالى.

٢٧ ﴿ ءأنتم ﴾ بتحقيق الهمزتين، وإبدال الثانية ألفاً وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه، أي منكرو البعث ﴿ أشد خلقاً أم السماء ﴾ أشد خلقاً ﴿ بناها ﴾ بيان لكيفية خلقها.

٢٨ ﴿ رفع سمكها ﴾ تفسير لكيفية البناء، أي جعل سمتها في جهة العلو رفيعاً، وقيل: سمكها سقفها ﴿ فسواها ﴾ جعلها مستوية بلا عيب.

٢٩ ﴿ وأغطش ليلها ﴾ أظلمه ﴿ وأخرج ضحاها ﴾ أبرز نور شمسها، وأضيف إليها الليل لأنه ظلها، والشمس لأنها سراجها.

٣٠ ﴿ والأرض بعد ذلك دحاها ﴾ بسطها، وكانت مخلوقة قبل السماء من غير دحو.

٣١ ﴿ أخرج ﴾ حال بإضمار قد، أي مُخرجاً ﴿ منها ماءها ﴾ بتفجير عيونها ﴿ ومرعاها ﴾ ما ترعاه النعم(٤) من الشجر والعشب، وما يأكله الناس من الأقوات والثمار، وإطلاق المرعى عليه إستعارة(٥).

٣٢ ﴿ والجبال أرساها ﴾ أثبتها على وجه الأرض لتسكن(٦).

٣٣ ﴿ متاعاً ﴾ مفعول له لمقدر، أي فعل ذلك متعة، أو مصدر أي تمتيعاً ﴿ لكم ولأنعامكم ﴾ جمع نعم، وهي الإبل والبقر والغنم.

(الجـــزء الثلاثون) ٧٩٠

ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ
أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾
فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ
أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ
ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾
إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ
ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ
لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾
أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾
مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ
ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾
وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۙ ﴿٣٧﴾

٣٤ ﴿ فإذا جاءت الطامة الكبرى ﴾ النفخة الثانية.

٣٥ ﴿ يوم يتذكر الإنسان ﴾ بدل من إذا ﴿ ما سعى ﴾ في الدنيا من خير وشر.

٣٦ ﴿ وبرزت ﴾ أظهرت ﴿ الجحيم ﴾ النار المحرقة ﴿ لمن يرى ﴾ لكل راءٍ. وجواب إذا:

٣٧ ﴿ فأما من طغى ﴾ كفر.

---

(١) أي أصل الكلمة: تتزكى، فقلبت التاء الثانية زاياً وأدغمت في الزاي، فصارت: ﴿تَزَّكَّى﴾.

(٢) انظر/ الإسراء: ١٠١/ و/ النمل: ١٢/.

(٣) ولقد حكى عنه القرآن ذلك في/ القصص: ٣٨/.

(٤) الإبل والبقر والغنم ونحوها.

(٥) أي إطلاق المرعى على ما يأكله الناس استعارة، حيث شبه أكل الآدميين برعي الدواب، وحذف أداة التشبيه، فكان استعارة تصريحية. أو هو مجاز باستعمال المرعى في المأكول مطلقاً، سواء ما يأكله الناس أو غيرهم.

(٦) لتثبت وتستقر.

٣٨ ﴿ وآثر الحياة الدنيا ﴾ باتباع الشهوات.

٣٩ ﴿ فإن الجحيم هي المأوى ﴾ مأواه.

٤٠ ﴿وأما من خاف مقام ربه﴾ قيامه بين يديه ﴿ونهى النفس﴾ الأمارة(١)﴿عن الهوى﴾ المردي(٢) باتباع الشهوات.

٤١ ﴿ فإن الجنة هي المأوى ﴾ وحاصل الجواب: فالعاصي في النار والمطيع في الجنة.

٤٢ ﴿ يسألونك ﴾ أي كفار مكة ﴿ عن الساعة أيان مرساها ﴾ متى وقوعها وقيامها.

٤٣ ﴿ فيم ﴾ في أي شيء ﴿ أنت من ذكراها ﴾ أي ليس عندك علمها حتى تذكرها.

٤٤ ﴿ إلى ربك منتهاها ﴾ منتهى علمها، لا يعلمه غيره.

٤٥ ﴿ إنما أنت منذر ﴾ إنما ينفع إنذارك ﴿ من يخشاها ﴾ يخافها.

٤٦ ﴿ كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا ﴾ في قبورهم ﴿ إلا عشية أو ضحاها ﴾ أي عشية يوم أو بكرته، وصح إضافة الضحى إلى العشية لما بينهما من الملابسة، إذ هما طرفا النهار(٣)، وحسن الإضافة وقوع الكلمة فاصلة(٤).

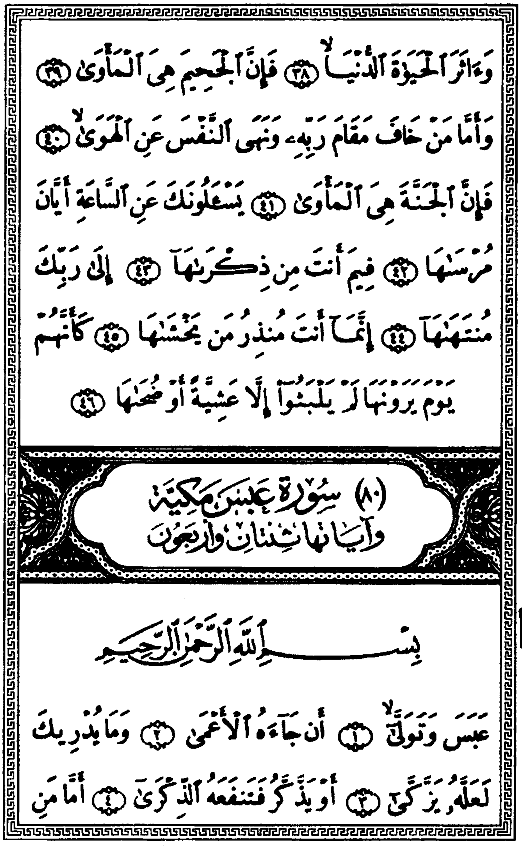

وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾
وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾
فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ
مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ
مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ
يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾

(٨٠) سُورَةُ عَبَسَ مَكِّيَّة
وَآيَاتُهَا ثِنْتَانِ وَأَرْبَعُونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ
لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ

(سورة عبس)

(مكية وآياتها اثنتان وأربعون آية)

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿ عبس ﴾ النبي، كلح وجهه ﴿ وتولى ﴾ أعرض، لأجل:

٢ ﴿ أن جاءه الأعمى ﴾ عبد الله بن أم مكتوم، فقطعه عما هو مشغول به، ومن يرجو إسلامه من أشراف قريش، الذين هو حريص على إسلامهم، ولم يدر الأعمى أنه مشغول بذلك، فناداه: علمني مما علمك الله، فانصرف النبي ﷺ إلى بيته، فعوتب في ذلك بما نزل في هذه السورة، فكان بعد ذلك يقول له إذا جاء: (مرحباً بمن عاتبني فيه ربي) ويبسط له رداءه.

٣ ﴿ وما يدريك ﴾ يعلمك ﴿ لعله يزكى ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الزاي(٥)، أي يتطهر من الذنوب بما يسمع منك.

٤ ﴿ أو يذكر ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الذال(٦)، أي يتعظ ﴿ فتنفعه الذكرى ﴾ العظة المسموعة منك، وفي قراءة بنصب تنفعه جواب الترجي.

٥ ﴿ أما من استغنى ﴾ بالمال.

---

(١) اي بالسوء كما جاء في سورة يوسف، الآية [٥٣].

(٢) المهلك.

(٣) فهما من يوم واحد.

(٤) أي رأس آية تناسب رؤوس الآيات قبلها.

(٥) أي أصل ﴿يزّكى﴾ يتزكى، فقلبت التاء زاياً وادغمت في الثانية.

(٦) أي أصل ﴿يذّكر﴾ يتذكر، فقلبت التاء ذالاً وادغمت في الثانية.

سبب نزول الآية [٤٢]: أخرج الحاكم في المستدرك [التفسير، باب: تفسير سورة النازعات: ٢/٥١٣] عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يسأل عن الساعة، حتى أنزل عليه: ﴿يسألونك عن الساعة آيان مرساها. فيم أنت من ذكراها. إلى ربك منتهاها﴾ فانتهى.

عن ابن عباس: أن مشركي أهل مكة سألوا النبيّ ﷺ فقالوا: متى تقوم الساعة؟ استهزاءً منهم، فأنزل الله: ﴿يسألونك عن الساعة آيان مرساها﴾ إلى آخر السورة. [السيوطي]

وأخرج ابن جرير عن طارق بن شهاب قال: كان رسول الله ﷺ لا يزال يذكر شأن الساعة حتى نزلت: ﴿فيم أنت من ذكراها. إلى ربك منتهاها﴾.

سبب نزول سورة عبس: عن عائشة رضي الله عنهاقالت: أنزلت:﴿عبس وتولى﴾ في ابن أم مكتوم الأعمى، أتى رسول الله ﷺ فجعل يقول: يا رسول الله أرشدني، وعند رسول الله ﷺ رجل من عظماء المشركين، فجعل رسول الله ﷺ يعرض عنه ويقبل على الآخر، فيقول له: أترى بما أقول بأساً؟ فيقول: (لا). فنزل: ﴿عبس وتولى. أن جاءه الأعمى﴾. [أخرجه الترمذي: التفسير، باب: ومن سورة عبس، رقم: ٣٣٢٨. والحاكم في المستدرك: التفسير/تفسير سورة ﴿عبس وتولى﴾: ٢/٥١٤].

٦ ﴿ فأنت له تصدى ﴾ وفي قراءة بتشديد الصاد، بإدغام التاء الثانية في الأصل فيها(١)، تقبل وتتعرض.

٧ ﴿ وما عليك ألا يزكى ﴾ يؤمن.

٨ ﴿ وأما من جاءك يسعى ﴾ حال من فاعل جاء.

٩ ﴿ وهو يخشى ﴾ الله، حال من فاعل يسعى، وهو الأعمى.

١٠ ﴿ فأنت عنه تلهى ﴾ فيه حذف التاء الأخرى في الأصل(٢)، أي تتشاغل.

١١ ﴿ كلا ﴾ لا تفعل مثل ذلك ﴿ إنها ﴾ أي السورة أو الآيات ﴿ تذكرة ﴾ عظة للخلق.

١٢ ﴿ فمن شاء ذكره ﴾ حفظ ذلك فاتعظ به.

١٣ ﴿في صحف﴾ خبر ثانٍ لـ «إنها» وما قبله اعتراض ﴿مكرمة﴾ عند الله.

١٤ ﴿ مرفوعة ﴾ في السماء ﴿ مطهرة ﴾ منزهة عن مس الشياطين.

١٥ ﴿ بأيدي سفرة ﴾ كتبة ينسخونها من اللوح المحفوظ.

١٦ ﴿ كرام بررة ﴾ مطيعين لله تعالى، وهم الملائكة.

١٧ ﴿ قتل الإنسان ﴾ لعن الكافر ﴿ ما أكفره ﴾ استفهام توبيخ، أي ما حمله على الكفر.

١٨ ﴿ من أي شيء خلقه ﴾ استفهام تقرير، ثم بينه فقال:

١٩ ﴿ من نطفة خلقه فقدره ﴾ علقة، ثم مضغة، إلى آخر خلقه.

٢٠ ﴿ ثم السبيل ﴾ أي طريق خروجه من بطن أمه ﴿ يسره ﴾.

٢١ ﴿ ثم أماته فأقبره ﴾ جعله في قبر يستره.

٢٢ ﴿ ثم إذا شاء أنشره ﴾ للبعث.

٢٣ ﴿ كلا ﴾ حقاً ﴿ لما يقض ﴾ لم يفعل ﴿ ما أمره ﴾ به ربه.

٢٤ ﴿ فلينظر الإنسان ﴾ نظر اعتبار ﴿ إلى طعامه ﴾ كيف قدر ودبر له.

٢٥ ﴿ أنا صببنا الماء ﴾ من السحاب ﴿ صباً ﴾.

٢٦ ﴿ ثم شققنا الأرض ﴾ بالنبات ﴿ شقاً ﴾.

٢٧ ﴿ فأنبتنا فيها حباً ﴾ كالحنطة والشعير.

٢٨ ﴿ وعنباً وقضباً ﴾ هو القت الرطب(٣).

٢٩ ﴿ وزيتوناً ونخلاً ﴾.

٣٠ ﴿ وحدائق غلباً ﴾ بساتين كثيرة الأشجار.

٣١ ﴿ وفاكهة وأباً ﴾ ما ترعاه البهائم، وقيل التبن(٤).

٣٢ ﴿ متاعاً ﴾ متعة أو تمتيعاً، كما تقدم في السورة قبلها ﴿ لكم ولأنعامكم ﴾ تقدم فيها أيضاً(٥).

٣٣ ﴿ فإذا جاءت الصاخة ﴾ النفخة الثانية(٦).

ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا
يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾
فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ
ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾
بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ
مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ
خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ
فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ
مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا
صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾
فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا
وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾

---

(١) أي أصل الكلمة: تتصدى، فقراءة ﴿تَصَدَّى﴾ بفتح الصاد دون تشديد على حذف إحدى التاءين تخفيفاً. وقراءة ﴿تَصَّدَّى﴾ بتشديد الصاد، فعلى قلب التاء الثانية صاداً، وإدغامها في الصاد.

(٢) أي أصل الكلمة: تتلهى، فحذفت التاء الثانية تخفيفاً.

(٣) سمي قضباً لأنه يقضب، أي يقطع مرة بعد أخرى.

(٤) وقيل: الكلأ والمرعى الذي لم يزرعه الناس مما يأكله الدواب.

(٥) انظر/ النازعات: ٣٣/.

(٦) وسميت ﴿الصاخة﴾ لأنها تصخ أسماع الخلق، أي تكاد تصمها لشدتها ومبالغتها في الإسماع.

فائدة: عن عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ قال: «مثل الذي يقرأ القرآن، وهو حافظ له، مع السفرة الكرام البررة. ومثل الذي يقرأ، وهو يتعاهده، وهو عليه شديد، فله أجران» [البخاري: التفسير، باب: تفسير سورة ﴿عبس﴾ رقم: ٤٦٥٣. مسلم: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل الماهر بالقرآن والذي يتتعتع فيه، رقم: ٧٩٨] [حافظ له: أي للقرآن عن ظهر قلب. يتعاهده: يضبطه ويتفقده ويكرر قراءته حتى لا ينساه. أجران: لتلاوته ولتحمل المشقة فيها].

سبب نزول الآية [١٧]: قال السيوطي في [لباب النقول]: أخرج ابن المنذر عن عكرمة في قوله: ﴿ قتل الإنسان ما أكفره ﴾ قال: نزلت في عتبة بن أبي لهب، حين قال: كفرت بربِّ النجم.

٣٤ ﴿ يوم يفر المرء من أخيه ﴾.

٣٥ ﴿ وأمه وأبيه ﴾.

٣٦ ﴿ وصاحبته ﴾ زوجته ﴿ وبنيه ﴾ يوم بدل من إذا(١) وجوابها دل عليه.

٣٧ ﴿ لكل امرىء منهم يومئذٍ شأن يغنيه ﴾ حال يشغله عن شأن غيره، أي اشتغل كل واحد بنفسه(٢).

٣٨ ﴿ وجوه يومئذٍ مسفرة ﴾ مضيئة.

٣٩ ﴿ ضاحكة مستبشرة ﴾ فرحة، وهم المؤمنون.

٤٠ ﴿ ووجوه يومئذٍ عليها غبرة ﴾ غبار.

٤١ ﴿ ترهقها ﴾ تغشاها ﴿ قترة ﴾ ظلمة وسواد.

٤٢ ﴿ أولئك ﴾ أهل هذه الحالة ﴿ هم الكفرة الفجرة ﴾ أي الجامعون بين الكفر والفجور.

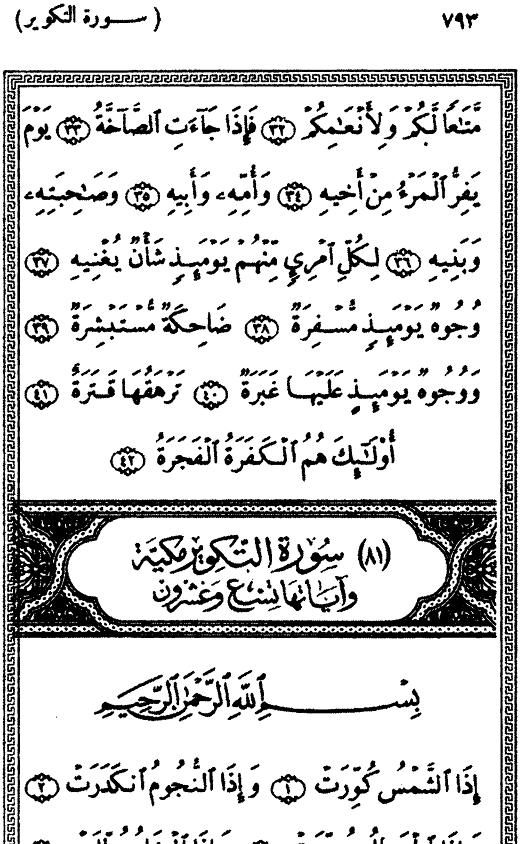
٧٩٣ (سورة التكوير)

مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ
يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ
وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾
وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾
وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾
أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾

(٨١) سُورَةُ التَّكْوِيرِ مَكِّيَّة
وَآيَاتُهَا تِسْعٌ وَعِشْرُونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾
وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾

(سورة التكوير)
(مكية وآياتها تسع وعشرون آية)

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿ إذا الشمس كورت ﴾ لففت وذهب بنورها.

٢ ﴿ وإذا النجوم انكدرت ﴾ انقضت وتساقطت على الأرض.

٣ ﴿ وإذا الجبال سيرت ﴾ ذهب بها عن وجه الأرض فصارت هباءً منبثاً(٣).

٤ .﴿ وإذا العشار ﴾ النوق الحوامل ﴿ عطلت ﴾ تركت بلا راعٍ أو بلا حلب، لما دهاهم من الأمر، ولم يكن مال أعجب إليهم منها.

---

(١) أي قوله ﴿يوم﴾ في قوله ﴿يوم يفر..﴾ بدل من قوله ﴿إذا﴾ في قوله ﴿فإذا جاءت الصاخة﴾ ودل على هذه البدلية جواب إذا، وهو قوله ﴿ لكل امرىء منهم يومئذ.. ﴾ أي يوم يفر...

(٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: (تحشرون حفاة عراة غرلاً) فقالت امرأة: أيبصر أحدنا ـ أو: يرى بعضنا ـ عورة بعض؟ قال: (يا فلانة، لكل امرىء منهم يومئذٍ شيء يغنيه) أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح. [التفسير، باب: ومن سورة عبس، رقم: ٣٣٢٩].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: (تحشرون حفاة عراة غرلاً). قالت عائشة: فقلت: يا رسول الله، الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض ؟ فقال: (الأمر أشد من أن يهمهم ذاك).

[البخاري: الرقاق، باب: كيف الحشر، رقم: ٦١٦٢. مسلم: الجنة وصفة نعيمها، باب: فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، رقم: ٢٨٥٩].

[غرلاً: جمع أغرل، وهو الذي لم تقطع منه قلفة الذكر، وهي الجلدة التي تقطع عند الختان. الأمر: الحال والموقف. ذاك: نظر بعضهم إلى عورة بعض].

وأخرج الواحدي في [أسباب النزول] بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قالت عائشة رضي الله عنها للنبي ﷺ: أنحشر عراة؟ قال: (نعم). قالت: واسوأتاه. فأنزل الله تعالى: ﴿لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه﴾.

قال ابن كثير في تفسيره: قال عكرمة: يلقى الرجل زوجته فيقول لها: يا هذه، أي بعل كنت لك ؟ فتقول: نعم البعل كنت، وتثني بخير ما استطاعت، فيقول لها: فإني أطلب إليك اليوم حسنة واحدة تهبينها لي، لعلي أنجو مما ترين. فتقول له: ما أيسر ما طلبت، ولكني لا أطيق أن أعطيك شيئاً، أتخوف مثل الذي تخاف. قال: وإن الرجل ليلقى ابنه فيتعلق به، فيقول: يا بني، أي والد كنت لك ؟ فيثني بخير، فيقول له: يا بني، إني احتجت إلى مثقال ذرة من حسناتك، لعلي أنجو بها مما ترى. فيقول ولده: يا أبت، ما أيسر ما طلبت، ولكني أتخوف مثل الذي تتخوف، فلا أستطيع أن أعطيك شيئاً. يقول الله تعالى: ﴿يوم يفر المرء من أخيه.وأمه وأبيه.وصاحبته وبنيه﴾.

(٣) هباءً منتشراً، والهباء هو الذرات الصغيرة المتناثرة التي ترى في شعاع الشمس.

٥ ﴿ وإذا الوحوش حشرت ﴾ جمعت من بعد البعث، ليقتص لبعض من بعض، ثم تصير تراباً.

٦ ﴿ وإذا البحار سُجِرَت ﴾ بالتخفيف والتشديد، أوقدت فصارت ناراً.

٧ ﴿ وإذا النفوس زوجت ﴾ قرنت بأجسادها.

٨ ﴿ وإذا الموؤودة ﴾ الجارية[1] تدفن حية خوف العار والحاجة ﴿ سئلت ﴾ تبكيتاً لقاتلها[2].

٩ ﴿ بأي ذنب قتلت ﴾ وقرئت بكسر التاء حكاية لما تخاطب به، وجوابها أن تقول: قتلت بلا ذنب.

١٠ ﴿ وإذا الصحف ﴾ صحف الأعمال ﴿ نشرت ﴾ بالتخفيف والتشديد، فتحت وبسطت.

١١ ﴿ وإذا السماء كشطت ﴾ نزعت عن أماكنها كما ينزع الجلد من الشاة.

١٢ ﴿ وإذا الجحيم ﴾ النار ﴿ سُعِرَت ﴾ بالتخفيف والتشديد، أججت.

١٣ ﴿ وإذا الجنة أزلفت ﴾ قربت لأهلها ليدخلوها، وجواب إذا أول السورة وما عطف عليها:

١٤ ﴿ علمت نفس ﴾ كل نفس وقت هذه المذكورات، وهو يوم القيامة ﴿ ما أحضرت ﴾ من خير وشر.

١٥ ﴿ فلا أقسم ﴾ لا صلة[3] ﴿ بالخنَّس ﴾.

وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾
وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾
بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾
وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾
وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾
فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾
وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾
إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ
مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم
بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى
ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾
فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن

١٦ ﴿ الجوار الكنس ﴾ هي النجوم الخمسة: زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد، تخنس - بضم النون - أي ترجع في مجراها وراءها، بينما نرى النجم في آخر البرج إذ كر راجعاً إلى أوله، وتكنس - بكسر النون - تدخل في كناسها، أي تغيب في المواضع التي تغيب فيها[4].

١٧ ﴿ والليل إذا عسعس ﴾ أقبل بظلامه أو أدبر.

١٨ ﴿ والصبح إذا تنفس ﴾ امتد حتى يصير نهاراً بيناً.

١٩ ﴿ إنه ﴾ أي القرآن ﴿ لقول رسول كريم ﴾ على الله تعالى وهو جبريل، أضيف إليه لنزوله به.

٢٠ ﴿ ذي قوة ﴾ أي شديد القوى ﴿ عند ذي العرش ﴾ أي الله تعالى: ﴿ مكين ﴾ ذي مكانة، متعلق به «عند».

٢١ ﴿ مطاع ثم ﴾ أي تطيعه الملائكة في السماوات ﴿ أمين ﴾ على الوحي.

٢٢ ﴿ وما صاحبكم ﴾ محمد ﷺ عطف على «إنه»[5] إلى آخر المقسم عليه ﴿ بمجنون ﴾ كما زعمتم.

٢٣ ﴿ ولقد رآه ﴾ رأى محمد ﷺ جبريل على صورته التي خلق عليها ﴿ بالأفق المبين ﴾ البين، وهو الأعلى بناحية المشرق.

٢٤ ﴿ وما هو ﴾ محمد ﷺ ﴿ على الغيب ﴾ ما غاب من الوحي وخبر السماء ﴿ بظنين ﴾ أي بمتهم، وفي قراءة بالضاد، أي ببخيل، فينتقص شيئاً منه.

٢٥ ﴿ وما هو ﴾ أي القرآن ﴿ بقول شيطان ﴾ مسترق السمع ﴿ رجيم ﴾ مرجوم.

٢٦ ﴿ فأين تذهبون ﴾ أي فبأي طريق تسلكون في إنكاركم القرآن وإعراضكم عنه.

٢٧ ﴿ إن ﴾ ما ﴿ هو إلا ذكر ﴾ عظة ﴿ للعالمين ﴾ الإنس والجن.

٢٨ ﴿ لمن

---

(١) البنت الصغيرة.

(٢) أي فضحاً لفعلته الشنعاء، وإقامة للحجة عليه.

(٣) أي لفظ ﴿ لا ﴾ في ﴿ فلا ﴾ زائدة إعراباً، زيدت لتأكيد المعنى.

(٤) وهذا التفسير لحركة الكواكب وظهورها واختفائها بحسب ما يظهر لنا من هذه الأجرام الكونية، وهو مظهر يدل على عظيم قدرة الصانع جل وعلا، وأنه وحده المتصرف بهذا الكون الذي أتقن خلقه، والله تعالى أعلم بحقيقة خنوسها وكنوسها، وكتاب الله تعالى كتاب هداية، يكتفي بلفت الأنظار إلى ما يحقق هذه الهداية، دون أن يتعرض إلى كنه المظاهر الكونية وتفاصيل وجودها وأحوالها ووظائفها، والله تعالى أعلم.

(٥) في قوله ﴿إنه لقول رسول كريم﴾ الآية/١٩/.

شاء منكم ﴾ بدل من العالمين بإعادة الجار[1] ﴿ **أن يستقيم** ﴾ باتباع الحق.
٢٩ ﴿ **وما تشاؤون** ﴾ الاستقامة على الحق ﴿ **إلا أن يشاء الله رب العالمين** ﴾ الخلائق، استقامتكم عليه.

(سورة الانفطار)
(مكية وآياتها تسع عشرة آية)
بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿ **إذا السماء انفطرت** ﴾ انشقت.
٢ ﴿ **وإذا الكواكب انتثرت** ﴾ انقضت وتساقطت.
٣ ﴿ **وإذا البحار فجرت** ﴾ فتح بعضها في بعض فصارت بحراً واحداً، واختلط العذب بالملح.
٤ ﴿ **وإذا القبور بعثرت** ﴾ قلب ترابها وبعث موتاها، وجواب إذا وما عطف عليها:
٥ ﴿ **علمت نفس** ﴾ أي كل نفس وقت هذه المذكورات، وهو يوم القيامة ﴿ **ما قدمت** ﴾ من الأعمال ﴿ **و** ﴾ ما ﴿ **أخرت** ﴾ منها فلم تعمله.
٦ ﴿ **يا أيها الإنسان** ﴾ الكافر ﴿ **ما غرك بربك الكريم** ﴾ حتى عصيته.
٧ ﴿ **الذي خلقك** ﴾ بعد أن لم تكن ﴿ **فسواك** ﴾ جعلك مستوي الخلقة سالم الأعضاء ﴿ **فعدلك** ﴾ بالتخفيف والتشديد[2]، جعلك معتدل الخلق، متناسب الأعضاء، ليست يد أو رجل أطول من الأخرى.
٨ ﴿ **في أي صورة ما** ﴾ صلة[3] ﴿ **شاء ركبك** ﴾.
٩ ﴿ **كلا** ﴾ ردع عن الاغترار بكرم الله تعالى ﴿ **بل تكذبون** ﴾ يا كفار مكة ﴿ **بالدين** ﴾ بالجزاء على الأعمال.
١٠ ﴿ **وإن عليكم لحافظين** ﴾ من الملائكة لأعمالكم.

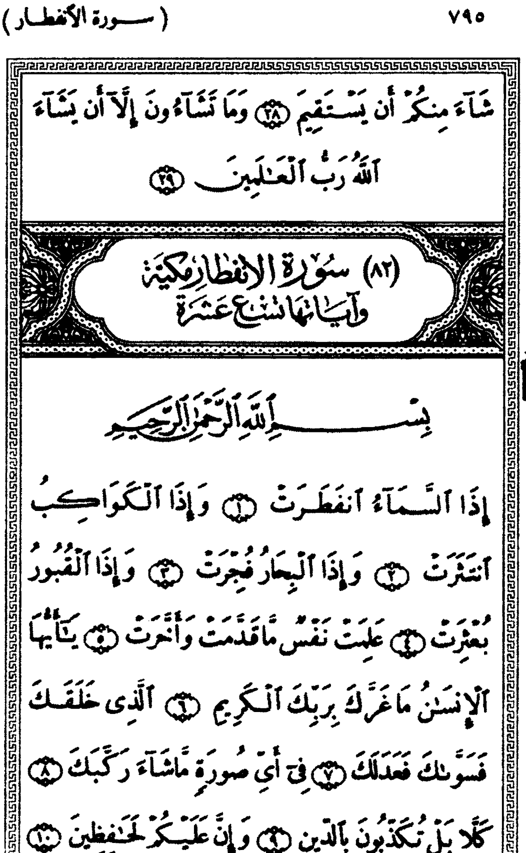
٧٩٥ (سورة الانفطار)

شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾

(٨٢) سُورَةُ الانفِطَارِ مَكِّيَّة
وَآيَاتُهَا تِسْعَ عَشْرَة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾

---

(١) أي قوله ﴿لمن﴾ بدل من ﴿للعالمين﴾ مع إعادة حرف الجر الذي هو اللام.

(٢) أي في اللفظ قراءتان متواترتان: ﴿فعدَلَك﴾ بتخفيف الدال، و: ﴿فعدَّلك﴾ بتشديدها، وهي بمعنى واحد. وقيل: ﴿فعدلك﴾ جعل أعضاءك متعادلة لا زيادة فيها ولا نقصان. و ﴿فعدَّلك﴾ جعل أعضاءك مستوية لا قبح فيها.
عن بسر بن جحاش القرشي رضي الله عنه: أن رسول ﷺ بصق يوماً في كفه، فوضع عليها إصبعه، ثم قال: (قال الله عز وجل: ابن آدم، أنَّى تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه؟ حتى إذا سويتك وعدلتك، مشيت بين بردين وللأرض منك وئيد، فجمعت ومنعت، حتى إذا بلغت التراقي قلت: أتصدق، وأنّى أوانُ الصدقة) [مسند أحمد: ٤/ ٢١٠] [بردين: مثنى بُرْد وهو نوع من الثياب. وئيد: تَمَهُّل].

(٣) وفي نسخة: زائدة، وهما بمعنى واحد، أي زائدة لفظاً وإعراباً، وتفيد تأكيد المعنى.

فائدة: عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من سره أن ينظر إلي يوم القيامة كأنه رأي العين فليقرأ: ﴿إذا الشمس كورت﴾ و ﴿إذا السماء انفطرت﴾ و ﴿إذا السماء انشقت﴾». [مسند أحمد: ٢/ ٢٧].

فائدة: عن جابر رضي الله عنه قال: قام معاذ رضي الله عنه فصلى العشاء الآخرة فطول، فقال النَّبي ﷺ: «أفتان يا معاذ؟ أفتان يا معاذ؟ أين كنت عن ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ و ﴿والضحى﴾ و ﴿إذا السماء انفطرت﴾». [النسائي: الافتتاح، باب: القراءة في العشاء الآخرة: ٢/ ١٧٢].

سبب نزول الآية [٢٩]: قال السيوطي في [لباب النقول]: أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم، عن سليمان بن موسى قال: لما نزلت ﴿لمن شاء منكم أن يستقيم﴾ قال أبو جهل: ذاك إلينا، إن شئنا استقمنا وإن شئنا لم نستقم، فأنزل الله: ﴿وما تشاؤون إلا أن يشاء الله ربّ العالمين﴾.
سبب نزول الآية [٦] من سورة الانفطار: قال السيوطي في [لباب النقول] أخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة في قوله: ﴿يا أيها الإنسان ما غرّك﴾ الآية، قال: أنزلت في أبيّ بن خلف.

١١ ﴿ كراماً ﴾ على الله ﴿ كاتبين ﴾ لها. ١٢ ﴿ يعلمون ما تفعلون ﴾ جميعه.

١٣ ﴿ إن الأبرار ﴾ المؤمنين الصادقين في إيمانهم ﴿ لفي نعيم ﴾ جنة.

١٤ ﴿ وإن الفجار ﴾ الكفار ﴿ لفي جحيم ﴾ نار محرقة.

١٥ ﴿ يصلونها ﴾ يدخلونها ويقاسون حرها ﴿ يوم الدين ﴾ الجزاء. ١٦ ﴿ وما هم عنها بغائبين ﴾ بمخرجين.

١٧ ﴿ وما أدراك ﴾ أعلمك ﴿ ما يوم الدين ﴾. ١٨ ﴿ ثم ما أدراك ما يوم الدين ﴾ تعظيم لشأنه.

١٩ ﴿ يوم ﴾ بالرفع(١)، أي هو يوم ﴿ لا تملك نفس لنفس شيئاً ﴾ من المنفعة ﴿ والأمر يومئذ لله ﴾ أي لا أمر لغيره فيه، أي لم يمكن أحداً من التوسط فيه، بخلاف الدنيا.

(سورة المطففين)

(مكية أو مدنية وآياتها ست و ثلاثون آيـة)

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿ ويل ﴾ كلمة عذاب، أو وادٍ في جهنم ﴿ للمطففين ﴾. ٢ ﴿ الذين إذا اكتالوا على ﴾ أي من ﴿ الناس يستوفون ﴾ الكيل.

٣ ﴿ وإذا كالوهم ﴾ أي كالوا لهم ﴿ أو وزنوهم ﴾ أي وزنوا لهم ﴿ يخسرون ﴾ ينقصون الكيل أو الوزن.

٤ ﴿ ألا ﴾ استفهام توبيخ ﴿ يظن ﴾ يتيقن ﴿ أولئك أنهم مبعوثون ﴾. ٥ ﴿ ليوم عظيم ﴾ أي فيه، وهو يوم القيامة.

٦ ﴿ يوم ﴾ بدل من محل «ليوم» فناصبه «مبعوثون» ﴿ يقوم الناس ﴾ من قبورهم ﴿ لرب العالمين ﴾ الخلائق، لأجل أمره وحسابه وجزائه(٢).

كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ
ٱلْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾
يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ﴿١٦﴾
وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ
ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ
يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾

(٨٣) سُورَةُ المُطَفِّفِينَ مَكِّيَّة
وَآيَاتُهَا سِتٌّ وَثَلَاثُونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ
يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾

---

(١) أي برفع ﴿يومُ﴾ على أنه خبر مبتدأ محذوف كما قال المفسر: أي هو يوم، أو على أنه بدل من ﴿يوم﴾ في قوله ﴿وما أدراك ما يومُ الدين﴾ وفي قراءة: ﴿يومَ﴾ بالنصب، على أنه مفعول لفعل مقدر، تقديره: اذكر، أو: يدانون، أي يحاسبون. والقراءتان متواترتان.

(٢) روى البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ تلا هذه الآية: ﴿يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾ قال: (يقوم أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه). وروى مسلم عن المقداد رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل، فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق: فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً). قال سليم بن عامر ـ راوي الحديث عن المقداد ـ فوالله ما أدري ما يعني بالميل؟ أمسافة الأرض، أم الميل الذي تكتحل به العين. [حقويه: مثنى حقو، وهو موضع شد الإزار، وهو الخاصرة] [البخاري: الرقاق، باب: قول الله تعالى: ﴿ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون..﴾ رقم: ٦١٦٦. مسلم: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: في صفة يوم القيامة..، رقم: ٢٨٦٢، ٢٨٦٤].

فائدة: في الوفاء بالكيل والميزان. أخرج ابن أبي حاتم عن هلال بن طلق قال: بينا أنا أسير مع ابن عمر فقلت: من أحسن الناس هيئة وأوفاه كيلاً؟ أهل مكة أو المدينة؟ قال: حُقَّ لهم، أما سمعت الله يقول: ﴿ويل للمطففين﴾ [ابن كثير].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال له رجل: يا أبا عبد الرحمن، إن أهل المدينة ليوفون الكيل. قال: وما يمنعهم أن يوفوا الكيل، وقد قال الله عز وجل: ﴿ويل للمطففين﴾ حتى بلغ ﴿يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾ [ابن جرير]. قال ابن كثير فالمراد بالتطفيف هاهنا: البخس في المكيال=

سبب نزول سورة المطففين: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما قدم النبيُّ ﷺ المدينة كانوا من أخبث الناس كيلاً، فأنزل الله: ﴿ويل للمطففين﴾ فأحسنوا الكيل بعد ذلك. [أخرجه ابن ماجه في سننه بإسناد حسن: التجارات، باب: التوقي في الكيل والوزن، رقم: ٢٢٢٣].

قال الواحدي: قال السدي: قدم رسول الله المدينة وبها رجل يقال له أبو جهينة، ومعه صاعان: يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر، فأنزل الله تعالى هذه الآية. وقال: قال القرطبي: كان بالمدينة تجار يطففون، وكانت بياعاتهم كشبه القمار: المنابذة والملامسة والمخاطرة، فأنزل الله تعالى هذه

٧ ﴿ كلا ﴾ حقاً ﴿ إن كتاب الفجار ﴾ أي كتب أعمال الكفار ﴿ لفي سجين ﴾ قيل: هو كتاب جامع لأعمال الشياطين والكفرة، وقيل: هو مكان أسفل الأرض السابعة، وهو محل إبليس وجنوده⁽¹⁾.

٨ ﴿ وما أدراك ما سجين ﴾ ما كتاب سجين. ٩ ﴿ كتاب مرقوم ﴾ مختوم.

١٠ ﴿ ويل يومئذٍ للمكذبين ﴾. ١١ ﴿ الذين يكذبون بيوم الدين ﴾ الجزاء، بدل أو بيان للمكذبين.

١٢ ﴿ وما يكذب به إلا كل معتدٍ ﴾ متجاوز الحد ﴿ أثيم ﴾ صيغة مبالغة.

١٣ ﴿ إذا تتلى عليه آياتنا ﴾ القرآن ﴿ قال أساطير الأولين ﴾ الحكايات التي سطرت قديماً، جمع أسطورة بالضم، أو إسطارة بالكسر.

١٤ ﴿ كلا ﴾ ردع وزجر لقولهم ذلك ﴿ بل ران ﴾ غلب ﴿ على قلوبهم ﴾ فغشيها ﴿ ما كانوا يكسبون ﴾ من المعاصي، فهو كالصدأ⁽²⁾.

١٥ ﴿ كلا ﴾ حقاً ﴿ إنهم عن ربهم يومئذٍ ﴾ يوم القيامة ﴿ لمحجوبون ﴾ فلا يرونه.

أَلَا يَظُنُّ أُولَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿٥﴾
يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ
ٱلۡفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٖ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سِجِّينٞ ﴿٨﴾ كِتَٰبٞ
مَّرۡقُومٞ ﴿٩﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ
يُكَذِّبُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعۡتَدٍ
أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾
كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿١٤﴾
كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمۡ
لَصَالُواْ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ
تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾
وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ﴿٢٠﴾ يَشۡهَدُهُ
ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ

١٦ ﴿ ثم إنهم لصالوا الجحيم ﴾ لداخلو النار المحرقة.

١٧ ﴿ ثم يقال ﴾ لهم ﴿ هذا ﴾ أي العذاب ﴿ الذي كنتم به تكذبون ﴾.

١٨ ﴿ كلا ﴾ حقاً ﴿ إن كتاب الأبرار ﴾ أي كتب أعمال المؤمنين الصادقين في إيمانهم ﴿ لفي عليين ﴾ قيل: هو كتاب جامع لأعمال الخير من الملائكة ومؤمني الثقلين، وقيل: هو مكان في السماء السابعة تحت العرش.

١٩ ﴿وما أدراك﴾ أعلمك ﴿ما عليون﴾ ما كتاب عليين؟.

٢٠ هو ﴿ كتاب مرقوم ﴾ مختوم.

٢١ ﴿ يشهده المقربون ﴾ من الملائكة.

٢٢ ﴿ إن الأبرار لفي نعيم ﴾ جنة.

٢٣ ﴿ على الأرائك ﴾ السرر في الحجال⁽³⁾

---

(1) ظاهر أن القول الثاني لا يتناسق مع ظاهر الآيات.

(2) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء، فإذا هو نزع واستغفر وتاب سُقل قلبه، وإن عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه، وهو الران الذي ذكر الله: ﴿ كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴾) أخرجه الترمذي [التفسير، باب: ومن سورة ﴿ ويل للمطففين ﴾ رقم: ٣٣٣١] وقال: حديث حسن صحيح. [نكتت: جُعل لها أثر. سقل: وفي رواية (صقل) وهما بمعنى واحد وهو الجلاء والمحو].

(3) جمع حجلة، وهي ما يوضع فوق السرير كالقبة من الثياب، ليمنع دخول الحشرات المزعجة.

= والميزان، إما بالازدياد إن اقتضى من الناس، وإما بالنقصان إن قضاهم، ولهذا فسر تعالى المطففين الذين وعدهم بالخسار والهلاك ـ وهو الويل ـ بقوله: ﴿الذين إذا اكتالوا على الناس﴾ أي: من الناس ﴿يستوفون﴾ أي يأخذون حقهم الوافي والزائد. ﴿وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون﴾ أي ينقصون. وقد أمر الله تعالى بالوفاء في الكيل والميزان، فقال: ﴿وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم. ذلك خير وأحسن تأويلاً﴾ [الإسراء: ٣٥] وقال: ﴿وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفساً إلا وسعها﴾ [الأنعام: ١٥٢]. وقال: ﴿وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان﴾ [الرحمن: ٩]. وأهلك الله قوم شعيب ودمرهم، على ما كانوا يبخسون الناس في المكيال والميزان. ثم قال الله تعالى متوعداً لهم: ﴿ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم﴾ أي: أما يخاف أولئك من البعث والقيام بين يدي من يعلم السرائر والضمائر، في يوم عظيم الهول، كثير الفزع، جليل الخطب، من خسر فيه أدخل ناراً حامية. وقوله: ﴿يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾ أي يوم يقومون حفاة عراة غرلاً، في موقف صعب حرج ضيق ضنك على المجرم، ويغشاهم من أمر الله ما تعجز القوى والحواس عنه.

الآية، فخرج رسول الله ﷺ إلى السوق وقرأها. [يطففون: التطفيف في الكيل أو الوزن أن يستوفي المكيال أو الميزان حين يكون لنفسه، وربما زاده، وإذا كان لغيره نقص منه. المنابذة: أن يكون إبرام البيع بنبذ المتاع، أي إلقائه وطرحه. الملامسة: أن يجب البيع ويتم بلمس أحد المتعاقدين للمبيع أو الثمن. المخاطرة: المراهنة على المال].

﴿ **ينظرون** ﴾ ما أعطوا من النعيم.

٢٤ ﴿ **تعرف في وجوههم نضرة النعيم** ﴾ بهجة التنعم وحسنه.

٢٥ ﴿ **يسقون من رحيق** ﴾ خمر خالصة من الدنس ﴿ **مختوم** ﴾ على إنائها، لا يفك ختمه غيرهم(١).

٢٦ ﴿ **ختامه مسك** ﴾ أي آخر شربه تفوح منه رائحة المسك ﴿ **وفي ذلك فليتنافس المتنافسون** ﴾ فليرغبوا بالمبادرة إلى طاعة الله تعالى.

٢٧ ﴿ **ومزاجه** ﴾ أي ما يمزج به ﴿ **من تسنيم** ﴾ فسر بقوله:

٢٨ ﴿ **عيناً** ﴾ فنصبه بأمدح مقدراً ﴿ **يشرب بها المقربون** ﴾ منها، أو ضمن يشرب معنى يلتذ.

٢٩ ﴿ **إن الذين أجرموا** ﴾ كأبي جهل ونحوه ﴿ **كانوا من الذين آمنوا** ﴾ كعمار وبلال ونحوهما ﴿ **يضحكون** ﴾ استهزاءً بهم.

٣٠ ﴿ **وإذا مروا** ﴾ أي المؤمنون ﴿ **بهم يتغامزون** ﴾ أي يشير المجرمون إلى المؤمنين بالجفن والحاجب استهزاءً.

٣١ ﴿ **وإذا انقلبوا** ﴾ رجعوا ﴿ **إلى أهلهم انقلبوا فاكهين** ﴾ وفي قراءة «فكهين» معجبين بذكرهم المؤمنين(٢).

٣٢ ﴿ **وإذا رأوهم** ﴾ رأوا المؤمنين ﴿ **قالوا إن هؤلاء لضالون** ﴾ لإيمانهم بمحمد ﷺ.

٣٣ قال تعالى: ﴿ **وما أرسلوا** ﴾ أي الكفار ﴿ **عليهم** ﴾ على المؤمنين ﴿ **حافظين** ﴾ لهم أو لأعمالهم، حتى يردوهم إلى مصالحهم.

٣٤ ﴿ **فاليوم** ﴾ أي يوم القيامة ﴿ **الذين آمنوا من الكفار يضحكون** ﴾.

٣٥ ﴿ **على الأرائك** ﴾ في الجنة ﴿ **ينظرون** ﴾ من منازلهم إلى الكفار وهم يعذبون، فيضحكون منهم كما ضحك الكفار منهم في الدنيا.

٣٦ ﴿ **هل ثوب** ﴾ جوزي ﴿ **الكفار ما كانوا يفعلون** ﴾ نعم.

يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾
يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ وَفِي
ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن
تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا
مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ
ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ
لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾
فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى
ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟
يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾

---

(١) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ـ أراه قد رفعه إلى النبي ﷺ ـ قال: «أيما مؤمن سقى مؤمناً شربة على ظمأ سقاه الله يوم القيامة من الرحيق المختوم. وأيما مؤمن أطعم مؤمناً على جوع، أطعمه الله من ثمار الجنة. وأيما مؤمن كسا مؤمناً ثوباً على عري كساه الله من خضر الجنة»[مسند أحمد: ٣/ ١٣].

(٢) اي فرحين متلذذين بالتفاخر عليهم والضحك منهم والاستهزاء بهم.

فائدة: في نعيم أهل الجنة.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله تبارك وتعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة؟ فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك. فيقول: أنا أعطيكم أفضل من ذلك، قالوا: يا رب، وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم بعده أبداً) [البخاري: الرقاق، باب: صفة الجنة والنار، رقم: ٦١٨٣. مسلم: الجنة وصفة نعيمها، باب: إحلال الرضوان على أهل الجنة، رقم: ٢٨٢٩] [أحل: أنزل وأوجب]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر، لا يبصقون فيها ولا يمتخطون ولا يتغوطون. آنيتهم فيها الذهب، أمشاطهم من الذهب والفضة، ومجامرهم الألوة، ورشحهم المسك، ولكل واحد منهم زوجتان، يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن، لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم قلب رجل واحد، يسبحون الله بكرة وعشياً) [البخاري: بدء الخلق، باب: ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، رقم: ٣٠٧٣. مسلم: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، رقم: ٢٨٣٤] [زمرة: جماعة. تلج: تدخل. على صورة القمر: أي في الإضاءة. البدر: اسم للقمر حين يكتمل. آنيتهم: أوعيتهم. مجامرهم: جمع مجمرة وهي المبخرة، سميت بذلك لأنها يوضع فيها الجمر ليفوح به ما يوضع فيها من البخور. الألوة: العود الهندي الذي يتبخر به. رشحهم: عرقهم كالمسك في طيب رائحته. مخ سوقها: ما في داخل العظم من الساق. قلب: أي كقلب رجل واحد. بكرة وعشياً: أي في غالب

(سورة الانشقاق)

(مكية وآياتها ـ ثلاث، أو ـ خمس وعشرون آية)

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿ إذا السماء انشقت ﴾.

٢ ﴿ وأذنت ﴾ سمعت وأطاعت في الانشقاق ﴿ لربها وحقت ﴾ أي وحق لها أن تسمع وتطيع.

٣ ﴿ وإذا الأرض مدت ﴾ زيد في سعتها كما يمد الأديم(١)، ولم يبق عليها بناء ولا جبل.

٤ ﴿ وألقت ما فيها ﴾ من الموتى إلى ظاهرها ﴿ وتخلت ﴾ عنه.

٥ ﴿ وأذنت ﴾ سمعت وأطاعت في ذلك ﴿ لربها وحقت ﴾ وذلك كله يكون يوم القيامة، وجواب إذا وما عطف عليها محذوف دل عليه ما بعده، تقديره: لقي الإنسان عمله.

٦ ﴿ يا أيها الإنسان إنك كادح ﴾ جاهد في عملك ﴿ إلى ﴾ لقاء ﴿ ربك ﴾ وهو الموت ﴿ كدحاً فملاقيه ﴾ أي ملاق عملك المذكور من خير أو شر يوم القيامة.

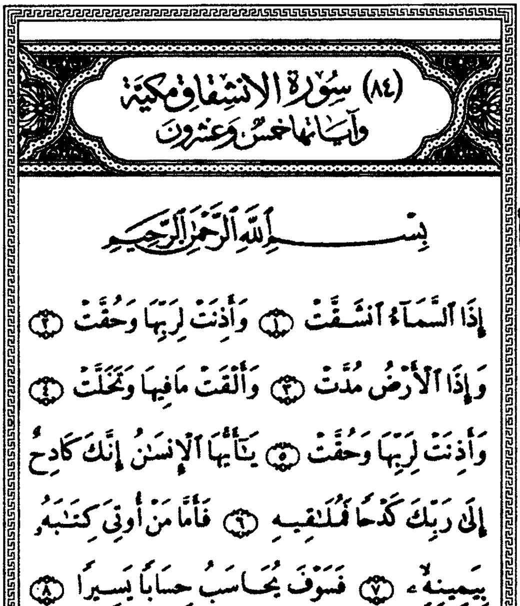

(٨٤) سُورَةُ الانشِقَاقِ مَكِّيَّة
وَآيَاتُهَا خَمسٌ وَعِشرُونَ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ﴿١﴾ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ﴿٢﴾
وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ ﴿٣﴾ وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتۡ ﴿٤﴾
وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ
إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ
بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ﴿٨﴾
وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ
وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ ثُبُورٗا ﴿١١﴾ وَيَصۡلَىٰ
سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن

٧ ﴿ فأما من أوتي كتابه ﴾ كتاب عمله ﴿ بيمينه ﴾ هو المؤمن.

٨ ﴿ فسوف يحاسب حساباً يسيراً ﴾ هو عرض عمله عليه، كما في حديث الصحيحين، وفيه(٢): (من نوقش الحساب هلك) وبعد العرض يتجاوز عنه.

٩ ﴿ وينقلب إلى أهله ﴾ في الجنة ﴿ مسروراً ﴾ بذلك.

١٠ ﴿ وأما من أوتي كتابه وراء ظهره ﴾ هو الكافر، تغل يمناه إلى عنقه، وتجعل يسراه وراء ظهره، فيأخذ بها كتابه.

١١ ﴿ فسوف يدعو ﴾ عند رؤيته ما فيه ﴿ ثبوراً ﴾ ينادي هلاكه بقوله: يا ثبوراه.

١٢ ﴿ ويصلى سعيراً ﴾ يدخل النار الشديدة، وفي قراءة بضم الياء وفتح الصاد واللام المشددة(٣).

١٣ ﴿ إنه كان في أهله ﴾ عشيرته في الدنيا ﴿ مسروراً ﴾ بطراً باتباعه لهواه.

١٤ ﴿ إنه ظن أن ﴾ مخففة من الثقيلة، واسمها محذوف، أي أنه

أوقاتهم يتلذذون بما يلهمهم الله تعالى من ذكره]

وعن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما، عن النَّبي ﷺ قال: (ينادي منادٍ: إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً، وإن لكم أن تَنْعَموا فلا تبأسوا أبداً. فذلك قوله عز وجل: ﴿ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون﴾ [الأعراف: ٤٣]) [مسلم: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: في دوام نعيم أهل الجنة...، رقم: ٢٨٣٧] [فلا تبأسوا: لا يصيبكم بأس، وهو شدة الحال]

(١) الجلد المدبوغ، فإنه إذا مد زال منه كل انثناء وصار مستوياً.

(٢) أي في حديث الصحيحين، فقد رويا عن ابن أبي مليكة: أن عائشة رضي الله عنها كانت لا تسمع شيئاً لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه، وأن النبي ﷺ قال: (من حوسب عذب). قالت: فقلت: أو ليس يقول الله عزّ وجلّ ﴿فسوف يحاسب حساباً يسيراً﴾ قالت: فقال: (فإنما ذلك العرض، ولكن من نوقش الحساب عذب). [البخاري: العلم، باب: من سمع شيئاً فراجع حتى يعرفه، رقم:١٠٣. مسلم: الجنة وصفة نعيمها، باب: إثبات الحساب، رقم: ٢٨٧٦]. [العرض: عرض الناس على الميزان. نوقش: استقصي معه الحساب].

(٣) أي ﴿يُصَلَّى﴾ وهي قراءة متواترة، ومعناها: يحرق بنارها ويشوى بلهبها.

فائدة: عن أبي رافع قال: صليت مع أبي هريرة العتمة، فقرأ: ﴿إذا السماء انشقت﴾ فسجد، فقلت له؟ قال: سجدت خلف أبي القاسم ﷺ، فلا أزال أسجد بها حتى ألقاه. [البخاري الأذان، باب: الجهر في العشاء]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سجدنا مع رسول الله ﷺ في: ﴿إذا السماء انشقت﴾ و: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾. [مسلم: الصلاة، باب: سجود التلاوة].

﴿ لن يحور ﴾ يرجع إلى ربه.

١٥ ﴿ بلى ﴾ يرجع إليه ﴿ إن ربه كان به بصيراً ﴾ عالماً برجوعه إليه.

١٦ ﴿ فلا أقسم ﴾ لا صلة[١] ﴿ بالشفق ﴾ هو الحمرة في الأفق بعد غروب الشمس.

١٧ ﴿ والليل وما وسق ﴾ جمع ما دخل عليه من الدواب وغيرها.

١٨ ﴿ والقمر إذا اتسق ﴾ اجتمع وتم نوره، وذلك في الليالي البيض.

١٩ ﴿ لتركبن ﴾ أيها الناس، أصله تركبونن، حذفت نون الرفع لتوالي الأمثال، والواو لالتقاء الساكنين ﴿ طبقاً عن طبق ﴾ حالاً بعد حال، وهو الموت ثم الحياة وما بعدها من أحوال القيامة[٢].

٢٠ ﴿ فما لهم ﴾ أي الكفار ﴿ لا يؤمنون ﴾ أي مانع لهم عن الإيمان، أو أي حجة لهم في تركه مع وجود براهينه.

٢١ ﴿ و ﴾ ما لهم ﴿ إذا قرىء عليهم القرآن لا يسجدون ﴾ يخضعون، بأن يؤمنوا به لإعجازه[٣].

٢٢ ﴿ بل الذين كفروا يكذبون ﴾ بالبعث وغيره.

٢٣ ﴿ والله أعلم بما يوعون ﴾ يجمعون في صحفهم من الكفر والتكذيب وأعمال السوء.

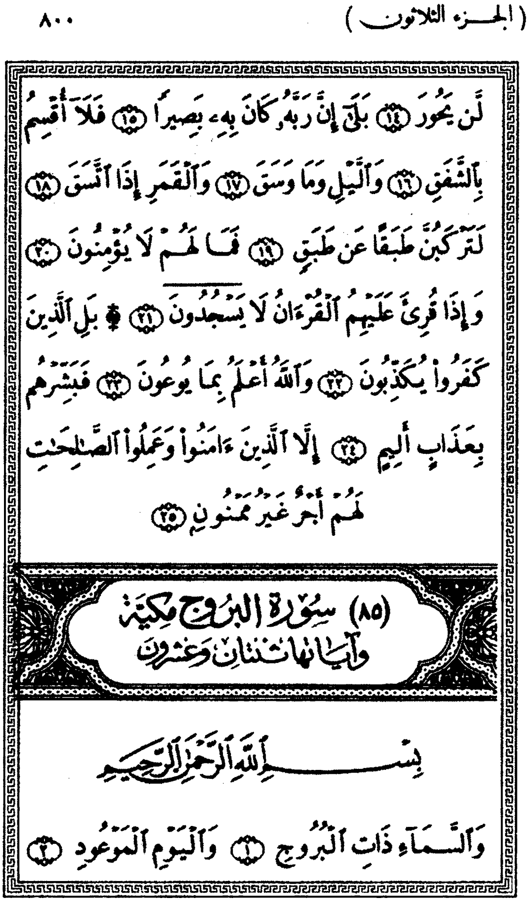

(الجـزء الثلاثون) ٨٠٠

لَن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ فَلَآ أُقْسِمُ
بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾
لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾
وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم
بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾

(٨٥) سُورَةُ البُرُوجِ مَكِّيَّة
وآياتها اثنتان وعشرون

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ﴿٢﴾

١٤ ﴿ فبشرهم ﴾ أخبرهم ﴿ بعذاب أليم ﴾ مؤلم.

٢٥ ﴿ إلا ﴾ لكن ﴿ الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون ﴾ غير مقطوع ولا منقوص، ولا يمن به عليهم.

(سورة البروج)
(مكية وآياتها اثنتان وعشرون آية)

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿ والسماء ذات البروج ﴾ الكواكب اثنا عشر برجاً تقدمت في الفرقان [الآية: ٦١].

٢ ﴿ واليوم الموعود ﴾ يوم القيامة.

---

(١) أي زائدة، كما في نسخة.

(٢) والمعنى الذي ذكره المفسر على قراءة: ﴿لتركبُنّ﴾ بضم الباء. وفي قراءة متواترة: ﴿لتركَبَن﴾ بفتح الباء، على أنه خطاب للنبي ﷺ. روى البخاري [التفسير/الانشقاق، باب: ﴿لتركبن طبقاً عن طبق﴾ رقم: ٤٦٥٦]: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ﴿لتركبن طبقاً عن طبق﴾ حالاً بعد حال، قال: هذا نبيكم ﷺ. والمعنى على هذا: يكون لك الظفر والغلبة على المشركين حتى يختم لك بجميل العاقبة، فلا يحزنك تكذيبهم وتماديهم في كفرهم.

(٣) ويسن السجود عند تلاوة هذه الآية أو سماعها. روى البخاري ومسلم عن رافع قال: صليت مع أبي هريرة العتمة، فقرأ ﴿إذا السماء انشقت﴾ فسجد، فقلت: ما هذه؟ قال: سجدت بها خلف أبي القاسم ﷺ، فلا أزال أسجد بها حتى ألقاه. [البخاري: صفة الصلاة، باب: القراءة في العشاء بالسجدة، رقم: ٧٣٤. مسلم: المساجد ومواضع الصلاة، باب: سجود التلاوة، رقم: ٥٧٨] [العتمة: العشاء].

قصة أصحاب الأخدود المذكورة في سورة البروج: عن صهيب رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (كان ملك فيمن كان قبلكم، وكان له ساحرٌ، فلما كبر قال للملك: إني قد كبرت، فابعث إلي غلاماً أعلمه السحر. فبعث إليه غلاماً يعلمه، فكان في طريقه إذا سلك راهب، فقعد إليه وسمع كلامه، فأعجبه، فكان إذا أتى الساحر مر بالراهب وقعد إليه، فإذا أتى الساحر ضربه، فشكا ذلك إلى الراهب. فقال: إذا خشيت الساحر فقل: حبسني أهلي، وإذا خشيت أهلك فقل: حبسني الساحر. فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس. فقال: اليوم أعلم آلساحر أفضل أم الراهب أفضل؟ فأخذ حجراً فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة، حتى يمضي الناس. فرماها فقتلها، ومضى الناس، فأتى الراهب فأخبره، فقال له الراهب: أي بني أنت اليوم أفضل مني، قد بلغ من أمرك ما أرى، وإنك ستبتلى، فإن ابتليت فلا تدل علي. وكان الغلام يبرىء الأكمه والأبرص ويداوي الناس من سائر الأدواء. فسمع جليس للملك كان قد عمي، فأتاه بهدايا كثيرة، فقال ما هاهنا لك أجمع، إن أنت شفيتني. فقال: إني لا أشفي أحداً، إنما يشفي الله، فإن أنت آمنت بالله دعوت الله فشفاك. فآمن بالله فشفاه الله. فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس، فقال له الملك: من رد عليك بصرك؟ قال: ربي. قال: ولك رب غيري؟ قال: ربي وربك الله. فأخذه فلم يزل [illegible] على الغلام، فجيء بالغلام، فقال له الملك: أي بني قد بلغ من سحرك ما تبرىء الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل. فقال: إني لا =

٣ ﴿وشاهد﴾ يوم الجمعة ﴿ومشهود﴾ يوم عرفة، كذا فسرت الثلاثة في الحديث[1]، فالأول موعود به، والثاني شاهد بالعمل فيه، والثالث تشهده الناس والملائكة. وجواب القسم محذوف صدره، تقديره: لقد.

٤ ﴿قتل﴾ لعن ﴿أصحاب الأخدود﴾ الشق في الأرض.

٥ ﴿النار﴾ بدل اشتمال منه ﴿ذات الوقود﴾ ما توقد به.

٦ ﴿إذ هم عليها﴾ أي حولها على جانب الأخدود على الكراسي ﴿قعود﴾.

٧ ﴿وهم على ما يفعلون بالمؤمنين﴾ بالله، من تعذيبهم بالإلقاء في النار إن لم يرجعوا عن إيمانهم ﴿شهود﴾ حضور، روي أن الله أنجى المؤمنين الملقين في النار بقبض أرواحهم قبل وقوعهم فيها، وخرجت النار إلى من ثم فأحرقتهم.

٨ ﴿وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز﴾ في ملكه ﴿الحميد﴾ المحمود.

٩ ﴿الذي له ملك السماوات والأرض والله على كل شيء شهيد﴾ أي ما أنكر الكفار على المؤمنين إلا إيمانهم.

وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ (٣) قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ (٤)
ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ (٥) إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ (٦) وَهُمۡ
عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ (٧) وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ
إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ (٨) ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ (٩)
إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ
فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ (١٠) إِنَّ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن
تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ (١١) إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ
لَشَدِيدٌ (١٢) إِنَّهُۥ هُوَ يُبۡدِئُ وَيُعِيدُ (١٣) وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ
ٱلۡوَدُودُ (١٤) ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ (١٥) فَعَّالٞ لِّمَا
يُرِيدُ (١٦) هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡجُنُودِ (١٧) فِرۡعَوۡنَ

١٠ ﴿إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات﴾ بالإحراق ﴿ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم﴾ بكفرهم ﴿ولهم عذاب الحريق﴾ أي عذاب إحراقهم المؤمنين في الآخرة، وقيل في الدنيا، بأن أخرجت النار فأحرقتهم، كما تقدم.

١١ ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ذلك الفوز الكبير﴾.

١٢ ﴿إن بطش ربك﴾ بالكفار ﴿لشديد﴾ بحسب إرادته.

١٣ ﴿إنه هو يبدىء﴾ الخلق ﴿ويعيد﴾ فلا يعجزه ما يريد.

١٤ ﴿وهو الغفور﴾ للمذنبين المؤمنين ﴿الودود﴾ المتودد إلى أوليائه بالكرامة.

١٥ ﴿ذو العرش﴾ خالقه ومالكه ﴿المجيد﴾ بالرفع، المستحق لكمال صفات العلو.

١٦ ﴿فعال لما يريد﴾ لا يعجزه شيء.

١٧ ﴿هل أتاك﴾ يا محمد ﴿حديث الجنود﴾.

١٨ ﴿فرعون

---

[1] أخرج الترمذي [التفسير، باب: ومن سورة البروج، رقم: ٣٣٣٦] وحسنه: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (اليوم الموعود يوم القيامة، واليوم المشهود يوم عرفة، والشاهد يوم الجمعة. قال: وما طلعت الشمس ولا غربت على يوم أفضل منه، فيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يدعو الله بخير إلا استجاب الله له، ولا يستعيذ من شر إلا أعاذه الله منه).

= أشفي أحداً، إنما يشفي الله. فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب. فجيء بالراهب، فقيل له: ارجع عن دينك. فأبى، فدعا بالمشار، فوضع المنشار في مفرق رأسه، فشقه حتى وقع شقاه. ثم جيء بجليس الملك فقيل له: ارجع عن دينك. فأبى، فوضع المنشار في مفرق رأسه، فشقه به حتى وقع شقاه. ثم جيء بالغلام فقيل له: ارجع عن دينك. فأبى، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا، فاصعدوا به الجبل، فإذا بلغتم ذروته، فإن رجع عن دينه، وإلا فاطرحوه. فذهبوا به فصعدوا به الجبل، فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت. فرجف بهم الجبل فسقطوا، وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله. فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به فاحملوه في قرقور، فتوسطوا به البحر، فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه. فذهبوا به، فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت. فانكفأت بهم السفينة فغرقوا، وجاء يمشي إلى الملك. فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله. فقال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به، قال: وما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد، وتصلبني على جذع، ثم خذ سهماً من كنانتي، ثم ضع السهم في كبد القوس، ثم قل: باسم الله، رب الغلام. ثم ارمني، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني. فجمع الناس في صعيد واحد، وصلبه على جذع، ثم أخذ سهماً من كنانته، ثم وضع السهم في كبد القوس ثم قال: باسم الله، رب الغلام. ثم رماه فوقع السهم في صدغه، فوضع يده في صدغه في موضع السهم، فمات. فقال الناس: آمنا برب الغلام، آمنا برب =

وثمود ﴾ بدل الجنود، واستغني بذكر فرعون عن أتباعه، وحديثهم أنهم أهلكوا بكفرهم، وهذا تنبيه لمن كفر بالنبي ﷺ والقرآن ليتعظوا. ١٩ ﴿ بل الذين كفروا في تكذيب ﴾ بما ذكر.

٢٠ ﴿ والله من ورائهم محيط ﴾ لا عاصم لهم منه. ٢١ ﴿ بل هو قرآن مجيد ﴾ عظيم.

٢٢ ﴿ في لوح ﴾ هو في الهواء فوق السماء السابعة ﴿ محفوظ ﴾ بالجر، من الشياطين ومن تغيير شيء منه، طوله ما بين السماء والأرض، وعرضه ما بين المشرق والمغرب، وهو من درة بيضاء، قاله ابن عباس رضي الله عنهما.

(سورة الطارق)

(مكية وآياتها سبع عشرة آية)

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿ والسماء والطارق ﴾ أصله كل آتٍ ليلاً، ومنه النجوم، لطلوعها ليلاً(١).

٢ ﴿ وما أدراك ﴾ أعلمك ﴿ ما الطارق ﴾ مبتدأ وخبر في محل المفعول الثاني لأدري، وما بعد ما الأولى خبرها، وفيه تعظيم لشأن الطارق المفسر بما بعده، هو:

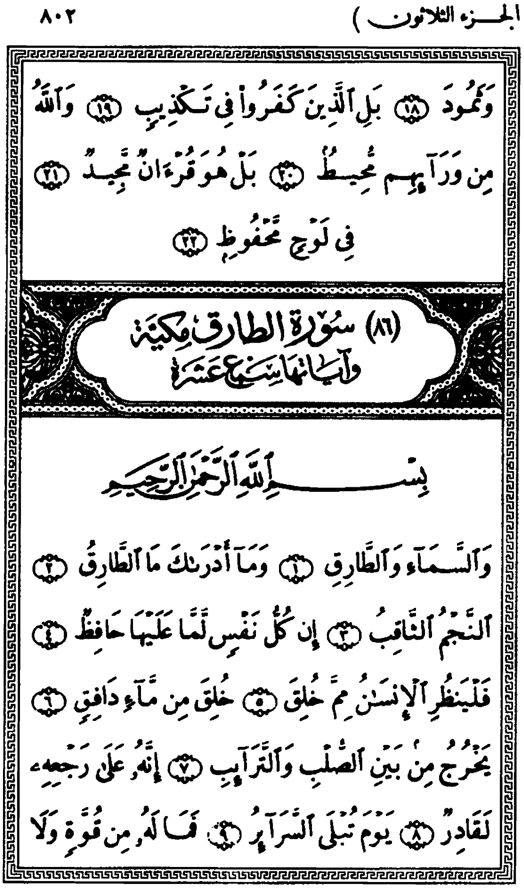

(الجـــزء الثلاثون) ٨٠٢

وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾

(٨٦) سُورَةُ الطَّارِقِ مَكِّيَّة
وَآيَاتُهَا سَبْعَ عَشْرَةَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ﴿٢﴾ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا

٣ ﴿ النجم ﴾ أي الثريا، أو كل نجم ﴿ الثاقب ﴾ المضيء، لثقبه الظلام بضوئه، وجواب القسم:

٤ ﴿ إن كل نفس لَمَا عليها حافظ ﴾ بتخفيف ما، فهي مزيدة، وإن مخففة من الثقيلة واسمها محذوف، أي إنه، واللام فارقة(٢). وبتشديدها: فإن نافية، ولما بمعنى إلا، والحافظ من الملائكة، يحفظ عملها من خير وشر.

٥ ﴿ فلينظر الإنسان ﴾ نظر اعتبار ﴿ مم خلق ﴾ من أي شيء.

٦ جوابه ﴿ خلق من ماء دافق ﴾ ذي اندفاق من الرجل والمرأة في رحمها.

٧ ﴿ يخرج من بين الصلب ﴾ للرجل(٣) ﴿ والترائب ﴾ للمرأة، وهي عظام الصدر(٤).

٨ ﴿ إنه ﴾ تعالى ﴿ على رجعه ﴾ بعث الإنسان بعد موته ﴿ لقادر ﴾ فإذا اعتبر أصله علم أن القادر على ذلك قادر على بعثه.

٩ ﴿ يوم تبلى ﴾ تختبر وتكشف ﴿ السرائر ﴾ ضمائر القلوب في العقائد والنيات.

١٠ ﴿ فما له ﴾ لمنكر البعث ﴿ من قوة ﴾ يمتنع بها من

---

(١) جاء في الحديث أنه ﷺ قال: (أعوذ بك من طوارق الليل إلا طارقاً يطرق بخير). ذكره ابن الأثير في النهاية. قال: وأصل الطروق من الطرق وهو الدق، وسمي الآتي بالليل طارقاً لحاجته إلى دق الباب.

(٢) أي بين إنْ المخففة وإنْ النافية. (٣) وهي عظام الظهر.

(٤) وقيل: الترائب هي اللحم والدم.

= الغلام، آمنا برب الغلام. فأتي الملك فقيل له: أرأيت ما كنت تحذر؟ قد والله نزل بك حذرك، قد آمن الناس. فأمر بالأخدود في أفواه السكك فخدت، وأضرم النيران، وقال: من لم يرجع عن دينه فاحموه فيها. أو قيل له: اقتحم. ففعلوا، حتى جاءت امرأة معها صبي لها، فتقاعست أن تقع فيها، فقال لها الغلام: يا أمه. اصبري، فإنك على الحق). [أخرجه مسلم في الزهد والرقائق، باب: قصة أصحاب الأخدود. .، رقم: ٣٠٠٥].

[الأكمه: الذي ولد أعمى. بالمئشار: هو المنشار. قرقور: سفينة صغيرة. فانكفأت: انقلبت. صعيد: أرض بارزة].

سبب نزول الآيات [١ - ٣]: قال الواحدي: نزلت في أبي طالب، وذلك أنه أتى النبي ﷺ بخبز ولبن، فبينما هو جالس إذ انحط نجم، فامتلأ ما ثمّ ناراً، ففزع أبو طالب وقال: أي شيء هذا؟ فقال: (هذا نجم رمي به، وهو آية من آيات الله). فعجب أبو طالب، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

سبب نزول الآية [٥]: قال السيوطي في [لباب النقول]: أخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة في قوله: ﴿فلينظر الإنسان ممّ خلق﴾ قال: نزلت في أبي الأشد، كان يقوم على الأديم فيقول: يا معشر قريش، من أزالني عنه فله كذا، ويقول: إن محمداً يزعم أن خزنة جهنم تسعة عشر، فأنا أكفيكم وحدي عشرة، واكفوني أنتم تسعة. [الأديم: الجلد المدبوغ].

العذاب ﴿ ولا ناصر ﴾ يدفعه عنه.

١١ ﴿ والسماء ذات الرجع ﴾ المطر، لعوده كل حين.

١٢ ﴿ والأرض ذات الصدع ﴾ الشق عن النبات.

١٣ ﴿ إنه ﴾ أي القرآن ﴿ لقول فصل ﴾ يفصل بين الحق والباطل.

١٤ ﴿ وما هو بالهزل ﴾ باللعب والباطل.

١٥ ﴿ إنهم ﴾ الكفار ﴿ يكيدون كيداً ﴾ يعملون المكايد للنبي ﷺ.

١٦ ﴿ وأكيد كيداً ﴾ أستدرجهم من حيث لا يعلمون.

١٧ ﴿فمهل﴾ يا محمد ﴿الكافرين أمهلهم﴾ تأكيد، حسنه مخالفة اللفظ(١)، أي أنظرهم ﴿رويداً﴾ قليلاً، وهو مصدر مؤكد لمعنى العامل(٢)، مصغر رُود، أو إرواد على الترخيم(٣)، وقد أخذهم الله تعالى ببدر، ونسخ الإمهال بآية السيف، أي الأمر بالقتال والجهاد.

نَاصِرٍ (١٠) وَالسَّمَآءِ ذَاتِ الرَّجْعِ (١١) وَالْأَرْضِ ذَاتِ
الصَّدْعِ (١٢) إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ (١٣) وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ (١٤)
إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا (١٥) وَأَكِيدُ كَيْدًا (١٦) فَمَهِّلِ
الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا (١٧)

(٨٧) سُورَةُ الأَعْلَىٰ مَكِّيَّة
وَآيَاتُهَا تِسْعَ عَشْرَة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (١) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ (٢)
وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ (٣) وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ (٤)
فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ (٥) سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ (٦)
إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ (٧) وَنُيَسِّرُكَ

(سورة الأعلى)
(مكية وآياتها تسع عشرة)

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿ سبح اسم ربك ﴾ أي نزه ربك عما لا يليق به، واسم زائد(٤) ﴿ الأعلى ﴾ صفة لربك.

٢ ﴿ الذي خلق فسوى ﴾ مخلوقه، جعله متناسب الأجزاء غير متفاوت.

٣ ﴿ والذي قدر ﴾ ما شاء ﴿ فهدى ﴾ إلى ما قدره من خير وشر.

٤ ﴿ والذي أخرج المرعى ﴾ أنبت العشب.

٥ ﴿ فجعله ﴾ بعد الخضرة ﴿ غثاء ﴾ جافاً هشيماً ﴿ أحوى ﴾ أسود يابساً.

٦ ﴿ سنقرئك ﴾ القرآن ﴿ فلا تنسى ﴾ ما تقرؤه.

٧ ﴿ إلا ما شاء الله ﴾ أن تنساه بنسخ تلاوته وحكمه، وكان ﷺ يجهر بالقراءة مع قراءة جبريل خوف النسيان، فكأنه قيل له: لا تعجل بها، إنك لا تنسى، فلا تتعب نفسك بالجهر بها ﴿ إنه ﴾ تعالى ﴿ يعلم الجهر ﴾ من القول والفعل ﴿ وما يخفى ﴾ منهما.

٨ ﴿ ونيسرك

---

(١) أي قوله: ﴿أمهلهم﴾ تأكيد لقوله: ﴿فمهل﴾ وحسن هذا التأكيد وإعادة اللفظ أنه ليس نفس اللفظ، بل هو مختلف عنه: ﴿فمهل﴾ مضعف، أي فيه حرف مشدد، وكذلك مفعوله اسم ظاهر وهو ﴿الكافرين﴾ و﴿أمهلهم﴾ مهموز، ومفعوله ضمير، كما هو واضح.

(٢) أي مفعول مطلق مؤكد لمعنى أمهل العامل فيه النصب.

(٣) أي على حذف الحروف الزائدة. و[رُود] مصدر رود، و[إرواد] مصدر أرود، وكلاهما معناه: المَهْل والرفق.

(٤) قال الجمل في حاشيته: الظاهر أنه ليس بزائد، فإن التنزيه يقع على الاسم، قال: وإذا كان أمر بتنزيه اللفظ فتنزيه الذات أولى. أي إن الأمر بتقديس اسم الله تعالى يدل على وجوب تقديس ذاته وتنزيهه عن كل نقص من باب أولى.

فائدة: عن البراء رضي الله عنه قال: أول من قدم علينا من أصحاب النبي ﷺ مصعب بن عمير وابن أم مكتوم، فجعلا يقرئاننا القرآن، ثم جاء عمار وبلال وسعد، ثم جاء عمر بن الخطاب في عشرين، ثم جاء النبي ﷺ، فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم به، حتى رأيت الولائد والصبيان يقولون: هذا رسول الله قد جاء، فما جاء حتى قرأت: ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ في سور مثلها. [البخاري: التفسير، باب: تفسير سورة ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ رقم: ٤٦٥٧] [الولائد: جمع وليدة، وهي الصبية والأمة. فما جاء. . : أي كان مجيئه بعد فترة من انتشار الإسلام في المدينة، تمكن فيها البراء رضي الله عنه من قراءة هذه السور وحفظها].

سبب نزول الآية [٦]: قال السيوطي في [لباب النقول]: أخرج الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبيّ ﷺ إذا أتاه جبريل بالوحي لم يفرغ جبريل من الوحي حتى يتكلم النبيّ ﷺ بأوّله، مخافة أن ينساه، فأنزل الله: ﴿سنقرئك فلا تنسى﴾.

للیسرى ﴾ للشريعة السهلة، وهي الإسلام. ٩ ﴿ فذكر ﴾ عظ بالقرآن ﴿ إن نفعت الذكرى ﴾ من تذكره، المذكور في «سيذكر». يعني وإن لم تنفع، ونفعها لبعض وعدم النفع لبعض آخر: ١٠ ﴿ سيذكر ﴾ بها ﴿ من يخشى ﴾ يخاف الله تعالى، كآية «فذكر بالقرآن من يخاف وعيد»/ ق: ٤٥/. ١١ ﴿ ويتجنبها ﴾ أي الذكرى، أي يتركها جانباً لا يلتفت إليها ﴿ الأشقى ﴾ بمعنى الشقي، أي الكافر. ١٢ ﴿ الذي يصلى النار الكبرى ﴾ هي نار الآخرة، والصغرى نار الدنيا.
١٣ ﴿ ثم لا يموت فيها ﴾ فيستريح ﴿ ولا يحيى ﴾ حياة هنيئة[١]. ١٤ ﴿ قد أفلح ﴾ فاز ﴿ من تزكى ﴾ تطهر بالإيمان.
١٥ ﴿ وذكر اسم ربه ﴾ مكبراً ﴿ فصلى ﴾ الصلوات الخمس. وذلك من أمور الآخرة، وكفار مكة معرضون عنها.
١٦ ﴿ بل يؤثرون ﴾ بالفوقانية والتحتانية ﴿ الحياة الدنيا ﴾ على الآخرة.
١٧ ﴿ والآخرة ﴾ المشتملة على الجنة ﴿ خير وأبقى ﴾[٢]. ١٨ ﴿ إن هذا ﴾ أي إفلاح من تزكى، وكون الآخرة خيراً ﴿ لفي الصحف الأولى ﴾ أي المنزلة قبل القرآن. ١٩ ﴿ صحف إبراهيم وموسى ﴾ وهي عشر صحف لإبراهيم، والتوراة لموسى.

(سورة الغاشية) (مكية وآياتها ست وعشرون آية)

بسم الله الرحمن الرحيم

لِلْيُسْرَىٰ (٨) فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ (٩) سَيَذَّكَّرُ
مَن يَخْشَىٰ (١٠) وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى (١١) ٱلَّذِى يَصْلَى
ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ (١٢) ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ (١٣)
قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ (١٤) وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ (١٥)
بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا (١٦) وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ (١٧)
إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ (١٨) صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ
وَمُوسَىٰ (١٩)

(٨٨) سُورَةُ الغَاشِيَةِ مَكِّيَّةٌ
وَآيَاتُهَا سِتٌّ وَعِشْرُونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ (١) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ (٢)

١ ﴿ هل ﴾ قد ﴿ أتاك حديث الغاشية ﴾ القيامة، لأنها تغشى الخلائق بأهوالها. ٢ ﴿ وجوه يومئذٍ ﴾ عبر بها عن الذوات في الموضعين[٣] ﴿ خاشعة ﴾ ذليلة.

---

(١) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (أما أهل النار الذين هم أهلها: فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون. ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم - أو قال: بخطاياهم - فأماتهم إماتة حتى إذا كانوا فحماً أذن بالشفاعة، فجيء بهم ضبائر ضبائر، فبثوا على أنهار الجنة، ثم قيل: يا أهل الجنة أفيضوا عليهم. فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل). فقال رجل من القوم: كأن رسول الله ﷺ قد كان بالبادية .وفي رواية :(حتى إذا أراد الله رحمة من أراد من أهل النار أمر الله الملائكة: أن يخرجوا من كان يعبد الله، فيخرجونهم ويعرفونهم بآثار السجود، وحرم الله على النار أن تأكل أثر السجود، فيخرجون من النار، فكل ابن آدم تأكله النار إلا أثر السجود، فيخرجون من النار قد امتحشوا، فيصب عليهم ماء الحياة، فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل). [البخاري: صفة الصلاة، باب: فضل السجود. مسلم: الإيمان، باب: معرفة طريق الرؤية، وباب: إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار] [هم أهلها: المحكوم عليهم بالخلود فيها. ضبائر: جماعات في تفرقة، جمع ضِبارة. امتحشوا: احترقوا واسودوا. ماء الحياة: هو ماءٌ من شرب منه أو صب عليه لا يموت أبداً]

(٢) عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «الدنيا دار من لا دار له، ومال من لا مال له، ولها يجمع من لا عقل له» [مسند أحمد: ٦/ ٧١].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «من أحب دنياه أضر بآخرته، ومن أحب آخرته أضر بدنياه، فآثروا ما يبقى على ما يفنى» [مسند أحمد: ٤/ ٤١٢].

وعن عرفجة الثقفي رضي الله عنه قال: استقرأت ابن مسعود: ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ فلما بلغ: ﴿بل تؤثرون الحياة الدنيا﴾ ترك القراءة وأقبل على أصحابه، وقال: آثرنا الدنيا لأنا رأينا زينتها ونساءها وطعامها وشرابها، وزويت عنا الآخرة، فاخترنا هذا العاجل وتركنا الآجل. [ابن جرير الطبري] [زويت: جمعت]

(٣) أي عبر بالوجوه عن الذوات، هنا وفي قوله: ﴿وجوه يومئذ ناعمة﴾ مجازاً، من باب إطلاق الجزء وإرادة الكل. وخص الوجه بالذكر لأنه أشرف الأعضاء، ولأنه الذي تظهر عليه انفعالات النفس وأحوالها قبل غيره.

فائدة: عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه قال: أقبل رجل بناضحين وقد جنح الليل، فوافق معاذاً يصلي، فترك ناضحه، وأقبل إلى معاذ، فقرأ بسورة البقرة، أو النساء، فانطلق الرجل، وبلغه أن معاذاً نال منه، فأتى النبي ﷺ فشكا إليه معاذاً، فقال النبي ﷺ: «يا معاذ أفتان أنت ؟ أو: فاتن. ثلاث مرار. فلولا صليت بـ ﴿سبح اسم ربك﴾ ﴿والشمس وضحاها﴾ ﴿والليل إذا يغشى﴾ فإنه يصلي وراءك الكبير والضعيف وذو الحاجة». [البخاري: الجماعة والإمامة، باب: من شكا إمامه إذا طول، رقم: ٦٧٣. مسلم: الصلاة، باب: القراءة في العشاء، رقم: ٤٦٥]. [بناضحين: مثنى ناضح، وهو ما استعمل في سقي الشجر والزرع من الإبل. جنح الليل: أقبل بظلمته. أقبل إلى معاذ: أي فاقتدى به ليصلي. فانطلق الرجل: فارقه ولم يتم صلاته معه. فلولا صليت: فهلا قرأت في صلاتك].

٣ ﴿ عاملة ناصبة ﴾ ذات نصب وتعب بالسلاسل والأغلال.
٤ ﴿ تصلى ﴾ بفتح التاء وضمها ﴿ ناراً حامية ﴾.
٥ ﴿ تسقى من عين آنية ﴾ شديدة الحرارة.
٦ ﴿ ليس لهم طعام إلا من ضريع ﴾ هو نوع من الشوك لا ترعاه دابة لخبثه.
٧ ﴿ لا يسمن ولا يغني من جوع ﴾.
٨ ﴿ وجوه يومئذ ناعمة ﴾ حسنة.
٩ ﴿ لسعيها ﴾ في الدنيا بالطاعة ﴿ راضية ﴾ في الآخرة لما رأت ثوابه.
١٠ ﴿ في جنة عالية ﴾ حساً ومعنى.
١١ ﴿ لا يسمع ﴾ بالياء والتاء ﴿ فيها لاغية ﴾ أي نفس ذات لغو، أي هذيان من الكلام.
١٢ ﴿ فيها عين جارية ﴾ بالماء، بمعنى عيون.

عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ (٣) تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً (٤) تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ
ءَانِيَةٍ (٥) لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ (٦) لَّا يُسْمِنُ
وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ (٧) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ (٨)
لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ (٩) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (١٠) لَّا تَسْمَعُ فِيهَا
لَاغِيَةً (١١) فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ (١٢) فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ (١٣)
وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ (١٤) وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (١٥) وَزَرَابِيُّ
مَبْثُوثَةٌ (١٦) أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧)
وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ
نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (٢٠) فَذَكِّرْ
إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ (٢١) لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ (٢٢) إِلَّا
مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ (٢٣) فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ (٢٤)
إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ (٢٥) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم (٢٦)

١٣ ﴿ فيها سرر مرفوعة ﴾ ذاتاً وقدراً ومحلاً.
١٤ ﴿ وأكواب ﴾ أقداح لا عرا لها ﴿ موضوعة ﴾ على حافات العيون، معدة لشربهم.
١٥ ﴿ ونمارق ﴾ وسائد ﴿ مصفوفة ﴾ بعضها بجنب بعض، يستند إليها.
١٦ ﴿ وزرابي ﴾ بسط، طنافس لها خمل ﴿ مبثوثة ﴾ مبسوطة(١)
١٧ ﴿ أفلا ينظرون ﴾ أي كفار مكة، نظر اعتبار ﴿ إلى الإبل كيف خلقت ﴾. ١٨ ﴿ وإلى السماء كيف رفعت ﴾.
١٩ ﴿ وإلى الجبال كيف نصبت ﴾.
٢٠ ﴿ وإلى الأرض كيف سطحت ﴾ أي بسطت، فيستدلوا بها على قدرة الله تعالى ووحدانيته؟ وصدرت بالإبل لأنهم أشد ملابسة لها من غيرها(٢).
٢١ ﴿ فذكر ﴾ هم نعم الله ودلائل توحيده ﴿ إنما أنت مذكر ﴾.
٢٢ ﴿ لست عليهم بمصيطر ﴾ وفي قراءة بالسين بدل الصاد، أي بمسلط، وهذا قبل الأمر بالجهاد(٣).
٢٣ ﴿ إلا ﴾ لكن ﴿ من تولى ﴾ أعرض عن الإيمان ﴿ وكفر ﴾ بالقرآن.
٢٤ ﴿ فيعذبه الله العذاب الأكبر ﴾ عذاب الآخرة، والأصغر عذاب الدنيا بالقتل والأسر(٤).
٢٥ ﴿ إن إلينا إيابهم ﴾ رجوعهم بعد الموت.
٢٦ ﴿ ثم إن علينا حسابهم ﴾ جزاءهم، لا نتركه أبداً.

---

(١) عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا هل من مشمر للجنة ؟ فإن الجنة لا خطر لها، وهي ورب الكعبة: نور يتلألأ، وريحانة تهتز، وقصر مشيد، ونهر مُطَّرد، وثمرة نضيجة، وزوجة حسناء جميلة، وحلل كثيرة، ومقام في أبد في دار سليمة، وفاكهة وخضرة، وحبرة ونعمة، في محلة عالية بهية». قالوا: نعم يارسول الله، نحن المشمرون لها. قال: «قولوا: إن شاء الله». قال القوم: إن شاء الله. [ذكر ابن كثير أنه أخرجه أبو بكر بن أبي داود، وأخرجه ابن ماجه: الزهد، باب: صفة الجنة، رقم: ٤٣٣٢]. [مشيد: مبني مرتفع. مطرد: جار يتبع بعضه بعضاً. حبرة: سعة عيش].

(٢) أي إن صلتهم بالإبل أكثر من غيرها، فيكون اعتبارهم بها أسرع.

(٣) أي فصار مسلطاً عليهم بالجهاد حتى يسلموا. عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوا لا إله إلا الله عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله ثم قرأ: «فذكر إنما أنت مذكر. لست عليهم بمسيطر». [مسلم:٢١]

(٤) عن علي بن خالد: أن أبا أمامة الباهلي رضي الله عنه مر على خالد بن يزيد بن معاوية، فسأله عن ألين كلمة سمعها من رسول الله ﷺ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ألا كلكم يدخل الجنة، إلا من شرد على الله شِراد البعير عن أهله». [مسند أحمد: ٥/٢٥٨].

سبب نزول الآية [١٧] وما بعدها: قال السيوطي في [لباب النقول]: أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم، عن قتادة قال: لما نعت الله ما في الجنة عجب من ذلك أهل الضلالة، فأنزل الله: ﴿ أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ﴾.

(سورة الفجر)

(مكية وآياتها ٣٠)

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿ **والفجر** ﴾ أي فجر كل يوم.

٢ ﴿ **وليال عشر** ﴾ أي عشر ذي الحجة.

٣ ﴿ **والشفع** ﴾ الزوج ﴿ **والوتر** ﴾ بفتح الواو وكسرها لغتان، الفرد(١).

٤ ﴿ **والليل إذا يسر** ﴾ مقبلاً ومدبراً.

٥ ﴿ **هل في ذلك** ﴾ القسم ﴿ **قسم لذي حجر** ﴾ عقل، وجواب القسم محذوف، أي لتعذبن يا كفار مكة.

٦ ﴿ **ألم ترَ** ﴾ تعلم يا محمد ﴿ **كيف فعل ربك بعاد** ﴾.

٧ ﴿ **إرم** ﴾ هي عاد الأولى، فإرم عطف بيان أو بدل، ومنع الصرف للعلمية والتأنيث ﴿ **ذات العماد** ﴾ أي الطول، كان طول الطويل منهم أربعمائة ذراع.

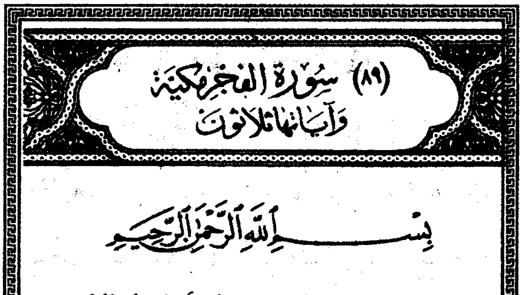

(٨٩) سُورَةُ الفَجْرِ مَكِّيَّة
وَآيَاتُهَا ثَلَاثُونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ﴿٣﴾
وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾ هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ ﴿٥﴾
أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾
ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟
ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ
طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾
فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ
لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ

٨ ﴿ **التي لم يخلق مثلها في البلاد** ﴾ في بطشهم وقوتهم.

٩ ﴿ **وثمود الذين جابوا** ﴾ قطعوا ﴿ **الصخر** ﴾ جمع صخرة، واتخذوها بيوتاً ﴿ **بالواد** ﴾ وادي القرى.

١٠ ﴿ **وفرعون ذي الأوتاد** ﴾ كان يتد أربعة أوتاد(٢)، يشد إليها يدي ورجلي من يعذبه.

١١ ﴿ **الذين طغوا** ﴾ تجبروا ﴿ **في البلاد** ﴾.

١٢ ﴿ **فأكثروا فيها الفساد** ﴾ القتل وغيره.

١٣ ﴿ **فصب عليهم ربك سوط** ﴾ نوع ﴿ **عذاب** ﴾.

١٤ ﴿ **إن ربك لبالمرصاد** ﴾ يرصد أعمال العباد، فلا يفوته منها شيء، ليجازيهم عليها(٣).

١٥ ﴿ **فأما الإنسان** ﴾ الكافر ﴿ **إذا ما ابتلاه** ﴾ اختبره ﴿ **ربه**

---

(١) عن جابر رضي الله عنه، عن النَّبي ﷺ قال: «إن العشر عشر الأضحى، والوتر يوم عرفة، والشفع يوم النحر» [مسند أحمد: ٣/ ٣٢٧].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً: «ما من أيام العمل الصالح أحب إلى الله فيهن من هذه الأيام» يعني: عشر ذي الحجة. قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله ؟ قال: «ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجلاً خرج بنفسه وماله، ثم لم يرجع من ذلك بشيء». [البخاري: العيدين، باب: فضل العمل في أيام التشريق. أبو داود: الصوم، باب: في صوم العشر].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «إن لله تسعة وتسعين اسماً، مائة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة، وهو وتر يحب الوتر». [البخاري: الدعوات، باب: لله مائة اسم غير واحد. مسلم: الذكر والدعاء والتوبة، باب: في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها].

(٢) أي يدقها في الأرض.

(٣) أخرج ابن أبي حاتم: عن صفوان بن عمرو رضي الله عنه، عن أيفع بن عبد الكلاعي: أنه سمعه وهو يعظ الناس يقول: إن لجهنم سبع قناطر، قال: والصراط عليهن، قال: فيحبس الخلائق عند القنطرة الأولى، فيقول: ﴿قفوهم إنهم مسؤولون﴾ [الصافات: ٧٤] قال: فيحاسبون على الصلاة ويسألون عنها، قال: فيهلك فيها من هلك، وينجو من نجا. فإذا بلغوا القنطرة الثانية حوسبوا على الأمانة كيف أدوها، وكيف خانوها ؟ قال: فيهلك من هلك، وينجو من نجا. فإذا بلغوا القنطرة الثالثة سئلوا عن الرحم، كيف وصلوها وكيف قطعوها ؟ قال: فيهلك من

فائدة: عن جابر رضي الله عنه قال: صلى معاذ صلاة، فجاء رجل فصلى معه، فطول، فصلى في ناحية المسجد ثم انصرف، فبلغ ذلك معاذاً، فقال: منافق. فذكر ذلك لرسول الله ﷺ، فسأل الفتى فقال: يارسول الله، جئت أصلي معه فطول علي، فانصرفت وصليت في ناحية المسجد، فعلفت ناضحي. فقال رسول الله ﷺ: «أفتان يا معاذ ؟ أين أنت من ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ ﴿والشمس وضحاها﴾ ﴿والفجر﴾ ﴿والليل إذا يغشى﴾». [أخرجه النسائي في السنن الكبرى: التفسير، سورة الفجر، رقم: ١١٦٧٣].

فأكرمه ﴾ بالمال وغيره ﴿ ونعمه فيقول ربي أكرمن ﴾.

١٦ ﴿ وأما إذا ما ابتلاه فقدر ﴾ ضيق ﴿ عليه رزقه فيقول ربي أهانن ﴾.

١٧ ﴿ كلا ﴾ ردع، أي ليس الإكرام بالغنى والإهانة بالفقر، وإنما هما بالطاعة والمعصية، وكفار مكة لا ينتبهون لذلك ﴿ بل لا يكرمون اليتيم ﴾ لا يحسنون إليه مع غناهم، أولا يعطونه حقه من الميراث(١).

١٨ ﴿ ولا يحضون ﴾ أنفسهم أو غيرهم ﴿ على طعام ﴾ أي إطعام ﴿ المسكين ﴾.

١٩ ﴿ ويأكلون التراث ﴾ الميراث ﴿ أكلًا لماً ﴾ أي شديداً، لِلَمِّهِم نصيب النساء والصبيان من الميراث مع نصيبهم منه أو مع مالهم.

٢٠ ﴿ ويحبون المال حباً جماً ﴾ أي كثيراً، فلا ينفقونه، وفي قراءة بالفوقانية في الأفعال الأربعة(٢).

٢١ ﴿ كلا ﴾ ردع لهم عن ذلك ﴿ إذا دكت الأرض دكاً دكاً ﴾ زلزلت حتى يتهدم كل بناء عليها وينعدم.

٢٢ ﴿ وجاء ربك ﴾ أي أمره ﴿ والملك ﴾ أي الملائكة ﴿ صفاً صفاً ﴾ حال، أي مصطفين، أو ذوي صفوف كثيرة.

٢٣ ﴿ وجيء يومئذٍ بجهنم ﴾ تقاد بسبعين ألف زمام، كل زمام بأيدي سبعين ألف ملك، لها زفير وتغيظ(٣) ﴿ يومئذٍ ﴾ بدل من إذا، وجوابها ﴿ يتذكر الإنسان ﴾ أي الكافر، ما فرط فيه ﴿ وأنى له الذكرى ﴾ استفهام بمعنى النفي، أي لا ينفعه تذكره ذلك.

٢٤ ﴿ يقول ﴾ مع تذكره ﴿ يا ﴾ للتنبيه ﴿ ليتني قدمت ﴾ الخير والإيمان ﴿ لحياتي ﴾ الطيبة في الآخرة، أو وقت حياتي في الدنيا.

٢٥ ﴿ فيومئذٍ لا يعذب ﴾ بكسر الذال ﴿ عذابه ﴾ أي الله ﴿ أحد ﴾ أي لا يكله إلى غيره.

٢٦ ﴿ و ﴾ كذا ﴿ لا يوثق ﴾ بكسر الثاء ﴿ وثاقه أحد ﴾ وفي قراءة بفتح الذال والثاء، فضمير عذابه ووثاقه للكافر، والمعنى: لا يعذب أحد مثل تعذيبه ولا يوثق مثل إيثاقه.

٢٧ ﴿ يا أيتها النفس المطمئنة ﴾ الآمنة، وهي المؤمنة.

٢٨ ﴿ ارجعي إلى ربك ﴾ يقال لها ذلك عند الموت، أي ارجعي إلى أمره وإرادته ﴿ راضية ﴾ بالثواب ﴿ مرضية ﴾ عند الله بعملك، أي جامعة بين الوصفين، وهما حالان. ويقال لها في القيامة:

٢٩ ﴿ فادخلي في ﴾ جملة ﴿ عبادي ﴾ الصالحين.

٣٠ ﴿ وادخلي جنتي ﴾ معهم.

٨٠٧ (سورة الفجر)

فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا
مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾
كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ
طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾
وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ كَلَّآ ۖ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ
دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾
وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ
لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾
فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ
أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ
رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾
وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾

هلك وينجو من نجا. قال: والرحم يومئذ متدلية إلى الهُوِيِّ في جهنم، تقول: اللهم من وصلني فصله، ومن قطعني فاقطعه. قال: وهي التي يقول الله عز وجل: ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾ [ابن كثير].

(١) روى عبد الله بن المبارك: عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه، وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه. ثم قال بأصبعه: أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا) [ابن كثير] [قال بأصبعه: أشار]

(٢) بالفوقانية: أي بالتاء في الأفعال الأربعة وهي: ﴿تكرمون.. تحضون.. تأكلون.. تحبون﴾ وفي ﴿تحضون﴾ منهم من قرأ بالألف بعد الحاء ﴿تحاضون﴾ و ﴿يحاضون﴾ ومنهم من قرأ ﴿يحضون﴾ و ﴿تحضون﴾ بغير ألف. وهذه القراءات كلها متواترة.

(٣) أخرجه مسلم [الجنة وصفة نعيمها، باب: في شدة حر نار جهنم وبعد قعرها..] من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

سبب نزول الآية [٢٧] وما بعدها: قال السيوطي في [لباب النقول]: أخرج ابن أبي حاتم، عن بريدة في قوله: ﴿يا أيتها النفس المطمئنة﴾ قال: نزلت في حمزة، رضي الله عنه. وأخرج من طريق جويبر، عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبيّ ﷺ قال: (من يشتري بئر رومة يستعذب بها، غفر الله له). فاشتراها عثمان، فقال: (هل لك أن تجعلها سقاية للناس). قال: نعم. فأنزل الله في عثمان: ﴿يا أيتها النفس المطمئنة﴾. يستعذب بها: يطلب الماء العذب ـ وهو الطيب الذي لا ملوحة فيه ـ ليشربه.

(سورة البلد)

(مكية وآياتها عشرون آية)

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿ لا ﴾ صلة[1] ﴿ أقسم بهذا البلد ﴾ مكة.

٢ ﴿ وأنت ﴾ يا محمد ﴿ حل ﴾ حلال[2] ﴿ بهذا البلد ﴾ بأن يحل لك فتقاتل فيه، وقد أنجز الله له هذا الوعد يوم الفتح، فالجملة اعتراض بين المقسم به وما عطف عليه[3]

٣ ﴿ ووالد ﴾ أي آدم ﴿ وما ولد ﴾ أي ذريته، وما بمعنى مَن.

٤ ﴿ لقد خلقنا الإنسان ﴾ أي الجنس ﴿ في كبد ﴾ نصب وشدة، يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة.

٥ ﴿ أيحسب ﴾ أيظن الإنسان قوي قريش، وهو أبو الأشد بن كلدة، بقوته ﴿ أن ﴾ مخففة من الثقيلة، واسمها محذوف، أي أنه ﴿ لن يقدر عليه أحد ﴾ والله قادر عليه.

٦ ﴿ يقول أهلكت ﴾ على عداوة محمد ﴿ مالاً لبداً ﴾ كثيراً، بعضه على بعض.[4]

٧ ﴿ أيحسب أن ﴾ أي أنه ﴿ لم يره أحد ﴾ فيما أنفقه، فيعلم قدره؟ والله عالم بقدره، وأنه ليس مما يتكثر به، ومجازيه على فعله السيء.

٨ ﴿ ألم نجعل ﴾ استفهام تقرير، أي جعلنا ﴿ له عينين ﴾.

٩ ﴿ ولساناً وشفتين ﴾.

١٠ ﴿ وهديناه النجدين ﴾ بينا له طريق الخير والشر.

١١ ﴿ فلا ﴾ فهلا ﴿ اقتحم العقبة ﴾ اجتازها[5].

١٢ ﴿ وما أدراك ﴾ أعلمك ﴿ ما العقبة ﴾ التي يقتحمها، تعظيماً لشأنها، والجملة اعتراض، وبين سبب اجتيازها بقوله:

١٣ ﴿ فكُّ رقبة ﴾ من الرق، بأن أعتقها.

١٤ ﴿ أو أطْعَم في يوم ذي مسغبة ﴾ مجاعة.

١٥ ﴿ يتيماً ذا مقربة ﴾ قرابة.

١٦ ﴿ أو مسكيناً ذا متربة ﴾ لصوق بالتراب لفقره، وفي قراءة بدل الفعلين مصدران مرفوعان، مضاف الأول لرقبة، وينون الثاني، فيقدر قبل العقبة اقتحام[6]، والقراءة المذكورة بيانه.

١٧ ﴿ ثم كان ﴾ عطف على اقتحم، وثم للترتيب الذكري[7]، والمعنى: كان وقت الاقتحام ﴿ من

٨٠٨ (الجـزء الثلاثون)

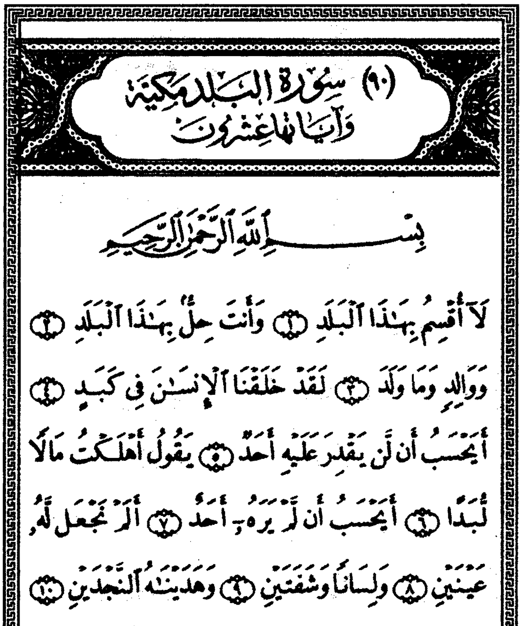

(٩٠) سُورَةُ البَلَدِ مَكِّيَّة
وَآيَاتُهَا عِشْرُونَ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٢
وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ٣ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ٤
أَيَحۡسَبُ أَن لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ أَحَدٞ ٥ يَقُولُ أَهۡلَكۡتُ مَالٗا
لُّبَدًا ٦ أَيَحۡسَبُ أَن لَّمۡ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ٧ أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ
عَيۡنَيۡنِ ٨ وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ ٩ وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ١٠
فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ١١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ١٢
فَكُّ رَقَبَةٍ ١٣ أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ١٤
يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ ١٥ أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ ١٦ ثُمَّ كَانَ مِنَ

---

(١) أي زائدة لفظاً وإعراباً، مؤكدة للمعنى.

(٢) أو المراد: وأنت حال فيه أي مقيم.

(٣) أي جملة ﴿وأنت حل بهذا البلد﴾ جملة معترضة بين المقسم به وهو ﴿بهذا البلد﴾ وما عطف عليه وهو ﴿ووالد وما ولد﴾. فلا تعلق لها بما قبلها وما بعدها، وإنما قصد بها الإخبار عما سيكون، كما بين المفسر.

(٤) تفسير لقوله ﴿لبداً﴾ جمع لِبْدة، وهي ما اجتمع بعضه فوق بعض، والمراد الكثرة كما بين المفسر، والله تعالى أعلم.

(٥) العقبة في الأصل الطريق الصعب في الجبل، واقتحامها مجاوزتها، والمراد هنا مجاهدة النفس على فعل الطاعات، ومنها ما سيذكر في الآيات. وقد فسر ﴿فلا﴾ بأداة التحضيض: فهلا، ويمكن أن تكون (لا) نافية على أصلها، ويكون المعنى: لم يشكر الله تعالى على تلك النعم الجليلة بالأعمال الصالحة.

(٦) التقدير: وما أدراك ما اقتحام العقبة؟ فيأتي الجواب: هو فَكٌّ.. وإطعامٌ.. وهذا على قراءة المصدرين: ﴿فكُّ رقبة. أو إطعامٌ..﴾ ليكون هذا تفسيراً للمصدر اقتحام. وعلى قراءة الفعلين: ﴿فَكَّ رقبة. أو أطعم..﴾ لا يحتاج لهذا التقدير، لأن الفعل فيها بدل من قوله ﴿اقتحم﴾. والقراءتان متواترتان.

(٧) أي ليس المراد أنه آمن بعد فعل ما ذكر، لأن الإيمان سابق على العمل، ولا يصح عمل ولا يقبل إلا به.

الذين آمنوا وتواصوا ﴾ أوصى بعضهم بعضاً ﴿ بالصبر ﴾ على الطاعة وعن المعصية ﴿ وتواصوا بالمرحمة ﴾ الرحمة على الخلق. ١٨ ﴿ أولئك ﴾ الموصوفون بهذه الصفات ﴿ أصحاب الميمنة ﴾ اليمين.

١٩ ﴿ والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشأمة ﴾ الشمال. ٢٠ ﴿ عليهم نار مؤصدة ﴾ بالهمز، والواو بدله: مطبقة.

(سورة الشمس)

(مكية وآياتها ست عشرة آية)

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿ والشمس وضحاها ﴾ ضوئها. ٢ ﴿ والقمر إذا تلاها ﴾ تبعها طالعاً عند غروبها. ٣ ﴿ والنهار إذا جلاها ﴾ بارتفاعه.

٤ ﴿ والليل إذا يغشاها ﴾ يغطيها بظلمته، وإذا في الثلاثة لمجرد الظرفية، والعامل فيها فعل القسم(١).

٥ ﴿ والسماء وما بناها ﴾. ٦ ﴿ والأرض وما طحاها ﴾ بسطها.

٧ ﴿ونفس﴾ بمعنى نفوس ﴿وما سواها﴾ في الخلقة، وما في الثلاثة مصدرية، أو بمعنى مَنْ(٢).

٨ ﴿فألهمها فجورها وتقواها﴾ بين لها طريقي الخير والشر(٣)، وأخر التقوى رعاية لرؤوس الآي(٤). وجواب القسم:

٩ ﴿ قد أفلح ﴾ حذفت منه اللام لطول الكلام(٥) ﴿ من زكاها ﴾ طهرها من الذنوب.

١٠ ﴿ وقد خاب ﴾ خسر ﴿ من دساها ﴾ أخفاها بالمعصية(٦)، وأصله دسسها، أبدلت السين الثانية ألفاً تخفيفاً.

١١ ﴿ كذبت ثمود ﴾ رسولها صالحاً

ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ (١٧)
أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ (١٨) وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا
هُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ (١٩) عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ (٢٠)

(٩١) سُورَةُ الشَّمْسِ مَكِّيَّة
وَآيَاتُهَا خَمْسَ عَشْرَةَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا (١) وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا (٢) وَٱلنَّهَارِ
إِذَا جَلَّىٰهَا (٣) وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا (٤) وَٱلسَّمَآءِ
وَمَا بَنَىٰهَا (٥) وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا (٦) وَنَفْسٍ وَمَا
سَوَّىٰهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ
مَن زَكَّىٰهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا (١٠) كَذَّبَتْ ثَمُودُ

---

(١) المقدر، وهو أقسم. وقوله [لمجرد الظرفية] أي ليس فيها معنى الشرطية.

(٢) فعلى كونها مصدرية: التقدير: وبناء السماء، وطحو الأرض، وتسوية النفس. والمراد فاعل ذلك وهو الله سبحانه وتعالى. وعلى كونها بمعنى [من] فهي اسم موصول بمعنى الذي، والمراد الله سبحانه وتعالى، وهو واضح.

(٣) عن علي رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ ذات يوم جالساً وفي يده عود ينكت به، فرفع رأسه فقال: (ما منكم من نفس إلا وقد علم منزلها من الجنة والنار). قالوا: يا رسول الله فلم نعمل؟ أفلا نتكل؟ قال: (لا، اعملوا، فكل ميسر لما خلق له). ثم قرأ: ﴿فأما من أعطى واتقى. وصدق - إلى قوله - فنيسره للعسرى﴾ [الليل: ٥-١٠].
[أخرجه مسلم في القدر: باب: كيفية خلق الآدمي في بطن أمه...، رقم: ٢٦٤٧].

(٤) أي لتكون أواخر الآيات على وزن واحد.

(٥) أي الأصل أن يقال: لقد...، فصار طول الكلام عوضاً عن اللام.

(٦) عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: لا أقول لكم إلا كما كان رسول الله ﷺ يقول: (اللهم، إني أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والبخل، والهرم، وعذاب القبر. اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها. اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها). [مسلم: الذكر والدعاء والتوبة، باب: التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، رقم: ٢٧٢٢].

فائدة: عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما قال: أقبل رجل بناضحين وقد جنح الليل، فوافق معاذاً يصلي، فترك ناضحه وأقبل إلى معاذ، فقرأ بسورة البقرة، أو النساء، فانطلق الرجل، وبلغه أن معاذاً نال منه، فأتى النبي ﷺ فشكا إليه معاذاً، فقال النبي ﷺ: (يا معاذ أفتان أنت). أو (فاتن) ثلاث مرار: (فلولا صليت بـ﴿سبح اسم ربك﴾ ﴿والشمس وضحاها﴾ ﴿والليل إذا يغشى﴾ فإنه يصلي وراءك الكبير والضعيف وذو الحاجة). [البخاري: الجماعة والإمامة، باب: من شكا إمامه إذا طول، رقم: ٦٧٣. مسلم: الصلاة، باب: القراءة في العشاء، رقم: ٤٦٥] [بناضحين: مثنى ناضح، وهو ما استعمل في سقي الشجر والزرع من الإبل. جنح الليل: أقبل بظلمته. أقبل إلى معاذ: أي فاقتدى به ليصلي. فانطلق الرجل: فارقه ولم يتم صلاته معه. فلولا صليت: فهلا قرأت في صلاتك].

﴿ بطغواها ﴾ بسبب طغيانها.

١٢ ﴿ إذ انبعث ﴾ أسرع ﴿ أشقاها ﴾ واسمه قدار، إلى عقر الناقة، برضاهم.

١٣ ﴿ فقال لهم رسول الله ﴾ صالح ﴿ ناقة الله ﴾ أي ذروها ﴿ وسقياها ﴾ شربها في يومها، وكان لها يوم ولهم يوم(١).

١٤ ﴿ فكذبوه ﴾ في قوله ذلك عن الله، المرتب عليه نزول العذاب بهم إن خالفوه ﴿ فعقروها ﴾. قتلوها، ليسلم لهم ماء شربها.

١٥ ﴿ فدمدم ﴾ أطبق ﴿ عليهم ربهم ﴾ العذاب ﴿ بذنبهم فسواها ﴾ أي الدمدمة عليهم، أي عمهم بها، فلم يفلت منهم أحد. ١٦ ﴿ ولا ﴾ بالواو والفاء(٢) ﴿يخاف﴾ تعالى ﴿ عقباها ﴾ تبعتها.

(سورة الليل)

(مكية وآياتها إحدى وعشرون آية)

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿ والليل إذا يغشى ﴾ بظلمته كل ما بين السماء والأرض.

٢ ﴿ والنهـار إذا تجلى ﴾ تكشف وظهر، وإذا في الموضعين لمجرد الظرفية، والعامل فيها فعل القسم(٣).

٣ ﴿ وما ﴾ بمعنى مَنْ، أو مصدرية(٤) ﴿ خلق الذكر والأنثى ﴾ آدم وحواء، وكل ذكر وكل أنثى، والخنثى المشكل عندنا ذكر أو أنثى عند الله تعالى(٥). فيحنث بتكليمه من حلف لا يكلم ذكراً ولا أنثى.

٤ ﴿ إن سعيكم ﴾ عملكم ﴿ لشتى ﴾ مختلف، فعامل للجنة بالطاعة وعامل للنار بالمعصية.

٥ ﴿ فأما من أعطى ﴾ حق الله ﴿ واتقى ﴾ الله.

٦ ﴿ وصدق بالحسنى ﴾ أي بلا إله إلا الله، في الموضعين(٦).

٧ ﴿ فسنيسره ﴾ نُهَيِّئُه ﴿ لليسرى ﴾ للجنة.

٨ ﴿ وأما من بخل ﴾ بحق الله ﴿ واستغنى ﴾ عن ثوابه.

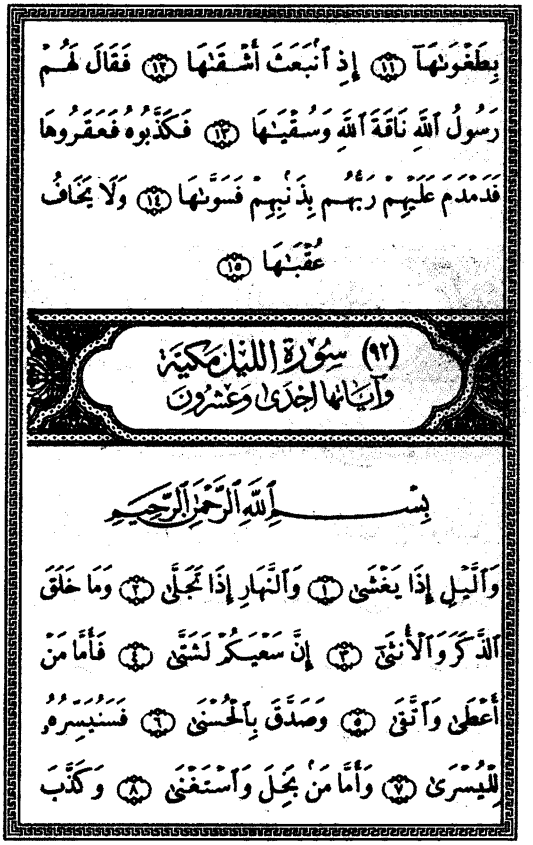

بِطَغۡوَىٰهَآ (١١) إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا (١٢) فَقَالَ لَهُمۡ
رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقۡيَٰهَا (١٣) فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا
فَدَمۡدَمَ عَلَيۡهِمۡ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمۡ فَسَوَّىٰهَا (١٤) وَلَا يَخَافُ
عُقۡبَٰهَا (١٥)

(٩٢) سُورَةُ اللَّيۡلِ مَكِّيَّةٌ
وَآيَاتُهَا إِحۡدَىٰ وَعِشۡرُونَ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ (١) وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ (٢) وَمَا خَلَقَ
ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ (٣) إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ (٤) فَأَمَّا مَنۡ
أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ (٥) وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ (٦) فَسَنُيَسِّرُهُۥ
لِلۡيُسۡرَىٰ (٧) وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ (٨) وَكَذَّبَ

---

(١) انظر/ الشعراء: ٥٥/ و/ القمر: ٢٨/.

(٢) أي ﴿ولا يخاف﴾ و﴿فلا يخاف﴾ قراءتان متواترتان.

(٣) المقدر في قوله ﴿والليل.. والنهار﴾ إذ التقدير: أقسم بهذه الأشياء.

(٤) فإن كان بمعنى [مَنْ] فيكون الله تعالى يقسم بنفسه، والمعنى: والذي خلق الذكر والأنثى، وإن كانت مصدرية فالتقدير: وخَلْقِ الله تعالى الذكر والأنثى.

(٥) أي فهو غير مشكل عند الله عزّ وجلّ، وإنما هو معلوم ذكر أو أنثى. والخنثى المشكل هو الإنسان الذي له مظاهر الذكورة ومظاهر الأنوثة على حد سواء، دون ترجيح جهة على غيرها.

(٦) أي هنا وفي الآية [٩] الآتية.

أسباب نزول سورة الليل: أخرج الواحدي بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رجلاً كانت له نخلة، فرعها في دار رجل فقير ذي عيال، وكان الرجل إذا جاء ودخل الدار فصعد النخلة ليأخذ منها التمر فربما سقطت التمرة، فيأخذها صبيان الفقير، فينزل الرجل من نخلته حتى يأخذ التمرة من فمهم، فإن وجدها في فم أحدهم أدخل أصبعه حتى يخرج التمرة من فيه، فشكا الرجل ذلك إلى النبي ﷺ وأخبره بما يلقى من صاحب النخلة، فقال له النبي ﷺ: (اذهب). ولقي صاحب النخلة وقال: (تعطيني نخلتك المائلة التي فرعها في دار فلان ولك بها نخلة في الجنة). فقال له الرجل: إن لي نخلاً كثيراً، وما فيها نخلة أعجب إليّ ثمرة منها. ثم ذهب الرجل فلقي رجلاً هو ابن الدحداح، كان يسمع الكلام من رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، أتعطيني ما أعطيت الرجل نخلة في الجنة إن أنا أخذتها؟ قال: (نعم). فذهب الرجل إلى صاحب النخلة فساومها منه، فقال له: أشعرت أن محمداً أعطاني بها نخلة في الجنة، فقلت: يعجبني ثمرها؟ فقال له الآخر: أتريد بيعها؟ قال: لا، إلا أن أعطى بها ما لا أظنه أعطى. قال: فما مُناك؟ قال: أربعون نخلة. قال له الرجل: لقد جئت بعظيم، تطلب بنخلتك المائلة أربعين نخلة. ثم سكت عنه، فقال له: أنا أعطيك أربعين نخلة. فقال له: أشهد لي إن كنت صادقاً. فمر ناس فدعاهم فأشهد له بأربعين نخلة، ثم ذهب إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إن النخلة قد صارت في ملكي، فهي لك. فذهب رسول الله ﷺ إلى صاحب الدار فقال: (إن النخلة لك ولعيالك). فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿والليل إذا يغشى..﴾

٩ ﴿ وكذب بالحسنى ﴾.

١٠ ﴿ فسنيسره ﴾ نهيئه ﴿ للعسرى ﴾ للنار.

١١ ﴿ وما ﴾ نافية ﴿ يغني عنه ماله إذا تردى ﴾ في النار.

١٢ ﴿ إن علينا للهدى ﴾ لتبيين طريق الهدى من طريق الضلال، ليمتثل أمرنا بسلوك الأول ونهينا عن ارتكاب الثاني.

١٣ ﴿ وإن لنا للآخرة والأولى ﴾ أي الدنيا، فمن طلبهما من غيرنا فقد أخطأ.

١٤ ﴿ فأنذرتكم ﴾ خوفتكم يا أهل مكة ﴿ ناراً تلظى ﴾ بحذف إحدى التاءين من الأصل، وقرىء بثبوتها(١)، أي تتوقد.

١٥ ﴿ لا يصلاها ﴾ يدخلها ﴿ إلا الأشقى ﴾ بمعنى الشقي.

١٦ ﴿ الذي كذب ﴾ النبي ﴿ وتولى ﴾ عن الإيمان، وهذا الحصر مؤول(٢)، لقوله تعالى: «ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء(٣)»/ النساء: ٤٨، ١١٦/ فيكون المراد الصلي المؤبد. ١٧ ﴿ وسيجنبها ﴾ يبعد عنها ﴿ الأتقى ﴾ بمعنى التقي.

١٨ ﴿ الذي يؤتي ماله يتزكى ﴾ متزكياً به عند الله تعالى، بأن يخرجه الله تعالى لا رياء ولا سمعة، فيكون زاكياً عند الله(٤)، وهذا نزل في الصديق رضي الله عنه لما اشترى بلالاً المعذب على إيمانه وأعتقه، فقال الكفار: إنما فعل ذلك ليد كانت له عنده(٥)، فنزلت:

١٩ ﴿ وما لأحد عنده من نعمة تجزى ﴾.

٢٠ ﴿ إلا ﴾ لكن فعل ذلك ﴿ ابتغاء وجه ربه الأعلى ﴾ أي طلب ثواب الله.

٢١ ﴿ ولسوف يرضى ﴾ بما يعطاه من الثواب في الجنة، والآية تشمل من فعل مثل فعله رضي الله تعالى عنه، فيبعد عن النار ويثاب.

(سورة الضحى)

(مكية وآياتها إحدى عشرة آية)

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ولما نزلت كبر ﷺ آخرها، فسن التكبير آخرها، وروي الأمر به خاتمتها وخاتمة كل سورة بعدها، وهو: الله أكبر، أو: لا إله إلا الله والله أكبر. ﴿ والضحى ﴾ أي أول النهار أو كله.

٢ ﴿ والليل إذا سجى ﴾ غطى بظلامه، أو سكن.

٣ ﴿ ما ودعك ﴾ تركك يا محمد ﴿ ربك

بِالْحُسْنَىٰ (٩) فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ (١٠) وَمَا يُغْنِي عَنْهُ
مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ (١١) إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ (١٢) وَإِنَّ
لَنَا لَلْـَٔاخِرَةَ وَالْأُولَىٰ (١٣) فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ (١٤)
لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا الْأَشْقَى (١٥) الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (١٦)
وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ (١٨)
وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ (١٩) إِلَّا ابْتِغَآءَ وَجْهِ
رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ (٢١)

(٩٣) سُورَةُ الضُّحَىٰ مَكِّيَّة
وَآيَاتُهَا إِحْدَىٰ عَشْرَة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالضُّحَىٰ (١) وَالَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ

---

(١) أي: تَتَلَظَّى، على الأصل، وهي قراءة شاذة، والمتواتر بحذفها.

(٢) أي حصر الدخول بالمكذب ـ الذي ظاهره أنه لا يدخل النار إلا الكافر ـ مؤول بأن المراد به الدخول المؤبد.

(٣) فإنه يدل على أن من لم يغفر له دون الشرك يدخله النار.

(٤) أي مقبولاً.

(٥) نعمة أو معروف أسلفه له.

=وأخرج الحاكم، عن عامر بن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما عن أبيه قال: قال أبو قحافة لأبي بكر: أراك تعتق رقاباً ضعافاً، فلو أنك إذ فعلت ما فعلت أعتقت رجالاً جُلْداً يمنعونك ويقومون دونك. فقال أبو بكر: يا أبت إني إنما أريد ما أريد. فنزلت هذه الآيات فيه: ﴿فأما من أعطى واتقى﴾ إلى آخر السورة. [المستدرك: التفسير، تفسير سورة ﴿والليل إذا يغشى﴾: ٢/٥٢٥].

وعن عروة: أن أبا بكر الصدّيق أعتق سبعة كلهم يعذّب في الله، وفيه نزلت: ﴿وسيجنبها الأتقى﴾ إلى آخر السورة. [السيوطي].

وأخرج البزار عن ابن الزبير رضي الله عنهما قال: نزلت هذه الآية: ﴿وما لأحد عنده من نعمة تجزى﴾ إلى آخرها في أبي بكر الصدّيق، رضي الله عنه. [السيوطي].

[جُلْدَ: جمع جَلْد، أي أشداء أقوياء. يمنعونك: يحمونك ويدافعون عنك. أريد..: لي مراد وغاية أسعى إليها، وهي مرضاة الله تعالى].

أسباب نزول سورة والضحى: عن جندب بن سفيان رضي الله عنه قال: اشتكى رسول الله ﷺ فلم يقم ليلتين أو ثلاثاً، فجاءت امرأة فقالت: يا محمد إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك، لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاثاً. فأنزل الله عز وجل: ﴿ والضحى والليل إذا سجى. ما ودعك ربك وما قلى﴾. [البخاري: التفسير، باب: تفسير سورة ﴿والضحى﴾ رقم: ٤٦٦٧. مسلم: الجهاد والسير، باب: ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين، رقم: ١٧٩٧]. [ودعك: تركك. قلى: أبغض].

=

وما قلى ﴾ أبغضك، نزل هذا لما قال الكفار عند تأخر الوحي عنه خمسة عشر يوماً: إن ربه ودعه وقلاه.

٤ ﴿ **وللآخرة خير لك** ﴾ لما فيها من الكرامات لك ﴿ **من الأولى** ﴾ الدنيا.

٥ ﴿ **ولسوف يعطيك ربك** ﴾ في الآخرة من الخيرات عطاءً جزيلاً ﴿ **فترضى** ﴾ به، فقال ﷺ: (إذن لا أرضى وواحد من امتي في النار)(١). إلى هنا تم جواب القسم بمثبتين بعد منفيين(٢).

٦ ﴿ **ألم يجدك** ﴾ استفهام تقريري، أي وجدك ﴿ **يتيماً** ﴾ بفقد أبيك قبل ولادتك أو بعدها(٣) ﴿ **فآوى** ﴾ بأن ضمك إلى عمك أبي طالب.

٧ ﴿ **ووجدك ضالاً** ﴾ عما أنت عليه الآن من الشريعة ﴿ **فهدى** ﴾ أي هداك إليها.

٨ ﴿ **ووجدك عائلاً** ﴾ فقيراً ﴿ **فأغنى** ﴾ أغناك بما قنعك به من الغنيمة وغيرها، وفي الحديث: (ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس)(٤). ٩ ﴿ **فأما اليتيم فلا تقهر** ﴾ بأخذ ماله أو غير ذلك.

١٠ ﴿ **وأما السائل فلا تنهر** ﴾ تزجره لفقره. ١١ ﴿ **وأما بنعمة ربك** ﴾ عليك بالنبوة وغيرها ﴿ **فحدث** ﴾ أخبر، وحذف ضميره ﷺ في بعض الأفعال(٥) رعاية للفواصل(٦).

وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ
يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾
وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾
فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾
وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾

(٩٤) سُورَةُ الشَّرْحِ مَكِّيَّةٌ
وَآيَاتُهَا ثَمَانٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾
الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾
فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾

(سورة الانشراح)

(مكية وآياتها ثمان آيات)

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿ **ألم نشرح** ﴾ استفهام تقرير، أي شرحنا ﴿ **لك** ﴾ يا محمد ﴿ **صدرك** ﴾ بالنبوة وغيرها(٧).

٢ ﴿ **ووضعنا** ﴾ حططنا ﴿ **عنك وزرك** ﴾.

٣ ﴿ **الذي أنقض** ﴾ أي أثقل ﴿ **ظهرك** ﴾ وهذا كقوله تعالى: «ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك(٨)» /الفتح: ٢/.

٤ ﴿ **ورفعنا لك ذكرك** ﴾ بأن تذكر مع ذكري في الأذان والإقامة والتشهد والخطبة وغيرها.

٥ ﴿ **فإن مع العسر** ﴾ الشدة ﴿ **يسراً** ﴾ سهولة.

---

(١) لم أجده بهذا اللفظ في كتب السنة المشهورة رغم البحث الكثير. وذكر السيوطي في [الدر المنثور] نحوه موقوفاً عن ابن عباس رضي الله عنهما، ولفظه: قال: لا يرضى محمد ـ ﷺ ـ وواحد من أمته في النار.

(٢) أي إن جواب القسم ﴿والضحى﴾ كان بجملتين فيهما نفي، وهما ﴿ما ودعك ربك وما قلى﴾ وجملتين بعدهما فيها إثبات، وهما ﴿وللآخرة خير لك من الأولى.. ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾.

(٣) والصحيح أن أباه توفي قبل ولادته ﷺ.

(٤) أخرجه البخاري في الرقاق، باب: الغنى غنى النفس، رقم: ٦٠٨١. ومسلم في الزكاة، باب: ليس الغنى عن كثرة العرض، رقم: ١٠٥١.

(٥) مثل ﴿فآوى .. فأغنى﴾ فلم يقل: فآواك، فهداك.

(٦) أي لتناسق أواخر الآيات وتوافقها.

(٧) أخرج مسلم [الإيمان، باب: الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات، رقم: ١٦٢] عن أنس رضي الله عنه: أنّ رسول الله ﷺ أتاه جبريل ﷺ وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه، فشق عن قلبه، فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقة، فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه، ثم أعاده في مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه ـ يعني ظئره ـ فقالوا: إن محمداً قد قتل. فاستقبلوه وهو منتقع اللون. قال أنس: وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره. [لأمه : ضمه وجمعه. ظئره: مرضعه].

(٨) أي إنه مصروف عن ظاهره، لأنه ﷺ معصوم عن الذنب الذي يثقل الظهر، وفي المراد منه أقوال لعل أرجحها: أنه من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين، فإنه ﷺ يثقله أقل ما يتصور أنه خلاف الأولى.

= وأخرج الحاكم، عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: مكث رسول الله ﷺ أياماً لا ينزل عليه جبريل، فقالت أمّ جميل امرأة أبي لهب: ما أرى صاحبك إلا قد ودّعك وقلاك، فأنزل الله: ﴿ والضحى ﴾ الآيات. [المستدرك: التفسير، تفسير سورة ﴿والضحى﴾: ٢/٥٢٦].

وأخرج ابن جرير عن عروة قال: أبطأ جبريل على النبي ﷺ فجزع جزعاً شديداً، فقالت خديجة: إني أرى ربك قد قلاك مما يرى من جزعك، =

٦ ﴿إن مع العسر يسراً﴾ والنبي ﷺ قاسى من الكفار شدة، ثم حصل له اليسر بنصره عليهم⁽¹⁾.

٧ ﴿فإذا فرغت﴾ من الصلاة ﴿فانصب﴾ اتعب في الدعاء.

٨ ﴿وإلى ربك فارغب﴾ تضرع.

(سورة التين)

(مكية أو مدنية وآياتها ثمان آيات)

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿والتين والزيتون﴾ أي المأكولين، أو: جبلين بالشام ينبتان المأكولين.

٢ ﴿وطور سينين﴾ الجبل الذي كلم الله تعالى عليه موسى، ومعنى سينين المبارك، أو: الحسن بالأشجار المثمرة.

٣ ﴿وهذا البلد الأمين﴾ مكة، لأمن الناس فيها جاهلية وإسلاماً.

فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ (٧) وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب (٨)

(٩٥) سُورَةُ التِّينِ مَكِّيَّة
وَآيَاتُهَا ثَمَانٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ (١) وَطُورِ سِينِينَ (٢) وَهَٰذَا
الْبَلَدِ الْأَمِينِ (٣) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ
تَقْوِيمٍ (٤) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (٥) إِلَّا الَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٦)
فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ (٧) أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ
الْحَاكِمِينَ (٨)

٤ ﴿لقد خلقنا الإنسان﴾ الجنس ﴿في أحسن تقويم﴾ تعديل لصورته.

٥ ﴿ثم رددناه﴾ في بعض أفراده ﴿أسفل سافلين﴾ كناية عن الهرم والضعف، فينقص عمل المؤمن عن زمن الشباب ويكون له أجره، لقوله تعالى:

٦ ﴿إلا﴾ أي لكن ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون﴾ غير مقطوع، وفي الحديث: (إذا بلغ المؤمن من الكبر ما يعجزه عن العمل كتب له ما كان يعمل)⁽²⁾.

٧ ﴿فما يكذبك﴾ أيها الكافر ﴿بعد﴾ بعد ما ذكر من خلق الإنسان في أحسن صورة، ثم رده إلى أرذل العمر الدال على القدرة على البعث ﴿بالدين﴾ بالجزاء المسبوق بالبعث والحساب؟ أي ما يجعلك مكذباً بذلك، ولا جاعل له؟.

٨ ﴿أليس الله بأحكم الحاكمين﴾ أي هو أقضى

---

(١) أخرج ابن جرير في تفسيره من طرق عن الحسن وغيره: أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه عندما نزلت هذه الآيات: (أبشروا، أتاكم اليسر، لن يغلب عسر يسرين). **أقول:** اعتبر العسر واحداً لأنه معرف، فالثاني نفس الأول. واعتبر اليسر يسرين لأنه منكر، فالثاني غير الأول.

وأخرج أيضاً عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لو دخل العسر في جحر لجاء اليسر حتى يدخل عليه، لأن الله يقول: ﴿فإن مع العسر يسراً. إن مع العسر يسراً﴾. [جحر: ثقب ضيق في جدار أو نحوه].

(٢) انظر كنز العمال: الباب الرابع، فصل في طول العمر.

= فنزلت.

قال الحافظ ابن حجر: فالذي يظهر أن كلاً من أمّ جميل وخديجة قالت ذلك، لكن أمّ جميل قالته شماتة، وخديجة قالته توجعاً. [فتح الباري: تفسير سورة الضحى].

وأخرج الطبراني في [الأوسط] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (عرض عليّ ما هو مفتوح لأمّتي بعدي فسرّني، فأنزل الله: ﴿وللآخرة خير لك من الأولى﴾). [٤] قال السيوطي: إسناده حسن.

وقال السيوطي في [لباب النقول]: وأخرج الحاكم والبيهقي في [الدلائل] والطبراني، وغيرهم، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: عرض على رسول الله ﷺ ما هو مفتوح على أمّته كفراً كفراً ـ أي قرية قرية ـ فسرّ به، فأنزل الله: ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾ [٥]. [المستدرك: التفسير، تفسير سورة ﴿والضحى﴾ ٢: ٥٢٦].

أسباب نزول سورة التين: عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿ثم رددناه أسفل سافلين﴾. قال: هم نفر ردّوا إلى أرذل العمر على عهد رسول الله ﷺ، فسئل رسولَ الله ﷺ حين سفهت عقولهم، فأنزل الله عذرهم: أن لهم أجرهم الذي عملوا قبل أن تذهب عقولهم. [أرذل العمر: أردؤه، وهو حال الخرف. سفهت عقولهم: صار فيها نقص وضعف].

القاضين، وحكمه بالجزاء من ذلك⁽¹⁾. وفي الحديث: (من قرأ والتين إلى آخرها فليقل: بلى، وأنا على ذلك من الشاهدين)⁽²⁾.

(سورة العلق)

(مكية وآياتها تسع عشرة آية)

صدرها إلى «ما لم يعلم» أول ما نزل من القرآن وذلك بغار حراء. (رواه البخاري⁽³⁾)

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿ اقرأ ﴾ أوجد القراءة مبتدئاً ﴿ باسم ربك الذي خلق ﴾ الخلائق.

٢ ﴿ خلق الإنسان ﴾ الجنس ﴿ من علق ﴾ جمع علقة، وهي القطعة اليسيرة من الدم الغليظ.

٣ ﴿ اقرأ ﴾ تأكيد للأول ﴿ وربك الأكرم ﴾ الذي لا يوازيه كريم، حال من الضمير في «اقرأ».

٤ ﴿ الذي علم ﴾ الخط ﴿ بالقلم ﴾ وأول من خط به إدريس عليه السلام.

٥ ﴿ علم الإنسان ﴾ الجنس ﴿ ما لم يعلم ﴾ قبل تعليمه، من الهدى والكتابة والصناعة وغيرها.

٦ ﴿ كلا ﴾ حقاً ﴿ إن الإنسان ليطغى ﴾⁽⁴⁾.

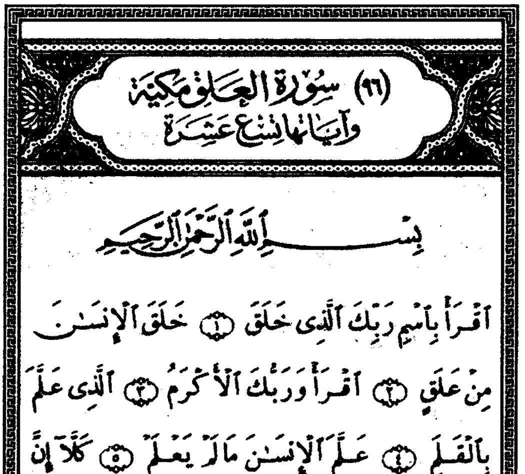

(٩٦) سُورَةُ العَلَقِ مَكِّيَّة
وَآيَاتُهَا تِسْعَ عَشْرَة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ (١) خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ
مِنْ عَلَقٍ (٢) ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ (٣) ٱلَّذِى عَلَّمَ
بِٱلْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) كَلَّآ إِنَّ
ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ (٦) أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ (٧) إِنَّ إِلَىٰ
رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ (٨) أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ (٩) عَبْدًا
إِذَا صَلَّىٰٓ (١٠) أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ (١١)
أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ (١٢) أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ (١٣)
أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ (١٤) كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا

٧ ﴿ أن رآه ﴾ أي نفسه ﴿ استغنى ﴾ بالمال، نزل في أبي جهل، ورأى علمية، واستغنى مفعول ثانٍ، و«أن رآه» مفعول له⁽⁵⁾.

٨ ﴿ إن إلى ربك ﴾ يا إنسان ﴿ الرجعى ﴾ الرجوع، تخويف له، فيجازي الطاغي بما يستحقه.

٩ ﴿ أرأيت ﴾ في مواضعها الثلاثة للتعجب ﴿ الذي ينهى ﴾ هو أبو جهل.

١٠ ﴿ عبداً ﴾ هو النبي ﷺ ﴿ إذا صلى ﴾.

١١ ﴿ أرأيت إن كان ﴾ أي المنهي ﴿ على الهدى ﴾.

١٢ ﴿ أو ﴾ للتقسيم⁽*⁾ ﴿ أمر بالتقوى ﴾.

١٣ ﴿ أرأيت إن كذب ﴾ أي الناهي النبي ﴿ وتولى ﴾ عن الإيمان.

١٤ ﴿ ألم يعلم بأن الله يرى ﴾ ما صدر منه، أي يعلمه فيجازيه عليه، أي اعجب منه يا مخاطب: من حيث نهيه عن الصلاة، ومن حيث إن المنهي عن الهدى آمر بالتقوى، ومن حيث إن الناهي مكذب متولٍ عن الإيمان. ١٥ ﴿ كلا ﴾ ردع له ﴿ لئن ﴾ لام قسم

(*) أي لتقسيم الأفعال: أي إن فعل هذا، أو فعل هذا. والأولى جعلها بمعنى الواو، أي كان على الهدى وأمر بالتقوى.

(١) اي من جملة قضائه سبحانه.

(٢) أخرجه الترمذي في التفسير، باب: ومن سورة التين.

(٣) في بدء الوحي، حديث رقم: ٣. وكذلك مسلم في الإيمان باب: بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، رقم: ١٦٠.

(٤) يتجاوز حده ويستكبر.

(٥) قوله [رأى عِلْمِيَّة] أي ليست من رؤية البصر، وإنما هي من أفعال القلوب، فتكون بمعنى اليقين وبمعنى الظن والتخمين، والمعنى الأخير هو المراد هنا، والله تعالى أعلم. وقوله [استغنى..] أي الجملة في موضع نصب مفعول ثان لرأى، لأن رأى القلبية تنصب مفعولين، والمفعول الأول الضمير في ﴿رآه﴾. وقوله [وأن رآه..] أي أنْ وما دخلت عليه مؤول بمصدر منصوب على أنه مفعول لأجله. وصار المعنى: إن الإنسان ليتحقق بالطغيان والكفر من أجل رؤيته نفسه مستغنياً بالمال عن الله عزّ وجلّ.

أسباب نزول الآيات [٦] وما بعدها: أخرج ابن المنذر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ فقيل: نعم، فقال: واللات والعزى لئن رأيته يفعل لأطأن على رقبته، ولأعفرن وجهه في التراب. فأنزل الله: ﴿كلّا إنّ الإنسان ليطغى﴾ الآيات. [السيوطي]. وأخرج ابن جرير، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يصلي فجاءه أبو جهل فنهاه أن يصلي، فأنزل الله: ﴿أرايت الذي ينهى عبداً إذا صلى﴾ إلى قوله ﴿كاذبة خاطئة﴾ فقال: لقد علم أني أكثر هذا الوادي نادياً. فأنزل الله ﴿فليدع نادية. سندع الزبانية﴾.

وأخرج الترمذي [التفسير، باب: ومن سورة ﴿اقرأ باسم ربك﴾ رقم: ٣٣٤٦] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبيّ ﷺ يصلي فجاء أبو جهل، فقال: ألم أنهك عن هذا؟ ألم أنهك عن هذا؟ فانصرف النبيّ ﷺ فزبره، فقال أبو جهل: إنك لتعلم ما بها ناد أكثر مني، فأنزل الله: ﴿فليدعُ ناديه. سندعُ الزبانية﴾ قال الترمذي: حسن صحيح. [فزبره: زجره].

﴿لم ينته﴾ عما هو عليه من الكفر ﴿لنسفعاً بالناصية﴾ لنجرن بناصيته إلى النار.

١٦ ﴿ناصية﴾ بدل نكرة من معرفة ﴿كاذبة خاطئة﴾ وصفها بذلك مجاز، والمراد صاحبها(١).

١٧ ﴿فليدع ناديه﴾ أي أهل ناديه، هو المجلس ينتدى(٢) يتحدث فيه القوم، وكان قال للنبي ﷺ لما انتهره(٣) حيث نهاه عن الصلاة: لقد علمت ما بها رجل أكثر نادياً مني، لأملأن عليك هذا الوادي إن شئت خيلاً جرداً ورجالاً مرداً(٤).

١٨ ﴿سندع الزبانية﴾ الملائكة الغلاظ الشداد لإهلاكه كما في الحديث: (لو دعا ناديه لأخذته الزبانية عياناً)(٥).

١٩ ﴿كلا﴾ ردع له ﴿لا تطعه﴾ يا محمد في ترك الصلاة ﴿واسجد﴾ صلِّ لله ﴿واقترب﴾ منه بطاعته(٦).

(سورة القدر)

(مكية أو مدنية وآياتها خمس أو ست آيات(*))

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿إنا أنزلناه﴾ أي القرآن، جملة واحدة، من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ﴿في ليلة القدر﴾ أي الشرف العظيم(٧).

٢ ﴿وما أدراك﴾ أعلمك يا محمد ﴿ما ليلة القدر﴾ تعظيم لشأنها وتعجيب منه.

٣ ﴿ليلة القدر خير من ألف شهر﴾ ليس فيها ليلة القدر، فالعمل الصالح فيها خير منه في ألف شهر ليست فيها.

٤ ﴿تنزل الملائكة﴾ بحذف إحدى التاءين من الأصل(٨) ﴿والروح﴾ أي جبريل ﴿فيها﴾ في الليلة ﴿بإذن ربهم﴾ بأمره ﴿من كل أمر﴾ قضاه الله فيها لتلك السنة إلى قابل(٩)، ومن سببية بمعنى الباء(١٠).

٥ ﴿سلام هي﴾ خبر مقدم ومبتدأ(١١) ﴿حتى مطلع الفجر﴾ بفتح اللام وكسرها، إلى وقت طلوعه، جعلت سلاماً لكثرة السلام فيها من الملائكة، لا تمر بمؤمن ولا بمؤمنة إلا سلمت عليه.

٨١٥ (سـورة القـدر)

بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ
نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ
وَٱقْتَرِب ﴿١٩﴾ ۩

(٩٧) سُورَةُ القَدْرِ مَكِّيَّة
وَآيَاتُهَا خَمْسٌ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ
ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ
ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾
سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾

(*) بناءً على عد قوله تعالى: ﴿من كل أمر﴾ آية مستقلة، وعلى هذا يكون ﴿من كل أمر﴾ متعلقاً بما بعده، والمعنى: هي سلام من كل أمر مخوف.

(١) والناصية في الأصل مقدم الرأس، أو الشعر الذي يكون في مقدم الرأس.

(٢) أي ينادي بعضهم بعضاً ويجتمعون فيه.

(٣) أي انتهر النبي ﷺ أبا جهل وشدد عليه القول بعدما أغلظ أبو جهل عليه.

(٤) جرداً: جمع أجرد وهو الفرس القصير الشعر والفرس السباق. مرداً: جمع أمرد وهو الشاب الذي طر شاربه ولم تنبت لحيته.

(٥) أخرجه الترمذي في التفسير، باب: ومن سورة ﴿اقرأ باسم ربك﴾.

(٦) يسن السجود عند نهاية تلاوة هذه السورة، فقد أخرج مسلم [المساجد ومواضع الصلاة، باب: سجود التلاوة، رقم: ٥٧٨] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سجدنا مع النبي ﷺ في ﴿إذا السماء انشقت﴾ و﴿اقرأ باسم ربك﴾.

(٧) أو المراد: تقدير الأمور.

(٨) أي أصل الفعل: تتنزل، فحذفت إحدى تاءيه مخففاً.

(٩) أي إلى مثل تلك الليلة من السنة المقبلة.

(١٠) أي تنزل الملائكة بسبب ما قضاه الله تعالى. ويمكن أن تكون تعليلية، والمعنى: من أجل ما قضاه الله عز وجل.

(١١) أي: هي سلام، وقدم الخبر للاهتمام به.

سبب نزول سورة القدر: أخرج الواحدي بسنده عن مجاهد قال: ذكر النبي ﷺ رجلاً من بني إسرائيل لبس السلاح في سبيل الله ألف شهر، فتعجب المسلمون من ذلك، فأنزل الله تعالى: ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر. وما أدراك ما ليلة القدر. ليلة القدر خير من ألف شهر﴾ قال: خير من التي لبس فيها السلاح ذلك الرجل.

وأخرج ابن جرير عن مجاهد ـ أيضاً ـ قال: كان في بني إسرائيل رجل يقوم الليل حتى يصبح، ثم يجاهد العدوّ بالنهار حتى يمسي، فعمل ذلك ألف شهر، فأنزل الله: ﴿ليلة القدر خير من ألف شهر﴾ من عمل ذلك الرجل.

(سورة البينة)

(مكية أو مدنية وآياتها ثمان آيات)

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿لم يكن الذين كفروا من﴾ للبيان[١] ﴿أهل الكتاب والمشركين﴾ أي عبدة الأصنام، عطف على أهل ﴿منفكين﴾ خبرُ يكن، أي زائلين عما هم عليه ﴿حتى تأتيهم﴾ أي أتتهم ﴿البينة﴾ أي الحجة الواضحة، وهي محمد ﷺ.

٢ ﴿رسول من الله﴾ بدل من البينة، وهو النبي محمد ﷺ ﴿يتلو صحفاً مطهرة﴾ من الباطل.

٣ ﴿فيها كتب﴾ أحكام مكتوبة ﴿قيمة﴾ مستقيمة، أي يتلو مضمون ذلك وهو القرآن، فمنهم من آمن به ومنهم من كفر.

٤ ﴿وما تفرق الذين أوتوا الكتاب﴾ في الإيمان به ﷺ ﴿إلا من بعد ما جاءتهم البينة﴾ أي هو ﷺ، أو القرآن الجائي به معجزة له، وقبل مجيئه ﷺ كانوا مجتمعين على الإيمان به إذا جاء، فحسده من كفر به منهم[٢].

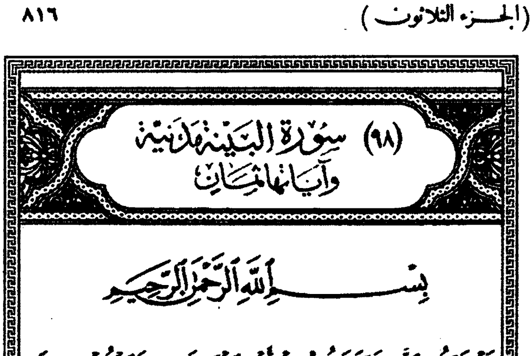

٨١٦ (الجـزء الثلاثون)

(٩٨) سُورَةُ البَيِّنَةِ مَدَنِيَّة
وآياتها ثمان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَٰبِ وَالْمُشْرِكِينَ
مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ (١) رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ
يَتْلُوا صُحُفًا مُّطَهَّرَةً (٢) فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ (٣) وَمَا
تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ
الْبَيِّنَةُ (٤) وَمَآ أُمِرُوٓا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ
الدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَوٰةَ
وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ (٥) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ
الْكِتَٰبِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ

٥ ﴿وما أمروا﴾ في كتابيهم التوراة والإنجيل ﴿إلا ليعبدوا الله﴾ أي أن يعبدوه، فحذفت أن وزيدت اللام[٣] ﴿مخلصين له الدين﴾ من الشرك ﴿حنفاء﴾ مستقيمين على دين إبراهيم ودين محمد إذا جاء، فكيف كفروا به ﴿ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين﴾ الملة ﴿القيمة﴾ المستقيمة[٤].

٦ ﴿إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها﴾ حال مقدرة، أي مقدراً خلودهم

---

(١) أي لفظ ﴿من﴾ لبيان من هم الذين كفرُوا، ومن أي فريق من الناس هم.

أخرج البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ لأبي بن كعب: (إن الله أمرني أن أقرأ عليك ﴿لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب﴾) قال: وسماني؟ قال: (نعم) فبكى. أي سروراً لهذه المنزلة التي أكرمه الله تعالى بها.

[البخاري: فضائل الصحابة، باب: مناقب أبي بن كعب رضي الله عنه، رقم: ٣٥٩٨. مسلم: صلاة المسافرين وقصرها، باب: استحباب قراءة القرآن على أهل الفضل والحذاق فيه، رقم: ٧٩٩].

(٢) انظر الآيات [٨٩ ـ ٩١] من سورة البقرة.

أخرج البخاري [فضائل الصحابة، باب: هجرة النبي ﷺ وأصحابه، رقم: ٣٦٩٩] عن أنس رضي الله عنه قال: فلما جاء نبي الله ﷺ جاء عبد الله بن سلام فقال: أشهد أنك رسول الله، وأنك جئت بحق، وقد علمت يهود أني سيدهم وابن سيدهم، وأعلمهم وابن أعلمهم، فادعهم فاسألهم عني قبل أن يعلموا أني قد اسلمت، فإنهم إن يعلموا أني قد أسلمت قالوا فيَّ ما ليس فيَّ. فأرسل نبي الله ﷺ فأقبلوا فدخلوا عليه، فقال لهم رسول الله ﷺ: (يا معشر اليهود، ويلكم، اتقوا الله، فوالله الذي لا إله إلا هو، إنكم لتعلمون أني رسول الله حقاً، واني جئتكم بحق، فاسلموا). قالوا: ما نعلمه، قالوا للنبي ﷺ، قالها ثلاث مرار، قال: (فأي رجل فيكم عبد الله بن سلام). قالوا: ذاك سيدنا وابن سيدنا، وأعلمنا وابن أعلمنا. قال: (أفرايتم إن أسلم). قالوا: حاشى لله ما كان ليسلم، قال: (أفرأيتم إن أسلم). قالوا: حاشى لله ما كان ليسلم، قال: (أفرأيتم إن أسلم). قالوا: حاشى لله ما كان ليسلم، قال: (يا ابن سلام اخرج عليهم). فخرج فقال: يا معشر اليهود اتقوا الله، فوالله الذي لا إله إلا هو، إنكم لتعلمون أنه رسول الله، وأنه جاء بحق. فقالوا: كذبت، فأخرجهم رسول الله ﷺ.

(٣) أي فاللام بدل عن [أن]. قال الصاوي في حاشيته: الأولى أن تجعل ـ أي اللام ـ بمعنى الباء، والمعنى: وما أمرو إلا بأن يعبدوا..

(٤) أخرج مسلم [البر والصلة والآداب، باب: تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره دمه وعرضه وماله، رقم: ٢٥٦٤] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله تعالى لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم).

فيها من الله تعالى ﴿ أولئك هم شر البرية ﴾.

٧ ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية ﴾ الخليقة.

٨ ﴿ جزاؤهم عند ربهم جنات عدن ﴾ إقامة ﴿ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً رضي الله عنهم ﴾ بطاعته ﴿ ورضوا عنه ﴾ بثوابه ﴿ ذلك لمن خشي ربه ﴾ خاف عقابه، فانتهى عن معصيته تعالى(١)

(سورة الزلزلة)

(مكية أو مدنية وآياتها ثمان آيات)

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿ إذا زلزلت الأرض ﴾ حركت لقيام الساعة ﴿ زلزالها ﴾ تحريكها الشديد المناسب لعظمتها(٢).

٢ ﴿ وأخرجت الأرض أثقالها ﴾ كنوزها وموتاها، فألقتها على ظهرها(٣).

٣ ﴿ وقال الإنسان ﴾ الكافر بالبعث ﴿ ما لها ﴾ إنكاراً لتلك الحالة. ٤ ﴿ يومئذٍ ﴾ بدل من «إذا» وجوابها ﴿ تحدث أخبارها ﴾ تخبر بما عمل عليها من خير وشر. ٥ ﴿ بأن ﴾ بسبب أن ﴿ ربك أوحى لها ﴾ أي أمرها بذلك، في الحديث: (تشهد على كل عبد أو أمة بكل ما عمل على ظهرها)(٤). ٦ ﴿يومئذٍ

أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ
عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ
خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ
لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾

(٩٩) سُورَةُ الزَّلزَلَةِ مَدَنِيَّة
وَآيَاتُهَا ثَمَانٍ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ
أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ
تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ

---

(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بخير البرية». قالوا: بلى، يارسول الله. قال: «رجل آخذ بعنان فرسه في سبيل الله، كلما كانت هيعة استوى عليه. ألا أخبركم بخير البرية». قالوا بلى يا رسول الله. قال: «رجل في ثُلَّة من غنمه، يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة. ألا أخبركم بشر البرية».

قالوا: بلى. قال: «الذي يسأل بالله، ولا يُعطي به». [مسند أحمد: ٢/٣٩٦]. [هيعة: الصوت الذي تفزع منه وتخافه من عدو. الذي يسأل..: أي هو يسأل الناس بالله تعالى، وذلك منهي عنه، وإذا سأله أحد بالله تعالى لا يعطيه، وهو منهي عنه أيضاً، فقد جمع بين قبحين].

(٢) أخرج الواحدي بسنده عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: نزلت: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ وأبو بكر الصديق رضي الله عنه قاعد، فبكى أبو بكر، فقال له رسول الله ﷺ: (ما يبكيك يا أبا بكر). قال: أبكاني هذه السورة. فقال رسول الله ﷺ: (لو أنكم لا تخطئون ولا تذنبون لخلق الله أمة من بعدكم يخطئون ويذنبون، فيغفر لهم).

(٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه: قال: قال رسول الله ﷺ: (تقيء الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأُسْطُوان من الذهب والفضة، فيجيء القاتل فيقول: في هذا قتلت، ويجيء القاطع فيقول: في هذا قطعت رحمي. ويجيء السارق فيقول: في هذا قطعت يدي. ثم يَدَعُونه فلا يأخذون منه شيئاً). [مسلم: الزكاة، باب: الترغيب في الصدقة قبل أن لا يوجد من يقبلها، رقم: ١٠١٣].

[أفلاذ كبدها: أي ما في جوفها من القطع النفيسة المدفونة فيها، والأفلاذ جمع فلذ، وهو في الأصل قطعة من الكبد مقطوعة طولاً، هي أنفس قطعة فيه، وخص الكبد بالذكر لأنه من أطايب ما يؤكل من الحيوان.

الأسطوان: جمع أسطوانة، وهي العمود ونحوه، وشبه به لعظمه].

(٤) أخرجه الترمذي في أبواب التفسير، باب: ومن سورة ﴿إذا زلزلت﴾ رقم: ٣٣٥٠.

سبب نزول الآيات [٧ ـ ٨] من سورة الزلزلة: قال الواحدي: قال مقاتل: نزلت في رجلين، كان أحدهما يأتيه السائل فيستقل أن يعطيه التمرة والكِسرة والجوزة، ويقول: ما هذا شيء، وإنما نؤجر على ما نعطي ونحن نحبه. وكان الآخر يتهاون بالذنب اليسير: الكذبة والغيبة والنظرة، ويقول: ليس عليّ من هذا شيء، إنما أوعد الله بالنار على الكبائر. فأنزل الله عزّ وجلّ يرغبهم في القليل من الخير، فإنه يوشك أن يكثر. ويحذرهم اليسير من الذنب، فإنه يوشك أن يكثر: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره﴾ إلى آخرها.

وذكر السيوطي عن سعيد بن جبير قال: لما نزلت: ﴿ ويطعمون الطعام على حبه ﴾ الآية. كان المسلمون يرون أنهم لا يؤجرون على الشيء القليل إذا أعطوه، وكان آخرون يرون أنهم لا يُلامون على الذنب اليسير: الكذبة، والنظرة والغيْبة، وأشباه ذلك، ويقولون: إنما وعد الله النار على الكبائر، فأنزل الله: ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره. ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾.

يصدر الناس ﴾ ينصرفون من موقف الحساب ﴿ أشتاتاً ﴾ متفرقين، فآخِذٌ ذات اليمين إلى الجنة، وآخِذٌ ذات الشمال إلى النار ﴿ ليروا أعمالهم ﴾ أي جزاءها من الجنة أو النار.

٧ ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة ﴾ زنة نملة صغيرة ﴿ خيراً يره ﴾ يرَ ثوابه.

٨ ﴿ ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾ يرَ جزاءه[١].

(سورة العاديات)

(مكية أو مدنية وآياتها إحدى عشرة آية)

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿ والعاديات ﴾ الخيل تعدو في الغزو وتضبح ﴿ ضبحاً ﴾ هو صوت أجوافها إذا عدت.

٢ ﴿ فالموريات ﴾ الخيل توري النار[٢] ﴿ قدحاً ﴾ بحوافرها إذا سارت في الأرض ذات الحجارة بالليل.

٣ ﴿ فالمغيرات صبحاً ﴾ الخيل تغير على العدو وقت الصبح بإغارة أصحابها.

٤ ﴿ فأثرن ﴾ هيجن ﴿ به ﴾ بمكان عدوهن، أو بذلك الوقت ﴿ نقعاً ﴾ غباراً بشدة حركتهن[٣].

٥ ﴿ فوسطن به ﴾ بالنقع ﴿ جمعاً ﴾ من العدو، أي صرن وسطه، وعطف الفعل على الاسم لأنه في تأويل الفعل، أي واللاتي عدون فأورين فأغرن[٤].

٦ ﴿ إن الإنسان ﴾ الكافر ﴿ لربه لكنود ﴾ لكفور، يجحد نعمته تعالى. ٧ ﴿ وإنه على ذلك ﴾ أي كنوده ﴿ لشهيد ﴾ يشهد على نفسه بصنعه. ٨ ﴿ وإنه لحب الخير ﴾ أي المال ﴿ لشديد ﴾ أي لشديد الحب له، فيبخل به.

٩ ﴿ أفلا يعلم إذا بعثر ﴾ أثير وأخرج ﴿ ما في القبور ﴾ من الموتى، أي بعثوا. ١٠ ﴿ وحصل ﴾ بين وأفرز

٨١٨ (الجـزء الثلاثون)

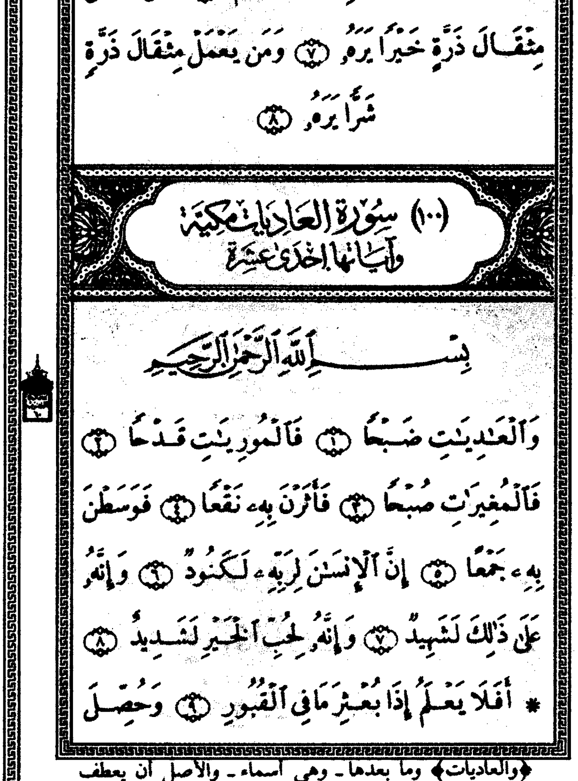

يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾

(١٠٠) سُورَةُ العَادِيَاتِ مَكِّيَّة
وَآيَاتُهَا إِحْدَى عَشْرَة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ * أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ

---

(١) وقد سمى رسول الله ﷺ هاتين الآيتين بالآية الجامعة الفاذة، فقال ـ حين سئل عن زكاة الحُمُر الأهلية ـ : (ما أنزل علي فيها شيء إلا هذه الآية الجامعة الفاذة: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره. ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾). [البخاري: المساقاة، باب: شرب الناس والدواب من الأنهار، رقم: ٢٢٤٢. مسلم: الزكاة، باب: إثم مانع الزكاة، رقم: ٩٨٧]. [الجامعة: العامة الشاملة. الفاذة: المنفردة في معناها] والمعنى: أن الآية تفيد أنه ما من عمل يعمله الإنسان إلا ويجزى عليه، فمن أحب أن يدفع صدقة عن الحمر فإنه يؤجر على ذلك، حتى ولو لم يكن ذلك واجباً عليه.

(٢) أي تخرج شرراً من النار، فيكون في ذلك إرشاد لمؤخرة الجند على الطريق.

(٣) أي بسبب شدة حركتهن أثرن غباراً كثيفاً.

(٤) أي عطف ﴿ فأثرن ﴾ و ﴿ فوسطن ﴾ ـ وهما فعلان ـ على ﴿والعاديات﴾ وما بعدها ـ وهي أسماء ـ والأصل أن يعطف الفعل على الفعل، لأنها في تأويل الفعل كما ذكر المفسر.

فائدة: عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبي ﷺ قال: (يا نساء المسلمات، لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة) [البخاري: الهبة، باب: فضلها والتحريض عليها، رقم: ٢٤٢٧. مسلم: الزكاة، باب: الحث على الصدقة ولو بالقليل، رقم: ١٠٣٠] [لا تحقرن: لا تستصغرن شيئاً تقدمه هبة فتمتنع منها، والهبة في اللغة: إيصال الشيء لغيره مما ينفعه، سواء كان مالاً أم غيره، يقال: وهبه الله مالاً حلالاً وولداً صالحاً وعقلاً سليماً. وشرعاً: هي تمليك المال بلا عوض، وفي معناها الهدية، مع ملاحظة تكريم الموهوب فرسن شاة: ما دون الرسغ من يدها، وقيل: هو عظم قليل اللحم، والمقصود المبالغة في الحث على الإهداء ولو في الشيء اليسير، وخص النساء بالخطاب لأنهن يغلب عليهن استصغار الشيء اليسير والتباهي بالكثرة وأشباه ذلك].

وعن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ قال: (يا عائشة، استتري من النار ولو بشق تمرة، فإنها تسد من الجائع مسدها من الشبعان). [مسند أحمد: ٦/٧٩]. وعنها رضي الله عنها: أن النبي ﷺ كان يقول: (يا عائشة، إياك ومحقرات الذنوب، فإن لها من الله طالباً) [مسند أحمد: ٦/١٥١. ابن ماجه: الزهد، باب: ذكر الذنوب] [إياك. . : احذر الوقوع في الذنوب التي تراها ليست ذات شأن].

سبب نزول سورة العاديات: قال السيوطي في [لباب النقول]: أخرج البزار وابن أبي حاتم، والحاكم، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بعث رسول الله ﷺ خيلاً ولبث شهراً لا يأتيه منها خبر، فنزلت: ﴿والعاديات ضبحا﴾.

﴿ **ما في الصدور** ﴾ القلوب، من الكفر والإيمان.

١١ ﴿ **إن ربهم بهم يومئذٍ لخبير** ﴾ لعالم، فيجازيهم على كفرهم، أعيد الضمير جمعاً نظراً لمعنى الإنسان، وهذه الجملة دلت على مفعول يعلم، أي أنا نجازيه وقت ما ذكر(١). وتعلق خبير بيومئذٍ ـ وهو تعالى خبير دائماً ـ لأنه يوم المجازاة.

(سورة القارعة)

(مكية وآياتها ثمان آيات)(*)

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿ **القارعة** ﴾ أي القيامة التي تقرع القلوب بأهوالها. ٢ ﴿ **ما القارعة** ﴾ تهويل لشأنها، وهما مبتدأ وخبر، خبر القارعة(٢). ٣ ﴿ **وما أدراك** ﴾ أعلمك ﴿ **ما القارعة** ﴾ زيادة تهويل لها، وما الأولى مبتدأ، وما(٣) بعدها خبره، وما الثانية وخبرها في محل المفعول الثاني لأدرى. ٤ ﴿ **يوم** ﴾ ناصبه دل عليه القارعة(٤)، أي تقرع ﴿ **يكون الناس كالفراش المبثوث** ﴾ كغوغاء الجراد المنتشر، يموج بعضهم في بعض للحيرة إلى أن يدعوا للحساب.

٨١٩ (سورة القارعة)

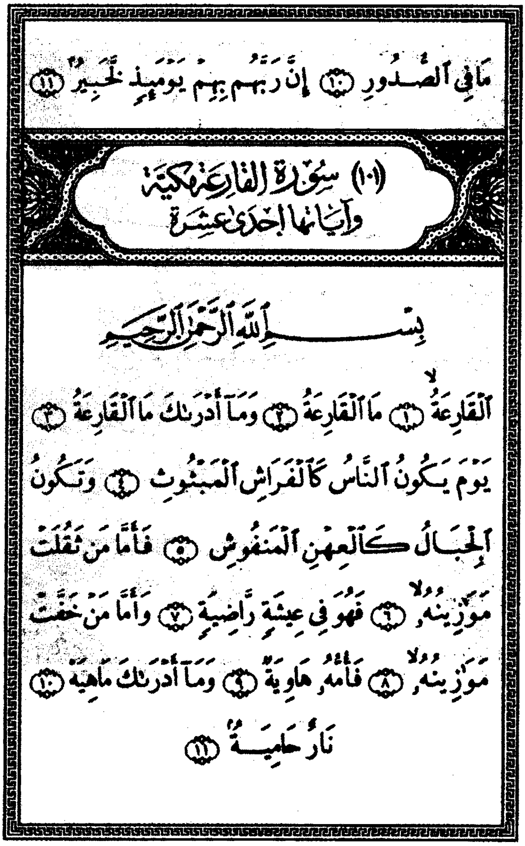

مَا فِي ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ﴿١١﴾

(١٠١) سُورَةُ القَارِعَةِ مَكِّيَّة
وَآيَاتُهَا إِحْدَىٰ عَشْرَةَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٣﴾
يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ
ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ
مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ
مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾
نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾

٥ ﴿ **وتكون الجبال كالعهن المنفوش** ﴾ كالصوف المندوف في خفة سيرها حتى تستوي مع الأرض. ٦ ﴿ **فأما من ثقلت موازينه** ﴾ بأن رجحت حسناته على سيئاته. ٧ ﴿ **فهو في عيشة راضية** ﴾ في الجنة، أي ذات رضى، بأن يرضاها، أي مرضية له. ٨ ﴿ **وأما من خفت موازينه** ﴾ بأن رجحت سيئاته على حسناته. ٩ ﴿ **فأمه** ﴾ فمسكنه ﴿ **هاوية** ﴾(٥). ١٠ ﴿ **وما أدراك ماهيه** ﴾ أي ماهاوية. ١١ هي ﴿ **نار حامية** ﴾ شديدة الحرارة، وهاء هيه للسكت، تثبت وصلاً ووقفاً، وفي قراءة تحذف وصلاً(٦).

(*) وقيل: تسع آيات، وقيل: عشر آيات، وقيل: إحدى عشرة آية، وهذا هو الموجود في المصاحف.

(١) أي أفلا يعلم أنّا نجازيه على فعله وقت إخراج ما في القبور وبيان ما في الصدور؟.

(٢) أي ﴿ما القارعة﴾ جملة من مبتدأ وخبر، والجملة خبر المبتدأ ﴿القارعة﴾ المذكور قبلها.

(٣) أي والذي بعدها وهو أدراك.

(٤) أي ﴿يومَ﴾ مفعول فيه ظرف زمان، وعمل فيه النصب ما دل عليه لفظ القارعة من الفعل تقرع. فصار المعنى: تقرع القيامة قلوب الناس يوم يكونون..

(٥) سميت بذلك لبعد مهواها أي لعمقها، فيهوي الساقط فيها طويلاً. روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله، لا يلقي لها بالاً، يرفع الله بها درجات. وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله، لا يلقي لها بالاً، يهوي بها في جهنم). وفي رواية: (يزل بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب) وعند الترمذي: (يهوي بها سبعين خريفاً في النار). [البخاري: الرقاق، باب: حفظ اللسان، رقم: ٦١١٢، ٦١١٣. مسلم: الزهد والرقاق، باب: التكلم بالكلمة يهوي بها في النار، رقم: ٢٩٨٨. الترمذي: الزهد، باب: فيمن تكلم بكلمة ليضحك بها الناس، رقم: ٢٣١٥]. [لا يلقي لها بالاً: لا يبالي بمعناها ولا يلتفت إلى آثارها].

(٦) أي تحذف هاء ﴿ماهيه﴾ عند وصل القراءة بما بعدها، فتقرأ [ما هيَ] بدون هاء.

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «ناركم جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم». قيل: يارسول الله، إن كانت لكافية؟ قال: «فضلت عليهن بتسعة وستين جزءاً، كلهن مثل حرها». [البخاري: بدء الخلق، باب: صفة النار وأنها مخلوقة، رقم: ٣٠٩٢. مسلم: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: في شدة حر نار جهنم، رقم: ٢٨٤٣] [لكافية: في تعذيب أهل النار. فضلت عليهن: أي على نيران الدنيا، وفي رواية: عليها، ولعلها أرجح لأن المفضل عليه مفرد، والمعنى: أنها زادتها في العدد والكمية].

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اشتكت النار إلى ربها، فقالت: ربِّ، أكل بعضي بعضاً. فأذن لها بنفسين: نفس في الشتاء ونفس في الصيف، فأشد ما تجدون من الحر، وأشد ما تجدون من الزمهرير». [البخاري: بدء الخلق، باب: صفة النار وأنها مخلوقة، رقم: ٣٠٨٧. مسلم: المساجد ومواضع الصلاة، باب: استحباب الإبراد بالظهر في شدة الحر، رقم: ٦١٥] [أكل

(سورة التكاثر)

مكية وآياتها ثمان آيات)

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿ **ألهاكم** ﴾ شغلكم عن طاعة الله ﴿ **التكاثر** ﴾ التفاخر بالأموال والأولاد والرجال.

٢ ﴿ **حتى زرتم المقابر** ﴾ بأن متم فدفنتم فيها، أو عددتم الموتى تكاثراً(١).

٣ ﴿ **كلا** ﴾ ردع ﴿ **سوف تعلمون** ﴾. ٤ ﴿ **ثم كلا سوف تعلمون** ﴾ سوء عاقبة تفاخركم عند النزع، ثم في القبر.

٥ ﴿ **كلا** ﴾ حقاً ﴿ **لو تعلمون علم اليقين** ﴾ أي علماً يقيناً عاقبة التفاخر ما اشتغلتم به.

٦ ﴿ **لترون الجحيم** ﴾ النار، جواب قسم محذوف، وحذف منه لام الفعل وعينه وألقيت حركتها على الراء(٢).

٧ ﴿ **ثم لترونها** ﴾ تأكيد ﴿ **عين اليقين** ﴾ مصدر، لأن رأى وعاين بمعنى واحد.

٨ ﴿ **ثم لتسألن** ﴾ حذف منه نون الرفع لتوالي النونات، وواو ضمير الجمع لالتقاء الساكنين(٣) ﴿ **يومئذ** ﴾ يوم رؤيتها ﴿ **عن النعيم** ﴾ ما يلتذ به في الدنيا من الصحة والفراغ(٤)، والأمن، والمطعم والمشرب، وغير ذلك.

(سورة العصر)

(مكية أو مدنية وآياتها ٣)

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿ **والعصر** ﴾ الدهر، أو ما بعد الزوال إلى الغروب، أو صلاة العصر(٥). ٢ ﴿ **إن الإنسان** ﴾ الجنس ﴿ **لفي خسر** ﴾ في تجارته. ٣ ﴿ **إلا الذين**

٨٢٠ (الجـــزء الثلاثون)

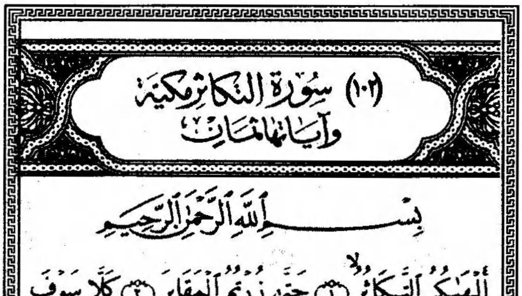

(١٠٢) سُورَةُ التَّكَاثُرِ مَكِّيَّة وَآيَاتُهَا ثَمَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَلْهَىٰكُمُ التَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿٨﴾

(١٠٣) سُورَةُ الْعَصْرِ مَكِّيَّة وَآيَاتُهَا ثَلَاث

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَٰنَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ

بعضي: مجاز عن ازدحام أجزائها واشتداد حرها. بنفسين: مجاز عن خروج ما يبرز منها. الزمهرير: شدة البرد، وهو الذي أعده الله تعالى عذاباً للكفار في جهنم].

(١) ولعل مما يدخل في هذا المعنى: ما يفعله الناس اليوم من زخرفة القبور وبنائها بالرخام ونحوه، كي يتفاخروا بها عند زيارتها أو رؤية الناس لها.

(٢) أي قوله ﴿ لترون ﴾ أصله الفعل ترون ونون التوكيد الثقيلة، وأصل ترون ترءيون على وزن تفعلون، فنقلت حركة الهمزة - التي هي عين الفعل - إلى ما قبلها - وهو الراء - وحذفت، فصار الفعل تَرَيُون، فتحركت الياء - التي هي لام الفعل - وانفتح ما قبلها فقلبت ألفاً، فالتقى ساكنان، فحذفت الألف المنقلبة، لأن الواو كلمة مستقلة وهي الفاعل، فصارت الكلمة ترون، فدخلت نون التوكيد فصارت تَرَوْنَنَّ، فحذفت نون الرفع لتوالي الأمثال، وحركت الواو بالضمة تخلصاً من التقاء الساكنين.

وقوله [جواب قسم..] أي التقدير: والله لترون..

(٣) أي أصله: لتسألُونَنَّ.

(٤) أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ). [الرقاق، باب: ما جاء في الصحة والفراغ..، رقم: ٦٠٤٩] [مغبون: أصل الغبن النقص في الثمن، والمراد أنهم يفوتهم الكثير من الأجر بسبب عدم اغتنام الصحة والفراغ في العمل الصالح].

(٥) وعلى هذا القول: أقسم الله تعالى بها لشرفها، لأنها الصلاة الوسطى، ففي الصحيحين: قال ﷺ في غزوة الخندق: (شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر). [البخاري: الجهاد، باب الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة، رقم: ٢٧٧٣. مسلم: المساجد ومواضع الصلاة، باب: التغليظ في تفويت صلاة العصر، رقم: ٦٢٧].

سبب نزول سورة التكاثر: قال الواحدي: قال مقاتل والكلبي: نزلت في حيين من قريش: بني عبد مناف وبني سهم، كان بينهما لحا، فتعاند السادة والأشراف أيهم أكثر، فقال بنو عبد مناف: نحن أكثر سيداً وعزاً عزيزاً، وأعظم نفراً. وقال بنو سهم مثل ذلك، فكثرهم بنو عبد مناف، ثم قالوا: نعد موتانا، حتى زاروا القبور فعدوا موتاهم، فكثرهم بنو سهم، لأنهم كانوا أكثر عدداً في الجاهلية.

[لَحاً: نزاعاً وتشاتماً. فكثرهم: كانوا أكثر منهم].

وقال السيوطي: أخرج ابن أبي حاتم عن ابن بريدة قال: نزلت في قبيلتين من الأنصار في بني حارثة وبني الحارث، تفاخروا وتكاثروا، فقالت

آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ فليسوا في خسران ﴿ وتواصوا ﴾ أوصى بعضهم بعضاً ﴿ بالحق ﴾ أي الإيمان ﴿ وتواصوا بالصبر ﴾ على الطاعة وعن المعصية.

(سورة الهمزة)

(مكية أو مدنية وآياتها تسع آيات)

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿ ويل ﴾ كلمة عذاب، أو: وادٍ في جهنم ﴿ لكل همزة لمزة ﴾ أي كثير الهمز واللمز، أي الغيبة، نزلت فيمن كان يغتاب النبي ﷺ والمؤمنين، كأمية بن خلف والوليد بن المغيرة وغيرهما.

٢ ﴿ الذي جمع ﴾ بالتخفيف والتشديد(١) ﴿ مالاً وعدده ﴾ أحصاه وجعله عُدة لحوادث الدهر(٢).

٣ ﴿ يحسب ﴾ لجهله ﴿ أن ماله أخلده ﴾ جعله خالداً لا يموت.

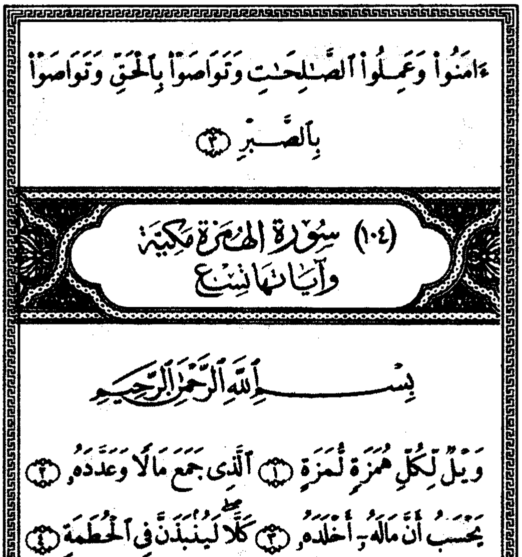

ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾

(١٠٤) سُورَةُ الهُمَزَةِ مَكِّيَّة
وآيَاتُهَا تِسْع

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ﴿٢﴾
يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ﴿٣﴾ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ﴿٤﴾
وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾
ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾
فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ﴿٩﴾

٤ ﴿ كلا ﴾ ردع ﴿ لينبذن ﴾ جواب قسم محذوف، أي ليطرحن ﴿ في الحطمة ﴾ التي تحطم كل ما ألقي فيها.

٥ ﴿ وما أدراك ﴾ أعلمك ﴿ ما الحطمة ﴾.

٦ ﴿ نار الله الموقدة ﴾ المسعرة(٣).

٧ ﴿ التي تطلع ﴾ تشرف ﴿ على الأفئدة ﴾ القلوب فتحرقها، وألمها أشد من ألم غيرها للطفها.

٨ ﴿ إنها عليهم ﴾ جمع الضمير رعاية لمعنى كل ﴿ مؤصدة ﴾ بالهمزة وبالواو(٤)، مطبقة.

٩ ﴿ في عمد ﴾ بضم الحرفين وبفتحهما(٥) ﴿ ممددة ﴾ صفة لما قبله، فتكون النار داخل العمد.

---

(١) اي للميم ﴿جَمَعَ﴾ و ﴿جَمَّعَ﴾.

(٢) جاء في الحديث: (المؤمن كَيِّس فطِن، وقَّاف متثبت لا يعجل، عالم ورع. والمنافق همزة لمزة حطمة، كحاطب الليل، لا يبالي من أين اكتسب وأين أنفق).

[كيس: عاقل متئد، من الكَيْس وهو خلاف الحُمْق. فطن: عنده فطانة، أي حذق ومهارة وانتباه، فلا يخدع. وقاف: يتأنى في أقواله وأفعاله. همزة: كثير الوقيعة في الناس وذكر عيوبهم. لمزة: يعيب الناس في وجوههم ويسخر بهم بتحريك لسانه أو يده أو غير ذلك. حطمة: عنيف في قوله وفعله، فيحطم الناس بذلك. كحاطب الليل: أي كمن يجمع الحطب في الليل، فلا يبالي بما اختلط فيه من غيره مما قد يضره كالحشرات المؤذية].

(٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت، فهي سوداء مظلمة) أخرجه الترمذي عن أبي هريرة مرفوعاً وموقوفاً وقال: حديث أبي هريرة في هذا موقوف أصح. [أبواب صفة جهنم، باب: أوقد على النار ثلاثة آلاف سنة. .، رقم: ٢٥٩٤]. والموقوف: هو الحديث الذي لا يسنده الصحابي ولا يرفعه إلى النبي ﷺ. وإذا كان ليس من قبيل ما يقال بالرأي والاجتهاد ـ كالحديث المذكور ـ كان في حكم الحديث المرفوع.

(٤) أي قراءتان: ﴿مُؤْصَدَة﴾ بالهمزة، و ﴿مُوصَدَة﴾ بالواو.

(٥) أي ﴿عُمُد﴾ و ﴿عَمَد﴾ قراءتان متواترتان.

إحداهما: فيكم مثل فلان وفلان، وقال الآخرون مثل ذلك، تفاخروا بالأحياء، ثم قالوا: انطلقوا بنا إلى القبور. فجعلت إحدى الطائفتين تقول: فيكم مثل فلان ومثل فلان، يشيرون إلى القبر، وتقول الأخرى مثل ذلك، فأنزل الله: ﴿ ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر﴾.

وما ذكره السيوطي يتعارض مع كون السورة مكية، ولعلّ نزولها متكرر، والله تعالى أعلم.

سبب نزول سورة الهمزة: قال السيوطي أخرج ابن أبي حاتم، عن عثمان وابن عمر رضي الله عنهما قالا: ما زلنا نسمع أن: ﴿ويل لكلّ هُمَزَة﴾ نزلت في أبيّ بن خلف. وأخرج عن السدّي قال: نزلت في الأخنس بن شريق. وأخرج ابن جرير عن رجل من أهل الرقة قال: نزلت في جميل بن عامر الجمحي. وأخرج ابن منذر عن ابن إسحاق قال: كان أمية بن خلف إذا رأى رسول الله ﷺ همزه ولمزه، فأنزل الله: ﴿ويل لكلّ هُمَزَة لُمَزَة﴾ السورة كلها. أقول: ولا مانع أن تكون نزلت في هؤلاء جميعاً.

(سورة الفيل)
(مكية وآياتها خمس آيات)
بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿ **ألم ترَ** ﴾ استفهام تعجيب، أي اعجب ﴿ **كيف فعل ربك بأصحاب الفيل** ﴾ هو محمود، وأصحابه أبرهة ملك اليمن وجيشه، بنى بصنعاء كنيسة ليصرف إليها الحاج عن مكة، فأحدث رجل من كنانة فيها، ولطخ قبلتها بالعذرة احتقاراً بها، فحلف أبرهة ليهدمن الكعبة، فجاء مكة بجيشه على أفيال اليمن مقدمها محمود(١)، فحين توجهوا لهدم الكعبة أرسل الله عليهم ما قصه في قوله:

٢ ﴿ **ألم يجعل** ﴾ أي جعل ﴿ **كيدهم** ﴾(٢) في هدم الكعبة ﴿ **في تضليل** ﴾ خسارة وهلاك.

٣ ﴿ **وأرسل عليهم طيراً أبابيل** ﴾ جماعات جماعات، قيل: لا واحد له كأساطير، وقيل: واحده أُبول أو إِبَّال أو إِبِّيل، كعجول ومفتاح وسكين.

٤ ﴿ **ترميهم بحجارة من سجيل** ﴾ طين مطبوخ.

٥ ﴿ **فجعلهم كعصف مأكول** ﴾ كورق زرع أكلته الدواب وداسته وأفنته، أهلكهم الله تعالى كل واحد بحجره المكتوب عليه اسمه، وهو أكبر من العدسة وأصغر من الحمصة، يخرق البيضة(٣) والرجل والفيل ويصل إلى الأرض، وكان هذا عام مولد النبي ﷺ.

(سورة قريش)
(مكية أو مدنية وآياتها ٤)
بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿ **لإيلاف قريش** ﴾(٤).

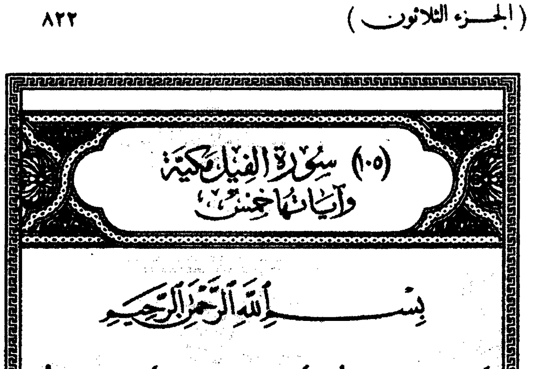

(الجـــزء الثلاثون) ٨٢٢

(١٠٥) سُورَةُ الفِيلِ مَكِّيَّة
وَآيَاتُهَا خَمْسٌ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ
فِى تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم
بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾

(١٠٦) سُورَةُ قُرَيْشٍ مَكِّيَّة
وَآيَاتُهَا أَرْبَعٌ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ

---

(١) ذكر هذا أصحاب السير ابن هشام وغيره.

(٢) مكرهم وتدبيرهم الناشىء عن حسادهم لسكان الحرم.

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قام يوم فتح مكة فقال: «إن الله حبس عن مكة الفيل، وسلط عليهم رسوله والمؤمنين، ألا وإنها لم تحل لأحد قبلي، ولا تحل لأحد بعدي، ألا وإنما أحلت لي ساعة من نهار، ألا وإنها ساعتي هذه حرام». [البخاري: الديات، باب: من قتل له قتيل فهو بخير النظرين. مسلم: الحج، باب: تحريم مكة وصيدها] [ساعتي هذه: أي عادت حرمتها من هذه الساعة التي أنا فيها]

(٣) هي ما يغطي به الرجل المقاتل رأسه من الحديد، كالخوذة.

(٤) أخرج الواحدي بسنده في كتابه [أسباب النزول] عن أم هانىء بنت أبي طالب رضي الله عنها قالت: قال النبي ﷺ: (إن الله فضل قريشاً بسبع خصال، لم يعطها قبلهم أحداً ولا يعطيها أحداً بعدهم: إن الخلافة فيهم، والحجابة فيهم، وإن السقاية فيهم، وإن النبوة فيهم، ونصروا على الفيل، وعبدوا الله سبع سنين لم يعبده أحد غيرهم، ونزلت فيهم سورة لم يذكر فيها أحد غيرهم: ﴿لإيلاف قريش﴾).

وأخرجه الحاكم في مستدركه التفسير، باب: تفسير سورة قريش [٢/٥٣٦]. [الحجابة: حفظ الكعبة وخدمتها. السقاية: سقاية الحجيج. سبع سنين: هي فترة ما بين جهر الرسول ﷺ بالدعوة ودخول الأنصار في الإسلام].

وأخرج مسلم [الفضائل، باب: فضل نسب النبي ﷺ..، رقم: ٢٢٧٦] عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم).

وأخرج البخاري [المناقب، باب: قول الله تعالى: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى..﴾ رقم: ٣٣٠٥] ومسلم [الإمارة، باب: الناس تبع لقريش والخلافة في قريش، رقم: ١٨١٨] عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (الناس تبع لقريش في هذا الشأن، مسلمهم تبع لمسلمهم، وكافرهم تبع لكافرهم). [تبع لقريش: أي هم المقدمون في الإمارة، وعلى الناس أن يطيعوهم في ذلك. الشأن: الإمارة والخلافة].

=

٢ ﴿ **إيلافهم** ﴾ تأكيد، وهو مصدر آلف، بالمد ﴿ **رحلة الشتاء** ﴾ إلى اليمن ﴿ **و** ﴾ رحلة ﴿ **الصيف** ﴾ إلى الشام في كل عام، يستعينون بالرحلتين للتجارة على المقام بمكة لخدمة البيت الذي هو فخرهم، وهم ولد النضر بن كنانة.

٣ ﴿ **فليعبدوا** ﴾ تعلق به «الإيلاف» والفاء زائدة(١) ﴿**رب هذا البيت**﴾.

٤ ﴿ **الذي أطعمهم من جوع** ﴾ أي من أجله ﴿ **وآمنهم من خوف** ﴾ أي من أجله، وكان يصيبهم الجوع لعدم الزرع بمكة، وخافوا جيش الفيل(٢).

(سورة الماعون)

(مكية أو مدنية، أو نصفها ونصفها، وآياتها ـ ست أو ـ سبع آيات)

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿ **أرأيت الذي يكذب بالدين** ﴾ بالجزاء والحساب، أي هل عرفته؟ وإن لم تعرفه:

٢ ﴿ **فذلك** ﴾ بتقدير هو بعد الفاء ﴿ **الذي يدع اليتيم** ﴾ أي يدفعه بعنف عن حقه.

٣ ﴿ **ولا يحض** ﴾ نفسه ولا غيره ﴿ **على طعام المسكين** ﴾ أي إطعامه، نزلت في العاص بن وائل أو الوليد بن المغيرة.

٤ ﴿ **فويل للمصلين** ﴾.

٥ ﴿ **الذين هم عن صلاتهم ساهون** ﴾ غافلون، يؤخرونها عن وقتها.

٦ ﴿ **الذين هم يراؤون** ﴾ في الصلاة وغيرها.

٧ ﴿ **ويمنعون الماعون** ﴾ كالإبرة والفأس والقدر والقصعة(٣).

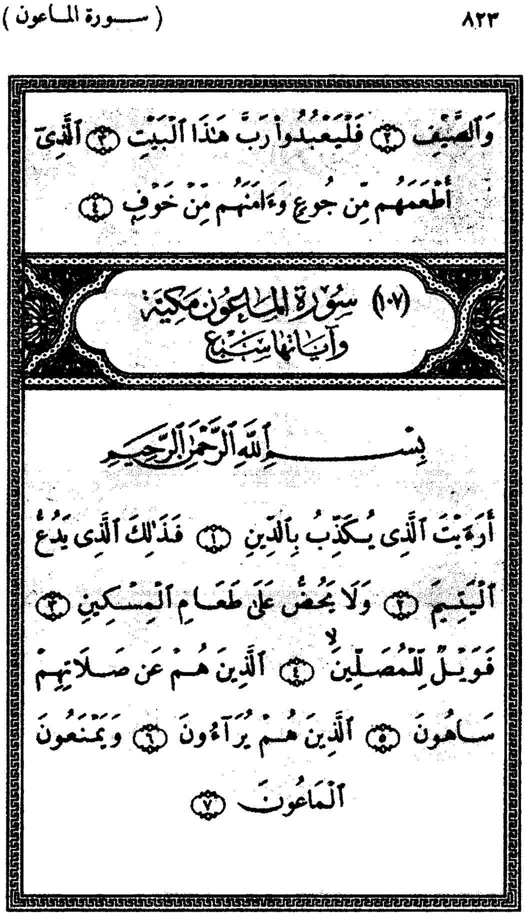
٨٢٣ (سورة الماعون)

وَالصَّيْفِ ② فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ③ ٱلَّذِىٓ
أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ④

(١٠٧) سُورَةُ الماعُونِ مَكِّيَّة
وَآيَاتُهَا سَبْع

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ① فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ
ٱلْيَتِيمَ ② وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ③
فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ④ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ
سَاهُونَ ⑤ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ⑥ وَيَمْنَعُونَ
ٱلْمَاعُونَ ⑦

- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (اللهم أذقت أول قريش نكالاً، فأذق آخرهم نوالاً). أخرجه الترمذي في المناقب، باب: في فضل الأنصار وقريش، رقم: ٣٩٠٤. [نكالاً: عذاباً، نوالاً: عطاءً].

---

(١) أي التقدير: ليعبدوا رب هذا البيت لإيلافهم، أي لإكرامه لهم بهذه النعمة. وقيل: ليست زائدة، بل هي واقعة في جواب شرط مقدر، تقديره: إن لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لإيلافهم هذه النعمة، فإنها أظهر نعمة عليهم، والله أعلم.

(٢) ولعل الأولى أن يكون المعنى: حفظهم من الجوع بجلب الأرزاق إليهم من كل مكان، وآمنهم بجعل البيت محرماً فمن دخله كان آمناً، استجابة لدعوة إبراهيم عليه السلام إذ قال: ﴿رب اجعل هذا بلداً آمناً وارزق أهله من الثمرات﴾/البقرة: ١٢٦/ كما امتن الله تعالى عليهم بذلك في قوله: ﴿أو لم نمكن لهم حرماً آمناً يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقاً من لدنا﴾ /القصص: ٥٧/.

(٣) أي فلا يعيرونها لغيرهم. أخرج أبو داود عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنا نعد الماعون على عهد رسول الله ﷺ عارية الدلو والقدر. [الزكاة، باب: في حقوق الأموال، رقم: ١٦٥٧].

فائدة: قال العلماء: يستحب للمسلم أن يستكثر في بيته مما يحتاج إليه الجيران، ليعيرهم إياه ويلبي حاجاتهم وييسر عليهم.

سبب نزول سورة الماعون: قال السيوطي أخرج ابن المنذر، عن طريف بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله ﴿فويل للمصلين﴾ الآية قال: نزلت في المنافقين كانوا يراؤون المؤمنين بصلاتهم إذا حضروا، ويتركونها إذا غابوا، ويمنعونهم العارية. [العارية: ما يستعار للانتفاع به من آنية ونحوها].

وقال الواحدي: قال ابن جريج: كان أبو سفيان بن حرب ينحر كل أسبوع جزورين، فأتاه يتيم فسأله شيئاً فقرعه بعصاً، فأنزل الله تعالى: ﴿أرأيت الذي يكذب بالدين. فذلِكَ الَّذِي يَدُعُّ اليَتِيم﴾.

وقال: قال مقاتل والكلبي: نزلت في العاص بن وائل السهمي.

(سورة الكوثر)

(مكية أو مدنية وآياتها ثلاث آيات)

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿ إنا أعطيناك ﴾ يا محمد ﴿ الكوثر ﴾ هو نهر في الجنة(١)، هو حوضه ترد عليه أمته(١)، والكوثر: الخير الكثير(٢) من النبوة والقرآن والشفاعة ونحوها. ٢ ﴿ فصل لربك ﴾ صلاة عيد النحر ﴿ وانحر ﴾ نسكك(٣).
٣ ﴿ إن شانئك ﴾ أي مبغضك ﴿ هو الأبتر ﴾ المنقطع عن كل خير، أو: المنقطع العقب، نزلت في العاص بن وائل، سمى النبي ﷺ أبتر عند موت ابنه القاسم.

(سورة الكافرون)

(مكية أو مدنية وآياتها ست آيات)

نزلت لما قال رهط من المشركين لرسول الله ﷺ تعبد آلهتنا سنة ونعبد إلٰهك سنة(٤)

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿ قل يا أيها الكافرون ﴾.
٢ ﴿ لا أعبد ﴾ في الحال ﴿ ما تعبدون ﴾ من الأصنام.
٣ ﴿ ولا أنتم عابدون ﴾ في الحال ﴿ ما أعبد ﴾ وهو الله تعالى وحده. ٤ ﴿ ولا أنا عابد ﴾ في الاستقبال ﴿ ما عبدتم ﴾. ٥ ﴿ ولا أنتم عابدون ﴾ في الاستقبال ﴿ ما أعبد ﴾ وهو الله تعالى وحده، علم الله منهم أنهم لا يؤمنون، وإطلاق ما على الله على وجه المقابلة(٥).
٦ ﴿ لكم دينكم ﴾ الشرك ﴿ ولي دين ﴾ الإسلام، وهذا قبل أن يؤمر بالحرب، وحذف ياء الإضافة القراء السبعة وقفاً ووصلاً، وأثبتها يعقوب في الحالين(٦).

(١٠٨) سُورَةُ الكَوثَرِ مَكِيَّة وَآيَاتُهَا ثَلَاث

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ① فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ② إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ③

(١٠٩) سُورَةُ الكَافِرُونَ مَكِيَّة وَآيَاتُهَا سِتّ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ① لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ② وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ③ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ④ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ⑤ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ⑥

---

(١) أخرج هذا البخاري [الرقاق، باب: في الحوض، رقم: ٦٢١٠] ومسلم [الصلاة، باب: حجة من قال البسملة آية من أول كل سورة سوى براءة، رقم: ٣٠٠] عن أنس رضي الله عنه.

(٢) روى هذا أيضاً البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما، ولا تعارض بين هذا والذي قبله فإن اللفظ يتناول الجميع، فقد قيل لسعيد بن جبير - راوي الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما - فإن الناس يزعمون أنه نهر في الجنة؟ فقال: النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه.
[التفسير، باب: تفسير سورة ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾]

(٣) المراد بالنسك هنا الهدي، وهو ما يسوقه الحاج من الأنعام ليذبح في الحرم.

(٤) قال الواحدي: نزلت في رهط من قريش، قالوا: يا محمد، هلم اتبع ديننا ونتبع دينك، تعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة، فإن كان الذي جئت به خيراً مما بأيدينا قد شركناك فيه وأخذنا بحظنا منه، وإن كان الذي بأيدينا خيراً مما في يدك قد شركت في أمرنا وأخذت بحظك. فقال: (معاذ الله أن أشرك به غيره). فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ يا أَيُّها الكافِرُونَ﴾ إلى آخر السورة، فغدا رسول الله ﷺ إلى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش، فقرأها عليهم حتى فرغ من السورة، فأيسوا منه عند ذلك.
وقال السيوطي: أخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن ميناء قال: لقي الوليد بن المغيرة والعاصي بن وائل والأسود بن المطلب وأمية بن خلف رسول الله ﷺ، فقالوا: يا محمد، هلمّ فلتعبد ما نعبد ونعبد ما تعبد، ولنشترك نحن وأنت في أمرنا كله، فأنزل الله ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ إلى آخر السورة.

(٥) بين اللفظ الذي ذكر به معبودهم واللفظ الذي ذكر به المعبود بحق وهو الله عزّ وجلّ.

(٦) أي فقرأ: ﴿ديني﴾ وهي قراءة متواترة.

سبب نزول سورة الكوثر: قال السيوطي أخرج البزار وغيره بسند صحيح، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدم كعب بن الأشرف مكة، فقالت له قريش: أنت سيدهم، ألا ترى إلى هذا الصنبور المنبتر من قومه، يزعم أنه خير منا، ونحن أهل الحجيج، وأهل السقاية، وأهل السدانة. قال: أنتم خير منه. فنزلت: ﴿إنّ شانئك هو الأبتر﴾. [الصنبور هو غصن النخيل الذي ينبت في جذع النخلة لا في الأرض، وقيل: هو النخلة المنفردة التي يدق أسفلها، والمراد: أنه إذا قلع أو قطع ذهب ذكره، وهكذا شأن محمد - ﷺ - إذا مات انتهى أمره لأنه لا ولد له. المنبتر: الذي ليس له عقب يخلفه].

(سورة النصر)

(نزلت بمنى في حجة الوداع، فتعد مدنية،
وهي آخر ما نزل من السور، وآياتها ثلاث آيات)

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿ إذا جاء نصر الله ﴾ نبيه ﷺ على أعدائه ﴿ والفتح ﴾ فتح مكة.

٢ ﴿ ورأيت الناس يدخلون في دين الله ﴾ أي الإسلام ﴿ أفواجاً ﴾ جماعات، بعد ما كان يدخل فيه واحد واحد، وذلك بعد فتح مكة، جاءه العرب من أقطار الأرض طائعين.

٣ ﴿ فسبح بحمد ربك ﴾ أي متلبساً بحمده ﴿ واستغفره إنه كان تواباً ﴾ وكان ﷺ بعد نزول هذه السورة يكثر من قول: سبحان الله وبحمده وأستغفر الله وأتوب إليه⁽¹⁾، وعلم بها أنه قد اقترب أجله⁽²⁾، وكان فتح مكة في رمضان سنة ثمان، وتوفي ﷺ في ربيع الأول سنة عشر.

(سورتا النصر والمسد) ٨٢٥

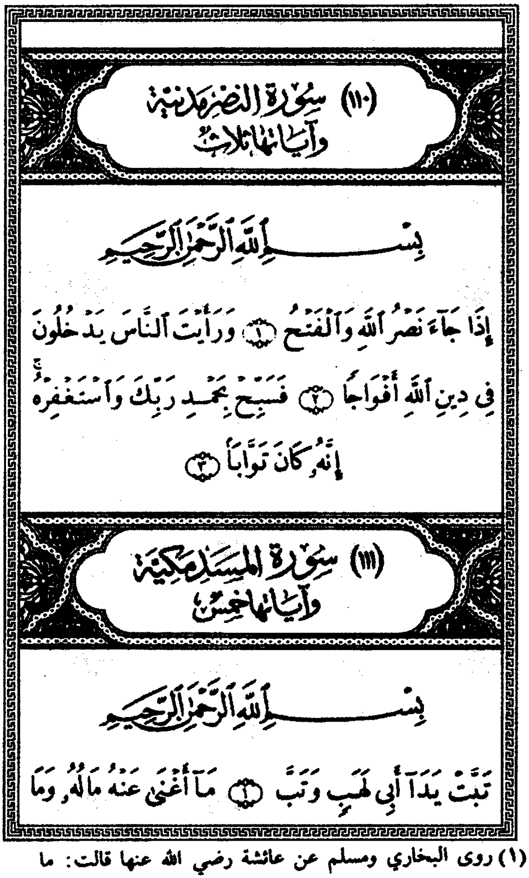

سُورَةُ النَّصْرِ مَدَنِيَّة (١١٠) وَآيَاتُهَا ثَلَاثٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ① وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ② فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ③

سُورَةُ الْمَسَدِ مَكِّيَّة (١١١) وَآيَاتُهَا خَمْسٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ① مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا

(سورة اللهب)

(مكية وآياتها خمس آيات)

بسم الله الرحمن الرحيم

١ لما دعا النبي ﷺ قومه وقال: (إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد). فقال عمه أبو لهب: تباً لك، ألهذا دعوتنا؟ نزل⁽³⁾ ﴿تبت﴾ خسرت ﴿يدا أبي لهب﴾ أي جملته، وعبر عنها باليدين مجازاً، لأن أكثر الأفعال تزاول بهما، وهذه الجملة دعاء ﴿وتب﴾ خسر هو، وهذه الجملة خبر⁽⁴⁾، كقولهم أهلكه الله وقد هلك. ولما خوفه النبي ﷺ بالعذاب فقال: إن كان ما يقول ابن أخي حقاً فإني افتدي منه بمالي وولدي، نزل: ٢ ﴿ ما أغنى عنه ماله وما

---

(١) روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما صلى رسول الله ﷺ صلاة، بعد أن أنزلت عليه ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ إلا يقول فيها: (سبحانك ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي). [البخاري: التفسير، باب: تفسير سورة ﴿إذا جاء نصر الله﴾ رقم: ٤٦٨٣. مسلم: الصلاة، باب: ما يقال في الركوع والسجود، رقم: ٤٨٤].

(٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فقال بعضهم: لم تدخل هذا الفتى معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال: إنه ممن قد علمتم. قال: فدعاهم ذات يوم ودعاني معهم، قال: وما رأيته دعاني يومئذ إلا ليريهم مني، فقال: ما تقولوا في: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح. ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً﴾. حتى ختم السورة، فقال بعضهم: امرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا. وقال بعضهم: لا ندري، أو: لم يقل بعضهم شيئاً، فقال لي: يا ابن عباس، أكذاك تقول؟ قلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو اجل رسول الله ﷺ أعلمه الله له: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ فتح مكة، فذاك علامة اجلك: ﴿فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً﴾.

قال عمر: ما أعلم منها إلا ما تعلم. [البخاري: المغازي، باب: منزل النبي ﷺ يوم الفتح، رقم: ٤٠٤٣].

(٣) أخرجه البخاري في التفسير، باب: تفسير سورة ﴿تبت يدا أبي لهب﴾ رقم: ٤٦٨٧. مسلم: الإيمان، باب: قوله تعالى: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ رقم: ٢٠٨]

(٤) أي جملة ﴿وتب﴾ صورتها دعاء عليه بالهلاك، وحقيقتها إخبار بهلاكه، فهي خبر بصورة الإنشاء.

=وأخرج ابن جرير، عن سعيد بن جبير في قوله: ﴿فصلّ لربك وانحر﴾ قال: نزلت يوم الحديبية، أتاه جبريل، فقال: انحر واركع، فقام فخطب خطبة الفطر والنحر، ثم ركع ركعتين، ثم انصرف إلى البدن فنحرها. وأخرج عن شمر بن عطية قال: كان عقبة بن أبي معيط يقول: إنه لا يبقى للنبيّ - ﷺ - ولد وهو أبتر، فأنزل الله فيه: ﴿إنّ شانئك هو الأبتر﴾. وقال الواحدي قال عطاء، عن ابن عباس رضي الله عنهما: كان العاص بن وائل يمر بمحمد ﷺ ويقول: إني لأشنؤك، وإنك لأبتر من الرجال. فأنزل الله تعالى: ﴿إن شانئك هو الأبتر﴾. من خير الدنيا والآخرة.

[الأبتر: المقطوع والذي لا عقب له، أي لا ولد، ولا سيما من الذكور. لأشنؤك: لأبغضك أشد البغض].

سبب نزول سورة النصر: قال السيوطي: أخرج عبد الرزاق في مصنفه، عن معمر، عن الزهري قال: لما دخل رسول الله ﷺ مكة عام الفتح

كسب ﴾ أي وكسبه، أي ولده، وأغنى بمعنى يغني.

٣ ﴿ سيصلى ناراً ذات لهب ﴾ أي تلهب وتوقد، فهي مآل تكنيته⁽¹⁾، لتلهب وجهه إشراقاً وحمرة⁽²⁾.

٤ ﴿ وامرأته ﴾ عطف على ضمير يصلى، سوغه الفصل بالمفعول وصفته⁽³⁾: وهي أم جميل ﴿ حمالة ﴾ بالرفع والنصب ﴿ الحطب ﴾ الشوك والسعدان⁽⁴⁾، تلقيه في طريق النبي ﷺ.

٥ ﴿ في جيدها ﴾ عنقها ﴿ حبل من مسد ﴾ أي ليف، وهذه الجملة حال من حمالة الحطب، الذي هو نعت لامرأته، أو خبر مبتدأ مقدر⁽⁵⁾.

(سورة الإخلاص)

(مكية أو مدنية، وآياتها ٤ أو ٥)

بسم الله الرحمن الرحيم

١ سئل النبي ﷺ عن ربه فنزل ﴿قل هو الله أحد﴾ فالله خبر هو، وأحد بدل منه أو خبر ثانٍ.

٢ ﴿ الله الصمد ﴾ مبتدأ وخبر، أي المقصود في الحوائج على الدوام.

٣ ﴿ لم يلد ﴾ لانتفاء مجانسته ﴿ ولم يولد ﴾ لانتفاء الحدوث عنه.

٤ ﴿ ولم يكن له كفواً أحد ﴾ أي مكافئاً ومماثلاً، وله متعلق بكفواً، وقدم عليه لأنه محط القصد بالنفي⁽⁶⁾، وأخر «أحد» ـ وهو اسم يكن ـ عن خبرها رعاية للفاصلة⁽⁷⁾.

(سورة الفلق)

(مكية أو مدنية وآياتها ٥)

نزلت هذه السورة والتي بعدها لما سحر لبيد اليهودي النبي ﷺ في وتر به إحدى عشرة عقدة، فأعلمه الله بذلك وبمحله فأحضر بين يديه ﷺ، وأمر بالتعوذ بالسورتين، فكان كلما قرأ آية منهما انحلت عقدة ووجد خفة، حتى انحلت العقد كلها، وقام كأنما نشط من عقال⁽⁸⁾.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿ قل أعوذ برب الفلق ﴾ الصبح.

٢ ﴿ من شر ما خلق ﴾ من حيوان مكلف وغير مكلف، وجماد كالسم وغير ذلك. ٣ ﴿ ومن شر

كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ
ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ﴿٥﴾

(١١٢) سُورَةُ الإِخْلَاصِ مَكِّيَّة
وَآيَاتُهَا أَرْبَع

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ
يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾

(١١٣) سُورَةُ الفَلَقِ مَكِّيَّة
وَآيَاتُهَا خَمْس

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ

---

(١) أي إن تكنيته أبا لهب آلت ورجعت إلى أن تحقق معناها فيه، فصار أبا لهب، أي ملازماً للهب وهو النار.

(٢) أي كني في الأصل أبا لهب لهذا.

(٣) لأن الأصل إذا عطف على الضمير أن يؤتى بضمير الفصل، فيقال: هو وامرأته.

(٤) نبت له شوك.

(٥) تقديره: المرأة المذكورة في جيدها حبل من مسد.

(٦) أي لأن المقصود بالنفي نفي المكافأة عن ذاته سبحانه، والتقديم يفيد الاهتمام والتخصيص.

(٧) أي رؤوس الآيات. وقد ورد في فضل هذه السورة أحاديث كثيرة، منها: ما رواه البخاري [فضائل القرآن، باب: فضل ﴿قل هو الله أحد﴾ رقم: ٤٧٢٦] عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن رجلاً سمع رجلاً يقرأ ﴿قل هو الله أحد..﴾ يرددها، فلما أصبح جاء إلى النبي ﷺ فذكر ذلك له، وكأن الرجل يتقالها، فقال رسول الله ﷺ: (والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن). أقول: لأنها تتعلق بمعرفة الله عزّ وجلّ التي هي أجل مقاصد القرآن، والله تعالى أعلم.

(٨) أي كأنما أطلق من حبل كان قد شد عليه.

بعث خالد بن الوليد فقاتل بمن معه صفوف قريش بأسفل مكة، حتى هزمهم الله، ثم أمر بالسلاح فرفع عنهم، فدخلوا في الدين، فأنزل الله: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ حتى ختمها.

سبب نزول سورة الإخلاص: عن أبيّ بن كعب رضي الله عنه: أن المشركين قالوا لرسول الله ﷺ: انسب لنا ربك، فأنزل الله: ﴿قل هو الله أحد﴾ إلى آخرها. [الترمذي: التفسير، باب: ومن سورة الإخلاص، رقم: ٣٣٦١].

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن اليهود جاءت إلى النبيّ ﷺ، منهم كعب بن الأشرف وحيّي بن أخطب، فقالوا: يا =

غاسق إذا وقب ﴾ أي الليل إذا أظلم، أو القمر إذا غاب.

٤ ﴿ ومن شر النفاثات ﴾ السواحر تنفث ﴿ في العقد ﴾ التي تعقدها في الخيط، تنفخ فيها بشيء تقوله من غير ريق، وقال الزمخشري: معه(١)، كبنات لبيد المذكور.

٥ ﴿ ومن شر حاسد إذا حسد ﴾ أظهر حسده وعمل بمقتضاه، كلبيد المذكور من اليهود الحاسدين للنبي ﷺ، وذكر الثلاثة الشامل لها «ما خلق» بعده لشدة شرها.

(سورة الناس)

(مكية أو مدنية وآياتها ست آيات)

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ﴿ قل أعوذ برب الناس ﴾ خالقهم ومالكهم، خصوا بالذكر تشريفاً لهم، ومناسبة للاستعاذة من شر الموسوس في صدورهم. ٢﴿ ملك الناس ﴾. ٣﴿ إله الناس ﴾ بدلان أو صفتان أو عطفا بيان، وأظهر المضاف إليه فيهما زيادة للبيان.

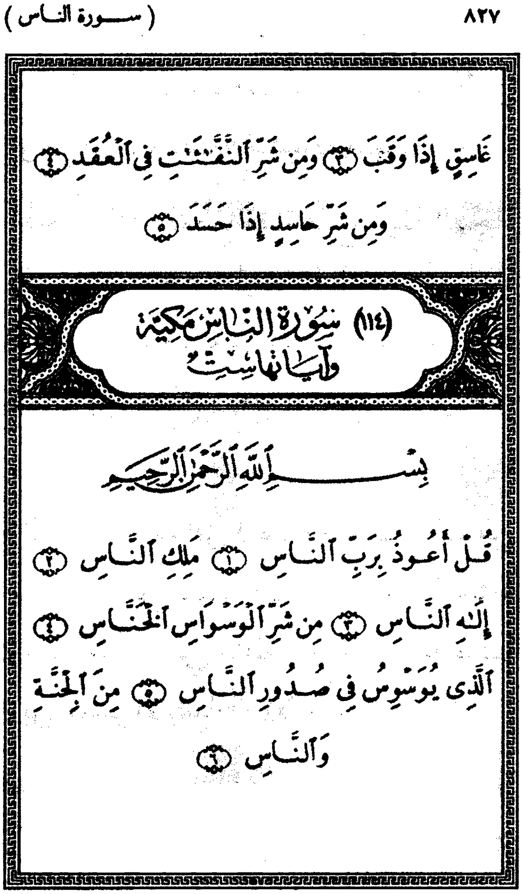

غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾
وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾

(١١٤) سُورَةُ النَّاسِ مَكِّيَّة وَآيَاتُهَا سِتٌّ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾
إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾
ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ
وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾

٤ ﴿ من شر الوسواس ﴾ أي الشيطان، سمي بالحدث(٢) لكثرة ملابسته له ﴿ الخناس ﴾ لأنه يخنس ويتأخر عن القلب كلما ذكر الله.

٥ ﴿ الذي يوسوس في صدور الناس ﴾ قلوبهم، إذا غفلوا عن ذكر الله.

٦ ﴿ من الجنة والناس ﴾ بيان للشيطان الموسوس أنه جني وأنسي، كقوله تعالى «شياطين الإنس والجن» /الأنعام: ١١٢/ أو «من الجنة» بيان له، والناس عطف على الوسواس، وعلى كل يشمل شر لبيد وبناته المذكورين. واعترض الأول بأن الناس لا يوسوس في صدورهم الناس إنما يوسوس في صدورهم الجن، وأجيب: بأن الناس يوسوسون أيضاً بمعنى يليق بهم في الظاهر، ثم تصل وسوستهم إلى القلب، وتثبت فيه بالطريق المؤدي إلى ذلك، والله تعالى أعلم(٣).

---

(١) اي معنى تنفث عند الزمخشري: تنفخ مع الريق.

(٢) وهو الوسواس الذي هو مصدر وسوس.

(٣) أخرج البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه، ثم نفث فيهما، فقرأ فيهما ﴿قل هو الله أحد﴾ و﴿قل أعوذ برب الفلق..﴾ و﴿قل أعوذ برب الناس..﴾ ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه، وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات. [البخاري: فضائل القرآن، باب: فضل المعوذات، رقم: ٤٧٢٩. مسلم: السلام، باب: رقية المريض بالمعوذات والنفث، رقم: ٢١٩٢].

=محمد صف لنا ربك الذي بعثك، فأنزل الله: ﴿قل هو الله أحد﴾ إلى آخرها.

وأخرج ابن جرير عن أبي العالية قال: قال قتادة: قالت الأحزاب: انسب لنا ربك، فأتاه جبريل بهذه السورة.

قال السيوطي بعد إيراده ما ذكر في كتابه [لباب النقول] وهذا المراد بالمشركين في حديث أبيّ، فتكون السورة مدنية، كما دلّ عليه حديث ابن عباس، وينتفي التعارض بين الحديثين.

سبب نزول المعوذتين: قال السيوطي: أخرج البيهقي في [دلائل النبوة] من طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مرض رسول الله ﷺ مرضاً شديداً، فأتاه ملكان، فقعد أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه، فقال الذي عند رجليه للذي عند رأسه: ما ترى؟ قال: طب. قال: وما طب؟ قال: سحر. قال: ومن سحره؟ قال: لبيد بن الأعصم اليهودي، قال: أين هو؟ قال: في بئر آل فلان تحت صخرة في رَكِيّة، فأتوا الرَّكيَّة فانزحوا ماءها وارفعوا الصخرة ثم خذوا الكرية وأحرقوها. فلما أصبح رسول الله ﷺ بعث عمار بن ياسر في نفر فأتوا الركية، فإذا ماؤها مثل ماء الحناء، فنزحوا الماء ثم رفعوا الصخرة، وأخرجوا الكرية وأحرقوها، فإذا فيها وتر فيه إحدى عشرة عقدة، وأنزلت عليه هاتان السورتان، فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة: ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ و﴿قل أعوذ برب الناس﴾. [ركية: هي البئر. الكرية: تصغير كرة، وهي ما يدارمن أي شيء] ولهذا الحديث شاهد في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها، دون ذكر نزول السورتين.

[البخاري: الطب، باب: هل يستخرج السحر، رقم: ٥٤٣٢، وباب: السحر، رقم: ٥٤٣٣. مسلم: السلام، باب: السحر، رقم: ٢١٨٩].

تعريف بهذا المصحف الشريف

كُتِب هذا المُصحَفُ وضُبِط علىٰ ما يوافق روايةَ حَفْص بن سليمان بن المُغِيرة الأَسديّ الكُوفيّ لقراءة عاصم بنِ أبي النَّجُود الكُوفيّ التابعيّ، عن أبي عبد الرحمن عبدِ الله بنِ حَبيب السُّلَميّ، عن عثمانَ بنِ عفَّانَ وعليّ بن أبي طالب وزيدِ بن ثابت وأُبَيّ بنِ كَعْب رضي الله عنهم، عن النبيّ ﷺ.

وأُخِذَ هجاؤه مما رواه علماءُ الرَّسْم عن المصاحف التي بعث بها عثمانُ بن عفَّانَ رضي الله عنه إلى البَصْرة والكُوفة والشَّام ومكَّة، والمُصحفِ الذي جعله لأَهل المدينة، والمصحف الذي ٱختصّ به نَفْسَه، وعن المصاحف المنتَسَخة منها.

أما الأَحرُفُ اليسيرةُ التي ٱختلفَت فيها أهْجِيةُ تلك المصاحف فٱتُّبع فيها الهجاءُ الغالب، مع مراعاة قراءة القارىء الذي يُكتَب المصحف لبيان قراءته، ومراعاةِ القواعد التي ٱستنبطها علماءُ الرَّسْم من الأَهْجِية المختلفة، علىٰ حَسَب ما رواه الشيخان: أبو عمرو الدانيُّ وأبو داود سليمانُ بنُ نَجَاح، مع ترجيح الثاني عند الاختلاف.

وعلى الجملة كلُّ حرفٍ من حروف هذا المصحف موافقٌ لنظيره في مصحف من المصاحف الستة السابق ذكرُها. والعمدةُ في بيان كلِّ ذٰلك علىٰ ما حققه الأُستاذ محمدُ بن محمد الأُمويّ الشَّريشي ـ المشهور بالخَرَّاز ـ في منظومته [مَوْرِد الظمآن] وما قرَّره شارحُها المحقّق الشيخ عبد الواحد بن عاشر الأنصاريّ الأَندَلُسيّ.

وأُخِذَت طريقة ضَبْطه مما قرَّره علماءُ الضبط علىٰ حَسَب ما ورد في كتاب [الطّراز علىٰ ضبط الخَرَّاز] للإمام التَّنَسِيّ، مع إبدال علامات الأَندَلُسيين والمغاربة بعلامات الخليل بن أحمد وأتباعِه من المَشارِقة.

وٱتُّبِعَتْ في عدّ آياته طريقةُ الكوفيين عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن حَبيب السُّلميّ، عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، علىٰ حَسَب ما ورد في كتاب [ناظمة الزُّهر] للإمام الشاطبيّ، وشرحها لأبي عيدٍ رِضوانَ المخَلِّلاتي. وكتاب أبي القاسم

عمر بن محمد بن عبد الكافي وكتاب [تحقيق البيان] للأُستاذ الشيخ محمد المتولّي، شيخ القُرّاء بالديار المصرية سابقاً. وآيُ القرءان علىٰ طريقتهم ٦٢٣٦.

وأُخِذَ بيانُ أوائل أجزائه الثلاثين وأحزابِه الستين وأرباعها من كتاب [غيث النَّفْع] للعلامة السَّفاقُسِيّ، و [ناظمة الزّهر وشرحها] و [تحقيق البيان] و [إرشاد القرّاء والكاتبين] لأبي عيدٍ رِضْوانَ المخلّلاتي.

وأُخِذَ بيان مَكِّيِّه ومَدَنِيِّه من الكتب المذكورة، وكتاب أبي القاسم عمر بن محمد ابن عبد الكافي، وكتب القراءات والتفسير، علىٰ خلاف في بعضها.

وأُخِذ بيان وقوفه وعلاماتها مما قرّره الأُستاذ محمد بن علي بن خلف الحسيني، شيخُ المَقَارِئ المصرية الآن، علىٰ حَسَب ما ٱقتضته المعاني التي تُرْشِد إليها أقوالُ أئمة التفسير.

وأُخِذَ بيانُ السَّجَدات ومواضِعِها من كتب الفقْه في المذاهب الأَربعة.

وأُخِذَ بيانُ السَّكَتات الواجبة عند حفص من [الشاطبية وشُرّاحها] والتَلقّي من أفواه المشايخ.

اصطلاحات الضبط

وَضْع الصِّفْر المستدير فوق حرفِ عِلَّة يدل علىٰ زيادة ذٰلك الحرف، فلا يُنْطَقُ به في الوصل ولا في الوقف، نحو: ﴿قَالُواْ﴾ ﴿يَتْلُواْ صُحُفًا﴾ ﴿لَأَاْذْبَحَنَّهُۥ﴾ ﴿وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبْقَىٰ﴾ ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ﴾ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ ﴿أُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ﴾ ﴿مِن نَّبَإِيْ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ﴾.

ووضْع الصِّفر المستطيل القائم فوقَ أَلِف بعدها متحرّك، يدلُّ علىٰ زيادتها وصلاً لا وقفاً، نحو: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ ﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي﴾ ﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ هُنَالِكَ﴾ ﴿كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٍ﴾. وأهملت الألف التي بعدها ساكن، نحو: ﴿أَنَا ٱلنَّذِيرُ﴾ من وضع الصفر المستطيل فوقها، وإن كان حكمها مثل التي بعدها متحرك في أنها تسقط وصلاً وتثبت وقفاً، لعدم توهم ثبوتها وصلاً.

وَوَضْع رأس خاءٍ صغيرة بدون نقطة فوقَ أيِّ حرف، يدُلُّ علىٰ سكون ذلك الحرف وعلىٰ أنه مُظهَر بحيث يقرَعه اللسانُ، نحو: ﴿مِنۡ خَيۡرٖ﴾ ﴿وَيَنۡـَٔوۡنَ عَنۡهُ﴾ ﴿بِعَبۡدِهِۦ﴾ ﴿قَدۡ سَمِعَ﴾ ﴿فَقَدۡ ضَلَّ﴾ ﴿نَضِجَتۡ جُلُودُهُم﴾ ﴿أَوَعَظۡتَ﴾ ﴿وَخُضۡتُمۡ﴾ ﴿وَإِذۡ زَاغَت﴾.

وتعرِيَةُ الحرف من علامة السكون مع تشديد الحرف التالي يدُلُّ علىٰ إدغام الأوّل في الثاني إدغاماً كاملاً، نحو: ﴿أُجِيبَت دَّعۡوَتُكُمَا﴾ ﴿يَلۡهَث ذَّٰلِكَ﴾ ﴿وقالت طَّآئِفَةٞ﴾ ﴿وَمَن يُكۡرِههُّنَّ﴾ ﴿أَلَمۡ نَخۡلُقكُّم﴾.

وتعرِيتُه مع عدم تشديد التالِي يدُلُّ علىٰ إخفاء الأوّل عند الثاني، فلا هو مُظْهَر حتىٰ يقرعَه اللسان، ولا هو مُدْغَم حتىٰ يُقْلب من جنس تاليه، نحو: ﴿مِن تَحۡتِهَا﴾ ﴿مِن ثَمَرَةٖ﴾ ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمۡ﴾. أو إدغامِه فيه إدغاماً ناقصاً، نحو: ﴿مَن يَقُولُ﴾ ﴿مِن وَالٍ﴾ ﴿فَرَّطتُمۡ﴾ ﴿بَسَطتَ﴾.

وَوَضْعُ ميم صغيرة بدَلَ الحركة الثانية من المنوَّن، أو فوقَ النون الساكنة بدَلَ السكون، مع عدم تشديد الباء التالية، يدُلُّ علىٰ قلب التنوين أو النون مِيماً، نحو: ﴿عَلِيمُۢ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ﴾ ﴿كِرَامِۭ بَرَرَةٖ﴾ ﴿مِنۢ بَعۡدِ﴾ ﴿مُنۢبَتّٗا﴾.

وتركيبُ الحركتين: ضمتين أو فتحتين أو كسرتين هكذا ـٌ ـً ـٍ يدُلُّ علىٰ إظهار التنوين، نحو: ﴿سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿وَلَا شَرَابًا إِلَّا﴾ ﴿لِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ﴾.

وتتابُعُهما هكذا ـٞ ـٗ ـٖ مع تشديد التالي يدُلُّ علىٰ إدغامه، نحو: ﴿خُشُبٞ مُّسَنَّدَةٞ﴾ ﴿غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاعِمَةٞ﴾.

وتتابُعُهما مع عدم التشديد يدُلُّ على الإخفاء، نحو: ﴿شِهَابٞ ثَاقِبٞ﴾ ﴿سِرَاعٗا ذَٰلِكَ﴾ ﴿بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ كِرَامِۭ﴾. فتركيب الحركتين بمنزلة وضع السكون على الحرف وتتابعهما بمنزلة تَعْرِيته عنه.

والحروفُ الصغيرة تدل علىٰ أعيان الحروف المتروكة في المصاحف العُثْمانية مع وجوب النطق بها، نحو: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾ ﴿دَاوُۥدَ﴾ ﴿يَلۡوُۥنَ أَلۡسِنَتَهُم﴾ ﴿يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ﴾ ﴿أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا﴾ ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ﴾ ﴿إِلَى ٱلۡحَوَارِيِّـۧنَ﴾ ﴿إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ

ٱلشِّتَآءِ﴾ ﴿إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيراً﴾ ﴿كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ﴾ ﴿وَكَذَٰلِكَ نُۨجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

وكان علماء الضبط يلحقون هذه الأَحرف حمراء بقدر حروفِ الكتابة الأَصلية، ولكن تعَسَّر ذٰلك في المطابع، فٱكتفي بتصغيرها في الدلالة على المقصود.

وإذا كان الحرفُ المتروكُ له بدلٌ في الكتابة الأَصلية عُوِّل في النطق على الحرف الملْحَق لا على البدل، نحو: ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾ ﴿كَمِشْكَوٰةٍ﴾ ﴿ٱلرِّبَوٰاْ﴾ ﴿مَوْلَىٰهُ﴾ ﴿ٱلتَّوْرَىٰةَ﴾ ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ﴾ ﴿لَقَدْ رَأَىٰ﴾. ونحو: ﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ﴾ ﴿فِي ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً﴾. فإن وضعت السين تحت الصاد دلَّ علىٰ أن النُّطق بالصاد أشهر، نحو: ﴿ٱلْمُصۜيْطِرُونَ﴾.

ووضع هذه العلامة (ـٓ) فوق الحرف يدل علىٰ لزوم مدّه مدّاً زائداً على المدّ الأَصليّ الطبيعي، نحو: ﴿الٓمٓ﴾ ﴿ٱلطَّآمَّةُ﴾ ﴿قُرُوٓءٍ﴾ ﴿سِيٓءَ بِهِمْ﴾ ﴿شُفَعَٰٓؤُاْ﴾ ﴿تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ ﴿لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ﴾ ﴿بِمَآ أَنزَلَ﴾. على تفصيل يعلم من فنّ التجويد. ولا تستعمل هذه العلامة للدلالة علىٰ ألف محذوفة بعد ألف مكتوبة مثل ﴿آمنوا﴾ كما وُضع غلطاً في كثير من المصاحف، بل تكتب ﴿ءَامَنُواْ﴾ بهمزة وألف بعدها.

والدائرةُ المحلاة التي في جوفها رقم تدل بهيئتها على ٱنتهاء الآية، وبرقمها علىٰ عدد تلك ٱلآية في السورة، نحو: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾ ولا يجوز وضعها قبل الآية البتة، فلذلك لا توجد في أوائل السُّوَر، وتُوجد دائماً في أواخرها.

وتدل هذه العلامة (۞) على ٱبتداء رُبُع الحزب، وإذا كان أوّلُ الربع أوّلَ سورة فلا توضع.

ووضْعُ خَطٍّ أُفُقِيّ فوق كلمة يدل علىٰ مُوجب السَّجْدة، ووضْع هذه العلامة ۩ بعد كلمة يدل علىٰ موضِع السجدة، نحو: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۝٤٩ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ۝٥٠﴾.

وَوَضْعُ النقطة الخالية الوسط المُعَيَّنة الشكل تحت الراء في قوله تعالى: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرِ۪ىٰهَا﴾ يدُلُّ علىٰ إمالة الفتحة إلى الكسرة، وإمالة الألف إلى الياء. وكان النُّقَّاط يضعونها دائرةً حمراء، فلما تعسر ذٰلك في المطابع عُدِل إلى الشكل المعيَّن.

ووضع النقطة المذكورة فوق آخر الميم قُبَيْل النون المشدّدة من قوله تعالى: ﴿مَالَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ يَدُل على الإشمام، وهو: ضم الشفتين كمن يريد النطق بضمة، إشارة إلى أن الحركة المحذوفة ضمة، من غير أن يظهر لذلك أثر في النطق.

ووضع نقطة مدوّرة مسدودة الوسط فوق الهمزة الثانية من قوله تعالى: ﴿ءَا۬عْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ يدل علىٰ تسهيلها بينَ بينَ، أي الهمزة والألف.

علامات الوقف

(ۘ) علامة الوقف اللازم، نحو: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ۘ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ﴾.

(لا) علامةُ الوقف الممنوع، نحو: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ۙ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ﴾.

(ج) علامة الوقف الجائز جوازاً مستوِيَ الطَّرفَين، نحو: ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ﴾.

(ۖ) علامة الوقف الجائز مع كون الوصل أَوْلَىٰ، نحو: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

(ۗ) علامة الوقف الجائز مع كون الوقف أَوْلَىٰ، نحو: ﴿قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ﴾.

(ۛ ۛ) علامة تعانُق الوقف، بحيث إذا وُقف علىٰ أحد الموضعين لا يصح الوقف على الآخر، نحو: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

في ١٠ ربيع الثاني ١٣٣٧ هجرية

محمد علي خلف الحسيني	**حفني بك ناصف**
شيخ المقارىء المصرية	المفتش الأوّل للغة العربية بوزارة المعارف كان
مصطفى عناني	**أحمد الإسكندري**
المدرّس بمدرسة المعلمين الناصرية	المدرّس بمدرسة المعلمين الناصرية

خاتمة

قام بتصحيح هذا المصحف الشريف ومراجعته علىٰ أُمَّهات كتب الرسم والضبط والقراءات مراجعةً دقيقةً الأُستاذُ الشيخ محمد بنِ علي بن خلف الحسيني شيخُ المقارىء المصرية الآن وهو الذي كتبه بخَطِّه، والأُستاذ حفني بك ناصف، المفتشُ الأَوّل للغة العربية بوزارة المعارف العمومية، والأُستاذان: الشيخ مصطفى عناني والشيخ أحمد الإِسكندريّ، المدرّسان بمدرسة المعلمين الناصرية، والأُستاذ الشيخ نصر العادلي، رئيس المصححين بالمطبعة الأَميرية. تحت إشراف مشيخة الأَزهر الجليلة، وها هي ذي توقيعاتهم:

محمد علي خلف الحسيني
حفني ناصف
نصر العادلي

مصطفى عناني
أحمد الإِسكندريّ
صاحب الفضيلة
شيخ الجامع الأزهر

في ١٠ ربيع الثاني سنة ١٣٣٧

فهرس السور

على حسب ترتيبها في المصحف

الصفحة	اسم السورة	الصفحة	اسم السورة	الصفحة	اسم السورة
٢	سورة الفاتحة	٤٧٩	سورة الشُّعَراء	٦٩٢	سورة الذَّاريات
٣	سورة البَقَرة	٤٩٤	سورة النَّمْل	٦٩٦	سورة الطُّور
٦٢	سورة آل عِمْران	٥٠٦	سورة القَصَص	٧٠٠	سورة النَّجم
٩٧	سورة النِّساء	٥٢٠	سورة العَنكَبُوت	٧٠٤	سورة القَمَر
١٣٤	سورة المائِدَة	٥٣٠	سورة الرُّوم	٧٠٨	سورة الرَّحمٰن
١٦٢	سورة الأَنْعام	٥٣٩	سورة لُقمان	٧١٣	سورة الوَاقِعَة
١٩٢	سورة الأَعْراف	٥٤٤	سورة السَّجْدة	٧١٨	سورة الحَدِيد
٢٢٦	سورة الأَنْفال	٥٤٨	سورة الأَحْزَاب	٧٢٤	سورة المُجَادَلة
٢٣٩	سورة التَّوْبة	٥٦٢	سورة سَبَأ	٧٢٩	سورة الحَشْر
٢٦٥	سورة يُونُس	٥٧١	سورة فَاطِر	٧٣٤	سورة المُمتَحنَة
٢٨٣	سورة هود	٥٧٩	سورة يٓس	٧٣٨	سورة الصَّفّ
٣٠٢	سورة يُوسُف	٥٨٧	سورة الصَّافَّات	٧٤٠	سورة الجُمُعة
٣٢٠	سورة الرَّعد	٥٩٧	سورة صٓ	٧٤٢	سورة المُنافِقُون
٣٢٩	سورة إبراهيم	٦٠٥	سورة الزُّمَر	٧٤٥	سورة التَّغابُن
٣٣٧	سورة الحِجْر	٦١٧	سورة غَافِر	٧٤٨	سورة الطَّلَاق
٣٤٥	سورة النَّحْل	٦٢٩	سورة فُصِّلَتْ	٧٥١	سورة التَّحْرِيم
٣٦٤	سورة الإِسْراء	٦٣٨	سورة الشُّورَىٰ	٧٥٤	سورة المُلْك
٣٨٠	سورة الكَهْف	٦٤٧	سورة الزُّخْرُف	٧٥٧	سورة القَلَم
٣٩٦	سورة مَرْيَم	٦٥٦	سورة الدُّخَان	٧٦١	سورة الحَاقَّة
٤٠٦	سورة طه	٦٦٠	سورة الجَاثِيَة	٧٦٤	سورة المَعارِج
٤٢٠	سورة الأَنْبِياء	٦٦٥	سورة الأَحْقَاف	٧٦٧	سورة نُوح
٤٣٢	سورة الحَجّ	٦٧٢	سورة مُحَمَّد	٧٧٠	سورة الجِنّ
٤٤٥	سورة المُؤْمِنُون	٦٧٨	سورة الفَتْح	٧٧٣	سورة المُزَّمِّل
٤٥٦	سورة النُّور	٦٨٤	سورة الحُجُرات	٧٧٥	سورة المُدَّثِّر
٤٧٠	سورة الفُرْقان	٦٨٨	سورة قٓ	٧٧٨	سورة القِيامَة

الضفحة	اسم السورة	الصفحة	اسم السورة	الصفحة	اسم السورة
٧٨١	سورة الإِنْسان	٨٠٦	سورة الفَجْر	٨٢٠	سورة التَّكَاثُر
٧٨٤	سورة المُرْسَلات	٨٠٨	سورة البَلَد	٨٢٠	سورة العَصْر
٧٨٦	سورة النَّبإِ	٨٠٩	سورة الشَّمْس	٨٢١	سورة الهُمَزَة
٧٨٩	سورة النَّازِعات	٨١٠	سورة اللَّيل	٨٢٢	سورة الفيل
٧٩١	سورة عَبَس	٨١١	سورة والضُّحى	٨٢٢	سورة قُرَيْش
٧٩٣	سورة التَّكْوِير	٨١٢	سورة الشَّرْح	٨٢٣	سورة المَاعُون
٧٩٥	سورة الانْفطار	٨١٣	سورة التِّين	٨٢٤	سورة الكَوْثَر
٧٩٦	سورة المُطَفِّفين	٨١٤	سورة العَلَق	٨٢٤	سورة الكَافِرُون
٧٩٩	سورة الآنْشِقاق	٨١٥	سورة القَدْر	٨٢٥	سورة النَّصْر
٨٠٠	سورة البُرُوج	٨١٦	سورة البَيِّنَة	٨٢٥	سورة المَسَد
٨٠٢	سورة الطَّارِق	٨١٧	سورة الزَّلْزَلة	٨٢٦	سورة الإِخْلَاص
٨٠٣	سورة الأعلىٰ	٨١٨	سورة العَاديات	٨٢٦	سورة الفَلَق
٨٠٤	سورة الغَاشِيَة	٨١٩	سورة القَارعة	٨٢٧	سورة النَّاس